

# شرح صحيح البخاري

لفضيلة الشيخ العلامة  
محمد بن صالح العثيمين

طبعة مشكورة، بمحققته، منقحة، الإصدار الثاني،  
مترجمة الأطراف والفوائد، ذاتها، من غير تغيير في نصها

فمنزل التحقيق والتمحيص والعلامة

تأليف

بالمكتبة الإسلامية

بمصر

العلامة ابن باز

العلامة الدباني

إلى بني العجاشين

التمني - التوحيد - الفهارس

من ٧٢٣٣ إلى ٧٥٦٣

المكتبة الإسلامية

للتوزيع والتأليف - القاهرة

البيروت للإعلام

مكتبة التراث

# شَرْحُ صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ

لِفَضِيلَةِ شَيْخِ الْعَلَامَةِ

مُحَمَّدِ بْنِ صَالِحِ الْعُثْمَيْنِ

طَبَعُ مُسَاوَلَةٍ مُحَقَّقَةٍ مُنْزَعَةً الْأَهَارِيثَ،  
مُفَرَّغَةً الْأَطْرَافَ وَالْفَوَائِدَ، رَأَى هَوَاسُ عِلْمِيَّةِ نَفْسِهِ

تَقْلِيْقَاتُ  
الْعَلَامَةِ ابْنِ بَازٍ

تَحْرِيرُ حَاجَاتِ  
الْعَلَامَةِ الدَّهْلَوِيِّ

فِي تَرْجُومَةِ الْحَقِيقِ وَالْمُجْتَمِعِ الْعِلْمِيِّ  
بِالْمَكْتَبَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ

الْجُزْءُ الْعَاشِرُ

الْمَكْتَبَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ  
لِلنَّشْرِ وَالتَّوْنِيعِ - الْقَاهِرَةُ

الْبَيْتُ الْأَعْلَى لِلْمَكْتَبَةِ  
مَسْرُوكِيْن - الْقَاهِرَةُ



حقوق الطبع محفوظة

I.S.B.N.

978-977-6241-49-7

البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن  
المغيرة، ٨٧٠-٨١٠  
شرح صحيح البخاري  
الشارح/ محمد بن صالح العثيمين  
ط١٠ - القاهرة  
المكتبة الإسلامية للنشر والتوزيع ٢٠٠٨  
٦٥٦ ص ٢٤×١٧ سم  
تدمك: ٩٧٨٩٧٧٦٢٤١٤٩٧

الطبعة: الأولى

رقم الإيداع: ٢٠٠٨/٢١٥٧

التاريخ: ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٨م



للتوزيع

الإدارة والفرع الرئيسي:

٢٢ ش صعب صالح - مين شمس الشرقية - القاهرة - جمهورية مصر العربية

ت وفائن: ٢٤٩٩١٢٥٤ / ٢٠٦ / ٢٤٩٠٠٨ / ٢٤٩٠٠٨٠٨

فرع الأزهر: ١٢ ش البيطار خلف جامع الأزهر - ورب الأتراك. ت: ٢٥١٠٨٠٠٤

E-mail: [islamy2005@hotmail.com](mailto:islamy2005@hotmail.com)

شیخ  
صالح البخاری

# کتاب التَّمنی



۷۲۴۵-۷۲۳۳





ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٦ - بَاب مَا يُكْرَهُ مِنَ التَّمَنِّي ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ وَسَأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٣٢﴾ [النِّسَاءُ: ٣٢].

٧٢٣٣ - حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ الرَّبِيعِ، حَدَّثَنَا أَبُو الْأَخْوَصِ، عَنْ عَاصِمٍ، عَنْ النَّضْرِ بْنِ أَنَسٍ، قَالَ: قَالَ أَنَسٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لَوْلَا أَنِّي سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «لَا تَمَنَّوْا الْمَوْتَ» لَتَمَنَّيْتُ <sup>(١)</sup>.

٧٢٣٤ - حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ، حَدَّثَنَا عَبْدُهُ، عَنْ ابْنِ أَبِي خَالِدٍ، عَنْ قَيْسٍ، قَالَ: أَتَيْنَا خَبَّابَ بْنَ الْأَرْتِ نَعُوذُهُ وَقَدْ اكْتَوَى سَبْعًا فَقَالَ: لَوْلَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ نَهَانَا أَنْ نَدْعُو بِالْمَوْتِ لَدَعَوْتُ بِهِ <sup>(٢)</sup>.

٧٢٣٥ - حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ، حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ يَوْسُفَ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنْ الزُّهْرِيِّ، عَنْ أَبِي عُبَيْدٍ - اسْمُهُ سَعْدُ بْنُ عُبَيْدٍ، مَوْلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَزْهَرَ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَا يَتَمَنَّي أَحَدُكُمْ الْمَوْتَ إِلَّا مُحْسِنًا فَلَعَلَّهُ يَزْدَادَ، وَإِمَّا مُسِيئًا فَلَعَلَّهُ يَسْتَعْتِبُ» <sup>(٣)</sup>.

قوله: بَابٌ مَا يُكْرَهُ مِنَ التَّمَنِّي. أَنَّ مِنَ التَّمَنِّي مَا يُكْرَهُ، وَذَكَرَ الْآيَةَ: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾؛ يَعْنِي: لَا تَتَمَنَّوْا أَنْ يَكُونَ لَكُمْ. وَقَالَ سَبْحَانَهُ: ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ وَسَأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ﴾. فَتَمَنِّي مَا أَنْعَمَ اللَّهُ بِهِ عَلَى غَيْرِهِ أَنْ يَكُونَ لَهُ، نَقُولُ: لَا تَفْعَلْ. بَلْ اسْأَلِ اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ، وَقُلْ: الْهَمَّ كَمَا مَنَنْتَ عَلَى فُلَانٍ بِكَذَا، فَاْمُنْ عَلَيَّ بِمِثْلِهِ. أَمَا أَنْ تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ حَتَّى يُحَرِّمَ مِنْهُ وَيَبْقَى لَكُمْ، فَهَذَا مِمَّا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ. وَأَمَّا قَوْلُهُ: لَوْلَا أَنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «لَا تَمَنَّوْا الْمَوْتَ» لَتَمَنَّيْتُ يَقُولُهُ أَنَسٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. هَذَا لِمَا رَأَى مِنَ الْفِتَنِ؛ لِأَنَّهُ أَذْرَكَ فِتْنًا وَقَعَتْ بَيْنَ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فَكَانَ يَوْذُ أَنْ يَتَمَنَّيَ الْمَوْتَ لَوْلَا النَّهْيُ.

وفي هذا: دليلٌ على حرصِ الصحابةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ على موافقةِ النَّبِيِّ ﷺ، وطاعته. وكذلك الحديثُ الذي بعده، فخبَابُ بْنُ الْأَرْتِ قَالَ: لَوْلَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ نَهَانَا أَنْ نَدْعُوَ بِالْمَوْتِ لَدَعَوْتُ بِهِ.

وفي الحديثِ الثالثِ: بيانُ الحكمةِ مِنَ النَّهْيِ عَنْ تَمَنِّيِ الْمَوْتِ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّهُ قَدْ يَكُونُ مُحْسِنًا فَيَزْدَادُ بِبَقَائِهِ فِي الدُّنْيَا، وَقَدْ يَكُونُ مُسِيئًا فَيَسْتَعْتِبُ، وَيَسْتَغْفِرُ، وَيَتُوبُ إِلَى اللَّهِ ﷻ، فَلَا يَنْبَغِي لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَتَمَنَّيَ الْمَوْتَ، وَمَا مِنْ مَيِّتٍ يَمُوتُ إِلَّا نَدِمَ، فَإِنْ كَانَ مُحْسِنًا نَدِمَ عَلَى أَلَّا يَكُونُ يَزْدَادُ

(١) رواه مسلم (٤/ ٢٠٦٤) (٢٦٨٠) (١١).

(٢) رواه مسلم (٤/ ٢٠٦٤) (٢٦٨١) (١٢).

(٣) رواه مسلم (٤/ ٢٠٦٥) (٢٦٨٢) (١٣) بغير هذا اللفظ.



وإن كان مسيئاً نديم ألا يكون استعْتَبَ.

فإن قال قائل: ما تقولون في قول مريم -عليها السلام-: ﴿لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَّسِيئًا﴾ [٢٣: ٢٥].

**الجواب:** عن هذا أن نقول: إنها إنما أرادت التمني بأنها ماتت قبل هذه الفتنة؛ يعني: ماتت ولم تفتن ولم تتمتع بعجل الموت، فكأنها تقول: ليتني مت قبل أن يصيبني ما أصابني. وليست تقول: «ليتني مت قبل هذا» فتكون قد تمتت الموت، ففرق بين أن يتمنى الإنسان الموت قبل أن يصاب بالفتنة، وبين أن يتمنى تعجل الموت، فالأخير هو المنهي عنه؛ ولهذا جاء في الحديث: «إن أردت بعبادك فتنة فاقضني إليك غير مفتون»<sup>(١)</sup>.

ومثل هذا قول يوسف عليه السلام: ﴿أَنْتَ وَلِيٌّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا﴾ [يوسف: ١٠١]. ليس هذا دعاء بالموت، ولكنه دعاء بالموت على هذا الوصف وهو الإسلام، ويُسبِّهُ ما في دعاء الجنابة: «وَمَنْ تَوَفَّيْتَهُ مِنْهُ مُتَوَفِّيَةً عَلَى الْإِيمَانِ»<sup>(٢)</sup>.

فإذا قال قائل: أليس رسول الله ﷺ قد كره الاكتواء، فكيف اكتوى خباب رضي الله عنه سبع مرات؟

**الجواب:** أن الاكتواء الذي في الحديث أن يطلب الإنسان من يَكْوِيهِ، وفعل خباب بن الأرت ليس فيه تعين أن يكون طلب أن يَكْوِيَ فمن الممكن أنه لما جاءه من يَكْوِيهِ وافق وأجاز، كالقراءة أيضاً، فالذين يَسْتَرْقُونَ، والذين يقرأ عليهم بدون استرقاء، الثاني منهم لا يمتنع أن يكون من السبعين ألفاً. والجواب على فعل خباب رضي الله عنه أنه جاءه من يرقيه فوافق أو أن الحديث لم يبلغه.

ثم إن هناك مسألة؛ وهي أنه ليست هذه الصفات الأربع إذا فاتت الإنسان فاته أن يدخل الجنة بلا حساب، فقد يكون هناك صفات أخرى تُوجب أن يدخل الجنة بغير حساب، قال تعالى: ﴿قُلْ يَعْجِدِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفُسَهُمْ رَبِّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الأنبياء: ١٠٠]. يُحْتَمَلُ بغير حساب على الأجر بل يُعْطَوْنَ أَجْرًا كَثِيرًا بلا عدد.

أما سبب الأرق الذي كان عند الرسول ﷺ فلا شك أن سببه الخوف؛ ولذلك تمنى أن يُهَيِّئَ اللَّهُ لَهُ رَجُلًا صَالِحًا.



(١) رواه الترمذي (٣٢٣٣)، وأحمد في «مسنده» (٦٦/٤) (١٦٦٢١)، ومالك في «الموطأ» (٢١٨/١) (٥٠٨)، وصححه الشيخ الألباني كما في تعليقه على سنن الترمذي.

(٢) رواه أبو داود (٣٢٠١)، والترمذي (١٠٤٤)، وابن ماجه (١٤٩٨)، وصححه الشيخ الألباني كما في تعليقه على السنن.

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧- باب قول الرجل: لولا الله ما اهتدينا.

٧٢٣٦ - حَدَّثَنَا عَبْدَانُ، أَخْبَرَنِي أَبِي، عَنْ شُعْبَةَ، حَدَّثَنَا أَبُو إِسْحَاقَ، عَنْ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَنْقُلُ مَعَنَا التُّرَابَ يَوْمَ الْأَحْزَابِ، وَلَقَدْ رَأَيْتُهُ وَارَى التُّرَابَ بَيَاضَ بَطْنِهِ، يَقُولُ: «لَوْلَا أَنْتَ مَا اهْتَدَيْنَا وَلَا تَصَدَّقْنَا وَلَا صَلَّيْنَا، فَأَنْزِلْ لَنَا سَكِينَةً عَلَيْنَا إِنَّ الْأَلَى - وَرُبَّمَا قَالَ الْمَلَأَ - قَدْ بَغَوْا عَلَيْنَا إِذَا أَرَادُوا فِتْنَةَ آبَيْنَا أَبَيْنَا» يَرْفَعُ بِهَا صَوْتَهُ <sup>(١)</sup>.

❁ الشاهد قوله: «لولا الله ما اهتدينا». وهذا مثال. وإلا فيصح أن تقول: لولا الله ما اهتدينا، ولولا الله لم ينزل المطر، ولولا الله لم يحصل لنا هذا الريح، ولولا الله لم نرزق بولدي، وهكذا. ولكن إضافة الشيء إلى غير الله بـ «لولا». هل هو جائز أو لا؟ نقول هذا له أحوال:

**الحال الأول:** أن ينسب إليه من ليس سبباً له فهذا شركٌ إما أصغر، وإما أكبر، فإذا نسبته إلى ميت في قبره وقال: لولا فلان لم يحصل كذا وكذا. أو لولا فلان لحصل كذا وكذا. فهذا شركٌ أكبر؛ لأنه اعتقد أن للأموال تأثيراً في الحوادث، وهذا شركٌ.

**والحال الثانية:** أنه قد يكون أصغر كما لو نسبته إلى غير سبب شرعي، لكنه لا يصل إلى حدِّ الأكبر، مثل قول القائل: لولا البط لأتى اللصوص. فهذا شركٌ أصغر ولا يخرج عن الملة.

**والحال الثالثة:** أن يضيفه إلى السبب المعلوم شرعاً أو حساً وحده، فهذا لا بأس به ولا حرج فيه، مثل أن تقول: لولا شربي الماء لعطشت، أو لولا أكل السحور لجعت، فهذا لا بأس به ولا حرج.

ولكن يشترط في هذا أن تضيفه إليه إضافة السبب إلى المسبب، لا إضافة المحدث إلى الحادث، ومن ذلك قول النبي ﷺ في عمه أبي طالب لما ذكره أنه في صحصح من نارٍ وعليه نعلان يغلي منهما دماغه.

قال: «ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار» <sup>(٢)</sup>.



(١) رواه مسلم (٣/١٤٣٠) (١٨٠٣) (١٢٥).

(٢) رواه البخاري (٦٢٠٨)، ومسلم (١/١٩٤) (٢٠٩) (٣٥٧).



وابْنُ الْقِيَمِ فِي مِمْيَتِهِ الشَّهِيرَةِ يَقُولُ فِي الصَّحَابَةِ:  
وَلَوْلَاهُمْ مَا كَانَ فِي الْأَرْضِ مُسْلِمٌ

وَلَوْلَاهُمْ كَادَتْ تَمِيدُ بِأَهْلِهَا

وَلَكِنْ رَوَّاسِيَهَا وَأَوْتَادُهَا هُمْ <sup>(١)</sup>

وعلى كلِّ حالٍ: نحن نذكرُ كلامَ ابنِ القِيَمِ رَحِمَهُ اللهُ للاعتضاضِ والاستشهادِ لا للاعتقادِ؛ لأنه غيرُ معصومٍ.

**والحالُّ الرابعةُ:** أَنْ يَقُولَ: «يُضِيفُهُ إِلَى السَّبَبِ الْمَعْلُومِ شَرْعًا أَوْ حِسًّا مَعَ اللَّهِ مَقْرُونًا بِالْوَاوِ، فَهَذَا شَرْكٌ، قَدْ يَكُونُ أَكْبَرُ، وَقَدْ يَكُونُ أَصْغَرُ مِثْلَ: لَوْلَا اللَّهُ وَزَيْدٌ لَغَرِقْتُ.

يَقُولُهُ فِي زَيْدٍ الَّذِي أَنْقَذَهُ مِنَ الْغَرَقِ، فَإِنْ هَذَا شَرْكٌ إِمَّا أَصْغَرُ وَإِمَّا أَكْبَرُ، فَإِنْ كَانَ هَذَا الْقَرْنُ مَجْرَدَ قَرْنٍ لَفْظِيٍّ فَهُوَ شَرْكٌ أَصْغَرُ، وَإِنْ كَانَ هَذَا الْقَرْنُ يَعْتَقِدُ أَنَّ هَذَا الْمُنْقَذَ مَسَاوٍ لِلَّهِ تَعَالَى فِي إِنْقَاذِهِ، أَوْ أَعْظَمُ مِنَ اللَّهِ فَهَذَا شَرْكٌ أَكْبَرُ.

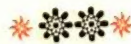
**الحالُّ الخامسةُ:** أَنْ يَقَرَّنَ ذَلِكَ مَعَ اللَّهِ بِمَا يَدُلُّ عَلَى التَّعْقِيبِ بِمَهْلَةٍ، مِثْلَ: لَوْلَا اللَّهُ ثُمَّ فَلَانٌ. فَهَذَا جَائِزٌ وَلَا بَأْسَ بِهِ، بِشَرْطِ أَنْ يَكُونَ فَلَانٌ سَبَبًا حَقِيقِيًّا شَرْعِيًّا أَوْ حِسِّيًّا فَإِنْ قَرَنَهُ بِحَرْفٍ يَقْتَضِي التَّرْتِيبَ وَالتَّعْقِيبَ مِثْلَ: لَوْلَا اللَّهُ فَفَلَانٌ. فَهَذَا مُحَلٌّ نَظَرٍ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يُضِفْهُ إِلَى اللَّهِ وَغَيْرِهِ بِالْوَاوِ، وَلَمْ يُضِفْهُ إِلَى اللَّهِ وَإِلَى غَيْرِهِ بِ«ثُمَّ»، فَكَانَ مُتَرَدِّدًا بَيْنَ هَذَا وَهَذَا وَلَا شَكَّ أَنَّ الْأَفْضَلَ تَجَنُّبُهُ، وَإِنَّمَا الْجَزْمُ بِأَنَّهُ حَرَامٌ فَلَا نَجِزْمُ بِهِ.

وَخَيْرٌ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ، أَنْ تَقُولَ: لَوْلَا أَنَّ اللَّهَ قَيَّضَ لِي فَلَانًا لَغَرِقْتُ.

أَوْ لَوْلَا أَنَّ اللَّهَ قَيَّضَ لِي الْمَعْلَمَ مَا تَعَلَّمْتُ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ.

فَيَجْعَلُ الْأَصْلَ هُوَ اللَّهُ وَجَعَلْ، وَهَذَا خَيْرُ الْأَقْسَامِ.

فَالْأَقْسَامُ إِذْنُ سِتَّةٍ، هَذِهِ الْخَمْسَةُ الَّتِي ذَكَرْنَا، وَالْأَوَّلُ مِنْ قَوْلِهِ: إِذْنُ: لَوْلَا اللَّهُ مَا اهْتَدَيْنَا. فَهَذَا هُوَ الْقِسْمُ الْأَوَّلُ هُوَ الَّذِي بَنَيْنَا عَلَيْهِ التَّقْسِيمَ، وَهُوَ أَنْ يُضِيفَهُ إِلَى اللَّهِ وَحْدَهُ.



(١) انظر: «شرح القصيدة الميمية» (ص ١٩) البيهقي: (٥)، (٦).

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٨- بَابُ كَرَاهِيَةِ تَمَنِّي لِقَاءِ الْعَدُوِّ.

وَرَوَاهُ الْأَعْرَجُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ<sup>(١)</sup>.

٧٢٣٧- حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ، حَدَّثَنَا مُعَاوِيَةُ بْنُ عَمْرٍو، حَدَّثَنَا أَبُو إِسْحَاقَ، عَنْ مُوسَى ابْنِ عُقْبَةَ، عَنْ سَالِمِ أَبِي النَّضْرِ -مَوْلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، وَكَانَ كَاتِبًا لَهُ-، قَالَ: كَتَبَ إِلَيْهِ عَبْدُ اللَّهِ ابْنُ أَبِي أَوْفَى، فَقَرَأَهُ فَإِذَا فِيهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَا تَتَمَنَّوْا لِقَاءَ الْعَدُوِّ وَسَلُّوْا اللَّهُ الْعَاقِبَةَ»<sup>(٢)</sup>.

هذا الحديثُ قال في آخره: «فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاصْبِرُوا، فَإِنَّ الْجَنَّةَ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ»<sup>(٣)</sup>.

وهكذا لَا يَنْبَغِي لِلإِنْسَانِ أَنْ يَتَمَنَّيَ الْبَلَاءَ، فَإِنَّهُ إِذَا تَمَنَّيَ الْبَلَاءَ رَبِّهَا لَا يَصْبِرُ إِذَا نَزَلَ بِهِ.

❦ فَقَوْلُهُ: «لَا تَتَمَنَّوْا لِقَاءَ الْعَدُوِّ» لَيْسَ خَاصًّا بِهَذِهِ الْمَسْأَلَةِ. بَلْ كُلُّ مَا فِيهِ بَلَاءٌ فَاسْأَلَ اللَّهُ

الْسَّلَامَةَ مِنْهُ، فَإِذَا نَزَلَ فَاسْتَعِزَّ بِاللَّهِ ﷻ عَلَيْهِ وَاصْبِرْ كَمَا أَمَرَ بِذَلِكَ النَّبِيُّ ﷺ، وَسَوَاءٌ كَانَ هَذَا فِي الْأُمُورِ الَّتِي تَأْتِي مِنَ اللَّهِ ﷻ، أَوْ مِنَ الْبَشَرِ لَا تَتَمَنَّاهَا.

ولهذا يُذَكَّرُ أَنْ سَحَنُونًا وَهُوَ مِنْ أَصْحَابِ مَالِكٍ، قَالَ عَنْ نَفْسِهِ إِنَّهُ صَابِرٌ، وَذَكَرَ أَبْيَاتًا فِيهَا:

فَكَمَا شِئْتُ فَامْتَحَنِي فَابْتُلِي بِعَسْرِ الْبَوْلِ، فَمَا كَانَ الْبَوْلُ يَخْرُجُ مِنْهُ بِسَهُولَةٍ، فَكَانَ يَدُورُ عَلَى الصَّبِيَانِ وَيَقُولُ: ادْعُوا لِعَمَّكُمْ الْكَذَابِ<sup>(٤)</sup>.



ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

بَابُ مَا يَجُوزُ مِنَ اللَّوِّ وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ﴾ [هُنَّ: ٨٠].

٧٢٣٨- حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، حَدَّثَنَا أَبُو الزِّنَادِ، عَنْ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ، قَالَ:

ذَكَرَ ابْنُ عَبَّاسٍ الْمُتَلَانَيْنِ؛ فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ شَدَادٍ: أَهِيَ الَّتِي قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَوْ كُنْتُ رَاجِعًا امْرَأَةً مِنْ غَيْرِ بَيْتَةٍ، قَالَ: لَا يَلِكُ امْرَأَةٌ أَغْلَنْتُ»<sup>(٥)</sup>.

٧٢٣٩- حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ عَمْرٍو: حَدَّثَنَا عَطَاءٌ، قَالَ: أَعْتَمَ النَّبِيُّ ﷺ بِالْعِشَاءِ

(١) علقه البخاري بصيغة الجزم كما في «الفتح» (٢٢٣/١٣)، وتقدم الكلام عليه في الجهاد، باب: لا تمنوا لقاء العدو (٣٠٢٦).

وانظر: «تغليق التعليق» (٣١٤/٥).

(٢) رواه مسلم (١٣٦٢/٣) (١٧٤٢) (٢٠).

(٣) انظر المصدر السابق.

(٤) انظر: «سير أعلام النبلاء» (٥٦٠/١٣)، و«طبقات الصوفية» (١٦٥-١٩٩)، و«حلية الأولياء» (٣٠٩/١٠)، و«تاريخ بغداد» (٢٣٤/٩)، و«المنتظم» (١٠٨/٦).

(٥) رواه مسلم (١١٣٥/٢) (١٤٩٧) (١٣).



فَخَرَجَ عُمَرُ فَقَالَ: الصَّلَاةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ رَقَدَ النِّسَاءُ وَالصَّبِيَّانُ فَخَرَجَ وَرَأْسُهُ يَقْطُرُ، يَقُولُ: «لَوْلَا أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي - أَوْ عَلَى النَّاسِ -»، وَقَالَ سَفِيَّانٌ أَيْضًا: «عَلَى أُمَّتِي لِأَمْرَتِهِمْ بِالصَّلَاةِ هَذِهِ السَّاعَةَ»<sup>(١)</sup>.

قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ، عَنْ عَطَاءٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَخَّرَ النَّبِيُّ ﷺ هَذِهِ الصَّلَاةَ، فَجَاءَ عُمَرُ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ رَقَدَ النِّسَاءُ وَالْوِلْدَانُ، فَخَرَجَ وَهُوَ يَمْسَحُ الْهَاءَ عَنْ شِقِّهِ يَقُولُ: «إِنَّهُ لَلْوَقْتُ لَوْلَا أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي...». وَقَالَ عُمَرُ: حَدَّثَنَا عَطَاءٌ: لَيْسَ فِيهِ ابْنُ عَبَّاسٍ، أَمَا عَمَرُو فَقَالَ: رَأْسُهُ يَقْطُرُ. وَقَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ: يَمْسَحُ الْهَاءَ عَنْ شِقِّهِ، وَقَالَ عُمَرُ: لَوْلَا أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي، وَقَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ: إِنَّهُ لَلْوَقْتُ لَوْلَا أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي، وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمُنْذِرِ: حَدَّثَنَا مَعْنٌ، حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِمٍ، عَنْ عَمَرُو، عَنْ عَطَاءٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ<sup>(٢)</sup>.

٧٢٤٠ - حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ بُكَيْرٍ، حَدَّثَنَا اللَّيْثُ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ رَبِيعَةَ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ رضي الله عنه يَقُولُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَوْلَا أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي لِأَمْرَتِهِمْ بِالسَّوَالِكِ»<sup>(٣)</sup>.

٧٢٤١ - حَدَّثَنَا عِيَّاشُ بْنُ الْوَلِيدِ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْأَعْلَى، حَدَّثَنَا حُمَيْدٌ عَنْ ثَابِتٍ، عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: وَاصِلَ النَّبِيِّ ﷺ آخِرَ الشَّهْرِ وَوَّاصِلَ أَنَاسٍ مِنَ النَّاسِ فَبَلَغَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: «لَوْ مَدَّ بِي الشَّهْرُ لَوَاصِلْتُ وَصَالًا يَدْعُ الْمُتَعَمِّقُونَ تَعَمِّقَهُمْ إِنِّي لَسْتُ مِثْلَكُمْ إِنِّي أَظَلُّ يُطْعِمُنِي رَبِّي وَيَسْقِينِي تَابِعَهُ سُلَيْمَانُ بْنُ مَغِيرَةَ، عَنْ ثَابِتٍ، عَنْ أَنَسٍ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ»<sup>(٤)</sup>.

٧٢٤٢ - حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ، أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، عَنْ الزُّهْرِيِّ، وَقَالَ اللَّيْثُ: حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ ابْنُ خَالِدٍ، عَنْ ابْنِ شِهَابٍ: أَنَّ سَعِيدَ بْنَ الْمُسَيَّبِ أَخْبَرَهُ: أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ قَالَ نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ الْوَصَالِ، قَالُوا: فَإِنَّكَ تَوَاصَلْ! قَالَ: «أَيْكُمْ مِثْلِي إِنِّي أَبِيتُ يُطْعِمُنِي رَبِّي وَيَسْقِينِي فَلَسْنَا أَبَوَا أَنْ يَتَنَهَوْا؛ وَاصِلٌ بِهِمْ يَوْمًا ثُمَّ يَوْمًا ثُمَّ رَأَوْا الْهَلَكَ، فَقَالَ: «لَوْ تَأَخَّرَ لَزِدْتُمْ» كَالْمُنْكَلِ لَهُمْ»<sup>(٥)</sup>.

(١) رواه مسلم (٤٤٢/١) (٦٣٨) (٢١٩).

(٢) قَالَ الْحَافِظُ فِي «الْفَتْحِ» (٢٢٩/١٣): وَقَوْلُهُ: «قَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمُنْذِرِ... إلخ» يَرِيدُ أَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ مُسْلِمٍ هُوَ الطَّائِفِيُّ رَوَاهُ عَنْ عَمَرُو وَهُوَ ابْنُ دِينَارٍ، عَنْ عَطَاءٍ مَوْصُولًا بِذِكْرِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِيهِ، وَهُوَ مُخَالَفٌ لِتَصْرِيحِ سَفِيَّانَ بْنِ عَيْثَةَ، عَنْ عَمَرُو، بِأَنَ حَدِيثِهِ عَنْ عَطَاءٍ لَيْسَ فِيهِ ابْنُ عَبَّاسٍ فَهَذَا يَدْعُو مَنْ أَوْهَامُ الطَّائِفِيِّ، وَهُوَ مَوْصُوفٌ بِسُوءِ الْحِفْظِ، وَقَدْ وَصَلَ حَدِيثَهُ الْإِسْمَاعِيلِيُّ مِنْ وَجْهَيْنِ عَنْهُ هَكَذَا، وَذَكَرَ أَنَّ مِنْ جَمَلَةِ مَا حَدَّثَ بِهِ عَنْ سَفِيَّانَ مَدْرَجًا كَمَا قَالَ الْحَمِيدِيُّ: عَبْدُ الْأَعْلَى بْنُ حَمَادٍ، وَاحِدُ بْنُ عَبْدِ الطَّيِّ، وَأَبُو خَيْثَمَةَ، وَأَنَّ عَبْدَةَ بْنَ عَبْدِ الرَّحِيمِ، وَعَمَارُ بْنُ الْحَسَنِ رَوَاهُ عَنْ سَفِيَّانٍ، فَاقْتَصَرَا عَلَى طَرِيقِ عَمَرُو، وَذَكَرَ فِيهِ ابْنُ عَبَّاسٍ، فَوَهْمًا فِي ذَلِكَ أَشَدُّ مِنْ وَهْمِ عَبْدِ الْأَعْلَى وَأَنَّ ابْنَ أَبِي عَمَرَ رَوَاهُ فِي مَوْضِعَيْنِ، عَنْ ابْنِ عَيْثَةَ مَفْضَلًا عَلَى الصَّوَابِ. قُلْتُ: وَكَذَلِكَ أَخْرَجَهُ النَّسَائِيُّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مَنْصُورٍ، عَنْ سَفِيَّانٍ مَوْصُولًا. اهـ.

(٣) رواه مسلم (٢٢٠/١) (٢٥٢) (٤٢).

(٤) الْحَدِيثُ رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٧٧٦/٢) (١١٠٤) (٦٠)، وَالتَّابِعَةُ رَوَاهُ أَيْضًا مُسْلِمٌ (٧٧٥/٢) (١١٠٤) (٥٩).

(٥) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٧٧٤/٢) (١١٠٣) (٥٧).

٧٢٤٣ - حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ حَدَّثَنَا أَبُو الْأَحْوَصِ، حَدَّثَنَا أَشْعَثُ، عَنْ الْأَسْوَدِ بْنِ يَزِيدَ، عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ عَنْ الْجَدْرِ؛ أَمِنَ الْبَيْتَ هُوَ؟ قَالَ: «نَعَمْ» قُلْتُ: فَمَا بِهِمْ لَمْ يَدْخُلُوهُ فِي الْبَيْتِ؟ قَالَ: «إِنَّ قَوْمَكَ قَصَّرَتْ بِهِمُ النَّفَقَةُ» قُلْتُ: فَمَا شَأْنُ بَابِهِ مُرْتَفِعًا؟ قَالَ: «فَعَلَ ذَلِكَ قَوْمُكَ لِيَدْخُلُوا مِنْ شَاءُوا وَيَمْنَعُوا مِنْ شَاءُوا، وَلَوْلَا أَنَّ قَوْمَكَ حَدِيثَ عَهْدٍ بِالْجَاهِلِيَّةِ، فَأَخَافُ أَنْ تُنْكِرَ قُلُوبُهُمْ أَنْ أَدْخَلَ الْجَدْرَ فِي الْبَيْتِ، وَأَنْ أَلْصَقَ بَابَهُ فِي الْأَرْضِ»<sup>(١)</sup>.

٧٢٤٤ - حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ، أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، حَدَّثَنَا أَبُو الزِّنَادِ، عَنْ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَوْلَا الْهَجْرَةُ لَكُنْتُ أَمْرًا مِنَ الْأَنْصَارِ، وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ وَادِيًا، وَسَلَكَتِ الْأَنْصَارُ وَادِيًا أَوْ شِعْبًا؛ لَسَلَكَتِ وَادِيَ الْأَنْصَارِ أَوْ شِعْبَ الْأَنْصَارِ»

٧٢٤٥ - حَدَّثَنَا مُوسَى، حَدَّثَنَا وَهَيْبٌ، عَنْ عَمْرِو بْنِ يَحْيَى، عَنْ عَبَادِ بْنِ تَمِيمٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ زَيْدٍ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «لَوْلَا الْهَجْرَةُ لَكُنْتُ أَمْرًا مِنَ الْأَنْصَارِ، وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ وَادِيًا أَوْ شِعْبًا؛ لَسَلَكَتِ وَادِيَ الْأَنْصَارِ وَشِعْبَهَا» تَابِعَهُ أَبُو التَّيَّاحِ، عَنْ أَنَسٍ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ فِي الشُّعْبِ<sup>(١)</sup>.

هذا الباب كما قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ: باب ما يَجُوزُ مِنَ اللَّوِّ وأشار رَحِمَهُ اللَّهُ إلى ما يجوز، وسكت عما لا يجوز؛ وذلك لأنَّ اللَّوَّ تَخْتَلِفُ أَحْكَامُهَا كَمَا سَيَأْتِي.

وهنا أَدْخَلَ «أل» على «لو» والمعروف أن «أل» لا تَدْخُلُ إِلَّا عَلَى الْأَسْمَاءِ، وَلَا تَدْخُلُ عَلَى الْحُرُوفِ؛ لِأَنَّهَا مِنْ عِلَامَاتِ الْأَسْمَاءِ، لَكِنْ لِمَا قُصِدَ لَفْظُهَا صَحَّ أَنْ تَدْخُلَ عَلَيْهَا «أل» كَأَنَّهُ قَالَ: بَابُ مَا يَجُوزُ مِنْ هَذَا اللَّفْظِ. فَصَحَّ دُخُولُ «أل» عَلَى «لو» مَعَ أَنَّهَا حَرْفٌ؛ لِأَنَّ الْمُرَادَ بِهَا اللَّفْظُ.

اللَّوُّ تَنْقَسِمُ إِلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ: قِسْمٌ لِلتَّمَنِّيِّ، وَقِسْمٌ لِلخَبَرِ، وَقِسْمٌ لِلنَّدَمِ.

**فَالْقِسْمُ الْأَوَّلُ لِلتَّمَنِّيِّ:** وَمِنْهُ قَوْلُ لَوْطٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ» أَي: أَيْ: أَتَمَنَّى أَنْ يَكُونَ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ، فَهَذِهِ حَكْمُهَا حَكْمٌ مَا يَتَمَنَّا، فَإِنْ تَمَنَّى خَيْرًا فَهِيَ خَيْرٌ، وَإِنْ تَمَنَّى شَرًّا فَهِيَ شَرٌّ.

فَلَوْ رَأَى رَجُلًا عِنْدَهُ مَالٌ يَبْذُلُهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَقَالَ: لَوْ أَنَّ لِي مِثْلَ مَالِ فُلَانٍ فَأَفْعَلُ مِثْلًا فَعَلَّ. كَانَ هَذَا تَمَنَّى الْخَيْرِ فَهُوَ خَيْرٌ.

وَرَجُلٌ آخَرُ رَأَى شَخْصًا يُنْفِقُ مَالَهُ فِي الْمَلَاهِي، وَالْفُسُوقِ، وَالْفَجُورِ، وَالْمَجُونِ فَقَالَ: لَوْ أَنَّ لِي مَالًا حَتَّى أَتُنْفِقَ بِمِثْلِ مَا يُنْفِقُ. فَهَذَا تَمَنَّى شَيْئًا فَيَكُونُ شَرًّا. **إِذَا:** الَّتِي لِلتَّمَنِّيِّ يَكُونُ يَحْسَبُ مَا تَمَنَّى الشَّخْصُ.

(١) رواه مسلم (٩٧٣/٢) (١٣٣٣) (٤٠٥).

(٢) الحديث رواه مسلم (٧٣٨/٢) (١٠٦١) (٣٩) والمتابعة أخرجه البخاري في مناقب الأنصار، باب: مناقب الأنصار (٣٧٧٨).



**القسم الثاني:** أن تكون لمجرد الخبر: فهذه جائزة. إذا كان القائل صادقاً في قوله، مثل أن تقول لصاحبك: لو زرتني لأكرمك، فهذا خبر محض إذا كنت صادقاً في أنه لو زارك لأكرمته، فهذا خبر صادق ولا شيء فيه، فإن قلت: لو زرتني لأكرمك. وأنت كاذب، بل ولو زارك لأهنته فهنا يحرم؛ لأنه كذب. فإذا كانت للخبر، فهي على حسب ما يقتضيه ذلك الخبر.

**القسم الثالث:** أن تكون للندم: فهذه هي التي نهى عنها الرسول ﷺ حيث قال: «المؤمن القوي خير وأحبُّ إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير، احرص على ما ينفعك، واستعن بالله، ولا تعجز. وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت لكان كذا وكذا، فإن لو تفتح علم الشيطان» <sup>(١)</sup> فهذه منهي عنها؛ لأنها تفتح عمل الشيطان كما قال النبي ﷺ، وعمل الشيطان الذي تفتح هو الندم، والتحسر، والهَم، فكل هذا من عمل الشيطان؛ لأن الشيطان لا يريد لابن آدم أن يكون مسروراً أبداً، بل يريد أن ينزل به الغم والحزن والكسل. قال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا التَّوَكُّلُ عَلَى النَّاسِ لِيَحْزَنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئاً إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ [التكوير: ١٠].

ومن فتحها لأعمال الشيطان، أنها تفتح الاعتراض على القدر، فإن الذي يقول: لو أني فعلت لكان. كأنه يغالب قدر الله وقدر الله قد حصل، ولا يمكن أن يرفع، فعمل الشيطان الذي تفتح ليس بالأمر الهين، فقد يكون أمراً صعباً؛ فهذا نهى النبي ﷺ أن يقول الإنسان لو أني فعلت كذا لكان كذا وكذا، ولكن يفعل الأسباب النافعة لقوله: «احرص على ما ينفعك واستعن بالله» <sup>(٢)</sup>. فإن قالها على سبيل الخبر، مثل أن يقول: لو أني تركته ما حصل كذا وكذا، لا على سبيل الندم فلها حكم القسم الثاني، الذي ذكرنا أنه لا بأس به إن كان صادقاً.

❖ وقوله تعالى: ﴿لَوْ أَن لِّي بِكُمْ قُوَّةٌ﴾ قال البخاري: «وقوله تعالى» مع أن الله حكاه عن لوط؛ لأن هذا اللفظ من الله، فلو لم يقله بهذا اللفظ؛ لأن هذا اللفظ لفظ عربي، ولوط ليست لغته عربية، فكان قول الله ﷻ، ومن العلماء من يحكي مثل هذا فيقول: لقول الله تعالى عن لوط، عن آدم، عن نوح، وما أشبه ذلك، فالأمر في هذا واسع.

ثم ذكر قول النبي ﷺ: «لو كنت راجماً امرأة من غير بينة لرجمتها» وهي امرأة - كما قال ابن عباس - ثعلب، ولكنها لا تقر، وهذا من باب الخبر.

ثم ذكر أيضاً حديث تأخير صلاة العشاء، حيث أعتَم النبي ﷺ بالعشاء، فخرج عمر

(١) رواه مسلم (٢٠٥٢/٤) (٢٦٦٤) (٣٤).

(٢) المصدر السابق.



فقال: الصلاة يا رسول الله.

❖ وقوله: «الصلاة» بالنصبِ لفعلٍ محذوفٍ تقديره: أقم الصلاة، ويجوز أن تقول: الصلاة على تقدير الصلاة حاضرة، أو حضرت.

❖ قوله: نخرج فقال: الصلاة يا رسول الله رقد النساء والصبيان. في هذا دليل على أن الصبيان يحضرون المسجد في عهد الرسول ﷺ، ولكن اشترط العلماء في تمكينهم من الحضور ألا يحصل منهم أذية على المصلين، ولا على المسجد، فإن حصل منهم أذية فإنهم يُمنعون، ولكن يُمنعون عن طريق أولياء الأمور؛ لأننا لو منعناهم منعاً مباشراً لكان في ذلك تنفير لهم عن المسجد<sup>(١)</sup>.

❖ قوله: فخرج ورأسه يقطر يقول: «لولا أن أشق على أمتي -أو على الناس- وقال سفيان أيضاً- على أمتي لأمرتهم بالصلاة هذه الساعة» يعني: بعد أن أعتَمُوا، ومضى نحو ثلث الليل. وإنما قال الراوي خرج ورأسه يقطر، أو يمسح الماء عن شقه، من باب أن الرسول ﷺ تعمّد التأخير، ومن باب أنه ضبط القصة، وهذا يُشبه ما يُسميه علماء المصطلح بالمسلسل. يقول: «لولا أن أشق على أمتي أو على الناس لأمرتهم بالصلاة هذه الساعة».

❖ «بالصلاة»؛ أي: صلاة العشاء هذه الساعة.

**وفي هذا:** دليل على القاعدة المشهورة عند العلماء أن المشقة تجلب التيسير.

**وفيه:** دليل على أن رسول الله ﷺ يُسرّع من عنده؛ لأنه لم يقل: لولا أن يُسَقَّ على أمتي لأمرهم الله. بل قال: لولا أن أشق لأمرت. وهو كذلك له أمرٌ مستقل؛ لأنه لو أمر بها لا يُريده الله؛ لبين الله له ذلك كما في قوله: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَذِبِينَ﴾ (٥٥) [البقرة: ٤٣].

**وفي هذا الحديث:** دليل على أن الأفضل في صلاة العشاء التأخير.

فإذا كانوا جماعة وقالوا: سنؤخر ولا يشق عليهم إذا أخرُوا فما هو الأفضل لهم؛ التأخير أم التقديم؟

**فالجواب:** الأفضل لهم التأخير.

وذكر المؤلف أيضاً اختلاف الروايات في هذا الحديث، ولكنه اختلاف لا يضُرُّ؛ يعني: لا يؤدي إلى أن يكون هذا الحديث مضطرباً؛ لأن موضع الدليل منه ليس فيه اضطراب؛ وهو تأخير الصلاة إلى أن يفضي هزيع من الليل.

ثم ذكر المؤلف أيضاً حديث أبي هريرة، أن النبي ﷺ قال: «لولا أن أشق على أمتي

(١) انظر: «كشاف القناع» (١/٤٨).

لأمرتهم بالسواك». وتتمه الحديث في ألفاظ أخرى: «عند كل صلاة»<sup>(١)</sup> هذا هو المشهور إنه عند كل صلاة ورواه مالك: «مع كل وضوء»<sup>(٢)</sup> والغالب أن الصلاة والوضوء مقترنان.

**وفي هذا الحديث:** إشارة على أن الأصل في الأمر الوجوب وفي الذي قبله أيضًا؛ لأنه لو لم يكن أصله الوجوب، لم يكن في الأمر به مشقة؛ لأن المندوب يجوز للإنسان تركه، والذي فيه المشقة لو أمر به ما كان واجبًا. ولكن أين محل السواك؟

قال العلماء: عند المضمضة؛ لأن المضمضة هي تطهير الفم، ولكن لو تسوَّك قبل ذلك أو بعده صدق عليه أنه تسوَّك مع الوضوء<sup>(٣)</sup>.

ثم ذكر المؤلف: حديث الوصال أن النبي ﷺ نهى عن الوصال. والوصال: أن يقرن الصائم بين يومين بدون فطر بينهما. وقد نهى النبي ﷺ عنه، مع أنه كان يفعلها؛ ولهذا لما نهى عنه الصحابة؛ قالوا: إنك توأصل؛ يعني: ولنا فيك أسوة في الوصال. ولكنه بين الفرق فقال: «إني لست كهيتكم» أو قال: «أيكم مثلي»، إني أبيت يطعمني ربي ويسقين. وقوله: «يطعمني ويسقين». يعني: فلست أوأصل. لو وأصلت حسًا فلا أوأصل معنى؛ لأن الله ﷻ يطعمه ويسقيه، لكنه ليس إطعامًا حسيًا ولا سقيًا حسيًا؛ لأنه لو كان كذلك لم يكن مواصيلًا، ولم يكن ممسكًا فما هذا الإطعام والإسقاء؟

قال بعضهم: إنه يطعم من الجنة، ويسقى من الجنة، وهذا ضعيف؛ لأنه حتى لو أطيح من الجنة، أو سقي من الجنة فهو غير مواصل.

والصحيح: أنه ما كان في قلبه من الانشغال بالله ﷻ، فإنه بانشغاله بالله، وبذكره الله لا يهمله الأكل ولا الشرب، وهذا شيء محسوس فإن الإنسان إذا اشتغل اشتغالًا تامًا بشيء نسي ما سواه، فتجدّه إذا كان منهمكًا في شغل من الأشغال يأتي عليه وقت الغداء، ووقت العشاء ما يهمله وقد قال الشاعر:

لها أحاديث من ذكراك تشغلها عن الشراب وتلهيها عن الزاد<sup>(٤)</sup>

قوله: لها أحاديث من ذكراك أي: إذا قامت تذكرك وتحدثت بك نسيت الأكل والشرب.

قوله: فهذا هو المعنى الصحيح في هذا الحديث.

(١) رواه البخاري (٨٨٧)، ومسلم (٢٢٠ / ١) (٢٥٢) (٤٢).

(٢) في «الموطأ» (٨٣ / ١) (١١٥).

(٣) انظر: «المبدع» (١٠٠ / ١)، و«الإنصاف» (١٢٠ / ١).

(٤) انظر: «المدحش» (٤٥٥ / ١)، و«الحماسة البصرية» (١٥٧ / ١)، و«ديوان المعاني» (٦٣ / ١).



وليس قصدُهم رَضَا المعاندةَ، لكنَّهم فهموا أن النبي ﷺ أراد الرفقَ بهم فقالوا: نَتَحَمَّلُ المشقةَ، ولم يُريدوا قطعاً المعصيةَ.

فواصل بهم النبي ﷺ تركهم يوماً، ثم يوماً، ثم رأوا الهلالَ؛ أي: هلالَ شوالٍ فقال ﷺ: «لو تأخر لزدتكم». كالمُنْكَلِّ لهم، حتى يَمَسَّهم الجوعُ، والعطشُ، ويعْرِفُوا حِكْمَةَ النبي ﷺ في النهي عن الوصالِ.

**وفيه أيضاً:** في بعض الألفاظ. لو مُدَّ بي الشهرُ لوَاصِلَت وصالاً يَدْعُ المتعمِّقونَ تعمُّقَهم <sup>(١)</sup>، وفي هذا إشارةٌ إلى أن التعمقَ مذمومٌ.

فالتعمقُ في دين الله، ومحبةُ الإنسانِ للشقاقِ على نفسه أمرٌ مذمومٌ، مادامَ الشرعُ قد جعلَ له رخصةً، وقد قال النبي ﷺ: «هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ» ثلاثَ مراتٍ <sup>(٢)</sup>.

وفي قصةِ عبدِ الله بنِ عمرو بنِ العاصِ رضي الله عنه حينما قال: إنه يَصُومُ ولا يُفْطِرُ، وَيَقُومُ ولا يَنَامُ، فبيَّن له الرسولُ ﷺ أن لنفسه عليه حقاً، ولأهله عليه حقاً، ولربِّه عليه حقاً، ونأزله في الصيامِ إلى أن قال: «أفضلُ الصيامِ صيامُ داودَ، صم يوماً وأفطر يوماً». فلما كبر صار يَشُقُّ عليه أن يَصُومَ يوماً وَيُفْطِرُ يوماً، ولكنه لم يَكُنْ لِيَتْرُكْ شيئاً، أو لِيَدْعَ شيئاً تركه عليه رسولُ الله ﷺ، وقال: لِيَتَّيْنِي قِلَت رخصةَ رسولِ الله ﷺ، فكان ﷺ يَصُومُ خمسةَ عشرَ يوماً جميعاً بدونِ وصالٍ لكنه يَصُومُهَا متتابعةً وَيُفْطِرُ خمسةَ عشرَ يوماً <sup>(٣)</sup>، وهذا من الضيقِ على نفسه، ضيقٌ على نفسه فضيَّقَ عليه.

ولهذا جاء في الحديث: «لَا تُشَدُّوْا فِئْشِدَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ» <sup>(٤)</sup> فالإنسانُ كلِّما كان سهلاً ميسراً على نفسه. سهلَ الله له الأمرُ.

وذكر المؤلفُ رحمته الله حديثَ بناءِ الكعبةِ. عن عائشة رضي الله عنها قالت: سألتُ النبي ﷺ عن الجَدْرِ أَمِنَ البيتُ هو؟ يعني: أم لا؟ والجَدْرُ: هو الحجرُ؛ جدارٌ مبنيٌّ معروفٌ، قال: نعم. أي: من البيتِ، فظاهرُ هذا الحديثِ أن جميعَ الحجرِ من البيتِ.

ولكنَّ أكثرَ العلماءِ يَقُولُونَ: إن الذي من البيتِ من الحجرِ ستةَ أذرعٍ ونصفٌ تقريباً <sup>(٥)</sup>. وليس الحجرُ كُلُّه، فلعلَّ الحجرَ في ذاك العهدِ؛ أي: عهدِ الرسولِ ﷺ كان دونَ هذا، وهذا هو

(١) تقدم في أحاديث الباب.

(٢) رواه مسلم (٢٠٥٥/٤) (٢٦٧٠) (٧).

(٣) رواه البخاري (١٩٧٧)، ومسلم (٨١٣/٢) (١١٥٩) (١٨٢).

(٤) رواه أبو داود (٤٩٠٤) وضعفه الشيخ الألباني كما في تعليقه على السنن.

(٥) قال صاحب «الإنصاف» (٨/٢): نص الإمام أحمد أن الحجر من البيت وقدره ستة أذرع وشيء.

وانظر: «كشف القناع» (٣٠٠/١)، و«المغني» (١٩٠/٣).

الأقرب؛ لأن الحجر مقوس، والكعبة لا تكون كعبة إلا إذا كانت بناءً مربعًا؛ ولهذا نقول: الأقرب أنه من حيث يتبدئ التقويس تنتهي الكعبة.

وكان الذي بناه مقوسًا -والله أعلم- أراد ألا يكون مربعًا فيتمسح الناس بأركانه، كما يتمسحون بالحجر والركن اليماني؛ لأنه إذا كان مقوسًا ما فيه أركان تمسح، بخلاف ما لو كان مربعًا.

ونظير هذا ما فعله بعض الغلاة في الشاذروان، والشاذروان هو العتبة المبنية في أسفل الكعبة دائرة عليها، وهذا البناء كان بالأول مسطحًا، وكان الناس يركبونه، ويطفون عليه إذا رجموا؛ لأنه كان مسطحًا، فجاء بعض الخلفاء -جزاهم الله خيرًا- وجعله غير مسطح، بحيث لا يتمكن الإنسان من الوقوف عليه، والطواف به؛ لأنهم يرونه من أصل الكعبة، ومعلوم أن الطواف يجب أن يكون بجميع البيت.

لكن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله يرى أن الشاذروان ليس من الكعبة، وإنما بني لدعم الكعبة، فهو عماد لها، وليس منها<sup>(١)</sup>.

والاحتياط لا شك أن يطوف الإنسان من وراء الشاذروان.

ثم قالت عائشة رضي الله عنها: فما لهم لم يدخلوه في البيت. هذه مناقشة، والصحابة عندهم الصراحة؛ يعني: لو أنها اقتضت لما قال: نعم انتهى الموضوع. لكنها أوردت إشكالًا، إذا كان من البيت فلماذا لم يدخل. قال: إن قومك قصرت بهم النفقة؛ يعني: لم يتمكنوا من بناء البيت كله. لكن لماذا اختاروا تلك الجهة؟

**الجواب:** أنهم اختاروا تلك الجهة؛ لأن الجهة اليمانية فيها الحجر والركن اليماني، ولا يمكن أن تحتل، فلماذا رأوا أن يكون التقصير من الجهة الشمالية.

لكنك تتعجب كيف عجزوا أن يبنوا بقيتها وهم أصحاب إبل، وأصحاب أموال، ولهم تجارات من الشام، وتجارات من اليمن، وفيهم الأغنياء فلماذا قصرت بهم النفقة، وعجزوا أن يبنوا بقيتها؟

**الجواب:** لأنهم اختاروا ألا يبنوا من شيء محرم، لا من الربا، ولا من الميسر، قالوا لا يمكن أن تبني بيت الله إلا بأطيب أموالنا، وهذه من حماية الله للبيت -سبحان الله!- كفار لا يجلون ولا يحرمون، لكن حمى الله البيت أن يبنى بكسب حرام. فقصرت بهم النفقة فبنوه على هذا.

وهنا جاء إشكال آخر من عائشة رضي الله عنها فقالت: قلت فما شأن بابيه مرتفعًا. وهي حجرة من الحجر، والمفروض أن يكون بابها لاطنًا بالأرض، حتى يدخله من يدخل من الناس، أو أن يكون له درج إذا رفع، لكن الدرج ممتنع؛ لأن الدرج يعيق الطائفين فما بالهم رفعوه.

قال: «فعل ذلك قومك ليدخلوا من شاءوا ويمنعوا من شاءوا» هذا تحكّم -والعياذ

(١) انظر: «الأخبار العلمية من الاختيارات الفقهية» لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص ١٧٥).



بِاللَّهِ - إِذَا جَاءَ إِنْسَانٌ كَبِيرٌ ذُو جَاهٍ، أَوْ غَنِيٌّ، أَوْ مَا أَشْبَهَ ذَلِكَ أَدْخَلُوهُ فِي الْكَعْبَةِ، وَإِذَا جَاءَ مَنْ سِوَاهُ قَالُوا: الْبَابُ مَغْلَقٌ، وَالْعَتَبَةُ رَفِيعَةٌ، وَلَمْ يُدْخِلُوهُ.

ثُمَّ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «لَوْلَا أَنَّ قَوْمَكَ حَدِيثُ عَهْدٍ بِالْجَاهِلِيَّةِ - فَأَخَافُ أَنْ تُنْكَرَ قُلُوبُهُمْ أَنْ أَدْخَلَ الْجَدْرَ فِي الْبَيْتِ، وَأَنْ أَلْصَقَ بَابَهُ فِي الْأَرْضِ - لَفَعَلْتُ».

**وَالشَّاهِدُ مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ قَوْلُهُ:** «لَوْلَا أَنَّ قَوْمَكَ حَدِيثُ عَهْدٍ». فَبَيَّنَ الرَّسُولُ ﷺ الْمَنَعَ لَهُ مِنْ إِعَادَةِ الْبَيْتِ عَلَى قَوَاعِدِ إِبْرَاهِيمَ، وَعَلَى الْوَصْفِ الَّذِي ذَكَرَهُ، وَهُوَ أَنَّ قَرِيشًا كَانُوا حَدِيثِي عَهْدٍ بِالْكَفْرِ، وَالْكَافِرُ لَضَعْفُ إِيْمَانِهِ؛ وَلَئِنْ الْإِيْمَانَ لَمْ يَرَسَخْ فِي قَلْبِهِ، يَسْتَنْكِرُ كُلَّ شَيْءٍ فَأَخَافُ أَنْ تُنْكَرَ قُلُوبُهُمْ مَا أَفْعَلُ.

**فَفِي هَذَا الْحَدِيثِ مِنَ الْفَوَائِدِ:** دَرَأَ الْمَفَاسِدِ، وَأَنَّهُ أَوَّلَى مِنْ جَلِبِ الْمَصَالِحِ، وَهَذِهِ الْقَاعِدَةُ سَلِيمَةٌ، لَكِنَّهَا مَشْرُوطَةٌ بِأَنْ تَسَاوَى الْمَفَاسِدُ وَالْمَصَالِحُ، أَوْ يُرَجَّحَ جَانِبُ الْمَفَاسِدِ، أَمَّا إِذَا تَرَجَّحَ جَانِبُ الْمَصَالِحِ، فَإِنَّهُ يُعْطَى الْمَفَاسِدَ، فَهَذَا لَا يَتَرَجَّحُ جَانِبُ الْمَصْلَحَةِ؛ لِأَنَّ الْمَفْسَدَةَ الَّتِي يُخْشَى مِنْهَا مَفْسَدَةٌ عَظِيمَةٌ، وَهِيَ الرُّجُوعُ فِي الْكَفْرِ، فَتَحْصُلُ فِتْنَةٌ عَظِيمَةٌ لِقَرِيشَ، وَرَبَّمَا يَعُودُ الْأَمْرُ جَذْعًا بَعْدَ أَنْ فُتِحَتْ مَكَّةُ.

**وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ:** حِكْمَةُ الرَّسُولِ ﷺ، وَأَنَّهُ يَجِبُ عَلَيْنَا أَنْ نَتَأَسَّى بِهِ، فَإِذَا رَأَيْنَا بَعْضَ الْمَصَالِحِ الَّتِي تَرَى أَنَّهُ لَا بَدَّ مِنْهَا يُخْشَى مِنْهَا عَاقِبَةُ سَيِّئَةٍ، فَإِنَّمَا نَدْعُهَا، وَنَسْكُتُ، وَنَصْبِرُ حَتَّى يَعُودَ الْأَمْرُ عَلَى مَا يَنْبَغِي.

وَلِهَذَا لَمَّا تَوَلَّى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الْخِلَافَةَ فِي مَكَّةَ، بَلَ عَلَى الْحِجَازِ كُلَّهُ - مَكَّةَ وَالْمَدِينَةَ، وَمَا كَانَ تَابِعًا لَهَا بَنَى الْكَعْبَةَ عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي تَمَنَّاهُ الرَّسُولُ ﷺ، وَأَدْخَلَ الْجَدْرَ وَبَنَاهَا عَلَى قَوَاعِدِ إِبْرَاهِيمَ، وَجَعَلَ لَهَا بَابَيْنِ بَابًا يَدْخُلُ مِنْهُ النَّاسُ، وَبَابًا يَخْرُجُونَ مِنْهُ.

ثُمَّ لَمَّا حَصَلَتْ فِتْنَةُ الْحِجَاجِ، وَرَمَاهَا بِالْمَنْجَنِيْقِ - وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ - وَهَدَمَهَا، وَدَخَلَ مَكَّةَ عَنُودًا مَعَ أَنَّ الرَّسُولَ قَالَ: «لَا تَحِلُّ لِأَحَدٍ بَعْدِي». لَكِنَّهُ خَالَفَ - وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ - وَقَتَلَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزُّبَيْرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَصَلَبَهُ وَجِئَ إِلَى أُمِّهِ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَأُخْبِرَتْ بِمَا فَعَلَ النَّاسُ بِهِ، فَقَالَتْ: إِنْ الشَّاةَ لَا يَضُرُّهَا سَلَخُهَا بَعْدَ ذَبْحِهَا، صَبْرٌ وَاحْتِسَابٌ، وَإِلَّا فَهَذَا أَمْرٌ عَظِيمٌ.

ثُمَّ لَمَّا اسْتَوَلَى عَلَيْهَا هَدْمَهَا كُلِّيَّةً، وَأَعَادَهَا عَلَى بِنَاءِ قَرِيشَ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِنِيَّتِهِ - هَلْ قَصَدَهُ أَنْ الرَّسُولَ أَقَرَّ هَذَا الْبِنَاءَ إِلَى أَنْ مَاتَ، وَأَقَرَّهُ الْخُلَفَاءُ الرَّاشِدُونَ، أَوْ أَنَّ قَصْدَهُ الْإِتْقَامُ مِمَّا فَعَلَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِنِيَّتِهِ؛ لَكِنَّ عَبْدَ الْمَلِكِ بْنَ مَرْوَانَ لَمَّا بَلَغَهُ هَذَا الْحَدِيثُ قَالَ لَوْ

(١) رَوَاهُ الْبَخَارِيُّ (١٥٨٦)، وَمُسْلِمٌ (٩٧٠/٢) (١٣٣٣) (٤٠٢).

(٢) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٩٧٠/٢) (١٣٣٣) (٤٠٢).

عَلِمْتُ بِهِ لِمَنْعَتِ الْحِجَاجِ مِنْ هَدْمِهَا وَبِنَائِهَا عَلَى مَا كَانَتْ عَلَيْهِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ <sup>(١)</sup>.  
ثُمَّ لَمَّا طَالَتِ الْمَدَّةُ، وَتَوَلَّى الرَّشِيدُ بْنُ هَارُونَ فَأَرَادَ أَنْ يَهْدِمَهَا وَيُعِيدَهَا عَلَى مَا تَمَنَّاهُ  
الرَّسُولُ ﷺ، فَاسْتَشَارَ الْإِمَامَ مَالِكًا -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَرَحِمَهُ- فَقَالَ: لَا تَجْعَلْ بَيْتَ اللَّهِ مَلْعَبَةً  
لِلْمَلُوكِ، كَلِمَا جَاءَ مَلِكٌ هَدَمَهُ، وَأَعَادَهُ عَلَى مَا يُرِيدُ، فَتَرَكَهُ وَبَقِيَ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ <sup>(٢)</sup>.

**ولكننا نقول:** مَا أَرَادَهُ النَّبِيُّ ﷺ حَصَلَ وَاللَّهُ الْحَمْدُ عَلَى وَجْهِهِ أَكْمَلَ مَا تَوَقَّعُ؛ لِأَنَّهُ لَوْ  
بُنِيَ عَلَى قَوَاعِدِ إِبْرَاهِيمَ مَسْقُوفًا، وَجُعِلَ لَهُ بَابَانِ: بَابٌ يَدْخُلُ مِنْهُ النَّاسُ، وَبَابٌ يَخْرُجُونَ مِنْهُ،  
لَأَهْلَكَ النَّاسُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، لَا سِوَا فِي مِثْلِ عَصُورِنَا هَذِهِ مَعَ جَهَالَةِ النَّاسِ.

أَمَّا الْآنَ فَإِنَّ لَهُ بَابَيْنِ: بَابًا يَدْخُلُ مِنْهُ النَّاسُ، وَبَابًا يَخْرُجُونَ مِنْهُ بِالْهَوَاءِ الطَّلِقِ؛ لِأَنَّ بَيْنَ  
الْكِعْبَةِ الْقَائِمَةِ وَالْجَدْرِ بَابَيْنِ، فَمَا أَرَادَهُ النَّبِيُّ ﷺ حَصَلَ وَاللَّهُ الْحَمْدُ، مَعَ زَوَالِ الْمَفْسَدَةِ.  
ثُمَّ إِنْ فِي بَقَائِهِ هَكَذَا جَدْرًا دُونَ أَنْ يَكُونَ كَعْبَةٍ مَبْنِيَّةٍ كُلِّهَا، امْتِحَانًا وَإِذْعَانًا؛ لِأَنَّهُ لَوْ كَانَتْ بَنَاءَةً  
وَاحِدَةً، لَكَانَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِهَا اضْطِرَارًّا، لَكِنْ الْآنَ لَوْ أَرَادَ أَحَدٌ أَنْ يَدْخُلَ مِنْ بَابِ الْحَجَرِ،  
وَيَخْرُجَ مِنَ الْبَابِ الثَّانِي، أَمَكَّتَهُ ذَلِكَ، لَكِنْ تَعَبَدَا لِلَّهِ يُكْمَلُونَ الْحَجَرَ، وَيَطُوفُونَ مِنْ وَرَائِهِ، وَلَوْ  
كَانَ عَلَيْهِمْ أَعْظَمُ مُشَقَّةٍ، فِيهِ مِحْنَةٌ وَابْتِلَاءٌ؛ لِأَنَّهُ لَوْ كَانَتْ بَنَاءَةً قَائِمَةً مَا تَمَكَّنَ أَحَدٌ أَنْ يَدْخُلَ،  
لَكِنْ هُنَا يُمَكِّنُ أَنْ يَدْخُلَ أَحَدٌ.

لَكِنْ لَوْ قَالَ إِنْسَانٌ: سَأَكْمُلُ مَا أَمَرَنِي بِهِ اللَّهُ ﴿وَلَيَطُوفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ [التَّحْقِيقُ: ٢٩].  
وَأَطُوفُ مِنْ وَرَاءِ الْجَدْرِ صَارَ فِي هَذَا امْتِحَانٌ لِلْعِبَادِ فِي آدَاءِ الْعِبَادَةِ، وَاللَّهُ ﷻ عَلِيمٌ حَكِيمٌ، فَقَدْ  
قَالَ تَعَالَى: ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ [التَّحْقِيقُ: ١١٦]. وَقَالَ: ﴿فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ  
تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النِّسَاءُ: ١٩]. وَهَذِهِ مِنْ حِكْمَةِ اللَّهِ ﷻ.  
ثُمَّ ذَكَرَ الْمُؤَلِّفُ حَدِيثَ الْأَنْصَارِ، وَهُوَ مَهْمٌ وَفِيهِ عِبْرٌ عَظِيمَةٌ.

**وهذا الحديث:** لَهُ قِصَّةٌ؛ وَهُوَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمَّا رَجَعَ مِنْ حُتَيْنَ، وَقَسَمَ الْغَنَائِمَ، وَأَعْطَى الْمُؤَلَّفَةَ  
قُلُوبُهُمْ كَثِيرًا مِنَ الْأَمْوَالِ، تَكَلَّمَ بَعْضُ النَّاسِ مِنَ الْأَنْصَارِ بِكَلَامٍ لَا يَلِيقُ بِهِمْ، لَكِنْ كَمَا قَالَ اللَّهُ ﷻ  
﴿وَيُحِبُّونَ أَلْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ [التَّحْقِيقُ: ٢٠]. وَقَالَ: ﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ [الْعَلَّافُ: ٨]. فَمِنْ  
أَجْلِ الْهَالِ تَكَلَّمُوا بِكَلَامٍ لَا يَلِيقُ بِهِمْ قَالَ بَعْضُهُمْ: إِنْ مُحَمَّدًا لَقِيَ قَوْمَهُ فَصَارَ يُعْطِيهِمْ وَتَرَكَنَا.  
فَلَمَّا سَمِعَ النَّبِيُّ ﷺ بِهَذَا أَمَرَ أَنْ يَجْتَمِعُوا فِي مَكَانٍ خَاصٍّ بِهِمْ، فَأَجْتَمَعُوا فَجَاءُوا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ  
فَقَالُوا: إِنَّا اجْتَمَعْنَا. فَقَالَ: هَلْ فِيكُمْ أَحَدٌ يُعْنِي: سِوَاكُمْ. قَالُوا: أَبَدًا إِلَّا فُلَانٌ كَانُوا هُمْ أَخْوَالَهُ

(١) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٩٧٢/٢) (١٣٣٣) (٤٠٣).

(٢) انْظُرْ: «الاستذكار» لابن عبد البر (١٨٨/٤)، و«التمهيد» (٥٠/١٠)، و«التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة  
الشريفة» (٢٦٥/١)، و«أخبار مكة» (٣٦/٢).



قال: ابنُ أختِ القومِ منهم. ثم جاء إليهم وخطبَ بهم خطبةً بليغةً عظيمةً ساقها في عمدة الأحكام بطولها<sup>(١)</sup>، ذكَّره عَلَيْهِ السَّلَامُ بما أنعم الله به عليهم، من بعثة النبي عَلَيْهِ السَّلَامُ وقال لهم: ألم أجِدْكُمْ ضَلالًا فهداكم الله بي؟ ألم أجِدْكُمْ فقراءَ عالةً فأغناكم الله بي، ألم أجِدْكُمْ متفرقينَ فألَّفَكُم الله بي؟ كلما قال قولًا قالوا: الله ورسوله أَمَنٌ؟ يعني: أعظم منه.

فقال: لو شِئْتُمْ لَقُلْتُمْ: جِئْنَا طَرِيدًا فآوَيْنَاكَ. وذكر أشياء فكما أن له عليهم فضلًا، فلهم عليه فضلٌ أيضًا، وهذا من حكمته وعدله.

ثم أتمَّ هذه الخطبةَ العظيمةَ بقوله: «لولا الهجرةُ لكنت امرأةً من الأنصارِ». لكن الهجرةَ تَمْنَعُهُ أن يَكُونَ من الأنصارِ؛ لأنها أعلى وأفضل، فالمهاجرونَ جَمَعُوا بين الهجرة بترك ما يُحِبُّونَ، وبين النصره، والأنصارُ عندهم النصره، وهم في بلادهم وفي أموالهم.

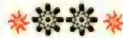
**وفي هذا:** إشارةٌ إلى مسألةٍ تقدَّم الكلامُ عليها، وهي أن عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ لا يَنْبَغِي أن نَصِفَهُ بالصَّحْبَةِ، وهو في مقام أعلى فنقول: لولا النبوةُ لكان من الصحابة مثلاً، ولكنه نبيٌّ والنبوةُ أعلى. فيقول: «لولا الهجرةُ لكنت امرأةً من الأنصارِ، ولو سَلَكَ النَّاسُ وادِيًا، وسَلَكَ الأنصارُ وادِيًا أو شِعْبًا، لَسَلَكَتُ وادِيَ الأنصارِ، أو شِعْبَ الأنصارِ».

وهذا فخرٌ عظيمٌ، أن يدَعَ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النَّاسَ لِيَكُونَ مع الأنصارِ، النَّاسُ دِثَارٌ، والأنصارُ شعارٌ، والشعارُ: هو الثوبُ الذي يلي الجسدَ، والدِّثَارُ ما فوقه.

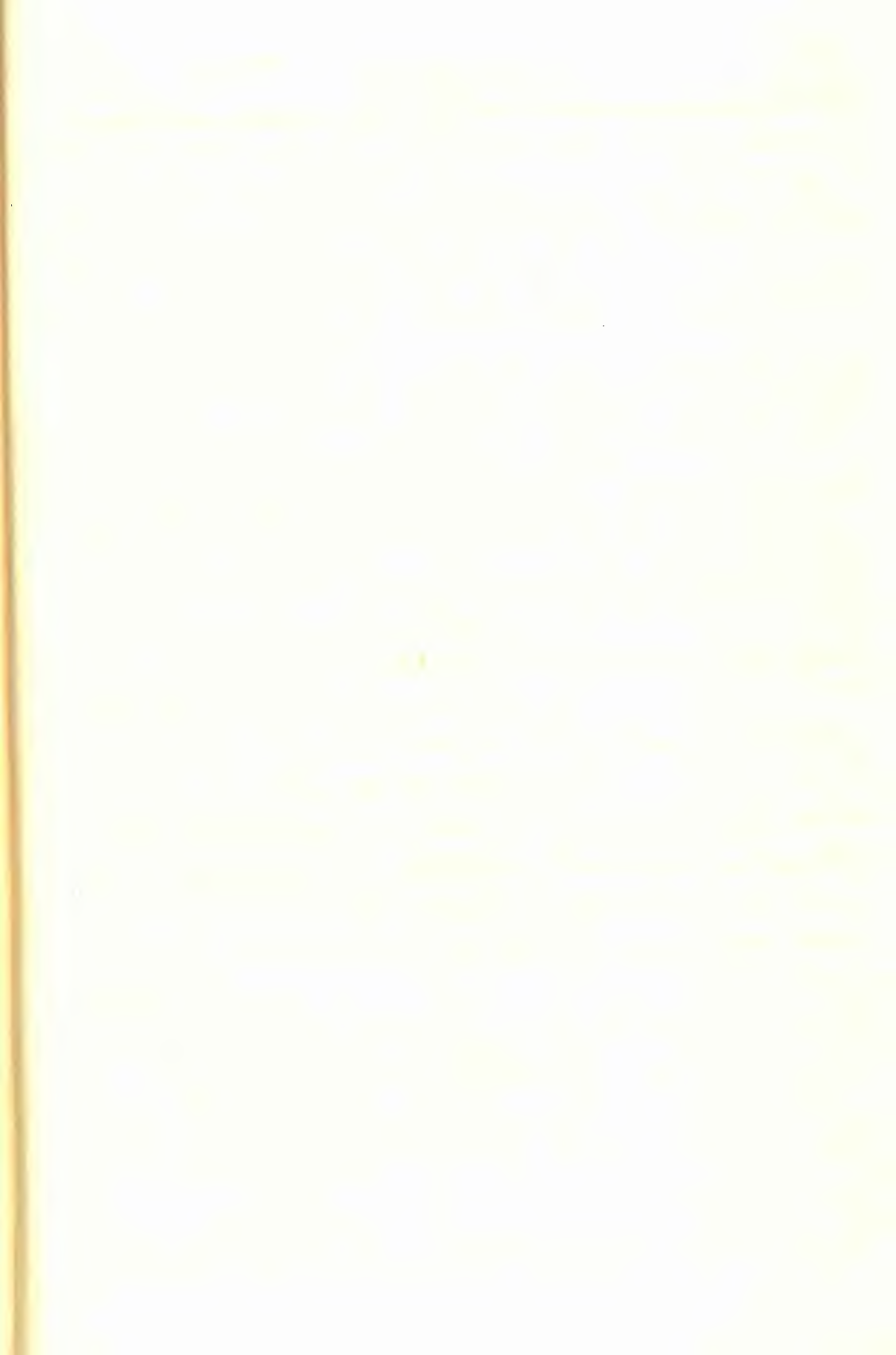
ثم قال: «إنكم سَتَلْقَوْنَ بعدي أثره، فاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي على الحوضِ». فجعلوا يَكُونُونَ حَتَّى خَضَبُوا لِحَاهِمَ من الدموعِ فِي عَيْنَيْهِ، واقتنعوا أعظمَ اقتناع.

**وهذا:** دليلٌ على أنه يَنْبَغِي لِلإِنْسَانِ أن يُطَيِّبَ قلوبَ النَّاسِ، إذا رأى أنهم وجدوا عليه شيئًا، حَتَّى يَزُولَ ما في قلوبهم، فهذا هو النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أرفعُ من الأنصارِ وأرفعُ من المهاجرين، وأكرمُ الخلقِ عند الله، يَتَوَدَّدُ إلى الأنصارِ هذا التوددَ، وَيُطَيِّبُ قلوبهم هذا التطييبَ.

**والشاهدُ من هذا الحديثِ في هذا الباب:** قوله: «لولا الهجرةُ»، و«لو سَلَكَ النَّاسُ»، وهذا من قسم الخبر كما ذكرنا.



(١) تقدم تخريج الحديث في الصحيحين، وانظر: «عمدة الأحكام» (٣/ ١٧١).

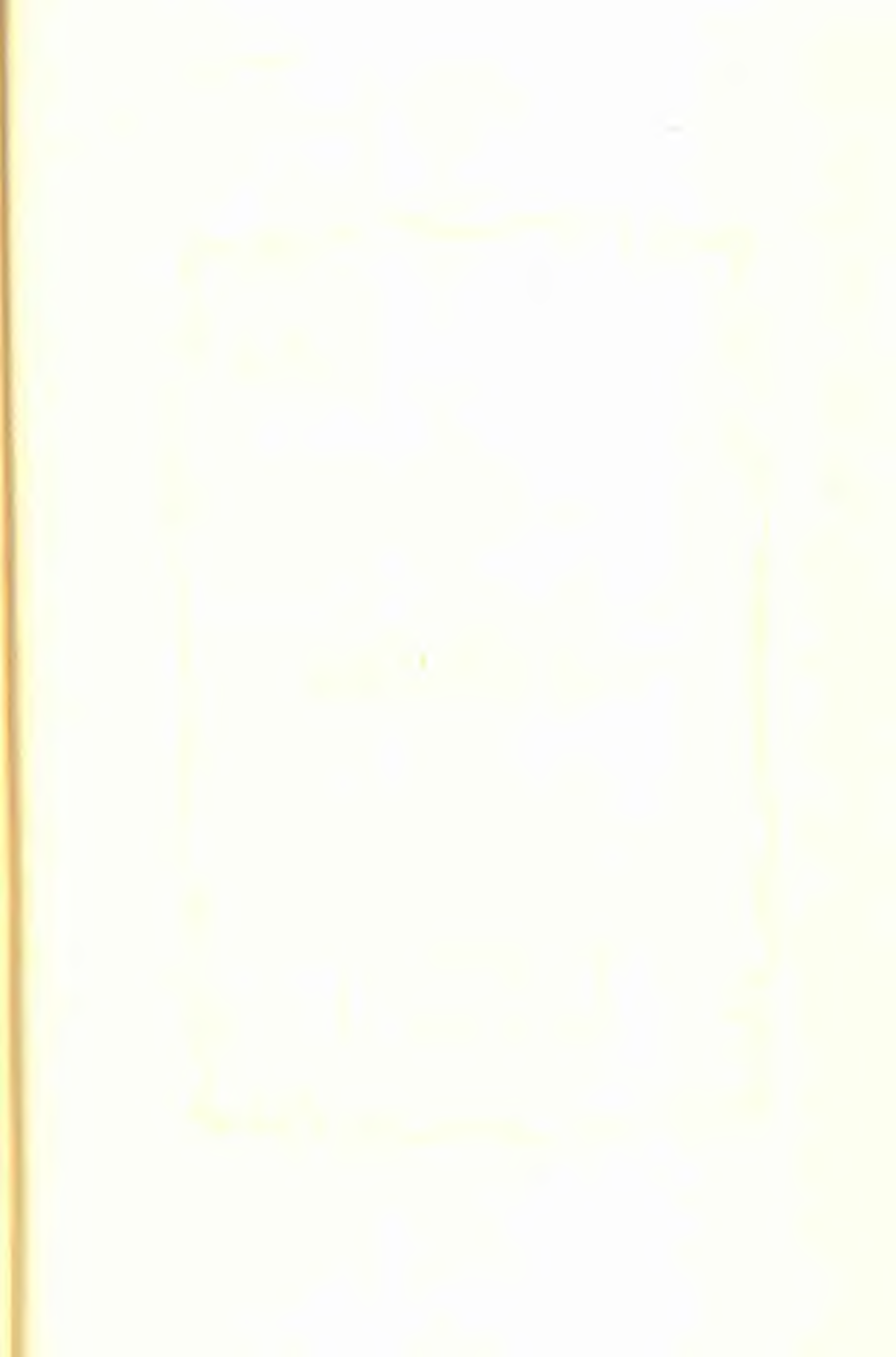




شَيْخ  
صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ

كِتَابُ اِتِّجَارِ الْاَحَادِ

٧٢٧-٧٢٤٦





ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

## كِتَابُ انْجِبَارِ الْأَحَادِ

١ - بَابُ مَا جَاءَ فِي إِجَازَةِ خَبَرِ الْوَاحِدِ الصَّدُوقِ فِي الْأَذَانِ، وَالصَّلَاةِ وَالصَّوْمِ، وَالْفَرَائِضِ، وَالْأَحْكَامِ.

وَقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٢].

وَيُسَمَّى الرَّجُلُ طَائِفَةً؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَأْخُذْ بَعِثَةَ الْفِتَنِ مِنِّي يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾ [الأنعام: ١١٠]. فَلَوْ اقْتَتَلَ رَجُلَانِ دَخَلَا فِي مَعْنَى الْآيَةِ.

وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِن جَاءَكَ فَاسِقٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ فَتَبَيَّنْهُ﴾ [المائدة: ٦٤]. وَكَيْفَ بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ أَمْرَاءَهُ وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ فَإِنْ سَهَا أَحَدٌ مِنْهُمْ رُدَّ إِلَى السَّنَةِ.

قَوْلُهُ: «بَابُ مَا جَاءَ فِي إِجَازَةِ خَبَرِ الْوَاحِدِ الصَّدُوقِ فِي الْأَذَانِ، وَالصَّلَاةِ، وَالصَّوْمِ، وَالْفَرَائِضِ، وَالْأَحْكَامِ».

وَالْخَبَرُ: هُوَ كُلُّ مَا يَحْتَمِلُ أَنْ يُصَدَّقَ قَائِلُهُ، أَوْ يُكَذَّبَ لِدَاثِهِ؛ أَيِ: لِذَاتِ الْخَبَرِ بِقَطْعِ النَّظَرِ عَنِ الْمُخْبِرِ بِهِ، فَإِنْ خَبَرَ النَّبِيُّ ﷺ بِأَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ هَذَا لَا يُمَكِّنُ تَكْذِيبَهُ، وَخَبَرُ مُسَيَّلِمَةٍ بِأَنَّهُ رَسُولٌ، لَا يُمَكِّنُ تَصْدِيقَهُ، لَكِنَّ نَفْسَ الْخَبَرِ بِقَطْعِ النَّظَرِ عَنِ الْمُخْبِرِ يَصِحُّ أَنْ يُقَالَ: إِنَّهُ صَدُوقٌ، وَيَصِحُّ أَنْ يُقَالَ: إِنَّهُ كَذِبٌ.

وَالشَّهَادَةُ: هِيَ خَبَرٌ مُّوَكَّدٌ؛ لِأَنَّ الشَّاهِدَ يَقُولُ: أَشْهَدُ. كَأَنَّا شَاهَدَهُ بَعِينِهِ.

وَخَبَرُ الْوَاحِدِ هَلْ يَجُوزُ فِي كُلِّ شَيْءٍ؟ بَيَّنَّ الْمُؤَلَّفُ أَنَّهُ يَجُوزُ فِي الْأَذَانِ، فَيَعْمَلُ بِقَوْلِ الْمُؤَذِّنِ فِي دُخُولِ وَقْتِ الصَّلَاةِ، وَفِي الْإِمْتِنَاعِ عَنِ الْأَكْلِ فِي الصَّوْمِ، وَفِي حُلِّ الْأَكْلِ عِنْدَ غُرُوبِ الشَّمْسِ، وَكَذَلِكَ فِي الصَّلَاةِ، إِذَا أَخْبَرَهُ شَخْصٌ بِأَنَّهُ لَيْسَ إِلَى اتِّجَاهِ الْقِبْلَةِ؛ وَهُوَ ثَقَّةٌ فَإِنَّهُ يَتَّبِعُهُ.

وكذلك على القول الصحيح إذا سَبَّحَ به واحدٌ، وهو ليس عنده ما يُخَالِفُهُ، فإنه يَتَّبِعُهُ؛ لأن النبي ﷺ إنما مَنَعَهُ من اتباع ذي اليمين ما كان عنده من الجزم بأنه على صواب؛ ولهذا قال: «لم أنس ولم تُقْصِر» وقصة ذي اليمين أن النبي ﷺ سَلَّمَ في إحدى صَلَاتِي العِشِيِّ: الظهر أو العصر من ركعتين، فقال له ذو اليمين: يا رسول الله، أُنْسِيتَ أم قُصِرَتِ الصَّلَاةُ، فقال: «لم أنس ولم تُقْصِر» <sup>(١)</sup> فنفي الأمرين جميعاً.

ولكن كيف نفى الأمرين جميعاً، وأحدهما متأكداً؟

**الجواب:** أن الإنسان يَجُوزُ له أن يُخْبِرَ عما في ظنِّه، ولا يُعَدُّ هذا كذباً، ولا يَحْنُثُ به لو حَلَفَ عليه، فلو قال: والله لَيَقْدُمَنَّ زيدٌ غداً بناءً على ما في قلبه وأنه سَيَقْدُمُ، ثم لم يَقْدَمْ فإنه لا يَحْنُثُ، ولا كفارة عليه؛ لأن هذا خبرٌ عما في نفسه، وهو صادقٌ.

فلما قال: «لم أنس ولم تُقْصِر». فهم الصحابيُّ رضي الله عنه أنه نسى؛ لأنه يُمكنُ أن يُخطئَ في الذكر، ولا يُخطئُ في الشرع؛ لأن النفي هنا -أي قوله: «لم أنس»- هذا نفيٌ ذكرٍ، وقوله: «ولم تُقْصِر» نفي شرع، وهو أن يُخطئَ في الذكر أقربُ من أن يُخطئَ في الشرع، بل لا يُخطئُ في الشرع. قال: «بلى قد نسيت». فاجتمع الآن قولُ ذي اليمين، واعتقادُ الرسول ﷺ، فلا بدَّ من مرجح، فلهذا قال: «أحقُّ ما يَقُولُ ذو اليمين». قالوا: نعم.

**الشاهد:** أنه يُقْبَلُ في الصَّلَاةِ، حتى في السهو على القولِ الراجح، ما لم يُخَالِفْهُ عَقِيدَةُ الإمامِ مثلاً. والصومُ كذلك؛ لقول النبي ﷺ: «كلوا واشربوا حتى تَسْمَعُوا أَذَانَ ابنِ أمِّ مَكْتُومٍ» <sup>(٢)</sup>.

وقوله: «الفرائض»: مثل الزكوات، وغيرها؛ أي: كل ما فَرَضَهُ اللهُ.

وقوله: «والأحكام»: يعني: الأحكامَ الشرعيةَ، وأحكامَ القضاءِ بينَ الناسِ.

**والقاعدة في هذا:** أن كلَّ خبرٍ دينيٍّ فإنه يُقْبَلُ فيه خبرُ الواحدِ.

لكن المَوْلَفَ يَقُولُ: «الصدوق»؛ يَعْنِي: الذي يَغْلِبُ على الظنِّ صدقُه؛ لأمانته، ومعرفةً، فأما من يَغْلِبُ على الظنِّ كذبه، فإنه لا يُقْبَلُ، فلو تَرَأَى الناسُ الهلالَ، وقال رجلٌ ضعيفُ البصرِ: رأيتهُ، وقال الأقوياءُ في البصرِ: لم نَرَهُ.

(١) تقدم تخريجه.

(٢) رواه البخاري (٦١٧)، ومسلم (٧٦٨/٢) (١٠٩٢) (٣٦).



لا نأخذ بقوله؛ لأنه ضعيف البصر، وضعيف البصر ربما يرى الواحد اثنين أو ثلاثة، وربما يرى الثلاثة اثنين أو واحدًا.

ويذكر أن شريحًا القاضي أو غيره جاء إليه رجل ثقة أمين، فقال: إني رأيت الهلال وكان قد تراءى مع الناس. فقال الناس: لم نره. فالقاضي توقف.

فهذا ثقة، والناس خالفوه. فقال: «قم معي نترأى الهلال». فقام معه فترأى الهلال، فقال: أترأه؟ قال: نعم. والقاضي لا يراه فمسح حاجبه وقال له: ترأه الآن؟ قال: لا أراه. وإذا هي شعرة بيضاء في حاجبه متقوسة كأنها الهلال.

فهذا لا نقبل شهادته؛ لأنه يغلب على ظننا أنه ليس بصادق وإن كان ثقة، كما أن حاد النظر إذا كان غير ثقة لا نقبله؛ لعدم ثقتنا بقوله، وكذلك ضعيف البصر.

ثم قال: وقول الله تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ﴾. وهذا بقية الآية، وأولها: ﴿وَمَا كَانِ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً﴾ [البقرة: ١٩٢]. يعني: في الجهاد، فما كان لهم أن ينفروا جميعًا، ولكن ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ﴾ يعني: فهلاً نفر من كل فرقة منهم طائفة.

وقال: «من كل فرقة منهم»؛ ليكون الجهاد موزعًا على الجميع، ولم يقل: فلولا نفر منهم طائفة من كل فرقة من الأوس، من الخزرج، من بطونهما، من كل فرقة منهم طائفة ليتفقوا في الدين.

ظاهر السياق أن التعليل للنافرين والحقيقة أنه للباقيين، والضمير في قوله: ﴿لَيَنفَقَهُنَّ﴾ للباقيين؛ لأن الذين ينفرون للجهاد إنما يقابلون. والباقون عند الرسول ﷺ هم الذين يتفقون؛ ولهذا قال: ﴿لَيَنفَقَهُنَّ فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ﴾؛ أي: بما سمعوا من النبي ﷺ ﴿لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾.

**وفي هذه الآية:** دليل واضح على أن تعلم العلم الشرعي يقابل، أو يعادل الجهاد في سبيل الله؛ ولهذا ذهب كثير من العلماء إلى أن طلبة العلم يستحقون من الزكاة، وإن كان عندهم ما يكفيهم، لنفقاتهم من أجل طلب العلم، فيدخلون في قول الله تعالى: ﴿وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ﴾ [البقرة: ١٦٠].

وقوله: ﴿لَيَنفَقَهُنَّ فِي الدِّينِ﴾ فيه: دليل على أن المدح إنما هو للفقهاء في الدين، وليس للفقهاء في الواقع، فالفقهاء في الواقع وسيلة لتطبيق الأحكام الشرعية، أما الأصل فهو الفقهاء في

الدين؛ ولهذا قال: ﴿لَيْفَقَّهُوْا فِي الدِّينِ﴾ وهذا يُطَابِقُ قَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ»<sup>(١)</sup>. وكثيرٌ من الناسِ اشتغلوا بأحوالِ العالمِ لِيَفَقَّهُوا الواقعَ، ففاتتهم أوقاتٌ كثيرةٌ لو تفرَّغوا فيها للفقهِ في الدينِ لكان خيراً لهم وأولى، ونحن لا نُنْكِرُ أن يَكُونَ عند الإنسانِ فقهٌ، وعلمٌ بأحوالِ الناسِ، ولكننا نقولُ: خيرٌ من ذلك أن يَتَفَقَّهَ في دينِ الله، ثم يُطَبِّقَ الواقعَ بعد أن يَعْرِفَهُ، وَيَحْكُمَ عليه بما يَقْتَضِيهِ هذا الفقهُ.

❖ قوله: «وَيُسَمَّى الرَّجُلُ طَائِفَةً». مع أن قوله: ﴿مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ﴾، ﴿لَيْفَقَّهُوْا﴾؛ أي: الباقيون. ﴿وَلْيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ﴾؛ يعني: يَكْفِي رَجُلٌ وَاحِدٌ أَنْ يَتَفَقَّهَ وَيُنْذِرَ، واستدلَّ لقوله بأن الطائفةَ تُطَلِّقُ على الرجلِ الواحدِ بقوله تعالى: ﴿وَلَنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتُلُوا فَاصِلًا بَيْنَهُمَا﴾ [المائدة: ٩١]. فلو اقْتَتَلَ رجلانِ دخلاً في معنى الآية. فلو اقْتَتَلَ رجلانِ، وَجَبَ علينا أن نَمْنَعَ بعضَهُما من بعضٍ، وأن نُصْلِحَ بينهما.

لكن دخوله في الآية فيه نظرٌ، وإنها يُؤْخَذُ من أدلةٍ أخرى.

❖ وجهُ النظرِ قوله: «﴿وَلَنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتُلُوا﴾» وهذه جمعٌ، فلا بدَّ أن تَكُونَ الطائفةُ اثنتين فأكثرَ، أو على الأقلِّ اثنانِ من وجهٍ، وواحدٍ من وجهٍ آخرَ؛ لِيَصْدُقَ الجمعُ.

لكنَّ اقْتِتَالَ رجلينِ لا شكَّ أنه يَجِبُ علينا التدخلُ والمنعُ من الاقتتالِ، والإصلاحُ بقدرِ المستطاع.

❖ وقوله تعالى: «﴿إِنْ جَاءَكَ فَاسِقٌ بِنِجَاتٍ فَتَبَيَّنْ﴾». والفاسيقُ: هو الخارجُ عن طاعةِ الله.

وعرّفه الفقهاءُ: بأنه من فعلٍ كبيرةٍ، لم يَتَبَّ منها، أو أصرَّ على صغيرةٍ<sup>(٢)</sup>، فإذا جاءنا رجلٌ معروفٌ باتهامه بالدينِ، وعدمِ مبالاةٍ بتركِ الواجباتِ، وفعلِ المحرماتِ، فهذا فاسقٌ لا يَقْبَلُ خبره. ولكن هل يُرَدُّ؟

**الجوابُ:** لا، لا يُرَدُّ، ولا يَقْبَلُ، بل يُتَبَيَّنُ الأمرُ؛ ولهذا قال: ﴿فَتَبَيَّنْ﴾؛ أي: اطلُّوا بياناً

لواقعِ، هل هو على حسبِ ما أَخْبَرَ به هذا الفاسقُ أو لا؟ وهذا من الإنصافِ، ألا نَرُدَّ خبرَ الفاسقِ مطلقاً، ولا نَقْبَلَهُ مطلقاً؛ لأن قبوله مطلقاً مشكلاً؛ فهو مُتَّهَمٌ في خبره، ورَدُّه مطلقاً أيضاً مشكلاً؛ لاحتمالِ أن يَكُونَ صادقاً.

(١) رواه البخاري (٧١)، ومسلم (٧١٨/٢) (١٠٣٨) (٩٨).

(٢) انظر: «التعاريف» (٥٥٧/١)، و«تفسير القرطبي» (٣١٢/١٦)، و«تفسير الطبري» (٢٦١/٥).



❖ قوله: «وكيف بعث النبي ﷺ أمراءه واحداً بعد واحدٍ فإن سَهَا أحدٌ منهم رُدَّ إلى السنة». نعم، كان الرسول ﷺ يبعثُ بدينِ الله الرجلَ الواحدَ، وربما يُردِّفه بآخر، وربما لا يُردِّفه فإن سَهَا أحدٌ منهم رُدَّ إلى السنة.

إن سَهَا؛ يعني: غفل فإنه يُردُّ إلى السنة وجوباً.

قال ابن حجر رحمه الله في الفتح (١٣/ ٢٣٤، ٢٣٥):

❖ قوله: «وكيف بعث النبي ﷺ أمراءه واحداً بعد واحدٍ، فإن سَهَا أحدٌ منهم رُدَّ إلى السنة»، سيأتي في أواخر الكلام على خبر الواحد، باب: ما كان النبي ﷺ يبعثُ من الأمراء والرسولَ واحداً بعد واحدٍ، فزاد فيه بعثَ الرسل.

والمراد بقوله: «واحداً بعد واحدٍ»، تعدُّ الجهاتِ المبعوثِ إليها، بتعددِ المبعوثين، وحمله الكرمانى على ظاهره، فقال: فائدةُ بعثِ الآخرِ بعدَ الأولِ ليردَّه إلى الحقِّ عند سهوه، ولا يخرجُ بذلك عن كونه خبراً واحداً، وهو استدلالٌ قويٌّ؛ لثبوتِ خبرِ الواحدِ من فعله ﷺ؛ لأن خبرَ الواحدِ لو لم يكفِ قبوله ما كان في إرساله معنى.

وقد نبه عليه الشافعي أيضاً، كما سأذكره، وأيده بحديث «يلبغ الشاهد الغائب» وهو في الصحيحين، وبحديث: «نضر الله امرءاً سمع مني حديثاً فأذاه» وهو في السنن. واعترض بعضُ المخالفين بأن إرسالهم إنما كان لقبض الزكاة والفتيا ونحو ذلك وهي مكابرة، فإنَّ العلمَ حاصلٌ بإرسالِ الأمراءِ لأعمَّ من قبض الزكاة وإبلاغ الأحكام وغير ذلك، ولو لم يشتهر من ذلك إلا تأمير معاذ بن جبل وأمره له وقوله له: إنك تقدم على قوم أهل كتاب فأعلمهم أن الله فرض عليهم... إلخ.

والأخبار طافحةٌ بأنَّ أهل كلِّ بلدٍ منهم كانوا يتحاكمون إلى الذي أمر عليهم، ويقبلون خبره، ويعتمدون عليه من غير التفتاتِ إلى قرينته، وفي أحاديث هذا الباب كثيرٌ من ذلك.

واحتجَّ بعضُ الأئمةِ بقوله تعالى: ﴿يَأْتِيَاكَ الرُّسُولُ بِلَغٍّ مَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ [التكوير: ٦٧].

مع أنه كان رسولاً إلى الناس كافة، ويجبُ عليه تبليغهم، فلو كان خبر الواحد غير مقبولٍ لتعدَّر إبلاغُ الشريعةِ إلى الكلِّ ضرورة؛ لتعدَّر خطابُ جميع الناس شفاهاً، وكذا تعدَّد إرسالِ عددِ التواترِ إليهم وهو مسلكٌ جيّدٌ ينضمُّ إلى ما احتجَّ به الشافعي ثم البخاري، واحتجَّ من ردَّ خبر الواحد بتوقُّفه ﷺ في قبول خبر ذي اليدين ولا حجة فيه؛ لأنه عارض

عِلْمَهُ، «وَكُلَّ خَبَرٍ وَاحِدٍ إِذَا عَارَضَ الْعِلْمَ لَمْ يُقْبَلْ»، وَتَوَقَّفَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ فِي حَدِيثِي الْمَغِيرَةِ «فِي الْجَدَّةِ وَفِي مِيرَاثِ الْجَنِينِ» حَتَّى شَهِدَ بِهِمَا مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ، وَتَوَقَّفَ عُمَرُ فِي خَبَرِ أَبِي مُوسَى فِي الْإِسْتِذَانِ حَتَّى شَهِدَ أَبُو سَعِيدٍ، وَتَوَقَّفَ عَائِشَةُ فِي خَبَرِ ابْنِ عُمَرَ «فِي تَعْذِيبِ الْمَيِّتِ بِبُكَاءِ الْحَيِّ».

**وَأُجِيبُ:** بَأَنَّ ذَلِكَ إِنَّمَا وَقَعَ مِنْهُمْ إِمَّا عِنْدَ الْإِرْتِيَابِ كَمَا فِي قِصَّةِ أَبِي مُوسَى، فَإِنَّهُ أوردَ الْخَبَرَ عِنْدَ انْكَارِ عُمَرَ عَلَيْهِ رُجُوعَهُ بَعْدَ الثَّلَاثِ وَتَوَعَّدَهُ فَأَرَادَ عُمَرُ الْإِسْتِثْنَاتِ خَشْيَةً أَنْ يَكُونَ دَفَعَ بِذَلِكَ عَنْ نَفْسِهِ، وَقَدْ أَوْضَحْتُ ذَلِكَ بِدَلَالَتِهِ فِي «كِتَابِ الْإِسْتِذَانِ» وَأَمَّا عِنْدَ مُعَارَضَةِ الدَّلِيلِ الْقَطْعِيِّ كَمَا فِي انْكَارِ عَائِشَةَ حَيْثُ اسْتَدَلَّتْ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ وَهَذَا كُلُّهُ إِنَّمَا يَصِحُّ أَنْ يَتَمَسَّكَ بِهِ مَنْ يَقُولُ: لَا بُدَّ مِنَ اثْنَيْنِ عَنْ اثْنَيْنِ، وَإِلَّا فَمَنْ يَشْتَرِطُ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَجَمِيعُ مَا ذُكِرَ قَبْلَ عَائِشَةَ حُجَّةٌ عَلَيْهِ؛ لِأَنَّهُمْ قَبِلُوا الْخَبَرَ مِنْ اثْنَيْنِ فَقَطْ، وَلَا يَصِلُ ذَلِكَ إِلَى التَّوَاتُرِ، وَالْأَصْلُ عَدَمُ وُجُودِ الْقَرِينَةِ؛ إِذْ لَوْ كَانَتْ مَوْجُودَةً مَا احتِجَّ إِلَى الثَّانِي، وَقَدْ قَبِلَ أَبُو بَكْرٍ خَبَرَ عَائِشَةَ فِي أَنَّ «النَّبِيَّ ﷺ مَاتَ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ» وَقَبِلَ عُمَرُ خَبَرَ عَمْرٍو بْنِ حَزْمٍ فِي أَنَّ «دِيَةَ الْأَصَابِعِ سَوَاءٌ» وَقَبِلَ خَبَرَ الضَّحَّاكِ بْنِ سُفْيَانَ فِي «نَوْرِثِ الْمَرْأَةِ مِنْ دِيَةِ زَوْجِهَا»، وَقَبِلَ خَبَرَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ فِي «أَمْرِ الطَّاعُونَ»، وَفِي أَخْذِ الْجَزِيَةِ مِنَ الْمَجُوسِ، وَقَبِلَ خَبَرَ سَعِيدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ فِي «الْمَسْحِ عَلَى الْخُفَيْنِ»، وَقَبِلَ عُثْمَانُ خَبَرَ الْفَرِيعَةِ بِنْتِ سِنَانٍ أُخْتِ أَبِي سَعِيدٍ فِي «إِقَامَةِ الْمُعْتَدَّةِ عَنِ الْوَفَاةِ فِي بَيْتِهَا» إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ.

وَمِنْ حَيْثُ النَّظَرُ أَنَّ الرَّسُولَ ﷺ بَعَثَ لِتَبْلِيغِ الْأَحْكَامِ وَصِدْقُ خَبَرِ الْوَاحِدِ مُمَكِّنٌ، فَيَجِبُ الْعَمَلُ بِهِ احتِطَاءً، وَأَنَّ إِصَابَةَ الظَّنِّ بِخَبَرِ الصَّدُوقِ غَالِبَةٌ، وَوُقُوعُ الْخَطَا فِيهِ نَادِرٌ فَلَا تُتْرَكُ الْمَصْلَحَةُ الْغَالِبَةُ خَشْيَةَ الْمَفْسَدَةِ النَّادِرَةِ، وَأَنَّ مَبْنَى الْأَحْكَامِ عَلَى الْعَمَلِ بِالشَّهَادَةِ وَهِيَ لَا تُفِيدُ الْقَطْعَ بِمَجَرَّدِهَا، وَقَدْ رَدَّ بَعْضُ مَنْ قَبْلَ خَبَرِ الْوَاحِدِ مَا كَانَ مِنْهُ زَائِدًا عَلَى الْقُرْآنِ، وَتُعَقَّبُ بِأَنَّهُمْ قَبِلُوهُ فِي وُجُوبِ غَسْلِ الْمَرْفِقِ فِي الْوُضُوءِ، وَهُوَ زَائِدٌ، وَحُصُولُ عُمُومِهِ بِخَبَرِ الْوَاحِدِ كِنَصَابِ السَّرِقَةِ، وَرَدُّهُ بَعْضُهُمْ بِمَا تَعُمُّ بِهِ الْبَلَاةُ وَفَسَّرُوا ذَلِكَ بِمَا يَتَكَرَّرُ، وَتُعَقَّبُ بِأَنَّهُمْ عَمِلُوا بِهِ فِي مِثْلِ ذَلِكَ، كإِجَابِ الْوُضُوءِ بِالْقَهْقَهَةِ فِي الصَّلَاةِ، وَبِالْقِيَاءِ وَالرُّعَافِ، وَكُلُّ هَذَا مَبْسُوطٌ فِي أَصُولِ الْفِقْهِ، اِكْتَفَيْتُ هُنَا بِالإِشَارَةِ إِلَيْهِ. وَجُمْلَةُ مَا ذَكَرَهُ الْمُصَنِّفُ هُنَا اثْنَانِ وَعِشْرُونَ حَدِيثًا. اهـ



ثُمَّ قَالَ الْبَحَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٢٤٦ - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَهَّابِ، حَدَّثَنَا أَيُّوبُ، عَنْ أَبِي قَلَابَةَ، حَدَّثَنَا مَالِكُ بْنُ الْحُوَيْرِثِ، قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَنَحْنُ شَبِيَّةٌ مُتَقَارِبُونَ فَأَقَمْنَا عِنْدَهُ عَشْرِينَ لَيْلَةً وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَفِيقًا فَلَمَّا ظَنَّ أَنَا قَدْ اشْتَهَيْنَا أَهْلَنَا، أَوْ قَدْ اشْتَقْنَا سَأَلْنَا عَمَّنْ تَرَكْنَا بَعْدَنَا فَأَخْبَرَنَا، قَالَ: «ارْجِعُوا إِلَى أَهْلِكُمْ فَأَقِيمُوا فِيهِمْ وَعَلِّمُوهُمْ وَمُرُوهُمْ - وَذَكَرَ أَشْيَاءَ أَحْفَظُهَا أَوْ لَا أَحْفَظُهَا - وَصَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أَصْلِي، فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ فَلْيُؤْذَنْ لَكُمْ أَحَدُكُمْ وَلِيُؤْمِتْكُمْ أَكْبَرُكُمْ»<sup>(١)</sup>

❖ هذا الحديث يَقُولُ: «أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ»؛ يَعْنِي: فِي عَامِ الْوُفُودِ، وَنَحْنُ شَبِيَّةٌ مُتَقَارِبُونَ؛ يَعْنِي: شَبَابًا، وَالشَّبَابُ إِلَى سَنِّ الثَّلَاثِينَ، وَمِنْهَا إِلَى الْأَرْبَعِينَ: كَهْلٌ.

❖ يَقُولُ: «فَأَقَمْنَا عِنْدَهُ عَشْرِينَ لَيْلَةً». أَقَامُوا عِنْدَهُ يَتَعَلَّمُونَ مِنْهُ، مِنْ قَوْلِهِ، وَفَعِلِهِ، وَإِقْرَارِهِ، وَلَيْسَتْ إِقَامَةٌ نَزْهَةً، وَلَكِنَّهَا إِقَامَةٌ عِلْمٍ.

❖ يَقُولُ: «وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَفِيقًا»، وَرَفِيقًا مِنَ الرَّفْقِ، وَهَذِهِ الْجُمْلَةُ لِيُنَبِّئَ عَلَيْهَا مَا بَعْدَهَا؛ وَهِيَ قَوْلُهُ: فَلَمَّا ظَنَّ أَنَا قَدْ اشْتَهَيْنَا أَهْلَنَا، أَوْ قَدْ اشْتَقْنَا أَهْلَنَا، سَأَلْنَا عَمَّنْ تَرَكْنَا بَعْدَنَا، فَأَخْبَرَنَا؛ يَعْنِي: تَرَكْنَا الْأُمَّ، الْوَلَدَ، الْبِنْتَ، الزَّوْجَةَ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ، فَقَالَ ﷺ: «ارْجِعُوا إِلَى أَهْلِكُمْ» فَأَمَرَهُمْ أَنْ يَرْجِعُوا إِلَى أَهْلِهِمْ مَعَ أَنَّهُمْ أَقَامُوا لِلْعِلْمِ.

وهذا الحديث فيه فوائد، منها: أَنَّ الْوَافِدَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يُقِيمَ عِنْدَ الْمَوْفُودِ إِلَيْهِ مَدَّةً يَسْتَفِيدُ مِنْهَا، فَلَا يَكْفِي الْيَوْمَانِ وَالثَّلَاثَةُ، بَلْ يَنْبَغِي أَنْ يُقِيمَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ، حَتَّى يَسْتَفِيدَ مِنَ الْوَفَادَةِ.

ومن فوائده: هَذَا الْخُلُقُ الْعَظِيمُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ؛ وَهُوَ أَنَّهُ رَفِيقٌ بِأَمَتِهِ، وَقَدْ أَخْبَرَ ﷺ: «أَنَّ اللَّهَ يُعْطِي بِالرَّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعَنْفِ»<sup>(٢)</sup>.

ومنها: الْعَمَلُ بِالظَّنِّ؛ لِقَوْلِهِ: فَلَمَّا ظَنَّ أَنَا قَدْ اشْتَقْنَا أَهْلَنَا. وَهَذَا مِمَّا تَوَافَرَتْ فِيهِ الْأَدَلَةُ الشَّرْعِيَّةُ؛ عَلَى الْعَمَلِ بِالظَّنِّ، وَلَكِنْ لَا بَدَّ لَهُ مِنْ قَرَائِنِ تَوْيْدِهِ<sup>(٣)</sup>.

ومنها: عِنَايَةُ النَّبِيِّ ﷺ بِأَمَتِهِ، وَأَصْحَابِهِ حَيْثُ سَأَلَهُمْ مِنْ تَرَكُّوْا بَعْدَهُمْ.

(١) رواه مسلم (١/٤٦٥) (٦٧٤) (٦٩٢).

(٢) رواه مسلم (٤/٢٠٠٣) (٢٥٩٣) (٧٧).

(٣) تقدم بحث هذه المسألة في كلام الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى قريباً.

**ومنها:** أَنَّهُ يَنْبَغِي لِلإِنْسَانِ أَنْ يَكُونَ عِنْدَ أَهْلِهِ، إِلَّا إِذَا دَعَتْ الْحَاجَةُ إِلَى سَفَرِهِ عَنْهُمْ؛ لِقَوْلِهِ: ارْجِعُوا إِلَى أَهْلِكُمْ فَاقِيمُوا فِيهِمْ.

**ومنها أيضًا:** أَنَّهُ يَنْبَغِي لِمَنْ كَانَ فِي أَهْلِهِ أَنْ يَعْلَمَهُمْ حَسَبَ مَا تَحَمَّلَهُ عَقُولُهُمْ، فَالصَّغَارُ لَهُمْ طَرِيقَةٌ فِي التَّعْلِيمِ، وَالْكِبَارُ لَهُمْ طَرِيقَةٌ؛ لِقَوْلِهِ: عَلِّمُوهُمْ.

**ومنها:** أَنَّ لِلإِنْسَانِ سُلْطَةً عَلَى أَهْلِهِ فِي الْأَمْرِ مِنْ قَوْلِهِ: وَمُرُوهُمْ.

❦ قال: «وَذَكَرَ أَشْيَاءَ أَحْفَظُهَا أَوْ لَا أَحْفَظُهَا». «أَوْ» هَذِهِ لِلتَّنَوُّعِ؛ يَعْنِي: بَعْضُهَا أَحْفَظُهَا، وَبَعْضُهَا لَا أَحْفَظُهَا.

**ومنها:** الْأَمْرُ بِأَنْ نُصَلِّيَ كَمَا صَلَّيْ؛ لِقَوْلِهِ: «صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي». وَالتَّشْبِيهُ هُنَا عَائِدٌ عَلَى الْكَيْفِيَّةِ، وَلَيْسَ عَائِدًا عَلَى الْعَدَدِ، وَبِهِ يُبَيَّنُ ضَعْفُ مَنْ اسْتَدَلَّ بِهَذَا الْحَدِيثِ عَلَى أَنَّهُ لَا يَزَادُ فِي صَلَاةِ اللَّيْلِ عَلَى إِحْدَى عَشْرَةِ رَكْعَةٍ أَوْ ثَلَاثَ عَشْرَةِ رَكْعَةٍ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّهُ هُوَ لَا نَعْلَمُ أَنَّهُمْ كَانُوا يَعْلَمُونَ كَمَا عَدَدَ صَلَاتِهِ فِي اللَّيْلِ، وَإِنَّمَا يُشَاهِدُونَ كَيْفِيَّةَ صَلَاتِهِ، فَالتَّشْبِيهُ هُنَا عَائِدٌ عَلَى الْكَيْفِيَّةِ، ثُمَّ هَذَا الْأَمْرُ بِحَسَبِ الْمَأْمُورِ؛ قَدْ يَكُونُ لِلْوَجُوبِ، وَقَدْ يَكُونُ لِلِاسْتِحْبَابِ، فَمَا كَانَ مِنْ أَمْرِ الصَّلَاةِ وَاجِبًا فَلِإِقْتِدَاءِ بِالنَّبِيِّ ﷺ فِيهِ وَاجِبٌ، وَمَا كَانَ مُسْتَحَبًّا فَهُوَ مُسْتَحَبٌّ.

**ومن فوائد هذا الحديث:** أَنَّ الْأَذَانَ إِنَّمَا يَكُونُ عِنْدَ حُلُولِ الصَّلَاةِ وَقْتًا وَفَعْلًا، فَيُؤَذَّنُ إِذَا دَخَلَ الْوَقْتُ؛ لِأَنَّهَا حَضَرَتْ، وَإِذَا كَانَتِ الصَّلَاةُ مِمَّا يُسَنُّ تَأْخِيرُهَا، فَإِنَّهُ يُؤَذَّنُ لَهَا عِنْدَ إِرَادَةِ فَعْلِهَا بَعْدَ دُخُولِ الْوَقْتِ وَإِذَا كَانَتِ الصَّلَاةُ فَعِلَتْ بَعْدَ الْوَقْتِ لَعَذْرِ؛ فَإِنَّهَا قَدْ حَضَرَتْ، فَيُؤَذَّنُ لَهَا، فَهَذِهِ ثَلَاثَةُ أَحْوَالٍ:

**الأولى:** مَا يُسَنُّ تَقْدِيمُهُ مِنَ الصَّلَوَاتِ فَيُؤَذَّنُ لَهُ عِنْدَ دُخُولِ الْوَقْتِ.

**والثانية:** مَا يُسَنُّ تَأْخِيرُهُ فِي وَقْتِهِ، يُؤَذَّنُ لَهُ عِنْدَ فَعْلِهِ.

**والثالثة:** مَا كَانَ مَقْضِيًّا؛ أَي: بَعْدَ الْوَقْتِ، فَإِنَّهُ يُؤَذَّنُ لَهُ أَيْضًا عِنْدَ فَعْلِهِ، وَكُلُّ هَذَا لَهُ أَدْلَةٌ مِنَ السَّنَةِ.

**\* أما الأول:** فَقَدْ كَانَ بَلَالٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُؤَذِّنُ فِي الْمَدِينَةِ إِذَا دَخَلَ الْوَقْتُ <sup>(١)</sup>، وَإِذَا طَلَعَ الْفَجْرُ أَذَّنَ <sup>(٢)</sup>، وَإِذَا غَرَبَتِ الشَّمْسُ أَذَّنَ، وَهَكَذَا.

(١) وَذَلِكَ لِمَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٦٣١)، وَمُسْلِمٌ (٦٧٤) مِنْ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ لِمَا لَكَ بِنَ الْحَوِيرِثِ: «إِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ فَلْيُؤَذِّنْ لَكُمْ أَحَدُكُمْ».

(٢) ذَلِكَ لِمَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٦٢٢)، وَمُسْلِمٌ (١٠٩٢) مِنْ قَوْلِ النَّبِيِّ: «إِنْ بَلَالٌ لَا يُؤَذِّنُ بِاللَّيْلِ، فَكُلُّوا



**\* وأما الثاني:** فدلِيلُهُ مَا ثَبِتَ فِي صَحِيحِ الْبَخَارِيِّ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ فِي سَفَرٍ فَقَامَ بِلَالٌ لِيُؤَذِّنَ فَقَالَ: «أَبْرِدْ». ثُمَّ قَامَ لِيُؤَذِّنَ، فَقَالَ: «أَبْرِدْ». فَلَمَّا رَأَوْا فِيءَ التَّلَوْلِ أَوْ حَتَّى إِذَا سَاوَى التَّلُّ قِيَّاهُ أَمَرَهُ فَأَذَّنَ<sup>(١)</sup>.

**\* وأما الثالث:** فحديثُ أَبِي قَتَادَةَ فِي نَوْمِهِمْ عَنْ صَلَاةِ الصُّبْحِ، فَإِنَّهُمْ حِينَ اسْتَيْقَظُوا مِنَ الشَّمْسِ، وَتَرَكُوا مَكَانَهُمْ نَزَلُوا، ثُمَّ أَدَّنَ بِلَالٌ<sup>(٢)</sup>. وَكُلُّ هَذَا دَاخِلٌ تَحْتَ قَوْلِهِ: «إِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ». **وَمِنْ فَوَائِدِ هَذَا الْحَدِيثِ:** أَنَّ الْأَذَانَ قَبْلَ الْوَقْتِ لَا يَصِحُّ؛ لِأَنَّ الصَّلَاةَ لَا تَحْضُرُ قَبْلَ دُخُولِ وَقْتِهَا.

**وَمِنْ فَوَائِدِ هَذَا الْحَدِيثِ:** أَنَّ الْأَذَانَ فَرَضٌ كَفَايَةٌ، وَلَيْسَ فَرَضٌ عَيْنٌ؛ لِقَوْلِهِ: «فَلْيُؤَذِّنْ لَكُمْ أَحَدُكُمْ». وَهَذَا شَيْءٌ مُجْمَعٌ عَلَيْهِ فَلَيْسَ كُلُّ النَّاسِ يُؤَذِّنُونَ بَلِ الَّذِي يُؤَذِّنُ وَاحِدٌ. **وَمِنْ فَوَائِدِ الْحَدِيثِ:** أَنَّهُ لَا بَدَأَ أَنْ يَرْفَعَ الْمُؤَذِّنُ صَوْتَهُ بِحَيْثُ يَسْمَعُهُ مَنْ أَدَّنَ لَهُ؛ لِقَوْلِهِ: «فَلْيُؤَذِّنْ لَكُمْ». فَلَوْ كَانَ النَّاسُ فِي نَاحِيَةٍ، وَخَفَضَ الْمُؤَذِّنُ صَوْتَهُ حَتَّى لَا يُسْمَعَ، فَإِنَّهُ لَا يُجْزِئُ، لَا بَدَأَ أَنْ يَسْمَعَ مَنْ تَحْصُلُ بِهِ الْجَمَاعَةُ.

**وَمِنْ فَوَائِدِ هَذَا الْحَدِيثِ:** أَنَّ مَتَابَعَةَ الْمُؤَذِّنِ لَا تَجِبُ، فَيَكُونُ مُبَيَّنًّا لِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ فَقُولُوا مِثْلًا يَقُولُ الْمُؤَذِّنُ»<sup>(٣)</sup>. وَأَنَّ هَذَا الْأَمْرَ لَيْسَ لِلْوُجُوبِ، وَلَكِنَّهُ لِلِاسْتِحْبَابِ؛ لِأَنَّهُ لَوْ كَانَتْ إِجَابَةُ الْمُؤَذِّنِ وَاجِبَةً لَبَلَّغَهُمُ الرَّسُولُ ﷺ حِينَ قَالَ: «فَلْيُؤَذِّنْ لَكُمْ أَحَدُكُمْ». وَقَالَ: «وَلْيَتَابَعَهُ مَنْ سَمِعَهُ»؛ لِأَنَّ الْمَقَامَ هُنَا مَقَامُ تَعْلِيمٍ؛ فَهَؤُلَاءِ وَفَدَّ يُرِيدُونَ يَذْهَبُوا بِالشَّرِيعَةِ مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

**وَمِنْ فَوَائِدِ هَذَا الْحَدِيثِ:** أَنَّ مَنْ قَامَ بِالْأَذَانِ كَانَ لَهُ أَجْرٌ، حَيْثُ أَدَّنَ لِإِخْوَانِهِ، وَلِنَفْسِهِ أَيْضًا، وَقَدْ اخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ أَيُّهُمَا أَفْضَلُ فَرَضُ الْعَيْنِ أَوْ فَرَضُ الْكَفَايَةِ؟<sup>(٤)</sup>.

وَالصَّحِيحُ: أَنَّ فَرَضَ الْعَيْنِ أَفْضَلُ؛ وَلِهَذَا أَوْجَبَهُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ، وَهُوَ أَفْضَلُ وَأَجَبُ إِلَى اللَّهِ.

واشربوا حتى ينادي ابن أم مكتوم

(١) رواه البخاري (٥٣٩)، ومسلم (٤٣١/١) (٦١٦) (١٨٤).

(٢) رواه مسلم (٤٧٢/١) (٦٨١) (٣١١).

(٣) رواه البخاري (٦١١)، ومسلم (٢٨٨/١) (٣٨٣) (١٠).

(٤) انظر: «القواعد والفوائد الأصولية» (١/١٨٨)، و«التمهيد» (١/٧٥).

**ومن فوائد هذا الحديث:** وجوب صلاة الجماعة؛ لقوله: «وَلْيُؤْمِّكُمْ أَكْبَرُكُمْ». ولا إمامة إلا بجماعة، فإذا كانت الإمامة واجبة، فما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

**ومن فوائد هذا الحديث:** تقديم الأكبر في الإمامة، لكن ما لم يُعَارِضْهُ وصفٌ أهمُّ، فالكبر وصفٌ مرجحٌ، ولكن إذا عورِض بوصفٍ أهمُّ، صار مرجوحاً، الوصفُ الأهمُّ ما ثبت عن النبي ﷺ في قوله: «يَوْمُ الْقَوْمِ أَقْرَوْهُمْ لِكِتَابِ اللَّهِ، فَإِنْ كَانُوا فِي الْقِرَاءَةِ سَوَاءً، فَأَعْلَمُهُم بِالسَّنَةِ، فَإِنْ كَانُوا فِي السَّنَةِ سَوَاءً فَأَقْدَمُهُمْ هَجْرَةً، فَإِنْ كَانُوا فِي الْمُهْجَرَةِ سَوَاءً فَأَقْدَمُهُمْ سِلْمًا» أو قال: سِنًا<sup>(١)</sup>.

فإذا قال قائلٌ: لماذا لم يُبَيَّنْ في هذا الحديث، وأنتم تقولون إن البيان في هذا الموضع مهم؛ لأن هؤلاء وفدٌ سيذْهَبُونَ بالشرعية؟

**قلنا:** لأنهم كانوا كما قال مالكٌ: شَبَّهَ مُتَقَارِبِينَ. وكان علمُهم متقارباً؛ لأنهم جاءوا جميعاً، ورجعوا جميعاً، فكان النبي ﷺ علماً بأنهم مُتَسَاوُونَ، أو متقاربون في القراءة والسنة، فقال: «وَلْيُؤْمِّكُمْ أَكْبَرُكُمْ».

**وفي هذا:** إشارة إلى مكان الإمام وأنه يكونُ أمام الناس لأن الإمام لا بدَّ له من تقدُّم، حتى يكونَ إماماً يُقْتَدَى به، ويُسْتَشْنَى من ذلك ما إذا كانوا اثنين، فإن الإمام يكونُ مع المأموم، وذلك لوجوبِ المُصَافَةِ؛ لأنه لا جماعة إلا باجتماع، فإذا كانوا اثنين وتقدَّم واحدٌ وتأخر واحدٌ، فهل في هذا اجتماعٌ؟

**الجواب:** لا. وإذا كانوا جميعاً اثنين، فإنها يتساويان في الصفِّ، خلافاً لمن استحبَّ أن يتقدَّم الإمام شيئاً يسيراً، فإن هذا خلاف السنة، والسنة هي تسوية الصفوف.



ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٢٤٧- حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، عَنْ يَحْيَى، عَنْ التَّيْمِيِّ، عَنْ أَبِي عَثْمَانَ، عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يَمْنَعَنَّ أَحَدُكُمْ أَذَانِ بِلَالٍ مِنْ سَخَوْرِهِ؛ فَإِنَّهُ يُؤَذِّنُ» - أَوْ قَالَ بُنَادِي - بَلِيلٍ لِيَرْجِعَ قَائِمَكُمْ وَيُنَبِّهَ نَائِمَكُمْ، وَلَيْسَ النَّجْرُ أَنْ يَقُولَ هَكَذَا. وَجَمَعَ يَحْيَى كَثِيرَهُ حَتَّى يَقُولَ



هَكَذَا، وَمَدَّ يَحْيَىٰ إَصْبَعِيهِ السَّبَّابَتَيْنِ <sup>(١)</sup>.

**الشاهد من هذا:** أن الرسول ﷺ اعتبر خبر الواحد؛ لأنه قال ﷺ: «لَا يَمْنَعَنَّ أَحَدُكُمْ أَذَانَ بِلَالٍ مِنْ سَحُورِهِ». فدل ذلك على أن المؤذن يُقْبَلُ قوله، فيُمنَعُ من السحور أو لا يُمنَعُ. **وفي هذا الحديث:** دليلٌ على ردِّ قول بعض العلماء: إن صلاة الفجر يُؤذَّنُ لها قبل الوقت، كما أن ذلك في الحديث الأول أيضًا؛ وهو الحديث الذي قبل حديث مالك؛ لأن النبي ﷺ بين الحكمة من أذان بلال وقال: «لِيُرْجَعَ قَائِمُكُمْ، وَيُنَبَّهَ نَائِمُكُمْ»، فليس هو لصلاة الفجر، بل هو لهذا الغرض.

**وفيه:** دليلٌ أيضًا على خطأ من فهم من قول الرسول ﷺ لبلال: «إِذَا أَذَنْتَ أَذَانَ الصُّبْحِ الْأَوَّلِ فَقُلْ: الصَّلَاةُ خَيْرٌ مِنَ النَّوْمِ» <sup>(٢)</sup> حيث إن قوله: «الصَّلَاةُ خَيْرٌ مِنَ النَّوْمِ» إنما تُقَالُ في الأذان الذي في آخر الليل؛ لأننا نقول: هذا ليس أذانًا لصلاة الصبح، هذا أذانٌ لإرجاع القائم وتنبية النائم، قالوا: وَيَدُلُّ لِقَوْلِنَا أَنَّهُ قَالَ: الصَّلَاةُ خَيْرٌ مِنَ النَّوْمِ، والخيرية في المستحب.

**فهؤلاء نقول لهم:** هذا خطأ وجهل، فالخيرية جاءت بأصل الإيذان، وفرائض الإسلام، قال الله تعالى: ﴿تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لِّكُمْ﴾ [التوبة: ١١]. وذلك المشاؤون إليه هو الإيذان والجهاؤ، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكَ خَيْرٌ لِّكُمْ﴾ [الجمعة: ٩]. وهي فريضة من فرائض الإسلام.

فلهذا لا شك أن هذا القول خطأ؛ أي: قولهم: إن الذي يُشْرَعُ فيه قول: الصلاة خيرٌ من النوم. هو الأذان الذي في آخر الليل، وليس لهم دليلٌ إلا أنهم قالوا: الأذان الأول. ولكن الأذان الأول هو الذي ثانيه الإقامة، فإن الإقامة يُطْلَقُ عليها الأذان كما في الحديث: «بين كل أذانين صلاة» <sup>(٣)</sup>. وكما في صحيح البخاري قال: «فَرَادَ عَثْمَانُ الْأَذَانَ الثَّلَاثَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ» <sup>(٤)</sup>.

(١) رواه مسلم (٧٦٨/٢) (١٠٩٣) (٣٩).

(٢) رواه أحمد (٤٠٨/٣) (١٥٣٧٩)، وأبو داود (٥٠٠)، وابن حبان (١٦٨٢)، وصححه الشيخ الألباني كما في تعليقه على السنن.

(٣) رواه البخاري (٦٢٤)، ومسلم (٥٧٣/١) (٨٣٨) (٣٠٤).

(٤) رواه البخاري (٩١٣).

ومعلوم أن يوم الجمعة ليس فيها ثلاث أذانات، بل فيه أذانان وإقامة.

**مسألة:** السؤال عن أذان آخر الليل قبل دخول وقت الفجر؟

**الجواب:** ظهر السنة في هذا الأذان أنه في رمضان فقط، ولكن ذهب بعض العلماء إلى أنه يُشرع حتى في غير رمضان؛ لأن الرسول ﷺ عُلِّلَ بعلتين:

**الأولى:** إرجاع القائم<sup>(١)</sup>.

**والثانية:** تنبيه النائم. وهذا يكون في كل ليلة لمن أراد أن يصوم، ومن لم يصم ففيه التنبيه؛ أي: تنبيه النائم.

ومن المعلوم أن هناك فجرين: فجرًا صادقًا، وفجرًا كاذبًا، وبينهما ثلاثة فروق:

**الفرق الأول:** أن الفجر الصادق يتسع شمالًا وجنوبًا، والكاذب يذهب مستطيلًا في الأفق طولًا من الشرق إلى الغرب، وذاك من الجنوب إلى الشمال، فالصادق مستطير، والكاذب مستطيل.

**الفرق الثاني:** أن الفجر الكاذب بينه وبين الأفق ظلمة؛ يعني: النور فيه لا يتصل بالأفق، والصادق يتصل بالأفق.

**الفرق الثالث:** أن الكاذب يزول ويحدث بعده ظلمة، ولهذا سمي كاذبًا والصادق لا يزول، بل لا يزال يزداد ضياءً حتى تطلع الشمس.

فإذا قال قائل: هل يستدل بهذا الحديث على أن قيام الليل ينتهي بالأذان الذي في آخر الليل؟

**الجواب:** أنه لا يدل على هذا، ولكن يدل على أنه ينبغي تأخير السحور بعد القيام، وأن الأفضل لمن أراد أن يصوم أن يكف عن القيام من أجل السحور، والراجع في قيام الليل أنه ينتهي إلى الفجر، لكن الأفضل منه ثلث الليل بعد النصف، فينام النصف الأول، ثم يقوم الثلث، ثم ينام السدس.



ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٢٤٨ - حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ مُسْلِمٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ دِينَارٍ، قَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا - عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ بِلَالًا يُنَادِي بِلَيْلٍ

(١) انظر: «المبدع» لابن مفلح (١/ ٣٢٥).



فَكُلُّوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يُنَادِيَ ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ<sup>(١)</sup>.

**هذا الحديث:** كالأول، إلا أنه أصرح في أن أذان المؤذن يجب العمل به في الامتناع عن الأكل والشرب، وكان ابن أم مكتوم رجلاً أعمى لا يؤذن حتى يقال له: أَصْبَحْتَ أَصْبَحْتَ<sup>(٢)</sup>، ثم يقوم فيؤذن.

**وفي هذا:** دليل على خطأ اجتihad بعض الناس المتعمقين المتنتهين الذين يؤذنون في رمضان للفجر قبل دخول الوقت، زعموا أن ذلك حماية للصوم، واحتياط للصوم، وهذا ليس احتياطاً للصوم، فالمشروع في الصوم أن تتسحر إلى طلوع الفجر.

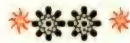
ثم على زعمك أنه احتياط للصوم، ففيه تفریط في الصلاة؛ لأن من سمع النداء فربما يقوم فيصلي، فيكون قد صلى قبل الوقت، ثم إن فيه جناية على عباد الله؛ لأنك تمنعهم مما أحل الله لهم إلى الفجر، فإن أكثر الناس إذا سمعوا النداء أمسكوا، بل رأيت في بعض التقاويم يكتب الوقت كذا للإمساك، وكذا طلوع الفجر، ويجعل بين الإمساك وطلوع الفجر خمس دقائق، أو نحوها، وهذا لا شك أنه من المضادة لحكم الله، فكيف يقول الله ﷻ: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَبَيِّنَ لَكُمُ الْآيَةُ﴾ [البقرة: ١٨٧]. وأنت تقول: كل واشرب حتى يبقى خمس دقائق، ونحوها؟ ولكن هلك المتنتهون.



ثُمَّ قَالَ الْبَخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٢٤٩ - حَدَّثَنَا حَفْصُ بْنُ عُمَرَ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ الْحَكَمِ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ عَلْقَمَةَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: صَلَّى بِنَا النَّبِيِّ ﷺ الظُّهْرَ خَمْسًا، فَقِيلَ: أَزِيدُ فِي الصَّلَاةِ؟ قَالَ: «وَمَا ذَاكَ» قَالُوا: صَلَّيْتَ خَمْسًا. فَسَجَدَ سَجْدَتَيْنِ بَعْدَ مَا سَلَّمَ<sup>(٣)</sup>.

○ فهنا كلمة «قالوا» يُحتمل أن القائل واحد، ويُحتمل أنه أكثر فليس في الحديث ما يدل على قبول خبر الواحد في مثل هذه المسألة.



(١) رواه مسلم (٧٦٨/٢) (١٠٩٢) (٣٦).

(٢) رواه البخاري (٦١٧).

(٣) رواه مسلم (٤٠١/١) (٥٧٢) (٩١).

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ كَحَلَّتْهُ:

٧٢٥٠ - حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ، حَدَّثَنِي مَالِكٌ، عَنْ أَبِي بَرْزَةَ، عَنْ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، انْصَرَفَ مِنْ اثْنَتَيْنِ، فَقَالَ لَهُ ذُو الْيَدَيْنِ: أَقْصَرْتَ الصَّلَاةَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَمْ نَسِيتَ؟ فَقَالَ: «أَصَدَقَ ذُو الْيَدَيْنِ»، فَقَالَ النَّاسُ: نَعَمْ. فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَصَلَّى رَكَعَتَيْنِ آخَرَتَيْنِ، ثُمَّ سَلَّمَ، ثُمَّ كَبَّرَ، ثُمَّ سَجَدَ مِثْلَ سُجُودِهِ أَوْ أَطْوَلَ، ثُمَّ رَفَعَ، ثُمَّ كَبَّرَ فَسَجَدَ مِثْلَ سُجُودِهِ ثُمَّ رَفَعَ<sup>(١)</sup>.

هنا استدلل بعض العلماء؛ أي: بهذا الحديث على أنه لا يرجع إلى قول الواحد؛ لأن النبي ﷺ لم يرجع إلى قول ذي اليدين حتى سأل الصحابة<sup>(٢)</sup>، ولكن لا دليل فيه؛ لأن عند النبي ﷺ يقيناً - في ظنه - أنه لم ينقص، ودليل ذلك أنه لما قال له ذو اليدين: أنسيته أم قصرت الصلاة؟ قال: لم أنس ولم تقصر.

وهذا يدل على أن عنده يقيناً في أنه لم ينس، فإذا كان عند الإنسان يقيناً، وحديثه أحد بخلاف يقينه، فلا بد من ترجيح، فلهذا سأل الصحابة، فلما وافقوا ذا اليدين أتم الصلاة.

**وفي هذا الحديث:** أن سجود السهو يكون بعد السلام؛ لأن هذه زيادة، وسجود السهو إنما يكون في الزيادة بعد السلام.

فلو قال قائل: هذه ليست زيادة، بل هي نقص؟

**قلنا:** بل هي زيادة؛ لأن الإنسان سلم؛ أي: أتى بركن في غير محله، وعليه فيكون مطابقاً لما دل عليه حديث ابن مسعود الذي قبله، بأن سجود السهو للزيادة يكون بعد السلام. وهناك أيضاً مسألة أخرى يكون سجود السهو فيها بعد السلام: وهي ما إذا شك في عدد الركعات، وترجع عنده أحد الأمرين، فإنه يأخذ بالراجح ويتم عليه، ويسجد بعد السلام، كما لو شك هل صلى ثلاثاً أم اثنتين، وترجع عنده أنها اثنتان، فإنه يكمل على الثنتين ويسلم، ويسجد بعد السلام.

أما الذي قبل السلام ففي موضعين:

**الموضع الأول:** إذا نقص واجب من واجبات الصلاة، أو شك مع التردد وعدم

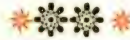
(١) رواه مسلم (٤٠٣/١) (٥٧٣) (٩٧).

(٢) انظر: «الأحكام للأمدى» (٧٩/٢)، و«المحصول» (٦٠١/٤)، و«المستصفى» (١٢٢/١)، و«روضة الناظر» (١١٠/١).



الترجيح، فإذا نقص واجبٌ من واجبات الصلاة كالشهاد الأول، أو قول سبحان ربِّي الأعلى فإن صلاته صحيحةٌ، ويسجد قبل السلام.

**والموضع الثاني:** إذا شكَّ مع التردد، فإنه يبنى على اليقين وهو الأقل، وسجد قبل السلام. فصار السجود قبل السلام في موضعين، والسجود بعد السلام في موضعين.



ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٢٥١ - حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ، حَدَّثَنِي مَالِكٌ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دِينَارٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، قَالَ: بَيْنَا النَّاسُ بَقِيَاءَ فِي صَلَاةِ الصُّبْحِ إِذْ جَاءَهُمْ آتٍ فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ أُنْزِلَ عَلَيْهِ اللَّيْلَةُ قُرْآنٌ، وَقَدْ أُمِرَ أَنْ يَسْتَقْبِلَ الْكَعْبَةَ فَاسْتَقْبِلُوهَا وَكَانَتْ وُجُوهُهُمْ إِلَى الشَّامِ فَاسْتَدَارُوا إِلَى الْكَعْبَةِ <sup>(١)</sup>.

٧٢٥٢ - حَدَّثَنَا يَحْيَى، حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، عَنْ إِسْرَائِيلَ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ الْبَرَاءِ، قَالَ: لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ صَلَّى نَحْوَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ سِتَّةَ عَشَرَ أَوْ سَبْعَةَ عَشَرَ شَهْرًا وَكَانَ يُحِبُّ أَنْ يُوجَّهَ إِلَى الْكَعْبَةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ قَدْ رَأَى نَفْلَهُ وَجْهَكَ فِي السَّمَاوَاتِ فَلَوْلَيْسَتْكَ قِبْلَةً رَضَاهَا ﴾ [البقرة: ١٤٤]. فَوُجَّهَ نَحْوَ الْكَعْبَةِ وَصَلَّى مَعَهُ رَجُلٌ الْعَصْرَ، ثُمَّ خَرَجَ فَمَرَّ عَلَى قَوْمٍ مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَالَ: هُوَ يَشْهَدُ أَنَّهُ صَلَّى مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَأَنَّهُ قَدْ وَجَّهَ إِلَى الْكَعْبَةِ فَانْحَرَفُوا وَهُمْ رُكُوعٌ فِي صَلَاةِ الْعَصْرِ <sup>(٢)</sup>.

هذا كالأول فيه دليل على قبول خبر الواحد.

**وفي هذين الحديثين:** أن المسألة وقعت في قضيتين: في صلاة العصر، وفي صلاة الفجر.

**أما التي في صلاة العصر:** فإنهم لم يفتهم إلا صلاة واحدة فقط؛ لأن هذا الرجل صلى مع النبي ﷺ العصر، وكانت أول صلاة صلاها إلى القبلة هي صلاة العصر.

**والقضية الثانية:** أن أهل قباء لم يأتهم الخبر إلا في صباح اليوم الثاني، فكانوا يُصَلُّونَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ؛ لأن النبي ﷺ أول ما قَدِمَ المدينة كان يُصَلِّي إلى بيت المقدس؛ لقول الله

(١) رواه مسلم (٣٧٥/١) (٥٢٦) (١٣).

(٢) رواه مسلم (٣٧٤/١) (٥٢٥) (١١).

تعالى: ﴿أَوَلَيْكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَيُهْدِهُمْ أَفْتَدُهُ﴾ [الأنعام: ٩٠]. وكان اليهود يُصَلُّونَ إلى بيت المقدس، هكذا زعم بعض العلماء، ولكنَّ الصحيح أن اتجاة الأنبياء في صلاتهم إلى الكعبة، وأن الصلاة إلى بيت المقدس من تحريف اليهود، كما أن الصلاة إلى المشرق من تحريف النصارى، وإلا فإن الكعبة قبله لجميع الأنبياء، كما قال ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: وأنها ليست قبله للمسلمين فقط.

**وفي هذا:** دليل على أن الإنسان إذا صَلَّى إلى غير جهة القبلة، ثم تبين له أن اتجاهه خطأ، وجب عليه أن يَنْحَرِفَ إلى الكعبة، ولا يُلْزَمُهُ إعادة الصلاة من الأول، فإذا كُنْتَ مثلاً في صحراء تُصَلِّي إلى جهة ما، ثم علمت أنك أخطأت، فإنك يجب أن تَنْحَرِفَ، لكن إذا دَخَلْتَ في مسجدنا هذا، وصَلَّيتَ إلى غير القبلة وراك أحد الناس، وقال: القبلة على يمينك، فهل تبني على ما سبق وتَسْتَأْنِفُ الصلاة من جديد؟

**الجواب:** أنك تَسْتَأْنِفُ الصلاة من جديد؛ لأنك هنا مفرط، فلو تأملت بعض الشيء لعرفت القبلة.



ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللهُ:

٧٢٥٣ - حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ قَزَعَةَ، حَدَّثَنِي مَالِكٌ، عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: كُنْتُ أَسْقِي أَبَا طَلْحَةَ الْأَنْصَارِيَّ وَأَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الْجَرَّاحِ وَأَبِي بَكْرٍ كَعْبَ شَرَابًا مِنْ فُضِيخٍ وَهُوَ تَمْرٌ، فَبَجَاءَهُمْ أَبِي فَقَالَ: إِنَّ الْخَمْرَ قَدْ حَرَّمْتُ، فَقَالَ أَبُو طَلْحَةَ: يَا أَنَسُ قُمْ إِلَى هَذِهِ الْجَرَّارِ فَاكْبِرْهَا، قَالَ أَنَسُ: فَقُمْتُ إِلَى مَهْرَاسٍ لَنَا فَضَرَبْتُهَا بِأَسْفَلِهِ حَتَّى انْكَسَرَتْ<sup>(١)</sup>.

**الشاهد من هذا الحديث:** أنهم عَمِلُوا بخبر الواحد في أن الخمر قد حُرِّمَتْ، وكانت في الأول مباحة، وقد ذَكَرَ العلماء أن الخمر لها أَرْبَعُ حالات: الإباحة، والتعريض بالتحريم، والتحريم في أوقات الصلاة، والتحريم المطلق<sup>(٢)</sup>.

(١) انظر: «مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ» (٢٧/ ١١).

(٢) رواه مسلم (١٥٧٢/ ٣) (١٩٨٠) (٩).

(٣) انظر: «تفسير الطبري» (٢/ ٣٦١)، و«تفسير القرطبي» (٦/ ٢٨٦).



**أَمَّا الْإِبَاحَةُ:** ففي قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ لَتَتَخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا﴾ [النَّحْلُ: ٦٧].

**وَأَمَّا التَّعْرِيفُ بِالْتَّحْرِيمِ:** ففي قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْتَفِعٌ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا﴾ [النِّسَاءُ: ٢١٩].

وَأَمَّا التَّحْرِيمُ فِي أَوْقَاتِ الصَّلَاةِ: ففي قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَىٰ حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾ [النِّسَاءُ: ٤٣]. أي: حتى يزول السُّكْرُ منكم.

**وَأَمَّا التَّحْرِيمُ الْمَطْلُوقُ:** ففي سورة المائدة في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ ١٠ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْهَوْنَ ١١﴾ [النِّسَاءُ: ٩٠-٩١].

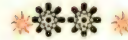
فهنا عمل هؤلاء الثلاثة: أبو طلحة، وأبو عبيدة، وأبي بن كعب بخبر الواحد وأمر أبو طلحة أن يكسِرَ الجِرَارَ من باب سدِّ الذرائع، حتى لا تتعلَّق النفس بهذه الجِرَارِ التي تُعدُّ للخمر.



ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٢٥٤ - حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ صِلَةَ، عَنْ حُذَيْفَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لِأَهْلِ تَجْرَانَ: لَا بَيْعَ إِلَيْكُمْ رَجُلًا أَمِينًا حَقَّ أَمِينٍ فَاسْتَشَرَفَ لَهَا أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ فَبَعَثَ أَبَا عُبَيْدَةَ ١.

وهذا: يدلُّ على قبول خبر الواحد.



ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٢٥٥ - حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ خَالِدٍ، عَنْ أَبِي قَلَابَةَ، عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لِكُلِّ أُمَّةٍ أَمِينٌ وَأَمِينُ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَبُو عُبَيْدَةَ» ١.

٧٢٥٦ - حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ، عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ، عَنْ عُبَيْدِ بْنِ

(١) رواه مسلم (٤/١٨٨٢) (٢٤٢٠) (٥٥).

(١١) رواه مسلم (٤/١٨٨١) (٢٤١٩) (٥٣).

حُسَيْنٍ، عَنْ أَبِي عَبَّاسٍ، عَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: وَكَانَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ إِذَا غَابَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَشَهِدَتْهُ آتِيَتْهُ بِمَا يَكُونُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَإِذَا غِيبَتْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَشَهِدَهُ أَنَا نِي بِمَا يَكُونُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ <sup>(١)</sup>.

هذا أيضًا فيه: قبول خبر الواحد؛ لأنه وقع في عهد النبي ﷺ ولم يُنكر.

وفي هذا دليل: على التناوب في العلم؛ يعني: أن واحدًا يُتوب عن الآخر في حلقة من الحلقات أو في وقت من الأوقات إما في الزمان، وإما في المكان.

في الزمان: مثل أن يقول: أحضر درس الشيخ في الصباح، وأنا أحضره في المساء.

وفي المكان: مثل أن يقول: أحضر درس الشيخ الفلاني في المكان الفلاني، وأنا أحضر درس الشيخ الفلاني في المكان الفلاني، وكل واحد منا يُخبر الآخر بما سمع، فالتناوب في العلم كان في عهد الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ كما كان عمر عاهد الرجل الأنصاري.

أما بالنسبة لتفضيل أبي عبيدة في الحديث السابق، وأنه أمين هذه الأمة، فهل يدل هذا على أنه أفضل من الخلفاء الراشدين؟

الجواب: أن التفضيل نوعان: تفضيل مطلق، وتفضيل في قضية معينة.

فالفضل المطلق لا شك أنه للخلفاء الراشدين، وقد يمتاز بعض الناس بخصيصة لا تحصل للخلفاء الراشدين، مثل هذا الحديث، ومثل قول الرسول ﷺ: «لَأُعْطِينَ الرَّايَةَ رَجُلًا يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، ثُمَّ أُعْطَاهَا عَلِيًّا» <sup>(٢)</sup> فالفضائل في خصيصة واحدة لا تستلزم الفضل المطلق.



ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

٧٢٥٧ - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، حَدَّثَنَا غُنْدَرٌ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ زَيْدٍ، عَنْ سَعْدِ بْنِ عُبَيْدَةَ، عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَعَثَ جَيْشًا وَأَمَرَ عَلَيْهِمْ رَجُلًا فَأَوْقَدَ نَارًا وَقَالَ: ادْخُلُوهَا، فَأَرَادُوا أَنْ يَدْخُلُوهَا، وَقَالَ آخَرُونَ: إِنَّمَا قَرَرْنَا مِنْهَا، فَذَكَّرُوا لِلنَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ لِلَّذِينَ أَرَادُوا أَنْ يَدْخُلُوهَا: لَوْ دَخَلُوهَا لَمْ يَزَالُوا فِيهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَقَالَ لِلآخَرِينَ: لَا طَاعَةَ

(١) رواه مسلم (١١٠٨/٢) (١٤٧٩) (٣١) مطوّلًا.

(٢) تقدم تخريجه.



فِي مَعْصِيَةِ إِنْهَا الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ <sup>(١)</sup>.

❦ قوله: «لا طاعة في المعصية» لأنهم لو فعلوا قتلوا أنفسهم، وقتل النفس معصية، وكذلك لو أمرهم بشرب خمر، أو بترك صلاة الجماعة، أو أمرهم بحلق اللحية، فكل هذا لا يجوز أن يطاع فيه؛ لأن الطاعة في المعروف فقط.

ومناسبة الحديث للباب: أن الرسول أمر عليهم رجلاً وهو واحد.



ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رحمه الله:

٧٢٥٨، ٧٢٥٩ - حَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، حَدَّثَنَا أَبِي، عَنْ صَالِحٍ، عَنْ ابْنِ شِهَابٍ، أَنَّ عُبَيْدَ اللَّهِ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ، أَخْبَرَهُ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ، وَزَيْدَ بْنَ خَالِدٍ، أَخْبَرَاهُ أَنَّ رَجُلَيْنِ اخْتَصَمَا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ <sup>(١)</sup>.

٧٢٦٠ - حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ، أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، عَنْ الزُّهْرِيِّ، أَخْبَرَنِي عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ بْنِ مَسْعُودٍ، أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ قَالَ: بَيْنَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذْ قَامَ رَجُلٌ مِنَ الْأَعْرَابِ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَقْضِ لِي بَكْتَابِ اللَّهِ، فَقَامَ خَصْمُهُ فَقَالَ: صَدَقَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَقْضِ لَهُ بِكِتَابِ اللَّهِ وَأَذِنَ لِي فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «قُلْ». فَقَالَ: إِنَّ ابْنِي كَانَ عَسِيفًا عَلَى هَذَا - وَالْعَسِيفُ: الْأَجِيرُ - فَرَزَنِي بِأَمْرَاتِهِ فَأَخْبَرُونِي أَنَّ عَلَى ابْنِي الرَّجْمَ، فَأَفْتَدَيْتُ مِنْهُ بِأَتَاةٍ مِنَ الْغَنَمِ وَوَلِيدَةٍ ثُمَّ سَأَلْتُ أَهْلَ الْعِلْمِ فَأَخْبَرُونِي أَنَّ عَلَى أَمْرَاتِهِ الرَّجْمَ، وَأَنَّمَا عَلَى ابْنِي جَلْدٌ مِائَةٌ وَتَغْرِيْبٌ عَامٌ، فَقَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا قُضِيَ بَيْنَكُمَا بِكِتَابِ اللَّهِ، أَمَّا الْوَلِيدَةُ وَالْغَنَمُ فَرُدُّوهَا وَأَمَّا ابْنُكَ فَعَلَيْهِ جَلْدٌ مِائَةٌ وَتَغْرِيْبٌ عَامٌ، وَأَمَّا أَنْتَ يَا أُنَيْسُ - لِرَجُلٍ مِنْ أَسْلَمَ - فَاغْدُ عَلَى أَمْرَأَةٍ هَذَا فَإِنْ اعْتَرَفَتْ فَارْجُمْهَا» فَقَدَا عَلَيْهَا أُنَيْسٌ فَاعْتَرَفَتْ فَارْجَمَهَا <sup>(٢)</sup>.

هذا الحديث: سبق لنا، وبيّنا أنه يدلُّ على عدم تكرار الإقرار بالزنا إذا لم يكن هناك ريبة، ووجه مناسبة للباب أنه اعتمد على رجل واحد، كما اعتمد على بعث أبي عبيدة، ومعاذ بن جبل.

(١) رواه مسلم (٣/١٤٦٩) (١٨٤٠) (٣٩).

(٢) رواه مسلم (٣/١٣٢٤) (١٦٩٧، ١٦٩٨) (٢٥) مطوّلًا.

(٢) رواه مسلم (٣/١٣٢٤) (١٦٩٧، ١٦٩٨) (٢٥).

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

## ٢- بَابُ بَعْثِ النَّبِيِّ ﷺ الزَّبِيرَ طَلِيعَةً وَحَدَهُ.

٧٢٦١ - حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، حَدَّثَنَا ابْنُ الْمُنْكَدِرِ، قَالَ: سَمِعْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: تَدَبَّ النَّبِيُّ ﷺ النَّاسَ يَوْمَ الْخَنْدَقِ فَانْتَدَبَ الزَّبِيرَ ثُمَّ تَدَبَّهُمْ. فَانْتَدَبَ الزَّبِيرَ، ثُمَّ تَدَبَّهُمْ فَانْتَدَبَ الزَّبِيرَ، فَقَالَ: «لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوَارِيٌّ وَحَوَارِيُّ الزَّبِيرِ»<sup>(١)</sup>. قَالَ سُفْيَانُ: حَفِظْتُهُ مِنْ ابْنِ الْمُنْكَدِرِ، وَقَالَ لَهُ أَيُّوبُ: يَا أَبَا بَكْرٍ، حَدَّثْتَهُمْ عَنْ جَابِرٍ فَإِنَّ الْقَوْمَ يُعْجِبُهُمْ أَنْ تُحَدِّثَهُمْ عَنْ جَابِرٍ، فَقَالَ فِي ذَلِكَ الْمَجْلِسِ: سَمِعْتُ جَابِرًا افْتَنَعَ بَيْنَ أَحَادِيثَ: سَمِعْتُ جَابِرًا، قُلْتُ لِسُفْيَانَ: فَإِنَّ الثَّوْرِيَّ يَقُولُ: يَوْمَ قُرَيْظَةَ، فَقَالَ: كَذَا حَفِظْتُهُ مِنْهُ كَمَا أَنَّكَ جَالِسٌ يَوْمَ الْخَنْدَقِ. قَالَ سُفْيَانُ: هُوَ يَوْمٌ وَاحِدٌ، وَتَبَسَّمَ سُفْيَانُ.

الشَّاهِدُ قَوْلُهُ: انْتَدَبَ الزَّبِيرَ، وَهُوَ وَاحِدٌ، وَرَضِيَهُ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يَأْتِيَ بِخَبَرِ الْقَوْمِ. وَيَوْمُ الْخَنْدَقِ أَوْ يَوْمَ قُرَيْظَةَ، يُعْبَرُ بِيَعْنِيهِمَا عَنْ بَعْضٍ؛ لِأَنَّ قُرَيْظَةَ مُتَّصِلَةٌ بِالْخَنْدَقِ، فَإِنَّ الرَّسُولَ ﷺ لَمَّا رَجَعَ مِنَ الْخَنْدَقِ وَوَضَعَ لَأُمَّتَهُ، جَاءَهُ جَبْرِيلُ وَأَمَرَهُ أَنْ يَخْرُجَ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ<sup>(٢)</sup>.



ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

## ٣- بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾ [الْأَنْعَامُ: ٥٣]. فَإِذَا أُذِنَ وَاحِدٌ جَاز.

٧٢٦٢ - حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ، عَنْ أَيُّوبَ، عَنْ أَبِي عَثْمَانَ، عَنْ أَبِي مُوسَى، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ حَائِطًا، وَأَمَرَنِي بِحِفْظِ الْبَابِ، فَجَاءَ رَجُلٌ يَسْتَأْذِنُ فَقَالَ: «أُذِنَ لَهُ وَيَسْرُهُ بِالْجَنَّةِ»، فَإِذَا أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ جَاءَ عُمَرُ فَقَالَ: «أُذِنَ لَهُ وَيَسْرُهُ بِالْجَنَّةِ»، ثُمَّ جَاءَ عَثْمَانُ فَقَالَ: «أُذِنَ لَهُ وَيَسْرُهُ بِالْجَنَّةِ»<sup>(١)</sup>.

٧٢٦٣ - حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ بِلَالٍ، عَنْ يَحْيَى، عَنْ عَبْدِ بْنِ

(١) رواه مسلم (٤/١٨٧٩) (٢٤١٥) (٤٨).

(٢) رواه البخاري (٤١٢٢)، ومسلم (٣/١٣٨٩) (١٧٦٩) (٦٥).

(٢) رواه مسلم (٤/١٨٦٧) (٢٤٠٣) (٢٨).



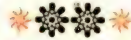
حَنِينٌ، سَمِعَ ابْنَ عَبَّاسٍ، عَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: جِئْتُ فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي مَشْرَبَةٍ لَهُ، وَغَلَامٌ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَسْوَدُ عَلَى رَأْسِ الدَّرَجَةِ، فَقُلْتُ: قُلْ هَذَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، فَأَذِنَ لِي <sup>(١)</sup>.

مع أن البيت يكون فيه الأهل، ويكون فيه الأموال، ومع ذلك يُقبل فيه الرجل الواحد إذا أذن له. فإذا قال قائل: هل قول البخاري: رجل المقصود به البالغ؟  
الجواب: لا، ما أراد هذا، فلو أذن له واحدٌ جاز وما عندنا رجلٌ والمردُّ بالحائطِ البستان الذي عليه حائطٌ.



ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٤- باب مَا كَانَ يَبْعَثُ النَّبِيُّ ﷺ مِنَ الْأَمْراءِ وَالرُّسُلِ وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ.  
وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ دُحْيَةَ الْكَلْبِيِّ بِكِتَابِهِ إِلَى عَظِيمٍ بَصْرِيٍّ أَنْ يَدْفَعَهُ إِلَى قَيْصَرَ <sup>(٢)</sup>.



ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٢٦٤- حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ بُكَيْرٍ، حَدَّثَنَا اللَّيْثُ، عَنْ يُونُسَ، عَنْ ابْنِ شِهَابٍ، أَنَّهُ قَالَ: أَخْبَرَنِي عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ، أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ، أَخْبَرَهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَعَثَ بِكِتَابِهِ إِلَى كِسْرَى فَأَمَرَهُ أَنْ يَدْفَعَهُ إِلَى عَظِيمِ الْبَحْرَيْنِ يَدْفَعُهُ عَظِيمُ الْبَحْرَيْنِ إِلَى كِسْرَى، فَلَمَّا قَرَأَهُ كِسْرَى مَرَّقَهُ، فَحَبِثَ أَنَّ ابْنَ الْمُتَيْبِ، قَالَ: فَدَعَا عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يُمَزَّقُوا كُلُّ مُمَزَّقٍ. فَمَزَّقُوا - والله الحمد - كُلَّ مُمَزَّقٍ.



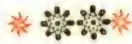
(١) رواه مسلم (١١٠٦/٢) (١٤٧٩) (٣٠).

(٢) علقه البخاري بصيغة الجزم كما في «الفتح» (٢٤١/١٣) وأسنده المصنف في العلم باب (٣٨) حديث (٥١) مختصرًا وعدة مواضع عنه من حديث عبيد الله بن عبد الله، عن ابن عباس. وانظر: «تغليق التعليق» (٣١٧/٥).

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٢٦٥ - حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، حَدَّثَنَا يَحْيَى، عَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي عُبَيْدٍ، حَدَّثَنَا سَلَمَةُ بْنُ الْأَكْوَعِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لِرَجُلٍ مِنْ أَسْلَمَ: أَذْنُ فِي قَوْمِكَ أَوْ فِي النَّاسِ يَوْمَ عَاشُورَاءَ أَنْ مَنْ أَكَلَ فَلَيْتَمَ بَقِيَّةُ يَوْمِهِ وَمَنْ لَمْ يَكُنْ أَكَلَ فَلْيَصُمْ<sup>(١)</sup>.

الشاهد من الحديث قوله: لرجل من أسلم أذن في قومك.



ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٥ - بَابُ وَصَاةِ النَّبِيِّ ﷺ وَفُودِ الْعَرَبِ أَنْ يُبْلَغُوا مَنْ وَرَاءَهُمْ قَالَهُ مَالِكُ بْنُ الْحُوَيْرِثِ<sup>(٢)</sup>.

٧٢٦٦ - حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ الْحَجَّادِ، أَخْبَرَنَا شُعْبَةُ، وَحَدَّثَنِي إِسْحَاقُ، أَخْبَرَنَا النَّضْرُ، أَخْبَرَنَا شُعْبَةُ، عَنْ أَبِي جَمْرَةَ، قَالَ: كَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ يُقْعِدُنِي عَلَى سَرِيرِهِ، فَقَالَ: إِنَّ وَقْدَ عَبْدِ الْقَيْسِ لَمَّا أَتَوْا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ الْوَقْدُ». قَالُوا: رَيْبَةُ، قَالَ: «مَرْحَبًا بِالْوَقْدِ وَالْقَوْمِ غَيْرِ خَزَايَا وَلَا نَدَامَى»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ كِفَارٌ مُضَرٌّ فَمُرْنَا بِأَمْرٍ نَدْخُلُ بِهِ الْجَنَّةَ وَنُخْرِجَ بِهِ مَنْ وَرَاءَنَا، فَسَأَلُوا عَنِ الْأَشْرِيَّةِ فَنَهَاهُمْ عَنْ أَرْبَعٍ، وَأَمَرَهُمْ بِأَرْبَعٍ.

أَمَرَهُمْ: بِالْإِيمَانِ بِاللَّهِ، قَالَ: «هَلْ تَدْرُونَ مَا الْإِيمَانُ بِاللَّهِ؟». قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَغْلَمُ، قَالَ: «شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَأَطْنُ فِيهِ صِيَامَ رَمَضَانَ، وَتَوَاتُوا مِنَ الْمَغَانِمِ الْخُمْسَ وَنَهَاهُمْ عَنِ الدَّبَائِ، وَالْحَتَمِ، وَالْمَرْفَقِ، وَالنَّقِيرِ، وَرَبَا قَالَ الْمُقْبِرُ قَالَ: احْفَظُوهُمْ وَأَبْلِغُوهُمْ مَنْ وَرَاءَكُمْ»<sup>(٣)</sup>.

في هذا الحديث: دليل على أن الأعمال من الإيمان؛ لأن النبي ﷺ قال: «أتدرون ما الإيمان؟» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: شهادة أن لا إله إلا الله... إلى آخره.

(١) رواه مسلم (٧٩٨/٢) (١١٣٥) (١٣٥).

(٢) علقه البخاري بصيغة الجزم كما في «الفتح» (٢٤٢/١٣). وأسنده المؤلف في الأذان، باب الأذان للمسافر إذا كانوا جماعة والإقامة (٦٣٠) مختصراً، و(٦٣١) مطوَّلاً، وفي عدة مواطن أخرى.

وانظر: «تغليق التعليق» (٣١٨/٥).

(٣) رواه مسلم (٤٦/١) (١٧) (٢٣).



وَلْيَعْلَمَنَّ أَنَّ الْإِيمَانَ عِنْدَ الْإِطْلَاقِ يَشْمَلُ الْإِيمَانَ فِي الْقَلْبِ، وَالْأَعْمَالَ فِي الْجَوَارِحِ،  
وَالْإِسْلَامَ كَذَلِكَ عِنْدَ الْإِطْلَاقِ. وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [التَّائِبَةُ: ٣].  
فَهَذَا يَشْمَلُ كُلَّ الْإِسْلَامِ.

وَأَمَّا إِذَا عُرِّنَ أَحَدُهُمَا بِالْآخَرِ، فَإِنَّ الْإِيمَانَ فِي الْقَلْبِ، وَالْإِسْلَامَ فِي الْجَوَارِحِ؛ فَالْإِيمَانُ سِرٌّ،  
وَالْإِسْلَامُ عَلَانِيَةٌ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَالْعَصْرُ ۝١ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا  
الصَّالِحَاتِ ۝﴾ [الْعَصْرُ: ١-٢]. فَقَوْلُهُ: ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ عَطَفٌ عَلَى الْإِيمَانِ وَلَيْسَ مِنْ بَابِ عَطْفِ  
الْخَاصِّ عَلَى الْعَامِّ، بَلْ هُوَ مِنْ بَابِ عَطْفِ الْمَغَايِرِ عَلَى غَيْرِهِ.  
فَالْإِيمَانُ فِي الْآيَةِ بِالْقَلْبِ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ بِالْجَوَارِحِ.

**ومنه:** حديث جبريل حيث فرَّق النبي ﷺ بين الإسلام والإيمان.

**وفي هذا الحديث:** قرَنَ رسولُ الله ﷺ مع الله بالراءِ في قوله: «الله» ورسوله أعلم». وذلك؛  
لأنَّ الحكمَ حكمٌ شرعيٌّ، وعلمُ الرسولِ مما علَّمه الله ﷻ ومنه: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ  
وَرَسُولُهُ﴾ [التَّائِبَةُ: ٥٩]. لَأَنَّ هَذَا الْإِتْيَانَ إِتْيَانٌ شرعيٌّ، وشرعُ الرسولِ من شرعِ الله ﷻ.  
أَمَّا الْأُمُورُ الْكُونِيَّةُ فَلَا يَجُوزُ أَنْ يُقَرَّنَ فِيهَا اسْمُ الرَّسُولِ بِاسْمِ اللَّهِ بِالْوَاوِ، مِثْلُ مَا شَاءَ اللَّهُ  
وَشِئْتُ، وَلَوْلَا اللَّهُ وَأَنْتَ؛ لِأَنَّ مَقَامَ الرَّبُوبِيَّةِ غَيْرُ مَقَامِ الْعِبَادَةِ، فَالرَّسُولُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مُشْرَعٌ كَمَا أَنَّ  
اللَّهَ مُشْرَعٌ، لَكِنَّهُ لَيْسَ مَدْبِرًا لِلْكُونِ، كَمَا أَنَّ اللَّهَ مَدْبِرٌ، فَهَذَا وَجْهُ الْفَرْقِ بَيْنَ الْأُمُورِ الْكُونِيَّةِ  
وَالْأُمُورِ الشَّرْعِيَّةِ.

**وفي هذا الحديث:** دليلٌ على التَّحْيِيظِ بِالْوُفْدِ؛ لِقَوْلِهِ: «مَرْحَبًا بِالْوُفْدِ وَالْقَوْمِ غَيْرِ خَزَايَا وَلَا  
نَدَامَى» وَهَذَا مِنْ حَسَنِ الْخَلْقِ، أَنْ يُرَحَّبَ الْإِنْسَانُ بِالْوَافِدِينَ إِلَيْهِ، سَوَاءً كَانُوا مِنْ أَهْلِ بَلَدِهِ أَوْ  
مِنْ غَيْرِهِمْ.

**وفيه:** النَّهْيُ عَنْ هَذِهِ الْأَوَانِي الْأَرْبَعَةِ؛ لَكِنَّهُ نُسِخَ؛ لِأَنَّ الرَّسُولَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: «كَنتُ نَهَيْتُكُمْ  
عَنِ الْإِتْبَازِ بِالذُّبَابِ وَمَا ذَكَرَ مَعَهَا فَاتَّبِعُوا فِيهَا شَيْئًا، غَيْرَ أَلَّا تَشْرَبُوا مُسْكِرًا» <sup>(١)</sup> وَإِنَّمَا نَهَى عَنْ هَذِهِ  
الْأَرْبَعِ؛ لِأَنَّهَا حَارَّةٌ، فَإِذَا انْتَبَذَ فِيهَا صَارَ سَرِيعَ الْغَلْيَانِ سَرِيعَ التَّخْمِرِ، فَقَدْ يَتَخَمَّرُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَشْعُرَ  
بِهِ الْمَرْءُ، لَكِنَّ الرَّسُولَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَعْدَ ذَلِكَ. أَذِنَ فِي أَنْ نَتَّبَعَ بِهَا شَيْئًا، غَيْرَ أَلَّا تَشْرَبَ مُسْكِرًا.

**والنبذ:** هو أن يُجعل مع الماء عنب - زبيب -، أو تمر، أو شعير، أو بُر لمدة يوم وليلة، أو يومين فيكتسب الماء من طعم هذا الشيء الذي نبذ فيه، ويُقال أيضًا: إن هذا النبذ يمتص ما في الماء من العفونات أو الجراثيم أو ما أشبهها، ثم بعد هذا يشربونه، فيكون مع العنب ومع الزبيب خلوا، ويكون مع الشعير والبر له طعمه، وهو مأخوذ من النبذ، فنبذ بمعنى منبذ. ومعنى الـ«ح» في السند، تحويل السند من السند الأول إلى سند جديد آخر، وفائدته تقوية السند الأول.



ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

## ٦- باب خبر المرأة الواحدة.

٧٢٦٧ - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْوَلِيدِ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ تَوْبَةِ الْعُسَيْرِيِّ، قَالَ: قَالَ لِي الشَّعْبِيُّ: أَرَأَيْتَ حَدِيثَ الْحَسَنِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ وَقَاعَدْتُ ابْنَ عُمَرَ قَرِيبًا مِنْ مَسْتَتِينَ أَوْ سَنَةٍ وَنُصَفَ، فَلَمْ أَسْمَعْهُ يُحَدِّثُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ غَيْرَ هَذَا، قَالَ: كَانَ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ فِيهِمْ سَعْدٌ، فَذَهَبُوا يَأْكُلُونَ مِنْ لَحْمٍ فَتَادَنَّهُمْ امْرَأَةٌ مِنْ بَعْضِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ إِنَّهُ لَحْمٌ ضَبَّ، فَأَمْسَكُوا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كُلُوا - أَوْ اطْعَمُوا - فَإِنَّهُ حَلَالٌ - أَوْ قَالَ لَا بَأْسَ بِهِ شَكٌّ فِيهِ - وَلَكِنَّهُ لَيْسَ مِنْ طَعَامِي».

**الشاهد هنا:** أن الصحابة أُمسكوا بخبر المرأة وخبر المرأة في الحلال والحرام، والعلم جائز ومقبول.

**وفي هذا الحديث:** دليل على أنه يجوز للإنسان أن يمتنع عما أحل الله، إذا لم يكن يشتهي؛ لأن الرسول ﷺ أباح الضب ولكنه قال: «ليس من طعامي» وفي رواية أخرى: «إنه ليس في أرض قومي فأجلدني أعافه». فلا يلام الإنسان إذا ترك المباح؛ لأن نفسه لا تشتهي. **ومن ذلك:** إذا وقع الذباب في الشراب، وغمسه ثم استخرجه، فإن بعض الناس لا تقبله نفسه، فلا حرج عليه إذا لم يشربه.

(١) رواه مسلم (٣/١٥٤٢) (١٩٤٤) (٤٢).

(٢) رواه مسلم (٣/١٥٤٣) (١٩٤٥) (٤٣).



**ومن ذلك:** أن بعض أمهات النساء لا تطيبن أنفسهن أن تكشف وجههن لزوج ابنتها حياءً وخجلًا، فلا بأس بهذا ما دامت لا تعتقد التحريم.

**فالحاصل:** أن ما أباحه الله ﷻ فالإنسان منه في حلٍّ ما لم يتخذهُ عبادةً.

فإذا قال قائل: إذا كان النبي يكره الضب فهل من السنة ألا تأكله؟

**الجواب:** لا، السنة أن يأكل؛ لأن الرسول قال لأصحابه: «كلوا أو اطعموا».

أتى البخاري بكتاب خبر الواحد بعد كتاب التمني؛ لأن بعض الناس لا يقبلون خبر الواحد، حتى قال بعضهم: لا يكون الحديث صحيحًا إلا إذا جاء من طريقين، وقد أشار إلى هذا ابن حجر رحمه الله في النخبة، حيث ذكر شروط الحديث الصحيح، وذكر العزيز، وقال: إنه ليس شرطًا للصحيح خلافًا لمن اشترطه<sup>(١)</sup>. فبعض الناس يجعل هذه الأمور مثل الشهادة على الأحوال، وبعض الناس أيضًا يقبل خبر الواحد في غير العقائد، ويقول: خبر الواحد لا يمكن أن تثبت به عقيدة، وهذا مذهب باطل.

فالرسول ﷺ يبعث الرجل الواحد بالعقيدة بالإسلام كله، وتقوم به الحجة، ويبعث الرجل إلى الملوك وحده يدعُوهم إلى العباداة، وإلى الإيمان، وهو واحد وتقوم به الحجة.

فالقول: بأن خبر الواحد لا تثبت به العقيدة قول باطل باطل، بل إن العقيدة تثبت بخبر الواحد، والاثنين، والثلاثة، ولكن لا بد أن يكون ثقة، أما غير الثقة فلا يقبل.

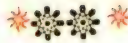
**ثم نقول:** لهؤلاء المنكرين خبر الواحد: الأعمال البدنية لا بد أن يصحبها عقيدة، فالإنسان الذي يصلي الصلوات الخمس، قد صحب صلاته عقيدة؛ وهي أن هذه الصلوات واجبة، ومن الفرائض، فأى فرق بين أن اعتقد بأن محمدًا رسول الله، وأن الصلاة فريضة، كلاهما عقيدة، لكن هم يحبون أن يقللوا من إثبات الصفات لله، فتارة يطعنون في السند، وتارة يطعنون في المتن، ويحرفون الكلم عن مواضعه.



(١) انظر: «شرح نزاهة النظر في توضيح نخبة الفكر» (ص ٥٧).

**سبق أن قلنا:** كلُّ شيءٍ لا تَشْتَهِيهِ فالسنةُ ألا تأْكُلْهُ، وهو أيضًا من الطبِّ، لكن اختلف الأطباءُ إذا كان فمُّكَ يَشْتَهِيهِ، وبطنُكَ لا تَشْتَهِيهِ، والصحيحُ: أن تُقدِّمَ البطنَ؛ وذلك لأنَّ لذة الفمِّ لذةٌ عابرةٌ، لكنَّ تعبَ البطنِ تعبٌ مستمرٌّ وخطرٌ، فبعضُ الناسِ مثلًا يَرُوقَ له بعضُ الأشياءِ، لكنه إذا أكله أو شرب صار في بطنِهِ غازاتٌ عظيمةٌ تُتَعَبُهُ.

وبعضُ الناسِ أيضًا يَكُونُ فيه داءٌ معينٌ يُحْمَى من طعامٍ معينٍ ولكنه يَشْتَهِيهِ فيأْكُلْهُ، فيَقَالُ: لا تَفْعَلْ: اللهمَّ إلا الشيءَ القليلَ النادرَ فلا حرجَ.

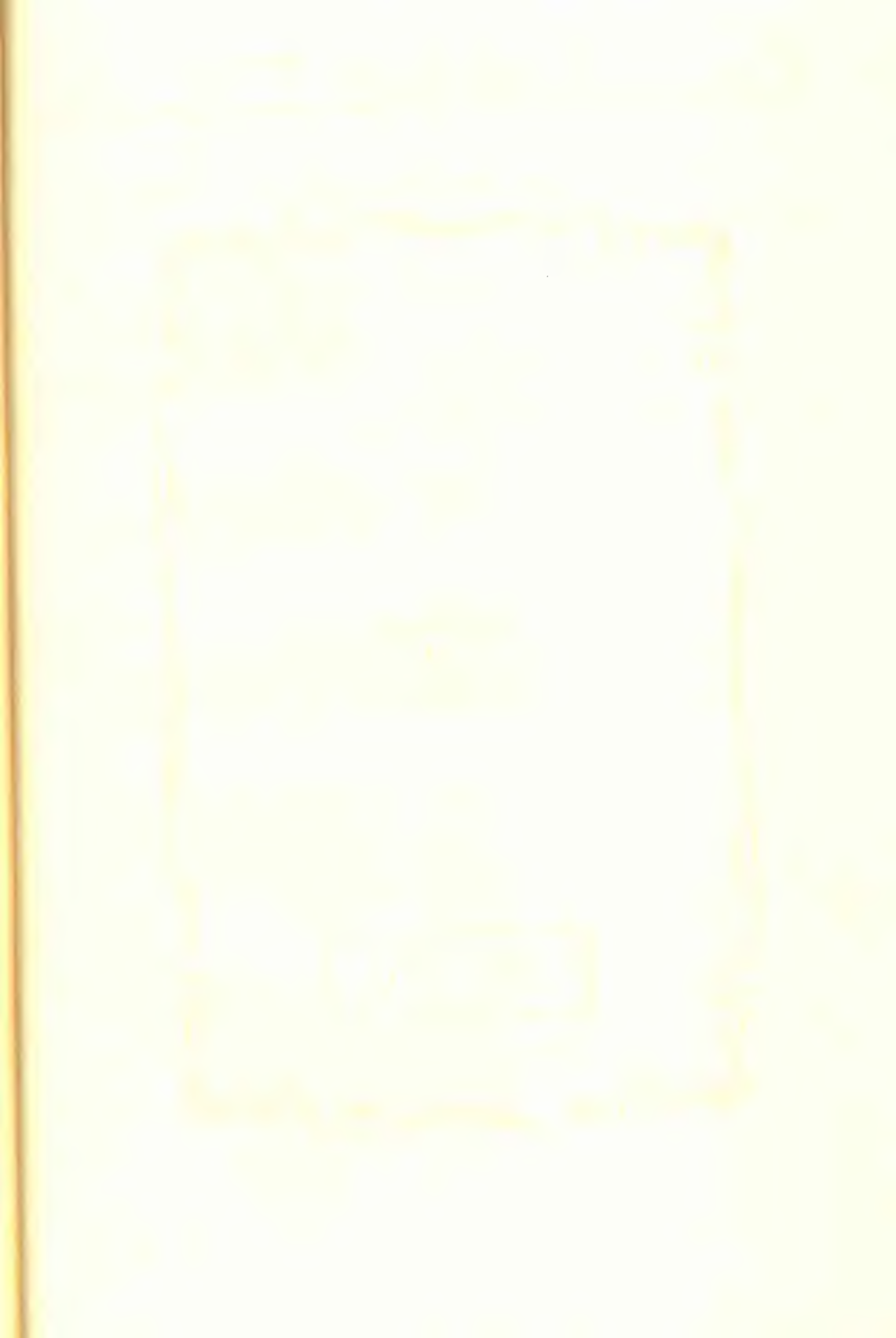




شَيْخ  
صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ

كِتَابُ  
الْأَعْيَانِ وَالْأَكْبَابِ وَالسُّنَّةِ

٧٢٦٨ - ٧٢٧٠





ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

## كِتَابُ الْإِعْتِصَامِ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ

❦ قوله: «الاعتصامُ بالكتابِ والسُّنَّةِ». الكتابُ: هو القرآنُ.

والسُّنَّةُ: هي سنةُ النبي ﷺ. والمرادُ بها هنا: ما تُنسبُ إليه من قولٍ، أو فعلٍ، أو تقريرٍ، وإن شئتَ، فقل: أو وصفٍ. فما نسبَ إلى الرسولِ ﷺ، وأُضيفَ إليه، وصحَّ عنه فهو سنةٌ، سواءً من قوله، أو فعله، أو إقراره.

**والاعتصامُ بهما واجبٌ:** لقولُ الله تعالى: ﴿فَإِنْ نَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [النِّسَاءُ: ٥٩]. ولا تظنُّوا أن الرجوعَ إليهما فيه مضرَّةٌ، حتى وإن كان في بادئ الأمرِ شاقًّا، أو يتخيَّلُ الإنسانُ أن فيه مضرَّةً، فإن الله يقولُ: ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ ﴿٥٩﴾ [النِّسَاءُ: ٥٩]. أي: أحسنُ مآلاً، وما يتوهمُهُ بعضُ الناسِ -ضعفاءُ الإيمانِ اليومَ- من أن تطيِّقَ الشريعةَ كما جاء عن النبي ﷺ لا يتناسبُ مع العصرِ، ويخشى من نفورِ الدولِ الكافرةِ، فإن ذلك من وحي الشيطان؛ لأننا نقولُ: لو صدَّقنا الله ﷻ في الرجوعِ إلى كتابه، وسنةِ رسوله ﷺ، لكانت العاقبةُ لنا، بل العاقبةُ والحاضرةُ، فقولُه: ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ﴾ في الحاضرِ، ﴿وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ في المستقبلِ.

ولكنَّ القرآنَ الكريمَ يَعْتَوِرُ -أو يُعَكِّرُ عليه- المُسْتَدِلُّ به شيءٌ واحدٌ؛ هو الفهمُ في مرادِ الله ﷻ ورسوله، فقد يُخطئُ الإنسانُ في فهمه، ويَفْهَمُهُ آخَرُ على خلافه، فيَحْصُلُ في هذا الاختلافُ.

والسُّنَّةُ النبويةُ يَعْتَوِرُ الإنسانَ فيها شيانِ:

**أولاً:** ثبوتُها عن الرسولِ ﷺ، قد تُروى عن طريقٍ يَرَاهُ بعضُ العلماءِ طريقاً صحيحاً، ويَرَاهُ آخرونَ طريقاً غيرَ صحيحٍ، مثلُ أن يَحْتَلِفُوا في رجلٍ مِنَ الرواةِ، فيوثِّقُه بعضهم، ويضعِّفه آخرونَ، ثم إذا نظرنا في هذا، يَبْقَى النظرُ في المفهومِ مِنَ المتنِ.

ولهذا وقع الخلاف بين الأمة في كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ، ولكنه خلاف بلا اختلاف - والله الحمد -، إلا عند أهل الأهواء، فهم يجعلون من الخلاف اختلافًا.

٧٢٦٨- حَدَّثَنَا الْحُمَيْدِيُّ، حَدَّثَنَا سُفْيَانٌ، عَنْ مِسْعَرٍ وَغَيْرِهِ، عَنْ قَيْسِ بْنِ مُسْلِمٍ، عَنْ طَارِقِ بْنِ شِهَابٍ، قَالَ: قَالَ رَجُلٌ مِنَ الْيَهُودِ لِعُمَرَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَوْ أَنَّ عَلَيْنَا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [التوبة: ٣] لَاتَّخَذْنَا ذَلِكَ الْيَوْمَ عِيدًا. فَقَالَ عُمَرُ: إِنِّي لِأَعْلَمَ أَيَّ يَوْمٍ نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ، نَزَلَتْ يَوْمَ عَرَفَةَ فِي يَوْمٍ جُمُعَةٍ <sup>(١)</sup>. سَمِعَ سُفْيَانٌ مِنْ مِسْعَرٍ، وَمِسْعَرٌ قَيْسًا، وَقَيْسٌ طَارِقًا.

قوله: سَمِعَ سُفْيَانٌ... إلخ: إنما نصّ البخاري على ذلك ليزول الوهم من التدليس في هذه العنقة. لكنه قال: عن مِسْعَرٍ وَغَيْرِهِ. والغير هنا: مجهول، والفائدة من هذا أن هذا الغير المجهول يقوي روايته عن مِسْعَرٍ؛ يعني: لم ينفرد بهذه الرواية عن مِسْعَرٍ، بل رواها عن مِسْعَرٍ وَغَيْرِهِ عن قيس.

٧٢٦٩- حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ بُكَيْرٍ، حَدَّثَنَا اللَّيْثُ، عَنْ عُقَيْلٍ، عَنْ ابْنِ شِهَابٍ، أَخْبَرَنِي أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ، أَنَّهُ سَمِعَ عُمَرَ الْعَدَنِيَّ يَتْلُو الْإِسْلَامَ أَبَا بَكْرٍ، وَأَسْتَوِي عَلَى مَنبَرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ تَشْهَدُ قَبْلَ أَبِي بَكْرٍ، فَقَالَ: أَمَّا بَعْدُ، فَاخْتَارَ اللَّهُ لِرَسُولِهِ ﷺ الَّذِي عِنْدَهُ عَلَى الَّذِي عِنْدَكُمْ، وَهَذَا الْكِتَابُ الَّذِي هَدَى اللَّهُ بِهِ رَسُولَكُمْ، فَخَذُوا بِهِ تَهْتَدُوا، وَإِنَّا هَدَى اللَّهُ بِهِ رَسُولَهُ.

٧٢٧٠- حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ، حَدَّثَنَا وَهَيْبٌ، عَنْ خَالِدٍ، عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: ضَمَّنِي إِلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ، وَقَالَ: «اللَّهُمَّ عَلِّمَهُ الْكِتَابَ» <sup>(١)</sup>.

الشاهد من هذا الحديث، قوله: «اللَّهُمَّ عَلِّمَهُ الْكِتَابَ». يعني: القرآن، والتعليم هنا يشمل: التعليم اللفظي، والمعنوي؛ ولهذا كان ابن عباس رضي الله عنهما يلقب بترجمان القرآن؛ لأنه من أعلم الصحابة بتفسير كتاب الله ﷺ.

٧٢٧١- حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ صَبَاحٍ، حَدَّثَنَا مُعْتَمِرٌ، قَالَ: سَمِعْتُ عَوْفًا، أَنَّ أَبَا الْمُنْهَالِ حَدَّثَهُ، أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا بَرَزَةَ، قَالَ: إِنَّ اللَّهَ يُغْنِيكُمْ أَوْ نَعِّشْكُمْ بِالْإِسْلَامِ وَبِمُحَمَّدٍ ﷺ.

قال أبو عبد الله: وقع هنا «يُغْنِيكُمْ». وإنما هو «نَعِّشْكُمْ». يُنْظَرُ فِي أَصْلِ كِتَابِ الْإِعْتَصَامِ.

(١) رواه مسلم (٢٣١٢/٤) (٣٠١٧) (٣).

(٢) رواه مسلم (١٩٢٧/٤) (٢٤٧٧) (١٣٨) بلفظ: اللهم فقه.



قال ابن حجر رحمته الله في «الفتح» (٢٤٦/١٣):

قوله: «يُنْظَرُ فِي أَصْلِ كِتَابِ الْإِعْتِصَامِ». فيه إشارة إلى أنه صُنِفَ «كِتَابُ الْإِعْتِصَامِ» مُفْرَدًا، وَكُتِبَ مِنْ هُنَا مَا يَلِيقُ بِشَرْطِهِ فِي هَذَا الْكِتَابِ، كَمَا صَنَعَ فِي «كِتَابِ الْأَدَبِ الْمَفْرَدِ»، فَلَمَّا رَأَى هَذِهِ اللَّفْظَةَ مُغَايِرَةً لِمَا عِنْدَهُ أَنَّهُ الصَّوَابُ، أَحَالَ عَلَى مَرَاجَعَةِ ذَلِكَ الْأَصْلِ، وَكَأَنَّهُ كَانَ فِي هَذِهِ الْحَالَةِ غَائِبًا عَنْهُ، فَأَمَرَ بِمَرَاJعَتِهِ وَأَنْ يَصْلَحَ مِنْهُ، وَقَدْ رَفَعَ لَهُ نَحْوَ هَذَا فِي تَفْسِيرِ ﴿أَنْقَضَ ظَهْرَكَ﴾ [الزَّحَر: ٣]، وَنَبَّهَتْ عَلَيْهِ فِي تَفْسِيرِ سُورَةِ ﴿الْأَنْشُرِ﴾ [الزَّحَر: ١].

وَنَقَلَ ابْنُ التِّينِ عَنِ الدَّأودِيِّ أَنَّ ذِكْرَ حَدِيثِ أَبِي بُرْزَةَ هَذَا هُنَا، إِنَّمَا يُسْتَفَادُ مِنْهُ تَثْبِيتُ خَبَرِ الْوَاحِدِ، وَهُوَ غَفْلَةٌ مِنْهُ، فَإِنْ حُكِمَ تَثْبِيتُ خَبَرِ الْوَاحِدِ انْقِضَى، وَعَقَّبَ بِالْإِعْتِصَامِ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَمُنَاسِبَةُ حَدِيثِ أَبِي بُرْزَةَ لِلْإِعْتِصَامِ بِالْكِتَابِ، مِنْ قَوْلِهِ «إِنَّ اللَّهَ نَعَشَكُمْ بِالْكِتَابِ» ظَاهِرَةٌ جَدًّا، وَاللَّهُ أَعْلَمُ. اهـ.

قال بدر الدين العيني في: «عمدة القاري» (٢٤/٢٥):

قوله: «أَوْ نَعَشَكُمْ». بنون، ثم عين مُهْمَلَةٌ، وشين مُعْجَمَةٌ، أي: رَفَعَكُمْ، أَوْ جَبَرَكُمْ مِنَ الْكُسْرِ، أَوْ أَقَامَكُمْ مِنَ الْعَثْرِ.

إِذَنْ: نَعَشَكُمْ بِالْكِتَابِ؛ يَعْنِي: رَفَعَكُمْ بِهِ؛ وَلَعَلَّ النِّعْشَ الَّذِي يُحْمَلُ عَلَيْهِ الْمِثْثُ مِنْ هَذَا الْبَابِ؛ لِأَنَّهُ يُرْفَعُ. وَأَمَّا قَوْلُهُ: «بِالْإِسْلَامِ وَبِمُحَمَّدٍ ﷺ»، فَلَيْسَ فِيهِ ذِكْرُ الْكِتَابِ، لَكِنْ لَعَلَّهُ فِي أَصْلِ كِتَابِ الْإِعْتِصَامِ، كَمَا أَشَارَ إِلَيْهِ الْبَخَارِيُّ - رحمته الله - وَحَيْثُ تَكُونُ فِيهِ مُنَاسِبَةٌ لِبَابِ الْإِعْتِصَامِ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ.



٧٢٧٢- حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ، حَدَّثَنِي مَالِكٌ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دِينَارٍ، أَنَّ عَبْدِ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ كَتَبَ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ يَبَايَعُهُ، وَأَقْرَأَ لَكَ بِالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ عَلَى سُنَّةِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ، فِيمَا اسْتَطَعْتَ. سَبَقَ فِي كِتَابِ الْأَحْكَامِ، وَالشَّاهِدُ مِنْ هَذَا قَوْلُهُ: «عَلَى سُنَّةِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ». فَإِنَّ الْمُرَادَ بِسُنَّةِ اللَّهِ هُوَ مَا جَاءَ فِي كِتَابِ اللَّهِ.

فَإِذَا قَالَ قَائِلٌ: الْوَأُو فِي «وَأَقْرَأَ». زَائِدَةٌ أَمْ مِنَ الْحَدِيثِ؟

الْجَوَابُ: إِنَّهَا مِنَ الْحَدِيثِ؛ لِأَنَّهُ كَتَبَ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ يَبَايَعُهُ، ثُمَّ قَالَ فِي مَبَايِعَتِهِ: وَأَقْرَأَ لَكَ. فَهِيَ مَعْطُوفَةٌ عَلَى مَا فِي كِتَابِ ابْنِ عُمَرَ؛ الَّذِي لَمْ يَذْكُرْ: الْمُؤَلِّفُ هُنَا.



ثم قال البخاري رحمه الله:

١- باب قول النبي ﷺ «بُعِثْتُ بجوامع الكلم»:

٧٢٧٣- حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعْدٍ، عَنْ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «بُعِثْتُ بجوامع الكلم، وَنُصِرْتُ بالرَّعْبِ، وَبَيْنَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُنِي أُتِيْتُ بِمَفَاتِيحِ خَزَائِنِ الْأَرْضِ، فَوُضِعَتْ فِي يَدَيَّ». قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: فَقَدْ ذَهَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَنْتُمْ تَلْعَثُونَهَا أَوْ تَرَعَثُونَهَا، أَوْ كَلِمَةً تُشَبِّهُهَا<sup>(١)</sup>.

الشاهد من هذا: قوله: «بُعِثْتُ بجوامع الكلم». فكلام النبي ﷺ جوامع، وأنظر قوله صلى الله عليه وسلم: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى». وقوله: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ». وقوله: «مَا أَتَهَرَّ الدَّمُ وَذَكَرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ فَكُلٌّ». وقوله: «إِذَا وَجَدَ أَحَدُكُمْ ذَلِكَ - يعني: الوسوسَ التي يُلقِيها الشيطانُ في قلب ابنِ آدمَ، وهي وسوسُ رديئةٍ - فَلْيُسْتَعِذْ بِاللَّهِ وَلْيَتَتَبَّهْ»<sup>(٢)</sup>. وأمثال ذلك كثير.

وقد أَلَفَ العلماءُ رَحِمَهُمُ اللَّهُ فِي ذَلِكَ مَوْلَفَاتٍ مِنْهَا: الْأَرْبَعُونَ النَّوِيَّةُ لِلنَّوَوِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ، فَإِنَّهَا جَوَامِعٌ تَجِدُ فِي بَعْضِ الْأَحَادِيثِ كَلِمَاتٍ لَوْ أَلَفَ النَّاسُ مَجْلَدَاتٍ، مَا أَتَوْا بِمُضْمُونِهَا، وَلَا نَفَعُوا النَّاسَ بِمِثْلِهَا.

وأما قوله: «نُصِرْتُ بِالرَّعْبِ»، وَبَيْنَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُنِي أُتِيْتُ بِمَفَاتِيحِ خَزَائِنِ الْأَرْضِ. قد سبق الكلامُ عليها، وهو إشارةٌ إِلَى أَنَّ اللَّهَ ﷻ قَدْ أَحَلَّ لَهُ الْغَنَائِمَ، كَمَا فِي حَدِيثِ جَابِرِ الطَّوِيلِ الْمَشْهُورِ<sup>(٣)</sup>.

٧٢٧٤- حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، حَدَّثَنَا اللَّيْثُ، عَنْ سَعِيدٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَا مِنْ أَنْبِيَاءٍ نَبِيٍّ إِلَّا أُعْطِيَ مِنَ الْآيَاتِ مَا مِثْلُهُ أَوْ مِنْ - أَوْ أَمِنْ - عَلَيْهِ الْبَشَرُ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيَتْ وَحْيًا أَوْحَاهُ اللَّهُ إِلَيَّ، فَأَرْجُو أَنِّي أَكْثَرُهُمْ تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ»<sup>(٤)</sup>.

(١) رواه مسلم (٣٧١/١) (٥٢٣) (٦).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) رواه مسلم (١٣٤٣/٣) (١٧١٨) (١٨)، وهو عند البخاري (٢٦٩٧) بلفظ: مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا...

(٤) رواه البخاري (٢٥٠٧)، ومسلم (١٥٥٨/٣) (١٩٦٨) (٢٠).

(٥) رواه البخاري (٣٢٧٦)، ومسلم (١٢٠/١) (١٣٤) (٢١٤).

(٦) تقدم تخريجه.

(٧) رواه مسلم (١٣٤/١) (١٥٢) (٢٣٩).



**هذا الحديث:** فيه آيةٌ من آياتِ اللَّهِ ﷻ؛ وهي أن اللَّهَ ما بَعَثَ نَبِيًّا إِلَّا وَاتَّاهُ مِنَ الْآيَاتِ مَا يُؤْمِنُ عَلَى مِثْلِهِ الْبَشَرُ، وَمِنْ رَحْمَتِهِ أَيْضًا؛ لِأَنَّهُ لَا يُمَكِّنُ أَنْ يُصَدَّقَ رَجُلٌ يَأْتِي مِنَ النَّاسِ، وَيَقُولُ: أَنَا رَسُولٌ. حَتَّى يَكُونَ مَعَهُ آيَاتٌ.

**وفي هذا:** دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْأَفْضَلَ أَنْ يُعَبَّرَ بِآيَاتٍ دُونَ مُعْجَزَاتٍ، فَكَثِيرًا مَا نَرَى فِي كُتُبِ الْعُلَمَاءِ مُعْجَزَاتِ الْأَنْبِيَاءِ، وَمُعْجَزَاتِ النَّبِيِّ ﷺ.

**نَقُولُ:** الْأَفْضَلُ أَنْ نَقُولَ: آيَاتٌ. كَمَا عَبَّرَ اللَّهُ عَنْهَا، وَعَبَّرَ عَنْهَا رَسُولُهُ ﷺ.

وَأَمَّا الْمُعْجَزَاتُ فَقَدْ تَكُونُ مِنَ السَّاحِرِ، وَمِنَ الْكَاهِنِ، فَيَأْتِي بِمَا يَعْجُزُ عَنْهُ النَّاسُ، لَكِنَّهَا لَيْسَتْ آيَاتٍ عَلَى صَدَقِهِ، فَالتَّعْبِيرُ بِالْآيَاتِ هُوَ الْأَصَحُّ، وَيُمْكِنُ أَنْ نَقُولَ: دَلَائِلُ النُّبُوَّةِ، لَكِنِ الْآيَاتُ أَحْسَنُ. وَلَكِنَّ الرَّسُولَ ﷺ أَوْتِيَ وَحْيًا أَوْحَاهُ اللَّهُ إِلَيْهِ، وَبَقِيَ بَعْدَ مَوْتِهِ، وَسَيَقَى إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ، إِلَى أَنْ يَرْفَعَهُ اللَّهُ ﷻ فِي آخِرِ الزَّمَانِ، وَآيَاتُ الْأَنْبِيَاءِ السَّابِقِينَ أَكْثَرُهَا تَنْقُضِي بَانْقِضَاءِ حَيَاتِهِمْ؛ فَلِهَذَا قَالَ: أَرْجُو أَنِّي أَكْثَرُهُمْ تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ لِأَنَّهُ إِذَا كَانَتِ الْآيَةُ فِي هَذَا الْوَحْيِ، وَهَذَا الْوَحْيِ بَاقٍ، صَارَتْ آيَةً لِلرَّسُولِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.



**ثم قال البخاري رحمه الله:**

٢- بَابُ الْاِقْتِدَاءِ بِسُنَنِ الرَّسُولِ ﷺ، وَقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَأَجْعَلْنَا لِلْمُنْفِقِينَ إِمَامًا﴾

﴿٧٦﴾ [الْمُنْفِقِينَ: ٧٤]. قَالَ: أُمَّةٌ نَقْتَدِي بِمَنْ قَبْلَنَا وَيَقْتَدِي بِنَا مَنْ بَعْدَنَا.

وَعَنِ ابْنِ عَوْنٍ: ثَلَاثُ أَحْبَبْنَهُ لِنَفْسِي وَلَا لِخَوَانِي: هَذِهِ السُّنَّةُ أَنْ يَتَعَلَّمُوها وَيَسْأَلُوا عَنْهَا، وَالْقُرْآنُ أَنْ يَتَفَهَّمُوها وَيَسْأَلُوا النَّاسَ عَنْهُ، وَيَدْعُوا النَّاسَ إِلَّا مِنْ خَيْرٍ.

قَوْلُهُ: «بَابُ الْاِقْتِدَاءِ بِسُنَنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ»، وَقَوْلُهُ: ﴿وَأَجْعَلْنَا لِلْمُنْفِقِينَ إِمَامًا﴾، أَجْعَلْنَا هَذَا مِنْ دَعَاءِ عِبَادِ الرَّحْمَنِ: ﴿الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾ [الْمُنْفِقِينَ: ٦٣]، وَقَوْلُهُ: ﴿وَأَجْعَلْنَا لِلْمُنْفِقِينَ إِمَامًا﴾؛ أَيُّ: أُمَّةٌ يُقْتَدَى بِهِمْ.

قَوْلُهُ: «نَقْتَدِي بِمَنْ قَبْلَنَا». هَذَا لَيْسَ بِظَاهِرٍ؛ لِأَنَّ الْإِمَامَ هُوَ الْمَتَّبِعُ وَلَيْسَ التَّابِعُ،

هَكَذَا عُلِقَ الْبَخَارِيُّ بِصِيغَةِ الْعِنْعِنَةِ كَمَا فِي «الْفَتْحِ» (١٣/ ٢٤٨). وَقَالَ الْحَافِظُ فِي الْفَتْحِ (١٣/ ٢٥١): وَصَلَهُ

مُحَمَّدُ بْنُ نَصْرِ الْمَرْزُوقِي فِي كِتَابِ السُّنَةِ، وَالْجَوْزُقِي مِنْ طَرِيقِهِ، قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ نَصْرِ: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى، حَدَّثَنَا سَلِيمُ بْنُ أَخْضَرَ، سَمِعْتُ ابْنَ عَوْنٍ، يَقُولُ غَيْرَ مَرَّةٍ، وَلَا مَرَّتَيْنِ، وَلَا ثَلَاثَ: «ثَلَاثَ أَحْبَبْنَهُ لِنَفْسِي» الْحَدِيثُ. وَانْظُرْ: «تَغْلِيْقُ التَّغْلِيْقِ» (٥/ ٣١٩).

وفيه آيات كثيرة تدل على الاقتداء برسول الله ﷺ، مثل قوله: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [المائدة: ٣١].

وقوله: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١]. فهذه الآية التي ذكرها المؤلف أعم من كونها للرسول ﷺ؛ لأنها لعباد الرحمن.

وقوله: ﴿وَجَعَلْنَا الْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾. هذه إمامة الدين، وأما إمامة الدنيا فقد تكون لغير المتقين، وإمامة النار قد تكون للكافر، كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَكْعُوثُ إِلَى الْكَافِرِ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ لَا يَنْصُرُونَ﴾ [القصص: ٤١].

وقول ابن عون: «ثلاث أحبهن لنفسي وإخواني: هذه السنة أن يتعلموها ويسألوا عنها، والقرآن أن يتفهموه ويسألوا عنه». الظاهر أنه لا فرق بين الفهم والعلم في كلام ابن عون، فإن المطلوب من ذلك أن يفهم القرآن وتفهم السنة، ومن لم يعلم ولم يفهم، فليسأل.

وقوله: «يدعوا الناس». هذا في زمن الفتنة لا يتكلمون مع الناس، ولا ينحازون إلى هؤلاء، ولا إلى هؤلاء، بل يكن همهم أن يتعلموا كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ، ويدعوا الناس إلا من خير. إذا كان هناك خير، مثل أن يصلحوا بين الناس، ويؤلفوا بينهم، ويجمعوا كلمتهم فهذا طيب.

قوله: «اجعلنا». وهذا جمع، وإماما مفرد، وذلك لأن إماما تصلح للجمع والمفرد، وبعضهم قال: اجعلنا؛ أي: اجعل كل واحد منا للمتقين إماما، لكن الأول أظهر، وهو أنها صالحة للجمع والمفرد.

قال ابن حجر في «الفتح» (٢٥٢ / ١٣):

وقوله: «أن يتعلموها، ويسألوا عنها». في رواية يحيى بن يحيى هذا الأثر عن رسول الله ﷺ، فيتبعه ويعمل بما فيه.

قوله: «والقرآن أن يتفهموه ويسألوا الناس عنه». في رواية يحيى «فيتدبروه» بدل «يتفهموه»، وهو المراد.

قوله: «ويدعوا الناس إلا من خير» كذا للأكثر بفتح الدال من «يدعوا» وهو من الودع بمعنى الترك. ووقع في رواية الكشميهني بسكون الدال من الدعاء، وكذا هو في نسخة الصاغاني، ويؤيد الأول أن في رواية يحيى بن يحيى: «ورجل أقبل على نفسه ولها عن الناس إلا من خير»؛ لأن في ترك الشر خيرا كثيرا. قال الكرمانى: قال في القرآن يتفهموه، وفي السنة يتعلموها؛ لأن الغالب أن المسلم يتعلم القرآن في أول أمره، فلا يحتاج إلى الوصية بتعلمه،



فلهذا أوصى بتفهم معناه، وإدراك منطوقه. انتهى، ويُحتمل أن يكون السبب أن القرآن قد جمع بين دفتي المصحف، ولم تكن السنة يومئذٍ جُمِعَتْ، فأراد بتعلمها جمعها؛ لِتَمَكَّنَ من تفهمها بخلاف القرآن، فإنه مجموع، فليبادر لِتَفْهَمِهِ. ثم ذكر فيه ثلاثة عشر حديثاً. اهـ

القول الثاني أحسن من الأول؛ وهو أن السنة يتعلموها، والقرآن يتفهموه؛ لأن القرآن لا يحتاج إلى تعلم. فهو معلوم بين الصغير والكبير، والذكر والأنثى.

وأما السنة فتحتاج إلى معاناة في تعلمها.

**أولاً:** في إثبات صحة الحديث عن الرسول ﷺ، وذلك بقراءة السنن، والمسانيد، والرجال، وغير ذلك.

**والثاني** في فهمها.

٧٢٧٥- حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ عَبَّاسٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ وَاصِلٍ، عَنْ أَبِي وَائِلٍ، قَالَ: جَلَسْتُ إِلَى شَيْبَةَ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ قَالَ: جَلَسَ إِلَى عُمَرُ فِي بَيْتِكَ هَذَا فَقَالَ: هَمَمْتُ أَنْ لَا أَدْعَ فِيهَا صَفْرَاءَ وَلَا بَيْضَاءَ إِلَّا قَسَمْتُهَا بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ. قُلْتُ: مَا أَنْتَ بِفَاعِلٍ. قَالَ: لِمَ. قُلْتُ: لَمْ يَفْعَلْهُ صَاحِبُكَ، قَالَ هُمَا الْمَرْءَانِ يُقْتَدَى بِهِمَا.

**قوله:** «الصفراء والبيضاء»: هما الذهب والفضة، ولكنه لما ذكر بأن هذا شيء لم يفعله الرسول ﷺ، ولا خليفته، توقّف، بل رجع، وقال: هما المرءان يُقْتَدَى بهما، فهذا يدل على حرص عمر على اتباع السنة التي جاءت عن النبي ﷺ، وعن أبي بكر.

٧٢٧٦- حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، قَالَ: سَأَلْتُ الْأَعْمَشَ، فَقَالَ: عَنْ زَيْدِ بْنِ وَهَبٍ، سَمِعْتُ حُذَيْفَةَ يَقُولُ: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَنَّ الْأَمَانَةَ نَزَلَتْ مِنَ السَّمَاءِ فِي جَذْرِ قُلُوبِ الرِّجَالِ، وَنَزَلَ الْقُرْآنُ، فَقَرَأُوا الْقُرْآنَ، وَعَلِمُوا مِنَ السُّنَّةِ»<sup>(١)</sup>.

**قوله:** «في جذر»؛ أي: في أصل، الجذر وجمعه جذور؛ يعني: الأصول؛ يعني: أن الأمانة نزلت في أصل قلوب الرجال، ثم نزل القرآن مُتَمِّمًا لذلك، فقرأ الناس القرآن، وعلموا من السنة، فاعتصموا بالقرآن والسنة.

٧٢٧٧- حَدَّثَنَا آدَمُ بْنُ أَبِي إِيَاسٍ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، أَخْبَرَنَا عَمْرُو بْنُ مُرَّةٍ، سَمِعْتُ مُرَّةَ الْهَمْدَانِيَّ يَقُولُ: قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: إِنَّ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَأَحْسَنُ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ ﷺ،

وَسَرَّ الْأُمُورَ تُخَدِّنَاتُهَا، وَإِنْ مَا تَوَعَّدُونَ لَا يَبُوءُ، وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ.

هذه الكلمات جاءت عن النبي ﷺ، ﴿إِنَّ مَا تَوَعَّدُونَ لَا يَبُوءُ﴾ [البقرة: ١٣٤]. هذه في القرآن الكريم.

**والشاهد من هذا:** أن أحسن الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد، الهدي يعني: الطريقة، وطريقة النبي ﷺ هي سُنَّتُهُ، والحُسْنُ هنا يشمل: الحُسْنَ اللفظي والمعنوي، وحُسْنَ العقيدة، وحُسْنَ القول، وحُسْنَ العمل.

**وفي هذا الحديث:** دليل على جواز الإخبار عن النبي ﷺ باسمه دون لقبه، بخلاف دعائه، فإنه يُقَالُ: يا رسول الله، يا نبي الله؛ لقول الله تعالى: ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا﴾ [التوبة: ٦٣]. على أحد التفسيرين، أما في الخبر، فلا بأس أن نقول: قال محمد أو خير الهدي هدي محمد.

٧٢٧٨-٧٢٧٩- حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، حَدَّثَنَا سُنَيَانُ، حَدَّثَنَا الزُّهْرِيُّ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، وَزَيْدِ بْنِ خَالِدٍ، قَالَا: كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: «لَأَقْضِيَنَّ بَيْنَكُمَا بِكِتَابِ اللَّهِ»<sup>(١)</sup>.

٧٢٨٠- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سِنَانٍ، حَدَّثَنَا فُلَيْحٌ، حَدَّثَنَا هِلَالُ بْنُ عَلِيٍّ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ، إِلَّا مَنْ أَبَى». قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَنْ يَأْبَى، قَالَ: «مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى».

٧٢٨١- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عِبَادَةَ، أَخْبَرَنَا يَزِيدُ، حَدَّثَنَا سَلِيمُ بْنُ حَيَّانٍ - وَأَنَّى عَلَيْهِ - حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ مِينَاءَ، حَدَّثَنَا أَبُو سَمَيْعَةَ جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، يَقُولُ: جَاءَتْ مَلَائِكَةُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ نَائِمٌ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّهُ نَائِمٌ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّ الْعَيْنَ نَائِمَةٌ، وَالْقَلْبَ يَقْظَانُ. فَقَالُوا: إِنَّ إِيصَابَكُمْ هَذَا مَثَلًا، فَاضْرِبُوا لَهُ مَثَلًا. فَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّهُ نَائِمٌ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّ الْعَيْنَ نَائِمَةٌ، وَالْقَلْبَ يَقْظَانُ. فَقَالُوا: مَثَلُهُ كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى دَارًا، وَجَعَلَ فِيهَا مَادِيَةً، وَبَعَثَ ذَاعِيًا، فَمَنْ أَجَابَ الدَّاعِيَ دَخَلَ الدَّارَ، وَأَكَلَ مِنَ الْمَادِيَةِ، وَمَنْ لَمْ يَجِبِ الدَّاعِيَ لَمْ يَدْخُلِ الدَّارَ وَلَمْ يَأْكُلْ مِنَ الْمَادِيَةِ. فَقَالُوا: أَوَلَوْ هَا لَهْ يَنْقُضُهَا، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّهُ نَائِمٌ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّ الْعَيْنَ نَائِمَةٌ وَالْقَلْبَ يَقْظَانُ. فَقَالُوا: فَالدَّارُ الْجَنَّةُ، وَالدَّاعِيَ مُحَمَّدٌ ﷺ، فَمَنْ أَطَاعَ مُحَمَّدًا ﷺ، فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ، وَمَنْ عَصَى مُحَمَّدًا ﷺ فَقَدْ عَصَى اللَّهَ، وَغَضِبَ ﷻ فَرَّقَ بَيْنَ النَّاسِ. تَابَعَهُ قَتِيبَةُ، عَنْ لَيْثٍ، عَنْ



خالد، عن سعيد بن أبي هلال، عن جابر خرج علينا النبي ﷺ<sup>(١)</sup>.

في نسخة: حدثنا سليمان بن حيّان.

وفي نسخة: محمد فرّق بين الناس وأخرى: محمد فرّق بين الناس.

**الشاهد من هذا: قوله:** «فمن أطاع محمداً فقد أطاع الله، ومن عصى محمداً فقد عصى الله».

فهو دليل على وجوب الاعتصام بالسنة.

وقوله: «فرّق بين الناس، أو فرّق»؛ يعني: بين المؤمن والكافر، وبين المسلم

والمؤمن، وبين البرّ والفاجر.

بعض الناس اليوم يُنكر السنة، أو يُنكر الرجوع إليها ويقول: عندنا القرآن نرجع إليه ولا

نرجع إلى غيره، وهذا أخبر عنه الرسول ﷺ قال: «لَا أُلْفَيْنَ أَحَدَكُم مُّتَكِنًا عَلَى أُرِيكَتِهِ يَأْتِيهِ

الْأَمْرُ مِنْ أَمْرِي، يَقُولُ: لَا أَذْرِي، مَا فِي كِتَابِ اللَّهِ أَتَّبِعْنَاهُ. قَالَ: وَإِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ

مَعَهُ<sup>(٢)</sup>. وَالَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِالسَّنَةِ كَافُرُونَ بِالْكِتَابِ؛ لِأَنَّ السَّنَةَ مَتَمَّةٌ لَهُ؛ إِلَّا سَنَةً لَمْ تَثْبُتْ عَنْ

الرَّسُولِ ﷺ، فَهَذَا شَيْءٌ آخَرُ، لَكِنْ مَا ثَبَتَ عَنْهُ فَهُوَ كَالْقُرْآنِ تِمَامًا.

فإذا قال قائل: حديث «مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى». هل يُفْهَمُ مِنْهُ أَنْ

الْعَاصِي لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ؟

**الجواب:** نعم فالعاصي لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ، وَلَكِنْ الْمَعْصِيَةُ نَوْعَانِ: وَالِدُخُولِ نَوْعَانِ:

فَمَنْ عَصَى مَعْصِيَةً كَامِلَةً؛ دَخَلَ النَّارَ مُخْلَدًا فِيهَا.

وَمَنْ عَصَى بَعْضَ مَعْصِيَةٍ فَهُوَ مُسْتَحَقٌّ لِدُخُولِ النَّارِ، لَكِنْ بِقَدَرِ مَعْصِيَتِهِ، وَلَا يَسْلَمُ مِنْ

النَّارِ إِلَّا مَنْ أَطَاعَ الرَّسُولَ ﷺ، أَمَا مَنْ عَصَى وَلَوْ مَعْصِيَةً يَسِيرَةً؛ فَإِنَّهُ مُسْتَحَقٌّ لِدُخُولِ

النَّارِ وَالْعَذَابِ فِيهَا.

فإذا قال قائل: هل يصحُّ أَنْ يُطْلَقَ عَلَى الرَّسُولِ إِنَّهُ مُفَرَّقٌ؟

**الجواب:** لا، فإذا أطلقناه يَجِبُ أَنْ نُفَسِّرَهُ، بِأَنَّهُ مَأْخُودٌ مِنَ الْحَدِيثِ؛ لِأَنَّ الْحَدِيثَ قَسَمَ

النَّاسَ إِلَى مُطِيعٍ وَعَاصٍ، فَمُحَمَّدٌ ﷺ فَرَّقَ بَيْنَ الْمُطِيعِ وَالْعَاصِي.

(١) علقه البخاري بصيغة الجزم كما في «الفتح» (١٣/٢٤٩). وقال الحافظ في «الفتح» (١٣/٢٥٦): وصله

الإسماعيلي، عن الحسن بن سفيان. وأبو نعيم من طريق أبي العباس سراج، كلاهما، عن قتيبة. وانظر: «هدى الساري» (ص ٧٠).

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده ٤٥/١٣٠ (١٧٧٤)، وأبو داود (٤٦٠٤)، وصححه الشيخ الألباني كما في تعليقه على السنن.

٧٢٨٢- حَدَّثَنَا أَبُو نُعَيْمٍ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ هَمَامٍ، عَنْ حُدَيْفَةَ، قَالَ: يَا مَعْشَرَ الْقُرَاءِ اسْتَقِيمُوا فَقَدْ سَبَقْتُمْ سَبْقًا بَعِيدًا، فَإِنْ أَخَذْتُمْ يَمِينًا وَشِمَالًا، لَقَدْ ضَلَلْتُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا.

في نسخة «فقد سبقتم».

هذه توصية من حذيفة رضي الله عنه يوصي القراء؛ يعني: حملة القرآن، يوصيهم بالاستقامة، ويقول: إنكم سبقتم سبقًا بعيدًا بما من الله به عليكم من قراءة القرآن، فإن أخذتم يمينًا وشمالًا، لقد ضللتم ضلالًا بعيدًا؛ لأنكم علمتم الحق، والذي يأخذ يمينًا وشمالًا بعد علمه بالحق، لا شك أنه ضال ضلالًا بعيدًا.

٧٢٨٣- حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ، حَدَّثَنَا أَبُو أَسَامَةَ، عَنْ بَرِيدٍ، عَنْ أَبِي بُرْدَةَ، عَنْ أَبِي مُوسَى، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَتَى قَوْمًا، فَقَالَ: يَا قَوْمُ إِنِّي رَأَيْتُ الْجَيْشَ بَعْنِي، وَإِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْعَرِيَانُ فَالنَّجَاءُ، فَأَطَاعَهُ طَائِفَةٌ مِنْ قَوْمِهِ فَأَذَلُّوهُ، فَانْطَلَقُوا عَلَى مَهْلِهِمْ فَنَجَّوْا، وَكَذَّبَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ فَأَصْبَحُوا مَكَانَهُمْ، فَصَبَّحَهُمُ الْجَيْشُ، فَأَهْلَكَهُمْ وَاجْتَنَحَهُمْ، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ أَطَاعَنِي، فَاتَّبَعَ مَا جِئْتُ بِهِ، وَمَثَلُ مَنْ عَصَانِي، وَكَذَّبَ بِمَا جِئْتُ بِهِ مِنَ الْحَقِّ» (١).

قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَتَى قَوْمًا، فَقَالَ: يَا قَوْمُ إِنِّي رَأَيْتُ الْجَيْشَ بَعْنِي». و«بعيني». هنا تأكيد للرؤية؛ لأن الرؤية لا تكون إلا بالعين.

وقوله: «وإني أنا النذير العريان» النذير: المنذر. والعريان: المتجرد من ثيابه، وكانوا إذا ذهبهم العدو، وكانوا يتخوفون منه كثيرًا، فيأتي النذير عريانًا في القوم، فيصيح بهم: النجاء النجاء. وهذا يحتمل أن يكون إشارة إلى أن العدو قد سلبه حتى ثيابه، ويحتمل أن العدو سلبه فعلاً سلباً حقيقة، ويحتمل أن ذلك من أجل التهيج؛ أي تهيج القوم. كل ذلك محتمل؛ لأن كشف العورات عندهم أمر عظيم حتى إن بعضهم إذا أدرك؛ يعني: لُفِتِل. كشف عورته، فإذا كشف عورته امتنع القاتل، أو امتنع مريد القتل، عن قتله.

ثم ذكر أن الناس انقسموا إلى قسمين: طائفة من قومه أطاعوه، فأذلجوا فانطلقوا على مهلهم، فنجوا، وكذبت طائفة منهم فأصبحوا مكانهم فصباحهم الجيش فأهلكهم واجتاحهم. وفي هذا الحديث: ضرب الأمثال، وأن ضرب الأمثال لتقريب المعاني لا بأس به.



فهل يَشْمَلُ ذلك ضربَ الأمثالِ بالفعل، وهو ما يُسمَّى عند الناسِ بالتمثيلاتِ، أو يُقالُ: إن هناك فرقاً بين التمثيلِ القوليِّ، والتمثيلِ الفعليِّ.

من هنا اختلفَ الناسُ. فمنهم مَنْ يَقُولُ: هناك فرقٌ.

ومنهم مَنْ قالَ: إنه لا فرقَ بينهما. المهمُّ ألا يَشْتَمِلَ التمثيلُ الفعليُّ على شيءٍ مُحَرَّمٍ.

التفسير الثاني: أنه إذا دعاكم شيءٌ وجب عليكم الإجابة، وأما غيره فلا تجب.

القولُ الراجح في التمثيل أنه لا بأس به، إذا لم يَشْتَمِلَ على شيءٍ مُحَرَّمٍ.

٧٢٨٤-٧٢٨٥- حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا لَيْثٌ، عَنْ عَقِيلٍ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، أَخْبَرَنِي

عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: لَمَّا تُوَفِّي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَاسْتُخْلِيفَ أَبُو بَكْرٍ

بَعْدَهُ، وَكَفَرَ مِنْ كَفَرٍ مِنَ الْعَرَبِ، قَالَ عُمَرُ لِأَبِي بَكْرٍ: كَيْفَ تُقَاتِلُ النَّاسَ، وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

«أَمَرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. فَمَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. عَصَمَ مِنِّي مَالُهُ

وَنَفْسُهُ، إِلَّا بِحَقِّهِ، وَحِسَابُهُ عَلَى اللَّهِ». فَقَالَ: وَاللَّهِ لَا أَقَاتِلُنَّ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ، فَإِنَّ

الزَّكَاةَ حَقُّ الْمَالِ، وَاللَّهُ لَوْ مَنَعُونِي عَقَالًا كَانُوا يُؤَدُّونَهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَقَاتَلْتُهُمْ عَلَى مَنَعِهِ.

فَقَالَ عُمَرُ: فَوَاللَّهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ رَأَيْتُ اللَّهَ قَدْ شَرَحَ صَدْرَ أَبِي بَكْرٍ لِلْقِتَالِ فَعَرَفْتُ أَنَّهُ الْحَقُّ <sup>(١)</sup>.

قَالَ ابْنُ بَكْرٍ، وَعَبْدُ اللَّهِ، عَنِ اللَّيْثِ: عَنَّا. وَهُوَ أَصَحُّ <sup>(٢)</sup>.

قوله: (عَقَالًا) أو (عِقَالًا). الفرقُ بينهما: أن العناق: هو الصغيرُ مِنَ وَلَدِ الْهَامِزِ،

والعقالُ: ما يُعْقَلُ به الناقةُ.

فأبو بكرٍ يَقُولُ: «لو مَنَعُونِي عَقَالًا تُعْقَلُ به إِبِلُ الصَّدَقَةِ لَقَاتَلْتُهُمْ». واللفظُ الثاني: عَنَّا؛

يَعْنِي: لو مَنَعُونِي صَغِيرًا مِنَ الْهَامِزِ لَقَاتَلْتُهُمْ عَلَى ذَلِكَ.

**وهذا الحديثُ فيه:** دليلٌ على حسنِ سيرةِ الصحابةِ رضي الله عنهم، وأن الصغيرَ يُنَاقِشُ الكبيرَ.

**وفيه:** دليلٌ أيضًا على أن مقصودَهم الحقُّ، فِرَجُ المناقِشِ إلى الحقِّ؛ لأن عمرَ رضي الله عنه لما

رأى اللَّهَ قَدْ شَرَحَ صَدْرَ أَبِي بَكْرٍ لِلْقِتَالِ، عَلِمَ أَنَّهُ الْحَقُّ.

(١) رواه مسلم (١/٥١) (٢٠) (٣٢).

(٢) علق البخاري رحمته الله قولِي ابنِ بكير، وعبد الله بصيغة الجزم كما في «الفتح» (١٣/٢٥٠).

فأما حديث ابنِ بكير فقد أسنده المؤلف في استتابة المرتدين، باب قتل من أبى قبول الفرائض وما نسبوا إلى

الردة (٦٩٢٤). وأما حديث عبد الله، وهو ابن صالح، فقد وصله أبو عبيد في كتاب «الأموال» له عن عبد الله

بن صالح، ثنا الليث بن سعد، حدثني عقيل، عن ابن شهاب، عن عبيد الله بن عبد الله بن عبد الله بن عتبة: أن أبا

هريرة.... الحديث. وانظر: «تغليق التعليق» (٥/٣٢١).

**وفيه:** دليلٌ على أن الرجلَ المجتهدَ المعروفَ بالصلاحِ، إذا انشَرَحَ صدرُهُ لشيءٍ، فهو دليلٌ على أنه الحقُّ، ويؤيِّدُ هذا قولُ النبي ﷺ: «البرُّ ما اطمأنت إليه النفسُ واطمأنَّ إليه القلبُ، والإثمُ ما تردد في الصدرِ أو ما حاك في الصدرِ وكرهت أن يطَّلَعَ عليه الناسُ»<sup>(١)</sup>.

**ومن فوائد هذا الحديث أيضًا:** قوةُ أبي بكرٍ رضي الله عنه في مواطنِ الضيقِ، وأنها تزبُّو على قوةِ عمرَ رضي الله عنه، ففي موتِ الرسولِ ﷺ حصلَ من عُمرَ ما هو معلومٌ، وجاء أبو بكرٍ - وهو أشدُّ مصيبةً من عمرَ بموتِ رسولِ الله ﷺ - مطمئنًا وصعدَ المنبرَ، وأخبرَ الناسَ بموتِ الرسولِ ﷺ، وقال: من كان يعبدُ محمدًا فإنَّ محمدًا قد مات، ومن كان يعبدُ اللهَ فإنَّ اللهَ حيٌّ لا يموتُ، وتلا: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإَيْنَ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَصُرَ اللَّهُ شَيْئًا﴾ [التوبة: ١٤٤]. فكان عمرُ يقولُ: فوالله ما أن سمعْتُها حتى عقلتُ، فما تُقلِّني رجلاي<sup>(٢)</sup>.

وكذلك في قصةِ جيشِ أسامةَ الذي نفَّذه الرسولُ ﷺ، وتوفِّي وهو في ظهرِ المدينةِ فأمرَ أبو بكرٍ رضي الله عنه أن يستمرَّ الجيشُ، فجادله في ذلك عمرُ فقال: والله لا أنقضَ رايةً عقدها رسولُ الله ﷺ، فنفَذَ الجيشُ، وصارتِ العاقبةُ حميدةً؛ لأنَّ الذين ارتدُّوا من العربِ قالوا: لولا أن عند هؤلاءِ القومِ قوةٌ، ما بعثوا جيشًا يُقاتِلُ الرومَ. فاستسَموا.

وأيضًا: في قتالِ أهلِ الردَّةِ، فإنَّ عمرَ توقَّفَ حتى بيَّنَ له أبو بكرٍ رضي الله عنه بهذا الحزمِ حيثُ قال: لو منعوني عناقًا، أو عقلاً يُؤدُّونه إلى رسولِ الله ﷺ لقاتلتهم على ذلك.

**وفي هذا الحديث:** دليلٌ على فائدةِ عظيمةٍ؛ وهي أن مانعي الزكاةِ يُقاتلونَ عليها ولا يُقتلونَ؛ أي: يُقاتلونَ عليها حتى يُؤدُّوها، ودماءُهم حرامٌ، لكن يُقاتلونَ من أجلِ القيامِ بالواجبِ كما نقولُ بأنه يُقاتِلُ من ترك الأذانَ ولا يُقتلُ، وكما نقولُ: تُقاتلُ الفئةُ الباغيةُ ولا تُقتلُ، فبابُ القتالِ أوسعُ من بابِ القتلِ.



ثم قال البخاري رحمته الله:

٧٢٨٦ - حَدَّثَنِي إِسْمَاعِيلُ، حَدَّثَنِي ابْنُ وَهْبٍ، عَنْ يُونُسَ، عَنْ ابْنِ شِهَابٍ، حَدَّثَنِي عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ رضي الله عنه قَالَ: قَدِمَ عُبَيْتَةُ بْنُ حِصْنٍ بْنِ حُذَيْفَةَ بْنِ بَدْرٍ

(١) رواه مسلم (٢٥٥٣/٤) (١٤) بنحوه.

(٢) رواه البخاري (١٢٤١).



فَنَزَلَ عَلَى ابْنِ أَخِيهِ الْحَرْبِ بْنِ قَيْسِ بْنِ حِصْنٍ، وَكَانَ مِنَ النَّفَرِ الَّذِينَ يُدْنِيهِمْ عُمَرُ، وَكَانَ الْقَرَاءُ أَصْحَابَ بَخْلٍ عُمَرُ وَمُتَاوَرِيهِ كُفْهًا لَا كَانُوا أَوْ شُبَّانًا، فَقَالَ عَيْنَةُ لِابْنِ أَخِيهِ: يَا ابْنَ أَخِي هَلْ لَكَ وَجْهٌ عِنْدَ هَذَا الْأَمِيرِ، فَسْتَأْذَنَ لِي عَلَيْهِ. قَالَ: سَأَسْتَأْذَنُ لَكَ عَلَيْهِ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَاسْتَأْذَنَ لِعَيْنَةٍ، فَلَمَّا دَخَلَ قَالَ: يَا ابْنَ الْخَطَّابِ وَاللَّهِ مَا تُعْطِينَا الْجَزَلَ، وَمَا تَحْكُمُ بَيْنَنَا بِالْعَدْلِ. فَغَضِبَ عُمَرُ حَتَّى هَمَّ بِأَنْ يَقَعَ بِهِ فَقَالَ الْحَرْبِيُّ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ لِنَبِيِّهِ ﷺ: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ (٣) وَإِنْ هَذَا مِنَ الْجَاهِلِينَ. قَوَّيْنَا مَا جَاوَزَهَا عُمَرُ حِينَ تَلَاهَا عَلَيْهِ، وَكَانَ وَقَافًا عِنْدَ كِتَابِ اللَّهِ.

**الشاهد من هذا:** أن عمر اعتصم بكتاب الله، ولم يتجاوزها، وهذا واجب على كل مؤمن؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ (الأنفال: ٣١). وإلا فهذه كلمات عظيمة كبيرة في حق أمير المؤمنين، فالرجل يقول: ما تُعْطِينَا الْجَزَلَ، وما تَحْكُمُ بَيْنَنَا بِالْعَدْلِ.

❦ أما قوله: «ما تُعْطِينَا الْجَزَلَ». فهذا أعرابي لا يشع، فلو أُعْطِيَ الدنيا كلها فهي عنده يسيرة، وعمر لا يُعْطِي الْجَزَلَ، وإنما يُعْطِي ما فيه مصلحة الخلق؛ لأنه أمين على بيت المال.

❦ أما قوله: «وما تَحْكُمُ بَيْنَنَا بِالْعَدْلِ». فقد كَذَبَ، فإن عمر مَضَرَبَ المَثَلِ في العَدْلِ، وهو من أعدل الخلفاء عليه السلام؛ ولهذا هَمَّ أَنْ يَقَعَ بِهِ حِينَ غَضِبَ، ولكن أخاه كان ذكيًا حليماً فقال: إِنَّ اللَّهَ قَالَ لِنَبِيِّهِ: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ (٣) (الأنفال: ١٩٩).

❦ قوله: ﴿الْعَفْوَ﴾. يعني: ما عفا وتيسر من الناس، ولا تَطَلَّبَ حَقَّ كُلِّهِ، فإن ذلك لا يُمْكِنُ من بني آدم، وإنما تَأْخُذُ الْعَفْوَ، أي: ما عفا وهان وتيسر.

❦ وقوله: ﴿وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ﴾. أي: بما يُعْرَفُ من الشرع، وبما يُعْرَفُ من العادة والمروءة.

❦ وقوله: ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾. لأنه سوف يَجْهَلُ عليك، ما يجهل إذا أُمِرَتْ بِالْعُرْفِ، فما من أمير بالمعروف إلا ويَجِدُ أَدَى، وإن هذا يكون من الجاهلين.

يقول: لما تَلَاهَا عَلَيْهِ، ما جَاوَزَهَا. ولا ضَرَبَهُ، ولا قال له شيئاً، وكان وَقَافًا عِنْدَ كِتَابِ اللَّهِ ﷺ.

وقوله: «ما جَاوَزَهَا» الظاهر أنه من كلام ابن عباس؛ لأنه هو راوي الحديث.



ثم قال البخاري رحمه الله:

٧٢٨٧- حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْلَمَةَ، عَنْ مَالِكٍ، عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ فَاطِمَةَ بِنْتِ

الْمُنْدِرُ، عَنْ أَسْمَاءَ ابْنَةِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهَا قَالَتْ: آتَيْتُ عَائِشَةَ حِينَ خَسَفَتِ الشَّمْسُ، وَالنَّاسُ قِيَامٌ وَهِيَ قَائِمَةٌ تَصَلِّي فَقُلْتُ: مَا لِلنَّاسِ؟ فَأَشَارَتْ بِيَدِهَا نَحْوَ السَّمَاءِ فَقَالَتْ: سُبْحَانَ اللَّهِ! فَقُلْتُ: آيَةُ. قَالَتْ: بَرَأْسُهَا أَنْ نَعَمْ. فَلَمَّا انْصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَمِدَ اللَّهُ وَأَتْنِي عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: «مَا مِنْ شَيْءٍ لَمْ أَرَهُ إِلَّا وَقَدْ رَأَيْتُهُ فِي مَقَامِي، حَتَّى الْجَنَّةَ وَالنَّارَ، وَأَوْحَى إِلَيَّ أَنْكُمْ تُفْتَنُونَ فِي الْقُبُورِ قَرِيبًا مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَالِ، فَأَمَّا الْمُؤْمِنُونَ - أَوِ الْمُسْلِمُونَ لَا أَدْرِي أَيْ ذَلِكَ قَالَتْ: أَسْمَاءُ - فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ جَاءَنَا بِالْبَيِّنَاتِ فَأَجَبْنَا وَآمَنَّا. فَيَقَالُ: نَمْ صَالِحًا عَلِمْنَا أَنَّكَ مُوقِنٌ. وَأَمَّا الْمُنَافِقُونَ - أَوِ الْمُتَرَاتِبُونَ لَا أَدْرِي أَيْ ذَلِكَ قَالَتْ أَسْمَاءُ - فَيَقُولُ: لَا أَدْرِي سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيْئًا فَقُلْتُهُ» <sup>(١)</sup>

الشاهد من هذا الحديث قوله: «جاءنا بالبينات، فأجبنا وآمنا». وهذا هو الاعتصام بالسنة، وأثر عمر الذي سبق هو من الاعتصام بالكتاب.

**وفي هذا الحديث من الفقه:** جواز الإشارة في جواب مَنْ طَلَبَ أو استَفْهَمَ عن شيءٍ في الصلاة. **وفيه:** تسبيح المرأة لقول عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: سبحان الله. ولا يُخَالِفُ هذا قول النبي ﷺ: «إِذَا نَابَكُمْ شَيْءٌ فَلْيُسَبِّحِ الرِّجَالَ وَلْتَصْفُقِ النِّسَاءُ» <sup>(٢)</sup>. لأن المراد بذلك النساء مع الرجال إذا نابهن شيء، أما إذا كانت النساء وحدهن وامرأة إلى جوار امرأة مع الرجال، ولا يسمعون صوتها، فلا بأس؛ لأنه إنما أُمِرَ النساء بالتصفيق، صيانة عن - أع أصواتهن.

**وفي الحديث أيضًا من العقيدة:** أن الرسول ﷺ قد يَكْشِفُ له حتى يَرَى ما كان غائبًا عن الخلق، فقد رأى في مقامه حتى الجنة والنار.

**وفيه أيضًا من العقيدة:** إثبات فتنة القبر فإنها قريبة من فتنة الدجال، لعظمها؛ فإن الإنسان ليس عنده كتاب في القبر يرجع إليه، فإذا سئل عن ربه، ودينه، ونبئه، فإن كان من المؤمنين أجاب بالصواب، وإن كان من المرتابين أو المنافقين قال: لا أدري سمعت الناس يقولون شيئًا فقلته، ولكن الإيمان لم يصل إلى قلبه - والعياذ بالله.

ومن قال إن محمدًا يَعْلَمُ الغيب استنادًا لهذا الحديث فهو صادق كاذب؛ لأنه إن أراد أنه يَعْلَمُ الغيب بذاته بدون وحي من الله فهو كاذب؛ لأن الله قال له: ﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبُ﴾ [الأنعام: ٥٠].

وإن أراد أنه يَعْلَمُ الغيب بما أخبره الله؛ فهو صادق؛ لقوله تعالى: ﴿عَلِمَ الْغَيْبُ فَلَا يُظْهِرُ

(١) رواه مسلم ٢/٦٢٤ (٩٠٥) (١١).

(٢) رواه البخاري (٧١٩٠)، ومسلم ١/٣١٦ (٤٢١) (١٠٢).



عَلَى عَيْنِهِ أَحَدًا ⑤ لَا مَنَ أَرَضَى مِنْ رَسُولٍ ⑥ [المائدة: ٢٦-٢٧]. والصوفية يرون أنه يعلم الغيب بذاته لا بالوحي، حتى إنه يعلم - عندهم - ما يقع في الأرض بعد موته، وهذا لا يُمكن.

ثم قال البخاري رحمه الله تعالى:

٧٢٨٨- حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ، حَدَّثَنِي مَالِكٌ، عَنْ أَبِي الزِّنَادِ، عَنِ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «دَعُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ، إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِسُؤَالِهِمْ وَاخْتِلَافِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ، فَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَاجْتَنِبُوهُ، وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأَتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ»<sup>(١)</sup>.

في رواية مسلم: «بأمر». وفي رواية أخرى له: «بشيء» وعلى كل حال المراد بالأمر أو بالشيء معناه واحد.

وفي هذا الحديث: دليل على أنه في عهد الرسول ﷺ لا ينبغي السؤال، فقد قال الله تعالى: ﴿لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ بُدِّ لَكُمْ سُؤُوكُمْ﴾ [الأنعام: ١١٠]. فعلى الإنسان أن يعتصم بما جاءه.

وهنا فرق بين النهي والأمر: فالنهي قال فيه: اجتنبه. والأمر قال: اتوا منه ما استطعتم؛ لأن النهي يُجَنَّبُ كله ولا يفعل الإنسان ولا يعطه، والأمر يُفَعَّلُ ما يُقَدَّرُ عليه منه. فإذا قيل: لا تفعل كذا. فلا يجوز لك أن تفعل بعضاً، وتقول: أنا ما فعلته كله، بل قد فعلت البعض. وإذا قيل: افعل كذا. ففعلت البعض بقدر استطاعتك، فإنه قد برئت ذمتك.



ثم قال البخاري رحمه الله تعالى:

٣- بَابُ مَا يُكْرَهُ مِنْ كَثْرَةِ السُّؤَالِ وَتَكْلُفِ مَا لَا يَعْنِيهِ، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ بُدِّ لَكُمْ سُؤُوكُمْ﴾.

٧٢٨٩- حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يَزِيدَ الْمُقَرِّي، حَدَّثَنَا سَعِيدٌ، حَدَّثَنِي عُقَيْلٌ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ عَامِرِ بْنِ سَعِيدِ بْنِ أَبِي وَقَاصٍ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ أَعْظَمَ الْمُسْلِمِينَ جُرْماً مَنْ سَأَلَ عَنْ شَيْءٍ لَمْ يُحَرِّمْ، فَحَرَّمَ مِنْ أَجْلِ مَسْأَلَتِهِ»<sup>(٢)</sup>.

الترجمة هذه مهمة، فترجم البخاري رحمه الله تعالى «بَابُ مَا يُكْرَهُ مِنْ كَثْرَةِ السُّؤَالِ». وكثرة السؤال على نوعين:

**النوع الأول:** الإعانة؛ يعني: الإشفاق على المسئول، بحيث يُقَصِّدُ بذلك ملكه، وتعبه، وخطأه وما أشبه ذلك، فهذا لا شك أنه منهى عنه لما فيه من الإضرار بالشخص المسئول،

(١) رواه مسلم (٢/ ٩٧٥) (١٣٣٧) (٤١٢) بلفظ «بشيء».

(٢) رواه مسلم (٤/ ١٨٣١) (٢٣٥٨) (١٣٢).

ولما فيه من الخطر فيما يُجيب به هذا الشخص؛ لأنه قد يُجيبه في هذه الحال بخطأ.

**والنوع الثاني:** كثرة السؤال على سبيل البحث والمناقشة والتعلم، فهذا لا بأس به، كما يكون من الطالب إلى معلمه؛ لأنه من باب التعلم.

وأما تكلف ما لا يُعنيه فهذا من أهم ما يكون اجتنابه. فالشيء الذي لا يعنك لا تتكلفه، ولا سيما في الأمور الخيرية التي تتعلق بذات الله سبحانه وأسمائه وصفاته، وكثير من الطلبة في الوقت الحاضر لما من الله عليهم بالفتح، ومحبة التعمق في العلم صاروا يتنطعون ويسألون عن أشياء لا تعينهم ولا يحتاجون إليها؛ لأننا نعلم أنها لو كانت تعني الناس أو يحتاجون إليها لبينت، ولهذا أمثلة كثيرة.

**منها:** من يسأل عن كيفية النزول.

**ومنها:** من يقول: كيف ينزل وهو فوق كل شيء.

**ومنها:** من يقول: كيف ينزل في ثلث الليل الآخر، وثلث الليل الآخر يمتد في الأرض كلها، حتى يدور عليها وأشبه ذلك.

وكذلك من الطلبة من يسأل: كم أصابع الرحمن ﷻ، وكم أنامله؟ وما أشبه ذلك من الأسئلة التي لا تعنك، والتي من حسن إسلام المرء وأدبه مع الله ورسوله ألا يسأل عنها، وليسأل الإنسان نفسه فليقل: أنا أحرص أم الصحابة رضي الله عنهم؟ سيُجيب نفسه بأن الصحابة أحرص، أحرص على العلم بالله وبأسمائه وصفاته منك وهم أحب للخير منك، ولم يسألوا النبي ﷺ عن شيء.

وانظر إلى أدبهم رضي الله عنهم لما حدثهم الرسول ﷺ أن الدجال يبقى أربعين يوماً: «اليوم الأول كسنة»<sup>(١)</sup>. ما سألوا كيف يكون اليوم الأول سنة؟ والمعروف أن دوران الشمس يكون في أربع وعشرين ساعة، إنما سألوا عن الشيء الذي يهتمهم، وهو الصلاة، فقالوا: كيف صلاتنا في ذلك اليوم؟

فإذا عرفت الأدب مع الله ورسوله في مثل هذه الأمور، فإنك لا تتكلم. والإمام مالك رحمته الله لما سُئل عن قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ طه: ٥، كيف استوى؟ قال: السؤال عنه بدعة<sup>(٢)</sup>.

(١) رواه مسلم (٢٢٥٠/٤) (٢١٣٧) (١١٠).

(٢) رواه الدارمي في «الرد على الجهمية» (١٠٤) واللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد» (٦٦٤)، وأبو عثمان الصابوني في «عقيدة السلف» (٢٥)، وأبو نعيم في الحلية (٣٢٥/٦)، وله طرق عدة تنبأ بشبوت هذه القصة عن



فالحاصل: أن كل شيء لم يرد في القرآن والسنة، مما يتعلّق بأمور الغيب، فوظيفتك الأدبية، والشرعية، والعقلية ألاّ تسأل عنه، وإن تسأل عن المعنى فلا بأس؛ لأن المعنى مما يجب علمه، أما الكيفية، كيف ولم، وما أشبه ذلك فهذه لا تسأل عنها، وظيفتك التسليم؛ ولهذا قال: «وتكلف» أي: ما يكره من تكلف ما لا يعنيه.

❦ وقوله تعالى: ﴿لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ بُدِّ لَكُمْ فَسْأَلُكُمْ﴾ [البقرة: ١٠١]. هذه إنما تكون في زمن الوحي؛ يعني أن الله نهى عباده المؤمنين أن يسألوا عن أشياء في زمن الوحي، فقد تكون معفوًا عنها مسكوتًا عنها، ثم بعد هذه المسألة تحرّم أو توجب، مثال ذلك: عندما سأل الأقرع بن حابس رسول الله ﷺ لما قال: «إن الله كتب عليكم الحجّ فحجّوا». قال: أفي كلّ عام يا رسول الله؟ هذا سؤال تكلف، ولهذا قال له «لو قلت: نعم. لوجبت ولما استطعتم، الحجّ مرة، فما زاد فهو تطوع، ذروني ما تركتكم؛ فإنما أهلكت من كان قبلكم كثرة مسائلهم واختلافهم على أنبيائهم»<sup>(١)</sup> وما أشبه ذلك.

**وهذا الحديث:** الذي ذكره البخاري رحمه الله: «أن أعظم المسلمين جرماً من سأل عن شيء لم يحرم، فحرم من أجل مسألته»، هذا من أعظم الناس جرماً؛ لأنّه حرّم ما أحله الله لعباده، وكذلك من سأل عن شيء لم يجب، فأوجب من أجل مسألته، فهو شريك في هذا الإثم. أما بعد أن انقطع الوحي، فلا بأس أن يسأل الإنسان عن كلّ شيء يعين له ويخفى عليه. والترجمة هنا أخص من وجه، وأعم من وجه؛ لأن الترجمة في الكثرة لا في مطلق السؤال، والآية في مطلق السؤال، فمطلق السؤال إنما ينتهي عنه في زمن التشريع، وأما كثرة السؤال ففي كلّ وقت ما لم يكن على وجه التعلم كما سبق.

ثم قال البخاري رحمه الله:

٧٢٩٠- حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ، أَخْبَرَنَا عَفَّانُ، حَدَّثَنَا وَهَيْبٌ، حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ عُقْبَةَ، سَمِعْتُ أَبَا النَّضْرِ يُحَدِّثُ عَنْ بُسْرِ بْنِ سَعِيدٍ، عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ اتَّخَذَ حُجْرَةً فِي الْمَسْجِدِ مِنْ حَصِيرٍ، فَصَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِيهَا لَيْلِي، حَتَّى اجْتَمَعَ إِلَيْهِ نَاسٌ، ثُمَّ فَقَدُوا صَوْتَهُ لَيْلَةً فَظَنُّوا أَنَّهُ قَدْ نَامَ، فَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يَتَنَحَّحُ لِيُخْرِجَ إِلَيْهِمْ فَقَالَ: «مَا زَالَ بِكُمْ الَّذِي رَأَيْتُمْ مِنْ صَنِيعِكُمْ،

مالك بن أنس رحمه الله، ولذلك قال الذهبي في «مختصر العلو» (ص ١٤١): هذا ثابت عن مالك.

(١) رواه البخاري (٧٢٨٨) مختصراً، ومسلم (٩٧٥/٢) (١٣٣٧) (٤١٢) مطولاً.

حَتَّى خَشِيتُ أَنْ يُكْتَبَ عَلَيْكُمْ، وَلَوْ كُتِبَ عَلَيْكُمْ مَا قُمْتُمْ، بِهِ فَصَلُّوا أَيُّهَا النَّاسُ فِي بُيُوتِكُمْ، فَإِنَّ أَفْضَلَ صَلَاةِ الْمَرْءِ فِي بَيْتِهِ، إِلَّا الصَّلَاةَ الْمَكْتُوبَةَ<sup>(١)</sup>.

في هذا الحديث أيضًا: من الأشياء التي يتكلفها بعض الناس حتى تُفَرِّضَ على الأمة، فإن النبي ﷺ صلى في حجرة من حصير، فعلم الناس، فاجتمعوا إليه حتى كثروا، ثم إنهم فقدوا صوته، فظنوا أنه قد نام، فجعلوا يَتَنَحَّنُونَ لِيَسْمَعُوا صَوْتَهُ، فَبَيَّنَ لَهُمْ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ إِنَّمَا تَرَكَ هَذَا خَوْفًا مِنْ أَنْ تُفَرِّضَ عَلَى الْأُمَّةِ، فَيُعْزَزُوا عَنْهَا.

وفي الحديث: «أَيُّهَا النَّاسُ صَلُّوا فِي بُيُوتِكُمْ فَإِنَّ أَفْضَلَ صَلَاةِ الْمَرْءِ فِي بَيْتِهِ إِلَّا الصَّلَاةَ الْمَكْتُوبَةَ» يُسْتَنَى مِنْ ذَلِكَ مَا دَلَّتْ عَلَيْهِ السُّنَّةُ، قِيَامُ اللَّيْلِ فِي رَمَضَانَ، فَإِنَّهُ ثَابِتٌ فِي السُّنَّةِ، وَيُسْتَنَى مِنْ هَذَا أَيْضًا صَلَاةُ الْكُسُوفِ عَلَى الْقَوْلِ بِأَنَّهَا سُنَّةٌ، وَيُسْتَنَى مِنْ هَذَا صَلَاةُ الْاسْتِسْقَاءِ، وَيُسْتَنَى مِنْ هَذَا صَلَاةُ الْعِيدِ عَلَى الْقَوْلِ بِأَنَّهَا سُنَّةٌ أَوْ فَرَضٌ كِفَايَةً.

إِذَا: المرادُ بذلك أن التطوع، الأفضل أن يَكُونَ فِي الْبَيْتِ حَتَّى فِي مَكَّةَ، حَتَّى فِي الْمَدِينَةِ كَمَا هُوَ الظاهرُ مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ، فَالصلَاةُ فِي الْبَيْتِ أَفْضَلُ.

وعلى هذا فإذا كنت في مكة، وأردت أن تتطوع، فالتطوع في البيت أفضل من التطوع في المسجد الحرام.

وإنما قلنا: إن صلاة التطوع في البيت أفضل من التطوع في الحرم؛ لأن الرسول صلى الله عليه وسلم قالها في المدينة، وهو يقول: «صلاة في مسجدي هذا خيرٌ من ألف صلاة فيما سواه»<sup>(٢)</sup>. والتوفيق بينهما بأن يُقَالَ: إما أن هذا خاصٌّ بالفرائض، كما قيل بها: إن ما يُشْرَعُ فِي الْمَسْجِدِ فَهُوَ فِي الْمَسَاجِدِ الثَّلَاثَةِ أَكْثَرُ. وَلَكِنَّ هَذَا قَوْلٌ فِيهِ نَظَرٌ، بَلْ نَقُولُ: مَا فُعِلَ فِي الْمَسْجِدِ مِمَّا يَكُونُ فِي الْمَسْجِدِ تَحِيَّةُ الْمَسْجِدِ مَثَلًا. فَتَحِيَّةُ الْمَسْجِدِ تَكُونُ أَفْضَلَ مِنْ أَلْفِ تَحِيَّةٍ فِيمَا سِوَى الْمَسْجِدِ النَّبَوِيِّ، إِلَّا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ، وَكَذَلِكَ أَيْضًا لَوْ جَلَسَ إِنْسَانٌ يَنْتَظِرُ الصَّلَاةَ، وَصَلَّى. فَهَذَا نَفْلٌ مُطْلَقٌ، فَإِنْ هَذِهِ الصَّلَاةُ أَفْضَلُ مِنْ مِائَةِ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيمَا سِوَاهُ وَهَكَذَا.

وأما أن تقصِدَ أن تذهبَ مِنْ بَيْتِكَ إِلَى الْمَسْجِدِ مِنْ أَجْلِ هَذَا الْفَضْلِ فَلَا. وَأَعْلَمُ أَنَّ هَذَا التَّضْعِيفَ الَّذِي فِي الْحَدِيثِ يَكُونُ فِي الْكَمِيَّةِ، لَكِنْ فِي الْبَيْتِ يَكُونُ بِالْكَيفِيَّةِ، وَمَعْلُومٌ أَنَّكَ لَوْ جَمَعْتَ مِائَةَ نَوَاةٍ، ثُمَّ أَتَيْتَ بِحَجَرٍ كَبِيرٍ صَارَ الْحَجَرُ أَعْظَمُ مِنْهَا،

(١) رواه مسلم (١٥٣٩/١) (٧٨١) (٢١٤).

(٢) رواه البخاري (١١٩٠)، مسلم ١٠١٢/٢ (١٣٩٤) (٥٠٥).



فالصلاة في البيت من حيث الكيفية أفضل من حيث الصلاة، وإن زادت الكمية في المسجد النبوي، هذا وجه.

الحاصل: أن ما يُشْرَعُ فعله في المساجد، فالمساجد الثلاثة خير من البيت، ومن المساجد الأخرى، وما لا يُشْرَعُ ففي البيت أفضل، فراتبة الفجر في البيت أفضل، لأن الحديث عام.

\*\*\*

ثم قال البخاري رحمه الله:

٧٢٩١- حَدَّثَنَا يُونُسُ بْنُ مُوسَى، حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ، عَنْ بُرَيْدِ بْنِ أَبِي بُرْدَةَ، عَنْ أَبِي بُرْدَةَ، عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ قَالَ: سِئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ أَشْيَاءَ كَرِهَهَا، فَلَمَّا أَكْثَرُوا عَلَيْهِ الْمَسْأَلَةَ غَضِبَ وَقَالَ: «سَلُونِي». فَقَامَ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ أَبِي قَالَ: «أَبُوكَ حَذَافَةُ». ثُمَّ قَامَ آخَرُ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ أَبِي فَقَالَ: «أَبُوكَ سَالِمٌ مَوْلَى شَيْبَةَ». فَلَمَّا رَأَى عُمَرُ مَا بَوَّجَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْغَضَبِ قَالَ: إِنَّا نَتُوبُ إِلَى اللَّهِ رَجُلًا<sup>(١)</sup>.

**هذا شاهد للباب،** لأن الرسول ﷺ لما أكثروا عليه المسألة غضب، وقال: «سَلُونِي». تحدياً لهم، فجعلوا يسألونه هذا السؤال، مَنْ أَبِي؟ مَنْ أَبِي؟ مع أنه لا فائدة منه. لكن كأن السائلين قد قيل فيهم ما قيل من الاشتباه، بأنهم يُنسَبُونَ إلى آبائهم أو لا، فأرادوا أن يأخذوا من النبي ﷺ إثباتاً بأن آباءهم فلان وفلان.

ولكن عَمَرَ ﷺ لما رأى ما بوجه النبي صلى الله عليه وسلم من الغضب قال: إِنَّا نَتُوبُ إِلَى اللَّهِ رَجُلًا. يعني: نَرْجِعُ إِلَيْهِ مِمَّا أَغْضَبَ رَسُولَهُ ﷺ.

ثم قال البخاري رحمه الله:

٧٢٩٢- حَدَّثَنَا مُوسَى، حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْمَلِكِ، عَنْ وَرَادٍ كَاتِبِ الْمُغِيرَةِ قَالَ: كَتَبَ مُعَاوِيَةُ إِلَى الْمُغِيرَةِ اكْتُبْ إِلَيَّ مَا سَمِعْتَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. فَكَتَبَ إِلَيْهِ أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، اللَّهُمَّ لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلَا مُعْطَى لِمَا مَنَعْتَ، وَلَا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ». وَكَتَبَ إِلَيْهِ أَنَّهُ كَانَ يَنْتَهِي عَنْ قِيلٍ وَقَالَ، وَكَثَرَةُ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةُ الْهَالِ، وَكَانَ يَنْتَهِي عَنْ عُقُوقِ الْأُمَهَاتِ، وَوَادِ الْبَنَاتِ، وَمَنْعِ وَهَاتِ<sup>(١)</sup>.

(١) رواه مسلم (٤/١٨٢٤) (٢٣٦٠) (١٣٨).

(٢) رواه مسلم (١/٤١٤) (٥٩٣) (١٣٧) مختصراً.

**في هذا الحديث:** كتب معاوية إلى المغيرة بن شريك جميعاً يسأله عما سمع من رسول الله ﷺ؛ لأن الخلفاء في صدر هذه الأمة علماء، يحرصون على العلم، وعلى الحديث، فكتب إليه يسأله ماذا سمع من رسول الله ﷺ، فكتب إليه المغيرة... إلى آخره.

**وفي هذا الحديث:** دليل على تداول الحديث بواسطة الكتابة، وهذا أمر كان فيه خلاف في صدر هذه الأمة؛ فإنهم كرهوا أن يكتب الحديث خوفاً من أن يلحق بالقرآن، لكن بعد ذلك اتفق العلماء على جواز كتابة الحديث، وعلى جواز كتابة الأحكام المستنبطة من الأحاديث في المصنفات الفقهية وغيرها <sup>(١)</sup>.

كتب إليه يقول: إن النبي ﷺ كان يقول في دبر كل صلاة: «لا إله إلا الله».

والمراد بدبر الصلاة هنا: ما بعد السلام؛ لأنه يقع مستديراً لها.

وأما قوله في حديث معاذ: «لا تدعن أن تقول في دبر كل صلاة» <sup>(٢)</sup>. فالصحيح أن المراد به آخر الصلاة، والفرق أن حديث معاذ: «اللهم أعني» دعاء، ومحل الدعاء قبل السلام بعد التشهد، كما قال النبي ﷺ في حديث ابن مسعود، لما ذكر التشهد قال: «ثم ليخير من الدعاء ما شاء» <sup>(٣)</sup>.

وأما الذكر فهو بعد الصلاة؛ لقوله تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَادْكُرُوا اللَّهَ﴾ [النجم: ١٠٣].

وقوله: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير». النفي هنا نفي للحقيقة، فلا إله حق إلا الله، أما ما يعبد من دون الله، ويسمى إلهاً فهو أسماء فقط، قال تعالى: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمِيَتْهُمَا﴾ [الحج: ٢٣]. ووضعوها على غير مسمياتها في الحقيقة، فهم يعبدون هذه الأصنام، ويتخذونها آلهة، وهي في الحقيقة ليست بآلهة.

وقوله: «وحده لا شريك له». هذا تأكيد للنفي والإثبات، «فلا شريك له». تأكيد

(١) أما سبب كراهة السلف كتابة الحديث قديماً فذلك لما رواه الإمام مسلم (٣٠٠٤) من حديث أبي سعيد

الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا تكتبوا عني ومن كتب عني غير القرآن فليمحاه...»

قال القاضي عياض في إكمال المعلم بقوائد مسلم (٥٥٣/٨): كان بين السلف من الصحابة والتابعين اختلاف كثير في كتابة العلم، فكرهه كثير منهم، وأجازها أكثرهم ثم أجمع المسلمون على جوازها، وزال ذلك الخلاف. وقال الحافظ في «الفتح» (٢٠٤/١): السلف اختلفوا في ذلك عملاً وتركاً - أي كتابة العلم - وإن كان الأمر استقر والإجماع انعقد على جواز كتابة العلم، بل على استحبابه، بل لا يبعد وجوبه على من خشي النسيان ممن يتعين عليه تبليغ العلم.

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده (٢٤٤/٥) (٢٢١١٩)، وأبو داود (١٥٢٢)، والنسائي (١٣٠٢)، وصححه الشيخ

الألباني كما في تعليقه على السنن.

(٣) رواه البخاري (٦٣٢٨)، ومسلم (٣٠٢/١) (٤٠٢) (٥٨).



لِلنَّفْيِ، «وَحْدَهُ» تَأْكِيدٌ لِلْإِثْبَاتِ.

❦ وَقَوْلُهُ: «لَهُ الْمَلِكُ». أَي: لَهُ وَحْدَهُ الْمَلِكُ، وَالدَّلِيلُ عَلَى قَوْلِنَا وَحْدَهُ، أَنَّهُ قَدَّمَ الْخَبَرَ فِي قَوْلِهِ: «لَهُ الْمَلِكُ»؛ لِأَنَّ «لَهُ». خَبَرٌ مُقَدَّمٌ، وَ«الْمَلِكُ». مُبْتَدَأٌ مُؤَخَّرٌ، قَالَ الْعُلَمَاءُ: وَتَقْدِيمُ مَا حَقَّهُ التَّأْخِيرُ يُفِيدُ الْحَصَرَ وَالِاخْتِصَاصَ <sup>(١)</sup>.

❦ وَقَوْلُهُ: «لَهُ الْحَمْدُ». أَي: الْوَصْفُ بِالْجَمَالِ وَالْكَامِلِ، فَهُوَ ﷻ لَهُ الْحَمْدُ كُلُّهُ، وَهُوَ الْمُسْتَحَقُّ لَهُ، أَمَّا غَيْرُهُ مِمَّنْ يُحَمَدُ فَإِنَّهُ لَا يَسْتَحِقُّ مِنَ الْحَمْدِ إِلَّا الْبَسِيرَ، وَلَا يَسْتَحِقُّ الْحَمْدَ كُلَّهُ.

❦ وَقَوْلُهُ: «وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ». أَي: كُلُّ شَيْءٍ فَاللَّهُ قَدِيرٌ عَلَيْهِ، وَلَا يَمْتَنِعُ عَلَيْهِ شَيْءٌ أَرَادَهُ ﷻ، سَوَاءٌ كَانَ فِي إِيجَادِ مَعْدُومٍ، أَوْ إِعْدَادِ مَوْجُودٍ، أَوْ تَغْيِيرِ حَالٍ، أَوْ تَغْيِيرِ وَصْفٍ، الْمَهْمُ أَنَّهُ ﷻ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ؛ لِقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يونس: ٨٢].

وَلَا أَعْظَمَ مِنْ قُدْرَةِ بَيْنَهَا اللَّهُ فِي قَوْلِهِ: ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ (١٢) ﴿فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ﴾ [التَّارِكِينَ: ١٣-١٤]. فَالْأَمْوَاتُ كُلُّهُمْ ﴿زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ﴾. يَخْرُجُونَ مِنَ الْقُبُورِ ﴿فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ﴾، كَأَنَّمَا خَرَجُوا مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ، بِإِذْنِ اللَّهِ، وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَلَا يُسْتَشْنَى مِنْ هَذَا شَيْءٌ. وَأَمَّا مَا يَقَعُ فِي عِبَارَةِ بَعْضِ النَّاسِ: إِنَّهُ عَلَى مَا يَشَاءُ قَدِيرٌ. فَهَذَا غَلَطٌ؛ لِأَنَّهُ تَخْصِيصٌ لِمَا عَمَّمَهُ اللَّهُ، وَتَقْيِيدٌ لَهُ، فَهُوَ قَدِيرٌ عَلَى مَا يَشَاءُ وَعَلَى مَا لَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ، ثُمَّ إِنْ هَذِهِ الْعِبَارَةُ رَبِّهَا تَوْهَمٌ أَنَّهُ لَا يَقْدِرُ عَلَى أَفْعَالِ الْعِبَادِ؛ لِأَنَّ أَفْعَالَ الْعِبَادِ عِنْدَ الْمُعْتَزَلَةِ لَيْسَتْ دَاخِلَةً فِي مَشِئَةِ اللَّهِ، وَعَلَى هَذَا فَلَا يَكُونُ قَادِرًا عَلَيْهَا، وَلِذَلِكَ يَنْبَغِي تَجَنُّبُ هَذِهِ الْعِبَارَةِ، وَأَنْ نَقُولَ كَمَا قَالَ اللَّهُ عَنْ نَفْسِهِ: ﴿وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الْمَائِدَةِ: ٦٠].

وَأَمَّا مَا وَرَدَ فِي حَدِيثِ آخَرٍ أَهْلُ الْجَنَّةِ دَخُولًا، وَأَنَّ اللَّهَ يَقُولُ: «إِنِّي عَلَى مَا أَشَاءُ قَادِرٌ» <sup>(١)</sup>. فَلَا يَعْنِي هَذَا الْوَصْفَ الْمَطْلُوقَ، وَلَكِنَّهُ لِمَا حَصَلَ لِهَذَا الرَّجُلِ مَا حَصَلَ مِنَ الْوُصُولِ إِلَى هَذِهِ الدَّرَجَاتِ الْعُلَا، بَيْنَ اللَّهِ تَعَالَى أَنَّ هَذَا بِمَشِئَتِهِ، وَأَنَّ مَا شَاءَ فَهُوَ قَادِرٌ عَلَيْهِ، فَهُوَ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ﴾ [الْأَنْعَامِ: ٢٩]. أَي: إِذَا شَاءَ جَمَعَهُمْ فَلَيْسَ بِعَاجِزٍ عَنْهُ، فَفَرَّقَ بَيْنَ الْقُدْرَةِ الْمُقَيَّدَةِ بِشَيْءٍ مُعَيَّنٍ، فَإِنَّمَا إِذَا قَيَّدَتْ بِالْمَشِئَةِ فَلَا بَأْسَ؛ لِتَبَيُّنِ أَنَّ هَذَا الشَّيْءَ الْمُعَيَّنَ شَاءَهُ اللَّهُ، وَمَا شَاءَ فَهُوَ قَادِرٌ عَلَيْهِ.

(١) انظر: دروس البلاغة بتحقيقنا (ص ٤٧، ٥١).

(٢) رواه مسلم (١/ ١٧٤) (١٨٧) (٣١٠).

أما إذا ذُكرت القدرة على أنها وصفٌ مطلقٌ لله، فلا تُقيدُ بالمشيئة؛ وبهذا جاءت السنة: «وهو على كلِّ شيءٍ قديرٌ». كما جاء في القرآن في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾ (النفاذ: ٢١) وما أشبهه.

❖ وقوله: «اللهم لا مانعَ لما أعطيتَ ولا مُعطيَ لما منعتَ». في هذا: تهايمُ التفويضِ إلى الله وَعَلَيْهِ، فما أعطاه الله لا يُمكنُ لأحدٍ أن يَمْنَعَهُ؛ أي: ما قدر أن يُعْطيه أحدًا فإنه لا يُمكنُ لأحدٍ أن يَمْنَعَهُ أبدًا، لو اجتمع أهل الأرض على أن يَضْرُوكَ بشيءٍ، لم يَضْرُوكَ إلا بشيءٍ قد كتبه الله عليك.

❖ كذلك قوله: «لا مُعطيَ لما منعتَ»، فما قدر الله منعه، فلن يَسْتَطِيعَ أحدًا أن يُعْطِيَهُ مهما كان.

إِذَا: ففي هاتين الجملتين كمالُ التفويضِ إلى الله وَعَلَيْهِ، والاعتمادُ عليه، وصدقُ التوكلِ عليه وَعَلَيْهِ.

❖ وقوله: «ولا يَنْفَعُ ذا الجَدِّ منك الجَدُّ» الجَدُّ يعني: الحظُّ والغنى، وصاحبُ الجَدِّ لا يَنْفَعُهُ من الله جَدُّه. ونفعٌ هنا؛ بمعنى منع، ولذلك عُدِّيَتْ بـ«مِنْ» فالمعنى: لا يَمْنَعُ صاحبُ الجَدِّ جَدُّه منك مهما عظمَ حظُّه، وسلطانُه، وقوته فإنه لا يَمْنَعُهُ من الله شيءٌ.

❖ وقوله: «وكتبَ إليه أنه كان يَنْهَى عن قيلٍ وقالٍ» -الله أكبر- ما أعظمَ هذه العبارة، فَيَدِينُ كثيرٌ من الناسِ اليومَ -ومع الأسفِ أنها تُوجدُ في طلبةِ العلمِ- قيلَ في فلان كذا، قال فلانٌ في فلانٍ كذا، فيُضَيِّعُونَ أوقاتهم في غير فائدة، ويَحْمِلُونَ قلوبَهم من الضغائن والأحقادِ ما لا يَنْبَغِي أن يَكُونَ من طالبِ العلمِ؛ ولهذا يَنْبَغِي لك إذا رأيتَ الناسَ مشغولينَ بقيلٍ وقالٍ أن تُعرِضَ عن هذا؛ لأن النبي ﷺ يَنْهَاكَ عنه، ولا يَسْلَمُ من اتباعِ قيلٍ وقالٍ من الإثمِ غالبًا؛ لأنه إما أن يَنْقَلَّ كذبًا، أو يَنْقَلَّ تهمةً، أو يَحْمِلَ ضغائنَ أو ما أشبه ذلك فتجنبْ قيلٍ وقالٍ، واجعلْ قولك مبنياً على قولِ الرسولِ ﷺ: «مَنْ كَانَ يَوْمًا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ» (١).

ولو أننا سَلَكْنَا هذا المسلكَ لَسَلِمْنَا من مآثمٍ كثيرةٍ؛ ولهذا قال النبي ﷺ لمعاذِ بنِ جبلٍ: «أَفَلَا أَخْبَرْتُكَ بِمِلَاكِ ذَلِكَ كُلِّهِ؟» لما عَدَّدَ عليه ما عَدَّدَ من شعائرِ الإسلامِ قلت: بلى يا رسولَ الله، فأخذ بلسانه وقال: «كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا» قال: يا رسولَ الله وإنا لمؤاخذونَ بما نَتَكَلَّمُ به؟ قال: «تَكَلِّمُكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ وَهَلْ يُكَبِّ النَّاسُ فِي النَّارِ عَلَى وَجُوهِهِمْ -أَوْ قَالَ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ- إِلَّا حَصَائِدُ السَّيِّئَاتِ» (٢).

(١) رواه البخاري (٦٠١٨)، ومسلم (٦٨/١) (٤٧) (٧٤).

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده (٢٣١/٥) (٢٢٠١٦)، والترمذي (٢٦١٦)، وابن ماجه (٣٩٧٣)، وصححه الشيخ الألباني كما في تعليقه على السنن.



❦ وقوله: «وكثرة السؤال». كثرة السؤال، هل المراد سؤال العلم، أو السؤال عن أحوال الناس، أو سؤال المال؟ الظاهر أن كل ذلك محتمل. فكثرة السؤال للعلم قد تفضي إلى الإعانة والإشفاق على المسئول كما هو مشاهد فقد يأتي إنسان يسألك عشرين مسألة في آن واحد فإن اعتذرت قال: هذا كاتمٌ للعلم، ويتلو قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنْ آيَاتِنَا وَهُدًى مِّنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعِنُونَ﴾ (١٥٩) فيُعطيكَ اللعنة وينصرف وهذا غلط.

وأما كثرة السؤال عن أحوال الناس، فبعض الناس مبتلى - والعياذ بالله - كلما جلس عند إنسان يسأله، ما حصل لفلان؟ وما حصل لفلان؟ وقد قال النبي ﷺ: «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه»<sup>(١)</sup> فما دام هذا الأمر لا يعينك لا في دينك، ولا في دنيك فاتركه، فإن هذا من حسن إسلامك. وأما كثرة سؤال المال فأشد، لأن سؤال المال محرّم إلا للحاجة أو الضرورة، فإذا كان محرّمًا على وجه الإطلاق، فهو محرّم على وجه الكثرة من باب أولى.

**إضاعة المال:** هو صرفه في غير فائدة، وصرفه في المحرم أشد، وفي المكروه ينهى عنه، والناس يصرفون أموالهم في وجوه شتى.

**فمنهم:** من يصرفه في طرق الخير المعلومة وفي محله؛ فهذا خير من يصرف.

**ومنهم:** من يصرفه فيما يظنه خيرًا وليس بخير، وهذا يُعذرُ بجهله، ولكن يجب عليه أن يسأل.

**ومنهم:** من يصرفه في المباح، ويطلق العنان لنفسه في الصرف في المباح، فهذا لا ينبغي، ولا سيما إذا كان ذلك يؤدي إلى الاستدانة من الغير. كما يوجد بعض الناس، ولا سيما في بلادنا، فمن أجل أن يكون مظهره لدى الناس مظهر الغنى، ومظهر الشرف والسيادة، تجده يستدين، ويظهر بيته بمظهر بيوت الملوك، والشرفاء، والأسياد، وهذا لا ينبغي، بل ينهى عنه، وهو من أشد ما يكون من إضاعة المال.

وأما من يصرف المال فيما يليق به وبأمثاله، فهذا ليس من إضاعة المال، وليس من الإسراف.

❦ وقوله: «وكان ينهى عن عقوق الأمهات». العُق بمعنى: القطع، والمراد بالعقوق قطع ما يجب للأم من البر والصلة، وخص الأمهات وإن كان الآباء مثلهن؛ لأن الغالب أن الإنسان يستهين بالأم أكثر مما يستهين بالأب؛ لأنه يهاب أباه ولا يهاب أمه، فهو ينظر إلى أبيه نظرة الهيبة والسلطان، وينظر إلى أمه

(١) رواه الترمذي (٢٣١٧)، وابن ماجه (٣٩٧٦)، وابن حبان (٣٢٩)، وصححه الشيخ الألباني كما في تعليقه على السنن.

نظر الرحمة والإشفاق، وإذا لم يكن في قلبه رحمة فإنه لا يهتم لها.

❖ وقوله: «وعن وأد البنات». والوَأْدُ، هو القتل على صفة معروفة معهودة، وهي الدفنُ أحياءً، وهذا من شأن الجاهلية - والعياذُ بالله - .

وفي الجاهلية يَنْقَسِمُونَ في قتل الأولاد إلى ثلاثة أقسام:

**القسم الأول:** حمأه الله وَعَلَّ من قتل الأولاد الذكور والإناث.

**والقسم الثاني:** يَقْتُلُ الذكور والإناث، وهؤلاء أشار الله إليهم في قوله: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِمَّنْ مَلَئَكُمْ﴾ [الأنعام: ١٥١]. وفي آية أخرى ﴿خَشِئَةً مِّمَّنْ لَمَلِكِي﴾ [الأنعام: ٣١]. فهؤلاء يَقُولُونَ: إنهم عندما يَكْبُرُونَ يُضَيِّقُونَ علينا في الأكل والشرب.

**والقسم الثالث:** يَقْتُلُ الإناث فقط؛ لأنهنَّ على زعمه عارٌّ عليه، أشار الله إليهم في قوله: ﴿وَإِذَا بَشَّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنْثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ [الحق: ٥٨]. - أَعُوذُ بِاللَّهِ - يَعْنِي: يَتَغَيَّرُ فِي ظَاهِرِهِ وَبَاطِنِهِ، ففي ظاهره يَكُونُ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا، وفي باطنه كَظِيمٌ ممتلئ غيظًا: ﴿يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ﴾ [الحق: ٥٩]. : أي: يَخْتَفِي عَنْهُمْ: ﴿مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ﴾، لأنهم يَلْقَوْنَهُ بقولهم جَبَرِ اللَّهُ مَصِيبَتَكَ جَاءَكَ الْيَوْمُ بَنْتُ. فيتوارى منهم من سوء ما بُشِّرَ به، ثم يُفَكِّرُ: ﴿أَتَمْسِكُهُ عَلَىٰ هُوٍ﴾: يَعْنِي: يُبْقِيهِ حَيًّا عَلَىٰ هَوٍ وَذُلٍّ وَمَهَانَةٍ، ﴿أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ﴾.

وهذا هو الوَأْدُ، قال تعالى: ﴿أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [النحل: ٥٩].

والعجبُ أن هؤلاء يَشْمِزُّونَ وَيَسْتَنَكِفُونَ أَنْ تُنْسَبَ البناتُ إليهم، وَيَجْعَلُونَهَا لِلَّهِ قَالَ تعالى: ﴿وَجْعَلُوا لِلَّهِ أَلْبَنَتِ سُبْحَنَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ﴾ [الحق: ٥٧].

كما فعلوا ذلك في المآكل، قال تعالى: ﴿وَجْعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِرَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِهِمْ فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَيْهِمْ﴾ [الأنعام: ١٣٦].

وقوله: عن وأد البنات. يَدْخُلُ فِيهِ وَأْدُ الأولاد؛ لأن التخصيص هنا بإعتبار الواقع وقد ذكر علماء الأصول أن التخصيص بإعتبار الواقع لا مفهوم له. وقد سبق لنا الكلام عليها عند الكلام على قوله تعالى: ﴿وَرَبَّيْبُكُمْ أَتَىٰ فِي حُجُورِكُمْ﴾ [الشع: ٢٣]. فهذا بإعتبار الواقع، فليس له مفهوم، وكذلك وأد البنات بإعتبار الواقع فليس له مفهوم.

❖ وقوله: «ومنع وهات». منع لما يَجِبُ، وهاتٍ لما لا يَجِبُ له؛ يَعْنِي: يَمْنَعُ مَا يَجِبُ عَلَيْهِ؛ وهذا يَدُلُّ عَلَى الْبَخْلِ، وهاتٍ: يَطْلُبُ مَا لَيْسَ لَهُ؛ وهذا هو الشُّحُّ، والشُّحُّ قال فيه



الرسول ﷺ: «اتقوا الشَّحَّ فإنه أهلك من كان قبلكم»<sup>(١)</sup>.

**هذا الحديث:** كما ترون جمع مسائل متعددة، فهو يدلُّنا على نصيح سلف الأمة لولاة الأمر، فإن المُغِيرَةَ هِيَ أتى بكلِّ ما أتى به؛ لأنَّ المقامَ يَفْتَضِيهِ، فأتى بما يَتَعَلَّقُ بالعبادة، وبما يَتَعَلَّقُ بمعاملة الناس، وبما يَتَعَلَّقُ بالمال؛ لأنَّ معاوية هِيَ هو الخليفة، وعنده الأموالُ يَفْعَلُ بها ما يَشَاءُ، لكن إذا جاء مثل هذا الحديث: يَنْهَى عن إضاعة المال، توقف.

وكذلك عقوبُ الأمهات؛ لأنَّ الخليفة قد يَرُدُّ عليه أن فلاناً عَقَّ أُمَّه، أو ما أشبه ذلك، فهذا يدلُّنا على كمالِ نصيحِ سلفِ الأمة لولاة الأمور، وأحقُّ مَنْ تَنْصَحُ وليُّ الأمر؛ لأنَّ وليَّ الأمر إذا صَلَحَ صَلَحَ مَنْ تحت ولايته، وإذا فَسَدَ أَهْمَلُ وَأَضَاعَ.

❁ وقوله: «وهو على كلِّ شيءٍ قديرٌ». وهذا يدلُّ على أنه لا يَجُوزُ للإنسان أن يَقُولَ: اللَّهُمَّ إني لا أَسْأَلُكَ رَدَّ الْقَضَاءِ، ولكنني أَسْأَلُكَ اللطْفَ فيه. بل الإنسان يَدْعُو بما شاء، والدعاء يَرُدُّ الْقَضَاءَ كما جاء في الحديث: «لا يَرُدُّ الْقَضَاءَ إِلَّا الدُّعَاءُ»<sup>(٢)</sup>. وأنت الآن كأنك تتحدَّى اللَّهَ وتَقُولُ: اقض على بما تُرِيدُ، لكن الطُفَّ بي، وهذا لا يَسْتَقِيمُ أو نَقُولُ: اللَّهُمَّ إني لا أَسْأَلُكَ أَنْ تَمْنَعَنِي مِنَ الْغَرَقِ، ولكن الطف بي إذا غَرِقْتُ. هذا لا يَسْتَقِيمُ. وهذه مبتدعة، ما سَمِعناها في دعاء الأولين، ولا الآخرين.



ثم قال البخاري رحمه الله تعالى:

٧٢٩٣- حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ، عَنْ ثَابِتٍ، عَنْ أَنَسٍ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ

عُمَرَ فَقَالَ: نُهِنَا عَنِ التَّكْلِيفِ.

النهْي هنا عن التكليف في كلِّ شيءٍ، حتى في أحوالك الخاصة، فاجعل الأمور تأتي على طبيعتها، وعلى ما تيسر؛ لأنك إذا تكلَّفت تكلَّفت، فإذا أردت أن يَكُونَ كلُّ شيءٍ على ما تُرِيدُ، فأتاك كلُّ ما تُرِيدُ، وتعبت، فاجعل الأمور تَمشي على طبيعتها، والذي يَتَسَرَّ يَتَسَرَّ، والذي لم يَتَسَرَّ فاعلم أن الله سبحانه لو أراد سواه لحصل.

فالتكليف في كلِّ شيءٍ منهْيٌ عنه، ولا أعرف لفظَ الحديث الذي ورد، ولكن قول عمر:

(١) رواه مسلم (٤/١٩٩٦) (٢٥٧٨) (٥٦).

(٢) رواه الترمذي (٢١٣٩)، وحسنه الشيخ الألباني كما في تعليقه على السنن.

نُهِنَا. قَالَ الْعُلَمَاءُ: إِنَّهُ مِنَ الْمَرْفُوعِ حُكْمًا <sup>(١)</sup>، وَأَمَّا الْمَرْفُوعُ صَرِيحًا فِي هَذَا فَهُوَ قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ قَالَهَا ثَلَاثًا» <sup>(٢)</sup>.

\*\*\*

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٢٩٤- حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ، أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ. وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ حَبْشَةَ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، أَخْبَرَنِي أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ - رَحِمَهُ اللَّهُ - أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَرَجَ حِينَ زَاغَتِ الشَّمْسُ فَصَلَّى الظُّهْرَ فَلَمَّا سَلَّمَ قَامَ عَلَى الْمِنْبَرِ فَذَكَرَ السَّاعَةَ، وَذَكَرَ أَنَّ بَيْنَ يَدَيْهَا أُمُورًا عَظِيمًا ثُمَّ قَالَ: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُسْأَلَ عَنْ شَيْءٍ فَلْيَسْأَلْ عَنْهُ، فَوَ اللَّهِ لَا تَسْأَلُونِي عَنْ شَيْءٍ إِلَّا أَخْبَرْتُكُمْ بِهِ، مَا دُمْتُ فِي مَقَامِي هَذَا». قَالَ: أَنَسُ فَأَكْثَرَ النَّاسُ الْبُكَاءَ، وَأَكْثَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَقُولَ: «سَلُونِي». فَقَالَ أَنَسُ: فَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ فَقَالَ: أَيْنَ مَدْخَلِي يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «النَّارُ». فَقَامَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حُدَافَةَ فَقَالَ: مَنْ أَبِي يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «أَبُوكَ حُدَافَةُ». قَالَ: ثُمَّ أَكْثَرَ أَنْ يَقُولَ: «سَلُونِي سَلُونِي». فَبَرَكَ عُمَرُ عَلَى رُكْبَتَيْهِ فَقَالَ: رَضِينَا بِاللَّهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ ﷺ رَسُولًا. قَالَ فَسَكَتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ قَالَ: ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ عُرِضَتْ عَلَيَّ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ أَنْفَا فِي عُرْضِ هَذَا الْحَائِطِ وَأَنَا أَصْلَى، فَلَمْ أَرْ كَالْيَوْمِ فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ» <sup>(٣)</sup>.

وَفِي نَسَخَةٍ: «أُولَى وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ»

قَالَ ابْنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «الْفَتْحِ» (٢٦٩ / ١٣):

❁ قَوْلُهُ: «وَقَالَ سَلُونِي». فِي حَدِيثِ أَنَسٍ الْمَذْكُورِ: فَصَعَدَ الْمِنْبَرَ فَقَالَ: «لَا تَسْأَلُونِي عَنْ شَيْءٍ إِلَّا بَيَّنْتُهُ لَكُمْ». وَفِي رَوَايَةِ سَعِيدِ بْنِ بَشِيرٍ، عَنْ قَتَادَةَ عِنْدَ أَبِي حَاتِمٍ، «فَخَرَجَ ذَاتَ يَوْمٍ حَتَّى صَعَدَ الْمِنْبَرَ»، وَبَيَّنَّ فِي رَوَايَةِ الزُّهْرِيِّ الْمَذْكُورَةِ فِي هَذَا الْبَابِ وَقْتُ وَوُقُوعَ ذَلِكَ، وَأَنَّهُ بَعْدَ أَنْ صَلَّى الظُّهْرَ، وَلَفْظُهُ: «خَرَجَ حِينَ زَاغَتِ الشَّمْسُ فَصَلَّى الظُّهْرَ، فَلَمَّا سَلَّمَ قَامَ عَلَى الْمِنْبَرِ، فَذَكَرَ السَّاعَةَ ثُمَّ قَالَ: مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُسْأَلَ عَنْ شَيْءٍ فَلْيَسْأَلْ عَنْهُ» فَذَكَرَ نَحْوَهُ.

❁ قَوْلُهُ: «فَقَامَ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ أَبِي؟» بَيَّنَّ فِي حَدِيثِ أَنَسٍ مِنْ رَوَايَةِ الزُّهْرِيِّ

(١) انظر: «مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث» ص ٢٣.

(٢) رواه مسلم (٢٠٥٥ / ٤) (٢٦٧٠) (٧).

(٣) رواه مسلم (٨٣٢ / ٤) (٢٣٥٩) (١٣٤).



اسمَه، وفي رواية قتادة سبب سؤاله، قال: فقام رجلٌ كان إذا لاحى - أي؛ خاصم - دعى إلى غير أبيه، وذكر اسم السائل الثاني، وأنه سعدٌ، وإني نقلته من ترجمة سهيل بن أبي صالح من تمهيد ابن عبد البر. وزاد في رواية الزهري الآتية بعد حديثين، فقام إليه رجلٌ فقال: «أين مدخلي يا رسول الله؟ قال: النار» ولم أقف على اسم هذا الرجل في شيء من الطرق، كأنهم أبهموه عمدًا للستر عليه. وللطبراني من حديث أبي فراس الأسلمي نحوه زاد «وسأله رجلٌ في الجنة أنا؟ قال: في الجنة» ولم أقف على اسم هذا الآخر.

ونقل ابن عبد البر عن رواية مسلم أن النبي ﷺ قال في خطبته: «لا يسألني أحدٌ عن شيءٍ إلا أخبرته، ولو سألني عن أبيه». فقام عبد الله بن حذافة، وذكر فيه عتاب أمه له وجوابه، وذكر فيه: «فقام رجلٌ فسأل عن الحج» فذكره، وفيه فقام سعد مولى شيعة فقال: من أنا يا رسول الله؟ قال: «أنت سعد بن سالم مولى شيعة». وفيه فقام رجلٌ من بني أسد فقال: أين أنا؟ قال: «في النار» فذكر قصة عمر قال: فنزلت ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ﴾ [الأنعام: ١٠١] ونهي النبي ﷺ عن قيل وقال وكثرة السؤال.

وبهذه الزيادة يتضح أن هذه القصة سبب نزول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن تُبْدَلْكُمْ سُؤُوكُمْ﴾. فإن المساءة في حق هذا جاءت صريحة، بخلافها في حق عبد الله بن حذافة، فإنها بطريق الجواز، أي لو قدر أنه في نفس الأمر لم يكن لأبيه فين أباه الحقيقي لا فتصحت أمه، كما صرحت بذلك أمه حين عاتبته على هذا السؤال كما تقدم في «كتاب الفتن».

❦ قوله: «فلما رأى عمر ما بوجه رسول الله ﷺ من الغضب». بين في حديث أنس أن الصحابة كلهم فهموا ذلك، ففي رواية هشام «فإذا كل رجلٌ لافاً رأسه في ثوبه يبيكي» وزاد في رواية سعيد بن بشير: «وظنوا أن ذلك بين يدي أمرٍ قد حضر» وفي رواية موسى بن أنس، عن أنس الهامية في تفسير المائدة: «فغطوا رؤسهم لهم حنين». وزاد مسلمٌ من هذا الوجه: «فما أتى على أصحاب رسول الله ﷺ يومٌ كان أشد منه».

❦ وقوله: «فقال: إنا نتوب إلى الله ﷻ» زاد في رواية الزهري: «فبرك عمرٌ على ركبته فقال: رضينا بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولاً». وفي رواية قتادة من الزيادة: «نعودُ بالله من شرِّ الفتن». وفي مرسل السدي عند الطبري في نحوه هذه القصة: «فقام عمرٌ فقبل رجله وقال: رضينا بالله رباً». فذكر مثله وزاد: «وبالقرآن إماماً، فاعفُ عفاً الله عنك فلم يزل به حتى رضي».

وفي هذا الحديث غير ما يتعلّق بالترجمة.

مراقبة الصحابة أحوال النبي ﷺ، وشدة إشفاقهم إذا غضب، خشية أن يكون لأمر يعم فيعمهم، وإدلال عمر عليه.

○ وجواز تقبيل رجل الرجل.

○ وجواز الغضب في الموعظة.

وبُروك الطالب بين يدي من يستفيد منه، وكذا التابع بين يدي المتبوع إذا سأله في حاجة.

ومشروعية التعوذ من الفتن عند وجود شيء قد يظهر منه قرينة وقوعها.

واستعمال المزاجية في الدعاء في قوله: «اعفُ عفا الله عنك» وإلا فالنبي ﷺ معفو عنه

قبل ذلك. اهـ.

وقوله: المزاجية في الدعاء في قوله: «اعفُ عفا الله عنك» ؛ لأن النبي ﷺ قد عُفِيَ عنه قبل ذلك. في هذا التعليل نظر؛ لأنه قد يكون من أسباب العفو دعاء الناس له؛ ولهذا يجب أن تُصَلِّي على الرسول ﷺ مع أن الله قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾ [الاحزاب: ٥٦]. وكذلك أيضًا نسأل الله له الوسيلة عند الفراغ من الأذان، مع أنها حاصلة له<sup>(١)</sup>.

فإذا قال قائل: إذا كانت هذه الأمور حاصلة فما الفائدة من الدعاء بها له؟

**قلنا هذا له فوائد:** أولاً: كثرة الأجر لنا لسؤالنا لرسول الله ﷺ هذا.

**ثانياً:** أنه عنوان على محبة الإنسان لرسول الله ﷺ.

**ثالثاً:** إنه قد يكون حصول هذا له بأسباب متعددة؛ منها دعاؤنا له. فما ذهب إليه ابن حجر رحمه الله فيه نظر.

وإنما لا شك أنه ينبغي أن يكون الدعاء من جنس العمل: مثل: اغفر لي غفر الله لك، أعطني أعطاك الله، أو وسع لي وسع الله لك.

**قال ابن حجر في «الفتح» (١٣ / ٢٧٠):**

قال ابن عبد البر: سئل مالك عن معنى النهي عن كثرة السؤال، فقال: ما أذري أنه عن الذي أنتم فيه من السؤال عن التوازل، أو عن مسألة الناس الهال، قال ابن عبد البر: الظاهر الأول، وأما الثاني فلا معنى للفرقة بين كثرة وقلته، لا حيث **يجوز** ولا حيث لا **يجوز**، قال: وقيل كانوا يسألون عن الشيء ويلحون فيه إلى أن يحرم، قال: وأكثر العلماء على أن المراد

(١) رواه مسلم (١/ ٢٨٨) (٣٨٤) (١١).



كثرة السؤال عن النوازل، والأغلوطات، والتوليدات كذا قال : وقد تقدم الإلهام بشيء من ذلك في كتاب «العلم». اهـ

ثم قال ابن حجر رحمته الله في «الفتح» (٢٧٢/١٣):

الحديث السادس: وهو يتعلّق بالقسم الثالث، وكذا الرابع حديث أنسٍ وهو في معنى الحديث الرابع، وقد مضى شرحه، أورده من وجهين عن الزهري، وساقه هنا على لفظ معمر، وفي باب وقت الظهر من «كتاب الصلاة» بلفظ شعيب وهما متقاربان، ووقع هنا «فأكثر الأنصار البكاء». في رواية الكشميّهني، وفي رواية غيره «فأكثر الناس» وهي الصواب، وكذا وقع في رواية معمر وغيره، ووقع هنا «فذكر الساعة وذكر أن بين يديها أمورًا عظامًا». وفي رواية شعيب، وذكر أن فيها أمورًا عظامًا، وزاد هنا: «فقام رجل فقال: أين مُدخلي» إلخ. ووقع هنا «وبمحمد رسولاً» وفي رواية شعيب «ومحمد نبياً» ووقع هنا «فسكت حين قال ذلك عمر ثم قال النبي ﷺ: أولى» وسقط هذا كله من رواية شعيب قال المبرد: يُقال للرجل إذا أفلت من معضلة: أولى لك، أي: كِدْتَ تَهْلِكُ، وقال غيره هي بمعنى التهديد والوعيد. اهـ

وقوله: «أولى» معروف أنها تقع للتهديد، مثل قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ فَأُولَئِكَ﴾ [النبي: ٣٤]. ويَحْتَمِلُ أن قوله «أولى» هنا أن هذا أولى؛ أي: ما قاله عمر من قوله: «رضينا بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولاً» ففيه احتمال.

المشكلة عندي أن الرجل قال: أين مُدخلي؟ فقال: النار؛ فمثل هذا من رسول الله ﷺ فيه شيء من الجفاء، ومن عادته ﷺ أنه لا يَقَعُ منه الجفاء، اللهم إلا أن يُقال: لعل هذا الرجل كان معروفاً بالعداوة وإيذاء المسلمين، فأراد النبي ﷺ أن يُخَبِّرَ بمصيره تطبيقاً لقلوب المسلمين الذين يلحقهم أذيتُهُ، فهذا له وجه. وذكر في كتاب «العلم» أنه كان منافقاً.

وقوله: «الأغلوطات» يعنى: الإيرادات والمنازعات.

\*\*\*

ثم قال البخاري رحمته الله:

٧٢٩٥- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحِيمِ، أَخْبَرَنَا رَوْحُ بْنُ عُبَادَةَ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، أَخْبَرَنِي مُوسَى بْنُ أَنَسٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ: رَجُلٌ يَا نَبِيَّ اللَّهِ مَنْ أَبِي؟ قَالَ: «أَبُوكَ

فَلَانٌ. وَنَزَلَتْ ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ﴾ الآية<sup>(١)</sup>.

هذا الحديث مع الأحاديث التي ذكرها المؤلف في هذا الباب: وهو كراهة السؤال عما يُخشى أن يُجاب عليه الإنسان بما يسوؤه. فهذا الرجل سأل من أبي؟ وكأنه والله أعلم يتكلم الناس فيه، فأراد أن يسأل النبي ﷺ عن أبيه حتى يُحقق أن أباه فلان ابن فلان، فيزول هذا الاشتباه الذي رماه الناس به، فنزلت: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ بُدَّ لَكُمْ فَسْأَلُكُمْ﴾ الآية<sup>(٢)</sup>؛ لأنه ربما لو كان الرجل يُنسب إلى غير أبيه الحقيقي، فأخبر به النبي ﷺ حين سُئل لسأه ذلك.

وهذه الآية محلها وقت نزول الوحي، أما الآن فيجب السؤال عن كل شيء يُشكل على المرء؛ لأن تغيير الأحكام مأمون، فلا يُمكن أن يُوجب ما لم يجب، ولا أن يُحرّم ما لم يُحرّم.

\*\*\*

ثم قال البخاري رحمه الله:

٧٢٩٦ - حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ صَبَاحٍ، حَدَّثَنَا شَبَابَةُ، حَدَّثَنَا وَرْقَاءُ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، سَمِعْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَنْ يَسْرَحَ النَّاسُ يَتَسَاءَلُونَ حَتَّى يَقُولُوا هَذَا اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَمَنْ خَلَقَ اللَّهُ؟»<sup>(١)</sup>.

في تفسيره: ذاك صريح الإيمان. أي: أنه يؤدي إلى صريح الإيمان الذي ليس فيه تردد ولا شك، وهذا خلاف ظاهر الحديث؛ لأن ظاهر الحديث أن نفس الشك صريح الإيمان، وحينئذ يحتاج إلى توجيه.

وتوجيهه أن يقال: إن الشك لا يرد إلا على قلب خالص؛ لأن الشك على القلب المتردد غير وارد؛ إذ إنه لم يكن فيه يقين حتى يرد عليه الشك خلفه ويُلقي الشبهة في قلب هذا الموقن الذي إيقانه صريح، من أجل أن يُفسده.

فإذا ورد الشك على القلب، فهذا يدل على أن قلبه صريح سالم؛ إذ إن القلب الذي فيه شبهات، هو من الأصل مبني على الشبهات، فلا يرد عليه الشك، هذا هو المعنى الصحيح، وقد أشار إليه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في كتاب «الإيمان».

أما قول من يقول عن الله إنه قديم، فهذا مصطلح حادث بدعي، ويريدون بالقديم غير ما

(١) رواه مسلم (٤/١٨٣٢) (٢٣٥٩) (١٣٥).

(٢) رواه مسلم (١/١٢١) (١٣٦) (٢١٧).



يُرَادُ بِهِ لُغَةٌ، فَالْقَدِيمُ فِي اللُّغَةِ: مَا سَبَقَ غَيْرَهُ، وَإِنْ كَانَ حَادِثًا، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾ [يَس:٣٩]. وَأَمَّا الْقَدِيمُ عِنْدَهُمْ فِي اصْطِلَاحِهِمْ فَهُوَ الَّذِي لَمْ يُسَبِّقْ بَعْدَهُ <sup>(١)</sup>، وَعَلَى هَذَا فَيَكُونُ بِمَعْنَى الْأَوَّلِ، وَلَكِنَّ الْأَوَّلَ أَوْلَىٰ مِنْهُ لِأَمْرَيْنِ: **أَوَّلًا:** لِأَنَّهُ هُوَ الَّذِي وَرَدَ فِي الْقُرْآنِ وَالسَّنَةِ <sup>(٢)</sup>.

**وَنَائِبًا:** أَنْ فِيهِ مَعْنَى أَوَّلِ الْأَشْيَاءِ الَّتِي بَعْدَهُ إِلَيْهِ؛ لِأَنَّهُ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْأُولِيَةِ بِمَعْنَى التَّقَدُّمِ، أَوْ مِنَ الْأَوَّلِ بِمَعْنَى الرَّجُوعِ، فَيَكُونُ الْأَوَّلُ بِلَا شَكٍّ أَوْلَىٰ مِنَ الْقَدِيمِ، وَإِنْ كَانَ الْقَدِيمُ بِمَعْنَاهُ عِنْدَ هَؤُلَاءِ فِي اصْطِلَاحِهِمْ.



ثُمَّ قَالَ الْبَخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى:

٧٢٩٧- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ بْنِ مَيْمُونٍ، حَدَّثَنَا عَيْسَى بْنُ يُونُسَ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ عَلْقَمَةَ، عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي حَرْبٍ بِالْمَدِينَةِ، وَهُوَ يَتَوَكَّأُ عَلَى عَصِيْبٍ، فَعَرَّ بَنَفَرٍ مِنَ الْيَهُودِ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: سَلُوهُ عَنِ الرُّوحِ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا تَسْأَلُوهُ لَا يَسْمِعُكُمْ <sup>(١)</sup> مَا تَكْرَهُونَ فَقَامُوا إِلَيْهِ فَقَالُوا: يَا أَبَا الْقَاسِمِ حَدِّثْنَا عَنِ الرُّوحِ. فَقَامَ سَاعَةً يَنْظُرُ فَعَرَفْتُ أَنَّهُ يُوحَىٰ إِلَيْهِ، فَتَأَخَّرْتُ عَنْهُ حَتَّىٰ صَعِدَ الْوُحْيُ، ثُمَّ قَالَ: ﴿وَسْأَلُونَاكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ [الْأَنْعَامُ: ٨٥]. <sup>(٢)</sup>

الشَّاهِدُ مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ قَوْلُهُ: «لَا يَسْمِعُكُمْ مَا تَكْرَهُونَ».

وَالْمُرَادُ بِالرُّوحِ هُنَا: رُوحُ الْحَيَوَانِ مِنَ الْإِنْسَانِ، وَغَيْرِ الْإِنْسَانِ، فَإِنَّمَا مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ﷻ، وَلَا يُمَكِّنُ أَنْ يُحِيطَ الْإِنْسَانُ بِشَيْءٍ مِنْ كَيْفِيَّاتِهَا، إِلَّا بِمَا جَاءَ بِهِ الْوُحْيُ، نَعَمْ قَدْ يُحِيطُ الْإِنْسَانُ بِأَثَارِهَا، وَأَنَّمَا مَا دَامَتْ فِي الْبَدَنِ فَهُوَ حَيٌّ، وَإِذَا فَارَقَتْهُ صَارَ مَيِّتًا، لَكِنَّ صِفَةَ هَذِهِ الرُّوحِ، وَكَيْفَ هِيَ؟ وَمَا مَادَّتُهَا، وَكَثَافَتُهَا، وَلَطَافَتُهَا؟ هَذَا لَا يُعْلَمُ إِلَّا عَنْ طَرِيقِ الْوُحْيِ. وَقَدْ قَالَ بَعْضُ النَّاسِ: إِنَّ الرُّوحَ جِزْءٌ مِنَ الْبَدَنِ كَالدَّمِ، وَبِهِ الْحَيَاةُ.

(١) قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: ٣].

(٢) قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «اللَّهُمَّ أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢٧١٣).

(٣) قَالَ ابْنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «الْفَتْحِ» (٤٠٢/٨): قَوْلُهُ: وَقَالَ بَعْضُهُمْ: «لَا يَسْمَعُكُمْ بِشَيْءٍ تَكْرَهُونَهُ». وَفِي رِوَايَةِ الْعِلْمِ: «لَا يَجِيءُ فِيهِ بِشَيْءٍ تَكْرَهُونَهُ». وَفِي الْإِعْتَصَامِ «لَا يَسْمَعُكُمْ مَا تَكْرَهُونَ». وَهِيَ بِمَعْنَى، وَكُلُّهَا بِالرَّفْعِ عَلَى الْإِسْتِنَافِ، وَيَجُوزُ السُّكُونُ وَكَذَا النِّصْبُ أَيْضًا. اهـ

(٤) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢١٥٢/٤) (٢٧٩٤) (٣٢).

وقال بعضهم: إنها عرض من أعراضه كالصحة والمرض وما أشبه ذلك وقال بعضهم: الروح شيء يُذكر، ولكنه ليس بداخل الجسم، ولا خارج الجسم، ولا متصل بالجسم، ولا منفصل عن الجسم؛ يعني: لا نقول: هي داخل الجسم، ولا خارجة. وقال بعضهم: لا نقول هي داخل العالم، ولا خارجة، كما وصفوا بذلك الربَّ ﷻ<sup>(١)</sup>. فهاتان طائفتان، وكلاهما مُنحرفتان.

**فالأولى:** سلكت فيها مسلك التمثيل. حيث قالت: جزءاً من البدن أو عرضاً من أعراضه، وأنها تَفْنَى بفنائها، وتوجد بوجوده.

**والثانية:** سلكت بها مسلك التعطيل، والجحود؛ لأن هذا الوصف الذي ذكره لها؛ يعني: أنه ليس لها وجود كما قالوا في الخالق ﷻ: أنه ليس داخل العالم، ولا خارجة ولا متصل ولا منفصل إلى آخره.

والحق أنها؛ أي: الروح جسم، ولكنه جسم لطيف قوي النفوذ والسلوب والدخول في البدن، والدليل على هذا أن النبي ﷺ أخبر حين جاء إلى أبي سلمة رضي الله عنه، وقد قبض وشخص بصره فقال: «إن الروح إذا قبض أتبعه البصر»<sup>(٢)</sup>. ومعلوم أن البصر، لا يتبع إلا شيئاً ذا جرم. وكما أخبر أن الإنسان إذا قبضت روحه، كُفِّن في كفن من الجنة، أو بكفن من النار، وصُعد بها إلى السماء، وكان لها رائحة طيبة إن كانت من أرواح المؤمنين، أو خبيثة إن كانت من أرواح الكفار<sup>(٣)</sup>، وهذا يدل على أنها ذات جرم.

لكن جرم ليس من العناصر التي كعناصر المخلوقات لا كالأجساد، بل هي من مادة لا نعلمها، ولا نذكرها؛ لأنها لم توصف لنا في الكتاب والسنة؛ ولهذا قال: «قل الروح من أمر ربي». والروح أمرها عجيبي؛ فلو أن الإنسان أُغلق عليه في مكان، فإن الروح تخرج ولو كان محكم الإقفال.

فالصواب في الروح أنها جرم يرى ويُقبض، ويُكفن، ويُصعد به، وَيَقَى له رائحة، لكنه جسم ليس كالأجسام في الكثافة، وله قوة في السريان في الجسم عجيبة؛ ولهذا تجد أن النائم

(١) انظر الكلام في هذه المسألة: الروح لابن القيم ص ٥٦ وما بعدها.

(٢) رواه مسلم (٦٣٤/٢) (٩٢٠) (٧).

(٣) رواه الإمام أحمد في مسنده (٢٨٧/٤) (١٨٥٣٤)، وأبو داود (٤٧٥٣)، والحاكم في المستدرک (٣٧/١)، وصححه الشيخ الألباني كما في تعليقه على السنن.



مثلاً تَخْرُجُ رَوْحُهُ، لَكِنَّهَا لَا تَخْرُجُ خُرُوجًا كَلِيًّا، فَإِذَا أَوْقِظَ اسْتَيْقِظَ فِي لَحْظَةٍ، فَهَذِهِ الرُّوحُ الَّتِي كَانَتْ فِي الْأَوَّلِ خَارِجَةً كَالظِّلِّ عَلَى الْجَسَدِ إِذَا أَوْقِظْتَ دَخَلَتْ فِي الْجَسَدِ.

\*\*\*

ثم قال البخاري رحمه الله:

٤- بَابُ الْاِقْتِدَاءِ بِأَفْعَالِ النَّبِيِّ ﷺ.

٧٢٩٨- حَدَّثَنَا أَبُو نُعَيْمٍ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دِينَارٍ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ:

اتَّخَذَ النَّبِيُّ ﷺ خَاتَمًا مِنْ ذَهَبٍ فَاتَّخَذَ النَّاسُ خَوَاتِيمَ مِنْ ذَهَبٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنِّي اتَّخَذْتُ خَاتَمًا مِنْ ذَهَبٍ». فَنَبَذَهُ وَقَالَ: «إِنِّي لَنْ أَلْبَسَهُ أَبَدًا» فَنَبَذَ النَّاسُ خَوَاتِيمَهُمْ<sup>(١)</sup>.

قوله: «بَابُ الْاِقْتِدَاءِ بِأَفْعَالِ النَّبِيِّ ﷺ». يَعْنِي: اتِّبَاعَ الرَّسُولِ ﷺ فِي أَفْعَالِهِ.

وَقَدْ قَسَّمَ الْعُلَمَاءُ فِي أَصُولِ الْفَقْهِ هَذِهِ الْمَسْأَلَةَ إِلَى أَقْسَامٍ<sup>(٢)</sup>:

**القسم الأول:** مَا فَعَلَهُ بِمَقْتَضَى الْجَبِلَةِ؛ مِثْلُ الْأَكْلِ إِذَا جَاعَ؛ وَالشَّرْبِ إِذَا عَطِشَ، وَالنَّوْمُ إِذَا آتَاهُ

النَّوْمُ، فَهَذَا لَا حَكْمَ لَهُ فِي نَفْسِهِ؛ لِأَنَّهُ مُقْتَضَى الطَّبِيعَةِ، لَكِنْ قَدْ يَكُونُ لَهُ حَكْمٌ فِي وَصْفِهِ؛ مِثْلُ أَنْ يَكُونَ الْأَكْلُ بِالْيَمِينِ، وَالشَّرْبُ بِالْيَمِينِ، وَالنَّوْمُ عَلَى الْجَانِبِ الْأَيْمَنِ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ.

**والقسم الثاني:** مَا فَعَلَهُ عَلَى وَجْهِ الْعَادَةِ؛ يَعْنِي: أَنَّ النَّاسَ اعْتَادُوهُ، فَهَذَا يُتَّبَعُ فِيهِ النَّبِيُّ

ﷺ فِي جَنْسِهِ لَا فِي عَيْنِهِ.

وَمَعْنِي قَوْلُنَا: فِي جَنْسِهِ: أَنْ نَتَّبَعَ مَا اعْتَادَهُ النَّاسُ؛ لِأَنَّ الرَّسُولَ ﷺ اتَّبَعَ مَا اعْتَادَهُ النَّاسُ. لَا فِي عَيْنِهِ؛ فَمَثَلًا: إِذَا كَانَ النَّاسُ فِي عَهْدِهِ يَعْتَادُونَ لِبَسِ الْإِزَارِ وَالرِّدَاءِ بَدَلًا عَنِ الْقَمِيصِ وَالسَّرَاوِيلِ وَالْعَتَرَةِ، فَهَلِ الْمَشْرُوعُ لَنَا أَنْ نَلْبَسَ الْإِزَارَ وَالرِّدَاءَ، وَإِنْ خَالَفَ الْعَادَةُ؟

لَا؛ بَلْ نَقُولُ: مَا فَعَلَهُ عَلَى سَبِيلِ الْعَادَةِ فَاتَّبَاعُهُ فِيهِ مِنْ حَيْثُ الْجَنْسِ، بِأَنْ نَتَّبَعَ مَا اعْتَادَهُ النَّاسُ، لَا بِاعْتِبَارِ عَيْنِهِ.

**القسم الثالث:** مَا فَعَلَهُ عَلَى سَبِيلِ التَّعْبِيدِ، فَهَذَا نَتَّبَعُهُ فِيهِ، فَمَا فَعَلَهُ عَلَى سَبِيلِ التَّعْبِيدِ فَإِنَّهُ يُشْرَعُ لَنَا أَنْ نَتَّبَعَهُ فِيهِ.

وَلَكِنْ إِذَا كَانَ لَمْ يَرِدْ إِلَّا مَجْرَدُ الْفَعْلِ، فَإِنَّهُ يَكُونُ مُسْتَحَبًّا وَلَا يَكُونُ وَاجِبًا. وَهَذَا هُوَ الْقَوْلُ الرَّاجِحُ،

(١) رواه مسلم (٣/١٦٥٥) (٢٠٩١) (٥٣).

(٢) انظر: الإحكام في أصول الأحكام» للآمدني (١/٢٧)، والبرهان في أصول الفقه» للجويني (١/٣٢١)، والمسودة لآل تيمية (١/٦٦)، و«المنخول» للغزالي (١/٢٢٣).

أي: أن ما فعله على سبيل التعبد، وليس مقروناً بأمر منه فإنه يَكُونُ مستحباً، وليس بواجب؛ ولهذا قال العلماء: إن فعل النبي ﷺ المجرد يدلُّ على الاستحباب دون الوجوب.

**القسم الرابع:** ما كان متردداً بين العادة والعبادة، فهنا اختلف العلماء فيه: فمنهم من قال: إنه يُستحب؛ لأن الأصل اتباع الرسول ﷺ في فعله؛ لقوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ [الاحزاب: ٢١].

وقال بعضهم: بل يُحكّم له بحكم العادة؛ لأن الأصل في العبادات المنع حتى يَقُومَ دليل لا تردد فيه على أن هذا الشيء من العبادات، فنفعله، ومن أمثلة ذلك: اتّخاذ شعر الرأس هل هو سنة، أو عادة؟.

فإن العلماء من قال: إنه سنة، وإلى هذا ذهب الإمام أحمد رحمه الله، حيث قال: هو سنة لو نقوى عليه لاتّخذناه، ولكن له كلفة ومثونه<sup>(١)</sup>.

وقال بعض العلماء: إنه ليس بسنة؛ لأن الرسول ﷺ اتّخذها على سبيل العادة؛ ولهذا قال في الصبي الذي كان فيه قرع؛ يعني: بعض رأسه مخلوق، وبعضه غير مخلوق، قال: «إحلقه كله أو اتركه كله»<sup>(٢)</sup> ولو كان من الأمر المشروع لقال: اتركه حتى يَنْبُت. وهذا هو الأقرب: أن ما تردّد بين كونه عبادة، أو عادة فإن الأصل أنه ليس متعبداً به؛ لأن العبادة لا تَبْتُ إلا بيقين أنها عبادة، فیرجّح جانب العادة.

**القسم الخامس:** ما فعله امتثالاً لأمر الله ﷻ، لكنه فعله على وجه البيان، والتفصيل، فهذا قال بعض العلماء فيه: إن له حكم ذلك المَجْمَل، فإن كان المَجْمَل واجباً فهو واجب، وإن كان غير واجب فهو غير واجب.

ولكن يبدو أن هذا ليس على إطلاقه؛ بدليل قول الله تبارك وتعالى في سورة المائدة: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَأَطَهِّرُوا﴾ [المائدة: ٦]. فهذا مجمل لم يُبَيِّن فيه كيف يَكُونُ التطهر، والنبي ﷺ بيّن كيف يَكُونُ ذلك، كما في صفة غُسل الرسول ﷺ<sup>(٣)</sup>. فهل نقول: إن الغسل على هذه الصفة واجب، لأنه بيان لمجمل

(١) انظر «المبدع» (١/ ١٠٥)، و«الفروع» (١/ ٩٩)، و«كشاف القناع» (١/ ٧٥)، و«الروض المربع» (١/ ٤٥).

(٢) رواه أبو داود (٤١٩٥) بهذا اللفظ، وصححه الشيخ الألباني كما في تعليقه على «السنن»، وهو عند مسلم (٣/ ١٦٧٥) (٢١٢٠) (١١٣) بلفظ: «نهي عن القرع...».

(٣) روى البخاري (٢٧٤)، مسلم (٣١٧) عن ميمونة بنت الحارث زوج النبي ﷺ أنها قالت: وضعت لرسول الله ﷺ وضوء الجنابة فأكفأ يمينه على يساره مرتين أو ثلاثاً، ثم غسل فرجه، ثم ضرب يده بالأرض أو الحائط مرتين أو ثلاثاً، ثم مضمض واستنشق ثم غسل وجهه وذراعيه، ثم أفاض على رأسه الماء، ثم غسل سائر



واجب، أو نقول: إن أصل الغُسل واجبٌ، وهذه الصفةُ سنةٌ؟

لا شك أن السنةَ ذلتُ على الأخير، وهو أن الغُسل واجبٌ بأصله، مستحبٌ بوصفه، ويدلُّ لهذا ما في صحيح البخاري، من حديث عِمْرَانَ بْنِ الْحَصِينِ الطويل، وفيه: أن رجلاً اعتَزَلَ ولم يُصَلِّ مع النبي ﷺ فقال له: «ما منعك أن تُصَلِّيَ معنا؟». قال: أَصَابَتْنِي جَنَابَةٌ وَلَا مَاءَ. فقال: «عليك بالصَّعِيدِ، فإنه يَكْفِيكَ». ثم جيء بالماء، واستَقَى الناسُ، وشَرِبُوا، وبقي بقيةٌ فأعطاها الرجلَ، وقال: «خُذْ هذا أفرِّغْهُ على نفسك»<sup>(١)</sup>.

ولم يبيِّن له الكيفية، فلو كانت الكيفية واجبةً، لبَيَّنَّها الرسول ﷺ، لوجوبِ التبليغِ عليه. وعلى هذا: القسمُ الخامسُ محلٌّ نظريٌّ؛ بمعنى: أننا ننظرُ كلَّ قضيةٍ بعينها، ولا نُعْطِيها حكماً عاماً، فنقول: إذا كان بياناً لواجبٍ؛ فهو واجبٌ، وإذا كان بياناً لمستحبٍ؛ فهو مستحبٌ، بل نقول: نحكمُ في كلِّ قضيةٍ بعينها.

وهناك قسمٌ سادسٌ يفعله النبي ﷺ اتفاقاً: فهذا لا يُقْتَدَى به فيه، وليس محلٌّ اقتداءٍ عند جمهورِ الصحابةِ، وإن كان ابنُ عمرٍ رضي الله عنهما يقتدي بالرسول ﷺ فيه، ويتَّبِعُهُ فيه<sup>(٢)</sup>.

مثال ذلك: إذا نَزَلَ النبي ﷺ في مكانٍ وصلى فيه اتفاقاً؛ أي: صادفَه الوقتُ في هذا المكانِ، فنَزَلَ فصلِّي، هل نقول: يُسْرَعُ للإنسانِ إذا مرَّ في هذا المكانِ في وقتِ الصلاةِ أن يَنَزَلَ فيه ويُصَلِّي؟ **والجوابُ:** أما ابنُ عمرٍ رضي الله عنهما فكان يفعلُ ذلك، حتى ذهبَ إلى ما هو أعظمُ، فكان يَتَحَرَّى المكانَ الذي بَالَ فيه الرسول ﷺ، فيَنَزِلُ ويَبُوءُ فيه، ولكنَّ هذا الأصلَ خالفه فيه أكثرُ الصحابةِ، ورأوا أن ما فُعِلَ اتفاقاً، فإنه لا يُسْرَعُ.

ومن ذلك أيضاً: قدومُ الإنسانِ الحاجِّ إلى مكةَ في اليومِ الرابعِ مِن ذي الحِجَّةِ، فهل نقول: إن هذا مشروعٌ، وأنه يَنْبَغِي للإنسانِ أن يَكُونَ قدومُهُ إلى مكةَ وهو حاجٌّ في الرابعِ مِن ذي الحِجَّةِ، أو نقول: إن هذا حصلَ مِنَ النبي ﷺ<sup>(٣)</sup> اتفاقاً فلا حكمَ له؟ **الجوابُ:** أن الثاني هو الصحيح.

جسده، ثم تنحى فغسل رجله... الحديث.

(١) رواه البخاري (٣٤٤).

(٢) أورد البخاري رحمه الله جملةً من الأحاديث والآثار الدالة على ذلك في كتاب الصلاة، باب المساجد التي على

طرق المدينة والمواضع التي صلى فيها النبي ﷺ الحديث (٤٨٣) وما بعده من الأحاديث.

(٣) رواه البخاري (٧٣٦٧)، ومسلم (١٢١٦) (١٤١).

فهذه أقسامُ ستَّةٍ في أفعالِ النبي ﷺ.

**أما الحديث الذي معنا**؛ وهو «اتخاذُ النبي ﷺ خاتماً من ذهبٍ، فاتَّخَذَ النَّاسُ خَوَاتِيمَ مِنْ ذَهَبٍ، ثُمَّ نَبَذَهُ ﷺ فَبَذَ النَّاسُ خَوَاتِيمَهُمْ». فهذا في زمنِ المشروعية والاتباع، فكان الصحابةُ يَحْرِصُونَ عَلَى مُتَابَعَتِهِ فِي كُلِّ شَيْءٍ، حَتَّى إِنَّهُ لَمَّا نَزَعَ نَعْلَيْهِ وَهُوَ فِي صَلَاتِهِ، نَزَعَ النَّاسُ نِعَالَهُمْ <sup>(١)</sup>، وَحَتَّى إِنَّهُمْ تَابَعُوهُ فِي الرُّكْعَةِ الْخَامِسَةِ لَمَّا صَلَّى خَمْسًا <sup>(٢)</sup>، وَتَابَعُوهُ فِي التَّسْلِيمِ مِنْ رُكْعَتَيْنِ فِي الظُّهْرِ أَوْ الْعَصْرِ لَمَّا سَلَّمَ مِنْ رُكْعَتَيْنِ <sup>(٣)</sup>؛ لِأَنَّ هَذَا زَمَنُ التَّشْرِيعِ، وَيُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ مَا فَعَلَهُ عَلَى وَجْهِ الْعِبَادَةِ، فَكَانُوا يُتَابِعُونَهُ فِيهِ.

**وفي الحديث:** دليلٌ مِنْ حَيْثُ الْفَقْه - عَلَى أَنَّ لِبَاسَ الذَّهَبِ حَرَامٌ عَلَى الرِّجَالِ؛ لِقَوْلِهِ ﷺ: «لَنْ أَلْبَسَهُ أَبَدًا». وَهُوَ كَذَلِكَ. فَلَبِسُ الذَّهَبِ حَرَامٌ عَلَى الرِّجَالِ سَوَاءً كَانَ خَاتَمًا، أَوْ سِلْسَلَةً، أَوْ قُرْطًا أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ، ثُمَّ أُضِيفَ إِلَى هَذَا أَنَّهُ مِنْ خُصَائِصِ النِّسَاءِ، فَصَارَ فِيهِ مُحْظُورَانِ:

**أولاً:** كَوْنُهُ مِنْ ذَهَبٍ.

**والثاني:** التَّشَبُّهُ بِالنِّسَاءِ، وَهُوَ مِنْ كِبَائِرِ الذُّنُوبِ.

وَأَمَّا الْيَسِيرُ التَّابِعُ فَقَدْ رَخَّصَ فِيهِ كَثِيرٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ، كَالْمَسَاهِرِ فِي الْمِرَاةِ مَثَلًا، أَوْ الْعُضْدِ فِي الْمِرَاةِ، أَوْ الْعَقْرِ فِي السَّاعَةِ، أَوْ مَا أَشْبَهَ ذَلِكَ <sup>(٤)</sup>، لِأَنَّهُ يَسِيرٌ تَابِعٌ، وَالتَّابِعُ يُثْبِتُ تَبَعًا مَا لَا يُثْبِتُ اسْتِقْلَالًا، وَقِيَاسًا عَلَى الْحَرِيرِ الَّذِي قُرِنَ تَحْرِيمُهُ بِالذَّهَبِ، وَأُبِيحَ مِنْهُ مَا كَانَ تَابِعًا، كَأَرْبَعِ أَصَابِعَ فَمَا دُونَ ذَلِكَ.

ولهذا تَرَخَّصَ كَثِيرٌ مِنْ عُلَمَائِنَا بِلِبَاسِ الْمَشَالِحِ الْمَنْسُوجَةِ بِالزَّرِيِّ وَإِنْ كَانَ بَعْضُ النَّاسِ يَقُولُ: إِنَّ فِي هَذَا الزَّرِيِّ ذَهَبًا؛ وَبَعْضُهُمْ يَقُولُ: لَا ذَهَبَ فِيهِ، وَإِنَّمَا هَذَا مَلُونٌ بِلَوْنِ الذَّهَبِ، وَنَقْلَهُ شَيْخُنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ بَازٍ، عَنْ شَيْخِهِ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ: أَنَّ هَذَا الزَّرَى الَّذِي فِي الْمَشَالِحِ لَيْسَ بِذَهَبٍ، وَلَكِنَّهُ مَلُونٌ بِالذَّهَبِ.

وعلى هذا فلا إشكالَ فِيهِ؛ أَنَّهُ لَيْسَ بِحَرَامٍ، أَمَّا إِذَا قُلْنَا: إِنَّهُ ذَهَبٌ، وَقُلْنَا: بِجَوَازِ التَّابِعِ قِيَاسًا عَلَى الْحَرِيرِ، فَهُوَ جَائِزٌ أَيْضًا، وَبَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ يَتَوَرَّعُ عَنْ هَذَا، وَلَا يَلْبَسُ الْمُطَرَّرَ

(١) رواه الإمام أحمد (٢٠/٣) (١١٥٢)، وأبو داود (٦٥٠)، وابن خزيمة (١٠١٧)، والدارمي (١/٣٢٠)، والحاكم (١/٢٦٠) وصححه الشيخ الألباني كما في تعليقه على السنن.

(٢) رواه البخاري (٤٠٤)، ومسلم (٤٠١/١) (٥٧٢) (٩١).

(٣) رواه البخاري (٧١٤)، ومسلم (٤٠٣/١) (٥٧٣) (٩٧).

(٤) انظر «مجموع فتاوي شيخ الإسلام» (٢٥/٦٤)، و«المبدع» (١/٣٨٣)، و«شرح العمدة» (٤/٣٠٨).



بالذهب أخذًا بالعموم، أن الذهب حُرِّمَ على ذكورِ هذه الأمة <sup>(١)</sup>.  
**وكذلك أيضًا:** يَجُوزُ الذهبُ في الخناجرِ والسيوفِ والبنادقِ؛ لأن ذلك فيه مصلحةٌ أكبرُ  
 من مفسدته، وهو إغاضةُ الأعداءِ، فالأعداءُ إذا رأوا أن أسلحةَ المسلمين من الذهبِ فلا شكَّ  
 أنهم يَغَاظُونَ بهذا، فلمصلحةٍ راجحةٍ أُبيحَ منه هذا الشيءُ.



ثم قال البخاري رحمه الله تعالى:

٥- بابُ ما يُكرَهُ من التعمقِ والتنازعِ <sup>(٢)</sup> والغلوِّ في الدينِ والبدعِ لقوله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ  
 الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾ [النسبة: ١٧١]؟  
 قوله: «التعمقُ»، مأخوذٌ من العمقِ؛ وهو التُّعَرُّقُ في الشيءِ.  
 وقوله: «التنازعُ». هو التنازعُ في العلمِ، والمرادُ بالتنازعِ في العلمِ الذي لا يَقْصِدُ به  
 الإنسانُ إلا منازعةَ الخصمِ وغلبته عليه.  
 وقوله: «الغلوُّ في الدينِ»: الزيادةُ فيه، سواءً فيما لم يُشرعْ، أو فيما شرعَ فيزيدهُ في وصفه،  
 فإن هذا مما يُكرَهُ.

وقوله: «البدعُ»: أيضًا مما تُكرَهُ؛ أي: البدعُ في الدينِ، لا في الدنيا. فالبدعُ في الدينِ كلها  
 ضلالةٌ، حتى وإن ظنَّ صاحبُها أنها هُدى فإنها ضلالةٌ، ولكنها تَخْتَلِفُ بحسبِ ما تُوَصَّلُ إليه،  
 فقد تَكُونُ فسقًا، وقد تَكُونُ كفرًا بحسبِ مخالفتها للسنةِ.

ثم استدللَ البخاري رحمه الله بقوله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ  
 إِلَّا الْحَقَّ﴾ [النسبة: ١٧١]. فأهلُ الكتابِ كانوا في دينهم على طرفين: طرفٌ غالٍ، وطرفٌ جاهلٌ.

فكان بعضهم يَغْلُوا في دينه حتى يَفْرِضَ على نفسه ما لم يَفْرِضْهُ اللهُ عليه؛ كقوله تبارك  
 وتعالى: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ﴾ [المائدة: ٢٧].  
 وبعضهم يَتَفَلَّتُ من دينه، ويُفَرِّطُ، ويُهْمِلُ، فكما أننا منهيون عن التفريطِ، فإننا منهيون  
 أيضًا عن الغلوِّ.



(١) تقدم تخريجه.

(٢) في نسخة الشعب: والتنازع في العلم.

ثم قال البخاري رحمه الله:

٧٢٩٩- حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ، حَدَّثَنَا هِشَامٌ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ: النَّبِيُّ ﷺ: «لَا تَوَاصِلُوا». قَالُوا: إِنَّكَ تَوَاصِلٌ. قَالَ: «إِنِّي لَسْتُ مِثْلَكُمْ، إِنِّي آيَتٌ يُطْعِمُنِي رَبِّي وَيَسْقِينِي». فَلَمْ يَتَّهَوْا عَنِ الْوَصَالِ - قَالَ - فَوَاصِلٌ بِهِمُ النَّبِيُّ ﷺ يَوْمَيْنِ أَوْ لَيْلَتَيْنِ، ثُمَّ رَأَوْا الْهَلَالَ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَوْ تَأَخَّرَ الْهَلَالُ لَزِدْتُمْ». كَالْمُنْكَلِ لَهُمْ<sup>(١)</sup>.

❖ قوله ﷺ: «لَا تَوَاصِلُوا». قالوا: إِنَّكَ تَوَاصِلٌ. لم يريدوا بهذا أن يعترضوا على الرسول ﷺ؛ أي: لم يريدوا أن يقولوا: كيف تنهانا عن شيء أنت تفعله؟ وإنما يريدون بذلك أن يبينوا أن مواصلتهم كانت اتباعاً له ﷺ، فكأنهم قالوا: إِنَّكَ تَوَاصِلٌ ونريد أن نتبعك في ذلك، ثم بين لهم الفرق الذي يمنع المتابعة في هذا، بأنه ليس مثلنا يبيت يطعمه ربه ويسقيه. ❖ قوله: «بيت»، يعني: في الليل.

❖ وقوله: «يطعمه ربه ويسقيه». هل يطعمه خبزاً ولحماً وعسلًا، ويسقيه لبنًا وماء؟ **الجواب:** لا؛ إذ لو كان كذلك، لم يكن هناك وصال، فتعذر أن يكون طعاماً كطعام الناس، إذن هو طعام آخر، فما هذا الطعام؟

قال بعضهم: إنه طعام من طعام الجنة، وطعام الجنة طعام أخروي، فلا يفطر الصائم. وهذا أيضاً فيه نظر؛ لأن طعام الجنة وشراب الجنة يملأ البطن، فيحصل به ما يحصل بطعام الدنيا فلا يصح.

وقال بعضهم: إن معنى الإطعام، والإسقاء؛ هو أن الرسول ﷺ يشتغل بمناجاة الله ﷻ وذكره، والثناء عليه، فيحصل له بهذا من الغذاء الروحي، ما يكفيه عن الغذاء الجسدي، والإنسان إذا اشتغل بشيء اشتغلاً تاماً، أنساه الاشتغال به ما سواه، وهذا شيء مشاهد، وعلى هذا يجزى قول الشاعر:

لَهَا أَحَادِيثُ مِنْ ذِكْرِكَ تَشْغَلُهَا عَنْ الشَّرَابِ وَتُلْهِيَهَا عَنِ الزَّادِ<sup>(٢)</sup>

يعني أن أحاديثها بذكرك تشغلها عن الشراب فلا تحتاج إليه، وتلبيها عن الزاد فلا تحتاج إليه. وهذا القول هو المتعين، لأنه لا يمكن أن يكون الناس في مرتبة كمرتبة الرسول ﷺ، فيستغنون بمناجاة الله ﷻ عن الغذاء الجسدي، فهذا هو الفرق.

(١) رواه مسلم (٧٧٤/٢) (١١٠٣) (٥٧).

(٢) انظر: «المدحش» (٤٥٥/١)، و«الحاسة البصرية» (١٥٧/١)، «ديوان المعاني» (٦٣/١).



❖ وقوله: «فلم يَنْتَهَوْا عن الوصال». ربما يأخذ من هذه الجملة وأمثالها مَنْ يَقْدَحُ بالصحابة. ويقول: انظروا للصحابة يَنْتَهَوْنَ فلا يَنْتَهَوْنَ، ويؤْمَرُونَ فلا يَأْتَمِرُونَ، فيتَّخِذُ مِنْ هذا قَدْحًا في الصحابة رضي الله عنهم، وكذلك أَمَرُوا بِالْحَلْقِ في غزوة الحديبية<sup>(١)</sup>، وأَمَرُوا بِالتَّحْلِيلِ في حَجَّةِ الوداع<sup>(٢)</sup>، ولكنهم لم يَمْتثلُوا على وجه مَبَادِرِينَ فيه.

**فَنَقُولُ:** الصحابة رضي الله عنهم حين لم يَنْتَهَوْا، لم يُريدُوا بذلك معصية الله ورسوله ﷺ، وحين امتنعوا عن فعل المأمور لم يُريدُوا بذلك معصية الله ورسوله ﷺ، وإنما هم مُتَأَوِّلُونَ، وَيَرْجُونَ أَنْ يَعْدِلَ الرَّسُولُ ﷺ عن هذا الحكم، أو أنه أتى بهذا الحكم رحمة بهم، فهم لم يَنْتَهَوْا عن الوصال ظنًا منهم أن الرسول ﷺ نهي عن الوصال رافة بهم، فقالوا في أنفسهم: إنا قَادِرُونَ ولا يَشُقُّ علينا؛ ولهذا تَرَكَّهُمُ النَّبِيُّ ﷺ، لم يُعَنِّفْهُمْ، وواصل بهم يومين، أو ليلتين، ثم رَأَوْا الهلال، فقال النبي ﷺ: «لو تَأَخَّرَ الْهَلَالُ لَزِدْتُمْ». كالمُنْكَلِّ لهم.

**وفي هذا:** إشارة إلى عقوبة الإنسان بأشدَّ العقوبتين التي يَتَرَجَّأُها؛ ولهذا بنى أمير المؤمنين عمرُ بن الخطاب رضي الله عنه مَنَعَ الرجل المطلق ثلاثًا من الرجوع إلى زوجته، وقال: أرى الناسَ تَعْجَلُوا في أمرٍ كانت لهم فيه أناةٌ، فلو أمضيته عليهم<sup>(٣)</sup>، فعاقبهم بما تَعْجَلُوا إليه من الشيء المحرم؛ لأن الذي يُطَلِّقُ زوجته ثلاثًا يُريدُ بذلك سرعةَ البينونة، فعاقبهم عمرُ بما أَرَادُوهُ لأنفسهم.

وهنا عاقب النبي ﷺ هؤلاء الصحابة بما أَرَادُوهُ لأنفسهم من الوصال، فقال: «الولاءُ لِهَلَالِ رَيِّ لَزَادِهِمْ».



ثم قال البخاري رحمته الله:

٧٣٠٠ - حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ حَفْصٍ بْنُ غِيَاثٍ، حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ، حَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ التَّيْمِيُّ، حَدَّثَنِي أَبِي، قَالَ خَطَبَنَا عَلِيُّ رضي الله عنه عَلَى مَنَبَرٍ مِنْ أَجْرٍ، وَعَلَيْهِ سَيْفٌ فِيهِ صَحِيفَةٌ مُعَلَّقَةٌ، فَقَالَ: وَاللَّهِ مَا عِنْدَنَا مِنْ كِتَابٍ يُقْرَأُ إِلَّا كِتَابُ اللَّهِ، وَمَا فِي هَذِهِ الصَّحِيفَةِ. فَنَشَرَهَا فَإِذَا فِيهَا أَسْنَانُ الْإِبِلِ، وَإِذَا فِيهَا: «الْمَدِينَةُ حَرَمٌ مِنْ غَيْرِ إِلَى كَذَا، فَمَنْ أَحْدَثَ فِيهَا حَدَّثًا فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَمَلَأْنِيكَ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، لَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْهُ صَرْفًا وَلَا عَدْلًا». وَإِذَا فِيهِ: «ذِمَّةُ مُسْلِمِينَ وَاحِدَةٍ

(١) تقدم تخريجه.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) تقدم تخريجه.

يَسْعَى بِهَا أَذْنَاهُمْ، فَمَنْ أَخْفَرَ مُسْلِمًا فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَمَلَائِكَتُهُ وَالنَّاسُ أَجْمَعِينَ، لَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْهُ صَرْفًا وَلَا عَدْلًا. وَإِذَا فِيهَا: «مَنْ وَالَى قَوْمًا بِغَيْرِ إِذْنِ مَوَالِيهِ فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَمَلَائِكَتُهُ وَالنَّاسُ أَجْمَعِينَ لَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْهُ صَرْفًا وَلَا عَدْلًا»<sup>(١)</sup>.

**وفي هذا الأثر:** دليل على أن علي بن أبي طالب عليه السلام لم يُخَصَّ بشيء باطن لا يُعَلَّمُ به، بل كل ما رواه عن النبي ﷺ أعلنه وبينه، ولم يخف شيئاً، فيه رد على الرافضة الذين يقولون: إن عندهم مصحفاً لفاطمة عليها السلام، وإنه أكثر من المصحف الموجود الذي أجمع عليه المسلمون، أو أن لآل البيت أشياء، ووصايا خاصة بهم لا يعلمها الناس. فعلي بن أبي طالب عليه السلام اتقى الله من أن يجحد شيئاً، أو يكتمه مما علمه النبي ﷺ فلذلك يقول: والله ما عندنا من كتاب.

❖ وقوله: «عندنا»، يشمل آل البيت كلهم؛ ولهذا لم يقل: ما عندي. ويبدو لي - والله أعلم - أن الناس من عهده يدعون هذه الدعوة الباطلة، وهي أن آل البيت خُصُّوا بشيء؛ ولهذا جاء في أثر آخر: أنه قيل لعلي: هل خصكم النبي ﷺ بشيء؟ قال: لا، لم يُخَصَّنَا بشيء<sup>(٢)</sup>. فالصحيفة يقول فيها: «ما عندنا من كتاب يُقرأ إلا كتاب الله». وهو هذا المصحف الذي أجمع عليه المسلمون، منذ كُتِبَ إلى يومنا هذا، ومن المعلوم أن المصحف جُمِعَ على مصحف واحد في عهد عثمان قبل خلافة علي بن أبي طالب عليه السلام<sup>(٣)</sup>، والمصحف العثماني الذي قرَّره الصحابة في عهد عثمان، هو المصحف الذي يريد على بن أبي طالب عليه السلام، وليس هناك مصحف سواه.

❖ وقوله: «وما في هذه الصحيفة». يعني: الورقة، «فنشرها» أي: فلها، فإذا فيها: «أسنان الإبل»؛ أي: بنت المخاض، وبنت اللبون، إما في الزكاة أو في الديات.

**فيها أيضاً:** «المدينة حرم من غير إلى كذا». وقد جاء مبيناً في صحيح مسلم: من غير إلى ثور<sup>(٤)</sup>. وهما جبلان معروفان في شمال المدينة وجنوبها.

❖ وقوله: «فمن أحدث فيها حديثاً». يعني: يتنهك به هذا التحريم من اعتداء على الآدميين، أو على أموالهم، أو على الطير في المدينة: فعليه لعنة الله، والملائكة، والناس أجمعين.

(١) رواه مسلم (٩٩٤/٢) (١٣٧٠) (٤٦٧).

(٢) رواه مسلم (١٥٦٧/٣) (١٩٧٨) (٤٥).

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) رواه مسلم (٩٩٤/٢) (١٣٧٠) (٤٦٧).



وقوله: «فعليه لعنة الله، والملائكة، والناس أجمعين». فهذا خبر، أو دعاء، فإن الرسول ﷺ لعن، بل أخبر: «أن من أحدث في المدينة حدثاً، فعليه لعنة الله، والملائكة، والناس أجمعين»<sup>(١)</sup>. وهذا دليل على عظم الإحداث في المدينة، وإن كان الإحداث فيها دون الإحداث في مكة؛ لأن مكة قال الله فيها: ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَكَامِ يُطْلَمِ نَذْقُهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾ [التكوير: ٢٥].

وقوله: «لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً». صرفاً؛ أي: صرفاً للعقوبة، ولا عدلاً؛ أي: أخذ مُعَادِلٍ عنها، وهو الفداء؛ يعني: لا يمكن أن يقبل الله فداءً، ولا صرفاً بدون فداء.

وقوله: «وإذا فيه ذمة المسلمين واحدة، يسعى بها أدناهم». يعني: أن المسلمين عهدهم واحد، فإذا آمن واحد من المسلمين أحداً، وجب على المسلمين أن يؤمّنه؛ لأن ذمتهم واحدة؛ ولهذا قال: «فمن أخفر مسلماً» - أي: غدر في ذمته - فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً.

وقوله: «وإذا فيها من وإلى قومًا بغير إذن مواليه، فعليه لعنة الله، والملائكة والناس أجمعين»، لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً؛ يعني: صار مولى لهم بغير إذن مواليه، فعليه لعنة الله.

وظاهر الحديث: أنه إذا والآهم بإذن مواليه، فإنه جائز، ويحمل هذا على غير ولاء العتاقة، لأن ولاء العتاقة لا يتقبل ولو أذن فيه المولى؛ لقول النبي ﷺ: «إنما الولاء لمن أعتق»<sup>(٢)</sup>. لكن المراد في هذا موالاة الحليف، والمساعدة والمناصرة، وما أشبه ذلك.



ثم قال البخاري رحمه الله:

٧٣٠١ - حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ حَفْصٍ، حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ، حَدَّثَنَا مُسْلِمٌ، عَنْ مَسْرُوقٍ، قَالَ: قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: صَنَعَ النَّبِيُّ ﷺ سِنًا تَرَخَّصَ وَتَنَزَّهَ عَنْهُ قَوْمٌ، فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ فَحَمِدَ اللَّهَ ثُمَّ قَالَ: «مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَتَنَزَّهُونَ عَنِ الشَّيْءِ أَصْنَعُهُ، قَوَّ اللَّهُ إِنِّي أَعْلَمُهُمْ بِاللَّهِ وَأَشَدُّهُمْ لَهُ خَشِيَّةً»<sup>(١)</sup>.

وقوله: «فحمد الله». وفي نسخة: فحمد الله، وأثنى عليه.

هذا كما وقع في قصة النفر الثلاثة؛ الذين سألوا عن عمل النبي ﷺ في السر، فذكر لهم،

(١) رواه مسلم (٩٩٩/٢) (١٣٧١) (٤٦٩).

(٢) رواه البخاري (٢٥٦٠) - (٢٥٦٥) ومسلم (١١٤١/٢) (١٥٠٤) (٥).

(٣) رواه مسلم (٨٢٩/٤) (٢٣٥٦) (١٢٧).

فَكَانَهُمْ يَقَالُوا عَمَلَهُ، فَقَالُوا: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، ثُمَّ قَالَ أَحَدُهُمْ: لَا أَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ. وَقَالَ الثَّانِي: لَا أَكُلُ اللَّحْمَ. وَالثَّالِثُ قَالَ: أَقُومُ اللَّيْلَ وَلَا أَنَامُ. فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ فَزَجَرَهُمْ، وَقَالَ: «إِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَنَامُ، وَاتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُتَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي»<sup>(١)</sup>.

وَمِنْ ذَلِكَ مَنْ يَتَنَزَّهُونَ عَنْ بَعْضِ الْأَطْعِمَةِ؛ لِاشْتِبَاهِهِمْ فِيهَا، مَعَ أَنَّ الْأَصْلَ فِيهَا الْحَلُّ. فَفِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ: أَنَّ قَوْمًا جَاءُوا إِلَى الرَّسُولِ ﷺ وَقَالُوا: إِنَّ قَوْمًا يَأْتُونَنَا بِاللَّحْمِ لَا نَدْرِي أَذْكَرُ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ أَمْ لَا؟ فَقَالَ: «سَمُّوا أَنْتُمْ وَكُلُوا»<sup>(٢)</sup>.

وَهَذَا كَالْتَأْنِيْبِ لَهُمْ عَلَى هَذَا السُّؤَالِ؛ يَعْنِي: كَأَنَّهُ قَالَ: إِنَّكُمْ لَا تُكَلَّفُونَ إِلَّا عَمَلَكُمْ، أَمَّا عَمَلُ غَيْرِكُمْ فَلَسْتُمْ مُسْتَوْلِينَ عَنْهُ، قَالَتْ عَائِشَةُ: وَكَانُوا حَدِيثِي عَهْدٍ بِكَفْرِ. وَلَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَسْبِعَ مِثْلَ هَذِهِ الْأُمُورِ؛ لَحَصَلْ فِي ذَلِكَ إِشْكَالٌ كَثِيرٌ، وَتَعَبٌ؛ أَيُّ: أَنَّا لَوْ قُلْنَا: كُلُّ إِنْسَانٍ بَاعَ عَلَيْنَا بَيْتًا مِثْلًا، لَا بَدَأَ أَنْ نَعْلَمَ أَنَّهُ تَمَلَّكَهُ بِطَرِيقٍ شَرْعِيٍّ، أَوْ بَاعَ عَلَيْنَا ثِيَابًا، لَا بَدَأَ أَنْ نَعْلَمَ أَنَّهُ تَمَلَّكَهَا بِطَرِيقٍ شَرْعِيٍّ. فَهَذَا لَا شَكَّ أَنَّ فِيهِ مِنَ الْمَشَقَّةِ وَالْحَرَجِ، مَا يُنَافِي الشَّرِيعَةَ الْإِسْلَامِيَّةَ.



ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٣٠٢ - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مُقَاتِلٍ، أَخْبَرَنَا وَكِيعٌ، عَنْ نَافِعِ بْنِ عُمَرَ، عَنْ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ، قَالَ: كَادَ الْخَيْرَانِ أَنْ يَهْلِكََا أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، لَمَّا قَدِمَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَفَدُ بَنِي تَمِيمٍ، أَشَارَ أَحَدُهُمَا بِالْأَقْرِعِ بْنِ حَابِسٍ الْحَنْظَلِيِّ أَخِي بَنِي مُجَاشِعٍ، وَأَشَارَ الْآخَرُ بغيرِهِ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ لِعُمَرَ: إِنَّمَا أَرَدْتُ خِلَافِي. فَقَالَ عُمَرُ: مَا أَرَدْتُ خِلَافَكَ. فَارْتَفَعَتْ أَصَوَاتُهُمَا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَنَزَلَتْ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ﴾ [الْمَائِدَةُ: ٢٦]. إِلَى قَوْلِهِ: ﴿عَظِيمٌ﴾ [الْمَائِدَةُ: ٢٦]. قَالَ ابْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ: قَالَ ابْنُ الزُّبَيْرِ: فَكَانَ عُمَرُ بَعْدَ - وَلَمْ يَذْكُرْ ذَلِكَ عَنْ أَبِيهِ يَعْنِي: أَبَا بَكْرٍ - إِذَا حَدَّثَ النَّبِيُّ ﷺ بِحَدِيثٍ حَدَّثَهُ كَأَخِي السَّرَّارِ، لَمْ يُسْمِعْهُ حَتَّى يَسْتَفْهِمَهُ.

❁ قَوْلُهُ: «فَكَانَ عُمَرُ بَعْدَ، وَلَمْ يَذْكُرْ ذَلِكَ عَنْ أَبِيهِ»؛ يَعْنِي: أَبَا بَكْرٍ، إِذَا حَدَّثَ النَّبِيُّ ﷺ بِحَدِيثٍ حَدَّثَهُ، كَأَخِي السَّرَّارِ، لَمْ يُسْمِعْهُ حَتَّى يَسْتَفْهِمَهُ؛ يَعْنِي: فِي مَقَابَلَةِ رَفْعِ الصَّوْتِ الَّذِي حَصَلَ مِنْهُ مَعَ أَبِي بَكْرٍ فِي حَضْرَةِ النَّبِيِّ ﷺ.

(١) رواه البخاري (٥٠٦٣)، ومسلم (١٠٢٠/٢) (١٤٠١) (٥٠).

(٢) رواه البخاري (٥٥٠٧).



٧٣٠٣- حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ حَدَّثَنِي مَالِكٌ، عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ فِي مَرَضِهِ: «مُرُوا أَبَا بَكْرٍ يُصَلِّيَ بِالنَّاسِ». قَالَتْ: عَائِشَةُ: قُلْتُ: إِنَّ أَبَا بَكْرٍ إِذَا قَامَ فِي مَقَامِكَ لَمْ يَسْمَعْ النَّاسَ مِنَ الْبُكَاءِ، فَمُرْ عُمَرَ فَلْيُصَلِّ. فَقَالَ: «مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ». فَقَالَتْ: عَائِشَةُ، فَقُلْتُ لِحَفْصَةَ: قُولِي: إِنَّ أَبَا بَكْرٍ إِذَا قَامَ فِي مَقَامِكَ لَمْ يَسْمَعْ النَّاسَ مِنَ الْبُكَاءِ، فَمُرْ عُمَرَ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ، فَفَعَلْتُ حَفْصَةَ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنْ كُنَّ لَأَتَنَّ صَوَاحِبُ يَوْسُفَ، مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ لِلنَّاسِ». قَالَتْ حَفْصَةُ لِعَائِشَةَ: مَا كُنْتُ لِأُصِيبَ مِنْكَ خَيْرًا<sup>(١)</sup>.

❦ قولها: «ما كنتُ لأُصِيبَ مِنْكَ خَيْرًا»: لأن رسول الله ﷺ وبَّخها، وقال: «لَأَتَنَّ صَوَاحِبُ يَوْسُفَ». يعني: في الكيد، وكانت عائشة رضي الله عنها تعلَّل بهذا، أنه كثيرُ البكاء رضي الله عنه، وتعلَّل أيضًا بعلَّةٍ أخرى؛ وهي أنه سيقومُ بعدَ الرسول ﷺ، والناسُ لا يطمئنُّونَ إليه إذا كان بعدَ حبيبهم عليه الصلاة والسلام، فكانت رضي الله عنها تريدُ هذا وهذا.

ومناسبةُ هذا الحديث في الباب:

قال ابن حجر رحمته الله في «الفتح» (١٣ / ٢٨٠):

والمقصودُ منه بيانُ ذمِّ المخالفةِ، وقال ابنُ التَّيْنِ: وفيه: أن أوامره على الوجوبِ، وأن في مراجعته فيما يأمُرُ به بعضُ المكروه. قلتُ: وليس ما ادَّعاه من دليل الوجوبِ ظاهرًا. اهـ

٧٣٠٤- حَدَّثَنَا آدَمُ، حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي ذَنْبٍ، حَدَّثَنَا الزُّهْرِيُّ، عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ، قَالَ: جَاءَ عُومَيْرٌ إِلَى عَاصِمِ بْنِ عَدِيٍّ، فَقَالَ: أَرَأَيْتَ رَجُلًا وَجَدَ مَعَ امْرَأَتِهِ رَجُلًا فَيَقْتُلُهُ، أَتَقْتُلُونَهُ بِهِ، سَلِّ لِي يَا عَاصِمُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَسَأَلَهُ، فَكَرِهَ النَّبِيُّ ﷺ الْمَسَائِلَ، وَعَابَهَا، فَرَجَعَ عَاصِمٌ فَأَخْبَرَهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَرِهَ الْمَسَائِلَ، فَقَالَ عُومَيْرٌ: وَاللَّهِ لَا يَتَيْنِ النَّبِيُّ ﷺ، فَجَاءَ وَقَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى الْقُرْآنَ خَلْفَ عَاصِمٍ، فَقَالَ لَهُ: «قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ فِيكُمْ قُرْآنًا». فَدَعَا بِهِمَا فَتَقَدَّمَا فَتَلَا عَنَّا، ثُمَّ قَالَ عُومَيْرٌ: كَذَبْتُ عَلَيْهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ أَمْسَكْتَهَا. فَفَارَقَهَا وَلَمْ يَأْمُرْهُ النَّبِيُّ ﷺ بِفِرَاقِهَا، فَجَرَّتِ السُّنَّةُ فِي الْمُتَلَاعِنِينَ. وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «انْظُرُوهَا، فَإِنْ جَاءَتْ بِهِ أَحْمَرُ قَصِيرًا مِثْلَ وَحَرَةٍ، فَلَا رَأَاهُ إِلَّا قَدْ كَذَبَ، وَإِنْ جَاءَتْ بِهِ أَسْحَمُ أَعْيَنَ ذَا اللَّيْتَيْنِ، فَلَا أَحْسِبُ إِلَّا قَدْ صَدَقَ عَلَيْهَا». فَجَاءَتْ بِهِ عَلَى الْأَمْرِ الْمَكْرُوهِ<sup>(٢)</sup>.

(١) رواه مسلم (١/٣١٣) (٤١٨) (٩٥). مطولاً.

(٢) رواه مسلم (٢/١١٢٩) (١٤٩٢) (١).

**الشاهد من هذا قوله:** «إن الرسول كره المسائل». فلا ينبغي للإنسان أن يتعرض للبلاء، ويفرض الأشياء المكروهة؛ لأنه ربما يقع المكروه بناءً على توقُّعه؛ ولهذا قيل: البلاء موكل بالمنطق. وقال الشاعر:

احذر لسانك أن تقول فتبتلي      إن البلاء موكل بالمنطق<sup>(١)</sup>

وكم من إنسان يتوقَّع أشياء مكروهة ثم تقع؛ ولهذا كان الرسول ﷺ يُعَجِّبُهُ الْفَأَلُ، ويكره الطيرة<sup>(٢)</sup>؛ لأن الفأل حسن، وفيه تنشيط للإنسان، وفيه فتح سرور. والفرق بين الفأل والطيرة: أن الفأل، للشيء الحسن؛ يعني: تنفأل خيراً، والطيرة: للتشاؤم. فلا ينبغي للإنسان أن يكون قلبه متشائماً، بل ينبغي أن يكون متفائلاً؛ لأن التفاؤل يوجب نشاط الإنسان، وانشراح صدره، وسيره في عمله، والتطير بالعكس.

\*\*\*

ثم قال البخاري رحمه الله:

٧٣٠٥ - حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُوسُفَ، حَدَّثَنَا اللَّيْثُ، حَدَّثَنِي عُقَيْلٌ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي مَالِكُ بْنُ أَوْسٍ النَّصْرِيُّ، وَكَانَ مُحَمَّدُ بْنُ جَبْرِ بْنِ مُطْعِمٍ ذَكَرَ لِي ذِكْرًا مِنْ ذَلِكَ، فَدَخَلْتُ عَلَى مَالِكٍ فَسَأَلْتُهُ، فَقَالَ: انْطَلَقْتُ حَتَّى أَدْخُلَ عَلَى عُمَرَ أَتَاهُ حَاجِبُهُ يَرْفَأُ، فَقَالَ: هَلْ لَكَ فِي عُثْمَانَ، وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ، وَالزُّبَيْرِ، وَسَعْدِ يَسْتَأْذِنُونَ. قَالَ: نَعَمْ. فَدَخَلُوا فَسَلَّمُوا وَجَلَسُوا. فَقَالَ: هَلْ لَكَ فِي عَلِيٍّ، وَعَبَّاسٍ. فَأَذِنَ لَهُمَا. قَالَ الْعَبَّاسُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَقْضِ بَيْنِي وَبَيْنَ الظَّالِمِ - اسْتَبَا - فَقَالَ الرَّهْطُ عُثْمَانُ وَأَصْحَابُهُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَقْضِ بَيْنَهُمَا، وَأَرْحِ أَحَدَهُمَا مِنَ الْآخَرِ. فَقَالَ: اتَّيَدُوا، أَنْشِدْكُمْ بِاللَّهِ الَّذِي يَأْذِينِ تَقُومُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ، هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَا نُورُثُ مَا تَرَكْنَا صِدْقَةً». يُرِيدُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ نَفْسَهُ. قَالَ الرَّهْطُ: قَدْ قَالَ ذَلِكَ. فَأَقْبَلَ عُمَرُ عَلَى عَلِيٍّ، وَعَبَّاسٍ، فَقَالَ: أَنْشِدْكُمْ بِاللَّهِ هَلْ تَعْلَمَانِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ ذَلِكَ. قَالَا: نَعَمْ. قَالَ عُمَرُ: فَإِنِّي مُحَدِّثُكُمْ عَنْ هَذَا الْأَمْرِ، إِنَّ اللَّهَ كَانَ خَصَّ رَسُولَهُ ﷺ فِي هَذَا الْمَالِ شَيْءٍ لَمْ يُعْطِهِ أَحَدًا غَيْرُهُ، فَإِنَّ اللَّهَ يَقُولُ: ﴿وَمَا آفَاءَ اللَّهِ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ﴾ [النحل: ١٦].

(١) انظر «النجوم الزاهرة» (٢/ ١٣٠)، و«المستطرف» (١/ ١٨٨)، و«حاسة البحري» (١/ ٢٧٢)، و«السحر الحلال» (١/ ٨٣).

(٢) فمن ذلك ما رواه البخاري (٥٧٧٦)، ومسلم (٢٢٢٤) (١١١) من حديث أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا عدوى ولا طيرة، ويعجبني الفأل. قالوا: ما الفأل؟ قال: النبا الطيبة».



الآيَةِ، فَكَانَتْ هَذِهِ خَالِصَةً لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ وَاللَّهِ مَا اخْتَارَهَا دُونَكُمْ، وَلَا اسْتَأْثَرَ بِهَا عَلَيْكُمْ، وَقَدْ أَعْطَاكُمْوهَا وَبَيَّنَّهَا فِيكُمْ، حَتَّى يَبْقَى مِنْهَا هَذَا الْهَالُ، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُنْفِقُ عَلَى أَهْلِهِ نَفَقَةً سَتَيْهِمْ مِنْ هَذَا الْهَالِ، ثُمَّ يَأْخُذُ مَا بَقِيَ فَيَجْعَلُهُ لِمَنْ جَعَلَ مَالُ اللَّهِ، فَعَمِلَ النَّبِيُّ ﷺ بِذَلِكَ حَيَاتِهِ، أَنْشَدَكُمْ بِاللَّهِ هَلْ تَعْلَمُونَ ذَلِكَ، فَقَالُوا: نَعَمْ. ثُمَّ قَالَ لِعَلِيٍّ وَعَبَّاسٍ: أَنْشَدُكُمَا اللَّهَ هَلْ تَعْلَمَانِ ذَلِكَ، قَالَا: نَعَمْ. ثُمَّ تَوَفَّى اللَّهُ نَبِيَّهُ ﷺ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا وَلِيُّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَبَضَهَا أَبُو بَكْرٍ، فَعَمِلَ فِيهَا بِمَا عَمِلَ فِيهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَأَنْتُمَا جِئْتُمَا - وَأَقْبَلَ عَلَى عَلِيٍّ وَعَبَّاسٍ - تَزْعُمَانِ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ فِيهَا كَذَّاءٌ، وَاللَّهِ يَعْلَمُ أَنَّهُ فِيهَا صَادِقٌ بَارٌّ رَاشِدٌ تَابِعٌ لِلْحَقِّ، ثُمَّ تَوَفَّى اللَّهُ أَبَا بَكْرٍ، فَقُلْتُ: أَنَا وَلِيُّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَأَبَى بَكْرٍ. فَقَبَضْتُهَا سَتَيْنِ، أَعْمَلُ فِيهَا بِمَا عَمِلَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ جِئْتَنِي، وَكَلِمَتُكُمَا عَلَى كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ، وَأَمْرُكُمَا جَمِيعٌ، جِئْتَنِي تَسْأَلْنِي نَصِيكَ مِنْ ابْنِ أَخِيكَ، وَأَتَانِي هَذَا يَسْأَلُنِي نَصِيبَ أَمْرَانِهِ مِنْ أَبِيهَا، فَقُلْتُ: إِنْ شِئْتُمَا دَفَعْتُهَا إِلَيْكُمَا، عَلَى أَنَّ عَلَيْنُكُمَا عَهْدُ اللَّهِ وَمِيثَاقُهُ تَعْمَلَانِ فِيهَا بِمَا عَمِلَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَبِمَا عَمِلَ فِيهَا أَبُو بَكْرٍ، وَبِمَا عَمِلْتُ فِيهَا مُنْذُ وَلَيْتُهَا، وَإِلَّا فَلَا تُكَلِّمَانِي فِيهَا. فَقُلْتُمَا: أَدْفَعُهَا إِلَيْنَا بِذَلِكَ. فَدَفَعْتُهَا إِلَيْكُمَا بِذَلِكَ، أَنْشَدُكُم بِاللَّهِ هَلْ دَفَعْتُهَا إِلَيْهِمَا بِذَلِكَ، قَالَ الرَّهْطُ: نَعَمْ. فَأَقْبَلَ عَلَى عَلِيٍّ وَعَبَّاسٍ، فَقَالَ: أَنْشَدُكُمَا بِاللَّهِ هَلْ دَفَعْتُهَا إِلَيْكُمَا بِذَلِكَ. قَالَا: نَعَمْ. قَالَ: أَفَتَلْتَمِسانِ مِنِّي قِضَاءَ غَيْرِ ذَلِكَ، فَوَ الَّذِي يَأْذِنُهُ تَقُومُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ لَا أَقْضِي فِيهَا قِضَاءَ غَيْرِ ذَلِكَ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ، فَإِنْ عَجَزْتُمَا عَنْهَا فَادْفَعَاهَا إِلَيَّ، فَأَنَا أَكْفِيكُمَا هَا <sup>(١)</sup>.

هذا الحديث مرّ علينا من قبل، وفيه أن النبي ﷺ قال: «لَا نُورُثُ، مَا تَرَكْنَا صدقةً». وهاتان جملتان: الأولى نفْي: لَا نُورُثُ. والثانية: مَا تَرَكْنَا صدقةً. فـ «ما» هنا اسمٌ موصولٌ مبتدأ، والتقدير: الذي تَرَكْنَاهُ صدقةً؛ أي: يَكُونُ صدقةً، فالأنبياء لَا يُورَثُونَ، بل ما تَرَكُوهُ فإنه يَكُونُ صدقةً. وقد زعمتِ الرافضة أن الكلام جملة واحدة، وأن قوله: «لَا نُورُثُ مَا تَرَكْنَا صدقةً». أي: لَا نُورُثُ مَا تَرَكْنَاهُ صدقةً. وأما ما تَرَكْنَاهُ تملُّكًا، فإنه يُورَثُ.

وعلى تحريفهم، تَكُونُ «ما»: في موضع نصبٍ مفعولاً به لـ «تَرَكْنَا»، لَا نُورُثُ الذي تَرَكْنَا صدقةً، ولا شك أن هذا تحريفٌ واضحٌ؛ لأن ما تَرَكْ صدقةً لَا يُورَثُ، لَا مِنَ الرَّسُولِ ﷺ، وَلَا مِنْ غَيْرِهِ، فَإِنَّ الْإِنْسَانَ لَوْ أَوْصَى بِشَيْءٍ مِنْ مَالِهِ أَنْ يَكُونَ صدقةً تُدْفَعُ بَعْدَ مَوْتِهِ، فإنه لَا يُمْكِنُ أَنْ يُورَثَ عَنْهُ، بَلْ يَتَصَدَّقُ بِهِ كَمَا

جاء في الحديث: «إن الله تصدق عليكم بثلاث أموالكم عند وفاتكم»<sup>(١)</sup>.

**وفي هذا الحديث أيضًا:** دليل على براءة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، مما زعمته الرافضة أنها ظلمتا على بن أبي طالب، وفاطمة، والعباس، فإن النهاية كما رأيتم أن عمر رضي الله عنه دفع إليهما على أن يعملأ فيه ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يعمل فيه، ومع ذلك تنازعا في هذا النزاع، حتى وصف العباس على بن أبي طالب بأنه ظالم، وهذا نزاع شديد؛ ولهذا قال: إن عجزتأ عنها، فادفعأها إلي، فأنا أكفيكمأها رضي الله عنه؛ أي: وإن قدرتأ على أن تصرفأها كما صرفها النبي صلى الله عليه وسلم فهذا هو الواجب عليكم.

**وفي هذا:** دليل على أن الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم ينألهم من الرعية ما ينألهم من الأذى، ولكنهم يصبرون، ويحتسبون كما هي طريقة الرسل - عليهم الصلاة والسلام - قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأَوْدُوا حَتَّى أَنْتَهُمْ نَصَرْنَا﴾ [الأنعام: ٣٤]. ولا تظن أنك تكون رأساً في شيء من الأشياء، فتسلم.

ولهذا يذكّر عن رجل أنه أوصى ابنه، فقال: يا بني لا تكن رأساً، فإن الرأس كثير الآفات. كل إنسان يتولّى شيئاً قيادياً، فإنه لابد أن يجد من يرّضى بعمله، ومن لا يرّضى بعمله، ولكن وظيفة الإنسان أن يصلح ما بينه وبين الله تعالى، فإذا أصلح ما بينه وبين الله تعالى، أصلح الله ما بينه وبين الناس.

ولهذا كتبت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها إلى معاوية حين تولّى الخلافة، وقالت: إن النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «من التمس رضا الناس في سخط الله سخط الله عليه، وأسخط عليه الناس، ومن التمس رضا الله في سخط الناس، كفاه الله مئونة الناس، ودافع عنه وحفظه، وبين أمره»<sup>(٢)</sup>. أمّا من يسخط الله برضا الناس، فإن الله تعالى يسخط عليه، ويسخط عليه الناس، فتكون قلوبهم كارهة له، ساخطة لفعله، فأهم شيء على الإنسان أن ينظر ما بينه وبين ربه فقط، أما ما بينه وبين الناس فإنه سوف يصلح، ولو بعد زمن.



- (١) رواه الإمام أحمد في مسنده (٤٤٠/٦) (٢٧٤٨٢)، وابن ماجه (٢٧٠٩) والطبراني في الكبير (٩٤/٢٠)، والدارقطني (١٥٠/٤)، وذكره الهيثمي في «المجمع» (٢١٢/٤)، وقال: إسناده حسن، وقال الحافظ في «بلوغ المرام» بعد أن ذكر له عدة طرق: وكلها ضعيفة لكن يقوي بعضها بعضاً وحسنه الشيخ الألباني كما في تعليقه على «السنن»، وفي «الإرواء» (١٦٤١).
- (٢) رواه الترمذي (٢٤١٤)، ابن حبان (٢٧٦)، وعبد بن حميد (١٤٢٤) وصححه الشيخ الألباني كما في تعليقه على السنن.



ثم قال البخاري رحمه الله:

٦- بَابُ إِثْمٍ مَنْ آوَى مُحَدِّثًا، رواه عليٌّ عن النبي ﷺ<sup>(١)</sup>.

٧٣٠٦- حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَاحِدِ، حَدَّثَنَا عَاصِمٌ، قَالَ: قُلْتُ لِأَنْسِ: أَحْرَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ. قَالَ: نَعَمْ مَا بَيْنَ كَذَا إِلَى كَذَا، لَا يَقْطَعُ شَجَرَهَا، مَنْ أَحْدَثَ فِيهَا حَدَّثًا، فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ. قَالَ عَاصِمٌ: فَأَخْبَرَنِي مُوسَى بْنُ أَنْسٍ، أَنَّهُ قَالَ: أَوْ آوَى مُحَدِّثًا<sup>(٢)</sup>.

❦ قوله: «آوى»؛ يعني: تلقاه، ونصره، ودافع عنه، فإنه ملعون، وإن كان هذا فيمن آواه، فالمحدث أولى باللعين -والعياذُ بالله- وهذا يشمل الحدث الاعتقادي، والحدث العملي. فكل من أحدث في المدينة فعليه لعنة الله، والملائكة، والناس أجمعين.

❦ وقوله: «لا يقطع شجرها». يُسْتَشْي من ذلك ما يحتاجه أهلها للحرث، فإنه رخص في هذا بخلاف مكة، فإنه لم يُرخص في شجرها إلا الإذخر<sup>(٣)</sup>. ثم إذا حرم قطع شجرها، فهل فيه جزاء؟  
الجواب: أن الصحيح أنه لا جزاء في قطع الشجر، لا في مكة ولا في المدينة، أما الصيد ففيه الجزاء في مكة، واختلف العلماء فيه في المدينة<sup>(٤)</sup>.



ثم قال البخاري رحمه الله:

٧- بَابُ مَا يُذَكَّرُ مِنْ ذَمِّ الرَّأْيِ، وتكلف القياس: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ [الأنفال: ٣٦].

❦ قوله رحمه الله: «ما يُذَكَّرُ مِنْ ذَمِّ الرَّأْيِ». المراد به الرأي المجرد عن الدليل.  
❦ وقوله: «وتكلف القياس». ولم يقل: والقياس. ولكنه قال: تكلف القياس. أي القياس المتكلف المتعمق فيه، وأما القياس الصحيح فلا يُكره، فإن الرسول ﷺ قاس بنفسه حيث قال للمرأة: «أَرَأَيْتِ إِنْ كَانَ عَلَى امِّكَ دِينَ أُكْنِتِ قَاضِيَتَهُ؟» قالت: نعم. قال: فاقضوا الذي له فإن الله أحقُّ بالوفاء<sup>(٥)</sup>.

(١) علقه البخاري رحمه الله بصيغة الجزم كما في «الفتح» (١٣/ ٢٨١)، وأسنده المؤلف في أواخر الحج وفي فضائل المدينة، باب حرم المدينة (١٨٧٠).

(٢) رواه مسلم (٩٩٤/ ٢) (١٣٦٦) (٤٦٣) بنحوه.

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) انظر: «المبدع» (٣/ ٢٠٨)، و«الفروع» (٣/ ٣٥٠)، و«الإنصاف» ٣/ ٥٥٩، و«كشاف القناع» (٢/ ٤٧٤).

(٥) رواه البخاري (٧٣١٥)، ومسلم (٨٠٤/ ٢) (١١٤٨) (١٥٤) بنحوه.

وقال للرجل الذي قال له: يا رسول الله، إن امرأتي ولدت غلاما أسود - يُعَرِّضُ بها - فقال: «هل لك من إبل؟ قال: نعم، قال: ما ألوانها؟ قال: حمراء. قال: هل فيها من أورك؟ - الأورك الذي سواده فيه بياض - قال: نعم. قال: «من أين أتاهم الأورك؟» - قال: لعلّه نزعه عرق. قال: «فابنك هذا لعلّه نزعه عرق»<sup>(١)</sup>.

فالقياس الصحيح الذي ليس فيه تكلف، هذا طريق شرعي محمود، أما القياس المتكلف فهو المذموم.

ثم استدلل المؤلف رحمه الله بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ [الأنعام: ٣٦]. وفسر تَقَفُ بـ «تَقَلُّ» والصواب أن «تَقَفُ». بمعنى: تتبّع؛ لأنه مأخوذ من القفا، أي: لا تتبّع شيئا ليس لك به علم، سواء كان هذا في القول أو في الفعل، وتشمل الآية قفو ما ليس فيه علم من الأمور الشرعية، وغيرها، حتى فيما بين الناس، لا تَقَفُ ما ليس لك به علم. وفي هذه الآية دليل على أنه يجب على الإنسان أن يتثبت ويتأني فيما يُنقل، وقد جاء في الحديث: «كفى بالمرء كذبا أن يحدث بكل ما سمع»<sup>(٢)</sup>.



ثم قال البخاري رحمه الله:

٧٣٠٧- حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ تَلَيْدٍ، حَدَّثَنِي ابْنُ وَهْبٍ، حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ شَرِيحٍ، وَغَيْرُهُ، عَنْ أَبِي الْأَسْوَدِ، عَنْ عُرْوَةَ، قَالَ: حَجَّ عَلَيْنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْزِعُ الْعِلْمَ بَعْدَ أَنْ أَعْطَاهُمُوهُ أَنْزَاعًا، وَلَكِنْ يَنْزِعُهُ مِنْهُمْ مَعَ قَبْضِ الْعُلَمَاءِ بِعِلْمِهِمْ، فَيَبْقَى نَاسٌ جُهَالٌ يُسْتَفْتَوْنَ فَيُفْتَوْنَ بِرَأْيِهِمْ، فَيُضِلُّونَ وَيُضِلُّونَ». فَحَدَّثْتُ عَائِشَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ، ثُمَّ إِنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو حَجَّ بَعْدُ، فَقَالَتْ: يَا ابْنَ أَخْتِي انْطَلِقْ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ فَاسْتَشِثْ لِي مِنْهُ الَّذِي حَدَّثْتَنِي عَنْهُ. فَحِثَّهُ فَسَأَلْتُهُ فَحَدَّثَنِي بِهِ كَنَحْوِ مَا حَدَّثَنِي، فَأَتَيْتُ عَائِشَةَ فَأَخْبَرْتُهَا، فَعَجِبَتْ، فَقَالَتْ: وَاللَّهِ لَقَدْ حَفِظَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو<sup>(١)</sup>.

الشاهد قوله: «فَيَبْقَى نَاسٌ جُهَالٌ، يُسْتَفْتَوْنَ فَيُفْتَوْنَ بِرَأْيِهِمْ فَيُضِلُّونَ، وَيُضِلُّونَ». ومثل هؤلاء لا يُعْذَرُونَ بجهلهم، بل يجب ألا يقولوا على الله إلا ما يعلمون.

(١) رواه البخاري (٥٣٠٥)، ومسلم (١١٣٧/٢) (١٥٠٠) (١٨).

(٢) رواه مسلم (١٠/١) (٥) (٥).

(٣) رواه مسلم (٢٠٥٩/٤) (٢٦٧٣) (١٤).



٧٣٠٨- حَدَّثَنَا عَبْدَانُ، أَخْبَرَنَا أَبُو حَمْرَةَ، سَمِعْتُ الْأَعْمَشَ، قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا وَائِلٍ: هَلْ شَهِدْتَ صَفِينَ، قَالَ: نَعَمْ. فَسَمِعْتُ سَهْلَ بْنَ حَنْفِيٍّ، يَقُولُ: ح. وَحَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ، حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي وَائِلٍ، قَالَ: قَالَ سَهْلُ بْنُ حَنْفِيٍّ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّهِمُوا رَأْيَكُمْ عَلَى دِينِكُمْ، لَقَدْ رَأَيْتَنِي يَوْمَ أَبِي جَنْدَلٍ وَلَوْ اسْتَطِيعَ أَنْ أَرُدَّ أَمْرَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَرَدَدْتُهُ، وَمَا وَضَعْنَا سُيُوفَنَا عَلَى عَوَاتِقِنَا إِلَى أَمْرٍ يُفْطِنُنَا إِلَّا أَسهَلْنَا بِنَا إِلَى أَمْرٍ نَعْرِفُهُ غَيْرَ هَذَا الْأَمْرِ. قَالَ: وَقَالَ أَبُو وَائِلٍ: شَهِدْتُ صَفِينَ وَبَشْتُ صِفُونَ<sup>(١)</sup>.

❖ قوله صِفُونَ: ملحقٌ بجمع المذكر السالم.

**الشاهد قوله:** «يا أيُّها الناس اتَّهِمُوا رَأْيَكُمْ عَلَى دِينِكُمْ». ثم استدلَّ بقصة أبي جندلٍ، يُشيرُ

إلى الصلح الذي وقَّع في غزوة الحديبية، بين الرسول ﷺ وبين قريش.

ومن شروط الصلح: أن مَنْ جاء مسلماً رَدَدْنَاهُ إِلَى قريش، وَمَنْ جاءَ مِنَّا إِلَيْهِمْ فَإِنَّهُمْ لَا يَرُدُّونَهُ، فَرَجَعَ النَّبِيُّ ﷺ فِيهِ وقال: أَلَسْنَا عَلَى الْحَقِّ، وَعَدُّنَا عَلَى الْبَاطِلِ. قال: بلى. قال: فَلِمَ تُعْطِ الدَّيْنَةَ فِي دِينِنَا<sup>(٢)</sup>، وَلَكِنْ هَذَا الصَّلْحُ كَانَ خَيْرًا وَفَتْحًا، وَصَارَ النَّاسُ يَأْتُونَ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَيَذْهَبُونَ مِنَ الْمَدِينَةِ إِلَى مَكَّةَ، وَانْتَشَرَ دِينُ الْإِسْلَامِ، وَلِهَذَا سَمَّاهُ اللَّهُ تَعَالَى فَتْحًا. فقال: ﴿لَا يَسْأَلُ مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلَ﴾ [الفتح: ١٠]. يَعْنِي بِذَلِكَ صَلْحَ الْحَدِيبَةِ.

وَالنَّاسُ يَظُنُّونَ أَنَّ هَذَا الصَّلْحَ جَوْرٌ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، وَلَكِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ عَنْ ذَلِكَ الصَّلْحِ: إِنَّهُ بِأَمْرِ اللَّهِ، وَإِنَّهُ لَنْ يَعِصِيَ اللَّهَ، وَإِنَّ اللَّهَ سَيَنْصُرُهُ، وَهَذَا هُوَ الَّذِي وَقَعَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ<sup>(٣)</sup>. **ففي هذا الحديث:** دليلٌ على أن الإنسانَ يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَتَّهَمَ رَأْيَهُ أَمَامَ شَرَعِ اللَّهِ ﷻ، وَلَا يَقُلْ: لَمْ كَانَ هَذَا؟ أَوْ كَيْفَ كَانَ هَذَا؟ يُرِيدُ بِذَلِكَ الْإِنْكَارَ. أَمَا إِذَا سَأَلَ لَمْ كَانَ هَذَا؟ يُرِيدُ بِهَذَا

(١) قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في «الفتح» (١٣/ ٢٨٨): قوله: وقال أبو وائل: «شهدت صفين وبشت صفين» كذا لأبي ذر، ولغيره: «وبشت صفون»، وفي رواية النسفي مثله ولكن قال: «بشتت الصفون» بزيادة ألف ولام والمشهور في صفين كسر الصاد المهملة وبعضهم فتحها، وجزم بالكسر جماعة من الأئمة، والفاء مكسورة مثقلة اتفاقاً، والأشهر فيها بالياء قبل النون كما ردين وفلسطين وقنسرين وغيرها، ومنهم من أبدل الياء واوًا في الأحوال وعلى هاتين اللغتين فأعرابها إعراب غسليين وعربون، ومنهم من أعرابها إعراب جمع المذكر السالم فتصرف بحسب العواهل مثل: لفي عليين وما أدراك ما عليون ومنهم من فتح النون مع الواو لزوماً نقل كل ذلك ابن مالك، ولم يذكر فتح النون مع الياء لزوماً. اهـ.

(٢) رواه مسلم (٣/ ١٤١١) (١٧٨٥) (٩٤).

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) تقدم تخريجه.

الاسترشاد والوصول إلى الحكمة، أو سأل كيف هذا؟ يُريدُ بذلك أن يَعْرِفَ الكيفية، فيقولُ بها، فهذا لا بأس.

❦ وقوله: «وما وَضَعْنَا سِيوفَنَا على عَوَاتِقِنَا إلى أَمْرٍ يُفْطِنُنَا إِلَّا أَسهَلَنَ بنا إلى أَمْرٍ نَعْرِفُهُ». المعني أننا نَحْمِلُ السِيوفَ لِنُقَاتِلَ، فإذا أُمِرْنَا بالكفِّ عاد بنا ذلك إلى الأسهلِ في الفعلِ.

قال الحافظ رَحِمَهُ اللهُ فِي «الفتح» (٢٨٨/١٣):

❦ قوله: «قال سهل بن حنيف: يا أيُّها الناسُ». قد تقدَّم بيانُ سببِ خطبتهِ بذلك في تفسيرِ سورةِ الفتح، وبيانُ المرادِ بقولِ سهلِ يومِ أبي جندلِ.

❦ وقوله: «يُفْطِنُنَا» بالظَّاءِ المعجمةِ المَكسورةِ بعدَ الفاءِ الساكنةِ؛ أي: يُوقِعُنَا في أَمْرٍ فطِيعٍ، وهو الشَّدِيدُ في القبحِ ونحوهِ. وقوله: «إلا أَسهَلَنَ». بسكونِ اللامِ بعدَ الهاءِ والنونِ المفتوحَتينِ؛ والمعني أَنزَلَتْنَا في السهلِ من الأرضِ؛ أي: أَفْضَيْنَ بنا، وهو كنايةٌ عن التحولِ من الشدةِ إلى الفرجِ.

❦ وقوله: «بنا». في روايةِ الكُشَيْمِيِّ «بها».

ومرادُ سهلٍ: أَنهم كانوا إِذا وَقَعُوا في شِدَّةٍ يَحْتَاجُونَ فيها إلى القتالِ في المغازي والثبوتِ والفتوحِ العُمرِيَّةِ، عَمَدُوا إلى سِيوفِهِم فوَضَعُوهَا على عَوَاتِقِهِم، وهو كنايةٌ عن الجَدِّ في الحربِ، إِذا فَعَلُوا ذلك انتَصَرُوا، وهو المرادُ بالنزولِ في السهلِ، ثم استثنى الحربَ التي وَقَعَتْ بَصْفَيْنِ لما وَقَعَ فيها من إبطاءِ النصرِ، وشدةِ المعارضةِ من حججِ الفريقينِ؛ إِذ حِجَّةٌ علىٍّ ومن مَعَهُ ما شَرَعَ لَهُم من قتالِ أَهلِ البغيِ حتى يَرَجِعُوا إلى الحقِّ، وحِجَّةٌ معاويةَ ومن مَعَهُ ما وَقَعَ من قتلِ عثمانَ مَظْلُومًا، ووجودُ قَتْلَتِهِ بأعيانِهِم في العسكرِ العراقيِّ فَعَظُمَتِ الشبهةُ حتى اشتدَّ القتالُ. وكَثُرَ القَتْلُ في الجانبينِ، إلى أن وَقَعَ التحكيمُ فكان ما كان. اهـ



ثم قال البخاري رَحِمَهُ اللهُ:

٨- بابُ ما كان النبي ﷺ يُسْتَلُّ مما لم يُنَزَّلْ عليه الوحيُ فيقولُ: لا أَدرِي أو لم يُجِبْ حتى يُنَزَّلَ عليه الوحيُ، ولم يَقُلْ برأيٍ ولا بقياسٍ لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾. وقال ابنُ مسعودٍ: سئلَ النبي ﷺ عن الرُّوحِ فَسَكَتَ حتى نَزَلَتِ الآيةُ (١).

(١) علقه البخاري بصيغة الجزم، وأسنده المؤلف في التفسير، تفسير سورة بني إسرائيل، باب: ويسئلونك عن الروح (٤٧٢١)، وانظر: «تغليق التعليق» ٣٢٢/٥.



قوله: «ما كان النبي ﷺ يُسْتَلُّ مما لم يَنْزَلْ عليه الوحي فيقول: لا أدري. أو لم يُجِبْ حتى يَنْزَلْ عليه الوحي». هذه إحدى حالات الرسول ﷺ، أنه إذا سُئِلَ عن أمرٍ لا يَعْرِفُهُ توقَّفَ، ولكن إذا سُئِلَ عن أمرٍ يَعْرِفُهُ أجابَ، وقد يأتي الاستدراك على جوابه من عند الله ﷻ. مثال ذلك: أنه سُئِلَ عن الشهادة هل تُكْفَرُ الذنبَ، فقال: نعم، فأَنَصَرَفَ السائلُ، ثم دعاه، فقال: إلا الدينَ. أخبرني بذلك جبريلُ آنفاً<sup>(١)</sup>. فهذا دليلٌ على أن الرسول ﷺ يُجِيبُ فإذا أقرَّه الله على الجوابِ، كان هذا وحياً، كما أن الرسول ﷺ إذا أقرَّ أحداً على شيءٍ كان هذا الإقرارُ سنةً.

فإذا سُئِلَ إنسانٌ عن مسألةٍ وعنده علمٌ سابقٌ فيها لكن غابَ عنه الدليلُ أثناءَ إفتائه، فهل يُفتي أم ينتظرُ حتى يستحضرَ الدليلَ؟

**الجواب:** أنه إذا أمكنَ التأني فهو أولى، وإذا كانتِ الضرورةُ تُلحُّ على المبادرةِ بالفتيا، فلا بأسَ أن يُفتيَ بما كان يعلمُه راجحاً، وإن لم يستحضرِ الدليلَ حينَ الفتوى، وهذا يكفي، لأن الأمورَ الشرعيةَ قد تكونُ يقينيةً وقد تكونُ ظنيةً.



ثم قال البخاري رحمه الله:

٧٣٠٩ - حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، قَالَ: سَمِعْتُ ابْنَ الْمُنْكَدِرِ، يَقُولُ: سَمِعْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ، يَقُولُ: مَرَضْتُ فَجَاءَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَعُودُنِي، وَأَبُو بَكْرٍ، وَهُمَا مَاشِيَانِ، فَأَتَانِي وَقَدْ أَغْمَى عَلَى، فَتَوَضَّأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ صَبَّ وَضُوءَهُ عَلَيَّ، فَأَفَقْتُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ - وَرُبَّمَا قَالَ سُفْيَانُ: فَقُلْتُ: أَيُّ رَسُولِ اللَّهِ - كَيْفَ أَقْضَى فِي مَالِي، كَيْفَ أَصْنَعُ فِي مَالِي، قَالَ: فَمَا أَجَابَنِي بِشَيْءٍ حَتَّى نَزَلَتْ آيَةُ الْمِيرَاثِ<sup>(١)</sup>.

في هذا دليلٌ على: استحبابِ عيادةِ المريضِ.

وعلى قوةِ الصلةِ بينَ رسولِ الله ﷺ وأبي بكرٍ.

وعلى أنه ينبغي أن يُصَبَّ على المغمى عليه ماءً؛ لأن ذلك يُوجِبُ انتباهه، كما هو مُجَرَّبٌ مشاهدٌ.

**وفيه:** جوازُ التبركِ برسولِ الله ﷺ في حياته، أما بعدَ مماته فإنه لا يُتَبَرَكُ بترابِ قبره، ولكن

(١) رواه مسلم (١٥٠١/٣) (١٨٨٥) (١١٧).

(٢) رواه مسلم (١٢٣٤/٣) (١٦١٦) (٥).

يُتَبَرَّكَ بِآثَارِهِ، وَكَمَا كَانَتْ أُمُّ سَلَمَةَ تَتَبَرَّكَ بِشَعْرِهِ، وَيُسْتَشْفَى بِهَا مِنَ الْمَرَضِ.<sup>(١)</sup>  
وَقَدْ فَهَمَ بَعْضُ الصُّوفِيَةِ مِنَ التَّبَرُّكِ بِالنَّبِيِّ ﷺ وَآثَارِهِ أَنَّهُ يَجُوزُ التَّبَرُّكَ بِالصَّالِحِينَ  
وَأَثَارِهِمْ، وَهَذَا فَهْمٌ غَيْرُ صَحِيحٍ، لِأَنَّ الصَّحَابَةَ مَا فَهَمُوا ذَلِكَ، وَهُمْ لَيْسُوا أَفْهَمَ مِنَ الصَّحَابَةِ،  
وَالصَّحَابَةُ ﷺ لَمْ يَتَبَرَّكُوا بِأَبِي بَكْرٍ، وَلَا عُمَرَ، وَلَا غَيْرِهِمْ مِنَ الصَّحَابَةِ، وَهُمْ أَصْلَحُ النَّاسِ.  
فَإِذَا قَالَ قَائِلٌ: هَلْ يُتَبَرَّكَ بِمَا لَيْسَ فِيهِ آثَارُهُ؟ كَخَطَابَتِهِ لِلْمَلُوكِ؟  
**الْجَوَابُ:** لَا، هَذِهِ مَا يُتَبَرَّكَ بِهَا، لَكِنَّ الْإِنْسَانَ يَنْظُرُ إِلَيْهَا اعْتِبَارًا، وَكَيْفَ كَانَ الْخَطُ مِثْلًا فِي  
ذَلِكَ الْوَقْتِ، وَكَيْفَ كَانَ الرَّسُولُ ﷺ يَأْتِي بِمُخْتَصَرِ الْقَوْلِ دُونَ التَّطْوِيلِ وَهَكَذَا.



ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى:

٩- بَابُ تَعْلِيمِ النَّبِيِّ ﷺ أُمَّتَهُ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ مِمَّا عَلَّمَهُ اللَّهُ لَيْسَ بِرَأْيٍ وَلَا تَمْثِيلٍ.  
٧٣١- حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْأَصْبَهَانِيِّ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ  
ذَكْوَانَ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، جَاءَتْ امْرَأَةٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ذَهَبَ الرَّجُلُ  
بِحَدِيثِكَ، فَاجْعَلْ لَنَا مِنْ نَفْسِكَ يَوْمًا نَأْتِيكَ فِيهِ، تَعْلَمُنَا مِمَّا عَلَّمَكَ اللَّهُ. فَقَالَ: «اجْتَمِعْنَ فِي يَوْمٍ  
كَذَا وَكَذَا، فِي مَكَانٍ كَذَا وَكَذَا». فَاجْتَمِعْنَ فَأَتَاهُنَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَعَلَّمَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَهُ اللَّهُ، ثُمَّ  
قَالَ: «مَا مِنْكُمْ امْرَأَةٌ تَقْدُمُ بَيْنَ يَدَيْهَا مِنْ وَلَدِهَا ثَلَاثَةَ، إِلَّا كَانَ لَهَا حِجَابًا مِنَ النَّارِ». فَقَالَتْ امْرَأَةٌ  
مِنْهُنَّ: يَا رَسُولَ اللَّهِ اثْنَيْنِ، قَالَ: فَأَعَادَتْهَا مَرَّتَيْنِ، ثُمَّ قَالَ: «وَأَثْنَيْنِ، وَأَثْنَيْنِ»<sup>(١)</sup>.  
**فِي هَذَا دَلِيلٌ:** عَلَى أَنَّهُ لَا بَأْسَ أَنْ يَجْتَمِعَ النِّسَاءُ فِي مَكَانٍ، وَيَأْتِيَ الرَّجُلُ الثِّقَةَ الْأَمِينُ،  
فِيَعْلَمُهُنَّ فَيُوْخِذُ مِنْهُنَّ جَوَارُ تَدْرِيسِ الرَّجُلِ لِلنِّسَاءِ. لَكِنْ يُؤْخَذُ مِنَ الْقَوَاعِدِ الْعَامَةِ لِلشَّرِيعَةِ، أَنَّهُ  
إِذَا كَانَ يُخْشَى الْفِتْنَةُ، فَإِنَّهُ لَا يَجُوزُ؛ لِأَنَّ الْفِتْنَةَ يَجِبُ دَرْؤُهَا، لِكُونِهَا مَفْسَدَةً.  
**وَفِي هَذَا دَلِيلٌ:** عَلَى أَنَّ النِّسَاءَ لَا يَجْتَمِعْنَ مَعَ الرِّجَالِ فِي التَّعْلِيمِ، وَإِلَّا لَقَالَ لَهُنَّ رَسُولُ اللَّهِ  
ﷺ: احْضُرْنَ مَعَ الرِّجَالِ، لَكِنَّ الشَّرْعَ لَا يَقْرُ الْإِخْتِلَاطَ بَيْنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ حَتَّى فِي  
مَقَامِ التَّعْلِيمِ؛ وَلِهَذَا كَانَ النِّسَاءُ يَحْضُرْنَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ الصَّلَاةَ، وَلَكِنَّهُ يَحْثُثُهُنَّ عَلَى التَّأَخُّرِ،  
فَيَقُولُ: خَيْرُ صُفُوفِ النِّسَاءِ آخِرُهَا، وَشَرُّهَا أَوَّلُهَا<sup>(٢)</sup>.

(١) تقدم تخريجه.

(٢) رواه مسلم (٢٠٢٨/٤) (٢٦٣٣) (١٥٢).

(٢) رواه مسلم (٣٢٦/١) (٤٤٠) (١٣٢).



كُلُّ هَذَا مِنْ أَجْلِ الْبَعْدِ عَنِ الْإِخْتِلَاطِ بِالرِّجَالِ.

**وفي هذا دليلٌ أيضًا:** على أنه لا بأس بتقدير الحِصصِ مكانًا وزمانًا، وعلى هذا فيردُّ على مَنْ يَقُولُ: إن الدراسةَ النظاميةَ الآنَ بدعةٌ، وأنه لا خيرَ فيها.

لأنه يُحدِّدُ لها مكانًا، ويُحدِّدُ لها زمانًا، فيقال: وما المانعُ مِنْ أَنْ يُحدِّدَ لها زمانًا، ومكانًا، فهذا الرسولُ ﷺ أَمَرَ النِّسَاءَ أَنْ يَجْتَمِعْنَ فِي يَوْمٍ كَذَا، فِي مَكَانٍ كَذَا، فَحدَّدَ الزمانَ وحدَّدَ المكانَ.

ثم إنه يَجِبُ علينا أَنْ نَعْرِفَ الْفَرْقَ بَيْنَ الْوَسَائِلِ وَالْغَايَاتِ، فهذه المدارسُ النظاميةُ تُنظَّمُ على هذا الوجهِ مِنْ أَجْلِ حِفْظِ الْوَقْتِ، وَحِفْظِ الْعِلْمِ، كَمَا فَعَلَ الْعُلَمَاءُ رَحِمَهُمُ اللَّهُ فِي تَبْوِيبِ السَّنَةِ، فَجَعَلُوا التَّوْحِيدَ عَلَى حَدِّهِ، وَالطَّهَارَةَ عَلَى حَدِّهِ، وَالصَّلَاةَ عَلَى حَدِّهِ، وَالزَّكَاةَ عَلَى حَدِّهِ، مَعَ أَنَّ هَذَا لَيْسَ مَعْرُوفًا فِي عَهْدِ الرَّسُولِ ﷺ، لَكِنْ مِنْ بَابِ الْمَصْلَحَةِ، وَحَصْرِ الْعُلُومِ، وَتَطْيِيبِهَا لِلنَّاسِ، فَلَيْسَ كُلُّ شَيْءٍ لَمْ يُصْنَعْ فِي الزَّمَنِ الْأَوَّلِ يَكُونُ بَدْعًا، إِلَّا مَا قُصِدَ التَّعَبُّدُ لِلَّهِ بِهِ، فَهَذَا شَيْءٌ آخَرٌ، أَمَا مَا كَانَ وَسِيلَةً إِلَى مَقْصُودٍ شَرْعِيٍّ، فَإِنَّهُ لَا بَأْسَ بِهِ وَلَا يُعَدُّ هَذَا مِنَ الْبَدْعِ.

وفي هذا دليلٌ على أنه إذا مَاتَ لِلْمَرْأَةِ وَلَدَانِ، فَإِنَّ الْوَلَدَيْنِ يَكُونَانِ حِجَابًا لَهَا مِنَ النَّارِ، لَكِنْ هَلْ يَلْحَقُ بِذَلِكَ الْأَبُ، أَوْ هَذَا خَاصٌّ بِالْأُمِّ؟

**الجواب:** أن هذا يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ عَامًّا، وَأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ إِنَّمَا خَصَّ النِّسَاءَ؛ لِأَنَّهُ يَتَحَدَّثُ إِلَيْهِنَّ؛ لِأَنَّ مَصِيبَةَ الرَّجُلِ بِأَوْلَادِهِ، كَمَصِيبَةِ الْمَرْأَةِ بِأَوْلَادِهَا، وَإِنْ كَانَتِ الْمَصِيبَةُ لِلْمَرْأَةِ قَدْ تَكُونُ أَشَدَّ.

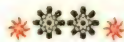
فإذا قال قائلٌ: هل يُشْتَرَطُ رِضَا الْأُمِّ عَنْ ذَهَابِ ابْنِهَا لِلْجِهَادِ حَتَّى تَحْصُلَ عَلَى هَذَا الْأَجْرِ إِذَا قُتِلَ؟

**الجواب:** الظاهرُ لا، مَا يَدْخُلُ فِي الْحَدِيثِ؛ لِأَنَّ هَذَا الْحَدِيثَ مُقَيَّدٌ فِي رَوَايَاتٍ أُخْرَى بِقَوْلِهِ: «لَمْ يَلْبُغُوا الْحِلْمَ، أَوْ الْحَنْتَ». <sup>(١)</sup> يَعْنِي: الْأَوْلَادَ الصَّغَارَ.

وَالظَّاهِرُ أَيْضًا مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ أَنَّهُ اجْتَمَعَ بِهِنَّ مَرَّةً وَاحِدَةً، لَكِنْ لَا نَذْرِي عَنْهُ أَنَّهُ اسْتَمَرَ كَلِمًا مَضَى وَقْتُ ذَهَبٍ وَأَخَذَ مِنْهُنَّ مَوْعِدًا، أَوْ أَنَّهُ اقْتَصَرَ عَلَى هَذَا إِجَابَةً لَطَلِبِهِنَّ.

فإذا قال قائلٌ: إن تحديدَ وَقْتٍ مُعَيَّنٍ، وَمَكَانٍ مُعَيَّنٍ لِلنِّسَاءِ كَانَ ذَلِكَ فِي تَعْلِيمِهِنَّ دِينَهُنَّ، فَأَمَّا الْآنَ فَالْأَصْلُ فِي التَّعْلِيمِ هُوَ تَعْلِيمُ الْأُمُورِ الدُّنْيَوِيَّةِ؟

**الجواب:** أنه إذا كان جائزًا فِي الْعُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ فَهَذِهِ مِنْ بَابِ أَوَّلَى.



قال ابن حجر رحمته الله تعالى في «الفتح» (١٣/١٩٣):

وقد مضى شرحه مستوفى في أول «كتاب الجنائز» وفي العلم.

❦ وقوله: «جاءت امرأة» لم أقف على اسمها، ويحتمل أن تكون هي أساء بنت يزيد بن السكن.

❦ وقوله هنا: «فأتاهنَّ فعلمهنَّ مما علمه الله». تقدّم هناك بلفظ: «فوعدهنَّ يوماً لقيهنَّ

فيه فوعظهنَّ، فأمرهنَّ فكان فيما قال لهنَّ». فذكر نحو ما هنا، ولم أر في شيء من طرقه بيان ما

علمهنَّ، لكن يُمكن أن يؤخذ من حديث أبي سعيد الآخر الماضي في «كتاب الزكاة» وفيه:

«فمرَّ على النساء فقال: يا معشر النساء تصدَّقنَّ فإني رأيتكنَّ أكثر أهل النار» الحديث، وفيه:

«فقامت امرأة فقالت لم؟» وفيه: «أليس شهادة المرأة مثل نصف شهادة الرجل، وأليس إذا

حاضت لم تصل ولم تصم». وقد مضى شرحه مستوفى هناك، وإن المرأة المذكورة هي أساء

قال الكرّماني: موضع الترجمة من الحديث قوله «كنَّ لها حجاً من النار». فإنه أمرٌ توقيفي لا

يُعلم إلا من قبل الله تعالى لا دخل للقياس والرأي فيه. اهـ



ثم قال البخاري رحمته الله تعالى:

١٠- باب قول النبي ﷺ: لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، يُقاتلون وهم أهل العلم.

٧٣١١- حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُوسَى، عَنْ إِسْمَاعِيلَ، عَنْ قَيْسٍ، عَنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ، عَنِ

النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَا يَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ»<sup>(١)</sup>.

٧٣١٢- حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ، حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ، عَنْ يُونُسَ، عَنْ ابْنِ شِهَابٍ أَخْبَرَنِي حُمَيْدٌ

قَالَ: سَمِعْتُ مُعَاوِيَةَ بْنَ أَبِي سُفْيَانَ يَخْطُبُ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا

يُفْقَهُهُ فِي الدِّينِ، وَإِنَّمَا أَنَا قَاسِمٌ وَيُعْطَى اللَّهُ، وَلَنْ يَزَالَ أَمْرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ مُسْتَقِيمًا حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ،

أَوْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ»<sup>(٢)</sup>.

هذا الحديث: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين حتى يأتيهم أمر الله، وهم ظاهرون». يُريدُ

بهم عليه السلام الطائفة التي تتمسكُ بها كان عليه النبي ﷺ وأصحابه، فهم الذين يَكُونُونَ

ظاهرين لا يَضُرُّهُمْ من خذلهم، ولا مَنْ خالفهم.

وفي الحديث الثاني: «مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يَفْقَهُهُ فِي الدِّينِ»: فيه بشارة لمن فقَّهه الله في دينه،

(١) رواه مسلم (١٥٢٣/٣) (١٩٢١) (١٧١).

(٢) رواه مسلم (١٥٢٤/٣) (١٩٢٢) (١٧٥).



أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَرَادَ بِهِ خَيْرًا، وَيُؤْخَذُ مِنْ مَفْهُومِهِ أَنَّ مَنْ لَمْ يُفْقَهُهُ اللَّهُ فِي الدِّينِ فَلَمْ يَرُدْ بِهِ خَيْرًا، فَالْفَقْهُ فِي الدِّينِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ اللَّهَ أَرَادَ بِهِ خَيْرًا.

والفقّه في الدين ليس هو عِلْمُ الأحكام الشرعية العملية كالطهارة والصلاة، بل هو أعمُّ من ذلك، حتى في العقائد يُعْتَبَرُ الْعِلْمُ بِهَا فَقْهًا؛ ولهذا سَمَّى الْعُلَمَاءُ رَحِمَهُمُ اللَّهُ عِلْمَ التَّوْحِيدِ الْفَقْهَ الْأَكْبَرَ. **وفي هذا:** إثبات الإرادة لله ﷻ؛ لقوله: «من يرد الله به خيرًا».

وقوله: «إِنَّمَا أَنَا قَاسِمٌ، وَيُعْطِي اللَّهُ». الْقِسْمَةُ هُنَا: قِسْمَةُ الْعِلْمِ وَالْبَيَانِ، فَهُوَ يُعَلِّمُ النَّاسَ، وَيُقَسِّمُ بَيْنَهُمْ مَا عَلَّمَهُ اللَّهُ، وَالَّذِي يُعْطِي هُوَ اللَّهُ ﷻ، فَكَمْ مِنْ إِنْسَانٍ أَخَذَ قِسْطًا، وَفَرَا مِنَ السَّنَةِ، لَكِنْ بَدُونِ فَقْهِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يُفْقَهُهُ، وَعَلَى هَذَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «رُبَّ مُبْلَغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ».

وَفِي الْوَقْتِ الْحَاضِرِ قَدْ تَجَدُّ أُنَاسًا عِنْدَهُمْ فَهْمٌ فِي الدِّينِ، وَلَكِنَّهُمْ لَا يَنْشُرُونَهُ لِلنَّاسِ، فَلَا شَكَّ أَنَّ هَؤُلَاءِ مَا فَقَّهُوا فِي الدِّينِ إِذْ لَوْ فَقَّهُوا فِي دِينِ اللَّهِ لَنَشَرُوا الْعِلْمَ؛ لِأَنَّ مِنْ جَمَلَةِ الْفَقْهِ فِي الدِّينِ أَنْ يَنْشُرَ عِلْمَهُ، فَإِنْ نَشَرَ الْعِلْمَ لَا شَكَّ أَنَّهُ مِنَ الْفَقْهِ، وَالْفَقْهُ لَيْسَ مَجْرَدَ الْفَهْمِ، فَالْفَهْمُ قَدْ لَا يَكُونُ فَقْهًا، إِنَّمَا الْفَقْهُ أَنْ يَكُونَ عِنْدَهُ تَعَمُّقٌ فِي دِينِ اللَّهِ، وَمَعْرِفَةٌ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِ، وَالْقِيَامُ بِالْعَمَلِ بِهِ.

وَالطَّائِفَةُ الْمَنْصُورَةُ فَسَّرَهَا بَعْضُ الْعُلَمَاءِ بِأَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْحَدِيثِ <sup>(١)</sup>. وَمَرَادُهُمْ أَهْلُ الْحَدِيثِ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ بِهِ، لَا الَّذِينَ يَرَوُونَهُ، فَأَهْلُ الْحَدِيثِ لَيْسُوا هُمْ رَوَاتِهِ فَقَطْ، بَلْ هُمْ الَّذِينَ يَحْفَظُونَهُ وَيَعْمَلُونَ بِهِ، فَالرَّوَاةُ نَقْلَةٌ فَقَطْ؛ وَلِهَذَا تَجَدُّ بَعْضُ الرُّوَاةِ لَيْسَ عِنْدَهُمْ فَقْهٌ إِطْلَاقًا، وَلَا يُعَدُّونَ مِنَ الْفُقَهَاءِ.

وَالطَّائِفَةُ الْمَذْكُورَةُ فِي الْحَدِيثِ؛ هِيَ الْفِرْقَةُ النَّاجِيَةُ الْمَذْكُورَةُ فِي أَحَادِيثٍ أُخْرَى وَهَذَا مِنْ تَعَدُّدِ الْأَوْصَافِ لِمَوْصُوفٍ وَاحِدٍ؛ وَلِهَذَا كَانَتْ عِبَارَةُ شَيْخِ الْإِسْلَامِ فِي الْوَاسِطِيَّةِ: أَمَّا بَعْدُ، فَهَذَا اعْتِقَادُ الْفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ الْمَنْصُورَةِ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ؛ أَهْلُ السَّنَةِ وَالْجَمَاعَةِ <sup>(٢)</sup>.

\*\*\*

ثُمَّ قَالَ الْبَحَارِيُّ رَحِمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى:

١١ - بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿أَوْ يَلِيَّكُمْ شَيْعًا﴾ [الأنفال: ٦٥].

٧٣١٣ - حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، قَالَ عَمْرُو: سَمِعْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ

(١) رواه البخاري (١٧٤١)، ومسلم (١٣٠٥/٣) (١٦٧٩) (٢٩).

(٢) انظر: اعتقاد أئمة الحديث (٧٩/١).

(٢) انظر: «العقيدة الواسطية» من مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١٢٩/٣).

يَقُولُ: لَمَّا نَزَلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ﴾ [الأنعام: ٦٥]. قَالَ: «أَعُوذُ بِوَجْهِكَ». ﴿أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكَ﴾ قَالَ: «أَعُوذُ بِوَجْهِكَ». فَلَمَّا نَزَلَتْ ﴿أَوْ يَلْسَكُمْ شَيْعًا وَيُذِيقَ بَعْضُكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾ قَالَ: «هَاتَانِ أَهْوَنُ أَوْ أَيْسَرُ».

❖ قوله: ﴿يَلْسَكُمْ شَيْعًا﴾: أي: يَخْلِطُكُمْ شَيْعًا، كُلُّ شَيْعَةٍ تَفَارِقُ الْآخَرَى فِي الرَّأْيِ، وَالسُّلُوكِ، وَالْعَمَلِ.

ثم ذَكَرَ الْآيَةَ: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ﴾. كَالْحَاصِبِ الَّذِي نَزَلَ عَلَى قَوْمٍ لُّوطٍ، وَكَالصَّوَاعِقِ وَمَا أَشْبَهَهَا.

❖ وقوله: ﴿أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكَ﴾. كَالخَسْفِ، وَالزَّلَازِلِ.

❖ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَعُوذُ بِوَجْهِكَ»: فِي الْاِثْنَيْنِ؛ لِأَنَّ هَاتَيْنِ الْاِثْنَيْنِ لَا قَبْلَ لِلْإِنْسَانِ بِهِمَا، وَلَا يُمْكِنُهُ التَّخَلُّصُ مِنْهُمَا، فَلِذَلِكَ اسْتَعَاذَ النَّبِيُّ ﷺ بِوَجْهِ اللَّهِ مِنْهُمَا، أَمَّا الثَّلَاثَةُ وَالرَّابِعَةُ، فَقَالَ: ﴿أَوْ يَلْسَكُمْ شَيْعًا﴾ يَجْعَلُكُمْ فِرْقًا، وَهَذَا أَهْوَنُ، وَإِنْ كَانَ يُعْتَبَرُ عَذَابًا، وَنِقْمَةً أَنْ تَتَفَرَّقَ الْأُمَّةُ، فَإِنَّهُ لَا شَكَّ أَنَّهُ عَذَابٌ.

وَلَيْسَ اخْتِلَافُ الْأُمَّةِ رَحْمَةً كَمَا يُرَوَى الْحَدِيثُ الْمَوْضُوعُ: «اخْتِلَافُ أُمَّتِي رَحْمَةٌ» <sup>(١)</sup>. لِأَنَّهُ لَا صِحَّةَ لَهُ. وَالْاِخْتِلَافُ شَرٌّ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ (١١٨) إِلَّا مَنْ رَّحِمَ رَبُّكَ ﴿[مَنْ: ١١٨]-١١٩﴾. فَالرَّحْمَةُ بِالْاِتِّفَاقِ لَا بِالْاِخْتِلَافِ، فَإِذَا تَفَرَّقَتِ الْأُمَّةُ شَيْعًا حَصَلَ الْفَسَلُ، وَذَهَابَ الرِّيحُ، وَدَخُولُ الْأَعْدَاءِ فِي صُفُوفِ الْأُمَّةِ.

❖ وَأَمَّا قَوْلُهُ: ﴿وَيُذِيقَ بَعْضُكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾ [الأنعام: ٦٥]. فَهَذَا بِالْحُرُوبِ كَأَن تَتَحَارَبَ الْأُمَّةُ فَيُقَاتِلَ بَعْضُهَا بَعْضًا، وَإِنَّمَا كَانَتْ هَاتَانِ أَهْوَنُ أَوْ أَيْسَرُ؛ لِأَنَّهُ بِإِمْكَانِ الْإِنْسَانِ الْعَاقِلِ أَنْ يَتَخَلَّصَ مِنْهَا، فَيَدْعُو إِلَى الْوِفَاقِ وَالْمَصَالِحَةِ وَوَضْعِ السِّلَاحِ.

فَإِذَا قَالَ قَائِلٌ: كَلِمَةُ: «أَعُوذُ بِوَجْهِكَ». أَلَيْسَ هَذَا مِنْ دَعَاءِ الصِّفَةِ؟

**الجواب أن يقال:** إِنْ الْوَجْهَ يُعْبَرُ بِهِ عَنِ الذَّاتِ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَبَعَثَ وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [التجن: ٢٧]. كَذَلِكَ قَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ «أَعُوذُ بِعِزَّةِ اللَّهِ وَقُدْرَتِهِ مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ وَأَحَازِرُ» <sup>(٢)</sup>.

(١) قَالَ ابْنُ الْمَلَكِ فِي تَذَكُّرَةِ الْمُحْتَاجِ إِلَى أَحَادِيثِ الْمَنَاهِجِ (١/ ٧١): هَذَا الْحَدِيثُ لَمْ أَرِ مِنْ خُرْجِهِ مَرْفُوعًا بَعْدَ الْبَحْثِ الشَّدِيدِ عَنْهُ. وَقَالَ السَّيُوطِيُّ فِي شَرْحِ الزَّرْقَانِيِّ عَلَى «مَوْطَأِ» الْإِمَامِ مَالِكٍ (٤/ ٣١٤): لَعَلَّهُ خُرِجَ فِي بَعْضِ الْكُتُبِ الَّتِي لَمْ تَصِلْ إِلَيْنَا؛ لِأَنَّهُ عَزَاهُ لَجَمْعٍ مِنَ الْأَجَلَةِ ذَكَرُوهُ فِي كِتَابِهِمْ بِإِسْنَادٍ وَلَا نَسْبَةَ لِمُخْرِجِ إِمَامِ الْحَرَمَيْنِ. (٢) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٤/ ١٧٢٨) (٢٢٠٢) (٦٧).



والعباد بصفة من صفات الله لا بأس به، لكن لو يَقُولُ الإنسان: يا عزة الله أَعِيزْنِي. فهذا لا يَجُوزُ، لأنه بهذا جعل العزة منفصلة عن الله، وهي التي تَفْعَلُ وتُرِيدُ.  
أما إذا استعاذ بعزة الله، أو استعاذ برضاه عن سخطه، فهذا توسل إلى الله وَجَلَّ بِهذه الصفة لِيُعِيزَهُ الله بها، فَيَفَرِّقُ بين دعاء الصفة، وبين أن يجعلها وسيلة كقوله: «برحمتك أَسْتَغِيثُ»<sup>(١)</sup>.  
فليس المعنى: أن يَقُولَ القائل: يا رحمة الله أَعِيزْنِي لأن هذا لا يَجُوزُ وقد حكى شيخ الإسلام رحمته الله: اتفاق العلماء على كفر من دعا الصفة<sup>(٢)</sup>، وأما «برحمتك استغثت»، فالمعنى أنه توسل إلى الله برحمته لِيُعِيزَهُ.

فإذا قال قائل: هل قوله: «ها حجاباً من النار». هو مطلق أم مقيد؟  
**الجواب:** أن يقال: هذا من الأسباب التي تَمْنَعُ دخول النار، وقد يَكُونُ هناك أسبابٌ قوية تدخل بها النار، منها عدم الصبر، فلا بد لها من الصبر، فأما إذا لم تَصْبِرْ فإنه لا يَكُونُ لها حجاباً من النار.



ثم قال البخاري رحمته الله:

١٢- باب من شبه أصلاً معلوماً بأصل مبيّن وقد بين النبي ﷺ حكمهما، ليفهم السائل.  
٧٣١٤- حَدَّثَنَا أَصْبَغُ بْنُ الْفَرَجِ، حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ، عَنْ يُونُسَ، عَنْ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ أَعْرَابِيًّا أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: إِنَّ امْرَأَتِي وَلَدَتْ غُلَامًا أَسْوَدًا، وَإِنِّي أَكْرَمْتُهُ. فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «هَلْ لَكَ مِنْ إِبِلٍ؟». قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: «فَمَا أَلَوْنُهَا؟». قَالَ: حُمْرٌ. قَالَ: «هَلْ فِيهَا مِنْ أَوْرَقٍ؟». قَالَ: إِنَّ فِيهَا لَوْرَقًا. قَالَ: «فَأَنَّى تَرَى ذَلِكَ جَاءَهَا؟». قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ عِرْقٌ نَزَعَهَا. قَالَ: «وَلَعَلَّ هَذَا عِرْقٌ نَزَعَهُ». وَلَمْ يَرْخُصْ لَهُ فِي الْإِنْتِفَاءِ مِنْهُ<sup>(٤)</sup>.

قال البخاري: «باب من شبه أصلاً معلوماً بأصل مبيّن». كأنه أشار إلى الباب السابق

(١) رواه الترمذي (٣٥٢٤)، وقال: حديث غريب. والحاكم في المستدرک (٦٨٩/١) (١٨٧٥) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وقال الهيثمي في المجمع (١١٧/١٠): رجاله رجال الصحيح غير عثمان بن موهبة وهو ثقة، وحسنه الشيخ الألباني كما في تعليقه على السنن.

(٢) انظر: «مجموع الفتاوى» (١١١/١).

(٣) قال الحافظ في «الفتح» (٢٩٦/١٣): في رواية الكشميهني والإساعيلي والجرجاني: قد بين الله بحذف

«الواو» وب حذف «النبي» والأول أولى. اهـ

(٤) رواه مسلم (١١٣٧/٢) (١٥٠٠) (١٩).

في ذمِّ الرأي، وتكلفِ القياسِ لأنه إذا كان الشيء معلومًا واضحًا فلا بأس من أن يُشَبَّهَ أحدهما بالآخر، ويُعطى حكمه، ولا يُعدُّ هذا تناقضًا من البخاري رَحِمَهُ اللهُ؛ لأنه إنما أراد فيما سبق ذمُّ الرأي المجرَّد الذي ليس مبنياً على أصلٍ معلوم، أمّا إذا كان أصلاً معلومًا وبيّن بأصلٍ مبين، فإن هذا لا بأس به.

وهذا الحديث سبق الإشارةُ إليه ويُؤخذُ منه:

أنه يَنْبَغِي للمجيب أن يُقَيِّعَ السائل بالأدلة العقلية وإن كان مؤمنًا؛ أي: السائل، فإن المؤمن لا شك يُقَبَّلُ ما جاء به الكتابُ والسنة، لكن إذا بيّن له هذا بدلالة من العقل، صار أشدَّ طمأنينة له بالحكم الشرعي، فلهذا بيّن النبي ﷺ لهذا الأعرابي أن ابنه لا يَمْتَنِعُ أن يَكُونَ منه، وإن كان مخالفًا له في اللون، فَيَنْبَغِي للمجيب أن يبيّن للسائل ما يَمْتَنِعُ به من الأدلة العقلية؛ لأن ذلك أشدَّ طمأنينة له، وأشدُّ قبولًا له.



ثم قال البخاري رَحِمَهُ اللهُ:

٧٣١٥ - حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ، عَنْ أَبِي بَشْرٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ امْرَأَةً جَاءَتْ، إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَتْ: إِنَّ أُمَّي نَذَرْتُ أَنْ تَحْجَّ، فَمَاتَتْ قَبْلَ أَنْ تَحْجَّ، أَفَأَحْجُ عَنْهَا؟ قَالَ: «نَعَمْ حُجِّي عَنْهَا، أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَ عَلَى أَمْلِكِ دِينَارٌ أَكُنْتَ قَاضِيَةً؟» قَالَتْ: نَعَمْ. فَقَالَ: «فَاقْضُوا الَّذِي لَهُ، فَإِنَّ اللَّهَ أَحَقُّ بِالْوَفَاءِ»<sup>(١)</sup>.

عندي في نسخة: «فاقضوا الله الذي له». وهي صحيحة.

وهذا الحديث كالأول، فإن النبي ﷺ لما أذن لها أن تحجَّ عن أمها، بيّن أن هذا كالدين، إذا كان عليها دينٌ لآدمي، فإنه يُقْضَى عنها، فكذلك إذا كان الدين لله ﷻ فإنه يُقْضَى عنها.

ولكن متى يلزَم؟ وهل يلزَمُ بمجردِ النذرِ أو لا بدَّ من إمكانِ الأداء؟

**الجواب:** إن هذا يَحْتَمَلُ وجهين:

**أحدهما:** أنه بمجردِ النذرِ يلزَمُ النذر، سواءً تمكَّن من أدائه أم لا.

**الثاني:** لا يلزَمُ إلا إذا تمكَّن من الأداء.

ويظهر أثر الخلاف فيما لو نذر الإنسان أن يحجَّ، وكان نذره في رمضان، فمات في شوال،



فهل يلزم أن يُقضى عنه؟

إن قلنا: إنه لا بد من إمكان الأداء، فإنه لا يلزم أن يُقضى عنه؛ لأنه لا يتمكن من الحج قبل أن يدخل شهر ذي الحجة، وتأتي أيام الحج.

**وإذا قلنا:** إنه ليس بشرط، فإنه يجب أن يُحج عنه. وهذا هو ظاهر الحديث: وأنه إذا نذرت أن تحج، فلم تحج، فإنه يُحج عنها؛ لأن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لما قالت: ماتت قبل أن تحج ما قال: هل أدركت زمن الحج، أم لا؟ فظاهره العموم.

وقد يُقال: إن الحديث ليس بظاهر في هذا المعنى؛ لأن قولها: «نذرت أن تحج فماتت قبل أن تحج» يُشعر بأنه أمكنها أن تحج فلم تفعل، فإنها لم تقل: فماتت قبل أن يأتي الحج.

**قال ابن حجر رحمه الله في «الفتح» (٢٩٧/١٣):**

وقد تقدمت الإشارة إليه قريباً أيضاً، وتقدم شرحه مستوفى في الحج، قال ابن بطال: التشبيه والتمثيل هو القياس عند العرب، وقد احتج المزي بهذين الحديثين على من أنكر القياس، قال: وأول من أنكر القياس إبراهيم النظم، وتبعه بعض المعتزلة، وممن يُنسب إلى الفقيه داود بن علي، وما اتفق عليه الجماعة هو الحجة، فقد قاس الصحابة فمن بعدهم من التابعين، وفقهاء الأمصار وبالله التوفيق. اهـ



**ثم قال البخاري رحمه الله:**

١٣ - باب ما جاء في اجتهاد القضاء <sup>(١)</sup> بما أنزل الله تعالى، لقوله: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [النساء: ٥٠]. ومدح النبي ﷺ صاحب الحكمة حين يقضي بها ويعلمها لا يتكلف من قبله ومشاورة الخلفاء وسؤالهم أهل العلم.

هذا الباب يستمل على مسائل:

**أولاً:** اجتهاد القضاة بما أنزل الله، وهذا واجب عليهم، والقضاة هنا يشمل بالمعنى الأول: الحكام بين الناس، وبالمعنى الثاني: المفتين للناس، فإن المفتي لا شك أنه حاكم،

(١) قال الحافظ في «الفتح» (١٣ - ٢٩٩): كذا لأبي ذر والنسفي وابن بطال وطائفة «القضاء» بفتح أوله، والمد وإضافة الاجتهاد إليه بمعنى الاجتهاد فيه، والمعنى: الاجتهاد في الحكم بما أنزل الله تعالى، وفيه حذف تقديره اجتهاد متولي القضاء ووقع في رواية غيرهم القضاة بصيغة الجمع وهو واضح ولكن سيأتي بعد قليل الترجمة لاجتهاد الحاكم فيلزم التكرار. اهـ





كِتَابُ اللَّهِ وَلَمْ يَحْكَمْ بِهِ.

وَالْآيَةُ الثَّانِيَةُ فِي الْقِصَاصِ: ﴿وَكَبَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأَذُنَ بِالْأَذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ ۖ وَمَن لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [البقرة: ٥٥]. وَعَدَمُ الْقِصَاصِ أَوْ رَفْعُ الْحُكْمِ بِهِ، يَظْهَرُ فِيهِ الظُّلْمُ أَكْثَرُ مِمَّا يَظْهَرُ غَيْرُهُ.

وَأَمَّا الْآيَةُ الثَّالِثَةُ: فَفِيهَا ذِكْرُ الْإِنْجِيلِ، وَأَنَّهُ أُنْزِلَ عَلَى عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَلَكِنِ الْيَهُودَ لَمْ يَقْبَلُوهُ، أَوْ بَدَّلُوهُ أَوْ غَيْرُهُ، فَنَاسَبَ أَنْ يُوصَفُوا بِالْفَسَقِ؛ لِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا هَوَى أَنْفُسِهِمْ.

❦ وَقَوْلُهُ: «وَمَدَحُ النَّبِيِّ ﷺ صَاحِبِ الْحِكْمَةِ حِينَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا». وَهَذَا فِي حَدِيثٍ: «لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ، رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الْحِكْمَةَ فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الْمَالُ فَهُوَ يُنْفِقُهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»<sup>(١)</sup>.

قَالَ: «لَا يَتَكَلَّفُ مِنْ قِبَلِهِ، وَمَشَاوَرَةُ الْخُلَفَاءِ وَسُؤَالُهُمْ أَهْلَ الْعِلْمِ». هَذَا مَعْطُوفٌ عَلَى قَوْلِهِ: «اجْتِهَادِ الْقَضَاءِ». يَعْنِي: وَمَا جَاءَ فِي مَشَاوَرَةِ الْخُلَفَاءِ وَسُؤَالِهِمْ أَهْلَ الْعِلْمِ، وَهَذَا وَاجِبٌ عَلَى الْخُلَفَاءِ سِوَا مَنْ كَانُوا خُلَفَاءَ كِبَارًا، أَوْ خُلَفَاءَ مُسْتَخْلَفِينَ عَلَى قَرْيَةٍ، أَوْ مَدِينَةٍ كَالْأَمْرَاءِ، وَاجِبٌ عَلَيْهِمْ أَنْ يَسْأَلُوا أَهْلَ الْعِلْمِ إِذَا نَزَلَتْ بِهِمْ حَادِثَةٌ تَحْتَاجُ إِلَى التَّفَقُّهِ بِهَا، فَكَمَا أَنَّ الْخُلَفَاءَ يَشَاوِرُونَ مَنْ لَهُ خُبْرَةٌ بِالسَّلَاحِ، وَبِالزَّرَاعَةِ، وَبِالْعُلُومِ الْآخَرَى، فَيَجِبُ عَلَيْهِمْ أَيْضًا أَنْ يَسْأَلُوا أَهْلَ الْعِلْمِ، فَيَصْدُرُوا عَنْ رَأْيِهِمْ.

\*\*\*

ثُمَّ قَالَ الْبَخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٣١٦- حَدَّثَنَا شِهَابُ بْنُ عَبَّادٍ، حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ حُمَيْدٍ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ، عَنْ قَيْسٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَسَلَّطَ عَلَى هَلَكَةِ فِي الْحَقِّ، وَآخَرُ آتَاهُ اللَّهُ حِكْمَةً فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا»<sup>(١)</sup>.

❦ قَوْلُهُ: «يَقْضِي بِهَا»، أَي: يَعْمَلُ بِهَا، وَيَحْكُمُ بِهَا إِذَا حُكِّمَ.

❦ وَقَوْلُهُ: «يُعَلِّمُهَا»، أَي: يُعَلِّمُهَا النَّاسَ، وَيَنْشُرُهَا سِوَا حُكْمٍ أَمْ لَمْ يُحْكَمْ.

❦ وَقَوْلُهُ: «رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَسَلَّطَهُ عَلَى هَلَكَةِ فِي الْحَقِّ». هَذَا لَا يَشْمَلُ جَمِيعَ الْمَالِ؛ لِأَنَّ

(١) رَوَاهُ الْبَخَارِيُّ (٧٣١٦)، وَمُسْلِمٌ (٥٥٩/١) (٨١٦) (٢٦٨).

(٢) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٥٥٩/١) (٨١٦) (٢٦٨).

«في». للظرفية؛ يعني: في دائرة الشرع.

ولكن كيف لو فعل ذلك في جميع ماله؟

صورة ذلك مثل ما جرى لأبي بكر رضي الله عنه حين حثَّ رسول الله ﷺ على الصدقة فجاء بكلِّ ماله <sup>(١)</sup>. وهذا مشروع لمن كان مثل أبي بكر، يعني: عنده قوة توكل، وعنده عمل يستطيع به أن ينقذ نفسه وأهله، وما دام الحديث مُقيداً في الحقِّ والمعنى: أن هذا الإهلاك لا يخرج عن دائرة الحقِّ. ولا يعارض هذا قول النبي ﷺ لسعيد: «الثلث والثلث كثير» <sup>(٢)</sup> لأن هذا في الوصية.



ثم قال البخاري رحمته الله تعالى:

٧٣١٧- حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ، أَخْبَرَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، حَدَّثَنَا هِشَامٌ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ الْمُغْبِرَةِ بْنِ شُعْبَةَ قَالَ: سَأَلَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ عَنْ إِمْلَاصِ الْمَرْأَةِ - هِيَ الَّتِي يُضْرَبُ بَطْنُهَا فَنُلْقَى جَنِينًا - فَقَالَ: أَيْكُمْ سَمِعَ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ فِيهِ شَيْءٌ، فَقُلْتُ: أَنَا، فَقَالَ: مَا هُوَ؟ قُلْتُ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «فِيهِ غُرَّةٌ عَبْدٌ أَوْ أَمَةٌ». فَقَالَ: لَا تَبْرَحْ حَتَّى تَجِئِي بِالْمَخْرَجِ فِيمَا قُلْتَ.

٧٣١٨- فَخَرَجْتُ فَوَجَدْتُ مُحَمَّدَ بْنَ مُسْلِمَةَ فَحِثْتُ بِهِ، فَشَهِدَ مَعِيَ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «فِيهِ غُرَّةٌ عَبْدٌ أَوْ أَمَةٌ». تَابَعَهُ ابْنُ أَبِي الزِّنَادِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عُرْوَةَ، عَنِ الْمُغْبِرَةِ <sup>(٣)</sup>.

المراد بالغُرَّة: العبد أو الأمة. وسمي غرة؛ لأنه أعلى أنواع المال، فإن الأموال تختلف: إبل، وبقرة، وغنم، وغيرها، لكنَّ أشرفها هو الرقيق، ولهذا سمي غرة. وغرة الشيء وجهه، أو بياض وجهه.

قال أهل العلم: وهذه الغُرَّة يكون ثمنها خمسا من الإبل؛ أي: عشر دية المرأة <sup>(٤)</sup>؛ لأن المرأة ديتها خمسون بعيراً، وعشر الدية خمس من الإبل.

فإذا زادت الغُرَّة عن خمس من الإبل، فهل المعتبر خمس من الإبل، أو المعتبر الغُرَّة، ولو زادت؟

(١) رواه الترمذي (٣٦٧٥)، وقال: هذا حديث حسن صحيح، والدارمي (٣٩١/١)، وابن أبي عاصم في السنة (١٢٤٠)، وحسنه الشيخ الألباني كما في تعليقه على السنن.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) رواه مسلم (١٣١١/٣) (١٦٨٩) (٣٩).

(٤) قال شيخ الإسلام ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» (١٦٠/٣٤): ولو قدر أن الشخص أسقط الحمل خطأ، مثل أن يضرب المرأة خطأ فنسقط، فعليه غرة عبد أو أمة بنص النبي ﷺ، واتفاق الأئمة، وتكون قيمة الغرة بقدر عشر دية الأم عند جمهور العلماء كمالك، والشافعي، وأحمد. اهـ وانظر: «الأم» (٢٤٥/٦)، و«المبدع» (٣٥٨/٨)، و«الإنصاف» (٧٠/١٠).



**الجواب:** أن المشهور عند الحنابلة رَحِمَهُمُ اللَّهُ: أن المعتبر خمس من الإبل، قالوا: لأننا لو اعتبرنا الغرة ولو زادت، فإنه يلزم أن تكون غرة الجنين أكثر من غرة أمه، كما لو قدرنا أن الرقيق يساوي ثمانين بعيراً مثلاً، فإن هذا يقتضي أن تكون دية الجنين أكثر من دية أمه، فقيدها بخمس من الإبل، سواء زادت الخمس على الغرة أو لا<sup>(١)</sup>.



ثم قال البخاري رَحِمَهُمُ اللَّهُ:

١٤ - باب قول النبي ﷺ: لتبعن سنن من كان قبلكم.

٧٣١٩ - حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ يُونُسَ، حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي ذَنْبٍ، عَنِ الْمُقْبَرِيِّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَأْخُذَ أُمَّتِي بِأَخِذِ الْقُرُونِ قَبْلَهَا، شِبْرًا بِشِيرٍ وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ». فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَفَّارِسَ وَالرُّومِ. فَقَالَ: «وَمِنَ النَّاسِ إِلَّا أَوْلَئِكَ؟»

٧٣٢٠ - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ، حَدَّثَنَا أَبُو عَمَرَ الصَّنْعَانِيُّ - مِنَ الْيَمَنِ - عَنْ زَيْدِ بْنِ

أَسْلَمَ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَتَبْعَنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ شِبْرًا شِبْرًا وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جَحْرَ صَبٍ تِعْتَمُوهُمْ». قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى؟ قَالَ: «فَمَنْ»<sup>(١)</sup>.

هذا الحديث: فيه أن النبي ﷺ بين أن هذه الأمة تتبع طريق من قبلها، وهو قوله: «سنن».

أي: طريقة من كان قبلكم، وليس المراد بهذا إقرار النبي ﷺ للأمة على ما تفعل، ولكنه إخبار بأن هذا سيقع، ويتضمن التحذير من ذلك، أن تحذر الأمة من أن تتبع سبيل من قبلها.

وهناك وجوه كثيرة شاركت فيها الأمة من قبلها، مثال ذلك: الحسد، وحب الدنيا، والنكول عن الجهاد وإضاعة الصلاة، والحكم بغير ما أنزل الله، والتحريف، وأشياء كثيرة.

فإذا قال قائل: كيف قال ﷺ في الرواية الأولى، لما قالوا: كفارس والروم: فقال: «ومن

الناس إلا أولئك». في الرواية الثانية قلنا يا رسول الله: اليهود والنصارى؟ قال: فمن؟!!

لأن المراد الجنس، فهم لما ذكروا الفرس والروم كمثال، قال: فمن؟ ولما ذكروا اليهود

والنصارى كمثال، قال: فمن؟ فالمراد جنس المنحرفين عن الحق من فرس أو يهود أو نصارى، أو غير ذلك.

(١) انظر: «المبدع» (٣٥٨/٨)، و«الإنصاف» (٦٩/١٠)، و«كشف القناع» (٢٣/٦).

(٢) رواه مسلم (٢٠٥٤/٤) (٢٦٦٩/٦).

لكن لو كان للكفار عادة معينة، وشاعت بين المسلمين؛ كلبس الكفار مثلاً، فهل هذا يُعدُّ من التشبيه المذموم؟

**الجواب:** لا، لأن ما كانت العلة فيه التشبيه، فإنه يزول حكمه إذا اتسع وشمل المسلمين ما لم يكن عبادةً أو محرماً بذاته، فلو كان من عادة المشركين لباس الحرير للرجال حُرْمٌ ولو شاع بين الناس، ولكن ما حُرْمٌ للتشبيه فإذا شاع بين الناس وصار للمسلمين والكفار زال التشبيه.



ثم قال البخاري رحمه الله:

١٥- بابُ إثم من دعا إلى ضلالةٍ أو سنَّ سنةً سيئةً؛ لقولِ الله تعالى: ﴿وَمِنَ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ﴾ [التك: ٢٥] الآية.

٧٣٢١- حَدَّثَنَا الْحُمَيْدِيُّ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُرَّةٍ، عَنْ مَسْرُوقٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَيْسَ مِنْ نَفْسٍ تَقْتُلُ ظُلماً إِلَّا كَانَ عَلَى ابْنِ آدَمَ الْأَوَّلِ كِفْلٌ مِنْهَا - وَرَبِّمَا قَالَ سُفْيَانُ. وَمِنْ دِمَها - لَأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ سَنَّ الْقَتْلَ أَوَّلًا»<sup>(١)</sup>.

قال المؤلف: «بابُ إثم من دعا إلى ضلالةٍ، أو سنَّ سنةً سيئةً»، يعني: فإنه يحْمِلُ وزره، ووزر من عمل بهذه السيئة، ثم استدلل البخاري بقول الله تعالى: ﴿وَمِنَ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [التك: ٢٥]. وهذا بعض آية، لَيْتَهُ جاء بها من أولها، وهي قوله تعالى: ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ [التك: ٢٥]. أما أوزار غيرهم، فقال: ﴿وَمِنَ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾؛ يعني: يحْمِلُونَ من أوزار الذين يُضِلُّونَهُمْ بغير علم، وإنما كانت أوزارهم كاملة؛ لأنها فعلهم، وكانت من أوزار الذين يُضِلُّونَهُمْ بغير علم؛ لأنه فعل غيرهم، فأوزار غيرهم موزعة عليهم، وعلى غيرهم، وأوزارهم على أنفسهم، ولهذا قال: ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَمِنَ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [التك: ٢٥]. وقوله: ﴿يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾. يحتمل أن تكون عائدة على الفاعل، أو على المفعول؛ يعني: ومن أوزار الذين يُضِلُّونَهُمْ، وهم لا يعلمون أنهم على ضلال، فتكون عائدة على التابع؛ يعني: أن التابعين لهم يُضِلُّونَ بغير علم. فأما لو ضلَّ التابعون على علم بضلالهم، فإنهم هم الضالون، ويحتمل أنه عائد على الأول، وأنهم؛ أي: المضلين، وأن هؤلاء المضلين تكلموا بغير علم، فضلوا، وأضلوا، والمعنيان حق. فإن



المتبوعين إذا تكلموا عن علم، فقد تكلموا بحق، وإن تكلموا عن غير علم، فقد تكلموا بالباطل. وإن تكلموا عن علم بالمخالفة، فهم أضل.

وكذلك التابعون. نقول: إذا تبعوهم عن غير علم، فعلى المتبوعين من أوزارهم، وإن تبعوهم بعلم يعلمون أنهم على باطل، فإنهم هم الآثمون الظالمون.

**قال ابن حجر رحمه الله في «الفتح» (٣٠٢ / ١٣):**

❦ قوله: «باب إثم من دعا إلى ضلالة، أو سن سنة سيئة»؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾. وردّ فيما ترجم به حديثان بلفظ: وليس على شرطه، واكتفى بما يؤدّي معناهما، وهما ما ذكرهما من الآية والحديث، فأما حديث «من دعا إلى ضلالة»، فأخرجه مسلم، وأبو داود، والترمذي من طريق العلاء بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا، وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا».

وأما حديث «مَنْ سَنَّ سَنَةً سَيِّئَةً». فأخرجه مسلم من رواية عبد الرحمن بن هلال، عن جرير بن عبد الله البجلي في حديث طويل، قال فيه: «فقال رسول الله ﷺ: مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سَنَةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا، وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سَنَةً سَيِّئَةً كَانَ عَلَيْهِ وَزْرُهَا، وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْئًا».

وأخرجه من طريق المنذر بن جرير، عن أبيه، مثله، لكن قال: «شيء» في الموضعين بالرفع. وأخرجه الترمذي من وجه آخر عن جرير، بلفظ: «مَنْ سَنَّ سَنَةً خَيْرٍ، وَمَنْ سَنَّ سَنَةً شَرًّا».

وأما الآية، فقال مجاهد في قوله تعالى: ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَمَنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ﴾. قال: حملهم ذنوب أنفسهم، وذنوب من أطاعهم، ولا يخفف ذلك عنهم أطاعهم شيئاً، وأخرج عن الربيع بن أنس: أنه فسر الآية المذكورة بحديث أبي هريرة المذكور، ذكره مراسلاً بغير سند.

وأما حديث الباب عن عبد الله بن مسعود، فقد مضى شرحه في أول «كتاب القصاص». وتقدّم البحث في المراد بالمفارق للجماعة المذكور فيه، قال المهلب: هذا الباب، والذي قبله في معنى التحذير من الضلال، واجتناب البدع، ومحدثات الأمور في الدين، والنهي عن مخالفة سبيل المؤمنين انتهى.

**ووجه التحذير:** أن الذي يحدث البدعة قد يتهاون بها لخفة أمرها في أول الأمر، ولا

يَشْعُرُ بِمَا يَتَرْتَّبُ عَلَيْهَا مِنَ الْمَفْسَدَةِ، وَهُوَ أَنْ يَلْحَقَهُ إِثْمٌ مِنْ عَمَلٍ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ هُوَ عَمَلٌ بِهَا، بَلْ لَكُونَهُ كَانَ الْأَصْلَ فِي إِحْدَائِهَا. اهـ

فَإِذَا قَالَ قَائِلٌ: مَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ أَوْ بَدْعَةٍ فِي الدِّينِ، عَقْدِيَّةً، أَوْ قَوْلِيَّةً، أَوْ فِعْلِيَّةً، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟  
**الجواب:** نعم، لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ، إِذَا تَابَ إِلَى اللَّهِ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَلَمْ يَلْحَقْهُ مِنْ أَوْزَارٍ مَنْ تَبِعَهُ شَيْءٌ، وَلَكِنْ يَجِبُ إِذَا كَانَ قَدْ دَعَا إِلَى الضَّلَالَةِ مِنْ طَرِيقٍ، أَنْ تَكُونَ تَوْبَتُهُ وَرَجُوعُهُ إِلَى اللَّهِ بِمِثْلِ هَذَا الطَّرِيقِ. فَإِذَا كَانَتْ عَنْ طَرِيقِ الْمُؤَلَّفَاتِ، فَلْيَكْتَسِبْ أَنَّهُ رَجَعَ إِلَى الْحَقِّ عَنْ طَرِيقِ التَّأْلِيفِ، إِذَا كَانَ عَنْ طَرِيقِ الْأَشْرَطَةِ، كَمَا يُوجَدُ فِي عَصْرِنَا، فَلْيَتَكَلَّمْ عَنْ طَرِيقِ الْأَشْرَطَةِ. الْمَهْمُ أَنَّ السَّيِّئَةَ لَا تُمَحَى إِلَّا بِطَرِيقِ مِثْلِ الطَّرِيقِ الَّتِي أُثْبِتَتْ بِهَا، وَحِينَئِذٍ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَلَا يَلْحَقْهُ شَيْءٌ مِنْ آثَامٍ مَنْ تَبِعَهُ.

وكَذَلِكَ مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سَنَةً سَيِّئَةً، فَإِنْ تَوْبَتَهُ أَنْ يُعْلِنَ الرَّجُوعَ عَنْ ذَلِكَ، وَأَنْ يَحْرِصَ عَلَى أَنْ يُحَدِّثَ حَسَنَةً تَمُحُو تِلْكَ السَّيِّئَةَ، فَإِذَا كَانَتِ السَّيِّئَةُ الَّتِي سَنَّهَا؛ الْامْتِنَاعُ عَنِ الزَّكَاةِ، فَتَبِعَهُ النَّاسُ، وَامْتَنَعُوا عَنِ الزَّكَاةِ، فَتَوْبَتُهُ أَنْ يُخْرِجَ الزَّكَاةَ، وَيُعْلِنَ ذَلِكَ، وَإِنْ حَقَّقَ التَّوْبَةَ بِإِخْرَاجِ الصَّدَقَاتِ الَّتِي تُقَابِلُ بُخْلَهُ أَوْ لَا فَهَذَا حَسَنٌ. لِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ

الَّتِي تَنَافَتْ

فَإِذَا قَالَ قَائِلٌ: ابْنُ آدَمَ الْأَوَّلُ أَلَيْسَ قَدْ نَدِمَ عَلَى مَا فَعَلَ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾ [الْمَائِدَةُ: ٣١].

**الجواب:** بلى، وَلَكِنْ يُحْتَمَلُ أَنَّهُ تَابَ، وَيُحْتَمَلُ أَنَّهُ نَدِمَ، وَلَيْسَ هَذَا نَدَمَ التَّوْبَةِ عَلَى مَا فَعَلَ، لَكِنَّهُ نَدِمَ أَنْ يَكُونَ الْغَرَابُ أَعْلَمَ مِنْهُ بِالتَّخْلِصِ مِمَّا يَضُرُّهُ.

وَهَلْ يَدْخُلُ فِيهِمْ يَلْحَقُهُ أَوْزَارٌ مَنْ اتَّبَعَهُ ذَلِكَ الرَّجُلُ الْمُتَاوُلُ الَّذِي دَعَا إِلَى شَيْءٍ ثُمَّ تَبِعَهُ النَّاسُ؟  
**الجواب:** الظَّاهِرُ أَنَّهُ لَا يَدْخُلُ؛ لِأَنَّ هَذِهِ السَّيِّئَةَ فِي حَقِّهِ لَيْسَتْ سَيِّئَةً، وَلَكِنْ عَلَيْهِ إِذَا تَبَيَّنَ لَهُ الْحَقُّ أَنْ يَرْجِعَ.



ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى:

١٦- بَابُ مَا ذَكَرَ النَّبِيُّ ﷺ وَحَضَّ عَلَى اتِّفَاقِ أَهْلِ الْعِلْمِ، وَمَا أَجْمَعَ عَلَيْهِ الْحَرَمَانُ: مَكَّةُ وَالْمَدِينَةُ، وَمَا كَانَ بِهَا مِنْ مَشَاهِدِ النَّبِيِّ ﷺ، وَالْمَهَاجِرِينَ، وَالْأَنْصَارِ، وَمَصْلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَالْمَنْبَرِ، وَالْقَبْرِ.



هذه الترجمة فيها مسائل:

**أولاً:** ما ذكر النبي ﷺ، وحض على اتفاق أهل العلم، حيث إن الرسول ﷺ حض على الجماعة، وأخبر: «أن من خرج عن الجماعة، فإنه شاذ»<sup>(١)</sup>. وأخبر: «أن من خرج على الإمام الذي تمت عليه البيعة ليقرب المسلمين، فإنه يجب على المسلمين أن يضربوا عنقه»<sup>(٢)</sup>. لأنه خارج، فحث على اجتماع الناس.

**ثانياً:** «وما أجمع عليه الحرمان: مكة والمدينة». هل ما أجمع عليه أهل الحرمين يُعتبر إجماعاً؟ **الجواب:** ذهب بعض العلماء إلى أن ما أجمع عليه أهل المدينة فهو إجماع<sup>(٣)</sup>؛ لأن المدينة دار العلم، ولكن الصواب: أنه لا إجماع إلا ما أجمع عليه المسلمون عموماً بمكة، والمدينة، والشام، والعراق وغيرها.

**ثالثاً:** قوله: «وما كان بها من مشاهد النبي ﷺ، والمهاجرين، والأنصار». مشاهد المهاجرين والأنصار، يعني: التي شهدوها، كأمكنة العبادة، ومصلّى العيد، وما أشبه ذلك. وقول المؤلف رحمه الله: «ومصلّى النبي ﷺ والمنبر، والقبر» ومُصَلَّاهُ أَوَّلُ مَا يَدْخُلُ فِيهِ المسجد، ثم مصلّى العيد، ثم مصلّى الجنائز، والمنبر، والقبر، يعني: منبر النبي ﷺ، وقبره الذي كان في بيت عائشة رضي الله عنها.

**قال ابن حجر رحمه الله في «الفتح» (٣٠٦/١٣):**

قوله: «باب ما ذكر النبي ﷺ وحض». بمهملة وضاد ثقيلة؛ أي: حرّض بالمهملة وتشديد الراء، وقوله: «على اتفاق أهل العلم». قال الكرماني في بعض الروايات: «وما حض عليه من اتفاق»، وهو من باب تنازع العاملين، وهما ذكر وحض.

قوله: «وما اجتمع عليه الحرمان: مكة والمدينة، وما كان بها من مشاهد النبي ﷺ، والمهاجرين، والأنصار». في رواية الكشمهني «وما أجمع». بهمزة قطع بغير تاء، وعنده «وما كان بها» بالافراد والأول أولى، قال الكرماني: الإجماع هو: اتفاق أهل الحل والعقد؛ أي:

(١) روى الترمذي (٢١٦٧) من حديث ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «وיד الله مع الجماعة، ومن شدّ شدّ إلى النار».

ورواه الحاكم في «المستدرک» (٣٩٢)، وصححه الشيخ الألباني دون قوله: «ومن شدّ كما في تعليقه على السنن».

(٢) رواه مسلم (١٤٧٩/٣) (١٨٥٢) (٥٩).

(٣) قال صاحب «البرهان» في أصوله (٤٥٩/١): نقل أصحاب المقالات عن مالك رحمه الله أنه كان يرى اتفاق أهل

المدينة؛ يعني: علمائها حجة، وهذا مشهور عنه. وانظر: «المدخل» (٢٨٣/١)، و«التبصرة»، (١/٣٦٥)، و«الإحكام» للامدي (٣٠٢/١).

المجتهدين من أمة محمد ﷺ على أمر من الأمور الدينية، واتفاق مجتهدي الحرمين دون غيرهم ليس بإجماع عند الجمهور، وقال مالك: إجماع أهل المدينة حجة، قال: وعبارة البخاري مشعرة بأن اتفاق أهل الحرمين كليهما إجماع.

**قلت:** لعله أراد الترجيح به لا دعوى الإجماع، وإذا قال بحجية إجماع أهل المدينة وحدها مالك، ومن تبعه فهم قائلون به إذا وافقهم أهل مكة بطريق الأولى، وقد نقل ابن التين عن سحنون اعتبار إجماع أهل مكة مع أهل المدينة، قال: حتى لو اتفقوا كلهم وخالفهم ابن عباس في شيء لم يُعد إجماعاً، وهو مبني على أن ندرة المخالف تؤثر في ثبوت الإجماع. اهـ

❦ قوله: «وهو مبني على أن ندرة المخالف تؤثر في ثبوت الإجماع». هذا فيه خلاف؛ ولهذا قال: مبني على القول وذلك أن بعض العلماء، يقول: إذا أجمع المسلمون على شيء، وخالف واحد، أو اثنين فلا إجماع ما دام هناك خلاف من مجتهد - وإن لم يكن من كبار العلماء - فإنه يُعد إجماعاً.

وعند بعض العلماء: لا عبرة بالمخالف الواحد والاثنين. والصحيح: أنه لا يُعد إجماعاً حتى يتفق الناس كلهم عليه.

وأهم شيء في هذه الترجمة، قوله: «باب ما ذكر النبي وحض على اتفاق أهل العلم»؛ أي: أنه حض على اتفاق أهل العلم ألا يختلفوا فيما بينهم، وأن يحاولوا اجتماع الكلمة ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً، لما في اجتماع الكلمة من الفوائد العظيمة، والقرب إلى الصواب؛ لأنه كلما كثر الناس على شيء كانوا أقرب إلى الصواب، مما إذا اختلفوا، ولئلا يضطرب الناس؛ أي: العامة الذين يقتدون بالعلماء، إذا رأوا اختلاف العلماء، فإن العامة يقلدون العلماء تقليد ديني، فإذا رأوهم مختلفين، حصل عندهم قلق وحرَج، فلذلك حث النبي ﷺ على اتفاق أهل العلم، لما فيه من المصالح الكثيرة، ودرء المفساد.

**وفي هذا دليل:** على أن الإنسان يجب عليه أن يرجع إلى الحق إذا كان مع غيره، وألا يخالفه، وألا يجادل، وقد أرسل الرسول ﷺ أبا موسى الأشعري ومعاذ بن جبل، وقال: تطاوَّعا، يعني: ليطع بعضكما بعضاً<sup>(١)</sup>.





ثم قال البخاري رحمه الله:

٧٣٢٢- حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ، حَدَّثَنِي مَالِكٌ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُكَدِّرِ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ السَّلَمِيِّ، أَنَّ أَعْرَابِيًّا بَايَعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى الْإِسْلَامِ، فَأَصَابَ الْأَعْرَابِيَّ وَعْكَ بِالْمَدِينَةِ، فَجَاءَ الْأَعْرَابِيُّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَقْلَنِي بَيْعَتِي. فَأَبَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ جَاءَهُ، فَقَالَ: أَقْلَنِي بَيْعَتِي. فَأَبَى، ثُمَّ جَاءَهُ، فَقَالَ: أَقْلَنِي بَيْعَتِي. فَأَبَى، فَخَرَجَ الْأَعْرَابِيُّ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّمَا الْمَدِينَةُ كَالْكَبِيرِ، تَنْفِي خَبَثَهَا، وَيَنْصَعُ طَيِّبُهَا»<sup>(١)</sup>.

في هذا الحديث كان الناس إذا بايعوا النبي ﷺ ارتحلوا إلى المدينة، وهاجروا إليها؛ لأنها بلاد المهاجرين، فهذا الأعرابي أُصيب بالوعك، ولعل هذا قبل أن تُنقل حُمَى المدينة إلى الجُحْفَةِ؛ لأن النبي ﷺ لما هاجر إلى المدينة كانت فيها الحمى، فدعا الله أن يُنقل حمّاها إلى الجُحْفَةِ<sup>(٢)</sup> فنقلها الله ﷻ وصارت المدينة طيبة.

**وفي هذا:** دليل على أن الإنسان لا يمكن أن يرجع في الإسلام، إذا قَبِلَ أن يُسَلِّمَ وإلا فهو على دينه، لكن إذا دخل في الإسلام فإنه لا يمكن أن يرتد عنه.

**وفي هذا:** دليل على أن هذا الرجل - والعياذ بالله - لم يطمئن قلبه بالإيمان، ولهذا أثر الحياة الدنيا على الآخرة، فخرج من المدينة بعد أن منعه الرسول ﷺ عدة مرات.

ولكن هل قول النبي ﷺ «إِنَّمَا الْمَدِينَةُ كَالْكَبِيرِ، تَنْفِي خَبَثَهَا، وَيَنْصَعُ طَيِّبُهَا» على العموم، أم هو خاصٌ بعهد النبي ﷺ؟

**الجواب:** ظاهر الحديث العموم، ولكن قد يُقال: إن الواقع يُخالف ذلك؛ يعني: يُخالف دعوى العموم؛ لأن في المدينة الآن أناسٌ خَبَثٌ لا شك، وليسوا على المستوى الذي يُراد منهم، فيُحمل هذا العموم على أنه في عهد النبي ﷺ، أما الظاهر فهو العموم.

**قال الحافظ في «الفتح» (٣٠٦/١٣):**

قوله: «أن أعرابياً» تقدم القول في اسمه، وفي أي شيء استقال منه، وضبط ينصع في أواخر الحج في فضل المدينة، وكذا...

وقوله: «كالكبير» مع سائر شرحه والله الحمد، قال ابن بطال عن المُهَلَّبِ: فيه تفضيل المدينة على غيرها بما خصّها الله به، من أنها تنفي الخبث، وترتب على ذلك القول بحجية إجماع

(١) رواه مسلم (١٠٠٦/٢) (١٣٨٣) (٤٨٩).

(٢) رواه البخاري (١٨٨٩)، ومسلم (١٠٠٣/٢) (١٣٧٦) (٤٨٠).

أهل المدينة، وتُعَقَّبَ بقول ابن عبد البر: أن الحديث دالٌّ على فضل المدينة، ولكن ليس الوصف المذكور عامًّا لها في جميع الأزمنة، بل هو خاصٌّ بزمان النبي ﷺ؛ لأنه لم يكن يخرج منها رغبة عن الإقامة معه إلا من لا خير فيه.

وقال عياض نحوه، وأيده بحديث أبي هريرة رضي الله عنه الذي أخرجه مسلم: «لا تقوم الساعة حتى تنفي المدينة شرارها، كما ينفي الكبر خبث الفضة». قال: والنار إنما تُخرج الخبث والريء، وقد خرج من المدينة بعد النبي ﷺ جماعة من خيار الصحابة، وقطنوا غيرها، وماتوا خارجًا عنها، كابن مسعود، وأبي موسى، وعلي، أو أبي ذر، وعمار، وحذيفة، وعبد الله بن الصامت، وأبي عبيدة، ومعاذ، وأبي الدرداء، وغيرهم، فدل على أن ذلك خاصٌّ بزمانه ﷺ بالقيود المذكور. اهـ

هذا المثال الذي ذكره من خروج بعض الصحابة، لا شك أنه يدل على عدم العموم، وأنه خاصٌّ في زمانه، أو خاصٌّ بمن يخرج كارهًا لها لا لمصلحة؛ يعني: من خرج كارهًا لها فإنه يصدق عليه هذا الوصف. أما هؤلاء الصحابة فقد خرجوا لمصلحة لا شك.

ولكن إذا ترجح عند الإنسان مصلحة دينية للخروج وهو فيها فهل يخرج منها؟

**الجواب:** نعم، بلا شك. ولهذا اختلف العلماء هل المجاورة بمكة أفضل، أم في المدينة أفضل؟.

**الجواب:** على قولين للعلماء: بعضهم فضل المجاورة بالمدينة، وبعضهم فضل المجاورة بمكة.

وقال شيخ الإسلام رحمته الله: المجاورة في مكان يكثر فيه تقواه ﷻ أفضل من المدينة وغيرها.

فجعل العبرة بما يقوم به الدين، لا العبرة بالمكان، واستدل بنزوح بعض الصحابة رضي الله عنهم عن المدينة.



ثم قال البخاري رحمته الله:

٧٣٢٣- حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَاحِدِ، حَدَّثَنَا مَعْمَرٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ

عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: حَدَّثَنِي ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنه قَالَ: كُنْتُ أَقْرَى عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، فَلَمَّا كَانَ آخِرَ حَجَّةٍ حَجَّهَا عُمَرُ، فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بَيْنِي: لَوْ شَهِدْتُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّهُ رَجُلٌ، قَالَ: إِنْ فَلَانًا يَقُولُ: لَوْ مَاتَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ لَبَايَعْنَا فَلَانًا، فَقَالَ عُمَرُ: لَا تَقُومَنَّ الْعَشِيَّةَ فَأَحْذَرُ

(١) انظر: «الفروع» لابن مفلح (٣/ ٣٦٤)، و«الإنصاف» للمرداوي (٣/ ٥٦٢)، و«كشف القناع» (٢/ ٤٧٣).

(٢) قال ابن مفلح في «الفروع» (٣/ ٣٦٤): قال يعني شيخ الإسلام ابن تيمية - والمجاورة بمكان يكثر فيه إيمانه وتقواه أفضل حيث كان. ونقله عنه أيضًا صاحب «كشف القناع» (٢/ ٤٧٣).



هَؤُلَاءِ الرُّهْطَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَغْصِبُوا هُمْ. قُلْتُ: لَا تَفْعَلْ، فَإِنَّ الْمَوْسِمَ يَجْمَعُ رِعَاعَ النَّاسِ، يَغْلِبُونَ عَلَى مَجْلِسِكَ، فَأَخَافُ أَنْ لَا يَنْزِلُوهَا عَلَى وَجْهَيْهَا، فَيُطِيرُ بِهَا كُلُّ مُطِيرٍ، فَأَنْهَلُ حَتَّى تَقْدَمَ الْمَدِينَةُ دَارَ الْهَجْرَةِ وَدَارَ السُّنَّةِ، فَتَخْلُصَ بِأَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، فَيَحْفَظُوا مَقَالَتَكَ، وَيَنْزِلُوهَا عَلَى وَجْهَيْهَا. فَقَالَ: وَاللَّهِ لَا قَوْمَ مِنْ بِي فِي أَوَّلِ مَقَامِ أَقَوْمِهِ بِالْمَدِينَةِ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَقَدِمْنَا الْمَدِينَةَ، فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ بَعَثَ مُحَمَّدًا ﷺ بِالْحَقِّ وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ الْكِتَابَ، فَكَانَ فِيهَا أَنْزَلَ آيَةَ الرَّجْمِ<sup>(١)</sup>

**الشاهد من هذا، قوله:** «حتى تَقْدَمَ المدينة دَارَ الهَجْرَةِ وَدَارَ السُّنَّةِ». ففيه دليلٌ عظيمٌ على أهمية الخلافة، أو السلطة، وأنه لا يجوزُ للإنسان أن يتعرَّضَ لها بسوءٍ لخوفِ الفتنة، فإن هَؤُلَاءِ الرُّهْطَ قالوا: لو مات عمرٌ لباعنا فلاناً، ولم يُعَيِّنْ الحديثُ، لكنَّ هذا يدلُّ على أنهم كرهوا خلافته، فقدَّروا هذا التقديرَ، على أنه يحتمل أن يكونَ فلانٌ في رأيهم أفضلُ من عمرٍ رحمته الله، وإن لم يكن ذلك كراهةً لعمرٍ، لكنه محبةٌ لمن هو أولى، ومع ذلك غضِبَ عمرٌ رحمته الله.

**ثم فيه أيضاً:** دليلٌ على أن الإنسانَ الفاضلَ قد يُفَوِّتُهُ شَيْءٌ يَعْلَمُ به المفضولُ، فإن عمرَ لا شكَّ أفضلُ من عبد الرحمن بن عوفٍ، وأوفرُ عقلاً، وأرجحُ رأياً، ولكنه قد تَفَوَّتَهُ - ولا سيَّما عند الحمية، وعند الغضبِ - أشياء كثيرةٌ.

**وفيه أيضاً:** دليلٌ على أن الإنسانَ ينبغي له أن يضعَ الحديثَ موضعه، فلا يُحَدِّثُ بحديثٍ يخشى منه الضررَ أو الشرَّ، وإن كان خيراً فقد يَسْمَعُهُ أَهْلُ الشرِّ، فيُتَزَلَّوْنَهُ على ما يريدونَ فينقلونه على ما يريدونَ؛ فلذلك يجبُ أن يتحرَّرَ الإنسانُ، حتى في الإفتاءِ في العلمِ يجبُ أن يتحرَّرَ، فكم من إنسانٍ أفتى فتوى علمَ على ظاهرِ السؤالِ، ثم استُغِلَّ في القدحِ ببعضِ الناسِ، والإنكارِ عليهم، وما أشبه ذلك. فالإنسانُ لا سيَّما في زمنِ القيل والقالِ، وكثرةِ الكلامِ يجبُ عليه أن يتحرَّرَ تحرُّراً كاملاً، وإذا عِلِمَ اللهُ مِنْ نِيَّتِهِ الْخَيْرَ، وَفَقَهُ لَهُ، وَوَقَّاهُ مِنَ الشَّرِّ.

**وفيه:** دليلٌ على أنَّ القربَ من المتكلمِ أو الخطيبِ لا يدلُّ على أن الذي يَقْرُبُ إليه هم أهلُ العقلِ، وأهلُ الفهمِ، بل الذي يَقْرُبُ في الغالبِ ولا يَسْتَحْيِي هم عامَّةُ الناسِ، فتجدُ أهلَ الخيرِ، وأهلَ العقلِ، وأهلَ الرزانةِ يَسْتَحْيُونَ، فلا يُزَاحِمُونَ، ولا يَتَزَاحِمُونَ على المجالسِ، وَيَكُونُونَ فِي آخِرِ النَّاسِ، ولهذا يَقُولُ: «يَجْمَعُ رِعَاعَ النَّاسِ، يَغْلِبُونَ عَلَى مَجْلِسِكَ».

(١) رواه مسلم (٣/١٣١٧) (١٦٩١) (١٥) بغير ذكر القصة، وبلفظٍ أتم من هذا في مسألة الرجم.

**وفيه أيضًا:** التحرز من الرِّعَاع، وألا يُقَادَ الإنسانَ معهم، وأن يُحَكِّمَ عقله على عاطفته، فإن بعض الناس يَغْتَرُّ إذا رأى الرِّعَاعَ فيتكلم بما يظنُّ أنه يُرضيهم، وإن كان فيه مضرةٌ عاجلةٌ أو آجلةٌ.

**وفيه أيضًا:** دليلٌ على جواز تأخير ما يُظنُّ فيه المصلحةُ لدرءِ المفسدةِ؛ لأنَّ عمرَ آخر ما أَرَادَ أن يتكلم به إلى أن يقدِّم إلى المدينة، وحصل فيه الخير الكثير.

**وفيه:** دليلٌ على جواز نسخ اللفظ، وإبقاء الحكم، وذلك في آية الرِّجَم، فإنها كانت موجودةً في القرآن أنه إذا أُحْصِنَ الرجلُ وزنا، فإنه يُرْجَمُ، قال عمر رضي الله عنه: «إننا قرأناها وحفظناها ووعيناها، ورجم النبي ﷺ، ورجمنا بعده، فأخشى إن طال بالناس زمان أن يقولوا: لا نرى الرِّجَمَ في كتاب الله، فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله ﻋَلى، وإن الرِّجَمَ حقٌّ ثابتٌ على مَنْ زنا إذا أُحْصِنَ، وكان الحبلُ أو الاعترافُ <sup>(١)</sup>.

**وفيه أيضًا:** أن الله بعث محمدًا بالحقِّ، والأحقيةُ هذه تعودُ إلى أمرين:

إلى البعث، وإلى المبعوث به. فالبعثُ؛ يعني: أنه صادق، وأنه رسولُ الله ﷺ. والمبعوثُ به؛ أن كلَّ ما جاء به فهو حقٌّ، ولهذا لا ترى باطلاً فيما جاء به الرسولُ أبداً، لا ترى كذباً في خبر، ولا جوراً في حكم، ولا تناقضاً في مختلف أبداً، فكلُّه حقٌّ.

**وفيه أيضًا:** أن القرآن مُنَزَّلٌ من الله؛ لقوله تعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ ۖ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [الحق: ١٠٢]. ونحن نعلم جميعاً أن القرآن وصفٌ، وليس عيناً تنزل وتُرى وتُشاهد، ولكنه كلامٌ، فإذا كان نازلاً من عند الله، وهو كلامٌ، لزم أن يكون كلامه وليس مخلوقاً من مخلوقاته، بخلاف قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ [الحديد: ٢٥]. وقوله: ﴿وَأَنزَلْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ قَمِيصًا﴾ [النحل: ٦]. فإن هذا الإنزال إنزالُ المخلوق، لأنَّ المُنَزَّلَ أعيانٌ قائمةٌ بنفسها، فتكون مخلوقةً بخلاف القرآن، ولهذا كان من عقيدة أهل السنة والجماعة، أن القرآن كلامُ الله مُنَزَّلٌ غيرُ مخلوق، منه بدأ وإليه يعود.

فإن قال قائل: «غيرُ مخلوق» من التعمق؛ فإنه ليس في القرآن أن الله قال: منزلٌ غيرُ مخلوق.

فيقال: إن السلف اضطُّروا إليها دفعاً لباطل اخترعه أهلُ الباطل، وهم الجهمية، حيث قالوا: إن القرآن مخلوق، فلزم أن يقولوا: غيرُ مخلوق <sup>(١)</sup>. وكذلك قولهم أو قول بعضهم: استوى على العرش

(١) المصدر السابق.

(٢) قال شيخ الإسلام في «مجموع الفتاوى» (٣/ ١٧٤): أما هذا القول فهو المأثور الثابت عن السلف مثل ما نقله عمرو بن دينار قال: أدركت الناس منذ سبعين سنة يقولون: الله الخالق وما سواه مخلوق إلا القرآن فإنه



«بذاته» فإن «بذاته» لم تَرُدْ في القرآن ولا في السنة، لكن اضطرُّوا إلى ذلك لقول أهل الباطل: إنه لم يَسْتَوِ بذاته على العرش، ولكنه اسْتَوَى استيلاءً. وكذلك النزول إلى السماء الدنيا، حيث عَبَّرَ بَعْضُهُمْ فَقَالَ «بذاته» فإنهم اضطرُّوا إلى ذلك من أجل دفع قول من يَقُولُ: إن الذي يَنْزِلُ إلى السماء الدنيا أمره، أما هو فلا يَنْزِلُ. هكذا يَقُولُونَ: تَنْزِلُ رحمته. وهذا خطأ.

فمثل هذه العبارات قد يُعَبَّرُ بها السلف للاضطرار، وإذا كانت للاضطرار، فإنه لا يَنْبَغِي أن تُقَالَ في حال الاختيار؛ يعني: إذا كنت تُحَدِّثُ عَامَّةَ النَّاسِ، ولم يَطْرَأْ على بالهم، وليسوا في مكانٍ أو في زمانٍ قد شاع فيه أن المراد يَنْزِلُ أمره، فلا يَحْسُنُ أن تقول: يَنْزِلُ بذاته، لأنك لست أَبْلَغَ من الرسول ﷺ، ولا أنصحَ من الرسول ﷺ، وليس عليك لوُومٌ فيما لو حذفت «بذاته». وما دام لم يَرِدْ في أذهان من عندك: أنه تَنْزِلُ رحمته، أو مَلَكٌ من ملائكته، فلا حاجة إلى هذه العبارة؛ لأن ما جاز حال الاضطرار، لا يَلَزِمُ جوازه في حال الاختيار.

**إذن** تقول: إن قول السلف: «غير مخلوق» <sup>(١)</sup> جاءوا به اضطراراً لدفع قول الجهمية، وإلا يَكْفِي أن يَقُولَ: منزلٌ من عند الله. وكلُّ يَعْرِفُ بعقله وفطرته السليمة أنه إذا كان القرآن كلاماً وقولاً، وهو نازلٌ من الله فلا بدَّ أن يَكُونَ من صفاته؛ إذ هو شيءٌ ليس عيناً قائمةً بذاتها. وقوله: الكتاب. ذكرنا فيما سبق أنه سُمِّيَ بذلك؛ لأنه مكتوبٌ في اللوح المحفوظ، وفي الصحف التي في أيدي الملائكة وفي أيدي الناس.

وقول الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّنُونَ﴾ [النحل: ٨١]. هذا لملائكته. والدليل قوله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ تُكْذِبُونَ بِالَّذِينَ﴾ ① وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ② كِرَامًا كَاتِبِينَ ③ يَعْمَلُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿ [الأنعام: ٩-١٢].  
وقول الله تعالى: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: ٥٤] يعني: أوجب، مثل قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾ [البقرة: ١٨٣]. يعني: أوجب عليكم.



ثم قال البخاري رحمه الله تعالى:

٧٣٢٤- حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا حَمَادٌ، عَنْ أَيُّوبَ، عَنْ مُحَمَّدٍ، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ أَبِي

كلام الله غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود. وانظر: سؤال عمن يقول إن صفات الرب نسب وإضافات وغير ذلك، لشيخ الإسلام (١/ ١٦٢)، و«العقيدة الأصفهانية» (١/ ٥٨).

(١) أقدم تخريجه.

هَرِيرَةٌ وَعَلَيْهِ ثَوْبَانِ مُشَقَّانِ مِنْ كَتَّانٍ فَنَمَحَطُ فَقَالَ: بَخَّ بَخَّ أَبُو هَرِيرَةَ يَتَمَحَطُ فِي الْكَتَّانِ، لَقَدْ رَأَيْتُنِي وَإِنِّي لِأَخْرَفِيَا بَيْنَ مَنْبَرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى حُجْرَةِ عَائِشَةَ مَغْشِيًا عَلَى، فَبَجِئْتُ الْجَائِي فَبَضَعَ رِجْلَهُ عَلَى عُنُقِي، وَبَرَى أَنِّي تَجُنُّونَ، وَمَا بِي مِنْ جُنُونٍ، مَا بِي إِلَّا الْجُوعُ.

وهذا الحديث فيه بيانُ حكمةِ الله ﷻ، أن يكونَ العبادُ مختلفينَ في الأرزاقِ، والأشكالِ، والأخلاقِ، والفهومِ، والعقولِ، وفي كلِّ شيءٍ، حتى يرى الإنسانُ قدرَ نعمةِ الله عليه إن كان من الطبقةِ العليا، ويصبرَ على ما دونَ ذلك إن كان من الطبقةِ السفلى.

**وفيه:** ردُّ على القائلينَ بالاشترائيةِ الذين يقولونَ في الرسولِ ﷺ: والاشترائيونَ أنتَ إمامهم. وهم كذبةٌ فيما يقولونَ، فإن الله ﷻ جعلَ الإنسانَ حرًّا في ماله، لكنَّ أوجبَ عليه واجباتٍ، ولو كانت الاشتراكيةُ من الشرعِ، ما كان أبو هريرةَ يُبلِّغُ هذا المبلغَ من الجوعِ، وعبدُ الرحمنِ بنُ عوفٍ وأمثالهُ عندهم من الغنى ما يباينُ هذه الحالَ بينونةً عظيمةً، وفي جيشِ العُسرةِ جهَّزَ عثمانُ بنُ عفَّانٍ <sup>(١)</sup> مائةَ بعيرٍ، بجميعِ ما تحتاجُ إليه من مُعدَّاتٍ <sup>(٢)</sup>. فمائهُ بعيرٍ من رجلٍ واحدٍ في جيشٍ يُسمَّى جيشَ العُسرةِ، يَدُلُّ على غنىٍ كبيرٍ.

**وفي هذا:** دليلٌ على التحدُّثِ بنعمةِ الله، وأن يُذكَّرَ الإنسانُ نفسه بنعمةِ الله عليه، حيثُ كان في الأولِ لا يملكُ شيئًا، ثم أنعمَ الله عليه بالمالِ، وإذا كان هذا بنعمةِ المالِ، فبنعمةِ العلمِ أولى أن يقولَ: الحمدُ لله الذي هدانا، فقد كنَّا لا أعرفُ من العلمِ شيئًا، ثم هدانا الله حتى وصلتُ إلى ما أنا فيه من العلمِ.

والحقيقةُ أن من فوائدِ تحديثِ الناسِ بالنعمةِ أن يَعْرِفَ الإنسانُ قدرَ النعمةِ؛ لأنَّ الذي لا يُذكِّرُ نفسه، بما مضى لا يَعْرِفُ قدرَ النعمةِ.

وأضربُ لك مثلاً بشيءٍ محسوسٍ: عندك ابنٌ له أربعُ سنواتٍ، غُبَّتْ عنه ستُّ سنينَ، إذا جِئْتَ تَبَيَّنَ لك الفرقُ العظيمُ بين حالِهِ وهو ابنُ عشرٍ، وحالِهِ وهو ابنُ أربعٍ، أو ستٍّ. كذلك الإنسانُ إذا لم يُذكَّرْ نفسه بما مضى، فإن العلمَ مثلاً أو المالَ يَنْتَهِي شيئاً فشيئاً فلا يَعْرِفُ الإنسانُ قدرَهُ حتى يتذكَّرَ ما بينَ الحالينِ.

**والشاهدُ من هذا الحديثِ قوله:** «فيا بين منبرِ رسولِ الله ﷺ إلى حجرةِ عائشةَ».





ثم قال البخاري رحمه الله تعالى:

٧٣٢٥- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ كَثِيرٍ، أَخْبَرَنَا سُفْيَانُ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَابِسٍ، قَالَ: سُئِلَ ابْنُ عَبَّاسٍ أَشْهَدْتَ الْعِيدَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: نَعَمْ وَلَوْلَا مَنْزِلَتِي مِنْهُ مَا شَهِدْتُهُ مِنَ الصَّغَرِ، فَأَتَى الْعَلَمَ الَّذِي عِنْدَ دَارِ كَثِيرٍ بِنِ الصَّلَاتِ فَصَلَّى ثُمَّ خَطَبَ، وَلَمْ يَذْكُرْ أَذَانًا وَلَا إِقَامَةً، ثُمَّ أَمَرَ بِالصَّدَقَةِ، فَجَعَلَ النَّسَاءُ يُبْشِرْنَ إِلَى آذَانِهِنَّ وَحُلُوفِهِنَّ، فَأَمَرَ بِأَلَا فَنَاهُنَّ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ (١)

الشاهد من هذا قوله: «فَأَتَى الْعَلَمَ الَّذِي عِنْدَ دَارِ كَثِيرٍ بِنِ الصَّلَاتِ فَصَلَّى». فهذه مواضع صلاته.

وفي هذا الحديث فوائد كثيرة:

**منها:** احترام الصحابة لقراءة النبي ﷺ؛ ولهذا قال: «ولولا منزلتي منه ما شهادته من الصغر» واحترام آل النبي ﷺ واجب لحق الرسول ﷺ، ولحق القرابة. قال الله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ [النساء: ٢٣]. يعني: إلا أن تؤدوا قرابتي، هذا على قول في معنى الآية. وقيل: إلا المودة بسبب قرابي منكم؛ يعني: فأريد أن تؤدوني لا لأني جئتكم بالرسالة، ولكن لأني قريبيكم، والقريب غايته أن يؤد قريبه، والآية تحتل المعنيين، فتحمل عليهما؛ لأنه لا منافاة بينهما.

**وفيه:** دليل على حرص عبد الله بن عباس رضي الله عنهما على العلم والقرب من المعلم، وهذا أمر مشهود له حتى إنه كان يأتي إلى دار الرجل في القيلولة في نصف النهار، فيضع رداءه ويتوسده، ويبقى إلى أن يقوم الرجل، فيحدثه، فيقول له: هلا كنت استأذنت فيقول: أنا صاحب الحاجة، فلا يليق بي أن أوقظك لتقضي حاجتي، وهذا من أدبه رحمته (١).

**وفيه أيضًا:** دليل على أن الرسول ﷺ يصلي العيد في غير المسجد النبوي، وأن هذا هو السنة، وعمل أهل المدينة اليوم على خلاف السنة، فالسنة أن يجعل للمدينة مصلًى عيد، يخرج الناس إليه، ويصلون فيه، كما كان النبي ﷺ يفعل.

فإن قيل: إذا صلوا في المكان الذي كان الرسول ﷺ يصلي فيه، كانوا في جوف المدينة. فيقال: هذا المكان الذي صلى فيه الرسول ﷺ ليس مقصودًا بعينه، ولكنه مقصود بوصفه، وهو أنه خارج البلد، فيطلب للمدينة مصلًى خارج المدينة يصلون فيه.

**وفيه:** دليل على أن المفضل قد يكون أفضل من الفاضل بسبب يقتضيه، فالصلاة في

(١) رواه مسلم ٦٠٣/٢ (٨٨٥) (٣) بنحوه.

(٢) تقدم تخريجه.

مسجد الرسول ﷺ خيرٌ من ألف صلاة فيما سواه من المساجد إلا مسجد الكعبة، فالصلاة فيه خير من ألف صلاة في مُصلّى العيد لكن لما كان الخروجُ إلى مُصلّى العيد وتركُ المسجد النبوي في صلاة العيد يترتب عليه مصلحةٌ أكثر، صار أفضل، فلا يُقال: إن أهل المدينة تركوا الخروجَ إلى الصحراء من أجل فضل المكان، لأننا نقول: فضلُ هذا المكان ثبت في عهد الرسول ومع ذلك لم يُراعِه النبي ﷺ، بل كان يخرجُ إلى الصحراء.

**وفيه:** دليلٌ على أن خطبة العيد بعدها الصلاة، بخلاف خطبة الجمعة، فإنها قبلها، واختلف العلماء في الحكمة من تقديم خطبة الجمعة على العيد.

**فقيل:** إن الخطبتين في الجمعة شرطٌ لصحة الصلاة، والشرطُ يتقدّم المشروط، بخلاف الخطبتين في العيد فإنهما سنة، فلو أن الناس تركوها فلا إثمَ عليهم.

**وقيل:** من أجل أن يجتمع الناس في الجمعة شيئاً فشيئاً، بخلاف العيد، فإنه ليس لها أذان ولا إقامة، فيأذّر بالصلاة إليها. وقيل غير ذلك. والشاهد أن الخطبة في العيد تكون بعد الصلاة.

**وفيه:** دليلٌ على أنها خطبةٌ واحدة؛ وذلك لأن «خطب» فعلٌ مطلق، والمطلق لا يقتضي التكرار إلا بدليل، ولا دليل على هذا إلا حديثُ رواه ابنُ ماجه في سننه ضعف: أن الرسول ﷺ خطبَ خطبتين جلسَ بينهما <sup>(١)</sup>.

**وفيه أيضاً:** أنه لا يُشرعُ للعيد أذان، ولا إقامة، ولا الصلاة جامعة، خلافاً لقول بعض العلماء <sup>(٢)</sup> إنه يُشرعُ أن يُتأذى لصلاة العيد: «الصلاة جامعة» وهذا ليس بصحيح. لكن لو حصل حالٌ تقتضي أن يُصلّي الناس داخلَ البلد، فهل يُشرعُ للمؤذن أن يقول: «الصلاة في البلد»؟

**الجواب:** نعم، يُشرعُ؛ لإعلام الناس، ولهذا كان النبي ﷺ إذا حصل وحلّ أو مطرٌ أو نحو ذلك، قال: «صلوا في رحالكم» <sup>(٣)</sup>. بدل «حيّ على الصلاة».

**وفيه:** دليلٌ على حثّ الناس على الصدقة، أو أمرهم بها في صلاة العيد، لاجتماع الناس؛ ولأنه يومٌ ينبغي أن يكون عيداً للأغنياء والفقراء، فإذا تُصدّق على الفقراء في هذا اليوم انتفعوا كثيراً.

(١) رواه ابن ماجه (١٢٨٩)، وقال الشيخ الألباني في تعليقه على «السنن»: منكرٌ أسنداً وممتناً.

(٢) انظر: «الأم» (٨٢/١)، و«المجموع» (٨٣/٣)، و«منهاج الطالبين» (٩/١)، و«الإنصاف» (٤٢٨/١)، و«كشف القناع» (٤٢٨/١)، و«الروض المربع» (٣١٩/١).

(٣) رواه البخاري (٦٦٦)، ومسلم ٤٨٤/١ (٦٩٧) (٢٢).



ومن فوائد هذا الحديث وهو مختصر في هذا: فضيلة نساء الصحابة رضي الله عنهم؛ لأن النبي ﷺ لما أمر بالصدقة، تصدق من حليهن حتى جعلن يُشِرْنَ إلى آذانهن وحلوقهن، فالآذان فيها الأخرص، والحلوق فيها القلائد، وفي حديث آخر بلفظ آخر «خواتيمهن»<sup>(١)</sup>.

**ففيه:** دليل على جواز الذهب المخلق، وأن الأحاديث الواردة في التحذير منه والوعيد عليه إن صحّت، فإنما كانت ثم نُسخَت، وقد حقّق الشيخ إسماعيل الأنصاري رحمه الله في كتاب له، وناقش فيه الشيخ الألباني - دَعَّوَاهُ: أن الذهب المخلق حرام - مُناقشةً جيدةً حديثةً وفقهيةً، ويبيّن أن هذا الحكم منسوخ<sup>(٢)</sup>.

ولهذا حكى بعض العلماء الإجماع على جواز لبس الذهب للنساء مطلقاً محلّقاً ومقطّعاً، وعلى أي حال، هذا القول هو الراجح<sup>(٣)</sup> وعليه يدلُّ مثل حديث ابن عباس هذا: من أنه يجوز للمرأة لبس الذهب مطلقاً محلّقاً وغير محلّق، إلا أن بعض الفقهاء استثنى، أو قيّد المسألة بما جرّت به العادة، فقيدها وصفاً لا نوعاً<sup>(٤)</sup>؛ لأن ما خرج عن العادة يُعتَبَرُ إسرافاً، وقد قال الله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾ [الأنعام: ٣١]. وهذا القيّد واضح أنه مراد، وهو من الفهم الدقيق الذي يغيّب عن كثير من طلبة العلم؛ لأن العلماء يفهمون الأحاديث على إطلاقها، وعلى ظاهرها، ثم على القواعد العامة.

مثال ذلك: قول النبي ﷺ: «أَحْلَ الذَّهَبُ وَالْحَرِيرُ لِإِنَاثِ أُمَّتِي»<sup>(٥)</sup> فلنقل أن يقول: فكلُّ

(١) رواه مسلم (٦٠٣/٢) (٨٨٥) (٤).

(٢) انظر: «رسالة إباحة التحلي بالذهب المخلق للنساء» والرد على الألباني في تحريمه للعلامة إسماعيل بن محمد الأنصاري رحمه الله.

(٣) قال البيهقي في «السنن الكبرى» (١٤٢/٤): فهذه الأخبار وما في معناها تدل على إباحة التحلي بالذهب للنساء، واستدلنا بحصول الإجماع على إباحته لهن، وعلى نسخ الأخبار الدالة على تحريمه فيهن خاصة. اهـ وقال النووي في «المجموع» (٤٠/٦): وأجمع المسلمون على أنه يجوز للنساء لبس أنواع الحلي من الفضة والذهب جميعاً؛ كالطوق، والعقد، والخاتم، والسوار، والخلخال، والتعاويذ، والدمالج، والقلائد، والمخاتق، وكل ما يتخذ في العنق وغيره، وكل ما يعتدن لبسه، ولا خلاف في شيء من هذا وانظر: «تفسير القرطبي» (١٦/٧١)، و«الأحكام للجصاص» (٤٧٧/٤)، و«فتح الباري» (٣١٧/١٠)، و«الزواجر» للهيتمي (ص ١٢٥)، و«حاشية السندي على سنن النسائي» (١٥٧/٨).

(٤) قال ابن مفلح في «الفروع» (٣٥٣/٣): ويباح للمرأة من الذهب والفضة ما جرّت به العادة كالطوق، والخلخال، والسوار، والدملج، والقرط، والخاتم. اهـ وانظر: «المبدع» (٣٧٥/٢).

(٥) رواه الإمام أحمد في مسنده (٣٩٤/٤) (١٩٥١٥)، والترمذي (١٧٢٠)، والنسائي (٥٢٦٥)، وابن ماجه

الذهبِ يَجُوزُ للمرأة، ولو أن تَجْعَلَ نَفْسَهَا في قَارورةٍ من ذهبٍ؛ لأن الرسول ﷺ قال: «أَجَلَ الذهبُ لِنَاثِ أُمْتِي». وهذا القول لا شك أنه غيرُ صوابٍ؛ لأن هناك نصوصاً عامةً تدُلُّ على أن الإسرافَ والتبذيرَ حرامٌ.

فلو قال قائلٌ: هل يَجُوزُ للمرأة أن تَلْبَسَ سَوَارًا على شكل حية؟

**فالجواب أن نقول:** هذا حرامٌ من أجل الصورة؛ لأن هناك أحاديثٌ تُقيِّدُ هذا (١).

**وفي هذا دليلٌ** على فضل نساء الصحابة رضي الله عنهم، وسرعتهم إلى الامتثال، ولا تَرَدُّ المرأةُ منهم، وتقول: لعلَّ ولعلَّ. وكذلك الصحابة رضي الله عنهم؛ أي: الرجالُ منهم سرعةُ الامتثالِ لأمرِ الرسول ﷺ، وهذا أمرٌ مُشاهدٌ، وأنا أنصح نفسي، وإياكم إذا بلغنا شيءٌ عن الله ورسوله ألا نتردَّدَ في تنفيذه إذا علمنا أن هذا مرادُ الله ورسوله.

أما إذا شككنا في الحكم هل هو ثابتٌ أو لا؟ فهذا للإنسان ألا يفعلَه، لكن كثيرًا من الناس يتردَّدُ إذا جاء الأمر، ويقول: هل الأمرُ للوجوب، أم للاستحباب؟ فسيحان الله! هل أنت ملزمٌ ألا تمثِّلَ الأمر إلا إذا كان للوجوب؟! ولكنَّ البَحْثَ عن الأمر هل للوجوب أو للاستحباب يَكُونُ فيما إذا فَرُطَتْ ولم تَفْعَلْ، فحينئذٍ ربما نقول: لك العذرُ في أن تقول هل هو للوجوب، أو للاستحباب؛ من أجل أن تُحدِثَ توبةً إذ رأيت أنه للوجوب، أو تحدِثَ استقامةً أكثرَ إذا رأيت أنه للاستحباب، فكلما مرَّ عليك أمرٌ قل: سمعًا وطاعة. إذا علمت أنه المراد، أما أن تَبَحْثَ هل هو واجبٌ أو مستحبٌ، فهذا يدُلُّ على أنك متردِّدٌ.

أرأيت لو أن سيِّدًا قال لعبده: افْعَلْ كذا. هل من الأدب أن يقول العبدُ للسيد أنت تأمرني على وجه الإلزام أم على وجه الاستحباب؟!

كذلك في مسألة النهي؛ فإذا بلغك شيءٌ من الله ورسوله لا تقُل: هل هو للتحريم، أو للكرهية بل انتهِ. ثم إذا فَرُطَتْ وفعلت فحينئذٍ تَبَحْثُ هل هو للتحريم أو للكرهية؛ لتُحدِثَ

(٣٥٩٥)، وصححه الشيخ الألباني كما في تعليقه على السنن.

(١) يشير الشيخ رحمه الله إلى ما رواه البخاري (٥٩٥١)، ومسلم (٢١٠٧) (٩٦)، من حديث عائشة رضي الله عنها: أن النبي ﷺ جاء إلى البيت ذات يوم فرأى نمرقة فيها صورة فوقف ولم يدخل. قالت عائشة: ففكرت الكراهة في وجهه، فقلت: أتوب إلى الله ورسوله مما صنعت. فقال: «إن أهل هذه الصور يعذبون، يقال لهم: أحيوا ما خلقتم». وقال أيضًا: رحمه الله فيما رواه البخاري (٥٩٤٩)، ومسلم (٢١٠٦) (١٣): «إن الملائكة لا تدخل بيتًا فيه صورة». إلى غير ذلك من الأحاديث المروية في معنى هذين الحديثين.



توبة إذا كان للتحريم.

هذه حقيقة المؤمن؛ ولهذا نجد الصحابة - إذا تأملنا أحوالهم - ليسوا يقولون: هل هذا الأمر للاستحباب أو للوجوب أبداً، بل يمثّلون فوراً، فلما أمر بالصدقة، هل النساء قلن: يا رسول الله أتأمرنا على وجه الوجوب أو الاستحباب؟! لكن إذا كان الإنسان يخشى الضرر على نفسه لو نفذ، وكان الأمر فيه احتمالاً، كما قلت أولاً، فيمكن للإنسان أن يتردد كما قالت بريدة للرسول ﷺ، لما أشار عليها أن ترجع إلى مغيث: يا رسول الله إن كنت تأمرني فسمعاً وطاعة، وإن كنت تُشير على فلا رغبة لي فيه <sup>(١)</sup>. فهذه ردّت الأمر؛ لأن فيه احتمالاً أنه يُشير إشارة. والتزامها بما أشار به الرسول فيه مشقة عليها؛ لأنها تبغض زوجها بغضاً شديداً، لذلك رأت لنفسها فسحة أن تسأله هل هو أمر أو مشورة.

إنما نحن الآن لا نجد مشورة بالنسبة للرسول ﷺ، فإذا جاءنا أمر فإننا إن كان للاستحباب، فقد كسبنا خيراً، وإن كان للوجوب، فقد كسبنا أخيراً من ذلك، وسلمنا من الإثم، فنحن لن نعدم خيراً أبداً، ثم بعد ذلك إذا جرى إهمالاً، أو ما أشبه ذلك، أو ما يترتب على هذا الواجب فيما إذا ترك من شيء فحينئذٍ، نبحث هل هو للوجوب أو لا، ونتعمق في البحث، ولا حرج علينا في هذا.

❖ وقوله: «يُشَرَّن إلى آذانهم، وحلوقهم». هل فيه دليل على أن الحجاب ليس بواجب؟  
لقوله: «يُشَرَّن إلى آذانهم وحلوقهم»؟

**الجواب:** أن هذا ليس فيه دليل؛ لأن الإنسان قد يُشير إلى حلقه وإلى أذنه، وهو قد احتجب، وليس فيه دليل على أن الحجاب ليس بواجب، وإن كان يحتمل، لكن عند العلماء قاعدة وهي: إذا وجد الاحتمال بطل الاستدلال <sup>(٢)</sup>.

❖ قوله: «فأمر بلائاً فأتاهن ثم رجع إلى النبي ﷺ». هذا فيه دليل أيضاً على جواز التوكيل في قبض الصدقات؛ لقوله: «فأمر بلائاً». ويجوز التوكيل في حفظ الصدقات، ويجوز التوكيل أيضاً في دفع الزكوات، فكل ذلك جاء به السنة؛ فالتوكيل في قبض الصدقات كما في حديث بلال. وفي حفظ الصدقات كما في حديث أبي هريرة حين جعله النبي ﷺ حفيظاً على زكاة الفطر <sup>(٣)</sup>.

(١) رواه البخاري (٥٢٨٣).

(٢) انظر: «القواعد والفوائد الأصولية» (١/ ٢٣٥)، و«التقرير والتحرير» (١/ ١٨٨)، و«فتح القدير» (٣/ ٢٤٥).

(٣) تقدم تخريجه.

في دفع الزكوات أيضًا في حديث أبي هريرة؛ لأنه دفع إلى من ادعى أنه فقير وذو عائلية، فأقره النبي ﷺ على ذلك، ففيه دليل على جواز التوكيل في قبض الصدقات وحفظها ودفعها، ولكن لا يجوز لولي الأمر أن يوكل على ذلك إلا من جمع بين أمرين: القوة، والأمانة. لأن القوة والأمانة شرط في كل شيء، فكل عقد، وكل عمل تتولاه لابد من قوة وأمانة؛ لأن ضد القوة الضعف، فإذا كان الوكيل ضعيفاً ولو كان أميناً، فإنه لا يصلح للوكالة، فقد يجيء إنسان يأخذ من الصدقات في غفلته، أو يأخذ من الصدقات في غير غفلته؛ لأنه ضعيف مسكين. والأمين ضد الخائن، فلا يجوز أن يوكل في شيء من أمور المسلمين إذا كان خائناً مهما كان عنده من القوة.

فإذا كان عندنا رجلان: أحدهما قوي غير أمين، والثاني أمين غير قوي، وليس عندنا غير هذين الرجلين فمن نولي؟

**الجواب:** أنه يختلف باختلاف الأمر المولى عليه، فإذا كان العمل المولى عليه يقتضي من القوة، أو يحتاج من القوة أكثر من الأمانة أخذنا القوي، ووكلنا أميناً غير قوي على هذا الرجل يسبر حاله، وفي هذه الحال يجوز أن نجعل هذا الأمين من رجال المباحين، ولا حرج.

ورجال المباحين إذا كانوا يبتحنون عن الشر من أجل أن يطفئوه فهذا طيب، ولكن المشكل إذا كانوا يبتحنون عن الخير من أجل أن يطفئوه فهذا هو الشر. فالمباح لا نقول كلهم خير، أو كلهم شر، بل على حسب ما يبتحنون عنه، فإن كانوا يبتحنون عن الشر ليمنعوه فجزأهم الله خيراً، ولكن بشرط ألا يكون هناك تجسس، أو اعتداء على الناس، وإن كانوا يبتحنون عن الخير؛ ليمنعوه فهذا شر، ولا يجوز لأحد أن يكون في هذه الوظيفة أبداً؛ لأن هذا تعاون على الإثم والعدوان.

فلهذا نُسأل دائماً: هل يجوز أن أكون موظفاً في المباحين؟ نقول هذا شيء يرجع لك أنت، فإذا كنت تريد أن تمنع الشر، ولا تظلم أحداً، فهذا لا بأس به؛ فهناك من المباحين أهل خير إذا وجد أحداً عنده مخدرات، أو عنده فسوق، أو فجور، أو ما أشبه ذلك، دلوا عليه، فهذا ليس فيه شيء بشرط ألا يصل الحال للتجسس المنهي عنه.

**فالحاصل أننا نقول:** إذا اجتمع أمين غير قوي، أو قوي غير أمين تقدم حسب العمل، فإذا كان العمل يحتاج إلى القوة أكثر من الأمانة، قدمنا القوي، وإذا كان يحتاج للأمانة أكثر من القوة قدمنا الأمين، فربما يكون العمل حفظ الصدقات في الصناديق، والمفاتيح مضبوطة



فَقَدَّمُ الْأَمِينَ؛ لِأَنَّهُ لَا حَاجَةَ لِلقُوَّةِ هُنَا.

لَكِنْ عَمَلٌ آخَرٌ يَحْتَاجُ إِلَى إِنْسَانٍ حَذِرٍ قَوِيٍّ، نَقَدَّمُ الْقَوِيَّ، وَنَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَهُ أَمِينًا، وَنَجْعَلُ وَاحِدًا حَوْلَهُ يَبْحَثُ عَنْهُ وَاللَّهُ الْمَوْفَّقُ.



ثُمَّ قَالَ الْبَخَارِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

٧٣٢٦- حَدَّثَنَا أَبُو نُعَيْمٍ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دِينَارٍ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَأْتِي قُبَاءَ مَاشِيًا وَرَاكِبًا <sup>(١)</sup>.

فِي هَذَا: دَلِيلٌ عَلَى مَشْرُوعِيَّةِ إِيَّانِ مَسْجِدِ قُبَاءَ، وَهُوَ مَشْهُورٌ مَعْرُوفٌ، وَقَدْ كَانَ النَّاسُ يَأْتُونَهُ -وَاللَّهُ الْحَمْدُ-، عَلَى وَجْهِ فِيهِ كَلْفَةٌ، لَكِنْ الْآنَ تَوَفَّرَ فِيهِ الْمَاءُ، وَتَوَفَّرَ فِيهِ كُلُّ شَيْءٍ، -وَاللَّهُ الْحَمْدُ-، وَيُسَنُّ أَنْ يَأْتِيَ الْإِنْسَانُ بَعْدَ أَنْ يَتَطَهَّرَ فِي بَيْتِهِ، وَيَخْرُجَ مَاشِيًا أَوْ رَاكِبًا، وَهُوَ أَحَدُ الْمَزَارَاتِ الَّتِي تَزَارُ فِي الْمَدِينَةِ:

الْأَوَّلُ: الْمَسْجِدُ النَّبَوِيُّ.

وَالثَّانِي: زِيَارَةُ قَبْرِ النَّبِيِّ ﷺ وَصَاحِبِيهِ.

وَالثَّالِثُ: مَسْجِدُ قُبَاءَ.

وَالرَّابِعُ: الْبَقِيعُ.

وَالْخَامِسُ: شَهْدَاءُ أَحَدٍ.

وَلَيْسَ فِي الْمَدِينَةِ مَزَارَاتٌ سِوَى هَذِهِ الْخَمْسَةِ، فَأَمَّا مَسْجِدُ الْقِبْلَتَيْنِ، وَالْمَسَاجِدُ السَّبْعَةُ، وَمَسْجِدُ الْغَمَامَةِ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ فَكُلُّهُ لَا أَصَلَ لَهُ، وَلَكِنْ جَاءَ عَلَى سَبِيلِ الدَّعْوَى الْكَاذِبَةِ.



ثُمَّ قَالَ الْبَخَارِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

٧٣٢٧- حَدَّثَنَا عُبَيْدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ، عَنْ هِشَامٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ أَذْنِي مَعَ صَوَاحِبِي، وَلَا تَذْفِنِي مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْبَيْتِ، فَإِنِّي أَكْرَهُ أَنْ أُزَكَّى. ٧٣٢٨- وَعَنْ هِشَامٍ، عَنْ أَبِيهِ أَنَّ عُمَرَ أَرْسَلَ إِلَى عَائِشَةَ أَتَذْنِي لِي أَنْ أَذْفَنَ مَعَ صَاحِبِي فَقَالَتْ: إِي وَاللَّهِ قَالَ: وَكَانَ الرَّجُلُ إِذَا أَرْسَلَ إِلَيْهَا مِنَ الصَّحَابَةِ قَالَتْ: لَا وَاللَّهِ لَا أُؤَيِّرُهُمْ بِأَحَدٍ أَبَدًا.

**هذا الحديث:** فيه دليلٌ على ذكرِ قبر النبي ﷺ، وأنه دُفِنَ في حجرة عائشة ؓ، وكذلك دُفِنَ معه أبو بكر ؓ، أثرت به عائشة ؓ أباهما على نفسيهما، وكذلك لما طُعن عمر ؓ في الحجرة، فاستأذن أن يُدفنَ مع صاحبيه، فأذنت له، وقال لهم ؓ: إذا حملتموني إلى مكانٍ، فاستأذنوا مرةً ثانية؛ لأنِّي أخشى أنها أذنت في حياتي؛ يعني: حياءٌ وإلا خجلًا مني، فإذا أذنت فادفوني، وإلا فردوني إلى البقيع <sup>(١)</sup> اللهم ارضَ عنه.

❦ قولها: «لا والله لا أوترهم بأحدٍ أبدًا». المعنى أنها تمنعُ أحدًا إذا استأذن أن يُدفنَ مع رسولِ الله ﷺ وأبيها.



ثم قال البخاري رحمه الله:

٧٣٢٩- حَدَّثَنَا أَبُو بَرٍّ بْنُ سُلَيْمَانَ، حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي أَوْسٍ، عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ بِلَالٍ، عَنْ صَالِحِ بْنِ كَيْسَانَ، قَالَ ابْنُ شِهَابٍ: أَخْبَرَنِي أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يُصَلِّي الْعَصْرَ فَيَأْتِي الْعَوَالِيَّ وَالشَّمْسُ مُرْتَفِعَةً. وَزَادَ اللَّيْثُ عَنْ يُونُسَ، وَبَعْدَ الْعَوَالِيَّ أَرْبَعَةُ أَمْيَالٍ أَوْ ثَلَاثَةٌ <sup>(١)</sup>.

**الشاهد قوله:** «فَيَأْتِي الْعَوَالِيَّ». يدلُّ على أن الرسول ﷺ كان يمشي على قدميه إلى ثلاثة أميالٍ أو أربعة.

٧٣٣٠- حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ زُرَّارَةَ، حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ بْنُ مَالِكٍ، عَنِ الْجُعَيْدِ، سَمِعْتُ السَّائِبَ بْنَ يَزِيدَ، يَقُولُ: كَانَ الصَّاعُ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ مَدًّا وَثُلُثًا بِمَدِّكُمْ الْيَوْمَ، وَقَدْ زِيدَ فِيهِ. سَمِعَ الْقَاسِمُ بْنُ مَالِكٍ الْجُعَيْدَ.

٧٣٣١- حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْلَمَةَ، عَنْ مَالِكٍ، عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُمْ فِي مَكِّيَّاتِهِمْ، وَبَارِكْ لَهُمْ فِي صَاعِهِمْ وَمُدِّهِمْ» يعني: أهل المدينة <sup>(١)</sup>.

❦ قوله: «بارك لهم... المراد: بارك لهم فيما يُكأل من الثمار، لا في نفس المكيال، أو نفس المد.

(١) رواه البخاري (٣٧٠٠) في قصة مقتل الفاروق عمر بن الخطاب ؓ.

(٢) رواه مسلم (٤٣٣/١) (٦٢١) (١٩٢) بغير: زيادة الليث عن يونس «وَبَعْدُ الْعَوَالِيَّ أَرْبَعَةُ أَمْيَالٍ أَوْ ثَلَاثَةٌ». وهذه الزيادة وصلها البيهقي في «السنن الكبير» (٤٤٠/١) من طريق أبي عبد الله محمد بن الفضل بن نظيف، حدثنا أبو بكر محمد بن أحمد، حدثنا أحمد بن زهير الحمراوي، حدثنا عبد الله بن صالح كاتب الليث، حدثني الليث بن سعد به... وانظر: تغليق التعليق (٣٢٤/٥).

(٢) رواه مسلم (٩٩٤/٢) (١٣٦٨) (٤٦٥).



**وفي هذا:** دليلٌ على أن المكيالَ تَغَيَّرَ، يُزَادُ فيها، وَيُنْقَصُ؛ ولهذا عدَلَ العلماءُ رَجْمَهُ ﷺ عن تقديرِ الصَّاعِ بالحجمِ إلى تقديرِهِ بالوزنِ، فتجدُهم إذا تكلَّموا على الصَّاعِ في بابِ الغسلِ، أو في بابِ الفطرةِ يتكلَّمون عن تقديرِهِ وزناً<sup>(١)</sup>.

فإذا قال قائلٌ: هل الدعاءُ بالبركةِ الواردُ في الحديثِ عامٌّ لكلِّ ما في المدينةِ أم خاصٌّ؟  
**الجوابُ:** ظاهرُ الحديثِ أنه فيما يُكَالُ فقط، لكن لا يَمْنَعُ أن الله يُبارِكُ في الجميعِ، لكن ما يَشْمَلُهُ الدعاءُ هو الذي يُكَالُ فقط.



ثم قال البخاري رحمه الله تعالى:

٧٣٣٢- حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمُنْذِرِ، حَدَّثَنَا أَبُو ضَمْرَةَ، حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ عُقْبَةَ، عَنْ نَافِعٍ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ، أَنَّ الْيَهُودَ جَاءُوا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ بِرَجُلٍ وَامْرَأَةٍ زَيْنًا، فَأَمَرَ بِهِمَا فَرَجِمَا قَرِيبًا مِنْ حَيْثُ تَوَضَّعُ الْجَنَائِزُ عِنْدَ الْمَسْجِدِ<sup>(٢)</sup>.

الظاهرُ في هذا الحديثِ أنهما كانا مُحَصَّنَيْنِ، وكان الرجمُ واجبًا في شريعةِ موسى ﷺ، لكن لما كثر الزنا في أشرافهم، ساءَ لهم أن يُرَجِمَ الأشرافُ، فأبدلوا هذه العقوبةَ بعقوبةٍ أُخرى؛ وهي أن تُحَمَّمَ وجوهُهما؛ يعني: تُسَوَّدُ، وأن يَرْكَبَا على غيرِ؛ أي: على حمارٍ، ويكونُ وجهُ الرجلِ إلى دُبُرِ الحمارِ، ويكونُ وجهُ الأنثى إلى وجهِ الحمارِ أو العكسِ، ويُطَافُ بهما في الأسواقِ. إظهارًا لما حصلَ منهما مِنَ الفاحشةِ، وكانوا يُتَقَذَّونَ ذلك مع قلقٍ<sup>(٣)</sup>.

فلما قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ المدينةَ قالوا: اتُّوا هذا الرجلُ لعلَّه يَجِدُ لكم مخلصًا، وَيَسْهَلُ عليهم أن يُؤْمِنُوا بالرسولِ مِنْ وجهِهِ، وَيَكْفُرُوا بِهِ مِنْ وجهِهِ آخَرَ؛ يعني: لو قال لهم: الحدُّ كذا وكذا اتبعوه ولا يَهْمُهم، ولكنَّ الرسولَ ﷺ أحالهم على التوراةِ، فقالوا: لا نجدُ الرجمَ في التوراةِ، فدعا بها، فجاءوا بالتوراةِ فجعلوا يقرأونها على رسولِ الله ﷺ، فوضَعَ القارئُ يدهُ على آيةِ الرجمِ، وكان عبدُ الله بنُ سلامٍ حاضِرًا، وهو عالمٌ مِنْ علماءِ اليهودِ يَعْرِفُ التوراةَ، فقال للرجلِ: ارفَعْ يَدَكَ؛ يعني: عن الآيةِ التي فيها الرجمُ، فرفَعَ يدهُ، فإذا آيةُ الرجمِ تَلَوَّحُ فيها

(١) قال ابن مفلح رحمه الله في «الفروع» (٢/ ٣١٥): والوسق، الصاع كيلان لا صنجتان نقل إلى الوزن ليحفظ وينقل. وانظر: «المبدع» (٢/ ٣٤٣)، و«الإنصاف» (١/ ٢٨٥)، و«كشف القناع» (١/ ١٥٥).

(٢) رواه مسلم (٣/ ١٣٢٦) (١٦٩٩) (٢٦) دون قوله: قريًا من حيث توضع الجنائز عند المسجد.

(٣) انظر: ما رواه البخاري (٦٨٤١)، ومسلم (٣/ ١٣٢٧) (١٧٠٠) (٢٨).

واضحاً، فأمر بهما الرسول ﷺ فرجها. قال الراوي: فرأيت الرجل يحني ظهره على المرأة يقيها من الحجارة<sup>(١)</sup>. وهذا يدل على شدة تعلقه بها فرجها النبي ﷺ من حيث توضع الجنائز عند المسجد.

**وفي هذا:** دليل على أن مصلى الجنائز غير المسجد، بل هو إلى جوار المسجد، وهو كذلك، لكن هذا لا يمنع أن يصلى على الجنائز في المسجد، فقد ثبت أن النبي ﷺ صلى على ابني بيضاء في المسجد<sup>(٢)</sup>.

وقد يؤخذ من هذا الحديث أنه تنبغي إقامة الحدود قرب المساجد كما يصنع اليوم؛ لأن ذلك تحصل به إشاعة هذه الحدود.



ثم قال البخاري رحمه الله:

٧٣٣٣- حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ، حَدَّثَنِي مَالِكٌ، عَنْ عَمْرِو مَوْلَى الْمُطَّلِبِ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ طَلَعَ لَهُ أَحَدٌ، فَقَالَ: «هَذَا جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ، اللَّهُمَّ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ حَرَّمَ مَكَّةَ، وَإِنِّي أَحَرَّمُ مَا بَيْنَ لَابَتَيْهَا». تَابَعَهُ سَهْلٌ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي أَحَدٍ<sup>(١)</sup>.

قوله: «أحد». هو الجبل المحيط بالمدينة من ناحية الشمال، وهو أكبر جبال المدينة، وقد حصل عنده الواقعة المشهورة؛ ولهذا كان النبي ﷺ يحب هذا الجبل، لما حصل حوله من هذه المعركة التي فيها من المصالح العظيمة، مذكّره الله ﷻ في آيات آل عمران، واستطرد لها الحافظ ابن القيم رحمه الله في زاد المعاد، وذكر من الفوائد ما يحسن لطالب العلم أن يراجعها<sup>(٢)</sup>.

ولو كانت المسألة في غير النبي ﷺ، لكان الرجل المهزوم عنده يتشاءم به، ويُبغضه، ويكرهه، لكن النبي ﷺ قال: «إنه يحبنا ونحبه».

**وفي هذا:** دليل على أن الجهادات لها شعور؛ لأن الأصل فيما يُضاف إلى الفاعل أنه حقيقة، فيكون الجبل يحب النبي ﷺ، والرسول ﷺ يحبه، وعلى هذا فلا يرد إشكال في قوله تعالى: ﴿

(١) راجع الحاشيتين السابقتين.

(٢) رواه مسلم (٦٦٨/٢) (٩٧٣) (٩٩).

(٣) رواه مسلم (٩٩٣/٢) (١٣٦٥) (٤٦٢) وأما متابعة سهل فقد تقدم الكلام عليها في الزكاة، باب خرص التمر، (١٤٨١) وانظر: «الفتح» (٣/٣٤٣، ٣٤٤).

(٤) انظر: «زاد المعاد» (٣/١٩٢-٢٤٢).



فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ ﴿[الْكَافَّة: ٧٧]﴾. حَيْثُ أَنْكَرَ بَعْضُ النَّاسِ الْإِرَادَةَ مِنَ الْجِدَارِ، وَقَالَ: إِنَّ إِرَادَةَ الْجِدَارِ أَنْ يَنْقَضَ كَنَايَةٌ عَنْ مَيْلِهِ لِلْسُقُوطِ، وَلَيْسَ عَنْ إِرَادَةٍ حَقِيقِيَّةٍ <sup>(١)</sup>.

وَالصَّوَابُ: أَنَّ الْجِدَارَ لَهُ إِرَادَةٌ حَقِيقِيَّةٌ كَمَا أَخْبَرَ عَنْهَا عَلَّامُ الْغُيُوبِ؛ الْخَالِقُ الَّذِي قَالَ عَنْ نَفْسِهِ: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ ﴿[الْمَلَك: ١٤]﴾. وَهَذِهِ الْأَرْضُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا، فَتُكَلِّمُ وَتُنْطِقُ: بِأَنَّهُ فَعِلَ عَلَيْهَا كَذَا وَكَذَا، أَوْ سَمِعَتْ كَذَا وَكَذَا، فَلَهَا سَمْعٌ، وَلَهَا بَصَرٌ، وَلَهَا نَطْقٌ، وَلَا يَجُوزُ لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَتَوَقَّفَ فِي مَدْلُولِ كِتَابِ اللَّهِ، وَسِنَةِ رَسُولِهِ ﷺ، فِي أَمْرٍ يُحَارِ فِيهِ عَقْلُهُ، فَالْعَقُولُ لَا تُدْرِكُ هَذِهِ الْأُمُورَ، لَكِنَّ خَالِقَ الْعُقُولِ، وَخَالِقَ هَذِهِ الْجِمَادَاتِ هُوَ الَّذِي أَخْبَرَنَا بِأَنَّ لَهَا إِرَادَةً، وَالنَّبِيَّ ﷺ أَخْبَرَنَا بِأَنَّ لَهَا مَحَبَّةً.

❖ قَوْلُهُ: «يُحِبُّنَا». هَلْ هَذَا الْوَصْفُ يَنْطَبِقُ عَلَى كُلِّ أَمَةٍ الرُّسُولِ ﷺ، أَوْ خَاصٌّ بِالرُّسُولِ ﷺ، وَبِمَنْ كَانَ مَعَهُ؟

**الجواب:** الظاهر الثاني. أما نحنُ فنُحِبُّ أَحَدًا، وَلَا نَكْرَهُهُ، وَلَا نَتَشَاءُ بِهِ، وَمَعَ ذَلِكَ لَا نُعْظِمُهُ بِشَيْءٍ لَمْ يُعْظِمَهُ الرُّسُولُ ﷺ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِهِ.

**وفي هذا الحديث:** دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ حَرَّمَ مَا بَيْنَ لَابَتَيْهَا؛ أَي: مَا بَيْنَ الْحَرَّتَيْنِ، وَلَكِنَّ هَذَا التَّحْرِيمَ كَمَا سَبَقَ، لَيْسَ كَتَحْرِيمِ مَكَّةَ، لَا فِي الْقُوَّةِ، وَلَا فِي الْإِتْفَاقِ عَلَيْهِ؛ فَإِنَّ تَحْرِيمَ الْمَدِينَةِ فِيهِ خِلَافٌ، وَتَحْرِيمُ مَكَّةَ ثَابِتٌ بِالْإِجْمَاعِ <sup>(١)</sup>.

\*\*\*

ثم قال البخاري رحمه الله تعالى:

٧٣٣٤- حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي مَرْيَمَ، حَدَّثَنَا أَبُو غَسَّانَ، حَدَّثَنَا أَبُو حَازِمٍ، عَنْ سَهْلِ، أَنَّهُ كَانَ بَيْنَ جِدَارِ الْمَسْجِدِ وَمَا يَلِي الْقِبْلَةَ وَبَيْنَ الْمِنْبَرِ مَرُّ الشَّائِءِ <sup>(٢)</sup>.

**هذا الحديث فيه بيان:** أَنَّ الْمِنْبَرَ لَيْسَ لاصِقًا بِالْجِدَارِ، بَلْ مُتَقَدِّمًا عَلَيْهِ؛ وَلِهَذَا تَجِدُونَ الْعُلَمَاءَ يَتَكَلَّمُونَ عَنِ الصَّفِّ الْأَوَّلِ فِي الْمَسْجِدِ، هَلْ هُوَ الَّذِي يَلِي الْإِمَامَ، أَوْ مَا يَقْطَعُهُ الْمِنْبَرُ <sup>(٣)</sup>؟

(١) انظر: «الإحكام» للآمدي (١/ ٧٥)، و«المستصفى» (١/ ٨٤)، و«المحصول» (١/ ٤٦٢)، و«المعتمد» (١/ ٢٤). كذلك غالب من قال بوقوع المجاز في القرآن الكريم، تجده يتبنى هذا القول. والله أعلم.

(٢) انظر: «الاستذكار» لابن عبد البر (١٧٦٩١) (١٩١٩٨)، و«المجموع» للنووي (٧/ ٤٥١)، و«الإقناع في مسائل الإجماع» لابن القطان (١/ ٢٩٧) (١٦٨٧).

(٣) رواه مسلم (١/ ٣٦٤) (٥٠٩) (٢٦٣).

(٤) قال صاحب «المغني» (٢/ ١٠٢): الصف الأول الذي يقطعه المنبر، أو الذي يليه. والصحيح أنه الذي يقطعه

دائماً الإنسان يسأل ما معنى قولهم يقطع المنبر؟ ولكن إذا عرِفَ أن المنابرَ فيها سبقَ كانت توضع دونَ جدارِ القبلة، عرِفَ أن المنبرَ يقطعُ الصفَّ الأولَ، لأنه يحولُ بينَ اتصالهِ المنبرِ، فيتضحُ المعنى في قولِ العلماء هل هو ما يلي الإمام، أو ما يقطعُه المنبرُ.

**وفي هذا:** دليلٌ على بساطةِ الأولين، وسهولةِ أمرهم؛ لأنه لم يقلْ قدرَ شبر، أو ذراع، أو ذهبَ يذرعه بمرقه، بل قدره هذا التقدير، فقال: «ممرُ الشاة». وممرُ الشاة قد يكونُ كبيراً، وقد يكونُ شاةً صغيرةً، وقد تكونُ تمرُّ بسهولة، وقد تكونُ تمرُّ بضيق، ولكنَّ الناسَ فيها سبقٌ ولا سيما في عصر الصحابة تجدُ أن أمرهم كلُّه سهلٌ وبسيطٌ، وأنهم بعيدون عن التعمقِ أشدَّ البعدِ.

وأما نحن فشددنا فشدد الله علينا فصرنا الآن نقدرُ حتى قدرَ الملمِتر، وعلى كل حال فهذه الدقة العظيمة قد لا نحتاجُ إليها في كلِّ شيءٍ، ففي بعضِ الأشياءِ ربما نحتاجُ إليها، وأما في كلِّ شيءٍ يذهبُ الإنسانُ، ويتعمَّقُ هذا التعمقُ الشديدُ الذي يتعبُ نفسه، ويتعبُ غيره فلا شك أن هذا خلاف ما كان يفعله الصحابةُ رضي الله عنهم.



ثم قال البخاري رحمه الله:

٧٣٣٥- حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ عَلِيٍّ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ، حَدَّثَنَا مَالِكٌ، عَنْ خُصَيْبِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ حَفْصِ بْنِ عَاصِمٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا بَيْنَ بَيْتِي وَمِنْبَرِي رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ، وَمِنْبَرِي عَلَى حَوْضِي»<sup>(١)</sup>.

يُروى هذا الحديثُ: «ما بين قبري ومنبري». لكنَّ هذا ليس بصحيحٍ؛ لأنَّ الرسولَ ﷺ حينَ تكلم بهذا، لم يكن له قبرٌ، لكن كان له بيتٌ، واللفظُ المذكورُ «ما بين قبري» ليس في الصحيحين، ولا في

المنبر، لأنه هو الأول في الحقيقة، ولو كان الأول ما دونه لأفضى إلى خلط ما يلي الإمام، ولأن أصحاب النبي ﷺ كان يليه فضلائهم ولو كان الصف الأول وراء المنبر لوقفوا فيه اهـ. وانظر: «المبدع» (١/ ٤٢٧)، و«الإنصاف» (٤١/ ٢)، و«الفروع» (١/ ٣٥٨).

(١) رواه مسلم (١٠١١/ ٢) (١٣٩١) (٥٠٢).

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده (٦٤/ ٣) (١١٦١٠)، وأبو يعلى (١٣٤١)، والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (٧٠/ ٤)، والطبراني في «الكبير» (١٣١٥٦)، والعقيلي في «الضعفاء» (٧٣/ ٤). وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في «القاعدة الجليلة» ص ٧٤: قوله: «في بيتي» هذا هو الثابت الصحيح، ولكن بعضهم رواه بالمعني فقال: قبري وهو ﷺ حين قال هذا لم يكن قد قبر ﷺ؛ لهذا لم يحتج بهذا الحديث أحد من الصحابة حيث تنازعوا في موضع دفنه، ولو كان هذا عندهم لكان هذا نصاً في محل النزاع اهـ.



أَحَدِهِمَا، وَالصَّوَابُ: «مَا بَيْنَ بَيْتِي وَمَنْبَرِي رَوْضَةٌ مِنَ رِيَاضِ الْجَنَّةِ».

وَمَعْنَى: «الرَّوْضَةُ مِنَ رِيَاضِ الْجَنَّةِ» أَنَّهُ مَحَلُّ غَرْسٍ، وَزَرْعٌ لِلْعَمَلِ الصَّالِحِ، فَيُقِيدُ أَنَّهُ يَنْبَغِي لِلإِنْسَانِ أَنْ يُكَثِّرَ الْعَمَلَ الصَّالِحَ فِي هَذَا الْمَكَانِ؛ مِنْ صَلَاةٍ، أَوْ ذِكْرٍ، أَوْ قِرَاءَةٍ. وَلَكِنْ الصَّلَاةُ فِي الرَّوْضَةِ الْآنَ قَدْ يَكُونُ فِيهَا مَشَقَّةٌ شَدِيدَةٌ؛ لَشِدَّةِ الزَّحَامِ، حَتَّى إِنَّهُ لَا يَكَادُ يَطْمَئِنُّ الْمُصَلِّي فِي صَلَاتِهِ، فَهَلِ الْأَوَّلَى الصَّلَاةُ فِي الرَّوْضَةِ، أَوِ الْأَوَّلَى الصَّلَاةُ فِي الْمَسْجِدِ؟ هَذَا يَنْبَغِي عَلَى قَاعِدَةٍ سَبَقَ ذِكْرُهَا، وَهِيَ أَنْ مَرَاعَاةَ مَا يَتَعَلَّقُ بِالْعِبَادَةِ أَوْلَى مِنْ مَرَاعَاةِ مَا يَتَعَلَّقُ بِالزَّمَانِ أَوِ الْمَكَانِ.

قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «وَمَنْبَرِي عَلَى حَوْضِي». الظَّاهِرُ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - أَنْ مَعْنَاهُ أَنْ مَنْبَرَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُوَضَّعُ عَلَى حَوْضِهِ، حَتَّى يُشَاهِدَ أُمَّتَهُ وَهِيَ تَرُدُّ هَذَا الْحَوْضَ، وَتَشْرَبُ مِنْهُ، حَتَّى إِنَّهُ يُذَادُ أَنَاسٌ وَرَدُّوا الْحَوْضَ، فَيَقُولُ: «يَا رَبِّ أُمَّتِي أُمَّتِي»<sup>(١)</sup>.

ثُمَّ هَلِ الْمَرَادُ الْمَنْبَرُ عَيْنًا، أَمْ الْمَنْبَرُ جَنَسًا؟

**الْجَوَابُ أَنْ يَقَالَ:** إِنْ كَانَ الْمَرَادُ الْمَنْبَرُ عَيْنًا، فَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، حَتَّى لَوْ تَلَفَ الْمَنْبَرُ الَّذِي فِي عَهْدِ الرَّسُولِ ﷺ، فَاللَّهُ تَعَالَى قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْشِئَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، كَمَا يُنْشِئُ الْأَجْسَامَ إِذَا بَلَّيَتْ فِي الْأَرْضِ.

وَإِنْ كَانَ الْمَرَادُ الْمَنْبَرُ جَنَسًا، فَلَا إِشْكَالَ؛ أَيُّ: أَنَّهُ يُوَضَّعُ لَهُ مَنْبَرٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يَكُونُ لَانْتِقَاً بِذَلِكَ الْيَوْمِ.

ثُمَّ قَالَ الْبَخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٣٣٦- حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ، حَدَّثَنَا جُوَيْرِيَّةُ، عَنْ نَافِعٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ بَيْنَ الْخَيْلِ، فَأَرْسَلَتِ الَّتِي ضَمَرْتُ مِنْهَا وَأَمَدَّهَا إِلَى الْحَفِيَاءِ إِلَى ثَنِيَّةِ الْوُدَاعِ، وَالَّتِي لَمْ تُضَمَّرْ أَمَدَّهَا ثَنِيَّةَ الْوُدَاعِ إِلَى مَسْجِدِ بَنِي زُرَيْقٍ، وَأَنَّ عَبْدَ اللَّهِ كَانَ فِيمَنْ سَبَقَ<sup>(١)</sup>.

**الشَّاهِدُ هُنَا ذِكْرُ هَذِهِ الْأَمْكِنَةِ:** «الْحَفِيَاءِ، ثَنِيَّةُ الْوُدَاعِ، مَسْجِدُ بَنِي زُرَيْقٍ». وَكُلُّ هَذَا الْآنَ بِالنِّسْبَةِ لِي غَيْرُ مَعْرُوفٍ، لَكِنْ رَبِّمَا لَوْ أَنَّ أَحَدًا تَبَعَ الْأَثَارَ فِي الْمَدِينَةِ، يُمَكِّنُ أَنْ يَعْرِفَ هَذِهِ الْأَمَاكِنَ، وَالْمَسَافَاتِ الَّتِي بَيْنَهَا.

لَكِنْ يُؤْخَذُ مِنْهَا مِنْ حَيْثُ الْحَكْمُ، الْمَسَابَقَةُ بَيْنَ الْخَيْلِ، وَأَنَّهُ مِنَ السَّنَةِ، وَمِثْلُ ذَلِكَ الْمَسَابَقَةُ الْآنَ فِي الدَّرَاجَاتِ الْعَسْكَرِيَّةِ، وَكَذَلِكَ فِي السَّفَنِ الْعَسْكَرِيَّةِ، وَكَذَلِكَ فِي الطَّائِرَاتِ

(١) رواه البخاري (٧٠٤٨)، ومسلم ١٧٩٤/٤ (٢٢٩٣).

(٢) رواه مسلم (١٤٩١/٣) (١٨٧٠) (٩٥).

العسكرية، وكل شيء بحسبه.

ثم قال البخاري رحمه الله:

٧٣٣٧- حَدَّثَنَا قَتِيبَةُ، عَنْ لَيْثٍ، عَنْ نَافِعٍ، عَنْ ابْنِ عَمَرَ، ح. وَحَدَّثَنِي إِسْحَاقُ، أَخْبَرَنَا عِيسَى، وَابْنُ إِدْرِيسَ، وَابْنُ أَبِي عَيْنَةَ، عَنْ أَبِي حَيَّانَ، عَنِ الشَّعْبِيِّ، عَنِ ابْنِ عَمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: سَمِعْتُ عُمَرَ عَلَى مِنْبَرِ النَّبِيِّ ﷺ<sup>(١)</sup>.

٧٣٣٨- حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ، أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، أَخْبَرَنِي السَّائِبُ بْنُ يَزِيدَ، سَمِعَ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ خَطْبًا عَلَى مِنْبَرِ النَّبِيِّ ﷺ.

٧٣٣٩- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْأَعْلَى، حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ حَسَّانَ أَنَّ هِشَامَ بْنَ عُرْوَةَ حَدَّثَهُ عَنْ أَبِيهِ: أَنَّ عَائِشَةَ قَالَتْ: كَانَ يُوضَعُ لِي وَلِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ هَذَا الْمَرْكَنُ، فَتُسْرَعُ فِيهِ جَمِيعًا<sup>(٢)</sup>.

قول المصنف: «ح»؛ يعني: تحويل السند؛ أي: أنه رحمه الله تحوّل من السند الأول إلى السند الثاني، وهو يُشبه ما يُعرف في الاصطلاح بالمتابعه؛ يعني: أن أهل السند الثاني تابَعُوا أهل السند الأول.

وفي نسخة في الحديث الثاني خطيباً على منبر النبي ﷺ.

❖ وقولها: «هذا المَرَكَنُ». أي: أن هذا من آثار الرسول ﷺ، والمَرَكَنُ الذي كانت عائشة تُشير إليه، كان موجوداً بعد موته ﷺ.

❖ وقولها: «يُوضَعُ لِي» الظاهر أن الذي يَضَعُ لها، أو لهما الخادم، مثل بريرة أو غيرها.

❖ وقولها: «تُسْرَعُ فِيهِ جَمِيعًا». أي: نغتسل فيه جميعاً، أو نَعْمَلُ فيه جميعاً، والمَرَكَنُ نوع من الأواني.

ثم قال البخاري رحمه الله:

٧٣٤٠- حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ حَدَّثَنَا عَبْدُ بْنُ عَبَّادٍ حَدَّثَنَا عَاصِمٌ الْأَحْوَلُ عَنْ أَنَسٍ قَالَ: خَالَفَ النَّبِيُّ ﷺ بَيْنَ الْأَنْصَارِ وَقُرَيْشٍ فِي دَارِیِ التِّي بِالْمَدِينَةِ<sup>(٣)</sup>.

٧٣٤١- وَقَنْتَ شَهْرًا يَدْعُو عَلَى أَحْيَاءٍ مِنْ بَنِي سُلَيْمٍ<sup>(٤)</sup>.

الشاهد قوله: «في دَارِیِ التِّي بالمدينة» وهي من الآثار.

(١) رواه مسلم (٢٣٢٢/٤) (٣٠٣٢) (٣٢).

(٢) رواه مسلم (٢٥٦/١) (٣٢١) (٤٣) أن عائشة قالت: كنت اغتسل أنا ورسول الله ﷺ من إناء واحد ونحن جنبان.

(٣) رواه مسلم (١٩٦٠/٤) (٢٥٢٩) (٢٠٥).

(٤) رواه مسلم (٤٦٩/١) (٦٧٧) (٣٠٤) بلفظ: قنت شهراً يدعو على أحياء من أحياء العرب ثم تركه.



❖ وقوله: «قنت شهراً يدعوا على أحياء من بني سليم».

**وهذا فيه دليل:** على تقييد القنوت بالشهر، لكن هل معني ذلك أنه قيّد بالشهر لزوال العلة، وإتيان هؤلاء القوم مسلمين، أو لئلا يحصل الملل والكسل؟

**الجواب:** على كل حال أذكركم أنه قيّد لنا القنوت للبوسنة والهرسك، وعلى أعدائهم من الصّرب والكروات شهراً - من خمسة عشر ذي القعدة، إلى خمسة عشر ذي الحجة - وانتهى الشهر. لكن لا يعني هذا أنه ينتهي دُعاؤنا لهم؛ أي: للبوسنة والهرسك، والدعاء على هؤلاء النصارى لعنة الله على النصارى جميعاً.

بل ادعوا لهم في السجود، وبين الأذان والإقامة، وفي آخر الليل، وفي كل مناسبة؛ لأنهم في حاجة إلى دعائكم لهم، فهُمْ على وشك أن يبادوا جميعاً، وتدمر ديارهم من تآمر النصارى عليهم من كل صوب.

فهي مؤامرة ظاهرة واضحة جداً ولا تُشكّل على أيّ واحد أنها مؤامرة، فنسأل الله ﷻ أن يدمر كلّ عدو للمسلمين، وأن يجعل كيدهم في نحورهم، والله المستعان.

أنا أوصيكم ونفسي بالدعاء لهم والإلحاح، فالدعاء أعظم سلاح؛ لأنه بكلّ بساطة أقول لكم: الذي يحمل هؤلاء على غزو هؤلاء المسلمين هو ما وقع في قلوبهم من الإرادة وما أمّلوه من الانتصار، والإرادة بيد الله عز وجل، والانتصار أو فرح القلب بما حصل من نصر من الله، والله تعالى قادر على أن يُلقي في قلوبهم كراهة الحرب، ويُلقي في قلوبهم الرعب، حتى يَنخِذُوا أمام المسلمين، ويلقّطوهم لقط الجعلان، فالله على كل شيء قدير.

ولا تظنّ أن المسألة القوة المادية فقط، بل هناك شيء فوق القوة المادية، فالقوة المادية مسخرة، والقوة المادية تخضع لإرادة المحرك لها، فإذا لم يكن في المحرك إرادة، لا تتحرك، وإذا كان في قلبه الرعب يخاف حتى من ظله، ولن يتحرك.

فلهذا لا تياسوا من رحمة الله، وأكثرُوا من الدعاء على أعداء المسلمين عموماً، وعلى الكروات والصّرب خصوصاً، وادعوا الله بالنصر لكلّ من جاهد في سبيل الله، وبالأخصّ البوسنة والهرسك؛ لأنهم في حاجة لنا نسأل الله أن يُفرّج عنهم.

وفي قنوت النوازل، هل يجوز للإمام أن يقول: اللهم اغفر لي ولوالدي. أم يدعو فقط للمسلمين، ويدعوا على أعداء المسلمين؟

**الجواب:** أنه إذا قال: اللهم اغفر لي ولوالدي. وقال الناس: آمين. فهذا مشكّل فقد حرّمهم، وخصّ

نفسه؛ ولهذا جاء في الحديث: ما من إمام يدعو ليخص نفسه بالدعاء إلا خان المأمومين<sup>(١)</sup>.  
ولا يخص هذا بدعائه ﷺ لنفر مخصوصين؛ لأن هذا هو الأصل، ولكن نقول: لعله بالتابع، ويثبت تبعاً ما لا يثبت استقلالاً.

ثم قال البخاري رحمه الله تعالى:

٧٣٤٢- حَدَّثَنِي أَبُو كُرَيْبٍ، حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ، حَدَّثَنَا بَرِيدٌ، عَنْ أَبِي بُرْدَةَ، قَالَ: قَدِمْتُ الْمَدِينَةَ فَلَقَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ، فَقَالَ لِي: انْطَلِقْ إِلَى الْمَنْزِلِ فَأَسْقِيكَ فِي قَدَحٍ شَرِبَ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَتُصَلِّي فِي مَسْجِدٍ صَلَّى فِيهِ النَّبِيُّ ﷺ. فَأَنْطَلَقْتُ مَعَهُ، فَأَسْقَانِي سَوِيْقًا، وَأَطْعَمَنِي تَمْرًا، وَصَلَّيْتُ فِي مَسْجِدِهِ.

في هذا الحديث أثران من آثار النبي ﷺ.

فالأثر الأول: القَدَحُ.

والأثر الثاني: المسجد.

**وفي هذا:** عرض الهدية على المهدى إليه، وهو لا يضُرُّ، ولا يُقَالُ: إن هذا من البخل كما تقول العامة: مَنْ قال تَبَغَّى ما أعطى. فأحياناً يعرض الإنسان الهدية من باب التيسير والإيضاح، لا من باب المن؛ لأنه لو كان لا يريد العطاء لسكت، وما الذي يُدْرِكُ أن عنده شيئاً يريد أن يهديه.

فهذا القَدَحُ الذي عند عبد الله بن سلام، ما الذي يُدْرِي أبا بُرْدَةَ عنه، فلو لا أنه يريد أن يمنحه هذه الهدية، وهي أن يشرب من القَدَحِ الذي شرب منه النبي ﷺ - ما عرضه عليه.

وهل يؤخذ من هذا الحديث التبرك بآثار النبي ﷺ؟

**الجواب:** أنه ربما يؤخذ منه التبرك بآثاره، لكنه خاص به ﷺ، فيجوز أن تبرك بشيائه وبريقه، وتبرك أيضاً بآثاره التي شرب بها، أو لبسها، ويَحْتَمِلُ أن يكون من شدة محبة الإنسان للرسول ﷺ، يُحِبُّ أن يشرب بالإناء الذي شرب منه. كما كان ﷺ يَتَّبِعُ الإناء الذي شرب منه عائشة رضي الله عنها، ويشرب من محل فيها، وكذلك يأخذ العظم الذي تعرفته، فيتعرقه ﷺ.

فهذه الأشياء قد يراد بها التبرك، وقد يراد بها بيان كمال المحبة.

(١) رواه الترمذي (٣٥٧)، وابن ماجه (٩٢٣)، وضعفه الشيخ الألباني كما في تعليقه على «السنن».

(٢) رواه مسلم ١/ ٢٤٥ (٣٠٠)، (١٤).



قال ابن حجر رحمته الله تعالى في «الفتح» (٣١١/١٣):

❦ قوله: «فانطلقتُ معه، فأسْقاني سويقًا، وأطعمني تمرًا» قد مضى في مناقبِ عبدِ الله بنِ سلام، من طريقِ سعيد بنِ أبي بُردة عن أبيه بلفظ: «أَلَا تَجِيءُ فَأُطْعِمُكَ سَوْيِقًا وَتَمْرًا» فكأنه استعملَ الإطعامَ بالمعنى الأعمّ، وليس هذا من قبيل: علَفَتهَا تَبْنًا وَمَاءً.

لأنه إما من الاكتفاء، وإما من التضمين ولا يحتاجُ لذلك هنا؛ لأن الطعامَ يُستعملُ في الأكل والشرب، وقد بينَ في الروايةِ الأخرى أنه أسقاه السويقَ. اهـ  
لو قال: أطعمني سويقًا ما فيه إشكالٌ، ولكنه قال: فأسقيكَ في قدحٍ شربَ منه رسولُ الله ﷺ، فانطلقتُ معه فسقاني سويقًا، فالذي أشكلُ كيف يُقال: إنَّ السويقَ يُسقى، إلا أن المراد أن السقيا هنا بمعنى الإطعام، وليس هذا بمستنكر، لأن الله قال: ﴿فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي﴾ [البقرة: ٢٤٩]. أو نقول: إن السويقَ يُستعملُ على وجهين: على وجهٍ رقيقٍ، وعلى وجهٍ غليظٍ. فالغليظُ يُطعمُ والرقيقُ يُسقى.

**إنما الشاهدُ من هذا هو:** أن هنا أثرين من آثارِ رسولِ الله ﷺ: وهما هذا القدحُ، والمسجدُ. والله أعلم.

قال ابن حجر رحمته الله تعالى في «الفتح» (١٠٠/٤):

فأما الحديثُ الأوّلُ في المنبرِ فقوله: «ما بين بيتي ومنبري» كذا للأكثر، ووقع في رواية ابنِ عساكرَ وحده قبري بدلَ «بيتي» وهو خطأ، فقد تقدّمَ هذا الحديثُ في كتابِ الصلاةِ قُبيلَ الجنائزِ بهذا الإسنادِ بلفظ: «بيتي» وكذلك هو في مسندِ مسددٍ شيخِ البخاريِّ فيه، نعم، وقع في حديثِ سعدِ بنِ أبي وقاصٍ عندَ البزارِ بسندٍ رجاله ثقاتٌ، وعندَ الطبراني من حديثِ ابنِ عمرَ بلفظِ القبر، فعلى هذا المرادُ بالبيتِ في قوله: «بيتي» أحدُ بيوتِهِ لا كُلُّها؛ وهو بيتُ عائشةَ الذي صار فيه قَبْرُهُ وقد وردَ الحديثُ بلفظ: «ما بين المنبرِ وبيتِ عائشةَ روضةٌ من رياضِ الجنة» أخرجه الطبرانيُّ في الأوسط.

قوله: «روضةٌ من رياضِ الجنة». أي: كروضةٍ من رياضِ الجنةِ في نزولِ الرحمة، وحصولِ السعادةِ بما يحصلُ من ملازمةِ حَلَقِ الذكرِ، لا سيما في عهدِهِ ﷺ فيكونُ تشبيهاً بغيرِ أداة، أو المعنى أن العبادةَ فيها تُؤدِّي إلى الجنةِ فيكونُ مجازًا، أو هو على ظاهره وأن المرادُ أنه روضةٌ حقيقةً، بأن يتَّقى ذلك الموضعُ بعينه في الآخرةِ إلى الجنةِ. هذا مُحصلُ ما أوَّلَه العلماءُ

في هذا الحديث، وهي على ترتيبها هذا في القوة.

❦ وأما قوله: «ومنبري على حوضي» أي: يُنْقَلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُنْصَبُ عَلَى الْحَوْضِ، وَقَالَ الْأَكْثَرُ: الْمَرَادُ مَنْبَرُهُ بَعَيْنُهُ الَّذِي قَالَ هَذِهِ الْمَقَالَةُ وَهُوَ فَوْقَهُ. وَقِيلَ: الْمَرَادُ الْمَنْبَرُ الَّذِي يَوْضَعُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَالْأَوَّلُ أَظْهَرُ. وَيُؤَيِّدُهُ حَدِيثُ أَبِي سَعِيدٍ الْمَتَقَدِّمِ، وَقَدْ رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي «الْكَبِيرِ» مِنْ حَدِيثِ أَبِي وَقْدٍ اللَّيْثِيِّ رَفَعَهُ: «إِنْ قَوَائِمُ مَنْبَرِي رَوَاتِبُ فِي الْجَنَّةِ»، وَقِيلَ: مَعْنَاهُ أَنَّهُ قَصْدُ مَنْبَرِهِ، وَالْحَضُورُ عِنْدَهُ لِمُلَازِمَةِ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ يَوْمَ صَاحِبِهِ إِلَى الْحَوْضِ، وَيَقْتَضِي شَرَبَهُ مِنْهُ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَنَقَلَ ابْنُ زُبَيْلَةَ: أَنَّ ذَرَعَ مَا بَيْنَ الْمَنْبَرِ وَالْبَيْتِ الَّذِي فِيهِ الْقَبْرُ الْآنَ ثَلَاثٌ وَخَمْسُونَ ذِرَاعًا، وَقِيلَ: أَرْبَعٌ وَخَمْسُونَ وَسَدْسٌ وَقِيلَ خَمْسُونَ إِلَّا ثُلْثِي ذِرَاعٍ، وَهُوَ الْآنَ كَذَلِكَ، فَكَانَهُ نَقْصٌ لَهَا أَدْخَلَ مِنَ الْحَجَرَةِ فِي الْجِدَارِ، وَاسْتَدَلَّ بِهِ عَلَى أَنَّ الْمَدِينَةَ أَفْضَلُ مِنْ مَكَّةَ؛ لِأَنَّهُ أَثَبَّتَ أَنَّ الْأَرْضَ الَّتِي بَيْنَ الْبَيْتِ وَالْمَنْبَرِ مِنَ الْجَنَّةِ، وَقَدْ قَالَ فِي الْحَدِيثِ الْآخِرِ: «لِقَابُ قَوْسٍ أَحَدَكُمْ فِي الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا». وَتَعَقَّبَهُ ابْنُ حَزْمٍ، بِأَنَّهُ قَوْلُهُ: إِنَّهَا مِنَ الْجَنَّةِ مُجَازٌ، إِذْ لَوْ كَانَتْ حَقِيقَةً لَكَانَتْ كَمَا وَصَفَ اللَّهُ الْجَنَّةَ: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى﴾ [زُكُلَةُ: ٢١٨]. وَإِنَّمَا الْمَرَادُ أَنَّ الصَّلَاةَ فِيهَا تُوْدِي إِلَى الْجَنَّةِ كَمَا يُقَالُ فِي الْيَوْمِ الطَّيِّبِ: هَذَا مِنْ أَيَّامِ الْجَنَّةِ، وَكَمَا قَالَ ﷺ: «الْجَنَّةُ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ». قَالَ: ثُمَّ لَوْ ثَبَتَ أَنَّهُ عَلَى الْحَقِيقَةِ لَمَا كَانَ الْفَضْلُ إِلَّا لَتِلْكَ الْبَقْعَةِ خَاصَّةً.

فَإِنْ قِيلَ: إِنْ مَا قَرَّبَ مِنْهَا أَفْضَلُ مِمَّا بَعْدَ، لَزِمَهُمْ أَنْ يَقُولُوا: إِنْ الْجَحْفَةَ أَفْضَلُ مِنْ مَكَّةَ، وَلَا قَائِلَ بِهِ. اهـ

صار فيها الآن قولان: هل المنبر بعينه، أو بجنسه؟

الجواب: والأقرب أنه بجنسه، ولكن كونه بعينه لا مانع منه، وإن كان الآن قد تلف وزال، فالله ﷻ قادرٌ على أن يعيده.

ثم قال البخاري رحمه الله تعالى:

٧٣٤٣- حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ الرَّبِيعِ، حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ الْمُبَارَكِ، عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ، حَدَّثَنِي عِكْرَمَةُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حَدَّثَهُ، قَالَ: حَدَّثَنِي النَّبِيُّ ﷺ، قَالَ: «أَتَانِي اللَّيْلَةُ آتٍ مِنْ رَبِّي وَهُوَ بِالْعَقِيقِ أَنْ صَلَّ فِي هَذَا الْوَادِي الْمُبَارَكِ وَقُلْ: عُمْرَةٌ وَحَجَّةٌ». وَقَالَ هَارُونُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ: حَدَّثَنَا عَلِيُّ: «عُمْرَةٌ فِي حَجَّةٍ»<sup>(١)</sup>.

(١) علقه البخاري بصيغة الجزم كما في «الفتح» (٣٠٥/١٣). ووصله ابن حجر في تغليق التعليق (٣٢٥/٥) بسنده إلى عبد بن حميد قال: حدثنا هارون بن إسماعيل ..... به وانظر «الفتح» (٣١١/١٣).



في هذا الحديث اللفظان معناهما واحد، والذي آتاه يُحْتَمَلُ أنه جبريل، ويُحْتَمَلُ أنه غير جبريل، ولكن المهم أنه أرشد النبي ﷺ إلى أن يقول: عمرة وحجة، أو عمرة في حجة. وهل هذا قبل أن يشرع في الإحرام أو بعده؟

**الجواب:** فظاهر حديث عائشة الذي في الصحيحين أنه بعده؛ لأنها تقول: أهل رسول الله ﷺ بالحج، وذلك في مورد التقسيم. عندما قالت: منا من أهل بحج، ومنا من أهل بعمرة، ومنا من أهل بحج وعمرة، وأهل رسول الله ﷺ بالحج<sup>(١)</sup>. وهذا يدل على أنه كان مفردًا أولًا، ثم أمر أن يكون قارئًا، فيكون دليلًا لقول من قال: إنه يجوز إدخال العمرة على الحج، ويصير به الإنسان قارئًا.

وقد سبق في كتاب المناسك: أن الحنابلة رحمهم الله، يقولون: لا يجوز إدخال العمرة على الحج، وأنه لو أحرم مفردًا، ثم أدخل العمرة عليه؛ أي: على الحج، لم يصح إحرامه؛ لأنه لا يصح إدخال الأصغر على الأكبر<sup>(٢)</sup>، ولكن من قال بالأول، قال: هذا هو ظاهر الحديث أن النبي ﷺ قال: «دخلت العمرة في الحج إلى يوم القيامة»<sup>(٣)</sup>.

ثم قال البخاري رحمه الله:

٧٣٤٤- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دِينَارٍ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ، وَقَتَّ النَّبِيُّ ﷺ قَرْنَا لِأَهْلِ نَجْدٍ، وَالْجُحْفَةِ لِأَهْلِ الشَّامِ، وَذَا الْحُلَيْفَةِ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ. قَالَ: سَمِعْتُ هَذَا مِنَ النَّبِيِّ ﷺ، وَيَلْغَنِي أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «وَلِأَهْلِ الْيَمَنِ يَلْمَلَمُ». وَذَكَرَ الْعِرَاقُ فَقَالَ: لَمْ يَكُنْ عِرَاقُ يَوْمَئِذٍ.

هذا الجواب من ابن عمر، يريد بالعراق يومئذ البصرة والكوفة؛ لأنها ما كانت إلا في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وإلا فإنها موجودة من قبل، وليس يريد أن العراق لم يسلموا فإن الشام أيضًا لم يسلموا، واليمن لم يسلم، وكثير منهم، ولكن مراده أن العراق الذي مُصِّرَ، وكان أمصارًا - الكوفة والبصرة - لم يكن ذلك في عهد الرسول ﷺ.



(١) رواه البخاري (١٥٦٢)، ومسلم (٨٧٣/٢) (١٢١١) (١١٨).

(٢) انظر: «الإنصاف» للمرداوي (٤٣٨/٣)، و«شرح العمدة» و«الكافي في الفقه الحنبلي» (٣٩٥/١)، (٥٧١/٢).

(٣) رواه مسلم (٩١١/٢) (١٢٤١) (٢٠٣).

ثم قال البخاري رحمه الله تعالى:

٧٣٤٥- حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الْمُبَارَكِ، حَدَّثَنَا الْفَضِيلُ، حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ عُقْبَةَ، حَدَّثَنَا سَالِمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، أَنَّهُ أَرَى وَهُوَ فِي مَعْرَسَةِ بَيْدِ الْحُلَيْفَةِ، فَقِيلَ لَهُ: إِنَّكَ بَيِّطُحَاءُ مُبَارَكَةٍ<sup>(١)</sup>.

الشاهد من هذا الحديث: أن هذا المكان وصف بأنه مبارك.

ومعنى المباركة هنا: أنها مواقيت للعبادة، فكان مباركاً بهذا الشيء، لأنه تُنشأ منه العبادة، أو أن الله قد بارك فيما يخرج منه من أشجار، وزروع، وغيرها.  
هذا هو الظاهر، فالأول: بركة تتعلق بأمر الآخرة، والثاني: بركة تتعلق بأمر الدنيا.

ثم قال البخاري رحمه الله تعالى:

١٧- بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ [التفلة: ١٧٨].

٧٣٤٦- حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ، أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ سَالِمٍ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ - وَرَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرُّكُوعِ - قَالَ: «اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ» فِي الْآخِرَةِ. ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ الْعَنِّ فَلَانًا وَفُلَانًا». فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبُهُمْ فَلَا تُهْمُ عَلَيْهِمْ﴾ [التفلة: ١٧٨].

في هذا الحديث: الجمع بين اللهم، والواو في قوله: «رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ». وبهذا تكْمُلُ الوجوه الأربعة في هذه الجملة:

الوجه الأول: رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ. بحذفِ اللهم، وحذفِ الواو.

والوجه الثاني: رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ. بإثباتِ الواو، وحذفِ اللهم.

والوجه الثالث: اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ. بحذفِ الواو وإثباتِ اللهم.

والوجه الرابع: الجمعُ بينهما، اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ.

ففيها أربعة أوجه، ينبغي للإنسان أن يقول هذا مرة، وهذا مرة؛ لأن الإتيان بالعبادات المتنوعة على وجوهها يحصل به ثلاث فوائد:

الفائدة الأولى: حفظُ السُّنَّةِ، لأنك إذا لم تعمل بها نسيتها.

والفائدة الثانية: تمامُ الاتباع؛ لأنك لو اقتصرْتَ على وجهٍ واحدٍ، لم يَكُنْ منك تمامُ الاتباع.



**والفائدة الثالثة:** قوة الاستحضار؛ لأن الإنسان إذا اعتاد شيئاً صار يَقُولُهُ هكذا تلقائياً. لكن إذا كان أحياناً يَقُولُ هذا، وأحياناً يَقُولُ هذا، صار ذلك أبلغ في الاستحضار، فينبغي لك في جميع العبادات الواردة على وجوه متنوعة أن تأخذ بوجه مرة، وبوجه آخر مرة أخرى.

وكذلك في القراءات في القرآن الكريم، فينبغي للإنسان أن يتعلمها، وأن يقرأ مرة بهذا، و مرة بهذا؛ لأن الكل ثبت عن النبي ﷺ.

فإذا قال قائل: كيف يَقُولُ: إنه ينبغي معرفة القراءات، والقراءة بها، مع قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «حدثوا الناس بما يعرفون»<sup>(١)</sup>؟

**الجواب أن يقال:** إن القراءات غير الموجودة في المصحف لا يقرأها عند العامة، لكن فيما بينك وبين نفسك، وفي صلاتك غير التي تكون فيها إماماً يصح أن تقرأ بها، أما عند العامة فلا تقرأ؛ لأنك إذا قرأت سوف يحصل إحدى مفسدتين:

إما أن يقولوا: هذا رجل لا يعرف قراءة القرآن، ولا تريد أن يكون إماماً لنا.

وإما أن يتشككوا في القرآن، كيف القرآن يتلاعب به مرة كذا ومرة كذا.

**وفي هذا الحديث:** دليل على القنوت بعد الركوع، وأنه في الركعة الأخيرة.

**وفيه:** دليل على جواز لعن الشخص المعين، ولكن هذا فيه نظر، والصواب المنع لأن الرسول ﷺ دعا أولاً، ثم نهى عن ذلك وقيل له: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ [التفلة: ١٢٨]. فالأمر ليس إليك، بل إلى الله وحده؛ ولهذا قال: ﴿أَوْتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾. فلعن المعين لا يجوز إذا كان حياً؛ لأن الله تعالى قد يتوب عليه فيهندي.

لكن إذا كان ميتاً، هل يلعن؟

**الجواب:** قد يقال: لا يلعن أيضاً؛ لأن النبي ﷺ قال: «لا تسبوا الأموات فتؤذوا الأحياء»<sup>(٢)</sup>. وفي لفظ: «فإنهم أفضوا إلى ما قدموا»<sup>(٣)</sup>.

أما لعن العموم فهذا جائز، مثل أن تقول: اللهم العن الكافرين، اللهم العن اليهود، اللهم العن النصارى، فقد قال النبي ﷺ: «لعنة الله على اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»<sup>(٤)</sup>.

(١) رواه البخاري (١٢٧).

(٢) رواه أحمد في مسنده (٢٥٢/٤) (١٨٢٠٩)، والترمذي (١٩٨٢)، وصححه الشيخ الألباني كما في تعليقه على السنن.

(٣) رواه البخاري (١٣٩٣).

(٤) رواه البخاري (١٣٩٠)، ومسلم (٣٧٦/١) (٥٢٩) (١٩).

**وفي هذا:** دليلٌ على أن الرسول ﷺ قد يَجْتَهِدُ، فإن أقرَّه الله على ذلك، فاجتهاده صحيحٌ، وإن لم يَقَرَّه، فإنه يَكُونُ مِنَ الاجتهادِ المغفورِ؛ الذي يَكُونُ له فيه أجرٌ واحدٌ.

ثم قال البخاريُّ رحمه الله تعالى:

١٨- بابُ قوله تعالى: ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَفِرْفِرًا جَدَلًا﴾ [الكهف: ٥٤]. وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [البقرة: ١٧٩].

المجادلة: المناظرة والمخاصمة؛ وسميت بذلك؛ لأن كل واحدٍ منها يَجْدُلُ رأيه؛ أي: يفتله؛ كما يَفْتِلُ الحبلُ؛ ليقويه حتى يَرُدَّ به على صاحبه.

❖ وقوله تعالى: ﴿أَكْثَرَفِرْفِرًا جَدَلًا﴾. وهو الإنسان؛ ولهذا يُجَادِلُ أحياناً بالحق، وأحياناً بالباطل، وأحياناً باللغو، فالجدال إما أن يَكُونَ لِيُصِفَ الحق، ويَحْذُلُ الباطل، أو بالعكس أو يَكُونُ لغواً كأن يَتَجَادَلَ اثنان في أمرٍ ليس بحق ولا باطل، بل هو مِنَ اللغو فيَحْصُلُ الجدالُ بينهما.

والذي يَتَّبِعِي لِلْإِنْسَانِ تَرْكُ الْجَدَالِ، ما لم يَتَّعَيْنَ عليه لإثباتِ حقٍّ أو إبطالِ باطل، وإلا فتركُ الجدالِ أولى، وأسلم، وأبعد عن تحمي النفوسِ بعضها على بعض كما هو مشاهدٌ. لكنَّ بعضَ الناسِ يُجَادِلُ في أمرٍ لا يَتَرَتَّبُ عليه إثباتُ حقٍّ، وإبطالُ باطل، لكن من أجل أن يُثَبِّتَ رأيه، مع أنه ليس في أمرٍ دينيٍّ، ولا أمرٍ دنيويٍّ نافعٍ، وهذا خطأ؛ لأنَّ الجدَلَ لا بدَّ أن يَتَرَكَ في النفوسِ شيئاً، لا سيما إذا لم يكن ذلك لله.

أما إذا كان الجدَلُ لله، فاعلم أنك إذا جادلتَ صاحبك لله، من أجل إثباتِ الحقِّ. وإبطالِ الباطل، فإنه وإن كان في نفسه عليك شيءٌ حين المجادلة، فإن الله تعالى سوف يَمْحُوهُ؛ لأنَّ هذا داخلٌ في عمومِ قوله ﷺ: «مَنْ التَمَسَ رِضَا اللَّهِ بِسَخَطِ النَّاسِ كَفَاهُ اللَّهُ مَثْوَنَةَ النَّاسِ»<sup>(١)</sup>.

❖ وقوله ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [البقرة: ١٧٩]. إذا جاء ذكرُ أهل الكتاب في القرآن؛ فهمُ اليهودُ والنصارى، كما قال تعالى: ﴿أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أُنْزِلَ الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا﴾ [الأنعام: ١٥٦]. وهما اليهودُ والنصارى، فاليهودُ كتابُهم التوراة، وهي أصلُ الإنجيل، والنصارى كتابُهم الإنجيل، والإنجيل أصلٌ ومرجعٌ لكلِّ الكتبِ التي جاءت بعده.

❖ وقوله: ﴿إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [البقرة: ١٧٩]. أي: إلا بالمجادلة التي هي أحسن، «فالتّي» هنا وصفٌ لموصوفٍ محذوفٍ، وتقديره المجادلةُ، وبأي شيءٍ هي أحسن.



ولكن هل هي بالإقناع، أو بالفصاحة، أو بصفة الكلام، وهل يكون نهرًا، أو يكون لينا أو ما أشبه ذلك؟

**الجواب:** نقول: يشمل كل هذا قوله: ﴿إِلَّا بِأَلْتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾. فمن حيث الإقناع بالأدلة السمعية، والعقلية، والحسية، ومن حيث صيغة الكلام وقوته، ومن حيث صفة الكلام بالقوة والانفعال، أو باللفظ واللين، على حسب ما تقتضيه المصلحة، بالتي هي أحسن، وقد يكون من المجادلة بالتي هي أحسن ترك المجادلة.

لكن في آخر الآية قال: ﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ [البقرة: ١٧٦]. فهو لاء لا تجادلهم بالتي هي أحسن. وإنما نجادلهم بما يقتضيه ظلمهم، بحيث نمنعهم من الظلم ولو أدى ذلك إلى المقاتلة والمجادلة. أما غير أهل الكتاب، فقد قال الله تعالى: ﴿وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [الحج: ١٢٥]. ولم يستثن؛ وذلك لأن عناد أهل الكتاب ليس كعناد غيرهم، لأن معهم من الحق ما يلزمهم بقبول الحق الذي جاء به الرسول ﷺ، كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ، كَمَا يَعْرِفُونَ آبَاءَهُمْ﴾ [البقرة: ١٧٦].

ثم قال البخاري رحمه الله تعالى:

٧٣٤٧- حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ، أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، ح حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَلَامٍ، أَخْبَرَنَا عَتَابُ بْنُ بَشِيرٍ، عَنِ إِسْحَاقَ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، أَخْبَرَنِي عَلِيُّ بْنُ حُسَيْنٍ، أَنَّ حُسَيْنَ بْنَ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَخْبَرَهُ، أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ، قَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ طَرَقَهُ وَفَاطِمَةُ - عَلَيْهَا السَّلَامُ - بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ لَهُمْ: «أَلَا تَصَلُّونَ». فَقَالَ عَلِيٌّ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّمَا أَنْفُسَنَا بِيَدِ اللَّهِ، فَإِذَا شَاءَ أَنْ يَمُوتَنَا بَعَثَنَا، فَانْصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ قَالَ لَهُ ذَلِكَ، وَلَمْ يَرْجِعْ إِلَيْهِ شَيْئًا، ثُمَّ سَمِعَهُ وَهُوَ مُدْبِرٌ يَضْرِبُ فِخْذَهُ وَهُوَ يَقُولُ: ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ ثَقَفًا وَجَدَلًا﴾ [البقرة: ٥٤].<sup>(١)</sup>

قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: يُقَالُ: مَا أَتَاكَ لَيْلًا فَهُوَ طَارِقٌ. وَيُقَالُ: الطَّارِقُ النُّجْمُ، وَالثَّاقِبُ الْمُضِيءُ، يُقَالُ: أَثْقَبَ نَارَكَ لِلْمُوقِدِ.

هذا الحديث فيه فوائد:

منها اعتناء الرسول ﷺ بأهل بيته؛ لأن الظاهر أن طرقه إياهم في الليل، ليتفقددهم، وينظر ماذا يعملون، ولهذا قال لهم: «أَلَا تَصَلُّونَ». وهذا عرض لطيف، فلم يقل: لماذا لم

(١) رواه مسلم (١/ ٥٣٧) (٧٧٥) (٢٠٦).

تصلوا؟ والعرض فيه لطافة في الأسلوب والترغيب.

**وفيه من القوائد:** أن الإنسان له أن يُقدّم العذر إلى مَنْ هو أكبرُ منه لأن قول علي عليه السلام: إنها أنفسنا بيد الله. لا يُريد بذلك الردّ على الرسول عليه السلام، أو تبيكت الرسول عليه السلام، لأن الرسول يعلم أن أنفسهم بيد الله عليه السلام، لكن يُريد الاعتذار، وأن هذا شيء ليس من فعلنا؛ لأن النائم لا يُنسب إليه فعل، ألا ترى إلى قوله تعالى في أصحاب الكهف: ﴿وَقَلَّبَهُمْ ذَاتَ الْأَيْمِينِ وَذَاتَ الْأَشْمالِ﴾ [الكهف: ١٨]. لم يقل: «يتقلبون». لأن النائم لا يُنسب إليه قول ولا فعل.

فلهذا اعتذر على بن أبي طالب عليه السلام بالنوم، وأن أنفسهم بيد الله عليه السلام، فإذا شاء أن يبعثها بعثها، والنبى عليه السلام أعلم من علي بن أبي طالب بذلك، لكنه يُريد أن يُقدّم العذر.

واحتج بهذا الحديث الجبرية على ترك الواجب، وإن شئت فقل: على ترك المأمور، ثم على فعل المحذور. وقالوا: إن علي بن أبي طالب احتج بالقدر على ترك الصلاة في الليل، لأن النوم بيد الله عليه السلام فكم من إنسان ينام في فراشه، ويضطجع يُريد النوم، ولا يأتيه، وكم من إنسان يغلبه النوم وهو جالس حتى يضطجع، وهو لا يدري عن نفسه شيئاً.

ولا شك أن هذا الحديث من المشابه؛ لأن النصوص الشرعية من كتاب الله، أو سنة رسوله عليه السلام فيها نصوص متشابهة؛ يعني: قد يكون فيها شبهة لمن يحتج بها على الباطل، وهذا من حكمة الله عليه السلام حتى يئلو العبد، أهو من الراسخين في العلم، أم هو من الزائغين - والعياذ بالله -.

فالذين يتبعون المتشابهة مما في كتاب الله، وسنة رسوله عليه السلام هم أهل الزيغ، وهم الذين سمى الله فاحذرؤهم كما صح عن النبي عليه السلام.

والواجب على المؤمن إذا جاءت النصوص متشابهة، أن يحملها على النصوص المحكمة، والنصوص المحكمة تدل على أنه لا حجة بالقدر على الشرع؛ لأن الشرع يرد على إنسان مختار لا حجة له، ولهذا لو أكره الإنسان على مخالفة الشرع، ففعل للإكراه لم يكن مخالفاً، أما إذا وقع باختياره فهو مخالف.

فالنص المحكم يدل على أنه لا حجة بالقدر على الشرع، قال الله عليه السلام: ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا﴾ [الأنعام: ١٤٨]. وهذا يدل على أنه لا حجة لهم في ذلك؛ إذ لو كان لهم حجة في ذلك ما ذاقوا بأس الله،



ولكانوا معذورين بما احتجوا به، وحيثُذُ نَقُولُ: هذا لا يُرَادُ به الاحتجاجُ بالقدرِ.  
إِذَا فَمَا هُوَ الْجَمْعُ؟

جَمَعَ ابْنُ الْقَيْمِ رَحِمَهُ اللَّهُ بَيْنَ هَذَا الْحَدِيثِ الْمُتَشَابِهِ، وَبَيْنَ النُّصُوصِ الْمُحْكَمَةِ، بِأَنَّ  
الاحتجاجَ بالقدرِ على أمرٍ قد فَرَطَ مِنَ الْإِنْسَانِ، وَلَا يُمَكِّنُهُ تَلَاْفِيهِ فَيَقُولُ ذَلِكَ مُعْتَذِرًا، لَا  
مَعَانِدًا، وَيُعْذِرُ بِهَذَا الْاِحْتِجَاجِ أَمَّا مَنْ قَالَ ذَلِكَ مُحْتَجًّا بِالْقَدْرِ عَلَى عُنَادِهِ، وَإِصْرَارِهِ، وَرَفَعَ  
اللُّومَ عَنْهُ فَهَذَا مَلُومٌ؛ لِأَنَّ الَّذِي وَقَعَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ مِنْ هَذَا النُّوعِ الْأَوَّلِ، ذَكَرُوا ذَلِكَ  
اِحْتِجَاجًا عَلَى مُعَاصِيهِمْ وَعُنَادِهِمْ لَا اِعْتِذَارًا مِنْهُمْ، وَعَلَى بَنِي أَبِي طَالِبٍ ذَكَرَهُ اِعْتِذَارًا، فَفَرَّقَ  
بَيْنَ هَذَا وَهَذَا <sup>(١)</sup>.

ولهذا لو أَنَّ الْإِنْسَانَ فَرَطَ مِنْهُ مَعْصِيَةٌ، كَأَن يَشْرَبَ الْخَمْرَ مَثَلًا، ثُمَّ نَدِمَ وَتَابَ، فَلَمَّا عَوَّيَبَ  
عَلَى ذَلِكَ قَالَ: وَاللَّهِ هَذَا شَيْءٌ قَضَاهُ اللَّهُ عَلَيَّ وَقَدَّرَهُ، وَلَكِنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَصَمَنِي مِنْهُ، وَتَبَتُّ  
إِلَى اللَّهِ مِنْهُ. فَهَذَا لَا نَلُومُهُ؛ لِأَنَّ الرَّجُلَ لَا يُرِيدُ أَنْ يَحْتَجَّ بِالْقَدْرِ عَلَى أَنْ يَسْتَمِرَّ فِي شَرْبِ الْخَمْرِ،  
بَلْ يَحْتَجُّ بِالْقَدْرِ اِعْتِذَارًا، لَا إِصْرَارًا وَدَفْعًا لِلُّومِ.

أَمَّا الْمُشْرِكُونَ فَقَدْ اِحْتَجَّوْا بِالْقَدْرِ عَلَى الشَّرِكِ دَفْعًا لِلُّومِ عَنْهُمْ، وَإِنْكَارًا لِعُقُوبَتِهِمْ؛ أَيِ:  
كَيْفَ تُعَاقِبُونَنَا وَهَذَا لَيْسَ بِاِخْتِيَارِنَا؟!

ولهذا اِحْتَجَّ اللَّهُ بِالْقَدْرِ عَلَى شَرِكِ الْمُشْرِكِينَ فِي آيَةٍ أُخْرَى، فَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مُسَلِّيًا  
رَسُولَهُ ﷺ: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾ [الأنعام: ١٠٧]. فَسَلَّاهُ  
اللَّهُ ﷻ بِكَوْنِ الشَّرِكِ الَّذِي وَقَعَ مِنْهُمْ، وَخَالَفُوا بِهِ الرِّسُولَ كَانَ بِمَشِئَةِ اللَّهِ؛ لِيَهُونَ الْأَمْرَ عَلَى  
رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَيَرْضَى بِقَضَاءِ اللَّهِ وَقَدَرِهِ.

وَمِثْلُ هَذِهِ النُّصُوصِ الْمُتَشَابِهَةِ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَنِ سِوَاءٍ مِنَ الْكِتَابِ بَعْضُهُ مَعَ بَعْضٍ،  
أَوْ مِنَ السُّنَنِ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ، أَوْ مِنَ الْقُرْآنِ وَالسُّنَنِ مَعَ بَعْضِهَا، فَإِنَّ الْوَاجِبَ عَلَى الْإِنْسَانِ أَنْ يَرُدَّ  
الْمُتَشَابِهَ إِلَى الْمُحْكَمِ، حَتَّى يَكُونَ الْكُلُّ مُحْكَمًا.

**وَمِنْ قَوَائِدِ هَذَا الْحَدِيثِ:** الْاِسْتِدْلَالُ بِالْآيَةِ عَلَى الْوَاقِعِ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ  
شَيْءٍ جَدَلًا﴾ [الكهف: ٥٤]. وَكَذَلِكَ وَقَعَ مِنَ الرِّسُولِ ﷺ حِينَ جَاءَهُ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ  
وَعَلَيْهِمَا ثَوْبَانِ يَعْثُرَانِ بَيْنَهُمَا، فَنَزَلَ وَأَخَذَهُمَا وَقَالَ: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [النساء: ١٥]. <sup>(٢)</sup>

(١) انظر: «شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل» (ص ٤٤-٤٩).

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده (٣٥٤/٥٥) (٢٢٩٩٥)، والترمذي (٣٧٧٤)، وأبو داود (١١٠٩)، وابن ماجه

يوجد شيء من المتشابه أيضًا: وهو كون الرسول ﷺ يضرب فخذَه، فهل يُقال: إن هذا كضرب المصاب على خذّه وعلى رأسه، أم ماذا؟

**قال ابن حجر رحمه الله تعالى في «الفتح» (١٣/٣١٤، ٣١٥):**

ويؤخذ منه: أن عليًّا ترك فعل الأولى خلفه، ولو كان امتثل وقام لكان أولى. ويؤخذ منه: الإشارة إلى مراتب الجدل فإذا كان فيما لا بُدَّ له منه تعيّن نصرُ الحقِّ بالحقِّ، فإن جاوز الذي يُنكرُ عليه المأمورُ نُسبَ إلى التقصير، وإن كان في مباح اكتفى فيه بمجرد الأمر والإشارة إلى ترك الأولى.

وفيه أن الإنسان طبع على الدفاع عن نفسه بالقول والفعل، وأنه ينبغي له أن يُجاهِد نفسه وأن يقبل النصيحة ولو كانت في غير واجب، وألا يدفع إلا بطريق معتدلة وأنها من غير إفراط ولا تفريط. ونقل ابن بطال عن المهلب ما ملخصه: أن عليًّا لم يكن له أن يدفع ما دعاه النبي ﷺ إليه من الصلاة بقوله ذلك، بل كان عليه الاعتصام بقوله، فلا حجة لأحد في ترك المأمورِ اهـ. ومن أين له أن عليًّا لم يمتثل ما دعاه إليه فليس في القصة تصريحٌ بذلك، وإنما أجاب عليٌّ بما ذكر اعتذارًا عن تركه القيام بغلبة النوم، ولا يمتنعُ أنه صلى عقب هذه المراجعة، إذ ليس في الخبر ما ينفيه.

وقال الكرماني: حرّضهم النبي ﷺ باعتبار الكسب والقدرة الكاسية، وأجاب عليٌّ باعتبار القضاء والقدر.

قال: وضرب النبي ﷺ فخذَه تعجبًا من سرعة جوابِ عليٍّ، ويَحْتَمِلُ أن يكون تسليمًا لما قال: وقال الشيخ أبو محمد بن أبي حمزة: وفي هذا الحديث من الفوائد مشروعية التذكير للغافل خصوصًا القريب والصاحب؛ لأن الغفلة من طبع البشر، فينبغي للمرء أن يتفقد نفسه ومن يُحبُّه بتذكير الخير والعون عليه.

وفيه أن الاعتراض بأثر الحكمة لا يناسبه الجواب بأثر القدرة، وأن للعالم إذا تكلم بمقتضى الحكمة في أمر غير واجب، أن يكتفي من الذي كلمه في احتجاجه بالقدرة، يؤخذ الأول من ضربه ﷺ على فخذِه، والثاني من عدم إنكاره بالقول صريحًا. قال: وإنما لم يشافهه بقوله تعالى: ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرُ ثَغْرًا جَدًّا﴾ [الكهف: ٥٤]. لعلمه أن عليًّا لا يجهل أن الجواب بالقدرة ليس من الحكمة، بل يُحْتَمَلُ أن لهما عذرًا



يَمْنَعُهُمَا مِنَ الصَّلَاةِ، فَاسْتَحْيَا عَلَىٰ مِنْ ذَكَرِهِ فَأَرَادَ دَفْعَ الْخَجَلِ عَنْ نَفْسِهِ، وَعَنْ أَهْلِهِ فَاحْتَجَّ بِالْقُدْرَةِ، وَيُؤَيِّدُهُ رَجَوُهُ ﷺ عَنْهُمْ مَسْرَعًا. قَالَ: وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ عَلِيٌّ أَرَادَ بِمَا قَالَ اسْتِدْعَاءَ جَوَابٍ يَرُدُّهُ بِهِ فَائِدَةً [أَيَّ مِنَ الرُّسُولِ ﷺ] <sup>(١)</sup>.

وفيه جوازُ محادثة الشخصِ نفسه فيما يتعلَّقُ بغيره، وجوازُ ضربه بعضَ أعضائه عند التعجب، وكذا الأسفُ. اهـ

الظاهرُ: أن الحديثَ يُحْمَلُ على أن الرسولَ ﷺ فعلَ ذلكَ تعجبًا من كونِ عليٍّ بنِ أبي طالبٍ يَحْتَجُّ بأمرِ كان الرسولُ ﷺ يَعْلَمُهُ، فهو يَعْلَمُ أن نفسه بيدِ الله، فَيَتَعَجَّبُ كيف احتجَّ بهذا الشيءِ المعلومِ، وهو ليس له فيه حجةٌ؟! <sup>(٢)</sup>

ثم قال البخاري رحمه الله تعالى:

٧٣٤٨- حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ، حَدَّثَنَا اللَّيْثُ، عَنْ سَعِيدٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: بَيْنَا نَحْنُ فِي الْمَسْجِدِ، خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «انْطَلِقُوا إِلَى يَهُودَ». فَخَرَجْنَا مَعَهُ حَتَّى جِئْنَا بَيْتَ الْمِدْرَاسِ، فَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ فَتَذَاهُمْ، فَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ يَهُودَ اسْلِمُوا تَسْلَمُوا». فَقَالُوا: بَلَّغْتَ يَا أَبَا الْقَاسِمِ. قَالَ: فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «ذَلِكَ أُرِيدُ اسْلِمُوا تَسْلَمُوا». فَقَالُوا: قَدْ بَلَّغْتَ يَا أَبَا الْقَاسِمِ. فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «ذَلِكَ أُرِيدُ». ثُمَّ قَالَهَا الثَّالِثَةَ، فَقَالَ: «اعْلَمُوا أَنَّمَا الْأَرْضُ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَجْلِيَكُمْ مِنْ هَذِهِ الْأَرْضِ، فَمَنْ وَجَدَ مِنْكُمْ بِإِلَهٍ شَيْئًا فَلْيَبِغْهُ، وَإِلَّا فاعْلَمُوا أَنَّمَا الْأَرْضُ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ» <sup>(٣)</sup>.

❖ قوله: «المدراس»: يعني: البيت الذي يدرسون فيه، أو بيت المدراس، أي البيت الذي يدرسونهم، فهو ليس علمًا لشخص، بل هو من الدراسة.

❖ قوله: «اسلموا تسلموا». أي تسلموا في الدنيا والآخرة.

أما في الدنيا: فتسلمون مما أشار إليه النبي ﷺ.

وأما في الآخرة: فيسلمون من النار، وهذا كقوله ﷺ حين كتب إلى هرقل: «اسلم تسلم» <sup>(٤)</sup>.

❖ وقولهم: «بلَّغْتَ يَا أَبَا الْقَاسِمِ». نقولُ فيه: ما أشبه الليلة بالبارحة. فاليوم تمرُّ ببعض الناس، فتقولُ: يا فلانُ صلِّ. فيقولُ: أميرٌ بخير. وهو في مكانه لا يتحركُ مثل قول اليهود:

(١) ما بين معقوفين من كلام الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله تعالى.

(٢) رواه مسلم (٣/١٣٨٧) (١٧٦٥) (٦١).

(٣) رواه البخاري (٧).

بَلَّغَتْ. وَهُوَ يَعْنِي أَنَّهُ لَنْ يَمْتَثِلَ؛ وَلِهَذَا أَعَادَهَا النَّبِيُّ ﷺ ثَلَاثًا، وَلَكِنَّهُمْ يُجَادِلُونَ وَيَقُولُونَ: بَلَّغَتْ.

فَتَهَدَّدَهُمَ ﷺ فَجَادَلَهُمَ بِالْقُوَّةِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ قَالَ: ﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ [التَّحْكِيمَاتُ: ٤٦]. وَهَؤُلَاءِ ظَلَمُوا. وَقَالَ: «إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُجْلِيَكُمْ مِنْ هَذِهِ الْأَرْضِ، فَمَنْ وَجَدَ مِنْكُمْ بِإِلَهٍ شَيْئًا فَلْيَسِّعْهُ، وَإِلَّا فَاغْلُمُوا أَنَا الْأَرْضُ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ».

وَهَكَذَا تَنْبَغِي الْقُوَّةُ مَعَ أَعْدَاءِ اللَّهِ إِذَا عَانَدُوا، لَكِنْ بِشَرَطٍ أَنْ يَكُونَ عِنْدَ الْقَوِيِّ قُدْرَةٌ يَسْتَطِيعُ بِهَا أَنْ يُنْفَذَ قَوْلُهُ، أَمَا إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ قُوَّةٌ، فَإِنْ قَوْلُهُ يَكُونُ أَضْحَكَةً. وَمِنَ الْقُوَّةِ: الْقُوَّةُ الْمَعْنَوِيَّةُ بِالْإِيمَانِ، وَالْعَمَلُ الصَّالِحِ، أَرَأَيْتَ لَوْ جَاءَ طِفْلٌ صَغِيرٌ لَهُ أَرْبَعُ سِنَوَاتٍ، وَأَخَذَ يَهْدِدُ شَبَابًا مَمْلُوءًا شَبَابًا وَيَقُولُ: وَاللَّهِ لَنْ خَالَفْتَنِي لِأَفْعَلَنَّ بِكَ كَذَا وَكَذَا. فَهَذَا لَا شَكَّ غَيْرُ حِكْمَةٍ.

فَالْتَهْدِيدُ بِالْقُوَّةِ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ لِمَنْ عِنْدَهُ قُدْرَةٌ عَلَى تَنْفِيزِ تَهْدِيدِهِ، وَإِلَّا صَارَ ضَحْكَةً. **وَفِي هَذَا:** دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَعَ لَبِنِهِ وَرَحْمَتِهِ قَوِيٌّ عَلَى أَعْدَاءِ اللَّهِ، شَدِيدٌ عَلَيْهِمْ، كَمَا وَصَفَهُ اللَّهُ وَأَصْحَابُهُ، بِقَوْلِهِ: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الْبَنِينَ: ٢٩]. فَإِذَا قَالَ قَائِلٌ: إِذَا دَعَوْتَ أَحَدًا مِنْ غَيْرِ الْمُسْلِمِينَ فَقَالَ: إِنَّكُمْ تَقُولُونَ: ﴿لَا تُدْرِكُهُمُ الْوَيْلُ﴾ [الْبَنِينَ: ٦]؟ فَلِمَاذَا تَدْعُونَنَا؟! فَمَاذَا نَقُولُ لَهُمْ؟

**الْجَوَابُ أَنْ يَقَالَ:** هَذَا مِنْ جِهَةِ الْبَرَاءَةِ، فَلَهُمْ دِينُهُمْ وَلَنَا دِينُنَا، وَلَا يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ اتِّفَاقٌ فِي الدِّينِ، لَكِنْ مِنْ جِهَةٍ مَا يَجِبُ عَلَيْنَا مِنْ دَعْوَتِهِمْ وَقِتَالِهِمْ إِذَا لَمْ يَمْتَثِلُوا ﴿حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾، فَهَذَا شَيْءٌ آخَرُ.

**ثُمَّ قَالَ الْبَخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:**

١٩- بَابُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [الْبَقَرَةُ: ١٤٣]. وَمَا أَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ بِلِزْوَمِ الْجَمَاعَةِ وَهُمْ أَهْلُ الْعِلْمِ.

قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [الْبَقَرَةُ: ١٤٣]. قَالَ الْعُلَمَاءُ <sup>(١)</sup>: الْوَسْطُ: الْعَدْلُ الْخَيْرُ، وَسَطًا؛ أَيُّ: عَدْلًا خَيْرًا، فَهَذِهِ الْأُمَّةُ -وَلِلَّهِ الْحَمْدُ- هِيَ صَاحِبَةُ الْعَدْلِ، وَهِيَ الَّتِي اخْتَارَهَا اللَّهُ ﷻ لَتَكُونَ شَاهِدَةً عَلَى النَّاسِ.



قال: وما أمر النبي ﷺ بلزوم الجماعة. أي: جماعة المسلمين، بأن يجتمعوا على الحق. ولكن هل المراد بلزوم الجماعة، جماعة أهل الحل والعقد، إذا أمروا أميراً ألا يخرج الإنسان عن أمره، أو المراد جماعة أهل العلم؛ أي: إذا اجتمع العلماء على شيء فإنه يلتزمه الأخذ به؟ كلام البخاري رحمه الله يدل على الثاني؛ وهو المراد بلزوم الجماعة عدم مخالفة العلماء، فإذا اجتمعوا على شيء وجب الأخذ به، والأول كذلك له وجه صحيح؛ لأن النبي ﷺ قال: «مَنْ أَتَاكُمْ وَأَمْرُكُمْ جَمِيعٌ يُرِيدُ أَنْ يُفَرِّقَ جَمَاعَتَكُمْ، فَاضْرِبُوا عَنْقَهُ». والاجتماع على الأمير أمر واجب؛ لأن المخالفة والاختلاف عليه يؤدي إلى شر كثير، وفتن عظيمة، ولا تحل المشكلة التي من أجلها اختلفوا على هذا الأمير.

قال ابن حجر رحمه الله (١٣/٣١٦):

وأما قوله «وما أمر إلى آخره» فمطابقته لحديث الباب خفية، وكأنه من جهة الصفة المذكورة وهي العدالة، لما كانت تعم الجميع لظاهر الخطاب، أشار إلى أنها من العام الذي أريد به الخاص، أو من العام المخصوص؛ لأن أهل الجهل ليسوا عدولاً، وكذلك أهل البدع، فعرف أن المراد بالوصف المذكور أهل السنة والجماعة، وهم أهل العلم الشرعي، ومن سواهم، ولو نسب إلى العلم فهي نسبة صورية لا حقيقية، وورد الأمر بلزوم الجماعة في عدة أحاديث.

منها: ما أخرجه الترمذي مصححاً من حديث الحارث بن الحارث الأشعري فذكر حديثاً طويلاً، وفيه: «وأنا أمركم بخمس أمرني الله بهن: السمع والطاعة، والجهاد، والهجرة، والجماعة، فإن من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربة الإسلام من عنقه» وفي خطبة عمر المشهورة التي خطبها بالجابية. «عليكم بالجماعة وإياكم والفرقة، فإن الشيطان مع الواحد، وهو من الاثنين أبعد» وفيه: «ومن أراد بحبوحه الجنة فليلزم الجماعة».

وقال ابن بطال: مراد الباب الحضر على الاعتصام بالجماعة، لقوله «لنكونوا شهداء على الناس» [البقرة: ١٤٣]. وشرط قبول الشهادة العدالة، وقد ثبتت لهم هذه الصفة بقوله: ﴿وَسَطًا﴾. والوسط العدل، والمراد بالجماعة أهل الحل والعقد من كل عصر، وقال الكرمانى: مقتضى الأمر بلزوم الجماعة أنه يلتزم المكلف متابعة ما أجمع عليه المجتهدون وهم المراد بقوله: «وهم أهل العلم» والآية التي ترجم بها احتج بها أهل الأصول لكون الإجماع حجة؛ لأنهم

عَدُّوا بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾؛ أي: عدولاً، ومقتضى ذلك أنهم عُصِمُوا مِنَ الْخَطَا فِيهَا أَجْمَعُوا عَلَيْهِ قَوْلًا وَفِعْلًا. اهـ

المهم: أن المراد بالجماعة تَشْمَلُ المعنيين: الجماعة على الأمير، والجماعة على القول والحكم، فالرسول ﷺ أَمَرَ بهذا وهذا.

أما هل الإجماع حجة أو غير حجة فهذا موضع بحثه في أصول الفقه، ولا شك أن الإجماع حجة، ولكن يَنْتَقَى النظرُ فِي تَحَقُّقِ الإجماع، فإنَّ تَحَقُّقَ الإجماع صَعِبٌ لِلغَايَةِ، إِلَّا فِيهَا لَا إِشْكَالَ فِيهِ مِنْ أُمُورِ الدِّينِ، كوجوب الصلاة مثلاً.

وإلا ما فيه إشكال فنقل الإجماع فيه صعب، والعلم بالإجماع عليه كذلك.

ولهذا قال الإمام أحمدُ فِيما يُروى عنه: مَنْ ادَّعَى الإجماعَ فهو كاذبٌ، وما يُدْرِيهِ لَعَلَّهُمْ اخْتَلَفُوا<sup>(١)</sup>، أما شيخُ الإسلامِ رَحِمَهُ اللهُ فَتَوَسَّطَ وقال: الإجماعُ الَّذِي يَنْصَبُطُ مَا كَانَ عَلَيْهِ سَلَفُ الْأُمَّةِ، إِذْ بَعْدَهُمْ كَثُرَ الْاِخْتِلَافُ، وَانْتَشَرَتِ الْأُمَّةُ<sup>(٢)</sup>.

فما كان عليه السلفُ فهو الَّذِي يُمكنُ أَنْ يُحاطَ بِهِ، أما بَعْدَ ذَلِكَ فَالْحُكُومَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ اتَّسَعَتْ، وَالْأَرَاءُ كَثُرَتْ، وَحَصَلَ التَّرَاوُعُ الْكَثِيرُ، فَانْظُرْ إِلَى تَفَرُّقِ الْأُمَّةِ لِمَا اخْتَلَفَ عَلَى بَنِي أَبِي طَالِبٍ وَمَعَاوِيَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، وَكَيْفَ انْشَطَرَتْ انْشِطَارًا مازالت تَتَنُّ مِنْهُ إِلَى الْيَوْمِ!

والإجماعُ لَا شَكَّ أَنَّهُ هُوَ الْحَقُّ، سِوَا فِي الْمَسَائِلِ الْحُكْمِيَّةِ، أَوْ فِي مَسَائِلِ السُّلْطَةِ وَالْإِمْرَةِ. فَإِذَا كَانَ هُنَاكَ أَمِيرٌ سُلْطَةً؛ وَهُوَ رَئِيسُ الدَّوْلَةِ، وَهَنَاكَ أَهْلُ سِنَةِ وَجَمَاعَةٍ يُرِيدُونَ أَنْ يَجْعَلُوا لَهُمْ أَمِيرًا، فَهَلْ لَهُمْ ذَلِكَ فِي الْأُمُورِ الدِّينِيَّةِ فَقَطْ؟

**الجواب:** الظاهرُ أَنَّ أَمِيرَ أَهْلِ السِّنَةِ وَالْجَمَاعَةِ لَا يَكُونُ أَمِيرًا، بَلْ يَكُونُ إِمَامًا، فَكَوْنُهُ إِمَامًا وَلَوْ كَانَ تَحْتَ سُلْطَةٍ عَامَةٍ لِلْجَمِيعِ لَا بَأْسَ بِهِ - يَتَقَادُّونَ بِهِ وَيَأْخُذُونَ بِقَوْلِهِ - كَمَا كَانَتِ الْأُمَّةُ الْإِسْلَامِيَّةُ فِيهَا الْأَثَمَةُ، وَفِيهَا الْخُلَفَاءُ.

٧٣٤٩- حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ مَنْصُورٍ، حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ، حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ، حَدَّثَنَا أَبُو صَالِحٍ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يُجَاءُ نِيُوحَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَقَالُ لَهُ: هَلْ بَلَّغْتَ، فَيَقُولُ: نَعَمْ يَا رَبِّ. فَيُسْأَلُ أَمَتُهُ هَلْ بَلَّغْتُمْ؟، فَيَقُولُونَ: مَا جَاءَنَا مِنْ نَذِيرٍ. فَيَقُولُ: مَنْ شُهِدْتُكَ، فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ وَأَمَتُهُ. فَيُجَاءُ بِكُمْ فَتَشْهَدُونَ». ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً

(١) رواه عبد الله بن الإمام أحمد في مسائله لأبيه (١١٣٧)، وانظر إعلام الموقعين لابن القيم (٣٠ / ١).

(٢) انظر العقيدة الواسطية في مجموع فتاوى شيخ الإسلام (١٥٧ / ٣).



وَسَطًا ﴿١﴾. قَالَ عَدْلًا: ﴿٢﴾ لِنَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴿٣﴾.

وَعَنْ جَعْفَرِ بْنِ عَوْنٍ، حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِهَذَا <sup>(١)</sup>.

ثم قال البخاري رحمه الله تعالى:

٢٠- باب إذا اجتهد العامل أو الحاكم فأخطأ خلاف الرسول ﷺ من غير علم فحكمه مردود؛ لقول النبي ﷺ: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ» <sup>(١)</sup>.

٧٣٥٠، ٧٣٥١- حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ، عَنْ أَخِيهِ، عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ يَلَالٍ، عَنْ عَبْدِ الْمَجِيدِ بْنِ سُهَيْلِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، أَنَّهُ سَمِعَ سَعِيدَ بْنَ الْمُسَيَّبِ يُحَدِّثُ، أَنَّ أَبَا سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ، وَأَبَا هُرَيْرَةَ، حَدَّثَاهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَعَثَ أَخَا بَنِي عَدِيٍّ الْأَنْصَارِيَّ وَاسْتَعْمَلَهُ عَلَى خَيْرٍ، فَقَدِمَ بَنَمِرَ جَنْبٍ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَكُلْ تَمْرَ خَيْرٍ هَكَذَا». قَالَ: لَا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي لَنَسْتَرِي الصَّاعَ بِالصَّاعَيْنِ مِنَ الْجَمْعِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَفْعَلُوا، وَلَكِنْ مِثْلًا بِمِثْلٍ، أَوْ يَبْعُوا هَذَا وَاشْتَرُوا بِمَنْهِ مِنْ هَذَا، وَكَذَلِكَ الْمِيزَانُ» <sup>(٢)</sup>.

يقول البخاري رحمه الله تعالى: «إذا اجتهد العامل». والعامل: هو الذي يبعثه الإمام عاملاً على الصدقة، يجمعها من الناس، ويأتي بها إلى المدينة.

وقوله: «أو الحاكم»؛ أي: الذي يحكم بين الناس؛ وهو القاضي، فإذا أخطأ خطأ مخالفاً للنص من غير علم، فحكمه مردود؛ ولهذا قال البخاري رحمه الله تعالى: فأخطأ خلاف الرسول؛ أي: أنه تبين أنه مناقض لنص، فإنه يرد حكمه.

ولهذا قال العلماء: إنه لا يتنقض حكم الحاكم للقضاء، إلا ما خالف نصاً، أو إجماعاً قطعياً، أو ما يعتقده الحاكم، وإلا فإن حكمه نافذ، فتقييد البخاري رحمه الله تعالى هذه المسألة بقوله: «خلاف الرسول». يعني: أن خطؤه مخالف للنص، فإنه مردود.

(١) علقه البخاري رحمه الله تعالى بصيغة الجزم. وأسنده الترمذي في «التفسير»، باب ومن سورة البقرة عقب حديث (٢٩٦١) قال: حدثنا عبد بن حميد، أخبرنا جعفر بن عون، أخبرنا الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي سعيد... الحديث. وانظر: «تغليق التعليق» (٣٢٦/٥)، و«هدى الساري» ص ٧٠، و«فتح الباري» (٣١٧/١٣).

(٢) علقه البخاري بصيغة الجزم، وتقدم الكلام عليه في الصلح (٢٦٩٧)، وقد أسنده المؤلف من حديث عائشة بغير هذا اللفظ، وتقدم هذا اللفظ معزواً للمسلم وغيره. وانظر: «تغليق التعليق» (٣٢٧/٥). وانظر كما في «الفتح» (٣١٧/٣).

(٢) رواه مسلم (٣/١٢١٥) (١٥٩٣) (٩٤).

واستدلَّ لذلك بقول النبي ﷺ: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ»<sup>(١)</sup> فقوله: «عملًا». نكرة في سياق الشرط، فتعمُّ كلَّ عملٍ سواء كان عبادةً، أو معاملَةً، أو قضاءً أو غير ذلك. وقوله: «فهُوَ رَدٌّ»؛ أي: مردودٌ، لكنه عبَّرَ عن اسمِ المفعول بالمصدرِ مِنْ بابِ التوكيدِ؛ يعني: كأن هذا الشيء نفسه رَدٌّ، فهو أبلغُ مِنْ قوله: «مردودٌ». وهذا الحديث قال العلماء: إنه ميزانُ الأعمالِ الظاهرة، وحديثُ عمرَ «إنما الأعمالُ بالنيات»<sup>(٢)</sup>. ميزانُ الأعمالِ الباطنة، وعلى هذا فيكونُ هذانِ الحديثانِ قد استوعبا ميزانَ الأعمالِ الظاهرة، وميزانَ الأعمالِ الباطنة<sup>(٣)</sup>.

وقوله: «ليس عليه أمرنا»؛ أي: أمرُ الله ورسوله فهو رَدٌّ، وما خالفَ أمرَ رسولِ الله فهو مخالفٌ لأمرِ الله، وهذا الحديثُ روي بلفظٍ آخر: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ»<sup>(٤)</sup>. وهذا اللفظُ الأخيرُ يدلُّ على أن جميعَ البدعِ مردودةٌ؛ لأنه قال: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ». فيكونُ اللفظانِ يُبينانِ على أن مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَصْلُهُ مَشْرُوعٌ لَكِنَّهُ عَلَى خِلَافِ الْمَشْرُوعِ؛ فهو مردودٌ، وَمَنْ أَحْدَثَ أَمْرًا أَوْ عَمَلًا لَيْسَ لَهُ أَصْلٌ فِي الشَّرْعِ؛ فإنه أيضًا مردودٌ.

قال ابن حجر رحمه الله في «الفتح» (٣١٧/١٣):

قوله: «بابُ إذا اجتهدَ العاملُ أو الحاكمُ» في روايةِ الكشميهني «العالمُ» بدلَ العاملِ، و«أو» للتنويع، وقد تقدم في «كتابِ الأحكام» ترجمة إذا قضى الحاكمُ بجورٍ أو خلافِ أهلِ العلمِ فهو مردودٌ، وهي معقودةٌ لمخالفةِ الإجماع، وهذه معقودةٌ لمخالفةِ الرسولِ ﷺ. وقوله: «فأخطأ خلافَ الرسولِ مِنْ غيرِ علمٍ»؛ أي: لم يتعمَّدِ المخالفةَ؛ وإنما خالفَ خطأً.

قوله: «فحكمه مردودٌ؛ لقولِ النبي ﷺ: مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ»؛ أي: مردودٌ، وقد تقدَّم هذا الحديثُ موصولاً في «كتابِ الصلحِ» عن عائشة بلفظٍ آخر، وأنه بهذا اللفظُ موصولٌ في صحيح مسلم، وتقدَّم شرحُه هناك. قال ابنُ بطلالٍ: مراده أن مَنْ حكمَ بغيرِ السَّنةِ جهلاً، أو غلطاً يَجِبُ عليه الرجوعُ إلى حكمِ السَّنةِ،

(١) تقدم تخريجه.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) انظر: «جامع العلوم والحكم» لابن رجب الحنبلي (٩٥/١).

(٤) تقدم تخريجه.



وترك ما خالفها امتثالاً لأمر الله تعالى، بإيجاب طاعة رسوله ﷺ، وهذا هو نفس الاعتصام بالسنة.

وقال الكرمانى: المراد بالعامل: عامل الزكاة، وبالحاكم: القاضي.

❦ وقوله: «فأخطأ»؛ أي: في أخذ واجب الزكاة، أو في قضائه.

**قلت:** وعلى تقدير ثبوت رواية الكشميهني، فالمراد بالعالم: المفتي، أي أخطأ في فتواه، قال: والمراد بقوله، «فأخطأ خلاف الرسول»؛ أي: يكون مخالفاً للسنة، قال وفي الترجمة نوع تعجرف.

**قلت:** ليس فيها قلت إلا في اللفظ الذي بعد قول: «فأخطأ» فصار ظاهر التركيب يُنافي المقصود؛ لأن من أخطأ خلاف الرسول لا يُدّم، بخلاف من أخطأ وفاقه، ليس ذلك المراد وإنما تمّ الكلام عند قوله: «فأخطأ» وهو متعلق بقوله: اجتهد، وقوله «خلاف الرسول»؛ أي: فقال خلاف الرسول، وحذف «قال» يقع في الكلام كثيراً فأُتي عجرفة في هذا، والشارح من شأنه أن يوجه كلام الأصل مهما أمكن، ويعتقر القدر اليسير من الخلل تارة، ويحمله على النسخ تارة، وكل ذلك في مقابلة الإحسان الكثير الباهر، ولا سيما مثل هذا الكتاب.

ووقع في حاشية نسخة الدُمياطي بخطه الصواب في الترجمة «فأخطأ بخلاف الرسول» انتهى، وليس دعوى حذف الباء برفع للإشكال، بل إن سلك طريق التغيير فلعلّ اللام متأخرة، ويكون في الأصل خالف بدلاً خلاف. اهـ

الحاصل: هو ما سبق أن ذكرناه؛ وهو أن يكون مخالفاً للنص، أما ما لم يكن مخالفاً، فإنه لا يُنقض، ولو تبين له الخطأ، ولكن يجب عليه الرجوع عن الخطأ.

مثال ذلك: أن يكون حكم الحاكم مبنياً على الاجتهاد الذي لا يخالف النص، ثم تبين له في القضية الثانية أنه أخطأ في الأولى، فيجب عليه أن يحكم في القضية الثانية بما تبين له أو بما ظهر له أنه الحق، ولكن لا ينقض الأول، وهذا هو الذي يكاد العلماء أن يجمعوا عليه؛ لأننا لو قلنا: كلما تبين لحاكم أن اجتهاده الأول خطأ، وجب عليه نقضه، لاختلت أحكام الناس، حتى لو كان قاضياً، فأفتى بصحة الصلاة مثلاً، ثم تبين له أن فتواه خطأ، فإنه لا يلزمه أن يرجع في الفتوى الأولى.

مثال ذلك: لو أن رجلاً أفتى شخصاً أكل لحم إبل، بأن صلاته صحيحة، بناءً على أنه تبين له باجتهاده أن لحم الإبل لا ينقض الوضوء، ثم بعد أن نُوقش تبين له أن لحم الإبل ينقض الوضوء، فهل نقول: يلزمه أن يُبلغ الرجل الأول بإعادة الصلاة؟

**الجواب:** لا، وحتى الأول لو علم أن المفتي تغير اجتهاده لا يلزمه أن يعيد الصلاة،

ويدل على هذا كتاب أبي موسى الذي كتبه له عمر رضي الله عنه:

أنه إذا تبين له حق فلا يمتنع من قضاءه بالأمس عن القول بالحق، فإن الرجوع للحق خير من التبادي في الباطل <sup>(١)</sup>.

وأما العبارة ففيها شيء من القلق؛ أي: قوله: «فأخطأ خلاف الرسول». لكن من الممكن أن نُقدّر المعنى: أخطأ فقال بخلاف الرسول، أو نقول: إن «أخطأ» تُضمّن معنى «قال»، أو معنى «حكم» خلاف الرسول، ولا إشكال فيها.

أما الحديث الذي ساقه رحمته الله، فاستدل به أصحاب الحيل على جواز الحيل، وقالوا: إن الرسول ﷺ قال: «لا تفعلوا. ولكن مثلاً بمثل، أو يبعوا هذا واشتروا بثمنه من هذا» <sup>(٢)</sup>.

ولا شك أن قوله: «مثلاً بمثل». لا حيلة فيه، لأنه قال: اشتروا صاعاً من هذا بصاع من هذا، أو يبعوا هذا واشتروا بثمنه من الطيب. فالأول عادة لا يمكن - هو مثلاً بمثل - والثاني ممكن.

**وفيه:** دليل على أن الإنسان إذا ذكر للناس ما يمتنعون منه، فإنه يذكر لهم ما يباح لهم؛ لأن الرسول ﷺ لما قال: لا تفعلوا. قال: «ولكن». فعلمهم المباح، وهذا من الحكمة.

فأنت إذا رأيت الناس يعملون عملاً محرماً، فلا تقتصر على قولك هذا محرّم فقط، بل افتح لهم الباب؛ أي: باب المباح، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا آنظُرْنَا﴾ [التوبة: ١٠٤] فأتاهم بالبديل.

**وفيه أيضاً:** أن الإنسان الذي يُسيء في إدارته، لا ينبغي أن نعرّكه عن الإدارة، حتى نجد البديل؛ لئلا تبقى الإدارة شاغرة من المدير، اللهم إلا أن يكون بقاؤه أفسد من شغورها، فهذا شيء آخر.

واستدل بهذا الحديث جماعة من العلماء على جواز بيع العينة، وقالوا: لأن قوله: «بع واشتر». لم يقل: اشتر من غير هذا، ولكن هذا ليس بصحيح؛ لأن الفعل لا يدل على العموم، وإنما يدل على الإطلاق فليس في الحديث صيغة عموم، بل فيها إطلاق <sup>(٣)</sup>.

(١) تقدم تخريجه.

(٢) راجع الفصل الذي عقده العلامة ابن القيم رحمته الله تعالى تحت عنوان «الدلالة على تحريم الحيل» من كتابه «إعلام الموقعين» (٥٢٣/٤).

(٣) قال صاحب الإنصاف (٣٣٥/٤): ومن باع سلعة بنسيئة لم يجز أن يشتريها بأقل مما باعها نقداً إلا أن تكون قد تغيرت صفتها، هذه مسألة العينة، فعلها محرّم على الصحيح من المذهب، نص عليه، وعليه الأصحاب، وعند أبي الخطاب يحرم استحساناً، ويجوز قياساً، وكذا قال في الرغيب لم يجز استحساناً، وفي كلام القاضي



ثم على فرض أن فيها صيغة عموم، فهناك أدلة تدل على تحريم العينة: أدلة سمعية، وأدلة عقلية. أما السمعية: فحديث ابن عمر الذي في «السنن»، «إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم بأذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد، فإن الله تعالى ينزل في قلوبكم ذلاً لا ينزعُه حتى ترجعوا إلى دينكم»<sup>(١)</sup>. وهذا صريح في تحريم العينة.

ثم إن المعنى يقتضي ذلك، إذا قلنا: يحرم عليك أن تأخذ صاعاً من التمر الجيد، بصاعين من التمر الرديء، ثم قلنا: بع التمر الرديء، على صاحب التمر الجيد، ثم اشتر منه بثمانية تمرًا جيدًا، فما الذي استفادته من البيع؟

الجواب: لا شيء، فهي حيلة واضحة، والشرع لا يحرم الأشياء لصورها، وإنما يحرمها لمعانيها، فإذا كان شراء صاع من التمر الطيب، بصاعين من التمر الرديء محرماً فبيع التمر الرديء على صاحب التمر الطيب، ثم شراؤك بثمانية تمرًا طيبًا يكون حراماً؛ لأنه حيلة واضحة.

**وأيضاً:** قوله: «لا تفعلوا». ليس فيه دليل على رد البيع الأول، وإنما فيه دليل على النهي عن الفعل في المستقبل.

لكن في بعض ألفاظ الحديث: «ردؤه»<sup>(٢)</sup>. فأمر برده، وحينئذ يكون فيه دليل على ما ترجم له البخاري رحمه الله، ولعله لم يذكر هذه اللفظة إما لأنها على غير شرطه، أو لأنها في سياق على غير هذا الطريق.

وقوله: «كذلك الميزان». أي: كذلك ما يوزن، مثل: الذهب والفضة، فإنه لا يُباع الذهب بالذهب إلا مثلاً بمثل، فإن كان جيداً ورديئاً، فإنه يُباع الرديء ويُشترى بثمانية جيداً.

**ثم قال البخاري رحمه الله:**

٢١- باب أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ

٧٣٥٢- حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يَزِيدَ، حَدَّثَنَا حَيْوَةُ، حَدَّثَنِي يَزِيدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْهَادِ، عَنْ

مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْحَارِثِ، عَنْ بُسْرِ بْنِ سَعِيدٍ، عَنْ أَبِي قَيْسٍ مَوْلَى عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، عَنْ

وأصحابه القياس صحة البيع، قال في الفروع: ومرادهم أن القياس خولف للدليل راجح فلا خلاف إذا في المسألة، وحكى الزركشي بالصحة قولاً. اهـ

<sup>(١)</sup> رواه الإمام أحمد في مسنده (٢٨/٢) (٤٨٢٥) وأبو داود (٣٤٦٢)، وصححه الشيخ الألباني كما في السلسلة الصحيحة (١١)، وتعليقه على السنن.

<sup>(٢)</sup> رواه مسلم (١٢١٦/٣) (١٥٩٤) (٩٧).

عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِذَا حَكَّمَ الْحَاكِمُ فَاجْتَهَدْ ثُمَّ أَصَابَ؛ فَلَهُ أَجْرَانِ، وَإِذَا حَكَّمَ فَاجْتَهَدْ ثُمَّ أَخْطَأَ؛ فَلَهُ أَجْرٌ»<sup>(١)</sup>.

قَالَ: فَحَدَّثْتُ بِهِذَا الْحَدِيثَ أَبَا بَكْرٍ بْنُ عَمْرٍو بْنِ حَزْمٍ، فَقَالَ: هَكَذَا حَدَّثَنِي أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ<sup>(٢)</sup>.

وَقَالَ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ الْمُطَّلِبِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ مِثْلَهُ.

هَذَا الْبَابُ بَيْنَ مَرَادِ الْبَخَارِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي الْبَابِ الَّذِي قَبْلَهُ، مِنْ أَنَّ الْمَرَادَ الْحَاكِمُ إِذَا اجْتَهَدَ فَأَخْطَأَ مُخَالَفًا لِلنَّصِّ، فَإِنَّهُ يُنْقَضُ حُكْمُهُ، أَمَا إِذَا لَمْ يُخَالَفِ النَّصَّ، فَحُكْمُهُ الْأَوَّلُ صَحِيحٌ، وَيُؤْجَرُ أَجْرًا وَاحِدًا عَلَى اجْتِهَادِهِ.

أَمَا الَّذِي اجْتَهَدَ فَأَصَابَ، فَإِنَّهُ يُؤْجَرُ أَجْرَيْنِ: الْأَجْرُ الْأَوَّلُ عَلَى اجْتِهَادِهِ، وَالثَّانِي عَلَى إِصَابَتِهِ.

فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: كَيْفَ يُؤْجَرُ عَلَى إِصَابَتِهِ، وَإِصَابَتُهُ بغيرِ فَعْلِهِ فِي الْوَاقِعِ، فَهُوَ لَيْسَ مِنْهُ إِلَّا الْاجْتِهَادُ؛ وَلِذَلِكَ يَجْتَهِدُ فَيُخْطِئُ تَارَةً، وَيُصِيبُ تَارَةً؟.

**الْجَوَابُ أَنْ يُقَالَ:** إِنْ إِصَابَتَهُ لِلصَّوَابِ، وَإِظْهَارَهُ إِيَّاهُ يُؤْجَرُ عَلَيْهِ كَمَا يُؤْجَرُ الْإِنْسَانُ الَّذِي يَزْرَعُ زَرْعًا، أَوْ يَغْرِسُ نَخْلًا فَتَأْكُلُ مِنْهُ الطَّيْرُ، مَعَ أَنَّهُ مَا قَصِدَ ذَلِكَ، فَالْفَعْلُ إِذَا كَانَتْ ثَمَرَتُهُ نَافِعَةً أَجْرَ صَاحِبِهِ عَلَيْهِ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ حَصُولُ الثَّمَرَةِ بِاخْتِيَارِهِ.

**وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ يَقُولُ:** «إِذَا حَكَّمَ الْحَاكِمُ فَاجْتَهَدَ». قَدْ يَشْكُلُ عَلَى طَالِبِ الْعِلْمِ، أَيُّهُمَا أَسْبَقُ، الْحُكْمُ أَوْ الْاجْتِهَادُ؟.

الْجَوَابُ: الظَّاهِرُ أَنَّهُ الْاجْتِهَادُ، فَلِمَاذَا لَمْ يَقُلْ: إِذَا اجْتَهَدَ الْحَاكِمُ فَأَخْطَأَ ثُمَّ أَصَابَ؟

فَيُقَالُ: إِنْ الْحَدِيثُ عَنْ حُكْمِ الْحَاكِمِ، وَأَنْ قَوْلَهُ: فَاجْتَهَدَ. يَعْنِي: حَكَمَ حَكْمًا مَبْنِيًّا عَلَى الْاجْتِهَادِ، وَهَذَا وَجْهٌ.

**وَالْوَجْهُ الثَّانِي:** أَنْ يَكُونَ هَذَا مِنْ بَابِ التَّرْتِيبِ الدَّكْرِيِّ، لَا التَّرْتِيبِ الْمَعْنَوِيِّ أَيْ ذَكَرَ الْاجْتِهَادَ بَعْدَ الْحُكْمِ وَإِنْ كَانَ الْاجْتِهَادُ سَابِقًا، وَالتَّرْتِيبُ الذِّكْرِيُّ مَوْجُودٌ فِي اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ، وَمِنْهُ قَوْلُ الشَّاعِرِ:

(١) رواه مسلم (٣/١٣٤٣) (١٧١٦) (١٥).

(٢) هكذا رواه البخاري عقب الحديث (٧٣٥٢)، وقال الحافظ في «هدى الساري» ص ٧٠: رواية عبد العزيز بن المطلب المرسل لم أجدها. اهـ.

(٣) انظر: «معجم الهوامع» (٣/١٩٥)، و«مغني اللبيب» (١/٥٩).



إِنَّ مَنْ سَادَ ثُمَّ سَادَ أَبُوهُ ثُمَّ سَادَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ جَدُّهُ

فإن سيادة الأب هنا مقدمة على سيادة الابن، وسيادة الجد مقدمة على سيادة الأب، ومع ذلك جاء بضم الدالة على الترتيب، فيقال: إن هذا ترتيبٌ ذكريٌّ، وليس ترتيبًا معنويًا.

**قال ابن حجر رحمه الله في «الفتح» (٣١٨/١٣):**

باب «أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ». يُشِيرُ إلى أنه لا يلزم من ردِّ حكمه أو فتواه إذا اجتهد، فأخطأ أن يأتَمَ بذلك، بل إذا بذلَّ وسَّعه أُجِرَ، فإن أصاب صَوَّعَ أجره لكن لو أقدم فحكم أو أفتى بغير علم لحقه الإثم، كما تقدَّمت الإشارةُ إليه.

قال ابن المنذر: وإنما يؤجَّرُ الحاكم إذا أخطأ إذا كان عالمًا بالاجتهاد فاجتهد، وأما إذا لم يكن عالمًا فلا، واستدلَّ بحديث: «القضاءُ ثلاثة - وفيه - وقاضٍ قضى بغير حقٍّ؛ فهو في النار، وقاضٍ قضى وهو لا يعلم؛ فهو في النار». وهو حديثٌ أخرجه أصحابُ السنن عن بُريدة بألفاظٍ مختلفة، وقد جمعتُ طرقَه في جزءٍ مفردٍ.

ويؤيِّدُ حديثَ البابِ ما وقعَ في قصَّةِ سليمانَ في حكمِ داودَ عليه السلام في أصحابِ الحرث، وقد تقدَّمت الإشارةُ إليها فيما مضى قريبًا، وقال الخطابيُّ في معالم السنن: إنما يؤجَّرُ المجتهدُ إذا كان جامعًا لآلةِ الاجتهاد، فهو الذي نَعُدُّه بالخطأ، بخلافِ المتكلفِ فيخافُ عليه، ثم إنما يؤجَّرُ العالمُ؛ لأنَّ اجتهاده في طلبِ الحقِّ عبادةٌ، هذا إذا أصاب، وأما إذا أخطأ فلا يؤجَّرُ على الخطأ، بل يوضعُ عنه الإثمُ فقط، كذا قال، وكأنه يرى أن قوله: «وله أجرٌ واحدٌ» مجازٌ عن وضعِ الإثمِ.

قوله: «عن محمد بن إبراهيم بن الحارث». هو التيميُّ، تابعيٌّ، مدنيٌّ، ثقةٌ، مشهورٌ، ولأبيه صحبةٌ، «وُسْرٌ». بضمُّ الموحدة وسكونِ المهملة، «وأبو قيسٍ»، مولى عمرو بن العاصِ لا يعرفُ اسمه كذا قاله البخاريُّ، وتبعه الحاكمُ أبو أحمد، وجزمَ ابنُ يونسَ في تاريخ مصرَ بأنه عبدُ الرحمن بنُ ثابتٍ، وهو أعرفُ بالوَصْرِيِّينَ مِن غيره، وثقلَ عن محمد بن سحنونٍ أنه سمَّى أباه الحكمَ وخطأه في ذلك، وحكى الدِّمَاطِيُّ أن اسمه سعدٌ وعزاه لمسلمٍ في الكنى.

وقد راجعتُ نُسخًا من الكنى لمسلم فلم أرَ ذلك فيها، منها نسخةٌ بخطِّ الدراقطني الحافظ، وقرأتُ بخطِّ المنذريِّ «وقع عند السبتي» يعني: ابن حبان في صحيحه «عن أبي قابوسٍ» بدلَ أبي قيسٍ، كذا جزمَ به، وقد راجعتُ عدَّةَ نسخٍ من صحيح ابن حبان فوجدتُ فيها «عن أبي قيسٍ» إحداهما صحَّحها ابنُ عساكرٍ، وفي السندِ أربعةٌ مِنَ التابعينَ في نسقٍ، أولُهم يزيدُ بنُ عبدِ الله، وهو المعروفُ بابنِ الهادي، وما لأبي قيسٍ في البخاريِّ إلا هذا الحديثُ.

قوله: «إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب»، في رواية أحمد «فأصاب». قال القرطبي: هكذا وقع في الحديث بدأ بالحكم قبل الاجتهاد، والأمر بالعكس، فإن الاجتهاد يتقدم الحكم، إذ لا يجوز الحكم قبل الاجتهاد اتفاقاً، لكن التقدير في قوله «إذا حكم» إذا أراد أن يحكم فعند ذلك يجتهد، قال: ويؤيده أن أهل الأصول، قالوا: يجب على المجتهد أن يجدد النظر عند وقوع النازلة، ولا يعتمد على ما تقدم له لإمكان أن يظهر له خلاف غيره انتهى، ويحتمل أن تكون الفاء تفسيرية لا تعقيبية.

وقوله: «فأصاب» أي صادف ما في نفس الأمر من حكم الله تعالى. اهـ  
إذاً قوله: إذا حكم الحاكم فاجتهد. يعني: إذا أراد أن يحكم فاجتهد ثم حكم، أو نقول: الفاء هنا للترتيب الذكري، أو أن المعنى: إذا حكم حكماً مبنياً على الاجتهاد؛ أي: إذا حكم فكان مجتهداً، على كل حال فالمتفق عليه أن الاجتهاد لابد أن يكون سابقاً على الحكم. والاجتهاد هنا يشمل الاجتهاد في دليل المسألة، والاجتهاد لابد أن يكون في وسائل الحكم؛ يعني: الاجتهاد في الحكم ووسائله.  
فوسائل الحكم: كأن تحرر الشهود، ويسأل عن عدالتهم، وينظر في القرائن، وما أشبه ذلك، فكل هذا محل اجتهاد.

وكذلك في محل الحكم؛ أي: ما دل عليه الشرع، وهل يدل عليه النص، أو لا يدل؟ وهل يدل عليه ظاهراً، أو دلالة قطعية وما أشبه ذلك؟

الجواب: ظاهر الحديث أنه يتكلم عن المسائل العملية؛ لأنها هي محل الحكم، لكن لا شك أن المسائل العلمية مثلها؟ فإذا اجتهد الإنسان فأداه اجتهاده إلى شيء ما، وكان هذا الاجتهاد سائغاً فلا بأس، أما الاجتهاد غير السائغ فلا يقبل، والاجتهاد السائغ أن يكون ما قاله محتملاً في اللغة العربية، أو في قرينة السياق، وفي محل الحكم فإنه حيث يدعى يعدر؛ ولهذا اختلف السلف حتى في المسائل العلمية، فاختلّفوا في عذاب القبر<sup>(١)</sup>، واخلّفوا في الصراط، واخلّفوا فيما يوزن<sup>(٢)</sup>، واخلّفوا هل رأى الرسول ربه<sup>(٣)</sup>، فكل هذه

(١) انظر: «مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية» (٢٦٢/٤) وما بعدها.

(٢) انظر «شرح العقيدة الطحاوية» ص ٤١٧.

(٣) روي مسلم في صحيحه (١٧٧) من حديث عائشة قالت: ثلاث من تكلم بواحدة منهن فقد أعظم الفرية. قلت ما هن؟ قالت: من زعم أن محمداً رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية. وانظر: «كلام شيخ الإسلام في مجموع فتاويه» (٥٢/٦).



المسائل علمية، ومن باب العقيدة.

وأما إطلاق بعض الناس أنه لا خلاف في العقيدة، فالمراد بها الأصل، أما المسائل الجزئية فقد يقع فيها الخلاف؛ يعني: أنهم لم يختلفوا في أنه سيكون وزن، وسيكون عذاب قبر، وسيكون صراط.

ثم قال البخاري رحمه الله:

٢٢- باب الحجة على من قال: إن أحكام النبي ﷺ كانت ظاهرة، وما كان يعيب بعضهم من مشاهد النبي ﷺ وأمور الإسلام.

٧٣٥٣- حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، حَدَّثَنَا يَحْيَى، عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ، حَدَّثَنِي عَطَاءٌ، عَنْ عُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ، قَالَ: اسْتَأْذَنَ أَبُو مُوسَى عَلَى عُمَرَ، فَكَانَهُ وَجَدَهُ مُشْغُولًا فَرَجَعَ، فَقَالَ عُمَرُ: أَلَمْ أَسْمَعْ صَوْتَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَيْسٍ، انْذَنُوا لَهُ. فَدُعِيَ لَهُ فَقَالَ: مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ؟ فَقَالَ: إِنَّا كُنَّا نُوْمِرُ بِهِذَا. قَالَ: فَأَنْتَ عَلَى هَذَا بَيِّنَةٌ أَوْ لَأَفْعَلَنَّ بِكَ. فَانْطَلَقَ إِلَى مَجْلِسِ مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَالُوا: لَا يَشْهَدُ إِلَّا أَصَاغُرْنَا. فَقَامَ أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ فَقَالَ: قَدْ كُنَّا نُوْمِرُ بِهِذَا. فَقَالَ عُمَرُ: خَفِيَ عَلَى هَذَا مِنْ أَمْرِ النَّبِيِّ ﷺ، أَلَهَانِي الصَّفْقُ<sup>(١)</sup> بِالْأَسْوَاقِ<sup>(٢)</sup>.

٧٣٥٤- حَدَّثَنَا عَلِيُّ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، حَدَّثَنِي الزُّهْرِيُّ، أَنَّهُ سَمِعَهُ مِنَ الْأَعْرَجِ يَقُولُ: أَخْبَرَنِي أَبُو هُرَيْرَةَ قَالَ: إِنَّكُمْ تَزْعُمُونَ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ يُكْثِرُ الْحَدِيثَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَاللَّهِ الْمُوعِدُ، إِنِّي كُنْتُ أَمْرًا مُسْكِنًا أَرْمَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى مِلءِ بَطْنِي، وَكَانَ الْمُهَاجِرُونَ يَشْغَلُهُمُ الصَّفْقُ بِالْأَسْوَاقِ، وَكَانَتِ الْأَنْصَارُ يَشْغَلُهُمُ الْقِيَامُ عَلَى أَمْوَالِهِمْ، فَشَهِدْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ، وَقَالَ: «مَنْ يَبْسُطُ رِدَاءَهُ حَتَّى أَقْضِيَ مَقَالَتِي، ثُمَّ يَقْبِضُهُ، فَلَنْ يَنْسَى شَيْئًا سَمِعَهُ مِنِّي». فَبَسَطْتُ بُرْدَةً كَانَتْ عَلَى، فَوَالَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ مَا نَسِيتُ شَيْئًا سَمِعْتُهُ مِنْهُ<sup>(٣)</sup>.

قال المصنف رحمه الله: «باب الحجة على من قال: إن أحكام النبي ﷺ كانت ظاهرة».

يعني: كانت معلومة لكل أحد، هكذا زعم بعض العلماء، وقال: إن الرسول ﷺ مبلغ، والمبلغ لابد أن يبلغ كل من أرسل إليه، فلا بد أن تكون أحكامه ظاهرة<sup>(٤)</sup>.

(١) الصَّفْقُ: التَّبَايُعُ. النهاية لابن الأثير (ص ف ق).

(٢) رواه مسلم (٣/ ١٦٩٤) (٢١٥٣) (٣٣).

(٣) رواه مسلم (٤/ ١٩٣٩) (٢٤٩٢) (١٥٩).

(٤) سيأتي بيان ذلك في كلام الحافظ قريباً إن شاء الله.

وقوله: «ما كان يغيب بعضهم من مشاهد النبي ﷺ وأمور الإسلام». يعني: أن بعض الصحابة يغيبون عن مشاهد الرسول ﷺ ولا يحضرونها، ولو قلنا بأنها تكون ظاهرة ما غاب أحد عنها، ولأحاط بها جميع الناس.

**قال ابن حجر رحمه الله في «الفتح» (١٣ / ٣٢١):**

❦ قوله: «باب الحجة على من قال: إن أحكام النبي ﷺ كانت ظاهرة؛ أي: للناس لا تحفي إلا على النادر.

❦ وقوله: «وما كان يغيب بعضهم عن <sup>(١)</sup> مشاهد النبي ﷺ وأمور الإسلام». كذا للأكثر، وفي رواية النسفي، وعليها شرح ابن بطال: «مشاهده». ول بعضهم «مشهد». بالافراد، ووقع في مستخرج أبي نعيم، (ما كان يُفِيدُ بعضهم بعضاً) بالفاء والدال من الإفادة، ولم أره لغيره. «وما» في قوله: «ما كان». موصول، وجوز بعضهم أن تكون نافية، وأنها من بقية القول المذكور، وظاهر السياق بآباه.

وهذه الترجمة معقودة لبيان أن كثيراً من الأكابر من الصحابة كان يغيب عن بعض ما يقوله النبي ﷺ، أو يفعله من الأعمال التكليفية، فيستمر على ما كان اطلع عليه هو، إما على المنسوخ لعدم اطلاعه على ناسخه، وإما على البراءة الأصلية.

وإذا تقرر ذلك قامت الحجة على من قدم عمل الصحابي الكبير، ولا سيما إذا كان قد ولي الحكم على رواية غيره متمسكاً بأن ذلك الكبير لولا أن عنده ما هو أقوى من تلك الرواية لما خالفها. ويردّه أن في اعتماد ذلك ترك المحقق للمظنون.

وقال ابن بطال: أراد الرد على الرافضة والخوارج الذين يزعمون أن أحكام النبي ﷺ وسننه منقولة عنه نقل التواتر، وأنه لا يجوز العمل بما لم ينقل متواتراً.

قال: وقولهم مردود بما صح أن الصحابة كان يأخذ بعضهم عن بعض، ورجع بعضهم إلى ما رواه غيره، وانعقد الإجماع على القول بالعمل بأخبار الآحاد.

**قلت:** وقد عقد البيهقي في المدخل: باب: الدليل على أنه قد عُرِبَ على المتقدم الصحة الواسع العلم الذي يعلمه غيره، ثم ذكر حديث أبي بكر في الجدة، وهو في «الموطأ»، وحديث عمر في الاستئذان، وهو المذكور في هذا الباب، وحديث ابن مسعود في الرجل الذي عقد على امرأة، ثم طلقها، فأراد أن



يَتَزَوَّجُ أَمَّهَا، فَقَالَ: لَا بَأْسَ، وَإِجَازَتُهُ بَيْعُ الْفُضْيَةِ الْمَكْسُورَةِ بِالصَّحِيحَةِ مُتَفَاضِلًا، ثُمَّ رَجَوْعُهُ عَنِ الْأَمْرَيْنِ مَعًا، لِمَا سَمِعَ مِنْ غَيْرِهِ مِنَ الصَّحَابَةِ النَّهْيَ عَنْهَا، وَأَشْيَاءُ غَيْرُ ذَلِكَ، وَذَكَرَ فِيهِ حَدِيثُ الْبَرَاءِ (لَيْسَ كُلُّنَا كَانَ يَسْمَعُ الْحَدِيثَ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ) كَانَتْ لَنَا صَنْعَةٌ وَأَشْغَالٌ، وَلَكِنْ كَانَ النَّاسُ لَا يَكْذِبُونَ، فَيُحَدِّثُ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ). وَسَنَدُهُ ضَعِيفٌ.

كَذَا حَدِيثُ أَنَسٍ: «مَا كُلُّ مَا نُحَدِّثُكُمْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ سَمِعْنَاهُ، وَلَكِنْ لَمْ يُكْذَّبْ بَعْضُنَا بَعْضًا» ثُمَّ سَرَدَ مَا رَوَاهُ صَحَابِيُّ، عَنْ صَحَابِيٍّ مِمَّا وَقَعَ فِي الصَّحِيحِينَ، وَقَالَ: فِي هَذَا دَلَالَةٌ عَلَى إِتْقَانِهِمْ فِي الرِّوَايَةِ، وَفِيهِ أَبَيُّ الْحِجَّةِ، وَأَوْضَحُ الدَّلَالَةِ عَلَى تَثْبِيثِ خَبَرِ الْوَاحِدِ، وَأَنْ بَعْضُ السَّنَنِ كَانَ يَخْفَى عَنْ بَعْضِهِمْ، وَأَنْ الشَّاهِدَ مِنْهُمْ كَانَ يُبْلَغُ الْغَائِبَ مَا شَهِدَ، وَأَنْ الْغَائِبَ كَانَ يَقْبَلُهُ مِمَّنْ حَدَّثَهُ وَيَعْتَمِدُهُ وَيَعْمَلُ بِهِ.

**قُلْتُ:** خَبَرُ الْوَاحِدِ فِي الْأَصْطِلَاحِ خِلَافُ الْمَتَوَاتِرِ، سَوَاءٌ كَانَ مِنْ رِوَايَةِ شَخْصٍ وَاحِدٍ أَوْ أَكْثَرٍ، وَهُوَ الْمُرَادُ بِمَا وَقَعَ فِيهِ الْاِخْتِلَافُ، وَيَدْخُلُ فِيهِ خَبَرُ الشَّخْصِ الْوَاحِدِ دُخُولًا أَوَّلِيًّا، وَلَا يَرُدُّ عَلَى مَنْ عَمِلَ بِهِ مَا وَقَعَ فِي حَدِيثِ الْبَابِ مِنْ طَلَبِ عُمَرَ مِنْ أَبِي مُوسَى الْبَيْتَةَ عَلَى حَدِيثِ الْاِسْتِثْذَانِ، فَإِنَّهُ لَمْ يَخْرُجْ مَعَ شَهَادَةِ أَبِي سَعِيدٍ لَهُ وَغَيْرِهِ عَنْ كَوْنِهِ خَبَرًا وَاحِدًا، وَإِنَّمَا طَلَبَ عُمَرُ مِنْ أَبِي مُوسَى الْبَيْتَةَ لِلْاِحْتِيَاطِ كَمَا تَقَدَّمَ شَرْحُهُ وَاضْحًا فِي «كِتَابِ الْاِسْتِثْذَانِ». وَإِلَّا فَقَدْ قَبِلَ عُمَرُ حَدِيثَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ فِي اخْتِذِ الْجَزْبَةِ مِنَ الْمَجْجُوسِ، وَحَدِيثَهُ فِي الطَّاعُونَ، وَحَدِيثَ عُمَرَ بْنِ حَزْمٍ فِي التَّسْوِيَةِ بَيْنَ الْأَصَابِعِ فِي الدِّيَةِ، وَحَدِيثَ الضُّحَاكِ بْنِ سَفْيَانَ فِي تَوْرِيثِ الْمَرْأَةِ مِنْ دِيَةِ زَوْجِهَا، وَحَدِيثَ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَاصٍ فِي الْمَسْحِ عَلَى الْخَفَيْنِ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ، وَتَقَدَّمَ فِي الْعِلْمِ مِنْ حَدِيثِ عُمَرَ أَنَّهُ كَانَ يَتَنَاقَضُ النَّبِيُّ ﷺ هُوَ وَرَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَيَنْزِلُ هَذَا يَوْمًا وَهَذَا يَوْمًا، وَيُخْبِرُ كُلُّ مِنْهُمَا الْآخَرَ بِمَا غَابَ عَنْهُ، وَكَانَ غَرَضُهُ بِذَلِكَ؛ تَحْصِيلَ مَا يَقُومُ بِحَالِهِ وَحَالِ عِيَالِهِ لِيُغْنِيَهُ عَنِ الْاِحْتِيَاجِ لْغَيْرِهِ، وَلِيَتَّقُوهُ عَلَى مَا هُوَ بِصَدْدِهِ مِنَ الْجِهَادِ. اهـ

الْحَاصِلُ: أَنَّا عَرَفْنَا الْآنَ أَنَّ مَنْ قَالَ بِهَذَا هُمُ الرُّوَافِضُ وَالْخَوَارِجُ، وَكَذَلِكَ أَيْضًا يَنْبَغِي أَنْ يَلْحَقَ بِهِمْ مَا قَالَهُ بَعْضُ الْمَعَاصِرِينَ: مِنْ أَنَّ الْحَدِيثَ الْقَوْلِيَّ إِذَا لَمْ يُوَيَّدْ بِعَمَلٍ مِنَ الصَّحَابَةِ فَإِنَّهُ لَا يُؤْخَذُ بِهِ، فَهَذَا أَيْضًا غَلْطٌ؛ لِأَنَّا مَكْلُفُونَ بِأَنْ نَقْبَلَ مَا جَاءَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، فَإِذَا قِيلَ هَلْ عَمِلَ بِهِ الصَّحَابَةُ؟

الْجَوَابُ: نَقُولُ: هَذَا لَيْسَ مِنْ شَأْنِنَا، عَمِلُوا أَمْ لَمْ يَعْمَلُوا، ثُمَّ إِنْ الْأَصْلَ أَنَّهُمْ عَمِلُوا ﷺ فَلَا حَاجَةَ إِلَى النُّقْلِ.

ومثل ذلك أيضًا: الأمور العلمية، فلا حاجة إلى أن نقول: أثبت أن الصحابة قالوا عنها: هكذا وهكذا.

كان يقول قائل: إن الله قال: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [التكوير: ٢٢]. فما هو قول الصحابة في قوله ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾. هل جاء نفسه، أو جاء أمره؟

**الجواب:** نقول: جاء بنفسه جلا، فيقول: أثبت لنا أن أبا بكر، أو عمر، أو عثمان، أو عليًا، أو ابن مسعود قال: جاء ربك؛ أي: نفسه. فنقول: لا حاجة لإثباتها؛ لأنهم يقرأون القرآن ويعرفون معناه، ولا يعتقدون خلافه. وهكذا يقال في الاستواء، وغيره من المسائل العلمية. فآيات الأحكام، وآيات الأخبار كلها سواء، والأصل أن الصحابة عملوا بآيات الأحكام، وصدقوا بالأخبار على ظاهرها، ولو قلنا: لا بد لكل حديث عملي من ثبوت أن الصحابة عملوا به؛ لضاعف كثير من الأحكام.

**وهذا أيضًا** كالذي يقول: إن أحكام الرسول ﷺ لا بد أن تكون ظاهرة معلنة، وكل أحد يعرفها. فهذا أيضًا غير صحيح؛ لأن كثيرًا من أخبار الرسول ﷺ لم يروها عنه إلا واحد، فحديث: «إنما الأعمال بالنيات» <sup>(١)</sup> لم يروه إلا عمر مع أنه يقول: سمعت النبي ﷺ يقول. وهذا يقتضي أن يكون عليًا، ومع هذا لم يروه إلا واحد.

وحديث الطاعون، وفيه: أن المهاجرين والأنصار وعلى رأسهم عمر بن الخطاب ﷺ لم يعملوا به، حتى جاء عبد الرحمن بن عوف، وكان قد ذهب في حاجة له، فأخبرهم أن النبي ﷺ قال: «إذا سمعتم به في أرض فلا تقدموا عليها» <sup>(٢)</sup>.

فالحاصل: أنه لا يلزم أن نقول: إن أحكام الرسول ﷺ لا بد أن تكون ظاهرة؛ لأنه مرسّل إلى جميع الخلق، فيجب أن يبلغ كل واحد؛ لأنه قول باطل بلا شك.

وأما حديث عمر ﷺ فيه: دليل على أن الإنسان إذا استأذن فلم يؤذن له ثلاث مرات، فإنه يرجع، فإن كلمه صاحب البيت، وقال: ادخل. فليدخل، وإن قال: ارجع فليرجع.

ولما كان الرجوع صعبًا على النفوس، جعل الله تعالى الرجوع من أسباب الزكاة فقال: ﴿وَلَقَدْ قِيلَ لَكُمْ اَرْجِعُوا فارجعوا هو اَرْزُكِي لَكُمْ﴾ [التكوير: ٢٨]؛ أي: أرزكي لك من أن تُصِرَّ على أن تدخل، وإن كان فيه شيء من العضاضة.

(١) تقدم تخريجه.

(٢) رواه البخاري (٥٧٢٩)، ومسلم (٤ / ١٧٤٠) (٢٢١٩) (٩٨).



ومثل ذلك: إذا قال لكم أحدٌ في سيرِكم معه: ارجعوا، فإن هذا عنده شيءٌ خاصٌّ، فإذا رجعتُم فهو أركى لكم.

**وفيه أيضًا:** دليلٌ على ثبوتِ عمرَ رحمته في الأخبارِ، كما سبقَ بيانهُ <sup>(١)</sup>.

**أما الحديثُ الثاني ففيه:** أن الاتهامَ -أي: اتهامَ الشخصِ- قد كان حتى في صدرِ هذه الأمة.

**وفيه:** أن أبا هريرةَ رحمته أكثرُ الصحابةِ روايةً عن النبي ﷺ، ولكن هل هذا هو أكثرُ الصحابةِ تحملاً؟

**الجوابُ:** لا، فلا أظنه أكثرُ تحملاً من أبي بكرٍ رحمته وعمرَ رحمته اللذين كانا يلازمانِ النبيَّ

ﷺ دائماً في سفره، وإقامته، وقبل أن يُسلمَ أبو هريرةَ بزمانٍ، لكنَّ أبا هريرةَ تفرَّغَ وصار يُحدِّثُ الناسَ، فكثُرَ تلاميذه، وكثُرَت أحاديثُه رحمته.

**ثم هو أيضًا:** أكثرُ من غيره تحملاً ولكنها كثرةٌ نسبية؛ لأنه كان فقيراً، وكان يتبعُ النبيَّ ﷺ على شبعِ بطنه، والصحابةُ كثيرٌ منهم يشتغلونَ بالتجارة، وبالصفقِ في الأسواقِ؛ أي: أنهم يبيعونَ ويشترونَ؛ لأنَّ عقدَ البيعِ يُسمَّى صفقاً، والأنصارُ عندهم الحرثُ والزرعُ يشتغلونَ فيه.

**وفي هذا الحديثِ أيضًا:** هذه الآيةُ العظيمةُ التي حصلتَ له، حينَ قال النبيُّ ﷺ: «مَنْ يَسْطُرْ رِداءَهُ حَتَّى أَقْضِيَ مَقالَتِي، ثُمَّ يَقْبِضَهُ فَلَنْ يَنْسَى شَيْئاً سَمِعَهُ مِنِّي». يقولُ: فبَسَطْتُ بُردَةً كَانَتْ عَلَيَّ، فوالذي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ مَا نَسِيتُ شَيْئاً سَمِعْتُهُ مِنْهُ.

وظاهرُ الحديثِ: أن اللهَ يُعْطِيهِ حَفْظاً في هذا الحديثِ وفي غيره.

فإذا قال قائلٌ: هل نفهمُ من حديثِ أبي هريرةَ أن ملازمةَ العلماءِ لتلقي العلمِ منهم، أفضلُ من الصفقِ في الأسواقِ؟

**الجوابُ:** نعم، وذلك إذا كان عندَ الإنسانِ ما يكفيه، أو كان لديه قوَّةٌ توكلُ، فلا شكَّ أن ملازمةَ العلماءِ للأخذِ منهم أفضلُ من كونه يَبْقَى هكذا.

أما إذا لم يكنْ عندَ الإنسانِ ما يكفيه، أو كان ضعيفَ التوكلِ، فإنه يُقدِّمُ حاجتَه وحاجةَ عياله على فاضلِ العلمِ.

ولكن هل الأفضلُ الزواجُ، أم طلبُ العلمِ وملازمةُ العلماءِ؟

**الجوابُ:** هذا أيضًا يرجعُ إلى حالِ الشخصِ، فبعضُ الناسِ لا يطيقُ الصبرَ عن الزواجِ، حتى لو جلسَ عندَ العلماءِ تجدهُ يُفكرُ في الزواجِ، فهذا نقولُ له: تزوّجْ أولاً. وبعضُ الناسِ لا

يَهْتَمُّ بِهَذَا الْأَمْرِ، فَلِكُلِّ قَضِيَّةٍ حَكْمٌ خَاصٌّ.

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى:

٢٣- بَابُ مَنْ رَأَى تَرَكَ النِّكَيرَ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ حُجَّةً، لَا مِنْ غَيْرِ الرَّسُولِ.

٧٣٥٥- حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ حُمَيْدٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُعَاذٍ، حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ

سَعْدِ ابْنِ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُثَنِّدِ قَالَ: رَأَيْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ يَحْلِفُ بِاللَّهِ أَنَّ ابْنَ الصَّائِدِ الدَّجَالَ. قُلْتُ: تَحْلِفُ بِاللَّهِ؟ قَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ عُمَرَ يَحْلِفُ عَلَى ذَلِكَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمْ يُنْكِرْهُ النَّبِيُّ ﷺ. <sup>(١)</sup>

هَذِهِ التَّرْجُمَةُ يَقُولُ فِيهَا رَحِمَهُ اللَّهُ: إِنْ تَرَكَ النِّكَيرَ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ حُجَّةً، وَأَمَّا مِنْ غَيْرِهِ فَلَا. وَوَجْهُ ذَلِكَ أَنْ إِقْرَارَ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى الشَّيْءِ إِنْ كَانَ تَعْبُدًا فَهُوَ سُنَّةٌ، وَإِنْ كَانَ غَيْرَ تَعْبُدٍ فَهُوَ مُبَاحٌ؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَا يُقَرُّ عَلَى خَطَأٍ، أَمَا غَيْرُهُ فَقَدْ يُقَرُّ الْخَطَأَ، إِمَّا ذَهُولًا وَغَفْلَةً، وَإِمَّا خَوْفًا، وَإِمَّا حَيَاءً، وَإِمَّا عَجْزًا أَوْ لَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَسْبَابِ.

مِثَالُ ذَلِكَ: إِذَا أَنْكَرَ عَلَى شَخْصٍ فَعَلَّ مِنَ الْأَفْعَالِ ثُمَّ قَالَ: قَدْ فَعَلْتُ هَذَا بِحَضْرَةِ الْعَالِمِ الْفُلَانِيِّ، فَلَمْ يُنْكِرْ عَلَى. نَقُولُ: هَذَا لَيْسَ بِحُجَّةٍ؛ لِأَنَّ هَذَا الْعَالِمَ قَدْ يَكُونُ عَاجِزًا عَنِ الْإِنْكَارِ، وَقَدْ يَكُونُ عِنْدَهُ تَرَدُّدٌ فِي الْحُكْمِ، فَلَا يُحِبُّ أَنْ يُنْكِرَ وَهُوَ عِنْدَهُ تَرَدُّدٌ، وَقَدْ يَرَى جَوَازَ هَذَا الشَّيْءِ وَهُوَ لَيْسَ كَذَلِكَ، وَلَكِنْ عَدِمَ إِنْكَارَ الرَّسُولِ ﷺ حُجَّةً.

وَقَوْلُ الْمُؤَلِّفِ: «بَابُ مَنْ رَأَى» يَدُلُّ عَلَى أَنَّ هُنَاكَ رَأْيًا آخَرَ؛ لِأَنَّ مِنَ الْعُلَمَاءِ <sup>(٢)</sup> مَنْ يَرَى أَنَّ تَرَكَ الْإِنْكَارِ مِنَ الْعَالِمِ الْقَادِرِ عَلَى الْإِنْكَارِ حُجَّةٌ.

لَكِنْ يَنْبَغِي أَنْ يُقَالَ: هُوَ حُجَّةٌ عَلَى رَأْيِهِ؛ أَيْ: عَلَى أَنَّهُ يَرَى أَنَّ هَذَا جَائِزٌ، لَا عَلَى الْحُكْمِ الشَّرْعِيِّ، وَفَرْقٌ بَيْنَ الْأَمْرَيْنِ: فَإِذَا قُلْنَا: إِنَّهُ حُجَّةٌ عَلَى أَنَّهُ يَرَى جَوَازَهُ، فَهَذَا هُوَ الْأَصْلُ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يُقَرَّ إِلَّا وَهُوَ يَرَى أَنَّهُ جَائِزٌ، لِاسْتِمَاً مَعَ الْقُدْرَةِ عَلَى الْإِنْكَارِ، أَمَا إِذَا قُلْنَا: إِنَّهُ يَدُلُّ عَلَى جَوَازِ الشَّيْءِ شَرْعًا فَلَا؛ لِأَنَّ هَذَا الرَّجُلَ قَدْ يَكُونُ مُخْطِئًا فِي رَأْيِهِ، فَلَا يَكُونُ مُوَافِقًا لِلْحَقِّ.

قَالَ ابْنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «الْفَتْحِ» (١٣/٣٢٣، ٣٢٤):

قَوْلُهُ: «بَابُ مَنْ رَأَى تَرَكَ النِّكَيرَ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ حُجَّةً» النَّكَيرُ بَفَتْحِ النُّونِ وَزَنْ عَظِيمٍ: الْمُبَالَغَةُ فِي الْإِنْكَارِ. وَقَدْ اتَّفَقُوا عَلَى أَنَّ تَقْرِيرَ النَّبِيِّ ﷺ لَمَّا يُفَعَّلُ بِحَضْرَتِهِ، أَوْ يُقَالَ وَيَطْلَعُ عَلَيْهِ

(١) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢٢٤٣/٤) (٢٩٢٩) (٩٤).

(٢) سَيَأْتِي ذِكْرُ ذَلِكَ فِي كَلَامِ ابْنِ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ قَرِيبًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.



بغير إنكارٍ دالٍّ على الجواز؛ لأنَّ العصمة تنفي عنه ما يَحْتَمِلُ في حقِّ غيره، مما يترتَّبُ على الإنكارِ، فلا يُقَرُّ على باطلٍ، فَمِنْ ثَمَّ قَالَ: «لا مِن غيرِ الرسولِ». فإنَّ سكوتَه لا يدلُّ على الجواز، ووقع في تنقيح الزركشي في الترجمة بدلَ قوله: لا مِن غيرِ الرسولِ «لأمرٍ يحضُّره الرسولُ». ولم أزه لغيره، وأشار ابنُ التينِ إلى أنَّ الترجمة تتعلَّقُ بالإجماع السكوتيِّ، وأنَّ الناسَ اختلفوا، فقالت طائفة: لا يُنسَبُ لساكِتٍ قولٌ؛ لأنَّه في مهلة النظر، وقالت طائفة: إنَّ قال المجتهدُ قولاً وانتشر لم يُخالِفْه غيره بعدَ الاطلاع عليه فهو حجةٌ، وقيل: لا يكونُ حجةً حتى يتعدَّدَ القيلُ به، ومحلُّ هذا الخلافِ ألاَّ يُخالِفَ ذلك القولُ نصَّ كتابٍ أو سنةً، فإنَّ خالفه فالجمهورُ على تقديم النصِّ، واحتجَّ مَنْ منع مطلقاً؛ أنَّ الصحابةَ اختلفوا في كثيرٍ من المسائل الاجتهادية، فمنهم مَنْ كان يُنكِرُ على غيره إذا كان القولُ عنده ضعيفاً، وكان عنده ما هو أقوى منه من نصٍّ كتابٍ أو سنةً، ومنهم مَنْ كان يَسْكُتُ فلا يَكُونُ سكوتُه دليلاً على الجواز، لتجويز أن يَكُونُ لم يتَّضح له الحكمُ، فسكتَ لتجويز أن يَكُونَ ذلك القولُ صواباً، وإن لم يظهر له وجهه. اهـ

**الحاصل:** أننا عرفنا أنه حجةٌ على أن هذا القولُ هو قولُ هذا العالم، لا على أن هذا هو الصوابُ.

**فإذا قال قائلٌ: ألا يَحْتَمِلُ أن هذا العالمُ غفل، أو أنه ليس بقادرٍ؟**

**الجوابُ:** قلنا: الأصلُ عدمُ الغفلة، وأما أنه ليس بقادرٍ فقد قيَّدناه بقولنا: مع القدرة فبإذا فُعل عند العالمِ فعلٌ، وهو قادرٌ على إنكاره ولم يُنكره، فهو دليلٌ على أنه يَرى جوازه؛ لأنَّ هذا هو الأصلُ وأنَّ العالمَ لا يُفَرِّقُ شيئاً يرى أنه حرامٌ.

**وفي هذا الحديث:** أن ابنَ الصائِدِ هو الدجالُ وليس المرادُ به الدجالُ المعينَ الذي يَخْرُجُ في آخرِ الزمانِ؛ لأنَّ ابنَ الصيادِ دخلَ مكةَ والمدينةَ، والدجالُ لا يَدْخُلُ مكةَ والمدينةَ <sup>(١)</sup> على أن بعضَ أهل العلمِ يقولُ: هذا ليس بحجةٍ؛ لأنَّه ربما يَكُونُ ممنوعاً من مكةَ والمدينةِ إذا ظهرت فتنته، أما قبلَ ذلك فلا.

ولهذا اختلفَ العلماءُ رَحِمَهُمُ اللهُ هل ابنُ الصيادِ هو الدجالُ الذي يُعْتَبَرُ في آخرِ الزمانِ، أو هو دجالٌ من الدجاجلةِ والمموهين <sup>(٢)</sup>؟

(١) رواه مسلم (٤/ ٢٢٤١) (٢٩٢٧) (٨٩).

(٢) قال النووي رَحِمَهُمُ اللهُ في «شرحهِ على صحيح مسلم» (٩/ ٢٨١): قال العلماءُ: وقصته مشككة وأمره مشتبهِ في أنه هل هو المسيح الدجال المشهور أم غيره؟ ولا شك في أنه دجال من الدجاجلة، قال العلماءُ: وظاهره

**والأقرب الثاني:** لأنه ثبت في الصحيحين أن الرسول ﷺ خطب يوماً فقال: «إنه على رأس مائة سنة لا يبقَى ممن هو على وجه الأرض اليوم أحد»<sup>(١)</sup> والأصل أن العامّ شاملٌ لجميع أفرادِهِ، و(أحد) نكرةٌ في سياقِ النفي فيكونُ للعمومِ، وقد قرّرَ النبي ﷺ هذه القاعدةُ - أن العامّ شاملٌ لجميعِ أفرادِهِ - في قوله «السلام علينا وعلى عبادِ الله الصالحين»، فقال: «إنكم إذا قُلتم ذلك فقد سلّمتم على كلِّ عبدٍ صالحٍ في السماء والأرض»<sup>(٢)</sup>. لأن لفظَ عبادِ الله من صيغِ العمومِ.

وعلى هذا فيكونُ ابنُ العبادِ داخلٌ في العمومِ من أنه لا يبقَى على رأسِ مائة سنةٍ ممن هو على وجهِ الأرضِ أحدٌ.

ووجهُ مطابقةِ الحديثِ للترجمة؛ أن عمرَ كان يَحْلِفُ على ذلك عند النبي ﷺ فلم يُنكرهُ.

**ثم قال البخاري رحمه الله:**

**٢٤ - بابُ الأحكامِ التي تعرفُ بالدلائلِ وكيف معنى الدلالةِ وتفسيرُها.**

وقد أخبر النبي ﷺ أمرَ الخيلِ وغيرها، ثم سُئِلَ عن الحُمْرِ فدَلَّهم على قولِهِ تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ [الزُّلْفَى: ٧].<sup>(٣)</sup>

**وسُئِلَ النبي ﷺ عن الضَّبِّ، فقال: لا آكلُهُ ولا أُحرِّمُهُ، وأُكِلَ على مائدةِ النبي ﷺ الضَّبُّ، فاستدلَّ ابنُ عباسٍ بأنه ليس بحرامٍ.**<sup>(٤)</sup>

هذا البابُ المقصودُ به معرفةُ الأحكامِ بالاستنباطِ والقرائنِ، فالاستنباطُ والقرائنُ لا شكَّ أنهما من طرقِ ثبوتِ الأحكامِ؛ لأن طرقَ ثبوتِ الأحكامِ متعددةٌ:

الأحاديثُ أن النبي ﷺ لم يوحِ إليه بأنه المسيح الدجال ولا غيره، وإنما أوحى إليه بصفاتِ الدجال وكان في ابنِ صيادِ قرائنٌ محتملة، فلذلك كان النبي ﷺ لا يقطع بأنه الدجال ولا غيره، ولهذا قال لعمر رضي الله عنه «إن يكن هو فلن تستطيع قتله». اهـ

وانظر: «مجموع فتاوى شيخ الإسلام» (٢٨٣/١١)، و«تحفة الأحوذى» (٤٢٦/٦)، و«عمدة القاري» (١٧٢/٨).

(١) تقدم تخريجه.

(٢) رواه البخاري (٦٣٢٨)، ومسلم (٣٠١/١) (٤٠٢) (٥٥).

(٣) هكذا علقه البخاري بصيغة الجزم، وأسنده في حديث الباب الذي معنا.

(٤) علقه البخاري أيضاً بصيغة الجزم وأسنده في الذبائح والصيد (٥٥٣٦)، (٥٥٣٧) من طريق عبد الله بن

مسلمة، عن مالك، عن ابن شهاب عن أبي أمامة بن سهل، عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما عن خالد بن الوليد، به. وبغير هذا الطريق أيضاً.



فتارة يُنصُّ على الحكم بعينه.

وتارة يؤخذ بالقرينة.

وتارة يؤخذ بالعموم إلى غير ذلك.

في هذه الترجمة أخبر النبي ﷺ عن الخيل، وقال: «إن في نواصيها الخير إلى يوم القيامة».

**وسئل عن الحمر، فقال:** «لم ينزل عليَّ فيها إلا هذه الآية الشاذة الفاذة»؛ يعني: المنفردة التي تعتبر حكماً فاصلاً، ثم قرأ: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ [٧:٢٥]. يعني: أن الحمر ليس فيها خيرٌ لذاتها، ولا شرٌّ، لكن إن عملت فيها خيراً أثبت، وإن عملت فيها شراً عوقبت.

**وسئل عن الضب، فقال:** «لا أكله ولا أحرمه». وعلل ذلك بأنه ليس في أرض قوميه فهو يُعافه، لكنه لم يُحرّمه لأنه أُكل على مائدته ﷺ، أكله خالد بن الوليد، فاستدل ابن عباس رضي الله عنهما بأنه ليس بحرام؛ لأنه لو كان حراماً لم يُقر النبي ﷺ خالدًا ولا غيره على أكله.

**واستدل ابن عباس رضي الله عنهما أيضاً:** على أن أجر الحجام حلال - مع أن النبي ﷺ قال: «كسب الحجام خبيث»<sup>(١)</sup> - بأن النبي ﷺ احتجم وأعطى الحجام أجره، ولو كان حراماً لم يُعطه<sup>(٢)</sup>.

كذلك أيضاً: نستدل على جواز أخذ الأجرة على القراءة على المريض، بأن النبي ﷺ أقر الصحابة على أخذ الأجرة على القراءة على المريض<sup>(٣)</sup>. ونأخذ كذلك جواز الأجرة على تعليم القرآن من هذا الحديث.

**فالحاصل:** أن طرق الاستدلال كثيرة، فتكون بالقرائن، وبالنص، وبالعموم، وبغير ذلك، والناس يختلفون في هذا اختلافاً كثيراً.

فمثلاً لو قال لك قائل: هل يجوز للإنسان أن يُصبح جنباً وهو صائم؟

**الجواب:** قل: نعم، يجوز؛ لأن الله قال: ﴿فَالَّذِينَ بَشِرُوا هُنَّ وَأَتَعُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتُوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾ [٢:١٨٧]. فإذا جاز للإنسان أن يُباشِر زوجته إلى طلوع الفجر، لزم من ذلك أن يُصبح وهو جنبٌ.

والأمثلة على هذا كثيرة؛ من أن الحكم يكون بالنص على نفس الحكم، وبالعموم، وبالاستنباط، وبالإشارة، وبغير ذلك، والناس يختلفون في هذا اختلافاً كثيراً، فتجد بعض الناس يأخذ من نص واحد

(١) رواه مسلم (١١٩٩/٣) (١٥٦٨) (٤١).

(٢) رواه البخاري (٢٢٧٩)، ومسلم (١٢٠٥/٣) (١٢٠٢) (٦٦).

(٣) رواه البخاري (٥٧٤٩)، ومسلم (١٧٢٧/٤) (٢٢٠١) (٦٥).

عدة مسائل، وآخر لا يَسْتَطِيعُ أن يأخذ ولا نصف الذي أخذه الأول.

ويُذَكِّرُ أن الشافعي رَحِمَهُ اللهُ استضافه الإمام أحمد بن حنبل، وكان الإمام أحمد بن حنبل يذكره عند أهله - أي: الشافعي - بخير، فنزل عليه ضيفاً ذات يوم، فقدم إليه العشاء فأكله كله؛ ثم انصرف الإمام أحمد وبقي الإمام الشافعي في فراشه، ولم يَقم في آخر الليل ليتجهّد، ثم أذن الفجر، فقام يُصَلِّي ولم يطلب ماءً للوضوء، فلما أصبح الإمام أحمد، قال له أهله: ما هذا الشيخ، أكل الطعام كله، ونام ولم يتجهّد، وصلى الفجر بغير وضوء؟ كل هذه عدوها عيوباً - فسأل الإمام أحمد الشافعي ما هو شأنك البارحة؟

**فقال:** أما الطعام فملاّت، بطني منه؛ لأنني لا أجِدُ طعاماً أحلّ من طعام الإمام أحمد، فملاّت بطني من هذا الطعام الحلال، ومِلءُ البطن عادة لا بأس بها، فإن أبا هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لَمَّا سقاه النبي ﷺ اللبن وروي، قال: «اشرب» قال: لا أجِدُ له مُسَاعَداً يعني: امتلاءً بطنه<sup>(١)</sup>. وأما كوني لم أتجهّد؛ فلأن العلم أفضل من التهجّد، وكنت أفكر في استنباط الأحكام من قول الرسول ﷺ: «يا أبا عمير ما فعل النغير»<sup>(٢)</sup>. وأقل ما قيل إنه أخذ من هذا الحديث ثمانين مسألة. وأما كوني خرجت ولم أتوضأ؛ فلأن وضوئي لم يَنْتَقِصْ؛ لأنني ما نمت - يعني: وكأنه يَقُولُ لا أحبُّ أن أكلّفكم بأن تأتوا لي بالماء.

**الشاهد:** أن الناس يختلفون في استنباط الأحكام من الأدلة، ومن أكثر ما مرَّ على من الذين يَسْتَنْبِطُونَ الأحكام من الأدلة ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ، فإن له مجالاً واسعاً، ويظهر ذلك تماماً من كتابه «زاد المعاد في هدي خير العباد»، وكذلك شيخنا عبد الرحمن بن السَّعْدِي رَحِمَهُ اللهُ، فله قوة في استنباط الأحكام، ويظهر ذلك تماماً في كلامه على آية الوضوء في سورة المائدة، فقد استنبط منها أحكاماً كثيرة<sup>(٣)</sup>.

**ثم قال البخاري رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى:**

٧٣٥٦ - حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ، حَدَّثَنِي مَالِكٌ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ السَّمَّانِ، عَنْ

(١) رواه البخاري (٦٤٥٢).

(٢) رواه البخاري (٦١٢٩)، ومسلم (١٦٩٢/٣) (٢١٥٠) (٣٠).

(٣) ذكر الشيخ رَحِمَهُ اللهُ واحداً وخمسين حكماً، ثم قال: إنه ينبغي أن يتدبر الحكم والأسرار في شرائع الله في الطهارة وغيرها، ليزداد معرفة وعِلْماً، ويزداد شكراً لله ومحبة له على ما شرع من الأحكام التي توصل العبد إلى المنازل العالية الرفيعة. (ص ٢١٥).



أَبَى هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «الْخَيْلُ لثَلَاثَةٍ: لِرَجُلٍ أَجْرٌ، وَلِرَجُلٍ سِتْرٌ، وَعَلَى رَجُلٍ وَزْرٌ، فَأَمَّا الَّذِي لَهُ أَجْرٌ فَرَجُلٌ رَبَطَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَأَطَالَ فِي مَرْجٍ أَوْ رَوْضَةٍ، فَمَا أَصَابَتْ فِي طِيلِهَا ذَلِكَ الْمَرْجُ وَالرَّوْضَةُ كَانَ لَهُ حَسَنَاتٌ، وَلَوْ أَنَّهَا قَطَعَتْ طِيلَهَا فَاسْتَنْتَ شَرْفًا أَوْ شَرْفَيْنِ كَانَتْ آثَارُهَا وَأَرْوَاهَا حَسَنَاتٍ لَهُ، وَلَوْ أَنَّهَا مَرَّتْ بِنَهْرٍ فَشَرِبَتْ مِنْهُ وَلَمْ يُرِدْ أَنْ يَسْقَى بِهِ كَانَ ذَلِكَ حَسَنَاتٍ لَهُ، وَهِيَ لِذَلِكَ الرَّجُلِ أَجْرٌ، وَرَجُلٌ رَبَطَهَا تَغْنِيًا وَتَعَفُّيًا وَلَمْ يَنْسَ حَقَّ اللَّهِ فِي رِقَابِهَا وَلَا ظَهْرِهَا، فَهِيَ لَهُ سِتْرٌ، وَرَجُلٌ رَبَطَهَا فَخَرًا وَرِيَاءً، فَهِيَ عَلَى ذَلِكَ وَزْرٌ». وَسُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنِ الْحُمْرِ، قَالَ: «مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى فِيهَا إِلَّا هَذِهِ الْآيَةُ الْفَاذَةُ الْجَامِعَةُ»: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ. (الْبَخَارِيُّ: ٧-٨) <sup>(١)</sup>

هذا الحديث هو الذي أشار إليه في الترجمة.

وقوله: «الفاذة الجامعة» ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ وجه الجمع فيها أن «مَنْ» فيها شرطية، و«خيرًا» و«شرًّا» نكرة في سياق الشرط، فتعم.

ولقائل أن يقول: «ألا يدل قوله: ولم ينس حقَّ الله في رِقَابِهَا وَلَا ظَهْرِهَا» أن في الخيل زكاة؟

**الجواب:** أنه لا يدلُّ على وجوب الزكاة؛ لأن من ظهورها أن يستعملها في الجهاد في سبيل الله، ومن رِقَابِهَا أيضًا أن يقوم عليها بما يجب، فإن دلَّ على شيء من ذلك فإنما يكون هو المراد وهذا لم يُعدَّ للتجارة، وإلا فقد ثبت في الصحيحين أن النبي ﷺ قال: «ليس على المسلم في عبده ولا فرسه صدقة» <sup>(٢)</sup>.

ثم قال البخاري رحمته الله تعالى:

٧٣٥٧- حَدَّثَنَا يَحْيَى، حَدَّثَنَا ابْنُ عُيَيْنَةَ، عَنْ مَنْصُورِ بْنِ صَفِيَّةَ، عَنْ أُمِّهِ، عَنْ عَائِشَةَ، أَنَّ أَمْرَأَةً سَأَلَتِ النَّبِيَّ ﷺ. حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ - هُوَ ابْنُ عُقْبَةَ - حَدَّثَنَا الْفُضَيْلُ بْنُ سُلَيْمَانَ النُّمَيْرِيُّ الْبَصْرِيُّ، حَدَّثَنَا مَنْصُورُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ابْنُ شَيْبَةَ، حَدَّثَنِي أُمِّي، عَنْ عَائِشَةَ - رضي الله عنها - أَنَّ أَمْرَأَةً سَأَلَتِ النَّبِيَّ ﷺ عَنِ الْحَيْضِ كَيْفَ تَغْتَسِلُ مِنْهُ، قَالَ: «تَأْخُذِينَ فِرْصَةً مُمَسَّكَةً فَتَوْضِئِينَ بِهَا». قَالَتْ: كَيْفَ أَتَوَضَّأُ بِهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «تَوْضِئِي». قَالَتْ: كَيْفَ أَتَوَضَّأُ بِهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «تَوْضِئِينَ بِهَا». قَالَتْ عَائِشَةُ: فَعَرَفْتُ الَّذِي يُرِيدُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ

(١) رواه مسلم (٢/ ٦٨٠) (٩٨٧) (٢٤) بطوله.

(٢) تقدم تخريجه في الزكاة.

فَجَدَّبَتْهَا إِلَى فَعَلَمَتْهَا<sup>(١)</sup>

**الشاهد من هذا الحديث:** أن هذه المرأة كرّر عليها النبي ﷺ الإجابة ثلاث مرات ولم تفهم ذلك، والمراد أنها تتنظّف بها؛ لأن الوضوء في الشرع يُطلق على النظافة والتّنزه، ولكن عائشة رضي الله عنها عرفت ما أراد النبي ﷺ فأخبرتها بذلك.

وقد يفهم من هذا أن طرق الاستنباط غير محصورة؛ لأنها تنبني على قوة فهم الإنسان.

فإذا قال قائل: لكن ما هي الوسائل التي يحصل بها الإنسان ملكة الاستنباط؟

**الجواب أن يقال:** إن الوسائل التي يحصل بها الإنسان ملكة الاستنباط هي التكرار والتدبر؛ لأن الذكاء كما نعلم جميعاً غريزي ومكتسب:

أما الغريزي فـالله تعالى يهبه لمن يشاء، وأما المكتسب فهو ما يحصل بفعل الإنسان وممارسته، وانظر إلى قضية سليمان مع المرأتين، فإن داود حكم بأن الولد للكبرى، وأما سليمان فطلب السكين؛ ليشق الغلام نصفين، فأبت الصغيرة، ووافقت الكبيرة؛ فاستنبط من هذا أنه ابن الصغيرة التي أدركتها رحمة الوالدة وأبت أن يشق<sup>(٢)</sup>.

ثم قال البخاري رحمه الله تعالى:

٧٣٥٨- حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ، حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ، عَنْ أَبِي بَشِيرٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ أُمَّ حَفِيدَةَ بِنْتَ الْحَارِثِ بْنِ حَزْنٍ أَهَدَتْ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ سَمْنًا وَأَقْطًا وَأَضْبًا، فَدَعَا بِهِنَ النَّبِيُّ ﷺ فَأَكَلْنَ عَلَى مَائِدَتِهِ، فَتَرَكَهُنَّ النَّبِيُّ ﷺ كَالْمُتَقَدِّرِ لَهُنَّ، وَلَوْ كُنَّ حَرَامًا مَا أَكَلْنَ عَلَى مَائِدَتِهِ، وَلَا أَمَرَ بِأَكْلِهِنَّ<sup>(٣)</sup>.

٧٣٥٩- حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ صَالِحٍ، حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ، أَخْبَرَنِي يُونُسُ، عَنْ ابْنِ شِهَابٍ، أَخْبَرَنِي عَطَاءُ بْنُ أَبِي رَاحٍ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ أَكَلَ ثُومًا أَوْ بَصَلًا، فَلْيَعْتَزِلْنَا أَوْ لْيَعْتَزِلْ مَسْجِدَنَا، وَلْيَقْعُدْ فِي بَيْتِهِ». وَإِنَّهُ أَتَى بَيْدَرَ - قَالَ ابْنُ وَهْبٍ: يَعْنِي طَبَقًا - فِيهِ خَضِرَاتٌ مِنْ بَقُولٍ، فَوَجَدَ لَهَا رِيحًا، فَسَأَلَ عَنْهَا - فَأَخْبَرَتْ بِمَا فِيهَا مِنَ الْبَقُولِ - فَقَالَ: قَرَّبُوهَا قَرَّبُوهَا إِلَى بَعْضِ أَصْحَابِهِ كَانَ مَعَهُ، فَلَمَّا رَأَاهُ كَرِهَ أَكْلَهَا قَالَ: «كُلْ، فَإِنِّي أَنَا جِيءُ مَنْ لَا تَنَاجِي»<sup>(٤)</sup>.

(١) رواه مسلم (١/ ٢٦٠) (٣٣٢) (٦٠).

(٢) رواه البخاري (٣٤٢٧)، ومسلم (٣/ ١٣٤٤) (١٧٢٠) (٢٠).

(٣) رواه مسلم (٣/ ١٥٤٤) (١٩٤٧) (٤٦).

(٤) رواه مسلم (١/ ٣٩٤) (٥٦٤) (٧٣) عن ابن وهب إلى قوله: «فإني أنا جِيءُ مَنْ لَا تَنَاجِي».



**وَقَالَ ابْنُ عُفَيْرٍ:** عَنِ ابْنِ وَهْبٍ بِقَدْرِ فِيهِ خَضِرَاتٌ. وَلَمْ يَذْكُرِ اللَّيْثُ، وَأَبُو صَفْوَانَ، عَنْ يُونُسَ قِصَّةَ الْقَدْرِ، فَلَا أَدْرَى هُوَ مِنْ قَوْلِ الزُّهْرِيِّ أَوْ فِي الْحَدِيثِ <sup>(١)</sup>.

**الشاهد من هذا:** أن الرسول ﷺ قَرَّبَهَا إِلَى بَعْضِ أَصْحَابِهِ، فَكَرِهَ هَذَا الصَّاحِبُ؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمْ يَأْكُلْ مِنْهَا، فَقَالَ لَهُ: «كُلْ، فَإِنِّي أَنَا جِي مِنْ لَا تُنَاجِي»؛ أَي: يُنَاجِي جَبْرِيلَ؛ لِأَنَّ اللَّهَ يُنَاجِيهِ كُلُّ إِنْسَانٍ، فَالْمُصَلِّي يُنَاجِي رَبَّهُ، لَكِنِ الرَّسُولُ ﷺ يُنَاجِي جَبْرِيلَ وَهَذَا الصَّحَابِيُّ لَا يُنَاجِيهِ.

**وفي هذا الحديث:** دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ مَنْ أَكَلَ شَيْئًا لَهُ رَائِحَةٌ كَرِيهَةٌ، فَإِنَّهُ يَعْتَزِلُ النَّاسَ؛ لِأَنَّهُ قَالَ: «فَلْيَعْتَزِلْنَا»، أَوْ «لْيَعْتَزِلْ مَسْجِدَنَا». هَذَا شَكٌّ، لَكِنَّ قَوْلَهُ: «وَلْيَقْعُدْ فِي بَيْتِهِ». يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْمَرَادَ اعْتَزَالَ النَّاسَ لِمَا يَلْحَقُهُمْ مِنَ الْأَذْيَةِ بِالرَّائِحَةِ، وَمِثْلُ ذَلِكَ: الرِّوَاثُ الْآخَرَى؛ كَمَنْ فِيهِ بَخَرٌ <sup>(٢)</sup>، وَصَنَّانٌ <sup>(٣)</sup> وَعَرَقٌ مُؤَذٍ، فَإِنَّهُ يَعْتَزِلُ النَّاسَ؛ لئَلَّا يُؤْذِيَهُمْ.

وَإِذَا كَانَ هَذَا فِي الْمُؤْذِي فَالَّذِي يَضُرُّ مِنْ بَابِ أُولَى، فَمَنْ كَانَ فِي حُضُورِهِ ضَرَرٌ عَلَى النَّاسِ، مِثْلَ أَنْ يَكُونَ فِيهِ جُذَامٌ - وَالْجُذَامُ مَعْرُوفٌ أَنَّهُ مِنَ الْأَمْرَاضِ الْمَعْدِيَةِ - فَإِنَّهُ يُنْهَى عَنِ الْإِخْلَاطِ بِالنَّاسِ؛ وَلِهَذَا نَهَى النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يُورِدَ مُمَرِّضٌ عَلَى مُصْحٍ <sup>(٤)</sup>. وَقَالَ أَهْلُ الْعِلْمِ: يَجِبُ عَلَى وَلِيِّ الْأَمْرِ أَنْ يَجْعَلَ الَّذِينَ يَأْتِيهِمُ الْجُذَامُ فِي مَكَانٍ خَاصٍّ لَا يَخْتَلِطُونَ بِالنَّاسِ، خَوْفًا مِنَ الضَّرَرِ بِالْعُدْوَى <sup>(٥)</sup>.

**فَإِذَا قَالَ قَائِلٌ: هَلْ يَلْزَمُ مِنْ هَذَا تَحْرِيمُ أَكْلِ الْبَصْلِ وَالْكَرَاتِ؛ لِأَنَّهُ يَسْتَلْزِمُ أَلَّا يَحْضُرَ الْمَسْجِدَ؟**

**الجواب: قلنا: لا،** إِلَّا إِذَا أَكَلَهُ مِنْ أَجْلِ أَلَّا يَحْضُرَ الْمَسْجِدَ، فَحَيْثُذِ يَكُونُ حَرَامًا، وَنَظِيرُ ذَلِكَ أَنَّ الرَّجُلَ يُسَافِرُ فِي رَمَضَانَ فَيَقْطِرُ فَيَسْتَيْحِ بِسَفَرِهِ الْأَكْلَ وَالشَّرْبَ، وَالْجَمَاعُ فِي نَهَارِ رَمَضَانَ، فَهَلْ نَقُولُ: إِنَّهُ لَا يَجُوزُ أَنْ يُسَافِرَ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ يُؤَدِّي إِلَى اسْتِبَاحَةِ الْمُحَرَّمَ؟

(١) علق البخاري رحمه الله هذه الرويات الثلاث بصيغة الجزم عقب الحديث. فأما حديث سعيد بن عفير فتقدم الكلام عليه في الأذان، [باب ما جاء في الثوم النيء والبصل والكرات] (٨٥٥)، وكذا حديث الليث، وانظر: «الفتح» ٣٤٢/٢، وأما حديث أبي صفوان فأسنده المؤلف في الأطعمة، باب ما يكره من الثوم والبقول (٥٤٥٢) وانظر «الفتح» ٩/٥٧٥.

(٢) الْبَخَرُ: الرَّائِحَةُ الْمُتَغَيِّرَةُ مِنَ الْفَمِ. اللِّسَانُ (ب خ ر).

(٣) الصَّنَانُ: دَفَرُ الْإِبْطِ، وَقَدْ أَصَنَّ الرَّجُلُ؛ أَي: صَارَ لَهُ صَنَّانٌ. مختار الصحاح (ص ن ن).

(٤) رواه البخاري (٥٧٧١)، ومسلم (١٧٤٣/٤) (٢٢٢١) (١٠٤).

(٥) قال شيخ الإسلام في الفتاوى الكبرى (٤/٦٠٥): وَلَا يَجُوزُ لِلْجُذْمَاءِ مَخَالَطَةُ النَّاسِ عَمُومًا، وَلَا مَخَالَطَةَ النَّاسِ لَهُمْ، بَلْ يَسْكُونُونَ فِي مَكَانٍ مُفْرَدٍ لَهُمْ وَنَحْوِ ذَلِكَ، كَمَا جَاءَتْ بِهِ سُنَّةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَخُلَفَائِهِ، وَكَمَا ذَكَرَهُ الْعُلَمَاءُ، وَإِذَا امْتَنَعَ وَلِي الْأَمْرِ مِنْ ذَلِكَ أَوْ الْمَجْذُومُ أَثِمَ بِذَلِكَ، وَإِذَا أَصَرَ عَلَى تَرْكِ الْوَاجِبِ مَعَ عِلْمِهِ بِهِ فَسَقَ. وانظر: «كشاف القناع» (٦/١٢٦).

الجواب: لا، إلا إذا قصدَ بأن يُسافرَ من أجل الفطر، فهنا يحرمُ الفطرُ ويحرمُ السفرُ. وإذا كان الدخانُ يُؤذي أكثرَ من البصل، نقولُ لشاربِ الدخان: لا تدخل المساجدَ، ولا تحضر الصلاةَ، وهذا لو طبّقناها لكان فيها حملٌ للمدخينين أن يتركوا الدخانَ.

ثم قال البخاري رحمه الله تعالى:

٧٣٦٠- حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعْدِ بْنِ إِبرَاهِيمَ، حَدَّثَنَا أَبِي، وَعَمِّي، قَالَا: حَدَّثَنَا أَبِي، عَنْ أَبِيهِ، أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ جُبَيْرٍ، أَنَّ أَبَاهُ جُبَيْرَ بْنَ مُطْعِمٍ أَخْبَرَهُ، أَنَّ امْرَأَةً آتَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَكَلَّمَتْهُ فِي شَيْءٍ، فَأَمَرَهَا بِأَمْرٍ، فَقَالَتْ: أَرَأَيْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ لَمْ أَجِدْكَ، قَالَ: «إِنْ لَمْ تَجِدْنِي فَأَتِي أَبَا بَكْرٍ». زَادَ الْحَمِيدِيُّ، عَنْ إِبرَاهِيمَ بْنِ سَعْدٍ كَأَنَّهَا تَعْنِي الْمَوْتَ<sup>(١)</sup>.

**الشاهد من هذا أن الرسول ﷺ أمرها بأمرٍ أن تفعله، فخافت ألا تجد النبي ﷺ إذا رجعت إليه، فأمرها أن ترجع إلى أبي بكرٍ، وهو إشارة منه إلى أنه الخليفة من بعده، ولكن هل هذا نصٌّ على أنه الخليفة، أو توقع من الرسول ﷺ أن الصحابة يكون رأيهم على أنه يكون هو الخليفة؟**  
**الجواب:** لا شك أنه توقع من الرسول ﷺ أن يكون أبو بكرٍ هو الخليفة بعده؛ ولهذا جاء في الحديث: «يأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكرٍ»<sup>(٢)</sup>.

**قال الحافظ في «الفتح» ٣٣٣ / ١٣:**

قوله: «زاد لنا الحميدي، عن إبراهيم بن سعد الخ». يريد بالسند الذي قبله والمتن كله، والمزيد هو قوله: «كأنها تعني الموت». وقد مضى في مناقب الصديق بلفظ: «حدثنا الحميدي، ومحمد بن عبد الله، قالا: حدثنا إبراهيم بن سعد، وساقه بتمامه وفيه الزيادة، ويستفاد منه، أنه إذا قال: زادنا، وزاد لنا، وكذا زادني، وزاد لي، ويلتحق به، قال لنا، وقال لي، وما أشبهها، فهو كقوله: حدثنا، بالنسبة إلى أنه حمل ذلك عنه سمعاً؛ لأنه لا يستجيزها في الإجازة، ومحل الرد ما يشعر به كلام القائل من التعميم، وقد وجد له في موضع: زادنا، حدثنا، وذلك لا يدفع احتمال أنه كان يستجيز في الإجازة أن يقول: قال لنا، ولا يستجيز: حدثنا.

**قال ابن بطال:** استدلل النبي ﷺ بظاهر قوله: «فإن لم أجدك». أنها أرادت الموت، فأمرها

(١) رواه مسلم (٨٥٦ / ٤) (٢٣٨٦) (١٠) وقوله: زاد لنا الحميدي. قال الحافظ في «الفتح» (٣٣٣ / ١٣): يريد بالسند الذي قبله والمتن كله، والمزيد قوله: كأنها تعني الموت. وقد مضى في مناقب الصديق بلفظ: حدثنا الحميدي، ومحمد بن عبد الله، قالا: حدثنا إبراهيم بن سعد. وساقه بتمامه وفيه الزيادة. وانظر: «تغليق التعليق» (٣٢٨ / ٥).

(٢) رواه مسلم (١٨٥٧ / ٤) (٢٣٨٧) (١١).



بَاتِيَانُ أَبِي بَكْرٍ، قَالَ: وَكَأَنَّهُ اقْتَرَنَ بِسُؤَالِهَا حَالَةً أَفْهَمَتْ ذَلِكَ، وَإِنْ لَمْ تَنْطِقْ بِهَا، قُلْتُ: وَإِلَى ذَلِكَ وَقَعَتِ الْإِشَارَةُ فِي الطَّرِيقِ الْمَذْكُورَةِ هُنَا الَّتِي فِيهَا: «كَأَنَهَا تَعْنِي الْمَوْتَ». لَكِنَّ قَوْلَهَا: «فَإِنْ لَمْ أَجِدْكَ». أَعْمُ فِي النَّفْيِ مِنْ حَالِ الْحَيَاةِ وَحَالِ الْمَوْتِ؛ وَدَلَالَتُهُ لَهَا عَلَى أَبِي بَكْرٍ مُطَابِقٌ لِذَلِكَ الْعُمُومِ، وَقَوْلُ بَعْضِهِمْ هَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ أَبَا بَكْرٍ هُوَ الْخَلِيفَةُ بَعْدَ النَّبِيِّ ﷺ صَحِيحٌ، لَكِنْ بِطَرِيقِ الْإِشَارَةِ لَا التَّصْرِيحِ، وَلَا يُعَارِضُ جَزَمَ عَمَرَ بِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمْ يَسْتَخْلِفْ؛ لِأَنَّ مَرَادَهُ نَفْيُ النَّصِّ عَلَى ذَلِكَ صَرِيحًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

**قال الكرمانى:** مناسبة هذا الحديث للترجمة أنه يُسَدَّلُ به على خلافة أبي بكرٍ، ومناسبة الحديث الذي قبله؛ لأنه يُسَدَّلُ به على أَنَّ الْمَلَكَ يَتَأَذَّى بِالرَّائِحَةِ الْكَرِيهَةِ.

**قلت:** في هذا الثاني نظر؛ لأنه قال في بعض طرق الحديث: «فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَتَأَذَّى مِمَّا يَتَأَذَّى مِنْهُ بَنُو آدَمَ» فَهَذَا حَكْمٌ يُعْرَفُ بِالنَّصِّ، وَالتَّرْجُمَةُ حَكْمٌ يُعْرَفُ بِالِاسْتِدْلَالِ، فَالَّذِي قَالَهُ فِي خِلَافَةِ أَبِي بَكْرٍ مُسْتَقِيمٌ بِخِلَافِ هَذَا، وَالَّذِي أَشْرَتْ إِلَيْهِ مِنْ اسْتِدْلَالِ أَبِي أَيُّوبَ عَلَى كَرَاهِيَةِ أَكْلِ الثُّومِ بِامْتِنَاعِ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ جِهَةِ عُمُومِ التَّأْسِي أَقْرَبُ مِمَّا قَالَهُ. اهـ

ثم قال البخاري رحمه الله تعالى:

٢٥- بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: لَا تَسْأَلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ عَنْ شَيْءٍ.

٧٣٦١- وَقَالَ أَبُو الْيَمَانِ: أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، أَخْبَرَنِي حُمَيْدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، سَمِعَ مُعَاوِيَةَ يُحَدِّثُ رَهْطًا مِنْ قُرَيْشٍ بِالْمَدِينَةِ، وَذَكَرَ كَعْبَ الْأَخْبَارِ، فَقَالَ: إِنْ كَانَ مِنْ أَصْدَقِ هَؤُلَاءِ الْمُحَدِّثِينَ الَّذِينَ يُحَدِّثُونَ عَنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، وَإِنْ كُنَّا مَعَ ذَلِكَ لَنَبْلُو عَلَيْهِ الْكَذِبَ<sup>(١)</sup>.

**قوله:** إِنْ كَانَ «إِنْ» هَذِهِ مَخْفَفَةٌ مِنَ الثَّقِيلَةِ؛ وَلَيْسَتْ نَافِيَةً، وَالْمَعْنَى: أَنَّهُ كَانَ مِنْ أَصْدَقِ هَؤُلَاءِ الْمُحَدِّثِينَ الَّذِينَ يُحَدِّثُونَ عَنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، وَمَعَ ذَلِكَ رَبَّمَا يَأْتِي بِأَشْيَاءَ غَيْرَ صَحِيحَةٍ، وَالْكَذِبُ فِي لُغَةِ الْحِجَازِيِّينَ، لَيْسَ كَالْكَذِبِ فِي لُغَةِ عَامَّةِ الْعَرَبِ، وَهُوَ أَنْ يَتَّعَمَدَ الْإِنْسَانُ الْإِخْبَارَ بِخِلَافِ الْوَاقِعِ، بَلِ الْكَذِبُ عِنْدَهُمْ هُوَ الْخَطَأُ، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي حَدِيثٍ

(١) قال الحافظ في الفتح (١٣ / ٣٣٤): قوله: قال أبو اليمان، كذا عند الجميع، ولم أره يصيغه حدثنا، وأبو اليمان من شيوخه، فإذا أن يكون أخذه عنه مذاكرة، وإما أن يكون ترك التصريح بقوله: حدثنا، لكونه أثرًا موقوفًا، ويحتمل أن يكون مما فاته سماعه، ثم وجدت الإسماعيلي أخرجه، عن عبد الله بن العباس الطيالسي، عن البخاري قال: حدثنا أبو اليمان ومن هذا الوجه أخرجه أبو نعيم، فذكره فظهر أنه مسموع له، وترجح الاحتمال الثاني، ثم وجدته في التاريخ الصغير للبخاري. قال: حدثنا أبو اليمان أ. هـ. وانظر: «تغليق التعليق» (٥ / ٣٢٨).

سُبَيْعَةَ الْأَسْلَمِيَّةِ حِينَ قَالَ لَهَا أَبُو السَّنَابِلِ بْنُ بَعْكُكٍ: وَاللَّهِ لَا تَتَزَوَّجِينَ حَتَّى يَمُرَّ عَلَيْكِ أَرْبَعَةُ أَشْهُرٍ وَعَشْرٌ وَكَانَتْ قَدْ نَفَسَتْ بَعْدَ مَوْتِ زَوْجِهَا بِلِيَالٍ، فَجَمَعَتْ عَلَيْهَا ثِيَابَهَا، ثُمَّ ذَهَبَتْ إِلَى الرَّسُولِ ﷺ، ثُمَّ أَخْبَرَتْهُ بِمَا قَالَ أَبُو السَّنَابِلِ، فَقَالَ: «كَذَبَ أَبُو السَّنَابِلِ»<sup>(١)</sup>.

فَكَذَّبَ هُنَا؛ بِمَعْنَى: أَخْطَأَ، فَالْكَذْبُ فِي لُغَةِ الْحِجَازِيِّينَ لَيْسَ كَالْكَذْبِ فِي لُغَةِ بَاقِيَةِ الْعَرَبِ؛ لِأَنَّهَا عِنْدَهُمْ بِمَعْنَى الْخَطَأِ، وَالْمَخْطِئُ لَا يُقَالُ إِنَّهُ كَاذِبٌ فِي عَامَةِ لُغَةِ الْعَرَبِ.

ثُمَّ قَالَ الْبَخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى:

٧٣٦٢- حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ عُمَرَ، أَخْبَرَنَا عَلِيُّ بْنُ الْمُبَارَكِ، عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: كَانَ أَهْلُ الْكِتَابِ يَقْرَأُونَ التَّوْرَةَ بِالْعِبْرَانِيَّةِ وَيُفَسِّرُونَهَا بِالْعَرَبِيَّةِ لِأَهْلِ الْإِسْلَامِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تُصَدِّقُوا أَهْلَ الْكِتَابِ، وَلَا تُكَذِّبُوهُمْ وَقُولُوا: ﴿أَمَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ فَاسْتَعِيزُوا وَاسْتَعِيزُوا وَتَقُوبُوا وَالْأَسْبَاطُ وَمَا أَوْفَى مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أَوْفَى النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا تَفْرُقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾» [البقرة: ١٣٦].

قَوْلُهُ: «لَا تُصَدِّقُوهُمْ»؛ أَي: لَا احْتِمَالِ أَنْ يَكُونُوا كَاذِبِينَ.

وَقَوْلُهُ: «وَلَا تُكَذِّبُوهُمْ»؛ أَي: لَا احْتِمَالِ أَنْ يَكُونُوا صَادِقِينَ.

وَقَوْلُهُ: «وَلَكِنْ قُولُوا: ﴿أَمَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ...﴾». وَنَحْنُ نُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنَ التَّوْرَةِ وَنُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنَ الْإِنْجِيلِ. لَكِنَّا لَا نَصَدِّقُهُمْ بِمَا نَسْبُوا إِلَى التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَكَذَلِكَ لَا نَكْذِّبُهُمْ؛ لِاحْتِمَالِ أَنْ يَكُونُوا صَادِقِينَ فَكُذِّبُوا، أَوْ أَنْ يَكُونُوا كَاذِبِينَ فَنَصَدِّقُهُمْ، فَنَصَدِّقُ بِالْبَاطِلِ، أَوْ نُكَذِّبُ بِالْحَقِّ.

وَلِهَذَا يَجِبُ أَنْ نَعْلَمَ أَنَّ مَا أَخْبَرَهُ أَهْلُ الْكِتَابِ يَنْقَسِمُ إِلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ:

**الْأَوَّلُ:** مَا شَهِدَ شَرَعْنَا بِصَدَقِهِ فَيَجِبُ عَلَيْنَا أَنْ نَصَدِّقَهُ، وَمِثَالُهُ قَوْلُ الْحَبَرِ مِنَ الْيَهُودِ لِلنَّبِيِّ ﷺ إِنَّا نَجِدُ أَنَّ اللَّهَ يَجْعَلُ السَّمَاءَ عَلَى إصْبَعٍ، وَالْأَرْضَ عَلَى إصْبَعٍ.... إِلَى آخِرِ الْحَدِيثِ فَصَدَّقَ النَّبِيُّ ﷺ<sup>(٢)</sup>، فَهَذَا نَقْبَلُهُ.

**وَالثَّانِي:** مَا جَاءَ فِي شَرَعِنَا تَكْذِيبُهُ، فَيَجِبُ عَلَيْنَا أَنْ نُكَذِّبَهُ، مِثَالُ ذَلِكَ: قَوْلُهُمْ: إِنَّا نَجِدُ فِي الْإِنْجِيلِ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الْعَرَبِ خَاصَّةً. فَهَذَا كَذِبٌ؛ لِأَنَّ اللَّهَ قَالَ فِي وَصْفِهِ: ﴿الَّذِي يَخْذُونَهُ

(١) رَوَى هَذَا الْحَدِيثَ الْبَخَارِيُّ (٥٣١٨)، وَمُسْلِمٌ (١٤٨٤) بِغَيْرِ قَوْلِهِ: كَذَبَ أَبُو السَّنَابِلِ. وَهُوَ عِنْدَ أَحَدٍ فِي مَسْنَدِهِ (٤٤٧/١) (٤٢٧٣). وَقَالَ الْهَيْثَمِيُّ فِي الْمَجْمَعِ (٣/٥): رَوَاهُ أَحَدُ وَرَجَالِهِ رِجَالُ الصَّحِيحِ.

(٢) رَوَاهُ الْبَخَارِيُّ (٤٨١١)، وَمُسْلِمٌ (٢١٤٧/٤) (٢٧٨٦) (١٩).



مَكْنُوبًا عَنْهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحْدِثُ لَهُمُ  
الطَّبِيبَ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبِيثَ ﴿[الْعَنْكَرُ: ١٥٧]﴾. وعيسى ابنُ مريمَ بَشَّرَ قَوْمَهُ بِمُحَمَّدٍ ﷺ.

**والثالث:** ما لم يرد في شرعنا تصديقه ولا تكذيبه، فالحقُّ والعدلُ ألا نُصَدِّقَ ولا نَكْذِبَ، فلا نُكْذِبُ  
فيكونُ صدقًا، ويكونُ تكذيبنا ردًّا للحقِّ، ولا نُصَدِّقُ فيكونُ باطلاً، ويكونُ تصديقنا إقرارًا للباطلِ، بل  
نقولُ: ﴿إِنَّمَا كَانَ اللَّهُ وَمَا أَنْزَلَ إِلَيْنَا وَمَا أَنْزَلَ إِلَيْكُمْ﴾... وهذا هو العدلُ والفضلُ.

أما هم فقد حَرَفُوا، وبدَّلُوا، وغيرُوا، فلا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وما أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ وما أُنْزِلَ إِلَيْنَا، ويدُلُّ  
لذلك الحديثُ الذي بعده.

ثم قال البخاري رحمه الله تعالى:

٧٣٦٣- حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ، حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ، أَخْبَرَنَا ابْنُ شِهَابٍ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ، أَنَّ  
ابْنَ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ: كَيْفَ تَسْأَلُونَ أَهْلَ الْكِتَابِ عَنْ شَيْءٍ، وَكِتَابُكُمُ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى رَسُولِ  
اللَّهِ ﷺ أَحَدُثُ، تَقْرَأُونَهُ مَخْضًا لَمْ يُشَبَّ، وَقَدْ حَدَّثَكُمْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ بَدَّلُوا كِتَابَ اللَّهِ،  
وغيروه، وكتبوا بأيديهم الكتابَ، وقالوا: هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ. لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا، أَلَا يَنْهَاكُمْ مَا  
جَاءَكُمْ مِنَ الْعِلْمِ عَنْ مَسْأَلَتِهِمْ، لَا وَاللَّهِ مَا رَأَيْنَا مِنْهُمْ رَجُلًا يَسْأَلُكُمْ عَنِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ.

هذا كلامٌ جيدٌ من ابنِ عباسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، يقولُ: كيفَ تَسْأَلُونَ أَهْلَ الْكِتَابِ عَنْ شَيْءٍ وَكِتَابُكُمْ أَحَدُثُ.  
وأحدثُ؛ يعني: أقربُ عهدًا؛ لأنَّ التَّورَةَ قَبْلَ الْإِنْجِيلِ، وَالْإِنْجِيلُ قَبْلَ الْقُرْآنِ، فَأَحَدُثُ كِتَابٌ نَزَلَ مِنْ  
عِنْدِ رَبِّنَا ﷻ هُوَ الْقُرْآنُ، فَكَيْفَ يُسْأَلُ عَنْ شَيْءٍ تَقَدَّمَ؟! إِنَّمَا يُسْأَلُ وَيَكُونُ الْحَكْمُ بِالْأَحَدِثِ.

**ويقول أيضًا:** «تَقْرَأُونَهُ مَخْضًا لَمْ يُشَبَّ». بخلافِ الكتبِ السابقة، فإنها مَشُوبَةٌ، فيها  
تبديلٌ، وتغييرٌ، وتحريفٌ، ولهذا قال: وقد حَدَّثَكُمْ: أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ بَدَّلُوا كِتَابَ اللَّهِ وَغيروه،  
وكتبوا بأيديهم الكتابَ، وقالوا: هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وقد قال اللهُ تعالى: ﴿وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ  
وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكِبَرُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [الْعَنْكَرُ: ١٧٨].

فكيف يوثقُ بهؤلاءِ أن يَسْأَلُوا، ثم إذا جعلنا المسألةَ مِنْ بابِ المجازاتِ، نقولُ: هل  
رَأَيْتُمْ أَحَدًا مِنْهُمْ يَأْتِي إِلَيْنَا، وَيَسْأَلُنَا عَمَّا نَزَلَ عَلَيْنَا؟

الجوابُ: لا، ولذا أقسمَ، وقال: «لَا وَاللَّهِ مَا رَأَيْنَا مِنْهُمْ رَجُلًا يَسْأَلُكُمْ عَنِ الَّذِي أُنْزِلَ  
عَلَيْكُمْ. فَكَيْفَ تَذْهَبُونَ أَنْتُمْ وَتَسْأَلُونَهُمْ عَنِ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ.

فلو قال قائلٌ: إن أرادَ الإنسانُ بِسْؤَالِهِمْ إِقَامَةَ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ، وتأييدَ ما جاء به الإسلامُ،  
فهل هذا جائزٌ؟

**الجواب: نقول:** هو جائز، ولكن هم غير مأمونين. وإلا فالأصل أنه جائز أن نسألهم من أجل أن نؤيد ما عندنا من الحق، وأن نقيم الحجة عليهم، لكن نعلم علم اليقين أنهم لن ينصحوا لنا، كيف وقد قال الله عنهم ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّوكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا﴾ [البقرة: ١٠٩]. وهم يقولون: ﴿ءَامِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَكُفُّوا ءَاخِرَهُ، لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [التوبة: ٧٢]. تخذعونهم.

**وعلى هذا:** فلا يجوز أن نسأل أهل الكتاب عما يتعلق بالديانات أبداً، ولا بالأخلاق، ولا بالآداب. ولكن يجوز أن نسأل الصنائع منهم عن صناعتهم؛ لتقدمهم في الصناعة، كالطب لتقدمهم في الطب، بشرط أن نثق فيهم أيضاً؛ لأنهم قد يخبروننا بشيء في الصناعة ضد ما تكون فيه المصلحة. ويبعد فيما أظن - والعلم عند الله - أن يخبروننا بشيء تجاريهم فيه من الأسلحة؛ لأن ذلك يعني أنهم يعلموننا ما نقاتلهم به، وكذلك في الأدوية، يبعد أن يعطونا ما عندهم؛ لأنهم لو فعلوا ذلك لاستغنيا عنهم، وهم لا يريدوننا أن نستغني عنهم.

**فالحاصل:** أن حكم هذه المسألة؛ أي: مسألة الصنائع والطب تخضع إلى كل قضية بعينها، فقد يكون بعضهم عنده من النصح الفطري ما لا يمكن أن يغش في مهنته، وإن كان كافراً، وإن كان عدونا، فيُنظر إلى كل قضية بعينها.

ثم قال البخاري رحمه الله تعالى:

٢٦- باب كراهية الخلاف.

٧٣٦٤- حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ، أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ، عَنْ سَلَامِ بْنِ أَبِي مُطِيعٍ، عَنْ أَبِي عِمْرَانَ الْجَوْنِيِّ، عَنْ جُنْدَبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اقْرَءُوا الْقُرْآنَ مَا اسْتَلَفْتُمْ قُلُوبُكُمْ، فَإِذَا اخْتَلَفْتُمْ فَقُومُوا عَنْهُ»<sup>(١)</sup>. قال أبو عبد الله: سمع عبد الرحمن سلاماً.

٧٣٦٥- حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ، أَخْبَرَنَا عَبْدُ الصَّمَدِ، حَدَّثَنَا هَيْامُ حَدَّثَنَا أَبُو عِمْرَانَ الْجَوْنِيُّ، عَنْ جُنْدَبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «اقْرَءُوا الْقُرْآنَ مَا اسْتَلَفْتُمْ عَلَيْهِ قُلُوبُكُمْ، فَإِذَا اخْتَلَفْتُمْ فَقُومُوا عَنْهُ»<sup>(٢)</sup>. قال أبو عبد الله:

وَقَالَ يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ، عَنْ هَارُونَ الْأَعْوَرِ، حَدَّثَنَا أَبُو عِمْرَانَ، عَنْ جُنْدَبِ بْنِ النَّبِيِّ ﷺ<sup>(٣)</sup>.

(١) رواه مسلم (٢٠٥٣/٤) (٢٦٦٧) (٣).

(٢) رواه مسلم (٢٠٥٤/٤) (٢٦٦٧) (٤).

(٣) هكذا رواه البخاري عقب الحديث (٧٣٦٥) وقال الحافظ في التلخيص (٣٢٩/٥): لم أجده عند يزيد بن



**قوله:** «باب كراهية الخلاف»، يعني: أنه ينبغي للأمة أن تتفق، وألا تختلف.

**وفيه:** إشارة إلى ضعف الحديث الذي يروى: «اختلاف أمتي رحمة»<sup>(١)</sup>، فإن هذا الحديث لا يصح عن النبي ﷺ، بل الخلاف ليس برحمة، وإنما عدم الأخذ بالمخالفة رحمة إذا صار عن اجتهاد، فإن الله تعالى لا يعذب من خالف عن اجتهاد.

**وقوله:** «كراهية الخلاف». المراد بالخلاف خلاف القلوب، أما لو اختلفت الآراء الصادرة عن اجتهاد فهذا شيء لا بد منه، ولهذا وقع الخلاف في عهد الصحابة رضي الله عنهم في عهد النبي ﷺ، والدليل على هذا قوله: «اقرأوا القرآن ما اختلفت قلوبكم»، يعني: ما اختلفت عليه قلوبكم، - فإذا اختلفت فقوموا عنه.

**وفيه:** إشارة إلى منع الحزبية في الإسلام، وأنه لا يجوز للمسلمين أن يتفرقوا أحزاباً، لأن الحزبية تستلزم الخلاف حتماً؛ ولهذا نجد الأحزاب، ﴿فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [الأنعام: ٥٢]، فكل يقول: الحق عندي والمخالف لي ضال، فتتفرق الأمة، وهذا أمر معلوم؛ لقول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٩].

وفي الحديثين، بل هما حديث واحد: أنه إذا اختلف الناس هل يقرأ القرآن أو لا يقرأ؟ فإنه لا يقرأ؛ لقوله: «إذا اختلفتم فقوموا عنه».

وأما أن تفرض على الناس أن نقرأ، فإن هذا لا ينبغي، وقد سبق عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: «لا ينبغي للإنسان أن يقرأ على القوم إلا إذا وافقوا واتلفوا»<sup>(٢)</sup>. حتى غير القرآن فلا ينبغي أن تفرض على أناس أن تجلس إليهم، أو أن تفرض عليهم قراءة كتاب، أو موعظة، أو ما أشبه ذلك، إلا إذا علمت أنهم يرغبون ذلك؛ لأن هذا خلاف هدي السلف الصالح.

**وفي هذا الحديث:** إشارة إلى أنه ينبغي لنا أن نألف على معاني القرآن، ولا نختلف فيها، فإن حصل نزاع أو جدال، فلتتفرق، فلعل الخلاف يعود وفاقاً.

هارون، إلا عن همام. قال الدارمي في مسنده [٣١٨/٢] (٣٣٦٣): ثنا يزيد بن هارون، ثنا همام، ثنا أبو عمران، عن جندب به، وقال في أثره: [٣١٨/٢] (٣٣٦٢): هكذا رواه الدارمي في مسنده قبل الحديث السابق. حدثنا أبو النعمان، ثنا هارون الأعور، ثنا أبو عمران به، وانظر: الفتح (٣٣٦/١٣).

(١) تقدم تخريجه.

(٢) تقدم تخريجه.

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

٧٣٦٦- حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُوسَى، أَخْبَرَنَا هِشَامٌ، عَنْ مَعْمَرٍ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: لَمَّا حَضَرَ النَّبِيُّ ﷺ قَالَ: وَفِي الْبَيْتِ رَجُلٌ فِيهِمْ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ. قَالَ: «هَلُمُّ أَكْتُبْ لَكُمْ كِتَابًا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ». قَالَ عُمَرُ: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ غَلَبَهُ الْوَجَعُ وَعِنْدَكُمْ الْقُرْآنُ، فَحَسَبْنَا كِتَابَ اللَّهِ. وَاخْتَلَفَ أَهْلُ الْبَيْتِ وَاخْتَصَمُوا، فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ قَرَّبُوا يَكْتُبْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كِتَابًا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ. وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ مَا قَالَ عُمَرُ، فَلَمَّا أَكْثَرُوا اللَّغْطَ وَالْإِخْتِلَافَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «قَوْمُوا عَنِّي». قَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ: فَكَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ يَقُولُ: إِنَّ الرِّزْيَةَ كُلَّ الرِّزْيَةِ مَا حَالَ بَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَبَيْنَ أَنْ يَكْتُبَ لَهُمْ ذَلِكَ الْكِتَابَ مِنْ إِخْتِلَافِهِمْ وَلَغْطِهِمْ<sup>(١)</sup>.

**قوله:** «لَمَّا حَضَرَ»؛ يعني: احتضر النبي ﷺ في الوفاة، أو قبل وفاته، المهمُّ أنه عُلِمَ أنه مرتحلٌ عن الدنيا، وكان في البيت رجلاً منهم عمرُ بنُ الخطاب، فقال: «هَلُمُّ أَكْتُبْ لَكُمْ كِتَابًا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ».

ومن المعلوم أن الذي لَنْ تَضِلُّوا بعده، هو كتابُ الله، كما قال النبي ﷺ عَلَيْهِ السَّلَامُ في خُطْبَةِ عَرَفَةَ: «وَقَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ، كِتَابُ اللَّهِ»<sup>(٢)</sup>. لكنَّ المراد بالكتابِ هنا أن يَكْتُبَ لَهُمْ كِتَابًا فِي الْخِلَافَةِ، وَأَنَّ الْخَلِيفَةَ مِنْ بَعْدِهِ فَلَانُ بْنُ فُلَانٍ. فَمِنْهُمْ مَنْ وَافَقَ، وَمِنْهُمْ مَنْ خَافَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ فِي حَالٍ مَرِيضٍ قَدْ يَقُولُ قَوْلًا يَسُوءُهُمْ، وَمِنْ هَؤُلَاءِ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

**فاختلَفَ النَّاسُ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ:** يَكْتُبُ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: لَا يَكْتُبُ، وَلَكِنْ مَشِئَةَ اللَّهِ تَعَالَى وَحُكْمَتَهُ اقْتَضَتْ أَلَّا يَكْتُبَ، فَكَانَ هَذَا اللَّغْطُ سَبَبًا فِي عَدَمِ كِتَابَتِهِ، وَلَا شَكَّ أَنَّ عَدَمَ الْكِتَابَةِ هُوَ الْحِكْمَةُ؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدَّرَ لَهُ مِنَ الْمَوَانِعِ مَا يَمْنَعُهُ، وَإِلَّا فِإِنَّ السَّبَبَ قَائِمٌ؛ لِأَنَّ الرَّسُولَ طَلَبَ أَنْ يَكْتُبَ، لَكِنَّ هَذَا السَّبَبَ أَوْجَدَ اللَّهُ لَهُ مَا يَمْنَعُهُ وَهُوَ اخْتِلَافُ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.  
**فَلِمَا اخْتَلَفُوا، وَكَثُرَ اللَّغْطُ قَالَ:** قَوْمُوا عَنِّي. فقاموا عنه.

**وفي هذا الحديث:** إشارةٌ إلى أن الرسولَ ﷺ يَكْتُبُ لِقَوْلِهِ: «هَلُمُّ أَكْتُبْ لَكُمْ كِتَابًا». ولِقَوْلِهِ: «فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: قَرَّبُوا يَكْتُبْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كِتَابًا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ». وهذه المسألةُ اختلفَ فيها أهلُ العلمِ بعدَ اتِّفَاقِهِمْ، عَلَى أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَبْلَ أَنْ يَنْزَلَ عَلَيْهِ الْوَحْيُ كَانَ لَا يَكْتُبُ، وَلَا يَقْرَأُ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِمِثْنِكَ إِذَا لَا تَرْتَابَ

(١) رواه مسلم (٣/١٢٥٩) (١٦٣٧) (٢٢).

(٢) رواه مسلم (٢/٨٨٦) (١٢١٨) (١٤٧).



الْمَبْلُوكُ ﴿التَّبَكُّرَةُ: ٤٨﴾ . فهو قَبْلَ أَنْ يَنْزَلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ لَا يَقْرَأُ وَلَا يَكْتُبُ بِالْإِتْفَاقِ <sup>(١)</sup> .  
لكن اختلفوا فيما بعد <sup>(٢)</sup> ، فمنهم من قال: إنه تَعَلَّمَ الْكِتَابَةَ، وَالرَّسُولُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ أَشَدِّ  
النَّاسِ ذِكَاً، وَتَوَقُّدًا، وَفُطْنَةً وَلَا يَصْعَبُ عَلَيْهِ أَنْ يَتَعَلَّمَ الْكِتَابَةَ، وَالْمَحْظُورُ الَّذِي يُخْشَى مِنْهُ  
إِذَا كَانَ يَكْتُبُ قَدْ زَالَ.

وَاسْتَدَلُّوا لِذَلِكَ بِمِثْلِ هَذَا الْحَدِيثِ، وَبِحَدِيثِ صَلَاحِ الْحَدِيثِ أَنَّهُ كَتَبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ <sup>(٣)</sup> .  
**وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ:** بَلْ إِنْ النَّبِيَّ ﷺ لَا يَكْتُبُ، وَلَكِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْكِتَابَةِ، فَأُسْنَدَتِ الْكِتَابَةُ إِلَيْهِ؛ لِأَنَّهُ  
يَأْمُرُ بِهَا، وَأَنَّهُ ﷺ لَا يَكْتُبُ إِلَّا اسْمَهُ فَقَطْ، فَاللَّهُ أَعْلَمُ، هَلْ تَعَلَّمَ الْكِتَابَةَ أَوْ لَا؟ وَلَكِنْ مَهْمَا كَانَ.  
**وَحَتَّى لَوْ قُلْنَا:** أَنَّهُ صَارَ يَكْتُبُ وَيَقْرَأُ. فَإِنْ ذَلِكَ لَا يَضُرُّهُ شَيْئًا؛ لِأَنَّ الرِّسَالَةَ ثَبَّتَ بِالْوَحْيِ  
وَكَانَ لَا يَقْرَأُ وَلَا يَكْتُبُ.

**وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ:** دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُ يَنْبَغِي التَّفَرُّقُ عِنْدَ كَثْرَةِ اللَّغَطِ، وَالِاخْتِلَافِ؛ لِأَنَّ هَذَا  
يَحُلُّ الْمَشْكَلَةَ؛ إِذْ لَوْ بَقِيَ النَّاسُ فِي مَكَانِهِمْ زَادَ اللَّغَطُ، وَزَادَ الْإِخْتِلَافُ، وَرَبَّمَا يُوَدِّي إِلَى  
الْمَقَاتِلَةِ؛ فَلهَذَا كَانَ ذَلِكَ مِنَ الْحِكْمَةِ.

**وَمِنْ ذَلِكَ أَيْضًا:** إِذَا قَوِيَ الْغَضَبُ مِنْ شَخْصٍ - وَاسْتَعَاذَ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ -  
وَجَلَسَ إِنْ كَانَ وَاقِفًا، وَاضْطَجَعَ إِنْ كَانَ جَالِسًا، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَهْدَأْ غَضَبُهُ - فَإِنْ الْأَوَّلَى أَنْ يَنْصَرِفَ  
حَتَّى تَنْتَهِيَ الْمَشْكَلَةُ.

وَفِي قَوْلِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ <sup>(٤)</sup>: إِنْ الرِّزْيَةُ كُلُّ الرِّزْيَةِ مَا حَالَ بَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَبَيْنَ أَنْ يَكْتُبَ لَهُمْ  
ذَلِكَ الْكِتَابَ بَيَانُ أَنَّ هَذَا مِنْ رَأْيِهِ <sup>(٥)</sup>، وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ مِنَ الْحِكْمَةِ الْبَالِغَةِ مَا حَصَلَ مِنْ سَبَبِ عَدَمِ  
الْكِتَابَةِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَا يَقْضِي قَضَاءً إِلَّا وَالْحِكْمَةُ فِي هَذَا الْقَضَاءِ.

لَكِنَّهُ <sup>(٦)</sup> رَأَى هَذَا الرَّأْيَ، وَظَنَّ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَوْ كَتَبَ لَكَانَ غَنِيمَةً، وَمَعَ هَذَا فَإِنْ ابْنُ  
عَبَّاسٍ <sup>(٧)</sup> لَا يُرِيدُ بِهَذَا الْإِنْكَارَ عَلَى الْقَدْرِ، وَإِنَّمَا أَرَادَ الْإِنْكَارَ عَلَى السَّبَبِ، فَلَا يُقَالُ: إِنْ هَذَا مِنْ  
بَابِ الْإِعْتِرَاضِ عَلَى قَدْرِ اللَّهِ، بَلْ هُوَ مِنْ بَابِ الْإِعْتِرَاضِ عَلَى السَّبَبِ؛ الَّذِي هُوَ فِعْلُ الْعَبْدِ.

(١) قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ فِي الْجَوَابِ الصَّحِيحِ (٥/٣٣٨): بَيَّنَّ سُبْحَانَهُ مِنْ حَالِهِ مَا يَعْلَمُهُ الْعَامَّةُ وَالْخَاصَّةُ، وَهُوَ  
مَعْلُومٌ لِجَمِيعِ قَوْمِهِ الَّذِينَ شَاهَدُوهُ، وَمَتَوَاتِرٌ عِنْدَ مَنْ غَابَ عَنْهُ وَبَلَّغَتْهُ أَخْبَارُهُ مِنْ جَمِيعِ النَّاسِ أَنَّهُ كَانَ أُمِّيًّا لَا  
يَقْرَأُ كِتَابًا، وَلَا يَحْفَظُ كِتَابًا مِنَ الْكُتُبِ لَا الْمَنْزِلَةَ وَلَا غَيْرَهَا، وَلَا يَقْرَأُ شَيْئًا مَكْتُوبًا، وَلَا كِتَابًا مَنْزِلًا وَلَا غَيْرَهُ وَلَا  
يَكْتُبُ بِيَمِينِهِ كِتَابًا، وَلَا يَنْسَخُ شَيْئًا مِنْ كُتُبِ النَّاسِ الْمَنْزِلَةَ وَلَا غَيْرَهَا. أَهـ

(٢) انْظُرْ: تَفْسِيرُ الْقُرْطُبِيِّ (٧/٢٩٨)، وَابْنُ كَثِيرٍ (٣/٤١٨).

(٣) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٢٦٩٩)، وَمُسْلِمٌ (٣/١٤١٠) (١٧٨٣) (٩٢).

**فَإِذَا قَالَ قَاتِلٌ:** ما الجمعُ بينَ هذا الحديثِ، وبينَ قولِهِ تعالى: ﴿فَإِنْ نَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النِّسَاءُ: ٥٩]؟

**الجمعُ أن يُقالَ:** إن بينهما فرقاً، فالحديثُ فيما لو كان جماعةً اختلفوا في القرآنِ كأن يقولُ بعضهم: نقرأ، وبعضهم يقولُ: لا نقرأ، فنقولُ: اقطعوا النزاعَ بتركِ القراءةِ.

أو إذا اختلفوا في معنى آيةٍ من كتابِ الله، وكثرَ جدُّهم. منهم من يقولُ: معناها كذا. ومنهم من يقولُ: معناها كذا، فنقولُ: تفرَّقوا، وقوموا حتى يهدأ نزاعُكم واختلافُكم، ثم إذا شتمَ فارجعوا. وأما الآيةُ فعندَ اختلافنا قبلَ أن نقرأ، فحينئذٍ نُحكِّمُ الكتابَ والسنةَ.

وهذا الحديثُ في الواقعِ يحتجُّ به مَنْ يحتجُّ، من أن الرسولَ ﷺ أراد أن يُوصيَ لعليِّ بنِ أبي طالبٍ، أو أوصىَ لعليِّ بنِ أبي طالبٍ، وأن الصحابةَ رضِيَ اللهُ عنهم اختلفوا في ذلك، وظلموه، ولا شكَّ أن هذا ليس بصحيحٍ، فإنه مرَّ علينا أن عليَّ بنَ أبي طالبٍ قال: لم يُوصِ إلينا النبيُّ بشيءٍ إلا ما في هذه الصحيفة<sup>(١)</sup>.

**ثم قال البخاريُّ رحمه الله:**

٢٧- بابُ نهي النبيِّ ﷺ عن التحريمِ إلا ما تُعرفُ بإباحتهِ.

وكذلك أمرُهُ نحو قولِهِ حينَ أحلُّوا: أصيِّبوا مِنَ النساءِ. وقال جابرٌ: ولم يعزِمَ عليهم، ولكن أحلَّهنَّ لهم<sup>(٢)</sup>.

وقالت أم عطية: نهينا عن اتباعِ الجنازةِ ولم يعزِمَ علينا<sup>(٣)</sup>.

٧٣٦٧- حَدَّثَنَا الْمَكِّيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ، قَالَ عَطَاءٌ: قَالَ جَابِرٌ: قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ بَكْرٍ: حَدَّثَنَا ابْنُ جُرَيْجٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي عَطَاءٌ، سَمِعْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ فِي أَنَسٍ مَعَهُ، قَالَ أَهْلَلْنَا أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الْحَجِّ خَالِصًا لَيْسَ مَعَهُ عُمْرَةٌ - قَالَ عَطَاءٌ: قَالَ جَابِرٌ: - فَقَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ صُبْحَ رَابِعَةِ مَضَتْ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ، فَلَمَّا قَدِمْنَا أَمَرَنَا النَّبِيُّ ﷺ أَنْ نَحِلَّ، وَقَالَ: «أَحِلُّوا وَأَصِيبُوا مِنَ النِّسَاءِ». قَالَ عَطَاءٌ: قَالَ جَابِرٌ: وَلَمْ يَعِزِّمْ عَلَيْهِمْ وَلَكِنْ أَحَلَّهِنَّ لَهُمْ، فَبَلَغَهُ أَنَا نَقُولُ لَمَّا لَمْ يَكُنْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ عَرَفَةَ إِلَّا خَمْسٌ أَمَرْنَا أَنْ نَحِلَّ إِلَى نِسَائِنَا

(١) تقدم تخريجه.

(٢) علقه البخاري بصيغة الجزم، وأسنده فيها رواه من الأحاديث تحت هذه الترجمة (٧٣٦٧).

(٣) علقه البخاري بصيغة الجزم، أيضاً كما في هذه الترجمة وأسنده في الجنائز، باب اتباع النساء الجنائز (١٢٧٨) وانظر الفتح (١٤٤/٣).



فَنَاتِي عَرَفَةَ تَقَطَّرَ مَذَاكِيرُنَا الْمَذْيَ، قَالَ: وَيَقُولُ جَابِرٌ بِيَدِهِ: هَكَذَا وَحَرَكَهَا، فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «قَدْ عَلِمْتُمْ أَنِّي أَتَقَاكُمْ لِلَّهِ، وَأَصْدُقُكُمْ، وَأَبْرُكُمْ، وَلَوْلَا هَدْيِي لَحَلَلْتُ كَمَا تَحِلُّونَ فَحَلُّوا، فَلَوْ اسْتَقْبَلْتُ مِنْ أَمْرِي مَا اسْتَذْبَرْتُ مَا أَهْدَيْتُ». فَحَلَلْنَا وَسَمِعْنَا وَأَطَعْنَا<sup>(١)</sup>.

٧٣٦٨- حَدَّثَنَا أَبُو مَعْمَرٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَارِثِ، عَنِ الْحُسَيْنِ، عَنِ ابْنِ بَرِيدَةَ، حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ الْمُزْنِي، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «صَلُّوا قَبْلَ صَلَاةِ الْمَغْرِبِ - قَالَ فِي الثَّالِثَةِ - لِمَنْ شَاءَ». كَرَاهِيَةً أَنْ يَتَّخِذَهَا النَّاسُ سُنَّةً.

**يقول البخاري رحمه الله تعالى:** «بَابُ نَهْيِ النَّبِيِّ ﷺ عَنِ التَّحْرِيمِ إِلَّا مَا تُعْرِفُ إِبَاحَتَهُ». يعني: أن الأصل في نهي النبي ﷺ التحريم، فإذا نَهَى عن شيء صار محرماً. وقوله: «إِلَّا مَا تُعْرِفُ إِبَاحَتَهُ»، أي: فيكون النهي فيه للتنزيه، وليس للتحريم. وكذلك أمره ﷺ، الأصل فيه الإيجاب، إلا ما عُرِفَتْ إِبَاحُهُ تَرْكُهُ، فإنه يكون الأمر فيه للندب. وهذا هو المعروف عند الأصوليين<sup>(١)</sup>: أن الأصل في النهي التحريم، والأصل في الأمر الوجوب، إلا ما دلَّ الدليل على إباحته في الأمرين، فيكون للكرهية أو للندب؛ لأن ما كان مكروهاً كراهةً تنزيهيةً يجوز فعله، وما كان مندوباً يجوز تركه، وإذا جاز تركه، أو جاز فعله؛ فهو للإباحة.

**وقال بعض العلماء:** الأصل في الأمر الاستحباب والندب، والأصل في النهي الكراهة دون التحريم، وعللوا ذلك بأن الأمر دائر بين الإيجاب والندب، والأصل براءة الذمة وعدم التأثيم بالترك، وهذا هو حقيقة المندوب؛ أن يكون مأموراً به غير آثم بتركه<sup>(٢)</sup>. وقال بعض العلماء: ما كان الغرض منه إقامة المروءة، وهو ما يتعلّق بالآداب فالأمر فيه للندب، والنهي فيه للتنزيه، وما كان تعبداً، وهذا ما يكون بين العبد وبين ربه؛ فإن الأمر فيه يكون للوجوب، والنهي للتحريم.

وهذا قول وسط، ويتخلّص به الإنسان من نصوص كثيرة في آداب الأكل والشرب وما

(١) رواه مسلم (٨٨٣/٢) (١٢١٦) (١٤١).

(٢) قال ابن حزم في «الإحكام» (٢٩٦/٣): الباب الثاني عشر: في الأوامر والنواهي الواردة في القرآن، وكلام النبي ﷺ والأخذ بظاهرها، وحملها على الوجوب والفور، وبطلان قول من صرف شيئاً من ذلك إلى التأويل، أو التراخي، أو الندب، أو الوقف بلا برهان، ولا دليل. اهـ.

وانظر: إرشاد الفحول (١/١٩٢)، والتبصرة (١/٣١)، والمُسْتَصْفَى (١/٢٠٤)، والتمهيد (١/٢٩١)، والمحصل (٢/٦٩).

(٢) انظر: المصادر السابقة.

أشبه ذلك، أو في آداب المعاملة بين الخلق كلها أوامر، وبعضها قد أجمع العلماء على أنها ليست للوجوب، وعلّلوا ذلك بأن المروءة أدب، لا عبادة.

وإذا كانت أدباً فالتوجيه فيه يكون للإرشاد، سواء كان نهياً أو أمراً.

لكن ظاهر كلام البخاري رحمه الله أن النهي للتحريم مطلقاً، وأن الأمر للوجوب مطلقاً، واستدل بقول جابر: ولم يعزم عليهم. وهذا كان في أول الأمر - أي: لم يعزم على الناس أن يحلوا من إحرامهم، ويجعلوها عمرة - ولكن في ثاني الأمر أمرهم وحثهم عليهم، وغضب لما تأخروا.

ولذلك ذهب كثير من العلماء إلى أنه يجب على من لم يسق الهدي إذا أحرم بحج أن يجعلها عمرة؛ ليصير متمتعاً.

**وقوله:** قالت أم عطية: نهينا عن اتباع الجنائز ولم يعزم علينا.

وقولها: «نهينا»، تعني: النساء وأما الرجال فالأمر في اتباع الجنائز في حقهم مشروع.

**وقولها:** ولم يعزم علينا. هذا تفقه منها رحمها الله، أو أنها رأت من أسلوب الرسول ﷺ في النهي ما يدل على أنه ليس للتحريم، فقالت: ولم يعزم علينا، ومن المعلوم أن صيغة النطق، وانفعال الناطق، يعبر عن الوجوب أو التحريم، فإذا قال: افعل - بصوت مرتفع مع الجزم - فهذا يدل على الوجوب، ولهذا كان فقه الصحابة لأوامر ونواهي الرسول ﷺ أعظم من فقه من بعدهم؛ لأن من يشاهد المتكلم حين كلامه يعرف أنه قد عزم في النهي أو في الأمر، ولا يعلمه من لم يره ويشاهده.

ولهذا تقول أم عطية هنا: ولم يعزم علينا. فهل هذا تفقه مستند إلى قرينة، أو مستند إلى مجرد فهم؟

**الجواب:** قال بعض العلماء: إنه مستند إلى مجرد فهم، فنأخذ بالنهي ولا نأخذ بالتفقه.

وعليه يكون اتباع النساء للجنائز حراماً، وأن قول أم عطية رحمها الله: «لم يعزم علينا»، هذا تفقه منها، أن نهي الرسول ﷺ للتحريم <sup>(١)</sup>.

**وقد يقال:** يحتمل أنه مستنبط من القرينة؛ أي: من قرينة نهي الرسول ﷺ حين نهي، وقد سبق أن كيفية نطق الإنسان وانفعاله تدل على أمر زائد على النهي، أو على الأمر، فيكون قولها هذا، بمنزلة المرفوع استناداً إلى القرينة الحالية التي هي مشاهدة النبي ﷺ لها.

ولكن هل هذا يدل على جواز زيارة النساء للقبور، وأن النهي ليس للتحريم؟



**الجواب:** لا يَدُلُّ؛ لأن هناك فرقاً بين اتباع الجنائز، وبين زيارة القبور، ففي اتباع الجنائز تمشي المرأة مع الجنازة، وحولها الرجال فلا يُخشى من النياحة، وشقّ الجيوب، ولطم الخدود، وتنفّ الشعور؛ لأن هذا مأمونٌ فيما إذا كانت متبعة للجنازة لكن إذا زارت المقبرة - أي: خرجت من بيتها لتزور المقبرة وهي وحدها فهذا إنشاء للزيارة لا اتباع للجنازة، ثم إنها قد تكون في المقبرة وحدها، فربما يحصل منها من الفعل المحرم، كالنياحة، وشقّ الجيب، ولطم الخد، وتنفّ الشعر ما لا يحصل منها باتباع الجنازة.

ولهذا من استدلّ على جواز زيارة المرأة للقبور بهذا الحديث، فقد وضع الحديث في غير ما دلّ عليه، واستدلّ بما لا دليل فيه.

والصحيح أن زيارة المرأة للمقبرة، إن خرجت قصدًا فإن ذلك حرام، بل هو من كبائر الذنوب، وإن لم يكن قصدًا بأن مرّت بالمقبرة ووقفت ودعت لأهل القبور بما ثبت عن النبي ﷺ، فإن هذا لا بأس به<sup>(١)</sup>، وبهذا يُجمع بين حديث عائشة رضي الله عنها في صحيح مسلم، أن النبي ﷺ علّمها ما تقول: إذا مرت بالقبور، وبين لعن زائرات القبور<sup>(٢)</sup>.

**وفي هذا الحديث:** دليل على مسقة تحوّل الصحابة من الحج إلى العمرة، وأن ذلك شقّ عليهم كثيرًا إلى حد أنهم صاروا يتكلمون من وراء النبي ﷺ، ويقولون: لَمَّا لم يكن بيننا وبين عرفة إلا خمس أمَرنا أن نُحِلَّ إلى نسائنا، فنأتي عرفة نَقْطِرُ مذاكيرنا مني. فهذا كلام فيه شدة، لا من جهة الأثر المترتب على الحِلِّ، ولا من جهة توجّه الصحابة إلى الحِلِّ، ولكن لأن الوقت مبكرٌ والحج قريبٌ، فكيف يأمرنا بأن نجعل الحج عمرة؟! ولكن لا شك أن قضاء الله أحقُّ، وأن شرط الله أوثق، وأن الشرع لا يعارض بالعقل، فأَيُّ مانع يمنع من أن يتحلّل الإنسان من عمرته قبل عرفة بخمس ليالٍ، أو بأربعة ليالٍ، أو بثلاث ليالٍ، أو بليّتين، أو بليّة؟ وبه نعرف الفرق بين حال الصحابة رضي الله عنهم الذي تعجّبوا أن يكون التحلّل من العمرة قبل الحج بخمس ليالٍ، وبين قوم يأتون يوم عرفة إلى مكة ويتحلّلون بعمرة، فهو لاء لم يتمتعوا بالعمرة إلى الحج، بل تمتعوا بالعمرة في الحج، والله عز وجل يقول ﴿فَنَمَنَعُ بِالْعَمَةِ إِلَى الْحَجِّ﴾

(١) يشير الشيخ رحمته الله إلى حديث عائشة رضي الله عنها الذي رواه مسلم (٦٧٠ / ٢) (٩٧٤) (١٠٣) وفيه: قال رسول الله ﷺ لعائشة رضي الله عنها «قولي: السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين ويرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون».

(٢) رواه أبو داود (٣٢٣٦)، والترمذي (٣٢٠)، والنسائي (٢٠٤٣)، وحسنه الترمذي، وشيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٣٤٨ / ٢٤).

[الثقة: ١٩٦]. ورسول الله ﷺ أمر أصحابه أن يُحْرِمُوا بِالْحَجِّ وذلك في صُحَى اليوم الثامن، فإذا جاء اليوم الثامن فلا عمرة <sup>(١)</sup>، إلا إذا كان التحلل منها، كأن يكون قبل الفجر، أو قبل أن تطلع الشمس، أو حين طلوع الشمس قبل أن يأتي وقت الانصراف، أو وقت الخروج إلى مني فهذا نعم، أما أن يتحلل الإنسان من العمرة والناس في الحج نقول: أنت لم تتمتع بالعمرة إلى الحج، بل تمتعت بالعمرة في الحج، فهذا زمن الحج.

**وفي حديث جابر أيضاً:** تقريب المعاني بالإشارة؛ لقول جابر بيده، وحركها، كأنه يُمثل صورة تقاطر المني.

ولكن قول الصحابة هل يدل على أنه لا بد من فرقي كافٍ بين التحلل من العمرة، ووقت الحج؟

**الجواب:** لا يدل على هذا لكن يدل على أنهم استغربوا كيف يأمرهم بالتحلل والزمن قريب.

**وفي الحديث الثاني؛ أي:** حديث عبد الله المزني: استجاب صلاة ركعتين بين أذان المغرب والصلاة؛ لقول النبي ﷺ: «صلوا قبل صلاة المغرب» لكن هذه ليست سنة راتبة؛ ولهذا قال: «لمن شاء» كراهية أن يتخذها الناس سنة راتبة.

**وعلى هذا فنقول:** الصلوات الخمس كلها لها سنة قبلها، لكن بعضها سنة راتبة، وبعضها غير راتبة، فالفجر سنة راتبة، والظهر راتبة، والعصر غير راتبة، والمغرب غير راتبة، والعشاء غير راتبة، والدليل على هذا: قوله ﷺ: «بين كل أذانين صلاة» قالها ثلاثاً، وقال في الثالثة: «لمن شاء» <sup>(٢)</sup>.

**ثم قال البخاري رحمه الله تعالى:**

٢٨ - باب قوله تعالى: ﴿وَأْمُرْهُمْ شُرُوعَ رَبِّهِمْ﴾ [النساء: ٣٨]، ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [التغلق: ١٥٩]،

وأن المشاورة قبل العزم والتبين؛ لقوله: ﴿فَلَمَّا عَزَمْتَ فَقَوْلَكَ عَلَى اللَّهِ﴾ [التغلق: ١٥٩]. فإذا عزم الرسول ﷺ لم يكن لبشر التقدم على الله ورسوله.

وشاور النبي ﷺ أصحابه يوم أحد في المقام والخروج، فرأوا له الخروج، فلما ليس لأمته، وعزم، قالوا: أقم فلم يمل إليهم بعد العزم، وقال: «لا ينبغي لنبي يلبس لأمته فيضعها حتى يحكم الله» <sup>(٣)</sup>.

(١) رواه البخاري (١٥٧٢)، ومسلم (٨٨٤ / ٢) (١٢١٦) (١٤٣).

(٢) رواه البخاري (٦٤٢)، ومسلم (٥٧٣ / ١) (٣٠٤).

(٣) علقه البخاري بصيغة الجزم، واسندها الحاكم في المستدرک (١٢٨ / ٢) كتاب «قسم الفيء» قال: ثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، ثنا محمد بن عبد الله بن عبد الحكم، ثنا ابن وهب. وانظر: «تغليق التعليق» (٥ / ٣٣٠).



وشاور عليًا وأسامةً فيما رمى به أهل الإفك عائشة رضي الله عنها، فسمع منها، حتى نزل القرآن، فجلد الزَّامِنَ، ولم يَلْتَفِتْ إلى تنازُعِهِمْ، ولكن حَكَمَ بما أمره الله <sup>(١)</sup>، وكانت الأئمةُ بعدَ النبي ﷺ يَسْتَشِيرُونَ الأَمَنَاءَ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ فِي الْأُمُورِ الْمُبَاحَةِ لِأُخْذِهَا بِأَسْهَلِهَا، فإذا وَضَحَ الْكِتَابُ أَوِ السَّنَةُ، لَمْ يَتَعَدَّوه إِلَى غَيْرِهِ اقْتِدَاءً بِالنَّبِيِّ ﷺ.

**ورأى أبو بكرٍ قتالَ مَنْ مَنَعَ الزَّكَاةَ، فقال عمرُ:** كيف تُقَاتِلُ النَّاسَ وقد قال رسولُ الله ﷺ: «أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. فإذا قالوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ، وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا، وَحَسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ». فقال أبو بكرٍ: وَاللَّهِ لَا أَقَاتِلَنَّ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ مَا جَمَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ تَابَعَهُ بَعْدَ عَمْرٍ، فَلَمْ يَلْتَفِتْ أَبُو بَكْرٍ إِلَى مَشُورَةٍ، إِذْ كَانَ عِنْدَهُ حُكْمُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الَّذِينَ فَرَّقُوا بَيْنَ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ، وَأَرَادُوا تَبْدِيلَ الدِّينِ وَأَحْكَامِهِ <sup>(٢)</sup>.

**وقال النبي ﷺ:** «مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ» <sup>(٣)</sup>.

وكان القراءُ أصحابَ مشورةٍ عمرٌ كهُولًا كانوا، أو شُبَّانًا، وكان وَقَافًا عِنْدَ كِتَابِ اللَّهِ ﷻ <sup>(٤)</sup>.  
قوله تعالى: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾ [النبي: ٣٨]؛ أي: شَأْنُهُمْ، فَلَا أُمُورَ الْعَامَّةِ لَا يَتَّخِذُ الْإِنْسَانُ فِيهَا قَرَارًا عِنْدَ الْإِشْكَالِ، إِلَّا بَعْدَ الْمُشَاوَرَةِ، فَهَذَا يَشْمَلُ الْجَمْعَ الْكَثِيرَ، وَالْجَمْعَ الْقَلِيلَ.  
**مثال ذلك:** نحن الآن في الدَّرْسِ إِذَا أَشْكَلَ عَلَيْنَا قَرَارٌ نُرِيدُ أَنْ نَتَّخِذَهُ، فَإِنَّا نُشَاوِرُ، لَكِنْ إِذَا عَلِمْنَا الْمَصْلَحَةَ فِي شَيْءٍ فَإِنَّا لَا نُشَاوِرُ، وَكَذَلِكَ فِي الْحُكْمِ الْعَامِّ، فَوَلِيُّ الْأَمْرِ، السُّلْطَانُ، وَالْأَمِيرُ، وَالْوَزِيرُ، وَغَيْرُهُمْ إِذَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْأَمْرُ فَلَا حَاجَةَ لِلْمُشَاوَرَةِ، وَإِلَّا فَلَا بَدَّ مِنَ الْمَشَاوَرَةِ؛  
لأنَّ اللَّهَ أَمَرَ رَسُولَهُ ﷺ، وَقَالَ: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [التغلق: ١٥٩] وهو أَسَدُ النَّاسِ رَأْيًا.  
ولأنَّ الْإِنْسَانَ قَدْ يُخْطِئُ؛ وَلَأنَّهُ إِذَا اسْتَبَدَّ بِالْأَمْرِ كَرِهَتْهُ الرَّعِيَّةُ، حَيْثُ يَسْتَبِدُّ فِيهَا لَا يَتَبَيَّنُ صَلَاحُهُ، أَمَّا مَا تَبَيَّنَ صَلَاحُهُ فَلَا أَمْرَ فِيهِ وَاضِحٌ، وَلَا حَاجَةَ لِلْمُشَاوَرَةِ.

(١) علقه البخاري أيضًا بصيغة الجزم، وأسنده المؤلف في المغازي، باب حديث الإفك (٤١٤).

وانظر «تغليق التعليق» (٣٣٢/٥).

(٢) علقه البخاري بصيغة الجزم، وأسنده المؤلف في الاعتصام، باب الاقتداء بسنن الرسول ﷺ (٧٢٨٤، ٧٢٨٥)، وغيره وقد تقدم، وانظر «الفتح» (٣/٢٥٠)، و«تغليق التعليق» (٥/٣٣٤).

(٣) علقه البخاري بصيغة الجزم، وأسنده المؤلف في الجهاد، باب لا يعذب بعذاب الله (٣٠٧) وغيره من طريق. وانظر: «الفتح» (٦/١٤٩)، و«تغليق التعليق» (٥/٣٣٤).

(٤) علقه البخاري بصيغة الخير، وأسنده في تفسير سورة الأعراف، باب: «خذ العفو وأمر بالعرف وأرض عن الجاهلين» (٤٦٤٢).

وانظر «الفتح» (١٣/٣٣٩)، و«تغليق التعليق» (٥/٣٣٤).

ولهذا لم يكن من هدي الرسول ﷺ أن يُشاور في كل قضية، وإنما يُشاور في الأمور التي تعرض، ولا يتبين له فيها شيء.

**ومن هنا نأخذ أيضًا:** أنه ليس من هدي الرسول ﷺ أن يُقيم مجلسًا للتشاور؛ كمجلس الشورى وما أشبهه، فإن الرسول لم يتخذ مجلسًا للشورى، لكن إذا نزلت النازلة، وأشكل عليه الأمر شاور فيه.

فعلى كل حالٍ الحاصل: أن الله عز وجل يقول: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾ وهذه حكاية لحال المسلمين، وأن أمرهم لا يستبد به أحدهم.

**وقوله ﷺ:** ﴿وَشَاوَرَهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ يأمر النبي ﷺ أن يُشاورهم في الأمر؛ أي: في الشأن الذي يكون بينه وبينهم.

**ثم قال البخاري:** «وأن» وفي نسخة «وإن» المشاورة قبل العزم التبيين؛ لقوله: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾. ومثل ذلك الاستخارة أيضًا لا تكون في كل شيء فقول النبي ﷺ: «إذا هم أحدكم بالأمر فليصل ركعتين»<sup>(١)</sup>، مراده بالأمر الذي لا يتبين فيه وجه الصواب فإنه يستخير الله تعالى فيه، أما ما تبين فيه وجه الصواب فلا حاجة للاستخارة.

والاستخارة أيضًا تكون عند خفاء الأمر على الإنسان، هل يُقدم أو يُخجم؟ أما مع تبين الأمر فلا حاجة؛ ولهذا لا نقول لإنسان: يُشرع إذا أراد أن يُصلي أن يستخير، أو إذا أراد أن يصوم وغير ذلك، لكن الشيء الذي يخفى على الإنسان هو الذي يستخير الله تعالى فيه.

**وهل تقدم الاستخارة أو المشورة؟**

**الجواب: نقول:** أما الأمر العام الذي يكون بين الإنسان وبين غيره فتقدم فيه المشورة؛ لأنه ربما يكون مع التشاور رأي سديد لا يحتاج معه الاستخارة، وأما في المسائل الخاصة بك أنت؛ فتقدم الاستخارة، وإذا اختار الله لك شيئًا فلا حاجة للمشاورة فيه.

**فإذا قال قائل: ما هي المشورة، أو ما هي الاستشارة؟**

**الجواب: قلنا:** الاستشارة هي تداول الرأي لينظر في خير الأمرين، ثم إنه سيأتينا إن شاء الله تعالى، أنه لا يستشير إلا من جمع بين أمرين: الأمانة والخبرة؛ لأنك إن استشرت من ليس بأمين فقد يخدعك، وإن استشرت من ليس عنده خبرة، فقد يضلّك بغير قصد، فلا بد من



شرطين: الأمانة، والخبرة، وسيدكُهما المؤلف إن شاء الله.

**❦ وقوله:** «وكانت الأئمة بعد النبي ﷺ يستشيرون الأئمة من أهل العلم في الأمور المباحة؛ ليأخذوا بأسهلها؛ فإذا وضع الكتاب أو السنة لم يتعدوه إلى غيره اقتداءً بالنبي ﷺ».

**الشاهد: قوله:** «الأئمة من أهل العلم». وهذا ما أشرنا إليه أي: الأمانة، والثاني: الخبرة، فإذا لم يكن أميناً فلا تستشره، وإذا لم يكن خبيراً فلا تستشره؛ لأن الأول لا يؤمن أن يخون، والثاني لا يؤمن أن يضل عن غير قصد.

ثم إن الخبرة في كل موضع بحسبه، فإذا كنت تريد أن تسافر إلى بلد ما، فصاحب الخبرة فيها هو من عرف البلد، ولو كان من أجهل الناس بالعلم الشرعي، وإذا كنت تريد أن تستشير شخصاً في أمور شرعية، فعليك بأهل العلم في الشرع، المهم أن علم كل شيء بحسبه، لكن لا بد من الخبرة، ولا بد من الأمانة.

**❦ وقوله:** «وكان القراء أصحاب مشورة عمر كهولاً كانوا أو شباناً، وكان وقفاً عند كتاب الله ﷻ».

هذا واضح وليس فيه إشكال، فعمر رضي الله عنه كان يجمع الناس ويستشيرهم في الأمر إذا نزل به، إذا لم يتبين فيه الصواب، سواء كانوا كهولاً أو شباناً، حتى كان يجمع إلى الكهول عبد الله بن عباس رضي الله عنه وهو صغير، فقال بعض الأنصار: كيف يدعو عبد الله بن عباس، ولا يدعو أبناءنا؟ فامتحنهم رضي الله عنه ذات يوم، وقال لهم: ما تقولون في قول الله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۖ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۝﴾ (٢) فسيح محمد ريك وأستغفره إنّه. كَانَ تَوَابًا ﴿الْحَكَّة: ١-٣﴾.

قالوا: إن الله أمر نبيه إذا جاء النصر والفتح أن يستغفر، ويسبح بحمد ربه. فقال: ما تقول يا ابن عباس؟ قال: أقول: هذا أجل رسول الله ﷺ؛ يعني: أن الله أمره إذا جاء نصر الله والفتح أن يختتم حياته بالتسبيح والاستغفار؛ -لأن رسالته ختمت بذلك- فقال: هكذا فهمتها <sup>(١)</sup>.

فتأمل هذا الصغير، كيف كان أعلم بالمقاصد من هؤلاء الكبار، فحيتذ امتنع الأنصار الذين كانوا قد اعترضوا، وامتنعوا وروا أن عبد الله بن عباس رضي الله عنه أهل بأن يكون في مجالس العلماء.



ثم قال البخاري رحمه الله تعالى:

٧٣٦٩- حَدَّثَنَا الْأَوْسِيُّ، حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ، عَنْ صَالِحٍ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، حَدَّثَنِي عُرْوَةُ، وَابْنُ الْمُسَيَّبِ، وَعَلْقَمَةُ بْنُ وَقَّاصٍ، وَعَبِيدُ اللَّهِ، عَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - حِينَ قَالَ لَهَا أَهْلُ الْإِفْكِ مَا قَالُوا قَالَتْ: وَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ، وَأَسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ حِينَ اسْتَلَبْتَ الْوَحْيُ يَسْأَلُهُمَا، وَهُوَ يَسْتَشِيرُهُمَا فِي فِرَاقِ أَهْلِهِ، فَأَمَّا أُسَامَةُ فَأَشَارَ بِالَّذِي يَعْلَمُ مِنْ بَرَاءَةِ أَهْلِهِ، وَأَمَّا عَلِيٌّ، فَقَالَ: لَمْ يُضَيِّقِ اللَّهُ عَلَيْكَ، وَالنِّسَاءُ سِوَاهَا كَثِيرٌ، وَسَلِ الْجَارِيَةَ تَصْذُكَ. فَقَالَ: «هَلْ رَأَيْتَ مِنْ شَيْءٍ يَرِيكَ». قَالَتْ: مَا رَأَيْتُ أَمْرًا أَكْثَرَ مِنْ أَنَّهَا جَارِيَةٌ حَدِيثَةُ السِّنِّ، تَنَامُ عَنْ عَجِينِ أَهْلِهَا، فَتَأْتِي الدَّاجِنَ؛ فَتَأْكُلُهُ. فَقَامَ عَلَى الْمِنْبَرِ، فَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ مَنْ يَعْذِرُنِي مِنْ رَجُلٍ بَلَغَنِي أَذَاهُ فِي أَهْلِي، وَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا خَيْرًا». فَذَكَرَ بَرَاءَةَ عَائِشَةَ. وَقَالَ أَبُو أُسَامَةَ: عَنْ هِشَامٍ <sup>(١)</sup>.

٧٣٧٠- حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ أَبِي زَكَرِيَاءَ الْغَسَّانِيُّ، عَنْ هِشَامٍ، عَنْ عُرْوَةَ، عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَطَبَ النَّاسَ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَتَى عَلَيْهِ، وَقَالَ: «مَا تَشِيرُونَ عَلَيَّ فِي قَوْمٍ يَسُبُّونَ أَهْلِي، مَا عَلِمْتُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُوءٍ قَطُّ». وَعَنْ عُرْوَةَ، قَالَ: لَمَّا أُخْبِرَتْ عَائِشَةُ بِالْأَمْرِ، قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَتَأْذَنُ لِي أَنْ أَنْطَلِقَ إِلَى أَهْلِي. فَأَذَنَ لَهَا، وَأَرْسَلَ مَعَهَا الْغَلَامَ. وَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ: سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا، سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ <sup>(٢)</sup>.

حديث الإفك هذا حديث مشهور معروف، قد أنزل الله ﷻ فيه عشر آيات؛ لعظمته؛ وشدة وقعته على المسلمين إلى يوم القيامة، والذي نول كبر هذا الأمر هو: عبد الله ابن أبي بن سلول، فأشاعه، وأذاعه، وصار يمشي به في الناس، لا من أجل أن عائشة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - يحصل منها هذا الشيء، ولكن من أجل تدنيس فراش النبي ﷺ، فهذا هو أهم شيء عنده؛ وهو أن يكون هذا النبي الذي اصطفاه الله ﷻ يكون - والعياذ بالله - على الوصف الذي يريد عبد الله بن أبي.

ولكن أنزل الله تعالى في ذلك عشر آيات من كتاب الله وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [النور: ١١]. انظر؛ أي: جاءوا به من عند أنفسهم، وإلا فلا حقيقة للأمر أصلاً.

**وقوله:** ﴿لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُمْ﴾؛ أي: كما يتبادر للذهن، ﴿بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾. وصدق الله

(١) رواه مسلم (٢١٢٩/٤) (٢٧٧٠) (٥٦) وذكر قصة الإفك بتأملها.

(٢) انظر: المصدر السابق.



وَيَكُنْ فِي أَنَّهُ صَارَ خَيْرًا لِعَائِشَةَ، وَلِلنَّبِيِّ ﷺ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ.

**الشاهد:** أنه لما حصلَ الإفكُ المُفترى الكاذبُ، وصارَ حديثُ الناسِ - وحقُّ لهم أن يكونَ حديثهم؛ لأنه أمرٌ مفزعٌ موجعٌ مؤلمٌ - استشارَ النبي ﷺ أسامةَ بنَ زيدٍ، هل يفارقُ عائشةَ أو لا؟ وعلاقةُ أسامةَ بنِ زيدٍ بالرسولِ ﷺ أنه ابنُ مَوْلَاهُ؛ لأن أباهَ زيدَ بنَ حارثةَ عبدٌ، أهدته خديجةُ للنبي ﷺ فأعتقه، وأسامةُ ابنُه، وكان النبي ﷺ يُحِبُّ أسامةَ، ويُحِبُّ أباهُ، وهو موضعُ ثقةٍ عنده.

فاستشاره، هل يفارقُ عائشةَ أو لا؟ والنبي ﷺ إنما فعلَ ذلكَ لا تهمَّةَ لعائشةَ، ولكن ضاقتَ به الأرضُ من كلامِ الناسِ، فأرادَ أن يُريحَ نفسه، وإلا فإنه يَعْلَمُ أنها ~~كثيرة~~ أعظمُ الناسِ براءةً مما رُميتَ به، لكنَّ الإنسانَ إذا كانَ في مجتمعٍ كلُّهم يَخُوضُونَ في أهله - ولو كان يَعْلَمُ براءةَ تهم - فسوفَ يُريدُ أن يتخلصَ، لكن أسامةُ ~~هو~~ أشارَ بالذي يَعْلَمُ من براءةِ أهله، وقال: إنها بريئةٌ، وأثنى عليها بما تستحقُّ.

أما عليٌّ، فلأن ما يصيبُ النبي ﷺ من قَدَحٍ يُصِيبُهُ - لأنه ابنُ عمِّه - فعرضَ ~~هو~~ أن يُطلقَها النبي ﷺ، وقال: لم يُصِيقِ اللهُ عليكِ، والنساءُ سواها كثيرٌ ومع ذلكَ أرادَ أن يَهْوَنَ الأمرَ على رسولِ اللهِ ﷺ، ويُبعدَ عن الرسولِ ﷺ ما كانَ في قلبه من الضيقِ، فقال: سلِ الجاريةَ تَصُدِّقُك؟ أي: بريرةٌ، فاسألها ماذا تنقُمُ على عائشةَ ~~هي~~، فسألَ النبي ﷺ الجاريةَ، فقالت: ما تَسْمَعُونَ ما رأيتُ أمراً أكثرَ مِن أنها جاريةٌ حديثُةُ السنِّ - لأنه لما ماتَ الرسولُ ﷺ كانَ لها ثلثي عشرة سنةً، وحديثُ الإفكِ كانَ لها حوالي أربع عشرة سنةً - تنأَمُ عن عَجِينِ أهْلِها، فتأتي الداجنُ - أي: ما يكونُ في البيتِ مِن هيمَةٍ كالشاةٍ، والصغيرِ مِن الغنمِ، وما أشبه ذلكَ - فتأكلُ العجيينَ.

وهذا ليس فيه شيءٌ أبداً، فهذه طبيعةُ البشرِ، فبعضُ الناسِ ينامُ وكوبُ الشاي في يده وهم رجالٌ كبارٌ.

**فعل كلِّ حالٍ:** النومُ يَغْلِبُ على كلِّ إنسانٍ، وليس فيه عيبٌ، ولهذا لما قالتِ الجاريةُ هذا القولَ اطمأنَّ النبي ﷺ ببعضِ الشيءِ، ثم قامَ على المنبرِ، يَقُولُ: «مَنْ يَعْذِرُنِي مِنْ رَجُلٍ بَلَغَنِي أَذَاهُ فِي أَهْلِي، وَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا خَيْرًا؛ فَذَكَرَ بَرَاءَةَ عَائِشَةَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ.

**فالشاهد من هذا: الاستشارة؛ أي:** استشارةُ النبي ﷺ لأسامةَ بنِ زيدٍ، ولعلي بنِ أبي طالبٍ، وهكذا ينبغي للإنسانَ أن يتَّهَمَ رأيَه، وأن يَسْتَشِيرَ غيرَه في الأمورِ التي تُشكِّلُ عليه، ولكن حَذَّاري مِن أن يَسْتَشِيرَ مَنْ لَيْسَ بِأَمِينٍ، أو مَنْ لَيْسَ بِذِي خَبْرَةٍ، فإن ضررَ هؤلاءِ أكثرُ مِن نفعهم. وإلى هنا ينتهي هذا البابُ، يليه كتابُ التوحيدِ.

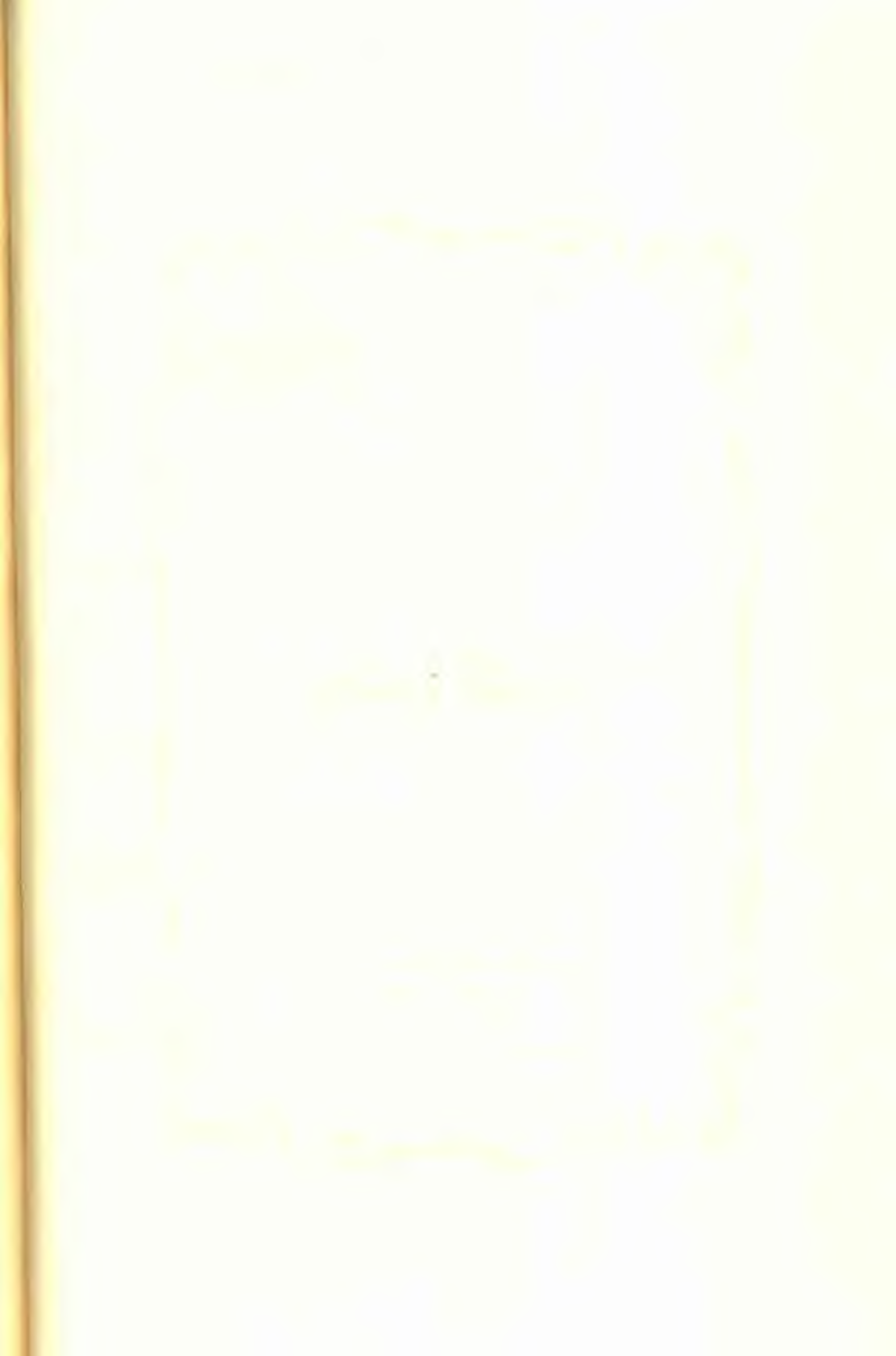




شيخ  
صالح البخاري

# كتاب التَّوْحِيد

٧٥٦٣-٧٣٧١





ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## كِتَابُ التَّوْحِيدِ

هذا الكتابُ خَتَمَ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ بِهِ «الْجَامِعَ الصَّحِيحَ»، كما ابتدأه بالوحي؛ لأنَّ الْوَحْيَ بِهِ الْإِبْتِدَاءُ، وَالتَّوْحِيدَ بِهِ الْغَايَةُ، وَلِهَذَا كَانَ مَنْ مَاتَ وَآخِرُ كَلَامِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ<sup>(١)</sup>. وَالتَّوْحِيدُ مُصَدَّرٌ وَحَدَّ يُوحِّدُ؛ أَي: جَعَلَ الشَّيْءَ وَاحِدًا، وَهَذَا فِي اللُّغَةِ. وَلَا يَتِمُّ التَّوْحِيدُ إِلَّا إِذَا تَضَمَّنَ شَيْئَيْنِ: النَّفْيَ وَالْإِثْبَاتَ؛ لِأَنَّ النَّفْيَ وَحْدَهُ تَعْطِيلٌ وَإِخْلَاءٌ، وَالْإِثْبَاتُ وَحْدَهُ لَا يَمْنَعُ الْمَشَارَكَةَ، فَلَا تَوْحِيدَ إِلَّا بِإِثْبَاتِ وَنَفْيٍ، وَطَرُقَ الْإِثْبَاتِ وَالنَّفْيِ كَثِيرَةٌ؛ مِثْلُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ [طَلْحَةَ: ٩٨]. ﴿وَلِلَّهِ كُفْرٌ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ [النِّسَاءُ: ١٦٣].

الْمَهْمُ: أَنَّ طَرُقَ التَّوْحِيدِ، أَوْ طَرُقَ الْإِثْبَاتِ وَالنَّفْيِ كَثِيرَةٌ، لَكِنَّ التَّوْحِيدَ لَا يَتِمُّ إِلَّا بِأَمْرَيْنِ: النَّفْيِ وَالْإِثْبَاتِ، فَإِذَا قُلْتَ: لَا قَائِمَ فِي الْبَيْتِ. فَهَذَا نَفْيٌ، وَمَعْنَاهُ انْتِفَاءُ الْقِيَامِ عَنْ مَنْ فِي الْبَيْتِ، وَإِذَا قُلْتَ: زَيْدٌ قَائِمٌ. فَهَذَا إِثْبَاتٌ، وَلَا يَمْنَعُ أَنْ يَكُونَ غَيْرُهُ قَائِمًا أَيْضًا، وَإِذَا قُلْتَ: لَا قَائِمَ فِي الْبَيْتِ إِلَّا زَيْدٌ. فَهَذَا نَفْيٌ وَإِثْبَاتٌ يَتَضَمَّنُ قِيَامَ زَيْدٍ وَعَدَمَ مَشَارَكَةِ غَيْرِهِ لَهُ فِي ذَلِكَ. هَذَا الْآخِرُ هُوَ التَّوْحِيدُ، وَلِهَذَا لَا بَدَّ فِيهِ مِنَ الرُّكْنَيْنِ النَّفْيِ وَالْإِثْبَاتِ، وَكَمَا تَقْدُمُ أَنَّ طَرُقَ النَّفْيِ وَالْإِثْبَاتِ كَثِيرَةٌ، وَلَا تَخْتَصُّ بِصِغَةِ مَعْيَنَةٍ، وَهَذَا فِي اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ.

(١) رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ (٣١١٦)، وَأَحْمَدُ (٢٣٣/٥) (٢٢٠٣٤)، وَالْحَاكِمُ (٣٥١/١)، وَابْنُ مَنْدَه فِي «التَّوْحِيدِ» (ق ٤٨/٢). وَحَسَنَهُ الشَّيْخُ الْأَبَانِيُّ كَمَا فِي «الْإِرْوَاءِ» (٦٨٧)، وَتَعْلِيْقُهُ عَلَى «الْعَقِيدَةِ الطَّحَاوِيَّةِ» ص ٧٨.

وَأَمَّا فِي الشَّرْعِ: فَتَوْحِيدُ اللَّهِ ﷻ هُوَ إِفْرَادُ اللَّهِ تَعَالَى بِمَا يَخْتَصُّ بِهِ عِلْمًا وَعَقِيدَةً، سِوَاهُ مَا كَانَ ذَلِكَ مِمَّا يَتَعَلَّقُ بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، أَوْ أَعْمَالِهِ، أَوْ عِبَادَتِهِ، فَالَّذِي يَخْتَصُّ بِاللَّهِ يَجِبُ إِفْرَادُ اللَّهِ بِهِ، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ مَعَهُ غَيْرُهُ.

وَقَدْ قَسَّمَ الْعُلَمَاءُ تَحْمِيلَ التَّوْحِيدِ إِلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ:

تَوْحِيدُ الرُّبُوبِيَّةِ، وَتَوْحِيدُ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ، وَتَوْحِيدُ الْأُلُوهِيَّةِ، وَيُقَالُ لَهُ أَيْضًا: تَوْحِيدُ الْعِبَادَةِ.

فَأَمَّا تَوْحِيدُ الرُّبُوبِيَّةِ: فَهُوَ إِفْرَادُ اللَّهِ ﷻ بِالْخَلْقِ وَالْمُلْكِ وَالتَّدْبِيرِ؛ وَذَلِكَ بِأَنْ تُؤْمِنَ بِأَنَّهُ لَا خَالِقَ إِلَّا اللَّهُ، وَلَا مَالِكَ إِلَّا اللَّهُ، وَلَا مُدَبِّرَ إِلَّا اللَّهُ.

فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: كَيْفَ الْجَوَابُ عَنْ قَوْلِهِ ﷻ فِي الْمُصَوِّرِينَ: «يُقَالُ لَهُمْ: أَحْيُوا مَا خَلَقْتُمْ»<sup>(١)</sup>. وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾<sup>(٢)</sup>.

**قُلْنَا:** الْخَلْقُ الثَّابِتُ لِلَّهِ غَيْرُ الْخَلْقِ الثَّابِتِ لِلْمَخْلُوقِ، فَالْخَلْقُ الثَّابِتُ لِلَّهِ هُوَ إِيجَادُ مِنْ عَدَمٍ، وَهَذَا لَا يَمْلِكُهُ أَحَدٌ، وَالْخَلْقُ الثَّابِتُ لِلْمَخْلُوقِ تَغْيِيرٌ وَتَحْوِيلٌ، بِأَنْ يُحَوَّلَ الشَّيْءُ مِنْ شَيْءٍ إِلَى آخَرَ، أَوْ يُغَيَّرَ، فَهُوَ لَيْسَ إِيجَادًا.

مِثَالُ ذَلِكَ: الْبَابُ الَّذِي خَلَقَهُ إِيجَادًا هُوَ اللَّهُ، فَهُوَ الَّذِي خَلَقَهُ مِنَ الشَّجَرِ، وَلَا يَمْلِكُ أَحَدٌ أَنْ يَخْلُقَ شَجَرَةً حَتَّى يَكُونَ مِنْهَا هَذَا الْبَابُ، لَكِنْ خَلَقَ النَّجَارُ لِهَذَا الْبَابِ يُعْتَبَرُ تَحْوِيلًا وَتَغْيِيرًا؛ أَيُّ: حَوَّلَ هَذَا النَّجَارُ الْخَشَبَةَ الَّتِي أَنْتَبَهَا اللَّهُ ﷻ إِلَى صُورَةٍ مَعَيَّنَةٍ، فَلَيْسَ بِخَلْقٍ.

ثُمَّ إِنَّ خَلْقَ النَّجَارِ لَهَا كَانَ بِقُدْرَتِهِ - أَيُّ بِقُدْرَةِ النَّجَارِ - وَعِلْمِهِ وَإِرَادَتِهِ، وَالَّذِي أَوْدَعَهُ الْعِلْمَ وَالْإِرَادَةَ وَالْقُدْرَةَ هُوَ اللَّهُ ﷻ، فَكَانَ خَلْقُ الْإِنْسَانِ أَوْ خَلْقُ النَّجَارِ لِهَذَا الْبَابِ قَرَعًا عَنْ خَلْقِ اللَّهِ ﷻ لَهُ؛ لِأَنَّ هَذَا مِنْ صِفَاتِ النَّجَارِ وَأَخْلَاقِهِ، وَالْإِنْسَانُ مَخْلُوقٌ لِلَّهِ ﷻ بِذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَعْمَالِهِ، فَتَبَيَّنَ الْآنَ أَنَّ كُلَّ الْخَلْقِ يَدُورُ عَلَى اللَّهِ ﷻ.

كَذَلِكَ الْمُلْكُ الثَّابِتُ لِلَّهِ غَيْرُ الْمُلْكِ الثَّابِتِ لِلْإِنْسَانِ، فَالْإِنْسَانُ يَمْلِكُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿أَوْ مَا مَلَكَتُمْ مَفَاحِيَهُمْ﴾<sup>(٣)</sup>. وَ﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾<sup>(٤)</sup>. لَكِنْ مُلْكُ الْإِنْسَانِ لِلشَّيْءِ لَيْسَ كَمُلْكِ اللَّهِ لَهُ، فَمُلْكُ اللَّهِ لِلشَّيْءِ مُلْكٌ مُطْلَقٌ شَامِلٌ عَامٌّ، فَهُوَ سَبْحَانَهُ يَفْعَلُ فِي مُلْكِهِ مَا يَشَاءُ، لَكِنْ مُلْكُ الْإِنْسَانِ لِلشَّيْءِ مُلْكٌ مُقَيَّدٌ، وَلَيْسَ تَامًّا، وَلَا شَامِلًا، فَالْإِنْسَانُ مِثْلًا يَمْلِكُ كِتَابَهُ، لَكِنَّهُ لَا يَمْلِكُ كِتَابَ غَيْرِهِ، وَاللَّهُ ﷻ يَمْلِكُ كُلَّ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ.

وَكَذَلِكَ فَالْإِنْسَانُ يَمْلِكُ الْكِتَابَ، وَلَكِنَّهُ لَا يَتَصَرَّفُ فِيهِ كَمَا يَشَاءُ، بَلْ تَصَرَّفُهُ فِي الْكِتَابِ تَصَرَّفٌ مُقَيَّدٌ بِحُدُودٍ شَرْعِيَّةٍ، وَلِهَذَا لَوْ أَرَادَ أَنْ يُحْرِقَ هَذَا الْكِتَابَ لَغَرِبَ سَبَبٌ شَرْعِيٌّ لَمَنْعٍ مِنْهُ، وَلَوْ كَانَ مُلْكُهُ تَامًّا لَكَانَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ، وَكَذَلِكَ الْإِنْسَانُ يَمْلِكُ الْبَعِيرَ فَهِيَ لَهُ يَرْكَبُهَا وَيَتَمَتَّعُ بِهَا، وَيَنْحَرُّهَا وَيَأْكُلُهَا، لَكِنَّهُ لَا يَمْلِكُ أَنْ يُعَذِّبَهَا، فَلَوْ أَرَادَ أَنْ



يُخْفِرُ فِي ظَهْرِهَا جُرْحًا لَمْ يُمْكِنْ مِنْ ذَلِكَ، وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَمْلِكُ هَذَا، فَيُخْرِجُ سَبْحَانَهُ غُدَّةً فِي ظَهْرِ الْبَعِيرِ تَنْجِرُحُ وَتَسَالِمُ الْبَعِيرُ مِنْهَا، وَرَبَّمَا تَمَوْتُ.

**إِذَا:** تَبَيَّنَ لَنَا أَنَّ الْمُلْكَ الثَّابِتَ لِلخَالِقِ لَيْسَ كَالْمُلْكِ الثَّابِتِ لِلْمَخْلُوقِ.

كَذَلِكَ فِي التَّدْبِيرِ، الْإِنْسَانُ لَهُ تَدْبِيرٌ فِي مَلِكِهِ، فَهُوَ مِثْلًا يَقُولُ لَوْلَدَهُ: أَفْعَلْ كَذَا. وَلَوْلَدِهِ الْآخَرِ: أَفْعَلْ كَذَا، وَوُجَّهَهُ، لَكِنَّ التَّدْبِيرَ الْمَطْلُوقَ يَكُونُ لِلَّهِ وَحْدَهُ، فَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يُدَبِّرُ كَمَا يَشَاءُ عَلَى مَا تَقْتَضِيهِ حِكْمَتُهُ، وَلَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ، بِخِلَافِ الْإِنْسَانِ.

وَبِهَذَا يَتَبَيَّنُ انْفِرَادُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِالْخَلْقِ وَالْمُلْكِ وَالتَّدْبِيرِ.

**الْقِسْمُ الثَّانِي:** تَوْحِيدُ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ: وَهُوَ مِنْ تَهَامِ تَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ فِي الْحَقِيقَةِ، لَكِنْ نَصَّ الْعُلَمَاءُ عَلَيْهِ لَوْجُودَ الْخِلَافِ فِيهِ بَيْنَ أَهْلِ الْقِبْلَةِ - أَيْ الْمُسْلِمِينَ - فَلِذَلِكَ جَعَلُوهُ قِسْمًا مُسْتَقِلًّا، وَإِلَّا فَإِنَّهُ يَتَعَلَّقُ بِذَاتِ الرَّبِّ، فَهُوَ مِنْ تَهَامِ الرُّبُوبِيَّةِ.

فَمَا هُوَ تَوْحِيدُ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ؟

**الْجَوَابُ:** تَوْحِيدُ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ هُوَ إِفْرَادُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ بِحَيْثُ تُنْثَبِتُهَا لَهُ إِثْبَاتًا بِلَا تَمْثِيلٍ، وَتَنْزِيهًِا بِلَا تَعْطِيلٍ؛ أَيْ: نُنْثَبِتُهَا لِلَّهِ عَلَى وَجْهِ لَا يُثَابِلُ مَا لِلْمَخْلُوقِينَ مِنْ ذَلِكَ. مِثَالُ ذَلِكَ: أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ يَدٌ، وَلِلْمَخْلُوقِ يَدٌ، لَكِنْ يَجِبُ أَنْ نُوحِّدَ اللَّهَ بِإِيْدِهِ بِحَيْثُ نُنْثَبِتُ لَهُ يَدًا لَا تُمِثِّلُ أَيْدِي الْمَخْلُوقِ؛ لِأَنَّكَ لَوْ جَعَلْتَ يَدَ الْمَخْلُوقِ مِثْلَ يَدِ اللَّهِ، أَوْ جَعَلْتَ يَدَ اللَّهِ مِثْلَ يَدِ الْمَخْلُوقِ كُنْتَ بِذَلِكَ مُشْرِكًا.

فَتَوْحِيدُ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ إِثْبَاتُ مَا أَثَبَّتَهُ اللَّهُ لِنَفْسِهِ مِنَ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ مِنْ غَيْرِ تَمْثِيلٍ لَهَا بِمَا لِلْمَخْلُوقِ مِنْ ذَلِكَ، فَقَدْ يُسَمَّى الْإِنْسَانُ الْعَزِيزَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالَتْ أَمْرَأَتُ الْعَزِيزِ﴾ [الشعراء: ٥١]. وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ سَمَّى نَفْسَهُ بِالْعَزِيزِ، لَكِنْ هَلِ الْعَزِيزُ الَّذِي سَمَّى بِهِ الْبَشَرَ كَالْعَزِيزِ الَّذِي سَمَّى بِهِ اللَّهَ؟

**الْجَوَابُ:** لَا، فَهُمَا يَخْتَلِفَانِ اخْتِلَافًا كَبِيرًا، فَالْمَخْلُوقُ قَدْ يُسَمَّى بِالْعَزِيزِ، وَلَا عِزَّةَ لَهُ، أَمَّا الْخَالِقُ فَإِنَّهُ سَمَّى بِالْعَزِيزِ لِكَمَالِ عِزَّتِهِ.

وَقَدْ يُسَمَّى الْمَخْلُوقُ بِصَالِحٍ، وَلَيْسَ فِيهِ صِلَاحٌ، وَيُسَمَّى خَالِدًا وَهُوَ يَمُوتُ، لَكِنْ أَسْمَاءُ اللَّهِ مُشْتَمِلَةٌ عَلَى مَعَانِيهَا التَّامَّةِ.

فَبِذَلِكَ يَحْصُلُ الْفَرْقُ بَيْنَ مَا يُثَبَّتُ لِلَّهِ مِنَ الْأَسْمَاءِ، وَمَا يُثَبَّتُ لِلْمَخْلُوقِ، وَكَذَلِكَ نَقُولُ فِي الصِّفَاتِ. وَهَذَا هُوَ تَوْحِيدُ اللَّهِ تَعَالَى بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ.

**الْقِسْمُ الثَّالِثُ:** تَوْحِيدُ اللَّهِ تَعَالَى بِالْعِبَادَةِ بِأَنْ لَا يُعْبَدَ غَيْرُ اللَّهِ أَيَّا كَانَ ذَلِكَ الْمَعْبُودُ، سَوَاءً كَانَ مَلَكًا أَوْ رَسُولًا أَوْ وَلِيًّا أَوْ صَالِحًا أَوْ سُلْطَانًا أَوْ أُمًّا أَوْ أَبًا أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ، فَلَا يُعْبَدُ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ.

وَقَدْ ذَكَرَ الْعُلَمَاءُ ذَلِكَ قِسْمًا بِرَأْسِهِ؛ لِأَنَّهُ وَقَعَ فِيهِ خِلَافٌ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُشْرِكِينَ.

فَتَوْحِيدُ الرُّبُوبِيَّةِ لَمْ يَقَعْ فِيهِ خِلَافٌ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُشْرِكِينَ، وَتَوْحِيدُ الْأُلُوهِيَّةِ وَالْعِبَادَةِ وَقَعَ فِيهِ

خلاف بين المسلمين والمشركون وتوحيد الأسماء والصفات وقَعَ الخلاف فيه بين المسلمين، فصارت الآن الأقسام ثلاثة من حيث اتفاق الناس عليها.

ولا يرد على هذا التقسيم أن من الناس من أنكر وجود الخالق؛ لأن من أنكر وجود الخالق فقد عطل تعطيلاً نهائياً، والكلام مع من أثبت الخالق، أما من أنكر فلا كلام معه؛ لأنه لا يُثبت الرب، ولا غير الرب؛ وذلك مثل الشيوعية والذهريّة، وغيرهم كثير.

**إذا:** هل وقع الخلاف بين المسلمين والمشركون في توحيد الربوبية؟

**الجواب:** لا؛ لأن الله صرح في آيات كثيرة أنهم يُقرّون بتوحيد الربوبية، فقال: ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ (٨١) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ﴿[التكوير: ٨٦-٨٧]؟ أي: سيقولون: الله هو رب السموات السبع ورب العرش العظيم.

وقال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدِيرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ﴾ [التكوير: ٣١]. وقال: ﴿وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولَنَّ اللَّهُ﴾ [التكوير: ٨٧]. فهم يُقرّون تمامًا بتوحيد الربوبية، لكن توحيد الألوهية لا يتفق المسلمون والمشركون عليه؛ لأن المشركون يُشركون بالله في توحيد الألوهية، فيعبدون مع الله غيره؛ مثل الالات، والعزى، ومناة، وهبل وغيرها من الأصنام المعبّنة بعينها، وغير المعبّنة.

فالمشركون لهم أصنامٌ معبّنة بعينها؛ كالالات والعزى ومناة وما أشبهها، ولهم أصنامٌ غير معبّنة، فيؤمن سفههم أن الإنسان إذا نزل أرضاً اختار أربعة أحجار؛ ثلاثة منها يجعلها للقدّر، والأحسن منها يجعله إلهًا يعبدّه، وهذا سفة عجيب!

فإذا قال قائل: ما هو الدليل على هذا التقسيم؟

**قلنا:** الدليل على هذا التقسيم هو التثني والاستقراء؛ أي: أن العلماء رحمهم الله تَبَعُوا واستقروا ما حصل من أنواع الشرك، فوجدوه يدور على هذه الأقسام الثلاثة.



ثُمَّ قَالَ الْبُحَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

## كِتَابُ التَّوْحِيدِ

**وفي نسخة:** والرّد على الجَهْمِيَّة؛ الجَهْمِيَّةُ أتباعُ الجَهْمِ بنِ صَفْوَانَ، والجَهْمُ بنُ صَفْوَانَ ليس هو رأس الأمر في التعطيل، بل رأس الأمر في التعطيل شيخه الجَعْدُ بنُ دِرْهَمٍ، لكن الجَهْمُ كان فصيحاً بليغاً نشيطاً، فحرّك هذه الدعوة -دعوة التعطيل- ونشرها وناظر عليها، وجادل فيها، فنُسِبَ المذهب إليه، وإن كان المذهب في الأصل من الجَعْدِ بنِ دِرْهَمٍ.

وأول هذا المذهب الخبيث مبني على شيئين: إنكار المحبة، وإنكار الكلام لله، قالوا: الله لا يحب، ولا يتكلّم. وهذا هدمٌ للدين كلّ، لأنه إذا كان الله لا يحب صار المؤمن والكافر عند الله سواء وهذا تعطيل واضح، وإذا كان



لا يتكلم صارت الشرائع والخلق سواء؛ يعني: أن حكمه الكوني وحكمه الشرعي سواء وهذا تعطيل واضح، وأيضاً فإن إنكار الكلام إنكار للشرائع؛ لأن الشرع مما ثبت بالوحي، والوحي كلامٌ فإذا أنكر الكلام أنكر الوحي، وهذا تعطيل واضح.

وعلى هذا فقول الجعد بن درهم أن الله تعالى لم يتخذ إبراهيم خليلاً، ولم يكلم موسى تكليماً هو إنكار تأويل لا إنكار جحد؛ لأنه لو كان يريد إنكار الجحد لأعلن على نفسه بالكفر؛ إذ إن من أنكر حرفاً واحداً من القرآن فهو كافر؛ لكنه أنكره إنكاراً تأويل، فقال: إن الله يتكلم، وإن الله اتخذ إبراهيم خليلاً، لكن ليس على المعنى الذي تريدون، فهو قد اتخذ خليلاً من الخلّة بالكسرة وهي الاحتياج والفقر، وليست من الخلّة التي هي المحبة. أو أعلى أنواع المحبة.

وهو لم يكلم موسى تكليماً بمعنى الكلام الذي يُسمع، ولكن كلمه بمعنى: جرحه بمخالب الحكمة؛ لأن الكلم في اللغة بمعنى الجرح، ومنه قول النبي ﷺ: «ما من مكلمٍ يكلم في سبيل الله إلا جاء يوم القيامة، وكلمه يُتعب<sup>(١)</sup> دماً، اللون لون الدّم؛ والريح ريح المسك<sup>(٢)</sup>».

فمعنى كلم: جرح، وهذا على سبيل الاستعارة على كلامه، كأن الحكمة وحش لها أظفار جرح الله بها موسى<sup>(٣)</sup>.

ولا شك أن هذا كلامٌ مُنكرٌ عظيم، لكن من طبع على قلبه فإنه لا يرى الباطل باطلاً والعياذ بالله.

ويقال: إنه لما خرج خالد بن عبد الله القسري ذات عيد من أعياد الأضحى، وكان قد حبس الجعد بن درهم، فخرج بالجعد بن درهم موثقاً، وخطب الناس وقال: أيها الناس، ضحوا، تقبل الله ضحاياكم، فإني مّضح بالجعد بن درهم، إنه زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً، ولم يكلم موسى تكليماً. ثم نزل من المنبر، فدبحه<sup>(٤)</sup>.

(١) قال النووي رحمه الله في شرح مسلم (٢٩/٧): قوله ﷺ: «وجرحه يتعب» وهو بفتح الباء والعين وإسكان المثناة بينهما، ومعناه: يجري متفجراً؛ أي: كثيراً، وهو بمعنى الرواية الأخرى: يتفجر دماً. اهـ وانظر «النهاية» لابن الأثير (ث ع ب).

(٢) رواه مسلم (١٨٧٦) (١٠٥).

(٣) قال الشيخ رحمه الله: إذا قال الله: «وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا» [النساء: ١٦٤]. فالقاعدة في اللغة العربية أن الفعل إذا أكد بمصدر اتفنى المجاز عنه؛ يعني: حتى القائلون بوجود المجاز في اللغة العربية يقولون: إن التأكيد ينفي احتمال المجاز، والآية مؤكدة «وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا» [النساء: ١٦٤] فلا وجه لها ادعاه، ثم الآيات قاطعة بإثبات المحبة لله ﷻ، كما قال تعالى: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ» [النساء: ٧١]، «يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ» [النساء: ١٣].

رواه البيهقي في «سننه» (٢٠٥/١٠). والبخاري في «التاريخ الكبير» (١/٦٤)، وفي «خلق أفعال العباد» (ص ١٢)، والدارمي في «الرد على الجهمية» (ص ١١٣).

(٤) رواه البخاري في «التاريخ الكبير» (١/٦٤)، وفي «خلق أفعال العباد» (ص ١٢)، والدارمي في «الرد على الجهمية» (ص ١١٣)، والبيهقي في «سننه» (٢٠٥/١٠) قال محقق كتاب «خلق أفعال العباد» الأستاذ بدر

وفي ذلك يقول ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ:

ولأجل ذا ضحى بجعد خالد الـ  
إذا قال إبراهيم ليس خليفه  
شكر الضحية كل صاحب سنة  
قسري يوم ذبائح القربان  
كلأ ولا موسى الكلم الداني  
لله ذرك من أخى قربان<sup>(١)</sup>

ونحن نشكره أن ضحى بهذا الرجل الذي هو رأس هذه البدعة العظيمة.

**وقول البخاري رَحِمَهُ اللهُ:**

«التوحيد والرّد على الجهمية». ويُفهم من هذا الكلام أن الجهمية في رأي البخاري رَحِمَهُ اللهُ ليسوا من أهل التوحيد؛ لأنه قال: التوحيد والرّد على الجهمية، وقد صرح كثير من العلماء بكفر الجهمية. وبعضهم فصل، وقال: المجتهد منهم كافر، والمقلد العامي ليس بكافر. وبعضهم زاد قيداً في المجتهد، وقال: المجتهد الدّاعي إلى بدعته كافر، وغير الدّاعية -الذي تكون بدعته على نفسه- ليس بكافر.

وهذه المسألة -أعني: مسألة تكفير الجهمية والمعتزلة والخوارج والرافضة ونحوهم- تحتاج إلى نظير عميق، وفي كل قضية بعينها؛ لأن إطلاق الكفر، قد يدخل فيه من ليس بكافر، ونفي الكفر قد يخرج منه من هو كافر، والكفر حكم من أحكام الله لا يجوز لنا أن نطلقه على أحد إلا إذا علمنا أنه يستحق هذا الوصف.

كما أن التحليل والتحریم من أحكام الله، فلا يجوز أن نطلق على شيء أنه حلال أو حرام إلا وعندنا فيه من الله بُرهان، بل الكفر أعظم؛ لأن الكفر فوق الحرام، وفوق الكبائر.

\*\*\*

**ثم قال البخاري رَحِمَهُ اللهُ:**

١ - باب ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى.

قوله: «دعاء النبي ﷺ أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى».

الظاهر: أن «ال» في قوله: «النبي» للعهد الذهني وليست للعموم بدليل سياق الأحاديث ويصح أن نجعلها للعموم؛ أي: دعاء كل نبي أمته إلى توحيد الله، وإذا جعلناها للعموم فإن ذلك قوله تعالى:

البدر، إسناده ضعيف؛ فإن أبا عبد الرحمن، وهو محمد بن حبيب مجهول، كما في «الميزان» للذهبي (٣/ ٥٠٨، ٥٠٩)، و«التقريب» لابن حجر، وعبد الرحمن بن محمد قال عنه ابن حجر: مقبول؛ يعني: حيث يتابع، وإلا فلين، جده حبيب قال عنه: صدوق يخطئ. ١. هـ وانظر: «السير» (٤٣٢/٥).

(١) انظر: «شرح القصيدة النونية» لفضيلة الشيخ محمد خليل هراس (١/ ٣٤)



﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [التكوير: ٣٦]. وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الشورى: ٢٠]. فكل الرُّسُلِ جاءوا لتحقيقِ التوحيد - نسألُ اللهَ أنْ يُحَقِّقَهُ لَنَا وَلَكُمْ - تحقيقَ هذا التوحيدِ مِنْهُمْ جَدًّا فِعَادَةً لِلَّهِ وَحَدَّهُ وَإِخْلَاصَ الْعِبَادَةِ لَهُ أَمْرٌ عَظِيمٌ جَدًّا وَلَيْسَ بِالسَّهْلِ وَلَا بِالْيَسِيرِ، وَلِهَذَا قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: مَا جَاهَدْتُ نَفْسِي عَلَى شَيْءٍ مُجَاهَدْتُهَا عَلَى الْإِخْلَاصِ. فَالنَّفْسُ تَحْتَاجُ إِلَى جِهَادٍ فِي تَحْقِيقِ هَذَا التَّوْحِيدِ الَّذِي جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ وَنَزَلَتْ بِهِ الْكُتُبُ بَلْ مِنْ أَجْلِهِ خُلِقَ الْجَنُّ وَالْإِنْسُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الدخان: ٥٦]. فَجَمِيعُ الرُّسُلِ دَعَا أُمَّمَهُمْ إِلَى التَّوْحِيدِ، وَعَلَى رَأْسِهِمْ خَاتَمُهُمْ مُحَمَّدٌ ﷺ فَقَدْ دَعَا إِلَى التَّوْحِيدِ فِي مَكَّةَ وَفِي الْمَدِينَةِ بِالْقَوْلِ وَبِالْفِعْلِ.

فمن ذلك ما قال البخاري رحمه الله:

٧٣٧١- حَدَّثَنَا أَبُو عَاصِمٍ حَدَّثَنَا زَكَرِيَاءُ بْنُ إِسْحَاقَ عَنْ يَحْيَى بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ صَيْفِيٍّ عَنْ أَبِي مَعْبُدٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَعَثَ مُعَاذًا إِلَى الْيَمَنِ»<sup>(١)</sup>.

٧٣٧٢- وَحَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي الْأَسْوَدِ حَدَّثَنَا الْفَضْلُ بْنُ الْعَلَاءِ حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ أُمَيَّةَ عَنْ يَحْيَى بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ صَيْفِيٍّ أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا مَعْبُدٍ مَوْلَى ابْنِ عَبَّاسٍ يَقُولُ سَمِعْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ يَقُولُ لَمَّا بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ: مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ إِلَى نَحْوِ أَهْلِ الْيَمَنِ قَالَ لَهُ: «إِنَّكَ تَقْدُمُ عَلَى قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَى أَنْ يُؤَحِّدُوا اللَّهَ تَعَالَى فَإِذَا عَرَفُوا ذَلِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِهِمْ وَلَيْلَتِهِمْ فَإِذَا صَلَّوْا فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ زَكَاةً فِي أَمْوَالِهِمْ تُوْخَذُ مِنْ غَيْرِهِمْ فَرَدُّ عَلَى فُقِيرِهِمْ فَإِذَا أَقْرَأُوا بِذَلِكَ فَخُذْ مِنْهُمْ وَتَوَقَّ كَرَائِمَ أَمْوَالِ النَّاسِ»<sup>(٢)</sup>.

بَعَثَ مُعَاذٌ إِلَى الْيَمَنِ كَانَ فِي السَّنَةِ الْعَاشِرَةِ مِنَ الْهَجْرَةِ، بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ مُعَاذًا وَأَبَا مُوسَى الْأَشْعَرِيَّ، لَكِنَّهُ بَعَثَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا إِلَى نَاحِيَةٍ، وَلِهَذَا وَرَدَتْ أَلْفَاظُ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي بَعْثِ مُعَاذٍ عَلَى وَجْهَيْنِ:

الوجه الأول: بَعَثَ مُعَاذًا إِلَى الْيَمَنِ.

والوجه الثاني: بَعَثَ مُعَاذًا نَحْوَ الْيَمَنِ أَيَّ جِهَةِ الْيَمَنِ.

(١) رواه البخاري (٧٣٧١)، ومسلم (١٩).

(٢) رواه البخاري (٧٣٧٢)، ومسلم (١٩).

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في «الفتح» (٣٤٨/١٣) قوله: لما بعث النبي ﷺ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ إِلَى نَحْوِ أَهْلِ الْيَمَنِ. أي: جهة أهل اليمن، وهذه الرواية تقييد الرواية المطلقة بلفظ: حين بعثه إلى اليمن فيبنت هذه الرواية أن لفظ اليمن من باب حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه أو من إطلاق العام وإرادة الخاص، أو لكون اسم الجنس يطلق على بعضه كما يطلق على كله، والراجح أنه من حمل المطلق على المقيد كما صرح به هذه الرواية. اهـ

والثاني أقرب إلى الواقع؛ أي: نحو اليمين أقرب إلى الواقع؛ لأن النبي ﷺ بعث معاذًا إلى جهة، وبعث أبا موسى إلى جهة أخرى، ولا يمتنع أن يكون اللفظ الذي فيه إلى اليمين يراد به الخصوص، وإن كان للعموم، ومعلوم أن معاذًا لم يتجول في كل اليمين.

**والشاهد من هذا الحديث قوله:** «فليكن أول ما تدعوهم إلى أن يوحدوا الله» كلمة «يُوحِدُوا الله» مطابقة للترجمة تمامًا وفي لفظ آخر في الحديث نفسه: «إلى أن يشهدوا ألا إله إلا الله»، و«فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة ألا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله» فبأيها نأخذ؟

نأخذ بالثاني: لأن فيه زيادة، وهو قوله: «وأن محمدًا رسول الله»؛ لأن أهل الكتاب لا يؤمنون بأن محمدًا رسول الله إلى جميع الخلق، فيكون هذا اللفظ هو المعتبر وهو المأخوذ به؛ لأنه أوفى، وأكثر فائدة، ومن المعلوم أن النبي ﷺ لم يبعث معاذًا إلا مرة واحدة، ولم يؤص به إلا مرة واحدة، وعلى هذا فينبغي أن تختار من ألفاظ هذا الحديث أوفاه وأكثرها، وهكذا ينبغي في كل حديث اختلفت ألفاظه، ونحن نعلم أنه لم يقع إلا مرة واحدة فإنه يجب علينا أن نأخذ أوفاه وأتمها سياقًا؛ لأن الوافي التام السياق يدل على أن رايه قد ضبطه وأحاط به، وعلى كل حال فقوله: «إلى أن يوحدوا الله» هي معنى شهادة أن لا إله إلا الله.

**وفي الحديث:** دليل على أن أهل الكتاب لم يوحدوا الله ﷻ وهو كذلك، فإن اليهود يقولون: عزيز ابن الله. والنصارى يقولون: المسيح ابن الله. ويقولون أيضًا: إن الله ثالث ثلاثة. فهم لم يوحدوا الله ﷻ، إلى السنة العاشرة وهم لم يوحدوا الله وبهذا نعرف أن قوله تعالى: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ [التوبة: ٥٥]، أي حل نساء أهل الكتاب ثابت، ولو كانوا يقولون بالشرك.

**وفي الحديث دليل:** على رد قول من يقول: إن أول واجب على الإنسان المعرفة قبل أن يعتقده، أي أننا ندعو الناس أولًا إلى أن يعرفوا ويتعلموا ثم بعد ذلك يعتقدون، وأفسد منه قول من يقول: إن أول واجب على الإنسان الشك. أن يشك أولًا ثم ينظر في الآيات من أجل أن يدفع هذا الشك، وهذا القول من أبطل الأقوال، بل هو أبطل قول سميعة؛ لأن الذي يلقي نفسه في الطين ليتعود كيف يخرج من الطين هل يأمن أن يركس في الطين أو لا يأمن؟ لا يأمن، ربما هذا الرجل القائل: نشك أولًا. ما يستطيع أن يصل إلى اليقين فيبقى شاكًا - نسأل الله العافية من هذه الأقوال - وسبب هذه الأقوال هو انحراف الفطرة والطبيعة عند هؤلاء، فيظنون أن الناس مثلهم، والناس في الحقيقة مجبولون على الفطرة، لا يحتاج أن يقال لهم: انظروا من خلق السموات والأرض؛ لأن هذا أمر معلوم فطريًا بل نقول وحدوا من خلق السموات والأرض، واعبدوه وحده، نعم لو احتاج الإنسان إلى نظر فإننا نخبره.

مثل: أن يكون شخص نشأ في بلاد شيعية لا يعرفون ربًا ولا إلهًا، وإنما هم كالأنعام فهؤلاء قد نحتاج إلى أن نعرفهم بالله أولًا ثم ندعوهم إلى التوحيد ثانيًا، لكن مثل أهل الكتاب لا يحتاجون إلى تعريف بالله؛ لأنهم عندهم علم بالله.



فهم يعرفون الله ﷻ بل يعرفون الرسول ﷺ كما يعرفون أبناءهم، فصار أول ما ندعو الناس إلى توحيد الله ﷻ قبل المعرفة؛ لأن هذا أمر فطري إلا إذا كان إنساناً منغمساً في قوم أفسدوا فطرته فحينئذ نعرفه بالله أولاً، ثم ندعوه إلى توحيد الله.

أما القول: بأن الواجب الشك أولاً ثم المعرفة ثانياً ثم العقيدة ثالثاً، فهذا قول من أبطل الأقوال بل هو أبطل قول سمعته.

❦ وفي الحديث قوله: «إذا عرفوا ذلك» استدلل بعض الناس أن أول شيء هو المعرفة، لقوله: «إذا عرفوا ذلك» لكن ذكرنا لكم آيافاً أن الحديث روي بالفاظ متعددة، وأوفى هذه اللفاظ هو قوله في اللفظ الثاني: «فإن أطاعوك لذلك» هذا اللفظ الذي سبق فيه الحديث سياقاً تاماً. وعلى هذا فيكون هذا اللفظ الذي ذكره المؤلف هنا منقولاً بالمعنى على أن قوله: إذا عرفوا ذلك. لا يتعين أن يكون المراد به إذا عرفوا الله، بل يكون المراد من قوله: إذا عرفوا ذلك أي عرفوا أن الله إله واحد أي عرفوا التوحيد وأقروا به وانقادوا له فأخبرهم أن الله افترض عليهم... إلى آخره، وهذا لا يحتاج إلى شرح، وهو معروف، وقد سبق.

❦ وفي قوله في الحديث: «زكاة في أموالهم». تدل هذه اللفظة على أن الزكاة واجبة في المال، وهو كذلك، ولهذا لا يشترط لوجوبها على القول الراجح أن يكون مالك المال مكلفاً -أي: بالغاً عاقلاً-. فتجب في مال الصبي وفي مال المجنون.

ولو قال قائل: إن الخطاب لا يوجه إلا للمكلف أصلاً. لكان هذا وجهاً قوياً، لكنه لما قال: في أموالهم، وقال في الآية: ﴿حُذِّمْنَ أَمْوَالُهُمْ صَدَقَةً﴾ [التوبة: ١٠٣]. دل هذا على أن الزكاة مكررة في المال. ❦ وقوله: «من غنيهم فترد على فقيرهم». المراد بالغني هنا: من يملك نصيباً زكواً، أما من يملك العقار، ولو كثر فإنه ليس غنياً، بالنسبة لوجوب الزكاة عليه؛ لأن العقارات على القول الراجح لا تجب فيها الزكاة.

❦ وقوله في الحديث: «على فقيرهم». دليل على أن الصدقة توزع على مستحقيها توزيع أفراد، لا توزيع جميع، فقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ﴾ [التوبة: ٦٠]. لبيان جنس المستحقين، وليس المراد أن تستوعب هذه الأصناف بالزكاة.

وهذه مسألة اختلف فيها الفقهاء رحمهم الله مع وجود هذا النص، فقال بعضهم: لا بد أن تقسم الزكاة ثمانية أقسام، لكل واحد من الأصناف الثمانية قسم.

❦ وقال آخرون زيادة على ذلك: بل ما جاء بلفظ الجمع من هذه الأصناف وجب أن تُعطى ثلاثة منهم. وعلى هذا فيكون الواجب أن تعطى ثلاثة فقراء وثلاثة مساكين وثلاثة عاملين عليها وثلاثة غارمين وثلاث رقاب، وثلاثة مؤلفة قلوبهم، وأما في سبيل الله وابن السبيل فهذه مفردة تصدق بالواحد.

ولكنَّ القولَ الرَّاجِحَ أنَّ المرادَ ببيانِ المستحقين، لا وجوبُ الصرفِ في الجميع، بدليلِ قوله في هذا الحديث: «في فقرائهم».

❦ وقوله: «تؤخذُ من غنيَّهم، فتُرَدُّ على فقيرِهم». أخذَ بعضُ العلماءِ من هذا الحديثِ أنَّه لا يجوزُ نقلُ الزكاةِ عن البلدِ الذي فيه الأغنياءُ إلى بلدٍ آخر؛ لأنَّ قوله: «غنيَّهم» كما هو خاصٌّ بأغنياءِ أهلِ اليمنِ فقوله: «فقيرِهم» أيضًا خاصٌّ بفقراءِ أهلِ اليمنِ.

ووجهُ ذلك أيضًا من حيثِ المعنى، وهو أنَّه إذا نُقلتِ الزكاةُ من بلدِ الغنيِّ إلى بلدٍ آخر صارَ في هذا إيغارٌ لصدورِ الفقراءِ الذين في البلدِ، وربما صارَ ذلك فتحةً للعدوانِ على الأغنياءِ، وأخذَ أموالهم، فيكونُ في هذا فتنةٌ.

وهذا هو المشهورُ من مذهبِ الإمامِ أحمدَ رحمته الله أنَّه يحرمُ <sup>(١)</sup> نقلُ الزكاةِ إلى خارجِ البلدِ، لكنَّهم يبيِّنها بمسافةِ القصرِ إلا إذا لم يكنْ في البلدِ مُستحقٌّ، فتُصرفُ في بلدٍ آخر.

والحديثُ له فوائدٌ سبقَ الكلامُ عليها، لكن الذي يختصُّ بهذا البابِ قوله: «إلى أن يؤخِّدوا الله».

**ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رحمته الله:**

٧٣٧٣- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا غُنْدَرٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ أَبِي حَصِينٍ وَالْأَشْعَثِ

ابنِ سُلَيْمٍ أَنَّهَا سَمِعَا الْأَسْوَدَ بْنَ هَلَالٍ، عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلم: «يَا مُعَاذُ، أَتَدْرِي مَا حَقُّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ». قَالَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «أَنْ يَعْْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، أَتَدْرِي مَا حَقُّهُمْ عَلَيْهِ؟». قَالَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «أَلَا يُعَذِّبُهُمْ» <sup>(١)</sup>.

هنا الحديثُ مُختَصَرٌ، فالبخاريُّ رحمته الله تعالى اختَصَرَ السِّياقَ؛ لأنَّ المقصودَ هو الشَّاهدُ من الحديثِ، وهو قوله لَمَّا سَأَلَ «مَا حَقُّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ؟». قَالَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «أَنْ يَعْْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا».

فذكرَ النَّبِيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلم شَيْئَيْنِ: العبادةَ، وعدمَ الشُّركِ، فلا بُدَّ من عبادةٍ، ولا بُدَّ من عَمَلٍ. وكلمةُ «يَعْْبُدُوهُ»، يَعْنِي: عبادةً تَامَّةً لَا تَقْتَضِي مُخَالَفَةً يَسْتَحِقُّ عَلَيْهَا الْعِقَابَ، ولهذا قَالَ: «أَتَدْرِي مَا حَقُّهُمْ عَلَيْهِ؟». قَالَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «أَلَا يُعَذِّبُهُمْ». وهو لَا يُعَذِّبُهُمْ إِذَا عَبَدُوهُ وَلَمْ يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا؛ لِأَنَّهُمْ قَامُوا بِحَقِّ اللَّهِ، وَاللَّهُ عَلَّمَ أَكْرَمَ مِنْهُمْ، فَإِذَا قَامُوا بِحَقِّهِ قَامَ بِحَقِّهِمْ.

فإِذَا قَالَ قَائِلٌ: كَيْفَ يَكُونُ لِلْعِبَادِ حَقٌّ عَلَى اللَّهِ، وَهُمْ مَرْبُوبُونَ؟

**فالجوابُ:** أَنَّ اللَّهَ هُوَ الَّذِي أَوْجَبَ الْحَقَّ عَلَى نَفْسِهِ، وَالْمَمْنُوعُ أَنْ تُوجِبَ نَحْنُ حَقًّا عَلَى اللَّهِ، أَمَّا إِذَا أَوْجَبَ اللَّهُ عَلَى نَفْسِهِ حَقًّا لَنَا فَهَذَا مِنْ فَضْلِهِ وَكَرَمِهِ، وَلِهَذَا قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رحمته الله:

(١) انظر: «المغني» (٢/ ٢٨٣).

(٢) رواه مسلم (٣٠).



مَا لِلْعِبَادِ عَلَيْهِ حَقٌّ وَاجِبٌ وَهُوَ أَوْجَبُ الْأَجْرِ الْعَظِيمِ الشَّانِ  
 كَلًّا وَلَا عَمَلٌ لَدَيْهِ ضَائِعٌ إِنْ كَانَ بِالْإِخْلَاصِ وَالْإِحْسَانِ  
 إِنْ عَذَّبُوا فَبِعَدْلِهِ أَوْ نَعَّمُوا فَبِفَضْلِهِ وَالْحَمْدُ لِلْمَنَّانِ<sup>(١)</sup>

فَيَنْبَغِي تَحَلُّلُهُ أَنَّهُ لَيْسَ لَنَا عَلَى رَبِّنَا حَقٌّ نُوْجِبُهُ نَحْنُ بِأَنْفُسِنَا، بَلْ هُوَ الَّذِي أَوْجَبَ الْحَقَّ عَلَى نَفْسِهِ، وَلَهُ أَنْ يَفْعَلَ مَا يَشَاءُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿كَتَبْنَا رُبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرِّحْمَةَ﴾ [الأنعام: ٥٤]. أي: أوجب على نفسه الرحمة ﴿أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهْلَةٍ ثُمَّ تَابَ بِعَدْلٍ فَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [٥٥].

**وعلى كلِّ حالٍ نحن نقول:** إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَوْجَبَ عَلَى نَفْسِهِ أَنْ مَنْ قَامَ بِعِبَادَتِهِ بِلَا شِرْكَ، فَإِنَّهُ لَا يُعَذِّبُهُ، وَهَذَا مِنْ فَضْلِهِ وَإِحْسَانِهِ وَرَحْمَتِهِ.

**ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ تَحَلُّلُهُ:**

٧٣٧٤- حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ، قَالَ: حَدَّثَنِي مَالِكٌ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي صَعَصَعَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَجُلًا سَمِعَ رَجُلًا يَقْرَأُ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [١] [الأنعام: ١٧] يُرَدِّدُهَا، فَلَمَّا أَصْبَحَ جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَذَكَرَ لَهُ ذَلِكَ، فَكَانَ الرَّجُلُ يَتَقَالَّهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّهَا لَتَعْدِلُ ثُلُثُ الْقُرْآنِ».

رَأَى إِسْمَاعِيلُ بْنُ جَعْفَرٍ، عَنْ مَالِكٍ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي أَخِي قَتَادَةُ بْنُ النُّعْمَانِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ<sup>(١)</sup>.

**الشَّاهِدُ مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ:** أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّهَا لَتَعْدِلُ ثُلُثُ الْقُرْآنِ». وَأَقْسَمَ عَلَى ذَلِكَ.

قَالَ أَهْلُ الْعِلْمِ: وَإِنَّمَا كَانَتْ تَعْدِلُ ثُلُثُ الْقُرْآنِ؛ لِأَنَّ الْقُرْآنَ ثَلَاثَةُ مَوَاضِعَ: أَحْكَامٌ، وَأَخْبَارٌ عَنِ اللَّهِ، وَأَخْبَارٌ عَنْ مَخْلُوقَاتِ اللَّهِ، وَكُلُّ الْقُرْآنِ يَدُورُ عَلَى هَذِهِ الْمَعَانِي الثَّلَاثَةِ. فَالْأَحْكَامُ تَتَعَلَّقُ بِأَعْمَالِ الْعِبَادِ، وَالْأَخْبَارُ عَنْ مَخْلُوقَاتِ اللَّهِ أَيْضًا تَتَعَلَّقُ بِمَا أَخْبَرَ اللَّهُ بِهِ عَنْهَا، وَالْأَخْبَارُ عَنِ اللَّهِ تَضَمَّنَتْهَا سُورَةُ الْإِخْلَاصِ، ففِيهَا تَوْحِيدُ الْأُلُوهِيَّةِ وَالرُّبُوبِيَّةِ وَالْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ. فَالْأُلُوهِيَّةُ: فِي قَوْلِهِ: ﴿اللَّهُ﴾.

وَالرُّبُوبِيَّةُ وَالْأَسْمَاءُ وَالصِّفَاتُ: فِي قَوْلِهِ: ﴿الضَّكَّذُ﴾<sup>(٢)</sup> لَمْ يَكِلِدْ وَلَمْ يُولَدْ<sup>(٣)</sup> وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ<sup>(٤)</sup> [الأنعام: ٢-٤]. وَلِهَذَا كَانَتْ تَعْدِلُ ثُلُثُ الْقُرْآنِ.

**وفي الحديث من المسائل الفقهية:** جَوَازُ تَرْدِيدِ السُّورَةِ أَوْ الْآيَةِ؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَقَرَّ عَلَى ذَلِكَ، وَلَمْ يُنْكِرْهُ، فَإِذَا كَرَّرَ الْإِنْسَانُ الْآيَةَ أَوْ السُّورَةَ فَإِنَّهُ لَا بَأْسَ، وَكَثِيرًا مَا تُعْجِبُ الْإِنْسَانَ آيَةٌ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ إِمَّا

(١) شرح القصيدة النونية (١٠٨/٢).

(٢) تقدم الكلام عليه في فضائل القرآن.

لَمَعْنَاهَا أَوْ لِلْفِظْهَا، أَوْ مَا أَشْبَهَ ذَلِكَ فَيُرَدُّدَهَا.

فهذا لا بأس به حتى لو كرر، لكن تكريرها بعددٍ مُعَيَّنٍ يُعْتَادُهُ الْإِنْسَانُ هَذَا يَحْتَاجُ إِلَى تَوْقِيفٍ، فَمَثَلًا لَوْ أَرَادَ الْإِنْسَانُ أَنْ يَقْرَأَ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ①﴾. مائة مرة، وجعل لنفسه وَرْدًا يَقْرؤها كل يوم مائة مرة فَإِنَّ ذَلِكَ بَدْعٌ، لكن لو كان يَقْرؤها بِدُونِ عَدَدٍ مُعَيَّنٍ، بَأَن يَكُونَ كُلَّمَا قَرَأَهَا فَهَذَا لَيْسَ بِبَدْعٍ، وَلَيْسَ بِحَرَامٍ، وَلَا بِمَكْرُوهٍ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ.



ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٣٧٥- حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ صَالِحٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَمْرُو، عَنْ ابْنِ أَبِي هَالِلٍ، أَنَّ أَبَا الرَّجَالِ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، حَدَّثَهُ عَنْ أُمِّهِ عَمْرَةَ بِنْتِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، وَكَانَتْ فِي حَجَرٍ عَائِشَةُ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ، عَنْ عَائِشَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَعَثَ رَجُلًا عَلَى سَرِيَّةٍ، وَكَانَ يَقْرَأُ لِأَصْحَابِهِ فِي صَلَاتِهِ فَيَخْتِمُ بِـ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ①﴾، فَلَمَّا رَجَعُوا ذَكَرُوا ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «سَلُّوْهُ لَأَيِّ شَيْءٍ يَصْنَعُ ذَلِكَ؟» فَسَأَلُوهُ، فَقَالَ: «لَأَنَّهَا صِفَةُ الرَّحْمَنِ، وَأَنَا أَحِبُّ أَنْ أَقْرَأَ بِهَا. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَخْبِرُوهُ أَنَّ اللَّهَ يُحِبُّهُ» (١).

**الشاهد من هذا الحديث:** قصة هذا الرجل الذي بعثه النبي ﷺ على سريته، فكان يَقْرَأُ لِأَصْحَابِهِ، وَيَخْتِمُ بِـ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ①﴾.

وقوله: فَيَخْتِمُ بِـ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ①﴾. يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ يَخْتِمُ قِرَاءَةَ كُلِّ رَكْعَةٍ، أَوْ أَنَّهُ يَخْتِمُ قِرَاءَةَ الصَّلَاةِ عَمُومًا.

فَعَلَى الْإِحْتِمَالِ الْأَوَّلِ: إِذَا كَانَتِ الصَّلَاةُ رِبَاعِيَّةً يَكُونُ يَقْرَأُ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ①﴾ أَرْبَعَ مَرَّاتٍ. وَعَلَى الْإِحْتِمَالِ الثَّانِي: يَكُونُ يَقْرَأُهَا مَرَّةً وَاحِدَةً، وَقَدْ اسْتَدَلَّ بِهِ الْفُقَهَاءُ عَلَى جَوَازِ جَمْعِ سُورَتَيْنِ فِي رَكْعَةٍ وَاحِدَةٍ. (١)

وقوله: «لَأَنَّهَا صِفَةُ الرَّحْمَنِ». هَذَا هُوَ الشَّاهِدُ، لِأَنَّهَا: أَيُّ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ①﴾ صِفَةُ الرَّحْمَنِ. وَلَا يَرِيدُ أَنَّهَا كَلَامُ اللَّهِ فَهِيَ صِفَتُهُ؛ لِأَنَّ هَذَا الْوَصْفَ لَا يَخْتَصُّ بِـ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ①﴾ بَلْ هُوَ شَامِلٌ لِلْقُرْآنِ كُلِّهِ، وَلَكِنْ مَرَادُهُ لِأَنَّهَا تَشْتَمِلُ عَلَى صِفَةِ الرَّحْمَنِ؛ فَإِنَّ جَمِيعَ صِفَاتِ اللَّهِ ﷻ تَتَضَمَّنُهَا هَذِهِ السُّورَةُ، وَتَشْتَمِلُ عَلَيْهَا.

**وفي هذا الحديث:** إثبات الصفة لله، كما جرى على ذلك علماء السلف؛ أَنَّ لِلَّهِ أَسْمَاءً وَصِفَاتٍ،

(١) رواه مسلم (٢٦٣).

(٢) انظر: «المغني» (٢/ ١٦٨، ١٦٩)، و«المبدع» (١/ ٤٨٥)، و«الفروع» (١/ ٣٦٩)، و«كشف القناع» (١/ ٣٧٤).



وَأَنْكَرَ ابْنُ حَزْمٍ الظَّاهِرِيُّ ذِكْرَ الصِّفَةِ، وَقَالَ: إِنْ ذُكِرَ الصِّفَةُ مِمَّا أَحَدَثَهُ الْمُتَكَلِّمُونَ <sup>(١)</sup>، وَلَكِنْ قَوْلُهُ مُرَدُّهُ بِالْقُرْآنِ وَبِالسُّنَنِ:

أَمَّا الْقُرْآنُ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ: ﴿سُبْحَنَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [التَّائِبَاتُ: ١٨٠]. فَفَنِي مَا وَصَفَهُ بِهِ الْمُشْرِكُونَ عَنْ نَفْسِهِ أَوْ تَنَزَّيْهِهِ نَفْسَهُ عَمَّا وَصَفَهُ الْمُشْرِكُونَ يَدُلُّ عَلَى ثُبُوتِ صِفَةِ الْكَمَالِ لَهُ، وَهُوَ كَذَلِكَ. وَأَمَّا الْحَدِيثُ فَظَاهِرٌ؛ لِقَوْلِهِ فِيهِ: «لَأَنْهَا صِفَةُ الرَّحْمَنِ»، فَأُثِّبَتِ لِلرَّحْمَنِ صِفَةٌ، وَمِنْ الْمَعْلُومِ أَنَّ ابْنَ حَزْمٍ لَمْ يَحْتَجْ لِقَوْلِهِ إِلَّا أَنَّ الصِّفَةَ لَا تَقُومُ إِلَّا بِجِسْمٍ، وَالْجِسْمُ مُمْتَنِعٌ عَلَى اللَّهِ.

وَنَحْنُ نَتَكَلَّمُ عَنِ الْجِسْمِ الْآنَ وَالْحَيَرِ وَالْجَهَةِ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ مِنَ الْعِبَارَاتِ الَّتِي تَوَصَّلَ أَهْلُ التَّعْطِيلِ بِهَا - أَيْ بَنَفِيهَا - إِلَى نَفْيِ الصِّفَاتِ عَنِ اللَّهِ، فَقَالُوا: لَا نَصِفُ اللَّهَ بِصِفَةٍ؛ لِأَنَّ هَذَا يَقْتَضِي أَنْ يَكُونَ جِسْمًا، وَالْجِسْمُ مُحَدَّثٌ، وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هُوَ الْأَوَّلُ الَّذِي لَيْسَ قَبْلَهُ شَيْءٌ.

فَنَقُولُ لَهُمْ: إِنْ كَانَ يَلْزَمُ مِنْ إِبْثَابِ الصِّفَةِ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ جِسْمًا فَهَذَا لَا زَمَ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ، وَكِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةُ رَسُولِهِ حَقٌّ، وَاللَّازِمُ مِنَ الْحَقِّ حَقٌّ، وَإِنْ كَانَ لَا يَلْزَمُ فَقَدْ حَصَلَ الْإِنْفِكَالُ عَمَّا أَلْزَمْنَا بِهِ.

ثُمَّ نَقُولُ لَهُ: وَلِغَيْرِهِ مِنَ الْأَشَاعِرَةِ أَيْضًا الَّذِينَ يُنْكِرُونَ الصِّفَاتِ بِنَاءً عَلَى هَذَا: مَا هُوَ الْجِسْمُ الَّذِي تُرِيدُونَ أَنْ تَنْفُوهُ عَنِ اللَّهِ؟ هَلْ مُرَادُكُمْ بِذَلِكَ الْجِسْمِ الْمُرَكَّبُ الَّذِي يَفْتَقِرُ بَعْضُهُ إِلَى بَعْضٍ وَيَتَجَزَّأُ، أَمْ مُرَادُكُمْ بِذَلِكَ الشَّيْءِ الْقَائِمُ بِنَفْسِهِ الْمُتَّصِفُ بِالصِّفَاتِ، الْفَاعِلُ لِمَا يَرِيدُ، الَّذِي يَجِيءُ وَيَأْتِي، وَيَأْخُذُ وَيَقْبِضُ وَيَسْطُ؟

إِنْ أَرَدْتُمْ الْأَوَّلَ فَنَحْنُ نَوَافِقُكُمْ عَلَى أَنَّ اللَّهَ لَا يُوصَفُ بِالْجِسْمِ بِهَذَا الْمَعْنَى، وَإِنْ أَرَدْتُمْ الثَّانِيَّ فَنَحْنُ نَصِفُ اللَّهَ بِهِ، وَسَمُّوهُ مَا شِئْتُمْ، سَمُّوهُ جِسْمًا أَوْ غَيْرَ جِسْمٍ، فَنَحْنُ نَصِفُ اللَّهَ بِأَنَّهُ عَزَّ وَجَلَّ قَائِمٌ بِنَفْسِهِ مُتَّصِفٌ بِالصِّفَاتِ اللَّائِقَةِ بِهِ، يَجِيءُ وَيَنْزِلُ وَيَسْتَوِي وَيَأْخُذُ وَيَقْبِضُ وَيَسْطُ وَيَتَكَلَّمُ، نَقُولُ بِذَلِكَ، وَلَا يُمَكِّنُ أَنْ تُنْكِرَ هَذَا؛ لِأَنَّ إِنْكَارَ هَذَا هُوَ التَّعْطِيلُ الْمَحْضُ.

ثُمَّ نَقُولُ لَهُمْ: أَنْتُمْ تَقُولُونَ: إِنَّهُ لَا يَتَّصِفُ بِالصِّفَاتِ إِلَّا الْجِسْمُ، وَهَذَا خَطَأٌ مُخَالَفٌ لِلْوَاقِعِ؛ فَإِنَّهُ يُوصَفُ بِالصِّفَاتِ مَا لَيْسَ بِجِسْمٍ، فَاللُّغَةُ الْعَرَبِيَّةُ مَمْلُوءَةٌ مِنْ وَصْفِ الْأَزْمَانِ بِالصِّفَاتِ، فَيُقَالُ مَثَلًا: هَذَا لَيْلٌ طَوِيلٌ، وَهَذَا نَهَارٌ قَصِيرٌ. وَهَلِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ أَجْسَامٌ؟

الْجَوَابُ: لَا.

❖ وَيُقَالُ: حَرٌّ شَدِيدٌ، وَبَرْدٌ شَدِيدٌ. وَالْحَرُّ وَالْبَرْدُ لَيْسَا بِجِسْمٍ، فَدَعَاكُمْ أَنْ الصِّفَاتِ لَا تَقُومُ إِلَّا بِجِسْمٍ دَعَايَ بَاطِلَةٌ، تُكَذِّبُهَا اللَّغَةُ وَيُكَذِّبُهَا الْحِسُّ.

(١) قَالَ ابْنُ حَزْمٍ فِي «الْفَصْلِ» (٢/ ٢٨٤): هَذِهِ لَفْظَةٌ اصْطَلَحَ عَلَيْهَا أَهْلُ الْكَلَامِ، مِنَ الْمَعْتَزَلَةِ، وَمِنْ تَبِعِهِمْ، وَلَمْ يَثْبُتْ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ وَلَا عَنْ أَحَدٍ مِنْ أَصْحَابِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ. وَضَعَفَ هَذَا الْحَدِيثَ، وَقَدْ أَطَالَ الْكَلَامَ عَلَى هَذَا الْمَعْنَى، وَاحْتِجَ بِأَشْيَاءَ لَا تَدُلُّ عَلَى مُرَادِهِ.

وَبِنَاءٍ عَلَى ذَلِكَ يَتَبَيَّنُ أَنَّ نَفْيَ الْجِسْمِيَّةِ عَنِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ خَطَأٌ، وَأَنَّ إِثْبَاتَهَا كَذَلِكَ خَطَأٌ، وَهَذَا مِنْ حَيْثُ اللَّفْظُ. وَأَمَّا مِنْ حَيْثُ الْمَعْنَى: فَإِنْ أُريدَ بِهَا مَعْنَى لَا يَلِيْقُ بِاللَّهِ وَجَبَ نَفْيُهَا، وَإِنْ أُريدَ بِهَا مَعْنَى يَلِيْقُ بِاللَّهِ فَهِيَ حَقٌّ، لَكِنْ لَا تُطْلَقُ لَفْظًا عَلَى اللَّهِ؛ إِثْبَاتًا، وَلَا نَفْيًا؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَرِدْ إِثْبَاتُهَا وَلَا نَفْيُهَا. وَالْعَجَبُ أَنَّ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ الَّذِينَ اعْتَمَدُوا فِي نَفْيِ الصِّفَاتِ عَنِ اللَّهِ عَلَى نَفْيِ الْجِسْمِيَّةِ قَالُوا: إِنْ اللَّهُ لَا يَحْزَنُ؛ لِأَنَّهُ لَوْ حَزِنَ لَكَانَ جِسْمًا.

**إِذَا:** الْحَزَنُ صِفَةٌ وَالصِّفَةُ لَا تَقُومُ إِلَّا بِجِسْمٍ، فَانْظُرْ كَيْفَ أَدَّى بِهِمْ هَذَا الْخَطَأُ إِلَى هَذَا الْخَطَأِ الْفَادِحِ، أَيُّهَا أَعْظَمُ أَنْ نَصِفَ اللَّهَ بِالْحَزَنِ وَالْعَجْزِ وَالتَّعَبِ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ، أَوْ أَنْ نَصِفَهُ بِأَنَّهُ جِسْمٌ؟

**الْجَوَابُ:** أَنَّهُ الْأَوَّلُ، فَذَهَبُوا يَنْفُونَ الْأَوْضَحَ فِي الْفَسَادِ بِنَاءً عَلَى مَا هُوَ أَخْفَى، فَعَكَسُوا الْقَضِيَّةَ؛ لِأَنَّ الْقَضِيَّةَ أَنْ يُسْتَدَلَّ بِالْأَوْضَحِ عَلَى الْأَخْفَى، أَمَا هَؤُلَاءِ فَاسْتَدَلُّوا بِهَا هُوَ أَخْفَى عَلَى مَا هُوَ أَوْضَحُ. فنقول لهم: هَذَا الْكَلَامُ مِنْ أَبْطَلِ مَا يَكُونُ:

فَأَوَّلًا أَنْتُمْ إِذَا قُلْتُمْ: إِنَّا لَوْ أَثْبَتْنَا الْحَزْنَ لِلَّهِ لَزِمَ أَنْ يَكُونَ جِسْمًا، فَمِنْ أَثْبَتِ الْحَزْنَ، لَهُ أَنْ يَقُولَ: أَنَا أَثْبَتُ الْحَزْنَ وَلَا أَقُولُ: إِنَّهُ جِسْمٌ كَمَا قَالَ السَّلَفُ: نَحْنُ نَثْبِتُ الْقُدْرَةَ وَلَا نَقُولُ: إِنَّهُ جِسْمٌ. ثُمَّ نَقُولُ: كَلَامُكُمْ هَذَا يُؤَدِّي إِلَى أَنْ يَكُونَ الرَّدُّ عَلَى السَّلَفِ وَالرَّدُّ عَلَى الْمَعْطَلَةِ بِطَرِيقٍ وَاحِدٍ، وَهُوَ إِثْبَاتُ الْجِسْمِيَّةِ إِنْ ثَبِتَ الْحَزَنُ، أَوْ إِثْبَاتُ الْجِسْمِيَّةِ إِنْ ثَبِتَ الْقُدْرَةُ مِثْلًا.

وَعَلَى كُلِّ حَالٍ: فَهَذِهِ وَجْهَةٌ نَظَرِ ابْنِ حَزْمٍ فِي إنْكَارِ الصِّفَةِ، وَقَالَ: إِنْ اللَّهُ لَيْسَ لَهُ صِفَةٌ، وَلَا يَجِبُ أَنْ يَكُونَ لَهُ صِفَةٌ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ يَسْتَلْزِمُ أَنْ يَكُونَ جِسْمًا، إِذْ إِنْ الصِّفَاتِ أَعْرَاضٌ، وَالْأَعْرَاضُ لَا تَكُونُ إِلَّا بِأَجْسَامٍ، وَلَا يَخْفَى عَلَيْنَا أَنَّ هَذَا اسْتِعْمَالٌ لِلْقِيَاسِ، وَهُوَ يَنْكُرُ الْقِيَاسَ فِي الْأَحْكَامِ الْعَمَلِيَّةِ، وَيَأْتِي بِهِ فِي الْأَحْكَامِ الْعَقْدِيَّةِ فَسُبْحَانَ اللَّهِ!

**إِذَا:** يَسْتَفَادُ مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ إِثْبَاتُ الصِّفَةِ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ.

وَمِمَّا يَتَعَلَّقُ بِهَذَا الْحَدِيثِ فِي مَسْأَلَةِ التَّوْحِيدِ أَوْ الْعَقِيدَةِ إِثْبَاتُ الْمَحَبَةِ لِلَّهِ؛ لِقَوْلِهِ: «أَخْبِرُوهُ أَنَّ اللَّهَ يُحِبُّهُ» وَهَذِهِ الْمَحَبَةُ مُحَبَّةٌ حَقِيقِيَّةٌ، فَيَجِبُ أَنْ نُؤْمِنَ بِأَنَّ اللَّهَ يُحِبُّ؛ لِأَنَّ الْقُرْآنَ مَمْلُوءٌ بِذَلِكَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [الأنعام: ٧] ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [النساء: ٥٧] ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥] ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًا﴾ [الأنفال: ٤] ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢] ﴿مَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُمْ﴾ [الأنفال: ٥٤].

فَالْقُرْآنُ مَمْلُوءٌ بِهَذَا، وَذَكَرَ مُحَبَّةَ اللَّهِ لِمَنْ عُلِّقَتْ مُحَبَّةُ اللَّهِ بِهِ أَكْثَرَ مِنْ ذِكْرِ مُحَبَّتِنَا لِلَّهِ، فَفِي الْقُرْآنِ إِضَافَةُ الْمَحَبَةِ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ أَكْثَرَ مِنْ إِضَافَتِهَا لِلْمَخْلُوقِ، وَمَعَ ذَلِكَ أَنْكَرَهَا أَهْلُ التَّعْطِيلِ مِنَ الْأَشَاعِرَةِ وَغَيْرِهِمْ، وَقَالُوا: إِنْ اللَّهَ لَا يُحِبُّ، وَلَا يَجُوزُ أَنْ تُثْبِتَ أَنَّ اللَّهَ يُحِبُّ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ الْمَحَبَّةَ لَا تَكُونُ إِلَّا بَيْنَ شَيْئَيْنِ مُتَجَانِسَيْنِ، وَالْخَالِقُ لَا يُبَاثِلُ الْمَخْلُوقَ.

**وَالْجَوَابُ عَلَى هَذَا سَهْلٌ وَهُوَ** أَنْ قَوْلَهُمْ: إِنْ الْمَحَبَّةَ لَا تَكُونُ إِلَّا بَيْنَ شَيْئَيْنِ مُتَجَانِسَيْنِ خَطَأٌ،



فَالْمَحَبَّةُ تَكُونُ بَيْنَ شَيْئَيْنِ مُتَجَانِسِينَ؛ كَمَحَبَةِ الرَّجُلِ لِمَرَأَتِهِ مَثَلًا، فَهَذَا وَقَعَ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [البقرة: ٢١٦].

وَتَكُونُ أَيْضًا بَيْنَ الْجَمَادِ وَالْإِنْسَانِ، فَفِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ: «أَخَذَ جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُهُ»<sup>(١)</sup> وَالْإِنْسَانُ نَفْسُهُ يُحِبُّ بَعْضَ مَالِهِ أَكْثَرَ مِنْ بَعْضٍ، فَيَقُولُ مَثَلًا: عِنْدِي قَلَمٌ رِيشَتُهُ سَهْلَةٌ وَلَيْسَتْ، لَا تُشَقِّقُ الْوَرَقَةَ، وَقَلَمٌ آخَرُ رِيشَتُهُ صَعْبَةٌ تُشَقِّقُ الْوَرَقَ، مَرَّةً تَكُونُ الْكِتَابَةُ بِهِ غَلِيظَةً، وَمَرَّةً تَكُونُ دَقِيقَةً، فَلَا شَكَّ أَنَّهُ يُحِبُّ الْأَوَّلَ أَكْثَرَ مِنَ الثَّانِي، مَعَ كَوْنِهِ جَمَادًا.

حَتَّى الْبَهَائِمُ، تَرَى الْبَعِيرَ يُحِبُّ صَاحِبَهُ، وَيَأْوِي إِلَيْهِ، وَلَا يُحِبُّ الْآخَرِينَ، وَنَرَى أَيْضًا أَنَّ الْإِنْسَانَ يُحِبُّ هَذِهِ الْبَعِيرَ بَعْضَهَا، وَلَا يُحِبُّ الْآخَرَى؛ لِأَنَّ الْآخَرَى صَعْبَةٌ، وَهَذِهِ سَهْلَةٌ ذُلُولٌ. **فَإِذَا:** انْتَقَضَ كَلَامُهُمْ وَقِيَاسُهُمْ بِأَنَّ الْمَحَبَّةَ لَا تَكُونُ إِلَّا بَيْنَ شَيْئَيْنِ مُتَجَانِسِينَ.

وَهُنَا سَوَالٌ، وَهُوَ: هَلْ هُمْ يُنْكِرُونَ الْمَحَبَّةَ إِنْكَارَ جُحُودٍ أَوْ إِنْكَارَ تَأْوِيلٍ؟ **وَالْجَوَابُ:** أَتَاهُمْ يُنْكِرُونَهَا إِنْكَارَ تَأْوِيلٍ؛ لِأَنَّهُمْ لَوْ أَنْكَرُوهَا إِنْكَارَ جُحُودٍ لَكَفَرُوا، فَلَوْ قَالُوا: اللَّهُ لَا يُحِبُّ. فَهَذَا كَفَرٌ، لَكِنَّهُمْ يَقُولُونَ: هُوَ يُحِبُّ، وَمَعْنَى الْمَحَبَّةِ كَذَا وَكَذَا.

فَمَا مَعْنَى الْمَحَبَّةِ عِنْدَهُمْ؟ يَقُولُونَ: الْمَحَبَّةُ إِمَّا الثَّوَابُ وَإِمَّا إِرَادَةُ الثَّوَابِ، فَأَمَّا عَلَى التَّأْوِيلِ الْأَوَّلِ فَالثَّوَابُ مَخْلُوقٌ مُنْفَصِلٌ بَاطِنٌ عَنِ اللَّهِ، مَخْلُوقٌ وَلَا أَحَدٌ يُنْكِرُهُ، فَالْكُلُّ يَقُولُ: الْمَخْلُوقَاتُ الثَّابِتَةُ، اللَّهُ هُوَ الَّذِي خَلَقَهَا.

وَأَمَّا عَلَى التَّأْوِيلِ الثَّانِي - وَهُوَ إِرَادَةُ الثَّوَابِ - فَالْإِرَادَةُ صِفَةٌ، وَالْأَشَاعِرَةُ يَقْرَءُونَ بِإِثْبَاتِ الْإِرَادَةِ لِلَّهِ وَكَذَلِكَ، وَالْإِرَادَةُ وَإِنْ كَانَتْ صِفَةً لِلْمَرِيدِ، لَكِنْ هُمْ يُثْبِتُونَ صِفَةَ الْإِرَادَةِ؛ لِأَنَّ الْعَقْلَ عِنْدَهُمْ دَلٌّ عَلَيْهَا، وَكَيْفَ دَلٌّ الْعَقْلُ عَلَى ثُبُوتِ الْإِرَادَةِ عِنْدَهُمْ؟

**الْجَوَابُ:** قَالُوا: تَخْصِيصُ الْمَخْلُوقَاتِ بِهَا تَخْتَصُّ بِهِ يَدُلُّ عَلَى الْإِرَادَةِ؛ يَعْنِي: جَعَلَ السَّمَاءَ سَمَاءً، وَالْأَرْضَ أَرْضًا، وَالْبَعِيرَ بَعِيرًا وَالشَّاةَ شَاءً، كُلُّ هَذَا يَدُلُّ عَلَى الْإِرَادَةِ.

فَاللَّهُ ﷻ أَرَادَ أَنْ تَكُونَ السَّمَاءُ سَمَاءً عَلَى هَذَا الْوَجْهِ، فَصَارَتْ كَذَلِكَ، وَكَذَلِكَ الْأَرْضُ، وَكَذَلِكَ الْبَعِيرُ، وَكَذَلِكَ الشَّاةُ.

وَنَحْنُ نُوَافِقُهُمْ عَلَى أَنَّ الْإِرَادَةَ دَلٌّ عَلَيْهَا الشَّرْعُ وَالْعَقْلُ، فَلَا تَرُدُّ الْحَقَّ، بَلْ نَقْبَلُهُ مِنْ أَيِّ إِنْسَانٍ، لَكِنْ كَوْنَنَا نَجْعَلُ الْمَحَبَّةَ بِنَاءً عَلَى الْإِرَادَةِ فَهَذَا خَطَأٌ؛ إِذْ إِنَّ الْمَحَبَّةَ أَعْلَى وَأَعْظَمُ مِنَ الْإِرَادَةِ.

وَتَجِدُ الْفَرْقَ بَيْنَ أَنْ تَقُولَ لِشَخْصٍ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّكَ. أَوْ تَقُولَ لِشَخْصٍ: أَنَّ اللَّهَ يُرِيدُ أَنْ يُثَبِّتَكَ. فَإِيَّاهُ أَعْظَمُ؟

الْأَوَّلَى أَعْظَمُ وَأَشْرَحُ لِلصَّدْرِ، وَأَطْمَنُ لِلْقَلْبِ وَأَرْضَى لِلنَّفْسِ، فَكَيْفَ تُنْكِرُ الْمَحَبَّةَ، وَتُثَبِّتُ الْإِرَادَةَ؟!

على كلِّ حالٍ: فهذا الحديث يدلُّ على إثباتِ المحبةِ لله ﷻ ؛ لقوله: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّهُ». وهذا قد جاء في الكتاب والسنة.  
ومَحَبَّةُ اللَّهِ تَعَالَى تَعَلَّقُ أَحْيَانًا بِالْأَشْخَاصِ، وَأَحْيَانًا بِالْأَعْمَالِ، وَأَحْيَانًا بِالْأَمَاكِينِ، وَأَحْيَانًا بِالْأَزْمَانِ وَالْأَوْقَاتِ.

فَأَمَّا تَعَلُّقُهَا بِالْأَشْخَاصِ فَمَثَلُ هَذَا الْحَدِيثِ: «أَخْبَرُوهُ أَنَّ اللَّهَ يُحِبُّهُ».  
وَأَمَّا تَعَلُّقُهَا بِالْأَعْمَالِ فَكَقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «أَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ الصَّلَاةُ عَلَى وَفَّيْهَا»<sup>(١)</sup>.  
وَأَمَّا تَعَلُّقُهَا بِالْأَوْصَافِ، فَكَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾<sup>(٢)</sup>.  
وَأَمَّا تَعَلُّقُهَا بِالْأَمَاكِينِ فَمَثَلُ قَوْلِ الرَّسُولِ ﷺ: «أَحَبُّ الْبِقَاعِ إِلَى اللَّهِ مَسَاجِدُهَا، وَأَبْغَضُ الْبِقَاعِ إِلَى اللَّهِ أَسْوَاقُهَا»<sup>(٣)</sup>. وقال الرسول ﷺ عن مكة: «إِنَّكَ لِأَحَبِّ الْبِقَاعِ إِلَى اللَّهِ»<sup>(٤)</sup>.  
وَأَمَّا الْأَزْمَانُ، فَرَبَّمَا يُسْتَدَلُّ لَدَيْكَ بِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «مَا مِنْ أَيَّامٍ الْعَمَلُ الصَّالِحُ فِيهِنَّ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنْ هَذِهِ الْأَيَّامِ»<sup>(٥)</sup>؛ يعني: عَشْرَ ذِي الْحِجَّةِ.

وقد يُقال: إن هذا من باب تعليق المحبة بالعمل في هذا الزمن، فلا يتم الاستدلال.

وإذا قيل: هل هناك تلازم بين الإرادة والمحبة؟

**فالجواب:** لا تلازم بينهما، فقد يُريدُ الله ما لا يُحِبُّ وَقَدْ يُحِبُّ ما لا يُريدُ، فليس كلُّ ما أَحَبَّهُ الله يُريدُهُ، ولا كلُّ ما أَرَادَهُ الله يُحِبُّهُ.

فإذا قال قائل: قولكم: ليس كلُّ ما أَرَادَ الله يُحِبُّهُ فيه إشكال، إذ كيف يُريدُ ما لا يُحِبُّ؟  
**فالجواب أن نقول:** إن الله قد يُريدُ ما لا يُحِبُّ للحكمة والمصلحة التي تقتضيها، فالمعاصي لا يُحِبُّها الله ولكنها يُريدُها، لذا وَفَعَتْ بِأَرَادَتِهِ الْكَوْنِيَّةِ لكنه لا يُحِبُّها، كيف يُريدُها وهو لا يُحِبُّها؟ نقول للمصلحة، ألم تَسْمَعْ إِلَى قَوْلِ اللَّهِ ﷻ فِي الْحَدِيثِ الْقُدْسِيِّ: «مَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدَّدِي عَنْ قَبْضِ نَفْسِ عَبْدِي الْمُؤْمِنِ، يَكْرَهُ الْمَوْتَ، وَأَكْرَهُ مُسَاءَتَهُ، وَلَا يَدَّلُهُ مِنْهُ»<sup>(٦)</sup>.

فهنا أراد ﷻ ما يَكْرَهُ، لكنَّ الْمَصْلَحَةَ لَا يَدُّ مِنْهَا.

(١) تقدم تخريجه.

(٢) أخرجه مسلم (٦٧١)، ورواه البيهقي في «السنن» (٦٥/٣)، وابن حبان في «صحيحه» (٤٧٦/٤)، (١٥٩٩)، والحاكم في «المستدرک» (١٦٧/١)، وحسنه الشيخ الألباني كما في «الجامع الصغير» (٣٢٧١)، و«صحيح الترغيب» (٣٢٣).

(٣) أخرجه أحمد (٣٠٥/٤) (١٨٧١٥-١٨٧١٨)، والترمذي (٣٩٢٥)، والنسائي في «الكبرى» (٤٢٥٢)، وابن ماجه (٣١٠٨)، من حديث عبد الله بن عدي بن الحمراء بلفظ: «والله إنك لخير أرض الله، وأحب أرض الله إلى الله».

(٤) تقدم تخريجه.

(٥) تقدم تخريجه.



ونظير ذلك في المحسوس أن الإنسان يأتي بآئنه إلى الطبيب، فيقرر الطبيب أنه لابد من كيه بالنار، فيحمي الحديدة حتى تكون جمرة، ثم يكوي بها ابن الرجل، وهل الرجل يحب أن يحرق ابنه بالنار؟

**الجواب:** لا، فهو يكره ذلك بلا شك، لكن أحب إحراقه بالنار من أجل مصلحة أعظم من ذلك، وهي شفاء ولده، فالله عز وجل قد يريد ما يكرهه لحكمة تقتضيه وقد يجب ما لا يريد.

فيحب منا أن نكون مؤمنين به قائلين بآمره، ولكن قد لا يريد ذلك لمصلحة أيضا، فإن الله تعالى قسم العباد إلى قسمين، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ﴾ [التكوير: ٢٧]. ولو جاء الناس على ما يحبهم الله عز وجل لم ينقسموا إلا إلى قسم واحد، وبطلت الحكمة من خلق النار والجنة، وبطل الجهاد في سبيل الله، وبطل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبطل الامتحان الذي يمتحن به العباد، فقد قال تعالى: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [مائدة: ٧٧].

فتبين بهذا أنه لا ارتباط بين المحبة والإرادة، فقد يجتمعان في شيء، وقد يفترقان، فطاعة المطيع اجتمع فيها الإرادة والمحبة، ومعصية العاصي فيها الإرادة دون المحبة.



قال البخاري رحمه الله:

٢- بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾

[الأنعام: ١١٠].

٧٣٧٦- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَلَامٍ حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ عَنِ الْأَعْمَشِ عَنْ زَيْدِ بْنِ وَهْبٍ وَأَبِي ظَبْيَانَ عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يَرْحُمُ اللَّهُ مَنْ لَا يَرْحُمُ النَّاسَ»<sup>(١)</sup>.

يقول البخاري رحمه الله باب قوله تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾. ذكر أن سبب نزول هذه الآية أن قريشا سمعوا النبي ﷺ لا: «يا الله يا رحمن». فقالوا: هذا الرجل يقول: إن الإله واحد، وينها عن أن تجعل له شريكا، وهو يدعو إلهين: «يا الله يا رحمن». فأنزل الله هذه الآية: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا﴾<sup>(٢)</sup> أي: ادعوا ربكم باسم الله أو باسم الرحمن.

فادعوا الله أو ادعوا الرحمن ليس معناها أن هناك من يسمى بالله ومن يسمى بالرحمن، ولكن المعنى ادعوا الله باسم الله أو باسم الرحمن، فقولوا: يا الله. وقولوا: يا رحمن هذا هو معنى الآية.

(١) رواه ومسلم (٢٣١٩).

(٢) رواه ابن جرير في «التفسير» (١٥/١٨٢)، من طريق عبد الله بن واقد، عن أبي الجوزاء، عن ابن عباس رضي الله به، وإسناده ضعيف، فيه عبد الله بن واقد، وهو ضعيف ليس بشيء، كما في «اللسان» ٣/٣٧٤.

وَأَمَّا إِعْرَابُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَيُّهَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ فـ «أَيُّهَا» اسْمٌ شَرْطٌ جَازِمٌ، مَفْعُولٌ بِهِ مُقَدَّمٌ لَتَدْعُوا، وَجُمْلَةٌ «فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى» هِيَ جَوَابُ الشَّرْطِ؛ يَعْنِي: أَيُّ اسْمٍ تَدْعُوا اللَّهَ بِهِ، فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى؛ يَعْنِي: فَأَسْمَاؤُهُ كُلُّهَا حُسْنَى تَصِحُّ أَنْ تَكُونَ وَسِيلَةً لِلدُّعَاءِ بِهَا.

**وَالشَّاهِدُ مِنْ هَذَا الْبَابِ:** هُوَ اثْبَاتُ اسْمِ الرَّحْمَنِ، وَاثْبَاتُ اسْمِ اللَّهِ، وَاثْبَاتُ الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى عُمُومًا.

أَمَّا اسْمُ اللَّهِ وَاسْمُ الرَّحْمَنِ فَهُوَ نَصٌّ وَتَعْيِينٌ، وَأَمَّا الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَهِيَ عَامَّةٌ.

**وَفِي هَذَا الْبَابِ بَحْثٌ:**

**أَوَّلًا:** عَلَى أَيِّ شَيْءٍ يَدُلُّ الْاسْمُ؟

**نَقُولُ:** كُلُّ اسْمٍ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ؛ فَإِنَّهُ يَدُلُّ عَلَى شَيْئَيْنِ؛ عَلَى الذَّاتِ الْمُقَدَّسَةِ، وَعَلَى الصِّفَةِ الَّتِي اشْتَقَّ مِنْهَا<sup>(١)</sup>، فَكَلِمَةُ «اللَّهُ» تَدُلُّ عَلَى ذَاتِ الرَّبِّ ﷻ، وَعَلَى الصِّفَةِ الَّتِي اشْتَقَّ مِنْهَا، وَهِيَ الْأُلُوهِيَّةُ.

وَالرَّحْمَنُ تَدُلُّ عَلَى ذَاتِ اللَّهِ ﷻ، وَعَلَى الصِّفَةِ الَّتِي اشْتَقَّ مِنْهَا، وَهِيَ الرَّحْمَةُ. وَهَذِهِ هِيَ قَاعِدَةٌ كُلُّ اسْمٍ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ، أَنَّهُ يَدُلُّ عَلَى شَيْئَيْنِ:

**أَوَّلًا:** الذَّاتُ. وَالثَّانِي: الصِّفَةُ، وَإِنْ شِئْتَ فَقُلْ: الْوَصْفُ الَّذِي اشْتَقَّ مِنْهُ هَذَا الْاسْمُ. وَهَلْ يَدُلُّ عَلَى أَكْثَرٍ مِنْ ذَلِكَ؟

**الْجَوَابُ:** نَعَمْ، فَرُبَّمَا يَدُلُّ عَلَى أَكْثَرٍ مِنْ صِفَةٍ بِاللُّزُومِ لَا بِالتَّضَمُّنِ.

مِثَالُ ذَلِكَ: قَوْلُهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ﴾ [التَّحْقِيقُ: ٢٤].

دَلَّتْ صِفَةُ الْخَالِقِ عَلَى ذَاتِ اللَّهِ، وَعَلَى وَصْفِهِ بِالْخَلْقِ، وَدَلَّتْ عَلَى عِلْمِهِ، وَعَلَى قُدْرَتِهِ، وَلَكِنْ كَيْفَ دَلَّتْ عَلَى عِلْمِهِ وَقُدْرَتِهِ، وَهِيَ لَيْسَ فِيهَا عِلْمٌ وَلَا قُدْرَةٌ؟

**الْجَوَابُ نَقُولُ:** إِنَّ مِنْ لَازِمِ الْخَلْقِ الْعِلْمُ وَالْقُدْرَةُ؛ إِذْ مَعَ الْجَهْلِ لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَخْلُقَ، وَمَعَ الْعَجْزِ لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَخْلُقَ.

فَكُلُّ اسْمٍ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ يَتَضَمَّنُ شَيْئَيْنِ:

**أَوَّلًا:** الذَّاتُ.

(١) رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي «السَّنَنِ» (١٣٢/٩)، (١٨١٣٠).

سَأَلَ الشَّيْخَ الشَّارِحَ تَحَلُّلَهُ: هَلْ كُلُّ اسْمٍ مُتَضَمِّنٌ لَصِفَةٍ بِالنِّسْبَةِ لِلنَّاسِ؟

فَأَجَابَ تَحَلُّلَهُ: لَا، فَقَدْ يَكُونُ الْاسْمُ ضِدَّ الصِّفَةِ فَخَالِدٌ مِثْلًا هَذَا ضِدَّ الصِّفَةِ. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِشَرِّ مِنْ قَبْلِكَ الْخَلْقِ﴾ [الْإِنْشِيطَةُ: ٢٤]. فَهَذَا ضِدَّ الصِّفَةِ، رُبَّمَا تَسْمِي فُلَانٍ سَهْلًا، وَيَكُونُ مِنْ أَصْعَبِ عِبَادِ اللَّهِ، وَرُبَّمَا تَسْمِي عَبْدَ اللَّهِ وَهُوَ كَافِرٌ، صَالِحًا وَهُوَ غَيْرُ صَالِحٍ وَلِهَذَا أَقَرَّ النَّبِيُّ ﷺ اسْمَ حَكِيمٍ؛ لِأَنَّهُ لَا يُرَادُّ بِهَا مَلَا حِظَةَ الصِّفَةِ الَّتِي هِيَ الْحِكْمَةُ، وَمَنْعَ التَّكْنِي بِأَبِي الْحَكَمِ، وَقَالَ: «إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَكَمُ وَإِلَيْهِ الْحَكْمُ» مَنْعَ التَّكْنِي بِأَبِي الْحَكَمِ؛ لِأَنَّهُ قَدْ يُوْهَمُ بِأَنَّ اللَّهَ أَبَا، وَاللَّهُ ﷻ لَيْسَ لَهُ أَبٌ، أَبُو الْحَكَمِ وَالْمَعْرُوفُ أَنَّ الْحَكَمَ هُوَ اللَّهُ فَيُوْهَمُ التَّسْمِي بِأَبِي الْحَكَمِ وَهَذَا الْمَعْنَى الْفَاسِدُ، وَلِهَذَا مَنْعَ التَّكْنِي بِأَبِي الْحَكَمِ.



**والثاني:** الوصف الذي اشتق منه هذا الاسم.

ثم قد يدلُّ على صفةٍ أخرى وثانية وثالثة ورابعة عن طريق اللزوم.

فالاسم يدلُّ على الذات والصفة، وكلُّ اسمٍ من أسماء الله يدلُّ على ذاتٍ وصفةٍ، ودلالته على الأمرين تسمى دلالةً مطابقةً، ودلالته على واحدٍ منهما تسمى دلالةً تَضْمُنٍ؛ يعني: أنَّ هذا اللفظَ تَضْمَنَ هذا، وليس هو معناه الكامل.

ودلالة الالتزام تدلُّ على أمرٍ لا يدلُّ عليه اللفظُ من حيث المادة، لكن يدلُّ عليه المعنى من حيث أنَّه يلزم منه كذا وكذا.

ونُمَثِّلُ بمعقولٍ ومحسوسٍ، فمن أسماء الله تعالى الخالق، فالخالق دلٌّ على ذاتِ الرَّبِّ ﷻ، وعلى صفةِ الخلق، فدلٌّ على أنَّ هناك خالقًا، وهناك خلقًا، كما إذا قلتُ: قائمٌ. فإنه يدلُّ على أنَّ هناك شخصًا قائمًا، وعلى قيام، فالخالق تدلُّ على ذاتِ الرَّبِّ ﷻ وعلى صفةِ الخلق، ودلالته على الذات والصفة دلالةً مطابقةً؛ لأنَّ اللفظَ طابَقَ المعنى، وصارَ مُساوياً له.

وهل يُمكنُ أن يكونَ خلقٌ بلا علم ولا قدرة؟

**الجواب:** لا، فالخالق يدلُّ على صفتي العلم والقدرة عن طريق اللزوم، فمن لازم الخالق أن يكونَ عالمًا قادرًا؛ إذ الجاهل لا يُمكنُ أن يخلقَ والعاجز لا يُمكنُ أن يخلقَ. وهذا مثالٌ معقولٌ.

وأما المثالُ المحسوسُ فإنك إذا قلتُ: هذا قصرُ فلان. فكلمةُ قصرٍ تَشْتَمِلُ على كلِّ هذه البنايةِ بها فيها من عُرفٍ وحُجَرٍ وساحاتٍ وغير ذلك، فتدلُّ على هذا بالمطابقة، وتدلُّ على عُرفَةٍ منه، أو حجرةٍ منه، أو ساحةٍ منه بالتضمين؛ يعني: أنَّ من ضمنِ هذا القصرِ عُرفَةٌ، ومن ضمنِه حجرةٌ، ومن ضمنِه ساحةٌ.

وتدلُّ على أنَّ هناك بانيًا بنى هذا القصرَ باللزوم؛ لأنه من لازمِ القصرِ المَبْنِيِّ القائمُ أن يكونَ له باني.

ودلالة المطابقة والتضمين غالبُ الناسِ يفهمُها، ولا تُشكِلُ عليه، لكن دلالة اللزوم هي التي يَخْتَلِفُ فيها العلماءُ اختِلافًا كبيرًا بحسبِ ما أعطاهم الله تعالى من الفهم؛ لأنَّ كونَكَ تُعرِفُ أنه يلزمُ من كذا كذا وكذا، هذا لا يُدرِكُه إلا الجهابذة.

ولهذا نقولُ: كلُّ اسمٍ من أسماء الله يدلُّ على ذاتٍ وصفةٍ، وقد يدلُّ على أكثرٍ من صفةٍ عن طريق اللزوم.

**ثانيًا:** كلُّ أسماءِ الله حُسْنَى، ولهذا قال الله تعالى: ﴿فَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [الأنعام: ١١٠]. والحسنى اسمٌ تَفْضِيلُ يُقابله في المذكرِ «أَحْسَنُ»، ويقالُ: رجلٌ أَحْسَنُ، وامرأةٌ حُسْنَى. وهنا قال: ﴿الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾. فجعل الوصفَ وَصَفَ مُؤَنَّثٍ؛ لأنَّ الْأَسْمَاءَ جَمْعٌ، والجَمْعُ يُوصَفُ بِالْمُؤَنَّثِ إِلَّا جَمْعَ الْعَاقِلِ، فيُوصَفُ بِحَسَبِ ما يَقْتَضِيهِ المعنى، إن كانَ لِلذَّكُورِ فَجَمْعُ مُذَكَّرٍ سَالِمٍ، وإن كانَ لِلإِنَاثِ فَجَمْعُ مُؤَنَّثٍ سَالِمٍ، أمَّا غيرُ الْعَاقِلِ فَإِنَّهُ يُجْمَعُ وَصْفُهُ على جمعِ المؤنثِ.

**إِذَا:** أَسْمَاءُ اللَّهِ تَعَالَى كُلُّهَا حُسْنَى، وَالْحُسْنَى هِيَ الْمُشْتَمِلَةُ عَلَى أَكْمَلِ وَجْهِهِ الْحُسْنِ، فَهِيَ حُسْنَى لَيْسَ فِيهَا نَقْصٌ بِأَيِّ وَجْهِ مِنَ الْوَجْهِ.

فِيهِمْ مِنْ هَذِهِ الْقَاعِدَةِ أَنَّهُ لَا يَوْجَدُ فِي أَسْمَاءِ اللَّهِ اسْمٌ يَحْتَمِلُ مَعْنَيْنِ: مَعْنَى حَسَنًا وَمَعْنَى غَيْرَ حَسَنٍ.

**وَانْتَبَهُوا لِهَذَا:** فَكُلُّ أَسْمَاءِ اللَّهِ لَا بَدَّ أَنْ تَكُونَ حُسْنَى؛ أَيْ: بِالغَةِ الْكَمَالِ فِي الْحُسْنِ، وَلِهَذَا لَمْ يَكُنْ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ الْمُتَكَلِّمُ، وَلَا مِنْ أَسْمَائِهِ الْمُرِيدُ، مَعَ أَنَّهُ مُتَكَلِّمٌ، وَمُرِيدٌ.

قَالَ الْعُلَمَاءُ: لِأَنَّ الْمُتَكَلِّمَ مَنْ قَامَ بِهِ الْكَلَامُ، وَالْكَلَامُ قَدْ يَكُونُ حَسَنًا، وَقَدْ يَكُونُ سَيِّئًا، وَكَذَلِكَ الْإِرَادَةُ، وَلِهَذَا لَا يَصِحُّ أَنْ يُسَمَّى اللَّهُ بِالْمُتَكَلِّمِ، وَلَا أَنْ يُسَمَّى بِالْمُرِيدِ، لَكِنْ يُوصَفُ بِأَنَّهُ مُتَكَلِّمٌ وَأَنَّهُ مُرِيدٌ؛ لِأَنَّ بَابَ الْإِخْبَارِ أَوْسَعُ مِنْ بَابِ التَّسْمِيَةِ؛ لِأَنَّ التَّسْمِيَةَ إِنِشَاءً فَتَنَشِئُ اسْمًا لِلْمُسَمَّى الَّذِي تَرِيدُ أَنْ تُسَمِّيَهُ.

لَكِنَّ الْإِخْبَارَ مَجْرُودٌ خَبَرٌ لَيْسَ بِإِنِشَاءٍ، وَلِذَلِكَ قَالُوا: الْإِخْبَارُ أَوْسَعُ مِنَ الْإِنِشَاءِ، فَقَدْ يُخْبَرُ عَنِ الشَّيْءِ بِشَيْءٍ، وَلَا يُسَمَّى بِهِ؛ مِثْلُ الْمُتَكَلِّمِ، وَحِينَئِذٍ يُمَكِّنُ أَنْ تُقَسِّمَ مَا يُضَافُ إِلَى اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى أَرْبَعَةِ أَقْسَامٍ:

**الْأَوَّلُ:** مَا تَضَمَّنَ كَمَالَ الْحُسْنِ، فَهَذَا يَكُونُ مِنْ أَسْمَائِهِ.

**وَالثَّانِي:** مَا كَانَ حَسَنًا مِنْ وَجْهِ دُونَ وَجْهِهِ، فَهَذَا يُخْبَرُ بِهِ عَنْهُ، وَلَا يُسَمَّى بِهِ.

**وَالثَّالِثُ:** مَا كَانَ مَحْمُودًا فِي حَالٍ دُونَ حَالٍ، فَهَذَا يُوصَفُ بِهِ فِي الْحَالَةِ الَّتِي يَكُونُ فِيهَا مَحْمُودًا، وَلَا يُسَمَّى بِهِ عَلَى الْإِطْلَاقِ؛ مِثْلُ الْمَكْرِ وَالْخِدَاعِ وَالِاسْتِهْزَاءِ وَالْكِيدِ، فَهَذِهِ أَوْصَافٌ إِنْ ذُكِرَتْ فِي مُقَابِلٍ مَنْ يُعَامِلُ بِهِذِهِ الْأَوْصَافِ، صَارَتْ أَوْصَافًا مَحْمُودَةً، وَوُصِفَ اللَّهُ بِهَا، وَلَا فَلَا.

فَمِثْلًا: الْمَكْرَ وَصَفَ اللَّهُ نَفْسَهُ بِأَنَّهُ يَمْكُرُ، لَكِنَّهُ وَصِفَ مَقِيدٌ بِمَنْ يَمْكُرُ بِهِ، فَقَالَ: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِرِينَ﴾ [٢٠] ﴿الْأَنْعَامُ: ٣٠﴾. فَلَا يَصِحُّ أَنْ تَقُولَ: إِنَّ اللَّهَ مَآكِرٌ.

وَهَذَا هُوَ الْفَرْقُ بَيْنَ هَذَا وَبَيْنَ قَوْلِنَا: إِنَّ اللَّهَ مُتَكَلِّمٌ؛ لِأَنَّهُ يَجُوزُ أَنْ تَقُولَ: إِنَّ اللَّهَ مُتَكَلِّمٌ عَلَى وَجْهِ الْإِطْلَاقِ، لَكِنْ لَا يَجُوزُ أَنْ تَقُولَ: إِنَّ اللَّهَ مَآكِرٌ. إِلَّا إِذَا قَيَّدْتَهُ فَقُلْتَ: مَآكِرٌ بِمَنْ يَمْكُرُ بِهِ؛ لِأَنَّ الْمَكْرَ لَا يَكُونُ مَدْحًا إِلَّا حَيْثُ كَانَ فِي مُقَابِلٍ مَكْرٍ آخَرَ، لِيَتَبَيَّنَ بِهِ أَنَّ قُوَّةَ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَقْوَى مِنْ مَكْرِ هَذَا الْهَآكِرِ.

فَكَذَلِكَ نَقُولُ فِي الْخِدَاعِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾ [الْأَنْعَامُ: ١٤٢]. فَلَا يَصِحُّ أَنْ تَصِفَ اللَّهَ بِأَنَّهُ خَادِعٌ أَوْ مُخَادِعٌ عَلَى وَجْهِ الْإِطْلَاقِ، لَكِنْ قُلْ: خَادِعٌ مَنْ يُخَادِعُونَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾.

فَكَذَلِكَ الْمُسْتَهْزِئُ لَا يَصِحُّ أَنْ تَقُولَ: إِنَّ اللَّهَ مُسْتَهْزِئٌ عَلَى سَبِيلِ الْإِطْلَاقِ، بَلْ نَقُولُ: مُسْتَهْزِئٌ بِمَنْ يَسْتَهْزِئُ بِهِ.

وَكَذَلِكَ الْكِيدُ نَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ لَا يَكِيدُ عَلَى أَحَدٍ إِلَّا مَنْ كَادَ عَلَيْهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا﴾ [١٥] وَأَكِيدُ



**والرابع:** ما لا يَصِحُّ أَنْ يُنسَبَ لِلَّهِ إِطْلَاقًا، وهو ما تَصَمَّنَ نَقْصًا مُطْلَقًا، فهذا لا يَصِحُّ أَنْ يُضَافَ إِلَى اللَّهِ إِطْلَاقًا؛ مِثْلُ الْخَائِنِ؛ وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ، فَهَذَا لَا يُمَكِّنُ أَنْ تَصِفَ اللَّهُ بِهِ مُطْلَقًا.

❖ وَقَوْلُ الْعَامَّةِ: خَانَ اللَّهُ مَنْ يَخُونُ. خَطَأٌ فَادِّحٌ وَغَلَطٌ، وَلِهَذَا لَمَّا ذَكَرَ اللَّهُ خِيَانَةَ أَعْدَائِهِ لَمْ يَذْكُرْ خِيَانَتَهُ لَهُمْ، فَقَالَ: ﴿وَلَا يَرِيدُ وَخِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ﴾ [الأنفال: ٧١]. وَلَمْ يَقُلْ فَخَانَهُمْ. لَكِنْ فِي الْخِدَاعِ قَالَ: ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَدِعُهُمْ﴾ [البقرة: ٢١٤٢].

فَإِذَا قَالَ قَائِلٌ: مَا الْفَرْقُ بَيْنَ الْخِيَانَةِ وَالْخِدَاعِ؟

**قلنا:** الْفَرْقُ بَيْنَهُمَا ظَاهِرٌ، فَالْخِيَانَةُ أَنْ تَخُونَ الْأَمَانَةَ فَيَمُنَ اتِّمَنَّاكَ، وَالْخِدَاعُ أَنْ تُخَادِعَ مَنْ خَادَعَكَ، فَبَيْنَهُمَا فَرْقٌ يَظْهَرُ بِالْمِثَالِ، فَيُقَالُ: إِنَّ الْحَرْبَ خُدْعَةٌ، وَالْحِرَابَةُ فِي مُقَابَلَةِ عَدُوٍّ يُرِيدُ أَنْ يَخْدَعَكَ، فَإِذَا خَدَعْتَهُ، كَانَ هَذَا مَدْحًا.

أَمَّا الْخِيَانَةُ فَلَا يُمَكِّنُ أَنْ تَخُونَ مَنْ اتِّمَنَّاكَ، فَإِذَا خُنْتَهُ فَأَنْتَ آتِيَةٌ مَا يَقْدَحُ فِيكَ؛ لِأَنَّ الَّذِي اتِّمَنَّاكَ لَا يُرِيدُ بِكَ سُوءًا، بِخِلَافِ الْمُحَارِبِ، وَلِهَذَا إِذَا اسْتَأْمَنَّا أَحَدًا مِنَ الْمُسْرِكِينَ يَحْرُمُ عَلَيْنَا أَنْ نَخُونَ أَمَانَتَهُ، بَلْ يَجِبُ عَلَيْنَا حِمَايَتُهُ.

وَيُذَكَّرُ أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ أَرَادَ أَنْ يُبَارِزَهُ عَمْرُو بْنُ وَدٍّ، وَالْمُبَارَزَةُ كَانَتْ إِذَا تَقَى الصَّفَانِ فِي الْحَرْبِ طَلَبَ الشَّجْعَانَ فِي هَوَاءٍ وَهَوَاءٍ أَنْ يَرِيزَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ، وَفَائِدَةُ الْمُبَارَزَةِ أَنَّهُ إِذَا قَتَلَ أَحَدُهُمَا الْآخَرَ صَارَ فِي هَذَا قُوَّةً وَتَشْجِيعٌ لِأَصْحَابِ الْقَاتِلِ، وَانْهَازًا لِأَصْحَابِ الْمَقْتُولِ، فَلهَذَا كَانُوا يَسْتَعْمِلُونَ هَذَا فِي الْحَرْبِ.

وَلَمَّا خَرَجَ عَمْرُو بْنُ وَدٍّ إِلَى عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ <sup>بِهَيْئَتِهِ</sup>، صَاحَ بِهِ عَلِيٌّ، وَقَالَ: مَا خَرَجْتُ لِأُبَارِزَ رَجُلَيْنِ. وَهَذَا صَحِيحٌ، فَهُوَ لَمْ يَخْرُجْ لِابْرَارِ رَجُلَيْنِ، فَظَنَّ عَمْرُو بْنُ وَدٍّ أَنَّهُ لِحِقِّهِ رَجُلٌ آخَرُ، فَالْتَفَتَ فَضَرَبَهُ عَلِيٌّ حَتَّى أَبَانَ رَأْسَهُ عَنْ جَسَدِهِ <sup>(١)</sup>.

فَهَذَا خِدَاعٌ لَكِنَّهُ خِدَاعٌ جَائِزٌ؛ لِأَنَّ عَمْرُو بْنَ وَدٍّ خَرَجَ لِيَقْتُلَ عَلِيًّا فَخَدَعَهُ، فَهَذَا الْخِدَاعُ يُعْتَبَرُ مَدْحًا وَثَنًا، فَهَؤُلَاءِ الْمَنَافِقُونَ الَّذِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ خَدَعَهُمُ اللَّهُ <sup>يُجَلِّلُ</sup>، فَيُعْتَبَرُ هَذَا الْخِدَاعُ مَدْحًا.

لَكِنَّ الْخِيَانَةَ لَيْسَتْ بِمَدْحٍ؛ لِأَنَّ الْخِيَانَةَ خَدِيعَةٌ فِي مَحَلِّ الْأَمَانَةِ، وَهَذَا ذَنْبٌ، فَلَا تَجُوزُ عَلَى اللَّهِ <sup>يُجَلِّلُ</sup>.

فَصَارَ مَا يُنسَبُ وَيُضَافُ إِلَى اللَّهِ يَنْقَسِمُ إِلَى أَرْبَعَةِ أَقْسَامٍ:

**الأول:** أَسَاءٌ وَهَذِهِ كُلُّهَا مُتَضَمِّنَةٌ لِأَحْسَنِ الْكِمَالِ.

**والثاني:** أَوْصَافٌ يُخْبِرُ بِهَا عَنْهُ، وَلَا يُسَمَّى بِهَا.

**والثالث:** أَوْصَافٌ يُوصَفُ بِهَا مُقَيَّدَةٌ.

**والرابع:** أَوْصَافٌ لَا يُوصَفُ بِهَا مُطْلَقًا، فَإِنْ وُصِفَ بِهَا كَانَ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا، فَالْيَهُودُ قَالُوا: إِنَّ

الله فقيرٌ، وقالوا: يَدُ اللَّهِ مغلولة؛ أي: أنه بخيلٌ، وهذا لا يُمكنُ أن يُوصَفَ به؛ لآلِهَةِ نَقْصٍ بِكُلِّ حَالٍ.  
ومما يتعلَّقُ بالأسماءِ تعليقًا على ما سَبَقَ من قولنا: إِنَّ أَسْمَاءَ اللَّهِ حُسْنَى. أن تُطَبَّقَ ما جاءَ في الحديثِ  
الصحيحِ من قولِهِ تبارَكَ وتعالى في الحديثِ القدسيِّ: «يُؤْذِنِي ابنُ آدَمَ، يَسُبُّ الدَّهْرَ، وَأَنَا الدَّهْرُ،  
بِيَدَيَّ الْأَمْرَ أَقْلُبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ»<sup>(١)</sup>. قال اللهُ ﷻ: «وَأَنَا الدَّهْرُ» فهل الدهرُ من أسماءِ اللهِ؟  
**نقولُ:** إِنَّ اللهَ قالَ: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [البقرة: ١٨٠]. فخصَّ أسماءَهُ بأنَّها حُسْنَى،  
والدهرُ ليسَ من أسمائه الحُسْنَى.

❖ ثم إِنَّ اللهَ قالَ: «يُؤْذِنِي ابنُ آدَمَ يَسُبُّ الدَّهْرَ». والذينَ يَسُبُّونَ الدَّهْرَ ليسوا يَسُبُّونَ اللهَ، بل  
يَسُبُّونَ الوقتَ، فيَسُبُّونَ السَّنَةَ، وَيَسُبُّونَ الزَّمَنَ، وَلَيْسُوا يَسُبُّونَ اللهَ.  
وعلى هذا فيكونُ مَعْنَى قولِهِ: «وَأَنَا الدَّهْرُ». يَعْنِي: أَنَا المُدَبِّرُ أو المُتَصَرِّفُ في الدَّهْرِ؛ بدليلِ قولِهِ:  
«بِيَدَيَّ الْأَمْرَ، أَقْلُبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ».

وهذا أمرٌ واضحٌ أَنَّ الدَّهْرَ هنا هو الوقتُ، وليسَ اسمًا من أسماءِ اللهِ ﷻ بناءً على القاعدةِ التي دَلَّ  
عليها قولُهُ تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾. ولأنَّ سياقَ الحديثِ يَأْبَى أن يكونَ المرادُ إثباتَ اسمِ الدَّهْرِ  
كاسمٍ من أسماءِ اللهِ تعالى.

ونُذَكِّرُ أيضًا إتمامًا للفائدةِ من قواعدِ الأسماءِ أَنَّ أسماءَ اللهِ ﷻ متباينةٌ مترادفةٌ باعتبارين:

فما هو المُتَبَايِنُ، وما هو المُتَرَادِفُ؟

المتباينُ: هو أن يكونَ كُلُّ شيءٍ غيرَ الآخرِ، والمترادفُ: هو أن يكونَ الشيءُ هو الشيءَ الآخرَ.

وأسماءُ اللهِ تعالى نقولُ: هي متباينةٌ مترادفةٌ:

فباعتبارِ دلالتها، على الذَّاتِ فَقَطْ مترادفةٌ؛ لأنَّ السَّمِيعَ العَليمَ العَزيزَ الحَكِيمَ كُلَّها أسماءٌ لِمُسَمًّى واحدٍ.

وباعتبارِ دلالةِ كُلِّ منها على معناه الخاصِّ متباينةٌ؛ لأنَّ السَّمِيعَ غيرَ البَصِيرِ، والعَزيزَ غيرَ الحَكِيمِ.

**يَعْنِي:** مَعْنَى العَزيزِ غيرِ مَعْنَى الحَكِيمِ، وَمَعْنَى السَّمِيعِ غيرِ مَعْنَى البَصِيرِ.

وهذا يَتَبَيَّنُ بطلانُ مَذْهَبِ المَعْتَزَلَةِ الذينَ يَقُولُونَ: إِنَّ أَسْمَاءَ اللهِ مترادفةٌ، فالعَليمُ والسَّمِيعُ  
والبَصِيرُ كُلُّها عندهم واحدٌ، فلا يَدُلُّ السَّمِيعُ على مَعْنَى غيرِ ما يَدُلُّ عليه البَصِيرُ، ولا البَصِيرُ على  
مَعْنَى غيرِ ما يَدُلُّ عليه السَّمِيعُ، وهذا القولُ تُكْذِّبُهُ كُلُّ لُغَةٍ في العالمِ؛ إذ إنَّ المُشْتَقَّ مِنَ البَصْرِ ليسَ هو  
المُشْتَقُّ مِنَ السَّمْعِ مثلاً.

**فإذا:** أَسْمَاءُ اللهِ مُتَبَايِنَةٌ مُتَرَادِفَةٌ.

ومما يتعلَّقُ بالأسماءِ أيضًا: هل أسماءُ اللهِ ﷻ محصورةٌ في عددٍ مُعَيَّنٍ، أم أنها لا حَصْرَ لها؟<sup>(٢)</sup>

(١) رواه البخاري (٧٤٩١)، ومسلم (٢٢٤٦)

(٢) انظر تفصيل ذلك في: «الفصل في الملل والنحل» (١٢٦/٢)، و«شفاء العليل» (٢٧٧/١)، و«المحلى»



قال بعضُ أهل العلم: إِنَّهَا محصورةٌ بتسعةٍ وتسعين اسماً؛ لأنَّ الله وثَّر، ولأنَّ النبي ﷺ قال: «إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِّنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ». <sup>(١)</sup> فقال: «إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِّنْ أَحْصَى هَذِهِ التَّسْعَةَ وَالتَّسْعِينَ دَخَلَ الْجَنَّةَ».

وقال بعضُ العلماء: إِنَّ أَسْمَاءَ اللَّهِ لَيْسَتْ محصورةً بعددٍ، واستدلَّ هؤلاء بالحديث الصحيح، عن ابن مسعود - حديثُ الهمِّ والغَمِّ - أن الإنسان إن أصابه حزنٌ أو همٌّ أو غَمٌّ دعا به، وفيه: «أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِّنْ خَلْقِكَ، أَوْ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ» <sup>(٢)</sup>.

**الشاهد من هذا الحديث:** قوله: «أَوْ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ». لأنَّ ما اسْتَأْثَرَ اللَّهُ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ لَا يُمَكِّنُ إِدْرَاكَه، فلو أمكن إدراكه لم يكن الله مُسْتَأْثَرًا به، وإذا لم يُمَكِّنْ إدراكه فإنه لا يُخَصَّرُ بتسعةٍ وتسعين.

وهذا القول هو الراجح، وهو أنَّ أَسْمَاءَ اللَّهِ غَيْرُ محصورةٍ، وَلَيْسَتْ كُلُّهَا معلومةً لنا؛ لأنَّ الرسول يقول: «أَوْ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ».

بَقِيَ الحاجةُ إلى الجوابِ عن قوله: «إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا، مِّنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ». **فنقول:** الجوابُ أنَّ هذا الحديثُ جُمْلَةٌ واحدةٌ: «إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا» موصوفةٌ بأنَّ مَن أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ؛ يَعْنِي: وهناك أسماءٌ أخرى لا علاقة لها بهذا الحكم.

ونظيرُ ذلك أن تقول: عِنْدِي مِائَةُ فَرَسٍ أَعَدْتُهَا لِلْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ. فهل يَعْنِي ذلك أَنَّهُ لَيْسَ لَكَ سِوَى هَذِهِ الْمِائَةِ، إذا علمنا أن لك أَلْفَ فَرَسٍ؟

**الجواب:** لا، فالحديثُ نظيرُ هذا المثالِ الذي ذكرتُ، فالمعنى: أن مِّنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعُونَ اسْمًا مِّنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَحِينَئِذٍ تَكُونُ الْأَسْمَاءُ غَيْرَ محصورةٍ.

ولكن هل هذه التِسْعَةُ والتِسعون يمكنُ الإحاطةُ بها عِلْمًا؟

**الجواب:** نَعَمْ؛ لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ لَا يُمَكِّنُ، لَكَانَ كَلَامُ النَّبِيِّ ﷺ لَغْوًا، وَحَاشَاهُ.

(١) (٣٠ / ١)، و«مجموع الفتاوى» (٦ / ٣٨١، ٣٨٢).

(٢) رواه البخاري (٧٣٩٢)، ومسلم (٢٦٧٧).

(٣) رواه الإمام أحمد (٣٩١ / ١)، وأورده الهيثمي في «المجمع» (١٠ / ١٣٦، ١٨٦، ١٨٧)، وقال: رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني والبرز، إلا أنه قال: وذهاب غمِّي مكان همِّي، ورجال أحمد وأبو يعلى رجال الصحيح غير أبي سلمة الجهني، وقد وثقه ابن حبان.

وأورده الدارقطني الحديث في «العلل» (٥ / ٢٠٠، ٢٠١)، فذكر طريق أبي سلمة الجهني وطريق عبد الرحمن بن إسحاق، كلاهما عن القاسم، عن أبيه، عن ابن مسعود، وطريق علي بن مُسَيَّر، عن عبد الرحمن بن إسحاق، عن القاسم، عن ابن مسعود مرسلًا، ثم قال: وإسناده ليس بالقوي. اهـ.

**إِذَا:** يُمكن إحصاؤها؛ فقد جاء الحديث بسرد هذه الأسماء<sup>(١)</sup>، لكنَّ شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله قال: إنَّ سرِّها مُدرجٌ، وليس من كلام النبي ﷺ، فلا يُحتجُّ به<sup>(٢)</sup>.  
 ووجه قوله بأنَّ من أسماء الله ما لم يُوجد في هذه الأسماء المسرودة مثل الرَّبِّ، فالربُّ من أسماء الله، ولا يُوجد في الأسماء المسرودة، والدليل على أنَّ الربَّ من أسماء الله: لقول النبي ﷺ: «السَّوَاءُ مَطَهْرَةٌ لِلْفَمِ، مَرْضَاةٌ لِلرَّبِّ»<sup>(٣)</sup>، ولقوله ﷺ: «أَمَّا الرُّكُوعُ فَعِظْمُؤَا فِيهِ الرَّبُّ»<sup>(٤)</sup>.  
 وكذلك من أسماء الله: الشَّافِي، ولم يُذكر في الأسماء المسرودة، ودليل على أنه من أسماء الله ﷻ كان من رُفِيَةِ النبي ﷺ على المريض أنه يقول: «واشف أنت الشَّافِي»<sup>(٥)</sup>.  
 إذن ما هو الطريق إلى حصرها؟

**الجواب:** الطريق أن يُقال: إنَّ الله ﷻ أبهمها عنَّا، كما أبهم ليلة القدر، وكما أبهم ساعة الإجابة في الجمعة من أجل أن يكون لنا عملٌ في تبع هذه الأسماء وحصرها؛ ليتبين الحريص على حصر هذه الأسماء حتَّى ينال أجرها من غير الحريص.  
**فنقول:** هذا هو القرآن وهذه هي سنة الرسول ﷺ، فتبَّع القرآن، وتبَّع السنة، وخُذ منها تسعة وتسعين اسمًا، وأحصيها، وحيثُ تَدْخُلُ الجنة.

ولكن يَبْقَى النظر في معنى إحصائها، هل هو إحصاؤها عدًّا، أو أنَّ الإحصاء شيء وراء ذلك؟

نقول: إذا أردت أن تعرف المراد، فأعرف العَوْضَ، فما هو العَوْضُ؟  
**الجواب:** أنه دخول الجنة، ومُجرَّد العدِّ لا يكون عوضًا لدخول الجنة، فالمرادُ بالإحصاء إذن هو معرفتها لفظًا ومعرفتها معنىً، والتعبد لله بمقتضى هذه الأسماء، ودعاؤه بها، فهذه أربعة أشياء.

فمثلًا إذا علمت أنَّ الله ﷻ غفورٌ، فلا يكفي في إحصاء هذا الاسم أن تُعرف أن من أسماء الله الغفور، وأن الغفور معناه السائر للذنوب العافي عنه، لا يكفي هذا، حتَّى تدعو الله به، فتقول: يا غفور، اغفر لي. وحتى تتعبد لله بمقتضاه، بأن تتعرض لمغفرة الله بكثرة الاستغفار، وكثرة الأعمال الصالحة، التي تُوجب المغفرة، وما أشبه ذلك.

(١) يشير الشيخ الشارح رحمه الله إلى الحديث الذي رواه الترمذي (٣٥٠٧)، وابن ماجه (٣٨٦١)، وقال: الحافظ ابن حجر رحمه الله في «تليخيص الحبير» (٣١٨/٤): له طرق، رواه ابن خزيمة وابن حبان والترمذي والحاكم من حديث الوليد، عن شعيب، عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة رضي الله عنه، وسرد الأسماء، وذكر آدم بن أبي إياس هذا الحديث بإسناد آخر، عن أبي هريرة رضي الله عنه، وذكر فيه الأسماء، وليس له إسناد صحيح.  
 (٢) انظر: «مجموع فتاوى» شيخ الإسلام (٤٨٢/٢٢).

(٣) رواه أحمد (٧٣/١)، والنسائي (٥)، وابن ماجه (٢٨٩).

وصححه الشيخ الألباني كما في «المشكاة» (٣٨١)، والإرواء (٦٥).

(٤) أخرجه مسلم (٤٧٩)، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٥) تقدم تخريجه.



ومما يتعلق بأسماء الله ﷻ: هل أسماء الله ﷻ توقيفية يقتصر فيها على ما جاء به النص، أو هي عقليّة يُسمّى الله ﷻ بما يقتضيه العقل؟

**الجواب:** هي توقيفية؛ لأننا لا نعلم الاسم الذي يستحق أن يُسمّى الله به، فعقولنا تقصّر عن ذلك، ولذلك يُعتمد في هذا على النص، ولا يُسمّى الله بما لم يُسم به نفسه. وإذا كان لا يُمكن أن تُسمّى الشخص من بني آدم بما لم يُسم به نفسه -أي: بما لا تعلم أنه اسمه-، فكيف بالرب ﷻ؟! يعني: إذا كان لا يُمكن أن تقول لشخص لا تعلم اسمه: يا عبد الله مثلاً، يا علي، يا خالد، يا بكر. فالرب ﷻ أولى ألا تُسمّيه باسم لا تعلم أنه سمى به نفسه؛ لأن جانب الربوبية أعظم احتراماً من جانب البشرية.

وعلى هذا فالأسماء توقيفية، فلا يجوز أن تُسمّى الله بما لم يُسم به نفسه، ولهذا عدّ العلماء تسمية الله بما لم يُسم به نفسه من الإلحاد في أسماء الله.

ومما يتعلق بالأسماء والصفات أيضاً: أن الصفة أوسع من الاسم، وكيف ذلك؟

**الجواب:** أن كل اسم مُتَّصِفٌ لصفة -كما تقدم- وبهذه القاعدة الكلية تتساوى الأسماء والصفات، لكن ليس كل صفة يُشتق منها اسم، وبهذا تكون الصفات أوسع من الأسماء، ولهذا من صفات الله أنه متكلم ومريد وصانع وجاء ونازل، وما أشبه ذلك من الصفات الكثيرة التي لا تُحص، لكن لا يُسمّى الله تعالى بشيءٍ دلت عليه هذه الصفة.

فكانت الصفات أوسع من الأسماء لهذا السبب. فقولُه: ﴿إِنَّهُ هُوَ يَدْعُ وَيُعِيدُ﴾ (الزمر: ٦٢). لا يُمكن أن تُشتق منه اسماً، فتقول: هو المبدئ المعيد. لكن لا بأس أن تُخبر: فتقول: الله مبدئ ومُعيد.

كذلك القابض الباسط: لو لا الحديث لقلنا جزمًا: إنها ليسا من أسماء الله؛ لأنّها لم يأتيا في القرآن إلا بلفظ الفعل، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ﴾ لكن جاء في الحديث: «إنَّ الله هو القابض الباسط». <sup>(١)</sup> فهل نقول: إنَّ القابض الباسط من أسماء الله؛ لقوله: «إنَّ الله هو القابض الباسط». أو نقول: إنَّ الحديث وردَّ على قضية معينية، وهي التَّسْعِيرُ، لما طلب الصحابة من النبي ﷺ أن يُسعر حين غلا السعر قال: «إنَّ الله هو القابض الباسط المسعر» فيكون القابض الباسط في الرزق، فهو الذي يقبضه ويبسطه، وهو الذي يُقدِّر الغلاء والرُّخص، فيكون هذا من باب الصفة، لا من باب الاسم <sup>(٢)</sup>.

(١) رواه أبو داود (٣٤٥١)، والترمذي (١٣١٤)، وابن ماجه (٢٢٠٠).

وصححه الشيخ الألباني، كما في «غاية المرام» (٣٢٣)، و«الروض النضير» (٤٠٥)، و«التعليق على السنن».

(٢) قال الشيخ رحمه الله في إجابة على سؤال وجه له أثناء الشرح: والقابض الباسط الأولى جمعها، ويكون هذا من الأسماء المُزدوجة، التي لا يسم الكمال إلا باجتماعها، وإن كان الباسط لو أُفرد لكان لا بأس، به أمّا القابض فمجرد القبض ليس صفة كمال، لكن إذا قلنا: القابض الباسط. صار معناها كمال التصرف في حق الله ﷻ

والأمر مُخْتَمِلٌ، لكنَّ القاعدةَ التي تُهْمُنَا الآنَ، أن الصفاتِ أَوْسَعُ مِنَ الْأَسْمَاءِ، وَوَجْهُهُ أَنَّ كُلَّ اسْمٍ مُتَّصِفٌ لصفَةٍ، وليسَ كُلُّ صِفَةٍ مُتَّصِفَةٌ لاسمٍ، أو ليسَ كُلُّ صِفَةٍ يُمَكِّنُ أَنْ يُشْتَقَّ مِنْهَا اسمٌ ولو قال قائلٌ: هل يُوصَفُ اللهُ بِأنَّه عارفٌ؟

**نقولُ:** لا يُوصَفُ بِأنَّه عارفٌ لسببين:

**السَّبَبُ الْأَوَّلُ:** أَنَّ المعرفةَ تَشْمَلُ الْعِلْمَ وَالظَّنَّ، ولهذا قال العلماءُ في تعريفِ الْفِقْهِ: معرفةُ الأحكامِ الشرعيةِ علمًا أو ظنًّا، وَالظَّنُّ في جانبِ اللهِ مُمْتَنِعٌ.

**السَّبَبُ الثَّانِي:** أَنَّ المعرفةَ انْكَشَافٌ بَعْدَ كِبْسٍ، فتكونُ المعرفةُ واردةً على جَهْلٍ، وهذا غيرُ لائقٍ باللهِ ﷻ، ولهذا قال صاحبُ «مُخْتَصَرِ التَّحْرِيرِ»: ولا يُوصَفُ اللهُ بِأنَّه عارفٌ. فإن قال قائلٌ: ما الجوابُ عن قولِ النَّبِيِّ ﷺ: «تَعَرَّفَ إِلَى اللهِ فِي الرِّخَاءِ يَعْرِفُكَ فِي الشَّدَةِ»<sup>(١)</sup>.

**قلنا:** المعرفةُ هنا ليستِ المعرفةُ التي هي العلمُ؛ لأنَّ اللهَ عالمٌ بِالْإِنْسَانِ فِي حَالِ الشَّدَةِ، وفي حَالِ الرِّخَاءِ، لكنَّ المرادَ بذلكَ لَازِمُهَا، وهو أَنَّكَ إِذَا تَعَرَّفْتَ إِلَى اللهِ فِي الرِّخَاءِ، فَإِنَّ اللهَ يَرَأْفُ بِكَ فِي حَالِ الشَّدَةِ، وَكَمْ مِنْ إِنْسَانٍ لَمْ يَقْضِهِ مِنْ شِدَّتِهِ إِلَّا مَعْرِفَتُهُ لِرَبِّهِ تَعَالَى فِي الرِّخَاءِ.

وَحَدَّثَنَا مَنْ يَتَّقُ بِهِ أَنَّهُ فِي زَمَنِ نَقْلِ الْبَصَائِعِ عَلَى الْإِبِلِ قَبْلَ وَجُودِ السَّيَّارَاتِ انْقَطَعَ بِهِ السَّفَرُ فِي الدَّهْنَاءِ، وَالدَّهْنَاءُ مَا فِيهَا مَاءٌ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ، وَأَنَّهُ نَامَ عَلَى عَطَشٍ شَدِيدٍ وَجُوعٍ، فَرَأَى فِي الْمَنَامِ أَنَّ رَجُلًا جَاءَ إِلَيْهِ بِقَدَحٍ مِنْ لَبَنٍ، فَشَرِبَهُ فَقَامَ نَشِيطًا شَبَعَانِ رِيَّانًا، وَآل: إِنَّ الْقَدَحَ الَّذِي جِيءَ بِهِ إِلَيَّ فِي الْمَنَامِ مِثْلُ الْقَدَحِ الَّذِي كُنْتُ أُسْتَبِي بِهِ عَجُوزًا لَنَا مِنْ جِيرَانِنَا. فَمِنْ حَانَ اللهُ! وهذا مصداقُ الْحَدِيثِ: «تَعَرَّفَ إِلَى اللهِ فِي الرِّخَاءِ يَعْرِفُكَ فِي الشَّدَةِ».

فَالْحَاصِلُ: أَنَّ الْمَعْرِفَةَ فِي الْحَدِيثِ لَيْسَتْ هِيَ الْمَعْرِفَةُ الَّتِي هِيَ مَعْرِفَةُ الْعِلْمِ، بَلْ إِنَّ الْمُرَادَ لَازِمُهَا، وَهُوَ أَنَّ اللهَ ﷻ يَرَأْفُ بِهِ، وَيَذْكُرُهُ حَتَّى يُزِيلَ شِدَّتَهُ. وَإِذَا قَالَ قَائِلٌ: لَوْ أَوْرَدَ عَلَيْنَا مُورِدٌ بَأَنَّا إِذَا قُلْنَا: الْمُرَادُ بِقَوْلِهِ: «يَعْرِفُكَ فِي الشَّدَةِ»؛ أَي: الرَّحْمَةُ وَالْحَنَانُ وَالْعَطْفُ وَمَا أَشَبَّهُ ذَلِكَ، وَقَالَ: هَذَا صَرَفٌ لِلْفِظِ عَنْ ظَاهِرِهِ، وَأَنْتُمْ تَشْنَعُونَ عَلَيْنَا إِذَا صَرَفْنَا الْفِظَ عَنْ ظَاهِرِهِ فَمَا الْجَوَابُ؟

**فالجوابُ:** أَنَّ صَرَفَ الْفِظِ عَنْ ظَاهِرِهِ إِذَا كَانَ لِلدَّلِيلِ، فَإِنَّهُ لَا بَأْسَ بِهِ، وَلِهَذَا نَقُولُ: إِنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾ [التَّوْحِيدُ: ١٨]. مَعْنَاهُ: إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَقْرَأَ. وَهَذَا الْمَعْنَى مُتَعَيِّنٌ مَعَ أَنَّهُ خِلَافُ ظَاهِرِ الْفِظِ، وَدَلَّ عَلَيْهِ

قَبْضًا وَبَسْطًا، وَلَوْ قُلْنَا: الْبَاسِطُ فَقَطْ، لَكَانَ مَعْنَاهَا الْمَوْسِعَ وَهُوَ صِفَةُ كَمَالٍ عَلَى كُلِّ حَالٍ. فَالْقَابِضُ لَا يُذَكَّرُ وَحْدَهُ، وَأَمَّا الْبَاسِطُ فَلَا بَأْسَ.

(١) مختصر التحرير (ص ١٥).

رواه أحمد في «مسنده» (٣٠٧/١) (٢٨٠٣) وقال الشيخ شعيب: تحقيق المسند: حديث صحيح.



دليل، هو أَنَّ الرسولَ كَانَ يَتَعَوَّدُ عِنْدَ إِرَادَةِ الْقِرَاءَةِ<sup>(١)</sup>.

والدليل الصارف في مسألتنا أَنَّ اللهَ يَعْرِفُ الْإِنْسَانَ فِي الشَّدَةِ، وفي حَالِ السَّعَةِ. هذا من وجه.

**والوجه الثاني:** أَنَّ اللهَ لَا يُوصَفُ بِالْمَعْرِفَةِ؛ لِأَنَّ الْمَعْرِفَةَ مَعْنَاهَا اللَّغَوِيُّ انْكَشَافٌ بَعْدَ لَبْسٍ؛ أَيْ: بَعْدَ خَفَاءٍ، وَاللهُ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ.

وأيضاً المعرفة في اللغة تَشْمَلُ الْعِلْمَ وَالظَّنَّ، وَالظَّنُّ، فِي حَقِّ اللهِ غَيْرُ وَارِدٍ، وَلَا يَلِيقُ بِهِ، وَإِنَّمَا يَكُونُ الظَّنُّ مِمَّا مِمَّنْ تَخْفَى عَلَيْهِمُ الْأُمُورُ.

ولو قيل: هل المحسن والمتقّم من أسماء الله؟

**فالجواب:** أمّا المحسن فقد وَرَدَ فِيهِ حَدِيثٌ أَنَّ اللهَ تَعَالَى مُحْسِنٌ<sup>(٢)</sup>، وَبَعْضُ الْعُلَمَاءِ يَقُولُ: إِنَّهُ لَيْسَ اسْمًا مِنْ أَسْمَاءِ اللهِ، وَلَكِنَّهُ خَبَرٌ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَرِدْ مُعَرَّفًا بِ«ال»، فَيَكُونُ خَبَرًا، لَكِنَّ شَيْخَ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللهُ عَدَّهُ مِنَ الْأَسْمَاءِ، وَقَالَ: إِنَّ الْمَحْسَنَ مِنْ أَسْمَاءِ اللهِ.

ولهذا أَقَرَّهُ الْعُلَمَاءُ، فَكَانَ مِنْ أَجْدَادِنَا مَنْ يُسَمَّى بِعَبْدِ الْمَحْسَنِ، فَرَأَى رَحِمَهُ اللهُ أَنَّهُ مِنَ الْأَسْمَاءِ، وَذَكَرَ أَنَّ النَّاسَ مَا زَالُوا يَقُولُونَ: عَبْدَ الْمَحْسَنِ، عَبْدَ الْبَارِي، عَبْدَ الْخَالِي فَالاسْمُ مَا كَانَ لَازِمًا لَهُ، وَالصِّفَةُ مَا كَانَ مِنْ أَعْمَالِهِ.

أمّا المتقّم فليس مِنْ أَسْمَاءِ اللهِ، وَهُوَ مَعَ كَوْنِهِ مُوجُودًا فِي الْأَسْمَاءِ الْمَسْرُودَةِ، فَهُوَ لَيْسَ مِنْ أَسْمَاءِ اللهِ، بَلْ هُوَ مِنْ وَصْفِ اللهِ الْمُقَيَّدِ أَيْضًا، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مَنْ يَقْتُلُونَ﴾<sup>(٣)</sup> [الأنعام: ٢٢٢].

ومما يَتَعَلَّقُ بِالْأَسْمَاءِ أَيْضًا: أَنَّ جَمْعَ الْاسْمِ إِلَى الْآخِرِ يَكُونُ مِنْهُ كِمَالٌ آخَرُ فَوْقَ ذِكْرِ كُلِّ اسْمٍ وَحْدَهُ، فَالْجَمْعُ بَيْنَ الْعِزَّةِ وَالْحِكْمَةِ يُفِيدُ مَعْنَى أَكْثَرٍ مِمَّا لَوْ ذُكِرَتِ الْعِزَّةُ وَحْدَهَا أَوْ الْحِكْمَةُ وَحْدَهَا؛ لِأَنَّ الْعِزِّيزَ إِذَا لَمْ تَكُنْ عِزَّتُهُ بِحِكْمَةٍ، فَرَبِّمَا يَكُونُ التَّصَرُّفُ تَصَرُّفًا غَيْرَ حَكِيمٍ، فَإِذَا كَانَتِ الْعِزَّةُ بِالْحِكْمَةِ صَارَ لَهَا مَعْنَى أَكْثَرُ.

وكذلك الْعَفْوُ الْقَدِيرُ أَيْضًا، فَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾<sup>(٤)</sup> [الأنعام: ١٤٩]. مثلاً ففي اجتماع الْعَفْوِ مَعَ الْقُدْرَةِ يَتِمُّ الْكِمَالُ؛ لِأَنَّ الْعَفْوَ مَعَ الْعَجْزِ نَقْصٌ.

(١) رواه أحمد (٤/ ٨٠، ٨٣، ٨٥) (١٦٣٩، ١٦٧٦٠، ١٦٧٨٤)، وأبو داود (٧٦٤)، وابن ماجه (٨٠٧). وقال أحمد رَحِمَهُ اللهُ: لَا يَصِحُّ هَذَا الْحَدِيثُ. وانظر التلخيص الحبير (١/ ٤١٦).

(٢) أخرجه عبد الرزاق في المصنف (٨٦٠٣)، وعنه الطبراني في الكبير (٧١٢١). عند ابن أبي عاصم في الديات (ص ٥٦)، وابن عدي في الكامل (٢/ ٣٢٨)، وأبو نعيم في أخبار أصبهان (٢/ ١١٣) من حديث أنس رَحِمَهُ اللهُ.

وعند ابن عدي في الكامل بلفظ: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى مُحْسِنٌ فَأَحْسَنُوا» صححه الألباني في صحيح الجامع الصغير (١٨١٩).  
(٣) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ فِي «مَجْمُوعِ الْفَتَاوَى» (٨/ ٩٦): وَاسْمُ الْمُتَقَمِّ لَيْسَ مِنْ أَسْمَاءِ اللهِ الْحَسَنِي الثَّابِتَةِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، وَإِنَّمَا جَاءَ فِي الْقُرْآنِ مُقَيَّدًا؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مَنْ يَقْتُلُونَ﴾<sup>(٥)</sup> [الأنعام: ٢٢٢]. وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾<sup>(٦)</sup> [التكوير: ٤٧]. ١. هـ.

وإذا قال قائل: هل يُسمَّى الله ﷻ بالسيد؟

**الجواب:** نعم، يُسمَّى السيد، جاء ذلك في الحديث عن النبي ﷺ.

❦ وقوله في الحديث: «لا يَرْحَمُ اللَّهُ مَنْ لا يَرْحَمُ النَّاسَ». مناسبتُهُ للترجمة ظاهرة في قوله تعالى: ﴿قُلْ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا﴾ [الأنعام: ١٨٠].

**فيستفاد من هذا الحديث:** أنَّ الرحمن من أسماء الله، وله حكمٌ يتعلَّق به، وهو ما يُطلق عليه بعض العلماء الأثر، وذلك أنَّ أسماء الله ﷻ قِسمان: لازمٌ ومتعدّدٌ.

فاللَّازِمُ يَدُلُّ على الاسمِ والصفةِ فقط؛ مثل الحيِّ، فالحيُّ ليس له متعلِّقٌ بائنٌ عن الله ﷻ بل هو صِفَةٌ لازمةٌ فالحيُّ معناه ذو الحياة، وكذلك العظيمُ معناه ذو العظمة، والجليلُ معناه ذو الجلال، وما أشبهها؛ فهذه أسماءٌ لازمةٌ يَتِمُّ الإيِّانُ بها بإثباتِ الاسمِ وإثباتِ الصفةِ.

وهناك أسماءٌ متعدديةٌ يعنِي -لها تعلُّقٌ بالمخلوق- وهذه لا بدَّ للإيِّانِ بها من الإيِّانِ بالاسمِ والصفةِ والحُكْمِ المُتَرَتِّبِ على هذا الاسمِ، أو على هذه الصفةِ، وبعضهم يقول: الأثر.

مثال ذلك: اسمُ الرحمن، فالرحمنُ يَدُلُّ على الاسمِ والصفةِ، وهي الرحمةُ، ويَدُلُّ على الحُكْمِ وهو أَنَّهُ يَرْحَمُ، كما في الحديث: «لا يَرْحَمُ اللَّهُ مَنْ لا يَرْحَمُ النَّاسَ». وكما في القرآن الكريم: ﴿يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ﴾ [التكوير: ٢١].

وكذلك السميعُ له حُكْمٌ؛ بدليلِ قوله: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُدْعِيكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [النساء: ٦١].

❦ «والحكيم» نقول: إمَّا من الحِكْمَةِ فهو غيرُ مُتَعَدِّ، وإمَّا من الحُكْمِ فهو مُتَعَدِّ، قال الله تعالى: ﴿ذَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ﴾ [النساء: ٥٩].

والبخاريُّ رحمه الله أتى بهذا الحديث -والله أعلم- للإشارة إلى أنَّ الرحمن اسمٌ مُتَعَدِّ يتعلَّقُ بالمخلوقين. وفي الحديث الحثُّ على الرحمة، وأنَّه يَنْبَغِي للإنسانِ أَنْ يَكُونَ رَحِيمًا بِالْخَلْقِ، حتَّى بالبهاائمِ، فالإنسانُ الذي يَجِدُ من قلبه رحمةً للناسِ وللبهاائمِ فليُشِرْ بالخيرِ أَنَّهُ مِمَّنْ يَرْحَمُهُمُ اللهُ ﷻ.

فالجَنَّةُ رحمةُ اللهِ، وأهلُها الرِّحَاءُ، وفي الحديث: «ارْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمَكُمُ اللَّهُ» من في السماء<sup>(١)</sup> وإذا وَجَدْتَ مِنْ قَلْبِكَ غِلْظَةً على مَنْ يَسْتَحِقُّ الرحمةَ، فَيَجِبُ عَلَيْكَ أَنْ تَعَالِجَ هذه الغِلْظَةَ،

(١) رواه أحمد (٢٤/٢٥) (١٦٣٠٧)، وأبو داود (٤٨٠٦)، والنسائي في «الكبرى» (١٠٧٦)، وصححه

الشيخ الألباني، كما في المشكاة (٤٩٠١)، و«إصلاح المساجد» (١٠٣)، و«التعليق على سنن أبي داود».

(٢) قال العجلوني في «كشف الخفا» (١١٩/١): روى «يرحمكم» مرفوعاً على الاستئناف البيان، ويجوز جزمه؛ لوقوعه في جواب الأمر، لكن ذكر في الإسعاف أنَّ الرواية بالرفع، وكذا نقله البيهقي عن العمادي على أنَّ الجملة دعائية فاعرفه. اهـ

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (١٦٠/٢) (٦٤٩٤) وأبو داود (٤٩٤١)، وترمذي (١٩٢٤)، وقال: حديث حسن



وَأَنْ تُحَوَّلَهَا إِلَى رَحْمَةٍ.

وَأَسْبَابُ الرَّحْمَةِ كَثِيرَةٌ؛ مِنْهَا الْفَقْرُ، وَمِنْهَا الصَّعْرُ، وَمِنْهَا الْمَرَضُ، وَمِنْهَا الْقَرَابَةُ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَسْبَابِ.

فَكُونُكَ تَرَحَّمُ هَذَا؛ لِأَنَّهُ صَبِيٌّ صَغِيرٌ، أَوْ لِأَنَّهُ يَتِيمٌ، وَتَرَحَّمْ هَذَا الرَّجُلَ؛ لِأَنَّهُ فَقِيرٌ، أَوْ لِأَنَّهُ مَرِيضٌ... إلخ، فَإِذَا وَجَدْتَ مِنْ نَفْسِكَ رَحْمَةً لِمَنْ يَسْتَحِقُّ الرَّحْمَةَ فَاعْلَمْ أَنَّكَ مُوَفَّقٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ.



ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٣٧٧- حَدَّثَنَا أَبُو النُّعْمَانِ حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ عَنْ عَاصِمِ الْأَحْوَلِ عَنْ أَبِي عُبَيْدَانَ النَّهْدِيِّ عَنْ أَسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ قَالَ قَالَ كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ إِذْ جَاءَهُ رَسُولٌ إِحْدَى بَنَاتِهِ يَدْعُوهُ إِلَى ابْنَتِهَا فِي الْمَوْتِ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ «ارْجِعْ إِلَيْهَا فَأَخْبِرْهَا أَنَّ لِلَّهِ مَا أَخَذَ وَلَهُ مَا أُعْطِيَ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِأَجَلٍ مُسَمًّى فَمُرْهَا فَلْتَضْمِرْ وَلْتَحْتَسِبْ» فَأَعَادَتْ الرَّسُولَ أَنَّهَا قَدْ أَقْسَمَتْ لِتَأْتِيَنَهَا فَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ وَقَامَ مَعَهُ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ وَمُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ فَدَفَعَ الصَّبِيَّ إِلَيْهِ وَنَفْسُهُ تَقَعَّقُ كَأَنَّهَا فِي شَنْ فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ فَقَالَ لَهُ سَعْدُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا هَذَا قَالَ: «هَذِهِ رَحْمَةُ اللَّهِ فِي قُلُوبِ عِبَادِهِ وَإِنَّمَا يَرْحَمُ اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ الرُّحَمَاءَ»<sup>(١)</sup>.

الشَّاهِدُ مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ: قَوْلُهُ: «إِنَّمَا يَرْحَمُ اللَّهُ». فهذه صفةٌ من صفاتِ اللَّهِ ﷻ، مِنْ أَثَارِ الْأَسْمِ الَّذِي هُوَ الرَّحْمَنُ.

فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: هَلِ الرَّحْمَةُ صِفَةٌ ذَاتِيَّةٌ لَزِمَةٌ لِلَّهِ، أَوْ صِفَةٌ فِعْلِيَّةٌ؟

فَالْجَوَابُ: أَنَّهَا فِي أَصْلِهَا ذَاتِيَّةٌ؛ لِأَنَّهَا صِفَةٌ كَمَالٍ، لَكِنْ فِي أَفْرَادِهَا وَآحَادِهَا فِعْلِيَّةٌ؛ لِأَنَّهُ يَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ، وَكُلُّ شَيْءٍ يَتَعَلَّقُ بِالْمَشِيئَةِ فَهُوَ صِفَةٌ فِعْلِيَّةٌ.

وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ: رَحْمَةُ النَّبِيِّ ﷺ؛ لِأَنَّهُ دَفَعَ إِلَيْهِ الصَّبِيَّ، وَهُوَ فِي سِيَاقِ الْمَوْتِ.

❦ وَقَوْلُهُ: «وَنَفْسُهُ تَقَعَّقُ»؛ يَعْنِي: لَهَا صَوْتُ قَعْقَعَةٍ.

❦ وَقَوْلُهُ: «كَأَنَّهَا فِي شَنْ». وَالشَّنُّ هُوَ الْقُرْبَةُ الْبَالِيَةُ، وَالْقُرْبَةُ الْبَالِيَةُ لَوْ صَارَ فِيهَا شَيْءٌ يَتَحَرَّكُ تُسْمَعُ لَهَا قَعْقَعَةٌ، وَهَذِهِ حَسْرَةُ النَّفْسِ فِي صَدْرِ هَذَا الصَّبِيِّ وَقَوْلُهُ: فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ رَحْمَةً بِهِ، فَقَالَ سَعْدُ: مَا هَذَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ وَكَأَنَّهُ اسْتَعْرَبَ أَنْ يَبْكِيَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى هَذَا الصَّبِيِّ.

صحيح من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه.

وقال الحاكم في المستدرک ١٥٩/٤ بعد أن ذكره مع أحاديث عدة في الباب: وهذه الأحاديث كلها صحيحة.

ووافقه الذهبي، وانظر «كشف الخفاء» (١/١١٩).

(١) رواه مسلم (٩٢٣).

وقوله ﷺ: «هذه رحمة جعلها الله تعالى في قلوب عباده، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء».

في هذه الكلمات النيرة من رسول الله ﷺ أكبر تعزية، وهي قوله: «إن الله ما أخذ، وله ما أعطى، وكل شيء عنده بأجل مسمى» سبحان الله! كلمات النبوة لها نور، يجاز مع عظم المعنى وسعته، فإذا كان الشيء لله فله ما أخذ وله ما أعطى، فينبغي أن يكون موقفا نحن مما أخذ الله من بين أيدينا التسليم بأن الأمر لله، له ما أخذ وله ما أعطى ﷻ، كل شيء عنده بأجل مسمى.

فالشئ المقدر لا يمكن أن يتقدم أو يتأخر؛ لأنه بأجل مسمى؛ أي: معين في تلك الساعة المعينة يكون هذا الشيء، ولا يمكن أن يتقدم أو يتأخر.

وفي القرآن الكريم: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾ [الأنعام: ٨]. فهذا الحديث عائد للمدة وذاك عائد لكم، كل شيء بمقدار، ويمكن أن نجعل قوله: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾. عائدا حتى على الزمن، وهذا دليل على كمال عناية الرب بخلقه، وأنه يقدر كل شيء في أجل لا يتعداه، ولا يقصر عنه.

**إذا:** من أسماء الله «الرحمن» وهو يدل على وصف الرحمة، وعلى فعل الرحمة، وفي البسملة: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، هل اسم الرحمن والرحيم مترادفان أو متباينان باعتبار دلالتهما على الذات، وباعتبار معناهما؟

**الجواب:** أما باعتبار دلالتهما على الذات فهما مترادفان، وأما باعتبار معنأهما فمتباينان، لكن كيف يكونان متباينين، وهما من الرحمة، فالرحمن من الرحمة، والرحيم من الرحمة؟ أجاب العلماء عن ذلك بما يقتضي أن يكون جوابين:

**الجواب الأول:** أن الرحمن صفة عامة، والرحيم صفة خاصة، فالرحمن عامة لكل أحد، والرحيم خاصة بالمؤمنين، كما قال تعالى: ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأنعام: ١١٠].

**الجواب الثاني:** أن الرحمن باعتبار الوصف، والرحيم باعتبار الفعل، فوصفه الرحمة، ولهذا جاءت على صيغة فعلان الذي يدل على السعة والامتلاء، فغضبان مثلاً للممتلي غضباً، وسكران للممتلي سكرًا، وزيان لمن امتلأ بطنه ماءً، فلما أريد الوصف جاءت على وزن فعلان، أما حين أريد الفعل فجاءت على اسم رحيم.

وهذا الثاني أقرب، وهو أن الرحمن باعتبار الوصف، والرحيم باعتبار الفعل، الذي هو إيصال الرحمة إلى المرحوم.

ذكر صاحب الفتح في تفسير الرحمة أنها إرادة الإنعام، أو إرادة الإحسان، أو الإنعام نفسه، أو الإحسان نفسه، وهذا تحريف للرحمة عن معناها الحقيقي؛ لأن الرحمة صفة تتعلق بالراحم. لكن الأشاعرة وأشباههم لا يثبتون من الصفات إلا ما دلت عليه عقولهم، ويذكرون من الصفات ما لم تدل عليه عقولهم، وإن كان العقل يدل على أنها ثابتة لله ﷻ.



فَالرَّحْمَةُ يُنْكِرُونَ أَنَّ يُوصَفَ اللَّهُ بِهَا، يَقُولُونَ: لِأَنَّ الرَّحْمَةَ رِقَّةٌ وَلِينٌ، وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ عَنْ نَفْسِهِ: ﴿ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [الأنعام: ٥٨]. وَحِينَئِذٍ تُفَسِّرُ الرَّحْمَةُ بِأَنَّهَا إِرَادَةُ الْإِنْعَامِ أَوْ الْإِنْعَامُ نَفْسُهُ.

فَأَمَّا تَفْسِيرُهَا بِالْإِنْعَامِ عَنْدهُمْ فَظَاهِرٌ؛ لِأَنَّ الْإِنْعَامَ نِعْمَةٌ مُفَصَّلَةٌ بَائِتَةٌ عَنِ اللَّهِ، وَالْإِرَادَةُ ثَابِتَةٌ عَنْدهُمْ لَا يُنْكِرُونَهَا، وَلَكِنَّا نَقُولُ: هَذَا تَحْرِيفٌ لِلْكَلِمِ عَنْ مَوَاضِعِهِ؛ لِأَنَّ إِرَادَةَ الْإِنْعَامِ أَوْ الْإِنْعَامَ إِنَّمَا تَكُونُ بَعْدَ الرَّحْمَةِ، فَالْإِرَادَةُ مُتَرْتِبَةٌ عَلَى الرَّحْمَةِ؛ لِأَنَّ الرَّحِيمَ هُوَ الَّذِي يَرِيدُ الْإِنْعَامَ وَالْإِحْسَانَ.

فَتَفْسِيرُ الرَّحْمَةِ بِهَا كَانَ مِنْ أَثَارِهَا تَحْرِيفٌ لِلْكَلِمِ عَنْ مَوَاضِعِهِ، وَلِهَذَا نَقُولُ: نَحْنُ نَتَبَيَّنُ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ رَحْمَةٌ يَرْحَمُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ، وَأَنَّ هَذِهِ الرَّحْمَةُ إِذَا كَانَتْ رِقَّةً فِي الْمَخْلُوقِ، فَإِنَّهَا لَا تَكُونُ كَذَلِكَ فِي الْخَالِقِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

عَلَى أَنَّنَا لَا نُسَلِّمُ لَهُمْ أَنَّ الرَّحْمَةَ رِقَّةٌ، فَقَدْ يَكُونُ الرَّجُلُ الْقَوِيُّ الشَّجَاعُ، أَوْ السُّلْطَانُ الْقَوِيُّ النَّافِذُ أَمْرُهُ، قَدْ يَكُونُ رَحِيمًا، وَلَا يَقْتَضِي ذَلِكَ شَيْئًا يَنْقُصُ مِنْ سُلْطَتِهِ وَقُدْرَتِهِ وَقُوَّتِهِ.

وَقَدْ ذَكَرَ هَذَا الْحَافِظُ فِي «الْفَتْحِ»، سَوَاءً كَانَ ذَاكِرًا، أَوْ آثَرًا، أَوْ مَقْرَأًا، فَعَلَى كُلِّ حَالٍ مَعْرُوفٌ أَنَّ مَذْهَبَ الْأَشَاعِرَةِ هُوَ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ أَنَّ لِلَّهِ رَحْمَةً، مَعَ الْعِلْمِ بِأَنَّهُمْ يَقُولُونَ: الدَّلِيلُ الْعَقْلِيُّ عَلَى الْإِرَادَةِ هُوَ التَّخْصِصُ.

ثُمَّ لَا يَسْتَدِلُّونَ عَقْلًا عَلَى الرَّحْمَةِ بِمَا يُنْعِمُ اللَّهُ بِهِ عَلَى الْعِبَادِ، مِنَ الْمَطَرِ وَالنَّبَاتِ وَالصَّحَّةِ وَالْأَمْنِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَثَارِ الرَّحْمَةِ.

وَكُونُهُ مِنْ أَثَارِ الرَّحْمَةِ يُدْرِكُهُ كُلُّ أَحَدٍ حَتَّى الْعَامَّةُ، فَالْعَامِيُّ إِذَا خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ، وَرَأَى الْمَطَرَ قَالَ: هَذَا مِنْ تَحَنُّنِهِ. لَكِنِ الْعَامِيُّ لَا يَذَرِي أَنَّ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَالْجِبَالَ وَالْمَخْلُوقَاتِ أَنَّهَا تَدُلُّ عَلَى الْإِرَادَةِ، وَهَذَا مِنَ الْغَرَائِبِ مِمَّا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا اعْتَمَدَ عَلَى عَقْلِهِ ضَلَّ.

وَالْحَافِظُ فِي «الْفَتْحِ» نَقَلَ عَنْهُمْ، فَإِذَا لَمْ يَرِدْ قَمَعْنَاهُ أَنَّهُ مُقَرَّرٌ، وَمَعَ ذَلِكَ لَا نَقُولُ: إِنَّهُ أَشْعَرِيٌّ خَالِصٌ؛ لِأَنَّ الْأَشَاعِرَةَ لَيْسُوا يَخَالِفُونَ أَهْلَ السُّنَّةِ فِي الصِّفَاتِ فَقَطْ، وَإِنَّمَا يَخَالِفُونَ أَهْلَ السُّنَّةِ - كَمَا قَالَ الشَّيْخُ سَفَرُ الْحَوَالِي - فِي أَكْثَرِ مِنْ إِحْدَى عَشْرَةِ مَسْأَلَةٍ فِي الْعَقِيدَةِ، <sup>(١)</sup> فَإِذَا رَأَيْنَا رَجُلًا أَوَّلَ فِي بَعْضِ النُّصُوصِ وَالصِّفَاتِ لَا يُمْكِنُ أَنْ نَقُولَ: إِنَّهُ أَشْعَرِيٌّ حَتَّى نَذْكُرَ حَالَهُ وَنَنْظُرَ فِيهِ، فَنَقُولَ: هُوَ مُخَالَفٌ لِرَأْيِ السَّلَفِ إِذَا تَبَيَّنَ أَنَّهُ أَوَّلٌ هُوَ بِنَفْسِهِ.

ثُمَّ قَالَ الْبَحَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٣- بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [الأنعام: ٥٨].

٧٣٧٨- حَدَّثَنَا عَبْدَانُ عَنْ أَبِي حَمْزَةَ عَنْ الْأَعْمَشِ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيِّ عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ قَالَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَا أَحَدٌ أَضْبَرَ عَلَى أَدَى سَمْعِهِ مِنَ اللَّهِ يَدْعُونَ لَهُ

(١) للدكتور سفر الحوالي رحمه الله رسالة صغيرة بين فيها «منهج الإشاعرة في العقيدة»، وهي مطبوعة في مكتبة العلم.

الْوَلَدُ ثُمَّ يُعَافِيهِمْ وَيَرْزُقُهُمْ<sup>(١)</sup>.

الرِّزْقُ صِيغَةُ مُبَالِغَةٍ مِنَ الرِّزْقِ، وَهُوَ الْعَطَاءُ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ﴾ [النِّسَاءُ: ٨]. أَي: أَعْطُوهُمْ مِنْهُ. وَجَاءَتْ بِصِيغَةِ الْمُبَالِغَةِ لِأَحَدٍ وَجْهَيْنِ: إِمَّا لِأَنَّهَا مِنْ بَابِ النَّسْبَةِ، وَأَنَّ الرِّزْقَ وَصِفٌ لَازِمٌ لِلَّهِ. وَإِمَّا لِلْمُبَالِغَةِ الدَّالَّةِ عَلَى الْكَثَرَةِ، وَذَلِكَ لِكَثْرَةِ مَنْ يَرْزُقُهُ اللَّهُ ﷻ، وَلِكَثْرَةِ رِزْقِهِ ﷻ. فَالرِّزْقُ إِذْنٌ عَلَى وَزْنِ فَعَالٍ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ تَكُونَ لِلنَّسْبَةِ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ تَكُونَ لِلْمُبَالِغَةِ؛ لِأَنَّ كَلِمَةَ فَعَالٌ تَكُونُ لِلنَّسْبَةِ كَالنَّجَارِ وَالْحَدَّادِ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ، وَتَكُونُ لِلْمُبَالِغَةِ. فَإِذَا كَانَتْ لِلنَّسْبَةِ، فَالْمَعْنَى أَنَّ اللَّهَ مَوْصُوفٌ بِهَذِهِ الصِّفَةِ. وَإِذَا كَانَتْ لِلْمُبَالِغَةِ، فَالْمَعْنَى كَثْرَةُ مَنْ يَرْزُقُهُمُ اللَّهُ ﷻ، وَكَثْرَةُ الرِّزْقِ الَّذِي يُعْطِيهِ. وَقَوْلُهُ: ﴿هُوَ الرِّزْقُ﴾ [الْأَنْعَامُ: ٥٨]. هُوَ ضَمِيرُ فَصْلٍ، يَدُلُّ عَلَى الْحَصْرِ، وَ«الرِّزْقُ» بِصِيغَةِ الْمُبَالِغَةِ لَا تَكُونُ إِلَّا لِلَّهِ.

أَمَّا الرَّاظِقُ أَوْ رَزَقٌ يَرْزُقُ فَتَكُونُ لِلَّهِ وَلِلْمَخْلُوقِ. وَقَوْلُهُ: ﴿ذُو الْقُوَّةِ﴾. ذُو بِمَعْنَى صَاحِبٍ، وَالْقُوَّةُ هِيَ الْفِعْلُ بِلا ضَعْفٍ، وَلَيْسَتْ هِيَ الْقُدْرَةُ؛ لِأَنَّ الْقُدْرَةَ الْفِعْلُ بِلا عَجْزٍ، وَالْقُوَّةُ الْفِعْلُ بِلا ضَعْفٍ، وَالِدَلِيلُ: قَوْلُهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً﴾ [الْأَنْعَامُ: ٥٤]. لَمْ يَقُلْ: ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُدْرَةً. وَقَالَ ﷻ: ﴿وَمَا كَانَتْ أَلِلَّةٌ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ [طه: ٤٤]. فَقَالَ: ﴿لِيُعْجِزَهُ﴾. ثُمَّ قَالَ: ﴿إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾. وَلَمْ يَقُلْ: كَانَ عَلِيمًا قَوِيًّا؛ لِأَنَّ الْعَجْزَ ضِدُّهُ الْقُدْرَةُ، وَالضَّعْفُ ضِدُّهُ الْقُوَّةُ.

فَإِذَا قِيلَ: أَيُّهَا أَكْمَلُ: الْقُدْرَةُ أَوْ الْقُوَّةُ؟

**قُلْنَا:** الْقُوَّةُ أَكْمَلُ، وَيُظْهَرُ ذَلِكَ بِالْمِثَالِ، فَلَوْ قِيلَ لَكَ: أَحْمِلْ هَذَا الْحَجَرَ. فَأَرَدْتَ أَنْ تَحْمِلَهُ، فَعَجَزْتَ أَنْ تُقِلَّهُ عَنِ الْأَرْضِ، فَأَنْتَ الْآنَ غَيْرُ قَادِرٍ.

وَلَوْ قِيلَ لَكَ: أَحْمِلْ هَذَا الْحَجَرَ. فَحَمَلْتَهُ، وَلَكِنْ بِمَشَقَّةٍ، فَأَنْتَ الْآنَ قَادِرٌ غَيْرُ قَوِيٍّ.

وَلَوْ قِيلَ: أَحْمِلْ هَذَا الْحَجَرَ فَحَمَلْتَهُ بِسَهُولَةٍ حَتَّى رَفَعْتَهُ إِلَى فَوْقِ فَأَنْتَ الْآنَ قَوِيٌّ.

**إِذَا:** الْقُوَّةُ أَكْمَلُ مِنَ الْقُدْرَةِ؛ لِأَنَّ كُلَّ قَوِيٍّ قَادِرٌ، وَلَيْسَ كُلُّ قَادِرٍ قَوِيًّا. وَيَقَابِلُ الْقُوَّةَ الضَّعْفُ، وَلِهَذَا تَقُولُ: فَلَانَ قَوِيًّا، غَيْرُ ضَعِيفٍ، وَلَا تَقُولُ: فَلَانَ قَوِيًّا غَيْرُ عَاجِزٍ، وَتَقُولُ: فَلَانَ قَادِرًا غَيْرُ عَاجِزٍ.

فَهَذَا هُوَ الْفَرْقُ بَيْنَ الْقُدْرَةِ وَالْقُوَّةِ.



فرق آخر، وهو أَنَّ القوة تكون في الحيوان والجِهاد، والقدرة تكون في الحيوان فقط، فتقول: هذا الحديد قوي، ولا تقول: هذا حديدٌ قادرٌ.

**إِذَا:** لا يوصفُ بالقدرة إلا ما كان ذا روح، فيمكن أن تقول: الفيل قوي وقادر، والإنسان قوي وقادر.

❦ وقوله **عَلَيْكَ: ﴿الْمَتِينُ﴾**. أي: الشديد القوة.

ففي هذه الآية من أسماء الله ثلاثة: الله، والرزاق، والمتين.

وفيها من صفات الله أربعة: الألوهية والرزق والقوة والمتانة.

ثم ساق المؤلف حديث أبي موسى الأشعري: قال: قال النبي ﷺ: «ما أحدٌ أصبر على أذى سمِّعه من الله». إذا قلنا: ما أحدٌ أصبر. فهذه لغة تميم، وإذا قلنا: ما أحدٌ أصبر. فهذه لغة قرشي؛ لأن قرشيًا يجعلون ما النافية تعمل عمل «ليس» بشروط معروفة، والتميميون يرونها لا تعمل، وقد قال الشاعر:

ومُهَفِّفِ الأعْطَافِ قُلْتُ لَهُ انْتَسِبْ فَأَجَابَ مَا قَتَلَ الْمَحَبَّ حَرَامٌ <sup>(١)</sup>

فالشاعر هنا تميمي؛ لأنه لم يقل: ما قتل المحب حرامًا. ولو قال: ما قتل المحب حرامًا. صار قرشيًا.

❦ قوله: «ما أحدٌ أصبر على أذى سمِّعه من الله». أصبر على أذى في هذا وصفُ الله تعالى بالصبر والتحمل من عباده.

وفيه إثبات الأذية لله ﷻ وأن الله ﷻ يتأذى، ولكن هل الصبر صفة عيب أو صفة كمال؟

**الجواب:** لا شك أنه صفة كمال، وأن الإنسان يُثنى عليه بالصبر، فكذلك الربُّ ﷻ يُثنى عليه بالصبر.

ولكن هل التأذي بما يؤذي صفة نقص؟

**الجواب:** لا، ليس صفة نقص؛ لأنه لا يلزم من الأذى الضرر، ولهذا نقول: إن الله ﷻ يتأذى، ولكنه لا يتضرر، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ [الأنعام: ٥٧]. وهذا في القرآن.

وفي الحديث القدسي: «يؤذيني ابنُ آدمَ يَسُبُّ الدَّهْرَ وَأَنَا الدَّهْرُ» <sup>(٢)</sup> لكنه قال في القرآن: ﴿وَلَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَن يَصُرُوا اللَّهَ شَيْئًا﴾ [التوبة: ١٧٦].

وقال في الحديث القدسي: «يا عبادي، إنكم لن تبْلُغوا ضُرِّي فتضُرُّوني، ولن تبْلُغوا نَفْعي

(١) بالرفع.

(٢) بالنصب.

(٣) انظر: «شرح قطر الندى» (ص ١٤٢ - ١٤٤)، وشرح ابن عقيل (١/ ٣٠١)، وأوضح المسالك (١/ ٢٤٥)، والنحو الوافي (١/ ٥٩٣) والقواعد الأساسية للهاشمي (ص ١٥٦).

(٤) انظر: «ريحانة؟» (ص ٢٦٤)، و«الإفادات والإنشاءات» للشاطبي (ص ٥٦)، و«نفع الطيب» (٥/ ٢٢٧).

(٥) تقدم تخريجه.

فَتَنَفَّعُونِي»<sup>(١)</sup>. والأدنى لا يدلُّ على ضَعْفِ الْمُتَأَدِّي؛ فَإِنَّ الرَّجُلَ قَدْ يَتَأَدَّى بِالرَّائِحَةِ الْكَرْبِيَّةِ، وَلَكِنَّهَا لَا تَضُرُّهُ، وَلَا يَدُلُّ عَلَى ضَعْفِهِ، بَلْ قَدْ يَدُلُّ عَلَى كَمَالِهِ، إِذَا تَأَدَّى بِمَا يُؤْذِي حَقِيقَةً.

❖ وقوله: «يَدْعُونَ لَهُ الْوَلَدَ، ثُمَّ يُعَافِيهِمْ، وَيَرْزُقُهُمْ»؛ أَي: يَقُولُونَ: إِنَّ اللَّهَ وَلَدًا، وَذَلِكَ كَمَا قَالَتِ الْيَهُودُ: عَزِيزُ ابْنِ اللَّهِ. وَكَمَا قَالَتِ النَّصَارَى: الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ. وَكَمَا قَالَ الْمُشْرِكُونَ: الْمَلَائِكَةُ بَنَاتُ اللَّهِ. ❖ وقوله: «وَهُوَ يُعَافِيهِمْ وَيَرْزُقُهُمْ»، هَذِهِ هِيَ نَتِيجَةُ الصَّبْرِ، أَنَّهُ يُعَافِيهِمْ وَيَرْزُقُهُمْ، مَعَ أَنَّهُمْ يَدْعُونَ لَهُ الْوَلَدَ.

وَدَعَا الْوَلَدَ لِلَّهِ ﷻ تَتَضَمَّنُ شَيْئَيْنِ:

**الشيء الأول:** تكذيبُ اللَّهِ ﷻ؛ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى نَفَى أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ، بَلْ نَزَّ نَفْسَهُ عَنْ ذَلِكَ؛ ﴿سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ﴾ [النسبة: ١٧١].

**الشيء الثاني:** وصفُ اللَّهِ بالنقص؛ لِأَنَّهُ لَا يَخْتَاجُ إِلَى الْوَلَدِ إِلَّا مَنْ كَانَ نَاقِصًا، فَهُوَ يَحْتَاجُ إِلَى الْوَلَدِ لِيُعِينَهُ فِي مُهِمَّاتِهِ، وَلِيَبْقَى نَسْلُهُ بَعْدَهُ؛ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا مَاتَ بَلَ نَسْلٍ نُسِي، وَلَمْ يَأْتِ لَهُ ذَكَرٌ، اللَّهُمَّ إِلَّا مِنْ عِلْمٍ، أَوْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ مَا أَشَبَّهُ ذَلِكَ.

وَعَلَى كُلِّ حَالٍ: فَهَؤُلَاءِ أَذَوُ اللَّهِ ﷻ بِدَعَا الْوَلَدِ، وَمَعَ ذَلِكَ فَهُوَ يُعَافِيهِمْ وَيَرْزُقُهُمْ، وَلَوْ لَا صَبْرُهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِأَهْلِكِهِمْ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ يَأْخُذُ اللَّهُ بِالنَّاسِ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكُوا عَلَى ظَهْرِهِمَا مِنْ ذَنْبٍ﴾ [طه: ٤٥].

**والشاهد من هذا الحديث:** قوله: «يُعَافِيهِمْ وَيَرْزُقُهُمْ». أَي: يُعَافِيهِمْ فِي أَبْدَانِهِمْ مِنَ الْأَمْرَاضِ، وَيُعَافِيهِمْ فِي أَعْرَاضِهِمْ مِنْ أَنْ تُنْتَهَكَ، وَيَرْزُقُهُمْ أَيْضًا.

**وفي هذا:** الحديث من الصفات: إثباتُ صِفَةِ الصَّبْرِ؛ لقوله: «مَا أَحَدٌ أَصْبَرَ عَلَى أَدْنَى سَمِعَةٍ مِنَ اللَّهِ». وهل هو حَقِيقِيٌّ؟

**الجواب:** نَعَمْ، هُوَ حَقِيقِيٌّ، وَلَكِنَّهُ لَا يُشَبَّهُ صَبْرَ الْمَخْلُوقِ؛ لِأَنَّ الْمَخْلُوقَ قَدْ يَصْبِرُ، لَكِنْ مَعَ تَضَجُّرٍ وَتَمَلُّلٍ، وَأَمَّا الرَّبُّ ﷻ فَلَا. لَا يَلْحَقُهُ مِنْ صَبْرِهِ شَيْءٌ كَمَا يَلْحَقُ الْمَخْلُوقَ مِنْ صَبْرِهِ.

**وفيه:** إثباتُ أَنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ وَيُعَافِي؛ لقوله: «وَيُعَافِيهِمْ وَيَرْزُقُهُمْ».

وهل نشقُّ من «يرزقهم» اسمًا؟

**الجواب:** لا، لَكِنْ جَاءَ الْاسْمُ ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ﴾ [الأنعام: ٥٨].

وهل نشقُّ من «يُعَافِي» اسمًا؟

**الجواب:** لا، وَلِهَذَا لَا يُسَمَّى اللَّهُ بِالْمُعَافِي، وَلَكِنْ يُخْبَرُ عَنْهُ بِأَنَّهُ يُعَافِي مِنَ الْأَمْرَاضِ الْقَلْبِيَّةِ



والبدنية، قال ﷺ: «واشف أنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك»<sup>(١)</sup>.

والفرق بين الحلم والصبر، أن الحلم لا يعجل بالعقوبة، مع أنه قد لا يصبر، لكن في الصبر يتحمل، ونحن نقولها بالنسبة لنا يتحمل الإنسان ولا يفكر بالعقوبة، والحلم يفكر بالعقوبة لكنه لا يعجل.

\*\*\*

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحْمَتُهُ:

٤- باب قول الله تعالى: ﴿عَلِمَ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ [البقرة: ٢٥٥]. ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ [البقرة: ٣٤]. ﴿أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ﴾ [البقرة: ١٦٦]. ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ﴾ [طه: ١١٠].

قَالَ يَحْيَى الظَّاهِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا وَالْبَاطِنُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا  
هذه الترجمة أتى بها المؤلف رَحْمَتُهُ لإثبات صفة العلم لله ﷻ، والعلم لله ﷻ ثابت، وهو قد جاء على وجوه متعددة، والعلم هو إدراك المعلوم على ما هو عليه.

**فقولنا:** إدراك. خَرَجَ بِهِ الْجَهْلُ الْبَسِيطُ.

**وقولنا:** علي ما هو عليه. خَرَجَ بِهِ الْجَهْلُ الْمَرْكَبُ؛ لِأَنَّ الْجَهْلَ عِنْدَهُمْ نَوْعَانِ:

**جهل بسيط:** وهو عدم العلم.

**وجهل مركب:** وهو أن يكون الإنسان جاهلاً، ويجهل أنه جاهل، ولهذا قيل: إِنَّهُ مَرْكَبٌ مِنْ جَهْلَيْنِ؛ الْجَهْلُ بِالْوَاقِعِ، وَالْجَهْلُ بِحَالِهِ.

وَأَضْرَبَ لِهَذَا مَثَلًا يَتَبَيَّنُ بِهِ ذَلِكَ: سَأَلْنَا رَجُلًا: مَتَى كَانَتْ غَزْوَةُ بَدْرٍ؟ فَقَالَ: كَانَتْ غَزْوَةُ بَدْرٍ فِي رَمَضَانَ فِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ. بِإِذَا تَصِفُ هَذَا الْمَجِيبُ؟ تَصِفُهُ بِأَنَّهُ عَالِمٌ؛ لِأَنَّهُ ذَكَرَ الْأَمْرَ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ.  
وَلَوْ سَأَلْنَا رَجُلًا آخَرَ فَقُلْنَا لَهُ: مَتَى كَانَتْ غَزْوَةُ بَدْرٍ؟ قَالَ: كَانَتْ فِي السَّنَةِ الْخَامِسَةِ مِنَ الْهَجْرَةِ. فَهَذَا جَاهِلٌ جَهْلًا مُرَكَّبًا.

وَلَوْ سَأَلْنَا الثَّالِثَ، فَقُلْنَا لَهُ: مَتَى كَانَتْ غَزْوَةُ بَدْرٍ؟ فَقَالَ: لَا أَدْرِي. فَهَذَا جَهْلٌ بَسِيطٌ. فَالْجَهْلُ بَسِيطٌ عَالِمٌ؛ أَيْ: مُدْرِكٌ لِلْمَعْلُومَاتِ عَلَى مَا هِيَ عَلَيْهِ.

ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ ﷻ:

**أولاً:** أَرْزَلَنِي أَبَدِيًّا.

**ثانيًا:** عَامٌّ شَامِلٌ لِكُلِّ شَيْءٍ جَمْلَةً وَتَفْصِيلًا، حَتَّى دَيْبُ النَّمْلِ فِي أَيِّ وَقْتٍ مِنْ أَوْقَاتِ الدُّنْيَا يَعْلَمُهُ تَفْصِيلًا، وَيَعْلَمُ أَيْنَ تَضَعُ النَّمْلَةُ خُطْوَهَا تَفْصِيلًا: فَكُلُّ شَيْءٍ يَعْلَمُهُ جَمْلَةً وَتَفْصِيلًا؛ لِأَنَّ اللَّهَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ، وَالْخَالِقُ لَا يَدَّ أَنْ يَكُونَ عَالِمًا، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [البقرة: ١٧٤].

**ثالثاً:** عِلْمُ اللَّهِ لَمْ يُسَبِّحْ بِجَهْلٍ، وَلَا يَلْحَقُهُ نِسْيَانٌ، كَمَا قَالَ مُوسَى: ﴿قَالَ عَلَّمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى﴾ ﴿٥٢﴾ [طه: ٥٢].

**إذا:** عِلْمُ اللَّهِ وَاسِعٌ شَامِلٌ أَبَدِيٌّ لَمْ يُسَبِّحْ بِجَهْلٍ، وَلَا يَلْحَقُهُ نِسْيَانٌ.

ولكن ما هي الفائدة من معرفتنا بهذه الصفة العظيمة؟

**الفائدة:** أَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا عَلِمَ أَنَّ اللَّهَ وَاسِعُ الْعِلْمِ، وَأَنَّهُ مُحِيطٌ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا، فَلَا بَدَّ أَنْ يَحْمِلَهُ هَذَا الْعَقْدُ عَلَى الْإِسْتِقَامَةِ عَلَى أَمْرِ اللَّهِ، وَهَذِهِ مَسْأَلَةٌ تَغِيبُ عَنْ كَثِيرٍ مِنَ الَّذِينَ يَتَكَلَّمُونَ عَنْ صِفَاتِ اللَّهِ، فَتَجِدُهُمْ لَا يَتَكَلَّمُونَ عَمَّا يُثْبِتُهُ الْعَقْدُ بِالنِّسْبَةِ لِهَذِهِ الصِّفَةِ مِنَ الْأَحْوَالِ السَّلْوَكِيَّةِ، وَهَذِهِ مَهْمَةٌ؛ يَعْنِي: أَنْتَ إِذَا عَلِمْتَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ كُلَّ شَيْءٍ فَهَلْ تُضْمِرُ فِي قَلْبِكَ مَا يَخَالِفُ الْإِسْتِقَامَةَ؟

**الجواب:** لا.

وهل تفعل ما يخالف الاستقامة؟ وهل تقول ما يخالف الاستقامة؟

**الجواب:** لا، وهذه مسألة ينبغي للإنسان أن يجعلها على باله، أَنَّهُ لَيْسَ الْمَقْصُودُ أَنْ نَعْلَمَ مَا يَتَعَلَّقُ بِالْعَقِيدَةِ فَقَطْ مِنْ أَسْمَاءٍ وَصِفَاتٍ، بَلِ الْمَقْصُودُ مَعَ ذَلِكَ مَا يَتَرْتَبُ عَلَى هَذَا الْعَقْدِ مِنْ تَصْحِيحِ الْمَسْلُوكِ وَالْإِسْتِقَامَةِ عَلَى الْأَمْرِ.

أما حكم من أنكّر أن يكون الله عالمًا، فإنه كافرٌ، ولهذا قال الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ بِالنِّسْبَةِ لِلْقُدْرَةِ قَالَ: جَادِلُوهُمْ بِالْعِلْمِ، فَإِنْ أَقْرَبُوا بِهِ خُصْمُومًا، وَإِنْ أَنْكَرُوهُ كَفَرُوا<sup>(١)</sup>.

لأن القدرة يقولون: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يُقَدَّرْ عَمَلُ الْعَبْدِ، وَلَمْ يَسَأْ، وَلَيْسَ لَهُ عِلَاقَةٌ بِهِ. فقال: جَادِلُوهُمْ بِالْعِلْمِ أَي: اسْأَلُوهُمْ، هَلِ اللَّهُ عَالِمٌ بِأَعْمَالِ الْعِبَادِ أَوْ لَا؟

وإن قالوا: لا. فهم كفارٌ، وإن قالوا: نعم. فقد خُصِّمُوا، وَذَلِكَ بِأَنْ يُقَالَ: هَلْ وَقَعَتْ هَذِهِ عَلَى خِلَافِ مَعْلُومَةٍ أَوْ عَلَى وَفْقَةٍ؟ فَإِنْ قَالُوا: عَلَى خِلَافِ الْمَعْلُومِ، فَهَذَا هُوَ إِنْكَارُ الْعِلْمِ، وَإِنْ قَالُوا: عَلَى وَفْقَةٍ. فَهَذَا يُلْزِمُهُمْ أَنْ يَقُولُوا بِأَنَّهَا وَقَعَتْ بِمَشِئَتِهِ.

ثم ذكر المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ آيَاتٍ، فقال: «بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿عَلِمَ الْغَيْبُ فَلَا يَظْهَرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا﴾»، ﴿عَلِمَ الْغَيْبُ﴾ الْغَيْبُ مَا غَابَ عَنِ الْخَلْقِ، وَالْغَيْبُ يَنْقَسِمُ إِلَى قِسْمَيْنِ: غَيْبٌ مُطْلَقٌ لَا يَعْلَمُهُ الْخَلْقُ.

وغيبٌ مُقَيَّدٌ يَعْلَمُهُ بَعْضُ النَّاسِ دُونَ بَعْضٍ.

فمثلاً الذين في مكة الآن غائبون عنا، لكنهم هم في مكة ليست أحوالهم بغيبة.

**إذا:** هَذَا غَيْبٌ نَسْبِيٌّ.

فلو أن أحداً قال: إِنَّ مَكَانَ الْمَسْرُوقِ الَّذِي سُرِقَ مِنْكَ كَذَا وَكَذَا. يَعْنِي: عَيْنَ مَكَانِ الْمَسْرُوقِ



الذي سَرَقَهُ السَّارِقُ وَدَفَنَهُ فِيهِ، فَهَلْ نَقُولُ: هَذَا مِنْ عِلْمِ الْغَيْبِ؟

**الجواب:** بالنسبة لنا غَيْبٌ، لكن بالنسبة لمن شَهِدَ السَّارِقَ، وَهُوَ يَدْفِنُهُ لَا يَكُونُ غَيْبًا.

أَمَّا الْغَيْبُ الْمَطْلُوقُ فَهَذَا هُوَ الَّذِي يَخْتَصُّ اللَّهُ بِهِ، وَهُوَ الَّذِي يَغِيبُ عَنْ كُلِّ النَّاسِ؛ وَذَلِكَ مِثْلُ الْعِلْمِ بِالْمُسْتَقْبَلِ فَهَذَا غَيْبٌ، فَمَنْ ادَّعَى أَنَّهُ يَعْلَمُ مَا سَيَكُونُ غَدًا فَقَدْ ادَّعَى عِلْمَ الْغَيْبِ؛ لِأَنَّهُ مُسْتَقْبَلٌ، وَالْمُسْتَقْبَلُ مَجْهُولٌ لِكُلِّ النَّاسِ.

❦ يَقُولُ: ﴿فَلَا يَظْهَرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ (١). وَلَيْتَ الْمُؤَلَّفَ تَحَلَّلَهُ أَتَى بِآخِرِ الْآيَةِ؛ لِأَنَّهُ آخَرُهَا لَا بَدَأَ أَنْ يُذَكَّرَ، وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾ (٢). لِأَنَّ اللَّهَ أَظْهَرَ عَلَى غَيْبِهِ مَنْ أَظْهَرَ مِنَ الرِّسْلِ، فَالنَّبِيُّ ﷺ حَدَّثَنَا عَنْ أُمُورٍ غَيْبِيَّةٍ مُسْتَقْبَلَةٍ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ، وَمِنْ أَحْوَالِ الْقِيَامَةِ، فَلَيْتَ الْبُخَارِيُّ تَحَلَّلَهُ ذَكَرَ هَذَا الْإِسْتِثْنَاءَ؛ لِأَنَّهُ مُهِمٌّ.

❦ وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ عِلْمُ غَيْبِ السَّاعَةِ عِنْدَ اللَّهِ، حَتَّى إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ سَأَلَهُ جِبْرِيلُ عَنْهَا، فَقَالَ لَهُ: «مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ». فَأَفْضَلُ الرِّسْلِ مِنَ الْمَلَأَنَكَةِ لَا يَعْلَمُهَا، وَأَفْضَلُ الرِّسْلِ مِنَ الْآدَمِيِّينَ لَا يَعْلَمُهَا، وَمَنْ دُونَهُمْ مِنْ بَابِ أَوْلَى، فَمَنْ ادَّعَى عِلْمَ السَّاعَةِ، وَقَالَ: السَّاعَةُ سَتَقُومُ فِي السَّنَةِ الْفُلَانِيَّةِ. أَوْ فِي الشَّهْرِ الْفُلَانِيِّ فَإِنَّهُ مُكَذِّبٌ لِهَذِهِ الْآيَةِ، مُدْعٍ دَعْوَى بَاطِلَةً، وَيَكُونُ كَافِرًا.

وَالظَّاهِرُ أَنَّ الْمُؤَلَّفَ تَحَلَّلَهُ أَشَارَ إِلَى بَقِيَةِ الْآيَةِ: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مِمَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾. فَهَذِهِ الْخَمْسَةُ هِيَ مِفْتَاحُ الْغَيْبِ الْمَذْكُورَةِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ﴾ وَكَانَتْ هَذِهِ الْخَمْسَةُ مِفْتَاحُ الْغَيْبِ؛ لِأَنَّ ﴿السَّاعَةَ﴾ مِفْتَاحُ الْآخِرَةِ، وَتَنْزِيلُ الْغَيْثِ مِفْتَاحُ النَّبَاتِ، وَعِلْمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ مِفْتَاحُ الْجَنِينِ الَّذِي خَلَقَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي هَذَا الرَّحِمِ؛ يَعْنِي: مِفْتَاحَ حَيَاةِ الْإِنْسَانِ فِي الدُّنْيَا. وَ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مِمَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا﴾ مِفْتَاحُ الْعَمَلِ فِي الْمُسْتَقْبَلِ، وَ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ مِفْتَاحُ الْآخِرَةِ بِالنَّسْبَةِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنَ النَّاسِ.

فلهذا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ مِفْتَاحَ الْغَيْبِ خَمْسٌ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللَّهُ». وَذَكَرَ: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ...﴾ (٣).

وَقَالَ: ﴿وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ﴾ لِقَائِلِ أَنْ يَقُولَ كَيْفَ جَعَلَ اللَّهُ تَعَالَى تَنْزِيلَ الْغَيْثِ - وَهُوَ فِعْلٌ - وَفِي ظِلِّ الْمَعْلُومَاتِ الْغَيْبِيَّةِ؟ لَمْ يَقُلْ: وَيَعْلَمُ مَنْ يَنْزِلُ الْغَيْثُ

**الجواب:** أَنْ نَقُولَ: لِأَنَّ الْخَالِقَ لَا بَدَأَ أَنْ يَكُونَ عَالِمًا بِالْمَخْلُوقِ، فَإِذَا كَانَ هُوَ الَّذِي يَنْزِلُ الْغَيْثَ وَحْدَهُ، فَلَا أَحَدٌ يَعْلَمُ مَتَى يَنْزِلُ الْغَيْثُ؛ لِأَنَّ عِلْمَ نَزُولِ الْغَيْثِ عِنْدَ مَنْ يُنَزِّلُ الْغَيْثَ. لَكِنْ جَاءَتْ الْآيَةُ

(١) تقدم تخريجه.

(٢) تقدم تخريجه.

هكذا؛ لأنَّ إنزال المطر، الذي به الغيث، لا يكون أبداً إلا من الله ﷻ.

فإن قال قائل: ماذا نقول عن مَنْ يتكلمون الآن في الطقس، من أنه: سيكون غداً مطرٌ في الأرض الفلانية بعد الظهر أو في أول النهار، أو ما أشبه هذا؟

**فالجواب عن ذلك من وجهين:**

**الوجه الأول:** أن هذا مبنًى على أمر محسوس؛ فإنَّ الجوَّ يتغيَّر، ويتكيَّف على وجهٍ يُعْلَمُ بالآلاتِ الدقيقةِ أنه مهياً للمطر، أو غير مهياً، وإذا كان كذلك فليس من أمور الغيب.

**الوجه الثاني:** أن هذا الذي يقولونه قد يُخطئ كثيراً، ولو كان عِلْمٌ غيبٍ ما أخطأ؛ لأن العلم ليس فيه خطأ.

**الثالث قوله:** ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ﴾. أي: أرحام آدميين وغيرهم، فهو الذي يَعْلَمُهَا ﷻ.

فإذا قال قائل: وما هو مُتَعَلِّقُ العِلْمِ هل هو الذكورة، أو الأنوثة، أو أحوال هذا الجنين من كل وجه؟

**الجواب:** الثاني؛ لأنَّ أحوال الذكورة والأنوثة يَعْلَمُهَا غير الله ﷻ.

فالمَلَكُ الذي يُوكِّلُ بالجنين يَعْلَمُ هذا؛ لأنه يقول: يا ربِّ أَذْكَرُ أم أنثى؟ فيَقْضِي اللهُ ما شاء<sup>(١)</sup>.

**إذا:** فالمَلَكُ يَعْلَمُ بأنَّ ما في الرحم ذكرٌ أو أنثى قبل أن يخرج، ثمَّ إنَّ الأجهزةَ الحديثةَ في عَصْرِنَا يُمكنُ أن يَعْلَمَ بها الجنين أَذْكَرُ هو أم أنثى؟

**فنقول:** إذن مُتَعَلِّقُ العِلْمِ بالجنين ليس هو الذكورة والأنوثة؛ لأنَّ الذكورة والأنوثة إذا خُلِقَ الجنينُ فصار ذكراً أمكن العِلْمُ به، وكذلك إذا صار أنثى، ولكنَّ الجنينَ له متعلقاته الأخرى؛ مثل: هل هذا الجنينُ سيخرجُ حياً أو ميتاً؟ هل ستطولُ حياته إذا خرجَ حياً أو تقصرُ؟ وهل سيكونُ غنياً أو فقيراً؟ وهل سيكونُ عالماً أو جاهلاً، سيكونُ أميراً أو مأموراً؟ فمُتَعَلِّقَاتُ العِلْمِ بالنسبة للجنين كثيرة، فإذا قُدِّرَ أنَّ النَّاسَ عِلِمُوا أَنَّهُ ذَكَرٌ أو أنثى، فإنَّهم لا يَعْلَمُونَ بقيَّةَ مُتَعَلِّقَاتِ العِلْمِ الكثيرة التي لا يَعْلَمُهَا إلا اللهُ ﷻ.

**وقوله:** ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا﴾. تعبير القرآن ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ ولم يقل: ماذا تَعْمَلُ؛ لأنَّ الإنسانَ يُقَدِّرُ ماذا يعمل، يقول: سأسافرُ غداً، وسأذهبُ إلى الكلية، وسأختيرُ. وما أشبه ذلك، لكن هل يَدْرِي أن هذا يتحقَّق، ويكونُ كسباً له؟

**الجواب:** لا، فربَّما يكونُ هناك موانع تمنع من تحقيق ما أراد، فربَّما يفعل، لكن لا يكسبُ بفعله شيئاً، فالكسبُ غداً لا يعلمه إلا اللهُ ﷻ.

قوله تعالى: ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ حتَّى لو أنَّ الإنسانَ قرَّرَ أَنَّهُ لن يخرجَ من بلده، وكان اللهُ تعالى قد قَدَّرَ أن يموتَ في بلدٍ آخر، فلابدَّ أن يُقَدِّرَ اللهُ تعالى سبباً يَتَقَبَّلُ به إلى البلدِ الآخر، وإذا



كان لا يَعْلَمُ بِأَيِّ أَرْضٍ يَمُوتُ مع أَنَّهُ يُمَكِّنُهُ التَّنْقِيلُ فهو لا يَعْلَمُ في أَيِّ وَقْتٍ يَمُوتُ من بابِ أُولَى .  
وبالنسبة لتوقعاتِ خَبَرِاءِ الْأَرْضِ الجَوِيَّةِ عن حالِ الْجَوِّ، فلا يُعَدُّ ذلك مِنَ الرَّجْمِ بِالْغَيْبِ؛ فإنهم كثيراً ما  
يُصَيِّونَ، وهم يَعْتَمِدُونَ لا على الْغَيْبِ وَالتَّخْرُصِ، بل يَعْتَمِدُونَ على تَكْيِيفِ الْجَوِّ بواسطةِ آلاَتِ دَقِيقَةِ يَعْرِفُونَ بها،  
ولهذا لا تَجِدُهُمْ يَقُولُونَ مثلاً: بعدَ سنةٍ سَيَكُونُ مَطَرٌ. أو بعدَ شهرٍ. أو بعدَ أُسْبُوعٍ. بل هو مُحَدَّدٌ في الْوَقْتِ الَّذِي  
يَعْرِفُونَ به تَكْيِيفَ الْجَوِّ، كما أَنَّا نَحْنُ الْآنَ بِلا آلاَتِ إِذَا وَجَدْنَا أَنَّ السَّاءَ مُلَبَّدَةٌ بِالْغُيُومِ وَالرَّعْدِ وَالبَرَقِ نَتَوَقَّعُ أَنَّهُ يَنْزِلُ  
الْمَطَرُ.

❦ وقوله: ﴿وَأَنْزَلَهُ، يَعْلَمِهِ...﴾ الآية، والواو: من كلامِ الْمُؤَلِّفِ، فهي حرفُ عَطْفٍ، والتقديرُ:  
وقوله: ﴿أَنْزَلَهُ، يَعْلَمِهِ﴾. وهذه الآيةُ جُمْلَةٌ، وهذه الجُمْلَةُ جُمْلَةٌ من آيةٍ، وهي قوله تبارَكَ وتعالى:  
﴿لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ، يَعْلَمِهِ﴾، وَالْمَلَكُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿١﴾. فَبَيَّنَ اللَّهُ ﷻ  
أَنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَى مُحَمَّدٍ ﷺ، وَأَنَّهُ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ، وَعِلْمُهُ هُنَا يَحْتَمِلُ أَنْ تَكُونَ بِمَعْنَى اسْمِ  
المفعولِ؛ أَي: أَنْزَلَهُ بِمَعْلُومِهِ؛ أَي: بِمَا يَعْلَمُهُ ﷻ من أخبارٍ، وما يَحْكُمُ به من أحكامٍ.  
وَيَحْتَمِلُ أَنَّهُ مُصَدِّرٌ على حَقِيقَتِهِ، والمَعْنَى: أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَهُ، وهو عَالِمٌ به جَمْعاً، فَالْقُرْآنُ لَا شَكَّ أَنَّهُ  
نَزَلَ بِمَعْلُومَاتٍ كَثِيرَةٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَلَا شَكَّ أَنَّهُ نَزَلَ عَنْ عِلْمِ اللَّهِ ﷻ.

❦ وقوله: ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ﴾. ﴿مَا﴾ هُنَا نَافِيَةٌ، وَلَا يُمْكِنُ أَنْ تَكُونَ هُنَا  
شَرْطِيَّةً؛ لِأَنَّ الْفِعْلَ بَعْدَهَا مَرْفُوعٌ، وَلَوْ كَانَتْ شَرْطِيَّةً لَجُزِمَ، وَهِيَ نَافِيَةٌ أَيْضاً؛ لِأَنَّهُ وَقَعَ بَعْدَهَا  
﴿إِلَّا﴾.

❦ إذا: فقوله: ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ﴾. يَعْنِي: ابْتِدَاءَ الْحَمْلِ، وَحُلُولَ الْوَقْتِ، كُلُّ  
ذلك يَكُونُ بِعِلْمِ اللَّهِ ﷻ.

وهذه الآيةُ مما يُقْرَأُ به لِلْمَرْأَةِ إِذَا تَعَسَّرَتْ وَلَا دُثَّتْ، وَهِيَ مُفِيدَةٌ جَدًّا، فَإِذَا قَرَأَ الْإِنْسَانُ بِهَاءٍ، وَقَرَأَ  
هَذِهِ الْآيَةَ، وَقَرَأَ: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَنْفَالَهَا ﴿٢﴾ ﴿الْقُرْآنُ: ١-٢﴾. وَقَرَأَ: ﴿اللَّهُ  
يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى وَمَا تَضِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾. فَإِنَّهَا بِإِذْنِ اللَّهِ تَنْفَعُ،  
وَهِيَ تَشْرِبُهَا الْمَرْأَةُ وَيُمْسَحُ بِهَا عَلَى بَطْنِهَا، فَتَضَعُ بِسَهُولَةٍ.

❦ وقوله: ﴿إِلَّا بِعِلْمِهِ﴾. يَعْنِي: إِلَّا كَانَ ذَلِكَ صَادِرًا عَنْ عِلْمِ اللَّهِ ﷻ؛ لِأَنَّ حَمْلَهَا وَوَضْعَهَا مِنْ  
خَلْقِ اللَّهِ، وَاللَّهُ ﷻ يَقُولُ: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِلَيْهِ يَرْدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾.  
فهو إِلَى اللَّهِ، لَا إِلَى غَيْرِهِ، ﴿إِلَيْهِ يَرْدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ وهذا شَيْءٌ مَعْلُومٌ بِالْقُرْآنِ وَالسُّنَنِ وَالْإِجْمَاعِ أَنَّهُ لَا  
أَحَدٌ يَعْلَمُ مَتَى تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا اللَّهُ ﷻ.

❦ وقوله: «وقال يحيى هو الفراء: الظاهرُ على كُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا، وَالباطنُ على كُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا».   
يُشِيرُ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْحَدِيدِ: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾ ﴿الْقُرْآنُ: ٢٣﴾. فَهَذِهِ أَرْبَعَةُ أَسْمَاءٍ  
اسْتَوْعَبَتِ الْأَزْمِنَةَ وَالْأَمَكِنَةَ.

فقوله: ﴿الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ﴾ هذا بالنسبة للزمان، فهو:

الأول الذي ليس قبله شيء، والآخر الذي ليس بعده شيء.

وقوله: ﴿وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾. فهو الظاهر العالي على كل شيء، فإنَّ الظهور هنا بمعنى العلو، ومنه قوله تعالى: ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ [التكوير: ٢٣]. أي: ليُعلِّيه.

وقول القراء: إنَّ المراد به العلم. نقول: نعم هو ظاهر؛ أي: عالٍ، ومع ذلك فهو عالم بكل شيء، والباطن هو المحيط بكل شيء؛ الذي يعلم بواطن الأمور، فهو مع علوه محيط بكل شيء.

وليس المعنى أنه في كل شيء؛ لأنَّ هذا مذهب الحلولية من الجهمية وغيرهم، بل المعنى: الذي لا يخفى عليه ما بطن وما خفي.

فهذه الآيات كما ترؤن فيها إثبات علم الله ﷻ.

وقول النبي ﷺ: «وأنت الباطن فليس دونك شيء»<sup>(١)</sup>. يعني: لا يحول دونك شيء، فكل شيء عليه سلطانك وعلمك وقدرتك، فمع علوك لا يخفى عليك شيء، فأنت باطن؛ أي: عالم بواطن الأمور لا يحول دونك شيء.

أمَّا البشر فيحول دونهم الجدار، ويحول دونهم الشجر، ويحول دونهم الغبار، فهناك موانع لا يدركون بها ما وراءها، والرب ﷻ لا يحول دونه شيء.

ومن بعض ما يتعلق بصفة العلم:

**أولاً:** من حيث العموم: فالله عليم بكل شيء جُمْلَةً وتفصيلاً، ومن ذلك علمه بما يتعلّق بأعمال العبد.

**ثانياً:** علم الله أزلي أبدي، ومعنى قولنا: أزلي. سابق؛ يعني: يعلم كل شيء سبق، والأبدي في المستقبل.

كذلك فعلم الله لم يسبق بهل، ولا يعتره نسيان؛ بدليل قوله تعالى: ﴿قَالَ عَلَّمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾ [التكوير: ٥٢]. ولم يُنكَر أحدٌ - فيما نعلم - أن الله تعالى يعلم كل شيء إلا غلاة القدرية؛ فإنهم أنكروا علم الله بما يفعل الخلق، وقالوا: إنَّ الله لا يعلم ما يفعله الخلق إلا بعد وقوعه، فلا يعلمها علم غيب، وإنَّا نعلمها علم مشاهدة؛ فإذا وقع علم الله به، أمّا قبل ذلك فلا يعلمه، ولكن شيخ الإسلام رحمه الله قال: إنَّ هذا قول غلاة القدرية قديماً ومُنكروه اليوم قليل؛<sup>(٢)</sup> أي: في زمنه رحمه الله - فمُنكرو درجة العلم والكتابة في زمن شيخ الإسلام كانوا قليلين.

وشبهة القدرية أنهم يقولون: إنَّ الإنسان مُستقل بعمله استقلالاً تاماً، ولهذا يُسمون مجوس هذه الأمة<sup>(٣)</sup>، حيث جعلوا للحوادث خالقين، فالحوادث التي هي من فعل الله خلقها الله، والتي هي من

(١) أخرجه مسلم (٢٧١٣) من حديث أبي هريرة

(٢) انظر: «مجموع فتاوى شيخ الإسلام» (١١١، ١٠٤/٢٠).

وانظر: بحث المسألة بالتفصيل في «تحقيق مسألة علم الله» لشيخ الإسلام (١٧٨/١).

(٣) وردت تسميتهم بهذا في حديث مرفوع، رواه أحمد (٨٦/٢) (٥٥٨٤)، وأبو داود (٤٦٩١)، وابن ماجه (٩٢)



فَعَلَ الْعَبْدُ، خَلَقَهَا الْعَبْدُ يَقُولُونَ: إِنْ تَعَلَّقَ عِلْمُ اللَّهِ تَعَالَى بِفَعْلِ الْعَبْدِ كَتَعَلَّقَ عِلْمُ زَيْدٍ بِفَعْلِ عَمْرٍو. وَكُلُّ مَا ثَبَتَ فِي الْقُرْآنِ أَوْ صَحِيحِ السَّنَةِ إِذَا أَنْكَرَهُ الْإِنْسَانُ إِنْكَارَ جُحُودٍ فَهُوَ كَافِرٌ، وَالْعِلَّةُ فِي ذَلِكَ التَّكْذِيبُ لِمَا أَخْبَرَ اللَّهُ بِهِ.



ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٣٧٩- حَدَّثَنَا خَالِدُ بْنُ مَخْلَدٍ حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ بِلَالٍ حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ دِينَارٍ عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ خَمْسٌ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللَّهُ لَا يَعْلَمُ مَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ إِلَّا اللَّهُ وَلَا يَعْلَمُ مَا فِي عِدِّ إِلَّا اللَّهُ وَلَا يَعْلَمُ مَتَى يَأْتِي الْمَطَرُ أَحَدٌ إِلَّا اللَّهُ وَلَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِلَّا اللَّهُ وَلَا يَعْلَمُ مَتَى تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا اللَّهُ».

وَقَدْ سَبَقَ الْكَلَامُ عَلَى هَذَا الْحَدِيثِ.

❦ قَوْلُهُ: «وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ» فَمَعْنَاهُ: تَنْقُصُ؛ بِدَلِيلِ قَوْلِهِ: «وَمَا تَزْدَادُ» وَقَدْ مَرَّ عَلَيْنَا فِي قَوَاعِدِ النَّفْسِ أَنَّهُ قَدْ يُعْرَفُ تَفْسِيرُ الْكَلِمَةِ بِذِكْرِ مَا يُقَابَلُهَا، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: «فَأَنْفِرُوا ثُبَاتٍ أَوْ أَنْفِرُوا جَمِيعًا» [النِّسَاءُ: ٧١]، فَقَوْلُهُ: «ثُبَاتٍ» مَعْنَاهُ فُرَادَى؛ لِأَنَّ اللَّهَ قَابَلَهَا بِقَوْلِهِ: «جَمِيعًا». وَقَوْلُهُ: «وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ» تَغِيضُ: تَنْقُصُ، وَتَزْدَادُ: تَزِيدُ.

وَتَغِيضُ الْأَرْحَامُ هُنَا هَلِ الْمَرَادُ مَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ عَنِ الْمُدَّةِ الْمَعْلُومَةِ عَادَةً، بِحَيْثُ يُوَلَّدُ الْجَنِينُ قَبْلَ تِمَامِ تِسْعَةِ أَشْهُرٍ الَّتِي هِيَ غَالِبُ مُدَّةِ الْحَمْلِ، وَمَا تَزْدَادُ عَنْ تِسْعَةِ أَشْهُرٍ، أَوِ الْمَرَادُ مَا تَزْدَادُ عَدَدًا أَوْ تَنْقُصُ عَدَدًا حَيْثُ يَكُونُ وَاحِدًا فِي الْبَطْنِ، أَوْ اثْنَانِ، أَوْ ثَلَاثَةٌ، أَوْ يَكُونُ الْمَرَادُ الْأَمْرَيْنِ جَمِيعًا؟ الْأَمْرَانِ جَمِيعًا؛ لِأَنَّ الْقَاعِدَةَ فِي التَّفْسِيرِ أَنَّهُ مَتَى احْتَمَلَتِ الْآيَةُ مَعْنَيْنِ فَأَكْثَرُ، وَلَا مَنَافَةَ بَيْنَهُمَا، فَإِنَّهَا تُحْمَلُ عَلَى الْجَمِيعِ.



ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٣٨٠- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ عَنْ إِسْمَاعِيلَ، عَنِ الشَّعْبِيِّ، عَنْ مَسْرُوقٍ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: مَنْ حَدَّثَكَ أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ رَأَى رَبَّهُ فَقَدْ كَذَبَ وَهُوَ يَقُولُ: «لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ» [الْأَنْعَامُ: ١٠٣]. وَمَنْ حَدَّثَكَ أَنَّهُ يَعْلَمُ الْغَيْبَ فَقَدْ كَذَبَ، وَهُوَ يَقُولُ: «قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَتَّبِعُونَ إِلَّا أَنْبَاءَ مَا يَنْشِئُ اللَّهُ شَاءً» [النِّسَاءُ: ٦٥]. لَا يَعْلَمُ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ». الشَّاهِدُ مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ: قَوْلُهُ: «وَهُوَ يَقُولُ: لَا يَعْلَمُ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ»<sup>(١)</sup>.

وَقَالَ الشَّيْخُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي تَعْلِيْقِهِ عَلَى «سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ»: حَسَنٌ

(١) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (١٧٧).

أما الحديث فتقول عائشة رضي الله عنها عَائِشَةُ فَتَقُولُ عَائِشَةُ رضي الله عنها الْمَسْرُوقِ: مَنْ حَدَّثَكَ أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ رَأَى رَبَّهُ فَقَدْ كَذَبَ، وَهُوَ يَقُولُ - أَيْ: اللَّهُ ﷻ -: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾.

ولا شك أَنَّ عائشة رضي الله عنها فِي هَذَا الاستدلالِ لَمْ تُصِبْ؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾. وَلَمْ يَقُلْ: لَا تَرَاهُ الْأَبْصَارُ، وَلِهَذَا جَعَلَ عُلَمَاءُ أَهْلِ السُّنَّةِ هَذِهِ الْآيَةَ مِنَ الْأَدْلَةِ عَلَى ثُبُوتِ رُؤْيَا اللَّهِ.

وَوَجْهُ ذَلِكَ: أَنَّ نَفْيَ الْأَخْصِ يَدُلُّ عَلَى وَجُودِ الْأَعْمِ، فَلَمَّا قَالَ: ﴿لَا تُدْرِكُهُ﴾ عَلِمْنَا أَنَّهَا تَرَاهُ، وَلَكِنْ لَا تُدْرِكُهُ، وَلَوْ كَانَ الْمَرَادُ نَفْيَ الرُّؤْيَا لَقَالَ: لَا تَرَاهُ الْأَبْصَارُ.

وَلَكِنْ هِيَ رضي الله عنها لَوْ اسْتَدَلَّتْ بِقَوْلِ الرَّسُولِ ﷺ: «وَعَلِمُوا أَنْكُمْ لَنْ تَرَوْا رَبَّكُمْ حَتَّى تَمُوتُوا» <sup>(١)</sup> - كَمَا جَاءَ ذَلِكَ فِي حَدِيثِ الدَّجَالِ، حَيْثُ يَدَّعِي الدَّجَالُ أَنَّهُ الرَّبُّ - لَكَانَ هَذَا أَصَحَّ مِنْ اسْتِدْلَالِهَا بِالْآيَةِ. وَهَذِهِ الْمَسْأَلَةُ اخْتَلَفَ فِيهَا الْعُلَمَاءُ: هَلِ النَّبِيُّ ﷺ رَأَى رَبَّهُ - يَعْْنِي: فِي الدُّنْيَا - أَمْ لَمْ يَرَهُ؟ فَقِيلَ: إِنَّهُ رَأَاهُ. وَمِمَّنْ قَالَ ذَلِكَ: ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنه فِي الْمَشْهُورِ <sup>(٢)</sup> أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَأَى رَبَّهُ. أَمَّا عَائِشَةُ فَكَانَتْ تُنْكِرُ ذَلِكَ، كَمَا مَرَّ.

وَهَذَا فِي الْيَقِظَةِ، أَمَّا فِي الْمَنَامِ فَقَدْ رَأَى رَبَّهُ، كَمَا فِي حَدِيثِ اخْتِصَامِ الْمَلَأِ الْأَعْلَى <sup>(٣)</sup>، وَهُوَ حَدِيثٌ مَشْهُورٌ سَرَّحَهُ زَيْنُ الدِّينِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنُ رَجَبٍ رحمته الله <sup>(٤)</sup>.

وَالصَّحِيحُ: أَنَّهُ لَمْ يَرْ رَبَّهُ؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَفَسَهُ سُئِلَ: هَلِ رَأَيْتَ رَبَّكَ؟ فَقَالَ: «رَأَيْتُ نُورًا» <sup>(٥)</sup>. وَفِي رِوَايَةٍ: «نُورٌ آتَانِي أَرَاهُ» <sup>(٦)</sup>. يَعْْنِي: بَنِي وَبَيْنَهُ نُورٌ، فَكَيْفَ أَرَاهُ؟! وَهَذَا كَلَامُ النَّبِيِّ ﷺ. وَلَكِنْ إِذَا قَالَ قَائِلٌ: كَيْفَ نَجْمَعُ بَيْنَ هَذَا الْحَدِيثِ الَّذِي حَدَّثَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ عَنْ نَفْسِهِ، وَبَيْنَ قَوْلِ ابْنِ عَبَّاسٍ؟

فَالْجَوَابُ عَنْ شَيْخِ الْإِسْلَامِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ، قَالَ رحمته الله: إِنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ لَمْ يُصْرِّحْ بِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَأَى

(١) رواه أحمد في «مسنده» (٣٢٤ / ٥) (٢٢٨٦٤)، وابن أبي عاصم في «السنن» (٤٢٨)، والبخاري في «مسنده» (٢٦٨١)، والنسائي في «الكبرى» (٧٧٦٤)، والأجري في «الشرعية» (ص ٣٧٥)، من طرق، عن بقية بن الوليد، وهو كثير التدليس عن «الضعفاء»، كما في «التقريب» (٧٣٤).

(٢) أخرجه ابن خزيمة في «التوحيد» (ص ٢٠١).

وقال الشيخ الألباني في «تعليقه على العقيدة الطحاوية» (ص ١٩٧): ضعيف، أخرجه ابن خزيمة في التوحيد بالفاظ مضطربة عنه موقوفًا.

(٣) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٣٦٨ / ١) (٣٣٨٤)، والترمذي (٣٢٣٣)، وصححه الشيخ الألباني، كما في تعليقه على «سنن الترمذي».

(٤) شرحه رحمته الله في رسالة مستقلة بعنوان: «اختيار الأولى في شرح حديث اختصام الملأ الأعلى»، وهي مطبوعة ضمن مجموعة من الرسائل له رحمته الله، طبعها دار الفاروق في مصر في أربعة مجلدات.

(٥) رواه مسلم (١٧٨).

(٦) انظر التعليق السابق.



رَبِّهِ <sup>(١)</sup> بَعَيْنِي رَأَيْهِ، بَلْ قَالَ: رَأَى رَبَّهُ. لَكِنْ مَا قَالَ: بَعَيْنُهُ فَتَحْمَلُ الرُّؤْيَا الَّتِي فِي قَوْلِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَى أَنَّ الْمَرَادَ بِذَلِكَ رُؤْيَا الْيَقِينِ.

وهذا وإن كان خلاف الظاهر، لكن لِئَلَّا يُظَنَّ بِابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ يُخَالِفُ مَا حَدَّثَ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ نَفْسِهِ، مِنْ أَنَّهُ لَمْ يَرِ اللَّهَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ومعلوم أن رؤية الله في الدنيا لا تُمكن؛ لأنَّ الإنسان لا يَسْتَطِيعُ ذلك، ولا يقوى على هذه الرؤية أبداً، والدليل على هذا أن موسى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: ﴿رَبِّ أَوْفِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَنِي﴾ [الأنعام: ١٤٣]. يعني: لا يمكن أن تراني ﴿وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنَّ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ سَوَفَ تَرَنِي﴾ فَعَلَقَ. رُؤْيَا بَشِيءٍ مُسْتَحِيلٍ، وَتَجَلَّى اللَّهُ لِلْجَبَلِ فَجَعَلَهُ دَكًّا، فَبَجَرِدَ مَا تَجَلَّى اللَّهُ لِلْجَبَلِ، اُنْذَكَ وَلَمْ يَسْتَقَرَّ مَكَانَهُ.

فَرَأَى مُوسَى مَنْظَرًا أَفْزَعَهُ، فَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا ﴿فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَنَكَ ثَبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾. فَمُوسَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَسْأَلِ اللَّهَ رُؤْيَا شَكًّا فِي الْأَمْرِ، لَكِنْ تَلَذُّذًا بِرُؤْيَا اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِقُوَّةِ مُحَبَّتِهِ اللَّهُ سَأَلَ اللَّهَ أَنْ يُرِيَهُ نَفْسَهُ ﴿قَالَ رَبِّ أَوْفِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾. فَلَمَّا كَانَتْ الرُّؤْيَا مُتَعَدِّرَةً إِلَى هَذَا الْحَدِّ وَصَعَ وَأَفَاقَ قَالَ: ﴿سُبْحَنَكَ﴾. أَي: تَنْزِيهَا لَكَ أَنْ تُدْرِكَكَ الْأَبْصَارُ، أَوْ أَنْ تَرَكَ الْأَبْصَارُ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا.

﴿ثَبْتُ إِلَيْكَ﴾ ثَبْتُ إِلَيْكَ؛ أَي: مِنْ سَوَالِ الرُّؤْيَا؛ لِأَنَّهُ سَأَلَ مَا لَا يُمكنُ فِي الدُّنْيَا. ﴿سُبْحَنَكَ ثَبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾؛ يعني: أَنِّي لَمْ أَسْأَلْ شَكًّا، بَلْ أَنَا مُؤْمِنٌ، فَهُوَ سَأَلَ رَبَّهُ أَنْ يَرَاهُ تَلَذُّذًا بِرُؤْيَا؛ لِأَنَّ نَعَمَ شَيْءٍ وَأَكْبَرَ نَعِيمٍ وَأَكْبَرَ فَوْزٍ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ هُوَ أَنْ يَرَوْا اللَّهَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وبالمناسبة يقولون: إِنَّ الزَّمَخْشَرِيَّ صَاحِبَ التفسير المشهور الجيد الذي كان مَنْ بَعْدَهُ عِبَالًا عَلَيْهِ -وهو مِنَ الْمُعْتَزَلَةِ- ويقولُ عَنْهُ الْبَلْقِينِيُّ: إِنِّي اسْتَخَرْتُ مِنْ هَذَا التفسيرِ اعْتِزَالِيَّاتٍ بِالْمُنَاقِشِ <sup>(١)</sup>، وَالَّذِي يُؤْخَذُ بِالْمُنَاقِشِ خَفِيٌّ جَدًّا، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ عَلَى هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿فَمَنْ زُحِرَ عَنِ الْكَارِ وَأَدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ [التوبة: ١٨٥]. قَالَ: أَيُّ فَوْزٍ أَعْظَمُ مِنْ هَذَا؛ أَنْ يُزْحَرَ عَنِ النَّارِ، وَيُدْخَلَ الْجَنَّةَ.

وهذا الكلام إذا قرأه الإنسان يقول: صحيح، أَيُّ فَوْزٍ أَعْظَمُ مِنْ أَنْ يُزْحَرَ الْإِنْسَانُ عَنِ النَّارِ وَيُدْخَلَ الْجَنَّةَ. لَكِنَّهُ يُرِيدُ بِذَلِكَ نَفْيَ رُؤْيَا اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْجَنَّةِ؛ لِأَنَّ رُؤْيَا اللَّهِ فِي الْجَنَّةِ أَشَدُّ فَوْزًا مِنْ أَنْ يُزْحَرَ عَنِ النَّارِ وَيُدْخَلَ الْجَنَّةَ.

فَتَأَمَّلْ كَيْفَ يَتَكَلَّمُ هَؤُلَاءِ الْأَذْيَاءُ بِمِثْلِ هَذَا الْكَلَامِ الَّذِي لَا يُدْرِكُهُ إِلَّا مَنْ عَرَفَ مَذْهَبَهُ وَعَقِيدَتَهُ، وَأَنَا لَوْ قَرَأْتُ هَذَا الْكَلَامَ فِي تَفْسِيرِ ابْنِ كَثِيرٍ مِثْلًا، فَإِنِّي لَا أَظُنُّ، بِهِ هَذَا الظَّنَّ بَلْ أَقُولُ: إِذَا دَخَلَ الْجَنَّةَ فَمِنْ نَعِيمِ الْجَنَّةِ أَنْ يَرَى اللَّهَ، لَكِنْ لَمَّا كَانَ هَذَا الرَّجُلُ قَدْ عَلِمَ أَنَّهُ يُنْكِرُ الرُّؤْيَا لِلَّهِ فِي الْآخِرَةِ، صَارَ هَذَا

(١) انظر: «مجموع فتاوى شيخ الإسلام» (٢/ ٢٣٠).

(٢) انظر: «الاتقان» (٢/ ٥٠١)، و«كشف الظنون» (١/ ٤٣١)، و«أبجد العلوم» (٢/ ١٨٢).

الكلام إشارة إلى أنه لا رؤية.

فالحاصل أننا نقول:

**أولاً:** إن عائشة رضي الله عنها استدلَّت على نفي رؤية النبي ﷺ بالآية، وهذا الاستلال غير صحيح؛ لأن هذه الآية استدل بها السلف على أن الله يرى في الآخرة.

**ثانياً:** نقول: «ومن حدَّثك أنه يعلم الغيب فقد كَذَبَ». وهذا صحيح؛ لأن الله يقول: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]. فليست على هذا اللفظ، ولكنها ذكرت جزءاً من الآية يدل على بعضها.

فالحاصل: أن الذي يُحدِّثك أنه يعلم الغيب، فإنه كاذب، ولا يكفي أن نقول: إنه كاذب، بل نقول: إنه كافر. ولهذا قال النبي ﷺ: «مَنْ أَتَى كَاهِنًا أَوْ عَرَّافًا، فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ، فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ».

**وقولها:** «وهو يقول: لا يعلم الغيب إلا الله». يَحْتَمِلُ أن المراد بقولها: وهو أي: الله أو الرسول، لكن على كل حال، هي ذكرت هذا بالمعنى.

\*\*\*

**ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:**

**٥- باب قول الله تعالى ﴿أَسْلَمْتُ الْمُؤْمِنُ﴾ [البقرة: ٢٣].**

نحن إذا نظرنا إلى صنيع البخاري رحمته الله في كتاب التوحيد وجدنا أنه يُصدِّر غالباً الأبواب بآيات من القرآن؛ وذلك لأن من المبتدعة من يقول: لا نقبل من أدلة الصفات إلا ما كان متواتراً، ولا نقبل أخبار الأحاد.

فأراد رحمته الله أن يُعزِّز أخبار الأحاد.

التي يسوقها في الكتاب بآيات من القرآن؛ لئلا يبقى عذر لمن ردَّ هذه الأسماء أو الصفات، وهذا من فقهه رحمته الله؛ لأن المبتدعة الذين يُحكِّمون العقل، ويقلِّقون عقيدتهم في الله من عقولهم، يقولون: لا نقبل أخبار الأحاد في باب الصفات؛ لأن خبر الأحاد لا يُفيد إلا الظن، والعقيدة يجب أن تكون مبنية على اليقين.

وقد ردَّ ابن القيم رحمته الله هذه القاعدة الباطلة بوجوه كثيرة في «الصواعق المرسلية على غزو الجهمية والمعتلة»، وهي جدرة بأن تكون مردودة.

(١) رواه أحمد (٤٢٩/٢) (٩٥٣٦)، والحاكم (٨/١) وصححه العراقي في أماليه «الفيض» (٢٣/٦)، والحافظ في

«الفتح» (٢١٧/١٠).

(٢) «مختصر الصواعق المرسلية» ص ٥٤٤.



والعجبُ أن هؤلاء يَقْبَلُونَ ما يُؤَلِّفُهُ مشايخهم، ويصلُّ إليهم مِنْ طريقه على وجهِ الأحادِ، وَيَعْتَقِدُونَ ما قاله شيوخُهم، مع أنَّها جاءت عن غيرِ معصومٍ وبخبرِ أحاديٍّ، وهذا مِمَّا يَدُلُّ على أنَّهم مُتَنَاقِضُونَ.

❦ قوله: «باب قول الله تعالى: ﴿السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ﴾». السَّلَامُ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ، والمُؤْمِنُ كذلك مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ، والسَّلَامُ في الأصلِ اسْمُ مُصَدِّرٍ «سَلَّمَ»، والمَصْدَرُ تَسْلِيمٌ، واسْمُ المَصْدَرِ عند علماء النحويِّ هو ما كان بمعنى المصدرِ، وَلَمْ يَتَضَمَّنْ حروفَ المصدرِ، مثل: كلام: اسْمُ مصدرٍ كَلَّمَ، وسلام: اسْمُ مصدرٍ سَلَّمَ.

فما معنى السَّلَام الذي هو اسمٌ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ؟

❦ قوله: «السَّلَامُ»: قلنا: إِنَّه اسمُ مصدرٍ، فيكونُ الوصفُ به مِنْ بابِ المبالغةِ، أن الله ﷻ سَلَامٌ؛ أي: سَلِمَ مِنْ كُلِّ عَيْبٍ ونَقْصٍ فحِثَّاته ليس فيها نَقْصٌ، ولا عَيْبٌ، وعِلْمُهُ ليس فيه نَقْصٌ ولا عَيْبٌ، وقدرته ليس فيها نَقْصٌ ولا عَيْبٌ، وسَمْعُهُ ليس فيه نَقْصٌ ولا عَيْبٌ، وبَصَرُهُ ليس فيه نَقْصٌ ولا عَيْبٌ، وهَلَمْ جَرًّا.

كُلُّ أَسْمَائِهِ وصفاته ليس فيها نَقْصٌ ولا عَيْبٌ.

أما الْمُؤْمِنُ فهو مُشْتَقٌّ مِنَ الإِيْمَانِ وَمِنَ الْأَمْنِ؛ أي: أن الفعلَ آمَنَ أو آمَنَ، ومعنى الْمُؤْمِنِ: الْمُصَدِّقُ بِرُسُلِهِ بما جاءوا به، قال الله تعالى: ﴿لَيْكِنَ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ﴾ [التكْوِيْن: ١٦٦]. وهذا تصديقٌ لما جاء به الرسول ﷺ، والآياتُ في هذا المعنى كثيرةٌ، ومنها: ﴿يَتَأْهَلُ الْكِتَابُ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ﴾ [التكْوِيْن: ١١٥]. ﴿يَتَأْهَلُ الْكِتَابُ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ﴾ [التكْوِيْن: ١١٩]. ﴿يَتَأْيِيهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ [الاحْقَاف: ٤٥]. والآياتُ في هذا كثيرةٌ.

فهو ﷺ مُصَدِّقٌ بِرُسُلِهِ، ومُؤْمِنٌ أَيْضًا بِمَعْنَى مُؤْمِنٌ؛ أي: يُؤْمِنُ مَنْ يَسْتَحِقُّ الْأَمَانَ، وهو الْمُؤْمِنُ، فالْمُؤْمِنُ له الْأَمْنُ مِنَ اللَّهِ، وقال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [الاحْقَاف: ٨٢].

إِذَا: فالْمُؤْمِنُ لها مَعْنَيَانِ؛ وهما: مُؤْمِنٌ بِمَعْنَى مُصَدِّقٍ لِرُسُلِهِ، ومُؤْمِنٌ بِمَعْنَى مَنْ يَسْتَحِقُّ الْأَمَانَ.

وقولنا: إِنَّه مُصَدِّقٌ رُسُلَهُ، وكذلك مُصَدِّقٌ لغيرِ الرسلِ مِمَّنْ شَهِدَ اللَّهُ لَهُم بالصدقِ، حينَ قال الله تبارك وتعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [التكْوِيْن: ١٧٧].



ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٣٨١- حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ يُونُسَ حَدَّثَنَا زُهَيْرٌ حَدَّثَنَا مُغِيرَةُ حَدَّثَنَا شَيْقُ بْنُ سَلَمَةَ قَالَ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ كُنَّا نَصَلِّي خَلْفَ النَّبِيِّ ﷺ فَتَقُولُ السَّلَامُ عَلَى اللَّهِ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّلَامُ وَلَكِنْ قُولُوا التَّحِيَّاتُ لِلَّهِ وَالصَّلَوَاتُ وَالطَّيِّبَاتُ السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ السَّلَامُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ

وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ<sup>(١)</sup>

من حُسْنِ تَعْلِيمِ الرَّسُولِ ﷺ أَنَّهُ لَمَّا ذَكَرَ الْمَمْنُوعَ ذَكَرَ الْمَشْرُوعَ، فَقَدْ كَانُوا يَقُولُونَ: السَّلَامُ عَلَى اللَّهِ. وَهِيَ تَحِيَّةٌ، فُسِّلَ مُنْ عَلَى اللَّهِ، وَهَذِهِ الْكَلِمَةُ لَا تَقَالُ لِمَنْ لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَلْحَقَهُ نَقْصٌ؛ لِأَنَّ السَّلَامَ إِنَّمَا يُدْعَى بِهِ لِمَنْ يَلْحَقُهُ النَّقْصُ.

أَمَّا مَنْ هُوَ مُتَّزِعٌ عَنْ ذَلِكَ ﷺ فَإِنَّهُ لَا يُقَالُ لَهُ: السَّلَامُ عَلَيْكَ. وَلِهَذَا أَبَدَلَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ هَذِهِ الْكَلِمَةِ غَيْرَهَا فَأَمَرَهُمْ أَنْ يَقُولُوا: التَّحِيَّاتُ لِلَّهِ. بَدَلُ: السَّلَامِ عَلَى اللَّهِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ ﷻ كَامِلٌ مِنْ كُلِّ وَجْهِ، فَلَا يَحْتَاجُ أَنْ يُدْعَى لَهُ بِالسَّلَامِ.

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّلَامُ». فَبَدَأَ بِالتَّعْلِيلِ قَبْلَ الْحُكْمِ، مِنْ أَجْلِ أَنْ يَرِدَ الْحُكْمُ عَلَى النَّفْسِ، وَهِيَ مُطْمَئِنَّةٌ بِمَا ذُكِرَ لَهَا مِنَ الْعِلَّةِ. ثُمَّ ذَكَرَ مَا يَقُولُونَ هُوَ: «التَّحِيَّاتُ لِلَّهِ وَالصَّلَوَاتُ وَالطَّيِّبَاتُ»، السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، السَّلَامُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

❖ قَوْلُهُ: «التَّحِيَّاتُ لِلَّهِ». اللَّامُ هُنَا لِلْاِخْتِصَاصِ وَالِاسْتِحْقَاقِ، وَالتَّحِيَّاتُ جَمْعُ تَحِيَّةٍ، وَهِيَ كُلُّ لَفْظٍ يَدُلُّ عَلَى التَّعْظِيمِ، وَجُمِعَتْ بِاعْتِبَارِ أَنْوَاعِهَا وَأَجْنَاسِهَا؛ أَيُّ: كُلِّ جِنْسٍ وَنَوْعٍ يَدُلُّ عَلَى التَّعْظِيمِ، فَإِنَّهُ خَاصٌّ بِاللَّهِ، وَمُسْتَحَقٌّ لِلَّهِ ﷻ؛ لِأَنَّهُ أَهْلٌ لِأَنْ يُعْظَمَ ﷻ.

❖ وَقَوْلُهُ: «وَالصَّلَوَاتُ». يَعْنِي: الصَّلَوَاتُ لِلَّهِ.

❖ قَوْلُهُ: «وَالطَّيِّبَاتُ». يَعْنِي: الطَّيِّبَاتُ لِلَّهِ.

وَالصَّلَوَاتُ الَّتِي هِيَ اللَّهُ هِيَ الْعِبَادَةُ الْمَعْرُوفَةُ، وَقِيلَ: الدُّعَاءُ. وَعَلَى هَذَا الْقَوْلِ يَكُونُ مَحْمُولًا عَلَى الصَّلَاةِ لُغَةً، وَالصَّلَاةِ شَرْعًا، وَلَا مَانِعَ مِنْ أَنْ يُقَالَ: إِنَّهُ يُعْمَدُ الصَّلَوَاتِ الَّتِي هِيَ الدُّعَاءُ، وَالصَّلَوَاتِ الَّتِي هِيَ الْعِبَادَةُ الْمَعْرُوفَةُ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ أَعَمُّ.

❖ وَقَوْلُهُ: «الطَّيِّبَاتُ». يَعْنِي: الْأَوْصَافَ الطَّيِّبَاتِ لِلَّهِ، وَالْأَعْمَالَ الطَّيِّبَاتِ لِلَّهِ، فَاللَّهُ ﷻ طَيِّبٌ، وَلَا يَقْبَلُ إِلَّا الطَّيِّبَ، فَكُلُّ طَيِّبٍ مِنَ الْأَعْمَالِ لِلَّهِ، وَكُلُّ خَيْرٍ مِنَ الْأَعْمَالِ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبَلُهُ، وَكُلُّ وَضْفٍ طَيِّبٍ فَهُوَ اللَّهُ ﷻ.

إِذَا: «الطَّيِّبَاتُ» هُنَا وَضْفٌ لِأَوْصَافِ اللَّهِ، وَوَضْفٌ لِلْأَعْمَالِ الَّتِي تُفْعَلُ لِلَّهِ، فَكَوْنُهَا وَضْفًا لِأَوْصَافِ اللَّهِ؛ يَعْنِي: لَهُ كُلُّ صِفَةٍ طَيِّبَةٍ، وَكَوْنُهَا وَضْفًا لِلْأَعْمَالِ الَّتِي تُفْعَلُ لِلَّهِ، فَهُوَ لَا يَقْبَلُ سُبْحَانَهُ إِلَّا الطَّيِّبَ. وَلِهَذَا اسْتَخْصِرَ عِنْدَمَا تَقْرَأُ هَذَا فِي الصَّلَاةِ، أَنَّكَ إِذَا قُلْتَ: الطَّيِّبَاتُ. يَعْنِي: أَنَّهُ سُبْحَانَهُ ذُو الْأَوْصَافِ الطَّيِّبَاتِ، وَأَنَّهُ الَّذِي لَا يَقْبَلُ مِنَ الْأَعْمَالِ إِلَّا الطَّيِّبَاتِ.

(١) رواه مسلم (٤٠٢).

المسلسل هو ما يتابع رجال إسناده على صفة أو حالة للرواة تارة وللرواية تارة أخرى «تدريب الراوي» (١٨٧/٢).



وَلَمَّا بَدَأَ بِحَقِّ اللَّهِ وَوَصَفَ اللَّهَ بِمَا يَسْتَحِقُّ، نَبَّيَ بِحَقِّ الرَّسُولِ ﷺ فَقَالَ: «السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللَّهِ». لِأَنَّهُ ﷺ مُحْتَاجٌ إِلَى أَنْ يُسَلِّمَهُ اللَّهُ، وَلِهَذَا كَانَ دُعَاءُ الْأَنْبِيَاءِ عَلَى الصَّرَاطِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ «اللَّهُمَّ سَلِّمْ اللَّهُمَّ سَلِّمْ»<sup>(١)</sup>. فَلَا أَنْبِيَاءَ مُحْتَاجُونَ لِأَنْ يُسَلِّمَهُمُ اللَّهُ ﷻ.

❖ وَقَوْلُهُ: «السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ». يَرِدُّ عَلَيْهِ إِشْكَالٌ، وَهُوَ كَافُ الْخُطَابِ فِي قَوْلِهِ: «عَلَيْكَ». فَإِنْ كَافَ الْخُطَابِ فِي الْجُمْلَةِ تَحَوَّلَهَا إِلَى مُخَاطَبَةِ آدَمِيِّينَ. فَإِذَا لَقِيتَ أَخَاكَ قُلْتَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ. تُخَاطَبُهُ بِكَافِ الْخُطَابِ.

فَكَيْفَ نَجْمَعُ بَيْنَ هَذَا وَبَيْنَ قَوْلِ الرَّسُولِ ﷺ: «إِنَّ هَذِهِ الصَّلَاةَ لَا يَصْلُحُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ النَّاسِ»<sup>(٢)</sup>؟

**الجواب عن هذا من أحد وجهين:**

**الوجه الأول:** أَنَّ هَذَا مُسْتَشْنَى، فَيَكُونُ الْعُمُومُ فِي قَوْلِهِ: «مِنْ كَلَامِ النَّاسِ». مَخْصُوصًا بِهَذَا، فَيَقَالُ تَبْطُلُ الصَّلَاةُ بِكَافِ الْخُطَابِ إِلَّا مَا كَانَ لِلَّهِ أَوْ لِرَسُولِهِ ﷺ؛ لِأَنَّهُ لَا تَبْطُلُ: ﴿إِنَّكَ تَبْطُلُ﴾. أَوْ مَا كَانَ لِرَسُولِهِ، كَقَوْلِكَ: «السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ».

**والوجه الثاني:** أَنْ يُقَالَ هَذَا الْخُطَابُ لَا يُرَادُ حَقِيقَتُهُ، وَإِنَّمَا هُوَ لِقْوَةٌ اسْتَحْضَارِ الْمُصَلِّي صَارَ كَأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ مُوَاجِهًا لَهُ، يُخَاطَبُهُ.

وَعَلَى هَذَا فَلَا يُرَادُ بِالْخُطَابِ حَقِيقَتُهُ، وَالدَّلِيلُ لِذَلِكَ أَنَّ الْمُصَلِّي يَقُولُ: السَّلَامُ عَلَيْكَ بِصَوْتٍ خَفِيٍّ، لَا يَسْمَعُهُ الرَّسُولُ ﷺ، وَلَوْ كَانَ خُطَابًا حَقِيقًا لَكَانَ هَذَا نَوْعًا مِنَ السُّخْرِيَةِ أَوْ الِاسْتَهْزَاءِ؛ لِأَنِّي لَوْ قُلْتُ: السَّلَامُ عَلَيْكَ فِي نَفْسِي ثُمَّ قُلْتُ لَكَ: لَمْ تَكُنْ تَرُدُّ عَلَى السَّلَامِ؟ تَقُولُ: مَا سَلَّمْتُ.

**إِذَا:** فَلَا يُرَادُ بِالْخُطَابِ حَقِيقَتُهُ هُنَا وَالِدَّلِيلُ عَلَى هَذَا أُمُور:

**أولاً:** أَنَّ الْمُصَلِّي يُبَسِّرُ بِهَذَا الْخُطَابِ.

**ثانيًا:** أَنَّ الْمُصَلِّي يَقُولُ ذَلِكَ وَلَوْ كَانَ فِي الشَّرْقِ وَالرَّسُولُ ﷺ فِي الْغَرْبِ.

وَلِهَذَا يُقَالُ حَتَّى بَعْدَ مَوْتِ الرَّسُولِ ﷺ: السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ. لِأَنَّهُ لَا يُرَادُ بِذَلِكَ حَقِيقَةُ الْخُطَابِ، وَإِنَّمَا الْمُرَادُ كَمَا قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي كِتَابِ «اِقْتِضَاءِ الصَّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ»: الْمُرَادُ قُوَّةُ الِاسْتِحْضَارِ، كَأَنَّهُ بَيْنَ يَدَيْكَ تُخَاطَبُهُ، فَيُقَالُ هَذَا حَتَّى بَعْدَ مَوْتِ الرَّسُولِ ﷺ<sup>(٣)</sup>.

وَمَا أَخْرَجَهُ الْبَخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كُنَّا نَقُولُ فِي حَيَاةِ النَّبِيِّ ﷺ: السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ. فَلَمَّا مَاتَ، قُلْنَا: السَّلَامُ عَلَى النَّبِيِّ<sup>(٤)</sup>. فَهَذَا مِنْ اجْتِهَادِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَكِنَّهُ اجْتِهَادٌ مُجَانِبٌ لِلصَّوَابِ.

وَالصَّوَابُ: أَنْ نَقُولَ مَا أَمَرَنَا بِهِ الرَّسُولُ ﷺ فَقَدْ قَالَ: «قُولُوا السَّلَامَ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ». وَلَمْ يَقُلْ:

(١) رواه البخاري (٧٤٣٧)، ومسلم (١٨٢).

(٢) أخرجه مسلم (٥٣٧) من حديث معاوية بن الحكم السلمي.

(٣) انظر «اقتضاء الصراط المستقيم» (١/٣٦٦، ٤١٦).

(٤) رواه البخاري (٦٢٦٥).

إِلَّا إِذَا مِتْ. فَلَمْ يَسْتَنْ.

ثُمَّ إِنَّهُ قَدْ رَوَى الْإِمَامُ مَالِكٌ فِي الْمَوْطَأِ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ خَطَبَ النَّاسَ، يُعَلِّمُهُمُ التَّشَهُّدَ فَقَالَ: «التَّحِيَّاتُ لِلَّهِ وَالصَّلَوَاتُ وَالطَّيِّبَاتُ، السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ، وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ»<sup>(١)</sup>. فَخَطَبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِذَلِكَ فِي خِلَافَتِهِ بَعْدَ مَوْتِ الرَّسُولِ ﷺ، وَعُمَرُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَعْلَمُ مِنْ ابْنِ مَسْعُودٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَقَالَ هَذَا بِمَحْضَرٍ مِنَ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وَلَمْ يُنْكَرْ عَلَيْهِ أَحَدٌ، وَهَذَا يَكُونُ قَوْلُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ: كُنَّا نَقُولُ: مِنْ بَابِ الاجْتِهَادِ وَلَكِنَّ الصَّوَابَ مَا دَلَّ عَلَيْهِ الْحَدِيثُ، وَمَا تَحَدَّثَ بِهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

**وقوله:** «السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ». هُنَا أَطْلَقَ كَلِمَةَ «النَّبِيُّ» وَأَرَادَ بِهَا النَّبِيَّ الرَّسُولَ؛ لِأَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ نَبِيٌّ رَسُولٌ. وَعَرَفْنَا أَنَّهُ نَبِيٌّ رَسُولٌ مِنْ أَدْلَةٍ أُخْرَى وَاضِحَةٍ. وَلِهَذَا نَرَى اللَّهَ ﻋَزَّ وَجَلَّ يُطْلِقُ فِي الْقُرْآنِ وَصَفَ النَّبِيِّ عَلَى مَنْ هُوَ نَبِيٌّ رَسُولٌ، كَقَوْلِهِ: ﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾<sup>[٥١]</sup> ﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾<sup>[٥٢]</sup>. وَالْأَمْثَلُ عَلَى ذَلِكَ كَثِيرَةٌ.

فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: مَاذَا تَقُولُونَ فِي حَدِيثِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ الَّذِي عَلَّمَهُ النَّبِيُّ ﷺ، مَا يَقُولُ إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ، وَفِيهِ: «وَبَيْنَيْكَ الَّذِي أَرْسَلْتُ». فَقَالَ الْبَرَاءُ لَمَّا أَعَادَهَا عَلَى الرَّسُولِ، قَالَ: وَبِرَسُولِكَ الَّذِي أَرْسَلْتُ. فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «وَبَيْنَيْكَ الَّذِي أَرْسَلْتُ»<sup>(١)</sup>؟

### فَالْجَوَابُ عَنْ هَذَا مِنْ وَجْهَيْنِ:

**الوجه الأول:** أَنَّ دَلَالََةَ الرِّسَالَةِ عَلَى النُّبُوَّةِ دَلَالَةٌ التَّزَامُ؛ لِأَنَّهُ لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ رَسُولًا حَتَّى يَكُونَ نَبِيًّا، وَجَمْعُ النُّبُوَّةِ مَعَ الرِّسَالَةِ دَلَالَةٌ مُطَابَقَةٍ؛ لِأَنَّهُ وَصَفَهُ بِالْوَصْفَيْنِ النَّبِيِّ وَالَّذِي أَرْسَلْتُ؛ أَيِ: وَصَفَهُ بِالنُّبُوَّةِ وَالرِّسَالَةِ.

**والوجه الثاني:** أَنَّهُ إِذَا قَالَ: بِرَسُولِكَ الَّذِي أَرْسَلْتُ، فَإِنَّهُ لَا يُخْرِجُ بِذَلِكَ الرَّسُولَ الْمَلَكِيَّ مِثْلَ جَبْرِيلَ؛ فَإِنَّ جَبْرِيلَ رَسُولٌ أَرْسَلَهُ اللَّهُ، لَكِنْ إِذَا قَالَ: بَيْنَيْكَ الَّذِي أَرْسَلْتُ. خَرَجَ الرَّسُولَ الْمَلَكِيَّ؛ وَتَعَيَّنَ أَنْ يَكُونَ الْمَرَادُ بِالرَّسُولِ الرَّسُولَ الْبَشَرِيَّ، وَهُوَ مُحَمَّدٌ ﷺ.

**وفي قوله:** «السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ». ثَلَاثُ هَدَايَا لِلرَّسُولِ ﷺ وَهِيَ لَنَا أَيْضًا وَلِلْجَمِيعِ، فَقَدْ دَعَوْنَا لَهُ ﷺ بِالسَّلَامِ وَبِالرَّحْمَةِ وَبِالْبَرَكَةِ.

الرَّحْمَةُ مَا يَحْصُلُ بِهَا الْمَطْلُوبُ، فَرَحْمَةُ اللَّهِ يَحْصُلُ بِهَا الْمَطْلُوبُ، وَالْبَرَكَةُ تَنْتَشِرُ بِهَا الْمَطْلُوبُ

(١) رواه مالك في «الموطأ»، كتاب الصلاة، باب التشهد في الصلاة (٥٣)، والشافعي في «الرسالة» ص ٧٣٨ بتحقيق العلامة

أحمد محمد شاكر، وقال عنه في الحاشية: قال الزيلعي في «نصب الراية» ١/ ٤٢٢: وهذا إسناد صحيح.

(٢) تقدم تحريره.



والخير، والبركة تُشْمَلُ البركة عليه وعلى آثاره وَسُتَبَّحَ بِحَمْدِ اللَّهِ الْعَظِيمِ، وهذا هو الواقع؛ يعني: قد أجاب الله الدعاء، ولكن ندعو بذلك تحقيقاً للمستقبل، فإن رسالة النبي ﷺ أبرك الرسالات وأعظمها وأشملها، فملايين الملائكة من البشر، كلهم انتفعوا بها، وبركاتُها كثيرةٌ معروفةٌ لمن تتبع التاريخ.

وأما قوله: «السلام علينا وعلى عبادِ الله الصالحين». ففيه حقنا نحن، فحقَّ الله مُقدِّمٌ على حقنا، وحقَّ الرسول مُقدِّمٌ على حقنا، ثم يأتي حقنا بعد ذلك.

**إذا:** فحقَّ رسول الله علينا أعظم من حقِّ أنفسنا علينا، وحقَّ الله فوق ذلك.

وقوله: «السلام علينا وعلى عبادِ الله الصالحين». فيه من حُسنِ التعليم: أنه لما جاء الدعاء العام غير الخاص بالرسول ﷺ أمرنا أن نبدأ بأنفسنا، فقال: «علينا وعلى عبادِ الله الصالحين»، فقال: «علينا» بالجمع، ومقام الدعاء مقام ذلٍّ وخضوع، و (نا) تدلُّ على التعظيم، فكيف جاءت بصيغة التعظيم؟

**نقول:** جاءت بصيغة التعظيم؛ لأن المراد بها (علينا)؛ أي: معشر أمة محمد، لقريته قوله: السلام عليك أيها النبي، وهو مُرسَلٌ للأمة، فيكون معنى السلام علينا؛ أي: معشر هذه الأمة المُتَّبِعَةِ للنبي ﷺ، فضمير الجمع هنا ليس للتعظيم، ولكنه يُراد به حقيقة الجمع.

وقيل: المراد السلام علينا؛ أي: معشر المُصلِّين، وهذا يصحُّ إذا كنَّا في جماعة، لكن إذا لم نكن في جماعة لا يصحُّ، وعلى هذا فالمعنى الأولُ أصحُّ.

قوله: «وعلى عبادِ الله الصالحين». المراد بالعباد هنا: عبوديةُ الذلِّ والخضوع الشرعي؛ لأنَّ عبوديتنا لله ﷻ وحده قسمان:

**أ- عبوديةُ تتضمنُ الذلَّ والخضوعَ الكونيَّ:** وهذه عامةٌ للإنسان والحيوان، وكل شيء، حتَّى الكافر عبدُ الله، قال تعالى: ﴿إِنْ كُنْتُمْ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَلَا إِلَهَ إِلَّا الرَّحْمَنُ عَبْدًا﴾ ﴿١٣٧﴾ [سورة الزمر: ١٣٧].

**ب- عبوديةُ ذلٍّ وخضوعٍ شرعيٍّ:** وهذه خاصةٌ بالمؤمنين، ولهذا قيِّدَتْ بقوله: «وعلى عبادِ الله الصالحين». والصالح هو الذي صلح أمره، ولم يعتريه فساد، بأن كان عمله خالصاً لله مُتَّبِعاً فيه رسولَ الله ﷺ، ويتَّصَّنُ هذا أن يقوم هذا العبد بحقِّ الله وحقَّ عباده، ولهذا فسَّر بعضهم الصالحين بأنهم الذين قاموا بحقِّ الله وحقَّ عباده.

وعبادُ الله جَمْعٌ مُضَافٌ يُفِيدُ العموم، والذي وَضَعَ لنا هذه القَاعِدَةَ -وهي أن الجمعَ المُضَافَ للعموم- رسولُ الله ﷺ؛ لأنه قال: «فإنكم إذا قُلْتُمْ ذلك سَلَّمْتُمْ على كلِّ عبدٍ صالحٍ في السماء والأرض»<sup>(١)</sup>.

**إذا:** فالعموم صيغ، ولكن بعض الأصوليين قال: لا صيغة للعموم. وهذا غلطٌ، فالعموم له

صِبْغٌ، وَلَا شَكَّ.

❖ وقوله: «أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ». الشَّهَادَةُ تَكُونُ بِالرُّؤْيَةِ الْحِسِّيَّةِ؛ يَعْنِي: بِمَا يَذَرُكَ بِالْحِسِّ، تَقُولُ: أَشْهَدُ عَلَى فُلَانٍ أَنَّهُ فَعَلَ كَذَا. وَهَذَا الْمُرَادُ بِالشَّهَادَةِ الْيَقِينُ التَّامُّ، لَكِنْ لَمَّا كَانَ يَقِينًا تَامًّا صَارَ كَأَنَّهُ مَشْهُودًا.

❖ وقوله: «أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ». إِلَهٌ بِمَعْنَى مَالُوهُ؛ أَي: لَا مَعْبُودَ إِلَّا اللَّهُ، فَالْمَعْنَى أَشْهَدُ إِلَّا مَعْبُودَ إِلَّا اللَّهُ، وَمَعْلُومٌ أَنَّنَا لَوْ أَخَذْنَا بِهَذَا الظَّاهِرِ لَأَدَّى ذَلِكَ إِلَى الْكُفْرِ؛ لِأَنَّ الْأَضْنَامَ تُعْبَدُ، وَتُسَمَّى آلِهَةً، فَإِذَا قُلْنَا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. صَارَ كُلُّ مَا يُعْبَدُ هُوَ اللَّهُ.

ولهذا يَتَعَيَّنُ أَنْ نَقُولَ: إِنَّ خَبَرَ «لَا» النَّافِيَةَ مَحْذُوفٌ، وَتَقْدِيرُهُ: لَا إِلَهَ حَقٌّ إِلَّا اللَّهُ، وَبِذَلِكَ يَزُولُ الْإِشْكَالُ؛ لِأَنَّ الْأَلْهَةَ الَّتِي تُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ بَاطِلَةٌ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَكْذُوبُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ﴾ [الأنعام: ٦٧].

وَقَدْ قَدَّرَهَا بَعْضُ الْعُلَمَاءِ بِقَوْلِهِمْ: لَا إِلَهَ مُوجُودٌ إِلَّا اللَّهُ. وَهَذَا غَلَطٌ، وَيَرِدُ عَلَيْهِ الْإِشْكَالُ الَّذِي سَبَقَ، وَلِهَذَا نَقُولُ: هَذَا التَّقْدِيرُ خَطَأٌ، وَالصَّوَابُ: لَا إِلَهَ حَقٌّ إِلَّا اللَّهُ.

فَإِذَا قَالَ قَائِلٌ: لِمَاذَا لَمْ تَجْعَلُوا لَفْظَ الْجَلَالَةِ «اللَّهُ» هُوَ خَبَرٌ «لَا»، وَلِأَنَّ الْأَصْلَ عَدَمُ التَّقْدِيرِ؟

قُلْنَا: هَذَا لَا يَصِحُّ لَفْظًا وَلَا مَعْنَى؛ أَمَّا كَوْنُهُ لَا يَصِحُّ لَفْظًا؛ فَلِأَنَّ «لَا» النَّافِيَةَ لَا تَعْمَلُ إِلَّا فِي النَّكَرَاتِ، قَالَ ابْنُ مَالِكٍ: عَمَلٌ إِنْ اجْعَلْ لـ «لَا» فِي نَكْرَةٍ (١).

ولو قلنا:

إِنَّ لَفْظَ الْجَلَالَةِ «اللَّهُ» هُوَ الْخَبَرُ لِأَعْمَلَتَاهَا فِي الْمَعَارِفِ، وَهَذَا لَا يَصِحُّ. وَأَمَّا كَوْنُهُ لَا يَصِحُّ مَعْنَى فَلِأَنَّ إِذَا قُلْنَا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. وَرَدَّ عَلَيْنَا الْإِشْكَالُ الَّذِي ذَكَرْنَا أَوَّلًا، وَهُوَ أَنْ تَكُونَ الْأَضْنَامُ الْمَعْبُودَةُ، وَالَّتِي تُدْعَى آلِهَةً، هِيَ اللَّهُ، وَهَذَا لَا يَسْتَقِيمُ.

❖ وقوله: «وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ». كَلِمَةُ «مُحَمَّدًا» هُنَا عَلَمٌ عَلَى مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ الْقُرَشِيِّ الْهَاشِمِيِّ ﷺ.

❖ وقوله: «عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ». هَذِهِ الْعِبُودِيَّةُ أَخْصَصُ الْعِبُودِيَّاتِ؛ يَعْنِي: عِبُودِيَّةَ شَرْعِيَّةٍ خَاصَّةٍ بِمُحَمَّدٍ ﷺ، فَأَبُو بَكْرٍ عَبْدُ اللَّهِ، لَكِنْ لَيْسَتْ عِبُودِيَّةُ أَبِي بَكْرٍ كَعِبُودِيَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؛ لِأَنَّ عِبُودِيَّةَ الْأَنْبِيَاءِ عِبُودِيَّةٌ خَاصَّةٌ، وَهِيَ أَخْصَصُ الْعِبُودِيَّاتِ.

❖ وقوله: «وَرَسُولُهُ». رَسُولُهُ بِمَعْنَى مُرْسَلُهُ إِلَى الثَّقَلَيْنِ: الْإِنْسِ وَالْجِنِّ. فَإِذَا قَالَ قَائِلٌ: مَا هُوَ دَلِيلُكَ عَلَى مَا شَهِدْتَ بِهِ، وَهُوَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ؟

(١) ألفية ابن مالك، باب «لَا» التي لنفي الجنس، البيت رقم (١٩٧).



**قُلْنَا:** أَمَّا الْأَوَّلُ فَدَلِيلِي عَلَى ذَلِكَ: الْفِطْرَةُ وَالْقُرْآنُ وَالْحِسُّ:

**أَمَّا الْقُرْآنُ:** فَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ﴾ [التوبة: ١٨].

**وَأَمَّا الْفِطْرَةُ:** فَإِنَّ نَاسًا الَّذِي لَمْ يَقْبِضْ لَهُ شَيْطَانٌ، وَلَا بَيْتَةٌ فَاسِدَةٌ يَشْهَدُ بِفِطْرَتِهِ إِلَّا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؛ لِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «كُلُّ مَوْلُودٍ يُوَلَّدُ عَلَى الْفِطْرَةِ»<sup>(١)</sup>.

أَمَّا الْحِسُّ وَالْوَقْعُ: فَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ﴾. فَإِنَّ أَوَّلِي الْعِلْمِ يَعْلَمُونَ بِمَا يُحْسِنُونَهُ وَيَعْقِلُونَهُ مِنْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ.

وَمَا دَلِيلُكَ عَلَى أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ؟

**نَقُولُ:** الدَّلِيلُ هُوَ قَوْلُهُ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ﴾ [الاحزاب: ٤٥]. وَقَوْلُهُ: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٩].

❖ وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ [التوبة: ١٤٤].

وَأَمَّا كَوْنُهُ عَبْدًا فَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ﴾ [الفرقان: ١]. وَقَالَ: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا﴾ [البقرة: ٢٣].

**إِذَا:** نَحْنُ نَشْهَدُ هَذِهِ الشَّهَادَةَ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ بِمَا دَلَّ عَلَيْهِ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ.

**وَالشَّاهِدُ مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ:** قَوْلُهُ: «إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّلَامُ». فَيَكُونُ مُطَابِقًا لِلآيَةِ الْكَرِيمَةِ: ﴿السَّلَامُ الْمُرْسَلُ﴾ [التوبة: ٢٣].

وَأَمَّا قَوْلُ الْقَائِلِ: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ. فَلَا يَصِحُّ وَلَا يَسْتَقِيمُ، وَلَا يَنْبَغِي، بَلْ هُوَ إِلَى الْبَدْعَةِ أَقْرَبُ مِنْهُ إِلَى السُّنَّةِ، وَهُوَ اسْتِذْرَاكُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَعَلَى الصَّحَابَةِ؛ فَإِنَّهُمْ لَمَّا قَالُوا: كَيْفَ نُصَلِّيْكَ عَلَيْكَ؟ قَالَ: «قُولُوا اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ». وَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ أَحَدًا مِنَ الصَّحَابَةِ قَالَ: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ. فَلَيْسَ لَنَا أَنْ نَزِيدَ عَلَى مَا عَلَّمَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؛ لِأَنَّ فِيهِ الْكُفَايَةَ.



**ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ تَحْلِيلَةً:**

٦- باب قول الله تعالى: ﴿مَلِكِ النَّاسِ﴾. فِيهِ ابْنُ عُمَرَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ<sup>(٢)</sup>.

**قَالَ الْحَافِظُ فِي «الْفَتْحِ» (٣٦٧/١٣):**

(١) تقدم تخريجه.

(٢) قال الحافظ في «الفتح» (٣٦٧/١٣) قوله: فِيهِ ابْنُ عُمَرَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ؛ أي: يدخل في هذا الباب حديث ابن عمر، ومراده حديثه الآتي بعد اثني عشر بابًا في ترجمة قوله تعالى: ﴿لَمَّا خَلَقْتُ بَيْدَكَ﴾ [الفلق: ٧٥]. وسيأتي شرحه هناك إن شاء الله تعالى. اهـ. وانظر: «الفتح» (٣٩٢/١٣).

قوله: «بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿مَلِكِ النَّاسِ﴾» قال البيهقي: الملك والمالك هو الخاصُّ الملك، ومعناه في حقِّ الله تعالى: القادرُ على الإيجاد، وهي صفةٌ يستحقُّها لذاته. وقال الراغب: المَلِكُ الْمُتَّصِفُ بِالْأَمْرِ وَالنَّهْيِ، وذلك يَخْتَصُّ بِالنَّاطِقِينَ، ولهذا قال: ﴿مَلِكِ النَّاسِ﴾. ولم يقل: مَلِكِ الْأَشْيَاءِ.

قال: وأما قوله: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [التكوير: ٤]. فتقديره المَلِكُ في يوم الدين؛ لقوله ﴿لَمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾ [التكوير: ١٦]. انتهى.

ويَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ خَصَّ النَّاسَ بِالذِّكْرِ في قوله تعالى: ﴿مَلِكِ النَّاسِ﴾؛ لأنَّ المخلوقاتِ جَمَادٌ ونام، والنَّامِي صَامِتٌ وناطِقٌ، والنَّاطِقُ مُتَكَلِّمٌ وَغَيْرُ مُتَكَلِّمٍ، فأشرفَ الجميعِ الْمُتَكَلِّمُ، وهم ثلاثٌ: الإنسانُ والجنُّ والملائكةُ.

وكلُّ مَنْ عَدَاهُمْ جائزٌ دُخُولُهُ تَحْتَ قَبْضَتِهِمْ وَتَصَرُّفِهِمْ، وإذا كان المرادُ بالناسِ في الآيةِ المتكَلِّمُ فَمَنْ مَلَكَهُ فِي مِلْكٍ مِنْ مَلَكَهُمْ، فكانَ في حكمٍ ما لو قال: مَلِكٌ كُلِّ شَيْءٍ، مع التَّنْوِيهِ بِذِكْرِ الْأَشْرَفِ، وهو المتكَلِّمُ. اهـ.

قلتُ: القولُ بأنَّ المتكَلِّمةَ ثلاثَةٌ؛ الإنسانُ والجنُّ والملائكةُ غَلَطٌ، فالكلامُ يكونُ مِنْ غيرِ هؤلاءِ الثلاثةِ، قال تعالى: ﴿عَلَّمْنَا مَطْيَ الْأَطْيَرِ﴾ [التكوير: ١٦]. وقال أيضاً: ﴿أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ﴾ [التكوير: ١٨].

ولهذا يَنْبَغِي الْحَذَرُ مِنَ الْحَصْرِ، فَالْحَصْرُ دَائِمًا يُكْذِبُهُ الْوَاقِعُ، فَلَا تَحْصُرْ؛ لَأَنْ عِلْمَكَ قَاصِرٌ، وَلَكِنْ قُلْ: لَا أَعْلَمُ إِلَّا كَذَا وَكَذَا. فهذا لا بَأْسَ بِهِ، وَأَنْتَ إِذَا قُلْتَ ذَلِكَ وَتَبَيَّنَ خِلَافُ مَا قُلْتَ صِرْتَ جَاهِلًا بَسِيطًا، وَلَكِنْ إِذَا حَصَرْتَ وَتَبَيَّنَ خِلَافُ قَوْلِكَ صِرْتَ جَاهِلًا مُرَكَّبًا.

\*\*\*

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٣٨٢ - حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ صَالِحٍ، حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ، أَخْبَرَنِي يُونُسُ، عَنْ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ سَعِيدٍ هُوَ ابْنُ الْمُسَيَّبِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «يَقْبِضُ اللَّهُ الْأَرْضَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَطْوِي السَّاءَ بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَيْنَ مُلُوكُ الْأَرْضِ؟»<sup>(١)</sup>.

وقال شعيبُ والزُّبَيْدِيُّ وَابْنُ مُسَافِرٍ وَإِسْحَاقُ بْنُ يَحْيَى، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ.

في هذه الترجمة إثباتُ الْمَلِكِ اسْمًا مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ، وَقَدْ وَرَدَ عَلَى ثَلَاثَةِ أَوْجِهٍ - فِيمَا أَعْلَمُ -:

أولاً: مُضَافًا إِلَى النَّاسِ.

ثانيًا: وَمُضَافًا إِلَى الدِّينِ.

(١) رواه مسلم (٢٧٨٧)، (٢٣).



ثالثاً: ومطلقاً.

فالمطلق كقوله تعالى: ﴿الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ﴾ [المائدة: ٢٣].

والمضاف إلى يوم الدين؛ كقوله تعالى: ﴿مَلِكُ يَوْمِ الدِّينِ﴾ على إحدَى القراءتين.

والمضاف إلى الناس؛ كقوله تعالى: ﴿مَلِكِ النَّاسِ﴾.

وهذا نَعَرُفُ أَنَّ الْمُلْكِيَّةَ الْمُطْلَقَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لِلَّهِ ﷻ، فَمَلِكُ النَّاسِ هُوَ مَلِكُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَلِكُ يَوْمِ الدِّينِ هُوَ الْمَلِكُ الَّذِي تَظْهَرُ مُلْكِيَّتُهُ أَوْ مَلَكُوتُهُ فِي يَوْمِ الدِّينِ حِينَ لَا يُوجَدُ مَلِكٌ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ، وَلِهَذَا يَقُولُ اللَّهُ ﷻ: ﴿لَمَنْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾. فَيُجِيبُ نَفْسَهُ: ﴿لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾.

وَالْمَلِكُ وَالْمَالِكُ إِذَا جُمِعَ بَيْنَهُمَا، فَإِنَّهُ يَظْهَرُ مِنْهُمَا كِمَالٌ لَا جَمَاعَةَ لَهَا، زَائِدٌ عَلَى الْكِمَالِ الَّذِي يَكُونُ بَانْفِرَادِهِمَا؛ لِأَنَّ فِي قَوْلِهِ: «مَالِكٌ» تِمَامُ السُّلْطَانَةِ، وَفِي قَوْلِهِ: «مَالِكٌ» تِمَامُ التَّصَرُّفِ وَالتَّدْبِيرِ.

وَلَنُضْرِبَ لَذَلِكَ مَثَلًا فِي الْمَخْلُوقِ، فَقَدْ يَكُونُ الْإِنْسَانُ مَالِكًا وَلَا يَكُونُ مَلِكًا، فَكُنَّا الْآنَ مَالِكُونَ، وَالْكِتَابُ مَعَكَ مُلْكٌ لَكَ وَأَنْتُمْ أَيْضًا مُلُوكٌ عَلَى بِيُوتِكُمْ رِعَاةً.

وَقَدْ يَكُونُ الْإِنْسَانُ مَلِكًا وَلَا يَكُونُ مَالِكًا؛ يَعْنِي: يَكُونُ مَلِكًا لَا سُلْطَانَةَ لَهُ، وَهَذَا مَوْجُودٌ، كَمَلِكَةِ بَرِيطَانِيَا أَوْ غَيْرِهَا مِمَّنْ يَكُونُ مَلِكًا صُورَةً، فَيُسَلَّبُ الْمُلْكُ بِرَكْمَانٍ وَانْتِخَابَاتٍ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ. فَإِذَا اجْتَمَعَ مُلْكٌ وَمَالِكٌ صَارَ بِذَلِكَ تِمَامُ السُّلْطَانَةِ وَالسَّيْطَرَةِ، وَتِمَامُ التَّصَرُّفِ وَالتَّدْبِيرِ، وَلِهَذَا جَاءَتِ الْقِرَاءَتَانِ تَبَيَّنَ هَذَا الْمَعْنَى وَ﴿تَبَيَّنَ يَوْمَ الدِّينِ﴾ وَ﴿مَلِكُ يَوْمِ الدِّينِ﴾ (١).

إِذْنُ الْمَلِكِ مَنْ لَهُ تِمَامُ السُّلْطَانَةِ وَالسَّيْطَرَةِ، وَالْمَالِكُ مَنْ لَهُ تِمَامُ التَّصَرُّفِ وَالتَّدْبِيرِ، وَكِلَا الرِّصْفَيْنِ مِنْ خَصَائِصِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﷻ، وَهُوَ مُتَّصِفٌ بِهِمَا حَقِيقَةً، فَهُوَ مَلِكٌ، وَهُوَ مَالِكٌ، فَلَا أَحَدٌ يَتَصَرَّفُ فِي مُلْكِهِ إِلَّا بِإِذْنِهِ، وَلَا أَحَدٌ يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ.

فَمُلُوكُ الدُّنْيَا مِمَّا بَلَغُوا مِنَ الْقُوَّةِ وَالسَّيْطَرَةِ يُشْفَعُ عَنْدهُمْ بِلَا إِذْنٍ، فَالزَّوْجَةُ مَثَلًا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَقُولَ لَهُ: يَا فُلَانُ، أَشْفَعُ لِفُلَانٍ عِنْدَكَ. بَدُونِ أَنْ تَسْتَأْذِنَ مِنْهُ، وَبَعْضُ النَّاسِ يَكُونُ لَوْزِيرِهِ أَوْ صَدِيقِهِ قُوَّةً يَسْتَطِيعُ بِهَا أَنْ يَشْفَعَ بِلَا إِذْنٍ عَنْدهُ، لَكِنَّ الرَّبَّ ﷻ لِقُوَّةِ سُلْطَانِهِ لَا يَشْفَعُ أَحَدٌ عَنْدهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ وَلَوْ كَانَ أَقْرَبَ النَّاسِ إِلَيْهِ عِبَادَةً وَخُضُوعًا.

فَالنَّبِيُّ ﷺ لَا يَشْفَعُ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ، وَهُوَ أَقْرَبُ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ، وَأَتَمَّهُمْ عِبُودِيَّةً، وَمَعَ ذَلِكَ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَشْفَعَ عِنْدَ اللَّهِ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ، وَذَلِكَ لِكِمَالِ سُلْطَانِهِ ﷻ.

وَهُوَ أَيْضًا مَالِكٌ لَهُ تِمَامُ التَّصَرُّفِ وَالتَّدْبِيرِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ، كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]. وَلَا أَحَدٌ يُضَادُّ اللَّهَ فِي تَدْبِيرِهِ أَبَدًا، حَتَّى أَكْفُرَ الْكَافِرِينَ لَا يُمَكِّنُهُ أَنْ يُضَادَّ اللَّهَ ﷻ فِي

(١) قَرَأَ عَاصِمٌ وَالكِيسَانِيُّ: «مَالِكٌ» بِالْف، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ بِغَيْرِ الْف. وَانْظُرْ: «حُجَّةُ الْقِرَاءَاتِ» (١/ ٧٧-٧٩)، وَ«الْحُجَّةُ فِي

الْقِرَاءَاتِ السَّبْعِ» (١/ ٦٢)، وَ«الْأَحْرَفُ السَّبْعَةُ» (١/ ٤٨)، وَ«تَفْسِيرُ الطَّبْرِيِّ» (١/ ٦٥).

التَّذْيِيرُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنْتَ حَيِّدٌ تَنْظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا بُدَّ لَهُمْ أَنْ يَرَوْا كُنُوزَهُمْ أَنْ يَنْبَغُوا بِهَا لَعْنًا إِنَّهُمْ كَصُدُوقِ الْعَقَبِ ﴿٨٥﴾﴾ [الأنعام: ٨٣-٨٧]. وهذا تحذير:

**أولاً:** هل يُمكن لأَكْثَرِ النَّاسِ سُلْطَةٌ فِي الْعَالَمِ أَنْ يَرْجِعَهَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ، فَيَرْدُّهَا إِلَى أَسْفَلٍ؟  
**الجواب:** لا يمكن.

**إذا:** تَامَ السُّلْطَةُ وَالتَّذْيِيرُ لِلرَّبِّ الْعَالَمِينَ ﷻ، فَهُوَ إِذَنْ تَامَ الْمُلْكُ، وَتَامَ التَّذْيِيرُ وَالتَّصَرُّفُ.

وَهُنَا قَالَ: ﴿مَلِكِ النَّاسِ﴾. وَلَمْ يَقُلْ: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾. لِأَنَّ لِكُلِّ مَقَامٍ مَقَالًا، فَالسُّورَتَانِ؛ الْفَلَقُ وَالنَّاسُ نَزَلَتَا لِنُصْرَةِ النَّبِيِّ ﷺ مِنَ السَّحْرِ، وَمَنْ الَّذِي سَحَرَهُ؟

**الجواب:** إِنَّهُ وَاحِدٌ مِنَ النَّاسِ، فَكَانَتِ الْمُنَاسَبَةُ أَنْ يَقَالَ: ﴿مَلِكِ النَّاسِ﴾ الَّذِي بِيَدِهِ السُّلْطَةُ وَالسَّيْطَرَةُ عَلَى النَّاسِ، وَمِنْهُمْ الَّذِينَ سَحَرُوا النَّبِيَّ ﷺ، وَلِهَذَا كَرَّرَ ﴿مَلِكِ النَّاسِ﴾ ① إِنَّهُ النَّاسِ ﴿التَّائِي: ٢-٣﴾. لِهَذَا، فَهُوَ الْمَلِكُ، وَهُوَ الْإِلَهُ الْمَأْلُومُ لِلنَّاسِ ﷻ، فَكُلُّ مَقَامٍ مَقَالٌ، وَهَذَا مِنْ بِلَاغَةِ الْقُرْآنِ، وَالنَّبِيُّ ﷺ شَجَرٌ وَرُفْيَ بَهَاتَيْنِ السُّورَتَيْنِ، وَمَا تَعَوَّدَ مُتَعَوِّدٌ، بِمَثَلِهَا، وَلَا أَحْسَنَ مِنْهَا لِرَفْعِ السَّحْرِ، لَكِنْ بِشَرْطِ أَنْ يَكُونَ هُنَاكَ صِدْقٌ مِنْ قَارِيْهِمَا، وَقَابِلِهَا؛ أَيْ: الْمَقْرُوءِ عَلَيْهِ.

فَإِنْ كَانَ فِي الْقَارِي شَكٌّ، أَوْ فِي الْمَقْرُوءِ عَلَيْهِ شَكٌّ، فَإِنَّ ذَلِكَ لَا يَنْفَعُ، لَكِنْ إِذَا كَانَ هُنَاكَ قُوَّةٌ وَيَقِينٌ، فَإِنَّهُ بِإِذْنِ اللَّهِ يَنْفَعُ وَلَا أَنْفَعُ مِنْهُ، وَهَذَا شَيْءٌ مُجَرَّبٌ لِمَنْ وَفَّقَ لِلِإِيمَانِ وَالْيَقِينِ، وَصَارَ الْمَحَلُّ قَابِلًا، وَهُوَ الْمَقْرُوءُ عَلَيْهِ.

وَأَمَّا إِذَا كَانَ الْمَحَلُّ غَيْرَ قَابِلٍ فَلَا يَنْفَعُ، فَلَوْ جَاءَ رَجُلٌ شُجَاعٌ قَوِيٌّ، وَمَعَهُ سَيْفٌ بَتَّارٌ، وَآتَى عَلَى حَدِيدٍ صُلْبٍ لَا يَنْتَبِيهِ وَلَا يَلِينُ، فَتَحَمَّسَ عَلَيْهِ، وَنَادَى: أَنَا أَبُو فُلَانٍ. أَنَا أَبُو فُلَانٍ ثُمَّ قَامَ، وَضَرَبَ بِالسَّيْفِ عَلَى هَذَا الْحَدِيدِ الصُّلْبِ، فَإِنَّهُ يَنْقَطِعُ السَّيْفُ؛ لِأَنَّ الْمَحَلَّ غَيْرَ قَابِلٍ، فَلَا يَتَأَثَّرُ بِهِ، مَعَ أَنَّ الرَّجُلَ شُجَاعٌ، وَالسَّيْفَ بَتَّارٌ وَلَكِنْ لَا يَنْفَعُ لِأَنَّ الْمَحَلَّ غَيْرَ قَابِلٍ.

لَكِنْ لَوْ جَاءَ هَذَا الشُّجَاعُ بِسَيْفٍ بَتَّارٍ عَلَى رَقَبَةِ مُجْرِمٍ مُسْتَحِقٍّ لِلْقَتْلِ ثُمَّ ضَرَبَهُ بَعْدَ أَنْ انْفَعَلَ؛ لَيَكُونَ الضَّرْبَةُ حَبِثًا قَوِيَّةً فَلَا شَكَّ أَنَّهُ يَتَأَثَّرُ وَتَنْقَطِعُ رَقَبَتُهُ؛ لِأَنَّ الْمَحَلَّ قَابِلٌ، فَرُبَّمَا تَقَرَّأَ عَلَى إِنْسَانٍ يَشْكُ فِي الرَّقِيَّةِ هَلْ تَنْفَعُ أَمْ لَا؟ فَمَثَلُ هَذَا لَا تَنْفَعُ الرَّقِيَّةُ.

**إذا:** فِي هَذِهِ الْآيَةِ إِثْبَاتُ الْمُلْكِ لِلَّهِ وَأَنَّهُ عَامٌّ، وَسَبَقَ أَنْ مُلِكَ اللَّهُ ﷻ لَا يُشَابِهُهُ مُلْكُ الْمَخْلُوقِينَ؛ لِأَنَّ مُلْكَ الْمَخْلُوقِينَ مَحْدُودٌ وَمُقَيَّدٌ.

ثُمَّ ذَكَرَ حَدِيثَ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: «يَقْبِضُ اللَّهُ الْأَرْضَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ». الْأَرْضُ كُلُّهَا يَقْبِضُهَا اللَّهُ يَوْمَ

(١) رواه عبد بن حديد في «مسنده» (١/١١٥، ٢٧١).

وعزاه صاحب «الدر المنثور» إلى ابن مردويه، والبيهقي في «الدلائل»، من حديث عائشة، وأصله في «الصحيحين» البخاري (٥٧٦٣)، ومسلم (٢١٨٩) بغير ذكر المحدثين.



القيامة، وشاهد هذا في القرآن: قوله: ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ [التكوير: ٢٧]. ويطوي الله السماء بيمينه؛ لقوله تعالى: ﴿وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَتَاتٌ بِيَمِينِهِ﴾. وهذا الطي حقيقي، وليس المراد قوة السيطرة على السماء، أو قوة السيطرة على الأرض بل هو قبض حقيقي للأرض، وطي حقيقي للسماء. وجعل الله الطي للسموات لا القبض؛ لأن السماء أوسع من الأرض وأشد وأعظم، وطيها أبلغ في القدرة، وقد شبه الله هذا الطي بقوله: ﴿كُطِيَ السَّجَلُ لِلْكِتَابِ﴾ [الأنبياء: ١٠٤]. فلا إله إلا الله، فهذه السموات العظيمة يطويها بيمينه كطي السجل للكتاب، ثم يقول: «أنا الملك، أين ملوك الأرض؟». الله أكبر، أين ملوك الأرض، وهل أحد منهم يرفع أضعفه؟

**الجواب:** لا؛ لأنه لا يوجد ملك يوم القيامة، فالتأنيس سواء؛ أصغر الخدم وأقوى الملوك، فكلهم حفاة، وكلهم عراة، وكلهم غرل، فالحملك لله عز وجل، لذا يقول: «أنا الملك، أين ملوك الأرض؟».



**ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:**

قال شعيب، والزبيدي، وابن مسافر، وإسحاق بن يحيى، عن الزهري، عن أبي سلمة. وحديث الباب عن ابن شهاب، عن سعيد، عن أبي هريرة.

**قال الحافظ ابن حجر في «الفتح» (١٣/ ٣٦٧):**

قوله: «فيه ابن عمر عن النبي ﷺ»؛ أي: يدخل في هذا الباب حديث ابن عمر، ومراذه حديثه الآتي بعد اثني عشر باباً في ترجمة قوله تعالى: ﴿لَمَّا خَلَقْتُ بَدَنِي﴾ [الشعر: ٧٠]. وسيأتي شرحه هناك إن شاء الله تعالى.

ثم ذكر حديث أبي هريرة: «يقبض الله الأرض يوم القيامة، ويطوي السماء بيمينه، ثم يقول: أنا الملك، أين ملوك الأرض». أخرجه من رواية يونس - وهو ابن يزيد - عن ابن شهاب بسنده، ثم قال: وقال شعيب والزبيدي وابن مسافر وإسحاق بن يحيى، عن الزهري، عن أبي سلمة مثله.

كذا وقع لأبي ذر، وسقط لغيره لفظ «مثله»، وليس المراد أن أبا سلمة أرسله، بل مراده أنه اختلف على ابن شهاب، وهو الزهري، في شيخه، فقال يونس: هو سعيد بن المسيب. وقال الباقر: أبو سلمة، وكل منهما يرويه عن أبي هريرة:

فأما رواية شعيب - وهو ابن أبي حمزة الحمصي - فستأتي في الباب المشار إليه في الحديث المعلق آنفاً، فإنه قال هناك: وقال أبو اليمان أنبأنا شعيب... فذكر طرقاً من المتن، وقد وصله الدارمي، قال: حدثنا الحكم بن نافع، وهو أبو اليمان، فذكره، وفيه: سمعت أبا سلمة يقول: قال أبو هريرة.

وكذا أخرجه ابن خزيمة في كتاب «التوحيد» من «صحيحه»، عن محمد بن يحيى الذهلي، عن أبي اليمان.

وَأَمَّا رِوَايَةُ الرُّبَيْدِيِّ -بِصَمِّ الرَّايِ، بَعْدَهَا مَوْحَدَةٌ وَهُوَ مُحَمَّدُ بْنُ الْوَلِيدِ الْحِمَصِيِّ- فَوَصَّلَهَا ابْنُ خُزَيْمَةَ أَيْضًا، مِنْ طَرِيقِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَالِمٍ عَنْهُ، عَنِ الزَّهْرِيِّ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ.

وَأَمَّا طَرِيقُ ابْنِ مُسَافِرٍ، وَهُوَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ خَالِدٍ بْنِ مُسَافِرٍ الْفَهْمِيُّ أَمِيرُ مِصْرَ، تُسَبِّحُ لَجْدَهُ، فَتَقَدَّمَ مَوْصُولَةٌ فِي تَفْسِيرِ سُورَةِ الزَّمَرِ، مِنْ طَرِيقِ اللَّيْثِ بْنِ سَعْدٍ عَنْهُ كَذَلِكَ.

وَأَمَّا رِوَايَةُ إِسْحَاقَ بْنِ يَحْيَى، وَهُوَ الْكَلْبِيُّ، فَوَصَّلَهَا الذُّهَلِيُّ فِي الزُّهْرِيَّاتِ، قَالَ الْإِسْمَاعِيلِيُّ: وَافَقَ الْجَمَاعَةُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ زِيَادٍ الرِّصَافِيُّ فِي أَبِي سَلَمَةَ.

**قلت:** وَأَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ، مِنْ طَرِيقِ الصَّدَقِيِّ، عَنِ الزُّهْرِيِّ كَذَلِكَ، وَنَقَلَ ابْنُ خُزَيْمَةَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى الذُّهَلِيِّ أَنَّ الطَّرِيقَيْنِ مَحْفُوظَانِ. انْتَهَى.

وَصَنَعَ الْبُخَارِيُّ يَفْتَضِي ذَلِكَ، وَإِنْ كَانَ الَّذِي تَقْتَضِيهِ الْقَوَاعِدُ تَرْجِيحَ رِوَايَةِ شُعَيْبٍ لِكثَرَةِ مَنْ تَابَعَهُ، لَكِنْ يُؤَسَّسُ كَانَ مِنْ خَوَاصِّ الزَّهْرِيِّ الْمُلَازِمِينَ لَهُ. اهـ.

الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ -كَمَا قَالَ الْحَافِظُ- صَنِعُهُ يَفْتَضِي أَنَّ الطَّرِيقَيْنِ صَحِيحَانِ، وَهَذَا مِنْ فِقْهِ الْبُخَارِيِّ؛ لِأَنَّ الطَّرِيقَ الْأَوَّلَ -طَرِيقَ يُوسُفَ- يَرْجِّحُ لِمُلَازِمَتِهِ لِابْنِ شِهَابٍ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ الْمُلَازِمَ أَعْلَمُ مِنْ غَيْرِ الْمُلَازِمِ؛ يَعْنِي: أَنَّ مَنْ صَحَبَكَ لَا يُمَاطِلُهُ مَنْ لَا قَاكَ مَرَّةً مِنَ الْمَرَّاتِ.

لَكِنَّ الطَّرِيقَ الْأُخْرَى، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ بَدَلُ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ رَوَاهَا أَرْبَعَةً: شُعَيْبٌ وَالرُّبَيْدِيُّ، وَابْنُ مُسَافِرٍ، وَإِسْحَاقُ، فَتَرَجَّحَتْ بِهِذِهِ الْكثَرَةُ وَالْمَتَابَعَاتُ، وَهَذِهِ تَرَجَّحَتْ بِكثَرَةِ الْمُلَازِمَةِ، وَعَلَى هَذَا فَتَقُولُ: الطَّرِيقَانِ صَحِيحَانِ.

❦ قَوْلُهُ: «يَقْبُضُ اللَّهُ الْأَرْضَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ». هَذَا الْقَبْضُ قَبْضٌ حَقِيقِيٌّ، فَهُوَ يَقْبِضُهَا بِكَفِّ يَدَيْهِ.

❦ قَوْلُهُ: «وَيَطْوِي السَّمَاءَ بِيَمِينِهِ»؛ أَي: بِيَدِهِ الْيُمْنَى، وَهَذَا يُشِيرُ إِلَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَدَيْنِ اثْنَتَيْنِ، وَقَدْ دَلَّ عَلَى ثُبُوتِ الْيَدَيْنِ لِلَّهِ ﷻ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ وَاجْمَاعُ السَّلَفِ:

فَفِي كِتَابِ اللَّهِ ﷻ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِإِبْلِيسَ: ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ يَدَيَّ﴾. فَأَضَافَ الْخَلْقَ إِلَيْهِ وَجَعَلَهُ بِالْيَدِ، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ لَيْسَ الْمَرَادُ بِالْيَدِ الْذَاتُ، وَإِنَّمَا الْمَرَادُ بِهَا الْيَدُ الْحَقِيقِيَّةُ.

وَقَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ خَلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلَعْنُوا يَمًا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾

[الْمَائِدَةُ: ٦٤].

وَقَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿بَنَرَكَ الَّذِي يَدِيهِ أَمْلُكُ﴾ [الْبَقَرَةُ: ٢٥]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَا خَلَقْنَا لَهُمْ مِنَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَمًا﴾ [يُونُسَ: ١٠١].

(١) قَالَ سَاحَةُ الشَّيْخِ ابْنِ عَثْمِينَ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «شَرْحِ الْعَقِيدَةِ الْوَاسِطِيَّةِ» (١/ ٣٠٢): إِنْ الْمَرَادُ بِالْيَدِ هُنَا نَفْسُ الذَّاتِ الَّتِي لَهَا يَدٌ، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ مَا كَشَفَتْ لِأَيْدِي النَّاسِ﴾ [الْبَقَرَةُ: ٢٥]. أَي: بِمَا كَسَبُوا سُوءًا كَانَ مِنْ كَسْبِ الْيَدِ أَوِ الرَّجُلِ أَوِ اللِّسَانِ أَوْ غَيْرِهَا مِنْ أَجْزَاءِ الْبَدَنِ لَكِنْ يَعْبرُ بِمَثَلِ هَذَا التَّعْبِيرِ عَنِ الْفَاعِلِ نَفْسِهِ وَهَذَا نَقُولُ: إِنْ الْأَنْعَامُ الَّتِي



فهذه الآيات كلها تدلُّ على بُبُوتِ الْيَدِ لِلَّهِ ﷻ، وَلَكِنَّهَا يَدٌ لَا تُثَابِتُهَا أَيْدِي الْمَخْلُوقِينَ؛ لِأَنَّهَا يَدٌ عَظِيمَةٌ، كَمَا جَاءَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ، أَنَّ اللَّهَ يَقْبِضُ بِهَا الْأَرْضَ وَيَطْوِي بِهَا السَّمَاءَ. وَقَدْ جَاءَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ قَالَ: «مَا السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُونَ السَّبْعُ فِي كَفِّ اللَّهِ إِلَّا كَحَرْدَلَةٍ فِي كَفِّ أَحَدِكُمْ»<sup>(١)</sup>. وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى عَظَمَةِ هَذِهِ الْيَدِ، وَأَنَّهُ لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَتَصَوَّرَ الْإِنْسَانُ عَظَمَتَهَا، وَقَدَّرَهَا.

وَالْبَحْثُ فِيهَا -أَي: فِي الْيَدِ- مِنْ وَجُوهٍ:

**الوجه الأول:** هل هي حقيقةٌ أو مجازٌ عن القدرة أو القوة؟

**الجواب:** أَنَّ مَذَهَبَ السَّلَفِ -كَمَا هُوَ قَاعِدَةٌ أَصِيلَةٌ- أَنَّهَا حَقِيقَةٌ؛ لِأَنَّ الْأَصْلَ فِيهَا أَصَافَهُ اللَّهُ إِلَى نَفْسِهِ أَنَّهُ حَقِيقَةٌ، وَلَكِنَّهَا حَقِيقَةٌ مُنْزَهَةٌ عَنِ التَّمَثِيلِ، وَعَنِ التَّكْيِيفِ؛ أَيُّ أَنَّهَا لَا تُمَثَّلُ بِأَيْدِي الْمَخْلُوقِينَ، وَلَا تُكَيَّفُ بَحَيْثُ يَتَصَوَّرُ الْإِنْسَانُ لَهَا كَيْفِيَّةً.

وَأَمَّا مَنْ قَالَ: إِنَّ الْمُرَادَ بِهَا الْقُدْرَةَ أَوِ الْقُوَّةَ. فَقَوْلُهُ بَاطِلٌ مِنْ عِدَّةِ أَوْجُهٍ:

**الوجه الأول:** إجماع السلف على خلاف هذا القول.

فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: أَيْنَ إِجْمَاعُ السَّلَفِ؟

**قُلْنَا:** إِنَّ الصَّحَابَةَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ، وَيُؤْمِنُونَ بِهِ بِمُقْتَضَى اللِّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ، فَإِذَا لَمْ يَرِدْ عَنْهُمْ نَقْلٌ فِي مُخَالَفَةِ مُقْتَضَى اللِّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ، عَلِمْنَا عِلْمَ الْيَقِينِ أَنَّهُمْ أَجْرَوْا النَّصَّ عَلَى ظَاهِرِهِ؛ إِذْ لَا يُمَكِّنُ أَنْ تَأْتِيَ عَنْ كُلِّ صَحَابِيٍّ أَنَّهُ قَالَ: الْمُرَادُ بِالْيَدِ: الْحَقِيقَةُ.

لَكِنْ إِذَا كَانُوا يَتْلُونَ الْكِتَابَ، وَالْيَدُ فِي الْكِتَابِ بِمُقْتَضَى اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ الَّذِي نَزَلَ بِهِ الْقُرْآنُ هِيَ الْيَدُ الْحَقِيقَةُ، وَلَمْ يَرِدْ عَنْهُمْ حَرْفٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى نَقْلِهَا إِلَى الْمَعْنَى الْآخَرِ عَلِمْنَا أَنَّهُمْ مُتَّفِقُونَ عَلَى ذَلِكَ، وَهَذَا يَجْرِي فِي الْيَدِ، وَفِي غَيْرِهَا مِنَ الصِّفَاتِ.

الوجه الثاني من الردِّ على القول بأنَّها القدرة أو القوة أو النعمة:

أَنَّ الْقُدْرَةَ أَوِ النِّعْمَةَ أَوِ الْقُوَّةَ لَا يَصِحُّ أَنْ تُشْنَى بِالنِّسْبَةِ لِلَّهِ ﷻ، إِذْ مَا هُمَا الْقُدْرَتَانِ؟! وَمَا هُمَا الْقُوَّتَانِ؟! وَمَا هُمَا النِّعْمَتَانِ!؟

فَقُوَّةُ اللَّهِ ﷻ صِفَةٌ وَاحِدَةٌ لَا تَتَجَرَّأُ، وَلَا تَتَعَدَّدُ، وَكَذَلِكَ قُدْرَتُهُ، وَأَمَّا نِعْمَتُهُ فَقَدْ قَالَ اللَّهُ عَنْهَا: ﴿وَأِنْ تَعَدَّوْا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا﴾ [الأنعام: ١٨]. فَلَا تَنْحَصِرُ فِي نِعْمَتَيْنِ.

**الوجه الثالث:** أَنَّهُ لَوْ كَانَ الْمُرَادُ بِالْيَدِ الْقُوَّةَ مَا صَحَّ أَنْ يَحْتَجَّ إِبْلِيسُ بِمَا احْتَجَّ بِهِ لَمَّا أُمِرَ أَنْ يَسْجُدَ

هِيَ الْإِبِلُ لَمْ يَخْلُقْهَا اللَّهُ تَعَالَى بِيَدِهِ وَفَرَّقَ بَيْنَ قَوْلِهِ: ﴿وَمَا عَمِلَتْ﴾ [يونس: ٧١]. ﴿لَمَّا خَلَقْتُ يَدَيَّ﴾ [مريم: ٧٥]. فَمَا عَمِلَتْ أَيْدِينَا كَأَنَّهُ قَالَ «مِمَّا عَلِمْنَا» لِأَنَّ الْمُرَادَ بِالْيَدِ ذَاتُ اللَّهِ الَّتِي لَهَا يَدٌ، وَالْمُرَادُ «بِيَدَيَّ» الْيَدَانِ دُونَ الذَّاتِ. اهـ

(١) رَوَاهُ ابْنُ جُرَيْرٍ فِي «تَفْسِيرِهِ»، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا (٢٥/٢٤)، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ فِي السَّنَةِ (١٠٩٠)، وَالطَّبْرَانِيُّ فِي «التَفْسِيرِ» (٥٤/٢٤).

لَادَمَ حَيْثُ قَالَ اللَّهُ لَهُ: ﴿مَا مَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ يَدَيَّ اسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾ (٧٥) قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِمَّنْ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ (٧٦) ﴿تَحْقِيقًا: ٧٥-٧٦﴾.

لأنه لو صحَّ أن يكون المراد باليد القدرة أو القوة، لقَالَ: ياربِّ، وأيُّ فضلٍ له عليَّ، وقد خلقتني أيضًا بقدرتك وفُوتك؟! فيكون حُجَّةً لإبليس أن يقول: ياربِّ، أيُّ مَرِيَّةٍ لآدمَ، فإنه خُلِقَ بقدرتك، وأنا أيضًا خُلِقْتُ بقدرتك؟! ولم يأتِ بعلَّةٍ أُخرى قد تُقْبَلُ وقد لا تُقْبَلُ، وهي غيرُ مقبولة.

**الوجه الرابع:** أن هذه اليد جاءت على وجوه مُتعدِّدة فقد جاءت بلفظ الكفِّ، وجاءت بِذِكْرِ الأصابع، وجاءت بلفظ اليمين؛ كما في قوله ﷺ: «وَكَلَّمْنَا يَدَيْهِ يَمِينًا»<sup>(١)</sup>. فَيَمْتَنِعُ مع هذا التنوع فيما جاءت عليه أن يكون المراد بها القوة أو القدرة.

**الوجه الخامس:** أن نقولَ لهم: لماذا قرَّرتُم عن تفسيريها باليد الحقيقية؟ فإذا قالوا: لأن اليد جارية، والله مُنزَّهٌ عن الجوارح.

**نقول:** فصلُّوا لنا الجارحةَ هذه، فالجارحةُ لم يَرِدْ نَفْهًا، ولا إِبْتَاهًا بالنسبةِ لله ﷻ، فإذا تُريدُونَ بالجارحة التي توصَّلتُم بِنفِها إلى نفْي ما أثبتَّ الله لنفسه؟ أتريدون بالجارحة أنه ﷻ يَكْتُبُ بها، وَيَعْمَلُ بها ليَكسِبَ؟ أم تُريدون بالجارحة أنه يَأْخُذُ بها؟

إن أَرَادُوا الأوَّلَ، هو باطلٌ، وإن أَرَادُوا الثاني فهو حقٌّ، وكَوْنُهُم يَتَوَصَّلُونَ إلى نفْيِ هذا الحقِّ بنفْيِ الجارحةِ هذا لا شكَّ أنه من القولِ على الله بلا علم.

وإن قالوا: نفْي عن اليد؛ لأننا لو أثبتنا له اليدَ الحقيقيةَ شَبَّهناه. "مخلوق الذي له يدٌ حقيقية، فنقول: أنتم صرَّفتُم المعنى إلى القوة، وللمخلوقِ قُوَّةٌ، فوقَّعتُم في مثل ما قرَّرتُم به، وزِدْتُم أنكم حرَّفتُم النصَّ عن ظاهره، فجَبَّيْتُم جنابَيْنِ، ولم تَخْلُصُوا مِنَ التَّشْبِيهِ على قَاعِدَتِكُمْ.

وإن قلْتُم: المرادُ بها القُدْرَةُ. قلنا: للمخلوقِ: قُدْرَةٌ أيضًا، قال تعالى: ﴿لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ وَمَا كَسَبُوا﴾ (القصص: ٢٦٤). وبه تكونون قد وقَّعتُم في نظير ما قرَّرتُم منه.

وإن قلْتُم: المرادُ بها النِّعْمَةُ. قلنا: وللمخلوقِ نِعْمَةٌ قال تعالى: ﴿وَإِذْ نَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾ (الاحزاب: ٣٧).

**إِذَا:** فَمَهْمَا قَرَأُوا، فَهُمْ مَذْرُكُونَ؛ لِأَنَّ قَوْلَهُمْ باطلٌ.

**البَحْثُ الثَّانِي:** اليَدُ وَرَدَتْ في القرآنِ على ثلاثة أَوْجِهٍ؛ الإِفْرَادُ والتَّشْبِيهُ والْجَمْعُ، وقد يندو للإنسان أن هذا تناقضٌ، ولكن لا تناقض في ذلك، ولا يُمكن أن يوجَدَ تناقضٌ في كتابِ الله ﷻ، ولا بين كتابِ الله وما صحَّ عن رسولِ الله ﷺ، ولا بين كتابِ الله وما صحَّ عن رسولِ الله ﷺ وبين ما يقتضيه العقلُ الصَّريحُ.



فهذه ثلاثة أشياء، ونَعْنِي بالعقل الصَّرِيح: السَّالِم من الشُّبُهَاتِ والشَّهَوَاتِ؛ يَعْنِي: أَنَّهُ عَقْلٌ مَبْنِيٌّ عَلَى الْعِلْمِ، فَلَيْسَ عِنْدَهُ شُبُهَةٌ، وَمَبْنِيٌّ عَلَى حُسْنِ الْقَصْدِ، وَإِرَادَةِ الْحَقِّ، فَلَيْسَ عِنْدَهُ شَهْوَةٌ أَوْ إِرَادَةٌ غَيْرُ الْحَقِّ، فَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ فَلَا تَنَاقُضَ بَيْنَ الْإِفْرَادِ وَالتَّشْيِيعِ وَالْجَمْعِ الَّتِي وَرَدَتْ فِي الْيَدِ، وَلَكِنْ كَيْفَ الْجَمْعُ؟

**نَقُولُ:** أَمَّا الْمُفْرَدُ، فَإِنَّهُ مُضَافٌ، وَالْمُفْرَدُ الْمُضَافُ صَالِحٌ لِلوَاحِدِ وَالْمُتَعَدِّدِ، أَلَمْ تَرَ قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَلَنْ تَعْدُوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصَوْهَا﴾. «فَنِعْمَةٌ» مُفْرَدٌ مُضَافٌ، يَشْمَلُ مِنَ النِّعَمِ مَا لَا تُحْصِيهِ، وَعَلَيْهِ فَالْمُفْرَدُ الْمُضَافُ فِي الْيَدِ لَا يُنَافِي التَّعَدُّدَ.

**إِذَا:** اسْقَطَ عَنَّا ظَنُّ التَّنَاقُضِ بِالنِّسْبَةِ لِلْمُفْرَدِ وَالتَّشْيِيعِ وَالْجَمْعِ. وَبَقِيَ عِنْدَنَا التَّشْيِيعُ وَالْجَمْعُ، فَنَقُولُ: أَمَّا التَّشْيِيعُ وَالْجَمْعُ، فَإِنْ قُلْنَا بَأَنَّ أَقْلَ الْجَمْعِ اثْنَانِ، كَمَا ذَهَبَ إِلَيْهِ بَعْضُ النُّحَاةِ، وَكَمَا هُوَ مَوْجُودٌ فِي آيَاتِ الْمَوَارِيثِ، فَإِنْ أَقْلَ الْجَمْعِ فِي آيَاتِ الْمَوَارِيثِ اثْنَانِ، وَكَذَلِكَ صَلَاةُ الْجَمَاعَةِ تَحْصُلُ بِاثْنَيْنِ، إِنْ قُلْنَا: أَقْلَ الْجَمْعِ اثْنَانِ. فَلَا إِشْكَالَ؛ لِأَنَّهُ يُحْمَلُ الْجَمْعُ عَلَى أَقْلِهِ، فَيَكُونُ اثْنَيْنِ، فَيُطَابِقُ الْمُثْنَى، وَلَا إِشْكَالَ فِي هَذَا. وَإِنْ قُلْنَا بِالشُّهُورِ، وَهُوَ أَنَّ أَقْلَ الْجَمْعِ ثَلَاثَةٌ، فَحَيْثُذْ يَكُونُ عِنْدَنَا عِدَدَانِ؛ اثْنَانِ وَثَلَاثَةٌ، نَحْتَاجُ إِلَى جَمْعٍ بَيْنَهُمَا، قَالَ أَهْلُ الْعِلْمِ: الْجَمْعُ بَيْنَهُمَا أَنْ يُقَالَ: إِنَّ صِغَةَ الْجَمْعِ لَا يُرَادُ بِهَا مَعْنَى الْجَمْعِ، وَإِنَّمَا يُرَادُ بِهَا التَّعْظِيمُ، مُوَافَقَةً لِمَصْمِرِ الْجَمْعِ، وَهُوَ أَيْدِينَا فَإِنَّ «نَا» صَمِيرُ جَمْعٍ وَلَكِنْ بِالنِّسْبَةِ لِإِضَافَتِهَا إِلَى اللَّهِ لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِهَا جَمْعُ التَّعَدُّدِ.

فَإِذَا كَانَتْ «نَا» الدَّالَّةُ عَلَى الْجَمْعِ لِلتَّعْظِيمِ كَانِ الْأَنْسَبُ لَفْظًا وَمَعْنَى أَنْ يَكُونَ الْمُضَافُ إِلَيْهَا بِصِغَةِ الْجَمْعِ مِنْ أَجْلِ التَّنَاسُبِ بَيْنَ الْمُضَافِ وَالْمُضَافِ إِلَيْهِ.

وَيُبَيِّنُ لَكَ هَذَا أَنَّهُ لَوْ كَانَ تَفْسِيرُ الْآيَةِ ﴿وَمَا عَمِلْتَ أَيِّدِينَ أَنْعَمًا﴾، لَوَجَدْتَ هُنَاكَ تَنَافُرًا بَيْنَ «يَدَا» الْمُثْنَى وَالصَّمِيرِ، فَلِهَذَا كَانَ الْمُنَاسَبُ لَفْظًا وَمَعْنَى أَنْ تُصَاحَ الْيَدُ بِصِغَةِ الْجَمْعِ.

وَبِذَلِكَ يَتَبَيَّنُ أَنَّهُ لَا تَعَارُضَ بَيْنَ مَجِيءِ الْيَدِ بِصِغَةِ التَّشْيِيعِ، وَصِغَةِ الْجَمْعِ، وَصِغَةِ الْإِفْرَادِ.

**الْبَحْثُ الثَّلَاثُ:** هَذِهِ الْيَدُ لَا يَلْزَمُ، بَلْ لَا يَجُوزُ أَنْ تَكُونَ كَيْدُ الْمَخْلُوقِ، وَلَكِنْ مَا وَرَدَ مِنَ الْكِتَابِ أَوْ السُّنَنِ فِي وَصْفِهَا بِمَا تُوصَفُ بِهِ يَدُ الْمَخْلُوقِ، فَإِنَّهُ يَجِبُ إِثْبَاتُهُ، فَهَذِهِ الْيَدُ وَصِفَتْ بِالْيَمِينِ، كَمَا فِي الْآيَةِ: ﴿وَالسَّمَكُوتَ مَطْوِيَّتَ يَمِينِهِ﴾. فَهَلْ تُوصَفُ بِالشَّمَالِ، كَمَا أَنَّ الْمَخْلُوقَ لَهُ يَدٌ يَمِينٌ وَشَمَالٌ؟

**الْجَوَابُ:** فِي هَذَا خِلَافٌ بَيْنَ الْعُلَمَاءِ.

فَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ: إِنَّهُ يَصِحُّ أَنْ تُوصَفَ بِالشَّمَالِ، كَمَا جَاءَ ذَلِكَ فِي «الصَّحِيحِ»<sup>(١)</sup>.

(١) الْحَدِيثُ رَوَاهُ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ (٢٧٨٨) وَقَدْ ضَعَفَ هَذِهِ الرِّوَايَةَ الْبَيْهَقِيُّ مِنْ نَاحِيَةِ الْإِسْنَادِ، فَقَالَ فِي «الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ» (١/٣٢٤): ذَكَرَ الشَّمَالُ فِيهِ تَعَرُّدٌ بِهِ عَمْرُ بْنُ حُزَةَ عَنْ سَالِمٍ، وَقَدْ رَوَى هَذَا الْحَدِيثَ نَافِعٌ وَعُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مِقْسَمٍ عَنْ ابْنِ عَمْرٍ، وَلَمْ يَذْكُرْ فِيهِ الشَّمَالَ. أَهْـ وَضَعَهَا أَيْضًا مِنْ نَاحِيَةِ الْمُتَنِّ، فَقَالَ فِي «الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ» (١/٣٢٤) وَكَيْفَ يَصِحُّ ذَلِكَ، وَقَدْ صَحَّ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ سَمَّى كُلْتَا يَدَيْهِ يَمِينًا؟!

ومنه من قال: لا توصف بالسماء، وما جاء في «الصحيح» فإنه شاذ، أو وهم من الراوي، ودليل ذلك قول النبي ﷺ: «وَكِلْنَا يَدَيْهِ يَمِينٍ»<sup>(١)</sup>.

والحقيقة أن هذا اللفظ، أو هذه الجملة لا تمنع من إثبات السمال؛ لأن الرسول ﷺ لما ذكر السَّمَالَ، وقال: «وَكِلْنَا يَدَيْهِ يَمِينٍ» إنما قاله لدفع توهم نقص في السمال؛ لأن المعروف في المخلوقات أن اليد السمال فيها نقص عن اليد اليمين.

فإذا أثبتت السمال فقد يتوهم وإهم أنها أنقص من اليمين، فقال: «وَكِلْنَا يَدَيْهِ يَمِينٍ». أي: أنها لا يختلفان في الكمال، فكلاهما كاملة.

وينبغي على هذه المسألة أو هذه القاعدة سؤال، وهو هل توصف بالكف، وهل له أصابع، وهل له أنامل؟

**الجواب:** لا يلزم من إثبات اليد أن يكون له كف أو أنامل أو أصابع، لكن إذا ورد أن الله تعالى كفًا، وأن له أنامل، وأن له أصابع، فالواجب إثباتها بدلالة اللزوم، وأنه يلزم من إثبات اليد إثبات الكف والأنامل والأصابع، أو بدلالة التضمن أو المطابقة؛ أي: بدلالة مستقلة عن دلالة اللزوم باليد؟

**الجواب:** الثاني هو المتعين، وهو أن نقول: لولا أن النصوص جاءت بثبوت الكف، وثبوت الأصابع، وثبوت الأنامل ما أبتناها من أجل ثبوت اليد؛ لأن هذه صفات ليد المخلوق، ولا يلزم من ثبوتها في يد المخلوق أن تثبت لله، لكن إذا جاءت بها السنة وجب علينا قبولها.

وهل إذا أثبتت الأصابع يلزم أن تكون خمسة في كل يد ولا أن تكون أقل، أو أكثر؟

**الجواب:** لا يلزم، لكن الذي بلغنا أنها خمسة أصابع، وذلك حينما تحدث النبي ﷺ في حديث ابن مسعود: «أَنَّ اللَّهَ يَجْعَلُ السَّمَوَاتِ عَلَى إِصْبَعٍ وَالْأَرْضِينَ عَلَى إِصْبَعٍ...» فذكر خمسة<sup>(٢)</sup>.

لكن لا يلزم من عدم ذكر الخمسة ألا تزيد، فلهذا نقول: ثبت من عدد الأصابع ما ثبت لله، والباقي نسكت عنه، وهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة، أن ما لم يرد فاسكت عنه، وما ورد فاثبت، وهذا هو ما يتعلق بصفة اليد.

**والهم:** أن تؤمن بأن الله تعالى يداً حقيقية يأخذ بها ويقبض، وأنها لا تماثل أيدي المخلوقين، ولا يجوز أن نكفيها.

فأما نفي التشبيل لقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾<sup>[الأنعام: ١٠١]</sup>. وهذا عام في جميع صفاته.

وأما نفي التكيف لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقِفْ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾<sup>[الأنعام: ٣٦]</sup>. ولقوله: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي

(١) تقدم تخرجه.

(٢) رواه البخاري (٧٤١٤)، ومسلم (٢٧٨٦).



أَلْفَوْحُشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا أَلَمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْمُونَ ﴿١٣٣﴾ هذه هي عقيدتنا فيما يتعلق بيد الله وحده.



### ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧- بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الغاشية: ١]. ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الشأن: ١٨٠]، ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ﴾ [البقرة: ٢٨]. وَمَنْ حَلَفَ بِعِزَّةِ اللَّهِ وَصِفَاتِهِ. وَقَالَ أَنَسٌ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «تَقُولُ حَهْنَمُ: قَطُّ قَطُّ<sup>(١)</sup> وَعِزَّتِكَ».

وقال أبو هريرة، عن النبي ﷺ: «يَتَقَى رَجُلٌ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَهُوَ آخِرُ أَهْلِ النَّارِ دُخُولًا الْجَنَّةِ، يَقُولُ: رَبِّ أَصْرَفْ وَجْهِي عَنِ النَّارِ، لَا وَعِزَّتِكَ لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهَا».

قال أبو سعيد: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «قَالَ اللَّهُ ﷻ: لَكَ ذَلِكَ وَعِشْرَةُ أَمْثَالِهِ».

وقال أيوبُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «وَعِزَّتِكَ لَا غِنَى لِي عَنْ بَرَكَتِكَ»<sup>(٢)</sup>.

هذا البابُ تَصَمَّنَ اسْمَيْنِ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ؛ أَوَّلُهَا: الْعَزِيزُ، وَالثَّانِي: الْحَكِيمُ. فَأَمَّا الْعَزِيزُ فَلَهُ اسْتِثْقَاقَاتٌ فِي اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ، فَهُوَ مَأْخُودٌ مِنْ عَزٍّ أَيْ: امْتَنَعَ، وَمِنْ عَزٍّ أَيْ: قَلَّ، وَمِنْ عَزٍّ أَيْ: قَوِيَ:

﴿فَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ [الأنعام: ٢٠]. أَيْ: بِمُتَمَتِّعٍ.

﴿وَقَوْلُهُ: ﴿وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ﴾ [آل عمران: ٢٣]. أَيْ: غَلَبَنِي. وَقَوْلُهُمْ: هَذِهِ أَرْضُ عَزَّازٍ أَيْ: ضَلْبَةٍ. فَالْعَزِيزُ يَدُلُّ عَلَى الْعِزَّةِ،

قَالَ الْعُلَمَاءُ: وَعِزَّةُ اللَّهِ ﷻ تَنْقَسِمُ إِلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ: عِزَّةُ الْقَدْرِ، وَعِزَّةُ الْقَهْرِ، وَعِزَّةُ الْاِمْتِنَاعِ.

فِعِزَّةُ الْقَدْرِ، مَعْنَاهَا: أَنَّ اللَّهَ ﷻ ذُو قَدَرٍ عَزِيزٍ، لَا نَظِيرَ لَهُ.

وَعِزَّةُ الْقَهْرِ هِيَ عِزَّةُ الْغَلَبَةِ؛ فَإِنَّهُ ﷻ هُوَ الْغَالِبُ الَّذِي لَا يَغْلِبُهُ أَحَدٌ، حَتَّى الْجَاهِلِيُّونَ فِي جَاهِلِيَّتِهِمْ يَقُولُ قَائِلُهُمْ<sup>(٣)</sup>:

أَيْسَنَ الْمَفْسَرُ وَالْإِلَهَ الطَّالِبُ وَالْأَشْرَمُ الْمَغْلُوبُ لَيْسَ الْغَالِبُ<sup>(٤)</sup>

يُؤْمِنُونَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى ذُو الْعِزَّةِ الْغَالِيَةِ.

(١) انظر «الفتح» (٥٩٥/٨).

(٢) أخرجه البخاري (٣٣٩٣)، وأحمد (٣١٤/٢).

(٣) القائل هو نفيل بن حبيب، قاله حين رأى ما أنزل الله ﷻ بجيش أبرهة وانظر: «سيرة ابن هشام» (١/١٧٢)، و«تاريخ الطبري» (١/٤٤٣).

(٤) البيت من الرجز، وهو موجود في: «المنتظم» (٢/١٢٦)، و«الكامل في التاريخ» (١/٣٤٥)، و«سمط العوالي» (١/٢٧٥)، و«معني اللبيب» (١/٣٩٠)، و«معجم الهوامع» (١/٤٢٤)، (٣/٢١٧).

وعِزَّةُ الامْتِنَاعِ؛ مَعْنَاهَا: أَنَّهُ يَمْتَنِعُ أَنْ يَنَالَهُ نَقْصٌ فِي أَيِّ شَيْءٍ مِنْ صِفَاتِهِ، امْتِنَاعُ النِّقْصِ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ  
هذا معناها غزوة الامتناع.

هل العزیز من الأسماء المتعدية أو اللازمة؟

**نقول:** هو في أحد معانيه من المتعدي، فالعزیز بمعنى الغالب مُتَعَدٍّ؛ لَأَنَّهُ غَالِبٌ وَلَيْسَ بِمَغْلُوبٍ،  
وَأَمَّا الْعَزِيزُ عِزَّةُ الْقُدْرِ وَعِزَّةُ الْاِمْتِنَاعِ، فَهَذِهِ مِنَ الْأَسْمَاءِ اللَّازِمَةِ، وَقَدْ تَقَدَّمَ كَيْفَ الْإِيَانُ بِالْأَسْمَاءِ  
الْمُتَعَدِّيَةِ وَالْأَسْمَاءِ اللَّازِمَةِ <sup>(١)</sup>.

أَمَّا الْحَكِيمُ فَإِنَّهَا فَعِيلٌ، وَهِيَ مُشْتَقَّةٌ مِنَ الْحُكْمِ، وَمِنَ الْحِكْمَةِ؛ لِأَنَّ فَعِيلًا بِمَعْنَى فَاعِلٍ، أَوْ بِمَعْنَى  
مُفْعِلٍ، فَإِنْ كَانَتْ مِنَ الْحِكْمَةِ -أَي: أَحْكَمَ- فَهِيَ بِمَعْنَى مُفْعِلٍ، وَإِنْ كَانَتْ مِنْ حَكَمَ فَحَكِيمٌ بِمَعْنَى  
فَاعِلٍ.

وَوُرُودُ فَعِيلٍ بِمَعْنَى فَاعِلٍ لَا غَرَابَةَ فِيهِ، فَفَعِيلٌ بِمَعْنَى فَاعِلٍ كَثِيرٌ فِي اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ، وَمِثَالُهُ: رَحِيمٌ  
بِمَعْنَى رَاحِمٍ.

وكذلك وَرَدَتْ فَعِيلٌ بِمَعْنَى مُفْعِلٍ؛ أَيْ: حَكِيمٌ بِمَعْنَى مُحْكِمٍ لِلْأَشْيَاءِ، وَمِنْهُ قَوْلُ الشَّاعِرِ:

أَمِنْ رِيحَانَةِ الدَّاعِي السَّمِيعِ يُورِّقُنِي وَأَصْحَابِي هُجُوعٌ <sup>(٢)</sup>

فَالسَّمِيعُ، بِمَعْنَى الْمُسْمِعِ، وَلِهَذَا قَالَ: يُورِّقُنِي وَأَصْحَابِي هُجُوعٌ. فَصَحَّ أَنَّ فَعِيلًا فِي اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ  
تَأْتِي بِمَعْنَى مُفْعِلٍ، أَمَّا إِنِّتَانُهَا بِمَعْنَى فَاعِلٍ فَكَثِيرٌ.

**إِذَا:** الْحَكِيمُ مُشْتَقَّةٌ مِنَ الْحِكْمَةِ وَمُشْتَقَّةٌ مِنَ الْحُكْمِ، وَالْحُكْمُ -أَي: حُكْمُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ- يَنْقَسِمُ إِلَى  
قَسْمَيْنِ؛ حُكْمٍ كَوْنِيٍّ وَحُكْمٍ شَرْعِيٍّ.

مِثَالُ الْحُكْمِ الشَّرْعِيِّ: قَوْلُهُ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْمُتَحَجِّجَةِ: ﴿ذَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ﴾ <sup>[الْمُتَحَجِّجَةُ: ١٠]</sup>.  
وَمِثَالُ الْحُكْمِ الْكَوْنِيِّ: قَوْلُهُ: ﴿فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَيْ أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ <sup>(٣)</sup>.  
<sup>[الْمُتَحَجِّجَةُ: ٨٠]</sup>. يَعْنِي: يَقْدُرُ لِي.

وَالْحِكْمَةُ تَكُونُ فِي الْحُكْمِ الْكَوْنِيِّ وَفِي الْحُكْمِ الشَّرْعِيِّ، فَمَا مِنْ حُكْمٍ كَوْنِيٍّ إِلَّا وَلَهُ حِكْمَةٌ، وَمَا  
مِنْ حُكْمٍ شَرْعِيٍّ إِلَّا وَلَهُ حِكْمَةٌ؛ لِأَنَّ الْحُكْمَ الشَّرْعِيَّ أَوْ الْحُكْمَ الْكَوْنِيَّ بَدُونِ حِكْمَةٍ سَفَهٌ، وَاللَّهُ  
تَعَالَى مُنَزَّهٌ عَنِ السَّفَهِ، أَوْ لَغْوٍ، وَاللَّهُ تَعَالَى مُنَزَّهٌ عَنِ اللَّغْوِ.

(١) تقدم تحريجه.

(٢) لبيت من الوافر التام، وهو لعمر بن مَعْدِيكَرِبَ الزَيْدِي، وهو موجود في ديوانه، و«معاهد التنصيص» (٢/ ٢٣٦)،

«الأغاني» (١٥/ ١٩٩، ٢١٦، ٢١٧) و«العقد الفريد» (١/ ١٣١)، (٣/ ٣٧١) و«الكامل في الأدب» (١/ ١٠٥)، و

«خزانة الأدب للبغداد» (٨/ ١٨١، ١٨٩) (١١/ ١٢٤)، و«لسان العرب» (٨/ ١٦٤)، و«المحكم لابن سيده»

(١٢/ ٥١٢)، و«الأصمعيات» (١/ ١٧٢).

انظر: «شرح الكافية الشافية» (٢/ ١٠٣٤)، و«الخزانة» (٣/ ٣٦٠).



**إِذَا:** مَا مِنْ حُكْمٍ كَوْنِيٍّ أَوْ شَرْعِيٍّ إِلَّا وَلَهُ حِكْمَةٌ، وَلَكِنْ هَلْ يَلْزَمُ مِنْ كَوْنِهِ ذَا حِكْمَةٍ أَنْ تَكُونَ الْحِكْمَةُ مَعْلُومَةً لَنَا؟

**الْجَوَابُ:** لَا، فَمَا أَكْثَرَ الْأَحْكَامَ الْكَوْنِيَّةَ وَالْأَحْكَامَ الشَّرْعِيَّةَ الَّتِي تَخْفَى عَلَيْنَا حِكْمَتُهَا، إِمَّا خَفَاءَ نِسْبًا بِأَنْ تَخْفَى عَلَى بَعْضٍ دُونَ بَعْضٍ، أَوْ خَفَاءَ حَقِيقًا بِأَنْ تَخْفَى عَلَى كُلِّ أَحَدٍ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ عَقْلَنَا قَاصِرَةٌ.

وَالْحِكْمَةُ تَنْقَسِمُ إِلَى قِسْمَيْنِ:

١- حِكْمَةُ حَالِيَّةٍ. ٢- وَحِكْمَةُ غَائِيَّةٍ.

\* فَالْحِكْمَةُ الْحَالِيَّةُ بِمَعْنَى كَوْنِ الشَّيْءِ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ حِكْمَةٌ.

\* وَالْحِكْمَةُ الْغَائِيَّةُ بِأَنْ يَكُونَ الْمَقْصُودُ مِنْ هَذَا الشَّيْءِ حِكْمَةٌ بِالْعَةِ وَثِمَرَاتٍ جَلِيلَةٍ.

**إِذَا:** فَالْحِكْمَةُ الْآنَ صَارَتْ تَنْقَسِمُ إِلَى قِسْمَيْنِ:

حِكْمَةُ حَالِيَّةٍ، يَعْني: أَنَّ الْحَالَ الَّتِي يَكُونُ عَلَيْهَا الشَّيْءُ يَكُونُ مُطَابِقًا لِلْحِكْمَةِ.

وَحِكْمَةُ غَائِيَّةٍ بِأَنْ يُرَادَ بِهِ غَايَةٌ حَمِيدَةٌ.

وَعَلَى هَذَا فَيَكُونُ الْحُكْمُ الْكَوْنِيُّ فِيهِ حِكْمَةٌ بِوَجْهَيْهَا، وَالْحُكْمُ الشَّرْعِيُّ فِيهِ حِكْمَةٌ بِوَجْهَيْهَا.

فَالْحُكْمُ الْكَوْنِيُّ الَّذِي يَحْكُمُ اللَّهُ فِيهِ عَلَى الْعِبَادِ لَهُ حِكْمَةٌ، وَكَوْنُهُ عَلَى هَذَا الْوَجْهِ هَذَا حِكْمَةٌ، وَكَوْنُهُ لَهُ غَايَةٌ حَمِيدَةٌ هَذَا لَهُ حِكْمَةٌ أُخْرَى، وَالْفَسَادُ فِي الْأَرْضِ مِثْلُ الْجَذْبِ وَالْقَحْطِ وَقِلَّةِ الْمِيَاهِ وَالْحَرُّ الشَّدِيدُ الْمَهْلِكُ لِلنَّارِ، وَالْبَرْدُ، وَالْبَرْدُ هَذَا فسادٌ، لَكِنْ يَكُونُ إِيقَاعُهُ حِكْمَةٌ قَالَ تَعَالَى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ مَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا﴾ [الأنعام: ٤١].

**إِذَا:** هَذَا الْفَسَادُ الَّذِي سَبَبُهُ مَا كَسَبَتْ أَيْدِينَا لَهُ غَايَةٌ حَمِيدَةٌ، مَا هِيَ: ﴿لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ

يَرْجِعُونَ﴾ (١١).

**إِذَا:** فَكُلُّ مَا قَضَى اللَّهُ ﷻ عَلَى الْعِبَادِ مِنْ مِحْنٍ، وَمَصَائِبَ، وَقِتَالٍ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ؛ فَإِنْ غَايَتُهُ حَمِيدَةٌ، حَتَّى لَوْ كَانَ فِيهِ الْهَلَاكُ وَالْدَّمَارُ، فَإِنَّ الْغَايَةَ فِيهِ حَمِيدَةٌ؛ لِأَنَّ الْمُصَابِينَ بِهَذَا لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ بِالإِضَافَةِ إِلَى تَكْفِيرِ السَّيِّئَاتِ وَرَفْعَةِ الدَّرَجَاتِ وَزِيَادَةِ الْحَسَنَاتِ مَعَ الصَّبْرِ وَالْإِحْسَابِ، وَالَّذِينَ لَمْ يُصَابُوا يَتَّخِذُونَ مِنْ ذَلِكَ عِبْرَةً، فَيَرْجِعُونَ إِلَى اللَّهِ ﷻ.

وكَذَلِكَ أَيْضًا بِالنِّسْبَةِ لِلْحُكْمِ الشَّرْعِيِّ، فَلَهُ حِكْمَةٌ حَالِيَّةٌ بِمَعْنَى: أَنَّ وَضْعَهُ عَلَى هَذَا الْوَجْهِ لَهُ حِكْمَةٌ، وَلَهُ حِكْمَةٌ غَائِيَّةٌ بِمَعْنَى: أَنَّ الْغَايَةَ مِنْهُ حَمِيدَةٌ، يُحْمَدُ اللَّهُ عَلَيْهَا، وَإِذَا نَظَرْتَ فِي جَمِيعِ الشَّرَائِعِ تَجِدُهَا هَكَذَا.

فَمِثْلًا: الْوُضُوءُ بَغَسَلٍ وَتَطْهِيرِ الْأَعْضَاءِ الْأَرْبَعَةِ، لِأَنَّ شَرْعِيَّتَهُ عَلَى هَذَا الْوَجْهِ حِكْمَةٌ؛ لِأَنَّ هَذِهِ الْأَعْضَاءَ هِيَ أَعْضَاءُ الْجَسَدِ؛ الْوَجْهُ وَالْيَدَانِ وَالرَّأْسُ وَالرُّجُلَانِ.

وَفِي كَوْنِهِ غَسْلًا فِي ثَلَاثَةِ أَعْضَاءٍ، وَمَسْحًا فِي غُضُوٍّ وَاحِدٍ أَيْضًا: حِكْمَةٌ؛ لِأَنَّ اللَّهَ لَوْ فَرَضَ عَلَيْنَا

عَسَلَ الرُّءُوسِ وَلَا سِيَّامًا فِي زَمَنِ كَانَ النَّاسُ يَتَّخِذُونَ الشَّعْرَ فِي عَهْدِ الرَّسُولِ ﷺ بَلَاءً لِّلْأَعْيُنِ، ثُمَّ أَلْزَمْنَا بِغَسْلِ الرَّأْسِ كَمَا نَلْزَمُ بِغَسْلِ الْوَجْهِ، فَإِنَّهُ سَوْفَ يَحْصُلُ مِنَ الْمَسَّقَةِ شَيْءٌ كَثِيرٌ وَلَا سِيَّامًا فِي أَيَّامِ الشِّتَاءِ، وَلِهَذَا كَانَتْ طَهَارَتُهُ بِالْمَسْحِ، وَطَهَارَةُ الْأَعْضَاءِ الثَّلَاثَةِ بِالْغَسْلِ.

**إِذَا:** هَذَا مُطَابِقٌ لِلْحِكْمَةِ، وَطَبَّقَ هَذَا عَلَى جَمِيعِ الشَّرَائِعِ تَجِدَانِ كَوْنَهَا عَلَى هَذِهِ الْحَالِ حِكْمَةً.

ثُمَّ الْغَايَةُ مِنْ ذَلِكَ حِكْمَةٌ عَظِيمَةٌ أَيْضًا، فِيهِ الْوُضُوءُ الْغَايَةُ مِنْهُ: التَّطَهُّيرُ الْمَعْنَوِيُّ وَهَذَا أَهَمُّ شَيْءٍ، فَإِنْ خَطَايَا هَذِهِ الْأَعْضَاءِ تَزُولُ مَعَ آخِرِ قُطْرَةٍ مِنْ قَطْرَاتِ الْمَاءِ.

وَهَذَا التَّطَهُّيرُ الْمَعْنَوِيُّ هُوَ الْمُهِمُّ بِالْإِضَافَةِ إِلَى التَّطَهُّيرِ الْحِسِّيِّ؛ لِأَنَّ هَذِهِ الْأَعْضَاءَ فِي الْغَالِبِ بَارِزَةٌ، وَإِذَا كَانَتْ بَارِزَةً؛ فَإِنَّهَا تَتَعَرَّضُ لِلْغُبَارِ، وَتَتَعَرَّضُ لِلْأَوْسَاحِ، فَلِهَذَا أُمِرَ بِغَسْلِهَا.

وَالْخِلَاصَةُ: أَنَّ الْحِكْمَةَ حَالِيَّةٌ وَغَايَةٌ فِي الشَّرْعِ وَفِي الْقَدْرِ، فَتَكُونُ أَرْبَعَةً: حِكْمَةٌ حَالِيَّةٌ فِي الْقَدْرِ، وَحِكْمَةٌ غَايَةٌ فِي الْقَدْرِ، وَحِكْمَةٌ حَالِيَّةٌ فِي الشَّرْعِ، وَحِكْمَةٌ غَايَةٌ فِي الشَّرْعِ.

وَفِي جَمْعِ اللَّهِ ﷻ بَيْنَ الْعَزِيزِ وَالْحَكِيمِ زِيَادَةٌ كَمَالٌ؛ لِأَنَّ الْعَزِيزَ الَّذِي هُوَ الْغَالِبُ قَدْ تَحْمِلُهُ عِزَّتُهُ عَلَى سُوءِ التَّصَرُّفِ، كَمَا يُوجَدُ فِي الْمَخْلُوقِينَ، فَإِنَّهُ إِذَا كَانَ عِنْدَهُ عِزَّةٌ وَغَلَبَةٌ وَسُلْطَانٌ فَقَدْ يَتَصَرَّفُ تَصَرُّفًا أَحْمَقَ، فَقَرَنَ اللَّهُ ﷻ الْعِزَّةَ بِالْحِكْمَةِ؛ لِيَتَبَيَّنَ أَنَّ عِزَّتَهُ ﷻ مُبْنِيَّةٌ عَلَى الْحِكْمَةِ، وَأَنَّهُ لَيْسَ كَالْمَخْلُوقِ الَّذِي قَدْ يَكُونُ عِنْدَهُ مِنَ الْعِزَّةِ الَّتِي قَدْ تَحْمِلُهُ عَلَى التَّهَوُّرِ وَعَدَمِ إِحْسَانِ التَّصَرُّفِ.

**قَوْلُهُ:** ﴿سُبْحَنَ رَبِّكَ رَبَّ الْعِزَّةِ﴾ [الشَّارِحُ: ١٨٠].

كَلِمَةً: ﴿سُبْحَنَ﴾. يَقُولُ أَهْلُ الْلُغَةِ: إِنَّهَا اسْمٌ مُصَدَّرٌ سَبَّحَ، وَالْمُصَدَّرُ تَسْبِيحٌ، وَيَقُولُونَ أَيْضًا: إِنَّهَا مُلَازِمَةٌ لِلنَّصْبِ عَلَى الْمُفْعُولِيَّةِ الْمُطْلَقَةِ، وَلَمْ تَخْرُجْ عَنْ ذَلِكَ إِلَّا نَادِرًا. وَيَقُولُونَ: إِنَّهَا مُلَازِمَةٌ لِلْإِضَافَةِ، وَلَا تَأْتِي إِلَّا مُضَافَةً إِمَّا لِاسْمٍ ظَاهِرٍ، أَوْ لِاسْمٍ مُضْمَرٍ، وَرُبَّمَا تَفْرُدُ قَلِيلًا عَنِ الْإِضَافَةِ <sup>(١)</sup>.

وَمَعْنَى التَّسْبِيحِ: التَّنْزِيهِ، وَمَا الَّذِي يُنْزَهُ اللَّهُ عَنْهُ؟

**الْجَوَابُ:** يُنْزَهُ اللَّهُ ﷻ عَنْ مُمَائِلَةِ الْمَخْلُوقِ، وَعَنِ النَّقْصِ وَالْعَيْبِ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ الدَّجَالَ أَعْوَرٌ، وَإِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ» <sup>(٢)</sup>. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَا مِنْ لُغُوبٍ﴾ [فُتُوخُ: ٢٨].

وَالنُّصُوصُ فِي نَفْيِ الْعَيْبِ عَنِ اللَّهِ كَثِيرَةٌ، وَكَذَلِكَ فِي نَفْيِ الْمُمَائِلَةِ عَنِ اللَّهِ.

**قَوْلُهُ:** ﴿سُبْحَنَ رَبِّكَ﴾. أَضَافَ الرُّبُوبِيَّةَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ؛ لِأَنَّهَا رُبُوبِيَّةٌ خَاصَّةٌ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى رَبُّهُ، قَدْ رَبَّاهُ عَلَى أَكْمَلِ الْأَخْلَاقِ، وَلِذَلِكَ نَقُولُ: الرُّبُوبِيَّةُ تَنْقَسِمُ إِلَى عَامَّةٍ وَخَاصَّةٍ.

(١) ومثلها تمامًا كلمة «معاذة».

(٢) رواه البخاري (٧٤٠٧)، ومسلم (١٦٩).



**فالعامة:** هي الشاملة لجميع الخلق؛ وذلك مثل قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٢٠٠). ومثل قوله: ﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ (٢٠١).

**والخاصة:** هي التي تختص بمن تعبد الله تعالى، وتستلزم النصرة والتأييد والتربية الخاصة، وأخص هذا النوع - يعني الربوبية الخاصة - ما أضيفت إلى الرُّسل - عليهم الصلوات والسلام -؛ لأن ربوبية الله لهم هي أخص ربوبية.

وقوله: ﴿رَبِّ الْعِزَّةِ﴾. معنى ﴿رَبِّ﴾ هنا صاحب؛ أي: صاحب العِزَّة، وليس معناها «خالق»؛ «فرب» في ﴿رَبِّكَ﴾ غير «رب» في ﴿رَبِّ الْعِزَّةِ﴾؛ لأن رب العِزَّة يتعين أن تكون بمعنى صاحب، ولا يجوز أن يجعلها بمعنى خالق؛ وذلك لأن العِزَّة صفة من صفات الله، وصفات الله تعالى غير مخلوقة.

فيتعين أن نحمل قوله: ﴿رَبِّ الْعِزَّةِ﴾ على صاحب العِزَّة؛ أي: ذي العِزَّة. وإنما أضاف تعالى هنا نفسه إلى العِزَّة؛ لأن المقام يقتضيه، فإن هؤلاء يصفون الله تعالى بما هو مبرأ منه، كما قال: ﴿رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾. فيظنون أنهم بذلك غالبون، ولكنهم مغلوبون في الحقيقة؛ لأن صاحب العِزَّة على الكمال هو الله تعالى، وإن أمهلوا، لكنهم لا يهملون.

وقوله تعالى: ﴿سُبْحَنَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾. الشاهد من هذا قوله: ﴿الْعِزَّةِ﴾. فإنها تطابق العِزَّة؛ لأن العِزَّة مأخوذة من العِزَّة، كما سبق.

وقوله: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ﴾. وهذا في جواب المتأففين لما قالوا: ﴿لَيْنَ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَا الْأَعْرَابُ مِنْهَا الْأَذَلَّ﴾ قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾، إذن فليشوا هم أعز من رسول الله ﷺ والمؤمنين، بل هم أذل، فكان في الآية تسليماً لما قالوا؛ أي: أنه يخرج الأعراب الأذل، لكن الأعز هو الله ورسوله والمؤمنون، كما قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾.

وفي تقديم الخبر في قوله: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ﴾. دليل على أن العِزَّة المطلقة لا تكون إلا لله وحده، وأما العِزَّة التي قد تشاب بدل فهذه تكون للمخلوق، حتى للمؤمنين، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِدَرِّ وَأَسْمِ ذَلَّةٍ﴾ (١١٣). فأذلة جمع ذليل.

لكن في النهاية تكون العِزَّة للمؤمنين، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾، والمنافقون يتوعدون بهذا الوعد: ﴿لَيْنَ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَا الْأَعْرَابُ مِنْهَا الْأَذَلَّ﴾؛ كقول بعضهم: ﴿لَا تُفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا﴾ (١٧). و«حتى» هنا ليست للغاية، وإنما هي للتعليل؛ لأن المعنى: لا تنفقوا لأجل أن ينفضوا، وليس المعنى: لا تنفقوا حتى ينفضوا، فإذا انفضوا فانفقوا، المعنى: لا تنفقوا من أجل أن ينفضوا قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾.

خزائن السموات ليست عندكم أيها المنافقون، فلو منعتم الإنفاق فعند الله ما ليس عندكم، فهو سبحانه عنده خزائن السموات والأرض، وقال تعالى: ﴿وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَقْنُتُونَ﴾ (٧).

**وَالشَّاهِدُ لَرَجَمَةِ هَذَا الْبَابِ: قَوْلُهُ:** ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾. وَآتَى فِيهَا بِوَاوِ الْعَطْفِ وَهَذَا قَدْ يُشْكِلُ جَمْعُ الْعِزَّةِ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ بِالْوَاوِ، مَعَ أَنَّ عِزَّةَ الرَّسُولِ وَعِزَّةَ الْمُؤْمِنِينَ، تَابِعَةٌ لِعِزَّةِ اللَّهِ تَعَالَى، ثُمَّ إِنَّ عِزَّةَ الرَّسُولِ وَالْمُؤْمِنِينَ لَيْسَتْ الْعِزَّةُ الْمُطْلَقَةُ الثَّابِتَةُ لِلَّهِ، فَمَا هُوَ الْجَوَابُ؟

**الْجَوَابُ أَنْ نَقُولَ:** الْعِزَّةُ بِالذِّينِ مِنَ عِزَّةِ اللَّهِ ﷻ؛ يَعْنِي: أَنَّ اللَّهَ لَا يُعِزُّ الْمُؤْمِنِينَ، وَلَا يُعِزُّ النَّبِيَّ إِلَّا لِإِعْزَازِ دِينِهِ، وَهَذَا كَقَوْلِهِ: ﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ﴾ [مُحَمَّدٌ: ٤٧]، هَذَا وَجْهُ.

**وَالْوَجْهُ الثَّانِي:** أَنَّ جُمْلَةَ: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ﴾ جُمْلَةٌ مُسْتَقْلِلَةٌ تَمَّتْ، وَقَوْلُهُ ﴿وَلِرَسُولِهِ﴾. وَهُوَ عَطْفٌ جُمْلَةً عَلَى جُمْلَةٍ، وَيَكُونُ التَّقْدِيرُ: وَلِرَسُولِهِ الْعِزَّةُ أَوْ لِرَسُولِهِ عِزَّةٌ، فَهَذَا مُمْكِنٌ؛ لِأَنَّ الْجُمْلَةَ الْأُولَى تَمَّتْ، لَكِنْ لَوْ كَانَ لَفْظُ الْآيَةِ (وَاللَّهُ) وَلِلرَّسُولِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ (الْعِزَّةُ)، لَكَانَ هَذَا جَمْعًا بَيْنَ الْعِزَّةِ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ، لَكِنْ لَمَّا جَاءَتْ الْجُمْلَةُ الْأُولَى ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ﴾ مُسْتَقْلِلَةً وَجَاءَتْ هَذِهِ تَابِعَةٌ زَالَ الْإِشْكَالُ، فَلَمْ يُقَرَّنْ سَبْحَانَهُ بَيْنَ عِزَّةِ اللَّهِ وَعِزَّةِ الرَّسُولِ وَالْمُؤْمِنِينَ بِالْوَاوِ الدَّالَّةِ عَلَى التَّسْوِيَةِ.

**قَوْلُهُ:** «وَمَنْ حَلَفَ بِعِزَّةِ اللَّهِ وَصِفَاتِهِ»؛ يَعْنِي: «وَبَابٍ مِّنْ حَلَفٍ بِعِزَّةِ اللَّهِ»؛ يَعْنِي: هَلْ نَحْلِفُ بِعِزَّةِ اللَّهِ وَبِصِفَاتِهِ؟

**الْجَوَابُ:** نَعَمْ، بِدَلِيلِ مَا ذَكَرَهُ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ، فَنَحْلِفُ بِعِزَّةِ اللَّهِ، وَنَقُولُ: وَعِزَّةُ اللَّهِ لِأَعْلَيْنِ عَدُوِّي، إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

**قَوْلُهُ:** «وَصِفَاتِهِ»؛ أَي: وَبَقِيَّةِ الصِّفَاتِ، فَأَيُّ صِفَةٍ مِّنْ صِفَاتِ اللَّهِ، فَإِنَّهُ يَجُوزُ أَنْ تَحْلِفَ بِهَا، فَتَقُولَ: وَقُدْرَةَ اللَّهِ لِأَحْمَلَنَّ هَذَا الْحَجَرَ، أَوْ تَقُولَ: وَسُلْطَانَ اللَّهِ لِأَسْتَحْوِذَنَّ عَلَى أَهْلِ بَنِي. فَالْحَلْفُ بِصِفَاتِ اللَّهِ جَائِزٌ.

وَكَذَلِكَ الْحَلْفُ بِالْقُرْآنِ جَائِزٌ؛ لِأَنَّ الْقُرْآنَ صِفَةٌ مِّنْ صِفَاتِ اللَّهِ. وَأَمَّا الْحَلْفُ بِالْمُصْحَفِ فِيهِ تَفْصِيلٌ: إِنْ أَرَادَ الْمُصْحَفُ الَّذِي هُوَ الْأَوْرَاقُ وَالْجِلْدُ وَالْمِدَادُ، فَإِنَّهُ لَا يَجُوزُ؛ لِأَنَّ هَذَا مَخْلُوقٌ، وَإِنْ أَرَادَ بِالْمُصْحَفِ الْقُرْآنَ فَهَذَا جَائِزٌ.

الْحَلْفُ بِآيَاتِ اللَّهِ فِيهِ تَفْصِيلٌ: فَإِنْ أَرَادَ بِآيَاتِ اللَّهِ الْآيَاتِ الْكُوفِيَّةَ فَإِنَّهُ لَا يَجُوزُ؛ لِأَنَّ الْآيَاتِ الْكُوفِيَّةَ مَخْلُوقَةٌ، وَإِنْ أَرَادَ بِآيَاتِ اللَّهِ الْآيَاتِ الشَّرْعِيَّةَ؛ أَي: الْوَحْيِ، فَهَذَا جَائِزٌ.

وَالَّذِينَ يَخْلُقُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ الْآنَ مِنَ عَامَّةِ النَّاسِ، الظَّاهِرُ أَنَّهُمْ يُرِيدُونَ بِهَا الْآيَاتِ الشَّرْعِيَّةَ، فَلَوْ سَأَلْتَ أَيَّ عَامِّي: هَلْ أَنْتَ تُرِيدُ بِقَوْلِكَ: وَآيَاتِ اللَّهِ. أَنْ تَحْلِفَ بِالشَّمْسِ وَالْقَمَرِ مِثْلًا؟ لَقَالَ: لَا، بَلْ أَنَا أُرِيدُ الْقُرْآنَ، فَيَكُونُ بِذَلِكَ حَالِفًا بِصِفَةٍ مِّنْ صِفَاتِ اللَّهِ.

**قَالَ:** وَقَالَ أَنَسٌ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «تَقُولُ جَهَنَّمَ قَطُّ وَقِعْرَتِكَ» <sup>(١)</sup>.

**قَوْلُهُ:** «قَطُّ». بِمَعْنَى حَسْبُ، وَفِيهَا لُغَاتٌ، «قَطُّ قَطُّ»: وَتَكُونُ فِيهَا مَبْنِيَّةٌ عَلَى السُّكُونِ.

(١) رواه البخاري معلقاً بصيغة الجزم، وأسنده في الألبان والندور، حديث رقم (٦٦٦١).



«قَطٍ قَطٍ»: وتكون فيها مَبْنِيَّةٌ عَلَى الْكَسْرِ مُنَوَّةٌ <sup>(١)</sup>.

❖ وقوله ﷺ: «تَقُولُ جَهَنَّمُ: قَطٍ قَطٍ». إِذَا وَضَعَ الرَّبُّ ﷻ عَلَيْهَا قَدَمَهُ، أَنْزَلَهَا إِلَى بَعْضِهَا؛ لِأَنَّهَا لَا تَزَالُ يُلْقَى فِيهَا، وَهِيَ تَقُولُ: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ. حَتَّى يَضَعَ الرَّبُّ ﷻ عَلَيْهَا قَدَمَهُ، وَتَقُولُ: قَطٍ قَطٍ، لَكِنَّ هَذَا اللَّفْظَ الَّذِي عَلَّقَهُ الْمُؤَلِّفُ: «قَطٍ قَطٍ وَعِزَّتِكَ» وَهُوَ قَسَمٌ، فَقَدْ أَقْسَمَتِ النَّارُ بِعِزَّةِ اللَّهِ، وَحَكَاهُ النَّبِيُّ ﷺ عَنْهَا مُقَرَّرًا لَهُ.

وقال أَبُو هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «يُنْقَى رَجُلٌ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ آخِرُ أَهْلِ النَّارِ دُخُولًا الْجَنَّةَ، فَيَقُولُ: رَبِّ أَصْرِفْ وَجْهِي عَنِ النَّارِ، لَا وَعِزَّتِكَ لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهَا» <sup>(٢)</sup>.

**الشَّاهِدُ مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ قَوْلُهُ:** «لَا وَعِزَّتِكَ». فَأَقْسَمَ بِعِزَّةِ اللَّهِ، وَحَكَاهُ النَّبِيُّ ﷺ مُقَرَّرًا لَهُ. ❖ وقوله: «لَا وَعِزَّتِكَ»: «لَا» هُنَا، لَيْسَتْ لِلنَّفْسِ؛ لِأَنَّهَا لَوْ كَانَتْ لِلنَّفْسِ لَكَانَ نَفْيُ الْيَمِينِ، فَهِيَ هُنَا لِلتَّائِيدِ وَالتَّنْبِيهِ، وَتَطْبِيرُهَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَا أَقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ [التَّائِيدُ: ١]، وَ: ﴿لَا أَقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾ [الْبَيِّنَاتُ: ١]، وَ: ﴿لَا أَقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ﴾ [الْبَقَرَةُ: ٢٣٨]. فـ «لَا» هُنَا لَيْسَتْ نَافِيَةً، وَلَكِنَهَا لِلتَّنْبِيهِ وَالتَّائِيدِ.

❖ قوله: قال أَبُو سَعِيدٍ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «قَالَ اللَّهُ ﷻ: لَكَ ذَلِكَ وَعَشْرَةُ أَمْثَالِهِ» <sup>(٣)</sup>. «وَقَالَ أَيُّوبُ: وَعِزَّتِكَ لَا غَنَى لِي عَنْ بَرَكَتِكَ».

**الشَّاهِدُ:** قَوْلُهُ: «وَعِزَّتِكَ». فَأَقْسَمَ أَيُّوبُ بِعِزَّةِ اللَّهِ، فَدَلَّ ذَلِكَ عَلَى جَوَازِ الْقَسَمِ بِأَيِّ صِفَةٍ مِنْ صِفَاتِ اللَّهِ ﷻ.

وَلَكِنْ يَحْسُنُ أَنْ تَكُونَ الصِّفَةُ الَّتِي تُقْسَمُ بِهَا مُنَاسِبَةً لِلْمُقْسَمِ عَلَيْهِ، فَإِذَا كُنْتَ تُرِيدُ أَنْ تُقْسِمَ عَلَى غَلْبَةِ فِتْنَانِسْبِ ذَلِكَ أَنْ تَقُولَ: وَعِزَّتِكَ. وَلِهَذَا لَمَّا كَانَ الشَّيْطَانُ يَعْرِفُ رَبَّهُ ﷻ، وَيَعْرِفُ قُدْرَهُ، لَمَّا أَرَادَ أَنْ يُخْبِرَ اللَّهَ ﷻ بِأَنَّهُ سَوْفَ يُغْوِي الْعِبَادَ، وَإِغْوَاءُ الْعِبَادِ يَخْتَاجُ إِلَى قُوَّةٍ وَإِلَى سُلْطَةٍ، قَالَ: ﴿فِعِزَّتِكَ لَاغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الشُّعَرَاءُ: ٨٢]. فَأَقْسَمَ الشَّيْطَانُ بِعِزَّةِ اللَّهِ؛ لِأَنَّهَا تَنَاسِبُ الْمَقَامَ، وَالتَّنَاسُبُ بَيْنَ الْمُقْسَمِ بِهِ وَالمُقْسَمِ عَلَيْهِ هُوَ طَرِيقَةُ الْقُرْآنِ، وَلِهَذَا لَا تَجِدُ قَسَمًا فِي الْقُرْآنِ إِلَّا وَبَيْنَ الْقَسَمِ وَالمُقْسَمِ عَلَيْهِ مُنَاسِبَةً، لَكِنَّمَا قَدْ تَكُونُ بَعِيدَةً، وَقَدْ تَكُونُ قَرِيبَةً مَعْرُوفَةً لِكُلِّ أَحَدٍ.

**قال الحافظ ابن حجر في «الفتح» (٣٦٩/١٣):**

❖ قَوْلُهُ: «وَمَنْ حَلَفَ بِعِزَّةِ اللَّهِ وَصِفَاتِهِ». كَذَا لِلْكَثَرِ، وَفِي رِوَايَةِ الْمُسْتَمْلِيِّ: «وَسُلْطَانِهِ» بَدَلُ «وَصِفَاتِهِ»، وَالْأَوَّلُ أَوْلَى، وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي الْإِيمَانِ وَالتَّنْذِيرِ بَابُ الْحَلْفِ بِعِزَّةِ اللَّهِ، وَصِفَاتِهِ، وَكَلَامِهِ. وَتَقَدَّمَ تَوْجِيهِهُ هُنَاكَ.

قال ابن بَطَّالٍ: الْعَزِيزُ يَضْمَنُ الْعِزَّةَ، وَالْعِزَّةُ يُحْتَمَلُ أَنْ تَكُونَ صِفَةً ذَاتَ بِمَعْنَى الْقُدْرَةِ وَالْعَظَمَةِ، وَأَنْ تَكُونَ

(١) انظر «الفتح» (٥٩٥/٨).

(٢) رواه البخاري معلقاً بصيغة الجزم، وأسنده المؤلف في «الرقاق»، باب: الصراط جسر جهنم، حديث رقم (٦٥٧٣، ٦٥٧٤).

وانظر: «تغليق التعليق» (١٩٩/٥).

(٣) المصدر السابق.

صِفَةً فِعْلٍ بِمَعْنَى فَهَرِهَ لِمَخْلُوقَاتِهِ، وَالْعَلَبَةِ لَهُمْ، وَلِذَلِكَ صَحَّتْ إِضَافَةُ اسْمِهِ إِلَيْهَا.

قَالَ: وَيُظْهَرُ الْفَرْقُ بَيْنَ الْحَالِفِ بِعِزَّةِ اللَّهِ، الَّتِي هِيَ صِفَةٌ ذَاتِيَّةٌ، وَالْحَالِفِ بِعِزَّةِ اللَّهِ، الَّتِي هِيَ صِفَةٌ، فِعْلِيَّةٌ بِأَنَّهُ يَخْنُثُ فِي الْأَوَّلَى دُونَ الثَّانِيَةِ، بَلْ هُوَ مَنْهِيٌّ عَنِ الْحَلْفِ بِهَا، كَمَا نُهَى عَنِ الْحَلْفِ بِحَقِّ السَّيِّئِ وَحَقِّ زَيْدٍ.

**قُلْتُ:** وَإِذَا أَطْلَقَ الْحَالِفُ انْصَرَفَ إِلَى صِفَةِ الذَّاتِ، وَانْعَقَدَتِ الْيَمِينُ إِلَّا إِنْ قَصَدَ خِلَافَ ذَلِكَ بِدَلِيلِ أَحَادِيثِ الْبَابِ. اهـ

وَلَوْ قِيلَ: إِنَّ أَحَادِيثَ الْبَابِ تَدُلُّ عَلَى الْعُمُومِ، وَلَا تُحْمَلُ عَلَى وَجْهِ وَاحِدٍ، ثُمَّ إِنَّهُ لَا فَرْقَ فِيهَا يَظْهَرُ بَيْنَ الصِّفَاتِ الذَّاتِيَّةِ وَالْفِعْلِيَّةِ، فَلَوْ قُلْتُ: وَاسْتَوَاءُ اللَّهِ عَلَى عَرْشِهِ، لِأَعْلَوْنَ عَلَى فُلَانٍ، فَهُوَ جَائِزٌ؛ لِأَنَّ الْإِسْتَوَاءَ عَلَى الْعَرْشِ مِنْ خَصَائِصِ اللَّهِ.

وَالْمُهْمُّ: هُوَ أَنْ تَأْتِيَ بِصِفَةٍ مِنْ خَصَائِصِ اللَّهِ، وَالصِّفَةُ الْفِعْلِيَّةُ مُشْتَرَكَةٌ، وَلِذَا فَإِنَّا قَدْ نَقُولُ: إِنَّهُ لَا يَتَعَقَّدُ بِهَا الْيَمِينُ؛ لِأَنَّهَا مُشْتَرَكَةٌ، مِثْلَ النُّزُولِ فَهُوَ مُشْتَرَكٌ لَكِنْ لَوْ قُلْتُ: وَنُزُولِ اللَّهِ إِلَى السَّيِّئِ الدُّنْيَا. لَمْ تَكُنْ مُشْتَرَكَةً؛ لِأَنَّ هَذَا لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ لِلْمَخْلُوقِ، كَمَا قَالُوا أَيْضًا فِي الْأَسْمَاءِ: الْأِسْمُ الْخَاصُّ بِاللَّهِ تَتَعَقَّدُ بِهِ الْيَمِينُ، وَالْمُشْتَرَكُ لَا تَتَعَقَّدُ بِهِ الْيَمِينُ إِلَّا بِنِيَّةٍ.

وَلَوْ أَقْسَمَ بِصِفَةٍ مِنَ الصِّفَاتِ الْخَبَرِيَّةِ فَهَذَا جَائِزٌ، إِذَا كَانَتْ هَذِهِ الصِّفَةُ الْخَبَرِيَّةُ تُطْلَقُ عَلَى الذَّاتِ؛ مِثْلَ وَجْهِ اللَّهِ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ تُطْلَقُ عَلَى الذَّاتِ مِثْلَ يَدِ اللَّهِ فَالظَّاهِرُ أَنَّهُ لَا يَجُوزُ، فَلَا يَقُولُ وَيَدُ اللَّهِ لِأَفْعَلَنَّ. أَوْ وَقَدْ مَنَّ اللَّهُ لِأَفْعَلَنَّ.

وَالْفَرْقُ بَيْنَهُمَا ظَاهِرٌ أَنَّهُ إِذَا قُصِدَ بِالْوَجْهِ الذَّاتُ فَهُوَ قَسَمٌ بِاللَّهِ نَفْسِهِ، بِخِلَافِ الْيَدِ وَالْعَيْنِ وَالْقَدَمِ وَالسَّاقِ فَلَا تُطْلَقُ عَلَى اللَّهِ.



ثُمَّ قَالَ الْبُحَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٣٨٣- حَدَّثَنَا أَبُو مَعْمَرٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَارِثِ، حَدَّثَنَا حُسَيْنُ الْمُعَلِّمِ، حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ بُرَيْدَةَ، عَنْ يَحْيَى بْنِ يَعْمَرَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُولُ: «أَعُوذُ بِعِزَّتِكَ الَّتِي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، الَّتِي لَا يَمُوتُ وَالْحَيُّ وَالْإِنْسُ يَمُوتُونَ»<sup>(١)</sup>.

الشَّاهِدُ مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ قَوْلُهُ: «أَعُوذُ بِعِزَّتِكَ». فَأُثْبِتَ لِلَّهِ الْعِزَّةَ، وَقَدْ سَبَقَ مَعْنَى الْعِزَّةِ. وَقَوْلُهُ ﷺ: (أَعُوذُ)، أَيِ: أَعْتَصِمُ، وَهَذَا قَوْلُ: أَعُوذُ. وَهَذَا قَوْلُ: أَلُوذُ، وَالْفَرْقُ بَيْنَهُمَا: أَنَّ اللَّيَازَ يَكُونُ فِي طَلَبِ الْمَحْبُوبِ، وَالْعِيَاذَ يَكُونُ فِي الْإِلْتِجَاءِ مِنَ الْمَرْهُوبِ، وَعَلَى هَذَا قَوْلُ الشَّاعِرِ، وَهُوَ قَوْلٌ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ إِلَّا لِلَّهِ.



يَا مَنْ أَلُوذِيهِ فِيمَا أُوْئِلُهُ وَمَنْ أَعُوذِيهِ مِمَّا أَحَاذِرُهُ  
لَا يَجْبُرُ النَّاسَ عَظْمًا أَنْتَ كَاسِرُهُ وَلَا يَهَيِّضُونَ عَظْمًا أَنْتَ جَابِرُهُ<sup>(١)</sup>

**الشَّاهِدُ: قَوْلُهُ:**

«يَا مَنْ أَلُوذِيهِ فِيمَا أُوْئِلُهُ وَمَنْ أَعُوذِيهِ مِمَّا أَحَاذِرُهُ»

وهذا يَقُولُهُ فِي مَمْدُوحٍ لَهُ، لَكِنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ، هُوَ الَّذِي يَسْتَحِقُّ هَذَا.

وَإِذَا قِيلَ: مَا الْفَرْقُ بَيْنَ الْإِسْتِعَاذَةِ بِصِفَةٍ مِنْ صِفَاتِ اللَّهِ، وَبَيْنَ الدُّعَاءِ بِنَفْسِ الصِّفَةِ؟

**الْجَوَابُ:** الْفَرْقُ بَيْنَهُمَا أَنَّ الَّذِي يَسْتَعِذُّ بِصِفَةٍ مِنْ صِفَاتِ اللَّهِ جَعَلَ هَذِهِ الصِّفَةَ وَسِيلَةً، وَالْمَقْصُودُ الْإِسْتِعَاذَةُ بِاللَّهِ نَفْسِهِ.

وَأَمَّا مَنْ دَعَا يَقُولُ: يَا عِزَّةَ اللَّهِ، أَعِزِّدْنِي. أَوْ: يَا مَغْفِرَةَ اللَّهِ، اغْفِرْ لِي. وَيُوجِّهُ الدُّعَاءَ لَهَا وَحْدَهَا فَإِنَّهُ لَا يَجُوزُ. وَهَذَا بِخِلَافِ الدُّعَاءِ بِمَثَلِ: أَسْأَلُكَ بِمَغْفِرَتِكَ، أَنْ تَغْفِرَ لِي.

وَمِنْ ذَلِكَ: قَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ: «بَرَحْمَتِكَ أَسْتَعِثُّ»، وَقَوْلُهُ ﷺ: «أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ»<sup>(٢)</sup> فَهَذَا الْمَقْصُودُ بِذَلِكَ أَنَّهُ لِكَوْنِكَ رَاحِمًا، أَسْتَعِثُّ بِكَ، فَجَعَلَ الرَّحْمَةَ وَسِيلَةً، وَهَذَا لَا يُشْعِرُ بِأَنَّ الرَّحْمَةَ شَيْءٌ مُسْتَقِيلٌ عَنِ اللَّهِ يُسْتَعَاثُ بِهِ.

❖ وَأَمَّا لَوْ قَالَ: «يَا رَحْمَةَ اللَّهِ، أَغِيْثْنِي». فَإِنَّ هَذَا لَا يَجُوزُ؛ لِأَنَّكَ الْآنَ جَعَلْتَ الرَّحْمَةَ مُسْتَقِيلَةً تُدْعَى مِنْ دُونِ اللَّهِ، وَلِهَذَا قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: إِنَّ دُعَاءَ الصِّفَةِ كُفْرٌ بِالْإِتِّفَاقِ؛ لِأَنَّهُ يَتَضَمَّنُ أَنَّكَ جَعَلْتَ الصِّفَةَ شَيْئًا مُسْتَقِيلًا قَائِمًا بِنَفْسِهِ، وَهَذَا هُوَ الشُّرْكُ<sup>(٣)</sup>.

❖ وَقَوْلُهُ ﷺ: «وَالْجَنُّ وَالْإِنْسُ يَمُوتُونَ». قَدْ يُسْتَدَلُّ بِهِ عَلَى أَنَّ الْمَلَائِكَةَ لَا يَمُوتُونَ، وَلَكِنْ هَذَا لَيْسَ فِيهِ دَلَالَةٌ، فَأَنْتَ إِذَا قُلْتَ: زَيْدٌ وَعَمْرُو قَائِمَانِ. فَإِنَّكَ لَا تَنْفِي أَنْ ذَلِكَ لَا يَأْتِي عَلَى غَيْرِهِمْ، فَهَذَا مِنْ مَفْهُومِ اللَّقَبِ، وَهُوَ مَا عَلَّقَ فِيهِ الْحُكْمُ عَلَى الْعَيْنِ فَقَطْ، فَإِذَا قُلْتَ: مُحَمَّدٌ قَائِمٌ. فَلَيْسَ مَفْهُومُهُ أَنْ غَيْرَهُ غَيْرُ قَائِمٍ.

\*\*\*

**ثُمَّ قَالَ الْبَحَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:**

٧٣٨٤- حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي الْأَسْوَدِ، حَدَّثَنَا حَرَمِيُّ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ

ﷺ قَالَ: «يُلْقَى فِي النَّارِ». ح. وَقَالَ لِي حَلِيفَةُ: حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ، حَدَّثَنَا سَعِيدٌ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسٍ

(١) الْبَيْتَانِ لِلْمَتَنِيِّ، وَهُمَا مَوْجُودَانِ فِي: خِلَاصَةِ الْأَثَرِ (٣/٣٣)، وَ«الْبَدَايَةُ وَالنِّهَايَةُ» (١١/٢٥٨)، وَمَحَاضِرَاتِ الْأَدْبَاءِ (٢/١٦٣).

(٢) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٤٨٦).

(٣) انْظُرْ: الرَّدُّ عَلَى الْبَكْرِيِّ (١/١٨١).

ح. وعن مُعْتَمِرٍ سَمِعْتُ أَبِي، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَا يَزَالُ يُلْقَى فِيهَا، وَقَوْلُ: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ؟ حَتَّى يَضَعَ فِيهَا رَبُّ الْعَالَمِينَ قَدَمَهُ، فَيَنْزَوِي بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ، ثُمَّ يَقُولُ: قَدْ قَدَّ، بِعَزَّتِكَ وَكَرَمِكَ. وَلَا تَزَالُ الْجَنَّةُ تَفْضُلُ حَتَّى يُنْشِئَ اللَّهُ لَهَا خَلْقًا فَيُسْكِنَهُمْ فَضْلَ الْجَنَّةِ<sup>(١)</sup>»

❖ قَوْلُهُ فِي السَّنَدِ: «عَنْ قَتَادَةَ» وَمِنَ الْمَعْرُوفِ أَنَّ قَتَادَةَ مِنَ الْمُدَلِّسِينَ، وَكَيْفَ يَكُونُ مِنَ الْمُدَلِّسِينَ وَهُوَ فِي الْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ؟

**الْجَوَابُ:** أَنَّهُ مَحْمُولٌ عَلَى السَّمَاعِ لِكثَرَةِ مُلَازِمَةِ قَتَادَةَ لِأَنَسٍ فَيَعْتَدُ جَدًّا أَنْ يُرْسَلَ عَنْهُ، هَذَا هُوَ السَّبَبُ<sup>(٢)</sup>، وَعَلَى هَذَا فَالْقَوْلُ بِإِطْلَاقِ رَدِّ عَنْتَةِ الْمُدَلِّسِ لَيْسَ بِوَجْهِهِ، بَلْ يَقَالُ: إِنْ عَنْتَةُ الْمُدَلِّسِ يُنْظَرُ فِيهَا إِلَى الْقَرَائِنِ الَّتِي تَحْتَفُّ بِهَا، وَالتِّي قَدْ تَوَجَّبُ أَنْ تَكُونَ عَنْتُهُ مَحْمُولَةً عَلَى الْإِتِّصَالِ، وَلِهَذَا قِيلَ الْعُلَمَاءُ عَنْتَةُ قَتَادَةَ فِي «الصَّحِيحِينَ»، وَقَالُوا: إِنَّ السَّنَدَ فِيهَا مُتَّصِلٌ<sup>(٣)</sup>.

❖ قَوْلُهُ: «لَا يَزَالُ يُلْقَى فِيهَا؟» أَيْ: فِي جَهَنَّمَ وَقَوْلُهُ يَقُولُ: «هَلْ مِنْ مَزِيدٍ». قَوْلُهُ: «هَلْ» اسْتِفْهَامٌ، وَقَوْلُهُ: «مِنْ مَزِيدٍ». مُبْتَدَأٌ، وَ«مِنْ» زَائِدَةٌ لِفِظًا زَائِدَةٌ مَعْنَى. وَهَذَا الْاسْتِفْهَامُ، هَلْ هُوَ لِلطَّلَبِ أَوْ لِلنَّفْيِ؟

**الْجَوَابُ:** فِي هَذَا قَوْلَانِ لِلْعُلَمَاءِ:

مِنْهُمْ مَنْ قَالَ: إِنَّهُ لِلنَّفْيِ، وَأَنَّ الْمَعْنَى لَا مَزِيدَ عَلَى مَا عِنْدِي؛ يَعْنِي: أَنَّهَا قَدْ امْتَلَأَتْ. وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ: إِنَّهُ لِلطَّلَبِ؛ يَعْنِي هَاتِ وَزِدْ، وَهَذَا الْقَوْلُ الثَّانِي هُوَ الْمُتَعَيَّنُ؛ لِأَنَّ الْحَدِيثَ يَدُلُّ عَلَيْهِ؛ فَإِنَّ قَوْلَهُ: حَتَّى يَضَعَ فِيهَا رَبُّ الْعَالَمِينَ قَدَمَهُ، فَيَنْزَوِي بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ... إِلَى آخِرِهِ. يَدُلُّ عَلَى أَنَّهَا تَطْلُبُ الْمَزِيدَ؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ وَعَدَهَا، وَهُوَ أَصْدَقُ الْوَاعِدِينَ وَأَوْفَاهُمْ، وَعَدَهَا بِأَنْ يَمْلَأَهَا، فَإِذَا سئِلَتْ: هَلْ امْتَلَأَتْ؟ قَالَتْ: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ؟ يَعْنِي: أَعْطُونِي وَزِيدُوا عَلَيَّ، فَيَضَعُ فِيهَا رَبُّ الْعَالَمِينَ قَدَمَهُ، فَيَنْزَوِي بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ، ثُمَّ يَقُولُ:

قَدْ قَدَّ. وَفِي رَوَايَةٍ: قَطَّ قَطَّ<sup>(٤)</sup>. وَهُمَا لُغَتَانِ مَعْرُوفَتَانِ فِي هَذِهِ الْكَلِمَةِ، وَمَعْنَاهُمَا حَسَبٌ؛ أَيْ: يَكْفِي.

❖ وَقَوْلُهُ: «بِعَزَّتِكَ وَكَرَمِكَ». تَوَسَّلَ إِلَى اللَّهِ بِعِزَّتِهِ وَكَرَمِهِ، أَنْ لَا يَضَعَ عَلَيْهَا قَدَمَهُ أَكْثَرَ مِمَّا وَضَعَ؛ لِأَنَّهُ يَنْزَوِي بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ، وَتَنْضَمُّ وَتَضِيقُ، فَوْضَعُ رَبِّ الْعِزَّةِ عَلَيْهَا قَدَمَهُ لَيْسَ بِالْأَمْرِ الْهَيِّنِ. تَوَسَّلَتِ النَّارُ بِالْعِزَّةِ الَّتِي هِيَ الْقَهْرُ، وَبِالْكَرَمِ الَّذِي هُوَ الْفَضْلُ أَنْ لَا يَضَعَ قَدَمَهُ سَبْحَانَهُ عَلَيْهَا.

(١) رواه مسلم (٢٨٤٨).

(٢) قال الحافظ في «الفتح» (٥٤٦/١١): لكن شعبة ما كان يأخذ من شيوخه الذين ذكر عنهم التسليس إلا ما صرحوا فيه بالتحديث. اهـ

وقال أيضًا (٣٨/٤): شعبة لا يروي عن شيوخه المدلسين إلا ما هو مسموع لهم. اهـ

(٣) ينظر: «تدريب الراوي» (١/٢٣٠)

(٤) تقدم تخريجه.



وَالشَّاهِدُ مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ: قَوْلُ النَّارِ: «بِعِزَّتِكَ». وَحَدَّثَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ مُقَرَّرًا لَهُ.

وفيه أيضًا: شَاهِدٌ آخَرٌ لَصِفَةِ مِنْ صِفَاتِ اللَّهِ الْخَبَرِيَّةِ، وَهِيَ: الْقَدَمُ، وَقَدْ جَاءَ فِي رِوَايَةِ: «رِجْلُهُ»<sup>(١)</sup> وَالْمَعْنَى وَاحِدٌ، وَعِنْدَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ بِنَاءٌ عَلَى الْقَاعِدَةِ الْمَعْرُوفَةِ الْمَشْهُورَةِ تُحْمَلُ الرَّجُلُ وَالْقَدَمُ عَلَى الْحَقِيقَةِ، بِمَا يَلِيقُ بِاللَّهِ ﷻ كَالْيَدِ، وَالدَّلِيلُ عَلَى هَذَا أَنَّهُ يَنْزَوِي بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ مِنْ شِدَّةِ مَا وُضِعَ عَلَيْهَا وَعَظَمَتِهِ، وَهَذَا هُوَ مَذْهَبُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، وَلَكِنْ هَلْ هَذِهِ الرَّجُلُ تَمَائِلٌ أَرْجُلُ الْمَخْلُوقِينَ؟

**الجواب:** لَا تَمَائِلُهَا، وَالدَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ هَذِهِ الْآيَةُ الَّتِي تُعْتَبَرُ قَاعِدَةً فِي كُلِّ صِفَةٍ، وَهِيَ وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ۝﴾. وَالْعَقْلُ يَدُلُّ أَيْضًا عَلَى أَنَّهُ لَا تَمَائِلَ؛ إِذْ لَا تَمَائِلَ بَيْنَ الْخَالِقِ وَالْمَخْلُوقِ، فَكَمَا أَنَّ اللَّهَ لَا مِثْلَ لَهُ فِي ذَاتِهِ، فَلَا مِثْلَ لَهُ فِي صِفَاتِهِ، وَلِهَذَا قَالَ أَهْلُ الْعِلْمِ: الْكَلَامُ فِي الصِّفَاتِ فَرَعٌ عَنِ الْكَلَامِ فِي الذَّاتِ، فَكَمَا أَنَّ الذَّاتَ لَيْسَ لَهَا مِثْلٌ، فَالْصِّفَاتُ كَذَلِكَ لَيْسَ لَهَا مِثْلٌ.

**ولو سئَلْنَا:** هَلْ لِهَذِهِ الْيَدِ أَصَابِعُ؟ فَالْجَوَابُ أَنْ نَقُولَ لِلسَّائِلِ: أَنْتَ مُبْتَدِعٌ. فَعَلَيْكَ أَخِي الْمُسْلِمَ أَنْ تَقْضِمَ إِحْدَى الشَّفَتَيْنِ إِلَى الْأُخْرَى، وَلَا تَسْأَلْ؛ لِأَنَّ مَنْ هُوَ أَفْضَلُ مِنْكَ وَأَعْلَمُ مِنْكَ وَأَخْشَى مِنْكَ وَأَتَقَى مِنْكَ وَأَحَبُّ مِنْكَ لِلْعِلْمِ وَأَشَدُّ تَعْظِيمًا لِلَّهِ لَمْ يَسْأَلُوا رَسُولَهُمْ ﷺ، وَهُوَ الَّذِي يَأْتِيهِ الْوَحْيُ: هَلْ لِرِجْلِهِ أَصَابِعُ أَوْ لَا؟

وَأَنْتَ لِمَ سَأَلْتَ عَنْ ذَلِكَ: أَحَبًّا لِلَّهِ، أَوْ أَحَبًّا لِمَعْرِفَةِ صِفَاتِ اللَّهِ، أَوْ أَطْمَعًا فِي زِيَادَةِ الدَّرَجَاتِ وَتَكْفِيرِ السَّيِّئَاتِ، أَمْ مَاذَا؟

**إِنْ قُلْتَ:** نَعَمْ. قُلْنَا: لَسْتَ أَوَّلَى بِهَذَا مِنْ أَصْحَابِ الرُّسُولِ ﷺ، وَإِنْ قُلْتَ: تَعَنَّتَا وَتَعَمَّقَا وَتَنَطَّعَا. قُلْنَا: هَلَكَ الْمُتَنَطَّعُونَ<sup>(٢)</sup>. فَاسْكُتْ عَنْ هَذَا. وَلْيَسَعَكَ مَا وَسِعَ السَّلَفُ الصَّالِحُ.

وَبِهَذَا نَسْتَرِيحُ مِنْ إِيْرَادَاتٍ كَثِيرَةٍ يُورِدُهَا الشَّيْطَانُ عَلَى قُلُوبِنَا، أَوْ يُورِدُهَا بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ، فَأَيُّ كَيْفِيَّةٍ، وَأَيُّ صِفَةٍ، وَأَيُّ شَيْءٍ تَسْأَلُ عَنْهُ، وَهُوَ لَمْ يَرِدْ فِي الْكِتَابِ، وَلَا فِي السُّنَّةِ، وَلَا فِي كَلَامِ الصَّحَابَةِ فَأَعْرِضْ عَنْهُ وَجُوبًا، وَلَا تُورِذْهُ عَلَى نَفْسِكَ، وَلَا تُورِذْهُ عَلَى غَيْرِكَ حَتَّى تَسْلُكَ سَبِيلَ السَّلَفِ، وَحَتَّى تَسْتَرِيحَ وَتَسْلَمَ، وَلِذَا قَالَ الْإِمَامُ مَالِكٌ رَحِمَهُ اللَّهُ، وَمِنْ قَبْلِهِ شَيْخُهُ رَبِيعَةُ، قَالَا: السُّؤَالُ عَنْهُ بَذْعٌ<sup>(٣)</sup>.

(١) رواه البخاري (٤٨٥٠)، ومسلم (٢٨٤٦).

(٢) هذا لفظ حديث رواه مسلم (٢٦٧٠).

(٣) أما أثر ربعة فقد أخرجه اللالكاني في «السنة» (٩٢/١)، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في «الحموية» ص ٨٠: رواه الخلل بإسناد كلهم أئمة ثقات، وانظر «تعليق العلامة الألباني على مختصر العلو» (ص ١٣٢) وكذلك انظر «أثر مالك في مختصر

العلو» (ص ١٤١) وهو عند الدارمي في «الرد على الجهمية» (ص ٣٣)، واللالكاني (٩٢/١).

أما أثر مالك فقد رواه اللالكاني في شرح السنة (٩٢/١)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٨٦٧)، وقال الحافظ في

يَعْنِي: أَنَّهُ عَنْ هَذَا.

والحقيقة أَنَّ الذي صَرَّ أَهْلُ الْكَلَامِ هُوَ هَذَا التَّنَطُّعُ، وَهَذَا التَّعَمُّقُ.

وَالْأَوَّلُ فَإِنَّهُمْ لَوْ أَخَذُوا الدِّينَ عَلَى ظَاهِرِهِ، وَعَلَى طَلَاوِثِهِ وَحَلَاوِثِهِ وَسُهُولَتِهِ وَيُسْرِهِ مَا تَوَلَّدَتْ عَنْدهُمْ هَذِهِ الاسْتِفْهَامَاتُ، وَهَذِهِ التَّقْدِيرَاتُ.

**إِذَا:** أَيُّ وَاحِدٍ يَسْأَلُنَا: هَلْ لِلْقَدَمِ أَصَابِعُ؟ نَقُولُ: هَذَا بَدْعَةٌ، وَكُفَّ لِسَانُكَ عَنْهُ، فَمَا سَأَلَهُ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنْكَ عَلَى مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنْهُمْ، وَلَوْ كَانَ الْعِلْمُ بِهَذَا مِنَ الدِّينِ لَمْ يُهْمَلْهُ اللَّهُ ﷻ، وَلَوْ كَانَ هَذَا مِنَ الدِّينِ لَبَيَّنَهُ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ أَوْ فِي سُنَنِ رَسُولِهِ ﷺ ابْتِدَاءً، أَوْ جَوَابًا عَلَى سَوَالٍ، أَوْ إِقْرَارًا مِنْ قَائِلٍ.

وَلِهَذَا فَإِنَّهُ إِذَا لَمْ يَتَكَلَّمِ الرَّسُولُ ﷺ بِشَيْءٍ قَدَّرَ اللَّهُ، أَوْ يَسَّرَ أَعْرَابِيًّا يَأْتِي مِنَ الْبَادِيَةِ مِنْ أَجْلِ أَنْ يَسْأَلَ الرَّسُولَ ﷺ عَنْ هَذَا الشَّيْءِ، وَلِهَذَا كَانَ الصَّحَابَةُ يَقْرَحُونَ إِذَا أَتَى أَعْرَابِيٌّ مِنَ الْبَادِيَةِ لِيَسْأَلَ النَّبِيَّ ﷺ <sup>(١)</sup>.

**إِذَا:** فَمَا بَالُنَا نَتَكَلَّمُ فِي ذَلِكَ، أَلَا يَسْعَا مَا وَسِعَ الْأَوَّلِينَ؟! وَهُمْ وَاللَّهُ أَفْقَهُ مِنَّا بِاللَّهِ، وَأَعْلَمُ مِنَّا بِاللَّهِ، وَأَشَدُّ مِنَّا أَدَبًا مَعَ اللَّهِ، وَأَنْتَ إِذَا سَأَلْتَ: هَلْ لِلَّهِ أَصَابِعُ فِي الرَّجُلِ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَسْمَعُكَ؟

وَلَوْ أَنَّ مَلِكًا مِنْ مُلُوكِ الدُّنْيَا رَأَيْتُهُ يُعْطِي قَدَمَهُ، فَهَلْ يَلِيقُ بِكَ أَنْ تَتَقَدَّمَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَقُولَ لَهُ أَيُّهَا الْمَلِكُ، هَلْ لَكَ أَصَابِعُ بِالرَّجُلِ؟! لَا شَكَّ أَنَّكَ لَنْ تَسْأَلَ هَذَا السَّوَالُ؛ لِأَنَّكَ تَرَى أَنَّ هَذَا خِلَافُ الْأَدَبِ، فَكَيْفَ مَعَ اللَّهِ لَا تَتَادَّبُ؟!.

فَلِهَذَا فَإِنَّا أَنْصَحُ نَفْسِي وَإِيَّاكُمْ فِي هَذِهِ الْمَسَائِلِ أَلَّا تُقَدِّرُوا شَيْئًا وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ فَوْقَ مَا تَتَصَوَّرُونَ، وَفَوْقَ مَا يُدْرِكُهُ الْعَقْلُ، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ <sup>(١١٠)</sup>. فَلِمَاذَا تُقَدِّرُ؟!.

وَأَنَا أَتَعَجَّبُ أَنْ يُورَدَ عَلَيَّ شَابٌّ أَوْ طَالِبٌ عِلْمٍ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ، فَيَقُولُ مِثْلًا: كَيْفَ يَنْزِلُ اللَّهُ إِلَى السَّاءِ الدُّنْيَا فِي ثُلُثِ اللَّيْلِ الْآخِرِ، وَثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ فِي كُلِّ الدُّنْيَا؟ فَهَلْ هَذَا أَدَبٌ؟! وَهَلْ تُرِيدُ أَنْ تُكَذِّبَ الرَّسُولَ؟ وَهَلْ تُرِيدُ أَنْ تُنْفِي عَنِ اللَّهِ هَذِهِ الصِّفَةَ؟ وَهَلْ تُرِيدُ أَنْ تَجْعَلَ هَذِهِ الصِّفَةَ فِي كُلِّ وَقْتٍ، وَاللَّهُ حَدَّدَهَا فِي ثُلُثِ اللَّيْلِ؟

فَكُلُّ هَذَا لَا يَرِدُ، وَلَا يُورَدُهُ إِلَّا إِنْسَانٌ جَاهِلٌ أَوْ ضَعِيفُ الْإِيمَانِ؛ لِأَنَّ هَذِهِ أُمُورٌ لَيْسَ لِلْعَقْلِ فِيهَا تَدَخُّلٌ إِبْلَاقًا، وَلَمْ يَضُرَّ الْمُتَكَلِّمِينَ هَذَا الضَّرَرُ الْعَظِيمُ حَتَّى تَقُوا صِفَاتِ اللَّهِ أَوْ أَكْثَرَهَا إِلَّا هَذِهِ التَّقْدِيرَاتُ، قَالُوا: هَذَا غَيْرُ مَعْقُولٍ، وَهَذَا لَا يُدْرِكُهُ الْعَقْلُ: وَلَا يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ لِلَّهِ قَدَمٌ، فَمُسَمَّاهُ بَعْضُ

«الفتح» (٤٠٧/١٣) إسناده جيد ورواه الدارمي في الرد على الجهمية (١٠٤)، وابن عبد البر في «التمهيد» (١٥١/٧)، والذهبي في «مختصر العلو» (ص ١٤١)، وقال سحَّابَةُ: هذا ثابت عن مالك وربيعة هو ابن عبد الرحمن قُرُوش، الإمام، مفتي المدينة، وعالم الوقت، أبو عثمان، كان يقال له: ربيعة الرأي توفي سنة ست وثلاثين ومائة بالمدينة وانظر: «السير» (٦/٨٩-٩٦).

(١) رواه مسلم (١٢).



لأجسامنا؛ يَعْنِي: مُسَمَّى الْقَدَمِ عِنْدَنَا بَعْضُ الْجِسْمِ.

**نَقُولُ فِي الْجَوَابِ عَلَى هَذَا:** مُسَمَّى الْقَدَمِ عِنْدَ اللَّهِ كَيْفَ نَقُولُ: إِنَّهُ بَعْضُ اللَّهِ؟! نَتَأَدَّبُ مَعَ اللَّهِ وَنَقُولُ: قَدَمُهُ حَقِيقَةٌ، وَصِفَةٌ مِنْ صِفَاتِهِ الْخَبَرِيَّةِ، الَّتِي لَا مَدْخَلَ لِلْعَقْلِ فِيهَا، وَلَيْسَتْ مَعْنَوِيَّةٌ حَتَّى يُدْرِكَهَا الْعَقْلُ إِجْمَالًا، فَهِيَ مُجَرَّدُ خَبَرٍ آمَنَّا بِهَا لِمُجَرَّدِ الْخَبَرِ.

وَهُمْ يَقُولُونَ: لَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ لِلَّهِ قَدَمٌ، وَهَذَا مُسْتَحِيلٌ، وَالْقَائِلُ بَأَنَّ لِلَّهِ قَدَمًا مُجَسِّمٌ كَافِرٌ، فَكُلُّ مَنْ اعْتَقَدَ أَنَّ لِلَّهِ جِسْمًا كَافِرٌ، وَمَنْ اعْتَقَدَ أَنَّ لِلَّهِ قَدَمًا حَقِيقَةً فَقَدْ جَسَّمَهُ، فَيَكُونُ كَافِرًا، وَلِذَلِكَ يُطْلَقُونَ عَلَى أَهْلِ السُّنَّةِ الْمُشَبَّهَةَ، وَمَنْ شَبَّهَ اللَّهَ بِخَلْقِهِ فَهُوَ كَافِرٌ.

وَنَحْنُ نَقُولُ: هَذَا الرَّسُولُ ﷺ قَالَ: «حَتَّى يَضَعَ رَبُّ الْعَالَمِينَ قَدَمَهُ، فَيَنْزِي بِعَظْمِهَا إِلَى بَعْضٍ». وَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِلِسَانِ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ، وَيُخَاطِبُ أَفْصَحَ الْعَرَبِ فِي زَمَانِهِمْ وَبَعْدَ زَمَانِهِمْ، وَهُمْ الصَّحَابَةُ الَّذِينَ عَلِمُوا اللُّغَةَ الْعَرَبِيَّةَ سُرْعًا وَوَضْعًا، وَمَعَ ذَلِكَ لَمْ يُنْكِرْ أَحَدٌ مِنْهُمْ هَذِهِ الْكَلِمَةَ، وَلَمْ يُحَرِّفْهَا عَنْ مَعْنَاهَا، بَلْ قَالُوا: نَسَبْنَا وَأَطَعْنَا، وَصَدَّقْنَا وَآمَنَّا.

لَكِنِ الْمُتَكَلِّمَةُ يُنْكِرُونَ هَذَا بِعُقُولِهِمُ الْفَاسِدَةِ، وَذَلِكَ لِبُعْدِهِمْ عَنْ حَقِيقَةِ الْإِسْتِسْلَامِ النَّامِ لِلَّهِ؛ لِأَنَّ حَقِيقَةَ ١) سَلَامِ النَّامِ لِلَّهِ: تَصْدِيقُ الْخَبَرِ، وَإِنْ اسْتَبَعَدَ الْعَقْلُ، وَامْتَثَلَ الْأَمْرَ وَإِنْ جَهَلَ حِكْمَتَهُ الْعَقْلُ. فَهَذَا هُوَ الْإِسْتِسْلَامُ الْحَقِيقِيُّ، يُقَالُ: قَدَمٌ، يَعْنِي مُقَدَّمَةٌ مِنَ الْخَلْقِ؛ يَعْنِي: الَّذِينَ قَدَّمَهُمُ لِلنَّارِ. وَعَلَيْهِ فَيَكُونُ مَعْنَى ٢) «حَتَّى يَضَعَ رَبُّ الْعَالَمِينَ فِيهَا قَدَمَهُ»؛ يَعْنِي: حَتَّى يُضِيفَ إِلَيْهَا أَنْسَاءَ آخَرِينَ، فَيَنْزِي بِعَظْمِهَا إِلَى بَعْضٍ شَكَّ هَذَا تَحْرِيفٌ؛ لِأَنَّهُ إِذَا ضَمَّ إِلَيْهَا آخَرُونَ لَمْ يَنْزُو بِعَظْمِهَا إِلَى بَعْضٍ، بَلْ كَانَ النَّاسُ يَتَرَاكُمُ بَعْضُهُمْ فَـ ٣) كَنَّ النَّارَ بَقِيَ عَلَى مَا هِيَ عَلَيْهِ.

**فَالظَاهِرُ:** يَنْزُو هُوَ النَّارُ، تَنْضَمُّ هِيَ بِنَفْسِهَا، ثُمَّ مَا الَّذِي جَعَلْنَا نُقَدِّرُ هَذَا التَّقْدِيرَ؟! فَهَؤُلَاءِ إِنْ كَانُوا مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ يُحْتَجْ أَنْ يُقَالَ لِلنَّارِ: هَلْ امْتَلَأَتْ أَمْ لَا؟ وَإِنْ لَمْ يَكُونُوا مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَإِنَّهُ لَا يَصِحُّ أَنْ يَدْخُلُوا النَّارَ مِنْ أَجْلِ مَلَأِ النَّارِ.

وَأَمَّا اللَّفْظُ الْآخَرُ فِي هَذَا الْحَدِيثِ، وَهُوَ قَوْلُهُ ﷺ: «يَضَعُ رَبُّ الْعِزَّةِ فِيهَا رِجْلَهُ»<sup>(١)</sup>. فَإِنِمْ قَدْ قَالُوا رِجْلُ اللَّهِ؟! هَذَا تَجْسِيدٌ وَكُفْرٌ. وَلِذَلِكَ قَالُوا: إِنْ مَعْنَى الرَّجْلِ: الطَّائِفَةُ، لِأَنَّهُ فِي الْحَدِيثِ أَنَّ أَبُوبَ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ أَرْسَلَ اللَّهُ إِلَيْهِ رِجْلَ جَرَادٍ؛<sup>(٢)</sup> أَيُّ: طَائِفَةٍ مِنَ الْجَرَادِ، وَالنَّاسُ إِذَا سُئِلُوا: هَلِ الْجَرَادُ كَثِيرٌ فِي هَذَا الْمَكَانِ؟ قَالُوا: لَا وَاللَّهِ رِجْلٌ. يَعْنُونَ: طَائِفَةٌ قَلِيلَةٌ.

وَعَلَيْهِ فَإِنْ مَعْنَى «رِجْلَهُ»؛ أَيُّ: طَائِفَتِهِ. وَسَبْحَانَ اللَّهِ، أَطَائِفَةُ تُضَافُ إِلَى النَّارِ فَيَنْزُو بِعَظْمِهَا إِلَى بَعْضٍ. ثُمَّ مَنْ هِيَ هَذِهِ الطَّائِفَةُ الَّتِي تَسْتَحِقُّ أَنْ تُضَافَ إِلَى اللَّهِ إِضَافَةً خَاصَّةً؟ لِأَنَّ الْخَبِيرَ لَا يُضَافُ إِلَى

(١) تقدم تخرجه.

(٢) رواه البخاري (٣٣٩١)، (٧٤٩٣) وانظر: «النهاية» لابن الأثير (ج ٢ د).

الله إضافة خاصة - وهذه مسألة مفيدة - فقد خلق الله العالمين كلهم، ويدخل فيهم كل شيء، الطيب والخبيث، لكن لا يليق أدباً أن أقول: إن الله خلق الكلب. إلا في مقابلة من ينفي أن الله خلق الكلب، وأما أن تُضيف خلق الله إلى شيء خبيث، فهذا ممنوع، ولا يليق، وإن كان داخلاً في العموم؛ لأن هناك فرقاً بين العموم وبين الخصوص، حتى عند العامة لو قلت مثلاً للملك: أنت تأكل الطعام. يعني: أن كل ما أكل يدخل في هذا، لكن أن تقول له: أنت تأكل القرص المحترق. فهذا سوء أدب، ففرق بين التعمين والعموم، وقد أشار إلى هذا شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله بالنسبة للخلق.

**إذاً:** قوله ﷺ: «حتى يضع رب العالمين فيها قدمه» القدم هنا قدم حقيقةً تليق بالله، ولا تتجاوز أيها المسلم ذلك، فلا تقل: ولها أصابع، أو ليس لها أصابع، أو ما أشبه ذلك، بل اقتصر على ما سمعت، ولا تتعرض لما لم ينقل إلينا.

وأما بقية الحديث ففيه بيان أن الله ﷻ، كما ذكر عن نفسه في الحديث القدسي: «رَحِمْتُهُ سَبَقَتْ غَضَبُهُ»<sup>(١)</sup>. فإنه لما كان يبقى في الجنة فضل من دخلها، والذي يدخلها من بني آدم واحد من ألف<sup>(٢)</sup>، لكن هذا الواحد له ملك طويل عريض، فهو مسيرة ألفي عام، ينظر إلى أقصاه كما ينظر إلى أذناه<sup>(٣)</sup>.

إلا أن هذه الجنة عرضها السموات والأرض، ومن يدرك عرض السموات والأرض إلا الله، فهي واسعة سعة عظيمة يدخلها أهلها ويبقى فيها فضل، وقد وعدّها الله ﷻ أن يملأها<sup>(٤)</sup>، وهو أوفى من وعد، ومن أوفى بعهده من الله؟! فيبقى فيها فضل، يقول: حتى ينشئ<sup>(٥)</sup> الله لها خلقاً فيسكنهم فضل الجنة في ذلك الوقت يخلق الله أقواماً جُددًا ويدخلهم الجنة بلا عمل، بل بفضلِهِ وَرَحْمَتِهِ، وأهل النار في النار لا يخرج أحد ممن استحقّ الخلود في النار حتى يسكنه بقية الجنة، فالنار أغلقت على أهلها، والعياد بالله، لكن ينشئ الله للجنة أقواماً لأجل أن يملأوا هذا الفضل، ولا يقول للجنة: يقرب بعضك من بعض. حتى تمتلئ بمن فيها، وهذا مصداق قوله سبحانه: «إِنْ رَحِمْتِي سَبَقَتْ غَضَبِي»<sup>(٦)</sup>. ولو لا حلم الله ما بقي على ظهر البسيطة أحد.

(١) رواه البخاري (٣١٩٤) بلفظ «غلبت غضي»، ومسلم (٢٧٥١).

(٢) انظر في ذلك: ما رواه البخاري (٣٣٤٨، ٤٧٤١، ٦٥٣٠)، ومسلم (٢٢٢).

(٣) روى أحمد رحمه الله في «مسند» (١٣/٢) (٤٦٢٣)، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أدنى أهل الجنة منزلة لينظر في ملك ألفي سنة، يرى أقصاه كما يرى أذناه... الحديث. وقال الهيثمي في «المجمع» (١٠/٤٠١) رواه أبو يعلى والطبراني، وفي أسانيدهم توثيق بن أبي فاختة، وهو مجمع على ضعفه.

(٤) رواه البخاري (٤٨٥٠)، ومسلم (٢٨٤٦).

(٥) هذا هو جواب الشرط لحرف الشرط «لما».

(٦) تقدم تخريجه.





ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ تَحَلَّلَهُ:

٨- بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ [الأنعام: ٧٣].

❖ قوله **جَعَلًا**: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ [الأنعام: ٧٣]. البَاءُ لِلْمُلَابَسَةِ وَالْغَايَةِ، يَعْنِي: أَنَّهُ سَبْحَانَهُ هُوَ الَّذِي خَلَقَهَا حَقًّا، فَلَمْ يَخْلُقْهَا أَحَدٌ سِوَاهُ.

❖ وقوله سَبْحَانَهُ ﴿بِالْحَقِّ﴾، أَي: الْغَايَةِ مِنْهَا الْحَقُّ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَعِبٍ﴾ (٣٨) مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ ﴿[الشورى: ٣٨-٣٩].

وَخَلَقَ بِمَعْنَى أَوْجَدَ مِنْ عَدَمٍ، فَالسَّمَوَاتُ كَانَتْ عَدَمًا، وَالْأَرْضُونَ (١) كَانَتْ عَدَمًا، فَخَلَقَهَا اللَّهُ **عَلَمًا**، وَبَيَّنَ لَنَا أَنَّهُ خَلَقَهَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ، بَيْنَ ذَلِكَ إِجْمَالًا، وَبَيَّنَّهُ تَفْصِيلًا، وَهَذَا مِنْ حُسْنِ التَّعْلِيمِ، فَمِنْ تَعْلِيمِ اللَّهِ أَنَّهُ يَذْكُرُ الشَّيْءَ إِجْمَالًا؛ ثُمَّ يَذْكُرُهُ تَفْصِيلًا، قَالَ تَعَالَى: ﴿كَتَبْنَا أُتِيكْتَ إِنَّهُ، ثُمَّ قُضِلَتْ﴾ [الأنعام: ١].

وَذَلِكَ لِأَنَّ الْإِجْمَالَ يُوجِبُ قَرَارَ هَذَا الشَّيْءِ فِي النَّفْسِ، ثُمَّ تَشَوُّفَ النَّفْسِ إِلَى التَّفْصِيلِ، فَيَرُدُّ عَلَيْهَا التَّفْصِيلُ، وَهِيَ مُتَهَيِّئَةٌ لِقَبُولِ مَا يَرُدُّ عَلَيْهَا.

وَهَذِهِ الْأَيَّامُ السَّتَّةُ قَدْ فَصَّلَهَا اللَّهُ **عَلَمًا** فِي سُورَةِ فَصَّلَتْ وَلِهَذَا سُمِّيَتْ فَصَّلَتْ، قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَيْتُكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (١) ﴿تَحَلَّلَهُ: ٩﴾ فَهُوَ سَبْحَانَهُ قَدْ خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ.

❖ ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رُوسًا مِنْ فَوْقِهَا وَبَرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا﴾ [الشورى: ١٠]. فَهَذِهِ ثَلَاثَةُ أُمُورٍ، فِي ﴿فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ﴾؛ أَي: بِالْيَوْمَيْنِ السَّابِقَيْنِ، يَعْنِي بِمَعْنَى الْيَوْمَيْنِ السَّابِقَيْنِ وَالْيَوْمَيْنِ اللَّذَيْنِ فِي الْأُمُورِ الثَّلَاثَةِ، وَلِهَذَا قَالَ: ﴿سَوَاءٌ لِلْسَّابِقَيْنِ﴾ يَعْنِي: أَرْبَعَةُ أَيَّامٍ لَا تَزِيدُ، ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رُوسًا مِنْ فَوْقِهَا﴾. وَلَمْ يَقُلْ: فِي وَسْطِهَا، أَوْ مِنْ تَحْتِهَا؛ لِأَنَّ هَذِهِ الرُّوسِيَ الَّتِي جُعِلَتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ لَهَا مَصْلَحَةٌ عَظِيمَةٌ وَهِيَ أَنْ ذَلِكَ أَضْبَطُ لِلتَّوَازُنِ، وَلِمَّا يَحْصُلُ مِنْ هَذِهِ الْجِبَالِ الْعَظِيمَةِ مِنْ كُهُوفِهَا وَمَغَارَاتِهَا، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْمَصَالِحِ الْعَظِيمَةِ، وَالشَّعَابِ الْعَظِيمَةِ الَّتِي تَمْلَأُ الْأَرْضَ؛ لِأَنَّ الرِّيَاضَ تَأْتِي مِنَ الْجِبَالِ؛ الْمُبْسِطَةَ لَا تَأْتِي مِنْهَا الْأَوْدِيَةُ.

وَلِذَلِكَ تَجِدُ الْأَوْدِيَةَ فِي الْأَمَاكِنِ الَّتِي فِيهَا الْجِبَالُ الشَّامِخَةُ أَقْوَى انْدِفَاعًا وَأَعْظَمَ.

وَكَذَلِكَ أَيْضًا هَذِهِ الْجِبَالُ الْعَظِيمَةُ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ تَصُدُّ الرِّيَّاحَ الْعَظِيمَةَ الَّتِي تَأْتِي مِنْ هُنَا وَهَنَّا، فَفِيهَا مَصَالِحٌ يَعْرِفُهَا أَهْلُ الْجغَرَفَةِ.

حَيْثُ قَالَ سَبْحَانَهُ: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رُوسًا مِنْ فَوْقِهَا وَبَرَكَ فِيهَا﴾. فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِيهَا الْبَرَكََةَ، وَلِهَذَا هِيَ تَحْمِلُ بَنِي آدَمَ، وَأَنْعَامَ بَنِي آدَمَ، وَأَرْزَاقَ بَنِي آدَمَ، عَلَى كَثْرَةِ مَنْ يُولَدُ وَيَمُوتُ فِي هَذِهِ الْأَرْضِ، فَهِيَ

(١) بفتح الراء، ويمجوز تسكينها في ضرورة الشعر، وانظر: شرح قطر الندى (ص ٤٤).

مباركة.

حيث قال سبحانه: ﴿وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا﴾؛ أي: جعل في كل إقليم قوته الذي يحتاج إليه، وجعل هذه الأقوات توجد في إقليم دون إقليم وفي بلد دون بلد، ليتبادل الناس التجارة، فيما بينهم، فينتقل هؤلاء إلى هؤلاء، وهؤلاء إلى هؤلاء، ولهذا قال: ﴿وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا﴾. وقبلها قال: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ﴾. لأن الأقوات مُقدَّرة بحسب الحاجة، وبحسب المصلحة التي تقوم بين بني آدم؟

﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ﴾ [مُفْلَسَكًا: ١١١]. بعد أن خلق الأرض وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام استوى إلى السماء، ﴿وَهُوَ دُخَانٌ﴾؛ أي: كالدخان.

قال بعض العلماء: إن هذا بخار الماء؛ لأن الأرض والسماء كانت ماء، لما قال تعالى: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ [مُفْلَسَكًا: ١٧].

﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهُوَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ اأْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ [فَصَّصْنَهُنَّ سَبْعَ سَبْعَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ] [مُفْلَسَكًا: ١١-١٢]. انظر الحكمة العظيمة، السموات ما فصل فيها كما فصل في الأرض، ولا مدد خلقها كما مدد خلق الأرض، مع أنها أعظم من الأرض بأضعاف مضاعفة، لكن ليتبين للناس عناية الله ﷻ بمصالحهم، ثم ليتبين لك أن كون الله خلق الأرض في أربعة أيام، والسموات في يومين ليس عجزاً منه أن يخلق الأرض في لحظة، ولذلك تخلق السموات وهي أعظم منها في يومين وهي نصف مدة الأرض، فإذا تمديد الله خلق الأرض إلى أربعة أيام ليس لعجز أو ضعف، لكن لحكمة، بدليل أنه خلق السماء وهي أعظم منها بمدة أقصر من خلق الأرض، ومن ذلك أنه قال لها وللأرض: ﴿اأْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾. هذا يحتمل أنه للتهديد أو للتخيير، لينظر كيف انتقاد السموات والأرض إليه، فماذا قالتا؟ ﴿قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾. وهنا قال: ﴿أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ مع أن السماء والأرض جماد، والجماد لا يجمع جمع مذكر سالم؛ لأن من شروط جمع المذكر السالم أن يكون اسماً أو صفة لمذكر عاقل، فكيف قال: ﴿أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾؟

قال بعض المفسرين قولاً عجيباً، قال: قالتا: أتينا بمن فينا من الإنس والجن والملائكة طائعين، فغلب العاقل على غير العاقل، والصواب خلاف ذلك؛ لأن الناس لم يخلقوا بعد، حين خلق السموات والأرض، لكن المعنى أنها لما كانا يخاطبان ويخاطبان، صارا بمنزلة العاقل، فقلنا: أتينا طائعين، وهذا أمر لا شك فيه.

الخلاصة: أن الله خلق السموات والأرض في ستة أيام، ذكر ذلك مجملاً وذكره مفصلاً، ولو شاء لخلقهما في لحظة كن فيكون، فقد قال للقلم: اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة، والقلم جماد ومع ذلك كتب ما هو كائن إلى يوم القيامة؛ لأن أمر الله لا يرد، ولو قال للسماء والأرض كوناً أرضاً أو كوناً سماءً كانا في لحظة، لكن قال العلماء: إن الله ﷻ مدد الخلق إلى ستة أيام تعليمًا للعباد إذا فعلوا أن يفعلوا على وجه الجودة والتأني، وإتقان الشيء، دون التسرع والتعجل، هذا من جهة، ومن جهة



أُخْرَى: أَنَّ اللَّهَ حَكِيمٌ، فَالْخَلْقُ يَحْتَاجُ إِلَى تَدْرِجٍ، فَكَانَتْ الْحِكْمَةُ تَقْتَضِي أَنْ يَخْلُقَهَا بِالتَّدْرِجِ حَتَّى يَصِلَا إِلَى الْكِمَالِ، كَمَا أَنَّ النَّبَاتَ يَبْدَأُ بِذُرَّةٍ ثُمَّ يَنْمُو شَيْئًا فَشَيْئًا حَتَّى يَصِلَ إِلَى الْكِمَالِ، وَأَيًّا مَا ذَكَرْنَا مِنَ التَّعْلِيلِ هَذَا أَوْ هَذَا فَمَا هُوَ إِلَّا تَعْلِيلٌ ظَنِّيٌّ وَالْأَفْلَهُ مِنَ الْحِكْمِ وَالْأَسْرَارِ مِمَّا وَرَاءَ عُقُولِنَا فَتَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ خَلَقَهَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ مَعَ قُدْرَتِهِ عَلَى خَلْقِهَا فِي لَحْظَةٍ لِأَمْرٍ لَا نَعْلَمُهُ، وَنَكُونُ بِذَلِكَ صَادِقِينَ، فَنَحْنُ عَاجِزُونَ عَنْ إِدْرَاكِ الْحِكْمَةِ، لَكِنْ قَادِرُونَ عَلَى الْجَوَابِ، فَتَقُولُ: اللَّهُ أَعْلَمُ.  
فَإِنْ اسْتَبْطَأْنَا حِكْمَةَ، وَكَانَتْ هِيَ الْمَوَافَقَةُ، فَهَذَا مِنْ لَطْفِ اللَّهِ بِنَا وَقَضَيْهِ عَلَيْنَا، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ فَنَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَغْفِرَ عَنَّا خَطَايَا.

وهذه الأيام، كأيام الدنيا؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَيَّنَّ أَنَّ أَوَّلَهَا يَوْمُ الْأَحَدِ وَآخِرُهَا يَوْمُ الْجُمُعَةِ.  
سؤال في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَنتُمْ لَكُمْ كُفْرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [المؤمن: ١٩]. ثُمَّ قَالَ: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ﴾. وَهَذَا مُقْتَضَاهُ أَنَّ خَلْقَ السَّمَوَاتِ بَعْدَ خَلْقِ الْأَرْضِ، وَقَالَ فِي سُورَةِ النَّازِعَاتِ: ﴿إِنَّمَا أَشَدُّ خَلْقًا أَوْ أَسْمَاءُ بَلَّهَا﴾ [٧] رَفَعَ سَعَكُمَا فَسَوَّيَاهَا [١٨] وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ نَهَا [٢١] وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا [٢٢]. فَجَعَلَ خَلْقَ الْأَرْضِ بَعْدَ خَلْقِ السَّمَاءِ فَكَيْفَ الْجَمْعُ بَيْنَهُمَا؟

**فالجواب:** أَنَّ مَعْنَى الدَّخْوِ يُفَسِّرُهُ مَا بَعْدَهُ، وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا﴾ [البقرة: ٢٧]. فَيَكُونُ خَلْقُ الْأَرْضِ وَجَعْلُ الرِّوَاسِي فِيهَا قَبْلَ خَلْقِ السَّمَاءِ، أَمَّا الدَّخْوُ الَّذِي جَعَلَ الْأَرْضَ مَهَيَّأَةً لِكُلِّ الْمَنَافِعِ فِيهَا، وَإِخْرَاجُ مَائِهَا وَمَرْعَاهَا فَهَذَا بَعْدَ ذَلِكَ.

❖ وَقَوْلُهُ: ﴿وَالْجِبَالُ أَرْسَاهَا﴾ [البقرة: ٢٢]. جُمْلَةٌ مُسْتَقِلَّةٌ، يَعْنِي: وَأَرَسَاهَا لِلْجِبَالِ.  
وهنا مَسْأَلَةٌ دَائِمًا نَكُرِّرُهَا وَهِيَ أَنَّهُ لَا تَعَارُضَ بَيْنَ آيَاتِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَأَنَّ الْإِنْسَانَ يَجِبُ أَنْ يَنْظُرَ وَيَتَأَمَّلَ حَتَّى يَعْرِفَ الْفَرْقَ الَّذِي بِهِ يَزُولُ التَّعَارُضُ، وَلَوْ قَالَ: وَالْأَرْضُ بَعْدَ ذَلِكَ خَلَقَهَا، لَكَانَ فِيهِ تَعَارُضٌ، لَكِنْ قَالَ دَحَاهَا، فَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ الدَّخْوَ غَيْرُ الْخَلْقِ، وَلِأَنَّهُ ذَكَرَ فِي آيَاتٍ أُخْرَى أَنَّهُ خَلَقَ الْأَرْضَ قَبْلَ السَّمَاءِ.



ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ [الأنعام: ٧٣].

٧٣٨٥- حَدَّثَنَا قَيْصَةُ، حَدَّثَنَا سَفْيَانُ، عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ، عَنْ سَلْيَانَ، عَنْ طَاوُسٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَدْعُو مِنَ اللَّيْلِ: «اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ نَوْرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، قَوْلُكَ الْحَقُّ، وَوَعْدُكَ الْحَقُّ، وَلِقَاؤُكَ الْحَقُّ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ، اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ

وبك أمنتُ وعليك توكلتُ وإليك أنبتُ، وبك خاصمتُ، وإليك حاكمتُ، فاغفر ما قدمتُ وأخرتُ وأسَرَرْتُ وأعلنتُ، وأنتَ إلهي لا إلهَ لي غيرُكَ. حَدَّثَنَا ثَابِتُ بْنُ مُحَمَّدٍ، حَدَّثَنَا سَفِيَانُ هَذَا وَقَالَ: «أنتَ الحقُّ وقولُكَ الحقُّ»<sup>(١)</sup>.

ثم ذكر المؤلف رحمه الله حديثَ ابنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَدْعُو مِنَ اللَّيْلِ، وَذَلِكَ إِذَا قَامَ لصلَاةِ اللَّيْلِ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ، أَنْتَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ». فَبَدَأَ بِحَمْدِهِ، ثُمَّ قَالَ: أَنْتَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، إِذْ رُبُّوبِيَّتُهُ ﷻ مَبْنِيَّةٌ عَلَى الْحَمْدِ، وَالْحَمْدُ هُوَ وَصْفُ الْمَحْمُودِ بِالْكَامِلِ مَعَ الْحُبِّ وَالتَّعْظِيمِ، فَإِنْ كُرِّرَ وَصْفُ الْكَامِلِ سُمِّيَ ثَنَاءً، وَالذَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى فِي الْحَدِيثِ الْقُدْسِيِّ: «إِذَا قَالَ الْعَبْدُ: الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ» قَالَ اللَّهُ: «حَمْدِي عَبْدِي، فَإِذَا قَالَ: الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ. قَالَ: أَتُنِي عَلَى عَبْدِي»<sup>(٢)</sup>.

❖ وقوله: «رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ». سَبَقَ أَنْ مَعْنَى الرُّبُوبِيَّةِ يَدُورُ عَلَى ثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ: عَلَى الْخَلْقِ، وَالْمَلِكِ، وَالتَّدْبِيرِ، فَهُوَ خَالِقُهُمَا وَمَالِكُهُمَا وَالْمُدَبِّرُ لِهَمَا، وَجَمَعَ السَّمَوَاتِ بِاعْتِبَارِ الْعَدَدِ، وَأَفْرَادِ الْأَرْضِ بِاعْتِبَارِ الْجِنْسِ، وَ السَّمَوَاتِ سَبْعٌ بِنَصِّ الْقُرْآنِ ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [الأنعام: ١٦١]. أَمَّا الْأَرْضُ فَلَيْسَ فِي الْقُرْآنِ تَصْرِيحٌ بِأَنَّهَا سَبْعٌ لَكِنْ فِيهَا مَا يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ، مِثْلُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ وَمِثْلَهُنَّ﴾ [الأنعام: ١٧]. وَالْمِثَالُ هُنَا لَا يُمْكِنُ أَنْ تَتَأَنَّى إِلَّا فِي الْعَدَدِ، إِذْ إِنْ الْكَيْفِيَّةُ، وَالْحُجْمُ وَالْعِظَمَةُ لَا تَمَازِلُ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ فِيهَا، فَتَعَيَّنَ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿وَمِثْلَهُنَّ﴾. أَي: فِي الْعَدَدِ، وَالسَّنَةُ صَرِيحَةٌ فِي ذَلِكَ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ أَقْطَعَ مِنَ الْأَرْضِ شَيْئًا، طَوَّفَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ سَبْعِ أَرْضِينَ»<sup>(٣)</sup>.

❖ وقوله: «لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ قَيِّمُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ». أَي: بِكَ تَقُومُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ، وَأَنْتَ الْقَيُّومُ عَلَيْهِنَّ، فِيهِ ﷻ تَقُومُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ، وَلَا غِنَى لِّلْسَمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ عَنِ اللَّهِ طَرْفَةً عَيْنٍ، وَهُوَ الْقَيِّمُ عَلَيْهِمَا أَيْضًا، وَالْقِيُومِيَّةُ هُنَا تَنْتَضِمُنِ الْإِبْجَادَ، وَالْإِعْدَادَ، وَالْقِيَامَةَ عَلَى الشَّيْءِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾ [النساء: ٣٤]. أَي: يَقُومُونَ عَلَى النِّسَاءِ، وَيَتَوَلَّوْنَ أُمُورَهُنَّ، فَالْقَيِّمُ السَّمَوَاتِ؛ أَي: بِهِ قَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ، وَهُوَ الَّذِي يَقُومُ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَتَوَلَّى أَمْرَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ﴾ [الأنعام: ٢٥]. هَذَا أَحَدُ الْمَعْنَيْنِ، أَمَّا الْمَعْنَى الثَّانِي: أَنَّهُ يَقُومُ عَلَيْهِمَا وَيَتَوَلَّاهُمَا «قَيِّمُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ».

«لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ نَوْرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ». أَي: بِكَ اسْتَنَارَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ، فَلَوْلَا أَنَّ اللَّهَ ﷻ جَعَلَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ نَوْرًا لَمْ يَكُنْ فِيهِمَا نَوْرٌ، أَوْ أَنَّهُ هُوَ نَفْسُهُ النُّورُ، وَقَالَ: إِنَّهُ نَوْرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ. وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِي جَوْفِ السَّمَاءِ أَوْ فِي جَوْفِ الْأَرْضِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِمْ نَوْرًا﴾ [الأنعام: ١٦]. وَمِنْ الْمَعْلُومِ أَنَّ الْقَمَرَ لَيْسَ يُنِيرُ

(١) رواه مسلم (٧٦٩) (١٩٩) بنحوه.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) رواه البخاري (٢٤٥٢)، ومسلم (١٦١٠) (١٣٧).



السَّمَوَاتِ، وَأَمَّا يُبَيِّرُ الْأَرْضَ.

❖ وقوله: «قَوْلُ الْحَقِّ، وَوَعْدُكَ الْحَقُّ، وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ». يُمَكِّنُ أَنْ يَقُولَ الْقَائِلُ: قَوْلُكَ، وَوَعْدُكَ، وَلِقَاؤُكَ، وَالْجَنَّةُ، وَالنَّارُ، وَالسَّاعَةُ. ست، يمكن أن يقول الإنسان هذه الأشياء الستة ويُخبر عنها بكلمة واحدة فيقول: حَقٌّ. ولكنَّ مَقَامَ الشَّيْءِ مَقَامٌ بَسْطٍ وَلِكُلِّ مَقَامٍ مَقَال.

❖ وقوله: «قَوْلُكَ الْحَقُّ». الْحَقُّ مِنْ وَجْهَيْنِ؛ لِأَنَّ قَوْلَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ إِمَّا طَلَبٌ، وَ إِمَّا خَبَرٌ، فَإِنْ كَانَ طَلَبًا فَهُوَ عَدَلٌ مُشْتَمِلٌ عَلَى الْمَصَالِحِ، وَإِنْ كَانَ خَبَرًا فَهُوَ صِدْقٌ، وَعَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ [الأنعام: ١١٥].

❖ وقوله: «وَعْدُكَ الْحَقُّ». وَعْدُكَ سِوَاءَ كَانَ وَعْدًا بِمَثُوبَةٍ، أَوْ وَعْدًا بِعُقُوبَةٍ، فَإِنَّهُ حَقٌّ، وَلَيْسَ فِيهِ كَذِبٌ، وَلَا بُدَّ أَنْ يَقَعَ؛ لِأَنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِعَادَ، إِلَّا أَنْ الْوَعْدَ بِالْعُقُوبَةِ إِذَا لَمْ يَكُنْ الْإِنَّمُ شُرْكًَا فَصَاحِبُهُ تَحْتَ الْمَشِيئَةِ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ، وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [البقرة: ١١٦].

❖ وقوله: «وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ». لِقَاءُ اللَّهِ ﷻ حَقٌّ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَتَأْتِيهَا الْإِنْسَنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدًّا فَمَلْفِيهِ﴾ [الأنعام: ٦]. فَلَا بُدَّ أَنْ تُلَاقِيَ رَبَّكَ، وَلَا بُدَّ أَنْ يَخْلُقُوا رَبُّكَ بِكَ، لَيْسَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ تَرْجُمَانٌ، وَلَا بُدَّ أَنْ يَسْأَلَكَ وَيَقْرَرَكَ بِذُنُوبِكَ، وَيَقُولَ: فَعَلْتَ كَذَا فِي يَوْمٍ كَذَا. لَكِنْ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ، ثُمَّ إِذَا أَقْرَرْتَ وَاعْتَرَفْتَ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: إِنِّي سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ. هَكَذَا يَحَاسِبُ اللَّهُ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

أَمَّا الْكَفَّارُ فَإِنَّهُمْ لَا يَقْرَرُونَ هَذَا التَّقْرِيرَ، وَلَكِنْ يُخَزَّوْنَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَيُنَادَى عَلَيْهِمْ عَلَى رُءُوسِ الْأَشْهَادِ: ﴿هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٨].

❖ وقوله: «وَالْجَنَّةُ حَقٌّ» أَيُّ: صِدْقٌ، وَكَذَلِكَ النَّارُ كِلَاهُمَا حَقٌّ، وَهُمَا الْآنَ مَوْجُودَتَانِ، وَهُمَا مَخْلُوقَتَانِ لِلْأَبَدِ، أَيُّ مُؤَبَّدَتَانِ بِإِجْمَاعِ أَهْلِ السَّنَةِ <sup>(١)</sup>.

إِلَّا أَنَّ هُنَاكَ خِلَافًا بَسِيرًا فِي أَبَدِيَةِ النَّارِ، وَلَكِنَّ الْقَوْلَ بِعَدَمِ أَبَدِيَّتِهَا ضَعِيفٌ لِلْغَايَةِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ ذَكَرَ أَبَدِيَّتَهَا فِي ثَلَاثِ آيَاتٍ مِنَ الْقُرْآنِ: الْآيَةُ الْأُولَى قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ يَغْفِرْ لَهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ طَرِيقًا﴾ [٣٨] إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ﴿١٦٨-١٦٩﴾ وَالْآيَةُ الثَّانِيَةُ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَمَنْ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا﴾ [١٦٤-١٦٥] خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ﴿٢٣﴾ وَالْآيَةُ الثَّالِثَةُ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ [٢٣] وَهَذَا خَبَرٌ مِنَ اللَّهِ ﷻ صِدْقٌ، وَإِذَا كَانُوا خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَزِمَ أَنْ يُؤَبَّدَ الْمَكَانُ الَّذِي خُلِدُوا فِيهِ.

(١) انظر «مراتب الإجماع» لابن حزم (ص ١٧٣)، و«الإقناع في مسائل الإجماع» لابن القطان (١/ ٥٢)، (١٤٩)، و«شرح العقيدة الطحاوية» (ص ٤٨٠).

❖ وقوله: «والساعةُ حقٌّ»، الساعةُ؛ يعني: ساعةُ القيامةِ حقٌّ، أي: لا بُدَّ أَنْ تَقَعَ؛ لأنَّ اللهَ أَخْبَرَهَا وما أَخْبَرَ اللهُ به فهو حقٌّ.

❖ وقوله: «اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ». الجَارُّ والمَجْرُورُ في قوله: «لَكَ أَسْلَمْتُ» معمولٌ مُقَدَّمٌ لإفادَةِ الحَصْرِ «لَكَ أَسْلَمْتُ»؛ أي: انْقَدْتُ انْقِيَادًا تَامًا لِسُرْعِكَ.

❖ وقوله: «وبِكَ آمَنْتُ». والإِيَانُ مَحَلُّهُ الْقَلْبُ، فَذَكَرَ النَّبِيُّ ﷺ الدِّينَ الظَّاهِرَ، والدِّينَ الْبَاطِنَ، فَالدِّينَ الظَّاهِرُ هُوَ الْإِسْلَامُ، وَالبَاطِنُ هُوَ الْإِيَانُ.

❖ وقوله: «وبِكَ آمَنْتُ». مَعْنَى الْإِيَانِ بِاللَّهِ الْإِقْرَارُ بِهِ، الْمُتَضَمَّنُ لِلْقَبُولِ وَالْإِدْعَانِ، هَذَا هُوَ الْإِيَانُ بِاللَّهِ فَأَمَّا الْإِقْرَارُ الَّذِي لَا يَتَضَمَّنُ ذَلِكَ فَلَيْسَ بِالْإِيَانِ، بَلْ لَا بُدَّ مِنْ قَبُولِ الْخَيْرِ، وَإِدْعَانِ لِلطَّلَبِ.

ولهذا قَالَ أَهْلُ السُّنَّةِ: إِنَّ الْإِيَانِ قَوْلٌ بِاللِّسَانِ وَعَمَلٌ بِالْأَرْكَانِ وَاعْتِقَادٌ بِالْجَنَانِ.

❖ وقوله: «وعليك توكلتُ». أي: اعْتَمَدْتُ اعْتِمَادًا تَامًا مُعْتَرِفًا بِتَقْصِيرِي، مُفَوِّضًا أَمْرِي إِلَيْكَ، وَهَذَا هُوَ الْفَرْقُ بَيْنَ التَّوَكُّلِ عَلَى إِنْسَانٍ، وَالتَّوَكُّلِ عَلَى اللَّهِ، فَتَوَكَّلِي عَلَى الْإِنْسَانِ لَيْسَ تَوَكُّلٌ أَفْتِقَارٌ وَتَقْوِضٌ، وَتَوَكَّلِي عَلَى اللَّهِ تَوَكُّلٌ أَفْتِقَارٌ وَتَقْوِضٌ، فَلَوْ وَكَلْتُ شَخْصًا يَشْتَرِي لَكَ شَيْئًا فَقَدْ تَوَكَّلْتَ عَلَيْهِ، وَاعْتَمَدْتَ عَلَيْهِ فِي شَرَاءِ هَذَا الشَّيْءِ، لَكِنْ هَلْ هَذَا اعْتِمَادٌ أَفْتِقَارٌ وَتَقْوِضٌ مُطْلَقٌ؟

**الجواب:** لا، فَلَوْ شِئْتَ لَعَزَلْتَهُ، وَلَوْ خَالَفَ مَا وَكَلْتَهُ فِيهِ لَصَمَّمْتَهُ، لَكِنْ تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ تَوَكُّلٌ أَفْتِقَارٌ وَتَقْوِضٌ، فَتَقْوِضُ الْأَمْرِ إِلَيْهِ وَتُسْنِدُهُ إِلَيْهِ، وَهَذَا هُوَ الْفَرْقُ بَيْنَ التَّوَكُّلِ الَّذِي لَا يَصِحُّ إِلَّا لِلَّهِ، وَالتَّوَكُّلِ الَّذِي يَصِحُّ لِلْمَخْلُوقِ.

❖ وقوله: «وإليك أنبتُ». الْإِنَابَةُ بِمَعْنَى الرُّجُوعِ؛ أي: إِلَيْكَ رَجَعْتُ فِي أُمُورِي كُلِّهَا، رَجَعْتُ مِنَ الْمَعْصِيَةِ إِلَى الطَّاعَةِ، وَرَجَعْتُ إِلَيْكَ فِي تَسْهِيلِ أُمُورِي، وَفِي رِزْقِي، وَفِي كُلِّ شَيْءٍ، أَنْبَتُ إِلَيْكَ فِي كُلِّ شَيْءٍ.

❖ وقوله: «وبِكَ خَاصَمْتُ». أي: خَاصَمْتُ كُلَّ مَنْ يُخَاصِمُنِي فِيكَ بِكَ، وَالبَاءُ هُنَا لَيْسَتْ لِلظَّرْفِيَّةِ، وَلَكِنَّهَا لِلْإِسْتِعَانَةِ، يَعْنِي: أَنْكَ تَعِينُنِي عَلَى خُصُومَتِي مَعَ مَنْ أَحَاصِمُ، وَيُمْكِنُ أَنْ تَكُونَ الْبَاءُ لِلظَّرْفِيَّةِ وَيَكُونُ الْمَعْنَى: فِيكَ خَاصَمْتُ؛ لِأَنَّ الرُّسُولَ ﷺ يُخَاصِمُ فِي اللَّهِ كَمَا خُوصِمَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ تَرَى إِلَى اللَّهِ دَرَجَةً﴾ [إِبْرَاهِيمَ فِي رِيَازِهِ] (الشيخ ٢٥٨).

فَعَلَى هَذَا نَقُولُ: «البَاءُ» يَحْتَمِلُ أَنْ تَكُونَ ظَرْفِيَّةً بِمَعْنَى «فِي»، وَيَحْتَمِلُ أَنْ تَكُونَ لِلْإِسْتِعَانَةِ، وَالْفَرْقُ بَيْنَ الْمَعْنَيْنِ وَاضِحٌ، فَإِذَا كَانَتْ الْبَاءُ لِلظَّرْفِيَّةِ صَارَ الْمَعْنَى أَنِّي أَخَاصِمُ فِيكَ، فَإِذَا خَاصَمْتَنِي مُخَاصِمٌ، وَجَادَلَنِي مُجَادِلٌ فِي ذَاتِكَ، أَوْ أَسْمَائِكَ، أَوْ صِفَاتِكَ، خَاصَمْتُهُ، وَإِنْ كَانَتْ لِلْإِسْتِعَانَةِ فَالْمَعْنَى أَنِّي اسْتَعِينُ بِكَ فِي خُصُومَتِي لَعِيرِي، وَكِلَا الْمَعْنَيْنِ صَحِيحٌ، فَإِذَا قَالَ قَائِلٌ: هَلْ تَأْتِي الْبَاءُ لِلظَّرْفِيَّةِ؟

**قُلْنَا:** نَعَمْ، فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، ﴿وَلَا تَكُفُّوا عَنْهُمْ عَلَيْهِمْ مُصِيبَاتٌ﴾ (١٧٧) وَبِالْإِثْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٧٨﴾



الْفَتَاوَى: ١٣٧-١٣٨. أي: وفي الليل.

❖ وقوله: «وإليك حَاكَمْتُ» أي: حُكْمَتِي تَنْتَهِي إِلَيْكَ، وَلَا أَحَاكِمُ إِلَى غَيْرِكَ، فَشَرَعُكَ هُوَ الْحَكَمُ، فَأَنَا أَحَاكِمُ إِلَيْكَ، وَلَا أَتَعَدَّى حُكْمَكَ، وَهَذَا تَفْوِضٌ تَامٌ لِلَّهِ كَوْنًا وَقَدْرًا. وكل هذه الكلمات والجمل التي تَتَضَمَّنُ هَذَا الشَّأْنَ الْعَظِيمَ عَلَى اللَّهِ كُلُّهَا وَسِيلَةً لَهَا سَيِّئِي، وَهُوَ قَوْلُهُ: فَاعْفِرْ لِي.

❖ قَوْلُهُ «فَاعْفِرْ لِي». الْفَاءُ هُنَا تُسَمَّى الْفَاءَ الْفَصِيحَةَ، وَيَجُوزُ أَنْ تُكَوْنَ لِلْسَّبَبِيَّةِ؛ أَيْ: فَسَبَبِ ذَلِكَ اغْفِرْ لِي.

وَالْمَغْفِرَةُ سِتْرُ الذَّنْبِ وَالتَّجَاوُزُ عَنْهُ، وَلَيْسَتْ السِّرُّ فَقَطْ وَدَلِيلُ ذَلِكَ أَنَّهَا مُشْتَقَّةٌ مِنَ الْمَغْفَرِ، وَهُوَ مَا يُلْبَسُ عَلَى الرَّأْسِ أَثْنَاءَ الْقِتَالِ لِحِمَايَةِ الرَّأْسِ مِنَ السَّهَامِ، فَالْمَغْفِرُ يَحْصُلُ بِهِ سِتْرٌ وَوَقَايَةٌ، فِإِذَا سَأَلْتَ رَبَّكَ مَغْفِرَةَ الذَّنْبِ، فَأَنْتَ تَسْأَلُهُ لِأَمْرَيْنِ: السِّرِّ، وَالتَّجَاوُزِ عَنْ عُقُوبَةِ هَذَا الذَّنْبِ. وَقَوْلُهُ: فَاعْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ وَأَسْرَرْتُ وَأَعْلَنْتُ.

و«مَا» فِي قَوْلِهِ: «مَا قَدَّمْتُ» مَوْصُولَةٌ، وَكَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ: «مَا أَخَّرْتُ»، وَقَوْلُهُ: «وَأَسْرَرْتُ وَأَعْلَنْتُ» مَعْطُوفَةٌ عَلَى الصَّلَاةِ، وَالْمَعْطُوفُ عَلَى الصَّلَاةِ يَقْتَضِي أَنْ يَكُونَ مَعْطُوفًا عَلَى الْمَوْصُولِ أَيْضًا، وَالْمَعْنَى أَنَّ الرَّسُولَ ﷺ سَأَلَ اللَّهَ أَنْ يَغْفِرَ لَهُ مَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ وَأَسَرَّ وَأَعْلَنَ، وَفِي هَذِهِ الْجُمْلَةِ بَسْطُ ظَاهِرٍ؛ لِأَنَّهُ يُغْنِي عَنْهَا أَنْ يَقُولَ: اغْفِرْ لِي ذَنْبِي؛ لِأَنَّ «ذَنْبًا» مُفْرَدٌ مُضَافٌ، فَيَشْمَلُ كُلَّ الذَّنْبِ؛ مَا أَسَرَّ وَأَعْلَنَ، وَقَدَّمَ وَأَخَّرَ، لَكِنْ مَقَامَ الدَّعَاءِ يَقْتَضِي الْبَسْطَ، وَذَلِكَ لِأُمُورٍ:

**الأول:** وَهُوَ أَهْمُهَا، لِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَى قَلْبِهِ مِنَ التَّلَذُّذِ بِمَنَاجَاةِ اللَّهِ ﷻ؛ لِأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَّا لَوْ كَانَ لَهُ صَدِيقٌ مَحْبُوبٌ إِلَيْهِ، أَفَلَا يُحِبُّ أَنْ يَبْسُطَ مَعَهُ الْقَوْلَ وَيُكَيِّرَ مَعَهُ مِنْهُ؟ بَلَى، لَا سَكَّ. تَحِدُّهُ إِذَا جَلَسَ إِلَى صَدِيقِهِ الَّذِي يُحِبُّهُ، وَقَامًا يَتَحَدَّثَانِ تَمْضِي السَّاعَاتِ الطَوِيلَةِ وَكَأَنَّهَا دَقَائِقُ، حَتَّى إِنْ بَعْضُ الْأَصْدِقَاءِ يُشِيعُ صَدِيقَهُ إِلَى بَيْتِهِ -أَي: يَتَحَدَّثَانِ وَيُمَشِّيانَ رُويْدًا رُويْدًا- فَإِذَا وَصَلَ إِلَى بَيْتِهِ انْقَلَبَ فَشِيعَهُ الْآخَرُ، وَهَكَذَا دَوَّالِيكَ، رُبَّمَا يَطْلُعُ الْفَجْرُ، إِنْ كَانَ فِي اللَّيْلِ، وَهُمَا عَلَى هَذَا الْحَالِ، وَهَذَا أَمْرٌ مُشَاهَدٌ وَمَعْرُوفٌ؛ أَنَّ الْإِنْسَانَ يُحِبُّ أَنْ يَبْسُطَ الْقَوْلَ مَعَ مَنْ يُحِبُّ.

**الثاني:** أَنَّ الدَّعَاءَ عِبَادَةً، وَكَلِمًا كَرَّرْتَ ارْتَدَّتْ لِلَّهِ تَعَبُّدًا، فَبَزَادَ أَجْرُكَ بِإِزْدَادٍ جُمْلَ الدَّعَاءِ.

**الثالث:** أَنَّ الْبَسْطَ وَالتَّفْصِيلَ يُوجِبُ تَذَكُّرَ الْإِنْسَانِ كُلِّ هَذِهِ الْأَنْوَاعِ الَّتِي بَسَطَهَا وَفَصَّلَهَا، وَبَيَّنَّهَا، وَاسْتِحْضَارَ الْإِنْسَانِ لَذُنُوبِهِ تَفْصِيلًا أَكْمَلَ فِي التَّوْبَةِ؛ لِأَنَّ التَّوْبَةَ الْمَجْمَلَةَ لَا تَسْتَوْعِبُ جَمِيعَ الذَّنُوبِ اسْتِحْضَارًا، وَإِنْ كَانَتْ تَسْتَوْعِبُ جَمِيعَ الذَّنُوبِ لَفْظًا وَمَذْلُولا.

أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّكَ قُلْتَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي كُلَّهُ. وَأَنْتَ فَعَلْتَ ذُنُوبًا قَدْ تَكُونُ أَكْبَرَ مَا تَتَصَوَّرُهُ الْآنَ لَكِنْ غَابَتْ عَنْ بَالِكَ، فَإِذَا ذَكَرْتَ وَفَصَّلْتَ كَانَ هَذَا أَبْلَغَ فِي التَّوْبَةِ؛ لِأَنَّ الدَّلَالَهَ عَلَى تَعْيِينِ الْأَفْرَادِ أَقْوَى مِنَ الدَّلَالَهَ عَلَى الْعُمُومِ.

فهذه ثلاث فوائد في البسط.

**وَيُسْتَفَادُ مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ:** عَلُوُّ مَرْتَبَةِ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْعِبَادَةِ، حَيْثُ أَثْنَى عَلَى رَبِّهِ هَذَا الشَّاءَ الْعَظِيمَ بِهَذَا التَّفْصِيلِ الْعَظِيمِ، مَعَ أَنَّهُ ﷺ قَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ.

**وَيُسْتَفَادُ مِنْهُ:** أَنَّ لِلرَّسُولِ ﷺ ذُنُوبًا؛ لِقَوْلِهِ: «اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ» وَأَصْرَحُ مِنْ ذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ۖ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ۚ وَيُضَرِّكَ اللَّهُ تَصْرَاعًا عِزًّا ۖ﴾ (البقرة: ١٨٥-١٨٦). وَأَصْرَحُ مِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۚ﴾ [البقرة: ١٩٠]. وَبِهَذَا يَبْطُلُ قَوْلُ مَنْ يَقُولُ: إِنَّ اسْتِغْفَارَ النَّبِيِّ ﷺ لَذَنْبِهِ اسْتِغْفَارٌ لَذُنُوبِ أُمَّتِهِ، وَلَيْسَ اسْتِغْفَارًا لَذَنْبِهِ، فَنَقُولُ: سُبْحَانَ اللَّهِ! هَلْ أَنْتَ أَعْلَمُ مِنَ رَسُولِ اللَّهِ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟

**الْجَوَابُ:** لَا، فَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَعْلَمُ بِنَفْسِهِ، وَهُوَ يَقُولُ: «اغْفِرْ لِي ذَنْبِي كُلَّهُ دِقَّةَ وَجِلِّهِ، عَلَانِيَتِهِ وَسِرِّهِ، وَأَوَّلَهُ وَأَخْرَهُ»<sup>(١)</sup>.

**ثُمَّ نَقُولُ:** كَيْفَ يَسْتَقِيمُ هَذَا الْقَوْلُ وَاللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ۚ وَيُضَرِّكَ اللَّهُ تَصْرَاعًا عِزًّا ۖ﴾ (البقرة: ١٨٥-١٨٦). الْأَوْصَافُ هَذِهِ لِمَوْصُوفٍ وَاحِدٍ، فَهَلْ هَذِهِ أَوْصَافُ الْأُمَّةِ؟!

ثُمَّ كَيْفَ يَسْتَقِيمُ ذَلِكَ وَاللَّهُ يَقُولُ: ﴿أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۚ وَلَكِنَّ الْفَرْقَ بَيْنَ الرَّسُولِ وَالْأُمَّةِ مِنْ حَيْثُ الذَّنْبُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَا يُقَرُّ عَلَى الذَّنْبِ، وَالْأُمَّةُ تُقَرُّ عَلَيْهِ، وَمَعْنَى تُقَرُّ؛ يَغْنِي: قَدَرًا لَا شَرْعًا، أَمَا شَرْعًا فَلَا أَحَدٌ يُقَرُّ عَلَى الذَّنْبِ، لَكِنْ قَدَرًا الْأُمَّةُ تُقَرُّ عَلَى الذَّنْبِ، لَكِنْ الرَّسُولُ لَا يُقَرُّ؛ لِأَنَّهُ ﷺ لَا بُدَّ أَنْ يُتَّبَعَ أَوْ يُتَّبَعِ فَيَسْتَغْفِرُ، وَالْإِنْسَانُ إِذَا اسْتَغْفَرَ مِنَ الذَّنْبِ فَقَدْ تَكُونُ حَالُهُ بَعْدَ ذَلِكَ أَكْمَلَ مِنْ حَالِهِ قَبْلَ فِعْلِ الذَّنْبِ.

وَانْظُرْ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ حَتَّى يَبَيِّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعَلَّمَ الْكَذِبَ مِنْكَ﴾ (البقرة: ٤٣). فَبَدَأَ بِالْعَفْوِ قَبْلَ ذِكْرِ الْمَخَالَفَةِ فَقَالَ: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ﴾. وَلَا عَفْوَ إِلَّا عَنْ خَطِيئَةٍ، وَقَالَ: ﴿لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ حَتَّى يَبَيِّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعَلَّمَ الْكَذِبَ مِنْكَ﴾ (١٢). سُبْحَانَ اللَّهِ هَذَا تَعْلِيمٌ مِنَ اللَّهِ ﷻ، يُعَلِّمُ نَبِيَّهُ، وَهُوَ تَعْلِيمٌ لَنَا أَلَّا تَتَعَجَّلَ فِي الْحُكْمِ عَلَى الشَّيْءِ حَتَّى تَنْبَيِّنَ؛ لِقَوْلِهِ: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ حَتَّى يَبَيِّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعَلَّمَ الْكَذِبَ مِنْكَ﴾ (١٣). ﴿حَتَّى يَبَيِّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا﴾ وَهَذَا يَنْطَبِقُ تَامًا عَلَى ضِدِّ حَالِنَا الْيَوْمَ فَنَحْنُ الْآنَ نَسْمَعُ الْكَلِمَةَ ثُمَّ نَطِيرُ بِهَا فِي الْأَفَاقِ دُونَ أَنْ تَنْبَيِّنَ، وَاللَّهُ ﷻ يَقُولُ لِرَسُولِهِ: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ حَتَّى يَبَيِّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعَلَّمَ الْكَذِبَ مِنْكَ﴾ (١٤).



ويقول: ﴿وَاتَّقِ اللَّهَ وَخُفِّ فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَخَشِيَ النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَهُ﴾ (٧) ﴿الْإِنشَاء: ٣٧﴾. هذه كلمات عظيمة جدًا، ويقول ﷺ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِرَعْمَرٍ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبَنِّي مَرْضَاتِ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (١) ﴿التَّبَنِّي: ١﴾. وكما قلتُ قد يكون الإنسان بعد الذنب والتوبة خيرًا من قبل ذلك.

وانظر متى حصل الاجتناء لآدم؟

**الجواب:** بعد أن أذنب وتاب، ثم اجتبه ربه فتاب عليه وهداه، وانظر ذلك أيضًا في نفسك إذا أذنبت ذنبًا حصل في قلبك من الانكسار والخجل من الله ﷻ والخوف ما لم يحصل لو استمررت فيها أنت عليه من الطاعة، بل إن الإنسان ربًّا إذا كان على طاعة، ينشأ في قلبه مرض السرطان المعنوي العُجب؛ العُجب بالنفس والإذلال على الله ﷻ بالعمل، تسأل الله أن يعيدنا وإياكم من ذلك، لكن إذا فعل الخطيئة انكسر، وخجل أمام الله، واستخيا من الله، ورجع إلى الله ﷻ.

ثم إن الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- لا يجوز في حقهم شيء واحد، وهو ما يدخل بالرسالة فهذا ممنوع في حقهم، منعهم الله منه كالخيانة والكذب ممنوع حتى إن الرسول ﷺ ممنوع من الإشارة بالعين<sup>(١)</sup>، فلا يُشير بالعين، لأنه لا بد أن يكون قوله صريحًا وواضحًا بدون أي خداع، أو أي خيانة، فهذا الذي يُمنع منه الرسل عليهم الصلوات والسلام، وهو ما يدخل بالرسالة من الكذب والخيانة وما أشبهها.

كذلك ما يدخل بالشرف والمروءة؛ فإنهم ممنوعون منه، مثل سفاسيف الأخلاق؛ لأن هذا تنفّر منه النفوس والطبائع، لكن المعاصي الأخرى قد يفعلونها، فموسى ﷺ قتل نفسًا بغير حق، وإن كان هذا قبل أن يُنبأ، لكنه ﷺ جعل ذلك مانعًا له من الشفاعة للخليق، حيث إنه إذا أتى إليه ليشفع اعتذر بذلك؛ لأن قتل النفس لا يحول عليه سوء الخلق أو ما يدخل بالصدق والأمانة، لكن تحوّل عليه الغيرة، ولا سيما أن فرعون قد سام بني إسرائيل سوء العذاب، حتى كان يقتل أبناءهم، ويستحي نساءهم.

وكذلك الرسل إذا وقعت منهم الذنوب فإنهم لا يُقرّون عليها قدرًا بمعنى: أن الله يُنبههم عليها أو يتنبهون، أما سرعًا فنحن والأنبياء ممنوعون من الإقرار عليها سرعًا، والله ﷻ يهني لهم أسباب التوبة فيتوبون فورًا أو بعد حين، لكن لا بد أن يتوبوا، لكن نحن ممنوعون منها سرعًا، لكن قدرًا ربًّا نستمر في معاصينا ونُصير عليها.

❖ قوله: «ما قدّمت وأخرت». يَحْتَمِلُ مَعْنَى قَوْلِهِ: «أخرت» أي: في المستقبل، أي: ما سأفعله

(١) أخرجه أحمد (٣/ ١٥١)، وأبو داود (٣١٩٤) من حديث أنس بلفظ: «ليس لنبي أن يومض» والإيماض: الرمز بالعين والإيما به. «عون المعبود» (٨/ ٣٤٠) وأخرجه أبو داود (٣٥٩)، (٢٦٨٣) من حديث سعد بن أبي وقاص بلفظ: «إنه لا ينبغي لنبي أن تكون له خائنة العين» وصححه الشيخ الألباني كما في تعليقه: في السنن.

في المستقبل، وهذا خاص بالرسول ﷺ، وَيَحْتَمِلُ «مَا أَخْرُتُ» باعتبار الماضي؛ لأن الماضي منه مُتَقَدِّمٌ ومنه مُتَأَخِّرٌ، وهذا هو ظاهر اللفظ، أي: ما قَدَّمْتُ ففَعَلْتُهُ قَدِيمًا، وما أَخْرُتُ: ففَعَلْتُهُ آخِرًا.

❖ قوله: «أَنْتَ إِلَهِي لَا إِلَهَ لِي غَيْرُكَ». حَتَمَهَا بِالْأُلُوْهِيَّةِ؛ لِأَنَّهَا هِيَ الَّتِي أُرْسِلَتْ مِنْ أَجْلِهَا الرِّسَالُ وَأُنْزِلَتْ الْكُتُبُ، «أَنْتَ إِلَهِي لَا إِلَهَ لِي غَيْرُكَ». أي: لا معبود حق لي غيرك يا الله.

❖ قوله: حَدَّثَنَا ثَابِتُ بْنُ مُحَمَّدٍ، حَدَّثَنَا سَفِيَانُ بِهِذَا، وَقَالَ: «أَنْتَ الْحَقُّ وَقَوْلُكَ الْحَقُّ» يَعْنِي بَعْدَ قَوْلِهِ: «وَالسَّاعَةُ حَقٌّ، أَنْتَ الْحَقُّ وَقَوْلُكَ الْحَقُّ».



ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٩- بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى ﴿وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ (النمل: ٦٥) [الشيخ: ١٣٤].

وَقَالَ الْأَعْمَشُ، عَنْ تَمِيمٍ، عَنْ عُرْوَةَ، عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَسِعَ سَمْعُهُ الْأَصْوَاتَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى النَّبِيِّ ﷺ: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَدِّدُكَ فِي زَوْجِهَا﴾ [الشيخ: ١٣٥].

❖ قوله: ﴿وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ (النمل: ٦٥) [الشيخ: ١٣٤]. هَذَانِ اسْمَانِ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ، وَيَقْرُنُ اللَّهُ ﷻ بَيْنَهُمَا كَثِيرًا؛ أَيْ: بَيْنَ السَّمْعِ وَالْبَصَرِ؛ لِأَنَّ السَّمْعَ إِدْرَاكُ الْأَصْوَاتِ وَبِالْبَصَرِ إِدْرَاكُ الْأَفْعَالِ، فَلَا قَوْلَ مُتَعَلِّقَهَا السَّمْعُ، وَالْأَفْعَالُ مُتَعَلِّقُهَا الْبَصَرُ، وَلِهَذَا يَقْرُنُ اللَّهُ تَعَالَى بَيْنَهُمَا كَثِيرًا. وَالسَّمْعُ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى، وَلَهُ مَعْنِيَانِ:

**المعنى الأول:** إدراك المسموع.

**والمعنى الثاني:** استجابة المسموع.

فَمِنْ الْأَوَّلِ مَا ذَكَرَهُ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَدِّدُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ﴾ [الشيخ: ١٣٥]. وَمِنْ الثَّانِي قَوْلُهُ تَعَالَى عَنْ إِبْرَاهِيمَ: ﴿إِنْ رَفِيَ لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ [الشيخ: ١٣٦]. أَيْ: لَمْ جَبِّهِ، وَلَيْسَ الْمَرَادُ ﴿لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾؛ أَيْ: لِمَدْرِكِهِ وَسَامِعُهُ؛ لِأَنَّ مَجْرَدَ السَّمْعِ لَا يَتَنَاسَبُ مَعَ قَوْلِ الدَّاعِي: ﴿إِنْ رَفِيَ لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ (٢١). وَإِنَّمَا الَّذِي يَتَنَاسَبُ مَعَ دَعَائِهِ هُوَ اسْتِجَابَةُ الدَّعَاءِ. ثَمَّ اعْلَمْ أَنَّ السَّمْعَ بِالْمَعْنَى الْأَوَّلِ: - أَيْ: بِمَعْنَى إِدْرَاكِ الْمَسْمُوعِ - يَنْقَسِمُ إِلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ؛ عَامٌّ، وَلِلتَّائِيدِ، وَلِلتَّائِيدِ.

**القسم الأول:** وهو العامُّ مثل هذه الآية: ﴿وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾. هَذَا عَامٌّ يَشْمَلُ كُلَّ مَا يُسْمَعُ، فَسَمِعَ اللَّهُ مُتَعَلِّقٌ بِهِ، فَيَسْمَعُ أَصْوَاتَ نَبِيِّ آدَمَ، وَمَا يَكُونُ مِنْهُمْ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ وَأَصْوَاتِ الْبَهَائِمِ، وَأَصْوَاتِ الْحَشَرَاتِ، حَتَّى دَبِيبِ النَّمْلِ عَلَى الصَّخْرَةِ الصَّائِغِ يَسْمَعُهَا وَغَلَّيْ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ، وَهَذَا هُوَ السَّمْعُ بِالْمَعْنَى الْعَامَّةِ.

**القسم الثاني:** وهو يُرَادُ بِهِ التَّهْدِيدُ، مِثْلُ قَوْلِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾ [النمل: ٢٤]. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ



يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾ [البقرة: ٨٠]. فهذا المرادُ به التهديدُ.

والقسمُ الثالثُ: وهو الذي يُرادُ به التأييدُ، مثلُ قوله تعالى لمُوسَى وهَارُونَ لَمَّا قَالَ: ﴿فَلَا رَبَّنَا إِنَّا نَخَافُ أَنْ يُقْرَطَ عَلَيْنَا أَوَّانٌ يَظْفِرُ﴾ ﴿١٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى ﴿١٦﴾ [البقرة: ١٥-١٦]. فالمرادُ بالسمع هنا سَمْعُ التأييدِ، والنصرِ، والمُدافعةِ.

فهذه أقسامُ السمع الذي بِمَعْنَى إدراكِ المسموعِ.  
أما السمعُ الذي بِمَعْنَى إجابةِ الدَّاعِي، فمثلُه قوله تعالى: ﴿إِنْ رِيقِي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ ﴿٢١﴾. وقولُ الْمُصَلِّي: سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ، فَسَمِعَ هنا بِمَعْنَى اسْتِجَابَ لِمَنْ حَمَدَهُ وليس المرادُ بذلك مجرد سماع صوتِ الحامد بل المرادُ بذلك استجابته.

فإذا قَالَ قائلٌ: هل السمعُ يَأْتِي بِمَعْنَى الاستجابة؟

**قُلْنَا:** نَعَمْ يَأْتِي بِمَعْنَى الاستجابة، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ ﴿٢١﴾ [الأنعام: ٢١]. مَعْنَى ﴿لَا يَسْمَعُونَ﴾. أي: لَا يَسْتَجِيبُونَ، وإلا فهُمْ يَسْمَعُونَ الذِّكْرَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ، يَسْمَعُونَهُ مِنَ النَّاسِ، وَلَكِنَّهُمْ لَا يَسْتَجِيبُونَ.

ثم اعْلَمْ أَنَّ سَمْعَ اللَّهِ وَبَصَرَهُ حَقِيقَةٌ وَلَيْسَتْ رَاجِعَةٌ إِلَى الْعِلْمِ، خِلَافًا لِلْمُعْتَزِلَةِ الَّذِينَ يَقُولُونَ: إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْمَعُ وَلَا يَبْصُرُ - والعياذُ بِاللَّهِ - وَأَنَّ مَعْنَى السَّمْعِ وَالبَصَرِ هُوَ الْعِلْمُ بِدُونِ رُؤْيَا مَفْعُولٍ أَوْ سَمَاعٍ مَفْعُولٍ.

**ولكن نقول:** أخطأتم خطأً كبيراً، بل السمعُ غيرُ العلمِ؛ لأنَّ عِلْمَ اللَّهِ تَعَالَى مُتَعَلِّقٌ بِالشَّيْءِ قَبْلَ أَنْ يَكُونَ مَسْمُوعاً، وَقَبْلَ أَنْ يَكُونَ مُبْصَراً، فَهُوَ يَعْلَمُ مَا كَانَ وَمَا سَيَكُونُ.

ثم ذَكَرَ حَدِيثَ عَائِشَةَ، قَالَتْ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَسِعَ سَمْعُهُ الْأَصْوَاتَ». فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى النَّبِيِّ ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾. فهذه امرأةٌ جَاءَتْ تَشْتَكِي إِلَى النَّبِيِّ ﷺ زَوْجَهَا، وَكَانَ زَوْجُهَا قَدْ ظَاهَرَ مِنْهَا؛ أَي: قَالَ لَهَا: أَنْتِ عَلَيَّ كَظْهَرِ أُمِّي. وَكَانُوا يَعُدُّونَ الظَّهَرَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ طَلَاقاً بَائِناً، فَجَاءَتْ تَشْتَكِي إِلَى الرَّسُولِ ﷺ بِأَنَّهَا كَبُرَتْ، وَأَنَّ لَهَا أَوْلَاداً مِنْ زَوْجِهَا وَأَنَّ زَوْجَهَا ظَاهَرَ مِنْهَا، وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ ﷻ، وَالنَّبِيِّ ﷺ بِحَاوِرِهَا وَيُسِّرُ عَلَيْهَا الْأَمْرَ، وَلَكِنَّهَا أَبَتْ وَأَصْرَتْ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَاتِ: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾. أَي: فِي شَأْنِهِ ﴿وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا﴾ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿١﴾. قَالَتْ عَائِشَةُ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَسِعَ سَمْعُهُ الْأَصْوَاتَ» إِنِّي لَفِي الْحَجَرَةِ وَإِنَّهُ لِيَخْفِي عَلَيَّ بَعْضُ حَدِيثِهَا <sup>(١)</sup>.

سُبْحَانَ اللَّهِ! وَاللَّهُ ﷻ فَوْقَ عَرْشِهِ يَسْمَعُ كَلَامَهَا، وَيَسْمَعُ مُحَاوَرَتَهَا لِلنَّبِيِّ ﷺ وَمُحَاوَرَتَهُ لَهَا،

(١) تقدم تخريجُه، غير قولها: «إني لفي الحجره.....» الحديث. فهو عند ابنِ ماجه (١٨٨) (٢٠٦٣)، وصححها الشيخُ الألباني، كما في تعليقه على «السنن».

وتأمل كيف جاءت الآية بلفظ الماضي ولفظ المضارع ﴿قَدْ سَمِعَ﴾ و﴿وَاللَّهُ يَسْمَعُ﴾. كما جاءت هذه المادة سَمِعَ بمعنى التعجب، مثل قوله تعالى: ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ﴾ [٣٨: ٢٣٨]. أَسْمِعْ بِهِمْ: يعني: ما أَسْمَعَهُمْ وما أَبْصَرَهُمْ.

**ففي هذا الحديث:** أَنَّ اللَّهَ ﷻ يَسْمَعُ سَمَاعًا حَقِيقِيًّا؛ لَأَنَّهُ قَالَ ﴿قَدْ سَمِعَ﴾ و﴿وَاللَّهُ يَسْمَعُ﴾.. ولو كان المراد بذلك العلم ما صح؛ لأنَّ عِلْمَ اللَّهِ تعالى كان سابقًا، وهذا يدلُّ على أَنَّ سَمْعَهُ مُتَعَلِّقٌ بِقَوْلِ هذه المرأة حالًا، حيث قال: ﴿وَاللَّهُ يَسْمَعُ﴾. ويسمعُ هذه فعلٌ مضارعٌ تدلُّ على الحال.

وقوله ﷻ: ﴿وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرُكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾. وهذه الجملة كالتعليل لما قبلها، ومن هنا أخذ أهل السنة أنَّ الاسم إذا كان مُتَعَدِّيًّا، فإنَّه لا يتمُّ الإيذانُ به إلا بإثباته وإثبات ما دلَّ عليه من صفة، وإثبات الحكم.

فهنا قال: ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ هذا هو الاسم، والصفة هي السمع والبصر، والحُكْمُ سَمِعَ وَبَصَرَ، ثُمَّ إِنَّا إِذَا آمَنَّا بذلك -ونحنُ مُؤْمِنُونَ إِنَّ شَاءَ اللَّهُ- فَإِنَّ ذَلِكَ يُوجِبُ لَنَا أَلَّا نَسْمِعَ رَبَّنَا مَا يُغْضِبُهُ عَلَيْنَا، فَإِذَا كُنْتَ تَوْمِنُ بِأَنَّ اللَّهَ يَسْمَعُ كُلَّ قَوْلٍ تَقُولُهُ، فَإِنَّ هَذَا يُوجِبُ أَلَّا تَقُولَ قَوْلًا لَا يُرِضِي اللَّهَ؛ لَأَنَّهُ -والله المثل الأعلى- إِذَا كَانَ أَبُوكَ لَا يَرْضَى أَنْ يَسْمَعَ مِنْكَ مَا لَا يَرْضَاهُ، وتُحَاوَلُ أَلَّا يَسْمَعَ مِنْكَ مَا لَا يَرْضَاهُ، فَرُبُّكَ أَوْلَى وَأَعْظَمُ أَنْ لَا تُسْمِعَهُ مَا لَا يَرْضَاهُ مِنْكَ.

وإذا قيل: هل سَمِعَ اللَّهُ تعالى مِنْ صفاته الذاتية أو مِنْ صفاته الفعلية؟

**الجواب:** مِنْ صفاته الذاتية، والذي يَحْدُثُ إِنَّمَا هُوَ الْمَسْمُوعُ، أما السمع فلم يَزَلْ ولا يَزَالُ مُتَصِفًا به، لكنَّ الْمَسْمُوعَ هُوَ الَّذِي يَحْدُثُ، مثل العلم فعِلْمُ اللَّهِ ﷻ صفةٌ أزليةٌ أبديةٌ مِنْ صفاته الذاتية، لكن الذي يَحْدُثُ هُوَ الْمَعْلُومُ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَنَسْأَلَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ﴾ [٣١: ٣١]. فهذا عِلْمٌ مُتَعَلِّقٌ بِالْمَعْلُومِ، وَالْمَعْلُومُ مُحْدَثٌ، أَمَّا الْعِلْمُ الْأَزَلِيُّ الَّذِي هُوَ وَصْفُ اللَّهِ فهو سابقٌ، فالله عالمٌ بِمَنْ يُجَاهِدُ وَمَنْ لَا يُجَاهِدُ، وَمَنْ يَصْبِرُ وَمَنْ لَا يَصْبِرُ، عالمٌ مِنْ قَبْلُ، لكن هذا عِلْمٌ لِلشيءِ بَعْدَ وجوده فهو مُتَعَلِّقٌ بِالْمَعْلُومِ حِينَ حَدُوثِهِ.



ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٣٨٦- حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ حَرْبٍ حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ عَنْ أَيُّوبَ عَنْ أَبِي عَثْمَانَ عَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي سَفَرٍ فَكُنَّا إِذَا عَلَوْنَا كَبَّرْنَا فَقَالَ ارْجِعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ فَإِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا تَدْعُونَ سَمِيعًا بَصِيرًا قَرِيبًا ثُمَّ أَتَى عَلِيٌّ وَأَنَا أَقُولُ فِي نَفْسِي لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ فَقَالَ لِي يَا عَبْدَ اللَّهِ بَنِ قَيْسٍ قُلْ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ فَإِنَّهَا كُنْزٌ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ أَوْ قَالَ: «أَلَا أَذْكَاءُ بِهِ»<sup>(١)</sup>.



**هذا الحديث:** يَقُولُ فِيهِ أَبُو مُوسَى - وَهُوَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ قَيْسٍ - كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي سَفَرٍ، فَكُنَّا إِذَا عَلَوْنَا كَبَّرْنَا. وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ قَدْ عَلَّمَهُمْ إِذَا عَلَوْا كَبَّرُوا وَإِذَا هَبَطُوا وَادِيًا سَبَّحُوا، وَالْمُنَاسِبَةُ فِي هَذَا ظَاهِرَةٌ؛ لِأَنَّ الْعُلُوَّ ارْتِفَاعٌ، فَإِذَا ارْتَفَعَ الْإِنْسَانُ فَقَدْ يَرَى فِي نَفْسِهِ الْكِبْرِيَاءَ فَيَقُولُ: اللَّهُ أَكْبَرُ، إِذَا نَزَلَ، فَالنُّزُولُ سُفْلٌ، وَالسُّفْلُ تَقْصُّصٌ، فَكَانَ مِنَ الْمُنَاسِبِ أَنْ يُسَبِّحَ اللَّهُ ﷻ. فَإِذَا نَزَلَتْ وَادِيًا فَقُلْ: ﷻ، وَإِذَا عَلَوْتَ، فَقُلْ: اللَّهُ أَكْبَرُ. وَمِثْلُ ذَلِكَ فِيمَا يَظْهَرُ، الطَّائِرَةُ عِنْدَ صُعُودِهَا، تَقُولُ: اللَّهُ أَكْبَرُ، وَعِنْدَ نَزْوِلِهَا تَقُولُ: ﷻ، لِأَنَّ هَذَا النُّزُولُ إِلَى أَسْفَلٍ.

**وفي الحديث:** كَانَ الصَّحَابَةُ يُكَبِّرُونَ، وَلَكِنَّهُمْ يَرْفَعُونَ أَصْوَاتَهُمْ، وَيَشْقُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالتَّكْبِيرِ، فَقَالَ: «ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ». يَعْني: هَوِّنُوا عَلَيْهَا، لَا تَشْقُوا عَلَيْهَا، «فَإِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا». وَهِنَا قَالَ: «لَا تَدْعُونَ». وَلَمْ يَقُلْ: لَا تُكَبِّرُونَ لِأَصَمٍّ. وَذَلِكَ لِأَنَّ الذِّكْرَ يَتَضَمَّنُ الدَّعَاءَ، فَإِنَّ الذَّاكِرَ إِنَّمَا يَذْكُرُ اللَّهَ لِيُسَبِّحَ عَلَى ذَلِكَ، فَهُوَ دَعَاءٌ بِلِسَانِ الْحَالِ، فَلَوْ سَأَلْتَ الذَّاكِرَ لِمَ تَذْكُرُ اللَّهَ؟ لَقَالَ: لِيُسَبِّحَ. فَلِهَذَا قَالَ: «لَا تَدْعُونَ». وَيَحْتَمِلُ أَنَّهُمْ يُكَبِّرُونَ وَيَدْعُونَ فَحُذِفَ الدَّعَاءُ مِنَ التَّكْبِيرِ وَذُكِرَ التَّكْبِيرُ، وَلَكِنَّ الْأَوَّلَ أَقْرَبُ: أَنَّ الذِّكْرَ دَعَاءٌ؛ لِأَنَّ الذَّاكِرَ يَدْعُو اللَّهَ تَعَالَى بِلِسَانِ حَالِهِ.

**قوله:** «لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ». يَعْني: لَا يَسْمَعُ حَتَّى تَرَفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ لَهُ، «وَلَا غَائِبًا» يَخْفَى عَلَيْهِ حَالُكُمْ، «إِنَّمَا تَدْعُونَ سَمِيعًا بَصِيرًا»، فَقَوْلُهُ: «سَمِيعًا» ضِدُّ أَصَمٍّ، وَ«بَصِيرًا» ضِدُّ أَعْمَى، وَهِنَا لَمْ يَتَعَرَّضْ لِلأَوَّلِ بِالْعَمَى، لَكِنْ ذَكَرَهُ فِي الثَّانِي؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى دَائِمًا يَقْرُنُ بَيْنَ اسْمَيْ السَّمِيعِ وَالْبَصِيرِ؛ لِأَنَّ فِي السَّمْعِ إِدْرَاكَ الْمَسْمُوعَاتِ، وَفِي الْبَصَرِ إِدْرَاكَ الْمَرِثَاتِ. وَقَوْلُهُ «قَرِيبًا» ضِدُّ قَوْلِهِ: «غَائِبًا».

**ففي هذا الحديث:** مَا فِي التَّرْجَمَةِ، وَهِيَ قَوْلُهُ: بَابُ ﴿وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾.

**وقوله:** «تَدْعُونَ سَمِيعًا بَصِيرًا قَرِيبًا». وَفِي لَفْظٍ آخَرَ: «إِنَّ الَّذِي تَدْعُوهُ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِنْ عُنُقِ رَاحِلَتِهِ»<sup>(١)</sup>. وَهَمَّ عَلَى رَوَاهِ الْفُجَّارِ أَقْرَبُ إِلَيْهِمْ مِنْ عُنُقِ الرَّاحِلَةِ.

**وقوله:** «بَصِيرًا» الْبَصِيرُ هُوَ الَّذِي يُدْرِكُ الْمُبْصِرَاتِ، فَهُوَ جَلٌّ وَعَلَا لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ بَلْ يَدْرُكُهُ.

**وقوله:** «قَرِيبًا» هَلِ الْمُرَادُ الْقَرَبُ بِالذَّاتِ أَوِ الْمُرَادُ الْقَرَبُ بِالْعِلْمِ؟

**الجواب:** أَنَّهُ إِذَا أَجْرَيْنَا اللَّفْظَ عَلَى ظَاهِرِهِ، قُلْنَا: إِنَّهُ قَرِيبٌ بِذَاتِهِ، وَقَدْ نَصَّ ابْنُ الْقَيْمِ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ فِي كِتَابِهِ «الصَّوَاعِقُ الْمَرْسَلَةُ» عَلَى أَنَّ قَرَبَهُ ذَاتِيٌّ<sup>(٢)</sup>. أَيُّ قَرِيبٌ بِذَاتِهِ.

وَلَكِنْ يُشْكِلُ عَلَيْنَا إِذَا كَانَ قَرِيبًا بِذَاتِهِ، أَلَيْسَ هُوَ فَوْقَ عَرْشِهِ؟ إِذَنْ كَيْفَ يُمَكِّنُ الْجَمْعُ؟.

**نقول:** إِنَّ صِفَاتِ اللَّهِ ﷻ لَا تُشَبِّهُ صِفَاتِ الْمَخْلُوقِينَ، وَلِهَذَا قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ فِي «الْعَقِيدَةِ الْوَاسِطِيَّةِ»: إِنَّ اللَّهَ

(١) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢٧٠٤).

(٢) انْظُرْ: «الصَّوَاعِقُ الْمَرْسَلَةُ» (٢/ ٤٥٤).

قَرِيبٌ فِي عُلُوِّهِ، عَلِيٌّ فِي دُنُوِّهِ<sup>(١)</sup>، فَهُوَ رَجُلٌ جَامِعٌ بَيْنَ الْعُلُوِّ وَبَيْنَ الْقُرْبِ وَهُوَ قَرِيبٌ حَقِيقِيٌّ، وَالْأَصْلُ أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ يُضَافُ إِلَى اللَّهِ فَإِنَّهُ يُضَافُ إِلَى ذَاتِهِ، هَذَا هُوَ الْأَصْلُ، لَكِنْ يَكُونُ مِنْ لَوَازِمِهِ أَشْيَاءٌ، فَمَثَلًا قُرْبُهُ يَلْزَمُ مِنْهُ عِلْمُهُ، وَسَمْعُهُ، وَبَصَرُهُ، وَتَدْبِيرُهُ، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنْ لَوَازِمِ الرُّبُوبِيَّةِ.

وَقَرِيبُ اللَّهِ ﷻ قَسَمَهُ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ إِلَى قِسْمَيْنِ: قَرِيبٌ عَامٌّ، وَقَرِيبٌ خَاصٌّ. فَالْقَرِيبُ الْعَامُّ: هُوَ قُرْبُ الْإِحَاطَةِ، وَهُوَ شَامِلٌ لِكُلِّ أَحَدٍ، وَاسْتَدَلَّ هَؤُلَاءِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلَهُ مَا تَوَسَّوْهُ بِهِ، فَتَسَبَّهْ. وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ<sup>(٢)</sup>﴾ إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ<sup>(٣)</sup> ﴿١٧-١٦﴾. قَالُوا: إِنَّ هَذَا عَامٌّ؛ لِأَنَّ اللَّهَ يَقُولُ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلَهُ مَا تَوَسَّوْهُ بِهِ، فَتَسَبَّهْ.﴾ وَالْقَرِيبُ الْخَاصُّ: مِثْلُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ<sup>(٤)</sup>﴾. [الطحاوي: ١١٨٦]. يَعْني: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي﴾ إِذَا دَعَوْنِي ﴿فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ فَيَكُونُ هَذَا الْقَرِيبُ خَاصًّا بِمَنْ يَدْعُوهُ، وَكَذَلِكَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ»<sup>(٥)</sup>. وَهَذَا قَرِيبُ الْعَابِدِ، فَالْقَرِيبُ الْخَاصُّ قَرِيبُ الدَّاعِي وَقَرِيبُ الْعَابِدِ، وَالْعَامُّ الشَّامِلُ لِكُلِّ أَحَدٍ.

وَلَكِنَّ شَيْخَ الْإِسْلَامِ تَحَفَّتَهُ أَيْ ذَلِكَ<sup>(٦)</sup> وَقَالَ: إِنَّ الْقَرِيبَ لَا يَنْقَسِمُ، فَالْقَرِيبُ لَا يَكُونُ إِلَّا مِمَّنْ يَسْتَحِقُّ الْقَرِيبَ وَهُوَ الدَّاعِي وَالْعَابِدُ. قَالَ: الدَّاعِي مَعَ اللَّهِ يُتَاجَى رَبَّهُ، وَالْعَابِدُ كَذَلِكَ يُتَاجَى رَبَّهُ فَهَذَا هُوَ الَّذِي يَسْتَحِقُّ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ قَرِيبًا مِنْهُ، أَمَّا غَيْرُ ذَلِكَ فَلَا، وَأَجَابَ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلَهُ مَا تَوَسَّوْهُ بِهِ، فَتَسَبَّهْ. وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾. فَقَالَ: إِنَّ هَذَا قَرِيبُ الْكِتَابَةِ، بِدَلِيلِ قَوْلِهِ: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ﴾. فَإِنَّ «إِذَا» ظَرْفٌ لَا يَدُلُّهُ مِنْ مُتَعَلِّقٍ، وَلَا مُتَعَلِّقٌ لَهُ فِيمَا نَعْلَمُ إِلَّا كَلِمَةُ أَقْرَبُ الَّتِي سَبَقَتْهُ، يَعْني: وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ حِينَ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ. فَيَكُونُ الْمُرَادُ بِالْقَرِيبِ هُنَا قَرِيبُ الْمَلَائِكَةِ.

قَالَ: وَمِثْلُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى فِي الْمُحْتَضَرِ: ﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ<sup>(٧)</sup> وَأُنْتَبِهَتْ جَنَدٌ نَظَرُونَ<sup>(٨)</sup>﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تَبْصُرُونَ<sup>(٩)</sup> فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ<sup>(١٠)</sup> تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ<sup>(١١)</sup>﴾ [الطحاوي: ٨٣-٨٧]. قَالَ: وَلَمْ يَرِدْ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ الْقَرِيبُ الْعَامُّ لِكُلِّ أَحَدٍ، بِخِلَافِ الْمَعِيَةِ، فَالْمَعِيَةُ وَرَدَتْ عَامَّةً وَخَاصَّةً، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا﴾ [الحجرات: ١٧].

وَوَرَدَتْ خَاصَّةً مِثْلُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ<sup>(١٢)</sup>﴾ [البقرة: ١٧٨]. لِأَنَّ الْمَعِيَةَ أَوْسَعُ مِنَ الْقَرِيبِ، فَالْقَرِيبُ دُنُوٌّ يَلِيقُ بِجَلَالِهِ وَعَظَمَتِهِ، وَلَا يَلْزَمُ مِنْهُ انْتِفَاءُ الْعُلُوِّ، وَإِنْ كَانَ قَرِيبًا لِأَنَّ

(١) انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٣/ ١٤٣) «العقيدة الواسطية».

(٢) رواه مسلم (٤٨٢).

(٣) انظر «مجموع فتاوى شيخ الإسلام» (١٥/ ١٧).



الإنسان ما يُتَصَوَّرُ كَيْفَ تَكُونُ هَذِهِ الصِّفَاتُ لِلَّهِ ﷻ، فَهِيَ أَعْظَمُ مِنْ أَنْ يُدْرِكَهَا الْعَقْلُ، فَإِذَا كَانَ اللَّهُ ﷻ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ، وَالْكُرْسِيُّ مَوْضِعُ الْقَدَمَيْنِ، فَكَيْفَ بِالْعَرْشِ؟<sup>(١)</sup> . فَكَيْفَ بِالرَّبِّ ﷻ شَيْءٌ لَا يُمْكِنُ تَصَوُّرُهُ يَعْنِي لَا يُمْكِنُ الْإِحَاطَةُ بِهِ.

**إِذَا:** الْقُرْبُ يَنْقَسِمُ عِنْدَ بَعْضِ الْعُلَمَاءِ إِلَى قِسْمَيْنِ، وَالرَّاجِحُ أَنَّهُ لَا يَنْقَسِمُ، وَأَنَّهُ خَاصٌّ بِالْعَابِدِ وَالذَّاعِي فَقَطْ.

❖ قَوْلُهُ: «ثُمَّ أَتَى عَلِيٌّ، وَأَنَا أَقُولُ فِي نَفْسِي: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ». قَوْلُهُ: «فِي نَفْسِي». يَعْنِي: لَا أَنْطِقُ بِهِ بِلِسَانِي.

❖ قَوْلُهُ: «لَا حَوْلَ». جُمْلَةٌ مَرْكَبَةٌ مِنَ «لَا» النَّافِيَةِ لِلْجِنْسِ وَاسْمِهَا، وَخَبَرُهَا مَحذُوفٌ؛ أَيُّ: لَا حَوْلَ كَائِنْ وَلَا قُوَّةَ كَائِنَةٍ إِلَّا بِاللَّهِ، وَمَعْنَى الْحَوْلِ: التَّحَوُّلُ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ، فَلَا تَحَوُّلَ لَنَا مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ إِلَّا بِاللَّهِ.

❖ وَقَوْلُهُ: «وَلَا قُوَّةَ». الْقُوَّةُ مَعْرُوفَةٌ، وَهِيَ ضِدُّ الضَّعْفِ، وَلَا قُوَّةَ لَنَا أَيْضًا إِلَّا بِاللَّهِ، وَالْبَاءُ هُنَا لِلْسَّبَبِيَّةِ أَوْ لِلْإِعَانَةِ، وَالْمَعْنَى لَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَتَحَوَّلَ وَلَا نَقْوَى عَلَى ذَلِكَ إِلَّا بِاللَّهِ ﷻ.

وهذه الكلمة كلمة استعانة، وليست كلمة استرجاع، خلافاً لاستعمال العامة لها؛ فَإِنَّ الْعَامَّةَ يَسْتَعْمِلُونَهَا لِلْإِسْتِرْجَاعِ، فَإِذَا أَصِيبُوا بِالْمُصِيبَةِ قَالُوا: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ.

وَالصَّوَابُ: أَنَّكَ إِذَا أَصِبتَ بِمُصِيبَةٍ تَقُولُ: إِنَّا لِلَّهِ، وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ. لَكِنْ لَا سَتَعْمَلُ لَهُمْ إِيَّاهَا وَجْهٌ، وَهُوَ: كَأَنَّهُمْ يَسْتَعِينُونَ بِهَا عَلَى تَحَمُّلِ الصَّبْرِ وَتَلَقِّيِ الْمُصِيبَةِ، لَكِنْ مَا وَرَدَ - وَهُوَ الْإِسْتِرْجَاعُ - أَفْضَلُ وَأَحْسَنُ.

❖ وَقَوْلُهُ: «فَقَالَ لِي: يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنُ قَيْسٍ». عَبْدُ اللَّهِ بْنُ قَيْسٍ هُوَ أَبُو مُوسَى.

❖ وَقَوْلُهُ: «قُلْ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، فَإِنَّهَا كُنْزٌ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ - أَوْ قَالَ - أَلَا أَذْلكَ عَلَى كُنْزٍ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ». فَيَنْبَغِي لِلْإِنْسَانِ كُلَّمَا أَصَابَهُ أَمْرٌ مُهِمٌّ أَنْ يَقُولَ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ. لِأَنَّهَا كَلِمَةُ اسْتِعَانَةٍ، وَلِهَذَا نَقُولُ فِي إِجَابَةِ الْمُؤَدِّنِ إِذَا قَالَ: حَيٌّ عَلَى الصَّلَاةِ، حَتَّى عَلَى الْفَلَاحِ. نَقُولُ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ.



ثُمَّ قَالَ الْبَحَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٣٨٧، ٧٣٨٨ - حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سُلَيْمَانَ حَدَّثَنِي ابْنُ وَهْبٍ أَخْبَرَنِي عَمْرُو عَنْ يَزِيدَ عَنْ أَبِي الْخَيْرِ سَمِعَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو أَنَّ أَبَا بَكْرٍ الصَّدِيقَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ يَا رَسُولَ اللَّهِ عَلَّمَنِي دُعَاءً أَدْعُو بِهِ

(١) رَوَى ابْنُ خَزِيمَةَ فِي «التَّوْحِيدِ» (ص ٧١، ٧٢)، وَالدَّارِمِيُّ فِي «الرَّدِّ عَلَى الْمُرَيْسِيِّ» (ص ٧١، ٧٣)، وَأَبُو جَعْفَرٍ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ فِي «الْعَرْشِ» (٦١)، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ فِي «السَّنَةِ» (ص ٧١) وَالْحَاكِمُ فِي «الْمُسْتَدْرَكِ» (٢/ ٢٨٢)، وَالتَّطَبُّعِيُّ فِي «الْكَبِيرِ» (١٢٢٠٤) عَنْ سَفْيَانَ، عَنْ عِمَارِ الدَّهْنِيِّ، عَنْ مُسْلِمِ الْبَطِينِ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جَبْرِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ: الْكُرْسِيُّ مَوْضِعُ الْقَدَمَيْنِ وَالْعَرْشُ لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ قُدْرَهُ وَقَالَ الْحَاكِمُ فِي «الْمُسْتَدْرَكِ» (٢/ ٢٨٢) صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ. وَوُفَّقَهُ الذَّهَبِيُّ وَقَالَ الْهَيْثَمِيُّ فِي «الْمَجْمَعِ» (٣٢٣/ ٦): رَجَّاهُ وَجَالَ الصَّحِيحُ. وَقَالَ الذَّهَبِيُّ فِي «مَخْتَصَرِ الْعُلُو» (ص ١٠٢): رَوَاهُ ثِقَاتٌ، وَقَالَ الشَّيْخُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «تَعْلِيلِهِ» عَلَى مَخْتَصَرِ الْعُلُو» (ص ١٠٢) وَهَذَا إِسْنَادٌ صَحِيحٌ وَرَجَّاهُ كُلُّهُمْ ثِقَاتٌ. وَقَدْ رَوَى هَذَا الْحَدِيثَ مَرْفُوعًا وَلَا يَصَحُّ، رَاجِعٌ لِذَلِكَ «التَّهْذِيبُ» (٤/ ٣١٣) وَالْعَلَلُ لَابِنِ الْجَوْزِيِّ وَ«شَرْحُ الطَّحَاوِيَّةِ» (٢/ ٣٦٩).

فِي صَلَاتِي قَالَ قُلِ اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا وَلَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ فَاعْفُ عَنِّي مِنْ عِنْدِكَ مَغْفِرَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ. <sup>(١)</sup>

هذا أبو بكر رضي الله عنه أحب الناس إلى الرسول ﷺ حتى إنه قال: «لو كنت متخذًا من أمتي خليلًا لاتخذت أبا بكر» <sup>(٢)</sup>. سأل النبي ﷺ وهو أنصح الخلق للخلق، ولا سيما لأبي بكر الذي هو أحب الناس إليه في أشرف عبادة يتعبدها الإنسان لربه، وهي الصلاة، فهذا الدعاء الذي علمه الرسول ﷺ لأبي بكر يتبين لك عظمته؛ أنه من أبي بكر، وتوجيه من رسول الله ﷺ، وفي أشرف الأعمال، وهي الصلاة، إذن فهو دعاء عظيم.

❦ وقوله: «في صلاتي». لم يبين موضعه من الصلاة، فيحتمل أن يكون في السجود؛ لقول النبي ﷺ: «وأما السجود فاجتهدوا فيه بالدعاء» <sup>(٣)</sup> ويحتمل أن يكون بعد التشهد الأخير؛ لقول النبي ﷺ: «لَمَّا ذَكَرَ الشَّهَادَةَ: ثُمَّ لَمْ يَتَخَيَّرْ مِنَ الدَّعَاءِ أَحَبَّهُ» <sup>(٤)</sup>. ولعل هذا أولى، - أن يكون بعد التشهد الأخير، يعني عند السلام - لأن التشهد الأخير فيه ثناء على الله ﷻ، وصلاة على النبي ﷺ على وجه مشروع للتعيين، فإننا مأمورون في التشهد الأخير بالتحيات لله والشهادة له بالوحدانية، والصلاة على رسوله والتبريك على رسوله، وحينئذ يكون مقدمة الدعاء مأمورًا بها، فيكون أولى ما يذكّر هذا الدعاء عند السلام بعد التشهد الأخير.

وفي هذا الدعاء جمع لجميع أنواع الدعاء؛ لأن الدعاء يشمل، إمّا الثناء على المدعو أو الاعتراف بالذنوب وذكر الحال، أو الجمع بينهما، وهذا الحديث جمع بين سلكه.

❦ فقوله: «اللهم إني ظلمت نفسي ظلمًا كثيرًا». هذه ذكر حال الداعي، وذكر حال الداعي وسيلة من وسائل إجابة الدعاء، كما قال موسى ﷺ: ﴿رَبِّ إِنِّي لَمَّا أَتَيْتُكَ بِخَبَرِ فَقِيرٍ﴾ <sup>(٥)</sup> [البقرة: ٢٤]. فما ذكر إلا حاله فقط وهو أنه فقير لما أنزل الله إليه من خير.

ففي هذا الدعاء ذكر الحال؛ أي: حال الداعي، واعترافه بالحال التي هو عليها، وبإذا يكون ظلم الإنسان نفسه؟

**الجواب:** أنه يكون إمّا بترك الواجب أو بفعل المحرم.

❦ وقوله: «ظلمًا كثيرًا». وردت في بعض الروايات «كبيرًا» <sup>(٥)</sup>، قال بعض العلماء: والأفضل أن يجمع بينهما فيقول: ظلمًا كثيرًا كبيرًا. ولكن هذا ضعيف، أن يجمع بينهما.

(١) أخرجه مسلم (٢٧٠٥) بنحوه.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) تقدم تخريجه.

(٥) رواه مسلم (٢٧٠٥).



والصوابُ: أن نقولَ بأرجحهما، وأرجحهما «كثيراً» فيقتصرُ عليها.

❦ وقوله: «ولا يغفرُ الذنوبَ إِلَّا أَنْتَ» هذا ثناءٌ على الله، فذكرَ حالَ نفسه، وذكرَ الثناءَ على ربِّه، المرادُ بالذنوبِ هنا، الذنوبُ التي بين العبدِ وبين ربِّه، فإنَّه لا يغفرُها إِلَّا اللهُ.

أما الذنوبُ التي بينه وبين غيره من الخلق فإنَّ الإنسانَ يغفرُها لغيره، كما قال تعالى: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ﴾ [التوبة: ١١٤] ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْ أَزْوَاجِهِمْ وَأَوْلَدِهِمْ عُدُوَّكُمْ وَأَكْثَرُ آبَائِهِمْ وَإِنْ تَعْمُوا وَتَصَفَّحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٤].

إذاً: فالذنوبُ التي بينَ الإنسانِ وبينَ الناسِ يغفرُها الناسُ، والذنوبُ التي بينك وبينَ الله لا يغفرُها إِلَّا اللهُ ﷻ.

❦ وقوله: «ولا يغفرُ الذنوبَ إِلَّا أَنْتَ» الذنوبُ هي المعاصي والآثام التي تكونُ على الإنسانِ.

❦ وقوله: «فاغفر لي». هذا الدعاءُ، لكنَّ هذا الدعاءُ سبقه ثناءٌ واعترافٌ.

❦ وقوله: «من عندك مغفرة». أضافها إلى الله، فقال: من عندك لأنَّ العطاءَ يكونُ على حَسَبِ المُعْطِي، فإذا كانت من عند الله فلا بدَّ أن تكونَ مغفرةٌ عظيمةٌ لا تغادرُ ذنباً.

❦ وقوله: «إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ». هذا ثناءٌ أيضاً على الله تعالى وتوسُّلٌ إليه باسمه الغفور الرحيم.

هل في هذا الحديث ذكرٌ للسمع والبصر، لأن الترجمة: بابُ ﴿وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعاً بَصِيراً﴾؟

قال ابنُ حجرٍ رحمه الله: في «الفتح»:

وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي أَوَاخِرِ صِفَةِ الصَّلَاةِ فِي الدَّعَوَاتِ مَعَ شَرْحِهِ وَبَيَانِهِ، وَيَبَانُ مَنْ جَعَلَهُ مِنْ رَوَايَةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو عَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ فَجَعَلَهُ مِنْ مَسْنَدِ أَبِي بَكْرٍ، وَأَشَارَ ابْنُ بَطَّالٍ إِلَى أَنَّ مَنَاسِبَتَهُ لِلتَّرْجُمَةِ أَنَّ دَعَاءَ أَبِي بَكْرٍ لَمَّا عَلَّمَهُ النَّبِيُّ ﷺ يَقْتَضِي أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ لِدَعَائِهِ وَمُجَازِيهِ عَلَيْهِ.

وقال غيره: حديثُ أبي بكرٍ ليس مُطابِقاً للترجمة إذ ليس فيه ذكرُ صفتي السمع والبصر، لكنه ذكرَ لازِمَها من جهة أن فائدة الدعاءِ إجابةُ الدَّاعِي لمطلوبه، فلولا أن سمعَه سبحانه يتعلَّقُ بالسِّرِّ كما يتعلَّقُ بالجَهْرِ لَمَا حَصَلَتْ فائدةُ الدعاءِ أو كان يُقَيِّدُهُ بِمَنْ يَجْهَرُ بدعائه. انتهى من كلام ابنِ المنيرِ ملخصاً. وقال الكِرْمَانِيُّ: لما كان بعضُ الذنوبِ مما يُسْمَعُ وبعضُها مما يُبْصَرُ لم تَقَعْ مغفرته إِلَّا بعدَ الإِسْمَاعِ والإِبْصَارِ.

تَبَيَّنَ: المشهورُ في الرواياتِ «ظُلماً كثيراً» بالمثلثة، ووقع هنا للقَاسِيَّ بالموحدة. انتهى (١).

على كُلِّ حالٍ: هذه المناسباتُ التي ذَكَرَها واللوازمُ فيها نظرٌ؛ لأنَّا لو أَخَذْنَا باللوازمِ لوجدْنَا أسماءَ كثيرةً تدخلُ في ضَمَنِ الترجمة، ولكنَّ الذي يَظْهَرُ -والله أعلم- أنَّ البخاريَّ رحمه الله جَعَلَهُ في هذا البابِ في هذه الترجمة؛ لأنَّه تَضَمَّنَ المغفرةَ والرحمةَ، ولكن حتَّى لو قلْنَا بهذا ما أَسْتَطِيعُ أن أقولَ: إِنَّ

هناك مناسبة بينه، وأما كونه من لازم إجابة الدعاء أن يكون قد سمع وأبصر، فهذا لا يكفي في المناسبة والله أعلم.

**المهم:** أننا نقول بالنسبة للدعاء، تارة يكون بذكر حال الداعي فقط؛ مثل قول موسى: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ (١١). فهذا ذكر لحاله.

وتارة يكون بالدعاء المباشر بأن يقول الإنسان: رَبِّ اغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي. كما في الجلسة بين السجدين (١٢).  
وتارة يكون بالشاء على الله المجرد كقول النبي ﷺ: «خير الدعاء دعاء يوم عرفة، وخير ما قلت أنا والنبيون من قبلي: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» (١٣). إلى آخره.  
وتارة يكون بالجمع بينهما، بين اثنين أو بين الثلاثة، وهذا الحديث تضمن الجمع بين الثلاثة.



**قَالَ الْقَسْطَلَانِي رَحِمَهُ اللَّهُ:**

يقول: والمقصود من الحديث في هذا الباب أن المدعو لا بد أن يكون سميعاً؛ يسمع دعوة الداعي إذا دعاه، بصيراً بحاله، فيوصل إليه ما طلب بقدرته، وإلا تكون دعوته ضلالاً وشذو، ففي الدعاء واستجابة الله تعالى لعبده الداعي برهان على أنه سميعٌ بصيرٌ قادرٌ حيٌّ عليمٌ، وقد قال الله تعالى فيمن يدعوني لا يسمع ولا يبصر: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ [الأنفال: ١٥]. الآية.

وقال تعالى عن خليله إبراهيم في دعوته لأبيه: ﴿يَتَأْتِيَ لَمْ تَعْبُدُوا مَا لَا نَسْمَعُ﴾ [البقرة: ١٤٢]. الآية. وقد قال ابن عقيل (١٤): قد ندب الله تعالى إلى الدعاء، وفي ذلك معان:

**أحدها:** الوجود، فإن من ليس بوجود لا يدعى.

**الثاني:** الغنى، فإن الفقير لا يدعى.

**الثالث:** السمع، فإن الأصم لا يدعى.

**الرابع:** الكرم، فإن البخيل لا يدعى.

(١) أخرجه أبو داود في الصلاة: باب «الدعاء بين السجدين» (رقم ٨٥٠)، والترمذي في الصلاة: باب ما يقول بين السجدين (رقم ٢٨٤). وابن ماجه في إقامة الصلاة: باب ما يقول بين السجدين (رقم ٨٩٨)، والحاكم (٣٧١/١)، والبيهقي (١٢٢/٢)، رصحه الحاكم، ووافقه الذهبي.

(٢) رواه الترمذي (٣٥٨٥)، والبيهقي في «سننه الكبرى» (٢٨٤/٤)، وقال: هذا مرسل، وقد روى عن مالك بإسناد آخر موصولاً، ووصله ضعيف.

ورواه البيهقي أيضاً في «شعب الإيمان» (٤٦٢/٣) بلفظ: «أفضل الدعاء دعاء يوم عرفة، وأفضل قولي وقول الأنبياء قبلي: لا إله إلا الله... الحديث، وزاد بعد: «وله الحمد» «يحيي ويميت، بيده الخير».

قال ابن حجر في «التلخيص الحبير» (٢٥٤/٢): في إسناده حماد بن أبي حميد، وهو ضعيف.

(٢) كلامه في «الطحاوية» (٤٥٨/١).



**الخامس:** الرحمة، فَإِنَّ الْقَاسِي لَا يُدْعَى.

**السادس:** القدرة، فَإِنَّ الْعَاجِزَ لَا يُدْعَى.

وَمَنْ يَقُولُ بِالطَّبَائِعِ يَعْلَمُ أَنَّ النَّارَ لَا يُقَالُ لَهَا كُفَى. وَلَا النِّجْمُ يُقَالُ لَهُ: أَصْلَحَ مِرَاجِي؛ لِأَنَّ هَذِهِ عِنْدَهُمْ مَوْثَرَةٌ طَبْعًا لَا اخْتِيَارًا، فَشَرَعَ الدُّعَاءَ وَصَلَاةَ الْاِسْتِسْقَاءِ؛ لِيُبَيِّنَ كَذِبَ هَذِهِ الطَّبَائِعِ. وَفَعَلَ السَّمْعَ يَرَادُ بِهِ أَرْبَعَةٌ مَعَانٍ: أَحَدُهَا: سَمْعُ إِدْرَاكِ وَتَعَلُّقِهِ الْأَصْوَاتِ.

**والثاني:** سَمْعُ فَهْمٍ وَعَقْلٍ، وَهُوَ مُتَعَلِّقٌ بِالْمَعَانِي.

**الثالث:** سَمْعُ إِجَابَةٍ، وَإِعْطَاءُ مَا سُئِلَ.

**الرابع:** سَمْعُ قَبُولٍ وَانْقِيَادٍ.

\* فَمِنْ الْأَوَّلِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾. ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي قَالَتْ إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾.

\* وَمِنْ الثَّانِي: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا أَنْظِرْنَا وَاسْمِعُوا﴾ [البقرة: ١٠٤]. أَيْ سَمِعَ فَهْمٍ وَعَقْلٍ وَاسْتِجَابَةٍ.

\* وَمِنْ الثَّلَاثِ: «سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ».

\* وَمِنْ الرَّابِعِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿سَتَعْمُوكَ لِلْكَذِبِ﴾ [البقرة: ٤٢]. أَيْ قَابِلُونَ لَهُ وَمُتَقَادُونَ. وَهَذَا.

الْأَوَّلُ يَعْنِي ذَكَرُوا أَنَّ الْمُنَاسِبَةَ فِيهِ الْمُلَازِمَةُ.

\*\*\*

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٣٨٩ - حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُوسُفَ أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ أَخْبَرَنِي يُونُسُ عَنْ ابْنِ شِهَابٍ حَدَّثَنِي عُرْوَةُ أَنَّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا حَدَّثَتْهُ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ نَادَانِي قَالَ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ»<sup>(١)</sup>.

**الشاهدُ قَوْلُهُ:** «إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ». فَذَلِكَ عَلَى تَعَلُّقِ سَمْعِ اللَّهِ تَعَالَى بِكُلِّ مَا يَسْمَعُ.

\*\*\*

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٠ - بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ﴾.

إِنَّ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ ﷻ الْقَادِرَ، وَالْقَدِيرَ، وَالْمُقْتَدِرَ، لَكِنَّ الْقَادِرَ جَاءَتْ مَقِيدَةً، مِثْلَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ﴾ [الأنعام: ٦٥].

أَمَّا الْقَدِيرُ وَالْمَقْتَدِرُ فَجَاءَتْ مُطْلَقَةً، مِثْلُ ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْقَدِيرُ﴾ [التكوير: ٥٤]. وَجَاءَتْ مُقَدِّدَةً، لَكِنِّهَا بِالْعُمُومِ ﴿عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التكوير: ١٨]. وَالْمَقْتَدِرُ جَاءَتْ مُطْلَقَةً كَمَا فِي قَوْلِهِ: ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ [التكوير: ٥٥].

وهذه كلها تعود إلى معنى واحد، وهو القدرة، والقدرة هي: فِعْلُ الْفَاعِلِ بِدُونِ عَجْزٍ، فَالَّذِي يَقَابِلُ الْقُدْرَةَ هُوَ الْعَجْزُ، وَالدَّلِيلُ عَلَى هَذَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَتْ أَلَلَةٌ لِّعِجْزِهِ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ [التكوير: ٤٤]. قَالَ: ﴿وَمَا كَانَتْ أَلَلَةٌ لِّعِجْزِهِ﴾ [التكوير: ٤٤]. وَعَلَّلَ ذَلِكَ بِأَنَّهُ عَلِيمٌ وَقَدِيرٌ، وَالْعِلْمُ ضِدُّ الْجَاهِلِ، وَالْقَدِيرُ ضِدُّ الْعَاجِزِ، وَالْجَاهِلُ مَعْلُومٌ أَنَّهُ يُعْجِزُهُ الشَّيْءُ، فَإِنَّ الْإِنْسَانَ قَدْ يَكُونُ قَادِرًا غَيْرَ عَاجِزٍ، لَكِن لِّجَهْلِهِ بِالشَّيْءِ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَفْعَلَهُ، وَقَدْ يَكُونُ الْإِنْسَانُ عَالِمًا، لَكِنَّهُ عَاجِزٌ، فَلَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَفْعَلَ، فَاللَّهُ تَعَالَى لَا يَمْنَعُهُ شَيْءٌ، وَلَا يَعْجِزُهُ شَيْءٌ؛ لِأَنَّهُ عَلِيمٌ وَقَدِيرٌ. ثُمَّ الْقُدْرَةُ مُتَعَلِّقَةٌ بِكُلِّ شَيْءٍ، عَامَةً فِي كُلِّ شَيْءٍ؛ لِقَوْلِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ قَدِيرًا﴾ [التكوير: ١٣٣]. فَلَمْ تُعَلَّقِ الْقُدْرَةُ بِالْمَشِيئَةِ، فَهُوَ قَادِرٌ عَلَى مَا يَشَاءُ وَمَا لَا يَشَاءُ.

وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ﴾ [التكوير: ٢٩]. فَالْتَّعْلِيقُ بِالْمَشِيئَةِ هُنَا لَا يَعُودُ عَلَى الْقُدْرَةِ، بَلْ يَعُودُ عَلَى الْجَمْعِ؛ يَعْني: إِذَا شَاءَ جَمْعُهُمْ، فَإِنَّهُ لَيْسَ بِعَاجِزٍ عَنْهُ، بَلْ هُوَ قَدِيرٌ عَلَيْهِ.

وَمِنْ هُنَا نَعْرِفُ أَنَّ قَوْلَ بَعْضِ النَّاسِ: إِنَّهُ عَلَى مَا يَشَاءُ قَدِيرٌ. خَطَأٌ؛ لِأَنَّهُمْ إِذَا قَالُوا: إِنَّهُ عَلَى مَا يَشَاءُ قَدِيرٌ. خَصَّصُوا الْقُدْرَةَ بِمَا يَشَاءُ، فَلَزِمَ مِنْ ذَلِكَ أَنْ يَكُونَ غَيْرَ قَادِرٍ عَلَى الَّذِي لَا يَشَاءُ، ثُمَّ يَدْخُلُ عَلَيْنَا مِثْلُ الْمَعْتَزِلَةِ مِنْ هَذِهِ النَّاحِيَةِ حَيْثُ يَقُولُونَ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يَشَاءُ أَفْعَالِ الْعِبَادِ، وَعَلَى هَذَا فَيَكُونُ اللَّهُ غَيْرَ قَادِرٍ عَلَى أَفْعَالِ الْعِبَادِ؛ لِأَنَّهُ لَا يَشَاءُهَا، فَلِذَلِكَ يَنْبَغِي أَنْ تُنَبِّهَ الْقَائِلُونَ عَلَى هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ.

وَأَمَّا مَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ الَّذِي أَخْبَرَهُ النَّبِيُّ ﷺ عَنْ آخِرِ النَّاسِ دُخُولًا الْجَنَّةِ حَيْثُ قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَهُ: «إِنِّي عَلَى مَا أَشَاءُ قَادِرٌ»<sup>(١)</sup>. فَهَذَا مُتَعَلِّقٌ بِفِعْلٍ خَاصٍّ، وَالْمُتَعَلِّقُ بِفِعْلٍ خَاصٍّ يُبَيِّنُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَادِرٌ عَلَيْهِ إِذَا شَاءَ، وَلِهَذَا قَالَ: «عَلَى مَا أَشَاءُ قَادِرٌ». وَلَمْ يَقُلْ: قَدِيرٌ. لِأَنَّهُ مُتَعَلِّقٌ بِفِعْلٍ خَاصٍّ، فَمَثَلًا لَوْ رَأَيْنَا أَمْرًا اسْتَعْرَبْنَاهُ، إِمَّا لَا اسْتِعْبَادَهُ، أَوْ لِعَظَمَتِهِ، فَإِنَّا نَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ عَلَى مَا يَشَاءُ قَادِرٌ. يَعْني فَلِمَا شَاءَ هَذَا الشَّيْءُ كَانَ قَادِرًا عَلَيْهِ.

أَمَّا إِذَا أَرَدْنَا أَنْ نَأْتِيَ بِالْأَسْمِ وَالْوَصْفِ عَلَى الْإِطْلَاقِ، فَإِنَّا لَا نَقُولُ: عَلَى مَا يَشَاءُ.

خَوْفًا مِنْ أَنْ يُتَوَهَّمَ مِنْ ذَلِكَ أَنَّ مَا لَا يَشَاءُ لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ، مَعَ أَنَّهُ تَعَالَى قَادِرٌ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ؛ عَلَى مَا يَشَاءُ وَمَا لَمْ يَشَأْ، لَكِن مَا شَاءَ كَانَ وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ.

وَيَذَكِّرُ أَنَّ جُنُودَ الشَّيْطَانِ قَالُوا لَهُ: تَرَاكَ تَفْرَحُ إِذَا مَاتَ الْعَالِمُ أَكْثَرَ مِمَّا تَفْرَحُ إِذَا مَاتَ الْعَابِدُ - لِأَنَّ الْعَالَمَ أَشَدُّ عَلَى الشَّيْطَانِ مِنَ الْعَابِدِ - فَقَالَ: نَعَمْ. إِنِّي أَفْرَحُ بِمَوْتِ عَالَمٍ أَكْثَرَ مِمَّا أَفْرَحُ بِمَوْتِ أَلْفِ عَابِدٍ،



وَسَأَخْتَبِرُ الْعَالِمَ وَالْعَابِدَ. فَأَرْسَلَ جُنُودَهُ إِلَى الْعَابِدِ فَقَالُوا لَهُ: هَلْ يَقْدِرُ اللَّهُ عَلَى أَنْ يَجْعَلَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي جَوْفِ بَيْضَةٍ؟ فَأَجَابَ الْعَابِدُ عَلَى طَبِيعَتِهِ فَقَالَ: لَا يَقْدِرُ أَنْ يَجْعَلَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي جَوْفِ بَيْضَةٍ. فَرَجَعَ الْجُنُودُ إِلَى زَعِيمِهِمْ، وَقَالُوا: إِنَّهُ قَالَ: لَا يَقْدِرُ، قَالَ: إِذَنْ نَفَى قُدْرَةَ اللَّهِ. ثُمَّ أَرْسَلَهُمْ إِلَى الْعَالِمِ، فَقَالُوا لَهُ: هَلْ يَقْدِرُ اللَّهُ عَلَى أَنْ يَجْعَلَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي جَوْفِ بَيْضَةٍ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالُوا: كَيْفَ ذَلِكَ؟ قَالَ: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (٢١) ﴿يَسِّرْ: ٨٢﴾. فَإِذَا أَمَرَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَكُونَا فِي الْبَيْضَةِ صَارَتْ فِيهَا إِمَّا أَنْ تَصْغُرَ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ، وَإِمَّا أَنْ تَكْبُرَ الْبَيْضَةُ<sup>(١)</sup>.

فَالْحَاصِلُ: أَنَّ الْقُدْرَةَ تَتَعَلَّقُ بِكُلِّ شَيْءٍ؛ لِقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٢٢). لَكِنْ ذَكَرَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ أَنَّ الْقُدْرَةَ لَا تَتَعَلَّقُ بِالْمُسْتَحِيلِ؛ لِأَنَّ الْمُسْتَحِيلَ مُسْتَحِيلٌ وَجُودُهُ.

مِثَالُ ذَلِكَ: هَلْ يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ الْمُتَحَرِّكُ سَاكِنًا فِي حَالِ تَحَرُّكِهِ؟ لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ الْمُحَرِّكُ سَاكِنًا فِي حَالِ تَحَرُّكِهِ، قَالُوا: فَلَوْ قِيلَ: هَلْ يُمَكِّنُ أَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ الْمُتَحَرِّكُ سَاكِنًا فِي آنٍ وَاحِدٍ؟ لَا يُمَكِّنُ؛ لِأَنَّهُ إِنْ تَحَرَّكَ لَمْ يَسْكُنْ، وَإِنْ سَكَنَ لَمْ يَتَحَرَّكْ، أَمَّا اللَّهُ فَهُوَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَجْعَلَ الْمُتَحَرِّكُ سَاكِنًا، يَغْنِي يَتَوَلَّى إِلَى أَنْ يَكُونَ سَاكِنًا، وَالسَّاكِنُ إِلَى أَنْ يَكُونَ مُتَحَرِّكًا.

وَلِهَذَا قَالَ السَّفَارِينِيُّ فِي عَقِيدَتِهِ: وَاقْتَدَرَ بِقُدْرَةٍ تَعَلَّقَتْ بِمُمْكِنٍ<sup>(٢)</sup>.

لِأَنَّ الْمُسْتَحِيلَ عَدَمٌ، لَيْسَ بِشَيْءٍ، لَكِنْ مَعَ ذَلِكَ بِالنِّسْبَةِ لَطَالِبِ الْعِلْمِ قَدْ يَحْتَمِلُ مِثْلَ هَذَا التَّفْصِيلِ؛ لِأَنَّهُ يَعْرِفُ أَنَّ الْمُسْتَحِيلَ عَلَى اسْمِهِ، لَكِنَّ الْعَامِّيَّ لَا يُنْبَغِي لَهُ أَنْ يُفَصِّلَ لَهُ هَذَا التَّفْصِيلَ؛ لِأَنَّ عَقْلَهُ لَا يُذَرِّكُ هَذَا الشَّيْءَ، فَيَقَالُ لِلْعَامِّيِّ: إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. فَقَطْ.

وَقَدْ ذَكَرَ صَاحِبُ الْجَلَالَيْنِ فِي سُورَةِ الْمَائِدَةِ تَعْلِيْقًا عَلَى قَوْلِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (١٨١) ﴿الْعَقْل: ١٨٩﴾. قَالَ: وَخَصَّ الْعَقْلُ ذَاتَهُ<sup>(٣)</sup>. أَيُّ ذَاتِ اللَّهِ، فَلَيْسَ عَلَيْهَا بِقَادِرٍ. وَمَا هُوَ الْعَقْلُ الَّذِي خَصَّهَا، وَعَقْلٌ مِنْ؟ إِنَّهُ عَقْلٌ مَنْ لَمْ يَقْدِرِ اللَّهُ حَقَّ قُدْرِهِ، فَمَا مَعْنَى قَوْلِكَ: خَصَّ الْعَقْلُ ذَاتَهُ، فَلَيْسَ عَلَيْهَا بِقَادِرٍ؟ إِنْ أَرَدْتَ، فَلَيْسَ عَلَيْهَا بِقَادِرٍ أَيُّ: عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُ، فَتَقُولُ: هَذَا لَمْ تَتَعَلَّقْ بِهِ الْقُدْرَةُ أَصْلًا. أَوْ لَيْسَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُهْلِكَ نَفْسَهُ، فَهَذَا لَمْ تَتَعَلَّقْ بِهِ الْقُدْرَةُ أَصْلًا، أَمْ تُرِيدُ أَنْ تَنْفِي الْأَفْعَالَ الْاخْتِيَارِيَّةَ كَمَا هُوَ مُرَادُهُ، فَلَا يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يَنْزِلَ، وَلَا عَلَى أَنْ يَسْتَوِيَ إِلَى السَّمَاءِ، وَلَا عَلَى أَنْ يَسْتَوِيَ عَلَى الْعَرْشِ، وَلَا عَلَى أَنْ يَضْحَكَ، وَلَا عَلَى أَنْ يَغْضَبَ، فَإِنَّا لَا نُوَافِقُكَ عَلَى هَذَا.

(١) «مكائد الشيطان» لابن أبي الدنيا ص ٥٠ (٣٠).

(٢) انظر «الدرة المضية في عقد أهل الفرقة المرضية» (ص ٥٢). (البيت ٣٧).

(٣) انظر «تفسير الجلالين» (١/ ١٦١).

وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ الْأَشَاعِرَةَ وَكَثِيرًا مِمَّنْ وَافَقَهُمْ عَلَى ذَلِكَ يَرُونَ أَنَّهُ لَا يُمَكِّنُ أَنْ تَقُومَ الْأَفْعَالُ الْإِخْتِيَارِيَّةُ فِي اللَّهِ وَيَكُنَّ، يَعْنِي: مَا يُمَكِّنُ أَنْ يَفْعَلَ فَعَلًا يَخْتَارُهُ أَبَدًا مِثْلَ النُّزُولِ وَالِاسْتَوَاءِ وَالْمَجِيءِ وَالضَّحِكِ، وَالْغَضَبِ، وَهَذَا أَصْلٌ مِنْ أَصُولِهِمْ، أَنَّ الْأَفْعَالَ الْإِخْتِيَارِيَّةَ لَا تَقُومُ بِذَاتِ اللَّهِ، فَلِهَذَا قَالَ بِنَاءً عَلَى هَذِهِ الْعَقِيدَةِ الْفَاسِدَةِ، قَالَ: خَصَّ الْعَقْلُ ذَاتَهُ، فَلَيْسَ عَلَيْهَا بِقَادِرٍ، وَقَدْ عَرَفْتُمُ التَّفْصِيلَ فِي هَذَا، فَقُلْنَا، إِنَّ أَرَادَ بِذَلِكَ مَا يَسْتَحِيلُ فِي حَقِّ اللَّهِ، فَهَذَا حَقٌّ لَنْ يَكُونَ، لَكِنَّا لَا نَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ غَيْرُ قَادِرٍ عَلَيْهِ. بَلْ نَقُولُ: إِنَّ الْقُدْرَةَ لَا تَتَعَلَّقُ بِهِ أَصْلًا، وَإِنْ أَرَادَ بِذَلِكَ أَفْعَالَ اللَّهِ الْإِخْتِيَارِيَّةَ، وَآثَهُ لَا يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يَأْتِيَ، أَوْ أَنْ يَسْتَوِيَ عَلَى الْعَرْشِ، أَوْ يَسْتَوِيَ إِلَى السَّمَاءِ أَوْ مَا أَشْبَهَ ذَلِكَ، فَإِنَّا لَا نُقِرُّهُ عَلَى ذَلِكَ، بَلْ نَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ قَالَ فِي كِتَابِهِ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ [١٨: ٢٨] وَقَالَ: ﴿فَعَالَ لِمَا يُرِيدُ﴾ [١٦: ١٦] وَقَالَ: ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾ [١٠٧: ١٠٧].

ولهذا يَنْبَغِي لِطَالِبِ الْعِلْمِ إِذَا أَتَى لِمِثْلِ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ الْخَطِيرَةِ أَنْ يُعَلِّقَ عَلَى الْكِتَابِ إِذَا كَانَ عِنْدَهُ عِلْمٌ يَدْفَعُ بِهِ هَذَا الْخَطَأَ؛ لِأَنَّ الْكِتَابَ رَبُّهَا يَقْرَأُ مِنْ بَعْدِهِ.



### ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٣٩٠- حَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمُنْذِرِ حَدَّثَنَا مَعْنُ بْنُ عِيسَى حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي الْمَوَالِي قَالَ سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ الْمُتَكِدِّرِ يُحَدِّثُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الْحَسَنِ يَقُولُ أَخْبَرَنِي جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ السَّلْمِيُّ قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُعَلِّمُ أَصْحَابَهُ الْإِسْتِخَارَةَ فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا كَمَا يَعْلَمُهُمُ السُّورَةُ مِنَ الْقُرْآنِ يَقُولُ إِذَا هُمْ أَحَدُكُمْ بِالْأَمْرِ فَلْيَرْكَعْ رَكَعَتَيْنِ مِنْ غَيْرِ الْفَرِيضَةِ ثُمَّ لِيَقُلِ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَجِيرُكَ بِعِلْمِكَ وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ فَإِنَّكَ تَقْدِيرُ وَلَا أَقْدِرُ وَتَعْلَمُ وَلَا أَعْلَمُ وَأَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ اللَّهُمَّ فَإِنْ كُنْتُ تَعْلَمُ هَذَا الْأَمْرَ - ثُمَّ تَسْمِيهِ بِعَيْنِهِ - خَيْرًا لِي فِي عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ قَالَ أَوْ فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي فَأَقْدِرْهُ لِي وَيَسِّرْهُ لِي ثُمَّ بَارِكْ لِي فِيهِ اللَّهُمَّ وَإِنْ كُنْتُ تَعْلَمُ أَنَّهُ شَرٌّ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي أَوْ قَالَ فِي عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ فَاصْرِفْنِي عَنْهُ وَأَقْدِرْ لِي الْخَيْرَ حَيْثُ كَانَ ثُمَّ رَضْنِي بِهِ»

سَبَقَ الْكَلَامُ عَلَى اسْمِ اللَّهِ ﷻ الْقَدِيرِ وَمَا يَدُلُّ عَلَيْهِ مِنَ الْقُدْرَةِ، وَأَنَّ الْقَدِيرَ مِنَ الْأَسْمَاءِ الْعَامَةِ، وَأَنَّ الْقُدْرَةَ صِفَةٌ ذَاتِيَّةٌ لَمْ يَزَلْ وَلَا يَزَالُ مُتَّصِفًا بِهَا، وَأَنَّ حَدُوثَ الْمَقْدُورِ عَلَيْهِ لَا يَقْتَضِي حَدُوثَ الْقُدْرَةِ؛ لِأَنَّ الْقُدْرَةَ لَمْ يَزَلِ اللَّهُ مُتَّصِفًا بِهَا. كَمَا أَنَّ حَدُوثَ الْمَعْلُومِ لَا يُلْزِمُ مِنْهُ حَدُوثَ الْعِلْمِ، وَحَدُوثَ الْمَسْمُوعِ لَا يُلْزِمُ مِنْهُ حَدُوثَ السَّمْعِ، فَلَمْ يَزَلِ اللَّهُ ﷻ وَلَا يَزَالُ سَمِيعًا، وَلَمْ يَزَلِ اللَّهُ ﷻ وَلَا يَزَالُ عَالِمًا، لَكِنَّ الَّذِي يَحْدُثُ هُوَ الْمَسْمُوعُ أَوْ الْمَعْلُومُ أَوْ الْمَقْدُورُ عَلَيْهِ بِخِلَافِ الصِّفَاتِ الْفَعْلِيَّةِ، فَإِنَّ الصِّفَةَ نَفْسَهَا تَحْدُثُ كَالنُّزُولِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثَلَاثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ، فَهَذَا فَعَلٌ، حَدَثَ لِمَا بَقِيَ ثَلَاثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ فَإِذَا طَلَعَ الْفَجْرُ انْتَهَى النُّزُولُ، وَ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةَ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى﴾ [٥٤: ٥٤]. فَحَدَّثَ الْإِسْتِوَاءَ بَعْدَ خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾ [١٤٣: ١٤٣]. حَدَّثَ الْكَلَامَ، بَعْدَ مَجِيءِ مُوسَى.



فالصفات الفعلية تَجَدَّدُ أفرادها وآحادها، أمَّا أصلها فهو قديمٌ، لم يزل ولا يزال الله تعالى فعلاً لكنَّ آحادَ هذه الأفعال هي التي تحدث.

ولو قلنا بأنه لا يمكن أن يحدث من الله فعلٌ لَزِمَ أن يكون مُعْطَلاً عن الأفعال، وهذا نقصٌ عظيمٌ.

أما الصفات الذاتية فإنها لا تحدث، فلم يزل ولا يزال مُتَّصِفًا بها، مثل العلم والقدرة والسمع والبصر، لكن الذي يحدث هو المخلوقُ المعلومُ المسموعُ المُبْصَرُ المقدورُ عليه، ما أشبه ذلك، وهذا لا يعني أنَّ القدرة تتجدد أو العلم أو السمع أو البصر.

فإن قال قائل: ما تقول في قوله تعالى: وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجْتَهِدِينَ مِنَكُمُ وَالصَّادِقِينَ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ ۖ (٣١)

﴿مُحَمَّدٌ: ٣١﴾.

**نقول:** الجواب على هذا: أنَّ العلمَ علماً؛ علمٌ سابقٌ: فيعلمُ ﷺ بأنَّ هذا الشيء سيحدث، وعلمٌ لاحقٌ: فيعلمُ سبحانه أنه حدث، وهذا العلم هو الذي يترتب عليه الجزاء؛ الثواب أو العقوبة، وحينئذ يكون التجدد ليس للعلم، ولكن للمعلوم، ويختلف تعلق العلم بالمعلوم قبل وجوده وبعده وجوده. ولهذا قال بعض العلماء: حتَّى نعلمَ علمَ ظهور، وهذا معنى ما قلنا. وبعضهم قال: حتَّى نعلمَ علماً يترتب عليه الثواب والعقاب. وهذا أيضاً معنى ما قلت.

ثم ذكر حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه، وفي سنده نكتة، يعني: قد تكون نادرة الوجود، وهي تحديث الإنسان بحديث يحدث به غيره، يعني: لا يُوجَّهُ إلقاء الحديث إليه، بل يُوجَّهُ إلى غيره فيحدث به هو، وذلك في قوله: سمعتُ محمد بن المنكدر، يحدث عبد الله بن الحسن، يقول: أخبرنا جابر.

فهذا محمد بن المنكدر يحدث عبد الله بن الحسن، وابن أبي الموالى نقله عن محمد بن المنكدر مع أنَّه ينقل الحديث إلى عبد الله بن الحسن، وهذا نادر؛ لأنَّ الغالب أنَّ الراوي يروي الحديث عن لقاءه إليه، ولكن لا حرج أنَّ الإنسان إذا سمع شخصاً يحدث آخر أن ينقله عنه، وإن لم يُوجَّه الخطاب إليه، خصوصاً في الأمور الشرعية.

**الشاهد من هذا الحديث:** قوله: «أَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ». فالبخاري رحمه الله عنده فهم عميق أتى بحديث الاستخارة ليبيِّن أنَّ أسماء الله سبحانه متضمنة لما تدلُّ عليه من المعاني والصفات؛ لأنَّ الباب هو باب: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ﴾ [الأنعام: ٦٥]. والقادر اسم فاعل، وحديث الاستخارة فيه: «بِقُدْرَتِكَ». فيبيِّن أنَّ أسماء الله متضمنة للصفات، وليست أسماء جامدة، لا تحمل معنى، بل هي أسماء مشتقة، تحمل المعنى الذي اشتقت منه، وهي القدرة.

وقوله: «يُعَلِّمُ أَصْحَابَهُ الاسْتِخَارَةَ». يعني: طلب خير الأمرين، فاستخرت: طلبت منك خير الأمرين.

وقوله: «فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا». هذا عامُّ يرادُّ به الخاصُّ، والمرادُّ به الأمور التي يُشْكِلُ على

الإنسان وجهها، أمّا ما لا يُشكّل فلا حاجة للاستخارة فيه؛ لأنّ الإنسان عازمٌ، فلا يحتاج أن يستخير، ولهذا لو أراد الإنسان أن يسافر لزيارة قريب أو لتجارة، أو ما أشبه ذلك وهو عازمٌ، فإنّه لا حاجة للاستخارة، وإلا قلنا: إنّ الإنسان يُصلي دائماً صلاة الاستخارة؛ لأنّ الإنسان حارثٌ وهَمَامٌ، دائماً يهَمُّ في الأمور، لكنّ المراد بذلك الأمور التي لا يتيقن للإنسان وجهها، فيتحيّر وحيثُ لا ملجأ له إلّا الله ﷻ.

❦ وقوله: «كما يُعلّمُ السورة من القرآن». يدلّ على الاهتمام بهذه الاستخارة كما علّمهم التشهد في الصلاة، وكما يُعلّمهم السورة من القرآن، وهذا الدعاء والثناء على الله ﷻ جعله الله تعالى بديلاً لما كان يُصنع في الجاهلية، فقد كانوا يستفسّمون بالأزلام؛ يعني: يطلبون ما يُقسّم لهم بواسطة الأزلام، وهي أقداح تُجعل في كيس، أو ما أشبه ذلك، مكتوباً على واحدٍ منها: افعل، وعلى الثاني: لا تفعل، والثالث: ما ليس فيه كتابة، ثم يعملون فيها عملاً، ثم يُخرج الإنسان واحداً منها، إن خرج افعل فافعل، وإن خرج لا تفعل: لم تفعل، وإن خرج الذي ليس فيه شيء، يكون متوقفاً، ثم إما أن يُعيد الاستقسام مرة أخرى، أو يدع الأمر مع الشك، فأبدل الله تعالى الناس بهذا الدعاء.

❦ قوله: «فليركع ركعتين من غير الفريضة». يعني: النافلة، وهل يكفي عن هاتين الركعتين الراتبه مثلاً أو سنة الضحى؟ يَحْتَمِلُ أن تكون مجزئة؛ لقوله: «من غير الفريضة». ويَحْتَمِلُ أنّه لابدّ من صلاة مستقلة - وهو الأحوط -.

❦ قوله: «ثم ليقل». ظاهر الحديث أنّ هذا الدعاء يكون بعد السلام؛ لأنّه لا يصدق عليه أنّه صَلَّى ركعتين حتّى يفرغ منهما.

❦ يقول: «اللهم إني أستخيرك بعلمك». يعني: أطلبُ خير الأمرين، حسب ما تعلّمه، «وأستقدرك بقدرتك». أي: أطلبُ منك القدرة بقدرتك، فهو توسّل بالقدرة، على أن يقدر على الأمر، «وأسألك من فضلك»؛ لأنّ الإنسان قد يقدر على الشيء ويحصل له الشيء لكن لا يناله من الله فضلٌ به ولا بركة، فيسأل الله من فضله، «فإنك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم، وأنت علام الغيوب». في هذه الجملة لفٌ ونشْرٌ غير مرتب؛ لأنّه قدّم العلم في الجملة الأولى على القدرة، وفي الجملة الثانية قدّم القدرة على العلم، ولو كان اللف والنشْر مرتباً لبدأ بالعلم قبل القدرة.

❦ قوله: «اللهم إن كنت تعلم هذا الأمر». أي: الذي يريد أن يستخير الله فيه ثم يُسميه بعينه.

❦ وقوله: «خيراً لي». مفعول ثانٍ لتعلم «في عاجل أمري وآجله». قال: «أو في ديني ومعاشي وعاقبة أمري، فأقدره لي ويسّره لي، ثم بارك لي فيه». هذه «أو». شكٌ من الراوي، هل قال: «في عاجل أمري وآجله»، أو قال: «في ديني ومعاشي وعاقبة أمري». رجّح بعض العلماء الأول لعمومه، ورجّح بعضهم الثاني؛ لأنّ العاجل السابق، وقد انقضى، ولكن ليس هذا الوجه الأخير بمُرَجّح؛ لأنّ المراد بعاجل أمري الذي قد انقضى بلا شك، إنما المراد بعاجل أمري ما يأتي بعد الاستخارة مباشرة.



ولو قال قائل: لو أن الإنسان جَمَعَ بَيْنَ هذه الجُمَلِ في عاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ، وَدِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي، فلا حَرَجَ؛ لِأَنَّ الدَّعَاءَ يَنْبَغِي فِيهِ البَسْطُ، أَوْ نَقُولُ: إِنَّ شَكَّ الرَّائِي يَقْتَضِي أَنَّ الَّذِي ثَبَّتَ عَنِ الرَّسُولِ ﷺ وَاحِدٌ مِنَ الْأَمْرَيْنِ، وَحَيْثُ يُرْجَحُ الْإِنْسَانُ مَا يَرَى أَنَّهُ رَاجِحٌ فَيَقُولُهُ.

**قُلْنَا:** تَرْجِيحُ الْجُمْلَةِ الْأُولَى «فِي عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ» لِلْعُمُومِ؛ لِأَنَّ كَلِمَةَ أَمْرِي تَعْنِي: شَأْنِي، وَهُوَ عَامٌّ؛ لِكَوْنِهِ مَفْرَدًا مَضَافًا، وَالثَّانِيَةُ فِيهَا شَيْءٌ مِنَ التَّفْصِيلِ، «دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةُ أَمْرِي». فِيهَا شَيْءٌ مِنَ التَّفْصِيلِ وَالتَّخْصِيصِ، فَلَيْسَ فِيهَا عُمُومٌ، لَكِنَّ التَّفْصِيلَ قَدْ يَكُونُ أَحْسَنَ فِي بَابِ الدَّعَاءِ. **قَوْلُهُ:** «فَاقْدُرْهُ لِي وَيَسِّرْهُ لِي ثُمَّ بَارِكْ لِي فِيهِ». ثَلَاثُ جُمَلٍ «اقْدُرْهُ»؛ يَعْنِي: بَعْلَمَكَ وَمَشِيئَتَكَ، «وَيَسِّرْهُ» بَحِثْ لَا يَكُونُ فِيهِ مَوَانِعَ «لِي ثُمَّ بَارِكْ لِي فِيهِ». أَي: اجْعَلْ لِي فِيهِ بَرَكَةً، وَالبَرَكَةُ هِيَ: الْخَيْرُ الْوَاسِعُ الثَّابِتُ، وَأَصْلُهُ مِنَ الْبَرَكَةِ، وَالبَرَكَةُ مَجْمَعُ الْمَاءِ، وَهِيَ وَاسِعَةٌ وَكَبِيرَةٌ، وَالْمَاءُ يَمُكُثُ فِيهَا وَيَبْقَى.

**قَوْلُهُ:** «اللَّهُمَّ وَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُ شَرٌّ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي، أَوْ قَالَ: فِي عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ، فَاصْرِفْنِي عَنْهُ، وَاقْدُرْ لِي الْخَيْرَ حَيْثُ كَانَ، ثُمَّ رَضِّنِي بِهِ» وَفِي بَعْضِ الْأَلْفَاظِ: «اصْرِفْهُ عَنِّي وَاصْرِفْنِي عَنْهُ، ثُمَّ اقْدُرْ لِي الْخَيْرَ حَيْثُ كَانَ، ثُمَّ رَضِّنِي بِهِ» يَعْنِي: اجْعَلْنِي رَاضِيًا بِهِ. فَهَذَا الدَّعَاءُ يَنْبَغِي لِلْإِنْسَانِ إِذَا هَمَّ بِالْأَمْرِ، وَأَشْكَلَ عَلَيْهِ وَجْهُ الصَّوَابِ فِيهِ أَنْ يُصَلِّيَ رَكَعَتَيْنِ، وَيَسْتَخِيرَ اللَّهَ، فَإِنْ بَانَ لَهُ الْأَمْرُ، فَذَلِكَ الْمَطْلُوبُ، وَإِنْ لَمْ يَبَيِّنْ أَعَادَ الاسْتِخَارَةَ. وَقَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ: إِنْ لَمْ يَبَيِّنْ اسْتِشَارَ ذَوِي الرَّأْيِ وَالصَّلَاحِ وَالْخَبْرَةِ، ثُمَّ إِمَّا أَنْ يَقُوَّهُ عَلَى هَذَا، أَوْ عَلَى هَذَا، وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ يَقْدُمُ الْمَشُورَةُ.

وَالصَّحِيحُ: أَنَّهُ يَقْدُمُ الاسْتِخَارَةَ؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِذَا هَمَّ أَحَدُكُمْ بِالْأَمْرِ فَلْيُصَلِّ رَكَعَتَيْنِ». فَيُقَدَّمُ الاسْتِخَارَةُ ثُمَّ إِنْ بَدَأَ لَهُ وَجْهُ الصَّوَابِ، فَذَلِكَ الْمَطْلُوبُ، وَإِلَّا أَعَادَ الاسْتِخَارَةَ مَرَّةً ثَانِيَةً، وَاسْتِشَارَ ذَوِي الْخَبْرَةِ وَالصَّلَاحِ وَالْأَمَانَةِ.

وَيَبَيِّنُ لَهُ وَجْهَ الْأَمْرِ بِأَمُورٍ:

**أَوَّلًا:** اطْمَئِنَّاهُ إِلَى أَحَدِ الْأَمْرَيْنِ؛ يَعْنِي: يَرَى أَنَّهُ رَضِيَ وَاطْمَأَنَّ.

**ثَانِيًا:** أَنَّهُ رَبُّمَا يَرَى فِي الْمَنَامِ مَا يَقْوِي أَحَدَ الْاِخْتِمَالَيْنِ، مَا يَبِينُهُ، وَيَشْجَعُهُ عَلَى الْإِقْدَامِ.

**ثَالِثًا:** أَنَّهُ رَبُّمَا يَسْمَعُ كَلَامًا يَتَفَاءَلُ بِهِ عَلَى أَحَدِ الْأَمْرَيْنِ.

**رَابِعًا:** أَنَّهُ يَتَيَسَّرُ لَهُ الْوُصُولُ إِلَى أَحَدِ الْأَمْرَيْنِ، وَيَتَعَسَّرُ الْأَمْرُ الثَّانِي، وَهَذَا التَّيَسُّرُ هُوَ مَضْمُونُ الدَّعَاءِ «اقْدُرْهُ لِي وَيَسِّرْهُ لِي».

وَأَمَّا بِالنِّسْبَةِ لِلْوَاجِبِ فَلَا يَسْتَخِيرُ اللَّهَ فِيهِ إِلَّا إِذَا أَشْكَلَ عَلَيْهِ، هَلْ يَقْدُمُ هَذَا أَوْ هَذَا؛ يَعْنِي: أَرَادَ أَنْ يُسَافِرَ لِلْحَجِّ مَعَ وَجُوبِهِ عَلَيْهِ فَلَا حَاجَةَ إِلَى أَنْ يَسْتَخِيرَ؛ لِأَنَّهُ لَا بُدَّ أَنْ يَفْعَلَ، وَلَوْ أَرَادَ أَنْ يَسْتَخِيرَ هَلْ يُصَلِّيَ الظُّهَرَ مَثَلًا، يَعْنِي شَكَّ فِي الْحُكْمِ الشَّرْعِيِّ هَذَا؟ لَا يَسْتَخِيرُ فِيهِ، بَلْ يَطَالُعُ الْكِتَابَ وَالسَّنَةَ؛ لِأَجْلِ أَنْ يَحْصُلَ بِهِ

العلم، قال تعالى: ﴿فَإِنْ نَزَعْنَاهُ مِنْ شَيْءٍ قُدْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَالرُّسُولِ﴾ [البقرة: ٥٩].

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

١١- باب مُقَلِّبِ الْقُلُوبِ وَقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْعِدَتَهُمْ وَأَبْصَرَتَهُمْ﴾ [الأنعام: ١١٠].

مُقَلِّبِ الْقُلُوبِ هذا وصف لا يَصِحُّ إِلَّا لِلَّهِ ﷻ، فهو الذي يقلب القلوب؛ لأنَّ الإنسانَ مهما كان لا يمكن أن يُقَلَّبَ أحدٌ قلبه، والمراد بتقليب القلوب ليس التقليب الحسيَّ بأن يجعل أعلى القلب أسفلهُ أو الجانب الأيسر في الأيمن، لكن المراد بتقليب القلوب تقليب وجهات النظر؛ يعني: يَهْمُ الإنسانُ بالشَّيْءِ، ثم يَقلِبُ اللهُ هَمَّهُ إلى شيءٍ آخر، يَهْمُ بالسيئة، ثم يَقلِبُ اللهُ قلبه إلى حسنة، أو بالعكس.

وَيُذَكِّرُ أَنَّ أَعْرَافًا قِيلَ لَهُ: بِمَ عَرَفْتَ رَبَّكَ؟ قَالَ: بِصَرْفِ الْهَمِّ. يَعْنِي: أَنَّ اللَّهَ هُوَ الَّذِي يَصْرِفُ الْهَمَّ، فَإِلَّا إِنْسَانٌ يَهْمُ بِالشَّيْءِ، وَيَجْزُمُ بِهِ، فَإِذَا بِهِ تَنَصَّرَفَ هَمُّهُ إِلَى شَيْءٍ آخَرَ بَدُونِ سَبَبٍ ظَاهِرٍ، مَنْ الَّذِي صَرَفَ ذَلِكَ؟ هُوَ اللَّهُ ﷻ، فَلِذَلِكَ مُقَلِّبِ الْقُلُوبِ هُوَ اللَّهُ، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿مَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَكَلاَ هَادِيٌ﴾ [الأنعام: ١٨٦] ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي﴾ [الأنعام: ١٧٨]. فَلَا يُمَكِّنُ لِأَحَدٍ أَنْ يَقَلِّبَ قَلْبَ أَحَدٍ، فَمُقَلِّبِ الْقُلُوبِ هُوَ اللَّهُ، فَهَذَا وَصْفٌ لَا يَصِحُّ إِلَّا لِلَّهِ. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: أَلَيْسَ الْإِنْسَانُ يَهْمُ بِالشَّيْءِ، فَإِنِّي بِهِ شَخْصٌ، وَيُشِيرُ عَلَيْهِ، وَيُبَيِّنُ لَهُ الْوَجْهَةَ الصَّحِيحَةَ الَّتِي يَرَاهَا، ثُمَّ يَتَحَوَّلُ إِلَى رَأْيِهِ؟ نَقُولُ: بَلَى، لَكِنْ مِنَ الَّذِي جَعَلَهُ يَتَحَوَّلُ؟ اللَّهُ ﷻ، وَرَبِّهَا يَشَارُ عَلَيْهِ كَثِيرًا، وَلَكِنْ لَا يَتَحَوَّلُ، فَالْأَمُورُ كُلُّهَا بِيَدِ اللَّهِ.

ثُمَّ اسْتَدَلَّ الْمُؤَلِّفُ بِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْعِدَتَهُمْ وَأَبْصَرَتَهُمْ﴾ [الأنعام: ١١٠]. أَفْعِدَتُهُمْ أَي: قُلُوبُهُمْ، وَأَبْصَارُهُمْ، يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ جَمْعُ بَصِيرَةٍ، وَإِنْ كَانَ هَذَا خِلَافَ الْمَعْرُوفِ؛ لِأَنَّ بَصِيرَةً جَمْعُهَا بَصَائِرٌ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ جَمْعُ بَصَرٍ، كَسَبَبٍ وَأَسْبَابٍ، وَلَكِنْ كَيْفَ تَقْلِيْبُ الْبَصَرِ؟ تَقْلِيْبُ الْبَصَرِ أَنْ يُصَرَفَ الْبَصَرُ مِنَ النَّظَرِ إِلَى الطَّاعَاتِ إِلَى النَّظَرِ إِلَى الْمَعَاصِي، هَذَا مِنْ تَقْلِيْبِ الْأَبْصَارِ وَالْعِبَادِ بِاللَّهِ، فَاللَّهُ ﷻ هُوَ الَّذِي يَقْلِبُ الْقُلُوبَ وَالْأَبْصَارَ ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْعِدَتَهُمْ وَأَبْصَرَتَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾. وَلَيْتَ الْبُخَارِيُّ أَتَى بِتَكْمِلَةِ الْآيَةِ، وَهِيَ قَوْلُهُ: ﴿كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الأنعام: ١١٠]. وَالْكَافُ هُنَا لِلتَّعْلِيلِ؛ أَي: لِكُونِهِمْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴿وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [١١]. وَهَذَا تَهْدِيدٌ عَظِيمٌ لِلْإِنْسَانِ الَّذِي لَا يَقْبَلُ الْحَقَّ أَوَّلَ مَا يَرُدُّ إِلَيْهِ، فَإِنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا لَمْ يَقْبَلِ الْحَقَّ أَوَّلَ مَا يَرُدُّ إِلَيْهِ يُخْشَى أَنْ يُتِّكَلَى بِهِذِهِ الْبَلْوَى؛ وَهِيَ أَنْ يَقْلَّبَ قَلْبَهُ وَلَا يَهْتَدِيَ لِلْحَقِّ؛ لِأَنَّهُ رَدَّهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ.

إِذَا: بَيَّنَّ اللَّهُ ﷻ أَنَّهُ يَقْلِبُ أَفْعِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ، وَأَنَّ لِهَذَا التَّقْلِيْبِ سَبَبٌ، وَهُوَ أَنَّهُمْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ، وَيَذَكِّرُ لِهَذَا أَيْضًا قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ﴾ [الأنعام: ٥٠]. أَي: يَخْتَلِطُ عَلَيْهِمُ الْأَمْرُ، ثُمَّ لَا يَتَبَيَّنُ لَهُمْ وَجْهُ الصَّوَابِ، وَلِهَذَا يَجِبُ عَلَى الْإِنْسَانِ مِنْ حِينِ أَنْ يَتَبَيَّنَ لَهُ الْحَقُّ أَنْ يَقْبَلَهُ، وَيَأْخُذَ بِهِ، حَتَّى يُهْدَى لِحَقِّ آخِرٍ، أَمَّا إِذَا رَدَّهُ، أَوْ تَرَدَّدَ فِيهِ، فَإِنَّهُ عَلَى خَطَرٍ عَظِيمٍ؛ أَنْ يُتِّكَلَى بِهِذِهِ الْبَلْوَى -نَسَأَلُ اللَّهَ لَنَا وَلَكُمْ السَّلَامَةَ- وَمَا لَدَّ رَجُوعِ الْإِنْسَانِ إِلَى الْحَقِّ، وَالْإِنْسَانُ إِذَا رَجَعَ



إلى الحق، وإن كان خلاف ما يقوله أولاً، يجد في هذا لذة عظيمة؛ لأنه فتح الله على قلبه حيث آمن بالحق أولاً ما جاء به.

بعض الناس -نسأل الله لنا ولكم الهداية- يحاول ويجادل لقوله الذي قاله أولاً حتى لا يهزم -في نظره- والحقيقة أنه مهزوم في نظره إذا أصر على الانتصار لقوله لا للحق، لكن لو عاد للحق وانقاد، لكان هو الذي انتصر؛ انتصر على نفسه أولاً ثم يُنصر؛ لأن الحق معه حيث وافق الحق ﴿وَنَقْلُ آبَائِهِمْ وَإِنْصَرُّهُمْ كَمَا لَوْ يُؤْمِنُونَ بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾.

قال الحافظ ابن حجر في «الفتح» (١٣/ ٣٧٧):

وتقليب الله القلوب والبصائر، صرّفها من رأي إلى رأي، وقال الكيرماني ما معناه: كان يحتمل أن يكون المعنى بقوله: «مقلّب» أنه يجعل القلب قلباً لكنّ مظان استعماله تنشأ عنه.

ويستفاد منه: أن إعراض القلب كالإرادة وغيرها بخلق الله تعالى وهي من الصفات الفعلية ومزجها إلى القدرة<sup>(١)</sup>. اهـ.

كأنه يميل إلى أن المراد بها البصائر، لكن لفظها يدل على أن المراد بها البصر الذي يُجمع على أبصار، وكما قلنا لكم: إن تقليب البصر ألاّ يَهْتَدِي إلى رؤية ما فيه رضا الله، بل ينظر إلى معاصي الله ﷻ.



ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٣٩١- حَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ سُلَيْمَانَ، عَنْ ابْنِ الْمُبَارَكِ، عَنْ مُوسَى بْنِ عُثْبَةَ، عَنْ سَالِمٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ،

قَالَ: أَكْثَرُ مَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَحْلِفُ: «لَا وَمُقْلِبِ الْقُلُوبِ».

سبق في الأيمان أن الرسول ﷺ يحلف بهذا كثيراً، ويحلف بقوله: «والذي نفسي بيده» كثيراً<sup>(٢)</sup>.

المراد بعبد الله هنا: ابن عمر، والدليل على ذلك أن الراوي عنه سالم، وهذا مما يُستدل به على المبهمة فالمبهم من الرواة يمكن أن تستدل على تعيينه بتلاميذه أو مشايخه.

قوله: «لا ومقلب القلوب» «لا» هذه للتوكيد، ومرر علينا ذلك قريباً، وصرنا لهذا أمثلة،

ف«لا» النافية تدخل على القسم، والمراد به الإثبات، مثل قوله تعالى: ﴿لَا أَقِيمُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾<sup>(١)</sup>

[البقرة: ١]، و ﴿لَا أَقِيمُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾<sup>(٢)</sup> [البقرة: ١]. فالصحيح أنها للتنبية والتوكيد، خلافاً لمن قال في قول

الله تعالى: ﴿لَا أَقِيمُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾<sup>(٣)</sup>: إنها للنفي. والمعنى: لا صحة لما تزعمون من إنكار البعث، أو

﴿لَا أَقِيمُ﴾؛ لأن الأمر لا يحتاج إلى قسم، لكن الصحيح ما قررناه أولاً: أنها للتوكيد والتنبية.

(١) انظر: «الفتح» (١٣/ ٣٧٧).

(٢) تقدم تحريجه.



نَمْ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٢- باب إنَّ لِلَّهِ مِائَةَ اسْمٍ إِلَّا وَاحِدًا. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ ذُو الْجَلَالِ الْعَظَمَةِ الْبَرُّ اللَّطِيفُ.

❁ قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: «إِنَّ لِلَّهِ مِائَةَ اسْمٍ إِلَّا وَاحِدًا». ظاهرُ كلامِهِ حَصْرُ أَسْمَاءِ اللَّهِ ﷻ فِي هَذِهِ التَّسْعَةِ وَالتَّسْعِينَ، وَهَذَا أَحَدُ الْقَوْلَيْنِ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ الْعَظِيمَةِ أَنَّ أَسْمَاءَ اللَّهِ مُحْصَوْرَةٌ بِتَسْعَةٍ وَتِسْعِينَ، وَلَكِنْ سَبَقَ لَنَا أَنَّ الْقَوْلَ الرَّاجِحَ أَنَّهَا غَيْرُ مُحْصَوْرَةٍ وَاسْتَدَلَّلْنَا لَذَلِكَ بِحَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ فِي دَعَاءِ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ وَفِيهِ: «أَوْ اسْتَثْنَيْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ»<sup>(١)</sup> فَإِنَّهُ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ مَا اسْتَثْنَى اللَّهُ بَعْلِيهِ، وَمَا اسْتَثْنَى اللَّهُ بَعْلِيهِ فَإِنَّهُ لَا يُمَكِّنُ أَنْ يُحَاطَ بِهِ، وَهَذَا هُوَ الصَّحِيحُ، وَلِذَلِكَ لَوْ تَأَنَّى لَتِ أَسْمَاءُ اللَّهِ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَنِ لَوْ جَدَّتْهَا تَزِيدُ عَلَى تِسْعَةٍ وَتِسْعِينَ اسْمًا.

وَعَلَى هَذَا فَيَكُونُ مَا أَفْهَمَهُ ظَاهِرُ كَلَامِ الْبُخَارِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ يَكُونُ مَرْجُوحًا.

❁ قوله: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: ذُو الْجَلَالِ؛ أَي: ذُو الْعَظَمَةِ. وَهَذَا صَحِيحٌ، فَالْجَلَالُ هُوَ كِمَالُ الْعَظَمَةِ، يُشِيرُ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَبَقِيَ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [التكوير: ٢٧]. وَلَكِنْ كَيْفَ الْجَمْعُ بَيْنَ قَوْلِهِ: ﴿بَنَزَلَ أَسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [التكوير: ٢٨]. وَقَوْلُهُ: ﴿وَبَقِيَ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾؟ وَذَلِكَ لِأَنَّ قَوْلَهُ: ﴿وَبَقِيَ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ صِفَةٌ لِلْوَجْهِ، وَأَمَّا ﴿بَنَزَلَ أَسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ فَبِهِي صِفَةٌ لِلرَّبِّ وَلَيْسَتْ صِفَةً لِاسْمٍ، فَهِيَ فِي الْآيَةِ الْأُولَى صِفَةٌ لِلْمُضَافِ، وَفِي الْآيَةِ الثَّانِيَةِ صِفَةٌ لِلْمُضَافِ إِلَيْهِ.

❁ وَقَوْلُهُ: «الْبَرُّ اللَّطِيفُ» الصَّوَابُ أَنَّ الْمُرَادَ بِالْبَرِّ وَاسِعُ الْخَيْرَاتِ وَكَثِيرُ الْعَطَاءِ؛ لِأَنَّهُ مَتَّفِقٌ فِي الْأَشْتِقَاقِ مَعَ الْبَرِّ الَّذِي هُوَ ضِدُّ الْبَحْرِ، فَالْبَرُّ الَّذِي هُوَ ضِدُّ الْبَحْرِ وَاسِعٌ، وَمِنْهُ بَرُّ الْوَالِدَيْنِ؛ أَي: كَثْرَةُ عَطَائِهَا وَنَفْعِهَا وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ.

وَالظَّاهِرُ أَنَّ تَفْسِيرَ الْبَرِّ بِاللَّطِيفِ لَيْسَ مِنْ تَفْسِيرِ ابْنِ عَبَّاسٍ.

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ فِي «الْفَتْحِ» (٣٧٨ / ١٣):

هُوَ تَفْسِيرُ ابْنِ عَبَّاسٍ أَيْضًا، وَقَدْ تَقَدَّمَ الْكَلَامُ عَلَيْهِ وَبَيَّانٌ مِنْ وَصْلِهِ عَنْهُ فِي تَفْسِيرِ سُورَةِ الطُّورِ<sup>(١)</sup>.

فَإِذَا قَالَ قَائِلٌ: مَا فَائِدَةُ الْحَصْرِ فِي قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا». مَعَ أَنَّهُ بِالنَّظَرِ إِلَى الْكِتَابِ وَالسُّنَنِ نَحْصَلُ عَلَى أَكْثَرٍ مِنْ ذَلِكَ؟ فَالْجَوَابُ: أَنَّ فَائِدَةَ الْحَصْرِ هِيَ أَنَّ مِنْ أَسْمَاءِ تِسْعَةٍ وَتِسْعِينَ اسْمًا مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ، فَإِذَا أَحْصِيَتْ تِسْعَةٌ وَتِسْعِينَ مِنْ هَذِهِ الْأَسْمَاءِ دَخَلَتْ الْجَنَّةَ، يَعْنِي لَا يُلْزَمُ إِحْصَاؤُهَا كُلُّهَا، إِذَا أَحْصِيَتْ مِنْهَا تِسْعَةٌ وَتِسْعِينَ دَخَلَتْ الْجَنَّةَ، لَكِنَّ هَذِهِ التَّسْعَةَ وَالتَّسْعِينَ مَبْهَمَةٌ فِي جَمَلَةِ الْأَسْمَاءِ الَّتِي تَزِيدُ عَلَى تِسْعَةٍ وَتِسْعِينَ، وَلَوْ كَانَ الَّذِي فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَنِ مُحْصَوْرًا لَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ ذَكَرَ لَكُمْ تِسْعَةَ

(١) تقدم تخريجه.

(٢) «فتح الباري» (٣٧٨ / ١٣).



وَتَسْعِينَ اسْمًا مِّنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ. فلما قال: «إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتَسْعِينَ اسْمًا مِّنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ». دَلَّ ذَلِكَ عَلَى أَنَّ الْأَسْمَاءَ أَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ، وَلَكِنْ أَنْتَ اخْتَرْتَ مِنْهَا تِسْعَةً وَتَسْعِينَ وَأَحْصَاهَا، وَقَدْ اخْتَارَ أَنَا مِثْلًا اسْمًا، وَأَنْتَ لَا تَخْتَارُهُ، وَتَأْتِي بِشَيْءٍ بَدَلَهُ، وَكَذَلِكَ الْعَكْسُ.

قال الحافظ ابن حجر في «الفتح» (١٣/ ٣٧٧):

❦ قوله: «بَابُ إِنَّ لِلَّهِ مِائَةَ اسْمٍ إِلَّا وَاحِدًا» ذَكَرَ فِيهِ حَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتَسْعِينَ اسْمًا وَقَدْ تَقَدَّمَ شَرْحُهُ فِي كِتَابِ «الدَّعَوَاتِ» وَيَبَيِّنُ مَنْ رَوَاهُ بِاللَّفْظِ الْمَذْكُورِ فِي هَذِهِ التَّرْجُمَةِ، وَوَقَعَ هُنَا فِي رِوَايَةِ الْكُشْمِينِيِّ: «مِائَةَ إِلَّا وَاحِدًا». بِالتَّذْكِيرِ، وَ «مِائَةَ» فِي الْحَدِيثِ بَدَلٌ مِّنْ قَوْلِهِ «تِسْعَةً وَتَسْعِينَ». فَعَدَّلَ فِي التَّرْجُمَةِ مِنَ الْبَدَلِ إِلَى الْمَبْدَلِ، وَهُوَ فَصِيحٌ. **وَيُسْتَفَادُ مِنْهُ:** زِيَادَةُ تَوْضِيحٍ؛ لِأَنَّ ذِكْرَ الْعَقْدِ أَعْلَى مِنْ ذِكْرِ الْكُسُورِ، وَأَوَّلُ الْعُقُودِ الْعَشْرَاتُ، وَثَانِيهَا الْمِائَةُ، فَلَمَّا قَارَبَتِ الْعِدَّةُ أُعْطِيَتْ حَكْمُهَا وَجُبرَ الْكُسْرَ بِقَوْلِهِ: «مِائَةَ» ثُمَّ أُريدَ التَّحَقُّقُ فِي الْعِدَدِ فَاسْتَنْتَى وَلَوْ لَمْ يَسْتَنْ لَكَانَ اسْتِعْمَالًا قَرِيبًا سَائِعًا.

\*\*\*

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٣٩٢ - حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ، أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، حَدَّثَنَا أَبُو الزِّنَادِ، عَنِ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ «إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتَسْعِينَ اسْمًا مِائَةَ إِلَّا وَاحِدًا، مِّنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ»<sup>(١)</sup>. (أَحْصَيْنَاهُ): حَفِظْنَاهُ.

وَمَعْنَى الْإِحْصَاءِ: هُوَ مَعْرِفَتُهَا لَفْظًا وَمَعْنَى، وَالتَّعَبُّدُ وَسَوْأَلُ اللَّهِ بِهَا، وَالتَّعَبُّدُ لِلَّهِ بِمُقْتَضَاهَا.

\*\*\*

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٣ - بَابُ السُّؤَالِ بِأَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى وَالِاسْتِعَاذَةِ بِهَا.

السُّؤَالُ بِأَسْمَاءِ اللَّهِ دَلَّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]. وَسَبَقَ لَنَا أَنَّ مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿فَادْعُوهُ بِهَا﴾ يَتَضَمَّنُ سَبْتَيْنِ:

**الأول:** أَنْ تَعْبُدَ لِلَّهِ ﷻ بِمُقْتَضَىٰ هَذِهِ الْأَسْمَاءِ، فَيَكُونُ الدَّعَاءُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَادْعُوهُ بِهَا﴾ بِمَعْنَى الْعِبَادَةِ.

**الثاني:** أَنْ تَجْعَلَهَا وَسِيلَةً لَكَ فِي الدَّعَاءِ، بِأَنْ تَذْكُرَهَا بَيْنَ يَدَيِ الدَّعَاءِ أَوْ تَخْتِمَ الدَّعَاءَ بِهَا، فَتَقُولُ: يَا غَفُورُ اغْفِرْ لِي وَيَا سَمِيعُ اجْعَلْنِي سَامِعًا. وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ.

فَلِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَادْعُوهُ بِهَا﴾ مَعْنِيَانِ:

الْمَعْنَى الْأَوَّلُ: التَّعَبُّدُ لِلَّهِ بِمُقْتَضَاهَا؛ لِأَنَّ الدَّعَاءَ يَأْتِي بِمَعْنَى الْعِبَادَةِ ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ

الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴿٦١﴾

**والثاني:** سؤال الله بها، أي: تجعلها وسيلة لك في الدعاء، سواء جعلتها بين يدي الدعاء، أو ختمت الدعاء بها.

أما الاستعاذة بها فظاهر، تقول: اللهم إني أعوذ باسمك الأعظم، أعوذ بكلمات الله التامات. يعني: تتعوذ بصفات وأسماء الله.



ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٣٩٣- حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: حَدَّثَنِي مَالِكٌ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي سَعِيدٍ الْمَقْبُرِيِّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِذَا جَاءَ أَحَدُكُمْ فِرَاشُهُ فَلْيَنْفُضْهُ بِصِنْفَةٍ ثَوْبِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، وَلْيَقُلْ: بِاسْمِكَ رَبِّ وَضَعْتَ جَنِّي وَبِكَ أَرْفَعُهُ، إِنْ أَمْسَكَتْ نَفْسِي فَاعْفِرْ لَهَا، وَإِنْ أَرْسَلَتْهَا فَاحْفَظْهَا بِمَا تَحْفَظُ بِهِ عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ»<sup>(١)</sup>.

تابعه يحيى، وبشر بن المفضل عن عبيد الله، عن سعيد، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ. وزاد زهير وأبو ضمرة وإسماعيل بن زكريا، عن عبيد الله، عن سعيد، عن أبيه، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ.

ورواه ابن عجلان، عن سعيد، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ.

تابعه محمد بن عبد الرحمن، والدراوردي وأسامه بن حفص.

قوله: «وزاد زهير». هذا لا يضر؛ يعني: كونه ي حذف أحد الرجال في السند لا يضر؛ لأنه يجوز أن يكون الراوي رواه عن شيخه أو شيخ شيخه، فلا يكون هذا من باب المزيد في متصل الأسانيد<sup>(٢)</sup>، فالإنسان ربما يروي عن زيد وهو شيخه عن عمرو، وزيد يروي عن عمرو، ثم يأتي الأول فيروي عن عمرو مباشرة، هذا واقع وعلى هذا فليس في السند من طعن، وليس من باب المزيد في متصل الأسانيد.

قوله: «فَلْيَنْفُضْهُ بِصِنْفَةٍ ثَوْبِهِ».

قال الحافظ ابن حجر في «الفتح» (٣٨٠ / ١٣):

الصَّنْفَةُ بفتح المهملة، وكسر النون، بعدها فاء، طُرْتُه، وقيل: طَرَفُهُ وقيل: جَانِبُهُ، وقيل حَاشِيَتُهُ التي فيها هُدْبَةٌ، وَقَالَ فِي «النهاية» طَرَفُهُ الَّذِي يَلِي طُرَّتَهُ.

**قلت:** وتقدم في الدعوات بلفظ «دَاخِلَةً إِزَارَهُ». وتقدم هناك معناها، فالأولى هنا أن يقال: المراد

(١) رواه مسلم (٢٧١٤).

(٢) انظر: «تدريب الراوي» (٢ / ٢٠٣).



طَرَفُهُ الَّذِي مِنَ الدَّخْلِ جَمْعًا بَيْنَ الرَّوَايَتَيْنِ (١) اهـ

وهذا هو القولُ الصحيحُ أنَّ المرادَ به طرفه من الداخل، والحكمة من ذلك أنَّ الطرفَ في الغالبِ هو مُتَقَيُّ الأوساخ، فإذا تَوَسَّخَ مِنَ الْفَرَّاشِ لم يَكُنْ في هذا غَضَاضَةً عَلَى لَبْسِ الثَّوبِ، ولهذا قال: إِنَّكَ تَمَسُّحُهُ بِدَاخِلَةِ الثَّوبِ أَيْضًا لِأَجْلِ إِنْ كَانَ هُنَاكَ وَسَخٌ يَكُونُ فِي دَاخِلِ الثَّوبِ، وهذا مِنْ حَسَنِ تَوْجِيهِ الرَّسُولِ ﷺ لِإِبْرَاهِيمَ، وَإِرْشَادِهِ، وَتَرْبِيَّتِهِ؛ يَعْني. حَتَّى كَيْفَ تَنْفُضُ فَرَّاشَكَ بِثَوْبِكَ، انْفُضْ بِدَاخِلِهِ مِنْ أَسْفَلِهِ؛ لِأَنَّكَ إِنْ نَفَضْتَهُ مِنْ أَعْلَاهُ رُبَّمَا يَكُونُ فِيهِ أَدْنَى فَيَتَلَطَّحُ الثَّوبُ مِنْ فَوْقٍ، وَيُظْهِرُ لِلنَّاسِ، وَكَذَلِكَ لَوْ أَنَّكَ نَفَضْتَهُ مِنْ ظَاهِرِ الثَّوبِ الْأَسْفَلِ رُبَّمَا يَكُونُ فِيهِ أَدْنَى فَيُشَاهِدُهُ النَّاسُ.

**ويؤخذ من هذا:** أَنَّهُ يَنْبَغِي لِلإِنْسَانِ أَنْ يَلَاحِظَ ثِيَابَهُ حَتَّى لَا يَكُونَ فِيهَا أَدْنَى فَتَنْقَمَعَ أَعْيُنُ النَّاسِ مِنَ النَّظَرِ إِلَيْهِ، وَيَقَالُ: هَذَا رَجُلٌ مَهْمَلٌ، لَا يُبَالِي بِنَفْسِهِ. وَالإِنْسَانُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَظْهَرَ بِمُظْهِرٍ يَتَقَرَّرُ النَّاسُ مِنْهُ، وَلِهَذَا كَانَ الرَّسُولُ ﷺ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَبَاشَرَ أَهْلَهُ، وَهِيَ حَائِضٌ بِأَمْرُهَا أَنْ تَتَرَدَّدَ لَهَا لِشَاهِدِهَا فِي مَحَلِّ الْفَرْجِ مَا تَتَقَرَّرُ مِنْهُ النَّفْسُ مِنَ الدَّمِ، فَهَذِهِ الْمَسَائِلُ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ لَا يُبَالِي بِهَا، تَجِدُهُ بِأَكْلِ مِثْلِ رَمَانَةٍ، فَتَنْقُطُ نَقْطَةً عَلَى ثَوْبِهِ، فَيَكُونُ الثَّوبُ أَحْمَرَ، فَيَتَرَكُهُ، رَبًّا يَرْعُفُ أَنْفَهُ، فَتَنْقُطُ نَقْطَةً عَلَى ثَوْبِهِ، فَهَذِهِ تَمَرُّزُهَا النَّفْسُ.

والْحَاصِلُ: أَنَّ الرَّسُولَ ﷺ عَلَّمَ أُمَّتَهُ حَتَّى هَذِهِ الْمَسْأَلَةُ الَّتِي قَدْ لَا تَخْطُرُ عَلَى بَالِ الإِنْسَانِ، وَغَالِبُ النَّاسِ يَكُونُ لَهُ ثَوْبٌ عِنْدَ الْمَنَامِ فَيَأْخُذُ ثَوْبَ الْمَنَامِ أَوْ الثَّوبَ الَّذِي يَلْبَسُهُ وَيَمْسُحُ بِهِ، فَإِذَا لَمْ يَتَيَسَّرْ ذَلِكَ فَلْيَمْسُحْ بِأَمْرَةٍ بِدَاخِلِهَا. يَنْفُضُهُ؛ أَيْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، وَقَدْ وَرَدَ التَّعْلِيلُ لِهَذَا، وَهُوَ أَنَّهُ لَا يَعْلَمُ مَنْ خَلْفَهُ عَلَى فَرَّاشِهِ، فَلِذَلِكَ سُنَّةٌ أَنْ يَفْعَلَ هَذَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَيَنْفُضُهُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ بِثَوْبِهِ، فَإِذَا لَمْ يَتَيَسَّرْ فَيَغْتَرِّتَهُ، وَبَعْضُ النَّاسِ يَطْوِي فَرَّاشَهُ وَلَا يَنْشُرُهُ إِلَّا عِنْدَ نَوْمِهِ، فَلَا وَلِيَّ أَنْ يَفْعَلَ ذَلِكَ أَيْضًا حَتَّى فِي هَذِهِ الْحَالِ، أَمَّا إِذَا بَقِيَ الْفَرَّاشُ مَنْشُورًا مِنَ الْأَصْلِ فَهَذَا لَا إِشْكَالَ فِيهِ؛ لِأَنَّهُ قَدْ يَنَامُ عَلَيْهِ الإِنْسَانُ أَوْ الشَّيَاطِينُ أَوْ الْجِنُّ إِذَا لَمْ تَنْشُرْهُ إِلَّا عِنْدَ مَنَامِكَ فَلَا أَحْسَنَ أَنْ تَفْعَلَ هَذَا.

**قوله:** «وَلْيَقُلْ بِاسْمِكَ رَبِّ وَضَعْتَ جَنْبِي وَبِكَ أَرْفَعُهُ». وهذا إذا نام واضطجع يقولُهُ، ولهذا إذا وضع جنبه يقول: بِاسْمِ اللَّهِ. فيضع جنبه على اسمِ اللَّهِ ﷻ. ثم قال: «إِنْ أَمْسَكَتْ نَفْسِي فَاغْفِرْ لَهَا، وَإِنْ أَرْسَلْتَهَا فَاحْفَظْهَا بِمَا تَحْفَظُ بِهِ عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ». لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ يُمَسِّكُ نَفْسَ النَّائِمِ فَيَمُوتُ، وَهَذَا أَحَدُ الْقَوْلَيْنِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾ [الزُّمَرُ: ٤٢]، وَلَكِنَّ الصَّحِيحَ أَنَّ مَعْنَى الْآيَةِ وَيَتَوَفَّى الَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيَمَسِّكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا النَّوْمَ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى.

\*\*\*

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٣٩٤- حَدَّثَنَا مُسْلِمٌ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ، عَنْ رَبِيعٍ، عَنْ حُذَيْفَةَ، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ قَالَ: «اللَّهُمَّ بِاسْمِكَ أَحْيَا وَأَمُوتُ». وَإِذَا أَصْبَحَ قَالَ «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحْيَانَا بَعْدَ مَا أَمَاتَنَا وَإِلَيْهِ النُّشُورُ».

هذا الحديث: ذكره البخاري في باب السؤال بأسماء الله والاستعاذة بها، أما السؤال بأسماء الله فقد تقدم الكلام عليها وأن الله أمرنا بها فقال: ﴿وَاللَّهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾. وأما الاستعاذة بها فذلك تستعید باسم الله، فتقول: أعوذ بالله، أعوذ بالرحمن، أعوذ بالعزیز، وما أشبه ذلك، وسبق أيضاً بيان معنى الاستعاذة<sup>(١)</sup> وهي الاعتصام من المكروه، واللجأ هو الفرار لحصول المطلوب، فلاستعانة تكون في المكروه واللجأ يكون في حصول المطلوب.

\*\*\*

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٣٩٥- حَدَّثَنَا سَعْدُ بْنُ حَفْصٍ، حَدَّثَنَا شَيْبَانُ، عَنْ مَنْصُورٍ عَنْ رَبِيعٍ بْنِ جَرَّاشٍ، عَنْ خُرَّشَةَ بْنِ الْحُرِّ، عَنْ أَبِي ذَرٍّ، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا أَخَذَ مَضْجَعَهُ مِنَ اللَّيْلِ قَالَ: «بِاسْمِكَ نَمُوتُ وَنَحْيَا، فَإِذَا اسْتَيْقَظَ قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحْيَانَا بَعْدَ مَا أَمَاتَنَا وَإِلَيْهِ النُّشُورُ».

قوله في هذا الحديث: «إِذَا أَخَذَ مَضْجَعَهُ مِنَ اللَّيْلِ» قيده بالمضجع من الليل، فيكون هذا الذكر من الأذكار الخاصة بنوم الليل، بدليل قوله: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحْيَانَا بَعْدَ مَا أَمَاتَنَا وَإِلَيْهِ النُّشُورُ»؛ لأنَّ النُّشُورَ يكون في أول الأمر، كما يُنْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ في أول يوم القيامة.

وقوله: «بعد ما أَمَاتَنَا» فالمراد به النوم، ونوم الرسول ﷺ الذي هو فقد الإحساس الظاهر ثابت له، والدليل على هذا حديث أبي قتادة في انتظارهم للفجر، فإن الفجر طلع والنبي ﷺ معهم ولم يعلم به<sup>(٢)</sup>؛ لأنَّ النوم الذي هو فقد الإحساس الظاهر يثبت له ولغيره.

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٣٩٦- حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ سَالِمٍ، عَنْ كُرَيْبٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَأْتِيَ أَهْلَهُ فَقَالَ بِاسْمِ اللَّهِ، اللَّهُمَّ جَنِّبْنَا الشَّيْطَانَ، وَجَنِّبِ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنَا. فَإِنَّهُ إِنْ يَفْقَرُ بَيْنَهُمَا وَلَدَ فِي ذَلِكَ لَمْ يَضُرَّهُ شَيْطَانٌ أَبَدًا»<sup>(٣)</sup>.

(١) تقدم تحريره.

(٢) تقدم تحريره باب الأذان بعد ذهاب الوقت.

(٣) رواه مسلم (١٤٣٤).



هذا من الاستعاذة باسم الله وقوله: «إِذَا أَرَادَ أَنْ يَأْتِيَ أَهْلَهُ». هذا كناية عن الجماع. «فَقَالَ بِاسْمِ اللَّهِ، اللَّهُمَّ جَنِّبْنَا الشَّيْطَانَ، وَجَنِّبِ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنَا. فَإِنَّهُ إِنْ يُقَدَّرَ بَيْنَهُمَا وَلَدٌ». سواء ذَكَرَ أَوْ أَثْنَى، في ذلك؛ أي: في ذلك الجماع الذي قال فيه هذا الذكر «لَمْ يَضُرَّهُ شَيْطَانٌ أَبَدًا».

واختلف العلماء في قوله: «لَمْ يَضُرَّهُ شَيْطَانٌ أَبَدًا» فقيل: المعنى أنه لم يَضُرَّهُ ضرراً بدنياً؛ لأن الشيطان إذا سقطَ الطفل من بطن أمه لَكَزَهُ وَرُبَّمَا يَقْضِي عليه هذه اللكزة، ولذلك يَضْرُخُ الجنين إذا نَزَلَ من بطن أمه على إثر هذه اللكزة. وقيل: بل المراد لم يَضُرَّهُ ضرراً حسيّاً ولا ضرراً قلياً، وأن هذا من الأسباب التي تمنع من ضرر الشيطان لهذا الحمل الذي نشأ بعد هذا الذكر.

والسبب قد يوجد له مانع يمنع من النفوذ ومن حصول المسبب، وهذا القول أصح، وهو أنه عام، فالمعنى لم يضره لا في بدنه ولا في قلبه، لكن هذا من باب الأسباب، والأسباب قد يوجد لها موانع، كما أن أسباب الإرث مثلاً توجد في الشخص كأن يكون قريباً أو زوجاً أو مولى ثم توجد موانع تمنع نفوذ هذه الأسباب.

والقاعدة العامة أن الأشياء لا تتم إلا باستكمال أسبابها وشروطها وانتفاء موانعها، فإذا طبقنا هذه القاعدة على هذا الحديث وشبهه، قلنا: هذا من رسول الله ﷺ لبيان السبب ثم قد يوجد موانع تمنع من نفوذ هذا السبب، ومن ذلك أن يعيش هذا الطفل بعد خروجه في بيئة سيئة، فقد تصرفه عن الاستقامة لقول النبي ﷺ: «كُلُّ مَوْلُودٍ يُوَلَّدُ عَلَى الْفَطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ، أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ»<sup>(١)</sup>. وفي هذا الحث، على أن يقول الإنسان هذا الذكر عند الجماع؛ أي: عند جماع أهله؛ لأنه يكتسب به هذه الفائدة العظيمة التي لو اشتراها الإنسان بالملايين لكانت رخيصة.

فإذا قال قائل: إذا أتى الإنسان أهله، وهي حامل، هل يقول هذا الذكر؟ أو لا يقوله؛ لأنه قد نشأ الولد؟

**الجواب:** نقول: الأفضل أن يقوله؛ لأن الإمام أحمد رحمه الله قال: إن الجماع يزيد في الحمل في سمعه وبصره وقوته. ولهذا قال النبي ﷺ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، فَلَا يَسْقِ مَاءَهُ زَرْعَ غَيْرِهِ»<sup>(٢)</sup>. وهذا الحديث يشير إلى أن الجنين يتففع بالجماع، وعلى هذا فيقول هذا الذكر.

\*\*\*

ثُمَّ قَالَ الْبَخَّارِيُّ رحمه الله:

٧٣٩٧- حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْلَمَةَ، حَدَّثَنَا فُضَيْلٌ، عَنْ مَنصُورٍ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ هَمَّامٍ، عَنْ عَدِيِّ

(١) رواه البخاري (١٣٥٨)، (١٣٥٩)، (١٣٨٥)، ومسلم (٢٦٥٨).

(٢) رواه أبو داود (٢١٥٨)، والترمذي (١١٣١)، والدارمي (٢/٢٩٨)، (٢٤٧٧)، وحسنه الشيخ الألباني كما في «تعليقه على سنن أبي داود».

بْنِ حَاتِمٍ قَالَ: سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ قُلْتُ: أُرْسِلُ كِلَابِي الْمُعْلَمَةَ. قَالَ: «إِذَا أُرْسِلَتْ كِلَابُكَ الْمُعْلَمَةَ وَذَكَرْتَ اسْمَ اللَّهِ فَأَمْسَكَ فُكُلٌ، وَإِذَا رَمَيْتَ بِالْمِعْرَاضِ فَخَرَقَ فُكُلٌ»<sup>(١)</sup>.

في هذا الحديث: سَأَلَ عَدِيُّ بْنُ حَاتِمٍ النَّبِيَّ ﷺ أَنَّهُ يُرْسِلُ كِلَابَهُ الْمُعْلَمَةَ فَتَأْتِي بِالصَّيْدِ قَدْ قَتَلَتْهُ هَلْ يَحِلُّ أَوْ لَا؟ فَأَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّهُ يَحِلُّ لَكِنْ بِشَرَطٍ أَنْ يُسَمِّيَ اللَّهَ عَلَى ذَلِكَ، وَهَذَا نَبْذٌ فِي هَذَا الْحَدِيثِ بَحْثًا فَقْهِيًّا.

**أَوَّلًا** قَوْلُهُ: «إِذَا أُرْسِلَتْ». هَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ صَاحِبُ الْكِلَابِ هُوَ الَّذِي يُرْسِلُهَا، فَإِنْ اسْتَرْسَلَ الْكَلْبُ بِنَفْسِهِ - لَمَّا رَأَى الصَّيْدَ انْطَلَقَ عَلَيْهِ - فَهَلْ يَحِلُّ الصَّيْدُ أَوْ لَا يَحِلُّ؟

**الجواب:** ظَاهِرُ الْحَدِيثِ أَنَّهُ لَا يَحِلُّ؛ لِأَنَّهُ قَالَ: «إِذَا أُرْسِلَتْ». لَكِنْ قَالَ الْعُلَمَاءُ: إِنْ رَجَرَهُ فَاشْتَدَّ فِي عَدْوِهِ وَفِي طَلَبِهِ، فَإِنَّهُ يَحِلُّ، بِنَاءً عَلَى أَنَّ هَذَا الرَّجْرَ صَارَ سَبَبًا فِي إِسْرَاعِهِ، فَيَدُلُّ ذَلِكَ عَلَى أَنَّهُ إِنَّمَا أَمْسَكَ عَلَيْكَ وَلَمْ يُمْسِكْ لِنَفْسِهِ؛ لِأَنَّهُ انْطَلَقَ أَوَّلَ مَا رَأَى الصَّيْدَ بِدُونِ أَنْ تُرْسِلَهُ، مِنْ أَجْلِ أَنْ يَصِيدَ لِنَفْسِهِ، فَإِذَا رَجَرَتْ فَاشْتَدَّ فِي عَدْوِهِ لَطَلَبِهِ، دَلَّ ذَلِكَ عَلَى أَنَّهُ أَمْسَكَ لَكَ، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ﴾ [الأنعام: ١٤١].

**الفائدة الثانية في هذا الحديث:** أَنَّهُ قَالَ: «الْمُعْلَمَةَ». وَهِيَ الَّتِي عَلَّمْتَ الصَّيْدَ، وَقَدْ قَالَ الْعُلَمَاءُ: وَالتَّعْلِيمُ هُوَ: أَنَّهُ يَسْتَرْسِلُ إِذَا أُرْسِلَ، وَيَنْزِجُ إِذَا رُجِرَ، يَغْنِي: يَزِيدُ إِذَا طُلِبَ مِنْهُ الْوَقُوفُ، وَإِذَا أَمْسَكَ لَمْ يَأْكُلْ، فَالتَّعْلِيمُ يَحْصُلُ بِثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ: أَنَّهُ يَسْتَرْسِلُ إِذَا أُرْسِلَ وَيَنْزِجُ إِذَا رُجِرَ وَإِذَا أَمْسَكَ لَمْ يَأْكُلْ، فَإِنْ كَانَ لَا يَسْتَرْسِلُ إِذَا أُرْسِلَ، فَهَذَا لَمْ يَتَعَلَّمْ، كَذَلِكَ إِذَا أُرْسِلَتْهُ وَانْطَلَقَ عَلَى الصَّيْدِ وَرَجَرَتْهُ لِيَقِفَ لَمْ يَقِفْ، فَهَذَا لَمْ يَتَعَلَّمْ؛ لِأَنَّهُ غَيْرُ مُؤَدَّبٍ، وَإِذَا كَانَ يَسْتَرْسِلُ إِذَا أُرْسِلَ، وَيَنْزِجُ إِذَا رُجِرَ، لَكِنْ إِذَا أَمْسَكَ لَمْ يَأْتِ لَكَ إِلَّا بِنَصْفِ الصَّيْدِ، فَهَذَا أَيْضًا لَا يُوَكِّلُ مِنْ صَيْدِهِ؛ لِأَنَّهُ لَمَّا أَكَلَ مِنْهُ دَلَّ هَذَا عَلَى أَنَّهُ أَمْسَكَ لِنَفْسِهِ، وَإِنْ كَانَ قَدْ يَأْتِي بِبَقِيَّةِ الصَّيْدِ إِمَّا لِأَنَّهُ شَبِعَ، أَوْ لِأَنَّهُ يَرِيدُ أَنْ يَكُونَ شَرِيكًا لَكَ، لَكَ نَصْفُهُ وَلَهُ نَصْفُهُ، فَلَا يَحِلُّ.

**الفائدة الثالثة: قوله:** «وَذَكَرْتَ اسْمَ اللَّهِ». مَتَى تَذْكُرُ اسْمَ اللَّهِ؟ تَذْكُرُهُ إِذَا أُرْسِلَتْهُ؟ أَيْ: حِينَ إِسْرَالِهِ، لَا إِذَا رَأَيْتَهُ قَابِضًا عَلَى الصَّيْدِ - الْأَمْرُ وَاسِعٌ - إِذَا سَمَّيْتَ عَلَيْهِ إِذَا أُرْسِلَتْهُ، فَإِنَّهُ إِذَا صَادَ أَوْ أَمْسَكَ عَلَيْكَ حَلٌّ، وَفُهِمَ مِنْهُ أَنَّهُ إِذَا لَمْ يُسَمَّ اللَّهُ فَإِنَّهُ لَا يَحِلُّ، سِوَاءَ تَرَكَ التَّسْمِيَةَ نِسْيَانًا، أَوْ جَهْلًا، أَوْ عَالَمًا ذَاكِرًا، وَذَلِكَ؛ لِأَنَّ الشَّرْطَ لَا يَسْقُطُ سَهْوًا وَلَا جَهْلًا، فَإِذَا أُرْسِلَهُ وَلَمْ يُسَمَّ اللَّهُ، وَاتَى بِالصَّيْدِ فَإِنَّ الصَّيْدَ حَرَامٌ يَجِبُ تَرْكُهُ؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ اشْتَرَطَ التَّسْمِيَةَ، وَالشَّرْطُ لَا يَسْقُطُ سَهْوًا وَلَا جَهْلًا.

فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: هَذِهِ الْحَالُ يَكْثُرُ فِيهَا النِّسْيَانُ؛ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا رَأَى الصَّيْدَ ارْتَبَكَ، وَأُرْسَلَ الْكَلْبُ بِسُرْعَةٍ؛ لَثَلَا يَفُوتَهُ الصَّيْدُ، فَيَنْسَى كَثِيرًا.



**قُلْنَا:** ولو كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ، فَإِنَّهُ لَا يُعْذَرُ بِتَرْكِ هَذَا الشَّرْطِ.

فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: مَا الْجَوَابُ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦].  
وهذه قاعدة عظيمة في الشريعة الإسلامية؟

**قُلْنَا:** نقولُ بِمُوجِبِ هذه القاعدة، وأنَّ هذا الرجلَ الذي تَرَكَ التسميةَ نسيانًا، لا مؤاخذهَ عليه، لكن لو تَرَكَهَا عمدًا صارَ مؤاخَذًا، فنقولُ: بالنسبة لهذا الذي أرسل الصيدَ ونَسِيَ التسميةَ لا مؤاخذهَ عليه، ولا نُوْثْمَهُ، لكن بالنسبة لمن يأكلُ هو الذي نمنعه أن يأكلَ؛ لِأَنَّ اللَّهَ قَالَ: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يَذْكُرْ أَسْمَاءُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفُتْنٌ﴾ [الأنعام: ١٢١]. لكن لو أكل الإنسانُ مِنْ هذا الصيدِ الذي لم يسمَّ عليه، ناسيًا أو جاهلًا، هل يَأْتُمُّ أَوْ لَا يَأْتُمُّ؟

**الجوابُ:** لا يَأْتُمُّ، فحينئذٍ تنطبقُ القاعدةُ، فنقولُ: هذا الصيدُ مِنْ شرطِ حِلِّهِ التسميةُ، فإذا فُقدَ الشرطُ فُقدَ المشروطُ، كما أَنَّ الكلبَ لو استرسلَ بنفسه، فَإِنَّهُ لَا يَحِلُّ، كذلك لو استرسلَ بِإرسالِ صاحبه، ولكن لم يسمَّ فَإِنَّهُ لَا يَحِلُّ، ولا فرقُ في هذا، ومثله أيضًا المذبوحُ، إذا ذُبِحَتْ وَنُسِيَتْ أَنْ تُسَمَّى اللَّهُ، فَإِنَّ الذبيحةَ حرامٌ، ولا تحلُّ؛ لِأَنَّ التسميةَ شرطٌ للحلِّ، والشرطُ لا يسقطُ بالسهُو والجهل، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ [الأنعام: ١١٨]. وقال النبي ﷺ: «مَا أَنَهَرَ الدَّمَ وَذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ فَكُلُوا»<sup>(١)</sup>. فاشترطَ شَرْطَيْنِ: إِنْهَارَ الدَّمِ، وَذُكْرَ اسْمِ اللَّهِ، فلو أَنَّ أَحَدًا ذَبَحَ بدونَ إِنْهَارِ الدَّمِ جاهلًا، فَخَنَقَ الذبيحةَ ومَاتَتْ، وَقَدْ سَمَّى اللَّهُ عليها فلا تحلُّ، ولو كان جاهلًا؛ لِأَنَّ هذا شرطٌ، ولو أَنَّهُ نَسِيَ وَذَبَحَ بخنقٍ ثم مَاتَتْ، وَقَدْ سَمَّى اللَّهُ عليها، فَإِنَّهَا لَا تَحِلُّ؛ لِأَنَّ إِنْهَارَ الدَّمِ شرطٌ فالتسميةُ كذلك مثلُ إِنْهَارِ الدَّمِ؛ لا بدَ منها.

وقد اختلفَ العلماءُ في هذه المسألة اختلافًا كثيرًا، فمنهم مَنْ قَالَ: إِنَّ التسميةَ على الذبيحةِ والصيدِ سنةٌ وليست بشرطٍ. وهذا قولٌ ضعيفٌ جدًّا، وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ: إِنَّهَا شرطٌ في الذبيحةِ وفي الصيدِ، لكنَّها تسقطُ بالنسيانِ في الذبيحةِ، ولا تسقطُ بالنسيانِ في الصيدِ، وهذا هو المشهورُ مِنْ مذهبِ الحنابلةِ رَحِمَهُمُ اللَّهُ. واستدلُّوا بعدمِ السقوطِ في الصيدِ بِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «وَأَرْسَلْتُ كِلَابَكُمْ، وَذَكَرْتُ اسْمَ اللَّهِ». فجعلَ التسميةَ شرطًا، وأما الذبيحةُ، فالتسميةُ عليها واجبةٌ وليست بشرطٍ، فَتَسْقُطُ بالنسيانِ والجهلِ، وقال شيخُ الإسلامِ ابنُ تيميةَ رَحِمَهُمُ اللَّهُ: لَا تَسْقُطُ التسميةُ لَا فِي الصَّيْدِ وَلَا فِي الذبيحةِ، وَأَنَّهُ إِذَا نَسِيَ التسميةَ فِي الصَّيْدِ أَوْ فِي الذبيحةِ فَالصيدُ والمذبوحُ حرامٌ<sup>(٢)</sup> وقوله أصحُّ وأقعدُ. وأما التفريقُ بينِ الصيدِ والذبيحةِ، فكانَ مُقتَضَى النظرِ أَنَّ تَسْقُطَ التسميةَ فِي الصيدِ دونَ الذبيحةِ، لِأَنَّ الذبيحةَ يذبحها الإنسانُ وهو مُطْمَئِنٌّ هادئٌ النفسِ، بخلافِ الصيدِ.

(١) رواه البخاري (٢٤٨٨)، ومسلم (١٩٦٨).

(٢) انظر «مجموع فتاوى شيخ الإسلام» (٣/٢٣٩، ٢٤٠).

وَأَمَّا قَوْلُهُمْ: إِنَّ الرُّسُولَ ﷺ اشْتَرَطَ ذِكْرَ اسْمِ اللَّهِ فِي الصَّيْدِ، فنقول: وكذلك أيضًا في الذبيحة، فإنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال: «مَا أَنْهَرَ الدَّمَ وَذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ، فَكُلُوهُ، إِلَّا السِّنَّ وَالظُّفْرَ، وَسَأُحَدِّثُكُمْ عَنْ ذَلِكَ، أَمَّا السِّنُّ فَعَظْمٌ، وَأَمَّا الظُّفْرُ فَمُدَى الْحَبْشَةِ».

ثانيًا: في الحديث، قال: «إِذَا رَمَيْتَ بِالْمِعْرَاضِ وَذَكَرْتَ اسْمَ اللَّهِ فَأَصَابَ، فَخَزَقَ فَكُلْ»، وَإِنْ أَصَابَ بِعَرَضِهِ فَلَا تَأْكُلِ الْمِعْرَاضَ: مثالُ الْعَصَا، فَإِذَا رَمَيْتَ بِالْعَصَا، وَكَانَ رَأْسُهُ مُدْبِيًا فَأَصَابَ الصَّيْدَ بِرَأْسِهِ فَخَزَقَهُ حَتَّى أَنْهَرَ الدَّمَ، فَإِنَّهُ يُوْكَلُ، وَأَمَّا إِذَا صَدَمَ الصَّيْدَ، وَضَرَبَ الصَّيْدَ بِعَرَضِهِ، وَمَاتَ الصَّيْدُ، فَإِنَّهُ لَا يُوْكَلُ؛ لِأَنَّهُ دَاخِلٌ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَالْمَوْقُوذَةُ﴾ [التَّائِبَةُ: ٣٠]. وَالْمَوْقُوذَةُ: هِيَ الَّتِي تُضْرَبُ بِعَصَا أَوْ شَبهِهِ حَتَّى تَمُوتَ.

فإن رَمَى الصَّيْدَ بِحَجَرٍ، وَقَتَلَ الْحَجَرُ الصَّيْدَ بِثِقَلِهِ لَا بِحَدِّهِ، فَإِنَّهُ لَا يَحِلُّ؛ لِأَنَّهُ كَالْمِعْرَاضِ تَامًا، وَالصَّيْدُ بِالْبَنْدِيقَةِ الْمَعْرُوفَةِ الَّتِي تَقْدَفُ بِالسُّطْنِ، وَهُوَ الْحَبَاتُ الصَّغِيرَةُ، فَهَلْ يَحِلُّ؟

**الجواب:** نعم يحلُّ؛ لِأَنَّهُ لَا يَقْتُلُ بِثِقَلِهِ، وَإِنَّمَا يَقْتُلُ بِنَفْوَذِهِ، فَهُوَ كِرَاسِ السَّهْمِ، وَقَدْ اضْطَرَبَ الْعُلَمَاءُ أَوَّلَ مَا خَرَجَ هَذَا النُّوعُ مِنَ السَّهَامِ، هَلْ يَحِلُّ أَوْ لَا؟ وَلَكِنَّهُمْ أَجْمَعُوا بَعْدَ ذَلِكَ عَلَى الْحَلِّ، وَقَالُوا: كُلُّ إِنْسَانٍ يَعْرِفُ أَنَّ السُّلْطَنَةَ هَذِهِ لَوْ ضَرَبَتْ الصَّيْدَ لَمْ يَمُتْ، وَأَنَّهَا إِنَّمَا تَقْتُلُهُ بِنَفْوَذِهَا، فَيَكُونُ حَلَالًا. وَلَوْ أَنَّ الْكَلْبَ خَنَقَ الصَّيْدَ وَجَاءَ بِهِ، فَهَلْ يَحِلُّ أَوْ لَا؟

**الجواب:** فيه خلافٌ، والمشهورُ مِنَ الْمَذْهَبِ أَنَّهُ لَا بَدَّ أَنْ يَكُونَ هُنَاكَ جُرْحٌ، لقوله ﷺ: «مَا أَنْهَرَ الدَّمَ». والقولُ الثَّانِي: أَنَّهُ لَا يُشْتَرَطُ لِعَمُومِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ﴾. والاحتياطُ أَلَّا يَأْكُلَ.

\*\*\*

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٣٩٨- حَدَّثَنَا يُونُسُ بْنُ مُوسَى، حَدَّثَنَا أَبُو خَالِدٍ الْأَحْمَرُ، قَالَ: سَمِعْتُ هِشَامَ بْنَ عُرْوَةَ، يُحَدِّثُ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ هُنَا أَقْوَامًا حَدِيثًا عَهْدُهُمْ بِشْرِكَ، يَأْتُونَا بِلُحْمَانٍ لَا نَدْرِي يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا أَمْ لَا. قَالَ: «اذْكُرُوا أَنْتُمْ اسْمَ اللَّهِ وَكُلُوا». تَابِعَهُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، وَالدَّرَاوَزِيُّ، وَأَسَامَةُ بْنُ حَفْصٍ.

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «الْفَتْحِ»:

قَوْلُهُ فِيهِ: «تَابِعَهُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ». هُوَ الطَّافَاوِيُّ، وَعَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ مُحَمَّدٍ، هُوَ: الدَّرَاوَزِيُّ، وَأَسَامَةُ بْنُ حَفْصٍ هُوَ: الْمَدَنِيُّ، وَتَقَدَّمَ فِي الذَّبَائِحِ بَيَانُ مَنْ وَصَلَهَا، وَطَرِيقُ الدَّرَاوَزِيِّ وَصَلَهَا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عَمْرِو الْعَدَنِيِّ فِي «مُسْنَدِهِ». عَنْهُ، وَتَقَدَّمَ الْقَوْلُ فِي هَذَا السَّنَدِ بِأَشْبَحَ مِنْ هَذَا هُنَا<sup>(١)</sup>.

قَوْلُهُ: «لَا نَدْرِي يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا أَمْ لَا. قَالَ: اذْكُرُوا أَنْتُمْ اسْمَ اللَّهِ وَكُلُوا».



في هذا من الفوائد الفقهية:

أَنَّ الفعلَ إِذَا وَقَعَ مِنْ أَهْلِهِ، فَإِنَّ الْأَصْلَ فِيهِ السَّلَامَةُ، فَالْبَيْعُ إِذَا وَقَعَ مِنْ جَائِزِ التَّصَرُّفِ، فَلَا أَصْلَ فِيهِ السَّلَامَةُ، وَأَنَّهُ يَمْلِكُ الْبَائِعُ، وَلَا يَحْتَاجُ أَنْ نَقُولَ: أَثْبَتَ، وَكَذَلِكَ الْهَبَةُ وَجَمِيعُ الْعُقُودِ وَالْأَفْعَالِ أَيْضًا، إِذَا صَدَرَتْ مِنْ أَهْلِهَا، فَإِنَّ الْأَصْلَ فِيهَا السَّلَامَةُ.

وفيه أَيْضًا: أَنَّ الذَّبَائِحَ إِذَا كَانَ أَهْلًا لِلذَّبْحِ وَشَكَّكُنَا هَلْ سَمَّى أَمْ لَا؟ فَإِنَّا لَا نَلْتَفِتُ إِلَى هَذَا الشَّكِّ، بِنَاءً عَلَى أَنَّ الْأَصْلَ: السَّلَامَةُ، وَلِهَذَا لَمَّا سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ عَنْ ذَبَائِحِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ الَّذِينَ هُمْ حَدِيثُوا عَهْدَ بِشْرِكٍ، وَالْغَالِبُ أَنَّ حَدِيثَ الْعَهْدِ بِالشَّرِكِ لَا يَعْرِفُ أَحْكَامَ الْإِسْلَامِ، وَمَعَ ذَلِكَ، قَالَ: «سَمُّوْا أَنْتُمْ وَكُلُّوْا». أَي: اذْكُرُوا أَنْتُمْ اسْمَ اللَّهِ وَكُلُّوْا، فَدَلَّ ذَلِكَ عَلَى أَنَّ الذَّبِيحَةَ إِذَا ذَبَحَهَا مَنْ هُوَ أَهْلٌ لِلذَّبْحِ، لَا تَسْأَلُ هَلْ سَمَّى أَمْ لَا؛ لِأَنَّ الْأَصْلَ أَنَّ ذَبِيحَتَهُ حَلَالٌ، وَكَذَلِكَ لَا تَسْأَلُ كَيْفَ ذَبَحَ، هَلْ ذَبَحَ بِالسَّكِينِ، أَوْ بِخَنِيٍّ، أَوْ بِغَيْرِ ذَلِكَ لَا نَسْأَلُ؛ لِأَنَّ التَّسْمِيَةَ شَرْطٌ، وَإِنْهَارَ الدَّمِ شَرْطٌ، وَإِذَا كُنَّا لَا نَسْأَلُ عَنِ التَّسْمِيَةِ، فَإِنَّا لَا نَسْأَلُ عَنِ إِهْوَاجِ الدَّمِ، وَلَا فَرْقٍ، فَإِذَا أَطْعَمْنَا يَهُودِيٍّ، أَوْ نَصْرَانِيٍّ لَحْمًا، فَهَلْ نَأْكُلُ، أَوْ نَقُولُ: كَيْفَ ذَبَحْتَ؟ وَهَلْ سَمَّيْتَ؟ لَا نَقُولُ هَذَا، وَإِنَّمَا نَأْكُلُ، وَلَكِنْ نُسَمِّي.

وَيُشْعِرُ هَذَا الْحَدِيثُ بِفَحْوَاهُ، بِانْتِفَاءِ السُّوَالِ؛ لِأَنَّهُ لَمَّا قَالَ: «سَمُّوْا أَنْتُمْ وَكُلُّوْا». لَيْسَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَبْحَثُوا عَنْ فِعْلٍ غَيْرِكُمْ، فَإِنَّ هَذَا مِنَ التَّعَمُّقِ وَمِنَ التَّنَطُّعِ، وَلَكِنْ أَنْتُمْ سَمُّوْا عَلَى فِعْلِكُمْ، وَلَا تَبْحَثُوا عَنْ فِعْلٍ غَيْرِكُمْ، وَهَذَا هُوَ الْمَوَافِقُ لِلشَّرِيعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، أَنَّ الْإِنْسَانَ لَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَتَنَطَّعَ وَيَتَعَمَّقَ مَا دَامَ الْفِعْلُ صَدَرَ مِنْ أَهْلِهِ فَلَا يَبْحَثُ.

❦ وَقَوْلُهُ: «سَمُّوْا أَنْتُمْ وَكُلُّوْا». هَلْ مُرَّاهُ التَّسْمِيَةَ عَلَى الذَّبْحِ الَّذِي هُوَ فِعْلٌ غَيْرُهُمْ، أَوْ عَلَى الْأَكْلِ الَّذِي هُوَ فِعْلُهُمْ؟

**الجواب:** المرادُ هُوَ الثَّانِي؛ لِأَنَّ التَّسْمِيَةَ وَالذَّبْحَ لَا فَايِدَةَ مِنْهَا، فَقَدْ انْتَهَى الذَّبْحُ، فَالتَّسْمِيَةُ هُنَا عَلَى الْأَكْلِ الَّذِي هُوَ فِعْلُنَا، وَفِي هَذَا مِنْ يُسِّرُ الشَّرِيعَةُ الْإِسْلَامِيَّةَ وَسَهَوَاتِهَا مَا فِيهِ، وَأَنَّ الْإِنْسَانَ لَا يُكَلِّفُ أَنْ يَبْحَثَ، وَلَوْ أَنَّنَا كَلَّفْنَا أَنْ تَبْحَثَ لَصَافَتْ عَلَيْنَا الْأُمُورَ؛ لِأَنَّنَا نَقُولُ: مَنْ ذَبَحَ هَذَا؟ إِنَّهُ فَلَانٌ، ابْحَثُوا هَلْ هُوَ يُصَلِّي أَوْ لَا يُصَلِّي، وَابْحَثُوا أَيْضًا هَلْ هُوَ قَدْ تَمَلَّكَ هَذِهِ الذَّبِيحَةَ عَلَى وَجْهِ شَرْعِيٍّ أَوْ لَا؟ فَإِنْ قَالُوا: نَعَمْ، اشْتَرَاهَا مِنْ فَلَانٍ، نَقُولُ: كَيْفَ جَاءَتْ؟ فَإِنْ قَالُوا: اسْتَوْهَبَهَا مِنْ فَلَانٍ، فنَقُولُ لِلْوَاهِبِ: كَيْفَ جَاءَتْ، قَالَ مَثَلًا: عِوَضَ خُلْعٍ مِنْ أَمْرَأَتِي. فنَقُولُ: مِنْ أَيْنَ جَاءَ الْمَرَأَةُ. وَبَقِينَا نَتَسَلَّلُ، إِلَى مَا لَا نِهَآيَةَ لَهُ. لَكِنْ مِنْ لَطْفِ اللَّهِ ﷻ أَنَّنَا لَا نَتَعَمَّقُ هَذَا التَّعَمُّقَ، فَلَا أَصْلَ فِي التَّصَرُّفِ الْوَاقِعِ مِنْ جَائِزِ التَّصَرُّفِ السَّلَامَةُ وَالصَّحَّةُ، إِلَّا أَنْ تَتَيَقَّنَ أَنَّهُمْ لَمْ يُسَمُّوْا أَوْ لَمْ يُنْهَرُوا الدَّمُ، فَلَا تَأْكُلُ، وَلَكِنْ إِذَا شَكَّكُنَا هَلْ الذَّبَائِحُ مِمَّنْ تَحِلُّ ذَبِيحَتُهُ أَوْ لَا؟

**الجواب:** نَقُولُ: إِنْ كَانَ هُنَاكَ أَصْلٌ نَبْنِي عَلَيْهِ، بَنَيْنَا عَلَى الْأَصْلِ، مِثْلَ أَنْ نُشَكَّ فِي رَجُلٍ مُسْلِمٍ هَلْ هُوَ يُصَلِّي أَوْ لَا يُصَلِّي، فَلَا أَصْلَ الصَّلَاةِ، أَمَا إِذَا لَمْ يَكُنْ لَدَيْنَا أَصْلٌ مِثْلَ أَنْ شَكَّكُنَا فِي الْقَائِمِينَ عَلَى

المَجْزِرِ هل هم مُسْلِمُونَ أو مُشْرِكُونَ، أو شُيُوعِيُونَ، أو مَجُوسِيُونَ، فهل نَأْكُلُ أو لا نَأْكُلُ؟  
**الجواب:** لا نَأْكُلُ؛ لَأَنَّا الْآنَ شَكَكْنَا فِي أَهْلِيَةِ الذَّبِيحِ، لا في الشُّرُوطِ الَّتِي تَتَرْتَّبُ عَلَى ذَبْحِهِ،  
 فحِينَئِذٍ لَا نَأْكُلُهَا.

والمَجُوسِيُّ، لَا تَحِلُّ ذَبِيحَتُهُ، وَقَدْ قِيلَ لِلْإِمَامِ أَحْمَدَ: إِنَّ أَبَا ثَوْرٍ يَرَى أَنَّ الْمَجُوسِيَّ تَحِلُّ ذَبِيحَتُهُ.  
 فَقَالَ: أَبُو ثَوْرٍ كَاسِمُهُ <sup>(١)</sup>، نَعَمْ شَدَّدَ فِي هَذَا؛ لِأَنَّ مَا قَالَهُ خِلَافُ الْإِجْمَاعِ، فَلَمْ يَقُلْ أَحَدٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ، إِنَّ  
 الْمَجُوسَ تُنَكِّحُ نِسَاؤُهُمْ، أَوْ تَحِلُّ ذَبَائِحُهُمْ، وَلِهَذَا نَقُولُ: إِنَّهُ لَا تَحِلُّ ذَبِيحَةُ الْمَجُوسِيِّ، وَلَا تُنَكِّحُ  
 نِسَاؤُهُمْ، وَإِنْ كَانَ تَوَخَّذَ مِنْهُمْ الْجَزِيَّةُ؛ لِأَنَّ الْجَزِيَّةَ عَلَى الْقَوْلِ الرَّاجِحِ تَوَخَّذُ مِنْ كُلِّ كَافِرٍ، مِنْ  
 الْمَجُوسِيِّ، وَالْيَهُودِيِّ، وَالنَّصْرَانِيِّ، وَالشُّوعِيِّ وَغَيْرِهِمْ. وَلَوْ أَنَّ الْكِتَابِيَّ أَوْ الْمُسْلِمَ أَعَانَ مُشْرِكًا عَلَى  
 الذَّبْحِ، هَلْ تَحِلُّ الذَّبِيحَةُ؟

**الجواب:** نَقُولُ: الْمَعُونَةُ إِنْ كَانَتْ عَلَى الذَّبْحِ نَفْسِهِ فَإِنَّهَا لَا تَحِلُّ؛ لِأَنَّهُ اجْتَمَعَ فِي هَذَا الْفِعْلِ مُبِيحٌ  
 وَحَاضِرٌ، بِمَعْنَى: أَنَّ الْأَثْنَيْنِ أَمْسَكَا بِالسَّكِينِ وَذَبَحَاهُ، فَهَنَّا لَا تَحِلُّ الذَّبِيحَةُ، أَمَّا لَوْ نَاوَلَّ مَنْ لَا تَحِلُّ  
 ذَبِيحَتُهُ السَّكِينِ، مَنْ تَحِلُّ ذَبِيحَتُهُ فَذَبَحَ، فَإِنَّهَا تَحِلُّ، وَكَذَلِكَ لَوْ ذَبَحَ فَأَنْهَرَ الدَّمَ ثُمَّ كَمَلَ الذَّبْحَ مَنْ لَا  
 تَحِلُّ ذَبِيحَتُهُ، فَهَذَا حَلَالٌ.



ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٣٩٩- حَدَّثَنَا حَفْصُ بْنُ عُمَرَ، حَدَّثَنَا هِشَامٌ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسٍ، قَالَ: صَحَّى النَّبِيُّ ﷺ

بِكَبْشَيْنِ، يُسَمَّى وَيَكْبَرُ <sup>(١)</sup>.

وَالشَّاهِدُ قَوْلُهُ: يُسَمَّى وَيَكْبَرُ. فَذَبَحَ بِاسْمِ اللَّهِ.

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٤٠٠- حَدَّثَنَا حَفْصُ بْنُ عُمَرَ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ بْنُ الْأَسْوَدِ بْنِ قَيْسٍ، عَنْ جُنْدَبٍ، أَنَّهُ شَهِدَ النَّبِيَّ ﷺ

يَوْمَ النَّحْرِ صَلَّى ثُمَّ خَطَبَ: فَقَالَ، «مَنْ ذَبَحَ قَبْلَ أَنْ يُصَلِّيَ فَلْيَذْبَحْ مَكَانَهَا أُخْرَى، وَمَنْ لَمْ يَذْبَحْ  
 فَلْيَذْبَحْ بِاسْمِ اللَّهِ» <sup>(٢)</sup>.

**الشَّاهِدُ قَوْلُهُ:** «فَلْيَذْبَحْ بِاسْمِ اللَّهِ». وَفِي هَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الشَّرْطَ لَا يَسْقُطُ بِالْجَهْلِ؛ لِقَوْلِهِ: «مَنْ  
 ذَبَحَ قَبْلَ أَنْ يُصَلِّيَ فَلْيَذْبَحْ مَكَانَهَا أُخْرَى». فَإِنَّ عَمُومَهُ يَقْتَضِي أَنَّهُ وَإِنْ كَانَ جَاهِلًا، وَلِهَذَا لَمَّا قَالَ أَبُو  
 بُرْدَةَ بْنُ نِيَارٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي ذَبَحْتُ قَبْلَ أَنْ آتِيَ إِلَى الصَّلَاةِ مِنْ أَجْلِ أَنْ يَطْعَمَ أَهْلِي وَيَأْكُلُوا. يَعْنِي

(١) انظر «المغني» لابن قدامة (٢٩٦/١٣).

(٢) رواه مسلم (١٩٦٦).

(٢) رواه مسلم (١٩٦٠).



مُبَكِّرِينَ، فَأَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يَذْبَحَ بِذَكَاةِهَا، وَقَالَ لَهُ: «إِنَّ شَاتَكَ شَاةٌ لَحْمٌ»<sup>(١)</sup>. مع أَنَّهُ كَانَ جَاهِلًا، لَكِنِ الشَّرْطُ لَا يَسْقُطُ بِالْجَهْلِ، كَمَا ذَكَرْنَا قَبْلَ ذَلِكَ.

قَالَ: «وَمَنْ لَمْ يَذْبَحْ فَلْيَذْبَحْ بِاسْمِ اللَّهِ». اسْتَنْبَطَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ مِنْ قَوْلِهِ ﷺ: «فَلْيَذْبَحْ بِاسْمِ اللَّهِ». أَنَّ الْجَارَّ وَالْمَجْرُورَ فِي الْبَسْمَلَةِ يُبْغِي أَنْ يَكُونَ مُتَعَلِّقُهُ فِعْلًا مُنَاسِبًا لِلْعَمَلِ الَّذِي ابْتَدَأَتْهُ بِالتَّسْمِيَةِ، فَمَثَلًا إِذَا أَرَادَ الْإِنْسَانُ تَوْضُؤًا، وَقَالَ: بِسْمِ اللَّهِ. فَمُتَعَلِّقُ الْبَسْمَلَةِ: اتَّوَضُّأَ، وَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَدْخُلَ الْمَسْجِدَ، يَقُولُ: بِسْمِ اللَّهِ أَذْخُلُ.

\*\*\*

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ يَحْتَفِلُهُ:

٧٤٠١- حَدَّثَنَا أَبُو نَعِيمٍ، حَدَّثَنَا وَرْقَاءُ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دِينَارٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ

ﷺ: «لَا تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ، وَمَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ بِاللَّهِ»<sup>(١)</sup>.

❖ قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «لَا تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ». إِنَّمَا خَصَّ الْآبَاءَ؛ لِأَنَّهُ الْغَالِبُ، فَقَدْ كَانُوا يَحْلِفُونَ بِآبَائِهِمْ، ثُمَّ أَرَشَدَ لِمَا نَهَى عَنِ الْحَلْفِ بِالْآبَاءِ، أَرَشَدَ إِلَى ذِكْرِ مَنْ يُحْلَفُ بِهِ، وَهُوَ اللَّهُ، وَقَالَ: «وَمَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ بِاللَّهِ». فَدَلَّ ذَلِكَ عَلَى تَحْرِيمِ الْحَلْفِ بِالْآبَاءِ، وَمِثْلُهُ الْحَلْفُ بِأَيِّ مَخْلُوقٍ كَانَ؛ لِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللَّهِ فَقَدْ كَفَرَ أَوْ أَشْرَكَ»<sup>(٢)</sup>. حَتَّى بِالرَّسُولِ ﷺ لَا يَجُوزُ الْحَلْفُ بِهِ، حَتَّى بِجَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَتَّى بِالْعَرْشِ، أَوْ أَيِّ مَخْلُوقٍ، فَإِنَّهُ لَا يَجُوزُ الْحَلْفُ بِهِ، فَمَنْ حَلَفَ بِهِ فَقَدْ أَشْرَكَ. قَالَ الْحَافِظُ أَبُو حَجَرٍ فِي «الْفَتْحِ»:

حَدِيثُ ابْنِ عُمَرَ: «لَا تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ». تَقَدَّمَ شَرْحُهُ فِي الْأَيَّامِ وَالنُّزُورِ، قَالَ: نَعِيمُ بْنُ حَمَادٍ، فِي «فِي الرَّدِّ عَلَى الْجَهْمِيَّةِ». ذَلَّتْ هَذِهِ الْأَحَادِيثُ -يَعْنِي الْوَارِدَةَ فِي الْاسْتِعَاذَةِ بِأَسْمَاءِ اللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ، وَالسُّؤَالِ بِهَا، مِثْلَ حَدِيثِ الْبَابِ وَحَدِيثِ عَائِشَةَ وَأَبِي سَعِيدٍ «بِاسْمِ اللَّهِ أَرْقِيكَ» وَكِلَاهُمَا عِنْدَ مُسْلِمٍ، وَفِي الْبَابِ، عَنْ عُبَادَةَ، وَمِمْوْنَةَ وَأَبِي هُرَيْرَةَ، وَغَيْرِهِمْ عِنْدَ النَّسَائِيِّ، وَغَيْرِهِ بِأَسَانِيدٍ جَيِّدَةٍ- عَلَى أَنَّ الْقُرْآنَ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، إِذْ لَوْ كَانَ مَخْلُوقًا لَمْ يُسْتَعَذَّ بِهَا، إِذْ لَا يُسْتَعَاذُ بِمَخْلُوقٍ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾ [الْأَنْعَامُ: ٢٢٠]. وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «وَإِذَا اسْتَعَذْتَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ». وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي كِتَابِ «السَّنَةِ». قَالَتِ الْجَهْمِيَّةُ لِمَنْ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَزَلْ بِأَسْمَاءٍ وَصِفَاتِهِ، قُلْتُمْ بِقَوْلِ النَّصَّارَى حَتَّى جَعَلُوا مَعَهُ غَيْرَهُ، فَأُجَابُوا بِأَنَّا نَقُولُ: إِنَّهُ وَاحِدٌ بِأَسْمَاءٍ وَصِفَاتِهِ... إِلَى آخِرِهِ<sup>(٣)</sup>.

يُمْكِنُ أَنْ يُقَالَ فِي مُطَابَقَتِهِ لِلتَّرْجَمَةِ، وَإِنْ كَانَ مِنْ وَجْهِ بَعِيدٍ أَنْ يُقَالَ: الْحَلْفُ بِاللَّهِ تَعْظِيمٌ لَهُ فَيَكُونُ فِي هَذَا تَعْظِيمٌ

(١) رواه مسلم (٦٩١) (٤).

(٢) رواه مسلم (٤٦٤٦) (٣).

(٣) رواه الترمذي (١٥٣٥)، وأحمد (٣٤/٢)، وأبو داود (٣٢٥١)، وصححه الشيخ الألباني في تعليقه على «سنن أبي داود».

(٤) انظر «فتح الباري» (١٣/٣٨١).

له أساء الله، وإذا عظممت أساء الله صارت محلاً للاستعاذة. من هذا الوجه ممكن، لكن فيه شيء من البعد، ثم إن قوله: إن الاستعاذة لا تكون للمخلوق، ليس هذا على إطلاقه، بل الاستعاذة بالمخلوق فيما يقدر عليه جائزة، وفي ذلك أحاديث منها: فعاذت المخزومية بأُم سلمة<sup>(١)</sup>، ويعوذ عائذ بالبيت<sup>(٢)</sup>، من كان متعوذاً<sup>(٣)</sup>، فمن وجد فيها ملجأ أو معاذاً<sup>(٤)</sup>.

فإن قال قائل: كيف نجمع بين نهي الرسول ﷺ عن الحلف بالآباء مع أنه حلف ﷺ، فقال: «أفلح وأبيه إن صدق». في قصة الرجل الذي سأل عن الإسلام، فقال: والله، لا أزيد على هذا، ولا أنقص. فقال الرسول ﷺ: «أفلح وأبيه، إن صدق».

**الجواب:** وقد اختلفت أجوبة العلماء في هذا: فقال بعضهم: إن في هذا تصحيحاً، وأن الأصل أفلح والله، لكن لما كان بالأول لا يقطعون الكلمات، ولا يصنعون عليها حركات، صارت والله. «أفلح والله إن صدق». قريباً من أبيه. ولا شك أن هذا خطأ؛ لأن الأحاديث رويت بالنقل بالقول، والنقل بالكتابة، والذين رَوَوْها رَوَوْها: «أفلح وأبيه».

قال بعضهم: هذا قبل النهي عن الحلف بالآباء، وهذا القول يحتاج إلى شاهد، هو التاريخ. وقال بعض العلماء: إن هذا مما يجري على اللسان بلا قصد، فهو كقوله: «نكثت أملك يا معاذ»<sup>(٥)</sup>.

هذه ثلاثة أقوال، وقال بعض العلماء:

إن النبي ﷺ يستحيل أن يكون في قلبه من تعظيم المحلوف به، مثل ما يكون في قلب غيره، وعلى هذا فيكون مستثنى.

وهذه أربعة أقوال ورشحوا هذا القول يعني قوّه بأن النبي ﷺ لم يحلف بأبيه، بل حلف بأبي غيره، فلا يكون في قلبه من التعظيم ما يكون في قلب من حلف بأبيه؛ لأن من حلف بأبيه يحلف بشخص هو عنده في قمة العظمة والعزة والافتخار به، بخلاف من حلف بأبي غيره، فإنه لا يكون في قلبه له مثل ما يكون في قلبه لأبيه.

ويَحْتَمِلُ أَنْ نقول: هذا من المتشابه، وعندنا ما هو محكم، والواجب عند الاشتباه أن نرجع إلى المحكم ونقول: الله أعلم، فقد يكون هذا من خصائص الرسول أو نسياناً أو قبل التحريم، أو مما يجري على اللسان بلا قصد، كل هذا مُحْتَمِلٌ، فما دام مُحْتَمِلًا وعندنا شيء واضح مُحْكَمٌ، فالواجب الرجوع إلى المحكم.

(١) مسلم (١٦٨٩).

(٢) أخرجه مسلم (٢٨٨٢).

(٣) تقدم تحريجه.

(٤) تقدم تحريجه.

(٥) أخرجه الترمذي (٢٦١٦)، والنسائي في «الكبرى» (١٣٩٤). وابن ماجه (٣٩٧٣).



ومن قال: إِنَّ الرسولَ قصدَ ربَّ أبيه فهذا بعيدٌ، فالأصلُ عدمُ هذا التقديرِ.  
وقد وقعت روايةٌ بحذفِها وحينئذٍ فلا إشكالَ ويُنظرُ أيُّها أوثقُ، مَنْ أثبتَّها، أو مَنْ حَذَفَها، فإذا  
كَانَ مَنْ أثبتَّها أوثقُ، فلا بدَّ مِنَ الإجابةِ على الإشكالِ، وإذا كَانَ مَنْ حَذَفَها أوثقُ، صَارَ هذا شاذًّا،  
وأرى أَنَّ الرَّاجحَ أَنَّهُ محكمٌ ومتشابهٌ.

\*\*\*

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٤ - باب ما يُذكرُ في الذاتِ والنُعوتِ وأَساميِ اللَّهِ.

وقال: حُجِيبٌ: وذلك في ذاتِ الإله. فذكرَ الذاتَ بِاسْمِهِ تعالى.

يَعْنِي: هل تَطْلُقُ الذاتُ على اللَّهِ ﷻ؟ وهل الربُّ ﷻ ذاتُه مُجَرَّدَةٌ عن الصفاتِ؟ لا، ولهذا قال  
البخاريُّ رَحِمَهُ اللَّهُ في الذاتِ والنُعوتِ، والنُعوتُ هي الأوصافُ، قال: وأَساميِ اللَّهِ، فهنا ذاتٌ، واسمٌ،  
وصفةٌ فكلُّها ثابتةٌ لِلَّهِ، فإذا قلتَ اللَّهُ الخالقُ، فالخالقُ تدلُّ على ذاتٍ وهي اسمٌ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ، ويدلُّ  
على صفةٍ، ولهذا لا يُمكنُ أَنْ نقولَ: إِنَّ اللَّهَ ذاتٌ مُجَرَّدَةٌ عن الصفاتِ، كما قاله مَنْ يَقولُهُ مِنْ غُلَاةِ  
الجهميةِ وغيرِهم، وقالوا: إِنَّه لا يجوزُ أَنْ نثبتَ صفاتٍ بل هو ذاتٌ فَقَطْ؛ لأنَّ إثباتَ الصفاتِ  
القديمةِ - على حدِّ قولهم - يَفْتَضِي إثباتَ قدماءٍ مُتَعَدِّدين، وإثباتُ قدماءٍ مُتَعَدِّدين شركٌ، مثالُ ذلك:  
إذا قلتَ: أنا أثبتُّ لِلَّهِ ذاتًا وأثبتُّ العزةَ له، عزةٌ قديمةٌ لم يزلْ ولا يزالُ عَزِيْزًا، وأثبتُّ القدرةَ له، وأثبتُّ  
العلمَ، وأثبتُّ السَّمْعَ، وأثبتُّ البصرَ، وكلُّها قديمةٌ. يَقولون: هذا شِرْكُ، النَّصَارَى أَشْرَكُوا بِاثْنَيْنِ،  
وأنتَ أشركتَ بعددٍ كثيرٍ.

إذن لا يجوزُ أَنْ نثبتَ لِلَّهِ صفةً هي قديمةٌ، ولا يجوزُ أَنْ نثبتَ له صفةً حادثةً، أيضًا؛ لأنَّا لو أثبتنا  
صفةً حادثةً لَزِمَ قيامُ الحوادثِ به، وما قامتَ به الحوادثُ فهو حادثٌ، قالوا: وترتبَ على اعتقادِهِم  
هذا أن قالوا: ليس لِلَّهِ صفاتٌ، وإنَّما هو ذاتٌ مُجَرَّدَةٌ عن الصفاتِ.

والبخاريُّ رَحِمَهُ اللَّهُ بَيَّنَّ أَنَّ هناكَ ذاتًا، وهناكَ نعوتًا، وهي الصفاتُ، وهناكَ أَساميِ، كُلُّها ثابتةٌ لِلَّهِ ﷻ،  
الذاتُ والاسمُ والصفةُ، ومستحيلُ أَنْ توجَدَ ذاتٌ مُجَرَّدَةٌ عن الصفاتِ، لو لم يكنْ مِنْ صفاتها إِلَّا صفةُ  
الوجوبِ لكانَ كافيًا؛ لأنَّ كُلَّ عَيْنٍ قائمةٍ بِنَفْسِها؛ لا بدَّ أَنْ يكونَ لها صفةٌ، فإن قلتَ: لا أَصِفُهُ بالوجودِ.  
قُلْنَا: ما ضِدُّ الوجودِ؟

الجوابُ: العدمُ، إذن فأنَّتِ وَصَفَتُهُ بالعدمِ، فإن قال: أنفي الوجودَ والعدمَ.

قُلْنَا: هذا مستحيلٌ؛ لأنَّ الوجودَ والعدمَ نَقِيضَانِ، والنقيضانِ لا يَتَفَقَّانِ أَبَدًا، لا بدَّ لكلِّ شيءٍ مِنْ  
وجودٍ أو عدمٍ، أمَّا أَنْ نقولَ: لا موجودٌ ولا معدومٌ، ولا نَصِفُهُ بالوجودِ ولا بالعدمِ. فهذا شيءٌ  
مستحيلٌ، والعجبُ أَنْ هؤلاءِ - نسألُ اللَّهَ العافيةَ - يُسَبِّهُونَهُ بالشَّيْءِ الممتنعِ الذي لا يَقولُ به أحدٌ؛  
لأنَّهم إذا قالوا: لا نَصِفُهُ بالوجودِ ولا بالعدمِ. سَبَّهوه بالمتنعاتِ، ولو أَنَّهُمْ سَلَكَوا مسلكَ السلفِ،

وقالوا: آمَنَّا بالله، وصَدَقْنَا بكلِّ ما وَصَفَ اللهُ به نَفْسَهُ؛ لَوَجَدُوا الراحةَ القَلْبِيَّةَ ولَأَصَابُوا الحَقَّ، وهو سهلٌ ويسيرٌ، ولهذا لا تجدُ هذا التعمقَ وهذا التنطعَ عند الصحابةِ رضي الله عنهم، فما حصلَ التعمقُ والتنتعُ والإيراداتُ والإشكالاتُ إلا بعدَ أن خاضَ الإنسانُ فيما لا يَعْنِيهِ.

❖ وقولُ حُبيِّبٍ: «وذلك في ذاتِ الإله»: فذكرَ الذاتَ باسمِها تعالى. فأثبتَ اللهُ الذاتَ، وذلك في ذاتِ الإلهِ، فأثبتَ الذاتَ والاسمَ، وهذه المسألةُ سَيَأْتِي -إِنْ شاءَ اللهُ- الكلامُ عليها مبسوطاً؛ لأنَّ مِنَ الناسِ مَنْ أنكرَ أن نقولَ: إِنَّ لله ذاتاً. بناءً على أَنَّ الأصلَ أَنَّ الذاتَ في اللِّغَةِ العَرَبِيَّةِ لا تأتي بِمَعْنَى العَيْنِ، وإنَّمَا تأتي بِمَعْنَى الصَّاحِبِ، فنقولُ: ذاتُ الشيء. أي: صاحِبَةُ الشيء، ونقولُ: امرأةُ ذاتُ جمالٍ، والدارُ ذاتُ الاتساعِ، وما أشبه ذلك، فهي بِمَعْنَى صاحِبَةٍ ولا تأتي بِمَعْنَى الشيء القائمِ بنفسِه، ولكنَّ هذا القولَ المردودَ بمثل ما قالَ البخاريُّ رحمته الله في قولِ حُبيِّبٍ: وذلك في ذاتِ الإلهِ. وعارضوا بأنَّ المرادَ بالذاتِ الجهةَ، فذاتُ الإلهِ؛ يَعْنِي: الجهةَ، وسَيَأْتِي -إِنْ شاءَ اللهُ- الكلامُ على هذا مبسوطاً.



ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رحمته الله:

٧٤٠٢- حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ عَنِ الزُّهْرِيِّ، أَخْبَرَنِي عَمْرُو بْنُ أَبِي سُفْيَانَ بْنِ أَبِي سَيْدٍ بْنِ جَارِيَةَ الثَّقَفِيِّ، حَلِيفُ لَيْثِي زُهْرَةَ، وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ قَالَ: بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَشْرَةَ، مِنْهُمْ حُبيِّبُ الْأَنْصَارِيِّ، فَأَخْبَرَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عِيَّاضٍ أَنَّ ابْنَةَ الْحَارِثِ أَخْبَرَتْهُ أَنَّهُمْ حِينَ اجْتَمَعُوا اسْتَعَارَ مِنْهَا مُوسَى يَسْتَحِدُّ بِهَا، فَلَمَّا خَرَجُوا مِنَ الْحَرَمِ لِيَقْتُلُوهُ قَالَ حُبيِّبُ الْأَنْصَارِيِّ:

وَلَسْتُ أَبَالِي حِينَ أَقْتُلُ مُسْلِمًا عَلَى أَى شَيْءٍ كَانَ لِلَّهِ مَضْرَعِي  
وَذَلِكَ فِي ذَاتِ الْإِلَهِ وَإِنْ يَشَاءُ يُبَارِكْ عَلَى أَوْصَالِ شَيْلُو مُنَزَعٍ

فَقَتَلَهُ ابْنُ الْحَارِثِ فَأَخْبَرَ النَّبِيَّ ﷺ أَصْحَابُهُ خَبَرَهُمْ يَوْمَ أُصِيبُوا.

ترجمة الباب اشتملت على كلمات ثلاث: الذات، والنعوت، والأسماء.

❖ أمَّا النعوتُ فهي الأوصافُ، فأوصافُ اللهِ تعالى تُسَمَّى نُعُوتًا، كما تُسَمَّى أوصافًا. فنقولُ مثلاً: نعتَ اللهُ نَفْسَهُ بكذا وكذا، أي: وَصَفَ.

❖ وأمَّا الأسماءُ؛ أسماءُ اللهِ، فأمرها معلومٌ، فقد سَمَّى اللهُ نَفْسَهُ بأسماءٍ كثيرةً، وجعلَ منها تسعةً وتسعينَ اسمًا مِنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ.

❖ أمَّا الذاتُ، فالذاتُ كلمةٌ اختلفَ علماءُ اللِّغَةِ هل هي فصيحَةٌ مِنَ العَرَبِيَّةِ، أو هي مولدةٌ وليستَ بعربيةٍ؟ من جهةِ استعمالِها بِمَعْنَى النفسِ، وأكثرُ المحققينَ على أَنَّها مُولَّدةٌ، وليستَ مِنَ العَرَبِيَّةِ في شيءٍ، وإنَّما هي مِنَ مصطلحِ أهلِ الكلامِ، جعلوها بدلًا عن كلمةِ النفسِ، فنقولُ مثلاً: جاءَ زيدٌ نَفْسَهُ، أو: جاءَ زيدٌ ذَاتَهُ. يَجْعَلُونَهَا بدلًا عنها، ولكنَّها ليستَ مِنَ كلامِ العربِ العَرَبِ، كما قالَ



وَتُسْتَعْمَلُ بِمَعْنَى «التي» عِنْدَ طِيءٍ فَيَجْعَلُونَ «ذات» بِمَعْنَى «التي» كَمَا يَجْعَلُونَ «ذو» بِمَعْنَى «الذي» وَعَلَيْهِ قَوْلُ الشَّاعِرِ:

فَإِنَّ الْمَاءَ مَاءُ أَبِي وَجَدِّي وَيُنْهَرِي ذُو حَفَرْتُ وَذُو طَوَيْتُ<sup>(١)</sup>  
أَيُّ: يَنْهَرِي الَّذِي حَفَرْتُ وَالَّذِي طَوَيْتُ. وَيُقَالُ: جَاءَتْ ذَاتُ أَرْضَ صَعْتٍ وَلَكَّهَا. أَيُّ: الَّتِي أَرْضَعَتْ وَلَكَّهَا.

وَتَأْتِي بِمَعْنَى «جهة» وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَنَقَلْنَاهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ﴾ [الكهف: ١٨]. أَيُّ: جِهَةُ الْيَمِينِ وَجِهَةُ الشِّمَالِ.

وَيُمْكِنُ أَنْ يُحْمَلَ عَلَيْهَا قَوْلُ خُبَيْبِ بْنِ خُثَيْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وَذَلِكَ فِي ذَاتِ الْإِلَهِ». وَقَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ فِي إِبْرَاهِيمَ: «كَذَبَ ثَلَاثَ كَذَبَاتٍ فِي ذَاتِ اللَّهِ». أَيُّ: فِي جِهَتِهِ<sup>(٢)</sup> وَالْمَرَادُ: فِي سَبِيلِهِ وَطَاعَتِهِ.

وَتَأْتِي زَائِدَةٌ لِلتَّوَكِيدِ؛ تَوْكِيدُ التَّنْكِيرِ. مَثَلُ: قَدِمْنَا مَكَّةَ ذَاتَ يَوْمٍ فَوَجَدْنَا الْحَرَمَ خَفِيفًا فَقَوْلُهُ: ذَاتَ يَوْمٍ. هَذِهِ زَائِدَةٌ لِلتَّوَكِيدِ التَّنْكِيرِ، فَيَكُونُ الْمَعْنَى: قَدِمْنَا مَكَّةَ يَوْمًا وَهَذَا يَوْجَدُ كَثِيرًا فِي الْحَدِيثِ، خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ ذَاتَ لَيْلَةٍ وَمَا أَشْبَهَهُ، فَهِيَ زَائِدَةٌ لِلتَّوَكِيدِ التَّنْكِيرِ. هَذِهِ أَرْبَعَةٌ مَعَانٍ لَذَاتٍ فِي اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ.

أَمَّا «ذَاتٌ» بِمَعْنَى: نَفْسِ الشَّيْءِ وَحَقِيقَةِ الشَّيْءِ، فَهَذِهِ اخْتَلَفَ فِيهَا عُلَمَاءُ الْعَرَبِيَّةِ؛ فَمِنْهُمْ مَنْ أَنْكَرَ اسْتِعْمَالَهَا فِي هَذَا الْمَعْنَى، وَمِنْهُمْ مَنْ أَجَازَهَا، وَقَالَ: لَا بَأْسَ بِهَا. وَظَاهَرُ صَنِيعِ الْبَخَّارِيِّ تَحْلُلُهُ جَوَازُ اسْتِعْمَالِهَا بِمَعْنَى النَّفْسِ.

فَإِذَا قَالَ قَائِلٌ: مَا الْعِلَاقَةُ بَيْنَ هَذَا الْاسْتِعْمَالِ، وَبَيْنَ الْمَعْنَى الْأَصْلِيَّةِ فِي اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ؟

**قُلْنَا:** الْمَعْنَى الْأَصْلِيَّةُ فِي اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ أَنْ تَأْتِيَ بِمَعْنَى صَاحِبَةٍ، فَهَمَّ يَقُولُونَ: ذَاتَ عِلْمٍ. أَيُّ: صَاحِبَةُ عِلْمٍ، وَاللَّهُ تَعَالَى ذُو عِلْمٍ. فَأَصْلُهَا مُضَافَةٌ، لَكِنْ حُذِفَ الْمُضَافُ ثُمَّ بَقِيََتْ نَكْرَةً فَعُرِفَتْ بِ«ال»، وَلِهَذَا مَنَعَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ أَنْ يَقُولُوا: ذَاتَ بِالنِّسْبَةِ لِلَّهِ. قَالُوا: لَا يَجُوزُ أَنْ يَقُولُوا: ذَاتَ بِالنِّسْبَةِ لِلَّهِ، وَذَلِكَ؛ لِأَنَّ التَّاءَ لِلتَّائِيثِ، وَلَا يَجُوزُ اسْتِعْمَالُ الْكَلِمَةِ الْمُؤَنَّثَةِ بِالتَّاءِ - وَلَوْ لِلْمُبَالِغَةِ - بِالنِّسْبَةِ لِلَّهِ ﷻ وَلِهَذَا لَا يَجُوزُ أَنْ يَقُولُوا: إِنَّ اللَّهَ عَلَّامَةٌ. وَيَجُوزُ أَنْ يَقُولُوا: هَذَا الرَّجُلُ عَلَّامَةٌ. أَمَّا اللَّهُ فَنَقُولُ: عَلَّامُ الْغُيُوبِ. فَأَنْتَ إِذَا أَتَيْتَ بِذَاتٍ تَرِيدُ بِهَا الرَّبَّ ﷻ، فَإِنَّ هَذَا يَعْنِي تَأْنِيثَ مَا يُضَافُ إِلَى اللَّهِ، وَهَذَا لَا يَجُوزُ، خِلَافَ اسْتِعْمَالِ جُمْهُورِ الْعُلَمَاءِ الْمُحَقِّقِينَ.

وَالْخِلَاصَةُ: أَنَّ الذَّاتَ فِي اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ تَسْتَعْمَلُ عَلَى أَرْبَعَةِ أَوْجِهٍ.

أَمَّا فِي الْإِصْطِلَاحِ - وَلَا مُشَاحَّةَ فِي الْإِصْطِلَاحِ - وَهُوَ الْمَعْنَى الْجَدِيدُ لَهَا، وَهُوَ أَنْ تَكُونَ بِمَعْنَى

(١) انظر: «خزانة الأدب» ٣٤/٦، ٣٥، شرح ديوان الحماسة للمرزوقي (ص ٥٩١)، «لسان العرب» ١٥/٤٦٠. (ذوا)،

«شرح التصريح» ١٣٧/١.

(٢) رواه البخاري (٣٣٥٨)، ومسلم (٢٣٧١).

نفس، فيقال: ذات وصفات. ذات الله؛ أي: نفس الله، وجاء زيد ذاته؛ أي: نفسه، فتكون مضافة، كذات الله، وتكون مقطوعة عن الإضافة، معرفةً بأل مثل الذات، وهذا هو ما ذهب إليه البخاري رحمه الله.

فإن قال قائل: استدلال البخاري رحمه الله بقول حبيب: «وذلك في ذات الإله». هل يطابق ما ترجم به؟ لأن البخاري ترجم على أن الذات بمعنى النفس؛ وحبيب ما أراد ذلك؛ لأنه لا يريد ذات الإله التي هي نفسه، وإنما يريد ذات الإله؛ أي: في سبيل الله، أو في طاعة الله، أو في مرضاة الله، أو ما أشبه ذلك، لكن كأن البخاري يقول: يكفي في هذا أن استعملت الذات مضافة إلى الله، فأخذ من جواز استعمال ذات مضافة إلى الله، أن يوصف بها الله عز وجل.

وتقدم في صحيح البخاري تفصيل قصة حبيب.

**قال العيني في «عمدة القاري»:**

وهي أن أبا هريرة رضي الله عنه قال: بعث رسول الله ﷺ عشرة رهط سرية عينا، وأمر عليهم عاصم بن ثابت الأنصاري - جد عاصم بن عمر - فأنطلقوا حتى إذا كانوا بالهداة وهو بين عسفان ومكة ذكروا ليحي من هذيل، يقال لهم بنو ليحيان، فنقروا لهم قريبا من مائتي رجل، كلهم رام، فاقصصوا آثارهم حتى وجدوا ماكلهم تمرًا تزودوه من المدينة فقالوا: هذا تمر يثرب. فاقصصوا آثارهم، فلما رآهم عاصم وأصحابه لجئوا إلى فذfid، وأحاط بهم القوم فقالوا لهم: انزلوا وأعطينا بأيديكم، ولكم العهد والميثاق، ولا نقتل منكم أحدا. قال عاصم بن ثابت أمير السرية أما أنا فوالله لا أنزل اليوم في ذمة كافر، اللهم أخبر عنا نيك. فرمؤهم بالنبل، فقتلوا عاصمًا في سبعة، فنزل إليهم ثلاثة رهط بالعهد والميثاق، منهم حبيب الأنصاري وابن دثنة ورجل آخر، فلما استمكنا منهم أطلقوا أوتار قسيهم فأوثقوهم، فقال الرجل الثالث: هذا أول الغدر، والله لا أصحبكم، إن لي في هؤلاء لأسوة. يريد القتل، فجزروه وعالجوه على أن يصحبهم، فأبى، فقتلوه، فأنطلقوا بحبيب وابن دثنة حتى باعوهما بمكة بعد وقعة بدر، فابتاع حبيبًا بنو الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف، وكان حبيب هو قتل الحارث بن عامر يوم بدر، فلبث حبيب عندهم أسيرًا، فأخبرني عبيد الله بن عياض أن بنت الحارث أخبرته: أنهم حين اجتمعوا استعار منها موسى يستجد بها فأعارتها، فأخذ ابنائي وأنا غافلة حتى أتاه قالت فوجدته مجلسه على فخذه والموسى بيده، ففرغت فرعة عرفها حبيب في وجهي فقال: تخشين أن أقتله، ما كنت لأفعل ذلك. والله ما رأيت أسيرًا قط خيرًا من حبيب، والله لقد وجدته يومًا يأكل من قطف عنب في يده، وإنه لموثق في الحديد، وما بمكة من تمر، وكانت تقول إنه لرزق من الله رزقًا حبيبًا، فلما خرجوا من الحرم؛ ليقتلوه في الحل، قال لهم حبيب: ذروني أركع ركعتين. فركعوه، فركع ركعتين ثم قال: لولا أن تظنوا أن ما بي جزع لظولتُها، اللهم أحصهم عددًا.



وَلَسْتُ أَبَالِي حِينَ أُقْتَلُ مُسْلِمًا عَلَى أَىِّ شَيْءٍ كَانَ لِلَّهِ مَضْرَعِي  
وَذَلِكَ فِي ذَاتِ الْإِلَهِ وَإِنْ يَشَاءُ يُبَارِكْ عَلَى أَوْصَالِ شُلُوِّ مُمَزَّعٍ

فَقَتَلَهُ ابْنُ الْحَارِثِ ، فَكَانَ خُبَيْبٌ هُوَ سَنَ الرَّكَعَتَيْنِ لِكُلِّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ قُتِلَ صَبْرًا ، فَاسْتَجَابَ اللَّهُ  
لِعَاصِمِ بْنِ ثَابِتٍ يَوْمَ أُصِيبَ ، فَأَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَصْحَابَهُ خَبَرَهُمْ وَمَا أُصِيبُوا ، وَبَعَثَ نَاسًا مِنْ كُفَّارِ  
قُرَيْشٍ إِلَى عَاصِمٍ حِينَ حَدَّثُوا أَنَّهُ قُتِلَ لِيُؤْتَوْا بِشَيْءٍ مِنْهُ يُعْرَفُ ، وَكَانَ قَدْ قَتَلَ رَجُلًا مِنْ عَظَمَائِهِمْ يَوْمَ  
بَدْرٍ ، فُبِعِثَ عَلَى عَاصِمٍ مِثْلُ الظُّلَّةِ مِنَ الدَّبِيرِ ، فَحَمَمَتْهُ مِنْ رَسُولِهِمْ ، فَلَمْ يَقْدِرُوا عَلَى أَنْ يَقْطَعُوا مِنْ  
لَحْمِهِ شَيْئًا . اهـ

هَاتَانِ كَرَامَتَانِ فِي هَذِهِ الْقِصَّةِ : حَافِيَةُ عَاصِمٍ ، وَهَذَا الرِّزْقُ الَّذِي يَأْتِي بِهِ اللَّهُ ﷻ إِلَى خُبَيْبٍ ، وَأَنَا  
أَرَى مِثْلَ هَذِهِ الْقِصَّةِ الْعَظِيمَةِ أَنْ تُسَجَّلَ وَتُنَشَرَ بَيْنَ النَّاسِ ، لِمَا فِيهَا مِنْ تَثْبِيَةِ الْإِيمَانِ وَالْأُسُوةِ الْحَسَنَةِ  
بِهَؤُلَاءِ الَّذِينَ هُمْ مَفْخَرَةُ الْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ ؛ لِأَنَّ هَذَا مَا يَشْجَعُ الْإِنْسَانَ وَيَزِيدُ فِي إِيْمَانِهِ ، وَيَزِيدُ فِي صَبْرِهِ ،  
أَنْظُرْ إِلَى عَاصِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَمَنْ مَعَهُ قَالَ : لَا يُمَكِّنُ أَنْ أَنْزَلَ عَلَى ذِمَّةِ كَافِرٍ . وَمَنْ يَتَّقُ بِالْكَافِرِ ، وَمَاذَا فَعَلُوا  
بذِمَّتِهِمْ ، الَّذِينَ نَزَلُوا عَلَى ذِمَّتِهِمْ بِيَعُوهَا فِي مَكَّةَ كَمَا يَبَاغُ الْغَنَمُ .  
الْحَاصِلُ : أَنَّ هَذِهِ لَوْ تَقَيَّدَتْ وَتُجْعَلُ فِي دَفْتَرٍ يُقَيَّدُ فِيهِ مِثْلُ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ الَّتِي تَمُرُّ بِنَا لَا سِيَّمَا مَا وَقَعَ  
مِنْهَا فِي الصَّحِيحِ ؛ لِأَنَّهَا نَبْرَاسٌ يُقْتَدَى وَيُؤْخَذُ بِهِ .



ثُمَّ قَالَ الْبَخَّارِيُّ تَحَلُّتَنِي:

١٥ - بَابُ: قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَيَحْذَرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ [التَّوْحِيدُ: ٣٠]. وقوله جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿تَعَلَّمْ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمْ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ [التَّوْحِيدُ: ١١٦].

من صفاتِ اللَّهِ ﷻ أيضًا: النفسُ، والبخاريُّ تَحَلُّتَنِي مِنْ فَهْمِهِ أَنَّهُ أَتَى بِهَذَا الْبَابِ بَعْدَ ذِكْرِ الْبَابِ الَّذِي فِيهِ الذَّاتُ؛ لِشِيرٍ إِلَى أَنَّ الذَّاتَ بِمَعْنَى النَّفْسِ، وَنَفْسُ الشَّيْءِ هُوَ الشَّيْءُ، فَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَيَحْذَرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ [التَّوْحِيدُ: ٣٠] أَي: يَحْذَرُكُمْ إِيَّاهُ، وَلَيْسَتْ النَّفْسُ شَيْئًا، وَاللَّهُ شَيْئًا آخَرُضَ، فَاللَّهُ هُوَ النَّفْسُ.

وَكَذَلِكَ ﴿تَعَلَّمْ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمْ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ [التَّوْحِيدُ: ١١٦]؛ أَي: تَعَلَّمْ مَا عِنْدِي أَنَا فِي نَفْسِي، وَلَا أَعْلَمْ مَا فِي نَفْسِكَ، فَلَيْسَتْ النَّفْسُ صِفَةً زَائِدَةً عَلَى الذَّاتِ بَلْ هِيَ الذَّاتُ نَفْسُهَا، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ﴾ [التَّوْحِيدُ: ٨]. هَلِ الْمُرَادُ ﴿أَنْفُسِهِمْ﴾ بِأَنْفُسِهِمْ شَيْءٌ آخَرُ غَيْرُ ذَوَاتِهِمْ؟ **الْجَوَابُ:** لَا، هِيَ ذَوَاتُهُمْ، وَعَلَى هَذَا؛ فَالنَّفْسُ بِمَعْنَى الذَّاتِ، ﴿وَيَحْذَرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ يَعْنِي يُحْذَرُكُمْ إِيَّاهُ، وَيَدُلُّ لَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنِّي فَازَهُبُونَ﴾ [التَّوْحِيدُ: ٤٠]. ﴿وَإِنِّي فَاتَّقُونَ﴾ [التَّوْحِيدُ: ٤١]. وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ.

وَفِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَيَحْذَرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْإِنْسَانَ يَجِبُ أَنْ يَحْذَرَ مِنَ اللَّهِ ﷻ لَا يَحْذَرُ مِنْهُ ظَاهِرًا فَقَطْ، بَلْ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا فِيمَا يَقُولُ وَفِيمَا يَفْعَلُ وَفِيمَا يُصَوِّرُ عَلَنًا أَوْ سِرًّا؛ لِأَنَّ اللَّهَ ﷻ يَقُولُ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَتَعَلَّمَ مَا تُوسَّوْهُ بِهِ نَفْسَهُ﴾ [التَّوْحِيدُ: ١٦]. رَزَقَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ الْيَقِينَ.

**إِذَا عَلِمَ الْإِنْسَانُ هَذَا وَآيَقَنَ؛ فَإِنَّهُ سَوْفَ يَخْشَى رَبَّهُ ﷻ، وَيَخَافُ أَنْ يَقَعَ فِي مَحَارِمِهِ، وَيَحْذَرُ ﴿وَيَحْذَرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾.**

وَقَالَ: ﴿تَعَلَّمْ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمْ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ الْقَائِلُ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ، يَقُولُ اللَّهُ ﷻ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ لِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّيَّ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَنَكَ﴾. تَنْزِيهَا لَكَ أَنْ أَقُولَ مِثْلَ هَذَا الْكَلَامِ ﴿مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ﴾ تَعَلَّمْ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمْ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عِلْمُ الْغُيُوبِ ﴿١٣١﴾ وَلَمَّا نَقَى أَنْ يَكُونَ قَالَهُ بَيْنَ مَاذَا قَالَ لَهُمْ، فَقَالَ: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [التَّوْحِيدُ: ١١٧]. وَأَتْبَاعُ عِيسَى النَّصَارَى الْيَوْمَ -الَّذِينَ يَدْعُونَ أَنَّهُمْ أَتْبَاعُ عِيسَى وَهُمْ كَاذِبُونَ- يَقُولُونَ: إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ، وَعِيسَى قَدْ قَالَ لَهُمْ: ﴿أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾. لَكِنْ هُمْ يَعْبُدُونَ الْآنَ عِيسَى، وَأُمَّهُ، وَالرَّبَّ؛ ثَلَاثَةً أَقَانِمَ عِنْدَهُمْ، بَلْ بَعْضُهُمْ يَعْبُدُ الصَّلِيبَ، وَهَذَا مِنْ سَفَهِهِمْ وَضَلَالِهِمْ، فَالصَّلِيبُ فِي الْأَصْلِ خَشَبَةٌ مَصْلُوبٌ عَلَيْهَا -عَلَى مَا رَعَمُوا- عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَاللَّهُ، وَالْعَقْلُ يَقْتَضِي أَنَّ الْوَاحِدَ مِنْهُمْ الَّذِي يَتَّبِعُ عِيسَى وَيَحْبُ عِيسَى إِذَا رَأَى الصَّلِيبَ كَسَرَهُ، أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟ لِأَنَّهُ إِذَا كَانَ يُحِبُّ عِيسَى، هَلِ يَحْبُ الصَّلِيبَ الَّذِي صُلِبَ عَلَيْهِ؟



**الجواب:** لا، بل يَكْرَهُهُ، فمُقْتَضَى الْعَقْل أَنَّهُ يَكْسِرُ الصَّلِيبَ؛ لَأَنَّهُ عَلَى زَعْمِهِمْ صَلِبَ عَلَيْهِمْ، وَنَحْنُ نُبْرِئُ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ، وَنَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، نُبْرُوهُ مِنْ أَنْ يَكُونَ صَلِيبَ، وَاللَّهُ تَعَالَى نَزَّهَ عَنْ ذَلِكَ، وَلَمَّا هَمُّوا بِقَتْلِهِ وَصَلَبِهِ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ﴾ [التَّحْقِيقُ: ١٥٧]. وَسَبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ! إِنْ أَصْلَ ضَلَالِهِمْ مَبْنِيٌّ عَلَى شُبْهَةٍ، وَالضَّلَالُ كُلُّهُ شُبْهَةٌ، فَقَدْ شُبِّهَ لَهُمْ رَجُلٌ عَلَى أَنَّهُ عِيسَى فَقَتَلُوهُ وَصَلَبُوهُ، وَقَالُوا: هَذَا عِيسَى، وَلَيْسَ الَّذِي قَتَلَهُ أَيْضًا النَّصَارَى، الَّذِي قَتَلَهُ الْيَهُودُ، وَالَّذِي صَلَبَهُ الْيَهُودُ - عَلَى زَعْمِهِمْ - وَمَعَ ذَلِكَ فَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَتَّبِعُهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [التَّحْقِيقُ: ٥١]. وَانْظُرْ كَيْفَ كَانُوا أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ، وَهُمْ أَعْدَاءُ فِي الْوَاقِعِ، لَكِنْ هُمْ أَوْلِيَاءُ ضِدَّ عَدُوٍّ ثَالِثٍ وَهُمْ الْمُسْلِمُونَ، وَالْمُسْلِمُونَ أَعْدَاءُ لَهُمْ مِنْذُ بَزَعِ صَدْرِ الْإِسْلَامِ إِلَى الْيَوْمِ، وَإِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَسَوْفَ يُقْتَلُ الْيَهُودُ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - عَلَى يَدِ الْمُسْلِمِينَ حَتَّى يَخْتَبِئُوا بِالشَّجَرِ: يَقُولُ الشَّجَرُ: يَا عَبْدَ اللَّهِ، هَذَا يَهُودِيٌّ تَحْتِي فَاقْتُلْهُ. فَالْحَاصِلُ: أَنَّ عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِنَّمَا جَاءَ بِالتَّوْحِيدِ الَّذِي جَاءَ بِهِ إِخْوَانُهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ عِبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُمْ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَادُمْتُمْ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ (١٧). وَمَعْنَى تَوَفَّيْتَنِي أَيُّ: قَبَضْتَنِي إِلَيْكَ وَرَفَعْتَنِي.



ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٤٠٣ - حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ حَفْصٍ بْنُ غِيَاثٍ، حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ، عَنْ شَقِيقٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَا مِنْ أَحَدٍ أَغْيَرَ مِنَ اللَّهِ، مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ حَرَّمَ الْفَوَاحِشَ. وَمَا أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ الْمَدْحُ مِنَ اللَّهِ»<sup>(١)</sup>.

**في هذا الحديث:** إثبات الغيرة لله ﷻ. والغيرة لا تُحَدُّ بِأَوْضَحٍ مِنْ لَفْظِهَا، الْغِيرَةُ هِيَ الْغِيرَةُ، وَإِنَّ الْإِنْسَانَ يَغَارُ وَلَكِنْ لِلْغِيرَةِ آثَارٌ مِنْهَا الْغَضَبُ، فَمَا مِنْ أَحَدٍ أَغْيَرَ مِنَ اللَّهِ ﷻ، مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ حَرَّمَ الْفَوَاحِشَ، وَقَدْ ثَبِتَ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ فِي قِصَّةِ صَلَاةِ الْكُسُوفِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَا مِنْ أَحَدٍ أَغْيَرَ مِنَ اللَّهِ أَنْ يَزْنِيَ عَبْدُهُ أَوْ تَزْنِيَ أَمَتُهُ»<sup>(٢)</sup>، يَعْنِي: أَنَّ اللَّهَ يَغَارُ غِيرَةً شَدِيدَةً لَا يَوْجِدُ لَهَا نَظِيرًا إِذَا زَنَى عَبْدُهُ أَوْ زَنَتْ أَمَتُهُ، وَفِي هَذَا دَلِيلٌ عَلَى عِظَمِ الزَّانِ عِنْدَ اللَّهِ ﷻ وَأَنَّهُ يَغَارُ مِنْهُ ﷻ غِيرَةً شَدِيدَةً.

**قوله:** «وَمَا مِنْ أَحَدٍ أَحَبَّ إِلَيْهِ الْمَدْحُ مِنَ اللَّهِ». فَاللَّهُ ﷻ يُحِبُّ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ يُشْنُوا عَلَيْهِ وَأَنْ يَمْدَحُوهُ؛ لَأَنَّهُ أَهْلٌ لَذَلِكَ ﷻ، أَهْلٌ لِأَنْ يُثْنَى عَلَيْهِ وَأَنْ يُمَدَحَ، فَلِذَلِكَ يُحِبُّ هَذَا، وَهَذَا مِنْ كِمَالِهِ ﷻ أَنَّ يُحِبُّ أَنْ يُثْنَى عَلَيْهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، مَعَ أَنَّنَا لَا نُحْصِي ثَنَاءَ عَلَيْهِ، ثُمَّ هَذَا الثَّنَاءُ مُصْلِحَتُهُ تَعُودُ لَنَا فَهُوَ

(١) إرواه مسلم (٢٧٦٠).

(٢) إرواه مسلم (٩٠١).

يحبُّ هذا؛ لأنَّ ذلك ينفعُ العبد، ويُحبُّ هذا؛ لأنَّه أهلٌ لأنَّ يُمدَّحَ.

هذا اللفظُ الذي معنَّا ليس فيه ذكرُ النفس، فما وجهُ الترجمةِ؟

**الجواب:** لعلَّ له طريقاً آخرَ ذكر فيه النفس، والبخاريُّ هنا اختصره، وهذه من عادةِ البخاريِّ رحمه الله، وهي عادةٌ غريبةٌ يذكرُ الترجمةَ ثم يأتي بالحديث بلفظٍ آخرٍ ليس فيه ذكرُ الترجمةِ؛ مِن أجل أنَّ يَحُثَّ الطالبُ على طلبِ الحديث؛ لأنَّه لو كان المقصودُ مِن الترجمةِ موجوداً في الحديث، لكانَ طعاماً بارداً يأكلُه الإنسانُ بكلِّ سهولةٍ، لكن إذا لم يكن كذلك جعل يبحثُ ويُعْمَلُ فكره. فإذا كانَ عنده علمٌ واسعٌ في الحديث عَرَفَ أنَّ البخاريَّ رحمه الله أشارَ إلى لفظٍ آخرَ في الحديث فيه ذكرُ النفس، وهو يستعملُه كثيراً رحمه الله.

لكن أحياناً يشيرُ إلى لفظٍ يناسبُ الترجمةَ ولكن لا يكونُ الحديثُ على شرطه؛ لأنَّ شرطه في الصحيح قويٌّ وشديدٌ فلا يكونُ على شرطه، ولكن لو سُئِلْنَا: هل إذا لم يكن على شرطه هل في ذلك إشارةٌ على صحته من البخاريِّ؟

**الجواب:** الظاهرُ، نَعَمْ أنَّ في ذلك إشارةً مِن البخاريِّ إلى صحته، لكن ليس كُلُّ حديثٍ صحيحٍ عندَ البخاريِّ يكونُ على شرطه رحمه الله، وقد يكونُ في نفسِ الصحيح، قد يكونُ ما يناسبُ الترجمةَ مذكوراً في نفسِ الصحيح، لكنَّه لم يذكره في هذا السياقِ مِن أجل أن تَبَحُثَ.

**قال القسطلاني رحمه الله:**

ما يدلُّ على مطابقتها للترجمة صريحاً في رواية تفسير سورة النعام زيادةُ قوله: «ولذلك مدح نفسه»، وسأفقه هنا على الاختصارِ دونَ هذه الزيادة، تَشْجِيذاً للأذهانِ على عادتهِ ولمَّا لم يستحضرِ الكرمانِي هذه الزيادةَ عند شرحه ذلك قال: لعلَّه أقامَ استعمالَ أحدِ مقامِ النفسِ لتلازمها صحَّةِ استعمالِ كُلِّ واحدةٍ منهما مقامَ الآخرِ اهـ

كلامُ الكرمانِي غيرُ صحيحٍ؛ لأنَّه يريدُ، يَعْنِي: ما مِن أحدٍ، يَعْنِي: ما مِن نفسٍ، هذا بعيدٌ جداً، لكنَّ النكتةَ هي ما ذكرنا وما ذكره الشارح.

\*\*\*

**ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رحمه الله:**

٧٤٠٤- حَدَّثَنَا عَبْدَانُ، عَنْ أَبِي حَمْزَةَ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ الْخَلْقَ كَتَبَ فِي كِتَابِهِ - وَهُوَ يَكْتُبُ عَلَى نَفْسِهِ، وَهُوَ وَضَعُ عِنْدَهُ عَلَى الْعَرْشِ - إِنَّ رَحْمَتِي تَغْلِبُ غَضَبِي»<sup>(١)</sup>.

وهذا الحديثُ في سياقه قلُّ، وفي جُمْلته قلُّ وقد رُوِيَ بسياقٍ أتمَّ وأحسنَ مِن هذا، والشاهدُ منه:



قوله: «يَكْتُبُ عَلَى نَفْسِهِ» وقد جاء في القرآن ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: ٥٤].  
والشاهد: إثبات النفس لله ﷻ.



ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٤٠٥- حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ حَفْصٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ، سَمِعْتُ أَبَا صَالِحٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَأٍ خَيْرٌ مِنْهُمْ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ شَيْبًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرَوَلَةً»<sup>(١)</sup>.

[الحديث: ٧٤٠٥- طرفاه في: ٧٥٠٥، ٧٥٣٧]

قوله تعالى: «أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي» يعني كما جاء في حديث آخر «إِنْ ظَنَّ بِي خَيْرًا فَلَهُ، وَإِنْ ظَنَّ بِي سَوْءًا فَلَهُ»<sup>(٢)</sup> ولكن متى يَحْسُنُ أَنْ يَظُنَّ الْإِنْسَانُ بَرَّهُ خَيْرًا؟ يَحْسُنُ إِذَا عَمِلَ عَمَلًا يَسْتَحِقُّ بِهِ الْخَيْرَ فَحِينَئِذٍ يَظُنُّ بَرَّهُ خَيْرًا، مثاله: عَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَيَظُنُّ بَرَّهُ أَنْ يَقْبَلَهُ، تَابَ إِلَى اللَّهِ مِنْ ذَنْبٍ فَعَلَهُ فَيَظُنُّ بَرَّهُ أَنْ يَقْبَلَهُ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَى عَمَلِهِ وَإِلَى حَالِهِ فَيُسِيءُ الظَّنَّ بِنَاءً عَلَى مَا عِنْدَهُ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى رَحْمَةِ اللَّهِ ﷻ فَيُحْسِنُ الظَّنَّ، أَمَّا مَنْ لَيْسَ عِنْدَهُ مَا يَكُونُ بِهِ إِحْسَانُ الظَّنِّ، فَإِنْ إِحْسَانَ الظَّنِّ إِفْلَاسٌ، وَلِهَذَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ «الْكَيْسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ، وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ، وَالْعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ الْأَمَانِيَّ»<sup>(٣)</sup> فَحَسَنُ الظَّنِّ لَا بَدَّ أَنْ يَكُونَ فِي مَحَلٍّ قَابِلٍ، بَأَنْ يَعْمَلَ عَمَلًا صَالِحًا فَيُحْسِنُ الظَّنَّ بِاللَّهِ ﷻ أَنَّهُ يَقْبَلُهُ، أَمَّا الْمُصِرُّ عَلَى مَعْصِيَةٍ، وَيَقُولُ: أَنَا مُحْسِنُ الظَّنِّ وَيَغْفِرُ اللَّهُ لِي، يَزْنِي صَبَاحًا وَمَسَاءً، وَيَشْرَبُ الْخَمْرَ صَبَاحًا وَمَسَاءً وَيَقُولُ: أَحْسِنُ الظَّنَّ بِاللَّهِ، يَا مُسْكِينُ، كَيْفَ تَحْسِنُ الظَّنَّ بِاللَّهِ، تُبِّ إِلَى اللَّهِ وَأَحْسِنُ الظَّنَّ بِاللَّهِ أَنْ يَقْبَلَ تَوْبَتَكَ.

إِذَا: إِحْسَانُ الظَّنِّ بِاللَّهِ مَتَى يَكُونُ؟ إِذَا كَانَ فِي مَحَلٍّ قَابِلٍ، عِنْدَ الْعَمَلِ الصَّالِحِ أَوْ التَّوْبَةِ مِنَ الْعَمَلِ السَّيِّئِ فَيُحْسِنُ الظَّنَّ بِاللَّهِ أَنْ يَقْبَلَ تَوْبَتَهُ، وَأَنْ يَقْبَلَ عِلْمَهُ.

قال: «وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي» المعية هنا معيةٌ خَاصَّةٌ تَقْتَضِي التَّثْبِيتَ وَالتَّائِيدَ وَالنَّصَرَ وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنْ مَقْتَضِيَّاتِ هَذِهِ الْمَعِيَةِ الْخَاصَّةِ، فَكُلَّمَا ذَكَرْتَ اللَّهَ، فَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ مَعَكَ سِوَاءَ ذَكَرْتَهُ بِقَلْبِكَ أَوْ بِلِسَانِكَ أَوْ بِجَوَارِحِكَ فَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ مَعَكَ، وَلِهَذَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا اقْتَضَتْكُمْ

(١) رواه مسلم (٢٦٧٥).

(٢) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٣٩١/٢)، (٩٠٧٦) وابن حبان (٦٣٩) في «صحيحه».

وصحح الحديث الشيخ شعيب كما في «التعليق على المسند» (٣٦/١٥).

(٣) رواه الإمام أحمد (١٢٤/٤) (١٧١٦٤)، والترمذي (٢٤٥٩) وابن ماجه (٤٢٦٠)، وضعفه الشيخ الألباني كما في

«المشكاة» (٥٢٨٩) و«السلسلة الضعيفة» (٥٣١٩)، وتعليقه على السنن.

فَأَتَّبِعُوا أَوْ أَذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٤٥﴾. لِمَ إِذَا؟ ﴿لَمَّا كُنْتُمْ تُفْلِحُونَ﴾ ﴿٤٦﴾. حَتَّى تَسْأَلُوا الْفَلَاحَ؛ بِالثَّبَاتِ وَذِكْرِ اللَّهِ.

ولهذا إذا ذَكَرَ الإنسانُ رَبَّهُ مِنْ قَلْبِهِ نَسِيَ كُلَّ شَيْءٍ، وَلَسْتُ أَقُولُ: نَسِيَ كُلَّ شَيْءٍ كَمَا يَنْسَى الصُّوفِيَّةُ الَّذِينَ يَنْتَوْنَ عَنْ شُهُودِ الصُّوْرِ، إِذَا قَامَ أَحَدُهُمْ يَتَعَبَّدُ نَسِيَ كُلَّ شَيْءٍ، فَعَقِلَ عَلَى زَعْمِهِمْ بِالْمَعْبُودِ عَنِ الْعِبَادَةِ وَبِالْمَذْكُورِ عَنِ الذِّكْرِ، وَبِوَاجِبِ الْوُجُودِ عَنْ مَمَكِنِ الْوُجُودِ، نَسِيَ كُلَّ شَيْءٍ، حَتَّى يَصِلَ بَعْضُهُمْ إِلَى حَدِّ الْجَنُونِ يُخَبِّطُ وَيَقُولُ: أَنَا خَيْمَتِي عَلَى جَهَنَّمَ، وَيَقُولُ: سُبْحَانِي سُبْحَانِي، وَيَقُولُ: مَا فِي الْجَبَّةِ إِلَّا اللَّهُ. يَعْزِي نَفْسَهُ، فَيَصِلُونَ إِلَى حَدِّ الشَّطْحِ وَالْجَنُونِ وَالْهَذْيَانِ، فَأَنْتَ كَلِمًا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى مَعَكَ بِالنَّصْرِ وَالتَّأْيِيدِ وَالتَّثْبِيتِ وَزَوَالِ الْوَحْشَةِ حَتَّى إِذَا اسْتَوْحَشْتَ بِاللَّيْلِ، فَأَرَدْتَ أَنْ تَرْوَلَ الْوَحْشَةُ عَنْكَ فَادْكِرِ اللَّهَ تَعَالَى؛ لَأَنَّكَ بِذِكْرِكَ اللَّهَ يَهُونُ عَنْكَ كُلُّ شَيْءٍ وَيَتَصَاعَّرُ وَعِنْدَكَ كُلُّ شَيْءٍ.

### وَالْمَعِيَةُ تَنْقَسِمُ إِلَى أَقْسَامٍ:

**القسم الأول:** معية عامة؛ يَرَادُ بِهَا بَيَانُ الْإِحَاطَةِ، مِثْلُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَافِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا آدَنَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا﴾ ﴿٢٥٦﴾. هَذِهِ عَامَةٌ، وَمِثْلُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ ﴿٢٥٧﴾. هَذِهِ الْمَعِيَةُ تَشْمَلُ الْمُؤْمِنَ وَالْكَافِرَ وَالْبَرَّ وَالْفَاجِرَ.

**القسم الثاني:** معية خاصة للتهديد، هِيَ خَاصَّةٌ لِكُنْهَا لِلتَّهْدِيدِ، مِثْلُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا﴾ ﴿١٠٨﴾. هَذِهِ خَاصَّةٌ مَعَهُمْ، أَي: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ، وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ فِي اللَّيْلِ، وَالْمَقْصُودُ بِهَا التَّهْدِيدُ.

**القسم الثالث:** معية خاصة لِقَوْمٍ مُعَيَّنِينَ بِأَوْصَافِهِمْ لِلتَّأْيِيدِ وَالتَّثْبِيتِ، مِثْلُ قَوْلِهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ ﴿١٢٨﴾. وَالْمِثَالُ كَثِيرٌ.

**القسم الرابع:** معية مخصوصة بِقَوْمٍ مُعَيَّنِينَ لِلتَّأْيِيدِ، مِثْلُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَلَا تَهَيَّأُوا لِلْحَرْبِ أَنتُمْ وَنَدْعُوا إِلَى السَّلَهِ وَأَشْرُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ﴾ ﴿٣٥﴾. هَذِهِ وَإِنْ كَانَتْ خَاصَّةً فِي الْمُخَاطَبِينَ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ، فَهِيَ خَاصَّةٌ، وَإِلَّا فَهِيَ عَامَةٌ خَاصَّةٌ بِالْمُجَاهِدِينَ، ﴿وَأَشْرُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ﴾ ﴿٣٥﴾. بِالنَّصْرِ وَالتَّأْيِيدِ وَالتَّثْبِيتِ.

**القسم الخاص:** معية خاصة بِأَشْخَاصٍ مُعَيَّنِينَ لِلتَّأْيِيدِ وَالنَّصْرِ وَالدَّفَاعِ؛ مِثْلُ قَوْلِهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَنْ مُوسَى وَهَارُونَ، لَمَّا قَالَ مُوسَى: ﴿رَبَّنَا إِنَّا أَتَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى﴾ ﴿٥١﴾ قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى ﴿٥٢﴾. الْمَعِيَةُ هُنَا خَاصَّةٌ بِشَخْصٍ، لِلتَّأْيِيدِ وَالتَّقْوِيَةِ وَالتَّثْبِيتِ، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى فِي حَقِّ نَبِيِّنَا ﷺ حِينَ قَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ وَهُمَا فِي غَارِ ثَوْرٍ: يَا وَلِيَّ اللَّهِ، لَوْ نَظَرَ أَحَدُهُمْ إِلَى قَدَمَيْهِ



لأَبْصَرْنَا، يَعْنِي بِذَلِكَ: قَرِيبًا الَّذِينَ يَطْلُبُونَ الرَّسُولَ ﷺ وَأَبَا بَكْرٍ، وَقَفُّوا عَلَى الْغَارِ، لَيْسَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الرَّسُولِ ﷺ وَأَبِي بَكْرٍ حَائِلٌ، لَا عَشُّ حَامٍ وَلَا شَجَرَةٌ عَلَيْهَا حَمَامَةٌ وَلَا شَيْءٌ، قَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا تَحْزَنْ، إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا، مَا ظَنُّكَ بَاثْنَيْنِ اللَّهُ تَالِثُهُمَا»<sup>(١)</sup> أَخْبَرَ وَبَيْنَ الْحُكْمِ «لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا، مَا ظَنُّكَ بَاثْنَيْنِ» هَذَا التَّثْبِيتُ وَالتَّأْيِيدُ وَالدِّفَاعُ، مَا ظَنُّكَ بَاثْنَيْنِ اللَّهُ تَالِثُهُمَا، أَبُوبَكْرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَاذَا يَظُنُّ بَاثْنَيْنِ اللَّهُ تَالِثُهُمَا، أَنَّهُ لَنْ يَضُرَّهُمَا أَحَدٌ، وَلَنْ يَسْتَطِيعَ أَحَدٌ أَنْ يَعْتُرَّ عَلَيْهِمَا، وَهَذَا هُوَ الَّذِي وَقَعَ وَقَفُّوا عَلَى الْغَارِ، وَلَمْ يَرَوْا أَحَدًا، أَعْمَى اللَّهُ أَبْصَارَهُمْ وَأَنْصَرَفُوا.

وهذه المعية مِنَ اللَّهِ ﷻ لِلرَّسُولِ ﷺ وَأَبِي بَكْرٍ كَالْمَعِيَةِ الَّتِي كَانَتْ لِمُوسَى وَهَارُونَ، وَلِهَذَا كَانَتْ أَقْوَى مِنْ قَوْلِ الرَّسُولِ ﷺ لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ لَمَّا خَلَفَهُ فِي أَهْلِهِ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ، وَكَأَنَّ عَلِيًّا صَارَ فِي نَفْسِهِ شَيْءٌ، كَيْفَ تُخَلِّفُنِي مَعَ النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ، فَقَالَ: «أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى، غَيْرَ أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي»<sup>(٢)</sup> بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى فِي كَوْنِكَ خَلِيفَةً لِي عَلَى أَهْلِي، كَمَا خَلَفَ مُوسَى هَارُونَ عَلَى قَوْمِهِ «أَخْلَفَنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلَحَ وَلَا تَنْتَبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ»<sup>(٣)</sup> [الآلَةُ: ١٤٢]. لَكِنْ أَبَا بَكْرٍ قَالَ لَهُ الرَّسُولُ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا» كَمَعِيَةِ اللَّهِ لِمُوسَى وَهَارُونَ، فَكَانَ هَذَا أَبْلَغُ مِنْ قَوْلِ الرَّسُولِ ﷺ لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ: «أَنْتَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى، إِلَّا أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي»، فَبَيْنَهُمَا فَرْقٌ أَنْ يَقُولَ الرَّسُولُ ﷺ لِأَبِي بَكْرٍ: «إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا»، كَمَا قَالَ اللَّهُ لِمُوسَى وَهَارُونَ: ﴿إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى﴾<sup>(٤)</sup> فَهَذِهِ الْمَعِيَةُ خَاصَّةٌ بِالشَّخْصِ.

فَإِذَا قَالَ قَائِلٌ: هَلْ هَذِهِ الْمَعِيَةُ حَقِيقِيَّةٌ أَوْ الْمَرَادُ بِهَا لَوَازِمُهَا؟

**نَقُولُ:** هِيَ حَقِيقِيَّةٌ وَالْوَازِمُ تَابِعَةٌ لِلْمَعْنَى الْأَصْلِي كَسَائِرِ الْمَعَانِي، اللَّوَاظِمُ كَالْعِلْمِ وَالسَّمْعِ وَالْبَصَرِ وَالْمُدَافَعَةِ وَمَا أَشَبَّهُ ذَلِكَ، تَابِعَةٌ لِلْمَعْنَى الْأَصْلِي الَّذِي يَدُلُّ عَلَى اللَّفْظِ بِالمُطَابَقَةِ.

فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: كَيْفَ تَجْعَلُونَهَا حَقِيقِيَّةً، وَأَنْتُمْ تُنْكِرُونَ عَلَى الْحُلُولِيَّةِ الَّذِينَ يَقُولُونَ: إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا حَقًّا بِذَاتِهِ؟

**نَقُولُ:** نَعَمْ، نَنْكُرُ عَلَيْهِمْ؛ لِأَنَّ هَؤُلَاءِ يَقُولُونَ: إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فِي نَفْسِ الْمَكَانِ. فَيَكُونُ اللَّهُ مَعَ الرَّسُولِ وَأَبِي بَكْرٍ فِي نَفْسِ الْغَارِ، مَعَ الْمُحْسِنِينَ فِي نَفْسِ الْأَمَاكِنِ، وَالْمَعِيَةُ الْعَامَّةُ مَعَ النَّاسِ كُلِّهِمْ فِي أَيِّ مَكَانٍ، وَنَحْنُ نَنْكُرُ هَذَا أَشَدَّ الْإِنْكَارِ.

فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: كَيْفَ يُمْكِنُ أَنْ تُثَبِّتُوا مَعِيَةَ حَقِيقِيَّةً مَعَ اعْتِقَادِكُمْ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى فَوْقَ عَرْشِهِ، فَوْقَ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ هَذَا تَنَاقُضٌ؟

**فَالْجَوَابُ مِنْ ثَلَاثَةِ أَوْجِهٍ:**

**الْوَجْهُ الْأَوَّلُ:** أَنَّ اللَّهَ جَمَعَ فِيهَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ بَيْنَ الْمَعِيَةِ وَالْعُلُوِّ، فَقَالَ: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ [الْمَائِدَةُ: ٤]. وَقَالَ:

(١) رواه البخاري (٣٦٥٣)، ومسلم (٢٣٨١).

(٢) رواه البخاري (٤٤١٦)، ومسلم (٢٤٠٤).

﴿وَهُوَ أَلَمِيُّ الْعَظِيمِ﴾ [٢٥٥:١]. بَلْ فِي نَفْسِ آيَةِ الْحَدِيدِ ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ [٥٤:١]. هَذَا عَلَوٌ، ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ [٢٢:١]. فَلَيْسَ اسْتَوَاؤُهُ عَلَى الْعَرْشِ بِمَنْعٍ مِنْ كَوْنِهِ مَعَنَا، فَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ - إِذَا كَانَ اللَّهُ جَمَعَ فِيهَا وَصَفَ فِيهِ نَفْسَهُ بَيْنَ الْعَلَوِّ وَالْمَعْيَةِ - فَإِنَّا نَعْلَمُ عِلْمَ الْيَقِينِ أَنَّهُ لَا تَنَاقُضَ بَيْنَهُمَا؛ لَأَنَّهُ لَوْ كَانَ بَيْنَهُمَا تَنَاقُضٌ لَلَرِّمِ أَنْ يَكُونَ أَحَدُ الْخَبَرَيْنِ كَذِبًا، وَهَذَا مُسْتَحِيلٌ.

**الوجه الثاني:** أَنَّهُ لَا تَنَاقُضَ بَيْنَ الْعَلَوِّ وَالْمَعْيَةِ، وَذَلِكَ لِأَنَّ الْمَعْيَةَ مَعْنَاهَا الْأَصْلِيُّ مُطْلَقٌ الْمَصَاحِبَةِ وَالْمُقَارَنَةِ، وَهَذَا الْمَطْلَقُ يَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ الْمَضَافِ إِلَيْهِ، وَبِاخْتِلَافِ الْقَرَاتِنِ، فَمَثَلًا الرَّجُلُ يَقُولُ: زَوْجَتِي مَعِي، وَهُوَ فِي الْمَسْجِدِ، وَالْمَرْأَةُ فِي الْبَيْتِ، وَالْكَلَامُ هَذَا صَحِيحٌ، فَبَيْنَهُ مُطْلَقٌ مُقَارَنَةٌ وَمَصَاحِبَةٌ لَكِنْ لَيْسَ مَعْنَاهُ أَنَّهَا تَكُونُ مَعَهُ فِي نَفْسِ الْمَسْجِدِ، وَكَذَا الْجَنُودُ فِي الْمِيدَانِ فِي الْقِتَالِ، يَقُولُونَ: الْقَائِدُ مَعَنَا؛ لِأَنَّهُمْ يَمْشُونَ عَلَى تَوَجُّهِاتِهِ، هَذِهِ الْمَعْيَةُ أَوْ الْمُقَارَنَةُ أَوْ الْمَصَاحِبَةُ لَهَا مَعْنَى، الْقَائِدُ فِي غُرْفَةِ الْعَمَلِيَّاتِ وَهُمْ فِي مِيدَانِ الْقِتَالِ، وَيَقُولُونَ: الْقَائِدُ مَعَنَا.

**إِذَا:** تَغَيَّرَ الْمَعْنَى بِحَسَبِ السِّيَاقِ، الْعَرَبُ يَقُولُونَ: مَا زِلْنَا نَسِيرُ وَالْقَمَرُ مَعَنَا، وَالْقَمَرُ لَيْسَ بِأَيْدِيهِمْ وَلَا عَلَى رِوَاحِلِهِمْ، بَلْ فِي السَّمَاءِ، وَمَعَ ذَلِكَ يَقُولُونَ بِاللَّفْظِ الْعَرَبِيِّ الْفَصِيحِ الْمُبِينِ: إِنَّ الْقَمَرَ مَعَنَا. وَلَا يُنْكَرُ عَلَيْهِمْ، أَوْ يَقُولُونَ: مَا زِلْنَا نَسِيرُ وَالْقُطْبُ مَعَنَا. أَوِ الْجَدْيُ مَعَنَا، وَكُلُّ هَذَا كَلَامٌ عَرَبِيٌّ فَصِيحٌ صَحِيحٌ، فَهَلْ هُنَاكَ مَنَافَاةٌ الْآنَ بَيْنَ عِلْوِ الْقَمَرِ فِي السَّمَاءِ أَوِ الْقُطْبِ أَوِ الْجَدْيِ وَبَيْنَ كَوْنِهِ مَعَنَا؟

**الْجَوَابُ:** لَا، فَإِذَا كَانَ هَذَا مُمْكِنًا فِي حَقِّ الْمَخْلُوقِ فَفِي حَقِّ الْخَالِقِ أَوَّلَى وَأَوْلَى.

وَلِهَذَا قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «الْعَقِيدَةِ الْوَاسِطِيَّةِ»: «بَلِ الْقَمَرُ فِي السَّمَاءِ وَهُوَ مِنْ أَصْغَرِ الْمَخْلُوقَاتِ، وَهُوَ مَعَ الْمَسَافِرِ وَغَيْرِهِ أَيْنَمَا كَانَ»، مَوْضُوعٌ فِي السَّمَاءِ وَهُوَ مِنْ أَصْغَرِ الْمَخْلُوقَاتِ مَعَ ذَلِكَ هُوَ مَعَ الْمَسَافِرِ وَغَيْرِهِ أَيْنَمَا كَانَ فَكَيْفَ بَمَنْ هُوَ مُحِيطٌ بِكُلِّ شَيْءٍ، كَيْفَ بَمَنْ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَالْأَرْضُونَ السَّبْعِ فِي كَفِّهِ كَخَرْدَلَةٍ فِي كَفِّ أَحَدُنَا، أَلَا يَصُحُّ أَنْ نَقُولَ: هُوَ مَعَنَا وَهُوَ فِي السَّمَاءِ؟ يَصُحُّ.

**الوجه الثالث:** أَنْ نَقُولَ: هَبْ أَنْ بَيْنَ الْمَعْنَى الْحَقِيقِيَّ لِلْمَعْيَةِ وَالْعِلْوِ الذَّاتِيَّ تَنَاقُضًا فِي حَقِّ الْمَخْلُوقِ، فَإِنَّ مَا يَلْزَمُ فِي حَقِّ الْمَخْلُوقِ لَا يَلْزَمُ فِي حَقِّ الْخَالِقِ، وَمَا اسْتِحَالَ فِي حَقِّ الْمَخْلُوقِ قَدْ يَكُونُ جَائِزًا أَوْ وَاجِبًا فِي حَقِّ الْخَالِقِ، وَبِهَذَا يَزُولُ الْإِشْكَالُ، وَأَهَمُّ هَذِهِ الْأُجُوهِ الْوَجْهَ الْأَوَّلُ: وَهُوَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يُمْكِنُ أَنْ يَجْمَعَ فِيهَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ بَيْنَ شَيْئَيْنِ مُتَنَاقِضَيْنِ، لَكِنْ يَحْتَاجُ الْأَمْرَ إِلَى فُطْنَةٍ، وَإِلَى ذِكَاةٍ حَتَّى يَتِمَّكَنَ الْإِنْسَانُ مِنَ الْجَمْعِ بَيْنَ مَا ظَاهَرَهُ التَّعَارُضُ وَذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ.

وَالْمَعْيَةُ فِي هَذَا الْحَدِيثِ مِنَ الْمَعْيَةِ الْخَاصَّةِ فَعَلَيْكَ يَا أَخِي بِذِكْرِ اللَّهِ دَائِمًا، أَذْكَرَ اللَّهُ دَائِمًا حَتَّى يَكُونَ اللَّهُ مَعَكَ دَائِمًا؛ لِقَوْلِهِ: «إِنِ زَكَّرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي».



والشاهد من الحديث قوله: «ذكرته في نفسي».

❦ وقوله: «وإن ذكرني في ملائكة خير منهم» ملائعني: جماعة و«ذكرته في ملائكة خير منهم» وهم الملائكة المُقَرَّبُونَ الذين عند ربك لا يَسْتَكْبِرُونَ عن عبادته، ويسبحونه وله يسجدون، يذكره في ملائكة خير منه، وبالله من فخر عظيم إذا جلست في مجلس، ما أسهل أن تذكر الناس بالله ﷻ لو لم تقل إلا: لا إله إلا الله. ما أعظم الله!، كيف استطاع بنو آدم أن يكونوا هذا النور من مسار يُضغَطُ، هذا من ذكر الله فإذا ذكرت الله في هذا الملا ذكرك الله في ملائكة خير منه، وهم الملائكة المُقَرَّبُونَ عند الله.

استدل بعض العلماء بهذا الحديث: على أن الملائكة خير من البشر ومن الجن، لأنه قال: «ذكرته في ملائكة خير منهم» فهل هذا الاستدلال صحيح؟

**الجواب:** لا؛ لأنه لا يلزم من الخيرية الخاصة، الخيرية المطلقة. فمثلاً أنا عندي جماعة أهل استقامة ودين ويوجد ناس خير منهم، أعلى منهم درجة، وملائكة أعلى من الوسط، وخير منهم، فأنا أقول للملائكة الثاني: هم خير من الملائكة الذين عندي. لكن لا يلزم أن يكونوا خيراً من الملائكة الذين فوقهم، فإذا كان الملائكة الذين عند الله حين الثناء وحين الذكر خيراً من الملائكة الذين عندي، لا يلزم أن يكونوا خيراً من كل بني آدم؛ لأن الذين عندي ليسوا خير الناس.

وهذه المسألة أخذت نقاشاً طويلاً بين العلماء، أيما أفضل الملائكة أو بنو آدم؟ ولا داعي أن أطيل بذكره.

عندي أن الخلاف والنقاش في هذا ليس بذات أهمية؛ لأن الملائكة من جنس آخر، وعبادتهم من جنس آخر، والتكاليف التي أمرهم الله بها من جنس آخر، فلا حاجة للمقارنة، وكون الله ﷻ يأمر الملائكة أن يسجدوا لأبينا آدم، لا يدل على فضلنا عليهم، وكونهم مُسَخَّرِينَ لنا يكتبون أعمالنا، ويحفظون أرواحنا، لا يدل أيضاً على أننا أفضل منهم، وكونهم يدخلون علينا في الجنة من كل باب، نسأل الله تعالى أن يجعلنا منهم، يقولون: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ﴾، لا يدل على أننا أفضل منهم؛ لأنه يأتي خصلة واحدة من خصالهم ربما تقضي على كل هذا، وهو أنهم ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾ ١١ يسبحون الليل والنهار لا يفترون ١٢ ﴿الأنبياء: ١٩-٢٠﴾. فأين نحن من هذا؟!

لكن الذين قالوا: البشر أفضل. قالوا: إن البشر رُكِبَ فيهم شهوة، فاتباعهم للحق يكون صعباً، ومعاناة الشيء مع الصعوبة أفضل من معاناته مع السهولة؛ لأن الملائكة ألهموا التسبيح وصار عليهم سهلاً، وصار أمثالهم ليس له معارضة، وليس له موانع، لكن البشر ابتلوا، وصار هناك موانع من تحقيق العبادة أو الاستمرار فيها فصارت معاناتهم للعبادة تقابل استمرار الملائكة؛ لأن العبادة

مع المشقة تكون أفضل من العبادة بدون مشقة؛ لقول النبي ﷺ لعائشة: «أَجْرَكَ عَلَى قَدْرِ نَصَبِكَ»<sup>(١)</sup>.  
**وَأَنَا أَقُولُ:** لو سَلَكَ سَالِكٌ، مَسَلَكَ شَيْخَ الْإِسْلَامِ ابْنَ تَيْمِيَّةٍ وَقَالَ: إِنَّ الْمَلَائِكَةَ أَفْضَلُ بِاعْتِبَارِ  
 الْبَدَايَةِ، وَالْبَشَرَ أَفْضَلُ بِاعْتِبَارِ النِّهَايَةِ<sup>(٢)</sup> أَمَّا الْأَعْمَالُ الَّتِي كُلُّفُوا بِهَا فَهَؤُلَاءِ أَطَاعُوا وَهَؤُلَاءِ حَصَلَ مِنْهُمْ  
 عَصْيَانٌ، فَهَذَا شَيْءٌ آخَرٌ، لَوْ سَلَكَ سَالِكٌ هَذَا الْمَسْلَكَ لَكَانَ مَسْلَكًا جَيِّدًا؛ لِأَنَّ الْمَلَائِكَةَ بِاعْتِبَارِ  
 الْبَدَايَةِ خُلِقُوا مِنْ نُورٍ، وَالنُّورُ أَفْضَلُ مِنَ الطِّينِ، وَبِاعْتِبَارِ النِّهَايَةِ الْبُشْرَى وَالسَّعَادَةُ وَالْفَوْزُ لِلْبَشَرِ،  
 حَتَّى الْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَى الْبَشَرِ مِنْ كُلِّ بَابٍ يَقُولُونَ: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ﴾<sup>(٣)</sup> فَهَمَّ أَفْضَلُ  
 بِاعْتِبَارِ النِّهَايَةِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لَهُمْ دَارَ كَرَامَتِهِ وَدَارَ رَحْمَتِهِ، أَمَّا الْأَعْمَالُ الَّتِي كُلُّفُوا بِهَا فَلِكُلِّ مِنْهُمْ مَا  
 يَنَاسِبُهُ وَاللَّهُ وَجَلَّ حَكِيمٌ.

وَلَيْسَ مَعْنَى قَوْلِنَا: كُلَّمَا كَانَتِ الْعِبَادَةُ أَشَقَّ، فَهِيَ أَفْضَلُ. أَنَّهُ يَتَعَمَدُ الْإِنْسَانُ الْمَشَقَّةَ فِي الْعِبَادَةِ،  
 لَا، بَلْ رَبَّمَا وَلَوْ تَعَمَّدَ الْمَشَقَّةَ فِي الْعِبَادَةِ لِأَثْمٍ؛ لِأَنَّ اللَّهَ يُحِبُّ أَنْ تُؤْتَى رُخْصَتُهُ، وَيُرِيدُ بِنَا الْيُسْرَ، وَلَمَّا  
 رَأَى النَّبِيُّ ﷺ رَجُلًا وَاقِفًا فِي الشَّمْسِ وَسَأَلَ عَنْهُ، فَقَالُوا: إِنَّهُ نَذَرُ أَنْ يَقِفَ فِي الشَّمْسِ، فَأَمَرَهُ أَنْ يَدْعَ  
 الْوُقُوفَ، وَقَالَ كَلِمَةً مَعْنَاهَا: أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْ تَعْذِيبِ هَذَا لِنَفْسِهِ<sup>(٤)</sup> فَلَوْ قَالَ قَائِلٌ: أَنَا أُرِيدُ أَنْ يَشُقَّ عَلَيَّ  
 الْوُضُوءُ، فَفِي الصَّيْفِ أَسْخَنُ الْمَاءِ مِنْ أَجْلِ أَنْ أَتَوَضَّأَ بِمَاءٍ سَاخِنٍ، وَفِي الشِّتَاءِ أَبْرَدُ الْمَاءِ مِنْ أَجْلِ أَنْ  
 أَتَوَضَّأَ بِمَاءٍ بَارِدٍ. نَقُولُ لَهُ: أَخْطَأْتَ، هَذَا خِلَافُ هَدْيِ النَّبِيِّ ﷺ وَخِلَافُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ بِنَا مِنَ الْيُسْرِ.

فَإِنْ قَالَ: تَسْخِينُ الْمَاءِ فِي الشِّتَاءِ، وَتَبْرِيدُهُ فِي الصَّيْفِ لِلْوُضُوءِ، هَلْ يَمْنَعُ فَضْلَ الْوُضُوءِ؟

**الْجَوَابُ:** لَا، بَلْ هَذَا مِنْ حَسَنِ رِعَايَةِ الْإِنْسَانِ لِنَفْسِهِ، وَرِعَايَةِ الْإِنْسَانِ لِنَفْسِهِ بِدُونِ إِخْلَالِ  
 بِالطَّاعَاتِ، لَا شَكَّ أَنَّهُ مَطْلُوبٌ، إِنَّ لِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا.

**قَوْلُهُ:** «وَأِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشَبْرٍ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذَرَاعًا وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذَرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي  
 يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرُولَةً» فِي هَذِهِ الْجُمْلَةِ الثَّلَاثِ بَيَانُ فَضْلِ اللَّهِ وَجَلَّ، وَأَنَّهُ يُعْطِي أَكْثَرَ مِمَّا فُعِلَ مِنْ أَجْلِهِ؛ أَيْ:  
 يُعْطِي الْعَامِلَ أَكْثَرَ مِمَّا عَمِلَ، وَهَذِهِ هِيَ الْقَاعِدَةُ فِي ثَوَابِ اللَّهِ وَجَلَّ أَنَّهُ يُعْطِي أَكْثَرَ، كَمَا جَاءَ فِي الْقُرْآنِ  
 الْكَرِيمِ مِنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا، ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَتَتْ  
 سَبْعَ سَنَابِلَ﴾<sup>(٥)</sup> فَهَذِهِ الْجُمْلَةُ الثَّلَاثُ تَدُلُّ عَلَى هَذَا الْمَعْنَى الْعَظِيمِ، وَأَنَّ عَطَاءَ اللَّهِ وَثَوَابَهُ أَكْثَرُ  
 مِنْ عَمَلِ الْعَبْدِ، وَكَدِّهِ.

**قَوْلُهُ جَمْعًا:** «إِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشَبْرٍ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذَرَاعًا» الشَّبْرُ مَسَافَةٌ مَا بَيْنَ طَرَفِ الْخِنْصَرِ إِلَى  
 طَرَفِ الْإِبْهَامِ عِنْدَ مَدِّ الْيَدِ. وَالذَّرَاعُ مَسَافَةٌ مَا بَيْنَ طَرَفِ الْأَصْبَعِ الْوُسْطَى إِلَى عَظْمِ الْمِرْفَقِ، وَهَذَا هُوَ

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (١٧٨٧) وَمُسْلِمٌ (١٢١١) بِنَحْوِهِ وَيَنْظُرُ «فَتْحُ الْبَارِي» (٣/٦١١).

(٢) انْظُرْ: تَمَامُ الْبَحْثِ لِشَيْخِ الْإِسْلَامِ ابْنِ تَيْمِيَّةٍ فِي «مَجْمُوعِ الْفَتَاوَى» (٤/٣٤٣).

(٣) رَوَى الْبُخَارِيُّ (١٧٠١)، وَمُسْلِمٌ (١٦٤٢) نَحْوَ هَذَا الْحَدِيثِ فِيمَنْ نَذَرَ أَنْ يَمْشِيَ إِلَى الْكَعْبَةِ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنْ لَمْ يَنْزِلْ عَنْهُ  
 تَعْذِيبُ هَذَا لِنَفْسِهِ لَغَنِيٌّ»



الذي كَانَ يُقَدَّرُ بِهِ سَابِقًا الشُّبْرُ وَالذَّرَاعُ وَالْبَاعُ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ.

❖ وَقَوْلُهُ: «وَأِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشَرِّ تَقَرُّبٍ إِلَيْهِ ذِرَاعًا» اخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي مَعْنَى هَذِهِ الْجُمْلَةِ وَمَا بَعْدَهَا فَقِيلَ: إِنَّ هَذَا عَلَى حَقِيقَتِهِ، وَأَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا تَقَرَّبَ إِلَى اللَّهِ شَبْرًا تَقَرَّبَ إِلَيْهِ ذِرَاعًا. وَعَلَى هَذَا فَيَكُونُ هَذَا الْقَوْلُ فِي الْعِبَادَاتِ الَّتِي تَحْتَاجُ إِلَى مَشْيٍ كَالسَّعْيِ إِلَى الْمَسَاجِدِ وَالسَّعْيِ إِلَى الْحَجِّ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ وَتَخْرُجُ الْعِبَادَاتُ الَّتِي لَا يَكُونُ بِهَا مَشْيٌ وَلَكِنَّهَا كَالَّتِي تَحْتَاجُ إِلَى مَشْيٍ أَيْ أَنَّ اللَّهَ يُعْطِي الْعَامِلَ أَكْثَرَ مِمَّا عَمِلَ.

❖ وَقِيلَ: إِنَّ هَذَا عَلَى سَبِيلِ الْمَثَالِ، وَأَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا تَقَرَّبَ إِلَى اللَّهِ بِقَلْبِهِ تَقَرَّبَ اللَّهُ إِلَيْهِ عَلَى كَيْفِيَّةٍ لَا نَعْلَمُهَا، نَحْنُ لَا نَفْهَمُ نَعْلَمُ كَيْفَ تَقَرَّبُ إِلَى اللَّهِ، لَكِنْ تَقَرَّبَ اللَّهُ إِلَيْنَا لَا نَعْلَمُهُ، فَالْمَعْنَى: إِذَا تَقَرَّبَ الْإِنْسَانُ بِقَلْبِهِ إِلَى اللَّهِ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَتَقَرَّبُ إِلَيْهِ عَلَى كَيْفِيَّةٍ لَا تَعْلَمُ، وَذَلِكَ أَنَّ الْإِنْسَانَ يَشْعُرُ بِتَقَرُّبِهِ إِلَى اللَّهِ بِالْقَلْبِ، أحيانًا يَكُونُ قَلْبُهُ ذَاكِرًا لِلَّهِ ﷻ، فَيَشْعُرُ بِأَنَّهُ قَرِيبٌ مِنَ اللَّهِ ﷻ، وَأحيانًا يَكُونُ غَافِلًا، فَالْمَعْنَى إِذَا تَقَرَّبَ الْإِنْسَانُ إِلَى رَبِّهِ بِالْقَلْبِ، وَمِنْ الْمَعْلُومِ أَنَّ الْعِبَادَاتِ تَكُونُ سَبَبًا لِتَقَرُّبِ الْقَلْبِ إِلَى اللَّهِ ﷻ، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ»<sup>(١)</sup> وَلِهَذَا تَشْعُرُ وَأَنْتَ سَاجِدٌ بِأَنَّكَ قَرِيبٌ مِنَ اللَّهِ مَعَ أَنَّ اللَّهَ فِي السَّمَاءِ، فَيَكُونُ الْحَدِيثُ عَلَى هَذَا الْقَوْلِ مِنْ بَابِ ضَرْبِ الْمَثَلِ، وَلَيْسَ عَلَى الْحَقِيقَةِ، وَهَذَا الْقَوْلُ أَحْسَنُ مِنَ الْأَوَّلِ؛ لِأَنَّهُ يَشْمُلُ بِدَلَالَةِ الْمَطَابَقَةِ جَمِيعَ الْعِبَادَاتِ، وَالْأَوَّلُ يَخْتَصُّ بِالْعِبَادَاتِ ذَاتِ السَّعْيِ وَالْمَشْيِ، وَكَذَلِكَ أَيْضًا يُقَالُ فِي قَوْلِهِ: «مَنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بِأَعَا».

❖ أَمَّا قَوْلُهُ: «وَأِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرُولَةً» فَهَذَا أَيْضًا اخْتَلَفَ فِيهِ الْعُلَمَاءُ، هَلْ هُوَ عَلَى حَقِيقَتِهِ أَوْ لَا؟ فَقِيلَ: إِنَّهُ عَلَى حَقِيقَتِهِ وَنَحْنُ إِذَا مَشِينَا نَعْرِفُ كَيْفَ نَمْشِي، أَمَّا اللَّهُ ﷻ فَإِنَّمَا لَا نَعْرِفُ كَيْفِيَّةَ مَشْيِهِ، وَلَا مَانِعَ مِنْ أَنَّ اللَّهَ يَمْشِي مُقَابِلَ الْمُتَّحِجِ إِلَيْهِ فَيُقَابِلُهُ إِذَا أَتَاهُ يَمْشِي يُقَابِلُهُ هَرُولَةً، وَيُقَالُ: إِنَّ الَّذِي يَأْتِي سَيِّئَاتِي عَلَى صِفَةٍ مَا وَلَا بَدَّ، فَإِذَا كَانَ اللَّهُ يَأْتِي حَقِيقَةً، فَإِنَّهُ لَا بَدَّ أَنْ يَأْتِي عَلَى صِفَةٍ مَا، الْهَرُولَةُ أَوْ غَيْرَهَا، فَإِذَا قَالَ عَنْ نَفْسِهِ: «أَتَيْتُهُ هَرُولَةً» قُلْنَا: مَا الَّذِي يَمْنَعُ أَنْ يَكُونَ إِتْيَانُهُ هَرُولَةً؟ إِذَا كُنَّا نُؤْمِنُ بِأَنَّهُ يَأْتِي حَقِيقَةً، وَنَحْنُ نُؤْمِنُ بِأَنَّهُ يَأْتِي حَقِيقَةً، فَإِذَا كَانَ يَأْتِي حَقِيقَةً فَلَا بَدَّ أَنْ يَكُونَ إِتْيَانُهُ عَلَى صِفَةٍ مِنَ الصِّفَاتِ فَإِذَا أَخْبَرْنَا بِأَنَّهُ يَأْتِي هَرُولَةً، قُلْنَا: أَمَّا بِاللَّهِ، لَكِنْ كَيْفَ هَذِهِ الْهَرُولَةُ؟ لَا يَجُوزُ أَنْ نُكَيِّفَهَا وَلَا يُمْكِنُ أَنْ نَتَصَوَّرَهَا فَهِيَ فَوْقَ مَا نَتَصَوَّرُ وَفَوْقَ مَا نَتَكَلَّمُ بِهِ، وَلَكِنْ هَذَا قَوْلٌ يَخْصُ هَذَا الْحُكْمَ بِالْعِبَادَاتِ الَّتِي يَأْتِي إِلَيْهَا الْإِنْسَانُ مَشِيًّا، وَتَبَقَّى الْعِبَادَاتُ الْأُخْرَى الَّتِي يَفْعَلُهَا الْإِنْسَانُ وَهُوَ قَائِمٌ فِي مَكَانِهِ غَيْرَ مَذْكُورَةٍ فِي هَذَا الْحَدِيثِ، لَكِنَّهَا بِمَعْنَاهَا.

وَعَلَى الْقَوْلِ الثَّانِي نَقُولُ: هَذَا مِنْ بَابِ التَّمثِيلِ، أَيْ مَنْ أَسْرَعَ إِلَى رِضَايَ وَإِلَى عِبَادَتِي أَسْرَعْتُ إِلَيَّ

ثوابه سرعة أكثر من سرعة عمله، وهذا القول يشمل جميع العبادات؛ لأن الإنسان يسرع إلى العبادة إسراراً بالبدن وأحياناً يسرع بالقلب فقط وهو ثابت في مكانه.

فالمهم: أن العلماء - علماء السلف - في هذه المسألة قولين: هل نتيقها على ظاهرها، وإن كان سيخرج عنا بعض العبادات إلا أنها تثبت بالقياس؟ أو نقول: إن هذا كناية عن أن فضل الله ﷻ أكثر من عمل العامل؟

وكان شيخ الإسلام رحمه الله يميل إلى هذا الرأي الآخر: أنه من باب ضرب المثال، ويؤيد هذا بأنه ليست جميع العبادات تحتاج إلى سعي ومشى، وإبقاء للحديث على عموم المعنوي في جميع العبادات، أو لى من كوننا نخضعه في بعض العبادات التي لا تصل إلى عشر العبادات الأخرى، يعني أن العبادات التي تحتاج إلى مشى قليلة بالنسبة للعبادات الأخرى، وما زال الناس يضربون المثل في هذا، يقول: أنا إذا رأيتك تقبل عليّ سوف أعطيك الخطوة خطوتين، أو: إذا أقبلت مشياً أقبل إليك مسرعاً: إذا مشيت إليّ بالأقدام أمشي إليك بالجفون.

فهذا أسلوب عربي معروف، ولا زال إلى يومنا هذا، وهذا يزول الإشكال في الحديث. إن حملناه على الحقيقة لم يقتض على هذا الحمل إلا شيء واحد، وهو العبادات التي لا تحتاج إلى مشى ولا إلى مسافة، وإن حملناه على ضرب المثل عم جميع العبادات وهذا المثل معروف في أساليب اللغة العربية.

واعلم أن السلف ليسوا يحملون كل شيء على ظاهره، وإن دل الدليل على خلاف الظاهر، ولهذا لا يُنكر السلف كل تأويل، السلف ينكرون كل تأويل لا يدل عليه دليل، فإذا دل عليه دليل، قالوا: إن المراد ما دل عليه هذا الدليل.

قال القسطلاني رحمه الله:

قوله: «إن تقرب إليّ بتشديد الباء، «بشبر» ولأبي زُرعة عن الكشميهني «شبراً»، بإسقاط الخافض والنصب؛ أي: مقدار شبر، «تقربت إليه ذراعاً»، وإن تقرب إلى ذراعاً» بكسر الذال المعجمة، أي بقدر ذراع، «تقربت إليه»، ولأبي زرع، عن الحموي «منه باعاً»؛ أي بقدر باع وهو طول ذراع الإنسان وعُضْدَيْهِ وعَرْضُ صدره، ولأبي زرع عن الحموي والمستملي، «ومن أتاني يمشي أتيته هرولة».

[الباع: الخطوة. وهو المعروف عندنا الآن عند العامة، الباع الخطوة هو ما بين الخطوتين] (١).

قوله: «أتاني يمشي أتيته هرولة» إسراراً، يعني: من تقرب إليّ بطاعة قليلة جازيته بمثوبة كثيرة، وكلما زاد في الطاعة زدت في ثوابه، وإن كان كيفية إتيانه بالطاعة على التائي، فإتياني بالثواب له

(١) ما بين المعكوفين من كلام الشيخ ابن عثيمين رحمه الله.



على السرعةِ والتقربِ، والهرولةُ مجازٌ على سبيلِ المشاكلةِ أو الاستعارةِ أو قصدِ إرادةِ لازِمِها وإلا فهذه الإطلاقاتُ وأشبهُها لا يجوزُ إطلاقُها على اللَّهِ تعالى إلَّا على المجازِ، واستحالَتُها عليه تعالى وفي الحديثِ جوازُ إطلاقِ النفسِ على الذاتِ. اهـ  
كلُّ هذه وأشكالها لا تكونُ على الحقيقةِ، إنَّما تحمُلُ على المجازِ.

\*\*\*

ثُمَّ قَالَ الْبَحَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٦- بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾.

٧٤٠٦- حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ، عَنْ عَمْرِو، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابَيْنِ فَوْقَكُم﴾ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَعُوذُ بِوَجْهِكَ». فَقَالَ ﴿أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكَ﴾ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَعُوذُ بِوَجْهِكَ». قَالَ ﴿أَوْ يَلِيْسُكُمْ شَيْعًا﴾ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «هَذَا أَيْسَرُ».

قوله: ﴿بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾. أي زائل إلا وجه الله، والمراد بالهالكِ قبوله للهلاكٍ وإن لم يهلك، ولهذا من المخلوقات ما لا يهلك ولا يفنى كالجنة والنار، والروح وما شاء الله ﷻ، فالمراد بالهالكِ هنا أنه: إمَّا هالكٌ حقيقة أو قابلٌ للهلاكِ إلا وجه الله، واختلف المفسرون في قوله: ﴿إِلَّا وَجْهَهُ﴾ فقيل: إلَّا ما أريد به وجهه، وعلى هذا فمعنى الآية كلُّ شيءٍ يقومُ به الإنسانُ ويفعله فإنه لا فائدةَ منه إلَّا ما أراد به وجه الله. وهؤلاء أيدوا قولهم بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [التكوير: ٢٨]. هذا هو الأمرُ بالإخلاصِ، فيكونُ المرادُ بقوله: ﴿إِلَّا وَجْهَهُ﴾ أي: إلَّا ما أريد به وجهه؛ أي: إلَّا ما كان خالصًا. وهذا لاشكَّ أنَّ له وجهه من حيثُ سياقِ الآية، وقيل: المرادُ كلُّ شيءٍ هالكٌ؛ أي: فإن زائلٌ إلا وجه الله ﷻ، فعلى الأولِ يكونُ الهلاكُ معنويًا، وعلى الثاني يكونُ الهلاكُ حسيًا، إلا وجه الله ﷻ.

**والمرادُ بوجهه هنا:** ذاته، بمعنى أنه عبَّرَ بالوجهِ عن الذاتِ، وليس كما قال أهلُ الضلالِ أنَّ الرَّبَّ ﷻ يفنى إلَّا وجهه، أعوذ بالله فهذا منكرٌ من القولِ، والله يُعبَّرُ عن وجهه في مقامِ الشاء كما قال الله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ [سورة النازعات: ٢٥] وَبَعَثَ فِيهِ بِرَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٧﴾ [التكوير: ٢٦-٢٧]. فهي بإزاء قوله: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [التكوير: ٢٨].

والتعبيرُ بالوجهِ عن الذاتِ لا يعني أننا خرَّجنا عن المعنى المرادِ إذ أنَّ التَّعبيرَ بالوجهِ عن الذاتِ يدلُّ على أنَّ الله وجهًا، وهذا هو المطلوبُ، فالله ﷻ له وجهٌ موصوفٌ بالجلالِ والإكرامِ؛ أي: بالعظمة والإحسانِ إلى الخلقِ، وإكرامٌ من يستحقُّ الإكرامَ، وهذا الوجهُ حقيقيٌّ لكنَّه غيرُ معلومٍ الكيفية؛ لأنَّ الله أخبرنا عن وجهه ولم يُخبرنا عن كيفية وجهه، وكما أنَّه لا كيفية لذاته نعلمها، فكذلك لا نعلمُ كيفية صفاته؛ لأنَّ الكلامَ في الصفاتِ فرعٌ عن الكلامِ في الذاتِ، ولهذا قال بعضُ العلماء: إذا

قال لك الجهمي: أنت أثبتت لله وجهًا، فكيف وجهه، وأثبتت لله يدًا فكيف يده؟ فقل له: أنت تثبت لله ذاتًا فكيف ذاته، فإذا قلت هذا فسوف ينقطع؛ لأنه لا يمكن أن يُكَيَّفَ ذاته، فنقول له: إذا كنت لا تكيف ذاته فإننا لا نكيف صفاته؛ لأن الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات، وقال بعض العلماء على حديث النزول: إذا قال لك المعطل: إن الله ينزل إلى السماء الدنيا: كيف ينزل فقل له: إن الله أخبرنا أنه ينزل، ولم يُخبرنا كيف ينزل.

وكل هذه الجوابات مفحمة واضحة لا تحتاج إلى تكلف، فالوجه لله حقيقة، ثابت موصوف بالجلال والإكرام، لكن كيفيته غير معلومة لنا؛ لأنه أعظم من أن تحيط به عقولنا وأفهامنا، وأهل السنة والجماعة على طريقتهم وعلى جادتهم يقولون: إنه وجه حقيقي يليق بالله ﷻ ولا تعلم كيفيته. وهذا النوع من الصفات يُسمى: الصفات الخبرية؛ لأن إثباتها بمجرد الخبر، فالعقل لا يَهْتَدِي إليها، لكن السمع والبصر صفات معنوية يَهْتَدِي إليها العقل، فيعلم أنه لا يصح أن يكون ربًا إلا مَنْ كان سميعًا بصيرًا، ولهذا قال إبراهيم لأبيه: ﴿وَأَتَيْتُ لَمْ تَعْبُدْ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ۚ﴾ [ص: ٢٦]. لكن الوجه واليد وما أشبهها لا يمكن أن يُثَبِّتَ العقل فهي موقوفة على السمع والخبر، ولهذا سَمَّوها صفات خبرية، وضابطها أن مَسْمَاها بالنسبة إلينا أبعاض وأجزاء وليست معاني كالوجه واليد، والعين، والساق، والقدم، والإصبع، كل هذه نُسَمُّها صفات خبرية.

أهل التحريف الذين يُسَمُّون أنفسهم أهل التأويل يقولون: إن الله ليس له وجه؛ لأن إثبات وجه حقيقي يستلزم التجسيم، والمُجَسِّمَةُ كُفْرًا، والتجسيم كفر عندهم. فلا نقول: إن الله وجهًا حقيقيًا، إذن ما المراد بالوجه عندهم؟ قالوا: المراد بالوجه الجهة، أو المراد بالوجه: الثواب، وليس المراد الوجه الحقيقي.

**فيقال:** إن هذا تحريف، وأي معنى للجهة في قوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾؟ فلو صحَّ إثبات الوجه بمعنى الجهة لم يستقم في مثل قوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ قالوا: إذن نقول: المراد الثواب، يعني في مثل قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولُوا فَمِنْ وَجْهِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٥]. قلنا: لو صحَّ إثبات الوجه، بمعنى: الثواب؛ لأن ثوابه لا يَهْلِكُ، فالجنة مؤبدة أبد الآبدين. ولكن كل هذا انحراف عن الصراط المستقيم سببه الرجوع إلى العقل، ولو أن الإنسان تأدب مع ربه ومع نبيه، ولم يُحَكِّمْ عقله فيما جاء عن الله ورسوله لَسَلِمَ من هذه المشاكل، فما الذي يَضِرُّه إذا قال: لله وجه حقيقي، لكنه لا يشبه الأوجه، ولا يائل أوجه المخلوقين، ولا نعلم كيفيته أي شيء يضره.

فالصواب: المقطوع به المتعين عقيدة أن ثبت لله وجهًا حقيقيًا موصوفًا بالجلال والإكرام ﴿وَبَقِيَ وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ (٧) ولکننا لا نکیفہ ولا نُثَمِّلُه بخلقہ.

ثم ساق المؤلف حديثًا فيه ذكر الوجه، وهو قول الرسول ﷺ: «أَعُوذُ بِوَجْهِكَ». قالها عند قوله



تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابَاتٍ مِّنْ فَوْقِكُمْ﴾ [الأنعام: ٦٥]. مِنْ فَوْقِكُمْ؛ يُعْنِي حَاصِلًا مِنَ السَّاءِ، كَالصَّوَاعِقِ وَغَيْرِهَا مِمَّا يُهْلِكُ النَّاسَ، ﴿أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ الْخَسْفُ وَالزَّلْزَالُ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَعُوذُ بِوَجْهِكَ» ﴿أَوْ يَلْسَكُمْ شَيْعًا وَيَذِقَ بَعْضُكُم بِأَسَ بَعْضٍ﴾ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «هَذِهِ أَيْسَرُ» أَوْ قَالَ: «أَهْوَنُ» أَيْ بِالنِّسْبَةِ لغيرها؛ لِأَنَّ الْأَوَّلَ لَا يُمْكِنُ مَدَافَعَتُهُ، وَالثَّانِي لَا يُمْكِنُ مَدَافَعَتُهُ، وَالثَّلَاثُ يُمْكِنُ أَنْ يَدَافَعَ بِالْإِصْلَاحِ بَيْنَ النَّاسِ.

وَيُمْكِنُ أَنْ نَقُولَ: كُلَّمَا جَاءَ وَجْهُ اللَّهِ فِي الْقُرْآنِ فَهُوَ الْوَجْهُ الْحَقِيقِيُّ. لَكِنْ اخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولَّوْا فَوَجْهُ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٥]. فَقِيلَ: الْمَرَادُ بِالْوَجْهِ هُنَا الْجِهَةُ، يَعْنِي: أَيُّ شَيْءٍ تُولُّونَهُ فِي صَلَاتِكُمْ فَهِيَ جِهَةٌ صَحِيحَةٌ.

وَلَكِنَّ الرَّاجِحَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَوَجْهُ اللَّهِ﴾ أَنَّهُ الْوَجْهُ الْحَقِيقِيُّ وَيُؤَيِّدُ هَذَا قَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْمَصَلِيِّ: أَنَّ اللَّهَ قَبْلَ وَجْهِهِ<sup>(١)</sup>، فَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا اتَّجَهَ فِي الصَّلَاةِ، فَإِنَّمَا يَتَجَهَّ إِلَى وَجْهِ اللَّهِ. مَاذَا نَقُولُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا تُطْعَمُونَكُم بِوَجْهِ اللَّهِ﴾ [الأنعام: ٩٠]. هَلِ الْمَرَادُ بِهِ الْوَجْهُ الْحَقِيقِيُّ؟

**الجواب:** نعم المراد به الوجه الحقيقي، وهذا كما لو قالوا: إِنَّمَا تُطْعَمُكُمْ اللَّهُ. لَكِنْ عَبَّرُوا بِالْوَجْهِ عَنِ الذَّاتِ مِثْلَ «كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ»، فَالْقَاعِدَةُ كُلَّمَا جَاءَتْ صِفَةٌ وَجْهِ مِضَافَةٌ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فِي الْقُرْآنِ فَهِيَ الْوَجْهُ الْحَقِيقِيُّ إِلَّا هَذِهِ الْآيَةُ ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولَّوْا فَوَجْهُ اللَّهِ﴾ فَفِيهَا قَوْلَانِ لِلْسَلَفِ.

\*\*\*

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٧- بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَلْيُضَعَّ عَلَى عَيْنَيْكَ﴾ [التكوير: ٣٩] تُغْذَى. وَقَوْلُهُ -جَلَّ ذِكْرُهُ-

﴿تَجَرَّى بِأَعْيُنِنَا﴾ [التكوير: ١٤].

٧٤٠٧- حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ، قَالَ: حَدَّثَنَا جُوَيْرِيَّةُ، عَنْ نَافِعٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: ذُكِرَ الدَّجَالُ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْكُمْ، إِنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِأَعْوَرَ -وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى عَيْنِهِ- وَإِنَّ الْمَسِيحَ الدَّجَالَ أَعْوَرَ الْعَيْنِ الْيُمْنَى كَأَنَّ عَيْنَهُ عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ»<sup>(١)</sup>.

٧٤٠٨- حَدَّثَنَا حَفْصُ بْنُ غَمَرٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، أَخْبَرَنَا قَتَادَةُ، قَالَ: سَمِعْتُ أَنَسًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَا بَعَثَ اللَّهُ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَنْذَرَهُ قَوْمَهُ الْأَعْوَرَ الْكَذَّابَ، إِنَّهُ أَعْوَرٌ، وَإِنْ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ، مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَافِرٌ»<sup>(٢)</sup>.

(١). رواه البخاري (٤٠٥)، ومسلم (٥٤٧).

(٢). رواه مسلم (١٦٩)، (١٧١).

(٢). رواه مسلم (٢٩٣٣).

هذا البابُ ذَكَرَ المؤلِّفُ تَحْلَلَهُ فِيهِ صِفَةُ الْعَيْنِ، وَالْعَيْنُ مِنَ الصِّفَاتِ الْخَبْرِيَّةِ، فَذَكَرَ تَحْلَلَهُ آيَاتِينَ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ.

**الآيَةُ الْأُولَى:** قَوْلُهُ تَعَالَى لِمُوسَى: ﴿وَلْيَصْنَعْ عَلَى عَيْنِي﴾ وَاللَّامُ هَذِهِ لِلتَّعْلِيلِ وَتَصْنَعُ بِمَعْنَى تُرَبِّي وَتُغَدِّي، وَالتَّغْدِيَةُ صِنَاعَةٌ، وَالتَّرْبِيَةُ أَيْضًا صِنَاعَةٌ، فَالتَّغْدِيَةُ صِنَاعَةٌ لِلْبَدَنِ، وَالتَّرْبِيَةُ صِنَاعَةٌ لِلْعَمَلِ، فَإِنَّ الْإِنْسَانَ يُرَبَّى عَلَى الْأَخْلَاقِ، فَيَقَالُ: صُنْعٌ عَلَيْهَا، وَيُغَدَّى فَيَزْدَادُ نُمُوَّهُ وَيَنْشَطُ فَيَكُونُ مَصْنُوعًا بِالْغِذَاءِ. وَابْنُ خَالٍ تَحْلَلَهُ قَالَ: «تُغَدَّى» فَذَكَرَ أَحَدَ تَوْعِي الصِّنَاعَةِ، وَهِيَ التَّغْدِيَةُ، وَالتَّرْبِيَةُ صِنَاعَةٌ، لِأَنَّكَ تُكَيِّفُ وَلَدَكَ مِثْلًا عَلَى الصِّفَةِ الَّتِي تَرِيدُهَا مِنَ التَّرْبِيَةِ، فَيَكُونُ هَذَا صِنَاعَةً.

❦ وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلْيَصْنَعْ عَلَى عَيْنِي﴾ أَيُّ: عَلَى مَرَأَى مِنِّي فَأَرَاكَ بَعْنِي، وَلَيْسَ الْمَعْنَى أَنَّهُ يُصْنَعُ عَلَى عَيْنِ اللَّهِ ﷻ حَيْثُ يَكُونُ عَلَيْهَا نَفْسُهَا، وَلَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ هَذَا الْمَرَادُ، وَلَيْسَ هُوَ غَايَةُ اللَّفْظِ، وَلَكِنَّ الْمَعْنَى عَلَى مَرَأَى مِنِّي بِالْعَيْنِ، يَغْنِي أَرَاكَ بَعْنِي وَلِهَذَا فَسَّرَ الْعُلَمَاءُ - عُلَمَاءُ السَّلَفِ - الْآيَةَ بِقَوْلِهِمْ: عَلَى مَرَأَى مِنِّي، كَمَا فَسَّرُوا قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿تَجَرِّي بِأَعْيُنِنَا﴾ <sup>(التَّجَرِّي: ١٤)</sup>. أَيُّ: بِمَرَأَى مِنِّي وَمَرَادُهُمْ بِذَلِكَ أَنَّهُ يُصْنَعُ عَلَى عَيْنِ اللَّهِ؛ أَيُّ: بِمَرَأَى مِنَ اللَّهِ بَعْنِهِ.

**فَقِيه:** إِبْثَاتُ الْعَيْنِ، وَالْعَيْنُ كَمَا تَرَوْنَ فِي الْآيَةِ مُفْرَدَةٌ «عَيْنِي». فَهَلِ الْمَرَادُ عَيْنٌ وَاحِدَةً، أَوِ الْمَرَادُ مَا ثَبَتَ لِلَّهِ مِنْ عَيْنٍ؟ الْمَرَادُ الثَّانِي؛ لِأَنَّ الْمَفْرَدَ إِذَا أُضِيفَ يَتَنَاوَلُ كُلَّ مَا يَحْتَمِلُهُ الْمَعْنَى مِنَ الْعُمُومِ، أَوْ كُلَّ مَا تَحْتَمِلُهُ الْإِضَافَةُ مِنَ الْعُمُومِ، فَهُوَ يَشْمَلُ مَا لِلَّهِ مِنَ الْعَيْنِ.

❦ وَقَوْلُهُ - جَلَّ ذِكْرُهُ -: ﴿تَجَرِّي بِأَعْيُنِنَا﴾ فَكَلِمَةُ «تَجَرِّي» الضَّمِيرُ فِيهَا يَعُودُ عَلَى السَّفِينَةِ؛ سَفِينَةُ نُوحٍ ﴿وَحَمَلَتْهُ عَلَى ذَاتِ الْوَجِّ وَدُسِّرَ ١٣ تَجَرِّي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفْرًا ١٤﴾ <sup>(التَّجَرِّي: ١٣-١٤)</sup>. أَيُّ: تَجَرِّي بِمَرَأَى مِنَّا، فَنَحْنُ نَكْلُوهَا وَنَحْفَظُهَا وَنَرَاقِبُهَا بِأَعْيُنِنَا أَيْمَدْنَاهَا لَا شَكَّ أَنَّ هَذِهِ مَرَاقِبَةٌ بِالْعَيْنِ، هِيَ مَرَاقِبَةٌ خَاصَّةٌ، فَاللَّهُ ﷻ يَنْظُرُ إِلَى كُلِّ شَيْءٍ وَيَبْصُرُ كُلَّ شَيْءٍ، لَكِنْ هَذَا نَظَرٌ خَاصٌّ لِهَذِهِ السَّفِينَةِ وَعَنَايَةٌ وَرِعَايَةٌ تَخْتَصُّ بِهَا.

وَمِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّهُ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ الْمَرَادُ بِقَوْلِهِ: ﴿بِأَعْيُنِنَا﴾ أَنَّهَا فِي نَفْسِ أَعْيُنِ اللَّهِ ﷻ، هَذَا مُسْتَحِيلٌ فَلَا يَخْتَجُّ بِذَلِكَ عَلَيْنَا أَهْلُ التَّحْرِيفِ يَقُولُونَ أَنْتُمْ تُتَكَبَّرُونَ عَلَيْنَا الْمَشِيَّ عَلَى خِلَافِ الظَّاهِرِ، وَأَنْتُمْ تَمْشُونَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ عَلَى خِلَافِ الظَّاهِرِ. نَقُولُ لَهُمْ: مَا مَشِينَا عَلَى خِلَافِ الظَّاهِرِ، بَلْ مَشِينَا عَلَى وَفْقِ الظَّاهِرِ، أَيْنَ كَانَتِ السَّفِينَةُ، فِي السَّمَاءِ أَوْ فِي الْأَرْضِ؟

**الْجَوَابُ:** فِي الْأَرْضِ، وَكَانَتْ عَلَى الْمَاءِ الَّذِي أَنْزَلَهُ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ، وَأَتْبَعَهُ مِنَ الْأَرْضِ، فَكَيْفَ يُمْكِنُ أَنْ نَقُولَ: إِنَّ ظَاهِرَ قَوْلِهِ «تَجَرِّي بِأَعْيُنِنَا» أَيُّ: فِي نَفْسِ عَيْنِ اللَّهِ ﷻ، وَحَاشَا وَكَلَّا وَاللَّهُ تَعَالَى فِي السَّمَاءِ وَهَذِهِ فِي الْأَرْضِ، لَكِنَّ هَذِهِ الْعِبَارَةَ مَعْرُوفَةٌ عِنْدَ الْعَرَبِ إِذَا قَالَ: امْشِ بَعْنِي. الْمَعْنَى أَنِّي أَكَلُوكَ بَعْنِي وَأَحْمِيكَ بَعْنِي وَأَرْقُبُكَ بَعْنِي، هَذَا الْمَعْنَى، أَوْ نَقُولُ لِشَخْصٍ: يَا فَلَانُ، هَاتِ لِي كَذَا وَكَذَا. فَيَقُولُ: عَلَى عَيْنِي، الْمَعْنَى أَنِّي أَحْفَظُ لَكَ مَا آتَى لَكَ بِهِ بَعْنِي.



❖ فقولُه: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ أي: بِمَرَأَى مِنَّا بِالْعَيْنِ، وَلَيْسَ هَذَا مِنْ بَابِ التَّحْرِيفِ، بَلْ هَذَا مِنْ بَابِ تَفْسِيرِ الْكَلَامِ بِمَا يَقْطَعُ أَنَّهُ مَرَادُ اللَّهِ ﷻ.

❖ وَهَذَا قَالَ: ﴿بِأَعْيُنِنَا﴾ وَفِي الْآيَةِ الَّتِي قَبْلَ قَالَ: ﴿عَلَى عَيْنِي﴾. بِالْإِفْرَادِ، فَهَلْ بَيْنَهُمَا تَعَارُضٌ؟

**الجواب:** لا، لَيْسَ بَيْنَهُمَا تَعَارُضٌ، وَهَذَا يَجِبُ أَنْ نَعْلَمَ أَنَّ مَا جَاءَ فِي كِتَابِ اللَّهِ أَوْ فِي صَحِيحِ السُّنَنِ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَنَاقِضَ بَعْضُهُ بَعْضًا، وَلَا صَحِيحُ السُّنَنِ يَنَاقِضُ بَعْضُهُ بَعْضًا، وَلَا الْقُرْآنُ مَعَ صَحِيحِ السُّنَنِ يَنَاقِضُ بَعْضُهُ بَعْضًا، لَا يُمْكِنُ؛ لِأَنَّ كُلًّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَلَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ فِيهِ اخْتِلَافٌ، وَلَكِنْ قَدْ يَقْصُرُ الْفَهْمُ عَنِ الْمَعْنَى الْمُرَادِ فَيُظَنُّونَ فِي ذَلِكَ تَنَاقُضًا، وَيُسْتَبَيِّهُ عَلَيْهِمُ الْأَمْرُ، وَلَكِنْ مَنْ أَعْطَاهُ اللَّهُ تَعَالَى فَهَمًّا عَرَفَ كَيْفَ يَتَخَلَّصُ مِمَّا ظَاهَرَهُ التَّعَارُضُ، وَأَنَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ يُعِينُكُمْ عَلَى هَذَا، أَلَّا تَنْظُرُوا لِلآيَاتِ أَوْ النُّصُوصِ الَّتِي ظَاهَرُهَا التَّعَارُضُ لَا تَنْظُرُوا إِلَيْهَا عَلَى سَبِيلِ أَنَّهَا مُتَعَارِضَةٌ، وَأَنْظُرُوا إِلَيْهَا عَلَى سَبِيلِ أَنَّهَا مُتَأَلِّفَةٌ، ثُمَّ حَاولُوا أَنْ تَصِلُوا إِلَى كَيْفِيَةِ هَذَا التَّأْلِيفِ، أَمَّا أَنْ تَنْظُرَ إِلَيْهَا عَلَى أَنَّهَا مُتَعَارِضَةٌ فَإِنَّكَ قَدْ تَحَرَّمْتَ الْوَصُولَ إِلَى التَّأْلِيفِ بَيْنَهَا؛ لِأَنَّكَ سَوْفَ تُورِدُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ عَلَى وَجْهِ مُتَنَاقِضٍ، وَحِينَئِذٍ تَحَرَّمْتَ الْوَصُولَ إِلَى الْمُرَادِ، لَكِنْ أَنْظُرْ إِلَيْهَا عَلَى أَنَّهَا مُتَأَلِّفَةٌ، وَحَاولْ أَنْ تَعْرِفَ كَيْفَ التَّأْلِيفِ، هَذَا هُوَ الَّذِي يَجِبُ أَنْ تَعْتَقِدَهُ فِي النُّصُوصِ الَّتِي ظَاهَرُهَا التَّعَارُضُ حَتَّى تَهْتَدِيَ، أَمَّا إِذَا نَظَرْتَ إِلَيْهَا النُّظْرَةَ التَّعَارُضِيَّةَ؛ فَاعْلَمْ أَنَّهُ سَوْفَ يَنْغَلِقُ عَنْكَ الْبَابُ وَلَا تَعْرِفُ كَيْفَ تَوْفُقُ بَيْنَهَا؛ لِأَنَّكَ إِنَّمَا نَظَرْتَ إِلَيْهَا عَلَى أَنَّهَا مُتَعَارِضَةٌ مُتَنَافِرَةٌ، لَكِنْ كَيْفَ التَّأْلِيفِ بَيْنَ هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ، ﴿وَلَنُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾، ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾؟

**الجواب أولاً:** لَا نَقُولُ هُنَاكَ تَعَارُضٌ بَيْنَهُمَا أَصْلًا، بَلْ نَقُولُ بَيْنَهُمَا تَأْلَفٌ؛ لِأَنَّ الْعَيْنَ مُفْرَدَةٌ مُضَافَةٌ، فَتَشْمَلُ كُلَّ مَا ثَبَتَ لِلَّهِ مِنْ عَيْنٍ مِمَّا كَثُرَتْ، انْظُرْ إِلَى قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَلَنُتَعَدَّوْا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصِيهَا﴾ [الْحَاقَّةُ: ١٨]. ﴿نِعْمَةٌ﴾ مُفْرَدٌ مُضَافٌ، وَالْمُرَادُ بِهَا: مَا لَا يُحْصِي مِنَ النِّعَمِ وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿وَإِذْ كُتِبَتْ نِعْمَةُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَقُ الَّذِي وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ [الْبَقَرَةُ: ١٧]. كَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿عَيْنِي﴾، نَقُولُ: يَشْمَلُ كُلَّ مَا ثَبَتَ لِلَّهِ مِنْ عَيْنٍ، بَقِيَ الْقَوْلُ فِي الْجَمْعِ هَلْ نَقُولُ بِظَاهِرِ الْجَمْعِ أَوْ لَا؟

**الجواب:** ذَهَبَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ إِلَى أَنَّنَا نَقُولُ بِظَاهِرِ الْجَمْعِ، وَنَقُولُ: لِلَّهِ أَعْيُنٌ كَثِيرَةٌ، لَكِنَّهَا غَيْرُ مُحْصَوْرَةٍ؛ لِأَنَّ ﴿عَيْنِي﴾ جَمْعٌ، وَ«عَيْنٌ» مُفْرَدٌ مُضَافٌ، فَيَشْمَلُ كُلَّ مَا ثَبَتَ وَلَوْ كَانَ آلاَفَ الْآلَافِ، وَحِينَئِذٍ نَقُولُ: لِلَّهِ أَعْيُنٌ كَثِيرَةٌ غَيْرُ مُحْصَوْرَةٍ وَلَا مَعْلُومَةِ الْعَدَدِ. وَحُجَّةُ هَؤُلَاءِ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ: لَمْ يَأْتِ فِي الْقُرْآنِ وَلَا فِي السُّنَنِ تَقْيِيدُ الْعَيْنِ بِالسُّنَنِ، كَمَا جَاءَ فِي الْيَدِ، فَالْيَدُ جَاءَتْ بِالسُّنَنِ كَقَوْلِهِ: ﴿لَمَّا خَلَقْتُ يَدَيَّ﴾، وَ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [الْأَنْعَامُ: ٦٤]. لَكِنَّ الْعَيْنَ مَا جَاءَتْ هَكَذَا، وَإِنْ كَانَ فِيهَا حَدِيثٌ فِيهِ مَقَالٌ إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ يَصْلِي فَإِنَّهُ بَيْنَ عَيْنِي الرَّحْمَنِ، وَلَكِنْ هَذَا الْحَدِيثُ فِيهِ مَقَالٌ، وَهُوَ ضَعِيفٌ فَظَنُّوا أَنَّ لِلَّهِ أَعْيُنًا كَثِيرَةً.

وَلَكِنَّ الْبَخَارِيَّ يَحْتَلِكُهُ لِدَقِّ فِهْمِهِ سَأَلَ حَدِيثَ الدَّجَالِ لِيَبَيِّنَ أَنَّ الْمُرَادَ بِالْأَعْيُنِ عَيْنَانِ اثْنَتَانِ فَقَطْ



لا تزيد، وهو ما قال عن الدجال: دُكِرَ الدَّجَالُ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِمْ، إِنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِأَعْوَرَ - وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى عَيْنِهِ - وَإِنَّ الْمَسِيحَ الدَّجَالَ أَعْوَرَ الْعَيْنِ الْيُمْنَى كَأَنَّ عَيْنَهُ عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ» وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى عَيْنِهِ، الْمَشِيرُ هُوَ الرَّسُولُ ﷺ وَهَذَا يَسْقُطُ وَيَبْطُلُ قَوْلُ مَنْ قَالَ: إِنَّ الْمَرَادَ بِالْعَوْرِ هُنَا الْعَيْبُ؛ لِأَنَّ بَعْضَ الْمُحَرِّفِينَ الَّذِينَ أَصَرُّوا عَلَى أَنْ تَكُونَ أَعْيُنُ اللَّهِ كَثِيرَةً، قَالُوا: الْمَرَادُ بِالْعَوْرِ الْعَيْبُ، وَالْمَعْنَى أَنَّ الدَّجَالَ أَعْوَرُ؛ أَيُّ: مَعِيْبٌ وَلَيْسَ الْمَرَادُ عَوْرَ الْعَيْنِ، وَلَكِنَّا نَدْمَعُهُمْ دَمْعًا يَزْهَقُ بِهِ الْبَاطِلُ، حِينَ أَشَارَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى عَيْنِهِ، وَالرَّسُولُ أَعْلَمُ مِنَّا بِاللَّهِ، أَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى عَيْنِهِ، وَقَالَ: «وَإِنَّ الْمَسِيحَ الدَّجَالَ أَعْوَرَ الْعَيْنِ» وَهَذَا أَيْضًا يَمْنَعُ مَنَعًا بَاتًا أَنْ يَكُونَ الْمَرَادُ بِالْعَوْرِ الْعَيْنُ.

❖ قَالَ: «أَعْوَرَ الْعَيْنِ» وَخَصَّ الْيُمْنَى وَمَثَلَهَا فَقَالَ: «كَأَنَّ عَيْنَهُ عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ أَوْ طَافِيَةٌ» رَوَيْتَانِ. إِذَا كَانَ كَذَلِكَ عَلِمَ أَنَّ اللَّهَ لَيْسَ لَهُ إِلَّا عَيْنَانِ اثْنَتَانِ.

**ووجه الدلالة:** أَنَّهُ لَوْ زَادَتْ عَلَى اثْنَتَيْنِ، لَكَانَ الزَّائِدُ كَمَا لَا، وَلَكَانَ هَذَا الْكَمَالُ يَحْصُلُ بِهِ الْفَرْقُ بَيْنَ عَيْنَيْ الدَّجَالِ لِأَنَّهُ لَيْسَ لَهُ إِلَّا اثْنَانِ، وَبَيْنَ الْأَعْيُنِ الزَّائِدَةِ عَلَى اثْنَتَيْنِ إِذَا اثْبَتْنَا ذَلِكَ لِلَّهِ ﷻ، وَمِنَ الْمُسْتَحِيلِ أَنْ يَدْعَ النَّبِيُّ ﷺ الْعَلَامَةَ الَّتِي فِيهَا الْكَمَالُ إِلَى عِلَامَةِ انْتِفَاءِ الْعَيْبِ؛ لِأَنَّهُ يَكُونُ فِي ذَلِكَ إِخْفَاءُ كَمَالِ اللَّهِ ﷻ. بِعَدَمِ ذِكْرِ مَا زَادَ عَلَى اثْنَتَيْنِ، فَلَوْ كَانَ الْأَعْيُنُ أَكْثَرَ مِنْ اثْنَتَيْنِ لَكَانَ الزَّائِدُ كَمَا لَا يَحْصُلُ بِهِ الْفَرْقُ بَيْنَ الدَّجَالِ وَالرَّبِّ ﷻ، فَلَمَّا لَمْ يَذْكُرْ ذَلِكَ الَّذِي هُوَ الْكَمَالُ، وَإِنَّمَا ذَكَرَ نَفْيَ الْعَيْبِ، وَهُوَ أَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِأَعْوَرَ، عَلِمَ أَنَّ اللَّهَ ﷻ لَيْسَ لَهُ إِلَّا عَيْنَانِ اثْنَتَانِ فَقَطْ، وَهَذَا هُوَ مَا ذَكَرَهُ الْأَشْعَرِيُّ وَغَيْرُهُ مِمَّنْ يَذْكُرُونَ عَقِيدَةَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، يَقُولُونَ: إِنَّ اللَّهَ عَيْنَيْنِ اثْنَتَيْنِ. وَهَذَا هُوَ الْمُتَعَبُّ عَلَى الْمُؤْمِنِ أَنْ يَعْتَقِدَهُ فِي رَبِّهِ ﷻ أَنْ لَهُ ﷻ عَيْنَيْنِ اثْنَتَيْنِ.

فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: فِي هَذَا الْحَدِيثِ إِشْكَالٌ عَظِيمٌ، وَهُوَ كَيْفَ أَنَّ الرَّسُولَ ﷺ جَعَلَ الْعَلَامَةَ الْفَارِقَةَ فِي الْعَيْنِ مَعَ أَنَّ الْفَرْقَ بَيْنَ الْخَالِقِ وَالْمَخْلُوقِ عَقْلِي لَا حَسِّي، يَعْنِي: لَيْسَ الْفَرْقُ مُجَرَّدٌ أَنَّ هَذَا أَعْوَرُ، وَالرَّبُّ ﷻ لَيْسَ بِأَعْوَرَ بَلْ هُنَاكَ فُرُوقٌ كَثِيرَةٌ فَلِمَاذَا؟

**قُلْنَا:** إِنَّ الرَّسُولَ ﷺ ذَكَرَ هَذِهِ الْعَلَامَةَ الْحَسِيَّةَ؛ لِأَنَّ الْمَسْأَلَةَ مَا هِيَ هِينَةٌ؛ لِأَنَّهُ إِذَا جَاءَ الدَّجَالُ انْدَهَشَ الرَّجَالُ وَضَاعَتِ الْعُقُولُ، فَالْعَلَامَةُ الْحَسِيَّةُ أَسْرَعُ إِلَى الْإِدْرَاكِ مِنَ الْعَلَامَةِ الْعَقْلِيَّةِ؛ لِأَنَّ الْعَلَامَةَ الْعَقْلِيَّةَ تَحْتَاجُ إِلَى مَقْدَمَاتٍ وَرُبَّمَا يَغْفُلُ عَنْهَا فِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ، أَمَّا الْعَلَامَةُ الْحَسِيَّةُ فَوَاضِحَةٌ، وَهِيَ كَالْعَلَامَةِ الْأُخْرَى الَّتِي سَتَأْتِي - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - فِي الْحَدِيثِ الَّذِي بَعْدَهُ، وَهِيَ أَنَّهُ مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَافِرٌ فَهَذَا أَيْضًا عِلَامَةٌ حَسِيَّةٌ، وَالنَّبِيُّ ﷺ - أَفْصَحَ الْخَلْقِ، وَأَنْصَحُهُمْ ذَكَرَ الْعَلَامَةَ الَّتِي لَا تَحْتَاجُ إِلَى مَقْدَمَاتٍ، وَلَا تَحْتَاجُ إِلَى إِعْمَالِ الْفِكْرِ بِمُجَرَّدِ مَا يَرَى الرَّجُلُ هَذَا الْخَبِيثَ الدَّجَالَ يَعْرِفُ أَنَّهُ لَيْسَ بِرَبِّ فَهَذَا هُوَ وَجْهُ كَوْنِ الرَّسُولِ ﷺ ذَكَرَ هَذِهِ الْعَلَامَةَ الْحَسِيَّةَ دُونَ أَنْ يَكُونَ هُنَاكَ عِلَامَاتٌ عَقْلِيَّةٌ، وَإِلَّا مِنَ الْمَعْلُومِ ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ﴾ [الأنعام: ١٧]. عَلَى أَنَّ هَذَا الدَّجَالَ يُوهِمُ النَّاسَ أَنَّهُ يَخْلُقُ، فَيَأْمُرُ السَّمَاءَ فَتَمْطُرُ، وَالْأَرْضَ فَتَنْبُثُ، وَيَقْتُلُ الرَّجُلَ وَيُحْيِيهِ، فَيَحْصُلُ فِي هَذَا اللَّبْسِ، لَكِنْ - وَاللَّهُ الْحَمْدُ - هَذِهِ الْعَلَامَةُ حَسِيَّةٌ لَا تَحْتَاجُ إِلَى تَأْمَلٍ وَلَا تَفْكِيرٍ.



**وفي حديث أنس:** دليل على عظم فتنة الدجال؛ لأن النبي ﷺ أخبر أنه ما من نبي إلا أنذر قومه الأعور الكذاب، كل الأنبياء من نوح إلى محمد، يُنذرون أقوامهم الأعور الكذاب. وقد يقال: الأعور الكذاب من علامات الساعة، فكيف يُنذر به أول الرسل، والساعة لم تأت بعد؟

**والجواب أن هذا له أوجه:**

**الوجه الأول:** أن يقال: أنذرت به الرسل لعظم خطره، فنبّوه عنه حتى في الصحف الأولى وحتى في الرسالات الأولى، كما قال تعالى: ﴿أَمْ لَمْ يَنْتَهِ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى وَإِنْبِإِهِمَ الَّذِي وَفَّى ۖ ﴿٧﴾ أَلَا تَنْزِيلُ وَارِدَةٌ وَرَأْفَةٌ ۚ ﴿٨﴾ وَأَنْ لِّسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ۚ ﴿٩﴾﴾ [الحجر: ٣٦-٣٩]. وقال: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ۖ ﴿١١﴾ وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ ۚ ﴿١٢﴾ إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى ۖ ﴿١٣﴾ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى ۖ ﴿١٤﴾﴾ [الأنعام: ١٦٦-١٦٩]. فلِعَظَمِ خطره هذا الرجل أنذرت به الرسل، وإن كان لن يخرج إلا في آخر الزمان.

**الوجه الثاني:** أنه يحتمل أن الرسل لم يبلغهم أنه سيخرج في آخر الزمان، وإنما بلغهم أنه سيخرج رجل له فتنة عظيمة ولم يوح إليهم أنه سيخرج في آخر الزمان.

**الوجه الثالث:** لكنّه ضعيف، أن المراد ما يُشابهُ فتنته من دعاة الضلال، لكن هذا الوجه يمنعه قوله: «إلا أنذر قومه الأعور الكذاب» فإن هذا يدل على تعيين هذا الدجال وأنه هو الذي أنذر به الرسل أقوامهم.

وعلى كل حال: فإن رسول الله ﷺ أنذرتنا بهذا الأعور الدجال إنذاراً لم يُنذره أحد من الأنبياء قبله، وفصله تفصيلاً تاماً.

والدجال قد كُتِبَ بين عينيه كافرٌ، وجاءت بعض الروايات بتفريق حروف كافرٍ، يعني مكتوباً (ك، ف، ر) وفي بعض الروايات كافرٌ، فيحتمل هذا أو هذا، ولكن من يقرأ هذه الكلمة؟ يقرأها المؤمن سواءً كان كاتباً أو غير كاتب ولا يستطيع الكافر أن يقرأها ولو كان من أعلم الناس بالكتابة ﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ۖ ﴿١﴾﴾ [البقرة: ٩٤]. والمؤمن يقرأها ولو كان أمياً، وهذا من آيات الله ﷻ، وهي من العلامات الحسية.

يبقى السؤال كيف نجتمع بين التثنية وبين الجمع؟

**الجواب على ذلك:** أن يقال: إن قلنا: أقل الجمع اثنان، فليس هناك تعارض، وإن قلنا: أقل الجمع ثلاث؛ فالجمع هنا إنّما هو للتعظيم والتناسب بين المضاف والمضاف إليه؛ لأن الجمع يُراد به التعظيم، مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ الرَّحْمَنُ الْكَرِيمُ وَإِنَّا لَهُ لَحَفُوظُونَ ۖ ﴿١﴾﴾ [البقرة: ٩٨]. و ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى﴾ [البقرة: ١٧٢]. وما أشبه ذلك، والتناسب هنا هو: التناسب بين المضاف والمضاف إليه، يعني أن المضاف إليه ضمير جمع، فكان التناسب بين المضاف والمضاف إليه، أو مراعاة التناسب بين المضاف والمضاف إليه أولى.

وقد سبق هذا في ذكر اليد أمّا شبهة الذين يُنكرون العين واليد والرجل والوجه وما أشبه ذلك؛

فإنهم يدعون بعقولهم أن إثبات هذا يستلزم التجسيم، وأن الله جسم؛ لأننا لا نعقل شيئاً له وجهٌ ويدٌ وما أشبه ذلك إلا جسمًا.

ونحن نقول لهم في الجواب على ذلك: ومن قال لكم: إنَّ الجسمَ متَّصفٌ بالله، من قال هذا؟ هل عندكم دليل على أنه متَّصفٌ فإن كان يلزم من إثبات هذه الصفات أن يكون الله جسمًا فهو حق، ولكنَّه لا يشبه الأجسام، وإن كان لا يلزم، فإن الزامكم إيانا بما لا يلزم هو عين الجور والظلم.



ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٨- بَابُ قَوْلِ اللَّهِ: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي يَخْلُقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ﴾ [المائدة: ٢٤].

٧٤٠٩- حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ، حَدَّثَنَا عَفَّانُ، حَدَّثَنَا وَهَيْبٌ، حَدَّثَنَا مُوسَى، -هُوَ ابْنُ عُقْبَةَ- حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى بْنِ حَبَّانَ، عَنِ ابْنِ مُحَيْرِيزٍ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي غَزْوَةِ بَنِي الْمُصْطَلِقِ أَنَّهُمْ أَصَابُوا سَبَايَا فَأَرَادُوا أَنْ يَسْتَمِيعُوا بِهِمْ وَلَا يَحْمِلُنَ فَسَأَلُوا النَّبِيَّ ﷺ عَنِ الْعَزْلِ فَقَالَ: «مَا عَلَيْكُمْ أَنْ لَا تَفْعَلُوا، فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ كَتَبَ مَنْ هُوَ خَالِقٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ» <sup>(١)</sup>.

وَقَالَ مُجَاهِدٌ عَنْ قُرْظَةَ، سَمِعْتُ أَبَا سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَيْسَتْ نَفْسٌ تَخْلُوقٌ إِلَّا اللَّهُ خَالِقُهَا» <sup>(١)</sup>.

قوله بَابُ قَوْلِ اللَّهِ: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ﴾ هذه ثلاثة أسماء في ضمن أسماء متعددة، ذكرها الله تعالى في آخر سورة الحشر ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ الْغَيْبُ وَالشَّهَادَةُ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيِّمُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ﴾ [المائدة: ٢٢-٢٤].  
و﴿الْخَلِيقُ﴾: الخالق من أسماء الله، وورد الخلاق، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾ [المائدة: ٨٦].

والخالق: هو الموجدُ للشيء على وجه مُقدَّرٍ محكم، ولهذا جاء في اللغة العربية الخلقُ بمعْنَى التقدير، كما في قول الشاعر:

(۱) رواه مسلم (۱۴۲۸).

(٢) رواه البخاري معلقاً بصيغة الجزم كما في «الفتح» (١٣/٣٩١)، وأسنده مسلم في صحيحه (٣/١٠٦٣)، كتاب النكاح، باب: حكم العزل (٢٢)، وأبو داود (٢١٧٠)، والترمذي (١١٣٨).



وَأَنْتَ تَفْرِي مَا خَلَقْتَ وَبَعْضُ النَّاسِ يَخْلُقُ ثُمَّ لَا يَفْرِي <sup>(١)</sup>

تَفْرِي مَا خَلَقْتَ يَعْنِي: تَفْعَلُ مَا قَدَّرْتَ، فَالْخَلْقُ هُوَ الْإِجَادُ بِتَقْدِيرِ اللَّهِ ﷻ يَخْلُقُ الشَّيْءَ بِتَقْدِيرِ مُحْكَمٍ بَالِغٍ عَلَى حَسَبِ مَا تَقْتَضِيهِ الْحِكْمَةُ.

﴿الْبَارِئُ﴾ بِمَعْنَى: الْمُنْشِئُ وَهُوَ قَرِيبٌ مِنْ مَعْنَى الْخَالِقِ، لَكِنْ لَا بَدَأَ أَنْ يَكُونَ بَيْنَهُمَا فَرْقٌ؛ لِأَنَّ اللَّهَ ﷻ لَا يَذْكُرُ كَلِمَتَيْنِ إِلَّا وَبَيْنَهُمَا فَرْقٌ، وَهَذَا هُوَ الْأَصْلُ فِي الْكَلَامِ، أَنْ يُحْمَلَ عَلَى التَّأْسِيسِ لَا عَلَى التَّوَكِيدِ، وَمَعْنَى عَلَى التَّأْسِيسِ أَيُّ: أَنَّ كُلَّ لَفْظَةٍ فِيهَا لَهَا مَعْنَى مُسْتَقِلٌّ لَا عَلَى التَّوَكِيدِ؛ لِأَنَّكَ إِذَا قُلْتَ: هُوَ لِلتَّوَكِيدِ صَارَتْ اللَّفْظَةُ الثَّانِيَةُ بِمَعْنَى اللَّفْظَةِ الْأُولَى، وَلِهَذَا قَالَ الْعُلَمَاءُ: إِذَا دَارَ الْكَلَامُ بَيْنَ التَّأْسِيسِ وَالتَّوَكِيدِ فَحْمَلُهَا عَلَى التَّأْسِيسِ مُتَعَيِّنٌ، فَلَا بَدَأَ أَنْ يَبْنِيَهَا فَرْقًا لَطِيفًا.

وَأَمَّا ﴿الْمُصَوِّرُ﴾: فَوَاضِحُ الْفَرْقِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْخَالِقِ، يَعْنِي أَنَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ عَلَى صُورَةٍ مُعَيَّنَةٍ يَخْتَارُهَا ﷻ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِي يَصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ﴿٦٧﴾. وَلِهَذَا كَانَتْ هَذِهِ الْأَشْيَاءُ الثَّلَاثَةُ مِنْ خَصَائِصِ الرَّبِّ ﷻ فَالْخَالِقُ مِنْ خَصَائِصِ اللَّهِ، لَا أَحَدٌ يَخْلُقُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ ﴿١٧﴾. وَسَبَقَ لَنَا الْجَوَابُ عَمَّا يُقَالُ: فَلَانِ خَلَقَ كَذَا. أَيُّ صَنَعَهُ، بِأَنَّ هَذَا الْخَلْقُ الَّذِي يَحْصُلُ مِنَ الْآدَمِيِّ، لَيْسَ هُوَ الْخَلْقَ الَّذِي يَكُونُ لِلَّهِ؛ الْخَلْقُ الَّذِي يَكُونُ لِلَّهِ إِجَادَةٌ مِنْ عَدَمٍ، وَالْخَلْقُ الَّذِي يَكُونُ لِلْإِنْسَانِ تَكْوِينٌ وَتَغْيِيرٌ لَشَيْءٍ مَخْلُوقٍ، لَكِنْ يَصْنَعُهُ عَلَى كَيْفِيَةٍ مُعَيَّنَةٍ.

وَمَعَ ذَلِكَ فَإِنَّ فِعْلَ الْعَبْدِ مَخْلُوقٌ لِلَّهِ ﷻ فَيَعُودُ فِعْلُ الْعَبْدِ خَلْقًا لِلَّهِ؛ لِأَنَّ فِعْلَ الْعَبْدِ صَادِرٌ مِنْ إِرَادَتِهِ وَقُدْرَتِهِ وَتَصَوُّرِهِ، وَاللَّهُ ﷻ هُوَ الَّذِي خَلَقَ ذَلِكَ كُلَّهُ، فَيَكُونُ الْخَلْقُ كُلُّهُ لِلَّهِ سِوَاءَ مَا خَلَقَهُ اللَّهُ ﷻ وَاسْتَقَلَّ بِهِ أَوْ خَلَقَهُ الْآدَمِيُّ.

وَالْبَارِئُ أَيْضًا، لَا أَحَدَ يَبْرَأُ النِّسْمَةَ وَيُحْيِيهَا وَيُنْشِئُهَا إِلَّا اللَّهُ ﷻ مَهْمَا كَانَ عِنْدَ النَّاسِ مِنْ قُدْرَةٍ، فَإِنَّهُمْ لَنْ يَسْتَطِيعُوا أَنْ يَبْرَأُوا النِّسْمَةَ، وَقَدْ تَحَدَّى اللَّهُ ﷻ الْخَلْقَ أَنْ يَخْلُقُوا مَا هُوَ مِنْ أَصْغَرِ مَخْلُوقَاتِ اللَّهِ، وَأَهْوَنَهَا، وَهُوَ الذَّبَابُ، فَقَالَ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضَرْبٌ مِثْلُ مَا تَسْتَمِعُونَ لَهُ﴾ ﴿٧٣﴾. أَمَرْنَا اللَّهَ ﷻ أَنْ نَسْتَمِعَ وَأَنْ نُنْصِتَ لِهَذَا الْمِثْلِ؛ لِأَنَّهُ مِثْلٌ عَظِيمٌ ﴿إِنَّكَ الَّذِي تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ﴾. كُلُّ مَنْ عُبِدَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَنْ عُبِدَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَهُوَ فِي نَظَرِ الْخَلْقِ فَوْقَ رَتْبَةِ الْخَلْقِ، فَإِذَا كَانَ هَذَا لِلْأَعْلَى لَوْ اجْتَمَعُوا لَمْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا فَمِنْ دُونِهِمْ مِنَ الْعِبَادِ الَّذِينَ يَعْبُدُونَهُمْ مِنْ بَابِ أُولَى لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ، ثُمَّ أَضَافَ إِلَى ذَلِكَ، ﴿وَلَنْ يَسْتَفِيدُوا مِنَ الذُّكْبَابِ شَيْئًا لَا يَسْتَفِيدُونَهُ﴾. يَعْنِي: لَوْ أَخَذَ الذَّبَابُ مِنْهُمْ شَيْئًا مَا اسْتَطَاعُوا أَنْ يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ، كَيْفَ لَذَبَابٌ يَأْخُذُ مِنْهُمْ شَيْئًا؟ صَوَّرَهَا بَعْضُ الْعُلَمَاءِ فَقَالَ: إِنَّ هَذِهِ الْأَصْنَافَ يُجْعَلُ عَلَيْهَا أَشْيَاءٌ مِنَ الطِّينِ وَغَيْرِهِ فَيَأْتِي

(١) انظر معنى البيت في «لسان العرب» مادة «خل ق».

الذباب فيقع على هذا الطين فيعلق بأرجل الذباب، ولا يستطيع هؤلاء أن يستقذوا ما يتعلق بالذباب.

**إذا:** الخلق والبرء خاص بالله ﷻ. والمصور كذلك، والتصوير خاص بالله ﷻ، ولهذا أنكروا الله ﷻ على من يصور ويخلق كخلقهم فقال: «ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخليقي» <sup>(١)</sup> من أظلم يعني: لا أحد أظلم؛ لأنه يَنَازِعُنِي في الربوبية، والذي يصور كما يصور الله ﷻ يَنَازِعُ الله ﷻ تعالى في الربوبية، كأنما يقول بلسان حاله: أنا أقدر على أن أفعل كما فعل، وأصور كما صور، ومن المعلوم أن التصوير خاص بالله ﷻ، ولا يستطيع الخلق أن يغيروا صورة صورها الله ﷻ إلى أحسن ولا إلى أسوأ أبدًا، وإنما يكون هناك قطع غيار إذا احتاج بعض الصور إلى تكميل لعيب أو شبهه يمكن، فالأنف إذا انقطع مثلاً يمكن للبشر أن يجمع من بقية أجزاء البدن ما يصور فيه هذا الأنف أو ما أشبه ذلك، لكن تصوير كامل لا يمكن أبدًا، لا يمكن لأحد أن يغير صورة صورها الله ﷻ إلى حسن أو إلى قبح، ربما إلى قبيح، فقد يكون يَجْنِي على هذا الرجل جنابة تُغَيِّرُ ملامح وجهه مثلاً، لكن على أنه تصوير لا يمكن. وهنا يخش أن تتكلم عن التصوير وحكمه، التصوير المجسم إذا كان لحيوان إنسي أو بهيمة فإنه حرام وأظن ذلك متفقاً عليه، يعني لا يجوز للإنسان أن يصور شيئاً شاخصاً على صورة إنسان أو صورة بهيمة وهذا بالانفاق وسواء صورّه بيده أو صنع آلة تكون مجوفة ومخططة بحيث إذا وضع فيها عجيناً أو شبهه انطبع حتى يكون صورة، فإن هذا كله حرام ولا يجوز.

أمّا إذا كان التصوير بالتلوين يعني ليس جسماً يلمس، وإنما هو لون فقد اختلف العلماء فيه قديماً وحديثاً حتى وإن صور باليد، فمن العلماء من أجاز ذلك، وقال: إن الحديث الذي رواه البخاري في تحريم التصوير قال فيه: «إِلَّا رَقْمًا فِي ثَوْبٍ» <sup>(٢)</sup> والأصل أن الاستثناء متصل، فيكون قوله: «إِلَّا رَقْمًا فِي ثَوْبٍ». مُسْتَشْنَى مِنَ الصُّورِ المحرمة، فيكون التصوير بالتلوين لا بأس به والكلام على التصوير باليد والآن وصلنا إلى التصوير بالآلة فيكون حلالاً وإلى هذا ذهب بعض أهل العلم من السلف والخلف.

وقال بعض العلماء: إن التصوير المحرم هو التصوير الذي يُخَافُ منه التوصل إلى عبادة الصورة، وما لا يخشى منه ذلك فليس به بأس، واستدلوا لذلك بقصة الرجال الذين كانوا صالحين من قوم نوح لما ماتوا صنّع لهم صور ثم عبدوا <sup>(٣)</sup>، لكن الصحيح: أن هذه ليست علة لا شك، ولكن العلة التي نص عليها الحديث «ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخليقي» تدل على أن من صور سواء لهذا

(١) تقدم تخريجه.

(٢) رواه البخاري (٥٩٥٨)، ومسلم (٢١٠٦).

(٣) رواه البخاري (٤٩٢٠) هذا يوهّم أنه مرفوع مع أنه موقوف - والله أعلم -.



الغرض أو لغيره، فإنَّ ذلك حرامٌ.

**إذا:** ما كان له جسمٌ فهو حرامٌ، وما لم يكن له جسمٌ فَمَحَلٌّ خلاف بين العلماء ولكنَّ الجمهورَ على منعه، وحملوا قوله: «إلا لا رَقَمًا في ثوبٍ» على أَنَّهُ استثناءٌ منقطعٌ وأنَّ المراد بالرقم في الثوب ما لم يكن صورة ذِي رُوح، واستدلَّ هؤلاء الذين قالوا بذلك، وهم الجمهورُ، بحديث علي بن أبي طالب عليه السلام حين بعث أبا الهيثج الأسدي، وقال له: «ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ ألا تدع صورة إلا طمسستها ولا قبرًا مشرفًا إلا سويته» قال: صورة إلا طمسستها وفي لفظ: تمثالًا إلا طمسستها، ولا قبرًا مشرفًا إلا سويته <sup>(١)</sup>، ومعلوم أن الطمس يكون للملوك في الغالب، وإن كان قد يكون في المجسم بحيث يوضع على الوجه مثلًا طين أو شُبْنُه يطمس معالم الوجه، على كلِّ حال هذا الدليل. واستدلوا أيضًا بحديث التمرقة حين جاء النبي ﷺ إلى بيته بيت عائشة، فإذا فيه تمرقة وفيها صور فلم يدخل عليه السلام وعرفت الكراهية في وجهه، فقالت عائشة أتوب إلى الله ورسوله، ماذا أذنبت؟ فقال: «إن أصحاب هذه الصور يعذبون يقال لهم: أحيوا ما خلقتم» <sup>(٢)</sup> وهذا القول الذي عليه الجمهور هو الصحيح، أن الصور ولو كانت رَقَمًا حرامًا، وأنها من كبائر الذنوب، وإن كانت المضاهاة فيها بالنسبة لخلق الله ليست كاملة، يعني أن خلق الله مُجَسِّمٌ، وهذه ملونة ليس فيها شيء ناتئ على أنه الأنف، أو ناتئ على أنه حاجب العين أو ما أشبه ذلك، لكن ظاهر النصوص العموم، وأنه يشمل حتى ما كان بالتلوين.

ويبقى النظر في غير ذي الروح أو جزء من ذوات الأرواح، يعني لو صور رأسًا فقط أو يدًا فقط أو رجلًا فقط فهل يدخل في التحريم أو لا يدخل؟

**نقول:** لا يدخل في التحريم؛ لأن الحديث فيه: «كُلَّفَ أَنْ تُنْفَخَ فيها الروح وليس بنافخ» <sup>(٣)</sup> ومثل هذه الأجزاء لا تُنْفَخُ فيها الروح أصلًا وليست جِسمًا يمكن أن تُنْفَخَ فيها الروح، ثم إن النبي ﷺ ذكر في قصة التمثال الذي قال له فيه جبريل: مُر برأس التمثال فليقطع حتى يكون -أي التمثال- كهية الشجرة <sup>(٤)</sup> يعني إذا قطع رأسه سَبَقَ أعضائه حتى تكون كهية الشجرة، ولم يقل في الحديث: وكسر الرأس. فدل ذلك على أن الجزء الذي لا تحلُّ الحياة لا يدخل في التحريم، ولهذا جاء في الحديث وإن كان فيه مقال: «الصورة الرأس، فإذا قطع الرأس فلا صورة» <sup>(٥)</sup> والمعنى أن الصورة لا

(١) رواه مسلم (٩٦٩).

(٢) رواه البخاري (٢٤٧٩)، ومسلم (٢١٠٨).

(٣) رواه البخاري (٢٢٢٥)، ومسلم (٢١١٠).

(٤) رواه الإمام أحمد (٣٠٥/٢)، وأبو داود (٤١٥٨)، والترمذي (٢٨٠٦)، وابن حبان (٥٨٥٤)، وصححه

الشيخ الألباني كما في تعليقه على السنن.

(٥) أخرجه الإسعيلي في «معجمه» (٢/ ٦٦٢) (٢٩١) من حديث ابن عباس مرفوعًا. وأخرجه الطحاوي في «شرح

تكون صورة إلا مع الرأس، فإذا قُطِع فلا صورة وليس المعنى أن الصورة هي الرأس، بل يعني أن الرأس نفسه يكون صورة مستقلة، والدليل حديث التمثال «مُر برأس التمثال فليقطع حتى يكون كهية الشجرة» ثم إنه يتضاعف الإثم إن صور العظماء من الملوك أو الوزراء أو العلماء أو العباد. فإن هذا يتضاعف، وتضاعف ذلك في العلماء والعباد أشد من تضاعفه في الملوك والوزراء والرؤساء، وذلك؛ لأن عاطفة الناس لتعظيم العلماء والعباد أشد من عاطفتهم لتعظيم الملوك والرؤساء؛ لأن تعظيم الملوك والرؤساء في الغالب إنما يكون عن خوف ورهبة، وأمّا العباد والعلماء فهو عن تعظيم وتوقير في النفس، فلذلك كان خطر صور العلماء والعباد أشد من صور الملوك والرؤساء، فلهذا يجب علينا إذا رأينا صورة شخص عالم صوّرت، ويتناولها الناس بالأيدي تعظيمًا لها يجب علينا حماية لجانب التوحيد أن نُمزقها، أمّا ما يوجد من صور العلماء في الصحف والمجلات، فهذه لا يؤبه لها، لكن يوجد صور بعض العلماء مصورة مبروزة يتناولها الناس، وهذه خطيرة جدًا، فالواجب أن تُمزق ولا يجوز إقرارها؛ لأنه يخشى في يوم من الدهر أن يُعظم هؤلاء كما عظم القوم الصالحون في قوم نوح.

ويتعاضم أيضًا الأمر، أمر الصور فيها إذا كانت الصورة صورة امرأة جميلة، فإن هذه فتنة لا من حيث العبادة ولكن من حيث الخلق، فإن الإنسان ربما يفتن بهذه الصورة حتى يكون دائمًا يطالعها صباحًا ومساءً للتلذذ والتمتع بها، وسواء كان التمتع تمتع شهوة؛ يعني: شهوة غريزية، أو تمتع انشراح صدر أو ما أشبه ذلك، فليس كل تمتع للشهوة، فنحن نتمتع مثلاً برؤية السيارة الجميلة والساعة الجميلة، وغير ذلك لكن ليس هذا تمتع شهوة فهذه الصور بعض الناس ربما يفتن بها ليمتع بها، وهذا يتضاعف له الإثم فيها.

فالحاصل: أن الصور نفسها محرمة، فإذا انضاف إلى ذلك خوف فتنة بها من عبادتها أو التلذذ برؤيتها أو التمتع بذلك، فإنه يزداد إثمها، وذلك لأن المعاصي تزداد بحسب ما يقترن بها من الفساد. أمّا الصور الفوتوغرافية الآن، فهذه صارت محل جدل بين العلماء المعاصرين بعد أن ظهرت هذه الآلة، فمن العلماء من منعها سداً للذريعة وأخذًا بظاهر العموم، وقالوا: إن حركة الإنسان بهذه الآلة أو تحريكه هذه الآلة هذا هو التصوير.

ومن العلماء من أجازها وقال: هذه ليست تصويرًا، والإنسان المصور لا يشعر بأنه حاذق وأنه جيد، ولهذا لا يمدح الرجل الذي يطلق آلة التصوير حتى تصوّر، ويقال: ما أحذقه وما أجوده! لكن لو يأتي الإنسان يُخطّط صورة حتى تكون كالْمُصَوِّر، فقالوا: ما أحذقه وما أمهره!



أَمَّا هَذِهِ فَلَيْسَتْ فِي حَقِّهِ كَالْتَصْوِيرِ، لَكِنَّهَا التَّقَاطُ صُورَةٌ صَوَّرَهَا اللَّهُ ﷻ، وَالْأَصْلُ لَا شَكَّ أَنَّهُ تَصْوِيرُ اللَّهِ ﷻ، وَالتَّقَاطُ هَذِهِ الصُّورَةُ كَمَا تَكُونُ الصُّورَةُ فِي الْمِرَاةِ، إِلَّا أَنَّهُ فِي الْمِرَاةِ لَا تَثْبُتُ، وَهَذِهِ تَثْبُتُ بِسَبَبِ مَا يَكُونُ فِيهَا مِنَ الْمَوَادِّ الْكِيمَاوِيَّةِ.

وَهَذِهِ الْمَسْأَلَةُ تَجَادِبُهَا أَصْلَانِ: أَصْلُ الْحَلِّ، وَالْأَيُّ يُنَمَّعُ النَّاسُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا إِذَا تَبَيَّنَ أَنَّهُ حَرَامٌ أَوْ غَلَبَ عَلَى ظَنِّنَا أَنَّهُ حَرَامٌ، وَأَصْلُ التَّحْرِيمِ وَهُوَ عَمُومُ الْمُصَوِّرِينَ وَلَكِنَّكَ إِذَا تَأَمَّلْتَ تَأَمَّلًا عَمِيقًا تَبَيَّنَ لَكَ أَنَّ الْإِنْسَانَ لَيْسَ مُصَوَّرًا فِيهَا إِذَا نَقَطَ الصُّورَةَ بِالْآلَةِ وَلَا يُقَالُ مُصَوَّرٌ، وَلِهَذَا يَلْتَقِطُهَا الْأَعْمَى، وَيَلْتَقِطُهَا الْإِنْسَانُ فِي ظُلْمَةٍ، وَتَظْهَرُ كَمَا هِيَ، وَلَوْ كَانَتْ تَصْوِيرًا مِنَ الْإِنْسَانِ نَفْسِهِ، لَكَانَ يَخْتَلِفُ فِي الْحُكْمِ بَيْنَ الْهَاهُ وَغَيْرِ الْهَاهُ، وَالْأَعْمَى وَالبَصِيرِ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ<sup>(١)</sup>، لَكِنْ مَنْ تَرَكَهَا تَزْرُهَا، لَا يَنْبَغِي أَنْ يُوصَفَ بِأَنَّهُ مُشَدَّدٌ أَوْ أَنَّهُ مُتَعَمِّقٌ أَوْ مُتَنَطِعٌ أَوْ مَا أَشْبَهَ ذَلِكَ، بَلْ يُقَالُ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، هَذِهِ يَسُوعُ فِيهَا الْاجْتِهَادُ، مَنْ آذَاهُ الْاجْتِهَادُ إِلَى التَّحْرِيمِ وَالْمَنْعِ فَإِنَّهُ لَا يُلَامُ، وَمَنْ آذَاهُ اجْتِهَادُهُ إِلَى الْحَلِّ - وَقَالَ الْأَصْلُ الْحَلُّ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُ دُخُولُهَا فِي التَّحْرِيمِ - فَإِنَّهُ لَا يُلَامُ، وَإِذَا كُنَّا: لَا نَلُومُ مَنْ يَقُولُ: إِنْ أَكَلَ لَحْمَ الْإِبِلِ لَا يَنْقُضُ الْوُضُوءَ، فَيَقُومُ الْمُصَلِّي أَمَانًا وَنَحْنُ نَشْهَدُ بِاعْتِقَادِنَا أَنَّ صَلَاتَهُ بَاطِلَةٌ، وَمَعَ ذَلِكَ لَا نَلُومُهُ؛ لِأَنَّهُ مُجْتَهِدٌ، فَلَا يَنْبَغِي أَنْ نَلُومَ مَنْ يَرَى أَنَّ التَّصْوِيرَ الْفُوتُوغْرَافِيَّ لَيْسَ حَرَامًا؛ لِأَنَّ صَلَاتَهُ بِلَا وَضُوءٍ أَعْظَمُ مِنَ التَّصْوِيرِ، فَالصَّلَاةُ رَكْنٌ مِنَ أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ، لَكِنْ نَظَرًا إِلَى أَنَّ هَذِهِ الْمَسَائِلُ اجْتِهَادِيَّةٌ فَإِنَّا أَرَى أَنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يُشَدَّدَ فِيهَا النِّكَيرُ عَلَى مَنْ خَالَفَنَا فِيهَا، فَهِيَ مَسَائِلُ لَا تَتَعَلَّقُ بِالْعَقِيدَةِ إِنَّمَا هِيَ مَسَائِلُ اجْتِهَادِيَّةٌ.

وَأَفْوَى دَلِيلَ رَأْيَتِهِ لِمَنْ قَالُوا بِالْحَلِّ قَوْلُهُمْ: أَنْتَ إِذَا أَخَذْتَ صَحِيحَ الْبَخَارِيِّ ثُمَّ أَدْخَلْتَهُ الْآلَةَ الَّتِي تُصَوِّرُ وَخَرَجْتَ الصُّورَةَ مِنَ الْآلَةِ هَلْ يُقَالُ: هَذَا كِتَابُكَ كَتَبْتَهُ أَنْتَ؟

**الجواب:** لا، إِذَنْ لَسْتُ مُصَوَّرًا وَمَا كَتَبْتَهُ أَنْتَ، وَهَذَا وَاضِحٌ لِمَنْ تَأَمَّلَ.

لَكِنَّ النَّظَرَ بِالنِّسْبَةِ لِاقْتِنَاءِ الصُّورِ أَنَّ اقْتِنَاءَ الصُّورِ، الْأَصْلُ فِيهِ التَّحْرِيمُ؛ لِأَنَّ الْمَلَانِكَةَ لَا تَدْخُلُ بَيْنًا فِيهِ صُورَةً، وَهَذِهِ صُورَةٌ لَا شَكَّ حَتَّى إِذَا كُنْتَ أَمَامَ مِرَاةٍ وَرَأَيْتَ وَجْهَكَ، فَهُوَ صُورَةٌ لَا شَكَّ، وَجِبُّ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ الْعُلَمَاءَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ فَرَّقُوا بَيْنَ التَّصْوِيرِ وَاقْتِنَاءِ التَّصْوِيرِ، وَأَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْرِفُونَ هَذَا الْفَرْقَ، لَكِنَّهُ فَرْقٌ مُعْتَبَرٌ، فَقَالَ فِي مَتْنِ «زَادِ

(١) سَوَال: ذَكَرْتُمْ أَنَّ التَّلْوِينَ بِالْيَدِ لَا يَجُوزُ عَلَى الرَّاجِحِ عِنْدَكُمْ، كَمَا أَنَّ التَّصْوِيرَ بِالْآلَةِ الْفُوتُوغْرَافِيَّةِ لَا بَأْسَ بِهَا، لَكِنْ أَحْسَنُ اللَّهُ إِلَيْكَ. إِذَا كَانَتْ الصُّورَةُ تَتَضَمَّنُ الْأَمْرَيْنِ بِمَعْنَى التَّصْوِيرِ الْفُوتُوغْرَافِيَّ وَالْمَعَالِجَةَ بِالْيَدِ؛ لِأَنَّ الصُّورَ فِي بَعْضِ الْكَامِرَاتِ الْفُوتُوغْرَافِيَّةِ مِنْ حِينَ تَضْغَطُ تَطْلُعُ الصُّورَةُ كَامِلَةً، لَكِنْ فِي بَعْضِهَا وَهَذَا الْأَكْثَرُ أَنَّكَ إِذَا صَوَّرْتَ الصُّورَةَ لَا يَدَّ مِنْ تَحْمِيضِ وَمَعَالِجَةٍ بِالْأَلْوَانِ حَتَّى تَخْرُجَ هَذِهِ الصُّورَةُ؟

الجواب: الَّذِي يَظْهَرُ لِي أَنَّ الْإِحْتِيَاطَ فِي هَذَا أَنْ يَمْنَعَ؛ لِأَنَّ الصُّورَةَ الَّتِي تَأْتِي عَلَى الْفِيلْمِ إِذَا رَأَيْتَهَا وَجَدْتَهَا مَشْوَمَةً أحيانًا لَا تَعْرِفُ لِمَنْ هِيَ، فَإِذَا كَانَتْ يُدْخَلُ عَلَيْهَا التَّحْسِينَاتُ، فَالظَّاهِرُ أَنَّهَا لِلتَّحْرِيمِ أَقْرَبُ.

المستقنع<sup>(١)</sup> وهو مختصر من كتب الفقه قال: يَحْرُمُ التصويرُ واستعماله. ففَرَّقَ بَيْنَ التصويرِ وبينَ استعماله، وقالوا: يجوزُ استعمالُ الصورِ فيما يُمْتَنُّ كَالْفُرَشِ والمَخْدَاتِ وما أَشَبَهُ ذَلِكَ، والخلافُ في هذا أيضًا معروفٌ، فبعضُ العلماءِ يقولُ: لا يجوزُ حتَّى فيما يُمْتَنُّ، بل يجبُ أن يُقَطَّعَ الرَّأْسُ حتَّى تكونَ بلا رأسٍ. **إذا:** الخلاصةُ أولاً: التصويرُ لهما له جِسمٌ حرامٌ لا شكَّ عندنا فيه، وهو محلُّ اتفاقٍ فيما نعلمُ.

**ثانيًا:** التصويرُ باليدِ أيضًا حرامٌ؛ لأنَّ المصوِّرَ يريدُ أن يُضاهِيَ خلقَ اللَّهِ في هيئَةِ الصورةِ، وإنَّ كانَ التصويرُ باليدِ ليسَ حقيقةً كخلقِ اللَّهِ، لكن الصورةَ والوجهَ والعينَ والشَّفتينَ والأنفَ وما أَشَبَهُ ذَلِكَ كخلقِ اللَّهِ، هذا أيضًا حرامٌ، وتزدادُ حرمةُ إذا كانَ لمُعْظَمٍ من ملوكٍ أو علماءٍ أو عبادٍ، وتزدادُ حرمةُ إذا كانَ من أجلِ التمتعِ بالصورةِ تمتعَ شهوةٍ أو تمتعًا بلا شهوةٍ.

أما إذا كانَ بالآلَةِ فقد عرِفتمُ الخلافَ في هذا، ولكن الذي نوذُّ أنَّه لا يكونُ هذا الشغلُ الشاغلَ لطلبةِ العلمِ، بل نقولُ: هذه مسألةٌ مما ساءَ فيه الخلافُ، والعلماءُ مُخْتَلِفُونَ فيها وإدخالُها في التحريمِ فيه نظرٌ، بل أرى أنَّه لا يدخلُ في التحريمِ، فإذا كانتِ المسألةُ فيها شيءٌ من الاجتهادِ فلا يَنْبَغِي التشديدُ فيها، نعم نشدُّ على من اقتنَى صورةَ عالمٍ أو صورةَ مَلِكٍ أو صورةَ وزيرٍ أو صورةَ عابِدٍ لتعظيمِها، فإنَّ ذلكَ لا يجوزُ، وهذا هو أصلُ منعِ التصويرِ.

أما تصويرُ ما لا رُوحَ فيه مثل: نخلٍ، ورمانيٍّ، وبرتقالٍ، فجمهورُ العلماءِ على أنَّه جائزٌ، وقالَ مجاهدٌ -وهو إمامٌ من أئمةِ التَّابِعِينَ- إِنَّهُ لا يجوزُ أنْ تُصَوِّرَ الشَّجَرَةَ وما أَشَبَهَا؛ لأنَّ اللَّهَ قالَ في الحديثِ القدسيِّ: «وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ كَخَلْقِي فَلِيَخْلُقَ حَبًّا أَوْ لِيَخْلُقَ شَعِيرًا»<sup>(٢)</sup> ومعلومٌ أنَّ الشَّجَرَ الناميَّ ينفردُ اللَّهُ بهُ وَيَخْلُقُ فهو الذي خلقه ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْغَيْثِ وَالنَّوَى﴾ [الأنعام: ٩٥]. فمن صَوَّرَهُ فقد صَوَّرَ كما صَوَّرَ اللَّهُ، خلَقَ كما يَخْلُقُ اللَّهُ.

لكنَّ الصحيحَ أنَّه جائزٌ، وهو الذي عليه الجمهورُ وهو الذي أَرشَدَ إليه ابنُ عباسٍ رضيَ الله عنهما، المصوِّرَ حينَ رآه يصوِّرُ الأَدَمِيَّ فتَناهَ وقالَ: إِنْ كُنْتَ فاعِلًا -يَعْنِي فَصَوِّرَ الشَّجَرَ وما أَشَبَهُ<sup>(٣)</sup>. وأما تصويرُ السيارِ والطيَّاراتِ والقصورِ فيجوزُ؛ لأنَّ هذا صنْعُ الأَدَمِيِّ، وفلاذميُّ هو الذي يَصْنَعُهُ بيده، فإذا جازَ الأصلُ جازَ الفرعُ، وأما تصويرُ الأنهارِ لو أنَّ إنسانًا أرادَ أنْ يصوِّرَ بيده قارةً من القاراتِ ويصوِّرَ أنهارَها وجبالَها فهذا يجوزُ؛ لأنَّها ليستَ ناميةً، والإنسانُ يجوزُ أنْ يَحْفِرَ في الأرضِ جَدْوَلًا يَجْرِي فيه الماءُ، ولا يقالُ إِنَّكَ خَلَقْتَ نَهْرًا.

أما الدِّراهمُ التي تسمى الدراهمُ الفرنسيَّة، وهذه فيها صورةُ إنسانٍ كافرٍ وتلمسُ؛ لأنَّها ناتئةٌ،

(١) «زاد المستقنع» (ص ٣٨).

(٢) كلام مجاهد عن ابن أبي شيبة (٢٠٨/٥)، (٢٥٢٩٣)، والحديث القدسي رواه البخاري (٥٩٥٣)، ومسلم (٢١١١).

(٣) رواه البخاري في البيوع باب بيع التماثيل التي ليس فيها روح، ومسلم (١٦٧٠/٣) (٢١١٠).



وكان العلماء قد أباحوها للناس من قديم الزمان، والجنية الذهب يُسميه الناس: الجنية الإفرنجي فيه صورتان، صورة من أحد الوجهين لملك الإنجليز، والصورة الثانية فارس على فرس تُشاهدُهُ وتُلمسه باليد، وكان الناس يتناقلون هذه الجنيتات والعلماء قد أباحوا ذلك لهم، ووجه الإباحة هو الضرورة؛ لأنَّ الناس لا يمكن أن يتركوا هذه النقود، ولا يمكن أن يتخلَّى عنها الإنسان لكن رأيت بعض الناس إذا قام يصلي -الآن- أخرج الدراهم التي معه التي فيها صورة ملوك وجعلها أمامه، يعني بدلاً من أن تكون مُخفاة، وصار يصلي إليها وهذا أعظم، ولكن لو جاء أحد من الناس والتقطها، هل يجوز أن يقطع صلاته ليلاحقه؟

**الجواب:** نعم. لأنه أراد أن يأخذ ماله.

وأما كاميرات الفيديو ما فيها بأس، وأنا أنقل لكم ما عُرِض على مجلس هيئة كبار العلماء، وصار أكثرهم يقول: لا بأس بها. حتَّى إنهم أرادوا أن يُصدِّروا فتوى بأن تصوّر المحاضرات في المساجد، لكن رَأَوْا أنَّ من المصلحة عدم ذلك، وعدم إدخالها المساجد؛ لأنَّ العامة يُخشى أن يكون منهم ثورة فتركوها، فإذا صُوِّر بها أشياء فيها مصلحة فلا حرج.

لكن في المناسبات والأفراح أنا أرى منعها، حتَّى وإن كانت حلالاً أرى منعها؛ لأنَّ هذه خطيرة، فقد يتلاعب به السفهاء، أمَّا إذا كانت مثلاً محاضرات أو إنسان يشرح مثلاً موادَّ علمية وما أشبه ذلك فهذه ما فيها بأس.

**هذا سؤال وجبه يقول:** إذا كانت الصورة المجسمة لأطفال فهل يُسامح فيها؟

**الجواب:** إنَّ بعض الناس يقول: إنَّه يُسامح فيها. بناءً على ما ثبت في الصحيح من أنَّ عائشة رضي الله عنها كان لها بنات تلعبُ بها، قالوا: وهذا يدلُّ على أنَّ هذه البنات التي للصغار يلعبن بها لا بأس بها، لكن ما ندرِي هل الصور التي في ذلك العهد مثل الصور التي في عهدنا أو أنَّها مجرد هيكل، لكن الحمد لله بدأ في الآونة الأخيرة الآن يظهر لعب بنات من العهن القطن أو شبهه وليس فيها عيون ولا أنف وهذا طيب، فالحمد لله أنَّه هدى الناس لهذا، وصار له رواج عند الناس، والصبيان قد يُسامح لهم ما لا يُسامح لغيرهم ولهذا يُسامح لهم في اللعب التي تحرُّم على الكبار، والبنات الصغيرة إذا صار لها بنت تلعب بها ترى أنَّها بنتها حقيقة تُهزُّها تُؤمُّها تجعلها كأنها بنت تاماً، فلذلك رُخص فيها لتوسع صدرها وتتعود على التربية؛ تربية الأولاد في المستقبل، وأنا لا أشددُ حتَّى في هذه المصورات ما أشددُ فيها تشديداً كاملاً لكن من الممكن أن تُعَفِّص الوجه حتَّى تزول ملامح الوجه. أمَّا الحديث عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه في غزوة بني المصطلق أنَّهم أصابوا سبايا، وسبايا؛ يعني: نساء، والمسلمون إذا غزوا الكفار ثم غلبوهم، ووقع في أيديهم أحد من المشركين، فإنَّ النساء والذرية الصغار يكونون سبيًا، سبيًا: يعني ملكاً للمُسلمين أرقاءً وأما المقاتلون فإنَّه يُخيَّر الإمام أو قائد الجيش فيهم، بين القتل وبين المن بدون شيء، فيُعْثِقُهُ هكذا، وبين الفداء بالمال أو

الفداء بأسير، واختلَف العلماء في الرق هل يدخل في هذا فيسترُقُّهم أو لا؟ فهذه والله عَلَيْهِ السَّلَامُ يقول: ﴿حَقٌّ إِذَا اتَّخَذْتُمُوهُمُ فَتْدًا أَوْ تَوَاقًا فَإِنَّمَا مَتَابَعٌ وَلَمَّا فَدَاكَ﴾ [متفق: ٤٤١]. وثبت أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَتَلَ الْأَسْرَى <sup>(١)</sup>، فهذا ثلاثة أشياء، والقَتْلُ، والمنُّ بدون شيء، والفداء إمَّا بهالٍ أو بأسيرٍ أو بمنفعة، مثال الهال أن يُقالَ للأسير: أعطنا مثلاً كذا وكذا من الهالِ ثم تُطْلَقُ، والفداء بأسيرٍ أن يكونَ عندَ الكفارِ أسرى للمسلمين فيتبادلون الأسرى، بمنفعةٍ مثل أن يُقالَ للأسير: أنتَ تعرفُ صناعةَ الذرة، عَلَّمْنَا صناعةَ الذرة نطلقك، مثل ما علَّم أسرى بدرٍ الكتابةَ للصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أو قَتَلَهُمْ.

ولكن هل هذا التخييرُ تخييرٌ مصلحة، أو تخييرٌ تشهي يُعْنِي: يعودُ لما يشتهي الإنسان، القاعدةُ في هذا في التخييراتِ كُلِّهَا أن ما كان للغيرِ فهو تخييرٌ مصلحة وما كان للتيسيرِ فهو تخييرٌ تشهي، فإذا كنتَ تصرفُ لغيرك فالتخييرُ تخييرٌ مصلحة، ومن ذلك وليُّ اليتيم إذا خِيرَ بينَ شَيْئَيْنِ في التصرفِ في ماله يجبُ عليه أن يختارَ ما هو أصلحُ، وكذلك الوكيلُ وغيرُ ذلك، المهمُّ أنه إن تصرفَ لغيره فإنَّ تخييره يكونُ تخييرٌ مصلحة، وما كان مقصودًا منه التسهيلُ على المكلفِ فهو تخييرٌ تشهي، فيقالُ اخترَ ما تشاءُ، ونقولُ: إذا غَمِمْنَا من الكفارِ نساءً أو ذريةً يَكُونُونَ سَبَايَا أَرْقَاءَ بِمَجَرَدِ السَّيِّئِ. أَمَّا الْمُقَاتِلُونَ فَإِنَّ الْإِمَامَ يَخِيرُ فِيهِمْ كَمَا ذَكَرْنَا.

❦ يقولُ: «فَارَادُوا أَنْ يَسْتَمْتِعُوا بِهِنَّ وَلَا يَحْمِلْنَ»، أَرَادَ الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَنْ يَسْتَمْتِعُوا بِهِؤَلَاءِ النِّسَاءِ بِالْجَمَاعِ بِدُونِ حِلٍّ، فَسَأَلُوا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الْعَزْلِ، وَالْعَزْلُ: أَنْ يَجَامَعَ الْإِنْسَانُ أَمْرَاتَهُ أَوْ مَمْلُوكَتَهُ، فَإِذَا قَارَبَ الْإِنْزَالَ نَزَعَ، حَتَّى يَكُونَ الْإِنْزَالُ خَارِجَ الْفَرْجِ، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا عَلَيْكُمْ إِلَّا تَفْعَلُوا» يعني: مَا عَلَيْكُمْ، إِنْ شِئْتُمْ فَافْعَلُوا وَإِنْ شِئْتُمْ فَلَا، «فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ كَتَبَ مَا هُوَ خَالِقٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ» بِمَعْنَى: أَنَّكُمْ لَوْ فَعَلْتُمْ وَأَنْزَلْتُمْ، فَإِنَّهُ لَا يَلْزَمُ مِنَ الْإِنْزَالِ أَنْ يُخْلَقَ مِنْهُ وَلَدٌ؛ لِأَنَّ اللَّهَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَتَبَ مَنْ هُوَ خَالِقٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَانْتُمْ إِذَا لَمْ تَفْعَلُوا، يَعْنِي: لَمْ تَعَزَّلُوا، فَإِنَّهُ قَدْ يُخْلَقُ الْوَلَدُ مِنْ هَذَا الْهَاءِ وَقَدْ لَا يُخْلَقُ.

**الشاهدُ من هذا الحديثِ قوله:** «مَنْ هُوَ خَالِقٌ»؛ لِأَنَّ التَّرْجَمَةَ بِأَبْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿الْخَلْقُ الْإِبْرَاءُ﴾.

ثم قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَيْسَتْ نَفْسٌ مَخْلُوقَةٌ إِلَّا اللَّهُ خَالِقُهَا» أَيُّ نَفْسٍ مَخْلُوقَةٌ فَاللَّهُ تَعَالَى هُوَ الَّذِي خَلَقَهَا، وَهَذَا مِنْ بَابِ التَّوَكُّيدِ بِالْجُمْلَةِ السَّابِقَةِ. يَبْقَى مَسْأَلَةُ الْعَزْلِ.

فهل يجوزُ للإنسانِ أَنْ يَعْزَلَ أَوْ لَا يَجُوزُ؟

**نقولُ:** إِذَا دَعَتْ الْحَاجَةُ إِلَى الْعَزْلِ، فَإِنَّهُ يَجُوزُ بِشَرْطِ أَنْ تَوَافَقَ الزَّوْجَةُ، فَإِنْ لَمْ تَوَافَقْ فَإِنَّ ذَلِكَ حَرَامٌ؛ لِأَنَّ الْعَزْلَ يَقُوتُ بِهِ أَمْرَانِ مَقْصُودَانِ لِلْمَرْأَةِ.

**الأمرُ الأولُ:** تَمَامُ اللَّذَّةِ، فَإِنَّ اللَّذَّةَ لَا تَتِمُّ إِلَّا بِالْإِنْزَالِ.

(١) انظر ما رواه البخاري (٣٠٤٣)، (٣٠٤٤) ومسلم (١٧٦٨)، (١٣٥٧).



والثاني الولد، ولها حق في الولد، فلا يجوز للرجل أن يعزل عن زوجته إلا بإذنها وموافقتها. أما إذا وافقت الزوجة فهل الأولى العزل أو لا؟

**نقول** الأولى عدم العزل، والأولى الإكثار من الأولاد، فقد قال النبي ﷺ: «تَزَوَّجُوا الْوَدُودَ الْوُلُودَ فَإِنِّي مَكَاثِرُ بِكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»<sup>(١)</sup> وكثرة الأولاد عز للأمة، وليس فيه تضيق للرزق؛ لأن الله تعالى قال في قرآنه الكريم: ﴿وَمِمَّنْ دَاخَرْنَا فِي الْأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [٦: ٦٠]. وكلما كثرت الأمة فتح الله لها أبواباً من الرزق بشرط أن تصدق الله في التوكل عليه، أما هؤلاء الأمم الكثيرة الذين يَمُوتُونَ مِنَ الْجُوعِ، فهؤلاء ليس عندهم صدق توكل على الله وإلا فلو صدقوا، لَهَيَّاَ اللَّهُ لَهُمُ الرِّزْقَ، وفي الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: «لَوْ تَوَكَّلْتُمْ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ - أَوْ حَقَّ التَّوَكُّلِ - لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ تَغْدُوا خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا»<sup>(٢)</sup>.

فالطير تغدوا من أوكارها خِمَاصًا أي: جائعة، ليس في بطونها شيء، تذهب في أول النهار، وتروح في آخر النهار بطانًا أي: مملوءة البطون.

فكثرة الأمة لا شك أنه عز وقوة للأمة، ولهذا نجد أن الأمم الكثيرة لها هبة، وإن كانت متأخرة في الصناعة، من أجل كثرتها، وما يحاوله أعداء المسلمين اليوم من تقليل النسل للمسلمين فهو خطة خبيثة مكررة، فهم يريدون أن يقضوا على المسلمين بأي وسيلة؛ إما بموت الموجود، أو الحيلولة دون المعدوم، أرايتم لو كثرت الأمة؛ لكان هذا في الزراعة، وهذا في الصناعة، وهذا في التعليم... إلخ يعني: كل واحد قام بعمل، وأرض الله واسعة، ورزق الله لا نفاذ له ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ﴾ [البقرة: ٢٦٠]. فكثرة الأولاد لا شك أنه محبوب في الشرع، مطلوب في العقل.

وأما ما يقول بعض الناس الآن: إذا كثر الأولاد كثرت طلباتهم، هذا يقول: هاتِ قميصاً وهذا: هاتِ سروالاً، نقول: رزقك ورزقهم على الله ﴿تَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِنَّهَاكُمْ﴾ [البقرة: ١٥١]. ﴿تَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِنَّكَ﴾ [البقرة: ٣١]. حدثني رجل أنه كان قليل ذات اليد فتزوج؛ يقول: فرأيت قناة من الرزق بدأت تصب علي لم تكن موجودة أولاً فولد له ولد، واسمه عبد الله؛ معروف عندي، يقول: فلما ولد، يقول: زاد الرزق يقسم على ذلك؛ وما هذا إلا مثال، ومصدق لقول الله تعالى: ﴿وَمِمَّنْ دَاخَرْنَا فِي الْأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [٦: ٦٠] وقوله: ﴿تَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِنَّكَ﴾ [البقرة: ٣١]. وقوله: ﴿تَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِنَّهَاكُمْ﴾ فكثرة الولد أمر محمود شرعاً، وكذلك عقلاً وانظروا إلى شعيب، ماذا قال لقومه: ﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَرْتُمْ﴾ [البقرة: ٨٦]. فجعلها نعمة يذكّر بها، وقال الله تعالى لبني

(١) رواه الإمام أحمد (١٥٨/٣)، وابن حبان (١٢٢٨) والموارد، والبيهقي (٨١/٧)، وصححه الشيخ الألباني كما في «الإرواء» (١٧٨٤).

(٢) رواه الترمذي (٢٣٤٤)، وابن ماجه (٤١٦٤)، والحاكم في المستدرک (٦١/١)، وصححه الشيخ الألباني كما في السلسلة الصحيحة (٣١٠) وتعليقه على السنن.



إسرائيل: ﴿وَجَعَلْنَكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ۖ﴾ [١٦: ١٦]. وهذا فيه الإشارة إلى الكثرة والإشارة إلى تعلم أساليب الحرب؛ لأنه لن ينفر في الحرب إلا من كان عنده خبرة.

\*\*\*

ثُمَّ قَالَ الْبُحَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٩ - بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿لِمَا خَلَقْتُ يَدَيَّ﴾ [٧٠: ٧٠].

هذا الباب أتى به المؤلف لإثبات اليد لا لإثبات الخلق؛ لأن إثبات الخلق في الباب الذي سبق، وهذا من حسن ترتيب المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ، أن الباب الأول في الخلق عمومًا، وهذا الباب في الخلق خصوصًا، وبيده أيضًا.

❦ يقول رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿لِمَا خَلَقْتُ يَدَيَّ﴾ [٧٠: ٧٠]. وهذه جملة من آية، فإن الله تعالى أمر الملائكة لما خلق آدم أن تسجد له، وكان من بينهم وليس منهم إبليس فسجد الملائكة كلهم أجمعون إلا إبليس أبى أن يسجد، قال الله تعالى: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾ [الكهف: ٥٠].

لأن الجن الأصل فيهم المعصية لا الطاعة والملائكة لا يعصون الله، فسجد الملائكة إلا إبليس أبى، فقال الله تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ يَدَيَّ﴾. أي شيء منعه؟ ماذا قال؟ ﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِمَّنْ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُمْ مِنْ طِينٍ﴾ [١٢: ١٢]. فصار الراجع له من السجود هو الاستكبار والعلو، وكان في علم الله تعالى كافرًا، وهو في اللوح المحفوظ مكتوب أنه كافر، فاستكبر وأبى: ﴿قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾ [١٦: ٦١]. يعني: خلقت من الطين، فلم يسجد - والعياذ بالله - فقال الله تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ يَدَيَّ﴾ وهنا قال: ﴿لِمَا﴾ ولم يقل: «لمن» مع أن آدم عاقل من عداد العقلاء؛ لأنه إذا أريد الوصف عبر عن العاقل ب«ما»، وإذا أريد الشخص عبر عن العاقل ب«من»، أريت قول تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُفْسِدُوا فِي الْيَمِينِ فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ﴾ [النساء: ١٣]. فقال: «ما طاب» ولم يقل: «من طاب» مراعاة للوصف، والوصف غير عاقل، فهنا هذا المخلوق آدم رَحِمَهُ اللَّهُ أمره عظيم، فاعتبار الوصف فيه أولى من اعتبار الشخص، ومراعاة الوصف أن الله تعالى خلقه بيده، ولهذا انظر جواب إبليس، الذي جعله في مقام الشخصية، فقال: ﴿أَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ﴾ والله رَحِمَهُ اللَّهُ قال: ﴿لِمَا خَلَقْتُ﴾ لأن الله رَحِمَهُ اللَّهُ أراد تعظيم آدم، وإبليس أراد تهوينه وضمته، فقال: «لها».

❦ وقوله تعالى: ﴿لِمَا خَلَقْتُ يَدَيَّ﴾ الشاهد من هذه الجملة: قوله تعالى: ﴿يَدَيَّ﴾؛ بيدي التين وغير آدم لم يخلق باليد، بل خلق بالكلمة كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [٨١: ٨١]. فالملائكة والشياطين وغيرهم كلهم خلقوا بكلمة،

فإذا قال قائل: ما دليلك على أنهم خلقوا بالكلمة؟

قُلْنَا: دليلنا قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [٨١: ٨١]. فلما أراد أن يخلق الملائكة قال: كُونُوا فكانوا، وكذلك غيرهم، لكن آدم خلقه الله بيده، وجعل صورته على صورته،



جَعَلَ اللَّهُ صُورَةَ آدَمَ عَلَى صُورَةِ الرَّبِّ ﷻ وَهَذَا تَكْرِيمٌ آخَرُ أَنْ يَجْعَلَهُ عَلَى صُورَةِ الرَّبِّ، وَلَكِنْ لَا يَلْزَمُ مِنْ كَوْنِهِ عَلَى صُورَةِ الرَّبِّ أَنْ يَكُونَ مِثْلًا لِلرَّبِّ؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ۝﴾ [الشورى: ١١]. وَأَوَّلُ زَمْرَةٍ تَدْخُلُ الْجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ<sup>(١)</sup> وَلَيْسُوا مِثْلَيْنِ لِلْقَمَرِ، فَلَا يَلْزَمُ مِنَ الصُّورَةِ الْمِثَالَةُ.

❖ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَدَيَّ﴾ الْبَاءُ فِي قَوْلِهِ: ﴿يَدَيَّ﴾ لِلتَّعْدِيَةِ؛ يَعْنِي: أَنَّ الْخَلْقَ حَصَلَ بِالْيَدِ، وَهَذَا لَمْ يَكُنْ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا فِي غَيْرِهِمَا مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ، فَلَمْ يَخْلُقِ اللَّهُ أَحَدًا بِيَدِهِ إِلَّا آدَمَ، إِلَّا مَا وَرَدَ أَنَّهُ ﷻ غَرَسَ جَنَّةَ عَدْنٍ بِيَدِهِ<sup>(٢)</sup>، فَإِذَا صَحَّ هَذَا الْأَثَرُ فَإِنَّهُ يُضَافُ إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ تَعَالَى بِيَدِهِ، وَأَمَّا مَا كَتَبَهُ بِيَدِهِ فَهُوَ التَّوْرَةُ كَتَبَهَا اللَّهُ تَعَالَى بِيَدِهِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٤٥].

خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ بِيَدِهِ وَخَلَقَ غَيْرَهُ بِالْكَلِمَةِ «كُن» فَيَكُونُ حَتَّى عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ خَلَقَهُ اللَّهُ ﷻ بِكَلِمَةٍ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ﴾ [المائدة: ١٧١]. فَإِنَّهُ خَلَقَهُ، وَقَالَ لَهُ: كُنْ. فَكَانَ، لَكِنْ بِنَاءً عَلَى سَبَبٍ فَأَمَرَ اللَّهُ جِبْرِيلَ فَفَتَحَ فِي فَرْجِهَا هَذِهِ الرُّوحَ الَّتِي خَلَقَهَا اللَّهُ ﷻ فَنَشَأَ الْوَلَدُ.

وَالْيَدُ الَّتِي وَصَفَ اللَّهُ بِهَا نَفْسَهُ هِيَ مِنَ الصِّفَاتِ الْخَبَرِيَّةِ، وَلَيْسَتْ مِنَ الصِّفَاتِ الْمَعْنَوِيَّةِ خِلَافًا لِأَهْلِ التَّحْرِيفِ الَّذِينَ جَعَلُوهَا مِنَ الصِّفَاتِ الْمَعْنَوِيَّةِ، وَفَسَّرُوهَا بِالْقُدْرَةِ أَوْ بِالنِّعْمَةِ يَعْنِي: بِالْإِنْعَامِ؛ أَي: بِشَيْءٍ مُنْفَصِلٍ عَنِ اللَّهِ ﷻ، بَلْ نَقُولُ: هِيَ صِفَةُ اللَّهِ ﷻ مِنَ الصِّفَاتِ الْخَبَرِيَّةِ الَّتِي مُسَمَّاهَا بِالنِّسْبَةِ إِلَيْنَا أَعْضَاءُ وَأَجْزَاءُ وَهِيَ يَدٌ حَقِيقَةٌ يَقْبُضُ بِهَا وَيَأْخُذُ بِهَا، كَمَا ثَبَتَ ذَلِكَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ [الزمر: ٦٧]. وَثَبَتَ أَنَّهُ ﷻ يَأْخُذُ الصَّدَقَةَ إِذَا كَانَتْ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ يَأْخُذُهَا بِيَمِينِهِ فَيُرِيهَا كَمَا يُرِيَّ أَحَدُنَا قُلُوبَهُ يَعْنِي: مُهَرَّهَ الصَّغِيرِ، حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الْجَبَلِ<sup>(٣)</sup> وَهَذِهِ الْيَدُ لَا تُشَبِّهُهَا يَدٌ لَا فِي الْحَقِيقَةِ وَلَا فِي الصِّفَةِ، وَلَا فِي الْكَيْفِيَّةِ.

أَمَّا الْحَقِيقَةُ: فَإِنَّ حَقِيقَتَهَا تَابِعَةٌ لِلذَّاتِ فَكَمَا أَنَّ ذَاتَ اللَّهِ ﷻ لَيْسَتْ مِنْ جِنْسِ الْمَوَادِّ الْمَخْلُوقَةِ كُلِّهَا بَلْ هِيَ ذَاتٌ لَا يَأْتِلُهَا ذَاتٌ، وَكَذَلِكَ أَيْضًا فِي الْكَيْفِيَّةِ لَيْسَتْ كَأَيْدِي الْمَخْلُوقِينَ قِطْعًا؛ لِقَوْلِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾. وَهَذَا يَنْسَجِبُ عَلَى جَمِيعِ الصِّفَاتِ.

**البحث الثالث:** قد وردت صفة «اليَدِ» بلفظِ اليَدِ ولفظِ «الكفِّ»، وكلاهما صحيحٌ، واليَدُ والكفُّ في اللِّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ مَعْنَاهَا وَاحِدٌ، لَا يَخْتَلِفُ، فَإِنَّ الْيَدَ إِذَا أُطْلِقَتْ فِي اللِّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ فَهِيَ الْكَفُّ،

(١) رواه البخاري (٣٣٢٧)، ومسلم (١٦٢٥).

(٢) أخرجه الحاكم في «المستدرک» (٤٢٦/٢)، والطبراني في «الأوسط» (٩٩/٤)، واللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (٧٣٠)، وقال في «جمع الزوائد»: رواه الطبراني في «الأوسط» و«الكبير» وأحد إسنادي الطبراني جيد. وعند مسلم (١٨٩): غرس كرامتهم بيدي؛ يعني: أنه غرس جنتهم بيده ﷻ.

(٣) رواه البخاري (١٤١٠)، ومسلم (١٠١٤).

وَأَنْ قِيَدَتْ تَقَيَّدَتْ بِمَا قِيَدَتْ بِهِ، ولهذا لَمَّا أَطْلَقَ اللَّهُ الْيَدَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى فِي التَّيْمِمِ: ﴿فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ﴾ [الطَّهارة: ٦]. لم يتعدَّ التَّيْمِمُ مَوْضِعَ الْكَفِّ، وَلَمَّا أَطْلَقَتْ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾ [الطَّهارة: ٣٨]. لم يتعدَّ الْقَطْعُ مَوْضِعَ الْكَفِّ، وَلَمَّا أُرِيدَ الزِّيَادَةُ عَلَى ذَلِكَ قِيَدَتْ، فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي آيَةِ الْوُضُوءِ: ﴿فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ﴾ [الطَّهارة: ٦].

**إِذَا:** الْيَدُ وَالْكَفُّ مَعْنَاهُمَا وَاحِدٌ، لَكِنْ مَعَ ذَلِكَ لَوْلَا وُرُودُ الْكَفِّ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ <sup>(١)</sup>، لَقُلْنَا: نَبِئْتُ اللَّهَ يَدًا، وَلَا نَقُولُ كَمَا لَأَنَّ صِفَاتِ اللَّهِ ﷻ يَجِبُ التَّحَرُّزُ مِنْهَا تَحَرُّزًا كَامِلًا؛ لِأَنَّهَا فَوْقَ مَا يَدْرِكُهُ الْعَقْلُ.

**الْبَحْثُ الرَّابِعُ:** الْيَدُ الَّتِي أَثْبَتَهَا اللَّهُ لِنَفْسِهِ وَرَدَّتْ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ عَلَى ثَلَاثَةِ أَوْجُهٍ: الْإِفْرَادِ وَالتَّشْنِيعِ وَالْجَمْعِ. **فَالْإِفْرَادُ:** فِي مِثْلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قُلْ مَنْ مِثْلُ يَدِيهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الطَّهارة: ٨٨]. وَ﴿تَبَرَّكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾ [الطَّهارة: ١٠]. وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ.

**وَالتَّشْنِيعُ مِثْلُ:** هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿لَمَّا خَلَقْتُ يَدَيَّ﴾. وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [الطَّهارة: ٦٤].

وَوَرَدَتْ بِلَفْظِ الْجَمْعِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِيَانَا أَنْعَمًا﴾ [الزُّمَر: ٧١]. وَهَذِهِ الْوُجُوهُ الثَّلَاثَةُ قَدْ يَظُنُّ ظَانٌّ أَنَّهَا مُتَعَارِضَةٌ، وَلَكِنْ لَيْسَ فِي الْقُرْآنِ -وَلِلَّهِ الْحَمْدُ- مَا يَتَعَارَضُ تَعَارُضًا كَلِيًّا بَحِيثٌ يَكْذِبُ بَعْضُهُ بَعْضًا، وَالْجَمْعُ بَيْنَ هَذِهِ الْوُجُوهِ الثَّلَاثَةِ سَبَقَ نَظِيرُهُ فِي الْجَمْعِ بَيْنَ وَرُودِ هَذِهِ الْوُجُوهِ الثَّلَاثَةِ فِي صِفَةِ الْعَيْنِ ﷻ، وَقُلْنَا فِي الْجَمْعِ -بَيْنَهَا-: أَمَّا الْإِفْرَادُ فَإِنَّهُ لَا يَتَعَارَضُ التَّشْنِيعُ وَلَا الْجَمْعُ؛ لِأَنَّ الْمَفْرَدَ الْمُضَافَ يَعْثُمُ فَلَا يُنَافِي التَّعَدُّدَ، وَعَلَيْهِ فَيَكُونُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ مَنْ مِثْلُ يَدِيهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾، وَ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ لَا يَتَعَارَضَانِ؛ لِأَنَّ قَوْلَهُ: ﴿قُلْ مَنْ مِثْلُ يَدِيهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ يَعْثُمُ كُلُّ مَا لِلَّهِ مِنْ يَدٍ.

وَكَذَلِكَ أَيْضًا لَا يَتَعَارَضُ الْمَفْرَدُ الْجَمْعُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِيَانَا أَنْعَمًا﴾.

بَقِيَ النَّظَرُ فِي: الْجَمْعِ بَيْنَ الْمُشْنَى وَالْجَمْعِ.

فَنَقُولُ: إِذَا قُلْنَا: بَأَنَّ أَقْلَ الْجَمْعِ اثْنَانِ، فَلَا مُنَافَاةَ؛ لِأَنَّا نَحْمِلُ الْجَمْعَ عَلَى أَنَّهُ مُشْنَى، وَإِنْ قُلْنَا: بَأَنَّ أَقْلَ الْجَمْعِ ثَلَاثَةٌ، كَمَا هُوَ مَعْرُوفٌ، فَإِنَّ الْجَمْعَ بَيْنَ التَّشْنِيعِ وَالْجَمْعِ هُوَ أَنَّ الْمَجْمُوعَ لَا يُرَادُّ بِهِ مَعْنَى: الْجَمْعِ، وَلِأَنَّ جُمُوعَ التَّعْظِيمِ وَالْمُنَاسِبَةِ بَيْنَ الْمُضَافِ وَالْمُضَافِ إِلَيْهِ، الْمُضَافُ أُيْدِي وَالْمُضَافُ إِلَيْهِ «نَا» الدَّالَّةُ عَلَى الْجَمْعِ، فَلَوْ حِظَّ فِيهِ الْمَعْنَى وَاللَفْظُ، فَالْمَعْنَى: هُوَ التَّعْظِيمُ، وَاللَفْظُ هُوَ التَّنَاسُبُ بَيْنَ الْمُضَافِ وَالْمُضَافِ إِلَيْهِ.

**إِذَا:** الَّذِي نَعْتَقِدُ بِالنِّسْبَةِ لِيَدِ اللَّهِ ﷻ أَنَّ اللَّهَ ﷻ لَهُ يَدَانِ اثْنَتَانِ، وَعَلَى ذَلِكَ أَجْمَعَ السَّلَفُ أَنَّ اللَّهَ



يَدَيْنِ اثْنَتَيْنِ.

فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: لِمَاذَا لَا نَأْخُذُ بِالْجَمْعِ لِأَنَّهُ أَزِيدُ، فَإِنَّ مَنْ أَخَذَ بِالْجَمْعِ، فَقَدْ أَخَذَ بِالْمُتَنَّى؟  
**قُلْنَا:** هَذَا لَا يَسْتَقِيمُ؛ لِأَنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ جَاءَتْ رَدًّا عَلَى قَوْلِ الْيَهُودِ:  
 ﴿يَدُ اللَّهِ مَقْلُوبَةٌ﴾. فَجَاءَتْ بَيَانُ الصِّفَةِ الْكَامِلَةِ لِلَّهِ ﷻ بِالنِّسْبَةِ لِهَذِهِ الصِّفَةِ، وَلَوْ كَانَ هُنَاكَ يَدٌ زَائِدَةٌ  
 عَلَى اثْنَتَيْنِ لَذُكِرَتْ؛ لِأَنَّهُ كَلِمًا كَثُرَتِ الْأَيْدِي كَثُرَ الْعَطَاءُ، فَلَوْ كَانَتْ هُنَاكَ يَدٌ زَائِدَةٌ عَلَى اثْنَتَيْنِ لَذُكِرَتْ  
 اللَّهُ تَعَالَى لِمَا فِيهَا مِنْ إِفْحَامٍ هَؤُلَاءِ الْيَهُودِ وَالرُّدِّ عَلَيْهِمْ، فَتَعَيَّنَ أَنَّ تَكُونَ الْيَدُ اثْنَتَيْنِ لَا أَكْثَرَ وَجَاءَتْ  
 الْأَحَادِيثُ أَيْضًا ظَاهِرَةً فِي هَذَا الْمَعْنَى، وَهُوَ أَنَّ الْيَدَ اثْنَتَانِ فَقَطْ، وَهَذَا هُوَ الَّذِي نَعْتَقِدُهُ بِالنِّسْبَةِ لِلَّهِ ﷻ.

**البحث الخامس:** وإذا قِيلَ ما الفرقُ بينَ قوله ﴿لَمَّا خَلَقْتُ يَدَيَّ﴾ حيثُ قلنا: إِنَّ الآيةَ تدلُّ على أَنَّ اللهَ خَلَقَ آدَمَ بِيَدِهِ؛ وبين قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَمًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ﴾؟

**قلنا:** الفرقُ بينهما من ثلاثة أوجه:

**الوجه الأول:** أَنَّ اللَّهَ أَسَدَّ الْفَعْلَ إِلَى نَفْسِهِ فِي قَوْلِهِ: ﴿لَمَّا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ وَجَعَلَ الْيَدَ بِمَنْزِلَةِ الْآلَةِ

التي يصنعُ بها.

أَمْ فِي قَوْلِهِ ﴿مَعَآ عَمِلْتَ آيِدِيًّا﴾ فَأَسْنَدَ الْفِعْلَ إِلَى الْآيِدِي نَفْسِهَا.

**الوجه الثاني:** أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ: ﴿لَمَّا خَلَقْتُ بَدَنِي﴾ بصيغة التثنية وقال في الآية الثانية: ﴿يَأْيُرِينَا﴾ بصيغة الجمع فلا بد أن يكون هناك فرق، والفرق أن المراد بـ ﴿يَأْيُرِينَا﴾ النفس فهو كقوله تعالى: ﴿فِيمَا كَسَبَتْ آيَاتِكُمْ﴾. أي: بها كَسَبْتُمْ، فَمَعْنَى الآية: مما عَمَلْنَا.

**الوجه الثالث:** أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ فِي خَلْقِ آدَمَ ﴿خَلَقْتُ يَدَيَّ﴾ فَقَالَ: ﴿خَلَقْتُ﴾ وَهَذَا قَالَ: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَا خَلَقْنَاهُمْ وَمَا عَمِلَتْ أَيْدِينَا﴾ فَجَعَلَهُ عَمَلًا وَالْعَمَلُ يَكُونُ بِالْكَلِمَةِ، وَكَذَلِكَ الْخَلْقُ يَكُونُ بِالْكَلِمَةِ، لَكِنْ لَمَّا غَايَرَ بَيْنَهُمَا عِلْمٌ أَنَّهُمَا لَيْسَا سَوَاءً، وَهُوَ كَذَلِكَ، وَلِهَذَا أَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ أَنَّ الْأَنْعَامَ مِنَ الْإِبِلِ وَالْخَيْلِ، وَمَا أَشَبَّهُ ذَلِكَ مِمَّا يُؤْكَلُ وَيُرْكَبُ لَمْ يَخْلُقْهُ اللَّهُ بِيَدِهِ، وَإِنَّمَا خَلَقَهَا بِالْكَلِمَةِ تَعَالَى، وَعَلَى هَذَا فَتَكُونُ الْأَنْعَامُ غَيْرَ مَخْلُوقَةٍ بِالْيَدِ، بَلْ مَخْلُوقَةٌ بِالْكَلِمَةِ لَا بِالْيَدِ.

**المبحث السادس:** وقد زعم أهل التعطيل أن إثبات اليد الحقيقية لله عَلَيْهِ السَّلَام منكر ومحال على الله، ووصف الله بها لا يليق به، وأنه لا يجوز للمسلم أن يعتقد هذه العقيدة، حتى إن بعضهم قال: مَنْ أَطْلَقَ ذَلِكَ فَهُوَ كَافِرٌ؛ لِأَنَّهُ يَقْتَضِي أَوْ يَسْتَلْزِمُ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ جَسَمًا، وَمَنْ أَثْبَتَ أَنَّ اللَّهَ جَسَمٌ فَهُوَ كَافِرٌ عَلَى زَعْمِهِمْ، لِذَا قَالُوا: مَعْنَى الْيَدِ يَعُودُ إِلَى الْقُدْرَةِ. وَذَلِكَ لِأَنَّهُمْ يُبْنُونَ الْقُدْرَةَ مِنْ جَمَلَةِ الصِّفَاتِ السَّبْعِ، فَيُحِيلُونَ كُلَّ صِفَةٍ فِعْلِيَةٍ إِلَى مَعْنَى الْقُدْرَةِ، فَيَكُونُ مَعْنَى الْيَدِ: الْقُدْرَةُ، وَبَعْضُهُمْ قَالَ: الْيَدُ النِّعْمَةُ؛ لِأَنَّهَا تَأْتِي فِي اللَّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ بِمَعْنَى النِّعْمَةِ، وَمِنْهُ قَوْلُ الشَّاعِرِ:

وَكَمْ لظلام الليلِ عندَكَ مِنْ يَدٍ تُوَيِّدُ أَنَّ الْهَانُوِيَّةَ تَكْذِبُ <sup>(١)</sup>

أي تخبرُ أَنَّ الْهَانُوِيَّةَ، والهانوية تكذبُ. يعني يقول: أَنَّ لك خيرات كثيرة في الليل تُبَيِّنُ وتُخَبِّرُ أَنَّ الْهَانُوِيَّةَ، والهانوية طائفةٌ مِنَ المَجُوسِ يَقُولُونَ: إِنَّ الظلمة لا تخلقُ خيراً أبداً، وَلَنْ يَكُونَ خَيْرٌ فِي ظلمة. وهذه الخيرات التي يُسَيِّدها الممدوحُ تشهدُ بِأَنَّ الْهَانُوِيَّةَ كاذبةٌ.

**الشاهدُ قولُه:** «مِنْ يَدٍ» أي: من نعمةٍ ومنه قول أبي بكرٍ ~~رضي الله عنه~~ -أظنه لبديل بن برقع- لولا يَدُكَ عِنْدِي لم أَجْزِها. أو كلمةٍ غَيْرِها، وَأَنَا نَسِيتُ الْقِصَّةَ لَكِنَّهُ قَالَ: لولا يَدُكَ عِنْدِي. يعني: نعمةٌ.

**فيقال:** الأصلُ في اليَدِ أنها اليَدُ الْحَقِيقِيَّةُ، فإذا وَجِدْتَ قَرِينَةً تَمْنَعُ أَنْ يَكُونَ الْمَرَادُ بِهَا اليَدُ الْحَقِيقِيَّةُ فَحِينَئِذٍ يَجِبُ أَنْ نَأْخُذَ بِهَا دَلَّتِ الْقَرِينَةُ عَلَيْهِ، ثُمَّ نَقُولُ: يَمْنَعُ هَذَا التَّحْرِيفَ الثَّانِيَّ فِي قَوْلِهِ: ﴿يَدَيْكَ﴾ و﴿يَدَاهُ﴾ فهل تَقُولُونَ: إِنَّهُ لَيْسَ لِلَّهِ قُدْرَةٌ إِلَّا اثْنَانِ. وما معني هذا القول؟ أو تَقُولُونَ: لَيْسَ لِلَّهِ نِعْمَةٌ إِلَّا نِعْمَتَانِ. وهذا يَكْذِبُهُ الْوَاقِعُ، وَلَا شَكَّ، وَعَلَى هَذَا:

**فَنَقُولُ:** كُلُّ مَنْ حَرَّفَهَا فَإِنَّهُ مَخْطِئٌ، مُجَانِبٌ لِلصَّوَابِ، مُخَالَفٌ لِمَا عَلَيْهِ السَّلَفُ الصَّالِحُ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَتَابِعِيهِمْ بِإِحْسَانٍ.

فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: أَتُتَوَلَّى لَنَا بِدَلِيلٍ وَاحِدٍ أَوْ نَصٍّ وَاحِدٍ عَنِ الصَّحَابَةِ أَنَّهُمْ قَالُوا: الْمَرَادُ بِالْيَدِ: اليَدُ الْحَقِيقِيَّةُ. نَقُولُ: لَا نَأْتِي لَكُمْ بِشَيْءٍ بَلْ هُوَ الْمُتَوَاتِرُ عَنْهُمْ حَيْثُ يَتَلَوْنَ كِتَابَ اللَّهِ وَمَا جَاءَ مِنْ سُنَّةِ الرَّسُولِ ﷺ، وَمَعَ ذَلِكَ لَمْ يُنْقَلْ عَنْهُمْ حَرْفٌ وَاحِدٌ يُبَيِّنُونَ أَنَّ الْمَرَادَ بِهَا خِلَافُ ظَاهِرِهَا، وَعَلَى هَذَا فَهُمْ يُؤْمِنُونَ بِهَا عَلَى ظَاهِرِهَا، وَهُمْ عَرَبٌ خُلِصَّ يَعْرِفُونَ الْمَعْنَى، وَإِذَا لَمْ يَرِدْ عَنْهُمْ شَيْءٌ يَخَالِفُ الظَّاهِرَ، فَإِنَّا نَجْزِمُ بِأَنَّهُمْ يَقُولُونَ بِالظَّاهِرِ إِذْ كَيْفَ يَتَلَوْنَ كِتَابَ اللَّهِ آتَاءَ اللَّيْلِ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ، وَلَا يَتَجَاوَزُونَ عَشْرَ آيَاتٍ إِلَّا تَعَلَّمُوهَا وَمَا فِيهَا مِنَ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ، ثُمَّ لَا يَرِدُ عَنْهُمْ حَرْفٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُمْ يُخْرِجُونَ الْكَلَامَ عَنْ ظَاهِرِهِ، وَلَا حَاجَةَ إِلَى أَنْ نُنْقَلَ لِكُلِّ صِفَةٍ بَعَيْنِهَا نَصًّا مِنَ الصَّحَابَةِ أَوْ التَّابِعِينَ؛ لِأَنَّ الْأَصْلَ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ بِمَا دَلَّ عَلَيْهِ ظَاهِرُ الْقُرْآنِ أَنَّ الْمَرَادَ بِالْيَدِ الْحَقِيقِيَّةِ وَالْعَيْنِ الْحَقِيقِيَّةِ، وَكَذَلِكَ بَقِيَّةُ الصِّفَاتِ.

فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: إِنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ لَمْ يُبَيِّنْ فِيهَا أَنَّ لِلَّهِ يَدًا يُمْنَى وَلَهُ يَدًا شِمَالًا فَإِذَا تَقُولُونَ: هَلْ تَقُولُونَ إِنَّ اللَّهَ لَيْسَ لَهُ إِلَّا يَدَانِ وَتَسْكُتُونَ. أو تَقُولُونَ: لَهُ يَدٌ يُمْنَى وَشِمَالٌ. أَمْ مَاذَا تَقُولُونَ؟

**قُلْنَا:** نَقُولُ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «كِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ» <sup>(٢)</sup> فَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ بِالنِّسْبَةِ إِلَى عَدَمِ اخْتِلَافِ كُلِّ

(١) انظر: «الذخيرة» (١/٣٦٤)، (٣/٣٤٧)، «محاضرات الأدباء» (٢/١٢١).

(٢) رواه الإمام مسلم (١٨٢٧).



يَدُ عَنْ الْأُخْرَى، لَكِنْ وَرَدَ التَّصْرِيحُ بِالشَّمَالِ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَمَرَ، أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ، وَذَكَرَهُ الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللَّهُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ فِي كِتَابِ التَّوْحِيدِ <sup>(١)</sup> وَاسْتَخْرَجَ مَسَائِلَ مِنَ الدَّلَائِلِ وَقَالَ: مِنْ جُمْلَةِ الْمَسَائِلِ التَّصْرِيحُ بِالشَّمَالِ لِلَّهِ رَحِمَهُ اللَّهُ.

وَعَلَى هَذَا فَالْجَمْعُ بَيْنَ هَذِهِ الرِّوَايَةِ، وَبَيْنَ قَوْلِهِ: «كَلَّمَا يَدَيْهِ يَمِينٌ» أَنْ نَقُولَ: هُمَا يَدَانِ؛ يَمِينٌ وَشِمَالٌ، وَلَكِنْ لَا تَخْتَلِفَانِ كَمَا تَخْتَلِفُ أَيْدِي الْمَخْلُوقِينَ بِالنِّسْبَةِ لِلْيَمِينِ وَالشَّمَالِ بَلْ كَلَّمَاهُمَا يَمِينٌ وَمَبَارَكَةٌ، وَكَلَّمَاهُمَا فِيهَا الْخَيْرُ، وَفِيهَا الْعَطَاءُ، فَإِنَّ اللَّهَ رَحِمَهُ اللَّهُ يَدُهُ مَلَأَى، سَحَاءَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مَنْذُ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ، فَإِنَّهُ لَمْ يَغْضُ بِمَا فِي يَمِينِهِ» <sup>(٢)</sup>. فَكَثْرَةُ خَيْرَاتِهِ وَبِرْكَاتِهِ وَجُودِهِ وَإِحْسَانِهِ.

وَنَذَكُرْ هُنَا قَاعِدَةً وَهِيَ أَنَّ أَهْلَ الْكَلَامِ أَذْخَلُوا فِي الْعَقَائِدِ كَلِمَاتٍ كَانَ لَا بَدَّ مِنْ أَنْ نَحْوَصَ الْمِيدَانَ مَعَهُمْ، فَهَمَّ قَالُوا: إِنْ الْيَدَ مَجَازٌ عَنْ كَذَا، فَكَانَ لَا بَدَّ أَنْ نَقُولَ: بَلْ هِيَ حَقِيقَةٌ. وَلَا يَعْنِي ذَلِكَ أَنَّ بَاقِيَ الْقُرْآنِ فِيهِ مَجَازٌ، كَذَلِكَ تَكَلَّمُوا فِي أَشْيَاءٍ أُخْرَى؛ فِي مَسْأَلَةِ الْجِسْمِ وَمَسْأَلَةِ الْحَيَزِ فَاضْطَرَّ أَهْلُ السَّنَةِ أَنْ يَتَكَلَّمُوا، وَكَذَلِكَ مَسْأَلَةُ زِيَادَةِ «بَذَاتِهِ» فِي الْإِسْتِوَاءِ، وَالنَّزُولِ وَالْمَجِيءِ كُلُّ هَذَا دَفْعًا لِمَا يُرَوِّجُهُ هَؤُلَاءِ الْمُحَرِّفُونَ بَيْنَ الْعَامَةِ وَيَقُولُونَ: الْمَرَادُ كُنَايَةً عَنْ كَذَا، مَجَازٌ عَنْ كَذَا وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ.

\*\*\*

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٤١٠- حَدَّثَنِي مُعَاذُ بْنُ فَضَالَةَ، حَدَّثَنَا هِشَامٌ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسٍ، أَنَّ النَّبِيَّ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ: «يَجْمَعُ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ، يَقُولُونَ: لَوْ اسْتَشْفَعْنَا إِلَى رَبِّنَا، حَتَّى يُرِيحَنَا مِنْ مَكَانِنَا هَذَا. فَيَأْتُونَ آدَمَ يَقُولُونَ: يَا آدَمُ، أَمَا تَرَى النَّاسَ؟ خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدَيْهِ، وَأَسْجَدَ لَكَ مَلَائِكَتُهُ وَعَلَّمَكَ أَسْمَاءَ كُلِّ شَيْءٍ، أَشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّنَا حَتَّى يُرِيحَنَا مِنْ مَكَانِنَا هَذَا. فَيَقُولُ لَسْتُ هُنَاكَ -وَيَذْكُرُ لَهُمْ خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصَابَ- وَلَكِنْ أَتَوْنَا نُوحًا، فَإِنَّهُ أَوَّلُ رَسُولٍ بَعَثَهُ اللَّهُ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ. فَيَأْتُونَ نُوحًا فَيَقُولُ لَسْتُ هُنَاكَ -وَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصَابَ- وَلَكِنْ أَتَوْنَا إِبْرَاهِيمَ خَلِيلَ الرَّحْمَنِ. فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ فَيَقُولُ لَسْتُ هُنَاكُمْ -وَيَذْكُرُ لَهُمْ خَطَايَاهُ الَّتِي أَصَابَهَا- وَلَكِنْ أَتَوْنَا مُوسَى عَبْدًا أَنَاهُ اللَّهُ التَّوْرَةَ وَكَلَّمَهُ تَكْلِيمًا. فَيَأْتُونَ مُوسَى فَيَقُولُ لَسْتُ هُنَاكُمْ -وَيَذْكُرُ لَهُمْ خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصَابَهَا- وَلَكِنْ أَتَوْنَا عِيسَى عَبْدَ اللَّهِ وَرَسُولَهُ وَكَلِمَتَهُ وَرُوحَهُ. فَيَأْتُونَ عِيسَى فَيَقُولُ لَسْتُ هُنَاكُمْ، وَلَكِنْ أَتَوْنَا مُحَمَّدًا رَحِمَهُ اللَّهُ عَبْدًا غَفَرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ. فَيَأْتُونِي فَأَنْطَلِقُ فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي فَيُؤْذَنُ لِي عَلَيْهِ، فَإِذَا رَأَيْتَ رَبِّي وَقَعْتَ لَهُ سَاجِدًا فَيَدْعُنِي مَا شَاءَ

(١) رواه مسلم (٢٧٨٨). وقد تقدم بحث هذا الحديث وكلام البيهقي عليه وانظر: «الاسماء والصفات للبيهقي» (١/ ٣٢٤).

(٢) انظر: «كتاب التوحيد»، باب ما جاء في قول الله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ يَوْمَ الْأَرْضِ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْوَيْدَمَةِ﴾ [الأنعام: ١٠٧].

(٣) رواه البخاري (٧٤١١)، ومسلم (٩٩٣).



اللَّهُ أَنْ يَدْعَنِي ثُمَّ يَقَالَ لِي اارْفَعْ مُحَمَّدٌ، وَقُلْ يُسْمِعْ، وَسَلْ تُعْطَهُ، وَاشْفَعْ تُشَفِّعَ. فَأَحْمَدُ رَبِّي بِمَحَامِدِ عِلْمِنِيهَا، ثُمَّ أَشْفَعُ فَيَحْدُ لِي حَدًّا فَأَدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ، ثُمَّ أَرْجِعُ فَإِذَا رَأَيْتُ رَبِّي وَقَعْتُ سَاجِدًا، فَيَدْعَنِي مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَدْعَنِي ثُمَّ يَقَالَ لِي اارْفَعْ مُحَمَّدٌ، وَقُلْ يُسْمِعْ، وَسَلْ تُعْطَهُ، وَاشْفَعْ تُشَفِّعَ، فَأَحْمَدُ رَبِّي بِمَحَامِدِ عِلْمِنِيهَا، ثُمَّ أَشْفَعُ فَيَحْدُ لِي حَدًّا فَأَدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ، ثُمَّ أَرْجِعُ فَإِذَا رَأَيْتُ رَبِّي وَقَعْتُ سَاجِدًا، فَيَدْعَنِي مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَدْعَنِي ثُمَّ يَقَالَ لِي اارْفَعْ مُحَمَّدٌ، وَقُلْ يُسْمِعْ، وَسَلْ تُعْطَهُ، وَاشْفَعْ تُشَفِّعَ، فَأَحْمَدُ رَبِّي بِمَحَامِدِ عِلْمِنِيهَا، ثُمَّ أَشْفَعُ فَيَحْدُ لِي حَدًّا فَأَدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ، ثُمَّ أَرْجِعُ فَأَقُولُ، يَا رَبِّ مَا بَقِيَ فِي النَّارِ إِلَّا مَنْ حَبَسَهُ الْقُرْآنُ وَوَجَبَ عَلَيْهِ الْخُلُودُ. قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الْخَيْرِ مَا يَبْزُنُ شَعِيرَةً، ثُمَّ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الْخَيْرِ مَا يَبْزُنُ بُرَّةً، ثُمَّ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مَا يَبْزُنُ مِنَ الْخَيْرِ ذَرَّةً»<sup>(١)</sup>.

**اللفظ:** «يجمع الله المؤمنين». ولكن الجمع يوم القيامة للمؤمنين وغيرهم، والمشقة تكون على المؤمنين وغيرهم، ويقول في هذا الحديث: «يأتون آدم فيقولون: يا آدم، أما ترى الناس؟» يعني: على ما هم عليه من الغم والكرب الذي لا يطاق، فالمفعول الثاني محذوف دل عليه السياق، والمعنى: أما ترى الناس قد أصابهم ما أصابهم من الغم والهَم والكرب.

❖ قوله: «خلقك الله بيده» هذا هو الشاهد من الحديث، المطابق للترجمة تمامًا.

❖ وقوله: «وأسجد لك ملائكته» أي: أمرهم أن يسجدوا لك، فسجدوا.

وهنا يقع سؤال: كيف جاز للملائكة أن يسجدوا لغير الله؟ وهل سجودهم هذا عبادة؟

**الجواب:** جاز لهم أن يسجدوا لغير الله، لأن الله أمرهم به، وسجودهم لآدم عبادة، ولهذا كان ترك إبليس السجود لآدم كفرًا قال تعالى: ﴿وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾<sup>(٢)</sup>. كما أن قتل النفس من كبائر الذنوب ولا سيما الأقارب، وكان قتل النفس للأقارب منقبة عظيمة لإبراهيم الخليل، حيث أمره الله أن يقتل ولده فاستسلم هو والولد، ولما أحضره للذبح، وتلّه للجبين تلّه بشدة لئلا تأخذه الرحمة، وجعل جبينه مما يلي الأرض، لئلا يعجز عن تنفيذ ما أمر الله به، أن يرى وجه ولده والسكين أمامه، أو أن الولد أيضًا يحصل له ما يحصل حين يرى السكين فوق رأسه، لكن جاء الفرج من عند الله ورفع عنه هذا التكليف العظيم، وقال له: ﴿قَدْ صَدَّقْتَ الرُّيَا﴾<sup>(٣)</sup>. وكُتِبَ لك أجر من ذبح ولده الذي بلغ معه السعي امتثالًا لأمر الله ﷻ، فصارت هذه القتل للابن قرينة إلى الله ﷻ.

والله تعالى له أن يفعل ما يشاء إذا كلّفنا بأمر فإن امتثلنا لهذا الأمر عبادة مهما كان.

❖ قوله: «وعلمك أسماء كل شيء» لو أخذت بظاهرها لكان الله علمه كل شيء، حتى ما يكون إلى يوم القيامة، ولكن المراد بذلك أسماء كل شيء يحتاج إليه، أو إلى معرفة اسمه في ذلك الوقت،



ولا غرابة أن تأتي هذه اللفظة «كل شيء» ويُرَادُ بها شيءٌ مخصوصٌ ألم تروا إلى قوله تعالى عن ربح عاد: ﴿تَذَرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾ [الاحقاف: ٢٥]. ولكن لم تُذَمِّرِ المساكن ﴿فَأَصْبَحُوا لَا يَرَى إِلَّا سَكَنَهُمْ﴾ [الاحقاف: ٢٥]. لكن علّمه أسماء كل شيء يحتاج إليه وإلى معرفته، ولهذا قيل للملائكة ﴿أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ﴾ [البقرة: ٣١]. شيءٌ مُعَيَّنٌ عندهم ﴿بُرْهَنَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: ١١١]. ﴿قَالُوا سُبْحَنَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا﴾ [البقرة: ٣٢]. ولكن هل علّمه كل ما يتعلق بهذه المسميات؟ يُروى عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه أنه قال: علّمه القصعة والقُصِيعَة والفُسوة والفُسْلَة. يعني: مُكَبَّرَاتِ الْأَسْمَاءِ ومُضَعَّرَاتِهَا، وكل ما يحتاج إليه وفي هذا البحث اختلف العلماء، هل اللغات توقيفية أو كسبية؟

والصحيح: أن بعضها توقيفي وبعضها كسبي؛ أي: أن بعضها ممّا علّمه الله وبعضها أخذه الإنسان بالتجارب، ووضع لكل معنى اسماً حسب تجاربه، ولهذا نرى أن اللغات تتطور وتزيد أحياناً وتقص أحياناً فتوجد كلمات من اللغات هُجِرَتْ ولا تستعمل أبداً وتوجد كلمات تجدد لها معانٍ، فاستعمل لها اللفظ المناسب لهذه المعاني الجديدة.

❦ قوله: «لست هناك». ويدكر خطيئته التي أصاب. هذا اعتذارٌ وبيانٌ حجة، فالاعتذارُ قوله: «لست هناك» وبيانُ الحجة الخطيئة التي أصاب، وذلك أن الشافع لا بد أن يكون له قدرٌ عند مَنْ شفع إليه، وإذا لم يكن له قدرٌ أو كان حصل منه مخالفة، فإنه هو يحتاج إلى مَنْ يشفع له ويخجل أن يقوم شافعاً لغيره مع أنه حصل منه ما حصل، وهذا شيءٌ فطريٌّ، فأدّم اعتذر، وذكر سبب الاعتذار وهو أنه أكل من الشجرة التي نهاه الله عن الأكل منها فقد أمره الله أن يأكل من كل ما طاب في الجنة، وقال: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ٣٥]. فجاءهما الشيطان وسوسَ لهما، ودَلَّاهما بغرور، ﴿وَقَاَسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لِنَاصِرٍ﴾، وقال: ﴿هَلْ أَذُنُكَ عَلَى شَجَرَةِ الْجَنَّةِ وَمُكَلِّ لَا يَبْلَى﴾ [البقرة: ١٢٠]. والإنسان بشرٌ ضعيفٌ، فانقاد وأكل من الشجرة فبدت العورة، العورة الحسية والعورة المعنوية، والعورة المعنوية بالمعصية، والحسية تساقط ما ستر الله به عورتها، وجعلاً يَخْصِفَانِ عليها من ورق الجنة، وفي هذا دليلٌ على كذب الرواية التي تُروى عن ابن عباس رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمَلاً خَفِيًّا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَفَلَتْ دَعَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْنَا صَليحاً لَتَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٣]. فلَمَّا آتَاهُمَا صَليحاً جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [البقرة: ٢٢٤]. فقد روي أن حواء حملت، فجاءها الشيطان فقال: سَمِّياه عبد الحارث فأبى أن يُطِيعاه فخرج ميتاً، ثم حملت فجاءها وقال: لُطِيعَانٌ أو لأجعلن له قرني إيل فيخرج من بطنك فيشقّه، فأذركها حبُّ الولد فسمّياه عبد الحارث<sup>(١)</sup>، فإن هذه

(١) رواه ابن جرير «بسند»، عن ابن عباس (٢١٥/١).

(٢) رواه أحمد (١١/٥)، والترمذي (٣٠٧٧)، وضعّفه ابن حزم في «الفصل» (٥/٤)، والذهبي في «الميزان» (١٧٩/٣) وابن



نوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ، وَهِيَ سُؤَالُهُ رَبَّهُ مَا لَيْسَ لَهُ بِهِ عِلْمٌ، فَإِنَّهُ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿رَبِّ إِنَّا أَنْبِئُكَ بِشَيْءٍ آتِيٍّ وَلَئِنْ وَعَدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ﴾ (١٥) قَالَ يَنْبُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْتَلِمْ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعْطُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ (١٦) ﴿١٥-١٦﴾. تَأَمَّلْ كَلَامَ الرَّبِّ عَزَّ وَجَلَّ لَأَنْبِئَانِهِ وَرَسُولِهِ بِهِذِهِ الْقُوَّةَ وَالشَّدَّةَ ﴿فَلَا تَسْتَلِمْ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعْطُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ (١٦) وَقَالَ لِمُحَمَّدٍ آخِرُ الرُّسُلِ ﴿وَاتَّقِ اللَّهَ﴾ [الاحزاب: ٤٧]. وَتَخَفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ ﴿كَيْفَ يَقُولُ اللَّهُ هَذَا الْكَلَامَ لِلرُّسُلِ، لِأُولَى الْعِزِّ، وَنَحْنُ -نَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَعْزِمَنَا بِعَفْوِهِ- نَبَارِزُ اللَّهِ بِالْمَعْصِيَةِ الْقَوْلِيَّةِ وَالْفِعْلِيَّةِ وَالْعَقْدِيَّةِ إِلَّا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ، وَكَأَنَّا وَاثِقُونَ بِأَنَّا نَاجُونَ؟! نَسْأَلُ اللَّهَ أَلَّا يَكِلَنَا إِلَى أَنْفُسِنَا طَرَفَةً عَيْنٍ.

❁ قوله: «اتَّبَعُوا إِبْرَاهِيمَ خَلِيلَ الرَّحْمَنِ» إِذَا قَالَ قَائِلٌ مِّنْ أَيْنَ عَلَّمَ نُوْحٌ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلَ الرَّحْمَنِ؟

**فالجواب:** أَنَّهُ عَلِمَ ذَلِكَ بِالوَحْيِ قَطْعًا، وَذَلِكَ لِأَنَّهُ لَا يَعْلَمُ الْغَيْبَ، وَلَكِنْ هَلْ أَوْحَى اللَّهُ إِلَى نُوحٍ فِي وَقْتِ وَجُودِهِ فِي الدُّنْيَا أَنَّهُ سَيَبْعُثُ إِبْرَاهِيمَ، وَيَتَّخِذُهُ خَلِيلًا أَوْ أَنَّ نُوحًا عَلِمَ بَعْدَ ذَلِكَ، وَيَكُونُ الْأَنْبِيَاءُ تُعَرِّضُ عَلَيْهِمْ أَحْوَالُ النَّاسِ فِي الدُّنْيَا؟

هَذَا مَحَلُّ نَظَرٍ وَمَرَاجَعَةٍ إِنْ شَاءَ اللَّهُ حَتَّى يَتَيَّنَ، وَإِنْ أَخَذْنَا هَذَا بِالتَّسْلِيمِ، وَقُلْنَا: نَقُولُ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ، أَمَّا كَيْفَ عَلِمَ أَنَّهُ خَلِيلُ اللَّهِ؟ فَهَذَا لَيْسَ إِلَيْنَا. إِذَا قُلْنَا هَذَا فَقَدْ أَخَذْنَا بِمَا فِيهِ الرَّاحَةُ وَالسَّلَامَةُ.

وفي هذا إشارة إلى أَنَّ أعظمَ وصفٍ يحصلُ للإنسانِ، أَنْ يتَّخِذهَ اللهُ خَلِيلاً فقال: «خَلِيلَ الرَّحْمَنِ» ولم يَقُلْ رسولٌ ولا نبيٌّ؛ لأنَّ الخَلَّةَ درجةٌ عظيمةٌ ولا نعلمُ أَنَّ أَحَدًا نَالَهَا مِنَ الْبَشَرِ إِلَّا رَجُلَيْنِ هُمَا إِبْرَاهِيمُ وَمُحَمَّدٌ -عليهما الصلاةُ والسلام- فقد قال ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ اتَّخَذَنِي خَلِيلًا كَمَا اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا»<sup>(١)</sup> وبه نعرفُ أَنَّ مَنْ قالوا: إِبْرَاهِيمُ خَلِيلُ اللَّهِ، ومُحَمَّدٌ حَبِيبُ اللَّهِ نَقَصُوهُ؛ لأنَّ المحبةَ أَذْنَى مِنَ الخَلَّةِ، والخَلَّةُ ثابتةٌ للرسولِ، المحبةُ تكونُ حتَّى لعامةِ المؤمنين ولعامةِ المؤمنين ولعامةِ التَّوَابِينَ ولعامةِ الْمُطَهَّرِينَ، يَعْنِي: لَيْسَتْ خَاصَةً بِالْأَنْبِيَاءِ، فَضْلاً عَنْ أَوْلِي الْعِزْمِ، والخَلَّةُ لا نعلمُ أَنَّهَا كانتْ إِلا لِهَذَيْنِ الرُّسُولَيْنِ الْكَرِيمَيْنِ فَالَّذِي نَجَدُهُ فِي بَعْضِ الْأَدْعِيَةِ أَوْ فِي بَعْضِ كُتُبِ الْوَعظِ أَوْ مَا أَشْبَهَ ذَلِكَ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلَ وَمُحَمَّدًا الْحَبِيبَ، نقول: هَذَا خَطَأٌ وَتَنْقُصٌ فِي حَقِّ الرُّسُولِ ﷺ، فَإِذَا قَالَ: أَنَا أُرِيدُ مُحَمَّدًا الْحَبِيبَ لِي، قُلْنَا: أَيضاً نَقَصْتَهُ، فَقَدْ كَانَ أَبُو هُرَيْرَةَ يَقُولُ: حَدَّثَنِي خَلِيلِي، أَوْ صَانِي خَلِيلِي؛ لِأَنَّهُ اتَّخَذَ النَّبِيُّ خَلِيلًا وَهُوَ أَشَدُّ مِنْ أَنْ يَتَّخِذهَ حَبِيبًا، فَهَلْ تَتَّخِذُ صَدِيقَكَ خَلِيلًا؟.

**الجواب:** أنه جاء في الحديث: «المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل» <sup>(١)</sup> والممنوع أن الرسول يتخذ خليلاً، وأما نحن فلمنّا ممنوعين أن نتخذ الرسول خليلاً، أو أن نتخذ من يستحق الرسول أن يتخذ خليلاً.

(۱) تقدم.

(٢) أخرجه أحمد (٣/ ٣٠٣) وأبو داود (٤٨٣٣)، والترمذي (٢٣٧٨) وحسنه الألباني.



المحبة والخلة خليلاً.

لكن الشيء الذي يجب أن يتحرز الناس منه، ما وجد عند بعض الشباب والشابات من المحبة مع الله، والتي تكون أول ما تكون محبة في الله ثم تنمو حتى تكون محبة مع الله، فتراحم محبة الله، إن لم تغلب على محبة الله ولا يكون في قلبه إلا محبة هذا الشخص.

وهذه المسألة خطيرة يجب أن يتنبه الإنسان لها بنفسه، ويجب أن ينبه لها غيره، ألا تكون المحبة في الله محبة مع الله، فإنها تكون نوعاً من الشرك، قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّوهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥].

❖ قوله: «فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ فَيَقُولُ لَسْتُ هُنَاكُمْ، وَيَذْكُرُ لَهُمْ خَطَايَاهُ الَّتِي أَصَابَهَا» المعروف أن هذه الخطايا: هي أنه قال: ﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا﴾ [الشع: ٦١٣]. وقال: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ [الشع: ٨٩]. وقال لمليك مصر: «هذه أختي» والروايات في هذه مختلفة، ولكن مع هذا فإنها ليست خطايا، لكن مثل خليل الرحمن عليه السلام يخشى أن تكون خطايا، ولأفان إبراهيم عليه السلام كان متأولاً بها قال، والتأويل وإن كان ظاهره عند المخاطب أنه كذب، فإنه ليس بكذب.

قال ابن حجر في «الفتح» (١١/٤٣٤):

❖ «لست هناكم. ويذكر خطيئته» زاد مسلم: «التي أصاب، فيستحي ربه منها» وفي حديث أبي بكر: «ليس ذاكم عندي» وفي رواية همام: «إني كنت كذبت ثلاث كذبات» زاد شيان في روايته.

❖ قوله: «إني سقيم» وقوله: «فعله كبيرهم هذا» وقوله لا مرأته: «أخبره أنني أخوك» وفي رواية أبي نضرة عن أبي سعيد: «فيقول إني كذبت ثلاث كذبات». قال رسول الله ﷺ: «ما منها كذبة إلا ما حل بها عن دين الله» و«ما حل» بمهمة؛ بمعنى: جادل. وزنه ومعناه، ووقع في رواية حذيفة مقرونة: «لست بصاحب ذلك، إنما كنت خليلاً من وراء وراء»، وضبط بفتح الهمزة وبضمها، واختلف الترجيح فيهما، قال النووي: أشهرهما الفتح بلا تنوين، ويجوز بناؤهما على الضم. وصوبه أبو البقاء والكندي، وصوبه ابن دحية، وصوب ابن دحية الفتح على أن الكلمة مركبة مثل «شذر مذر» وإن ورد منصوباً مثوناً جاز، ومعناه لم أكن في التقريب والإدلال بمنزلة الحبيب، قال صاحب التحرير: كلمة تُقال على سبيل التواضع؛ أي: لست في تلك الدرجة، قال: وقد وقع لي فيه معنى مليح، وهو أن الفضل الذي أعطيته كان بسفارة جبريل، ولكن اتوا موسى الذي كلمه الله بلا واسطة وكرر «وراء» إشارة إلى نبينا ﷺ؛ لأنه حصلت له الرؤية والسماع بلا واسطة فكأنه قال: أنا من وراء موسى الذي هو من وراء محمد. قال البيضاوي: الحق أن الكلمات الثلاث إنما كانت من معارضي الكلام لكن لما كانت صورتها صورة الكذب أشفق منها استصغارا لنفسه عن الشفاعة مع وقوعها؛ لأن من كان أعرف بالله وأقرب إليه منزلة كان أعظم خوفاً. اهـ

إذاً: ليست خطايا في الواقع لكن نظراً لمقام الشفاعة وأنه أمر عظيم خاف أن يكون مثل هذا

مانعاً له من أن يكون أهلاً؛ لأنَّ يَشْفَعَ للناسِ، والأمرُ لا شكَّ أنَّه مرادُّ أنَّ الله ساقَّ الشفاعةَ إلى محمدٍ ﷺ من وراء الأنبياءِ كلِّهم كما سيأتي إن شاء الله.

❖ قوله: «ولكن ائتوا موسى عبداً أتاه الله التوراة وكلَّمه تكليماً. فيأتون موسى، فيقول: لستُ هناكم. ويذكُرُ لهم خطيئته التي أصابَ»

خطيئته التي أصابَ هي أنَّه قَتَلَ الْقَبْطِيَّ الذي اسْتَعَاثَهُ عليه الإسرائيليُّ من بني إسرائيل، ولهذا قَالَ ﷺ اعْتَرَفَ بِأَنَّهُ ظَلَمَ نَفْسَهُ مَعَ أَنَّ قَتْلَهُ إِيَّاهُ كَانَ قَبْلَ أَنْ يُنْبَأَ وَقَبْلَ أَنْ يَذْهَبَ إِلَى مَدْيَنَ، لكنَّ الأنبياءَ عليهم الصلاة والسلامُ مقامُهم مقامُ الخوفِ والأدبِ مع الله والتعظيمِ فهو يرى نفسه أنَّه ليس أهلاً لأنَّ يَشْفَعَ، وقد صدرَ منهم قتلُ نفسٍ بغيرِ حقٍّ.

❖ قوله: «ولكن ائتوا عيسى عبدَ الله ورسوله وكلَّمته وروحه. فيأتون عيسى، فيقول: لستُ هناكم، ولكن ائتوا محمداً ﷺ»

وعيسى لم يذكُرْ خطيئته؛ ليكَمُلَ الشرفُ لرسولِ الله ﷺ بحيثُ يكونُ الأنبياءُ الذين سَبَقُوهُ منهم مَنْ اعْتَدَرَ لخطيئته، ومنهم مَنْ اعْتَدَرَ لاعترافه بأنَّ محمداً أكملُ بدونِ خطيئته لكنَّ الكمالَ لمحمدٍ ﷺ، وهذا فضلُ الله يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ أَنْ يَنْتَقِلَ طَلِبُ الشفاعةِ مِنْ أَبِي الْبَشَرِ إِلَى أَرْبَعَةٍ مِنْ أُولِي الْعِزْمِ وَلَا تَحْصُلُ الشفاعةُ إِلَّا مِنْ مُحَمَّدٍ ﷺ، منهم من يرى أنَّه عَمِلَ أَشْيَاءَ تَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَهْلِيَةِ الشفاعةِ وهم ثلاثةُ نوحٍ وإبراهيمَ وموسى، والرابعُ لا يذكُرُ شيئاً، لكنَّ يَرَى أَنَّ هُنَاكَ مَنْ هُوَ أَحَقُّ مِنْهُمْ أَنْ يَشْفَعَ وَأَكْمَلُ مِنْهُ، وهو محمد ﷺ.

❖ قوله: «فيقول: لستُ هناكم، ولكن ائتوا محمداً ﷺ عبداً غُفِرَ له ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وما تَأَخَّرَ، فيأتونني، فأنطلقُ فأستأذنُ على ربِّي، فيؤدِّدُنِي عليه، فإذا رَأَيْتُ رَبِّي وَقَعْتُ لهُ سَاجِداً فَيَدْعُنِي مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَدْعُنِي، ثُمَّ يَقُولُ لِي ارْفَعْ مُحَمَّدٌ، وَقُلْ يُسْمِعُ وَسَلْ تُعْطَى وَاشْفَعْ تُشْفَعُ. فَأَحْضِدُ رَبِّي بِمَحَامِدَ عِلْمِهَا، ثُمَّ أَشْفَعُ، فَيَحْدِثُ لِي حَدًّا، فَأَدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ، ثُمَّ أَرْجِعُ، فإذا رَأَيْتُ رَبِّي وَقَعْتُ سَاجِداً، فَيَدْعُنِي مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَدْعُنِي»

❖ قوله: «فأستأذنُ على ربِّي» يعني: طَلَبَ مِنْ اللَّهِ أَنْ يَأْذَنَ لَهُ فَيَشْفَعَ، هُنَا طُوي ذِكْرُ سَبَبِ طَلِبِ الشفاعةِ، لأنَّ سَبَبَ طَلِبِ الشفاعةِ هُوَ أَنَّ يُرِيحَهُمُ اللَّهُ مِنَ الْمَوْقِفِ، وَهُنَا طُوي ذِكْرُهُ لَكِنَّهَا ذُكِّرَتْ فِي أَحَادِيثَ أُخْرَى أَنَّ الرَّسُولَ يَشْفَعُ حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ ﷻ لِلْقَضَاءِ بَيْنَ عِبَادِهِ.

قَالَ أَهْلُ الْعِلْمِ: وَإِنَّمَا كَانَ الرَّوَاةُ يَطْوُونَ ذِكْرَ هَذِهِ الشفاعةِ؛ لِأَنَّ هَذِهِ الشفاعةَ لَا يُنَكِّرُهَا أَحَدٌ مِنْ فِرْقِ الْأُمَّةِ، فَكُلُّ الْأُمَّةِ لَا تَنْكُرُ الشفاعةَ الْعُظْمَى الَّتِي لِلْقَضَاءِ بَيْنَ الْعِبَادِ، فَلِهَذَا اقْتَصَرَ الرَّوَاةُ عَلَى ذِكْرِ الشفاعةِ الَّتِي فِيهَا الْخِلَافُ بَيْنَ فِرْقِ الْأُمَّةِ، وَهِيَ الشفاعةُ فِيمَنْ دَخَلَ النَّارَ.

فإنَّ الْخَوَارِجَ وَالْمُعْتَزِلَةَ يَرَوْنَ أَنَّ مَنْ دَخَلَ النَّارَ، فَإِنَّهُ لَا يَخْرُجُ مِنْهَا بِشفاعةٍ وَلَا غَيْرِهَا حَتَّى وَإِنْ كَانَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ؛ لِأَنَّ الْخَوَارِجَ يَرَوْنَ أَنَّ فَاعِلَ الْكَبِيرَةِ كَافِرٌ مُخَلَّدٌ فِي النَّارِ، وَأَنَّ السَّارِقَ، مَنْ سَرَقَ



ربع دينارٍ كمن سجدَ لصنمٍ كلاهما كافرٌ، مخلدٌ في النارِ.

والمعتزلةُ يرونَ أنَّ فاعلَ الكبيرة خارجٌ من الإيمانِ غيرُ داخلٍ في الكفرِ، فهو في منزلةٍ بينَ منزلتين، لا يُعطى اسمُ الإيمانِ، ولا يُعطى اسمُ الكفرِ، لكنَّهُ في حكمِ الآخرةِ مخلدٌ في النارِ، فلا فرقَ بينهم وبينَ الخوارجِ في حكمِ الآخرةِ، كلُّهم يرونَ أنَّ فاعلَ الكبيرةِ مخلدٌ في النارِ، فلهذا كانَ الرواةُ؛ رواةُ حديثِ الشفاعةِ كانوا يذكرونَ ما يَتعلَّقُ بالخلافِ بينَ أهلِ السنةِ وبينَ أهلِ البدعةِ، وهو الشفاعةُ فيمن دخلَ النارَ بذنبٍ لكنَّهُ ليسَ بكافرٍ.

❦ قوله: «ثم أرجعُ، فإذا رأيتُ ربِّي وقعتُ ساجداً، فيدعُنِي ما شاءَ اللهُ أَنْ يدعُنِي ثم يقالُ ارفعْ محمدُ، وقلْ يُسمعُ وسلْ تُعطى واشفعُ تُشفعُ، فأحدُ ربِّي بمحمدَ علَّمتُها، ثم أشفعُ فيحدُّ لي حداً، فأدخلُهم الجنةَ، ثم أرجعُ، فإذا رأيتُ ربِّي وقعتُ ساجداً، فيدعُنِي ما شاءَ اللهُ أَنْ يدعُنِي، ثم يقالُ: ارفعْ محمدُ، قلْ يُسمعُ وسلْ تُعطى واشفعُ تُشفعُ. فأحدُ ربِّي بمحمدَ علَّمتُها، ثم أشفعُ فيحدُّ لي حداً فأدخلُهم الجنةَ، ثم أرجعُ فأقولُ: يا ربِّ ما بقي في النارِ إلَّا مَنْ حبسه القرآنُ ووجبَ عليه الخلودُ»

❦ فقال النبي ﷺ: «يخرجُ مِنَ النارِ مَنْ قال: لا إلهَ إلَّا اللهُ، وكانَ في قلبِهِ من الخيرِ ما يزنُ شعيرةً، ثم يخرجُ مِنَ النارِ مَنْ قال: لا إلهَ إلَّا اللهُ وكانَ في قلبِهِ من الخيرِ ما يزنُ بُرَّةً، ثم يخرجُ مِنَ النارِ مَنْ قال: لا إلهَ إلَّا اللهُ وكانَ في قلبِهِ ما يزنُ من الخيرِ ذرَّةً»

وهذه الشفاعةُ لأهلِ الكبائرِ مِنْ هذه الأمةِ لقوله ﷺ: «شفاعتي لأهلِ الكبائرِ مِنْ أُمَّتي»<sup>(١)</sup> وإذا شفعَ لهم الرسولُ ﷺ أو الأنبياءُ الآخرونَ أو الملائكةُ أو الصَّالحونَ أخرجَ اللهُ ﷻ مِنَ النارِ مَنْ في قلبِهِ مثقالَ ذرَّةٍ مِنَ الخيرِ.

**والشاهدُ مِنْ هذا الحديثِ كُلُّهُ هو قوله في آدمَ: «خلَقَكَ اللهُ بيده»** ففيهِ إثباتُ اليدِ لِلَّهِ ﷻ وسبقُ الكلامِ عليها وبيانُ الوجوهِ التي وردتْ عليها بالكتابِ والسنةِ.

ومعنى قوله ﷺ: «ما بقي في النارِ إلَّا مَنْ حبسه القرآنُ» أي: الكفارُ وهم الذين حبسَهُم القرآنُ أَنَّهُمْ لا يخرجونَ منها قالَ اللهُ تعالى: ﴿وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾<sup>(٢)</sup> ولهذا قال: «ووجبَتْ عليه الخلودُ».

\*\*\*

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رحمه الله:

٧٤١١- حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ، قَالَ: أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، حَدَّثَنَا أَبُو الزِّنَادِ، عَنِ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «يُدُّ اللَّهُ مَلَأَى لَا يَنْفِضُهَا نَفَقَةً، سَحَاءَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَقَالَ: أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مِنْذُ خَلَقَ اللهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ، فَإِنَّهُ لَمْ يَغْضُ مَا فِي يَدِهِ، وَقَالَ: عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ، وَيَبِيدُ

(١) أخرجه أحمد (٢/٢١٣)، وأبو داود (٤٧٣٩)، والترمذي (٢٤٣٥) وصححه الألباني.

الْأُخْرَى الْمِيزَانُ، يَخْفِضُ وَيَرْفَعُ<sup>(١)</sup>

❦ قوله: «يُدُّ اللَّهُ مَلَأَى، لَا يَغِيضُهَا نَفَقَةً» يَعْنِي، لَا يَنْقُصُهَا، و«سَحَاءَ» يَعْنِي: كَثِيرَةَ الْعَطَاءِ، «الَلِيلِ وَالنَّهَارِ» يَعْنِي: فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ فَقَوْلُهُ: «سَحَاءَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ» يَعْنِي: أَنَّهَا كَثِيرَةُ الْعَطَاءِ لَيْلًا وَنَهَارًا، وَاللَّيْلُ وَالنَّهَارُ أَوْسَعُ مِنْ قَوْلِهِ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ؛ لِأَنَّهُ إِذَا قِيلَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ. فَإِنَّ «فِي» الظَّرْفِيَّةُ تَحْتَمِلُ أَنْ تَكُونَ فِي جَمِيعِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَوْ أَنْ تَكُونَ فِي جِزَاءٍ مِنْهُ أَمَّا إِذَا قِيلَ: «الَلِيلِ وَالنَّهَارِ» فَالْمَعْنَى دَائِمًا.

❦ وقوله: «أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مِنْذُ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ» يَعْنِي: أَخْبِرُونِي مَاذَا أَنْفَقَ مِنْذُ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مَنْ يَسْتَطِيعُ إِحْصَاءَهُ؟

**الجواب:** لَا أَحَدٌ قَوْلُهُ: «فَإِنَّهُ لَمْ يَغِيضْ مَا فِي يَدِهِ» لَمْ يَغِيضْ يَعْنِي: لَمْ يَنْقُصْ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَغِيضَ الْمَاءِ﴾ يَعْنِي: نَقَصَ.

فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: مَعْلُومٌ أَنَّهُ لَا يَغِيضُ مَا فِي يَدِهِ، لِأَنَّهُ يُنْفِقُ مِمَّا فِي يَدِهِ عَلَى مَا فِي مَلِكِهِ، فَالْكُلُّ لَنْ يَخْرُجَ عَنْ مَلِكِهِ، فَكَيْفَ يَتَصَوَّرُ النَقْصُ؟

**قلنا:** هَذَا مِثْلُ: وَالْمُرَادُ لَوْ قُدِّرَ أَنَّهُ يَنْفِقُ خَارِجَ مَلِكِهِ لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ نَاقِصًا مِمَّا عِنْدَهُ كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ، حَدِيثُ أَبِي ذَرٍّ الْغِفَارِيِّ الطَّوِيلِ الَّذِي أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ وَرَوَاهُ النَّبِيُّ ﷺ عَنْ رَبِّهِ قَالَ: «يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّتُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمَخِيطُ إِذَا غُمِسَ فِي الْبَحْرِ»<sup>(٢)</sup> إِذَا غَمَسَتْ الْوَحْطُ فِي الْبَحْرِ ثُمَّ نَزَعَتْهُ مَاذَا يَنْقُصُ مِنَ الْبَحْرِ؟ لِأَشْيَاءٍ؛ يَعْنِي: لَا يَنْقُصُ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا، وَالْمَعْنَى: أَنَّهُ لَوْ قُدِّرَ أَنَّنِي أَعْطَيْتُ مَنْ هُمْ خَارِجُ مَلِكِهِ، أَمَّا وَهُمْ فِي مَلِكِهِ فَهُمْ فِي مَلِكِهِ، سِوَاءَ أَعْطَاهُمْ أَوْ مَا أَعْطَاهُمْ، فَهُمْ فِي مَلِكِهِ، فَهَذَا مِنْ بَابِ التَّمَثِيلِ.

❦ قوله: «وَعَرَّشَهُ عَلَى الْمَاءِ» هَذَا مَاءٌ غَيْرُ الْمَاءِ الْأَوَّلِ الَّذِي كَانَ قَبْلَ خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾<sup>(٣)</sup> وَلَكِنْ هَذَا مَاءٌ آخَرُ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، فَهُوَ مَاءٌ عَظِيمٌ عَلَيْهِ الْعَرْشُ.

فَإِنْ قِيلَ: هَلْ يَتَعَارَضُ كَوْنُ عَرْشِهِ عَلَى الْمَاءِ مَعَ قَوْلِهِ ﴿وَيَجْعَلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ مَنِينًا﴾<sup>(٤)</sup> [الطَّلُوعُ: ١٧]؟

**الجواب:** مَا يَمْنَعُ أَنْ يَكُونَ عَلَى الْمَاءِ وَمَحْمُولٌ، هَذَا شَيْءٌ مُتَصَوِّرٌ، مَعَ أَنَّ الْآيَةَ ﴿وَيَجْعَلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ مَنِينًا﴾. هَذَا يَوْمُ الْقِيَامَةِ، أَمَّا الْآنَ فَالْمَشْهُورُ أَنَّ حَمَلَةَ الْعَرْشِ أَرْبَعَةٌ.

(١) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (٩٩٣).

(٢) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (٢٥٧٧).



❦ قوله: «وبيده الأخرى الميزان» يعني: إحدَى اليَدَيْنِ للِعطاء، وهو فضلٌ محضٌ، والأخرى فيها العدلُ يَخْفِضُ وَيَرْفَعُ، يَخْفِضُ مَنْ اقْتَضَتْ حَكْمَتُهُ خَفَضَهُ، وَيَرْفَعُ مَنْ اقْتَضَتْ حَكْمَتُهُ رَفَعَهُ، كما قال الله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ يَدُكَ الْغَلِيظُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التفلة: ٢٦].

**والشاهد من هذا الحديث قوله:** «يَدُ اللَّهِ مَلَأَى»، «وبيده الأخرى» فأفادَ هذا الحديثُ أَنَّ اللَّهَ ﷻ يَدَيْنِ اثْنَتَيْنِ.

❦ قوله ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾. هذا واضح، فهذا الماء الأول، لكن هذا ماءٌ فوق السماء السابعة، كما جاء ذلك في سياق الحديث الذي ذكره الشيخ محمد بن عبد الوهاب في آخر كتاب التوحيد، قال: «بين السماء السابعة وبين العرش بحرٌ بين أعلاه وأسفله مسيرةُ خمسمائة عام»<sup>(١)</sup> أما يوم القيامة، فإنه من الجائزِ أَنَّ اللَّهَ ﷻ يُعِدُّ هذا الماء ويكونُ العرشُ هو سقفُ جنة الفردوسِ.

\*\*\*

ثُمَّ قَالَ الْبَخَّارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٤١٢- حَدَّثَنَا مُقَدَّمُ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ: حَدَّثَنِي عَمِّي الْقَاسِمُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ، عَنْ نَافِعٍ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ يَقْبِضُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْأَرْضَ وَتَكُونُ السَّمَوَاتُ بِمِيزَانِهِ ثُمَّ يَقُولُ أَنَا الْمَلِكُ». رَوَاهُ سَعِيدٌ عَنْ مَالِكٍ<sup>(٢)</sup>.

٧٤١٣- وقال عمرو بن حمزة: سَمِعْتُ سَالِيًا سَمِعْتُ ابْنَ عَمْرٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بهذا<sup>(٣)</sup> وقال أبو اليمان، أخبرنا شعيب عن الزهري، أخبرني أبو سلمة، أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَقْبِضُ اللَّهُ الْأَرْضَ»<sup>(٤)</sup>.

المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ ساقَ هذا للإشارة إلى أَنَّهُ لَا قَبْضَ إِلَّا بِيَدٍ، وَأَنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ [الزمر: ٦٧]. يَدُلُّ عَلَى أَنَّ اللَّهَ ﷻ يَدَا يَقْبِضُ بِهَا، خِلَافًا لِأَهْلِ التَّعْطِيلِ الَّذِينَ قَالُوا: إِنَّ الْمُرَادَ بِالْقَبْضِ السَّيْطَرَةَ عَلَى الْأَرْضِ وَالسُّلْطَانَ عَلَيْهَا، فَلَمْ يَقُلْ اللَّهُ ﷻ: وَالْأَرْضُ فِي قَبْضَتِهِ. قَالَ: قَبْضَتُهُ وَالْقَبْضَةُ: مَا يَقْبِضُ بِالْيَدِ، فَهَذَا مَدْلُولُهَا اللَّغَوِيُّ، وَهُوَ ظَاهِرُ اللَّفْظِ، فَالْبَخَّارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ ساقَ هذا الحديثَ لهذه الفائدة.

(١) انظر «القول المفيد شرح كتاب التوحيد» (٣/ ٣٨٣)، وعزاه لأبي داود.

(٢) رواه مسلم (٢٧٨٧).

(٣) رواية عمرو بن حمزة عند البخاري معلقة (٧٤١٣)، ومسنده عند مسلم (٢٧٨٨).

(٤) ورواية أبي اليمان علقها البخاري (٧٤١٣)، وأسندها ابن خزيمة في صحيحه عن محمد بن يحيى الذهلي، عن أبي اليمان.

هكذا عزاه الحافظ في الفتح (١٣/ ٣٦٧)، وانظر: تغليق التعليق (٥/ ٣٤٣).

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ كَحَدَّثَهُ:

٧٤١٤- حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، سَمِعَ يَحْيَى بْنَ سَعِيدٍ، عَنْ سُفْيَانَ، حَدَّثَنِي مَنْصُورٌ وَسُلَيْمَانُ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ عَمِيْدَةَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّ يَهُودِيًّا جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّ اللَّهَ يُمَسِّكُ السَّمَوَاتِ عَلَى إِصْبَعٍ وَالْأَرْضِينَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْجِبَالَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالشَّجَرَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْخَلَائِقَ عَلَى إِصْبَعٍ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ. فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ ثُمَّ قَرَأَ ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾.

قَالَ: يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ وَزَادَ فِيهِ فَضِيلُ بْنُ عِيَاضٍ عَنْ مَنْصُورٍ عَنْ إِبْرَاهِيمَ عَنْ عَمِيْدَةَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ تَعَجُّبًا وَتَصَدِيقًا لَهُ<sup>(١)</sup>.

٧٤١٥- حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ حَفْصٍ بْنِ غِيَاثٍ، حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ، سَمِعْتُ إِبْرَاهِيمَ قَالَ: سَمِعْتُ عَلْقَمَةَ يَقُولُ: قَالَ: عَبْدُ اللَّهِ جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَقَالَ: يَا أَبَا الْقَاسِمِ إِنَّ اللَّهَ يُمَسِّكُ السَّمَوَاتِ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْأَرْضِينَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالشَّجَرَ وَالنَّارَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْخَلَائِقَ عَلَى إِصْبَعٍ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ أَنَا الْمَلِكُ. فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ، ثُمَّ قَرَأَ ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾<sup>(٢)</sup>.

كُلُّ هَذَا يُؤَيِّدُ مَا سَبَقَ مِنْ أَنَّ الْأَرْضَ قَبَضَتْهُ بِيَدِهِ ﷺ.

**وفي الحديث:** إثبات الأصابع لله ﷻ، وقد جاءت في غير هذا الحديث، مثل قوله ﷺ: «ما من قلب من قلوب بني آدم إلا وهو بين أصبعين من أصابع الرحمن»<sup>(٣)</sup>. فعقيدتنا أن ثبت لله الأصابع، وجاء في حديث اختصام المالِ الأعلى أن له أنامل<sup>(٤)</sup>. فإذا أثبت الله لنفسه أو أثبت له الرسول ﷺ أي صفة كانت، فلا تستوحش منها، وأثبتها لله، لكن اجعل أمامك شيئين:

**الأول:** انتفاء المماثلة؛ لقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾.

**الثاني:** امتناع التكيف؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾. فإذا صحت لنفسك هذين الأمرين فاستقر ولا تستوحش من أي صفة يثبتها الله لنفسه أو يثبتها له رسوله ﷺ.

وفي الحديث الأول ذكر خمسة أصابع. وفي الحديث الثاني ذكر أربعة، ولا منافاة، لأننا نأخذ بالزائد، ونقول: هذا يقع من اختلاف الرواة ولا يضر، المهم ثبوت أصل الشيء، وهو الأصابع.

وإصبع في اللغة العربية يقولون: لا يمكن أن يخطيء فيه ألحن الناس، يعني: من حيث

(١) إرواه مسلم (٢٧٨٦).

(٢) إرواه مسلم (٢٧٨٦).

(٣) إرواه مسلم (٢٦٥٤).

(٤) إرواه الإمام أحمد (٣٦٨/١)، (٣٤٨٤)، والترمذي (٣٢٣٣)، وابن خزيمة في «التوحيد» (٣٢٠)، والأجري في «الشرية»

(ص ٤٩٦)، وابن أبي عاصم في «السنن» (٤٦٩).

وصححه الشيخ الألباني كما في تعليقه على سنن الترمذي (٣٢٣٣).



التصريف، لا من حيث الإعراب، فالإعرابُ يُمْكِنُ أَنْ يَلْحَنَ فِيهِ، فمثلاً: لو قلت: قطعتُ أصبعٍ بالسكينة. فهذا لحنٌ، لكن من الناحية التصريفية لا يمكنُ أَنْ يَخْطِئَ فِيهِ أَحَدٌ.

❦ قوله: «ضحك الرسول ﷺ» تعجباً وتصديقاً له. أنكر بعضُ أهل التعطيل هذا الاستنتاجَ من حديث ابن مسعود، قال: إن هذا الاستنتاجُ من عبد الله بن مسعود، وإنما أرادَ النبي ﷺ الإنكارَ على اليهوديِّ، وأنَّه جعلَ كلامه كالذي يُضْحَكُ منه سخريَّةً واستهزاءً، فانظر إلى البلاء إذا اعتقد الإنسان قبل أن يستدلَّ حَرَفَ النصوص تحريفاً واضحاً فما هو الجوابُ؟

**نقول: الجوابُ من وجهين:**

**الوجهُ الأول:** أَنَّ الصحابةَ رَضُوا أَفْقَهُ النَّاسِ بِحَدِيثِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فإذا قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ: إِنَّهُ تَعَجَّبُ وَتَصَدِّقُ لِقَوْلِ الْحَبَرِ. فهو أعلمُ منكم أَيُّهَا الْخَلْفُ بِلَا شَكٍّ.

**الوجهُ الثاني:** أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَرَأَ الْآيَةَ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ﴾. وقراءةُ الْآيَةِ هل هو تَأْيِيدٌ أَوْ تَفْنِيدٌ؟

**الجوابُ:** تَأْيِيدٌ وَلَا شَكَّ. فبطلَ دَعْوَى هَؤُلَاءِ أَنَّ الرَّسُولَ ﷺ ضَحِكَ كَالسَّاحِرِ بِهِ لَا كَالْمُفَرِّجِ الْمُصَدِّقِ، وَلِلرَّسُولِ ﷺ شَفَاعَاتٌ هِيَ: الشَّفَاعَةُ الثَّابِتَةُ هِيَ الشَّفَاعَةُ الْعُظْمَى وَهِيَ شَفَاعَةُ أَهْلِ الْمَوْقِفِ <sup>(١)</sup> دَاخِلَةٌ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾ <sup>(٢)</sup> [الآية: ٧٩]. وهذه خاصةٌ به. وشَفَاعَةُ أُخْرَى خَاصَّةٌ بِهِ وَهِيَ الشَّفَاعَةُ فِي أَهْلِ الْجَنَّةِ أَنْ يَدْخُلُوا الْجَنَّةَ <sup>(٣)</sup>، لِأَنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَصِلُونَ إِلَى بَابِ الْجَنَّةِ، وَلَا يَدْخُلُونَهَا حَتَّى يَشْفَعَ النَّبِيُّ ﷺ لَهُمْ فِي دُخُولِهَا.

**الثالثة:** شَفَاعَتُهُ فِي عَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَوْزَنَ لَهُ أَنْ يَشْفَعَ فِي عَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ مَعَ أَنَّهُ كَافِرٌ، لَكِنَّ هَذِهِ الشَّفَاعَةَ لِعَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ لَمْ تُخْرِجْهُ مِنَ النَّارِ، بَلْ جُعِلَ فِي ضَحْضَاحٍ مِنْ نَارٍ وَعَلَيْهِ نَعْلَانِ مِنْ نَارٍ يَغْلِي مِنْهَا دِمَاغُهُ <sup>(٤)</sup>، أَعُوذُ بِاللَّهِ، وَهَذِهِ ثَلَاثُ شَفَاعَاتٍ خَاصَّةٌ بِهِ.

**الرابعة:** الشَّفَاعَةُ الْعَامَّةُ الَّتِي لَهُ وَلِغَيْرِهِ، ذَكَرَهَا أَهْلُ الْعِلْمِ فِي مَنْ اسْتَحَقَّ النَّارَ أَلَّا يَدْخُلَهَا، وَفِيمَنْ دَخَلَهَا أَنْ يَخْرُجَ مِنْهَا، وَهَذَا النُّوعُ مِنَ الشَّفَاعَةِ يَكُونُ فِي الدُّنْيَا، وَيَكُونُ فِي الْآخِرَةِ، يَكُونُ فِي الدُّنْيَا كَقَوْلِهِ ﷺ: «مَا مِنْ رَجُلٍ مُسْلِمٍ يَمُوتُ فَيَقُومُ عَلَى جِنَازَتِهِ أَرْبَعُونَ رَجُلًا لَا يُشْرِكُونَ بِاللَّهِ شَيْئًا إِلَّا شَفَعَهُمُ اللَّهُ فِيهِ»؛ يَعْنِي: قَبْلَ شَفَاعَتِهِمْ؛ لَا تَهْمُ يَدْعُونَ لَهُ فِي الصَّلَاةِ عَلَيْهِ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ.

وَبِالْمُنَاسِبَةِ فِي صَلَاةِ الْجَنَازَةِ نَبْدَأُ أَوَّلًا بِالْفَاتِحَةِ ثُمَّ بِالصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، ثُمَّ بِالِدَعَاءِ لَنَا، ثُمَّ بِالِدَعَاءِ لِلْمَيِّتِ؛ لِأَنَّ حَقَّ اللَّهِ مُقَدِّمٌ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، وَحَقُّ الرَّسُولِ ﷺ مُقَدِّمٌ عَلَيْنَا ثُمَّ حَقُّ عَمِّهِ

(١) تقدم تخريجه.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) رواه البخاري (٣٨٨٣)، ومسلم (٢٠٩).

(٤) رواه مسلم (٩٤٨).

المسلمين، ثم حق الميت الخاص.  
وفي التشهد نبدأ بحق الله، ثم حق الرسول، ثم حقنا نحن، ثم حق العموم، فحق الله: «التحيات لله والصلوات والطيبات» وحق النبي: «السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته» وحقنا نحن: «السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين» مما يدلنا على أن حق الله مقدم على كل شيء ثم حق الرسول مقدم على حقنا، ثم نبدأ بأنفسنا قبل غيرنا.

\*\*\*

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٢٠- بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «لَا شَخْصَ أَغْيَرُ مِنَ اللَّهِ»

وَقَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ «لَا شَخْصَ أَغْيَرُ مِنَ اللَّهِ».

٧٤١٦- حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ التَّبُوكِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْمَلِكِ عَنْ وَرَادٍ كَاتِبِ الْمُغِيرَةِ عَنْ الْمُغِيرَةِ قَالَ قَالَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ لَوْ رَأَيْتُ رَجُلًا مَعَ امْرَأَتِي لَضَرَبْتُهُ بِالسَّيْفِ غَيْرَ مُصَفِّحٍ. فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ «تَعْجَبُونَ مِنْ غَيْرَةِ سَعْدٍ، وَاللَّهِ لَأَنَا أَغْيَرُ مِنْهُ، وَاللَّهِ أَغْيَرُ مِنِّي، وَمِنْ أَجْلِ غَيْرَةِ اللَّهِ حَرَّمَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ، وَلَا أَحَدٌ أَحَبُّ إِلَيَّ الْعُدْرَةِ مِنَ اللَّهِ، وَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ بَعَثَ الْمُبَشِّرِينَ وَالْمُنْذِرِينَ وَلَا أَحَدٌ أَحَبُّ إِلَيَّ الْمُدْحَةِ مِنَ اللَّهِ وَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ وَعَدَ اللَّهُ الْجَنَّةَ»<sup>(١)</sup>.

هذا الباب أراد المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ أَنْ يُبَيِّنَ فِيهِ صِفَةَ الْغَيْرَةِ لِلَّهِ ﷻ، وَهِيَ مِنْ صِفَاتِهِ الَّتِي جَاءَ بِهَا الْحَدِيثُ عَنْ رَسُولِ ﷺ.  
والغيرة هي أَنْ يَغَارَ الْإِنْسَانُ عَلَى فِعْلٍ مَا يَكْرَهُهُ، يَعْنِي: أَنَّهُ يَطْلُبُ تَغْيِيرَ مَا حَصَلَ مِمَّا يَكْرَهُهُ، هَذَا أَصْلُ اسْتِقْفَاقِ الْغَيْرَةِ أَنَّ الْغَائِرَ يَكْرَهُ مَا حَصَلَ وَيُرِيدُ تَغْيِيرَهُ فَهَلْ يوصفُ اللَّهُ بِالْغَيْرَةِ؟

**الجواب:** نعم، يوصفُ اللَّهُ بِالْغَيْرَةِ كَمَا يوصفُ بِالْفَرَحِ وَالضَّحْكِ وَالْعَجَبِ وَمَا أَشْبَهَهَا، وَهَذِهِ الصِّفَةُ مِنَ الصِّفَاتِ الْفَعْلِيَةِ الَّتِي تَتَعَلَّقُ بِمَشِئَتِهِ، لِأَنَّ الضَّابِطَ أَنَّ كُلَّ صِفَةٍ لَهَا سَبَبٌ فِيهِ مِنَ الصِّفَاتِ الْفَعْلِيَةِ، الضَّحْكَ صِفَةٌ فَعْلِيَّةٌ، وَالْفَرَحُ صِفَةٌ فَعْلِيَّةٌ، وَالْعَجَبُ صِفَةٌ فَعْلِيَّةٌ، وَكُلُّ صِفَةٍ لَهَا سَبَبٌ فَإِنَّهَا صِفَةٌ فَعْلِيَّةٌ؛ لَدُخُولِهَا فِي الضَّابِطِ الْمَعْرُوفِ عِنْدَ الْعُلَمَاءِ، أَنَّ فِي كُلِّ صِفَةٍ تَتَعَلَّقُ بِمَشِئَتِهِ فَهِيَ صِفَةٌ فَعْلِيَّةٌ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ الصِّفَةَ ذَاتَ السَّبَبِ تَتَعَلَّقُ بِمَشِئَتِهِ؛ لِأَنَّهُ هُوَ الَّذِي شَاءَ السَّبَبَ فَلَمَّا وَجِدَ السَّبَبَ وَجِدَتِ الصِّفَةُ، فَتَوْبَةُ الْإِنْسَانِ إِلَى رَبِّهِ حَصَلَتْ بِمَشِئَةِ اللَّهِ، ثُمَّ تَرَتَّبَ عَلَيْهَا الْفَرَحُ، هَذَا وَجْهُ قَوْلِهِمْ: إِنَّ كُلَّ صِفَةٍ ذَاتُ سَبَبٍ فَإِنَّهَا مِنَ الصِّفَاتِ الْفَعْلِيَةِ فَالْغَيْرَةُ مِنَ الصِّفَاتِ الْفَعْلِيَةِ.

وهنا هل أراد البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ إثبات الشخص لله لكونه تَرَجَمَ بِقَوْلِهِ: لَا شَخْصَ أَغْيَرُ مِنَ اللَّهِ.



فَلَمَّا ذَكَرَ الْأَثَرَ الْمَعْلُوقَ: لَا شَخْصَ أَغْيَرُ مِنَ اللَّهِ دَلَّ هَذَا عَلَى أَنَّ رَحْمَتَهُ يَرِيدُ ذَلِكَ، وَهَلْ يوصفُ اللَّهُ بِالشَّخْصِ أَوْ لَا؟

**هَذَا يَنْبَغِي عَلَى أَمْرَيْنِ:**

**الْأَمْرُ الْأَوَّلُ. صَحَّةُ اللَّفْظِ:** «لَا شَخْصَ أَغْيَرُ مِنَ اللَّهِ»؛ لِأَنَّ بَعْضَ الْأَفَاضِ الْحَدِيثِ: «لَا أَحَدَ أَغْيَرُ مِنَ اللَّهِ» وَهَذَا أَكْثَرُ الرِّوَايَاتِ.

وَأَحَدٌ يَصِحُّ أَنْ يوصفَ اللَّهُ بِهِ فِي الْإِثْبَاتِ وَفِي النَّفْيِ، فِي الْإِثْبَاتِ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ (١) وَفِي النَّفْيِ: «لَا أَحَدَ أَغْيَرُ مِنَ اللَّهِ». فَنَبِّحُ هَلْ هَذِهِ اللَّفْظَةُ مَحْفُوظَةٌ أَوْ غَيْرُ مَحْفُوظَةٍ.

**ثَانِيًا:** إِذَا كَانَتْ مَحْفُوظَةً أَنْ الرِّوَاةَ رَوَوْا الْحَدِيثَ رَوَاهُ بِالْمَعْنَى، فَبَعْضُهُمْ عَبَّرَ بِالشَّخْصِ وَبَعْضُهُمْ عَبَّرَ بِأَحَدٍ، فَإِنَّ ذَلِكَ لَا يُلْزِمُ مِنْهُ ثُبُوتَ الشَّخْصِيَّةِ لِلَّهِ وَكَانَ لِأَنَّهُ يَحْتَمِلُ أَنَّ الْمَعْنَى: لَا شَخْصَ مِنْكُمْ، أَوْ: لَا شَخْصَ مِنْ بَنِي آدَمَ أَغْيَرُ مِنَ اللَّهِ، وَهَذَا لَا يُلْزِمُ مِنْهُ أَنْ يَكُونَ الْمُفْضَلُ عَلَيْهِ مِنْ جِنْسِ الْمُفْضَلِ كَمَا لَوْ قُلْتُ: لَا رَجُلَ أَقْوَى مِنَ الْفِيلِ، فَهَلْ يُلْزِمُ أَنْ يَكُونَ الْفِيلُ مِنَ الرِّجَالِ؟

**الْجَوَابُ:** لَا يُلْزِمُ.

**إِذَا:** إِذَا كَانَ لَفْظُ الْحَدِيثِ مَحْفُوظًا: لَا شَخْصَ أَغْيَرُ مِنَ اللَّهِ. فَلَا يُلْزِمُ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ تَعَالَى موصُوفًا بِالشَّخْصِيَّةِ، ثُمَّ إِذَا سَلَّمْنَا أَنَّ اللَّفْظَ مَحْفُوظٌ، وَأَنَّهُ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ يوصفُ بِالشَّخْصِيَّةِ، فَإِنَّهُ لَا يُلْزِمُ مِنْ كَوْنِهِ شَخْصًا أَنْ يَكُونَ مِمَّاثِلًا لِلْأَشْخَاصِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ، حَتَّى فِي اللَّفْظَةِ الَّتِي يَسْتَوِي فِيهَا الْإِنْسَانُ وَالرَّبُّ وَكَانَ فَإِنَّهُ لَا يَمِثُلُهُ فِي حَقِيقَةٍ مَعْنَاهَا.

لَكِنْ رَأَيْتُ بَعْضَ الْعُلَمَاءِ قَالُوا: إِنَّهُمْ أَجْمَعُوا عَلَى أَنَّهُ لَا يوصفُ اللَّهُ بِأَنَّهُ شَخْصٌ. فَيُحْتَاجُ إِلَى تَحْقِيقِ هَذَا الْإِجْمَاعِ، فَإِنْ صَحَّ الْإِجْمَاعُ لَمْ يَبْقَ عَلَيْنَا إِلَّا أَنْ نَقُولَ: نَبِّحُ أَوْ لَا عَنْ ثُبُوتِ هَذَا اللَّفْظِ، هَلْ هُوَ مَحْفُوظٌ أَوْ غَيْرُ مَحْفُوظٍ؟ لِأَنَّهُ مَا دَامَ الرِّوَاةُ الثَّقَاةَ رَوَوْهُ عَلَى وَجْهَيْنِ؛ لَا أَحَدًا أَكْثَرَ، فَقَدْ وَلَا شَخْصَ، وَأَحَدٌ يَكُونُ هَذَا اللَّفْظُ شَاذًا (١).

**الْأَمْرُ الثَّانِي:** عَلَى تَقْدِيرِ ثُبُوتِ هَذِهِ اللَّفْظَةِ، لَا تَسْتَلْزِمُ ثُبُوتَ الشَّخْصِيَّةِ لِلَّهِ إِذَا لَا يُلْزِمُ أَنْ يَكُونَ الْمُفْضَلُ عَلَيْهِ مِنْ جِنْسِ الْمُفْضَلِ، وَنَظِيرُهُ مَا قُلْتُ لَكُمْ: أَنْ يَقُولَ قَائِلٌ: لَا رَجُلَ أَقْوَى مِنَ الْفِيلِ، فَإِنَّهُ لَا يُلْزِمُ أَنْ يَكُونَ الْفِيلُ رَجُلًا وَبِهَذَا يَزُولُ الْإِشْكَالُ.

لَكِنْ إِذَا انْتَفَى الْإِجْمَاعُ وَصَحَّتِ اللَّفْظَةُ وَلَمْ يَتَوَجَّهْ قَوْلُنَا: إِنَّهُ لَا يُلْزِمُ أَنْ يَكُونَ الْمُفْضَلُ وَالْمُفْضَلُ عَلَيْهِ مِنْ جِنْسٍ وَاحِدٍ، وَثَبَتَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: وَصَفَ اللَّهُ بِأَنَّهُ شَخْصٌ، فَالْأَمْرُ فِي هَذَا سَهْلٌ جَدًّا،

(١) سَأَلَ الشَّيْخَ رَحْمَتُهُ: إِذَا ثَبَتَ لَفْظَةُ الشَّخْصِ فَهَلْ نَقُولُ: التَّقْدِيرُ: لَا شَخْصَ مِنْ بَنِي آدَمَ. أَوْ نَقُولُ: ثَبَتَ الشَّخْصِيَّةُ لِلَّهِ وَكَانَ وَنَقُولُ: لَا تَكُونُ كَشَخْصِيَّةِ الْمَخْلُوقِ؟

فَأَجَابَ رَحْمَتُهُ: لَا، إِذَا ثَبَتَ ثَبَتَ دَلَالَتُهَا؛ لِأَنَّهُ فِيهِ حَدِيثٌ أَخْرَجَهُ أَهْلُ السَّنَنِ أَنَّ أَبَا رَزِينٍ الْعَقِيلِيَّ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ يَحَاسِبُنَا اللَّهُ وَهُوَ شَخْصٌ وَنَحْنُ جَمِيعٌ؟. وَهَذِهِ إِذَا ثَبَتَ قَطَعَتْ النَّزَاعَ.

وهو أن نقول: هو شخص ليس كالأشخاص ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾. ولا شك أن الله جلّ وعلا ذات قائمة بنفسه، ولا شك في هذا. لكن هل هو مثل الذوات الأخرى؟  
**الجواب:** لا، له ذات تختص به، لا يعلم كيفيتها إلا هو ﷻ.

وفي الحديث من المسائل بيانُ غيرةِ سعد بن عبادة وهو سيد الخزرج، وسعد بن معاذ سيد الأوس، فالسعدان سيدان، أحدهما سيد الأوس، والثاني: سيد الخزرج، والخزرج أكبر من الأوس وأشد في الحروب، لكن لكل قبيلة منها خصائصها.

وسعد بن عبادة رضي الله عنه عنده غيرة شديدة، حتى قيل: إنه إذا طلق امرأة لم يتزوجها أحد بعده لشدة غيرة، والله أعلم بصحة هذا، لكن هذا الحديث يدل على شدة غيرة.

❦ يقول: «لو رأيت رجلاً مع امرأتي لضربته بالسيف غير مصفح»، معني غير مصفح؛ أي: لا أضربه بصفحتي بل أضربه بحده وإذا ضربته بحده قتله. وقطعه نصفين، فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: «تَعْجَبُونَ» وفي لفظ: «أَتَعْجَبُونَ من غيرة سعد» والمعنى فيها واحد؛ لأن همة الاستفهام قد تحذف من الجملة بدليل، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ مِنَ الْأَرْضِ نَاصِيَةً﴾ [الأنعام: ٢١].  
التقدير: أهم يُنْشِرُونَ؟ ولهذا ينبغي لك إذا قرأت القرآن فقلّت: ﴿أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ مِنَ الْأَرْضِ نَاصِيَةً﴾ أن تفق، لأنك لو وصلت؛ يفهم من وصلك أن جملة ﴿هُم يُنْشِرُونَ﴾ (١) صفة لـ «الآلة» فيغيّر المعنى، ولكن المعنى: أهم يُنْشِرُونَ، أيقدّر هؤلاء على نشر الموتى؟ الجواب: لا.  
فهنا «أَتَعْجَبُونَ» إن كانت باللفظ: «أَتَعْجَبُونَ» فالأمر واضح، وإن حذفت الهمة، فالدليل عليها.

❦ قوله: «والله لأنا أغير منه، والله أغير مني» واختلف العلماء من هذا الكلام في رسول الله ﷺ أهو إقرار أو إنكار، يعني هل الرسول ﷺ أقرّ سعداً على ما حكم به، من أنه لو وجد رجلاً مع امرأته لضربه بالسيف أو هو إنكار منه؟

فعلى الأول يكون قوله ﷺ: «والله إني لأغير منه، والله أغير مني» يكون ثناءً على سعد، ولكنه ليس غيرة أعظم من غيرة الله ورسوله، وعلى الثاني يكون المعنى: أي أغير منه والله أغير مني ومع ذلك لم يُشرع هذا الفعل الذي عزم عليه الإنسان.

والأقرب عندي الأول أن ذلك إقرار؛ لأنه لو كان إنكاراً لبينه النبي ﷺ بياناً شافياً، فإن الأمر خطير؛ لأن الأمر هو قتل نفس، فلو كان قتل هذه النفس بغير حق لبينه الرسول ﷺ، ويدل على هذه القصة التي وقعت في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أنه رُفِعَ إليه رجل قتل شخصاً وجده على امرأته، فضربه بالسيف فقطعه جزئتين، فارتفعوا إلي عمر، فقال الرجل: أنا لم أضرب إلا فوق فخذي امرأتي، فإن كان فوق فخذيها أحد فقد ضربته. فقال لأولياء المقتول: ما تقولون؟ قالوا: لا نقول شيئاً. فأخذ



عمرُ السيفِ فهِرَهُ، وَقَالَ لَهُ: إِنَّ عَادُوا فَعُدُّ<sup>(١)</sup>.

فهذا إقرار، ولا شكَّ أنَّ هذا هو الحكمُ وليسَ هذا من بابِ دفعِ الصائل؛ لأنَّه لو كان من بابِ دفعِ الصائل لكانَ الواجبُ على الزوج أن يقول له: يا فلان اتَّقِ اللهَ كَيْفَ تَفْعَلُ الفاحشةَ في أهلي فإذا أبى أن يقومَ جَرَّهُ، فإنَّ عَجَزَ عنه فله أن يقتله إذا لم يندفعْ بغيرِ القتلِ، ولكنَّ هذا ليسَ من بابِ دفعِ الصائل بل من عقوبةِ المُعتدي.

فإنَّ قالَ قائلٌ: وهل لهذا نظيرٌ في الشرع؟

**قلنا:** نعم، لو أنَّ رجلاً نظَرَ إليك من خِصَاصِ البابِ يَعْنِي: فتحةَ البابِ، والبابُ مغلقٌ، فإنَّه يجوزُ لك أن تأخذَ المِدرأَ وتفقاً عينه بدونَ إنذارٍ، حتَّى إنَّ الرسولَ ﷺ أخذَ المِدرأَ وجعلَ يختبئُ<sup>(٢)</sup> من أجلِ ألاَّ يُحسَّ به، ولو كانَ هذا من بابِ دفعِ الصائل، لتكلَّمَ إليه أولاً، وقال: انصرفْ عن البابِ، اتَّقِ اللهَ. فإذا أصرَّ يُعاملُ بما يُعاملُ به.

فالظاهرُ لي: أنَّ قولَ رسولِ الله ﷺ: «اتَّعَجَبُونَ مِنْ غَيْرَةِ سَعِيدٍ... إلخ» أنَّ هذا من بابِ الشَّاءِ على سعيد، والإقرار على ذلك، ولكن لو ادَّعى أحدُ هذه الدَّعوى أنَّه وجدَ هذا القَتيلَ على أهله، وأنكرَ أولياءُ القَتيلِ فماذا نَصْنَعُ؟

هل نقولُ للقائل: اتَّ ببينة، لأنَّ البينةَ على المُدَّعي، واليمينُ على من أنكر، أو نقولُ: إنَّه صادقٌ؛ لأنَّ إقامةَ البينةَ على مثلِ هذه القضية متعذرةٌ أو متعذرةٌ؟ لو ذهبَ يأتي بأربعةَ شهداءَ لكانَ هذا الرجلُ قُضِيَ حاجتُه وولَّى، وهذا كان سببُ كلامِ سعيد بن عبادَةَ رضي الله عنه أن الله أنزلَ: ﴿وَالَّذِينَ يَزْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَوَايَاتُوا بِأَرْبَعَةٍ شَهَادَةٍ مِنْهُنَّ حَتَّى جَلَدَهُنَّ﴾ [النِّسَاء: ٤]. قال: أَرَى لَكَعْ بَن لَكَعْ على أهلي، وأذهبُ آتي بأربعةَ شهداءَ، والله! لا أُضْرِبُ به بالسيفِ غيرَ مُصَفَّحٍ. فإقامةُ البينة متعذرةٌ، لكن قبولَ الدَّعوى أيضاً مُشْكِلٌ، لأنَّ كلَّ إنسانٍ يستطيعُ أن يدَّعُو شخصاً إلى بيته وهو يريدُ قتله، فيقتله ويدَّعي هذه الدَّعوى، فاختلَفَ العلماءُ في هذا، فقالَ الفقهاءُ فقهاءُ الحنابلة: لا تُقْبَلُ دَعْوَاهُ، ويُقْتَلُ؛ لأنَّه قَتَلَ نفساً مُحَرَّمةً، وتكونُ هذه المصيبةُ عليه رِفْعَةً درجَتٍ له عندَ الله، ولكنَّ حَبَرَ زمانِه، وإمامَ من بعده شيخُ الإسلامِ ابنُ تيمية قال: لا تأتي بمثلِ هذا شريعةُ الإسلامِ المبنية على العدلِ والحكمة، بل يجبُ أن يُنظَر، فإذا كانَ المُدَّعي رجلاً خيراً، وعدلاً، وكانَ المقتولُ شَريراً معروفاً بالخُبثِ، فإنَّ القولَ قولَ المُدَّعي القاتلِ، وإنَّ كانَ الأمرُ بالعكسِ فالقولُ لأولياءِ المقتولِ، وقال: إنَّ القرائنَ تُبَيِّنُ بها الأحكامَ، فالحاكمُ في قصةِ يوسفَ حَكَمَ بالقرينة، قال: ﴿إِنْ كَانَتْ فَمِصْصُهُ قَدْ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ

(١) عزاه ابن قدامة في «المغنى» (١١/٤٦٢)، إلى سنن سعيد بن منصور، وكذلك عزاه العلامة الإلباني إلى سنن سعيد بن منصور كما في «الإرواء» (٧/٤٢٧٤) (٢٢١٧).

(٢) رواه البخاري (٦٢٤٢)، ومسلم (٢١٥٧).

﴿١٧﴾ وَإِنْ كَانَ قَيْصُصُهُ قَدْ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٧﴾ فَلَمَّا رَأَى قَيْصُصَهُ قَدْ مِنْ دُبُرٍ ﴿١٧﴾ حَكَمَ، وَقَالَ ﴿إِنَّمِنْ كَيْدِكُنْ إِنَّ كَيْدَكُنْ عَظِيمٌ﴾ ﴿١٨﴾ وَسَلِيَانٌ أَيْضًا حَكَمَ بِالْقَرَائِنِ فِي قِصَّةِ الْمَرَاتَيْنِ الْمُتَنَازِعَتَيْنِ عَلَى ابْنِ إِحْدَاهُمَا فَدَعَا بِالسَّكِينِ، فَقَالَ: أَشَقُّ الْوَلَدِ نِصْفَيْنِ نِصْفٌ لِهَذِهِ وَنِصْفٌ لِهَذِهِ، أَمَّا الْكَبِيرَةُ فَرَحَّبَتْ هَذَا الْحَكَمَ، وَأَمَّا الصَّغِيرَةُ <sup>(١)</sup> فَأَبَتْ، وَقَالَتْ: هُوَ وَلَدُهَا يَا نَبِيَّ اللَّهِ. فَقَضَى بِهِ لِلصَّغِيرَةِ، عَرَفَ أَنَّهَا أُمُّهُ وَأَنَّهَا أَثَرَتْ حَيَاتَهُ عَلَى مُفَارَقَتِهِ، أَمَّا الْكَبِيرَةُ فَقَدْ هَلَكَ وَلَدُهَا، وَأَرَادَتْ أَنْ يَهْلِكَ هَذَا الْوَلَدُ مَعَهُ فَلَيْسَ فِي قَلْبِهَا رَحْمَةٌ لَهُ فَعَرَفَ، أَنَّهُ لَيْسَ وَلَدُهَا.

فَالْحَاصِلُ: أَنَّ مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ هُوَ الْحَقُّ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ.

❦ قَوْلُهُ: «وَمِنْ أَجْلِ غَيْرَةِ اللَّهِ حَرَّمَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ» \* «مَا ظَهَرَ» هَلْ ظَهَرَ فَحْشُهُ وَخَفِيَ أَوْ ظَهَرَ لِلنَّاسِ وَاشْتَهَرَ أَوْ خَفِيَ عَنْهُمْ أَوْ الْأَمْرَانِ؟  
**الجواب:** أَنَّهُ الْأَمْرَانِ جَمِيعًا.

❦ قَوْلُهُ: «وَلَا أَحَدٌ أَحَبُّ إِلَيْهِ الْعَذْرُ مِنَ اللَّهِ، وَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ بَعَثَ الْمُبَشِّرِينَ وَالْمُنْذِرِينَ» يَعْنِي: الرِّسْلَ، وَذَلِكَ لِإِقَامَةِ الْعَذْرِ وَالْحُجَّةِ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾. اسْتَدَلَّ بِهَذِهِ الْآيَةِ أَهْلُ السُّنَّةِ عَلَى طَائِفَةٍ مَنْحَرِفَةٍ فِي بَابِ الْقَدْرِ، وَهِيَ الْجَهْمِيَّةُ، لِأَنَّهُمْ كَانُوا جَبْرِيَّةً؛ لِأَنَّهُ لَوْ ثَبَتَ الْجَبَرُ لَكَانَ حُجَّةً، حَتَّى لَوْ جَاءَ الرِّسْلُ وَقَالَ الْإِنْسَانُ إِنَّهُ يُجْبَرُ عَلَى الْمَخَالَفَةِ فَهُوَ حُجَّةٌ.

❦ قَوْلُهُ: «وَلَا أَحَدٌ أَحَبُّ إِلَيْهِ الْمَدْحَةُ مِنَ اللَّهِ، وَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ وَعَدَ الْجَنَّةَ». وَعَدَ الْجَنَّةَ لِمَنْ مَدَحَهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَقَامَ بِعِبَادَتِهِ.

**قال الحافظ في الفتح (٣٩٩/١٣):**

❦ قَوْلُهُ: «بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ لَا شَخْصَ أَغْيَرُ مِنَ اللَّهِ» كَذَا لَهُمْ وَوَقَعَ عِنْدَ ابْنِ بَطَّالٍ بِلَفْظِ «أَحَدٌ» بَدَلَ «شَخْصٍ» وَكَانَهُ مِنْ تَغْيِيرِهِ.

❦ قَوْلُهُ: «لَا شَخْصَ أَغْيَرُ مِنَ اللَّهِ» يَعْنِي: أَنَّ عِبِيدَ اللَّهِ بَنَ عَمْرٍو، عَنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عَمِيرٍ، عَنِ الْمَلِكِ بِالسُّنَدِ الْمَذْكُورِ أَوْ لَا فَقَالَ: «لَا شَخْصَ» بَدَلَ قَوْلِهِ: «لَا أَحَدٌ»

وَقَدْ وَصَلَهُ الدَّارِمِيُّ عَنْ زَكَرِيَّا بْنِ عَدِيٍّ، عَنْ عِبِيدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عَمِيرٍ، عَنْ وَرَادِ مَوْلَى الْمَغِيرَةِ، عَنْ الْمَغِيرَةِ، قَالَ: بَلَغَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ سَعْدَ بْنَ عِبَادَةَ يَقُولُ، فَذَكَرَهُ بِطَوْلِهِ، وَسَاقَهُ أَبُو عَوَانَةَ يَعْقُوبُ الْإِسْفَرَايْنِيُّ فِي صَحِيحِهِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عِيْسَى الْعَطَّارِ، عَنْ زَكَرِيَّا بْنِ تَهْمَامٍ، وَقَالَ فِي الْمَوَاضِعِ الثَّلَاثَةِ: «لَا شَخْصَ» قَالَ الْإِسْمَاعِيلِيُّ بَعْدَ أَنْ أَخْرَجَهُ مِنْ طَرِيقِ عِبِيدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِ الْقَوَارِيرِيِّ وَأَبِي كَامِلٍ فَضِيلِ بْنِ حُسَيْنِ الْجَحْدَرِيِّ وَمُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ أَبِي الشَّوَارِبِ، ثَلَاثَتُهُمْ عَنْ أَبِي



عوانة الوضاح البصري بالسند الذي أخرجه البخاري، لكن قال في المواضع الثلاثة: «لا شخص» بدل «لا أحد» ثم ساقه من طريق زائدة بن قدامة عن عبد الملك كذلك فكان هذه اللفظة لم تقع في رواية البخاري في حديث أبي عوانة عن عبد الملك، فلذلك علّقها عن عبيد الله بن عمرو.

**قلت:** وقد أخرجه مسلم عن القواريري وأبي كامل كذلك، ومن طريق زائدة أيضاً قال ابن بطال: أجمعت الأمة على أن الله تعالى لا يجوز أن يوصف بأنه شخص؛ لأن التوقيف لم يرد به، وقد منعت منه المجسمة مع قولهم بأنه جسم لا كالأجسام. كذا قال، والمنقول عنهم خلاف ما قال. [وقوله: المجسمة يعني: السلف والله المستعان<sup>(١)</sup>].

وقال الإسماعيلي: ليس في قوله: «لا شخص» غير من الله إثبات أن الله شخص بل هو كما جاء «ما خلق الله أعظم من آية الكرسي» فإنه ليس فيه إثبات أن آية الكرسي مخلوقة، بل المراد أنها أعظم من المخلوقات، وهو كما يقول من يصف امرأة كاملة الفضل حسنة الخلق: ما في الناس رجل يشبهها يريد تفضيلها على الرجال لا أنها رجل.

[والمثال الذي ذكرناه أوضح بكثير، وأما ما ذكره أنه «ما خلق الله أعظم من آية الكرسي»<sup>(٢)</sup> فهذا يحتاج إلى إثبات، ففي النفس منه شيء<sup>(٣)</sup>].

قال ابن بطال: اختلفت ألفاظ هذا الحديث فلم يختلف في حديث ابن مسعود أنه بلفظ «لا أحد» فظهر أن لفظ «شخص» جاء موضع «أحد» فكانه من تصرف الراوي، ثم قال: على أنه من باب المُسْتَشَى من غير جنسه: كقوله تعالى: ﴿وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾ [البقرة: ٢٨] وليس الظن من نوع العلم، قلت: وهذا هو المعتمد.

[لعله: ﴿إِلَّا ابْتِغَاءَ الظَّنِّ﴾ [البقرة: ١٥٧]. لأن ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾ ما فيها استثناء، ما يُسْتَشَى من العلم؛ لأن ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾ مُفَرَّغٌ، لكن ﴿وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾ هذه التي فيها ابتاع الظن من العلم<sup>(٤)</sup>].

وقد قرره ابن قورك ومنه أخذه ابن بطال فقال بعد ما تقدّم من التمثيل بقوله: ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾ فالتقدير أن الأشخاص الموصوفة بالغيرة لا تبلغ غيرتها - وإن تناهت - غيرة الله تعالى وإن لم يكن شخصاً بوجه، وأما الخطأ فبني على أن هذا التركيب يقتضي إثبات هذا الوصف لله تعالى فبالع في الإنكار وتخطئة الراوي فقال: إطلاق الشخص في صفات الله تعالى غير جائز؛ لأن الشخص

(١) ما بين المعقوفين من كلام شيخ ابن عثيمين رحمه الله.

(٢) أخرجه الترمذي (٢٨٨٤) من طريق سفيان بن عيينة في تفسير حديث عبد الله بن مسعود قال: ما خلق الله من ساء ولا أرض أعظم من آية الكرسي قال سفيان: لأن آية الكرسي هو كلام الله، وكلام الله أعظم من خلق الله من الساء والأرض.

(٣) ما بين المعقوفين من كلام الشيخ ابن عثيمين رحمه الله.

(٤) ما بين المعقوفين من كلام شيخ ابن عثيمين رحمه الله.

لا يكون إلا جسمًا مؤلفًا، فخليقٌ ألا تكون هذه اللفظة صحيحة، وأن تكون تصحيحًا من الراوي، ودليل ذلك أن أبا عوانة روى هذا الخبر عن عبد الملك فلم يذكرها، ووقع في حديث أبي هريرة وأسَاء بنت أبي بكر بلفظ «شيء» والشيء والشخص في الوزن سواء، فمن لم يُعْنِ في الاستماع لم يأمن الوهم وليس كل الرواة يراعي لفظ الحديث حتى لا يتعداه.

[مراده بأن الشخص والشيء في الوزن سواء، يعني: معناه أن الخطأ قريب، وأن قوله: «لا شخص» كانت «لا شيء» وأما حقيقة المعنى فبينهما فرق؛ لأن الشيء يُطلق على المعاني وعلى الذوات لكن قصده أن التصحيح قريب<sup>(١)</sup>.

بل كثير منهم يُحدث بالمعنى وليس كلهم فهمًا، بل في كلام بعضهم جفاء وتعجرف، فلعل لفظ «شخص» جرى على هذا السبيل، إن لم يكن غلطًا من قبيل التصحيح، يعني: السمعي.

قال: ثم إن عبيد الله بن عمرو انفرد عن عبد الملك فلم يُتابع عليه واعتوره الفساد من هذه الأوجه، وقد تلقى هذا عن الخطابي أبو بكر بن فورك فقال: لفظ الشخص غير ثابت من طريق السند، فإن صح فياؤه في الحديث الآخر وهو قوله: «لا أحد» فاستعمل الراوي لفظ «شخص» موضع «أحد» ثم ذكر نحو ما تقدم عن ابن بطال، ومنه أخذ بن بطال، ثم قال بن فورك: وإننا منعنا من إطلاق لفظ الشخص أمور:

**أحدها:** أن اللفظ لم يثبت من طريق السمع.

**والثاني:** الإجماع على المنع منه.

**والثالث:** أن معناه الجسم المؤلف المركب.

**ثم قال:** ومعنى الغيرة: الزجر والتحريم، فالمعنى: أن سعدًا الزجور عن المحارم وأنا أشد زجرًا منه، والله أزرُّ من الجميع. انتهى<sup>(٢)</sup>.

[وهذا غير صحيح، فالغيرة ليست هي الزجر، فالزجر يكون من آثار الغيرة، لأن الإنسان إذا غار زجر عما يغار منه<sup>(٣)</sup>.

وطعن الخطابي ومن تبعه في السند مبني على تفرد عبيد الله بن عمرو به، وليس كذلك كما تقدم، وكلامه ظاهر في أنه لم يراجع صحيح مسلم ولا غيره من الكتب التي وقع فيها هذا اللفظ من غير رواية عبيد الله بن عمرو، ورد الروايات الصحيحة، والطعن في أئمة الحديث الضابطين، مع إمكان توجيه ما رَوَوْا من الأمور التي أقدم عليها كثير من غير أهل الحديث، وهو يقتضي قصور فهم من

(١) ما بين المعقوفين من كلام شيخ ابن عثيمين رحمه الله.

(٢) انظر «الفتح» (٣٩٩/١٣)، وما بعدها.

(٣) ما بين المعقوفين من كلام شيخ ابن عثيمين رحمه الله.



فَقُلْ ذَلِكَ مِنْهُمْ، وَمِنْ ثَمَّ قَالَ الْكِرْمَانِيُّ: لَا حَاجَةَ لِنَحْطِئَةِ الرِّوَاةِ الثَّقَاتِ بَلْ حُكْمُ هَذَا حُكْمُ سَائِرِ الْمُتَشَابِهَاتِ إِمَّا التَّفْوِضُ، وَإِمَّا التَّأْوِيلُ.

وَقَالَ عِيَّاضٌ بَعْدَ أَنْ ذَكَرَ مَعْنَى قَوْلِهِ: «وَلَا أَحَدٌ أَحَبُّ إِلَيْهِ الْعَذْرُ مِنَ اللَّهِ» أَنَّهُ قَدَّمَ الْإِعْذَارَ وَالْإِنْدَارَ قَبْلَ أَخْذِهِمْ بِالْعُقُوبَةِ، وَعَلَى هَذَا لَا يَكُونُ فِي ذِكْرِ الشَّخْصِ مَا يُشْكِلُ. كَذَا قَالَ، وَلَمْ يَتَّجِهْ أَخْذُ نَفْيِ الْإِشْكَالِ مِمَّا ذَكَرَ، ثُمَّ قَالَ: وَبِجَوْرٍ أَنْ يَكُونَ لَفْظُ الشَّخْصِ وَقَعَ تَجَوُّزًا مِنْ شَيْءٍ أَوْ أَحَدٍ، كَمَا يَجَوُّزُ إِطْلَاقُ الشَّخْصِ عَلَى غَيْرِ اللَّهِ تَعَالَى، وَقَدْ يَكُونُ الْمَرَادُ بِالشَّخْصِ الْمُرْتَفَعِ؛ لِأَنَّ الشَّخْصَ هُوَ مَا ظَهَرَ وَشَخَّصَ وَارْتَفَعَ، فَيَكُونُ الْمَعْنَى: لَا مُرْتَفَعٌ أَرْفَعُ مِنَ اللَّهِ، كَقَوْلِهِ لَا مُتَعَالَى أَعْلَى مِنَ اللَّهِ. [غَرِيبٌ هَذَا التَّأْوِيلُ].

قَالَ: وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى: لَا يَتَّبِعِي لِشَخْصٍ أَنْ يَكُونَ أَغْيَرُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ لَمْ يَعْجَلْ وَلَا بَادَرَ بِعُقُوبَةِ عَبْدِهِ لَارْتِكَابِهِ مَا نَهَاهُ عَنْهُ، بَلْ حَذَّرَهُ وَأَنْذَرَهُ، وَأَعَذَّرَ إِلَيْهِ وَأَمْهَلَهُ، فَيَتَّبِعِي أَنْ يَتَأَدَّبَ بِأَدْبِهِ، وَيَقِفَ عِنْدَ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ، وَهَذَا تَظْهَرُ مَنَاسِبَةُ تَعْقِيبِهِ بِقَوْلِهِ: «وَلَا أَحَدٌ أَحَبُّ إِلَيْهِ الْعَذْرُ مِنَ اللَّهِ» وَقَالَ الْقُرْطُبِيُّ: أَصْلُ وَضْعِ الشَّخْصِ، يَعْنِي فِي اللُّغَةِ لُجْرَمُ الْإِنْسَانِ وَجَسَمِهِ، يُقَالُ: شَخْصٌ فَلَانٍ وَجُثْمَانِهِ، وَاسْتَعْمَلَ فِي كُلِّ شَيْءٍ ظَاهِرٍ، يُقَالُ: شَخَّصَ الشَّيْءَ. إِذَا ظَهَرَ. وَهَذَا الْمَعْنَى مُحَالٌ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى، فَوَجِبَ تَأْوِيلُهُ، فَقِيلَ: مَعْنَاهُ لَا مُرْتَفَعٌ، وَقِيلَ: لَا شَيْءٌ. وَهُوَ أَشْبَهُ مِنَ الْأَوَّلِ، وَأَوْضَحُ مِنْهُ: لَا مَوْجُودٌ أَوْ لَا أَحَدٌ، وَهُوَ أَحْسَنُهَا، وَقَدْ ثَبَتَ فِي الرِّوَايَةِ الْأُخْرَى وَكَأَنَّ لَفْظَ الشَّخْصِ أُطْلِقَ مِبَالِغَةً فِي إِثْبَاتِ إِيْمَانٍ مِنْ يَتَعَذَّرُ عَلَى فَهْمِهِ مَوْجُودٌ لَا شَيْءٌ شَيْئًا مِنَ الْمَوْجُودَاتِ، لِثَلَاثِ أَصْنَافٍ مِنْهُ: بِهَذَا ذَلِكَ إِلَى النَّفْيِ وَالتَّعْطِيلِ، وَهُوَ نَحْوُ قَوْلِهِ ﷺ لِلْجَارِيَةِ: «أَيْنَ اللَّهُ؟ قَالَتْ: فِي السَّمَاءِ» فَحُكِمَ بِإِيْمَانِهَا مَخَافَةَ أَنْ تَقَعَ فِي التَّعْطِيلِ، لِقُصُورِ فَهْمِهَا عَمَّا يَتَّبِعِي لَهُ مِنْ تَنْزِيهِهِ مِمَّا يَقْتَضِي التَّشْبِيهَ، تَعَالَى اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ عُلُوًّا كَبِيرًا.

**تَنْبِيْهٌ:** لَمْ يُنْصَحِ الْمُصَنِّفُ بِإِطْلَاقِ الشَّخْصِ عَلَى اللَّهِ، بَلْ أَوْرَدَ ذَلِكَ عَلَى طَرِيقِ الْإِحْتِمَالِ، وَقَدْ جَزَمَ فِي الَّذِي بَعْدَهُ، فَتَسْمِيَّتُهُ شَيْئًا لظَهْوَرِ ذَلِكَ فِيهِمَا ذَكَرَهُ مِنَ الْآيَتَيْنِ <sup>(١)</sup> . اهـ

**وَقَالَ الشَّيْخُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُثَيْمَانَ:**

قَوْلُهُ: وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو، يَعْنِي عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ: «لَا شَخْصَ أَغْيَرُ مِنَ اللَّهِ» قَالَ الْحَافِظُ: يَعْنِي: أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو رَوَى الْحَدِيثَ الْمَذْكُورَ عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بِالسَّنَدِ الْمَذْكُورِ، فَقَالَ: «لَا شَخْصَ» بِدَلِّ كَلِمَةِ «لَا أَحَدٌ» وَقَدْ وَصَلَهُ الدَّارِمِيُّ. ثُمَّ ذَكَرَ سَنَدَهُ وَسَاقَهُ أَبُو عَوَانَةَ يَعْقُوبُ بْنُ الْإِسْفَرَايْنِيِّ فِي صَحِيحِهِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عِيْسَى الْعَطَّارِ، عَنْ زَكْرِيَّا بْنِ كَمَالِهِ، وَقَالَ فِي الْمَوَاضِعِ الثَّلَاثَةِ: «لَا شَخْصَ» قَالَ الْإِسْمَاعِيلِيُّ بَعْدَ أَنْ أَخْرَجَهُ مِنْ طَرِيقِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو الْقَوَارِيرِيُّ وَأَبِي كَامِلٍ فَضِيلُ بْنُ حُسَيْنٍ الْجَعْفَرِيُّ وَمُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ أَبِي الشَّوَارِبِ، ثَلَاثَتُهُمْ عَنْ أَبِي عَوَانَةَ الْوَضَّاحِ الْبَصْرِيِّ بِالسَّنَدِ

الذي أخرج به البخاري، ولكن قال في المواضع الثلاثة: «لا شخص» بدل «لا أحد». ثم ساقه من طريق زائدة بن قدامة عن عبد الملك كذلك، فكان هذه اللفظة لم تقع في رواية البخاري في حديث أبي عوانة عن عبد الملك، فلذلك علّقها عن عبيد الله بن عمرو.

**قلت:** وقد أخرج مسلم عن القواريري، وأبي كامل كذلك. انتهى.

ولفظ مسلم، بعد أن ذكر السند، قال سعد بن عبادة: لو رأيت رجلاً مع امرأتي لضربته بالسيف غير مصفح عنه، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: «أتعجبون من غيرة سعد؟ فوالله لأنا أغبر منه، والله أغبر مني، من أجل غيرة الله حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا شخص أغبر من الله، ولا شخص أحب إليه العذر من الله، من أجل ذلك بعث الله المرسلين مبشرين ومُنذرين، ولا شخص أحب إليه المدحة من الله، من أجل ذلك وعد الله الجنة» ورواه الإمام أحمد في المسند بهذا اللفظ، قال عبد الله بن الإمام أحمد بعد ذكره: قال عبيد الله القواريري: ليس حديث أشد على الجهمية من هذا الحديث. وبهذا يتبين خطأ ابن بطال في قوله: «أجمعت الأمة على أن الله تعالى لا يجوز أن يوصف بأنه شخص؛ لأن التوقيف لم يرد به» اهـ ذكره الحافظ.

وهذه مجازفة ودعوى عارية من الدليل، فأين هذا الإجماع المزعوم؟ ومن قاله سوى المتأثرين ببدع أهل الكلام، كالخطابي، وابن قورك، وابن بطال، عفا الله عنا وعنهم.

❖ وقوله: «لأن التوقيف لم يرد به» يبطله ما تقدم من ذكر ثبوت هذا اللفظ عن رسول الله ﷺ بطريق صحيحة لا مطعن فيها، وإذا صح الحديث عن رسول الله ﷺ وجب العمل به، والقول بموجبه سواء كان في مسائل الاعتقاد أو في العمليات، وقد صح عن النبي ﷺ إطلاق هذا الاسم، أعني: الشخص على الله تعالى خبراً فيجب اتباعه في ذلك على من يؤمن بأنه رسول الله، وهو ﷺ أعلم بربه، وبما يجب له وما يمتنع عليه تعالى من غيره من سائر البشر.

وتقدم أن الشخص في اللغة، ما شخص وارتفع وظهر. قال في اللسان: «الشخص كل جسم له ارتفاع وظهور» والله تعالى أظهر من كل شيء، وأعظم وأكبر، وليس في إطلاق الشخص عليه محذور على أصل أهل السنة الذين يتقيدون بما قاله الله ورسوله. انتهى (١).

\*\*\*

**ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:**

٢١- باب قل أي شيء أكبر شهادة قل لله.

فَسَمَّى اللَّهُ تَعَالَى نَفْسَهُ شَيْئًا وَسَمَّى النَّبِيَّ ﷺ الْقُرْآنَ شَيْئًا وَهُوَ صِفَةٌ مِنْ صِفَاتِ اللَّهِ وَقَالَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ

قلت: يعني: فالوجه شيء؛ لأن الأصل في الاستثناء الاتصال.

(١) انظر شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري، للشيخ عبد الله بن محمد الغنيان (١/ ٣٣٥)، وما بعدها.



٧٤١٧- حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُوسُفَ، أَخْبَرَنَا مَالِكٌ، عَنْ أَبِي حَازِمٍ، عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **لِرَجُلٍ «أَمَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ شَيْءٌ».** قَالَ: نَعَمْ سُورَةٌ كَذَا وَسُورَةٌ كَذَا. لِسُورٍ سَمَاهَا <sup>(١)</sup>.

لفظ شيء هل يُطلق على الله؟

**الجواب:** لفظ شيء يُخبر به عن الله، ولا يُسمى الله به، وقول البخاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سَمَى الله نفسه شيئاً، المراد أنه وصف نفسه بـ «شيء» ولا فليس الشيء من إسماء الله وَعَلَيْهِ السَّلَامُ؛ لقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأنعام: ١٨٠]. فلا بد أن تتصمَّنَ أسماء الله معاني حسنى، لكن يصلح أن يُخبر عنه بالشيء، والموجود، وما أشبهها، وعلى هذا فيقال: إن الله شيء لكنه كامل، شيء كامل ولا تقل: شيء على سبيل الإطلاق فقط، يعني: ليس مطلق شيء بل هو شيء كامل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بأسمائه وصفاته. واستدل البخاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على جواز تسمية الله بالشيء؛ أي: جواز الإخبار عن الله بالشيء بأدلة:

**أولاً:** قوله تعالى: ﴿قُلْ أَتَىٰ شَيْءٌ أَكْبَرَ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ [الأنعام: ١٩]. فهذا جاءت لفظة الشيء غير مطلقة، بل شيء في كمال الشهادة ﴿قُلِ اللَّهُ﴾ أي: الله أكبر شهادة من كل شاهد ﴿لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَكُ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنْ يَشْهَدَ﴾ وكفى بالله شهيداً (٢) ﴿الأنعام: ١٦٦﴾. فسمى الله نفسه شيئاً، فقال: ﴿قُلِ اللَّهُ﴾ يعني الشيء الذي هو أكبر شهادة هو الله.

**ثانياً:** واستدل أيضاً بأن النبي ﷺ سَمَى الْقُرْآنَ شيئاً، وذلك في الحديث، حيث قال: «أَمَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ شَيْءٌ» وهو صفة من صفات الله؛ لأنه كلامه، وكلام الله تعالى صفة من صفاته، ولهذا قال العلماء: إن القرآن كلام الله مُنَزَّلٌ غير مخلوق. فهو صفة، والدليل على أنه غير مخلوق قول الله تبارك وتعالى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ [الأنعام: ٥٤]. والقرآن هل هو من الخلق أو من الأمر؟ لا شك أنه من الأمر، وقوله: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورى: ٥٢]. وعلى هذا فيكون القرآن غير مخلوق، وقال تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ يعني: إلا وجه الله، وسبق لنا أن التعبير هنا بالوجه يُراد به الذات مع ثبوت الوجه، ووجه الدلالة من الآية أن الأصل في الاستثناء الاتصال؛ أي: أن المُسْتثنى من جنس المُسْتثنى منه، وقد قال: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾. فيكون الوجه من الأشياء، ولهذا استثنى منه، والاستثناء المنقطع هو أن يكون المُسْتثنى من غير المُسْتثنى منه، وعلى هذا فيصح أن يُخبر عن الله بأنه شيء، ولكن لا يُدعى به ولا يسمّى به.

**والشاهد من الحديث قوله:** «أَمَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ شَيْءٌ» فسمى ما معه من القرآن شيئاً ولهذا أجاب: سورة كذا وكذا.

وحديث سهل بن سعد في قصة المرأة التي جاءت إلى الرسول ﷺ وَوَهَبَتْ نَفْسَهَا لَهُ وَكَانَ ﷺ لَمْ يَرْغَبْ فِيهَا فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ الصَّحَابَةِ، وَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكَ بِهَا حَاجَةٌ فزَوِّجْنِيهَا. فَقَالَ:

«أَمَعَكَ شَيْءٌ» يَعْنِي: تُصَدِّقُهَا. قَالَ: مَعِيَ إِزَارِي. لَيْسَ لَهُ إِلَّا إِزَارٌ، مَا عَلَيْهِ رَدَاءٌ، قَالَ: «كَيْفَ ذَلِكَ؟ إِزَارُكَ إِنْ أُعْطِيَتهَا إِيَّاهُ بَقِيَتْ بِلَا إِزَارٍ، وَإِنْ بَقِيَ الْإِزَارُ عَلَيْكَ بَقِيَتْ بِلَا مَهْرٍ، التَّمَسُّ» فَذَهَبَ الرَّجُلُ، فَقَالَ: مَا وَجَدْتُ شَيْئًا. قَالَ: «التَّمَسُّ وَلَوْ خَاتَمًا مِنْ حَدِيدٍ». فَلَمْ يَجِدْ وَلَا خَاتَمًا مِنْ حَدِيدٍ، فَقَالَ: أَمَعَكَ شَيْءٌ مِنَ الْقُرْآنِ؟. قَالَ: نَعَمْ، سُورَةُ كَذَا وَكَذَا. فَقَالَ: «زَوَّجْتُكَهَا بِمَا مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ» فَجَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ مَهْرَهَا تَعْلِيمَهُ إِيَّاهَا الْقُرْآنَ، وَلَوْ أَنَّهُ جَعَلَ مَهْرَهَا أَنْ يُعَلِّمَهَا الْحِسَابَ مِثْلًا، فَإِنْ هَذَا يَجُوزُ، أَوْ أَنْ يُعَلِّمَهَا الْحَدِيثَ يَجُوزُ؛ أَوْ أَنْ يُعَلِّمَهَا الْقُرْآنَ فَيَجُوزُ، وَلَكِنْ قَالَ بَعْضُ الْفُقَهَاءِ: لَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَهْرُهَا مَا يُعَلِّمُهَا مِنَ الْقُرْآنِ، قَالُوا: لِأَنَّ الْقُرْآنَ لَا يُقْرَأُ إِلَّا تَقَرُّبًا وَتَعَبُّدًا، وَالْعِبَادَةُ لَا يَصِحُّ أَنْ تَكُونَ عَوَضًا فِي مَهْرٍ؛ لِأَنَّ الْقَاعِدَةَ فِي الْمَهْرِ أَنْ مَا صَحَّ ثَمَنًا أَوْ أَجْرَةً صَحَّ صَدَاقًا، قَالُوا: أَمَّا الْحَدِيثُ فَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «وَلَنْ تُجْزَى عَنْ أَحَدٍ بَعْدَكَ مَهْرًا»<sup>(١)</sup> فَقَالُوا: فَهَذِهِ مِنْ خَصَائِصِ الرَّجُلِ.

وَلَكِنَّا نَقُولُ: هَذَا الْحَدِيثُ ضَعِيفٌ وَلَا يَصِحُّ أَبَدًا، وَالصَّحِيحُ أَنَّهُ يَجُوزُ أَنْ يَجْعَلَ الْمَهْرَ تَعْلِيمَهَا لَشَيْءٍ مِنَ الْقُرْآنِ مُعَيَّنٍ، وَلِهَذَا قَالَ: بِشُورٍ سَمَّاها، وَلَيْسَ هَذَا مِنْ بَابِ مَا يُتَّخَذُ قَرْبَةً، وَالَّذِي لَا يَصِحُّ لَوْ جِئْنَا بِقَارِيٍّ وَقُلْنَا: اقْرَأْ سُورَةً أَوْ جِزَاءً مِنَ الْقُرْآنِ بِعَوَضٍ، فَهَذَا هُوَ الَّذِي يَكُونُ حَرَامًا، وَلَا يَصِحُّ، لِذَلِكَ نَعْنِي إِلَى بَعْضِ النَّاسِ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الْعِزَاءَ لِلْأَمْوَاتِ، وَيَأْتُونَ بِقُرْءٍ يَقْرَءُونَ بِعَوَضٍ، نَعْنِي إِلَيْهِمْ عَقُولَهُمْ قَبْلَ أَنْ نَعْنِي إِلَيْهِمْ مَا حَصَلَ مِنْ مَخَالَفَةٍ، وَنَقُولُ: هَذَا الْقَارِئُ الَّذِي قَرَأَ بِدَرَاهِمٍ، لَيْسَ لَهُ أَجْرٌ مِنْ قِرَاءَتِهِ، وَإِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ أَجْرٌ مِنْ قِرَاءَتِهِ فَلَنْ يَصِلَ إِلَى الْمَيِّتِ شَيْءٌ مِنْ ثَوَابِهِ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ فِيهَا ثَوَابٌ، وَحِينَئِذٍ نَكُونُ خَسِرْنَا دَارَهُمْ بِدُونِ عَوَضٍ.

أَمَّا التَّعْلِيمُ فَلَا بَأْسَ، لَكِنْ لَوْ قَالَ قَائِلُ: التَّعْلِيمُ مُجْهُولٌ، فَمَاذَا تَقُولُونَ؟ لِأَنَّ بَعْضَ النَّاسِ يَتَعَلَّمُونَ بِسُرْعَةٍ وَسَهُولَةٍ، وَبَعْضُ النَّاسِ يَتَعَلَّمُونَ بِصُعُوبَةٍ؟ فَيَقَالُ: الْوَسْطُ.

قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى:

٢٢- بَابُ ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ [٧: ١٥] ﴿وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [١٨: ١٩].

قَوْلُهُ: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ قَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ: اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ ارْتَفَعَ. ﴿فَسَوَّيْنَهُنَّ﴾: خَلَقَهُنَّ<sup>(١)</sup>، وَقَالَ مُجَاهِدٌ: اسْتَوَى: عَلَا عَلَى الْعَرْشِ<sup>(٢)</sup>؛ وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: الْمَجِيدُ:

(١) أَخْرَجَهُ سَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ (٦٤٢) مِنْ حَدِيثِ أَبِي النُّعْمَانِ الْأَزْدِيِّ مَرْسَلًا، قَالَ الْحَافِظُ فِي «الْفَتْحِ» (٢١٢/٩): وَهَذَا مَعَ إِرْسَالِهِ فِيهِ مَا لَا يَعْرِفُ. اهـ.

(٢) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ تَعْلِيلًا بِصِغَةِ الْجَزْمِ كَمَا فِي «الْفَتْحِ» (٤٠٣/١٣)، وَأَسَنَدَهُ. ابْنُ جَرِيرٍ فِي تَفْسِيرِهِ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ، حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ عِيَاشٍ، عَنْ حَصِينٍ، عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ بِهِ.

وَانْظُرِ الْفَتْحَ (٤٠٥/١٣)، وَتَغْلِيْقَ التَّعْلِيْقِ (٣٤٤/٥).

(٢) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ تَعْلِيلًا بِصِغَةِ الْجَزْمِ كَمَا فِي الْفَتْحِ (٤٠٣/١٣) وَأَسَنَدَهُ الْفَرَايِبِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ قَالَ: حَدَّثَنَا وَرْقَاءُ، عَنْ أَبِي



الكریم، والودود، الحبيب <sup>(١)</sup>. يقال: حمیدٌ مجیدٌ، كأنه فعلٌ من ماجدٍ، محمودٌ من حمد. هذا الباب فيه عدة مسائل:

**أولاً:** إثباتُ العرشِ لله عز وجل؛ لقوله الله تعالى: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ والعرش هو أعظمُ المخلوقاتِ التي تعلمُها وأكبرُها وأوسعُها، ولا نعلمُ ماهيتها، ما هو، ولا كيفية، لكنه ذو قوَّاتٍ، كما ثبتَ في الحديثِ الصحيح، قال: «فَأَسْتَفِيقُ، فإذا موسى أخذَ بقائمةِ العرشِ». لكن من أي شيء هو؟ الله أعلم، من نورٍ أو من مادةٍ أخرى، ما نذري؟ لكن نؤمنُ بأنَّ الله تعالى عرشاً عظيماً وصفه الله تعالى بالعظم، وهو أكبرُ المخلوقاتِ، وقد جاء في بعض الأحاديث أن السمواتِ السبع والأرضين السبع بالنسبة للكرسي كحلقةٍ أُلقيت في فلاةٍ من الأرض <sup>(٢)</sup>، حلقةٌ المغفر وهي صغيرة أُلقيت في فلاةٍ من الأرض، نسبة الحلقة للفلاة ليست بشيء، وإنَّ فضلَ العرشِ على الكرسي كفضلِ الفلاة على هذه الحلقة.

فهذا أمرٌ لا يُحيطُ به الإنسان من عظمته.

وأصلُ العرشِ في اللغة العربية: السريرُ الخاصُّ بالملك، فيكونُ أعظمُ السررِ الموجودةِ في مكانه وزمانه، لأنَّه عرشُ الملك، وإنَّما ذكرَ المؤلفُ العرشَ توطئةً لذكرِ الاستواءِ على العرشِ.

قوله: «قال أبو العالية - وهو أحد التابعين المعروفين بالفقه والعلم والعبادة - استوى إلى السماء: ارتفع». يُشيرُ إلى قوله تبارك وتعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ﴾ [البقرة: ٢٩]. وهذه في سورة البقرة، وفي سورة فصلت قال: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾ [الفصلت: ١١]. فما معنى ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ﴾؟ قال أبو العالية: ارتفع إلى السماء. وإذا قيل: ارتفع إليها فإنه يقتضي أن يكون قبل ذلك دونها، ولهذا لم يتفق السلف على تفسير ﴿اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ﴾ بارتفع إلى السماء، بل ذكر كثير من المفسرين أن المراد بالاستواء هنا القصد بالإرادة التامة، فاستوى إليها أي: اتجه إليها، وقصد إليها بإرادة تامة، وأصل ذلك أن هذه الرادة «استوى» في الأصل تدل على: الكمال، ثم هي في اللغة العربية تستعمل على وجوه، ويتقيد معناها بحسب تلك الوجوه فتستعمل مطلقة، وتستعمل معداة بـ «إلى»، وتستعمل معداة بـ «على»، وتستعمل مقرونة بالواو، هذه أربعة استعماليات.

نجيح، عن مجاهد، به.

وانظر الفتح (١٣/٤٠٥)، وتغليق التعليق (٥/٣٤٥).

(١) رواه البخاري تعليقاً بصيغة الجزم كما في الفتح (١٣/٤٠٣) وأسند ابن أبي حاتم قال: حدثنا أبي، ثنا أبو صالح، عن علي، عن ابن عباس به، انظر تغليق التعليق (٥/٣٤٥)، وكذا أسند ابن جرير تفسير (٣٠/١٣٨، ١٣٩)، قال: حدثني علي، حدثنا أبو صالح، عن معاوية، عن علي، عن ابن عباس به.

(٢) أخرجه ابن حبان (٢/٧٦)، (٣٦١) وصححه، وحسنه ابن حجر وذكر له طرقاً كما في «الفتح» (١٣/٤١١).

**الاستعمال الأول:** إِذَا اسْتُعْمِلَتْ مُطْلَقَةً، فَهِيَ بِمَعْنَى الْكَمَالِ؛ أَي: كِبَالِ الشَّيْءِ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى﴾ [التَّحْقِيقُ: ١٤]. اسْتَوَى؛ أَي: كَمُلَ. وَيَقُولُ الْعَامَّةُ: اسْتَوَى الطَّعَامُ: أَي: كَمُلَ نُضْجُهُ.

**والثاني:** إِذَا عُدِّيَتْ بِ«إِلَى»، صَارَ مَعْنَاهَا: الْقَصْدَ وَالْجَهَّةَ؛ أَي: انْتَهَى قَصْدُهُ إِلَى مَا بَعْدَ الْحَرْفِ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ﴾ أَي: قَصَدَ قَصْدًا تَامًا بِإِرَادَةِ تَامَةٍ، مُتَهَايَا السَّمَاءَ.

**الثالث:** الْمَعْدَةُ بَعْلَى، فَمَعْنَاهَا: الْعُلُوُّ وَالِاسْتِقْرَارُ، لَكِنَّهُ بِالنِّسْبَةِ لِلِاسْتَوَاءِ عَلَى الْعَرْشِ لَيْسَ هُوَ الْعُلُوُّ الْعَامُّ كَمَا سَنُوضِّحُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

**الاستعمال الرابع:** أَنْ تَكُونَ مَقْرُونَةً بِالْوَاوِ، وَفِي هَذِهِ الْحَالِ يَكُونُ مَعْنَاهَا: التَّسَاوِي، كَقَوْلِهِمْ: اسْتَوَى الْمَاءُ وَالْخَشَبَةُ. ذَكَرَ ذَلِكَ النَّحْوِيُّونَ فِي بَابِ الْمَفْعُولِ مَعَهُ، اسْتَوَى الْمَاءُ وَالْخَشَبَةُ؛ أَي: تَسَاوَيَا، يَعْنِي: صَارَ الْمَاءُ عَلَى حِذَاءِ الْخَشَبَةِ. نَعَمْ.

فَهَذِهِ اسْتِعْمَالَاتُ الْإِسْتَوَاءِ فِي اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ وَالصَّحِيحُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ﴾ أَي: أَنَّهُ رَكَّعَ قَصْدَ إِلَيْهَا بِإِرَادَةِ تَامَةٍ؛ لِأَنَّهُ رَفَعَ يَدَيْهِ فَوْقَ السَّمَاءِ، وَلَمْ تَكُنِ السَّمَاءُ فَوْقَهُ فِي يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ أَوْ لِحِظَةٍ مِنَ اللَّحِظَاتِ، بَلْ هُوَ فَوْقَ السَّمَاءِ، فَيَكُونُ الْمُرَادُ بِالِاسْتَوَاءِ كَمَا قَرَّرَهُ كَثِيرٌ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ، وَمِنْهُمْ ابْنُ كَثِيرٍ كَحَلَّتْهُ فِي التَّفْسِيرِ<sup>(١)</sup>، لِأَنَّ مَعْنَاهَا الْقَصْدُ، مَعَ تِمَامِ الْإِرَادَةِ.

وَعَلَيْهِ سَيَكُونُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ﴾ لِلْعُلَمَاءِ قَوْلَانِ.

**القول الأول:** أَنَّهُ بِمَعْنَى: ارْتَفَعَ.

**والثاني:** أَنَّهُ بِمَعْنَى: قَصَدَ قَصْدًا تَامًا.

**وقوله:** «فَسَوَّاهُنَّ». يَعْنِي: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ﴾: مِنْ سُورَةِ الْبَقَرَةِ. قَالَ: خَلَقَهُنَّ. وَفِي هَذَا التَّفْسِيرِ قَصُورٌ؛ لِأَنَّ التَّسْوِيَةَ أَمْرٌ زَائِدٌ عَلَى الْخَلْقِ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى﴾ [الْأَنْعَامُ: ٢]. وَلَوْ جَعَلْنَاهَا التَّسْوِيَةَ بِمَعْنَى الْخَلْقِ لَكَانَ مَعْنَى الْآيَةِ وَالَّذِي خَلَقَ فَخَلَقَ. وَهَذَا لَا يَسْتَقِيمُ فَالْعَطْفُ يَقْتَضِي الْمَغَايِرَةَ. وَالتَّسْوِيَةُ تِمَامُ الْخَلْقِ، يَعْنِي: خَلَقَهُنَّ عَلَى وَجْهِ مَسْتَوٍ تَامٍ، هَذَا هُوَ مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿فَسَوَّاهُنَّ﴾.

وَقَالَ مُجَاهِدٌ: اسْتَوَى: عَلَا عَلَى الْعَرْشِ. وَمُجَاهِدٌ إِمَامُ الْمُفَسِّرِينَ فِي التَّابِعِينَ؛ لِأَنَّهُ أَخَذَ التَّفْسِيرَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، يَعْرِضُ عَلَيْهِ الْقُرْآنَ مِنْ أَوَّلِهِ إِلَى آخِرِهِ يُوقِفُهُ عِنْدَ كُلِّ آيَةٍ وَيَسْأَلُهُ عَنْ مَعْنَاهَا، وَقَوْلُهُ: عَلَا عَلَى الْعَرْشِ. يَعْنِي: قَوْلُهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [التَّحْقِيقُ: ٤]. اسْتَوَى، يَقُولُ: عَلَا عَلَى الْعَرْشِ، وَقَدْ ذَكَرَ ابْنُ الْقَيِّمِ



تَحَلُّفُهُ فِي النُّونِيَّةِ <sup>(١)</sup> وَغَيْرَهَا أَيْضًا أَنَّ «اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ» وَرَدَتْ فِيهَا أَرْبَعُ عِبَارَاتٍ عَنِ السَّلَفِ: عَلَا، وَارْتَفَعَ، وَصَعَدَ، وَاسْتَقَرَّ. لَكِنْ عَلَا وَارْتَفَعَ وَصَعَدَ مَعْنَى الثَّلَاثَةِ مُتَقَارِبٌ أَوْ وَاحِدٌ. أَمَّا اسْتَقَرَّ فَالْاِسْتِقْرَارُ أَمْرٌ زَائِدٌ عَلَى مَجْرَدِ الْعُلُوِّ، وَكَأَنَّ الَّذِينَ فَسَّرُوهُ بِالْاِسْتِقْرَارِ أَخَذُوهُ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذَكَّرُوا نِعْمَةً رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ <sup>[الْقِسْفَةُ: ١٣]</sup>﴾ أَيُّ: إِذَا اسْتَقَرَّرْتُمْ عَلَيْهِ، وَهَذَا لَيْسَ بَعِيدٌ، وَإِنْ كَانَ الْأَحْوُطُ الْأَنْفَسَرُ. ﴿اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ إِلَّا بَعَلًا عَلَى الْعَرْشِ، هَذَا هُوَ الْأَحْوُطُ؛ لِأَنَّ هَذَا الْفِعْلَ عُدِّيٌّ بِـ«عَلَى» فَتَقْتَصِرُ عَلَى مَعْنَى الْعُلُوِّ فِيهِ، وَلَكِنْ لَا مَانِعَ أَنْ نَقُولَ: اسْتَقَرَّ. وَإِنْ كَانَ أَمْرًا زَائِدًا عَلَى الْعُلُوِّ؛ لِأَنَّ هَذَا هُوَ مَعْنَاهُ فِي اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ.

وهذا العلو هل هو العلو العام على جميع المخلوقات، أو هو علو خاص بالعرش؟  
**الجواب:** الثاني، أنه علو خاص بالعرش؛ لأنه لو كان هو العلو العام للزم أن يجوز قول القائل: استوى على الأرض، واستوى على الجبال، واستوى على الشجر، واستوى على الإنسان. لأنه عال عليه بالمعنى العام، لكن هذا علو خاص بالعرش يختص به العرش، ولهذا قيده الله تعالى فقال: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ <sup>[الْقِسْفَةُ: ٣]</sup>﴾. وهو عال عليهم ﴿اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ فهذا علو خاص، وَيَتَبَيَّنُ بِالْمِثَالِ الْفَرْقُ بَيْنَ الْعُلُوِّ الْعَامِّ وَالْخَاصِّ، فَلَوْ وُضِعَ لَكَ سَرِيرٌ عَلَى سَطْحٍ فَجَلَسْتَ عَلَيْهِ لَكُنْتَ عَالِيًا عَلَيْهِ، وَعَلَى السَّطْحِ، وَعَلَى مَنْ تَحْتَ السَّطْحِ، لَكِنْ مَا هُوَ الْعُلُوُّ الْخَاصُّ الْمُبَاشَرُ لِلْسَّرِيرِ الَّذِي عُلُوَّتْ عَلَيْهِ؟ هُوَ عُلُوُّكَ عَلَى السَّرِيرِ، وَبِهَذَا يُقَالُ: اسْتَوَى عَلَى السَّرِيرِ. فِي هَذَا الْمِثَالِ، وَلَا يُقَالُ: اسْتَوَى عَلَى السَّطْحِ. لَكِنْ يُقَالُ: عَلَا، فَعَلِيهِ نَقُولُ: الْاِسْتَوَاءُ عَلَى الْعَرْشِ عُلُوٌّ خَاصٌّ غَيْرُ الْعُلُوِّ الْعَامِّ.

نبحث في هذه المسألة - مسألة الاستواء - من عدة وجوه:

**البحث الأول:** ما معنى قوله: ﴿اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾؟

**نقول:** معنى قوله: ﴿اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ أي: علا على العرش، هذا هو المعنى لا يحتمل غيره، ودليل ذلك قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَلِلَّهِ نَزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ <sup>(١٢٢)</sup> نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ <sup>(١٢٣)</sup> عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ <sup>(١٢٤)</sup> لِسَانًا عَرَبِيًّا مُبِينًا <sup>(١٢٥)</sup>﴾ <sup>[الْقِسْفَةُ: ١٦٢-١٩٥]</sup>. واللسان العربي المبين يدل على أن معنى قول: استوى على الشيء. علا على الشيء ولا يجوز لنا العدول عن ما يقتضيه اللسان العربي إلا بدليل من الكتاب أو السنة أو الإجماع، وهنا لا دليل من الكتاب ولا السنة ولا اللغة ولا الإجماع على مخالفة هذا التفسير، وهو أن استوى بمعنى علا.

فإن قال قائل: ماذا تقولون في قول من قال: استوى على العرش؟ استولى على العرش؟  
**نقول:** هذا قول باطل؛ لأنه لا دليل له من اللغة ويلزم عليه لوازم باطلة، فليس له دليل إيجابي، ولا تنفي عنه

الموانع، فإن قيل: قولكم: إنه لا دليل عليه في اللغة. ممنوع، فقد قال الشاعر:

قَدْ اسْتَوَى بِشْرٌ عَلَى الْعِرَاقِ      مِنْ غَيْرِ سَيْفٍ أَوْ دَمٍ مَهْرَاقٍ<sup>(١)</sup>

وبشر: هو بن مروان. ومعنى استوى على العراق؛ أي: استولى عليه.

**فالجواب عن هذا من وجوه:**

**الوجه الأول:** قائل هذا مجهول، والناقل عنه أيضًا مجهول، فهو ظلمات بعضها فوق بعض، هذه واحدة.

**الوجه الثاني:** لو سلمنا أن القائل معلوم، فهل هو قبل تغيير اللسان فيكون من العرب الأقحاح<sup>(٢)</sup>، أو بعد تغيير اللسان فلا يحتج به؛ الثاني، لأن الفتوحات كثرت في ذلك الوقت وانتشرت واختلط العجم بالعرب وتغير اللسان.

**الوجه الثالث:** لو فرض أن هذا الرجل معلوم، ولم يتغير لسانه، فإن قوله: قد استوى بشر على العراق لا يتعين أن يكون المراد به استولى إذ إنه يجوز أن يكون المراد استوى على العراق: علا علوا معنويًا، لا علاوا حسيًا؛ لأن كونه يعلو عليها علواً حسيًا ممتنع، لكن يعلو عليه علواً معنويًا، والمعنى قد كمل استيلاؤه عليه وسيطرته عليه؛ لأن الاستواء أصل المادة هذه من الكمال. وحينئذ لا دليل لقول هذا القائل.

أما ما يلزم عليه من اللوازم الباطلة، إذا فسرنا استوى على العرش باستولى على العرش فهي:

**أولاً:** يقتضي أن يكون العرش قبل استواء الله عليه مملوكاً لغير الله، فمن الذي ملكه غير الله؟

**الجواب:** لا أحد.

**ثانياً:** يقتضي أن يكون هناك معالجة للاستيلاء عليه؛ لأن استولى لا تكون إلا بعد عراك ومقاتلة وأخذ ورد، فمن الذي قاتل الله؟

**الجواب:** لا شيء.

**ثالثاً:** نقول: إذا قلت: استوى بمعنى: استولى. لزم أن يصح قولك: إن الله استوى على الأرض، وعلى البعير. لأنه مستول على هذا، فهذه اللوازم الباطلة تبطل تحريف من حرّف الاستواء إلى الاستيلاء، والحمد لله أن الأمر واضح.

فإن قال قائل: إذا قلت: استوى على العرش؛ علا على العرش. لزم أن يكون جسماً ومحدوداً،

(١) ذكر هذا البيت الجويني في «لمع الأدلة» (ص ٩٥)، والرازي في أساس التقديس (ص ٢٠٢)، والعز بن عبد السلام في «الإشارة إلى الإيجاز» (ص ١١٠)، وابن القيم في «الصواعق المرسلة» (١/ ٣٥٩)، وانظر قول شيخ الإسلام ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» (٥/ ١٤٦).

(٢) الأقحاح: عربي فح؛ أي: مخض خالص انظر: مختار الصحاح مادة (ق ح ح).



ولهذا لما جاءت امرأة جهنم بن صفوان إلى الكوفة أو إلى البصرة واجتمع الناس عليها يناقشونها قالت: إنها تكفر «بمحدود على محدود» فالعرش محدود وهي تقول: إذا كان مُستَوِيًّا على محدود لزم أن يكون محدودًا. فما هو الجواب على ذلك؟

نجيب عن القول بأنه: يلزم أن يكون جسمًا، وأن يكون محدودًا، فنقول: إذا لزم أن يكون جسمًا من كلام الله فليكن ذلك، ونحن نؤمن به، ولكننا نقول: إنه ليس كأجسام المخلوقين، وإن لم يلزم ذلك فلا يلزمنا أن نلتزم به، ولا يكون قولنا باطلا بهذا الإلزام الباطل، ثم نقول: ماذا تعنون بالجسم؟ أتعتنون بالجسم: الشيء المركب من لحم وعظم ودم وما أشبه ذلك؟ فهذا ممنوع. أم تريدون بالجسم الشيء القائم بنفسه، الفاعل لما يريد الذي يأتي ويتكلم وينزل؟ إن قالوا: نريد هذا فنحن نلتزم به، ونقول: إن الله هو هذا: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ١١﴾.

أما كلمة محدود، فإنها كلمة كالجسم لم ترد في القرآن ولا في السنة ولا في كلام الصحابة لا نفيًا ولا إثباتًا، وردت عن بعض الأئمة بالإنكار، وعن بعض الأئمة بالإقرار، يعني أن بعض الأئمة قالوا: إن الله محدود، أو له حد. وبعضهم أنكر ذلك <sup>(١)</sup> والحقيقة أن الخلاف لفظي عند التحقيق؛ لأنه إن أريد بالحد أن شيئًا يحده الله فهذا مُتَنَفِّ قطعًا؛ لأن ما فوق المخلوقات هواء، لا يوجد شيء، والله تعالى فوق المخلوقات، وإن أراد بالحد البيئونة عن الخلق، فهذا هو معنى قول السلف: إنه بائن من خلقه. ولهذا إنكار الحد مطلقًا أو إثباته مطلقًا فيه نظر بل يُفسَّر، ثم نقول: قولكم: إنه يلزم من كونه على العرش أن يكون محدودًا على محدود. أمّا كونه على محدود فهذا نُسَلِّمُ به، فالعرش مخلوق له حد، ولكن لا يلزم من استوائه على هذا المخلوق المحدود أن يكون هو أيضًا محدودًا؛ لأنه فوق المخلوقات، ليس شيء يحده. وبهذا بطلت اعتراضاتهم، وتبين أنهم أرادوا أن يحكموا على الله بعقولهم لا أن يحكموا الله تعالى بعقولهم، والفرق بين الكلمتين واضح؛ فأن يحكموا على الله بعقولهم، هذا لا يجوز، وأن يحكموا الله بعقولهم هذا صحيح؛ لأن العقل يقتضي أن تحكّم الله؛ لأنه هو الحكم وإليه الحكم.

فَبَيَّنَ الْآنَ أَنَّ اسْتِواءَ اللَّهِ عَلَى الْعَرْشِ بِمَعْنَى عَلَا عَلَى الْعَرْشِ، وَلَا يَحْتَمِلُ غَيْرَ هَذَا الْمَعْنَى.

**البحث الثاني:** هل استواء الله على العرش من الصفات الفعلية، أم من الصفات الذاتية؟

**الجواب:** الأول، أن استواء الله على العرش من الصفات الفعلية بناءً على الضابط الذي ضبطه أهل العلم، فقالوا: كل ما يتعلق بمشيئة الله فهو فعل والاستواء متعلق بمشيئته، والدليل على تعلقه بمشيئته أنه قال: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى﴾ فالاستواء حدث بعد الخلق.

(١) انظر «بيان تلبس الجهمية» (١/٥٢، ٣٩٧، ٤٢٨)، (٢/١٦٣) و«مسألة القرآن لابن عقيل» (ص ٩٣).

فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: أَنَا لَا أَقِرُّ بِالصِّفَاتِ الْفَعْلِيَّةِ، وَأَرَدُ الصِّفَاتِ الْفَعْلِيَّةِ إِلَى الْقُدْرَةِ الْأَزَلِيَّةِ.

**قُلْنَا:** هَذَا خَطَأٌ عَظِيمٌ؛ لَأَنَّكَ إِذَا حَوَّلْتَ ﴿أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ إِلَى: ثُمَّ قَدَرَ عَلَى الْإِسْتَوَاءِ عَلَى الْعَرْشِ، لَزِمَ مِنْ ذَلِكَ أَنْ يَكُونَ قَبْلَ هَذَا عَاجِزًا، فَوَقَعَتْ فِي شَرِّ مِمَّا قَرَرْتَ مِنْهُ، بَلْ نَقُولُ: قِيَامُ الْأَفْعَالِ بِاللَّهِ وَتَحَلُّلُ وَكُونُهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ هَذَا مِنْ كِهَالِ اللَّهِ أَنْ يَفْعَلَ مَا يَشَاءُ وَأَنْ تَقُومَ بِهِ الْأَفْعَالُ الْإِخْتِيَارِيَّةُ ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ [الصَّحَّاحُ: ٦٨]. فَإِنْ قَالَ: الْحَوَادِثُ لَا تَقُومُ إِلَّا بِحَادِثٍ فِيهَا الْجَوَابُ؟

**الْجَوَابُ:** هَذِهِ أَكْذَبُ الْقَوَاعِدِ، فَمَنْ قَالَ هَذَا؟ مَنْ قَالَ: إِنَّ الْحَوَادِثَ لَا تَقُومُ إِلَّا بِحَادِثٍ؟ وَمَنْ قَالَ: إِنَّ الْفِعْلَ لَا يَبْدَأُ أَنْ يَكُونَ مَقَارِنًا لِلْفَاعِلِ وَإِلَّا بَطَلَ إِثْبَاتُهُ، فَمَنْ قَالَ هَذَا؟! الْإِنْسَانُ نَفْسُهُ يُحَدِّثُ الْفِعْلَ، فَيَقُومُ بَعْدَ أَنْ كَانَ قَاعِدًا، وَيَقْعُدُ بَعْدَ أَنْ كَانَ قَائِمًا وَلَا يَلْزَمُ مِنْ حَدُوثِ هَذَا الْقِيَامِ الْمُعَيَّنِ أَوْ الْقَعُودِ الْمُعَيَّنِ أَنْ يَكُونَ سَابِقًا سَبَقَ هَذَا الْفَاعِلَ، بَمَعْنَى أَنَّ الْفَاعِلَ يَفْعَلُ، وَوُجُودُهُ سَابِقٌ عَلَى فِعْلِهِ، فَمَا الْمَانِعُ أَنْ يَقَعَ مِنَ اللَّهِ ﷻ فِعْلٌ حَادِثٌ مَعَ كَوْنِهِ هُوَ أَزَلِيًّا؟ إِذَا كَانَ الْإِنْسَانُ الْمَحْدَثُ يَفْعَلُ الْفِعْلَ الْحَادِثَ وَهُوَ سَابِقٌ عَلَى هَذَا الْفِعْلِ، قَدْ يَكُونُ لَهُ مِثْلُ سَنَةٍ، وَنُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَتْ فِي قَوْمِهِ أَلْفُ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا، فَهَلِ الْفِعْلُ الَّذِي فَعَلَهُ فِي آخِرِ وَجُودِهِ فِي قَوْمِهِ يَلْزَمُ أَنْ يَكُونَ مَوْجُودًا مَعَهُ حِينَ وُلِدَ أَوْ لَا يَلْزَمُ؟ لَا يَلْزَمُ فَتَبَيَّنَ أَنَّ هَذِهِ الْقَاعِدَةَ بَاطِلَةٌ وَفَاسِدَةٌ، وَأَنَّ مِنْ كِهَالِ اللَّهِ ﷻ أَنْ يَكُونَ فَعَالًا لِمَا يَرِيدُ، وَمِنْ جَمَلَةِ ذَلِكَ الْإِسْتَوَاءُ عَلَى الْعَرْشِ، وَالتَّزَوُّلُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، وَالضَّحْكُ وَالْفَرْحُ وَالغَضَبُ، وَمَا أَشَبَّهَا، وَذَكَرْنَا فِيهَا سَبَقَ أَنْ كُلَّ صِفَةٍ لَهَا سَبَبٌ فِيهَا صِفَةٌ فَعْلِيَّةٌ؛ لِأَنَّهَا مُتَعَلِّقَةٌ بِمَشِيئَتِهِ.

فَتَبَيَّنَ الْآنَ أَنَّ الْإِسْتَوَاءَ عَلَى الْعَرْشِ صِفَةٌ فَعْلِيَّةٌ.

أَمَّا الْعُلُوُّ الْعَامُّ، فَهَلْ هُوَ صِفَةٌ فَعْلِيَّةٌ أَوْ ذَاتِيَّةٌ؟

**الْجَوَابُ:** ذَاتِيَّةٌ؛ لِأَنَّ اللَّهَ ﷻ لَمْ يَزَلْ وَلَا يَزَالُ عَالِيًا فَوْقَ الْمَخْلُوقَاتِ؛ لِأَنَّ الْإِسْتَوَاءَ عَلُوٌّ خَاصٌّ كَمَا سَبَقَ.

❦ وَقَوْلُهُ: «قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ الْمَجِيدُ: الْكَرِيمُ» وَهَذَا الْقَوْلُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ مَعْلُقٌ.

**قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ:**

قَوْلُهُ: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: الْمَجِيدُ: الْكَرِيمُ، وَالْوَدُودُ: الْحَبِيبُ؛ وَصَلَّاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ مِنْ طَرِيقٍ عَلَى بَنِي أَبِي طَلْحَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ﴾ [١٥]. قَالَ: الْمَجِيدُ: الْكَرِيمُ. وَبِهِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ﴾ [١٤]. قَالَ: الْوَدُودُ: الْحَبِيبُ. وَإِنَّمَا وَقَعَ تَقْدِيمُ الْمَجِيدِ قَبْلَ الْوَدُودِ هُنَا؛ لِأَنَّ الْمَرَادَ تَفْسِيرَ لَفْظِ «الْمَجِيدِ» الْوَاقِعِ فِي قَوْلِهِ: ﴿ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ﴾ فَلَمَّا فَسَّرَهُ اسْتَطَرَدَّ فِي تَفْسِيرِ الْأَسْمِ الَّذِي قَبْلَهُ، إِشَارَةً إِلَى أَنَّهُ قُرِئَ مَرْفُوعًا بِالِاتِّفَاقِ ﴿ذُو الْعَرْشِ﴾ بِالرَّفْعِ صِفَةً لَهُ.

وَاخْتَلَفَتْ الْقِرَاءَةُ فِي «الْمَجِيدِ» بِالرَّفْعِ، فَيَكُونُ مِنْ صِفَاتِ اللَّهِ، وَبِالْكَسْرِ فَيَكُونُ صِفَةً الْعَرْشِ، قَالَ ابْنُ مُثَنَّى: جَمِيعٌ مَا ذَكَرَهُ الْبَخَارِيُّ فِي هَذَا الْبَابِ يَشْتَمِلُ عَلَى ذِكْرِ الْعَرْشِ إِلَّا أَثَرُ ابْنِ عَبَّاسٍ، لَكِنَّهُ نَبَّهَ بِهِ عَلَى لَطِيفَةٍ، وَهِيَ أَنَّ الْمَجِيدَ فِي الْآيَةِ عَلَى قِرَاءَةِ الْكَسْرِ لَيْسَ صِفَةً لِلْعَرْشِ حَتَّى لَا يُتَخَيَّلَ أَنَّهُ قَدِيمٌ، بَلْ



هي صفة الله بدليل قراءة الرفع وبدليل إقراره بالودود، فيكون الكسر على المجاورة، لتجتمع القراءتان على معنى واحد. اهـ

ويؤيد أنها عند البخاري صفة الله تعالى، ما أزدفه به وهو يقال: حميدٌ مجيدٌ. إلى آخره<sup>(١)</sup>. اهـ

❦ قوله: المجيد بالرفع، وعندنا الآن مرفوعة، فيقتضي أن يكون المراد بذلك الرب عَلَيْهِ السَّلَامُ، وفي الآية الكريمة: ﴿ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ۝١٥﴾ قراءتان؛ ذو العرش المجيد، وذو العرش المجيد، فأما على قراءة الرفع، فهي اسم من أسماء الله وتعود الصفة فيها إلى الله، ولهذا جاءت مرفوعة، وأما على قراءة الجر «ذو العرش المجيد» فهي صفة للعرش، والقول بأنها صفة للرب، وأنها كسرت للمجاورة قول بعيد جدًا.

فالصواب: أنها على قراءة الرفع من أسماء الله، والمجد صفة الله، وعلى قراءة الجر تكون صفة للعرش، فأما على قراءة الجر فلا بأس أن تفسر بالكريم؛ لأن الله تعالى قال: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ۝٣١﴾ [التكوير: ١١٦]. بالكسر، فيكون المجد بالنسبة للعرش هو الكرم، والكرم في كل موضع بحسبه، ليس الكرم هو كثرة العطاء؛ لأن العرش لا يعطي، لكن يراد به البهاء والحسن والجمال والكمال على حد قول النبي ﷺ لمعاذ: «فإن أطاعوك لذلك، فإياك وكرائم أموالهم»<sup>(٢)</sup>: جمع كريمة، وليس المراد بكرائم الأموال أنها تعطى لكنها الجميلة البهيبة الكاملة، فإذا كانت قراءة المجيد بالجر صفة للعرش صح أن يفسرها بالكريم؛ لأن العرش وصف بذلك في آية أخرى، أما إذا كانت بالرفع «المجيد» صفة للرب عَلَيْهِ السَّلَامُ فلا يصح أن يفسرها بالكريم، بل يفسرها بذى العظمة والسلطان الكامل، ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿تِلْكَ يَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا لِلَّهِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝١١﴾ حيث كان الله يجيب القارئ ويقول: «مَجِدَّنِي عَبْدِي»<sup>(٣)</sup> لأنه في يوم الدين يكون تمام الملك لله عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وأما الودود ففسره بالحيب، لقول الله: ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الْودُودُ ۝١١﴾ فالحيب فعيل، هل هي بمعنى فاعل أو مفعول؟

إذا قلت حبيبي فلان هذا مفعول، وإن قلت: فلان حبيب: أيضًا بمعنى مفعول، لكن مع ذلك يصح أن يكون بمعنى حاب، ولكن تفسير الودود بالحيب تفسير تقريبي؛ لأن الودود أخص من الحبيب، فالمودعة وصف زائد على مطلق المحبة، فهي المحبة الخالصة؛ يعني: التي ليست مشوبة بكره، فتفسير الودود بالحيب تفسير تقريبي، ولأن المعنى الأدق أن نقول: الودود: ذو المحبة الخالصة وليست مطلق المحبة، والودود من أسماء الله عَلَيْهِ السَّلَامُ كما قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الْودُودُ ۝١١﴾

(١) انظر «الفتح» (٤٠٨/١٣).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) رواه مسلم (٣٩٥).

وهي بِمَعْنَى الوادِّ، فَجَمَعَ اللَّهُ بَيْنَ هَذَيْنِ الْأَسْمَيْنِ الْكَرِيمَيْنِ؛ لِأَنَّ بِالْمَغْفَرَةِ تَكْفِيرَ السَّيِّئَاتِ، وَبِالْوَدِّ حَصُولَ الْهَبَاتِ، فَيَجْمَعُ الْإِنْسَانُ فِي تِلَاوَةِ هَذَيْنِ الْأَسْمَيْنِ بَيْنَ الْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ، بَيْنَ الْخَوْفِ مِنَ الذَّنُوبِ فَيَسْأَلُ اللَّهَ الْمَغْفِرَةَ، وَالرَّجَاءِ؛ لِقَوْلِهِ: ﴿الْوَدُودُ﴾ لِأَنَّ الْوَدُودَ لَا شَكَّ أَنَّهُ سَيَكُونُ كَثِيرَ الْعَطَاءِ وَكَثِيرَ الْغَفْرَانِ.

❦ قَوْلُهُ: «حَمِيدٌ مَجِيدٌ، كَأَنَّهُ فَعِيلٌ مِنْ مَاجِدٍ، مَحْمُودٌ مِنْ حَمِيدٍ»، فِي الْعِبَارَةِ لَفٌّ وَنَشْرٌ غَيْرُ مُرْتَبٍ، يَقُولُ: حَمِيدٌ كَأَنَّهُ مَحْمُودٌ حَامِدٌ، مَجِيدٌ يَقُولُ: كَأَنَّهُ فَعِيلٌ مِنْ مَاجِدٍ، وَمَاجِدٌ اسْمٌ فَاعِلٌ، وَمَجِيدٌ اسْمٌ فَاعِلٌ، لَكِنْ فِيهِ مِبَالِغَةٌ كَمَا هُوَ مَعْلُومٌ فِي عِلْمِ النُّحُوِّ أَنَّ أَمْثَلَةَ الْمِبَالِغَةِ مِنْهَا فَعِيلٌ، فَيَكُونُ مَجِيدٌ بِمَعْنَى مَاجِدٍ، لَكِنْ فِيهِ مِبَالِغَةٌ، وَالْمَجْدُ سَبَقَ أَنَّهُ السُّلْطَانُ التَّامُّ الَّذِي تَكُونُ بِهِ السَّيْطَرَةُ التَّامَّةُ، وَأَمَّا حَمِيدٌ فَيَكُونُ مَحْمُودٌ مِنْ حَمِيدٍ.

إِذَا: مَجِيدٌ بِمَعْنَى الْفَاعِلِ، وَحَمِيدٌ يَقُولُ الْبُخَارِيُّ أَنَّهُ بِمَعْنَى الْمَفْعُولِ مِنْ حَمِيدٍ فَهُوَ مَحْمُودٌ، وَهَذَا صَحِيحٌ، وَاللَّهُ ﷻ حَمِيدٌ بِمَعْنَى مَحْمُودٍ؛ أَي: مَحْمُودٌ حَمْدًا يَسْتَحِقُّهُ، وَلِهَذَا جَاءَتْ بِصِغَةِ الْمِبَالِغَةِ «حَمِيدٌ» وَتَحْتَمِلُ مَعْنَى آخَرَ أَنْ يَكُونَ حَمِيدٌ بِمَعْنَى حَامِدٍ؛ لِأَنَّهُ ﷻ يَحْمَدُ مَنْ يَسْتَحِقُّ الْحَمْدَ مِنْ أَوْلِيَائِهِ، فَيَحْمَدُ الْأَنْبِيَاءَ، وَالْأَوْلِيَاءَ وَالصَّدِّيقِينَ، وَالشَّهَدَاءَ وَيُثْنِي عَلَيْهِمْ، وَهَذَا حَمْدٌ، فَهُوَ حَمِيدٌ بِمَعْنَى حَامِدٍ وَحَمِيدٌ بِمَعْنَى مَحْمُودٍ، وَيَكُونُ لِلْمَعْنَيْنِ جَمْعًا، وَجَاءَ الْجَمْعُ بَيْنَهُمَا فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَنِ، فَقَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي قِصَّةِ إِبْرَاهِيمَ: ﴿رَحِمْتُ اللَّهَ وَبَرَكْنَاهُ عَلَيْهِ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مُجِيدٌ﴾ ﴿٧٧﴾ ﴿٧٨﴾ وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ فِيمَا عَلَّمَنَا مِنَ الصَّلَاةِ عَلَيْهِ: «كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مُجِيدٌ»<sup>(١)</sup>.

رُويَ عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ فِي الْأَسْتَوَاءِ: الْأَسْتَوَاءُ غَيْرُ مَجْهُولٍ، وَالْكَيفُ غَيْرُ مَعْقُولٍ، وَالْإِيمَانُ بِهِ وَاجِبٌ، وَالسُّؤَالُ عَنْهُ بَدْعٌ. وَالْإِمَامُ مَالِكٌ رَحِمَهُ اللَّهُ سُئِلَ فِي الْحَلَقَةِ هَذَا السُّؤَالُ: قَالَ لَهُ رَجُلٌ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ﷺ «الرَّحْنُ عَلَى الْعَرْشِ أَسْتَوَى؟»، كَيْفَ اسْتَوَى؟ فَاسْتَظْهَمَ الْإِمَامُ مَالِكٌ رَحِمَهُ اللَّهُ هَذَا السُّؤَالُ، وَأَطْرَقَ بِرَأْسِهِ حَتَّى عَلَاهُ الرُّحْضَاءُ؛ أَي: الْعِرْقُ، وَجَعَلَ يَتَصَبَّبُ عِرْقًا مِنْ شِدَّةِ وَقَعِ السُّؤَالِ عَلَى قَلْبِهِ، ثُمَّ قَالَ: الْأَسْتَوَاءُ غَيْرُ مَجْهُولٍ وَالْكَيفُ غَيْرُ مَعْقُولٍ، وَالْإِيمَانُ بِهِ وَاجِبٌ، وَالسُّؤَالُ عَنْهُ بَدْعٌ. هَذَا اللَّفْظُ الَّذِي رُويَ، لَكِنْ نَقَلَهُ كَثِيرٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ عَلَى وَجْهِ آخَرَ، فَقَالَ: الْأَسْتَوَاءُ مَعْلُومٌ، وَالْكَيفُ مَجْهُولٌ، وَالْإِيمَانُ بِهِ وَاجِبٌ، وَالسُّؤَالُ عَنْهُ بَدْعٌ<sup>(٢)</sup>. وَلَنُشْرَحَ هَذَا الْكَلَامَ.

❦ قَالَ: «الْأَسْتَوَاءُ غَيْرُ مَجْهُولٍ». أَي: أَنَّهُ مَعْلُومٌ بِمُقْتَضَى اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ وَإِجْمَاعِ مَنْ سَلَفَ، فَفِي اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ «اسْتَوَى عَلَى» مَعْنَاهُ: الْعُلُوُّ، وَإِجْمَاعُ مَنْ سَلَفَ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَرِدْ حَرْفٌ وَاحِدٌ عَنِ الصَّحَابَةِ يَخَالِفُ مَا جَاءَ بِهِ الْقُرْآنُ، فَيَكُونُ الْأَصْلُ بَقَاءَهُ عَلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ كَمَا قَرَرْنَا ذَلِكَ سَابِقًا.

(١) رواه البخاري (٣٣٧٠)، ومسلم (٤٠٥).

(٢) تقدم تخريجه عن مالك، شبيهة ربعة.



❦ «والكيف مجهول» وفي رواية عنه: «غير معقول». أما رواية: غير معقول. فالمعنى: أن كيف لا يدركه العقل وإذا لم يدركه العقل توقّف إثباته على الدليل السمعي، وليس هناك دليل سمعي، وعلى هذا فيكون: إذا كان العقل لا يدركه ولم يردّ به السمع، صار مجهولاً، فالكيف مجهول ودليل جهالته أن كيفية استواء الله على العرش هو تكييف لصفة من صفاته، والقول في الصفات كالقول في الذات، فإذا كنّا لا نكيّف ذاته، فإنّا لا نكيّف صفاته؛ لأنّ الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات، هذا وجه.

**الوجه الثاني:** أن الله أخبرنا عنه، ولم يخبرنا عن كيفيته، ونحن لا ندركه بعقولنا.

**الوجه الثالث:** أن الشيء لا تعلم كيفيته إلا بواحد من أمور ثلاثة: مشاهدته أو مشاهدة نظيره أو الخبر الصادق عنه. وكل هذا منتفٍ بالنسبة لاستواء الله على العرش، لا شاهدناه، ولا شاهدنا له نظيراً، ولا أخبرنا الصادق عنه، فوجب أن يكون مجهولاً، وبقية الصفات يقال فيها كما يقال في الاستواء، فيقال مثلاً في النزول إلى السماء الدنيا، النزول معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب. والسؤال عنه بدعة.

لكن لماذا كان الإيمان به واجباً؟ لأنّه خبر من أخبار الله ورسوله.

ولماذا كان السؤال عنه بدعة؟ لوجهين:

**الوجه الأول:** أن الصحابة لم يسألوا عنه.

**والوجه الثاني:** أن السؤال عن ذلك من سمات أهل البدع، فهم الذين يسألون هذا السؤال.

ولهذا قال الإمام مالك: وما أراك إلا مبتدعاً. ثم السؤال عنه أيضاً تنطع وتكلف، فدخل في قوله ﷺ: «هلك المتنتعون»<sup>(١)</sup> وهكذا بقية الصفات، السؤال عن كيفيتها أو عن شيء زائد على ما جاء به النص بدعة، وتكلف وتنطع، ولهذا يجب على المرء أن يحذر من التنطع في هذه الأمور.

\*\*\*

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٤١٨- حَدَّثَنَا عَبْدَانُ، عَنْ أَبِي حَمْزَةَ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ جَامِعِ بْنِ شَدَّادٍ، عَنْ صَفْوَانَ بْنِ عُخْرٍ، عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ قَالَ: إِنِّي عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ إِذْ جَاءَهُ قَوْمٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ فَقَالَ: «اقْبُلُوا الْبَشْرَى يَا بَنِي تَمِيمٍ». قَالُوا: بَشَرْتَنَا فَأَعْطِنَا. فَدَخَلَ نَاسٌ مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ فَقَالَ: «اقْبُلُوا الْبَشْرَى يَا أَهْلَ الْيَمَنِ إِذْ لَمْ يَقْبَلْهَا بَنُو تَمِيمٍ». قَالُوا: قَبِلْنَا. جِئْنَاكَ لِنَتَفَقَّهَ فِي الدِّينِ وَلِنَسْأَلَكَ عَنْ أَوَّلِ هَذَا الْأَمْرِ مَا كَانَ. قَالَ: «كَانَ اللَّهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ قَبْلَهُ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ، ثُمَّ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ، وَكَتَبَ فِي الذِّكْرِ كُلِّ شَيْءٍ». ثُمَّ أَتَانِي رَجُلٌ فَقَالَ: يَا عِمْرَانُ، أَذْرِكُ نَاقَتَكَ فَقَدْ ذَهَبَتْ فَأَنْطَلَقْتُ أَطْلُبُهَا، فَإِذَا السَّرَابُ يَنْقَطِعُ

دُونَهَا، وَإِيمُ اللَّهِ لَوَدِدْتُ أَنَّهَا قَدْ ذَهَبَتْ وَلَمْ أَقْمِ.

**الشاهد من هذا الحديث:** «وكانَ عرشُهُ على الماءِ» هذا شاهدُ الترجمة. النبي ﷺ جاءه قومٌ من بني تميم، قال: «اقبلُوا البُشْرَى، يا بني تميم» قالوا: بَشَرْتَنَا فَأَعْطِنَا. نَاسٌ يُرِيدُونَ الدُّنْيَا، بَشَرْتَنَا وَعَرَفْنَا مَا عِنْدَكَ، لَكِنْ أَعْطِنَا. وَلِهَذَا جَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ هَذَا رَدًّا مِنْهُمْ لِلْبُشْرَى، لِمَا دَخَلَ أَهْلُ الْيَمَنِ قَالَ: «اقْبَلُوا الْبُشْرَى يَا أَهْلَ الْيَمَنِ إِذْ لَمْ يَقْبَلْهَا بَنُو تَمِيمٍ» لَأَنَّهُمْ قَالُوا: بَشَرْتَنَا فَأَعْطِنَا. فَكَأَنَّهُمْ جَاءُوا لِلْعَطَايَا؛ لِأَنَّ الْمَالَ لَكِنْ لَا يَغْنِي هَذَا أَنَّهُ لَا يَوْجَدُ خَيْرٌ فِي بَنِي تَمِيمٍ، بَنُو تَمِيمٍ فِيهِمْ خَيْرٌ لَوْ لَمْ يَكُنْ فِيهِمْ إِلَّا أَنَّهُمْ أَشَدُّ النَّاسِ عَلَى الدَّجَالِ، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَشَدُّ أُمَّتِي عَلَى الدَّجَالِ بَنُو تَمِيمٍ»<sup>(١)</sup>. وَكُلُّ قَبِيلَةٍ وَكُلُّ أُمَّةٍ فِيهَا الْخَيْرُ وَفِيهَا الشَّرُّ، وَالْخَيْرُ قَدْ يَكُونُ عَامًّا، وَقَدْ يَكُونُ خَاصًّا وَكَذَلِكَ الشَّرُّ.

**قوله:** «فدخل ناسٌ من أهل اليمن فقال: اقبلُوا البُشْرَى، يا أهل اليمن، إذا لم يقبلها بنو تميم قالوا: قَبِلْنَا» ﷺ قَبِلْنَا الْبُشْرَى، «حِثَّنَاكَ لَتَتَفَقَّهُ فِي الدِّينِ». يَعْنِي وَلَمْ يَقُولُوا: جِئْنَاكَ لِلْعَطَاءِ. مَا قَالُوا: أَعْطِنَا، فَقَدْ جَاءُوا لِلْعِلْمِ قَالُوا: «وَلَسْنَا لَكَ عَنْ أَوَّلِ هَذَا الْأَمْرِ مَا كَانَ؟» وَكَيْفَ نَشَأَتِ الدُّنْيَا هَذِهِ، كَيْفَ نَشَأَتِ السَّمَوَاتُ، كَيْفَ نَشَأَتِ الْأَرْضُ أَخْبَرْنَا. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «كَانَ اللَّهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ قَبْلَهُ» فَهُوَ الْأَوَّلُ الَّذِي لَيْسَ قَبْلَهُ شَيْءٌ، وَهَذَا أَمْرٌ مَعْلُومٌ.

**قوله:** «كَانَ اللَّهُ» هَذِهِ مَسْحُوبَةُ الدَّلَالَةِ عَلَى الزَّمَنِ؛ يَعْنِي لَيْسَ الْمَعْنَى كَانَ فَبَانَ، بَلْ هُوَ يَكُونُ لَمْ يَزَلْ وَلَا يَزَالُ مَوْجُودًا، وَالْعَقْلُ لَا يَدْرِكُ كَيْفَ كَانَ؛ لِأَنَّهُ أَزَلِيٌّ، لَا نَهَايَةَ لِأَوَّلِهِ، وَلَا غَايَةَ. هُوَ الْأَوَّلُ الَّذِي لَيْسَ قَبْلَهُ شَيْءٌ وَلَا تُعْمَلُ فِكْرُهُ، كَيْفَ هَذَا إِنْ أَدْرَكَتْ فِكْرُهُ سَتَصِلُ إِلَى نَقْطَةٍ بَيْنَ النَّبِيِّ ﷺ وَجِهَتِهَا حَيْثُ أَخْبَرَ أَنَّ النَّاسَ يَقُولُونَ: مَنْ خَلَقَ كَذَا، مَنْ خَلَقَ كَذَا؟ حَتَّى يَقُولُوا: مَنْ خَلَقَ اللَّهَ؟ وَحَيْثُ يَذَّيْبُ أَنْ تَقِفَ، وَتَقُولَ: اللَّهُ أَحَدٌ، صَمَدٌ، لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفْوًا أَحَدٌ وَتَسْتَعِذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ<sup>(٢)</sup>. وَتَنْتَهِي عَنْ هَذِهِ التَّقْدِيرَاتِ كُلِّهَا.

**قوله:** «وكانَ عرشُهُ على الماءِ» قَبْلَ خَلْقِ السَّمَوَاتِ «ثُمَّ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ»، وَخَلَقَهَا مُبَيَّنٌّ فِي الْقُرْآنِ مُجْمَلًا وَمَفْصَلًا.

**قوله:** «وَكُتِبَ فِي الذِّكْرِ كُلِّ شَيْءٍ» الذِّكْرُ: اللُّوحُ الْمَحْفُوظُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرُثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾.

**قوله:** «كُلُّ شَيْءٍ» الظَّاهِرُ فِي أَنَّهُ لَيْسَ عَلَى عَمُومِهِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ قَالَ لِلْقَلَمِ: «اكْتُبْ مَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ» فَكُتِبَ الْقَلَمُ مَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَعَلَى هَذَا يَكُونُ الْمَرَادُ بِالْعَمُومِ أَوْ الْمَرَادُ بِالْعَامِّ، الْخَاصُّ أَيْ مَا يَكُونُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

**قوله:** يَقُولُ عِمْرَانُ بْنُ حَصِينٍ: «ثُمَّ أَتَانِي رَجُلٌ فَقَالَ: يَا عِمْرَانُ، أَدْرَكَ نَاقَتُكَ، فَقَدْ ذَهَبَتْ فَانْطَلَقْتُ

(١) رواه البخاري (٢٥٤٣)، ومسلم (٢٥٢٥).

(٢) رواه البخاري (٣٢٧٦)، ومسلم (١٣٤).



أَطْلَبُهَا، فَإِذَا السَّرَابُ يَنْقَطِعُ دُونَهَا، وَإِيمُ اللَّهِ لَوَدِدْتُ أَنَّهَا قَدْ ذَهَبَتْ وَلَمْ أَقُمْ، وَلَمْ أَقُمْ. جَاءَهُ رَجُلٌ قَالَ: أَدْرُكَ نَاقَتَكَ. وَهَذَا التَّنْبِيهُ مِنْ هَذَا الرَّجُلِ وَاجِبٌ؛ لِأَنَّهُ مِنْ حِفْظِ مَالِ أَخِيهِ، وَالظَّاهِرُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ أَنَّ عَمْرَانَ ظَنَّ أَنَّهَا قَرِيبَةٌ فَخَرَجَ لِيَعْقِلَهَا وَيَرْجِعَ لِيَسْتَمَعَ إِلَى الرَّسُولِ ﷺ، لَكِنَّهُ يَقُولُ: فَإِذَا السَّرَابُ يَنْقَطِعُ دُونَهَا، إِذَا هِيَ بَعِيدَةٌ وَرَاءَ السَّرَابِ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَتْرُكْهَا؛ لِأَنَّ النَّفْسَ تَتَعَلَّقُ بِالْمَالِ فِي مِثْلِ هَذِهِ الْحَالِ إِذْ يَشُقُّ عَلَيْهِ أَنْ يَرَى بَعِيرَهُ، وَهِيَ رَاحِلَتُهُ مِنَ الْمَدِينَةِ إِلَى أَهْلِهِ، وَرَاحِلَتُهُ لِقَضَاءِ حَاجَاتِهِ، أَنْ يَرَاهَا بَعِيدَةً ثُمَّ يَرْجِعَ. فَذَهَبَ، لَكِنْ يَقُولُ: «لَوَدِدْتُ أَنَّهَا قَدْ ذَهَبَتْ وَلَمْ أَقُمْ».

**وفي هذا دليل على:** حرصه <sup>مؤلفه</sup> على العلم، وأنه يفضل العلم على المال، وهذا هو الذي يعرف قدر العلم.

### قال الحافظ في الفتح:

❦ قوله: «كَانَ اللَّهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ قَبْلَهُ؟» تَقَدَّمَ فِي بَدْءِ الْخَلْقِ بِلَفْظٍ: «وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ غَيْرُهُ» وَفِي رِوَايَةِ أَبِي مُعَاوِيَةَ: «كَانَ اللَّهُ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ» وَهُوَ بِمَعْنَى: كَانَ اللَّهُ وَلَا شَيْءَ مَعَهُ، وَهِيَ أَصْرَحُ فِي الرَّدِّ عَلَى مَنْ أَثَبَتْ حَوَادِثَ لَا أَوَّلَ لَهَا، مِنْ رِوَايَةِ الْبَابِ، وَهِيَ مِنْ مُسْتَشْنَعِ الْمَسَائِلِ الْمُنْسُوبَةِ لِابْنِ تَيْمِيَّةٍ، وَوَقَفْتُ فِي كَلَامٍ لَهُ عَلَى هَذَا الْحَدِيثِ يَرْجِعُ الرِّوَايَةَ الَّتِي فِي هَذَا الْبَابِ عَلَى غَيْرِهَا مَعَ أَنَّ قَضِيَّةَ الْجَمْعِ بَيْنَ الرِّوَايَتَيْنِ تَقْتَضِي حَلَّ هَذِهِ عَلَى الَّتِي فِي بَدْءِ الْخَلْقِ لَا الْعَكْسَ، وَالْجَمْعُ مُقَدَّمٌ عَلَى التَّرْجِيحِ بِالِاتِّفَاقِ، قَالَ الطَّبِيبِيُّ قَوْلُهُ: «وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ قَبْلَهُ» حَالٌ، وَفِي الْمَذْهَبِ الْكُوفِيِّ خَبَرٌ وَالْمَعْنَى يَسَاعِدُهُ، إِذِ التَّقْدِيرُ: كَانَ اللَّهُ مُنْفَرَدًا، وَقَدْ جَوَّزَ الْأَخْفَشُ دُخُولَ الْوَاوِ فِي خَبَرِ كَانَ وَأَخَوَاتِهَا، نَحْوُ: كَانَ زَيْدٌ وَأَبُوهُ قَائِمٌ عَلَى جَعْلِ الْجُمْلَةِ خَبَرًا مَعَ الْوَاوِ تَشْبِيهًا لِلْخَبَرِ بِالْحَالِ، وَمَالَ التُّورِبَشْتِي إِلَى أَنَّهَا جُمْلَتَانِ مُسْتَقِلَتَانِ وَقَدْ تَقَدَّمَ تَقْرِيرُهُ فِي بَدْءِ الْخَلْقِ وَقَالَ الطَّبِيبِيُّ: لَفْظَةُ «كَانَ» فِي الْمَوْضِعَيْنِ بِحَسَبِ حَالِ مَفْعُولِهَا، فَالْمُرَادُ بِالْأَوَّلِ الْأَزَلِيَّةُ وَالْقَدَمُ، وَبِالثَّانِي الْحَدُوثُ بَعْدَ الْعَدَمِ، ثُمَّ قَالَ: فَالْحَاصِلُ أَنَّ عَطَفَ قَوْلِهِ: ﴿وَكَانَتْ عَرْشُهُ عَلَى أَلْمَاءٍ﴾ عَلَى قَوْلِهِ: «كَانَ اللَّهُ» مِنْ بَابِ الْإِخْبَارِ عَنْ حُصُولِ الْجُمْلَتَيْنِ فِي الْوُجُودِ وَتَفْوِيضِ التَّرْتِيبِ إِلَى الذَّهْنِ، قَالُوا: وَفِيهِ بِمَنْزِلَةِ ثَمٍّ، وَقَالَ الْكُرْمَانِيُّ: قَوْلُهُ: ﴿وَكَانَتْ عَرْشُهُ عَلَى أَلْمَاءٍ﴾ مُعْطُوفٌ عَلَى قَوْلِهِ: «كَانَ اللَّهُ». وَلَا يَلْزَمُ مِنْهُ الْمَعْنَى إِذِ الْإِخْبَارُ مِنَ الْوَاوِ الْعَاطِفَةِ الْاجْتِمَاعُ فِي أَصْلِ الثَّبُوتِ، وَإِنْ كَانَ هُنَاكَ تَقْدِيمٌ وَتَأْخِيرٌ، قَالَ غَيْرُهُ: وَمِنْ ثَمَّ جَاءَ شَيْءٌ غَيْرُهُ، وَمِنْ ثَمَّ جَاءَ قَوْلُهُ: «وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ غَيْرُهُ» لِنَفْيِ تَوْهِمِ الْمَعْنَى، قَالَ الرَّاعِبِيُّ: «كَانَ» عِبَارَةٌ عَمَّا مَضَى مِنَ الزَّمَانِ، لَكِنَّهَا فِي كَثِيرٍ مِنْ وَصْفِ اللَّهِ تَعَالَى تَنْبِئُ عَنْ مَعْنَى الْأَزَلِيَّةِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ يَكْلُمُ شَيْءًا عَلَيْهِمَا﴾ قَالَ: وَمَا اسْتُعْمِلَ مِنْهُ فِي وَصْفِ شَيْءٍ مُتَعَلِّقًا بِوَصْفٍ لَهُ هُوَ مَوْجُودٌ فِيهِ فَلِلتَّنْبِيهِ عَلَى أَنَّ ذَلِكَ الْوَصْفَ لَا زَمَ لَهُ أَوْ قَلِيلَ الْإِنْفِكَاعِ عَنْهُ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾ وَقَوْلُهُ: ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا﴾ وَإِذَا اسْتُعْمِلَ فِي الزَّمَنِ الْبَاضِي جَازَ أَنْ يَكُونَ الْمُسْتَعْمَلُ عَلَى حَالِهِ. وَجَازَ أَنْ يَكُونَ قَدْ تَغَيَّرَ نَحْوُ: كَانَ فُلَانٌ كَذَا ثُمَّ صَارَ كَذَا، وَاسْتَدِلَّ بِهِ عَلَى أَنَّ الْعَالَمَ حَادِثٌ؛ لِأَنَّ قَوْلَهُ: «وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ غَيْرُهُ» ظَاهِرٌ فِي ذَلِكَ، فَإِنَّ

كُلِّ شَيْءٍ سِوَى اللَّهِ وَجَدَ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ مُوجُودًا <sup>(١)</sup>.

هذه المسألة الواقعة أَنَّ الخوضَ فيها مِنْ فضولِ العلم، وهي مسألة التسلسل في الأزَل؛ أي: في الماضي؛ لأنَّ العلماء، وأقصدُ علماء السلفِ وعلماهُ أَهْلَ الكلام، اختلفوا في هذه المسألة على ثلاثة أقوال.

**القول الأول:** منع التسلسل في الماضي والمستقبل، وهذا مذهبُ الجهمية، ولهذا يقولون بفسادِ الجنة والنار، وأنها تفتيان، ولا يبقى شيءٌ مخلوقٌ.

**القول الثاني:** ومن العلماء مَنْ قال: بجواز التسلسل في الماضي والمستقبل، وقالوا: الذي جَوَّزه في المستقبل لا يمنع أن يكونَ جائزًا في الماضي؛ لأنَّ قوله ﷺ: «أنت الأولُ فليسَ قبلك شيءٌ»، وأنت الآخرُ فليسَ بعدك شيءٌ» <sup>(٢)</sup>. على ميزانٍ واحدٍ، فإذا قلتَ بتسلسلِ الحوادثِ في المستقبل، فمعنى ذلك أَنَّ الله تعالى إن تسلسلتِ الحوادثُ فهو بعدها، فكذلك هي في الماضي وإن تسلسلتِ فهو قبلها، وهذا كما أَنَّهُ مُقتضى النصِّ، فهو أيضًا مُقتضى العقل؛ لأنَّ الفعلَ لا يكونُ إلَّا بفاعلٍ، والمفعولُ لا يكونُ إلَّا بعد الفعلِ ومهما قلتَ بالتسلسل فلا بدَّ أن يكونَ المخلوقُ بعد الخالقِ، وهذا لا يُنافي الأولية، ولأنَّا لو قلنا بعدمِ التسلسل في الماضي لقلنا قبل أن يوجدَ الفعلُ يلزمُ أن يكونَ الله مُعطلاً منه، فلماذا؟ هل هو كانَ غيرَ قادرٍ، ثم قدر أو كانَ غيرَ مريدٍ ثم أراد؟ إن قلتَ بالأول، وصفتَ الله بالعجز، وإن قلتَ بالثاني فما دليلُك على أَنَّ الله لم يرد أن يفعلَ حتى يقولَ: إن هذا شيءٌ ممتنعٌ، وأظنُّ هذا دليلًا واضحًا.

**القول الثالث:** جوازُ التسلسل في المستقبل دون الماضي، وهذا هو الذي عليه جمهورُ المتكلمين، فالمستقبلُ يجوزُ التسلسلُ فيه مثلُ الجنة والنار، إذا كانتا لا تفتيان فذلك معناه التسلسلُ إلى ما لا نهايةَ له، لكن في الماضي لا يجوزُ.

ولكن عند التأمل يتبين أن ما ذهب إليه شيخُ الإسلام رحمه الله وجماعةٌ من أهل العلم هو الصوابُ، فإنَّه إذا جازَ التسلسلُ في المستقبل فما الذي يمنعه في الماضي، فالحديثُ والآيةُ الوزانُ فيهما واحدٌ «أنت الأولُ فليسَ قبلك شيءٌ»، وأنت الآخرُ فليسَ بعدك شيءٌ» فهما متوازنان، فإذا جازَ التسلسلُ في الآخرة جاز في الأولية، ولا شك.

ونقولُ بالطريقِ العقليِّ: إذا قلنا: إنَّه لا تسلسلُ في الحوادثِ، لزمَ أَنَّ الله تعالى قد أتى عليه وقتٌ لم يفعلْ، فلماذا؟ إن قلتَ لعدمِ القدرة، وهو لازمٌ له؛ لأنَّه إذا قال ممتنعٌ. فمعناه أَنَّهُ غيرُ قادرٍ، وإن قلتَ بعدمِ القدرة لزمَ أَنَّ تصفَ الرَّبَّ بالعجز، وإن قلتَ لعدمِ الإرادة صارَ الأمرُ ممكنًا، وهذا

(١) انظر «فتح الباري» (١٣/ ٤١٠).

(٢) رواه مسلم (٢٧٣١).



هو المطلوب؛ يَعْنَى: أَنَّهُ لَمْ يُرَدِّ وَلَكِنْ لَوْ أَرَادَ لِحَصَلِ، وَهَذَا هُوَ الْمَطْلُوبُ.  
فَهُؤُلَاءِ يَقُولُونَ: تَسْلُسُلُ الْحَوَادِثُ فِي الْمَاضِي مِمْتَنِّعٌ عَقْلًا وَلَا يُمْكُنُ، وَفِي الْمُسْتَقْبَلِ جَائِزٌ عَقْلًا  
وَمُمْكِنٌ.

وَنَحْنُ نَقُولُ: إِنَّهُ جَائِزٌ فِي الْمَاضِي وَالْمُسْتَقْبَلِ، وَالِدَلِيلُ فِي هَذَا وَاضِحٌ، الدَّلِيلُ عَلَى أَنَّهُ جَائِزٌ فِي  
الْمَاضِي جَوَازُهُ فِي الْمُسْتَقْبَلِ، إِذْ لَا فَرْقَ، وَهَذِهِ الْمَسْأَلَةُ كَمَا سَبَقَ مِنْ فَضُولِ الْعِلْمِ الَّذِي غَيْرُهُ أَهَمُّ مِنْهُ،  
لَكُنَّا يَجِبُ أَنْ نَعْتَقِدَ أَنَّ اللَّهَ فَاعِلٌ لَهَا يَرِيدُ لَمْ يَزَلْ، وَلَا يَزَالُ كَذَلِكَ لَمْ يَزَلْ وَلَا يَزَالُ فَاعِلًا لَهَا يَرِيدُ، لَكِنَّ  
الْمَخْلُوقَاتِ الَّتِي لَمْ يُخْبِرْ عَنْهَا، وَهِيَ سَابِقَةٌ أَزَلِيَّةٌ مَا نَعْرِفُ عَنْهَا شَيْئًا، هَذِهِ يَجِبُ أَنْ نَقُولَ: لَا نَعْلَمُهَا  
وَلَا نَعْلَمُ مَاذَا خَلَقَ اللَّهُ قَبْلَ خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، إِنْ كَانَ هُنَاكَ مَخْلُوقٌ، لَكِنْ نَعْلَمُ أَنَّهُ خَلَقَ الْقَلَمَ  
قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، وَأَنَّ هُنَاكَ مَخْلُوقَاتٍ، وَلَكِنَّا لَمْ نُخْبِرْ عَنْهَا، فَمَا  
أُخْبِرْنَا عَنْهُ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ قَبْلَ خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَجَبَ عَلَيْنَا التَّسْلِيمُ، وَقُلْنَا: إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ  
شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَكَمَا لَا يَسْتَحِيلُ دَوَامُ أَفْعَالِهِ فِي الْمُسْتَقْبَلِ فَلَا يَسْتَحِيلُ دَوَامُ أَفْعَالِهِ فِي الْمَاضِي.

وَأَمَّا اسْتِثْنَاؤُ الْحَافِظِ ابْنِ حَجَرٍ لِمَذْهَبِ الشَّيْخِ الْإِسْلَامِ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ فَلَا شَكَّ أَنَّ شَيْخَ  
الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَكَلَّمَ فِيهِ نَاسٌ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ مَعَ أَنَّ الصَّوَابَ مَعَهُ، وَالْحَقُّ مَعَهُ، لَكِنَّ بَعْضَ الْعُلَمَاءِ -  
رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ- فِي مَقَامِ الرَّدِّ يَخْلُطُونَ رَدَّهُمْ بِالسَّبِّ لِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْغَيْرَةِ عَلَى مَا يَعْتَقِدُونَ أَنَّهُ بَاطِلٌ،  
وَهَذِهِ زَلَّةٌ مِنْ ابْنِ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ نَسَأَلَ اللَّهَ أَنْ يَغْفِرَ عَنْهُ، وَسَيَلْتَقِي مَعَهُ عِنْدَ اللَّهِ بِمَا يَفْصِلُ بَيْنَهُمَا يَوْمَ  
الْقِيَامَةِ.

وَمِنَ الْمُسْتَحْسِنِ أَنْ تَطْلُعُوا عَلَى قَصِيدَتَيْنِ فِي أَوَّلِ مَنْهَاجِ السَّنَةِ الطَّبَعَةِ الْقَدِيمَةِ ذَكَرَ فِيهَا أَحَدُ  
الْأَعْدَاءِ لِشَيْخِ الْإِسْلَامِ مَسَائِلَ كَثِيرَةً يَشْنَعُ فِيهَا عَلَى شَيْخِ الْإِسْلَامِ ابْنِ تَيْمِيَّةٍ، ثُمَّ جَاءَ رَجُلٌ آخَرُ مِنْ  
أَهْلِ الْحَقِّ فَرَدَّ عَلَيْهِ وَعَلَى قَافِيَةٍ وَاحِدَةٍ وَوَزَنَ وَاحِدَةً.

\*\*\*

ثُمَّ قَالَ الْبَحَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٤١٩- حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنْ هَمَّامٍ، حَدَّثَنَا أَبُو هُرَيْرَةَ،  
عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ يَمِينَ اللَّهِ مَلَأَى لَا يَغِيضُهَا نَفَقَةُ سَحَاءِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، أَرَأَيْتُمْ مَا أَفْنَقَ مُنْذُ خَلَقَ  
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فَإِنَّهُ لَمْ يَنْقُصْ مَا فِي يَمِينِهِ، وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ وَبِيدُهُ الْآخَرَى الْفَيْضُ - أَوْ الْقَبْضُ -  
يَرْفَعُ وَيَخْفِضُ» (١).

هَذَا الْحَدِيثُ سَبَقَ الْكَلَامُ عَلَيْهِ وَبَيَّنَّا مَعْنَى قَوْلِهِ: «فَإِنَّهُ لَمْ يَنْقُصْ مَا فِي يَمِينِهِ» مِنْ هَذَا الْإِنْفَاقِ؛ لِأَنَّ  
التَّقْدِيرَ أَنَّ الْإِنْفَاقَ كَانَ عَلَى أَمْرٍ خَارِجٍ، فَإِنَّهُ لَوْ كَانَ عَلَى أَمْرٍ خَارِجٍ فَإِنَّهُ لَا يَنْقُصُ اللَّهُ شَيْئًا مَعَ أَنَّ الْكُلَّ

فِي مَلِكِ اللَّهِ ﷻ، وَإِنَّمَا قُلْنَا ذَلِكَ؛ لِئَلَّا يَقُولَ قَائِلٌ: مَعْلُومٌ أَنَّهُ لَا يَنْقُصُ مَا فِي يَمِينِهِ إِذَا أَنْفَقَ؛ لِأَنَّهُ إِنَّمَا يَنْفَقُ فِي مَلِكِهِ، فَهُوَ كَمَا لَوْ أَنَّ الْإِنْسَانَ أَخْرَجَ الدَّرَاهِمَ مِنْ حَجَرَةٍ وَجَعَلَهَا فِي حَجَرَةٍ أُخْرَى، أَوْ مِنْ دُولَابٍ وَجَعَلَهَا فِي دُولَابٍ آخَرَ، فَإِنَّهُ مَعْلُومٌ أَنَّهُ لَمْ يَخْرُجْ عَنْ مَلِكِهِ، وَلَا يُمْكِنُ أَنْ يَقَالَ فِي هَذَا نَقْصٌ لَكِنْ هُوَ عَلَى تَقْدِيرِ أَنَّ الْإِنْفَاقَ كَانَ خَارِجًا، وَمَعَ ذَلِكَ لَمْ يَنْقُصْ مَا فِي يَمِينِهِ، الشَّاهِدُ لِلْبَابِ فِي هَذَا الْحَدِيثِ قَوْلُهُ: «وَعَرَّشَهُ عَلَى الْهَاءِ».

\*\*\*

ثُمَّ قَالَ الْبُحَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٤٢٠- حَدَّثَنَا أَحْمَدُ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ الْمُقَدَّمِيُّ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ، عَنْ ثَابِتٍ، عَنْ أَنَسٍ قَالَ: جَاءَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ يَشْكُو فَعَمَلَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: «اتَّقِ اللَّهَ، وَأَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ». قَالَ أَنَسٌ: لَوْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كَاتِبًا شَيْئًا لَكُنَّا هَذِهِ. قَالَ: فَكَانَتْ زَيْنَبُ تَفْخَرُ عَلَى أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ تَقُولُ: زَوَّجَكُنَّ أَهَالِيكُنَّ، وَزَوَّجَنِي اللَّهُ تَعَالَى مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَوَاتٍ<sup>(١)</sup>. وَعَنْ ثَابِتٍ «وَتَخْفَى فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَتَزَلَّتْ فِي شَأْنِ زَيْنَبَ وَزَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ».

❁ قوله: «قَالَ أَنَسٌ» فِي نَسْخَةٍ -عِنْدَنَا-: «قَالَ أَنَسٌ: قَالَتْ عَائِشَةُ»، وَفِي نَسْخَةٍ أُخْرَى: «قَالَتْ

عَائِشَةُ».

**الشَّاهِدُ مِنْ هَذَا:** قَوْلُهُ: «مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَوَاتٍ». وَذَلِكَ أَنَّ الْعَرْشَ فَوْقَ السَّمَوَاتِ فَيَكُونُ اللَّهُ ﷻ فَوْقَ السَّمَوَاتِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ فَوْقَ الْعَرْشِ، وَلِيُعْلَمَ أَنَّ هُنَاكَ اسْتَوَاءٌ وَعُلُوٌّ، فَالْإِسْتَوَاءُ سَبَقَ الْكَلَامُ عَلَيْهِ، وَبَيْنَا أَنَّهُ مِنَ الصِّفَاتِ الْفَعْلِيَةِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِمَشِيتِهِ، أَمَّا الْعُلُوُّ فَإِنَّهُ مِنَ الصِّفَاتِ الذَّاتِيَةِ الْإِلَازِمَةِ لَهُ، فَهُوَ دَائِمًا أَزَلًا وَأَبَدًا فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ، وَلَيْسَ فَوْقَهُ شَيْءٌ، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ».

**وهذا الحديث:** فِي قِصَّةِ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ وَزَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَتَوْجَدُ رَوَايَاتٌ كَثِيرَةٌ رُوِيَتْ حَوْلَ هَذِهِ الْقِصَّةِ ضَعِيفَةٌ لَا تَصُحُّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ عَلَيْهِ وَلا تَلِيْقُ بِمَقَامِ النَّبِيِّ ﷺ، وَالنَّبِيُّ ﷺ نَصَحَ زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ أَنْ يُتَّقِيَ زَوْجَتَهُ عِنْدَهُ وَلَمْ يُضْمِرْ فِي قَلْبِهِ إِلَّا أَنَّ زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ يُتَّقِيهَا عِنْدَهُ، وَإِنْ كَانَ الرَّسُولُ ﷺ حِينَ أَشَارَ عَلَيْهِ هَذِهِ الْمَشُورَةُ فِي قَلْبِهِ أَشْيَاءَ، اللَّهُ أَعْلَمُ بِهَا، فَلَعَلَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ خَافَ أَنْ يَطْلُقَهَا ثُمَّ يَتَزَوَّجَهَا الرَّسُولُ ﷺ فَيَكُونُ فِي هَذَا إِشْكَالٌ عِنْدَ النَّاسِ؛ لِأَنَّهُمْ يَرَوْنَ أَنَّ ابْنَ النَّبِيِّ لَا يَجُوزُ أَنْ يَتَزَوَّجَ امْرَأَتَهُ مِنْ تَبْنَاهُ، وَلَكِنَّ اللَّهَ ﷻ أَرَادَ أَنْ يُبَيِّنَ لِلْخَلْقِ أَنَّ الْمُتَنَبِّئِيَّ يَجُوزُ أَنْ يَتَزَوَّجَ زَوْجَةً مِنْ تَبْنَاهُ قَالَ: «فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا<sup>(٢)</sup> وَاللَّهُ تَعَالَى طَرَفًا<sup>(٣)</sup> وَطَلَقَهَا رَغْبَةً عَنْهَا «زَوَّجْنَاهَا لِيَكُنْ لَا يَكُونُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا» فَتَزَوَّجَهَا النَّبِيُّ ﷺ بَعْدَ أَنْ طَلَقَهَا زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ، وَبِذَلِكَ زَالَتِ هَذِهِ الْمَشْكِلَةُ.



ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٤٢١- حَدَّثَنَا خَلَادُ بْنُ يَحْيَى، حَدَّثَنَا عَيْسَى بْنُ طَهْمَانَ قَالَ: سَمِعْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: نَزَلَتْ آيَةُ الْحِجَابِ فِي رَيْتَبِ بِنْتِ جَحْشٍ وَأَطْعَمَ عَلَيْهَا يَوْمَئِذٍ خُبْزًا وَلَحْمًا وَكَانَتْ تَفْخَرُ عَلَى نِسَاءِ النَّبِيِّ ﷺ وَكَانَتْ تَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ أَنْكَحَنِي فِي السَّمَاءِ <sup>(١)</sup>.

هذا كالأول فيه إثبات علو الله ﷻ، وأهل السنة والجماعة يُثَبِّتُونَ علو الله في ذاته وصفاته، ويقولون: إِنَّ العلوَّ نوعان: علو ذات، وعلو صفة.

**أَمَّا علو الذات:** فهو أنه ﷻ فوق عباده.

**وأما علو الصفات:** فهو أن جميع صفاته علوية، ليس فيها نقصٌ بوجهٍ من الوجوه، وأهل التعطيل أنكروا الأول، وقالوا: إِنَّ اللَّهَ لَيْسَ عَالِيًا بِذَاتِهِ، ثُمَّ اخْتَلَفُوا، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّهُ جَلٌّ وَعَلَا بِذَاتِهِ فِي كُلِّ مَكَانٍ، فَالَهُ فِي الْأَرْضِ فِي السَّمَاءِ فِي الْبَرِّ فِي الْبَحْرِ فِي الْجَوِّ فِي الْمَسَاجِدِ فِي الْبُيُوتِ وَفِي كُلِّ شَيْءٍ فَهُوَ حَالٌ فِي كُلِّ شَيْءٍ، وَهَذَا مَذْهَبُ الْجَهْمِيَّةِ الْحُلُولِيَّةِ الَّذِينَ يَقُولُونَ: إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا بِذَاتِهِ فِي أَيِّ مَكَانٍ كُنَّا.

ومتهم الذين أنكروا العلوَّ، وقالوا: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يُوصَفُ بِأَنَّهُ فَوْقَ وَلَا تَحْتُ وَلَا يَمِينٌ وَلَا شِمَالٌ وَلَا مُتَصِلٌ وَلَا مُنْفَصِلٌ، فَقِيلَ لَهُمْ: هَذِهِ الْأَوْصَافُ أَوْصَافٌ لِلْمَعْدُومِ، لَوْ قِيلَ لَنَا: صِفُوا لَنَا الْمَعْدُومَ بِأَبْلَغٍ مِنْ هَذِهِ الْأَوْصَافِ مَا وَجَدْنَا إِلَى ذَلِكَ سَبِيلًا مَعَ أَنَّهَا كَمَا تَرَوْنَ أَوْصَافًا سَلْبِيَّةً، وَأَهْلُ التَّعْطِيلِ يَصِفُونَ اللَّهَ بِالْأَوْصَافِ السَّلْبِيَّةِ دُونَ الْإِيجَابِيَّةِ، أَمَّا أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ فَقَالُوا: إِنَّ اللَّهَ ﷻ فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ فَوقَ عِبَادِهِ، وَقَالُوا: إِنَّ الْأَدْلَةَ عَلَى علو الله ﷻ مُتَنَوِّعَةٌ، بَلْ جَمِيعُ أَصُولِ الْأَدْلَةِ تَشْهَدُ بِذَلِكَ، الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ وَإِجْمَاعُ السَّلَفِ وَالْعَقْلُ وَالْفِطْرَةُ، خَمْسَةُ أَنْوَاعٍ مِنَ الْأَدْلَةِ -وَلَا يَوْجَدُ سِوَى هَذِهِ الْأَدْلَةِ- كُلُّهَا تَدُلُّ عَلَى أَنَّ اللَّهَ ﷻ فَوْقَ عِبَادِهِ.

\* ففي القرآن الكريم ما لا يُحْصَى مِنَ الْأَدْلَةِ عَلَى علو الله، على وجوه متنوعة منها قوله: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ و ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [النحل: ١٠]. و ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١٦]. ﴿تَرْجِعُ النَّفْسَ كَآرُثُوحَ إِلَيْهِ﴾ [الزمر: ٤٢] والآيات في ذلك كثيرة وقوله: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١] لَأَنَّ النُّزُولَ يَكُونُ مِنْ أَعْلَى إِلَى أَسْفَلٍ.

**أَمَّا السُّنَّةُ:** فكَذَلِكَ، جَاءَتْ بِأَنْوَاعِهَا الثَّلَاثَةُ -بِالْقَوْلِ وَالْفِعْلِ وَالْإِقْرَارِ- تَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ.

**أما القول:** فَإِنَّ الرَّسُولَ ﷺ كَانَ يَسْبُحُ اللَّهَ تَعَالَى فِي سَجُودِهِ وَيَقُولُ: «سُبْحَانَ رَبِّي الْأَعْلَى» <sup>(٢)</sup> والأحاديثُ عنه في إثبات ذلك كثيرة.

(١) انظر: ما أخرجه مسلم (١٤٢٨).

(٢) رواه مسلم (٧٧٧).

**وأما الفعل:** فإنه لما استشهد الأمة على إبلاغه في حجة الوداع وهو يخطبُ الناس، ويقول: «ألا هل بلغت» قالوا: نعم، فيرفعُ أضعه إلى السماء، ويقول: «اللهمَّ اشهد» <sup>(١)</sup> هذه إشارة إلى أن الله في العلو، وكذلك مَدُّ يديه إلى السماء حينما استسقى، واستصحب <sup>(٢)</sup>، هذه دلالة بالإشارة على أن الله تعالى فوق.

**وأما الإقرار:** فهو قد أقرَّ الجارية التي سألتها: «أين الله» قالت: في السماء. قال: «أعنيها فإنها مؤمنة» <sup>(٣)</sup>.

**وأما الإجماع:** إجماع السلف، فقد قال شيخ الإسلام رحمه الله: إنه طالع ما أمكنه من كتب السلف فلم أجد عن واحد منهم أنه قال: إن الله ليس في السماء أو أنكر الفوقية أو العلو <sup>(٤)</sup>.

**وأما العقل:** فإننا نقول: هل العلو صفة كمال أو السفل هو صفة الكمال؟

**الجواب:** الأول فإذا كان العلو صفة كمال، وكان السفل صفة نقصٍ لزم أن يكون الله متصفًا بالكمال عقلاً.

**وأما الفطرة:** فظاهرة، فإن الإنسان حينما يذكرُ ربَّه بقلبه لا يجدُ قلبه يتطلع أو يرتفع إلا إلى السماء، بفطرته بدون أن يُلقَّن، وبدون أن يُدرَّس، حينما يقول: يارب: يجدُ من قلبه ضرورةً لطلب العلو، وهذا يدلُّ على أن الفطرة تدلُّ على علو الله عز وجل، ويقال: إن أبا المعالي الجويني الملقَّب بإمام الحرمين كان يقرُّ فيقول: كان الله ولم يكن شيءٌ قبله أو كان الله ولا شيء، وهو الآن على ما كان عليه. يريد بهذا أن ينكر استواء الله على العرش؛ لأنه إذا كان الله قبل كل شيء وكان الآن على ما هو عليه لزم من ذلك أن لا يستوي على العرش، وهو يريد أن يقرَّ ما وراء ذلك أيضًا أن الله لا يوصفُ بأنَّه فوق، فقال له أبو العلاء الهمداني رحمه الله: يا شيخ دُعنا من ذكر العرش -يعني: أن الاستواء على العرش دليله السمع لا تقتضيه الفطرة، ولولا أن الله أخبرنا أنه استوى على العرش ما علمنا بهذا- ولكن أخبرنا عن هذه الضرورة ما قال عارف قطُّ يا الله، إلا وجد بقلبه أو من قلبه ضرورةً لطلب العلو، ما قال الإنسان يارب. إلا وجد قلبه يرتفع إلى السماء، فصرخ أبو المعالي وجعل يضربُ على رأسه ويقول: حيرني الهمداني، حيرني <sup>(٥)</sup>، يعني: أنه لم يستطع أن يجيب عن هذه الفطرة فتبين الآن أن أدلة العلو خمسة أنواع: الكتاب والسنة وإجماع السلف والعقل والفطرة.

**قولها:** «أنكحي الله في السماء» وقول الجارية: «في السماء» هل هذا المعنى. يعني على السماء؟

**الجواب:** هذه المسألة موجودة في القرآن: ﴿أَمِنْتُمْ مِّنْ فِي السَّمَاءِ﴾ والمعروف أن «في»

(١) رواه مسلم (١٢١٨).

(٢) رواه البخاري (١٠١٤، ١٠١٥)، ومسلم (٨٩٧).

(٣) رواه مسلم (٥٣٧).

(٤) انظر «تلبس الجهمية» (٢/ ٤٥).

(٥) أورد هذه القصة ابن أبي العز في شرحه على «العقيدة الطحاوية» (ص ٢٩١).



للظرفية، فإذا جَعَلْنَاهَا للظرفية صار في هذا إشكال؛ لأنَّ الظرف يحيط بالمظروف، وهو أوسع منه، فالظرف أوسع من المظروف، إذا قلت: الماء في الكأس، أيهما أوسع؟ الكأس؛ لأنه يحيط بالماء فيبقى في هذا إشكال، وأجاب أهل العلم عن ذلك بأحد وجهين:

**الوجه الأول:** أن تكون «في» للظرفية، والسماء بمعنى العلو؛ لأنَّ السماء تطلق على العلو في اللغة العربية، وفي القرآن، قال الله تبارك وتعالى: ﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ وقال: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا﴾ جعل الإنزال من السماء والمراد به هنا العلو قطعاً، لا السماء التي هي السقف المحفوظ، والدليل على هذا قوله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفَلَاحِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَخْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [البقرة: ١٦٤]. ومعلوم أن المطر ينزل من السحاب: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ﴾ [البقرة: ٤٣] وعليه يكون «في» للظرفية، والسماء بمعنى العلو، والعلو اللانهائي فوق السموات ولا إشكال في هذا.

**والوجه الثاني:** قالوا: إنَّ «في» بمعنى «على» وليست للظرفية، والسماء هي السموات، وحيث نحتاج إلى شاهد يؤيد به القول بأنَّ «في» بمعنى «على»، فاستشهدوا لذلك بقول فرعون للسحرة ﴿وَأَصْلَحْناكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾ [طه: ٧١] في جذوع النخل؛ يعني: على جذع النخل؛ لأنه ليس المعنى أنه يشق الجذع ثم يصلب الرجل فيه، بل يصلبه على الجذع، وقوله تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ أَنْظَرُوا كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ [الأنعام: ١١]. ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾. أي: عليها؛ لأنَّ ديار المكذِّبين نشاهدوها على سطح الأرض، وليست في جوفها وبهذا يزول الإشكال.

\*\*\*

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٤٢٢- حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ، أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، حَدَّثَنَا أَبُو الزِّنَادِ، عَنِ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ لَمَّا قَضَى الْخَلْقَ كَتَبَ عِنْدَهُ فَوْقَ عَرْشِهِ إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي»<sup>(١)</sup>

قوله: «كَتَبَ عِنْدَهُ فَوْقَ عَرْشِهِ: إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي» وهذه الكتابة فرضها الله ﷻ على نفسه، كما قال تعالى: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهْلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الأنعام: ٥٤]

**والشاهد في هذا الحديث قوله:** «عِنْدَهُ فَوْقَ عَرْشِهِ».

وفيه من الصفات: الرحمة والغضب، واعلم أن الرحمة المضافة إلى الله تنقسم إلى قسمين رحمة مخلوقة، ورحمة هي صفته غير مخلوقة.

فالرحمةُ المخلوقةُ سُمِّيَتْ بذلك؛ لأنَّها من آثارِ الرحمةِ، وهي محلُّ الرحمةِ، ومسكنُ الرحاءِ، وتلك هي الجنةُ، حيثُ قال اللهُ لها: «أَنْتِ رَحْمَتِي أَرْحَمُ بِكَ مِنْ أَشَاءِ»<sup>(١)</sup>. هذه الرحمةُ التي أضافها اللهُ إلى نفسه رحمةً مخلوقةً.

وأما الرحمةُ التي هي صفتهُ، وهي غيرُ مخلوقةٍ، تنقسمُ أيضًا إلى قسمين: عاميةٌ وخاصةٌ؛ فالعاميةُ: هي الشاملةُ لجميعِ الخلقِ، حتى الكافرِ يدخلُ في رحمةِ اللهِ يرزُقُهُ اللهُ وَيَكْفِيهِ اللهُ معاشًا ومسكنًا، وقوةً في بدنه، وفي عقله، كلُّ هذا من الرحمةِ، ينعمُ عليهم بأنواعِ النعمِ، إنزالُ المطرِ، وإنباتُ النباتِ، وما أشبه ذلك، هذه رحمةٌ عامَّةٌ للمؤمنين وللکافرين، وهي رحمةٌ دنيويَّةٌ، قاصرةٌ في ذاتها وفي زمنها وفي موضعها.

**القسمُ الثَّاني:** الرحمةُ الخاصَّةُ وهي خاصَّةٌ بالمؤمنين، وهذه رحمةٌ تتصلُّ بها رحمةُ الآخرةِ، فيرحمُ المؤمنون في الدنيا وفي الآخرةِ.

فإنَّ قالَ قائلٌ: هذه الرحمةُ التي جعلها اللهُ ﷻ في قلوبِ المخلوقاتِ، فتجدُ أنَّ الإنسانَ يرحمُ الضعيفَ من الصغارِ والشيوخِ والعجائزِ والمرضى، ويرحمُ الدوابَّ والبهائمَ، وكذلك الدوابُّ فيما بينها تتراحمُ، فنقولُ: هذه الرحمةُ صفةٌ للراحمِ، مَنْ هذا الراحمُ؟ هو المخلوقُ، والمخلوقُ وصفاتهُ مخلوقةٌ، فالرحمةُ التي وضعها اللهُ في قلوبِ البشرِ وغيرِ البشرِ، هذه رحمةٌ مخلوقةٌ؛ لأنَّها وصفٌ لا اللهُ، ولكن للراحمِ، ولهذا جاء في الحديثِ: «الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ» «ومن لا يرحمُ لا يُرحمُ»<sup>(٢)</sup>. لكن هذه رحمةٌ مخلوقةٌ لا تتعلقُ بصفةِ اللهِ ﷻ، وإنَّما هي من خلقِ اللهِ في عبادِ اللهِ.

**وفي الحديثِ:** إثباتُ الغضبِ، والغضبُ وصفٌ يحصلُ بفعلٍ ما يكرهه الغاضِبُ، حيثُ يشعرُ بالقدرةِ على الانتقامِ فهو وصفٌ انفعاليٌّ لا فعليٌّ، يحصلُ إذا وجدَ ما يكرهه الغاضِبُ مع شعوره بالقدرةِ على الانتقامِ، الحزنُ أو الحُزْنُ قريبٌ منه لكنَّهُ يحصلُ من الحازنِ لعدمِ قدرتهِ على الانتقامِ، فالفرقُ الآنَ بينَ الحُزْنِ وبينَ الغضبِ، أنَّ الغاضِبَ يشعرُ بالقدرةِ على الانتقامِ، والحزنُ أو الحازنُ لا يشعرُ بذلك بل يشعرُ بالضعفِ وعدمِ القدرةِ، ولهذا لا يوصفُ اللهُ بالحزنِ، ويوصفُ بالغضبِ وغضبُ اللهِ ﷻ هو صفةٌ من صفاتهِ الفعليةِ؛ لأنَّه يتعلَّقُ بمشيئتهِ، وقد سبقَ لنا القولُ بأنَّ كلَّ صفةٍ ذاتٍ سببُ فإنَّها من الصفاتِ الفعليةِ، وهو حقيقيٌّ، لكنَّ أهلَ التعطيلِ أنكَروا هذه الصفةَ؛ لأنَّها صفةٌ فعليةٌ، وقد سبقَ أنَّهم يُنكرونها جميعَ الصفاتِ الفعليةِ بحجةِ أنَّ الصفاتِ الفعليةَ حادثَةٌ، والحادثُ لا يقومُ إلَّا بحادثٍ، وقد بيَّنا بطلانَ ذلك، هم أيضًا أنكَروها من وجهٍ آخرَ، قالوا: إنَّ الغضبَ غليانٌ دمِ القلبِ؛ طلبُ الانتقامِ، واللهُ منزوعٌ عن ذلك فنقولُ: هذا الغضبُ الذي وصَفْتُموه

(١) رواه البخاري (٤٨٥٠)، ومسلم (٢٨٤٦).

(٢) رواه البخاري (٧٣٧٧)، ومسلم (٩٢٣).



بهذا الوصف غضب المخلوق، أما غضب الخالق فإنه لا يماثل غضب المخلوق.

ويقولون: نحن نُفسِّر الغضب بأحد أمرين: إمَّا بإرادة الانتقام أو بالانتقام نفسه؛ لأنهم يشبتون الإرادة لله، أو بالانتقام لنفسه لأن الانتقام فعل منفصل. الانتقام أداة منفصلة عن الله ليس من صفاته، حاصل من الإرادة والقدرة، لأن المريد القادر هو الذي يقدر على أن يتقم، ولهذا فسروه إمَّا بإرادة الانتقام أو الانتقام نفسه، وسبق لنا بيان بطلان هذا التفصيل، وقلنا: إن قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَتَوْا آتَمْنَا وَنَهُنَّ﴾ [التوبة: ٥٥] تردُّ هذا التفصيل؛ لأنه جعل الانتقام غير الأسف غير الغضب، والأسف هنا بمعنى الغضب، ثم نقول لهم: إن إرادة الانتقام إنما تكون عند القدرة على الانتقام وبذلك يحصل الغضب في الغالب، فما المانع من أن يوصف الله بذلك وهو صفة كمال إذا وُجد سببه.

\*\*\*

٧٤٢٣- حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمُنْذِرِ، حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ فُلَيْحٍ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، حَدَّثَنِي هِلَالٌ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَأَقَامَ الصَّلَاةَ، وَصَامَ رَمَضَانَ، كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ هَاجِرًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ جَلَسَ فِي أَرْضِهِ الَّتِي وُلِدَ فِيهَا، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَلَا نُنَبِّئُ النَّاسَ بِذَلِكَ قَالَ: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِهِ، كُلُّ دَرَجَتَيْنِ مَا بَيْنَهُمَا كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَلَئِنْ أَسْأَلْتُمُ اللَّهَ أَوْسَطَ الْجَنَّةِ وَأَعْلَى الْجَنَّةِ وَفَوْقَهُ عَرْشَ الرَّحْمَنِ وَمِنْهُ تَفَجَّرَ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ»<sup>(١)</sup>.

**الشاهد من هذا قوله:** «أوسط الجنة وأعلى الجنة، وفوقه» -وفي رواية بالرفع (فوقه)- عرش الرحمن، ومنه -أي من الفردوس- تفجَّر أنهار الجنة».

**هذا الحديث فيه:** فوائدٌ فقهيةٌ وفوائدٌ عقديّة:

**الفقهية:** قوله ﷺ: «مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَأَقَامَ الصَّلَاةَ، وَصَامَ رَمَضَانَ - كان حقًّا على الله أن يدخله الجنة». ولم تُذكر الزكاة والحج مع أنها من أركان الإسلام ولا بد منها، ومن لم يترك فإنه على خطر، وإن كان الصحيح أنه لا يكفر لكنه على خطر، وكذلك الحج ذهب كثير من العلماء إلى أن مَنْ لم يحج مع قدرته فهو كافر؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [التوبة: ١٧]. ولعل الراوي نسي فحذفها وإلا فلا بد من ذكرها.

**وكذلك من المسائل الفقهية:**

أن الإنسان إذا كان في بلد كفر وقدر على أن يقوم بدينه، فإنه لا تجب عليه الهجرة، لكن إذا لم يقدر على إظهار دينه وجب عليه أن يهاجر، وهذا هو الصحيح أن الهجرة باقية إلى أن تقوم الساعة؛ لقول النبي ﷺ: «لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة، ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من خلفها».

مغريها<sup>(١)</sup>. وأما مَنْ قال من أهل العلم: إن الهجرة انقطعت بفتح مكة؛ لقول النبي ﷺ: «لا هجرة بعد الفتح»<sup>(٢)</sup>. وقال: إن هذا ثابت في الصحيحين بخلاف الأول، فيقال: إننا لا نحتاج إلى الترجيح إلا حيث تعدّر الجمع، فإذا أمكن الجمع آمنّا بالدليلين جميعاً، ويكون معنى قوله: «لا هجرة بعد الفتح»؛ أي من مكة، ولكن جهادٌ وعلم، أما من غير مكة فمتى وجد السبب الموجب للهجرة فإن الهجرة تجب.

**وفيه من المسائل العقدية:** أن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيله، وهل هذا الحديث يدل على أنه ليس في الجنة إلا مائة درجة؟

**الجواب:** لا، يدل على أن في الجنة مائة درجة للمجاهدين في سبيل الله، على حسب مراتبهم، كل درجتين ما بينهما كما بين السماء والأرض. وما أعظم ما بين الدرجتين!! كما بين السماء والأرض، مائة اضربها في ما بين السماء والأرض، فإنها تبلغ عددًا كبيرًا، لكن الجنة واسعة وأفقها واسع وبعيد وعميق.

**ومما يستفاد من الحديث:** أن الإنسان إذا سأل الله أن يسأل الأكمل والأعلى. لأن فضل الله واسع، ولا يحقرن نفسه، فيقول: لست بأهل لذلك، بل يسأل مُتتهى رغبته، ويأخذ بالأكمل فالأكمل، لقوله: «سلوه الفردوس، فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة».

**ومنها:** أن الجنة مثل الخيمة؛ وذلك لأن الفردوس وسط الجنة وأعلى الجنة، ولا يكون وسطًا وأعلى إلا إذا كان مثل القبة؛ لأنه لو كان مُسطحًا لم يكن وسط الجنة، بل يكون أعلى الجنة أو فوق الجنة، ولكنه ليس هو الوسط، فالوسط الأعلى لا بد أن يكون مثل القبة. وكما جاء في الحديث أن عرش الله ﷻ على سواواته مثل القبة<sup>(٣)</sup> وبه يتبين أن هذا الكون السموات والأراضين أنها مكورة، يعني: بعضها محيط بالثاني من كل جانب.

**ومن فوائد الحديث:** أن عرش الله ﷻ هو سقف هذه الدرجة أو هذا المكان من الجنة الذي هو الفردوس؛ لأن قوله: «وفوقه عرش الرحمن». لولا أنه هو السقف لكان الذي فوقه هو سقفه، ولا سيما على رواية الرفع (فوقه) عرش الرحمن، بأنه صريح؛ لأن عرش الرحمن بمنزلة السقف للفردوس.

٧٤٢- حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ جَعْفَرٍ، حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، عَنْ الْأَعْمَشِ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ -هُوَ التَّمِيمِ-

(١) رواه أبو داود (٢٤٧٩)، وأحمد (٩٩/٤) والبيهقي (١٧/٩)، والدارمي (٣١٢/٢)، وصححه الشيخ الألباني كما في تعليقه على سنن أبي داود؛ وانظر: «إرواء الغليل» (٣٣/٥)، (١٢٠٨).

(٢) رواه البخاري (٢٧٨٣)، ومسلم (١٣٥٣).

(٣) رواه أبو داود (٤٧٢٦)، وابن خزيمة في «التوحيد» (٢٣٩/١) والآجري في الشريعة «٦٨٦» وقد انتصر للحديث ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ فِي «تهذيب سنن أبي داود» وردَّ على من طعن في سنده. انظر: حاشيته «عون المعبود» (١١/١٣) «تهذيب سنن أبي داود».



عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَالِسٌ فَلَمَّا غَرَبَتِ الشَّمْسُ قَالَ: «يَا أَبَا ذَرٍّ هَلْ تُنْذِرِي آيْنَ تَذْهَبُ هَذِهِ؟» قَالَ: قُلْتُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ: «فَإِنَّمَا تَذْهَبُ تَسْتَأْذِنُ فِي السُّجُودِ فَبُودُنْ لَهَا وَكَانَهَا قَدْ قِيلَ لَهَا ارْجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ فَتَطْلُعْ مِنْ مَغْرِبِهَا» ثُمَّ قَرَأَ: ﴿ذَلِكَ مُسْتَفَرَّ لَهَا﴾ فِي قِرَاءَةِ عَبْدِ اللَّهِ (١).

**الشاهد قوله:** «فإنها تذهب تستأذن في السجود.... إلى آخره». في بعض الروايات: «تسجد تحت العرش»، والبخاري لم يأت في هذا اللفظ. وهذا من تصرفاته الكثيرة بَعَثَهُ أَنَّهُ يَأْتِ بِالحديث وإن لم يوجد له الشاهد لأجل أن يعتني الطالب بالبحث عن اللفظ الآخر الذي فيه ذَكَرَ ما يكون شاهداً للباب، أحياناً يكون الحديث قد ورد في الصحيح نفسه، وكأنه يقول: ارجع ابحث في الصحيح حتى تجد اللفظ الذي يكون شاهداً للترجمة وأحياناً لا يكون في الصحيح، لأنه ليس على شرطه، وهذا بَعَثَهُ مِنْ حُسْنِ تصرفه في التأليف؛ لأن هذا يَشُدُّ الطالب على البحث والمناقشة.

**وفي هذا الحديث:** دليل واضح على أن الشمس هي التي تجري في الأفق وتدور على الأرض؛ لأنه قال: أين تذهب؟ فأسند الذهاب إليها، والأصل أن إسناد الفعل لَمَنْ قام به على وجه الحقيقة لا على وجه المجاز، وكذلك في القرآن ﴿وَرَوَى الشَّمْسُ إِذَا طَلَعَتْ تَرُورٌ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقَرُّضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ﴾ [التكْوِيْن: ١٧]. فهذه أربعة أحوال كلها مضافة إلى الشمس ﴿إِذَا طَلَعَتْ تَرُورٌ﴾، ﴿وَإِذَا غَرَبَتْ تَقَرُّضُهُمْ﴾. وكذلك قوله تعالى: ﴿حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ﴾ (٢٣) ﴿تَقَرُّضُهُمْ﴾ أي تغطت به، كل هذه النصوص ظاهراً أن الشمس هي التي تدور على الأرض، وهذا ما نعتقد به إلى الآن، ولم يتبين لنا شيء نستطيع أن ندفع به هذه الظواهر ويكون حجة لنا عند الله ﷻ، فالواجب علينا أن نأخذ بهذه الظواهر، وإن كان عند بعض الناس الآن ما هو كالمحسوس، بأن الشمس لا تدور على الأرض، وأما تعاقب الليل والنهار إنما هو بدوران الأرض، يرون ذلك عندهم من الأمور اليقينية التي لا إشكال فيها.

**فنحن نقول:** يجب أن نتمسك بظاهر القرآن والسنة حتى يتبين لنا أن الأمر على خلاف ذلك مما يُسَوِّغُ لنا أن نخرج النصوص عن ظواهرها إلى هذا المعنى الذي تيقناه؛ لأن دلالة النصوص، أو دلالة ظواهر النصوص على الحكم دلالة ظنية لا شك، ولهذا نقول: ظاهر القرآن وظاهر السنة في هذا الموضع ليس بصريح ولكنه ظاهر وقوي كالصريح، فلو فُرض أن الناس يثقوا أن الشمس لا يحصل بها اختلاف الليل والنهار.

**قلنا:** إنه يمكن أن نصرف هذه الظواهر إلى معنى لا يخالف الواقع؛ لأن القرآن لا يمكن أن يخالف الواقع، فنقول: «إذا طلعت» في رأي العين، «إذا غربت» في رأي العين، «ترور» في رأي العين «تقرض» في رأي العين «تذهب» في رأي العين، إنما الواجب علينا الآن ما دامت المسألة لم تكن



يقينية، الواجب أن نأخذَ بظواهر الكتاب والسنة.

**وأيضاً في المسألة هذه إشكال:** وهي أن الشمس تغرب في الأفق في كل لحظة، كل لحظة تغرب، أليس كذلك؟! لأنها تدور، فإذا غربت عنا في الحال غربت عن مَنْ بعدنا، فهي دائمة طالعة غاربة، فمتى يكون السجود؟

**قلنا:** الواجب علينا أن نؤمن بما أخبر به الرسول ﷺ، وألا نقول: كيف؟ ولا نقول: لِمَ؟ نقول: -الله أعلم-، وجائز أن تكون دائماً في سجود كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ تَرَأَتْهُمُ اللَّائِيهَاتُ فَخَنَّاهُمْ فَسَدَّتْ كُلُّ عَيْنٍ وَمَنَ فِي الْأَرْضِ وَالْأَنْفُسُ فَاسْكَنُوا وَلَهُمْ أُولَٰئِكَ الْوُجُوهُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْأَنْهَارُ﴾ [الحج: ١٨]. جائز أن تكون دائماً في سجود، وما المانع من ذلك إذا كانت الملائكة يسبحون الليل والنهار لا يفترون، فلا غرابة أن تكون الشمس دائماً في سجود، أو يقال: إنها تسجد إذا غابت عن هذه المنطقة من الأرض فالتى تحدث فيها الرسول ﷺ فقط، وأما سجودها إذا غابت عن بقية الأراضي -فالله أعلم-، وبهذا نتخلص من هذا الإشكال الذي طعن فيه العقلاء أو العقلانيون -كما يقولون- في هذا الحديث؛ لأن الذين يرجعون إلى عقولهم يسهل عليهم جداً أن يردوا الحديث بل أن يردوا النصوص، إن كان مما يمكن الطعن فيه رأساً ورده، وقالوا: هذا خبر أحاد، فلا يمكن أن نحكم على العقل وإن كان مما لا يمكن رده مثل القرآن أو المتواتر من السنة حرقوه إلى معنى آخر يوافق ما يدعون أنه العقل وهذا غلط عظيم، لأن الأمور الغيبية أكبر من أن يدركها العقل وإذا لم يسلم حصل لنا إشكالات كثيرة، أرايتم الشمس يوم القيامة تدنوا من الخلائق قدر ميل ويعرف الناس وهم في مكان واحد على قدر أعمالهم منهم من يبلغ العرق إلى كعبه، ومنهم من يبلغ إلى ركبته، ومنهم من يبلغ إلى حقويه، ومنهم من يلجمه العرق، هل هذا يمكن في هذه الدنيا، أن يكون أناس في مكان واحد ويكون العرق يبلغ بهم هذا المبلغ المتفاوت؟

**الجواب:** لا، لكن في أمور الغيب أمور لا يكون فيها إلا التسليم فقط، نقول: سمعنا وآمنا وصدقنا، وليس هذا شيء أماننا حتى نعرفه؟ هذا في علم الغيب، إذا أخبر به الصادق وجب قبوله والاستسلام له.



٧٤٢٥- حَدَّثَنَا مُوسَى، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، حَدَّثَنَا ابْنُ شِهَابٍ، عَنْ عُبَيْدِ بْنِ السَّيَّاقِ، أَنَّ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ، وَقَالَ اللَّيْثُ: حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ خَالِدٍ، عَنْ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ ابْنِ السَّيَّاقِ، أَنَّ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ حَدَّثَهُ قَالَ: أَرْسَلَ إِلَيَّ أَبُو بَكْرٍ فَتَتَبَعْتُ الْقُرْآنَ حَتَّى وَجَدْتُ آخِرَ سُورَةِ التَّوْبَةِ مَعَ أَبِي خُزَيْمَةَ الْأَنْصَارِيِّ لَمْ أَجِدْهَا مَعَ أَحَدٍ غَيْرِهِ: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ [التوبة: ١٢٨]. حَتَّى خَاتِمَةُ بَرَاءَةٍ.

حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ بَكْرٍ، حَدَّثَنَا اللَّيْثُ، عَنْ يُونُسَ بْنِ هَذَا، وَقَالَ مَعَ أَبِي خُزَيْمَةَ الْأَنْصَارِيِّ.

آخر السورة ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [الحج: ١٢٩]. هذا هو الشاهد في الحديث، وزيد بن ثابت رضي الله عنه أحد النفر الذين كلفهم أبو بكر وعمر



أَن يَتَّبِعُوا الْقُرْآنَ وَيَجْمَعُوهُ وَهَذَا هُوَ الْجَمْعُ الْأَوَّلُ لِلْقُرْآنِ عَلَى عَهْدِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَمَا جَمْعُ عِثَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَإِنَّمَا كَانَ جَمْعُهُ عَلَى حَرْفٍ وَاحِدٍ وَهِيَ لُغَةُ قَرِيشٍ وَكَانَ فِي الْأَوَّلِ يَقْرَأُهُ النَّاسُ بِلُغَاتِهِمْ، وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَنْزَلَ الْقُرْآنَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ» <sup>(١)</sup>. فَلَمَّا كَانَ فِي عَهْدِ عِثَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَاتَّسَعَتِ الْآفَاقُ وَانْتَشَرَ الْمُسْلِمُونَ فِي كُلِّ مَكَانٍ وَصَارَ بَعْضُهُمْ يَقْرَأُ بِهَذَا وَبَعْضُهُمْ يَقْرَأُ بِهَذَا، خَافَ عِثَانُ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الصَّحَابَةِ أَنْ تَقَعَ فِتْنَةٌ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ، فَاسْتَشَارَ الصَّحَابَةَ وَجَمَعَهُمْ عَلَى حَرْفٍ وَاحِدٍ وَهُوَ لُغَةُ قَرِيشٍ <sup>(٢)</sup> وَلَيْسَتْ الْقُرَاءَاتُ السَّبْعُ هِيَ الْحُرُوفُ السَّبْعَةُ، بَلِ الْقُرَاءَاتُ السَّبْعُ كُلُّهَا عَلَى حَرْفٍ وَاحِدٍ وَهُوَ لُغَةُ قَرِيشٍ، فَاجْتَمَعَ الْمُسْلِمُونَ -وَلِلَّهِ الْحَمْدُ- عَلَى ذَلِكَ وَحَصَلَ بِهَذَا خَيْرٌ كَثِيرٌ.

وَلَكِنْ إِذَا قَالَ قَائِلٌ: هَذِهِ الْآيَاتُ الَّتِي فِي آخِرِ سُورَةِ التَّوْبَةِ مَعَ أَبِي خَزِيمَةَ الْأَنْصَارِيِّ وَهُوَ وَاحِدٌ، فَكَيْفَ اعْتَمَدَ الصَّحَابَةُ عَلَى نَقْلِ وَاحِدٍ وَهُوَ الْقُرْآنُ كَلَامُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ؟  
**قُلْنَا:** اعْتَمَدُوا عَلَى ذَلِكَ؛ لِأَنَّ أَبَا خَزِيمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ جَعَلَ النَّبِيَّ ﷺ شَهَادَتَهُ بِشَهَادَةِ رَجُلَيْنِ هَذِهِ وَاحِدَةٌ.

**الشَّيْءُ الثَّانِي:** أَنْ تَلْقَى الصَّحَابَةَ لَهُ بِالْقَبُولِ كَافٍ فِي ثُبُوتِهِ، وَالصَّحَابَةُ اعْتَمَدُوهُ قَرَأْنَا.

**الشَّيْءُ الثَّالِثُ:** أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ فِي كِتَابِهِ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ <sup>(١)</sup> [الْحَقَّة: ٩]. وَمُحَالٌ أَنْ يُزَادَ فِي الْقُرْآنِ شَيْءٌ أَوْ يُنْقَضَ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَمْ يَبَيِّنْهُ اللَّهُ بِأَيِّ وَسِيلَةٍ، فَكَوْنُ هَذِهِ الْآيَاتِ تَكُونُ عِنْدَ أَبِي خَزِيمَةَ وَيَتَلَقَّاهَا الصَّحَابَةُ بِالْقَبُولِ وَلَمْ يَظْهَرْ لَهُمْ مَا يُنْكَرُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ دَلِيلٌ عَلَى ثُبُوتِ ذَلِكَ، وَبِهَذَا نَعْرِفُ مَا ذَكَرَهُ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنَّ مَنْ أَنْكَرَ حَرْفًا مِنَ الْقُرْآنِ فَهُوَ كَافِرٌ؛ لِأَنَّهُ مَكْذُوبٌ لِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾. وَكَذَلِكَ مُخَالَفٌ لِسَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ قُلُوبُهُ مَا تُؤْتَى وَتُصَلِّوْهُ جَهَنَّمَ وَنَارُهَا مَصِيرًا﴾ <sup>(٢)</sup> [النِّسَاء: ١١٥].  
فَالْقُرْآنُ -وَلِلَّهِ الْحَمْدُ- مَحْفُوظٌ لَمْ يُنْقَضْ فِيهِ شَيْءٌ وَلَمْ يُزَدْ فِيهِ شَيْءٌ، يَوْجَدُ فِي بَعْضِ الْقُرَاءَاتِ حَذْفٌ وَאוْ مِثْلًا تُحْذَفُ الْوَاوُ مِنْ بَعْضِ الْقُرَاءَاتِ السَّبْعَةِ وَهَذَا لَا يَضُرُّ؛ لِأَنَّ الْمُسْلِمِينَ اتَّفَقُوا عَلَى تَلْقِي هَذِهِ الْقُرَاءَاتِ بِالْقَبُولِ حَتَّى مَا حُذِفَ مِنْهَا حَرْفٌ، لَكِنْ مَا أَجْعَ الْقُرَّاءُ عَلَيْهِ، فَإِنَّهُ لَا يَجُوزُ إِنْكَارُ شَيْءٍ مِنْهُ أَبَدًا. -وَاللَّهُ أَعْلَمُ-.

\*\*\*

٧٤٢٦- حَدَّثَنَا مُعَلَّى بْنُ أَسَدٍ، حَدَّثَنَا وَهَيْبٌ، عَنْ سَعِيدٍ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ عِنْدَ الْكَرْبِ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْعَلِيمُ الْحَلِيمُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَرَبُّ الْأَرْضِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ» <sup>(١)</sup>.

(١) رواه البخاري (٧٥٥٠)، ومسلم (٨١٨).

(٢) رواه البخاري (٤٩٨٧).

(٣) أخرجه مسلم (٢٧٣٠).

**الشاهد من هذا الحديث قوله:** «رب العرش العظيم»، قوله: «رب العرش الكريم». فقد وصف العرش بوصفين:

**أولاً:** العظم، والثاني: الكرم، وليس المراد بالكرم: البذل والعطاء؛ لأن العرش لا يبذل ولا يعطي، لكن المراد به الحسنُ والبهاءُ، وهذا كقول النبي ﷺ لمعاذ بن جبل حين بعثه اليمن، قال: «إياك وكرائم أموالهم»<sup>(١)</sup>؛ يعني: لا تأخذ من الزكاة الحسن من المال، وعلى هذا فيكون العرش عظيمًا في حجمه وكريمًا في صفته ومنظره، وهذا الدعاء يقوله الإنسان إذا أصابه كرب، سواء من الدنيا أو من الآخرة؛ يعني: من أعمال الدنيا أو من أعمال الآخرة، إذا أصيب الإنسان بالكرب فليدع بهذا الدعاء كما كان النبي ﷺ يدعو به، وفائدته: أنه يُزيل الكرب أو يُخفف الكرب.

\*\*\*

٧٤٢٧- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يُونُسَ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ عَمْرِو بْنِ بَحْصَى، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «يُصْعَقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَإِذَا أَنَا بِمُوسَى أَخِذُ بِقَائِمَةٍ مِنْ قَوَائِمِ الْعَرْشِ»<sup>(١)</sup>.  
٧٤٢٨- وَقَالَ الْمَاجِشُونُ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْفَضْلِ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ بُعِثَ فَإِذَا مُوسَى أَخِذُ بِالْعَرْشِ»<sup>(١)</sup>.

**الشاهد قوله:** «بقائمة من قوائم العرش». فهذا يدل على أن العرش له قوائم وعليه فيكون العرش محدودًا لكنه ليس صغيرًا، بل هو كبيرٌ وعظيمٌ كما وصفه الله ﷻ بذلك.

\*\*\*

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٢٣- بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿تَنْزِيلُ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ إِلَيْهِ﴾ [الأنعام: ١١٠].

وقوله جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ [طه: ١٠١]. وَقَالَ أَبُو جَمْرَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: بَلَغَ أَبَا ذَرٍّ مَبْعَثُ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ لِأَخِيهِ: اعْلَمْ لِي عِلْمَ هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ بَأْتِيهِ الْخَبَرُ مِنَ السَّمَاءِ. وَقَالَ مُجَاهِدُ الْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُ الْكَلِمَ الطَّيِّبَ يَقَالُ ذِي الْمَعَارِجِ: الْمَلَائِكَةُ تَنْزِلُ إِلَى اللَّهِ.

هذا الباب ذكره بعد ذكر الاستواء على العرش؛ لأن الاستواء على العرش علوٌ خاصٌ، وهذا الباب للعلو العام الشامل لكل شيء، الله -جلَّ وعلا- عالٍ على كل شيء علوًا عامًّا شاملاً، والعلو له أدلة أشرنا إليها فيما سبق، منها: ما ترجم به البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ في قوله تعالى: ﴿تَنْزِيلُ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ إِلَيْهِ﴾. الملائكة: جمع ملك، وأصله ملاك، وأصل ملاك مَالِك، فهي حوت ثلاث مرات، لأنها

(١) تقدم ترجمته.

(٢) أخرجه مسلم (٢٣٧٤).

(٢) أخرجه مسلم (٢٣٧٤).



مشتقة من الألوكة وهي الرسالة، والملائكة رسل، كما قال -تبارك وتعالى-: ﴿جَاعِلِ الْمَلَكِ رُسُلًا أُولَئِكَ أَجْنَحُهُمْ﴾ [طه: ١]. ففيها:

قلب مكاني، أصل ملائكة مَأْلَك؛ لأنه من الألوكة، الهمزة مُقَدَّمة، ثم حُذفت الهمزة تخفيفاً فقول: مَلَك والجمع ملائكة. والملائكة عالمٌ غيبي خلقهم الله ﷻ من نور وجعل وظائفهم متنوعة مختلفة، وهم صُمِّدٌ لا يحتاجون لأكل ولا شرب، ولا يتبولون ولا يتغوطون؛ لأنهم صُمِّدٌ ليس لهم أجواف - كما قرر ذلك أهل العلم.

❦ وأما قوله ﷻ: «﴿تَنْزِيلُ الْمَلَكِ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾». فالمرادُ تصعدُ إلى الله؛ لأن العروجَ معناه: الصعود، والصعود لا يكون إلا من أسفل إلى أعلى.

ففي هذا: دليل على علو الله ﷻ.

❦ وفيه: دليل على كمال ملكوته وعظيم سلطانه حيث كان هؤلاء الرسل الملائكة العظام يصعدون إلى الله ﷻ.

❦ وأما قوله: «﴿وَالرُّوحُ﴾». فيُحتمل أن يكون المرادُ بها جبريل، كما قال تعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ﴾ [الحق: ١٠٢]، وقال: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾ [٣٣] عَلَى قَلْبِكَ ﴿[الشع: ١٩٣-١٩٤]. ويحتمل أن يكون المرادُ بها: أرواح بني آدم تعرج إلى الله ﷻ بعد الموت ثم إن كانت صالحة فتحت لها أبواب السماء، وإلا أغلقت أبواب السماء دونها وطُرحت على الأرض - والعياذُ بالله-.

❦ وقوله - جل ذكره -: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾، ﴿إِلَيْهِ﴾. إلى من؟ إلى الله ﴿يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾. الكلم: اسم جمع للكلام، والمراد بالكلم الطيب كل كلام يُقرب إلى الله ﷻ فهو كلمٌ طيب، أعظمه كلام الله ﷻ ثم الذكر، ثم الأمر بالمعروف، فهو درجات، لا تستطيع أن ترتبها، لكن المراد بالكلم الطيب كل كلام يُقربُ إلى الله ﷻ فهو يصعدُ إلى الله، ولا يكون كلمًا طيبًا إلا إذا كان مبنياً على الإخلاص وعلى المتابعة؛ لأن ما لا إخلاصَ فيه فليس بطيب وما لا متابعةَ فيه فليس بطيب أيضاً.

❦ وقوله: ﴿وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾. اختلف العلماء في فاعل يرفع، فقيل: الفاعل هو الله؛ يعني: أن الله يرفعُ العملَ الصالح، وقيل: إن المراد به أن العملَ الصالحَ يرفعُ الكلمَ الطيبَ فيكونُ فاعلُ الرفع هو العملُ الصالح، والأقرب الأول: أن الله ﷻ، يرفعُ العملَ الصالحَ، فإنه لما ذكر القول أنه يصعدُ إلى الله ﷻ بين أن العملَ الصالحَ أيضاً يُرفع عند الله ﷻ، ويجزه يوم القيامة الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمئة ضعف إلى أضعاف كثيرة.

ثم ذكر الأثر أثر أبي ذر أنه قال لأخيه: اعلم لي علم هذا الرجل الذي يزعم أنه يأتيه الخبرُ من السماء، «من» هذه لابتداء الغاية؛ لأن من السماء إلى الأرض، والخبر الذي يأتي الرسول ﷺ هو الوحي، فإذا كان من السماء كان الموحى به في السماء، فيكون في هذا دليل على علو الله ﷻ، وقال

مجاهد: «العمل الصالح يرفع الكلم الطيب» وهذا أحد التفسيرين في الآية وعليه يكون فاعل الرفع العمل الصالح.

❦ وقوله: «يقال: ذي المعارج، الملائكة تعرج إلى الله». يشير إلى آية سورة المعارج، ﴿لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ ﴿١﴾ مِنْ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ ﴿٢﴾ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ ﴿٣﴾﴾ [المعارج: ٢-٤]. فهذا معنى قوله: ﴿ذِي الْمَعَارِجِ﴾؛ أي أن الملائكة تعرج إلى الله ﷻ، وهذا نظير قوله: ﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ﴾ [المعارج: ١٥]. يعني: أن الله ﷻ رفيع الدرجات نفسه، ومن قال: إن معناها: رافع الدرجات فقد أخطأ، لأن هذه صفة مشبهة أضيفت إلى الفاعل؛ يعني: أن درجاته رفيعة ﷻ.

\*\*\*

٧٤٢٩- حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ، حَدَّثَنِي مَالِكٌ، عَنْ أَبِي الزِّنَادِ، عَنِ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ مَلَائِكَةٌ بِاللَّيْلِ وَمَلَائِكَةٌ بِالنَّهَارِ وَيَجْتَمِعُونَ فِي صَلَاةِ الْعَصْرِ وَصَلَاةِ الْفَجْرِ، ثُمَّ يَعْرُجُ الَّذِينَ بَاتُوا فِيكُمْ فَيَسْأَلُهُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ يَقُولُ: كَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبَادِي يَقُولُونَ: تَرَكْنَاهُمْ وَهُمْ يَصَلُّونَ وَأَتَيْنَاهُمْ وَهُمْ يَصَلُّونَ»<sup>(١)</sup>.

❦ الشاهد من هذا الحديث قوله: «ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم»؛ يعني: الله ﷻ «وهو أعلم بهم».

أولاً: في هذا الحديث إشكال لغوي، وهو قوله: «يتعاقبون فيكم ملائكة»، والمشهور في لغة العرب أن علامة الجمع لا تلحق الفعل إذا كان الفاعل ظاهراً، فيقال في هذا: يتعاقب فيكم ملائكة، هذه اللغة الفصحى، والواو هنا في قوله: «يتعاقبون». حرف دال على الجمع وليس فاعلاً، بل الفاعل: ملائكة، وقد اختلف النحويون في تخريج هذه اللغة فقيل: إنها شاذة.

والشاذ يقول العلماء: إنه يُحفظ ولا يُقاس عليه بمعنى نحفظه من كلام العرب ولكننا لا نتكلم بمثله؛ لأنه شاذ، وقيل: بل هو لغة لكنها رديئة وقليلة، وعلى هذا فيمكن أن نتحدث بمثلهما، لكن نقول للمتحدث بمثلهما: أن هذه اللغة رديئة، وقيل: بل الفاعل هو ضمير يتعاقبون وما بعده بيان؛ يعني عطف بيان أو بدل. فأبهمه أولاً ثم بيّنه ثانياً؛ لأن البيان بعد الإبهام يأتي إلى القلب وهو متطلع لمعرفة هذا المبهم.

فمثلاً: «يتعاقبون فيكم»، سيقول الإنسان: من هؤلاء الذين يتعاقبون؟ فإذا قلنا: الملائكة فبيّن بعد الإبهام صار هذا أوقع في نفس السامع ولعل هذا أقرب ما يُقال.

فأقرب ما يُقال: أن الواو فاعل، وملائكة عطف بيان أو بدل، ونظيره ما قوله تعالى: ﴿فَعَمَّوْا وَصَمُّوْا ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمَّوْا وَصَمُّوْا كَثِيرٌ مِنْهُمْ﴾ [التكوير: ٧١]. فقال: عموا وصموا على سبيل الإبهام، ثم قال ﴿كَثِيرٌ



وَتَهُمْ ﴿. لئلا يُظَنَّ أَنَّهُمْ كُلُّهُمْ عُمُوا وَصَمُوا. هذه واحدة.

**الثانية:** في هذا الحديث: أن هؤلاء الملائكة يجتمعون في صلاة العصر وصلاة الفجر ولهذا  
 حث النبي ﷺ على المحافظة عليها، وقال: «مَنْ صَلَّى الْبَرْدَيْنِ دَخَلَ الْجَنَّةَ» <sup>(١)</sup>، وقال حين تحدث عن  
 رؤية المؤمنين لربهم، قال: «إِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَلَّا تُغْلَبُوا عَلَى صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ، وَصَلَاةٍ قَبْلَ  
 غُرُوبِهَا، فَأَفْعَلُوا، فَهَاتَانِ الصَّلَاتَانِ هُم طَرَفَا النَّهَارِ»، وفيها فوائد:

**منها:** أن الملائكة الموكِّلين بنا يجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر.

**ومن فوائد هذا الحديث:**

التنويه لهؤلاء المصلين، لأن سؤال الله للملائكة ليس سؤال استفهام للعلم، بل هو تَعَلُّقٌ، أعلم،  
 لكنه سؤال استفهام للرفع من شأنهم، والتنويه بفضلهم.

\*\*\*

٧٤٣٠- وَقَالَ خَالِدُ بْنُ مَخْلَدٍ، حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ، حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ دِينَارٍ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي  
 هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلِ تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ وَلَا يَصْعَدُ إِلَى اللَّهِ إِلَّا الطَّيِّبُ  
 فَإِنَّ اللَّهَ يَقْبَلُهَا بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يُرِيهَا لِصَاحِبِهِ كَمَا يُرِيَّ أَحَدُكُمْ فَلُوهُ حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الْجَبَلِ». وَرَوَاهُ وَرَقَاءُ  
 عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دِينَارٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ «وَلَا يَصْعَدُ إِلَى اللَّهِ إِلَّا  
 الطَّيِّبُ».

**هذا أيضًا فيه:** ذكر العلو المستفاد من قوله: «ولا يصعد إلى الله إلا الطيب»، والصعود يكون من  
 أسفل إلى أعلى، وهذا الحديث روي بهذا اللفظ كما قال البخاري رحمه الله، وروي: «مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلِ  
 تَمْرَةٍ مِنْ طَيِّبٍ وَلَا يَقْبَلُ اللَّهُ إِلَّا الطَّيِّبَ». أيها أعم؟

**الجواب:** أعم، لأننا نقول: إن الشيء قد يكون خبيثًا بكسبه، وقد يكون خبيثًا بعينه، فلو تصدق  
 الإنسان بكأس من خمر، فهنا نقول: هذا يكون تصدق بشيء غير طيب لا من كسبه، ثم خمره، بعد هذا  
 يكون قوله: «من طيب»، أعم من قوله: «من كسب طيب»، ليشمل ما كان طيبًا في كسبه وما كان  
 طيبًا في عينه.

❦ وقوله: «لا يقبل الله إلا الطيب»، ظاهره أن الله لا يقبل إلا الطيب، ولو كان الإنسان جاهلاً  
 به، وهو كذلك، لكن الإنسان يُثَاب على نيته.

**وفي هذا الحديث أيضًا:** من صفات الله إثبات اليمين لله، «فإن الله يتقبلها بيمينه».

\*\*\*

٧٤٣١- حَدَّثَنَا عَبْدُ الْأَعْلَى بْنُ حَمَّادٍ، حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ، حَدَّثَنَا سَعِيدٌ عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ،

عَنْ أَبِي عَبَّاسٍ أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَدْعُو بِهِمْ عِنْدَ الْكَرْبِ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْعَظِيمُ الْحَلِيمُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ»<sup>(١)</sup>.

يوجد فرق بين هذا الحديث والذي سبق، هنا قال: العظيم الحليم، وهناك قال: العليم الحليم.

\*\*\*

٧٤٣٢- حَدَّثَنَا قَبِيصَةُ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَعْمٍ - أَوْ أَبِي نَعْمٍ، شَكَّ قَبِيصَةُ - عَنْ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ: بُعِثَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ بِذُهِيبَةٍ فَقَسَمَهَا بَيْنَ أَرْبَعَةٍ، وَحَدَّثَنِي إِسْحَاقُ بْنُ نَصْرِ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، أَخْبَرَنَا سُفْيَانُ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَعْمٍ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، قَالَ: بَعَثَ عَلَيَّ وَهُوَ فِي الْيَمَنِ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ بِذُهِيبَةٍ فِي ثَرِيئِهَا فَقَسَمَهَا بَيْنَ الْأَقْرَعِ بْنِ حَابِسٍ الْحَنْظَلِيِّ، ثُمَّ أَحَدِ بَنِي مُجَاشِعٍ، وَبَيْنَ عَيْثَةَ بْنِ بَدْرِ الْفَزَارِيِّ، وَبَيْنَ عَلَقَمَةَ ابْنِ عَلَاتَةَ الْعَامِرِيِّ، ثُمَّ أَحَدِ بَنِي كِلَابٍ، وَبَيْنَ زَيْدِ الْخَيْلِ الطَّائِي، ثُمَّ أَحَدِ بَنِي نَبْهَانَ، فَتَغَيَّظَتْ قُرَيْشٌ وَالْأَنْصَارُ فَقَالُوا: يُعْطِيهِ صَنَادِيدُ أَهْلِ نَجْدٍ وَيَدْعُونَا! قَالَ: «إِنَّمَا أَنَا لِفَهْمٍ» فَأَقْبَلَ رَجُلٌ غَائِرُ الْعَيْنَيْنِ، نَاتِي الْجَبِينِ، كَثَّ اللَّحْيَةِ، مُشْرِفُ الْوُجْهَتَيْنِ، تَخْلُقُ الرَّأْسَ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ اتَّقِ اللَّهَ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «فَمَنْ يُطِيعُ اللَّهَ إِذَا عَصَيْتَهُ، فَيَأْمُنُنِي عَلَى أَهْلِ الْأَرْضِ وَلَا تَأْمُنُونِي» فَسَأَلَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ قَتْلَهُ - أَرَاهُ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ - فَمَنْعَهُ النَّبِيُّ ﷺ فَلَمَّا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ مِنْ ضَيْضِي هَذَا قَوْمًا يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ يَمْرُقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ مُرُوقَ السَّهْمِ مِنَ الرَّمِيَةِ يَقْتُلُونَ أَهْلَ الْإِسْلَامِ وَيَدْعُونَ أَهْلَ الْأَوْتَانِ لِيَنْ أَدْرَكْتَهُمْ لَا قَتْلَتَهُمْ قَتْلَ عَادٍ»<sup>(٢)</sup>.

الشاهد من هذا الحديث: ما أشار إليه المؤلف رحمه الله، وهو قوله: «فيا مني على أهل الأرض، ولا تأمنوني»، فإن في بعض ألفاظه ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء، وكعادة البخاري رحمه الله، يذكر سياقاً يُشير به إلى سياق آخر.

والشاهد من هذا: قوله: «وأنا أمين من في السماء»، أهل السنة والجماعة يقولون: إن الله في السماء أي فوق السماء، وأهل التعطيل يقولون: في السماء ملكه وسلطانه، فيفسرون قول الله تعالى: ﴿ءَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ﴾ [الملك: ١٦]. على النحو التالي: أأمتم من في السماء ملكه وسلطانه، ولا شك أن هذا خروج عن ظاهر اللفظ، وأنه يؤدي إلى معنى فاسد وهو أنه لا ملك ولا سلطان لله في الأرض مع أن الله تعالى ملكه في السماء والأرض، كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ﴾ [الأنعام: ٨٤]، إله لمن في الأرض، وإله لمن في السماء، وسبق لنا جواب على إشكال ورد وهو كيف نُخْرِجُ قوله: ﴿فِي السَّمَاءِ﴾، هل نجعل «في» ظرفية، أو نجعلها بمعنى «على»؟ وذكرنا عن ذلك جوابين:

الجواب الأول: أن نجعل السماء هنا بمعنى العلو وحينئذ نجعل «في» للظرفية.

(١) أخرجه ومسلم (٢٧٣٠).

(٢) أخرجه مسلم (١٠٦٤).



**والثاني:** أن نجعل السماء؛ يعني: السموات التي هي السقف المحفوظ وحيثُ يُتَعَيَّن أن تكونَ «في» بمعنى «على».

**وفي هذا دليل:** على أن الخروجَ على الإمام من دأب الخوارج؛ لأن الرسول ﷺ أخبر بأنه يكونُ موضوعٌ لهذا الرجل أي: من سمِّيه وشكَّله قوم يقرءون القرآن لا يجاوزُ حناجرَهم يمرقون من الإسلام مروقَ السهم من الرِّمَّة - نسأل الله العافية -، فمروق السهم من الرِّمَّة سريعٌ جدًّا، السهم إذا ضرب الرِّمَّة خرقها ثم خرج من الجانب الآخر بسرعة، فهؤلاء كذلك يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرِّمَّة ثم ذكر وصفه العدواني: أنهم يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان، وهذا هو الذي حصل في صدرِ هذه الأمة أن هؤلاء كفروا الناس - أعني الخوارج - واستباحوا دماءَهم وأموالَهم، ولم يذهبوا يقاتلون في أرجاء الأرض، صاروا يقاتلون ولاية الأمور ومن ساعدتهم ولا يقاتلون في مشارق الأرض ومغاربها أهل الكفر والأوثان.

وفي وصف الرجل الذي أقبل: دليل على أن الراوي قد ضبط القضية حتى أدرك أوصافَ الرجل الذي خرج على النبي ﷺ في قسمته، وقال له: يا محمد اتقِ الله <sup>(١)</sup>، ولم يقل: يا رسول الله، وهذه من علاماتِ الخوارج، أنهم يحطُّون من رتبة مَنْ له رتبة، ولا يخاطبونه بمقتضى رتبته، بل يُنزِلونه، وهنا يقول: اتقِ الله، ولا شك أن الرسول ﷺ لم يغضب إذا قيل له: اتقِ الله، فإن الله قد قال له: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ﴾ [الاحزاب: ١]، وقال: ﴿وَاتَّقِ اللَّهَ وَخُفِيَ فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ﴾ [الاحزاب: ٣٧]، لكن لما كان وراء هذه الكلمة ما وراءها تكلم النبي ﷺ بهذا الكلام، وقال: «فمن يطع الله إذا عصيته»، إذا كان رسوله يعصي الله فمن الذي يُطِيعُ الله، وفي لفظ آخر قال: «ويحك مَنْ يعدل إذا لم أعدل» <sup>(٢)</sup>، وهذا هو الحقُّ إذا كان الرسول لا يعدلُ فمن الذي يعدل، إذا كان لا يتقي الله فمن الذي يتقي الله؟!

**قَالَ الْعَبْدِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «عَمْدَةِ الْقَارِي»:**

❁ قوله: «لأقتلنهم» قيل: لما منع خالد بن الوليد وقد أدركه، وأجيب بأنه: إنما أراد إدراك طائفتهم وزمان كثرتهم وخروجهم على الناس بالسيف، وإنما أُنذر رسول الله ﷺ أن سيكون ذلك وقد كان كما قال وأول ما نجم هو في زمان علي رَحِمَهُ اللَّهُ.

❁ قوله: «قتل عاد» وقد تقدم في بعث علي إلى اليمن أنه قَالَ: لأقتلنهم قتل ثمود ولا تعارض؛ لأن الغرض منه الاستئصال بالكلية وعاد وثمود سواء فيهِ إذ عاد استؤصلت بالريح الصرصر، وثمود أهلكوا بالطاغية، قال الكرمانى: ما معنى كقتل حيث لا قتل وأجاب: بأن المراد لازمه وهو الهلاك ويحتمل أن تكون الإضافة إلى الفاعل ويراد به: القتل الشديد القوي لأنهم مشهورون بالشدة والقوة.

(١) رواه البخاري (٤٣٥١)، ومسلم (١٤٤) (١٠٦٤).

(٢) رواه البخاري (٣١٥٠)، ومسلم (١٠٦٣).

**الظاهر:** الأول وأن المعنى ليس «قتل عاد»، أن عاد إذا قتلوا أحداً، فإنهم يقتلونه بطريقة الشدة، والغلظة، والظاهر والله أعلم: أن هذه كلمة تقال معروفة عند العرب، والمراد بها الإهلاك.

\*\*\*

٧٤٣٣- حَدَّثَنَا عِيَّاشُ بْنُ الْوَلِيدِ، حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، عَنْ الْأَعْمَشِ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ التَّيْمِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي ذَرٍّ، قَالَ سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ عَنْ قَوْلِهِ: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا﴾ [سورة: ٣٨]. قَالَ: مُسْتَقَرُّهَا تَحْتَ الْعَرْشِ.<sup>(١)</sup>

**الشاهد قوله:** «تحت العرش»، ولا شك أن الشمس عالية جداً، فإذا كانت تحت العرش لزم من هذا أن يكون العرش عاليًا علوًا عظيمًا.

\*\*\*

٢٤- باب قول الله تعالى: ﴿وَجُوهُ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ﴾ (٢٢) إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ ﴿٢٣﴾ [البقرة: ٢٢-٢٣].

هذا أيضًا من اعتقاد أهل السنة والجاعة إثباتهم النظر إلى وجه الله ﷻ وهو الذي ترجم فيه البخاري رحمه الله، وترجم بالآية كما أسلفنا في أول الكلام على كتاب التوحيد.

**قلنا:** إن المؤلف رحمه الله، صدر كثيرًا من أبواب التوحيد بالآيات وليس هذا من عادته في الصحيح، لكن ليدفع قول أهل البدع إنه لا يعتد بخبر الأحاد في باب العقائد، فإذا صدر الحديث بآيات من القرآن انقطعت هذه القاعدة من أصلها.

﴿وَجُوهُ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ﴾ (٢٢) إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ؛ يعني: في الآخرة، ﴿وَجُوهُ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ﴾ (٢١) [البقرة: ٢٤]؛ يعني: كالحية تَنْظُرُ أَنْ يَقْتُلَهَا فَافِرَةٌ ﴿٢٥﴾ [البقرة: ٢٥]؛ أي: مهلكة تهلكهم وتقطع ظهورهم.

﴿وَجُوهُ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ﴾؛ انظروا إلى كتابة الكلمتين، «ناضرة»، و«ناطرة»؛ تجد بينهما فرقًا، ﴿وَجُوهُ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ﴾؛ أي حسنه، ﴿إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾؛ يعني: إلى الله، ناطرة بالعين، ويتعين أن يكون ذلك بالعين؛ لأنه أضافه إلى الوجوه التي هي محل الأعين، والآية واضحة وصريحة، ولها شواهد من القرآن مثل قوله -تبارك وتعالى-: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا لِحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [البقرة: ٢٦]. حيث فسر النبي ﷺ الزيادة بأنها النظر إلى وجهه الله <sup>(٢)</sup>، ومثل قوله -تبارك وتعالى-: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ [البقرة: ١٠٣]. فإن نفى الإدراك يدل على وجود أصل الرؤية ولو كان أصل الرؤية غير موجود لكان النفي مسلطًا عليهم، فيقال: لا تراه الأبصار، فلما قال: ﴿لَا تُدْرِكُهُ﴾. علم أنها تراه لكن بدون إدراك.

**ثالثًا:** قوله -تبارك وتعالى-: ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [البقرة: ٣٥]. فإن قوله: ﴿مَزِيدٌ﴾.

(١) رواه البخاري (٧٤٣٣)، ومسلم (١٥٩).

(٢) رواه مسلم (١٨١).



يُحْمَلُ عَلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَّذِينَ أَحْسَنُوا لِنَفْسِهِمْ وَزِيَادَةٌ﴾. وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿عَلَى الْأَرْبَابِكُمْ يَنْظُرُونَ﴾ (٣٥) [الْمُطَفِّفِينَ: ٣٥]. يَنْظُرُونَ اللَّهُ ﷻ، لِقَوْلِهِ فِي نَفْسِ السُّورَةِ عَنِ الْفَجَارِ: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾ (١٥) [الْمُطَفِّفِينَ: ١٥]. فَيَكُونُ النَّظَرُ، أَيِ النَّظَرِ إِلَى اللَّهِ ﷻ، وَإِنْ كَانَ اللَّفْظُ أَعْمَ مِنْ ذَلِكَ لِيَشْمَلَ النَّظَرَ إِلَى وَجْهِ اللَّهِ، وَإِلَى كُلِّ مَا أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مِنْ نَعِيمٍ، لَكِنَّ الَّذِي يَظْهَرُ أَنَّ الْمُرَادَ النَّظَرَ إِلَى اللَّهِ.

ومن أدلة النظر إلى وجه الله:

❦ قَوْلُهُ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى-: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾؛ يَعْنِي: الْفَجَارَ، فَإِذَا كَانَ الْفَجَارُ مَحْجُوبُونَ عَنِ اللَّهِ دَلَّ ذَلِكَ عَلَى أَنَّ الْأَبْرَارَ يَنْظُرُونَ إِلَى اللَّهِ، وَلَوْ كَانَ النَّظَرُ مَمْتَنًّا عَلَى الْأَبْرَارِ لَكَانَ لَا فَرْقَ بَيْنَ الْأَبْرَارِ وَبَيْنَ الْفَجَارِ، فَهَذِهِ آيَاتُ مِنَ الْقُرْآنِ كُلِّهَا تَدُلُّ عَلَى ثُبُوتِ رُؤْيَا اللَّهِ ﷻ، وَلِهَذَا قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: إِنْ مِنْ أَنْكَرَ رُؤْيَا اللَّهِ فَإِنَّهُ كَافِرٌ؛ لِأَنَّ الْآيَاتِ الْوَارِدَةَ فِيهَا لَا تَحْتَمِلُ التَّأْوِيلَ، وَإِذَا كَانَتْ لَا تَحْتَمِلُ التَّأْوِيلَ صَارَ تَأْوِيلُهَا بِمَنْزِلَةِ الْجَحْدِ لَهَا، وَقَدْ مَرَّ عَلَيْنَا شَيْءٌ مِنْ هَذَا، أَنَّ النُّصُوصَ إِذَا لَمْ تَحْتَمِلِ التَّأْوِيلَ فَأَوَّلُهَا الْإِنْسَانُ فَهَذَا يَعْنِي أَنَّهُ رَدُّهَا؛ لِأَنَّهُ رَدُّهَا، فَالتَّأْوِيلُ إِنَّمَا يَكُونُ عَذْرًا إِذَا كَانَ النَّصُّ يَحْتَمِلُ ذَلِكَ. أَمَّا مَعَ عَدَمِ الْإِحْتِمَالِ فَلَا تَأْوِيلَ، وَهَذَا هُوَ مَذْهَبُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، وَأَنْكَرَ ذَلِكَ الْأَشَاعِرَةُ وَالْمُعْتَزَلَةُ، وَنَحْوُهُمْ، وَقَالُوا: لَا يُمْكِنُ أَنْ نَرَى لِأَنَّكَ إِذَا رَأَيْتَ اللَّهَ فَقَدْ حُدِّدْتَهُ وَجَعَلْتَ لَهُ حَدًّا -سَبَّحَانَ اللَّهِ!- الرَّبُّ ﷻ ثَبَتَ أَنَّهُ يُنْظَرُ إِلَيْهِ وَرَسُولُهُ كَذَلِكَ وَأَنْتُمْ تَقُولُونَ: لَا، فَتَقْدُمُونَ الْقِيَاسَ عَلَى النَّصِّ.

وقال العلماء: وَأَوَّلُ مَنْ قَدَّمَ الْقِيَاسَ عَلَى النَّصِّ هُوَ إِبْلِيسُ، فَيَكُونُ مَنْ قَدَّمَ الْقِيَاسَ عَلَى النَّصِّ مِنْ جُنُودِ إِبْلِيسَ.

وَلَا شَكَّ أَنَّ هَذَا قِيَاسٌ فِي مَقَابِلَةِ النَّصِّ فَيَكُونُ فَاسِدًا لِإِعْتِبَارِ، وَلَمَّا قِيلَ لَهُمْ: عَنْ مَاذَا تَجِيبُونَ الْآيَاتِ الْوَاضِحَةَ الصَّرِيحَةَ؟ قَالُوا: نَقُولُ: إِنْ قَوْلُهُ: ﴿إِنْ رَبُّهَا نَاطِرَةٌ﴾؛ أَيِ إِلَى ثَوَابِ رَبِّهَا فَهُوَ مِنْ مَجَازِ الْحَذْفِ، وَعِنْدَهُمْ أَنَّ الْمَجَازَ أَنْوَاعٌ، مِنْهَا مَجَازُ الْحَذْفِ بِأَنْ يُحْذَفَ مِنَ الْكَلَامِ مَا يُعْلَمُ وَقَدْ قَالَ ابْنُ مَالِكٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَحَذَفَ مَا يُعْلَمُ جَائِزٌ.

❦ فنقول: إِذَا قَالُوا: إِلَى ثَوَابِ رَبِّهَا هَذَا مَعْنَى جَدِيدٌ يَخَالِفُ الظَّاهِرَ، فَمَنْ قَالَ: إِنْ اللَّهَ أَرَادَ مَا قُلْتُمْ، الْأَصْلُ أَنَّ اللَّفْظَ يُرَادُّ بِهِ ظَاهِرُهُ، لَا يُرَادُّ بِهِ سِوَاهُ، وَمَنْ ادَّعَى خِلَافَ الظَّاهِرِ فَعَلِيهِ الدَّلِيلُ، وَكَيْفَ نَعْدِلُ عَنِ الظَّاهِرِ مَعَ أَنَّهُ مُؤَيَّدٌ بِآيَاتٍ أُخْرَى وَمُؤَيَّدٌ بِأَحَادِيثٍ صَّرِيحَةٍ لَا تَحْتَمِلُ التَّأْوِيلَ بِوَجْهِهِ مِنَ الْوُجُوهِ.

❦ وعلى هذا فنقول: إِنْ مِنْ عَقِيدَتِنَا أَنْ نُؤْمِنَ أَنَّ اللَّهَ ﷻ، يُرَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَكِنْ مَنْ الَّذِي يَرَاهُ؟ وَمَتَى يُرَى؟ فنقول: الَّذِي يَرَاهُ رُؤْيَا رَضَاهُ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ، هُمُ الَّذِينَ يَرَوْنَ اللَّهَ وَيُرُونَهُ فِي عَرَصَاتِ الْقِيَامَةِ، وَيُرُونَهُ بَعْدَ دُخُولِ الْجَنَّةِ كَمَا يَشَاءُ اللَّهُ، وَأَمَّا الْكَافَرُ الْخَلَصُ فَلَا يَرُونَ اللَّهَ؛ لِقَوْلِهِ: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾. وَأَمَّا الْمُنَافِقُونَ فَيُرُونَ اللَّهَ ﷻ، فِي عَرَصَاتِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ يُحْجَبُونَ عَنْهُ فَلَا يَرُونَهُ،

وهذا أشد مما لو لم يكونوا رأوه من قبل، يعني: كونهم يرون الله ثم يُحجب عنهم أعظم مما لو أن يكونوا رأوه أصلاً، ولهذا كان عذاب المنافقين بحجبهم عن رؤية الله أشد من عذاب الكافرين الذين لم يروه، هذا بيان من يرى الله، ومتى يرى الله؟.

أما لو قال قائل: كيف يرى الله؟ فهذا هو الذي يجب الامتناع عنه، وأن نقول: إن صفات الله ليس فيها كيف، نقول: هو على كيفية الله أعلم بها، نحن لا ندري، نقول: إن الله يرى، أما كيف يرى؟ فإن هذا علمه عند الله ﷻ.

٧٤٣٤- حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ عَوْنٍ، حَدَّثَنَا خَالِدٌ، أَوْ هَشِيمٌ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ، عَنْ قَيْسٍ، عَنْ جَرِيرٍ، قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ إِذْ نَظَرَ إِلَى الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ قَالَ: «إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرُونَ هَذَا الْقَمَرَ لَا تَضَامُونَ فِي رُؤْيَيْهِ، فَإِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لَا تَغْلِبُوا عَلَى صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَصَلَاةٍ قَبْلَ غُرُوبِ الشَّمْسِ فَافْعَلُوا»<sup>(١)</sup>.

صريح «إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر» وهم يرون القمر رؤية صريحة واضحة، والتشبيه هنا ليس تشبيه للمرئي بالمرئي، ولكنه تشبيه للرؤية بالرؤية؛ أي أنها رؤية حقيقة كما يرى القمر، والدليل على أنها تشبيه الرؤية بالرؤية: أن «ما»، في قوله: «كما ترون»، مصدرية، فإذا حولنا الفعل بعدها إلى مصدر، صار ترتيب الكلام: إنكم سترون ربكم كروية هذا القمر، هذا من حيث اللفظ.

من حيث المعنى قوله تعالى: «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ»<sup>(١١)</sup> [البقرة: ١١]. فلا يمكن أن يكون الله تعالى مثل القمر.

وقوله: «لا تضامون في رؤيته»، فيها عدة روايات منها، هذا اللفظ: لا تضامون؛ أي لا يلحقكم ضيم وضيق.

**ومنها:** لا تضامون؛ يعني: لا يضم بعضكم بعضاً ليؤريه الآخر؛ لأن الشيء الخفي إذا تراءاه الناس تجد كل واحد يقول: تعال، يمسك بأخيه يضمه لنفسه يقول: انظر هنا أو حولنا.

**ومن النفاضة:** «لا تضارون في رؤيته»؛ يعني لا يجد بعضكم بعضاً في الرؤية، بل كل إنسان يراه بدون ضيم ولا مظانه ولا ضرر، كل يراه في مكانه كالقمر، القمر يراه الناس في البلد، ويراه المسافرون في البر، ويراه أهل البحر في البحر، ويراه أهل الجو في الجو، وكل واحد يراه بمفرده.

**وفي هذا الحديث:** دليل على فضيلة صلاة الفجر، وفضلية صلاة العصر، فصلاة العصر هي الصلاة الوسطى كما دل على ذلك الحديث الصحيح حين قال النبي ﷺ في غزوة الخندق:



«شغلونا عن الصلاة الوسطى، صلاة العصر»<sup>(١)</sup>.

وصلاة الفجر مشهودة كما قال تعالى: ﴿إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ [الأنعام: ٧٨].

٧٤٣٥- حَدَّثَنَا يُونُسُ بْنُ مُوسَى، حَدَّثَنَا عَاصِمُ بْنُ يُونُسَ الْيَرْبُوعِيُّ، حَدَّثَنَا أَبُو شَهَابٍ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَبِي خَالِدٍ، عَنْ قَيْسِ بْنِ أَبِي حَازِمٍ، عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ «إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ عَيْنًا»<sup>(٢)</sup>.

قوله: «عَيْنًا» مصدر عَاينَ يُعَاينُ عَيْنًا، فجاهد يُجاهدُ جهادًا، والمصدر الثاني لعَاينَ معاينة، والمراد بذلك: الرؤية بالعين، يقول رأيتُ معاينة؛ أي بعيني.

كيف يُجيب أهل التعطيل على قول الرسول: «عَيْنًا»، «وكما ترون القمر»؟  
يجيبون عن هذا أنها أحاديثُ آحادٍ، وأحاديثُ الآحادِ لا تُقبلُ في العقائد، وهذا الجواب لا صحة له؛ لأن أحاديثَ الرؤية مما تواترت عن النبي ﷺ.

ثم يقولون: إن المراد المبالغة في اليقين؛ يعني: ترونه بقلوبكم كما ترون القمر بأعينكم وهذا أيضًا تحريفٌ، لأن الرسول ﷺ قال في الأحاديث التي ستأتي: «كما ترون الشمس ليس دونها سحاب»، يقول بعض السلف: اللهم مَنْ أنكر رؤيتك في الدنيا فاحرمه إياها في الآخرة، كما أن مَنْ لبس الحرير في الدنيا حُرِمه في الآخرة، وَمَنْ شرب الخمر في الدنيا لم يشربها في الآخرة.

\*\*\*

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٤٣٦- حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، حَدَّثَنَا حُسَيْنُ الْجَعْفِيُّ، عَنْ زَائِدَةَ، حَدَّثَنَا يَبَّانُ بْنُ بَشْرٍ، عَنْ قَيْسِ بْنِ أَبِي حَازِمٍ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَيْلَةَ الْبَدْرِ فَقَالَ «إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَمَا تَرُونَ هَذَا، لَا تَضَامُونَ فِي رُؤُوسِهِ»<sup>(٣)</sup>.

٧٤٣٧- حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعْدٍ، عَنْ ابْنِ شَهَابٍ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَزِيدَ اللَّيْثِيِّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ النَّاسَ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ تَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «هَلْ تَضَارُونَ فِي الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ». قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: «فَهَلْ تَضَارُونَ فِي الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ». قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: «فَإِنَّكُمْ تَرُونَهُ كَذَلِكَ، يَجْمَعُ اللَّهُ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَقُولُ: مَنْ كَانَ يَعْبُدُ شَيْئًا فَلْيَتَّبِعْهُ. فَيَتَّبِعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الشَّمْسَ الشَّمْسَ، وَيَتَّبِعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الْقَمَرَ الْقَمَرَ، وَيَتَّبِعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الطَّوَاغِيتَ الطَّوَاغِيتَ، وَتَبَقِيَ هَذِهِ الْأُمَّةُ فِيهَا شَافِعُوهَا - أَوْ مُنَافِقُوهَا شَكَّ

(١) رواه البخاري (٦٣٩٦)، ومسلم (٦٢٨).

(٢) رواه البخاري (٧٤٣٥)، ومسلم (٦٣٣).

(٣) رواه البخاري (٧٤٣٦)، ومسلم (٦٣٣).



إِبْرَاهِيمَ - فَيَأْتِيهِمُ اللَّهُ: فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ. فَيَقُولُونَ: هَذَا مَكَانُنَا حَتَّى يَأْتِيَنَا رَبُّنَا فَإِذَا جَاءَنَا رَبُّنَا عَرَفْنَا، فَيَأْتِيهِمُ اللَّهُ فِي صُورَتِهِ الَّتِي يَعْرِفُونَ فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ. فَيَقُولُونَ: أَنْتَ رَبُّنَا. فَيَتَّبِعُونَهُ، وَيَضْرِبُ السَّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَيْ جَهَنَّمَ، فَأَكُونُ أَنَا وَأَنْتِي أَوَّلَ مَنْ يُجِيزُهَا، وَلَا يَنْكَلُمُ يَوْمَئِذٍ إِلَّا الرُّسُلُ، وَدَعَا الرُّسُلُ يَوْمَئِذٍ: اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ. وَفِي جَهَنَّمَ كَلَالِيْبٌ مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ، هَلْ رَأَيْتُمُ السَّعْدَانِ؟» قَالُوا: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: «فَإِنَّهَا مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ، غَيْرَ أَنَّهُ لَا يَعْلَمُ مَا قَدَرُ عِظَمِهَا إِلَّا اللَّهُ، تَخْطِفُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ، فَمِنْهُمْ الْمُؤَبَّقُ بَقِيٍّ بِعَمَلِهِ، وَمِنْهُمْ الْمُخْرَدُلُ أَوْ الْمُجَارِى أَوْ نَحْوُهُ، ثُمَّ يَنْجَلِي حَتَّى إِذَا فَرَّغَ اللَّهُ مِنَ الْقَضَاءِ بَيْنَ الْعِبَادِ وَارَادَ أَنْ يُخْرِجَ بِرَحْمَتِهِ مَنْ ارَادَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ أَمْرَ الْمَلَائِكَةِ أَنْ يُخْرِجُوا مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا، يَحْتَنُّ ارَادَ اللَّهُ أَنْ يَرْحَمَهُ يَحْتَنُّ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَيَعْرِفُونَهُمْ فِي النَّارِ بِأَثَرِ السُّجُودِ، تَأْكُلُ النَّارُ ابْنَ آدَمَ إِلَّا أَثَرُ السُّجُودِ، حَرَّمَ اللَّهُ عَلَى النَّارِ أَنْ تَأْكُلَ أَثَرُ السُّجُودِ، فَيُخْرِجُونَ مِنَ النَّارِ قَدْ امْتَحَشُوا، فَيُصَبُّ عَلَيْهِمْ مَاءُ الْحَيَاةِ فَيَنْبُتُونَ تَحْتَهُ كَمَا تَنْبُتُ الْحَبَّةُ فِي حِمْلِ السَّيْلِ، ثُمَّ يَقْرَعُ اللَّهُ مِنَ الْقَضَاءِ بَيْنَ الْعِبَادِ، وَيَقْبَلُ رَجُلٌ مُقْبِلٌ بِوَجْهِهِ عَلَى النَّارِ هُوَ آخِرُ أَهْلِ النَّارِ دُخُولًا الْجَنَّةَ فَيَقُولُ: أَيُّ رَبِّ أَصْرِفُ وَجْهِي عَنِ النَّارِ، فَإِنَّهُ قَدْ قَسَبَنِي رِيحُهَا وَأَحْرَقَنِي ذُكَاؤُهَا. فَيَدْعُو اللَّهَ بِمَا شَاءَ أَنْ يَدْعُوهُ ثُمَّ يَقُولُ اللَّهُ: هَلْ عَسَيْتَ إِنْ أُعْطِيتَ ذَلِكَ أَنْ تَسْأَلَنِي غَيْرَهُ. فَيَقُولُ: لَا وَعِزَّتِكَ لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهُ، وَيُعْطِي رَبُّهُ مِنْ عُهُودٍ وَمَوَاقِيقَ مَا شَاءَ، فَيُصْرَفُ اللَّهُ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ، فَإِذَا أَقْبَلَ عَلَى الْجَنَّةِ وَرَأَاهَا سَكَتَ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَسْكُتَ ثُمَّ يَقُولُ: أَيُّ رَبِّ قَدَّمَنِي إِلَى بَابِ الْجَنَّةِ. فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ: أَلَسْتَ قَدْ أُعْطِيتَ عُهُودَكَ وَمَوَاقِيقَكَ أَنْ لَا تَسْأَلَنِي غَيْرَ الَّذِي أُعْطِيتَ أَبَدًا، وَبَلَّكَ يَا ابْنَ آدَمَ مَا أَغْدَرَكَ». فَيَقُولُ: أَيُّ رَبِّ. وَيَدْعُو اللَّهَ حَتَّى يَقُولُ: هَلْ عَسَيْتَ إِنْ أُعْطِيتَ ذَلِكَ أَنْ تَسْأَلَ غَيْرَهُ. فَيَقُولُ: لَا وَعِزَّتِكَ لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهُ، وَيُعْطِي مَا شَاءَ مِنْ عُهُودٍ وَمَوَاقِيقَ، فَيَقْدُمُهُ إِلَى بَابِ الْجَنَّةِ، فَإِذَا قَامَ إِلَى بَابِ الْجَنَّةِ انْفَهَقَتْ لَهُ الْجَنَّةُ فَرَأَى مَا فِيهَا مِنَ الْحَبِيرةِ وَالسَّرُورِ، فَيَسْكُتُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَسْكُتَ ثُمَّ يَقُولُ: أَيُّ رَبِّ أَدْخَلَنِي الْجَنَّةَ. فَيَقُولُ اللَّهُ: أَلَسْتَ قَدْ أُعْطِيتَ عُهُودَكَ وَمَوَاقِيقَكَ أَنْ لَا تَسْأَلَ غَيْرَ مَا أُعْطِيتَ فَيَقُولُ: وَبَلَّكَ يَا ابْنَ آدَمَ مَا أَغْدَرَكَ. فَيُقَالُ: أَيُّ رَبِّ لَا أَكُونُ أَشْقَى خَلْقِكَ فَلَا يَزَالُ يَدْعُو حَتَّى يَضْحَكَ اللَّهُ مِنْهُ فَإِذَا ضَحِكَ مِنْهُ قَالَ لَهُ: ادْخُلِ الْجَنَّةَ. فَإِذَا دَخَلَهَا قَالَ اللَّهُ لَهُ: تَمَنَّى. فَسَأَلَ رَبَّهُ وَتَمَنَّى حَتَّى أَنَّ اللَّهَ لَيَذْكُرُهُ يَقُولُ كَذَا وَكَذَا، حَتَّى انْقَطَعَتْ بِهِ الْأُمَانِي قَالَ اللَّهُ ذَلِكَ لَكَ وَمِثْلُهُ مَعَهُ»<sup>(١)</sup>.

٧٤٣٨- قَالَ عَطَاءُ بْنُ يَزِيدَ، وَأَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ، مَعَ أَبِي هُرَيْرَةَ لَا يَرُدُّ عَلَيْهِ مِنْ حَدِيثِهِ شَيْئًا حَتَّى إِذَا حَدَّثَ أَبُو هُرَيْرَةَ أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَالَ: «ذَلِكَ لَكَ وَمِثْلُهُ مَعَهُ». قَالَ أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ: «وَعَشْرَةُ أَمْثَالِهِ مَعَهُ». يَا أَبَا هُرَيْرَةَ. قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: مَا حَفِظْتُ إِلَّا قَوْلَهُ: «ذَلِكَ لَكَ وَمِثْلُهُ مَعَهُ». قَالَ أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ: أَشْهَدُ أَنِّي حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَوْلَهُ «ذَلِكَ لَكَ وَعَشْرَةُ أَمْثَالِهِ». قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ



فَذَلِكَ الرَّجُلُ آخِرُ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولًا الْجَنَّةِ. <sup>(١)</sup>

**في الحديث الطويل سؤال الصحابة رضي الله عنهم:** هل نرى ربنا يوم القيامة؟ هذا السؤال منهم؛ شوقاً إلى الله ﷻ، فهو كقول موسى: ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾ [الاعراف: ١٤٣]. فسألوا: هل يكون فيها يوم القيامة هذا النعيم، فأخبرهم النبي ﷺ بأن هذا حاصل وأنهم كما لا يضارون في رؤية القمر ليلة البدر، فكذلك لا يضارون في رؤية الله يوم القيامة، وقد سبق لنا أن رؤية الله تعالى دلّ عليها الكتاب والسنة المتواترة، وأن السلف أجمعوا على ذلك ولم يخالفوا في هذا إلا من يخشى أن يحرمه الله منها يوم القيامة؛ لأنه لم يصدق بذلك.

**وفي هذا الحديث:** أنه يقال للناس كل أمة تتبع من كانت تعبد إذلاً لهم وإظهاراً لباطنهم لأن هؤلاء المعبودين يذهبون بهم إلى النار فيتبين بذلك أن معبودهم يخذلونهم في أحوج ما يكونون إليهم، ولهذا يقول: «يتبع من كان يعبد الشمس الشمس، ومن كان يعبد القمر القمر، ومن كان يعبد الطواغيت الطواغيت»، حتى يوصلهم إلى النار - والعياذ بالله -.

وقوله: «تبقى هذه الأمة»، المراد من كان على ملة رسوله ﷺ ظاهرة، ولهذا يكون فيهم المنافقون: «فيأتيهم الله ﷻ فيقول: أنا ربكم»، ولكنهم يبقون مكانهم، وإنما يقول: أنا ربكم؛ لأن الأمم السابقة كانت تتبع من تعبد وتري أنه ربها، فيقول: «أنا ربكم»، ولكنهم يبقون ولا يتحركون، فيأتيهم الله في صورته التي يعرفون، والصورة التي يعرفون هي مما عرفوه من وصف الله ﷻ بالجلال والإكرام، ومما وصفته به الرسل فيأتيهم على الصورة التي نعتت لهم فيما أنزل الله على رسوله ولذا قال: «التي يعرفون»، ثم يقول: «أنا ربكم»، فيقولون: أنت ربنا فيتبعونه، ومعلوم أنه ﷻ سيدلهم على محل رحمة وهي الجنة.

ثم ذكر أنه يضرب الصراط بين ظهري جهنم؛ يعني: فوقها الصراط الذي يمر الناس عليه من عرصات القيامة إلى الجنة؛ لأن الجنة فوق، فيضرب هذا الصراط على النار، ويعبره من هو من أهل الجنة، واختلف العلماء في هذا الصراط، هل هو طريق واسع أو هو كما جاء في «صحيح مسلم» بلاغاً: أنه أدق من الشعر وأحد من السيف <sup>(٢)</sup>، فذهب إلى الأول جماعة واستدلوا بهذا الحديث بأن عليه مثل شوك السعدان لكن لا يعلم عظمها إلا الله، واستدلوا أيضاً بأن هذا الطريق وُصف بأنه دحض مزلّة؛ أي: زلق يزلق الناس فيه ويزلون، والحديث الذي في مسلم: بلاغ، والبلاغ قديمت وقد لا يثبت.

فعل كل حال: إذا ثبت أنه أدق من الشعر وأحد من السيف، فإن العبور عليه غير ممتنع عقلاً؛ لأنه إذا كانت الملائكة تطير في الهواء فإن الناس يمكنهم أن يسيروا على هذا الصراط، وأحوال

(١) رواه البخاري (٧٤٣٨)، ومسلم (١٨٢-١٨٥) (١٩٤).

(٢) رواه مسلم عقب الحديث (٣٠٢) عن أبي سعيد.



الآخرة لا تُقاس بأحوال الدنيا، وعلى كلِّ حال، فهذا الصراطُ خطيرٌ جدًّا؛ لأنه على جهنم، والرَّسل وهم الرسل عليهم الصلاة والسلام كل واحد منهم يقول: اللهم سلِّم اللهم سلِّم، وأول من يجوز هذا الصراط محمد ﷺ وأُمته؛ لأنهم كما جاء في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ: قال: «نحن الآخرون الأولون يوم القيامة»<sup>(١)</sup> ففي جميع مشاهد يوم القيامة هذه الأمة هي أول الأمم.

**وفي هذا الحديث:** أن هؤلاء الذين يعبرون الصراط لا ينجون كلهم منه منهم يُخطف ويُلقى في جهنم ومنهم من يسلم، لكن الذي يُخطف ويُلقى في جهنم لا يُخلد فيها؛ لأنه لا يعبر هذا الصراط إلا من كان من أهل الجنة إلا أنه قد تخطفه النار ويُعذب بقدر أعماله، ثم يخرج منها، وهذا العبور هو معنى قوله -تبارك وتعالى-: ﴿وَلَنْ يَنْكَرَ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ۖ﴾ [الزمر: ٢١]. وقيل: إن الورود الدخول فيها، وأن كلَّ الناس يدخلونها لكن المؤمنُ ينجو منها وتكون عليه مثل نار إبراهيم، وأما الكافر أو من يستحق العذاب بقدر عمله فإنه لا تكون بردًا وسلامًا عليه -والله أعلم-. وكما عرفتم أن الناس يرون الله ﷻ على صورته التي يعرفون وهي رؤية حقيقة كما سبق، وهذه العهود والمواثيق التي يعطيها هذا الرجل هي عهدٌ بينه وبين الله ﷻ، فلذلك ينقضها طمعًا في فضل الله ﷻ، كما لو كان بينك وبين أخيك عهد مما يختص به، ثم أدليت عليه؛ يعني: يسامح أو يتجاوز عن هذا العهد فإنه لا بأس به، كذلك هذا الرجل، يقول: إن العهد بينه وبين الله ﷻ، وهي حقُّ الله فإذا عاد، فكانه يرجو من الله بأن يعفو عنه وأن يسامحه ويضع عنه هذا العهد إذا طلب، ولهذا كان في النهاية أن الله يضحك له ثم يرسله الجنة.

**وفي هذا الحديث:** دليل على عظم نعيم الجنة وسعة منازل أهلها، أنه له مثل الدنيا وعشرة أمثالها وهذا ليس بغريب؛ لأن أدنى أهل الجنة منزلًا من ينظر في ملكه مسيرة ألفي عام، ينظر أقصاه كما ينظر أدناه، فالمسألة أعظم مما تتصور ولهذا قال تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۖ﴾ [الزمر: ٢٠].

**وفي هذا:** روع الصحابة رضي الله عنهم حيث امتنع أبو هريرة أن يقول غير ما حفظ وهو قوله: لك هذا ومثله معك، لكن أبا سعيد رضي الله عنه جزم بأن النبي ﷺ قال: «عشرة أمثاله معك».

\*\*\*

٧٤٣٩- حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ بُكَيْرٍ، حَدَّثَنَا اللَّيْثُ، عَنْ خَالِدِ بْنِ يَزِيدَ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي هِلَالٍ، عَنْ زَيْدٍ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، قَالَ: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ تَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ: «هَلْ تَضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ إِذَا كَانَتْ صَحْوًا». قُلْنَا: لَا. قَالَ: «فَإِنَّكُمْ لَا تَضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ رَبِّكُمْ يَوْمَئِذٍ، إِلَّا كَمَا تَضَارُونَ فِي رُؤْيَيْهِمَا ثُمَّ قَالَ: يُنَادِي مُنَادٍ لِيَذْهَبْ كُلُّ قَوْمٍ إِلَى مَا كَانُوا

(١) رواه البخاري (٨٧٦)، ومسلم (٨٥٥).



يَعْبُدُونَ. فَيَذْهَبُ أَصْحَابُ الصَّلِيبِ مَعَ صَلِيبِهِمْ، وَأَصْحَابُ الْأَوْثَانِ مَعَ أَوْثَانِهِمْ، وَأَصْحَابُ كُلِّ إِلَهَةٍ مَعَ إِلَهَتِهِمْ حَتَّى يَبْقَى مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ مِنْ بَرٍّ أَوْ فَاجِرٍ، وَغُيِّرَتْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، ثُمَّ يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ تُعْرَضُ كَانَهَا سَرَابٌ فَيَقَالُ لِلْيَهُودِ: مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ قَالُوا: كُنَّا نَعْبُدُ عَزْرِيئِيلَ ابْنَ اللَّهِ. فَيَقَالُ: كَذَبْتُمْ لَمْ يَكُنْ لِلَّهِ صَاحِبَةٌ وَلَا وَلَدٌ فَمَا تَرِيدُونَ قَالُوا: نُرِيدُ أَنْ نَسْقِيَنَا. فَيَقَالُ: اشْرَبُوا، فَيَسْقَاطُونَ فِي جَهَنَّمَ، ثُمَّ يُقَالُ لِلنَّصَارَى: مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ فَيَقُولُونَ: كُنَّا نَعْبُدُ الْمَسِيحَ ابْنَ اللَّهِ. فَيَقَالُ: كَذَبْتُمْ لَمْ يَكُنْ لِلَّهِ صَاحِبَةٌ وَلَا وَلَدٌ، فَمَا تَرِيدُونَ فَيَقُولُونَ: نُرِيدُ أَنْ نَسْقِيَنَا. فَيَقَالُ: اشْرَبُوا. فَيَسْقَاطُونَ حَتَّى يَبْقَى مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ مِنْ بَرٍّ أَوْ فَاجِرٍ فَيَقَالُ لَهُمْ: مَا يَحْبِسُكُمْ وَقَدْ ذَهَبَ النَّاسُ فَيَقُولُونَ: فَارْتَنَاهُمْ وَنَحْنُ أَجُوجٌ مِنَّا إِلَيْهِ الْيَوْمَ، وَإِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يَنَادِي لِيَلْحَقْ كُلُّ قَوْمٍ بِمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ. وَإِنَّمَا نَنْتَظِرُ رَبَّنَا قَالَ: فَيَأْتِيهِمُ الْجَبَّارُ فِي صُورَةٍ غَيْرِ صُورَتِهِ الَّتِي رَأَوْهُ فِيهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ. فَيَقُولُونَ: أَنْتَ رَبَّنَا. فَلَا يُكَلِّمُهُ إِلَّا الْأَنْبِيَاءُ فَيَقُولُ: هَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ آيَةٌ تَعْرِفُونَهُ فَيَقُولُونَ: السَّاقِ. فَيَكْشِفُ عَنْ سَاقِهِ فَيَسْجُدُ لَهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ، وَيَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ لِلَّهِ رِيَاءً وَسَمْعَةً، فَيَذْهَبُ كَيْفَا يَسْجُدُ فَيَعُودُ ظَهْرُهُ طَبَقًا وَاحِدًا، ثُمَّ يُؤْتَى بِالْجَسْرِ فَيُجْعَلُ بَيْنَ ظَهْرِي جَهَنَّمَ. قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا الْجَسْرُ؟ قَالَ: «مَذْحِضَةٌ مَزَلَّةٌ، عَلَيْهِ خَطَاطِيفٌ وَكَلَالِيْبٌ وَحَسَكَةٌ مُفْلَطَحَةٌ، لَهَا شَوْكَةٌ عَقِيْقَاءُ تَكُونُ يَنْجِدٍ يُقَالُ لَهَا: السَّعْدَانُ، الْمُؤْمِنُ عَلَيْهَا كَالطَّرْفِ وَكَالْبَرْقِ وَكَالرَّبِيعِ وَكَأَجَاوِيدِ الْخَيْلِ وَالرَّكَابِ، فَتَنَاجُ مُسْلِمٌ وَنَاجٌ مُخْدُوشٌ وَمُكْدُوشٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، حَتَّى يَمُرَّ آخِرُهُمْ يَسْحَبُ سَحْبًا، فَمَا أَنْتُمْ بِأَشَدَّ لِي مُنَاشِدَةً فِي الْحَقِّ، قَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِ يَوْمِيذٌ لِلْجَبَّارِ، وَإِذَا رَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ نَجَوْا فِي إِخْوَانِهِمْ يَقُولُونَ: رَبَّنَا إِخْوَانُنَا كَانُوا يُصَلُّونَ مَعَنَا وَيَصُومُونَ مَعَنَا وَيَعْمَلُونَ مَعَنَا. فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: اذْهَبُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ دِينَارٍ مِنْ إِيْمَانٍ فَأَخْرِجُوهُ. وَيَحْرَمُ اللَّهُ صُورَهُمْ عَلَى النَّارِ، فَيَأْتُونَهُمْ وَبَعْضُهُمْ قَدْ غَابَ فِي النَّارِ إِلَى قَدَمِهِ وَإِلَى أَنْصَافِ سَاقِيهِ، فَيُخْرِجُونَ مَنْ عَرَفُوا، ثُمَّ يَعُودُونَ فَيَقُولُ: اذْهَبُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ نِصْفِ دِينَارٍ فَأَخْرِجُوهُ. فَيُخْرِجُونَ مَنْ عَرَفُوا، ثُمَّ يَعُودُونَ فَيَقُولُ: اذْهَبُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ مِنْ إِيْمَانٍ فَأَخْرِجُوهُ. فَيُخْرِجُونَ مَنْ عَرَفُوا». قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: فَإِنْ لَمْ تَصِدَّقُونِي فَأَقْرَءُوا ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً فُضِّلْنَاهَا﴾ [الشُّعَرَاءُ: ٢٤٠]. «فَيَشْفَعُ النَّبِيُّونَ وَالْمَلَائِكَةُ وَالْمُؤْمِنُونَ فَيَقُولُ الْجَبَّارُ: بَقِيَتْ شَقَاعَتِي. فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ فَيُخْرِجُ أَقْوَامًا قَدْ امْتَحِنُوا، فَيُلْقُونَ فِي نَهَرٍ بِأَفْوَاهِ الْجَنَّةِ يُقَالُ لَهُ: مَاءُ الْحَيَاةِ، فَيَنْبَتُونَ فِي حَافَتَيْهِ كَمَا تَنْبَتُ الْجَنَّةُ فِي حِمِيلِ السَّيْلِ، قَدْ رَأَيْتُمُوهَا إِلَى جَانِبِ الصَّخْرَةِ وَإِلَى جَانِبِ الشَّجَرَةِ، فَمَا كَانَ إِلَى الشَّمْسِ مِنْهَا كَانَ أَخْضَرَ، وَمَا كَانَ مِنْهَا إِلَى الظِّلِّ كَانَ أَبْيَضَ، فَيُخْرِجُونَ كَانَتْهُمْ اللَّوْلُؤُ، فَيُجْعَلُ فِي رِقَابِهِمُ الْخَوَاتِيمُ فَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ فَيَقُولُ أَهْلُ الْجَنَّةِ: هَؤُلَاءِ عِتْقَاءُ الرَّحْمَنِ أَدْخَلَهُمُ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ عَمَلٍ عَمِلُوهُ وَلَا خَيْرٍ قَدَّمُوهُ. فَيَقَالُ لَهُمْ: لَكُمْ مَا رَأَيْتُمْ وَمِثْلَهُ مَعَهُ»<sup>(١)</sup>.



❦ قوله: «اشربوا فيتساقطون»، وهذا صريح؛ لأن أهل النار لا يعبرون الصراط؛ لأنه قال بعد ذلك «ثم يؤتى بالجسر فيجعل بين ظهري جهنم».

وهذا بمعنى الحديث السابق وإن كان يختلف عليه بعض الشيء، وقوله: «لكم ما رأيتم ومثله معه»؛ يدل على أنهم يُعْطَوْنَ مثل ما رأوا، «ومثله معه»، لكن سبق أن أبا سعيد رحمته روى الحديث بهذا السياق، قال: «وعشرة أمثاله معه»، يحتاج إلى التحقيق في اختلاف هذا اللفظ مع الذي سبق في حديث أبي هريرة.

\*\*\*

٧٤٤- وَقَالَ حَجَّاجُ بْنُ مَهْمَالٍ: حَدَّثَنَا هَمَامُ بْنُ يَحْيَى، حَدَّثَنَا قَتَادَةُ عَنْ أَنَسٍ رحمته أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «يُحْسِسُ الْمُؤْمِنُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُهْمُوا بِذَلِكَ فَيَقُولُونَ: لَوْ اسْتَشْفَعْنَا إِلَى رَبِّنَا فَيَرْجِعَنَا مِنْ مَكَانِنَا. فَيَأْتُونَ آدَمَ فَيَقُولُونَ: أَنْتَ آدَمُ أَبُو النَّاسِ خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ وَأَسْكَنَكَ جَنَّةً، وَأَسَجَدَ لَكَ مَلَائِكَتُهُ، وَعَلَّمَكَ أَسْمَاءَ كُلِّ شَيْءٍ، لِنَشْفَعْ لَنَا عِنْدَ رَبِّكَ حَتَّى يُرْجِعَنَا مِنْ مَكَانِنَا هَذَا، قَالَ: فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ - قَالَ: وَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصَابَ أَكْلَهُ مِنَ الشَّجَرَةِ وَقَدْ نَهَى عَنْهَا - وَلَكِنْ أَتَوْنَا نُوحًا أَوَّلَ نَبِيِّ بَعَثَهُ اللَّهُ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ. فَيَأْتُونَ نُوحًا فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ - وَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصَابَ سُؤَالَهُ رَبَّهُ بِغَيْرِ عِلْمٍ - وَلَكِنْ أَتَوْنَا إِبْرَاهِيمَ خَلِيلَ الرَّحْمَنِ. قَالَ: فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ فَيَقُولُ: إِنِّي لَسْتُ هُنَاكُمْ - وَيَذْكُرُ ثَلَاثَ كَذِبَاتٍ كَذَبَهُنَّ - وَلَكِنْ أَتَوْنَا مُوسَى عَبْدًا آتَاهُ اللَّهُ التَّوْرَةَ وَكَلَّمَهُ وَقَرَّبَهُ نَجِيًّا. قَالَ فَيَأْتُونَ مُوسَى فَيَقُولُ: إِنِّي لَسْتُ هُنَاكُمْ - وَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصَابَ قَتْلَهُ النَّفْسَ - وَلَكِنْ أَتَوْنَا عِيسَى عَبْدَ اللَّهِ وَرَسُولَهُ وَرُوحَ اللَّهِ وَكَلِمَتَهُ. قَالَ: فَيَأْتُونَ عِيسَى فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ، وَلَكِنْ أَتَوْنَا مُحَمَّدًا ﷺ عَبْدًا غَفَرَ اللَّهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ. فَيَأْتُونِي فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي فِي دَارِهِ فَيُؤْذَنُ لِي عَلَيْهِ، فَإِذَا رَأَيْتُهُ وَقَعْتُ سَاجِدًا فَيَدْعُنِي مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَدْعُنِي فَيَقُولُ: ارْفَعْ مُحَمَّدٌ، وَقُلْ يُسْمِعُ، وَاشْفَعْ تَشْفَعُ، وَسَلْ تُعْطَى قَالَ: فَأَرْفَعُ رَأْسِي فَأَنْتَنِي عَلَى رَبِّي بِنِئَاءٍ وَتَحْمِيدٍ يُعَلِّمُنِيهِ، فَيَحْدُ لِي حَدًّا فَأَخْرُجُ فَأَدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ. قَالَ: قَتَادَةُ وَسَمِعْتُهُ أَيْضًا يَقُولُ: «فَأَخْرُجُ فَأَخْرِجُهُمْ مِنَ النَّارِ وَأَدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ، ثُمَّ أَعُودُ فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي فِي دَارِهِ فَيُؤْذَنُ لِي عَلَيْهِ، فَإِذَا رَأَيْتُهُ وَقَعْتُ سَاجِدًا فَيَدْعُنِي مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَدْعُنِي ثُمَّ يَقُولُ: ارْفَعْ مُحَمَّدٌ، وَقُلْ يُسْمِعُ، وَاشْفَعْ تَشْفَعُ، وَسَلْ تُعْطَى قَالَ: فَأَرْفَعُ رَأْسِي فَأَنْتَنِي عَلَى رَبِّي بِنِئَاءٍ وَتَحْمِيدٍ يُعَلِّمُنِيهِ قَالَ: ثُمَّ أَشْفَعُ فَيَحْدُ لِي حَدًّا فَأَخْرُجُ فَأَدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ. قَالَ قَتَادَةُ: وَقَدْ سَمِعْتُهُ يَقُولُ: «فَأَخْرُجُ فَأَخْرِجُهُمْ مِنَ النَّارِ وَأَدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ، حَتَّى مَا يَبْقَى فِي النَّارِ إِلَّا مَنْ حَبَسَهُ الْقُرْآنُ أَيْ: وَجَبَ عَلَيْهِ الْخُلُودُ قَالَ: ثُمَّ تَلَا الْآيَةَ: ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَخْمُودًا﴾ (٣٨)»



[اللائحة: ٧٩]. قَالَ: وَهَذَا الْمَقَامُ الْمَحْمُودُ الَّذِي وَعَدَهُ نَبِيُّكُمْ ﷺ.

❦ قوله: «حتى يهيموا»؛ يعني: يلحقهم الهم.

وهذا الحديث ليس فيه إشكال، إلا قوله: «استأذن على ربي في داره»، فيقال: إن دار الله ﷻ الذي جاءت في هذا الحديث لا تشبه دور البشر، تكتنه من الحرّ ومن البرد ومن المطر ومن الرياح، لكنها دارُ الله أعلم بها ولعلها والله أعلم حجب النور الذي احتجب الله به ﷻ، كما جاء في الحديث الصحيح: «حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه».

\*\*\*

٧٤٤١- حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ سَعْدٍ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، حَدَّثَنِي عَمِّي، حَدَّثَنَا أَبِي، عَنْ صَالِحٍ، عَنْ ابْنِ شِهَابٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَرْسَلَ إِلَى الْأَنْصَارِ فَجَمَعَهُمْ فِي قُبَّةٍ وَقَالَ لَهُمْ: «اصْبِرُوا حَتَّى تَلْقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ، فَإِنِّي عَلَى الْحَوْضِ»<sup>(١)</sup>.

هذا أيضًا مما استدل به أهل السنة على رؤية الله ﷻ من قوله: «حتى تلقوا الله ورسوله»، قال: ولا لقاء إلا به، وهو يخاطبُ الأنصار رضي الله عنهم من أهل الرؤية؛ لأنهم مؤمنون، وأما قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدًّا فَلْيَقِهِ﴾<sup>(٢)</sup> فَأَمَّا مَنْ أَوْفَى كِتَابَهُ، بِمِثْلِهِ... ﴿[اللائحة: ٦-٧]﴾. إلى آخره، فهذا -والله أعلم- الملاقاة العامة؛ لأن كل إنسان يكدرُ إلى الله، ويساوم أخيه يوم القيامة، وعلى هذا هناك ملاقة عامة لجميع بني الإنسان بدليل أن الله قسمهم إلى قسمين: مَنْ أَوْفَى كتابه بمِثْلِهِ وَمَنْ أَوْفَى كتابه بشيئ، وملاقاة خاصة: وهي التي ذكرها الرسول ﷺ في هذا الحديث، وهي التي استدل بها العلماء على رؤية الله ﷻ.

الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- الذين تعذروا من الشفاعة بما فعلوا من الذنوب أليس النبي ﷺ قد وقع منه ذنب وغفر الله له؟

**نقول:** لو تعذر النبي ﷺ من يبقَى، هو آخرهم، فلو تعذر من يبقَى؟!!

\*\*\*

٧٤٤٢- حَدَّثَنِي ثَابِتُ بْنُ مُحَمَّدٍ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ، عَنْ سُلَيْمَانَ الْأَحْوَلِ، عَنْ طَاوُسٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا تَهَجَّدَ مِنَ اللَّيْلِ قَالَ: «اللَّهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ، أَنْتَ قِيَمُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، أَنْتَ الْحَقُّ، وَقَوْلُكَ الْحَقُّ، وَوَعْدُكَ الْحَقُّ، وَلِقَاؤُكَ الْحَقُّ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ، اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ خَاصَمْتُ، وَبِكَ حَاكَمْتُ، فَاعْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَأَسْرَرْتُ وَأَعْلَنْتُ، وَمَا

أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ. <sup>(١)</sup> قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: قَالَ قَيْسُ بْنُ سَعْدٍ وَأَبُو الزَّيْبِ عَنْ طَاوُسٍ قِيَامٌ. وَقَالَ جَاهِدٌ: الْقِيَوْمُ الْقَائِمُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ. وَقَرَأَ عُمَرُ: الْقِيَامُ، وَكِلَاهُمَا مَدْحٌ.

❦ قوله: «أنت قيوم السموات»، وفي لفظ: «أنت قِيَامُ السموات»، وكلاهما مدح، والقيوم هو الذي قام بنفسه وقام على غيره، قال الله تعالى: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [الأنعام: ٣٣]، يعني: كمن لا يملك ذلك، والذي يقوم على كل نفس بما كسبت هو الله. وقد سبق الكلام على بقية الحديث وبيئاً أن الرسول ﷺ كان يقول ذلك في تهجدِه وأنه يحتمل أن يكون في السجود أو بعد التشهد الأخير، أو في حال القيام بعد الركوع، وكل هذا موضع دعاء.

\*\*\*

٧٤٤٣- حَدَّثَنَا يُونُسُ بْنُ مُوسَى، حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ، حَدَّثَنِي الْأَعْمَشُ، عَنْ خَيْثَمَةَ، عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيَكَلِّمُهُ رَبُّهُ، لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تَرْجَمَانٌ وَلَا حِجَابٌ يَحْجُبُهُ». <sup>(١)</sup>

الشاهد من هذا قوله: «ولا حجاب يحجبه».

وفي هذا الحديث: ردُّ على القائلين بالكلام النفسي، وجهه: أن الله يحدث القول في تلك الساعة، يُكَلِّمُ هذا الذي خلا به في تلك الساعة، والقائلون بالكلام النفسي، يقولون: إن الكلام النفسي هو أزلي، ولكن الله تعالى يخلق أصواتاً في الوقت الذي يُريد أن يُسمع من شاء، يُعَبِّرُ عن الكلام النفسي، ولهذا قال بعض الأذكياء: إن مذهب الأشاعرة في الكلام هو مذهب الجهمية، بل هو أرجأ منه؛ لأن هؤلاء يقولون: إن الذي يُسمع والمكتوب في المصاحف إنه مخلوق يُعَبِّرُ به عن كلام الله، أما كلام الله فهو الذي في نفسه لا يُسمع ولا يحدث، وأما الجهمية فيقولون: إن الذي يُسمع هو كلام الله حقيقة وأنه مخلوق، فهؤلاء قالوا: إن الذي يُسمع عبارة عن كلام الله، ولكنه مخلوق، والجهمية قالوا: هو كلام الله وهو مخطئ، فأيهم أقرب للصواب؟

الجواب: الجهمية ولهذا قال: إن قول الأشاعرة في الكلام من قول الجهمية، وأما حقيقة الأمر أنه لا فرق بينهم وبين الجهمية؛ لأنهم متفقون على أن ما سمعه محمدٌ وما سمعه موسى وما يُسمع في المستقبل كله مخلوق، لكن الأشاعرة قالوا: إنه عبارة عن الكلام النفسي، وهؤلاء قالوا: هذا مخلوق خلقه الله، خلق أصواتاً تُسمع، وأضافها لنفسه على سبيل التشريف والتعظيم.

فهذا الحديث يردُّ ردّاً واضحاً على من يزعمون أن كلام الله هو المعنى القائم بنفسه الأزلي، فيرون أن الكلام مثل العلم مثل الإرادة.

(١) رواه البخاري (٧٤٤٢)، ومسلم (٧٦٩).

(٢) رواه البخاري (٧٤٤٣)، ومسلم (١٠١٦).



والساقُ ثابتةٌ لله ﷻ لحديث أبي سعيد: «يكشف عن ساقه»، وهو واضحٌ، وإذا كان الله له رجلٌ فلا يمتنع أن يكون له ساقٌ، ولكن تقتصرُ على ما بلغنا فقط، وهل الساقُ ثابتٌ في القرآن كما ثبت في السنة؟

**نقول:** في هذا خلافٌ بين العلماء بناءً على اختلافهم في تفسير قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾ [النبأ: ٤٢]. فمنهم من قال: إن قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾؛ يعني بذلك: ساقه <sup>بجملته</sup>.

**ومنهم من قال:** بل المرادُ بالساق: الشدة، ولا يجوزُ أن نقول: إنها ساقُ الله؛ لأن الله لم يصفها إلى نفسه، بل قال ساق، وإذا لم يصفِ الله الشيءَ لنفسه، فإنه لا يحلُّ لنا أن نضيفه نحن إلى الله، بل الواجب علينا أن نقتصرَ على ما جاء به الكتابُ والسنة.

**ولهذا نقول:** القائل بهذا القول أقربُ إلى الصواب، لولا أن حديثَ أبي سعيدٍ في سياقه إذا قارنته بسياق الآية وجدت أنها سواء، ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ (١٢) خَشَعَةً أَبْصَرُكُمْ رَهْمَهُمْ ذُلَّهُ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالُونَ (١٢) [النبأ: ٤٢-٤٣]. كذلك هنا يكشف عن ساقه فيسجد له من كان يسجد لله ﷻ ويعجز من كان يسجدُ رياءً وسمعةً، فلو لا سياقُ حديثِ أبي سعيدٍ كان مطابقاً للآية لقلنا: إنه لا يجوزُ إثباتُ الساقِ للآية الكريمة؛ لأن الله لم يصفه إلى نفسه.

فإن قال قائل: وهل مثل ذلك قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ [الأنعام: ٤٧]؟

**قلنا:** لا، ليس مثل هذا، ولهذا لم يقل أحدٌ من السلفِ إن المرادَ بقوله ﴿بِأَيْدٍ﴾ جمع اليد، بل الأيدي في الآية الكريمة: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ﴾؛ معناها: القوة، فهي مصدر: (أدى، يئِد، أيداً)، (كباع، يبيع، بيعاً)؛ فيكون المعنى: بنيناها بقوة، وشبهه هذا قوله تعالى: ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا﴾ (١٢) [الأنعام: ١٢]. أي: قوية، لكن يجبُ علينا بأن نعتقد بأن الله ساقاً، إلا أنه لا يشبه سَوْقَ المخلوقين، بل هو ساقٌ يليقُ بعظمته وجلاله كما قلنا في اليد، وقلنا في الوجه، وقلنا في العين، وقلنا في القدم.

\*\*\*

٧٤٤٤- حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ عَبْدِ الصَّمَدِ، عَنْ أَبِي عِمْرَانَ، عَنْ أَبِي بَكْرٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَيْسٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «جَنَّتَانِ مِنْ فِضَّةٍ آيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَجَنَّتَانِ مِنْ ذَهَبٍ آيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَمَا بَيْنَ الْقَوْمِ وَبَيْنَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى رَبِّهِمْ إِلَّا رِءَاءَ الْكِبَرِ عَلَى وَجْهِهِ فِي جَنَّةِ عَدْنٍ» (١).

**الشاهد قوله:** «وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبر على وجهه في جنة عدن»، وفي هذا إثباتُ لرؤية الله ﷻ بعد إزالة رداء الكبر، وكأن البخاري رحمه الله يشيرُ إلى ركنٍ آخر أصرح من هذا، أما هذا فليس صريحاً في إثبات الرؤية.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله (١٣/ ٤٣٢-٤٣٣):

قوله: «وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه» قال الهازري: كان النبي ﷺ يخاطب العرب بما تفهم ويخرج لهم الأشياء المعنوية إلى الحس ليقرب تناولهم لها، فعبّر عن زوال الموانع ورفعها عن الأبصار بذلك. وقال عياض كانت العرب تستعمل الاستعارة كثيرا، وهو أرفع أدوات بديع فصاحتها وإيجازها، ومنه قوله تعالى: ﴿جَنَاحُ الذِّلِّ﴾ [الأنعام: ٢٤]. فمخاطبة النبي ﷺ لهم برداء الكبرياء على وجهه ونحو ذلك من هذا المعنى، ومن لم يفهم ذلك تاه فمن أجرى الكلام على ظاهره أفضى به الأمر إلى التجسيم ومن لم يتضح له وعلم أن الله منزّه عن الذي يقتضيه ظاهرها إما أن يكذب نقلتها وإما أن يؤولها كأن يقول: استعار لعظيم سلطان الله وكبريائه وعظمته وهيبته وجلاله المانع إدراك أبصار البشر مع ضعفها لذلك رداء الكبرياء، فإذا شاء تقوية أبصارهم وقلوبهم كشف عنهم حجاب هيئته وموانع عظمته انتهى ملخصا. وقال الطيبي قوله: «على وجهه» حال من رداء الكبرياء. وقال الكرمانى هذا الحديث من التشابهات فإما مفوض وإما متأول بأن المراد بالوجه الذات، والرداء صفة من صفة الذات اللازمة المنزهة عما يشبه المخلوقات، ثم استشكل ظاهره بأنه يقتضي أن رؤية الله غير واقعة، وأجاب بأن مفهومه بيان قرب النظر إذ رداء الكبرياء لا يكون مانعا من الرؤية فعبّر عن زوال المانع عن الإبصار بإزالة المراد انتهى. وحاصله أن رداء الكبرياء مانع عن الرؤية فكأن في الكلام حذفًا تذييره بعد قوله إلا رداء الكبرياء: فإنه يمن عليهم برفعه فيحصل لهم الفوز بالنظر إليه، فكأن المراد أن المؤمنين إذا تبوؤوا مقاعدهم من الجنة لولا ما عندهم من هبة ذي الجلال لما حال بينهم وبين الرؤية - أعني - فإذا أراد إكرامهم حفهم برأفته وتفضل عليهم بتقويتهم على النظر إليه سبحانه، ثم وجدت في حديث صهيب في تفسير قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا لِمَسْئَةٍ وَزِيَادَةٍ﴾ [التكوير: ٢٦].

ما يدل على أن المراد برداء الكبرياء في حديث أبي موسى الحجاب المذكور في حديث صهيب، وأنه سبحانه يكشف لأهل الجنة إكراماً لهم، والحديث عند مسلم والترمذي والنسائي وابن خزيمة وابن حبان ولفظ مسلم: أن النبي ﷺ قال: «إذا دخل أهل الجنة الجنة، يقول الله ﷻ: تريدون شيئاً أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا وتدخلنا الجنة؟ قال: فيكشف لهم الحجاب فما أعطوا شيئاً أحب إليهم منه، ثم تلا هذه الآية. ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا لِمَسْئَةٍ وَزِيَادَةٍ﴾» أخرجه مسلم عقب حديث أبي موسى، ولعله أشار إلى تأويله به. وقال القرطبي في المفهم الرداء استعارة كنى بها عن العظمة كما في الحديث الآخر «الكبرياء ردائي والعظمة إزاري» وليس المراد الثياب المحسوسة لكن المناسبة أن الرداء

والإزار لما كانا متلازمين للمخاطب من العرب عبر عن العظمة والكبرياء بهما، ومعنى حديث الباب أن مقتضى ﷻ واستغنائه أن لا يراه أحد لكن رحمته للمؤمنين اقتضت أن يريهم وجهه كما لا للنعمة، فإذا زال المانع فعل معهم خلاف مقتضى الكبرياء فكأن رفع عنهم حجاباً كان يمنهم، ونقل



الطبري عن علي وغيره في قوله تعالى: ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [٣٥: ٣٥]. قال هو النظر إلى وجه الله. اهـ  
كلام الحافظ هو الظاهر، يعني: «إلا رداء الكبر على وجهه لا يرفعه حتى ينظر إليه»، وحينئذ يتم  
استدلال البخاري بحكْمته في هذا الحديث.

❦ قوله: «جنتان من فضة، وجنتان من ذهب»، يؤيد هذا قوله تعالى: ﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾  
[١٥: ٤٦]. ثم قال: ﴿وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾ [١١: ٤٦]. وذكر الله ﷻ، الفرق بينهما، وقد أشار  
ابن القيم بحكْمته في النونية إلى أن الفرق بينهما؛ أي بين الجنتين الأولين والآخرين من عشرة أوجه،  
وقال: لولا ضيق النظم لسمقتها.

والجنتان من الذهب لمن هو أعلى مقامًا، وأكثر ثوابًا ممن في الجنتين اللتين من الفضة.

\*\*\*

٧٤٤٥- حَدَّثَنَا الْحُمَيْدِيُّ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ أَعْيَنَ وَجَامِعُ بْنُ أَبِي رَاشِدٍ، عَنْ  
أَبِي وَائِلٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَبْرِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ اقْتَطَعَ مَالَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ يَمِينٍ كَاذِبَةٍ، لَقِيَ  
اللَّهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضَبَانٌ». قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِصْدَاقَهُ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ جَلَّ ذِكْرُهُ ﴿إِنَّ الَّذِينَ  
يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ﴾ [النِّسَاء: ٧٧] الآية.  
هذا الحديث: فيمن اقتطع مالا من المسلم يمين كاذبة لقي الله.

الشاهد قوله: «لقي الله»، فقد استدل بها كثير من العلماء على رؤية الله ﷻ، قال: لأن اللقاء لا  
يكون إلا بروية، وقد سبق أن اللقاء عام وخاص، فاللقاء الخاص هو أن يخلو الله ﷻ بعبيده المؤمنين  
ويقرره بذنوبه، واللقاء العام يكون لجميع الخلق، وبهذا التحذير من اقتطاع مال المسلم باليمين  
الكاذبة ولها صور:

**منها: الصورة الأولى:** أن يدعى شخص على آخر بألف درهم وليس عند المدعى بينة، فهنا توجه  
اليمين على المدعى عليه، فيحلف أنه ليس للمدعي شيء مع أنه له شيء، فهنا اقتطع شيئًا من ماله  
كاذبًا فيلقى الله وهو عليه غضبان.

**الصورة الثانية:** أن يدعى شخص على آخر ألف درهم ويأتي بشاهد واحد، وفي هذه الحال لا  
يحكم له بالألف إلا إذا حلف، إذا حلف فإنه يُحكم له بالألف، فيأتي بالشاهد ويحلف معه ثم  
القاضي يحكم له على المدعى عليه بالألف، فيكون هناك اقتطاع مال امريء مسلم يمين كاذبة،  
فيلقى الله وهو عليه غضبان، فإن اعتدى على المسلم بغير المال، ادعى عليه مثلاً بجراحة أو غيرها،  
وحلف فهل تكون مثل المال أو دونه أو أعظم منه؟.

الظاهر: أنها تكون أعظم؛ لأن العدوان على البدن أشد من العدوان على المال، ولكن مع ذلك لا

نجزم بهذا؛ لأن مسائل الوعيد قد تكون لاختصاصها في الصورة التي تأتي فيها أمر لا نعلمه فيمتنع القياس حينئذ.

**وفيه:** استدلال الرسول ﷺ بالآية الكريمة دليل على أن: العموم حجة على كل فرد من أفرادها؛ لأن الآية عامة، ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا دُونَ ذَلِكَ لَا يَخْلُقُ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ...﴾ [التغاب: ٧٧]. هذا عام، يدخل فيها الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ما يقطعونه من الأموال، فيكون هذا عامًا، فيكون هذا فردًا دخل في العموم.

وقد مر علينا شاهدٌ مثل ذلك وهو قول النبي ﷺ: «إني أنذركم إذا قلت: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، فقد سلمتم على كل عبد صالح في السماء والأرض»<sup>(١)</sup>. قوله: ﴿لَا يَخْلُقُ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ﴾؛ أي لا نصير.

\*\*\*

٧٤٤٦- حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ عَنْ عَمْرِو، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «ثَلَاثَةٌ لَا يَكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ: رَجُلٌ حَلَفَ عَلَى سِلْعَةٍ لَقَدْ أُعْطِيَ بِهَا أَكْثَرُ مِمَّا أُعْطِيَ وَهُوَ كَاذِبٌ، وَرَجُلٌ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ كَاذِبَةٍ بَعْدَ الْعَصْرِ لِيَقْتَطَعَ بِهَا مَالٌ أَمْرِي مُسْلِمٌ، وَرَجُلٌ مَنَعَ فَضْلَ مَاءٍ يَقُولُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: الْيَوْمَ أَمْنَعْتُكَ فَضْلِي، كَمَا مَنَعْتَ فَضْلَ مَا لَمْ تَعْمَلْ يَدَاكَ»<sup>(١)</sup>.

**الشاهد قوله:** «لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم: رجلٌ حلف على سلعةٍ لقد أعطى بها أكثر مما أعطى وهو كاذب»، هذا طريقٌ من طرق أكل المال بغير حق، أن يقول: إنه آت بهذه السلعة بأكثر مما أعطاك وهو كاذب؛ لأنه في هذه الحال يخدع الآخرين فيظنون أنه صادق، فيعطون مثل ما أعطى أو يزيدون، وهذه تقع من بعض الناس يُحابي بها صديقه، يقول: إني سُمْتُ هذه السلعة بهائة، وهو لم يسمها من أجل أن الآخرين يقولون: نحن نأخذها بهائة وعشرين، وكذلك العكس أن يحلف أنه أعطي فيها أكثر مما أُعطي، مثل أن تُسَام منه بعشرة، فيقول: إنها سيمت بعشرين ويخدع الناس بذلك، فكلٌ هذا من أكل المال بغير حق.

**والثاني:** «حلف على يمين كاذبة» بعد العصر؛ ليقطع بها مال امرئٍ مُسلم، وقد سبق ذكره.

**والثالث:** مَنْ «مَنَعَ فَضْلَ مَاءٍ» فيقول الله ﷻ يوم القيامة: «اليوم أَمْنَعْتُكَ فَضْلِي كَمَا مَنَعْتَ فَضْلَ مَا لَمْ تَعْمَلْ يَدَاكَ». وهذا في غير الماء الذي ملكه، أما الماء الذي ملكه فهو ملكه، له أن يمتنعه، وله أن يبيعه، لكن الماء الذي لم يملكه مثل رجل عنده غدير في أرضه، والغدير هو مجتمع ماء السيول، فصار

(١) تقدم تخرجه.

(٢) رواه البخاري (٧٤٤٦)، ومسلم (١٠٨).



لَا يُمَكِّنُ النَّاسَ مِنْ أَخْذِهِ إِلَّا بَعُوضٌ، هَذَا مَنَعَهُ، مَنَعَ فَضْلَ الْمَاءِ، وَكَرَّجَلٍ آخِرَ عِنْدِهِ بَثْرٌ فِيهَا مَاءٌ لَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ، بَلْ هُوَ زَائِدٌ عَنْ حَاجَتِهِ فَيَمْنَعُ النَّاسَ مِنْ أَنْ يَأْخُذُوا مِنْهَا بِدُونِ ضَرَرٍ عَلَيْهِ، فَهَذَا أَيْضًا حَرَامٌ عَلَيْهِ؛ لِأَنَّ الَّذِي أَنْبَعَ الْمَاءَ فِي الْبَثْرِ هُوَ اللَّهُ، وَالَّذِي أَنْزَلَ الْمَاءَ مِنَ السَّمَاءِ هُوَ اللَّهُ.

❦ وفي قوله: «ما لم تعمل يداك». دليل على أن ما عملت يده بأن ملكه ووضعه في آتيته، أو استخرجه من البئر وصبه في بركته، فإن له الحق في أن يمنع منه من أراد الأخذ إلا بعوض.

وكل ما مرَّ عليكم من نفي الكلام والنظر، فالمراد به: كلام الرضا ونظر الرضا. وكون اليمين الكاذبة بعد العصر؛ لأن هذا الوقت وقت فضل وذكرٍ فإذا حلف الإنسان بعد صلاة العصر وهو كاذب صار هذا أعظم؛ لأن آخر النهار أفضل من أول النهار.

\*\*\*

٧٤٤٧- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَهَّابِ، حَدَّثَنَا أَيُّوبُ، عَنْ مُحَمَّدٍ، عَنْ ابْنِ أَبِي بَكْرَةَ، عَنْ أَبِي بَكْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «الزَّمَانُ قَدْ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ، السَّنَةُ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا، مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ثَلَاثُ مُتَوَالِيَاتٍ ذُو الْقَعْدَةِ وَذُو الْحِجَّةِ وَالْمُحَرَّمُ، وَرَجَبٌ مُضَرُّ الَّذِي بَيْنَ جُمَادَى وَشَعْبَانَ، أَيْ شَهْرٌ هَذَا؟». قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ قَالَ: «الْأَيْسُ ذَا الْحِجَّةِ». قُلْنَا: بَلَى. قَالَ: «أَيْ بَلَدٌ هَذَا؟». قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ قَالَ: «الْأَيْسُ الْبَلَدَةُ؟». قُلْنَا: بَلَى. قَالَ: «فَأَيُّ يَوْمٍ هَذَا؟». قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ قَالَ: «الْأَيْسُ يَوْمَ النَّحْرِ». قُلْنَا: بَلَى. قَالَ: «إِنَّ رِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ - قَالَ مُحَمَّدٌ: وَأَحْسِبُهُ قَالَ: وَأَعْرَاضَكُمْ - عَلَيْكُمْ حَرَامٌ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، وَسَتَلْقَوْنَ رَبَّكُمْ فَيَسْأَلُكُمْ عَنْ أَعْمَالِكُمْ، أَلَا تَلْزَجُونَا بِعِدَى ضَلَالًا، يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ، أَلَا يَلْبِغُ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ، فَلَعَلَّ بَعْضٌ مَنْ يَلْبِغُهُ أَنْ يَكُونَ أَوْعَى لَهُ مِنْ بَعْضٍ مَنْ سَمِعَهُ». فَكَانَ مُحَمَّدٌ إِذَا ذَكَرَهُ قَالَ: صَدَقَ النَّبِيُّ ﷺ ثُمَّ قَالَ: «أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ؟ أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ؟»<sup>(١)</sup>.

❦ قوله ﷺ: «الزمان قد استدار كهيته يوم خلق الله السموات والأرض»، قال بعض العلماء: المعنى أن قريشًا كانوا يقولون بالنسيئة، «إِنَّمَا النَّبِيُّ زِيَادَةٌ فِي الْكَفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا» [البقرة: ٢٣٧]. مُحَرَّمٌ: من الأشهر الحرم، أحيانًا تؤجل قريش شهر المحرم تجعله في صفر، وشهر صفر تجعله في محرم، بمعنى: أنها تحل شهر المحرم وتحرم شهر صفر، وأن السنة التي حدث فيها النبي ﷺ وافق أن التحريم لشهر المحرم، لا لشهر صفر، فاستدار الزمان كهيته يوم خلق الله السموات والأرض.

وقال بعض العلماء: المعنى: أن الزمان استدار كهيته؛ أي: في تساوي الليل والنهار، وأن الرسول ﷺ حدث بهذا الحديث في وقت تساوى فيه الليل والنهار في فصل الربيع.

وعلى كلِّ حال: المقصودُ أن الرسولَ ﷺ أن السنة اثنا عشر شهراً هلالية، وهذه السنة مواقيت لجميع الناس للمسلمين والكفار، لهذه الأمة ولغير هذه الأمة، ولهذا كان اليهود يصومون عاشوراء في شهر المحرم، ويوقتون هذه الشهور، فهذه الشهور كما قال الله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٨٩]. هي مواقيت للناس عموماً والحج، وقال تعالى في القمر: ﴿وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدْدَ اللَّيَلِينَ وَالْأَلْحَابِ﴾ [القمر: ٥٠]. هذا هو التوقيت الذي جعله الله تعالى للعباد، لكن توالى الأمور والأحداث وغلب النصراني على بعض البلاد الإسلامية وحولوا التوقيت إلى التوقيت غير العربي وغير الهجري وغير ما جعله الله ﷻ للناس، بأشهر لا نعلم ما أصل هذه الأشهر.

❦ قوله: «منها أربعة حرم ثلاث متواليات ذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم»، والحكمة من ذلك -والله أعلم- من أجل أن يسير الناس إلى بيت الله في أمن؛ لأن هذه الأشهر الحرم يحرم فيها القتال.

وفما سبق لا يصل الناس إلى مكة في أيام الحج إلا من شهر أو أكثر، الذين في أقصى الجزيرة، فلذلك جعل الله ﷻ للحج حرماً في الزمان، كما جعل له حرماً في المكان، هذه الأشهر الثلاثة: «ذو القعدة»، شهر قبل شهر ذي الحجة «محرم»، شهر بعد شهر ذي الحجة، حتى يأمن الناس في ذهابهم وإيابهم إلى بيت الله.

**والرابع يقول:** «ورجب مضر». القبيلة المعروفة من أكبر قبائل العرب، وأضيف إليها؛ لأنه معلوم عندها، ويُعرف بهذه النسبة: رجل مضر، قال: «الذي بين جمادى وشعبان»، جمادى الثانية وشعبان هذا أيضاً من الأشهر الحرم، وهو شهر فرد.

**قَالَ الْقِسْطَلَانِي رَحِمَهُ اللَّهُ:**

وذلك لأن العرب كانوا يأتون إلى العمرة في هذا الشهر في رجب، ولا يمكن أن يعتمروا في أشهر الحج أبداً يرون أن الاعتناء في أشهر الحج من أكبر الكبائر، ويقولون: إذا عفا الأثر، وبرأ الدبر، ودخل صفر، حلت العمرة لمن اعتمر، و(عفى الأثر): أي انمحى أثر الحجاج، (برأ الدبر): يعني: القروح التي تكون على ظهور الإبل من الحمل، (ودخل صفر): يعني: بعد الحج بشهر، (حلت العمرة لمن اعتمر) أما قبل ذلك فلا تحل، ولهذا اعتمر النبي ﷺ جميع عمره في أشهر الحج حتى إن بعض العلماء تردد، هل العمرة في أشهر الحج أفضل أو في رمضان أفضل؟!.

❦ قوله: «أي شهر هذا؟! قلنا: الله ورسوله أعلم، فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه»، لماذا قالوا: الله ورسوله أعلم، وهم يعلمون الشهر؛ لأنهم استبعدوا أن يسأل النبي ﷺ عن اسم الشهر مع أنه معلوم، لا إشكال فيه، فظنوا أنه سيسميه بغير اسمه، إذا فقولهم: «الله ورسوله أعلم»، يعود إلى تسمية الشهر لا إلى نفس الشهر، فالشهر معلوم عندهم ولا إشكال فيه، لكن ظنوا أن الرسول ﷺ



استفهم عن اسمه لا عن عينه، ولهذا يقول: «فسكت حتى ظننا أنه يسميه بغير اسمه»، وهذا أسلوبان.

❖ قوله: «أي شهر»، والسكوت، أسلوبان من الأساليب التي توجب انتباه الإنسان؛ يعني: لو أن الإنسان ألقى الحديث مرسلًا، يفهم أو لا يفهم، لكن لا يتنبه الناس له مثل ما ينتبهون له إذا سأل، هذه واحدة.

**ثانيًا:** السكوت، فالسكوت يوجب الانتباه - السكوت في أثناء الكلام يوجب الانتباه - ولهذا نجد أن المحاضر أو الخطيب أو المدرس إذا سكت اشربأت الأعناق والتفتت العيون إليه، ما الذي حدث؟ فاستعمل النبي ﷺ هذين الأسلوبين.

❖ قوله: «أليس ذا الحجة؟». قلنا: بلى، قال: أي بلد هذا؟ قلنا: الله ورسوله أعلم، فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، قال: أليس البلدة؟ - البلدة اسم من أسماء مكة - ولها أسماء كثيرة معروفة عند الذين يتكلمون عن مكة وحرمة.

❖ قوله: «قلنا: بلى، قال: فأى يوم هذا؟ قلنا: الله ورسوله أعلم، فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، قال: أليس يوم النحر؟ قلنا: بلى». يوم النحر؛ يعني: يوم عيد الأضحى، وسمي يوم النحر؛ لأنه تُنحر فيه الضحايا والهدايا.

❖ قوله: «قال: فإن دماءكم وأموالكم، وقال محمد: وأحسبه قال وأعراضكم - عليكم حرام كحرمة يومكم هذا - في بلدكم هذا في شهركم هذا».

**إذا:** أراد النبي ﷺ من الاستفهام عن الشهر والمكان واليوم، أراد تأكيد تحريم هذه الثلاثة الدماء، والأموال، والأعراض.

وفي الحديث لفٌ ونشرٌ غير مرتب؛ لأنه بدأ باليوم وهو الأخير، ثم بالمكان، ثم بالزمان، ثم قال ﷺ: «وستلقون ربكم»، وهذا هو الشاهد من الحديث «فيسألکم عن أعمالکم» وقد ورد أن صفة هذا اللقاء أن الله ﷻ، يخلو بعبده المؤمن ويقرره بذنوبه، يقول: فعلت كذا، فعلت كذا، حتى إذا أقر، قال: قد سترتها عليك في الدنيا وأنا أعفوها لك اليوم، ثم قال: «ألا فلا ترجعوا بعدي ضللًا»، وفي لفظ: «كفارًا»، ولا منافاة بينهما؛ لأن كل كافر فهو ضال، وعلى هذا فيكون المراد بالضلال هنا ضلال الكفر.

❖ قوله: «يضرب بعضكم رقاب بعض»، وهنا قد يسأل النحوي، لماذا قال يضرب بالرفع مع أنها بعد النهي «فلا ترجعوا»، ومعلوم أن فاء السببية إذا حذفت بعد النهي أو الأمر، فإن الفعل يُجزم.

**نقول الجواب على هذا:** أن «يضرب» ليست جوابًا لترجع، ولكنها بيان للضلال، أو للكفر، فهي جملة استثنائية تبين ماذا يحصل به الكفر أو ماذا يحصل به الضلال، «يضرب بعضكم رقاب بعض ألا يبلغ الشاهد الغائب»، هذا كررها مرتين للتنبيه.

❦ وقوله: «يلبغ»، اللام للأمر، والفعل بها مجزوم، ولكنه حُرِّكَ بالكسر، لالتقاء الساكنين فلعل بعض مَنْ يبلغه أن يكون أوعى من بعض مَنْ سمعه، هذا يُفسر قوله: «رُبَّ مُبْلَغٍ أوعى من سامع»؛ يعني: أن بعض مَنْ يبلغه أوعى مِنْ بعض مَنْ سمعه، وليس كُلُّ مَنْ يبلغه أوعى من كُلِّ مَنْ سمعه، وهذا من الاحتراس في القول، وينبغي للإنسان في مثل هذا التعبير أن يحترس، بدل أن يقول مثلاً الناسُ فعلوا: يقول: بعض الناس فعلوا، الناس يفعلون، يقول: بعض الناس يفعلون، حتى يكون كلامه محرراً.

❦ **قال:** «كان محمد إذا ذكره قال: صدق النبي ﷺ» ثم قال: «ألا هل بلغت؟ ألا هل بلغت؟».

**فالجواب:** بلغ البلاغ المبين عَلَيْهِ السَّلَامُ بقوله وفعله وإقراره وتركه أتمته على محجة بيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالكٌ، وَمَنْ خفي عليه شيء من السنة فهو لأحد أسباب ثلاثة: إما نقص علمه، وإما قصور فهمه، وإما سوء قصده.

**أما الأول:** وهو نقص العلم فواضح.

**وأما الثاني:** قصور الفهم فواضح أيضاً؛ لأن بعض الناس يحفظ كثيراً، ولكن لا يفهم فيفوته من العلم بقدر ما فاته من الفهم.

**وأما الثالث:** سوء القصد، فإن الإنسان يُحرم العلم ولو كان عنده حفظٌ كثيرٌ وفهمٌ، يُحرم بسبب سوء القصد - والعياذُ بالله -.

ومن سوء القصد: ألا يُريد الإنسان إلا الدنيا، ومن سوء القصد ألا يُريد الإنسان إلا أن ينصرَ رأيَه، ومن سوء القصد ألا يُريد الإنسان إلا أن يتعصبَ لشيخه ومتبوعه، والواجبُ على الإنسان أن يُريد الوصولَ إلى الحق وإذا علم الله من الشخص أنه يُريد الوصولَ إلى الحق سهله له ويسره له سواء في المراجعة أو في المناقشة؛ لأن الله يقول: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ۝١٠﴾ [الفصحة: ٤٠]. فإذا علم الله منك أنك تريد الحق يسره لك.

هل تحريم القتال في الأشهر الحرم باقٍ أو لا؟

**نقول:** أما القتالُ دفاعاً فهو باقٍ في هذه الأشهرِ حتى في مكة، إذا قاتل الإنسان دفاعاً فإنه له ذلك، ﴿وَلَا تَقْبَلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يَقْتُلُوَكُمْ فِيهِ ۖ فَإِنْ قَتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ﴾ [البقرة: ١٩١]. لأن قوله: ﴿فَاقْتُلُوهُمْ﴾. أشد، اقتلوهم؛ لأنهم انتهكوا حرمتكم وحرمة البيت فاقتلوهم، كذلك الأشهر الحرم إذا كان القتال دفاعاً فإنه لا يُنتهى عنه، إذا كان القتال طلباً؛ يعني: نحن نريد أن نقاتل الكفار بدون أن يعتدوا علينا، طلبٌ.

فقد اختلف العلماء: هل النهي باقٍ أو منسوخ؟

فقال أكثر العلماء: إن النهي منسوخٌ.

وقال آخرون: إن النهي باقٍ، والذين استدلوا بأن النهي منسوخ، قالوا: إن الرسول ﷺ



قاتل ثقيفاً الطائف في شهر ذي القعدة، ومعلوم أن شهر ذا القعدة من الأشهر الحرم، وكذلك في غزوة تبوك في المحرم، وهذا من الأشهر الحرم.

وأجاب الآخرون قالوا: إن قتل ثقيف كان امتداداً للفتح، والقتال في الفتح كان في شهر رمضان، وانتهت الترتيبات إلى أن دخل شهر شوال وعلم الرسول ﷺ أن ثقيفاً تستعد له، فاستمر في القتال، وغزوة تبوك أيضاً كانت شبه مَدَافعة، وعلى هذا نقول: نسأل الله أن يُعطينا قوةً نقاتلهم حتى في غير الأشهر الحرم، نحن الآن لا نقاتل لا في الأشهر الحرم ولا في غير الأشهر الحرم، ولكن نسأل الله ﷻ أن يعطينا القوة الإيمانية والقوة المادية.

٢٥- باب ما جاء في قول الله تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ ﴿٦٨﴾ [الأعراف: ٥٦].

٧٤٤٨- حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَاحِدِ، حَدَّثَنَا عَاصِمٌ، عَنْ أَبِي عُمَانَ، عَنْ أَسَامَةَ، قَالَ: كَانَ ابْنُ لَيْعِصِ بْنِ النَّبِيِّ ﷺ يَقْضِي، فَأَرْسَلْتُ إِلَيْهِ أَنْ بَأْتِيَهَا فَأَرْسَلْ: «إِنَّ لِلَّهِ مَا أَخَذَ، وَلَهُ مَا أَعْطَى، وَكُلُّ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى، فَلَنْضِرَّ وَلَتَحْتَسِبَ». فَأَرْسَلْتُ إِلَيْهِ فَأَقْسَمْتُ عَلَيْهِ، فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَفُتَّتْ مَعَهُ وَمَعَادُ بْنُ جَبَلٍ وَأَبَى بْنُ كَعْبٍ وَعُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ، فَلَمَّا دَخَلْنَا نَاولُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ الصَّبِيَّ وَنَفْسُهُ تَقَلُّقُلٌ فِي صَدْرِهِ -حَسِبْتُهُ قَالَ: كَانَتْهَا شُنَّةٌ-، فَبَكَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: سَعِدَ بَنُ عِبَادَةَ أَنْبَكِي فَقَالَ: «إِنَّمَا يَرْحَمُ اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ الرَّحَمَاءَ».<sup>(١)</sup>

٧٤٤٩- حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعْدٍ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ، حَدَّثَنَا أَبِي، عَنْ صَالِحِ بْنِ كَيْسَانَ، عَنْ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «اخْتَصَمَتِ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ إِلَى رَبِّهِمَا فَقَالَتِ الْجَنَّةُ: يَا رَبِّ مَا لَهَا لَا يَدْخُلُهَا إِلَّا ضَعْفَاءُ النَّاسِ وَسَقَطُهُمْ. وَقَالَتِ النَّارُ -يَعْنِي -: أَوْثَرْتُ بِالْمُنْكَبِرِينَ. فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِلْجَنَّةِ: أَنْتِ رَحِمَتِي. وَقَالَ: لِلنَّارِ أَنْتِ عَذَابِي أُصِيبُ بِكَ مِنْ أَشَاءَ، وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْكُمَا مِلْؤُهَا قَالَ: فَأَمَّا الْجَنَّةُ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِنْ خَلْقِهِ أَحَدًا، وَإِنَّهُ يُنْشِئُ لِلنَّارِ مِنْ يَشَاءُ فَيُلْقُونَ فِيهَا فَنَقُولُ: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ. ثَلَاثًا، حَتَّى يَضَعَ فِيهَا قَدَمَهُ فَنَمْتَلِي وَيُرَدُّ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ وَنَقُولُ: قَطُّ قَطُّ قَطُّ».<sup>(٢)</sup>

هذا الباب عقده البخاري رحمه الله ﷻ في إثبات رحمة الله ﷻ وقد سبق التفصيل في الرحمة وذكرنا أنها تنقسم أولاً إلى قسمين: مخلوقة وغير مخلوقة، وأن المخلوقة تنقسم أيضاً إلى قسمين: عامة وخاصة، وسبق الكلام على هذا ويان أن أهل التعطيل أنكروا أن يكون لله رحمة بمعنى ما أراده الله ورسوله، وقالوا: المراد بالرحمة ما يترتب عليها من ثواب وإنعام وما أشبه ذلك.

❖ وقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾. فيها الحث على الإحسان وأنه كلما كان الإنسان أكثر إحساناً كان أقرب إلى رحمة الله ﷻ لأنه يكون رحيماً بذلك، والله تعالى يرحم من

(١) رواه البخاري (٧٤٤٨)، ومسلم (٩٢٣).

(٢) رواه البخاري (٧٤٤٩)، ومسلم (٢٨٤٦).

عبادة الرحاء، ثم ذكر حديث الصبي الذي لإحدى بنات الرسول ﷺ وتقدّم الكلام عليه، ثم ذكر حديث أبي هريرة، وفيه اختصمت الجنة والنار إلى ربهما، فالجنة قالت: يارب إنه لا يدخلها إلا الضعفاء، والنار قال: إنها أوثرت للمتكبرين، وفي قول الراوي: «وقالت النار؛ يَعْنِي: أوثرت». دليل على أنه لم يضبط اللفظ، ولكنه صحيح.

**وفي الحديث:** أن الله قال للجنة «أنت رحمتي»، وهي مخلوقة، «وقال للنار: أنت عذابي أصيب بك ما أشاء، ولكل واحدة منكما ملؤها، قال: فأما الجنة فإن الله لا يظلم من خلقه أحداً، وإنه ينشئ للنار من يشاء»، هذا لا شك أنه مُنْقَلَبٌ على الراوي، منقلباً انقلاباً واضحاً.

**والصواب:** فأما النار فإن الله لا يظلم من خلقه أحداً، وأما الجنة فإنه ينشئ لها من يشاء، وهذا قد مرّ علينا على الوجه الصحيح، فالحديث مُنْقَلَبٌ، وعليه فيكون: فأما الجنة فينشئ لها من يشاء وأما النار فإن الله لا يظلم من خلقه أحداً، فيلقون فيها ... إلى آخره.

❖ وقوله: «حتى يضع فيها قدمه فتمتلي»، هذا مما استدل به أهل التعطيل على أن المراد بالقدم من يقدمهم الله إلى النار؛ لقوله: «فتمتلي».

وسبق لنا اللفظ الصواب «فينزوي بعضها إلى بعض» وتتضم هي بعضها إلى بعض من وضع الرب عليها قدمه، وهذا هو الصواب، ويحمل قوله: «فتمتلي». إن كان محفوظاً على أنه إذا انضم بعضها إلى بعض لم يعد فيها مكان لأحد، لأنه إذا انزوى بعضها إلى بعض امتلأت فيحمل على هذا المحمل، والشاهد من هذا قوله: «أنت رحمتي».

\*\*\*

٧٤٥٠- حَدَّثَنَا حَنْصُ بْنُ عَمَرَ، حَدَّثَنَا هِشَامٌ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لِكَيْسَيِّنَ أَقْوَامًا سَفَعُ مِنَ النَّارِ يَذْنُوبُ أَصَابُوهَا عُقُوبَةً، ثُمَّ يُدْخِلُهُمُ اللَّهُ الْجَنَّةَ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ يُقَالُ لَهُمُ: الْجَهَنَّمِيُّونَ». وَقَالَ هِشَامٌ: حَدَّثَنَا قَتَادَةُ حَدَّثَنَا أَنَسٌ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ.

هذا سبق على ما يدل عليه في الحديث الطويل عن أبي سعيد وغيره.

\*\*\*

٢٦- باب قول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا﴾ [نمل: ٤١].

٧٤٥١- حَدَّثَنَا مُوسَى، حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ، عَنِ الْأَعْمَشِيِّ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ عَلْقَمَةَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: جَاءَ حَبْرٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنَّ اللَّهَ يَصْعُقُ السَّمَاءَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْأَرْضَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْجِبَالَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالشَّجَرِ وَالْأَنْهَارَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَسَائِرَ الْخَلْقِ عَلَى إِصْبَعٍ، ثُمَّ يَقُولُ بِيَدِهِ أَنَا الْمَلِكُ فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَقَالَ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ [الأنعام: ٩١].



❦ قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا﴾. فيها بيان الإمساك، والإمساك: القبض، وقد سبق أن الله قال: ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ [التكوير: ٦٧]. وقد قال تعالى في آية أخرى: ﴿وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾. فالله تعالى يمسك السموات والأرض ﴿أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ﴾ [طه: ٤١]. يعني: ما أمسكها أحد من بعده ﴿وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾؛ يعني: السماء فوق الأرض، فلو لا إمساك الله تعالى لها لوقعت على أهل الأرض.



٢٧- باب مَا جَاءَ فِي تَخْلِيْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَغَيْرِهَا مِنَ الْخَلَائِقِ.  
وَهُوَ فِعْلُ الرَّبِّ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- وَأَمْرُهُ فَالرَّبُّ بِصِفَاتِهِ وَفِعْلُهُ وَأَمْرُهُ وَكَلَامُهُ وَهُوَ الْخَالِقُ الْمُكُونُ غَيْرُ مَخْلُوقٍ وَمَا كَانَ يَفْعَلُهُ وَأَمْرُهُ وَتَخْلِيْقُهُ وَتَكْوِينُهُ فَهُوَ مَفْعُولٌ مَخْلُوقٌ مُكُونٌ.

❦ قوله تَعَالَى «باب ما جاء في تَخْلِيْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ» تَخْلِيْقُ مصدر خَلَقَ، وَخَلَقَ السَّمَوَاتِ مصدر خَلَقَ، وهي في نسخة عندي: خَلَقَ السَّمَوَاتِ، فيجوز خَلَقَ وَتَخْلِيْقُ، وفي القرآن ﴿تَخْلُقُ وَغَيْرِ مَخْلُوقٍ﴾ [التكوير: ٥٠]. «مُخْلَقَةٌ» مشتقة من التَخْلِيْقِ، تَخْلِيْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَغَيْرِهَا مِنَ الْخَلَائِقِ.

❦ قوله: «وهو» -أي: التَخْلِيْقِ «فعل الرب تبارك وتعالى وأمره» فعله وأمره، التَخْلِيْقُ يكون بأمرين، بالأمر والفعل، ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [البقرة: ٨٢]. فلا يتم الخلق إلا بالأمر، والأمر هنا مسبوق بالإرادة، وإنما بَوَّبَ الْبَخَارِيُّ تَعَالَى لهذا؛ لأن من أهل البدع مَنْ يقول: إِنَّ الرب ليس له فعلٌ، وأن المراد بفعله مفعوله، لماذا؟ لأنه لو قام الفعل بالخالق لكان محلاً للحوادث، ولا يكون محلاً للحوادث إلا الحادث، وسبق أن هذه القاعدة فاسدة وباطلة وأن الرب عَزَّ وَجَلَّ لم يزل ولا يزال خلاقاً، والمخلوق هو الذي يتجدد، والفعل المقارب للخلق كذلك أيضاً يتجدد، ولكن لم يزل ولا يزال خلاقاً، فعلى هذا نقول: الْبَخَارِيُّ تَعَالَى سلك في هذا مسلك السلف الصالح، وهو أن الفعل غير مخلوق، الفعل صفة قائمة بالرب، والمفعول مخلوق بائن عن الرب، وغرضه بذلك الرد على مَنْ زعم أن الفعل هو المفعول، قصده بذلك الرد على مَنْ زعم أن فعل الله مفعوله وليس لله فعل يقوم به.

إِذَا: الْبَخَارِيُّ تَعَالَى سلك مسلك السلف في أن الفعل غير المفعول، الفعل فعل الرب، والمفعول مفعول، منفصل عن الرب مُكُونٌ ولهذا قال تَعَالَى: وهو فعلُ الرب تبارك وتعالى وأمره، فعل الرب واضح، الخلق هو فعل الرب، أمره؛ يعني: الكائن بأمره، ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [البقرة: ٨٢]. يقول للسَّمَوَاتِ: كن فتكون، ويقول لها وللأرض: ﴿أَتَيْنَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا لَطَائِفِينَ﴾ [الحاقة: ١١]. وهكذا كُلُّ المَخْلُوقَاتِ حتى الذرة: إذا أراد أن يخلقها عَزَّ وَجَلَّ قال لها: كوني، فتكون، وعَزَّ وَجَلَّ الذي وسع هذه الخلائق العظيمة، كم يُخْلِقُ في اللحظة من المَخْلُوقَاتِ؟ أَمَّ لَا

يُحْصِيهَا إِلَّا اللَّهُ، وهو سُبْحَانَهُ يقول لها كلها: كن، فتكون، وإذا كان الربُّ سُبْحَانَهُ وسع الأصوات كلها، الكل يُصلي يقول: الحمد لله رب العالمين، فالربُّ سُبْحَانَهُ يقول لهم: حمدي عبدي، كلُّ مُصَلٍّ في أيِّ مكانٍ، ولو اتحد الزمانُ، فإنَّ الله يقول: حمدي عبدي، وهذا يدلُّك على سعة الله، ولهذا قال: ﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلَيْهِمُ﴾ [النمل: ٢٦٨]. محيطٌ بكلِّ شيءٍ علماً سُبْحَانَهُ، وعلى هذا فنقول: قوله سُبْحَانَهُ: هو «أمره»؛ يعني: الكائن بأمره، الخلقُ فعلُ الربِّ، وأمره؛ يعني: الكائن بأمره الكوني.

**قوله:** «فالرب بصفاته وفعله وأمره»، يعني: الربُّ ربُّ بصفاته، فالصفات لا تنفصل عن الموصوف، و«بصفاته» أزلي أبدي جلَّ وعلا، الأوَّل الذي ليس قبله شيءٌ، والآخر الذي ليس بعده شيءٌ، وهذا أيضًا ردٌّ على مَنْ قال: إن الصفةَ غيرُ الموصوف، يقول: «الرب بصفاته»، فأنت إذا دعوتُ الله، هل دعوت ذات مجردة من الصفات؟ إذا قلت يارب، فأنت تسأل الله وأنت تستحضر جميع صفاته التي تحيط بها، يعني: يارب بالصفات الكاملة والأسماء الحسنى، فالله سُبْحَانَهُ بصفاته وكذلك بأسمائه، لكن لم يذكر الأسماء لأن الكلام الآن في الخلق، والخلق صفة، فالرب بصفاته، الجار والمجرور «بصفاته» خبر الرب؛ يعني: الربُّ ربُّ بصفاته وفعله وأمره، وأشار البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ بقوله: «الرب بصفاته وفعله» إلى القول الراجح في تسلسل الحوادث، إذا كان الرب بفعله لزم من هذا أن يكون الفعل قديماً أزلياً وهو كذلك، فالفعل قديمٌ أزليٌّ، لكن المفعول هو الحادث والفعل المقارن للمفعول حادثٌ، ولهذا نقول: فعلُ الله الذي هو فعله من حيث الجنس أزليٌّ، لم يزل سُبْحَانَهُ فعَّالاً، والفعل المقارن للمفعول حادثٌ كالكلام سواء، أصلُ الكلام أزليٌّ وما يتكلَّم به سُبْحَانَهُ حين يتكلَّم فهو حادثٌ، ولا مانع أن نقول بهذا، أليس الله يقول: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾ [الأنعام: ٢١٤]. فكان الكلام حين المجيء لم يكن من قبل، فالأمر في هذا واضح، فالبخاري رَحِمَهُ اللَّهُ أشار بهذا إلى أن الأرض لازمةٌ له، وهذا هو الحقُّ، ومَنْ تأمله وجدَّ أنه لا يُمكن العدول عنه خلافاً لمن شنع على شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ بقوله بهذا القول، والإنسان يستغرب كيف يُشنع؟ لأننا إذا قلنا: إنه ليس هناك تسلسل وأن الله في الأوَّل كان لا يدري نقول: لماذا لا يدري الله؟ هل هو عاجز؟ إن قالوا: نعم: كفروا، وإن قالوا: بلى، قلنا: فإن كان كذلك؛ فما الذي يمنعه أن يفعل؟ فجواز تسلسل الحوادث في الأزل كجوازه في المستقبل ولا فرق، هو الأوَّل بصفاته وأفعاله التي ليس قبله شيء، والآخر بصفاته وأفعاله الذي ليس بعده شيء.

**قوله:** «أمره». الأمر الذي يكون به الفعل. «كن». هذا أمر فهو لم يزل سُبْحَانَهُ بصفاته وفعله وأمره.

**قوله:** «وهو الخالق المكون»، أراد المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ بقوله وهو المكون: أن يفسر معنى الخالق، لا أن يُثبت أن المكون من أسماء الله، ولهذا ليس من أسماء الله المكوَّن، لكن هو فسر الخالق، والخالق من أسماء الله، البارئ الخالق، «المكوَّن»، تفسير للخالق وإن شئت فقل: تفسير للمصوِّر كما قال تعالى: ﴿الْخَلِيقَ الْبَارِئَ الْمُصَوِّرَ﴾ [الأنعام: ٢٤]. أي: المكون للشيء على الصورة التي



أرادها.

❦ قوله: «غير مخلوق»، وإن حدثت منه الأفعال فإنه ليس بمخلوق؛ لأن الله هو الخالق وما سواه مخلوق، ثم قال: وما كان بفعله وأمره وتخليقه وتكوينه فهو مفعول، ففرق بـ **يَخْلُقُهُ** بين الفعل والفاعل والمفعول، فهذه ثلاثة أشياء، كل واحدة منها لها حقيقة: فاعل وفعل ومفعول.

**الأول:** الفاعل، ثم الفعل، ثم الفعول، هذا إذا قلنا: الفاعل؛ يعني: الذي يريد أن يفعل، أما إذا قلنا: الفاعل الذي قام به الفعل، فالفعل سابق على الفاعل؛ لأنه لا يصدق عليه أنه فاعل حقيقة إلا بعد وقوع الفعل.

الفاعل: الأصل أنه لا فعل إلا بفاعل، أليس كذلك، فإذا قلنا: لا فعل إلا بفاعل لزم أن يسبق الفاعل الفعل، ولا مفعول إلا بفعل، فالسابق الفعل، لكن إذا أريد بالفاعل حقيقة الفعل فهنا يجب أن يسبق الفعل الوصف بالفاعل؛ يعني: ما يكون فاعلاً حتى يفعل، أنا مثلاً: ناطق حقيقة ولا أكون ناطقاً حقيقة إلا بعد أن أنطق، لكن قبل أن أنطق أكون ناطقاً حكماً، ولا يمكن النطق إلا بوجوده، فالناطق سابق على النطق، والمنطوق به متأخر عن النطق، لكن إذا أردت حقيقة وصفه بالفعل فإنه لا يمكن أن يكون فاعلاً حتى يفعل.

❦ **قوله:** «وما كان بفعله وأمره وتخليقه...» فهو مخلوق عائد على تخليقه وأمره، والحاصل من هذه الترجمة أن المؤلف **يَخْلُقُهُ** أراد أن يُبين أن ما سوى الله مخلوق وأن الله وحده هو الخالق وأنه **يَخْلُقُ** رب بفعله ووصفه بأفعاله وصفاته، فلم يزل فاعلاً، ولن يزال موصوفاً بصفاته الكاملة، وأن الخلق حادث، -الخالق الذي هو المخلوق حادث-.

فإن قيل: إن الصفات الفعلية أصلها أزلي، فما الجواب عن قوله: إن رحمتي سبقت غضبي؟

**الجواب:** المعنى: إذا وجد مقتضى الغضب ومقتضى الرحمة، فالرحمة تسبق هذا المعنى، ليس المعنى سبقت في الأزل، المعنى: إذا وجد شيء يوجب غضب الله ورحمة الله فالرحمة تغلب وتسبق.

\*\*\*

٧٤٥٢- حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ أَبِي مَرْيَمَ، أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، أَخْبَرَنِي شَرِيكُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي نَمِرٍ، عَنْ كُرَيْبٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: يَتُفَى فِي بَيْتِ مَيْمُونَةَ لَيْلَةٌ وَالنَّبِيُّ ﷺ عِنْدَهَا لَا نَظَرَ كَيْفَ صَلَاةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِاللَّيْلِ، فَتَحَدَّثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَعَ أَهْلِهِ سَاعَةً ثُمَّ رَقَدَ، فَلَمَّا كَانَ ثُلُثُ اللَّيْلِ أَخْبِرَ أَوْ بَعْضُهُ فَعَدَّ فَنَظَرَ إِلَى السَّمَاءِ فَقَرَأَ ﴿إِنِّي خَلَقْتُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ إِلَى قَوْلِهِ ﴿لَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾ (١) ثُمَّ قَامَ فَتَوَضَّأَ وَاسْتَنْزَّ، ثُمَّ صَلَّى إِحْدَى عَشْرَةَ رَكْعَةً، ثُمَّ أَذَّنَ بِإِلَاءِ الصَّلَاةِ فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ خَرَجَ فَصَلَّى لِلنَّاسِ الصُّبْحَ (١).

صلة ميمونة بعبد الله بن عباس أنها خالته أخت أمه، وابن عباس رضي الله عنه ذكي عاقل حريص على العلم حتى إنه كان يأتي إلى الرجل من أصحاب الرسول ﷺ في القيلولة ويضع رداءه يتوسده، ينام على العتبة حتى يخرج صاحب البيت ويقول: حدثني عن رسول الله، فيقول له: يا بن عم رسول الله: لماذا لم تقم؟ قال: أنا صاحب الحاجة.

وفهمه وعقله وفقهه رضي الله عنه معروف، أحب أن ينظر كيف يصنع الرسول ﷺ في أهله وكيف يصلي في الليل؟ يقول: فدخل النبي ﷺ بعد صلاة العشاء وتحدث مع أهله ساعة يعني: يمكن أقل أو أكثر من ستين دقيقة، لكن معروف أن الرسول ﷺ يكره الحديث بعد صلاة العشاء، فيكون هذا الحديث الذي تحدث به حديثاً يحصل به الإناس للأهل؛ لأن الرسول ﷺ يقول: «خيركم خيركم لأهله»<sup>(١)</sup>، ومعلوم أن الرجل لو جاء إلى أهله ودخل عليهم، ثم انصرف إلى الفراش ونام والمرأة نامت لا يكون هناك ألفة، وهذا سبب للقطيعة، ولكن إذا تحدث معه أهله ساعة يؤنسهم ويدخل السرور عليهم فهذا من هدي الرسول ﷺ.

**قوله:** «ثم رقد فلما كان ثلث الليل الآخر أو بعضه قعد صلوات الله وسلامه عليه»، ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ وَنُصْفَهُ، وَثُلُثَهُ﴾ [البقرة: ٢٣٠]. حسب نشاطه ﷺ، أما إذا مضى ثلث الليل أو نصفه أو ثلثاه، يقول: «فقد فنظرت إلى السماء» نظر تفكر واتعاض لما فيها بما فيها من الآيات العظيمة، هذه النجوم الزواهر والقمر الزاهر يستدل به على عظمة الله ﷻ وحكمته ونظامه العظيم.

**قوله:** «اقرأ ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ إِلَى قَوْلِهِ ﴿لَا تُدْرِي إِلَّا الْكَتَبُ﴾»<sup>(٢)</sup>. ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضِ﴾؛ أي: تخليقها، وما أودع الله فيها من الغرائب، وبدائع الصنعة، واختلاف الليل والنهار، في أي نوع من الاختلاف بالطول، والقصر، والحر، والبرد، والحرب، والسلام، والصحة، والمرض، والعز، والدل، وغير ذلك، كل فيه آيات لأولي الأبواب.

﴿وَاخْتَلَفَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ لَأَيِّنَّ لِلْأُولَى الْأَلْبَابُ﴾. آيات: جمع آية، وهي العلامة الدالة على ما الله تعالى من الحكمة والرحمة وغير ذلك مما تقتضيه هذه الاختلافات.

**قوله:** «﴿لَا يَنْتَرِي﴾»؛ المعنى: في كل واحد منها آيات أو آيات موزعة على الجمع السابق؟

**الجواب:** الأول، كل شيء من هذه فيه آيات عظيمة، فمثلاً: النجوم فيها آيات في عظمها وكبرها ونورها وحركاتها وسكناتها ولونها، بعض النجوم تجده يتحرك يلمع، وبعضها ساكن وبعضها أبيض وبعضها يميل للحمرة، وبعضها كبير وبعضها صغير، وبعضها سائر وبعضها خالص، كل في آياته، وهكذا القمر وهكذا الشمس في آياته لكن لمن؟ لأولي الأبواب لأصحاب العقول، أما الغافلون فلا ينتفعون بهذه الآيات.

(١) أخرجه أبو داود (٢٥٧٨)، وابن ماجه (١٩٧٩).



❦ قوله: «ثم قام فتوضأ واستن ثم صلى إحدى عشرة ركعة»، «توضأ واستن»؛ يعني: استاك، وكان النبي ﷺ إذا قام من الليل يشوص فاه بالسواك،<sup>(١)</sup> هكذا قال حذيفة رضي الله عنه بأن يدلّكه، دلّكاً بغسل؛ لأنّ الفم يتغيّر بالنوم.

واستدلّ بهذا الحديث على أن القرآن يجوزُ لغير المتوضئ؛ لأن النبي ﷺ قرأ قبل أن يتوضأ وهو كذلك، ولكن الاستدلال على هذا بهذا الحديث فيه نظر، وذلك لأن نوم النبي ﷺ لا ينقض الوضوء حيث تنام عيناه، ولا ينام قلبه،<sup>(٢)</sup> وهو ﷺ فيها يظهر قد نام على وضوئه، فيكون قد قام على وضوئه.

❦ قوله: «ثم أذن بلال بالصلاة فصلى ركعتين ثم خرج فصلى للناس الصبح» في هذا أيضًا دليل على أن الإمام ينبغي له أن يصلي الرواتب في بيته لا في المسجد، وأنه إذا دخل المسجد أقيمت الصلاة، هذا في الصلوات الخمس، أما في الجمعة فهو أوكد، وبه نعرف أن ما يفعله بعض الأئمة من التقدم يوم الجمعة والصلاة والجلوس حتى يأتي وقت خروج الإمام، ثم يقوم فيصعد المنبر أن هذا خلاف السنة، وهو يريد أن يحصل على أجر التقدم في الجمعة، فنقول له: أجر اتباع السنة أكثر من أجر التقدم فلا تتقدم، لا تأت إلا وقت صعودك إلى المنبر، وكذلك بقية الصلوات، فالسنة للإمام أن يتأخر في بيته فإذا جاء أقيمت الصلاة، ولهذا قال النبي ﷺ: «لا تقوموا حتى تروني»<sup>(٣)</sup> مما يدل على أنه يأتي، ثم تقام الصلاة فورًا.

❦ قوله: «فصلى للناس»، اللام قيل إنها بمعنى «الباء»، أي: صلى بالناس الصبح، وقيل: صلى لهم؛ لأنه إمامهم. فاللام للتعليل، وليس المعنى أنه صلى تقرّبًا إلى الناس، ولكن صلى لأجلهم؛ أي: ليكون إمامًا لهم.

**الشاهد من هذا الحديث:** قراءته هذه الآية: ﴿إِن فِي خَلْقِ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضِ﴾. مَنْ خلقهما؟ الله.

\*\*\*

٢٨- باب قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كُفْمُنَا لِعِبَادَتَا الْمُرْسَلِينَ﴾ (٣٧) [الصافات: ١٧١].

٧٤٥٣- حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ، حَدَّثَنِي مَالِكٌ، عَنْ أَبِي الزِّنَادِ، عَنِ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَمَّا قَضَى اللَّهُ الْخَلْقَ كَتَبَ عِنْدَهُ فَوْقَ عَرْشِهِ، إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي»<sup>(١)</sup>.

❦ قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كُفْمُنَا لِعِبَادَتَا الْمُرْسَلِينَ﴾. بقية الكلام ﴿إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ﴾ (٣٧) وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ

الْمُغْلِبُونَ (٣٨) [الصافات: ١٧٢-١٧٣].

❦ ففي قوله: ﴿سَبَقَتْ كُفْمُنَا﴾. دليل على أن كلمات الله ﷻ فيها سابق ومسبق وهو كذلك؛ لأن

(١) أخرجه البخاري (٨٨٩)، ومسلم (٢٢٥).

(٢) رواه البخاري (٧٢٨١).

(٣) أخرجه البخاري (٩٠٩).

(٤) رواه البخاري (٧٤٥٣)، ومسلم (٢٧٥١).

الله يتكلّم متى شاء.

❖ وفي قوله: «لما قضى الله الخلق كتب عنده فوق عرشه إن رحمتي سبقت غضبي»، هذا أيضًا مما سبق من كلماته ﷻ ما كتبه في أن رحمته سبقت غضبه؛ ومعنى الحديث: أنه إذا حصل فعلٌ يكون سببًا للرحمة وسببًا للغضب، فإن الرحمة تسبق الغضب ويرحم الله ﷻ بها من شاء.

\*\*\*

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٤٥٤- حَدَّثَنَا آدمُ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ، سَمِعْتُ زَيْدَ بْنَ وَهْبٍ، سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ: «إِنَّ خَلْقَ أَحَدِكُمْ يُجْمَعُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا وَأَرْبَعِينَ لَيْلَةً، ثُمَّ يَكُونُ عِلَاقَةً مِثْلَهُ، ثُمَّ يَكُونُ مَضْغَةً مِثْلَهُ، ثُمَّ يُنْعَثُ إِلَيْهِ الْمَلَكُ فَيُؤَذِّنُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ، فَيَكْتُبُ رِزْقَهُ وَآجَلَهُ وَعَمَلَهُ وَشَقِيَّ أَمْ سَعِيدٌ ثُمَّ يَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ، فَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، حَتَّى لَا يَكُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْقَى عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُ النَّارَ، وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ إِلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْقَى عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَدْخُلُهَا»<sup>(١)</sup>.

هذا الحديث كالأول فيه بيان حدوث الكلام.

❖ يقول ابن مسعود: «حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق» الصادق فيما أخبر به، المصدوق فيما أخبر به؛ يعني: ما كذب ولا كُذِبَ بخلاف الكهان، فالكهان كاذبون مكذوبون؛ لأن الشياطين التي تلقي إليهم السمع تكذب مع الصدق مائة كذبة، وهم يكذبون أيضًا، أما النبي ﷺ فهو صادق مصدوق، صادق فيما أخبر به، مصدوق فيما أخبر به، فالوحي الذي أوحاه الله إليه صدق، وخبره إيانا صدق، وإنّا قدّم ابن مسعود هذه المقدّمة؛ لأنه سيتحدث عن أمر غيبي لا يعلمه إلا الله ﷻ ولا سيما أنه في ذلك الوقت ليس هناك طبٌّ متقدّمٌ يعرف الناس كيف يتطور الجنين. ❖ قوله: «أن خلق أحدكم يُجمع في بطن أمه أربعين يومًا وأربعين ليلة»، يُجمع: الجمع ضد التفريق، وذلك أن الحيوانات المنويّة في النطفة الواحدة كثيرة جدًا، تُجمع هذه لمدة أربعين يومًا نطفة.

❖ قوله: «ثم يكون علقه مثله» يتحول هذا المني إلى علقه، العلقه: دودة دقيقة جدًا حمراء، يكون هذا الحيوان المنوي علقه مثله؛ أي أربعين يومًا.

❖ قوله: «ثم يكون مضغة مثله»؛ أي: أربعين يومًا، والمضغة: القطعة من اللحم بقدر ما يمضغه الإنسان في الأكل، ولكن لا تظن أن هذا التحول يحدث طرفة واحدة؛ بمعنى يبقى أربعين يومًا منيًا، ثم في تمام الأربعين

(١) رواه البخاري (٧٤٥٤)، ومسلم (٢٦٤٣).



ينقلب مرة واحدة أحمر، ثم بعد أربعين ينقلب مرة واحدة مضغة، لا، يتكوّن شيئاً فشيئاً، لكن يغلب عليه في الأربعين الأولى أن يكون نطفة وفي الأربعين الثانية أن يكون علقة وفي الأربعين الثالثة يكون مضغة، ويتكون بإذن الله العظم والرحم، كل شيء.

❖ قوله: «ثم يُعْتُبُ إليه الملك»، الملك اسم جنس يُراد: به الملائكة الموكّلون بها في البطون.

❖ قوله: «فيؤذن بأربع كلمات»؛ أي يُعلم، يؤذن؛ أي يُعلم، كما قال تعالى: ﴿وَأَذِّنْ مِنْ اللَّهِ رَسُولَهُ﴾ [الأنعام: ١٣]. أي: إعلامٌ بأربع كلمات.

❖ قوله: «فيكتب رزقه، وأجله، وعمله، وشقي أم سعيد»، يكتب الملك هذه الأشياء الأربعة:

**أولاً:** الرزق: ولكن يُكتب الرزق بأسباب الرزق من أين يأتيه؟ بشراء إرث، هبات، يكتب الرزق.

**ثانياً:** الأجل: يُكتب طويل أو قصير.

**ثالثاً:** العمل: يُكتب عمل صالح أو عمل فاسد.

**رابعاً:** الشقي أو السعيد المآل، مآله إلى الشقاء أو مآله للسعادة، كل هذا يُكتب، ولكن نسأل،

هل نحن عندنا علم بالمكتوب؟

**الجواب:** لا، ليس عندنا علم بما يكتب، الملك الموكّل بذلك عنده علم متى سيموت هذا

الرجل؟ كيف رزقه؟ كيف أجله؟ كيف عمله؟ كيف مآله؟ لكن نحن ليس عندنا علم، ولهذا لا يمكن لأحد أن يحتاج بهذا الحديث وما شابهه على معصية الله، لأننا نقول له لو احتج: ما الذي أعلمك أنك من الأشقياء؟ ما الذي أعلمك أن عملك سيء؟ أنت الذي اخترت وأنت لا تعلم أن عملك سيء إلا بعد أن تفعل.

❖ قوله: «ثم ينفخ فيه الروح»، الروح من الأشياء التي لا تفنى إذا خلقها الله ﷻ فإنها لا تفنى؛ لأنها عند الموت تخرج من الجسد فقط وتُنعم أو تعذب، ويوم القيامة تُردُّ إلى الجسد فهي من المخلوقات الدائمة التي خلقها الله ﷻ للبقاء ولذلك ليست من العناصر المعروفة، يعني: ليست من حديد ولا من خشب ولا من طين، من عنصر الله أعلم به كما قال الله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الأنعام: ٨٥]. ولهذا تجدها تتخلل البدن وتخرج منه في النوم من غير أن يشعر الإنسان، وترجع عند اليقظة من غير أن يشعر بشيء دخل فيه أو خرج منه، مع أنها لا شك أنها تخرج؛ ولذلك يفقد الإحساس، وتعود ولذلك يعود الإحساس، فلهذا أمرها عجيب، فالروح أمرها عجيب، ومن ثم قطع الله ﷻ علينا الوصول إلى حقيقتها فقال: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾.

**يقول في الحديث:** «ثم ينفخ فيه الروح» والنفخ معروف، والنافخ: الملك، كيف ينفخ الملك؟

**نقول:** هذا ليس لنا أن نسأل عنه؛ لأن هذا أمرٌ غيبيٌّ وإذا كان الشيطان وهو عدوٌّ للإنسان يجري

من ابن آدم مجرى الدم، فالملك الذي يسير بأمر الله من باب أولى، والشيطان كذلك يسير بأمر الله،

لكنه ابتلاء وامتحان.

**قوله:** «فإن أحدكم ليعمل ليعمل أهل الجنة حتى لا يكون بينها وبينه إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخل النار، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينها وبينه إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها»، هاتان الجملتان من أشد ما يكون إخافة للإنسان الذي يعمل بعمل أهل الجنة؛ لأنه لا يدري ماذا يُختم له، قد يعمل بعمل أهل الجنة حتى يكاد يصلها لا يبقى بينه وبينها إلا ذراع، وقد كُتِبَ شقيًّا من أهل النار فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار.

والثاني بالعكس يعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها، ولكن قد ثبت في صحيح البخاري في قصة الرجل الذي كان في غزاة مع الرسول ﷺ وكان مقدامًا شجاعًا لا يدع للعدو شاذة ولا فاذة؛ يعني: إلا قضي عليها، فقال النبي: «هذا من أهل النار» مع أنه مجاهد، فعظم ذلك على الصحابة وكبر عليهم، فقال أحدهم: والله لألزمته حتى أنظر ماذا يكون أمره، «ألزمته»؛ يعني: أتابعه وأنظر ماله، يقول: فأصابه سهمٌ من العدو فجزع فوضع ذبابة سيفه على صدره واتكأ على السيف حتى خرج السيف من ظهره -نعوذ بالله- فقتل نفسه، فجاء الرجل في الصباح إلى النبي ﷺ وقال: أشهد أنك رسول الله، قال: «ولم؟» قال: الرجل الذي قلت فيه كذا وكذا، هذا ما فعل، فقال النبي ﷺ: «إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار»<sup>(١)</sup> فهذا الحديث يُقَيِّدُ حديث ابن مسعود، فيكون قوله: «حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع» أي حتى يُقَرَّبُ أجله وهو يعمل بعمل أهل النار أو بعمل أهل الجنة، فيكون قد سبق عليه الكتاب.

**فإذا قال قائل:** ما هو السبب؟ أليس الله ﷻ، قد سبقت رحمته غضبه؟ أليس الله تعالى قال: ﴿وَكَانَ اللَّهُ شَاحِكًا عَلِيمًا﴾ [النمل: ١٨]؟ فهل من شكر الله أن يعمل له هذا الرجل إلى أن يبقى بينه وبين الموت هذا القدر، ثم يخجله الله؟ أين الشكر؟

**الجواب:** نقول: والله إن الله لشكورٌ عليمٌ، لكن هذا الرجل -نعوذ بالله- في قلبه سرٌّ هو الذي أهلكه: إما مراعاة ناس أو أحقاد أو كرهه لبعض ما أنزل الله أو ما أشبه ذلك، هذا السر الذي لا يبدو للناس هو الذي خانته، أحوج ما يكون إليه، فأودى به إلى الهلاك، ولهذا يجب علينا أن نظهر قلوبنا دائمًا وأن نحافظ على طهارتها وسلامتها أكثر مما نحافظ على ركن من أركان الصلاة أو شرط من شروط الصلاة، يعني الإنسان من لا يكاد يُفَرِّطُ في ركن من أركان الصلاة أو شرط من شروطها، لكن القلوب قد غبنا عنها لا نظهرها وهذا يُخشى علينا منه، نسأل الله أن يسلمنا منه، المسألة خطيرة، وبهذا الحديث الذي سقناه في قصة الرجل يرتاح الإنسان ويحافظ على قلبه وعلى سلامة قلبه حتى



يوافق ظاهره باطنه ويسلم من سوء الخاتمة - نسأل الله العافية -.

أما العكس الذي يعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة، فهذا كثير، ما أكثر الذين أسلموا في عهد الرسول ﷺ ثم ماتوا قريباً من إسلامهم! ومنهم الأَصِيرِي رجل من بني عبد الأشهل كان كافراً مُعَادِيًا للدعوة الإسلامية، فلما سمع بالخروج يوم أحد ألقى الله في قلبه الإسلام وخرج مع الناس للغزو في سبيل الله فُقُتِلَ، فلما تتبع الناس قتلاهم بعد انفكاك المعركة وجدوا الأَصِيرِي، قالوا: ما الذي جاء بك ونحن قد عهدناك تكره هذا الأمر. أَحَدَّبَ على قومك أم رغبة في الإسلام؟! قال: بل رغبة في الإسلام - ما شاء الله، انظروا إلى حسن الخاتمة - وبلغوا عني رسول الله ﷺ السلام وأخبروه، ثم مات من حينه، فهذا الرجل كان يعمل بعمل أهل النار، حتى لم يبق بينه وبينها إلا ذراع أو أقل، فخرج وقُتِلَ شهيداً في سبيل الله، فنسأل الله أن يكتب لنا ولكم الخاتمة وأن يُطَهِّرَ قلوبنا وأن يجعل بواطننا خيراً من ظواهرنا إنه على كل شيء قدير.

\*\*\*

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٤٥٥ - حَدَّثَنَا خَلَادُ بْنُ يَحْيَى، حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ ذَرٍّ، سَمِعْتُ أَبِي يُحَدِّثُ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «يَا جَبْرِيلُ مَا يَمْنَعُكَ أَنْ تَزُورَنَا أَكْثَرَ مِمَّا تَزُورُنَا». فَتَزَلَّتْ ﴿وَمَا نَنْزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا﴾ [٦٤: ٦٤] إِلَى آخِرِ الْآيَةِ. قَالَ هَذَا كَانَ الْجَوَابُ لِمُحَمَّدٍ ﷺ. (١)

هذا الحديث فيه: اشتياق النبي ﷺ إلى زيارة جبريل؛ لأن الملائكة عباد الله ﷻ فيجب علينا أن نجهم لله؛ لأنهم عبادُه، عبادٌ مكرمون ﴿لَا يَسْقُونَهُ إِلَّا أَلْفَوْقَ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾ (٧٧) ﴿الْأَنْبِيَاءُ: ٢٧﴾. فعرض عليه النبي ﷺ قَالَ: «ألا تزورنا»، وفي لفظ «ما يمنعك أن تزورنا» أكثر مما تزورنا، فتزلت هذه الآية: ﴿وَمَا نَنْزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ...﴾ [٦٤: ٦٤]. قال: هذا كان الجواب لمحمد ﷺ، جواباً من الله عن قول الرسول ﷺ لَجَبْرِيلَ: «ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا».

والشاهد في هذا الحديث: أن قوله: ﴿وَمَا نَنْزِلُ﴾ [٦٤: ٦٤]. كلام، فهو كلام الله ﷻ حصل بعد أن قال النبي ﷺ لَجَبْرِيلَ: «ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا».

\*\*\*

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٤٥٦ - حَدَّثَنَا يَحْيَى، حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، عَنْ الْأَعْمَشِ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ عَلْقَمَةَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: كُنْتُ أَمْشِي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي حَرْثٍ بِالْمَدِينَةِ وَهُوَ مُتَكِيٌّ عَلَى عَصِيْبٍ، فَمَرَّ بِقَوْمٍ مِنَ الْيَهُودِ فَقَالَ بَعْضُهُمْ

لِبَعْضٍ: سَلَوْهُ عَنِ الرُّوحِ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا تَسْأَلُوهُ عَنِ الرُّوحِ. فَسَأَلُوهُ عَنِ الرُّوحِ فَقَامَ مُتَوَكِّنًا عَلَى الْغَسْبِ وَأَنَا خَلْفَهُ، فَظَنَنْتُ أَنَّهُ بَوَّحَى إِلَيْهِ فَقَالَ: ﴿وَسَمِعْتُنَاكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (٨٥) ﴿الأنعام: ٨٥﴾. فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ قَدْ قُلْنَا لَكُمْ لَا تَسْأَلُوهُ. <sup>(١)</sup>

هؤلاء اليهود يسألون الرسول ﷺ تعنتاً وتنطعاً لا أنهم يريدون أن يرجعوا إلى حكمه؛ لقوله تعالى: ﴿وَكَيْفَ يُحْكِمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ (١٣) ﴿الأنعام: ١٣﴾. فهم لا يحكمون الرسول ﷺ ولا يسألونه إلا تعنتاً، ولهذا اختلفوا هل يسألونه عن الروح أو لا؟ فقال بعضهم: سلوه، وقال بعضهم: لا تسألونه، والمراد بالروح هنا: نفس الإنسان وهي الروح التي في البدن، وهي من أمر الله ﷻ لا يمكن للإنسان أن يدرك كنهها وحقيقتها، لكن يعرف ذلك بآثارها، وقد ثبت عن النبي ﷺ أن الروح تُقبض وتُكفَّن وأن الميت يراها يتبعها بصره إذا توفي <sup>(٢)</sup> وهذا يدل على أنها ذات جُرم، وهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة في الروح، أنها جسم لطيف لا يشبه هذه الأجسام وليس من مادة منها هذه الأجسام - والله أعلم - بكيفيتها وحقيقتها.

وقال بعض المتكلمين إن الروح صفةٌ من صفات البدن كالمرض والصحة والقوة والنشاط والضعف وما أشبه ذلك.

وقال بعضهم: هي جزء من أجزاء البدن.

وقال بعضهم: هي الدَّم.

وقال بعضهم: هي البدن، واضطربوا فيها، وسبب اضطرابهم أنهم لم يبلغهم ما جاء في الكتاب والسنة عن هذه الروح، وقالت الفلاسفة: الروح ليس داخل العالم ولا خارجه، ولا متصلاً بالبدن ولا منفصلاً عنه، ولا مابيناً للبدن، ولا فوق ولا تحت، ولا يمين ولا شمال، وصفوها بالعدم كما وصفوا الله بالعدم.

فسبب اضطراب هؤلاء وهؤلاء أنهم لم يدركوا ما جاء في الكتاب والسنة من صفاتها، ولهذا قال شيخ الإسلام رحمه الله: المتكلمون بالنسبة للروح مثله، والفلاسفة معطلة، وصدق رحمه الله، هؤلاء ألحقوها بالأجسام، وهؤلاء وصفوها بالعدم المحض، أما نحن فنقول: هي من أمر الله، وأمرها عجيب ولا يمكن إدراك حقيقتها ولا كنهها، ونعلم أنها ليست من المادة التي خلق منها الجسد، وليس لنا أكثر من ذلك.

❦ قوله: «وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً»، الخطاب للناس كلهم ما أوتوا من العلم إلا قليلاً،

(١) رواه البخاري (٧٤٥٦)، ومسلم (٢٧٩٤).

(٢) رواه مسلم (٩٢٠).



وكان في هذا توبيخٌ لهم، يعني: كأنه يقول: ما فاتكم من العلم إلا الروح تسألون عنها، فاتكم شيءٌ كثيرٌ، «ما أوتيتم من العلم إلا قليلاً»، وصدق الله، ما أكثر ما يخفى علينا مما هو بين أيدينا، الكتاب والسنة الآن بين أيدينا ويخفى علينا شيءٌ كثيرٌ من أحكامهم، نحن نعيش في وسط مجتمع ويخفى علينا كثيرٌ من المجتمع، بل الإنسان يعيش في أهله في عَشٍّ محصورٍ ومع ذلك يخفى عليه شيءٌ كثيرٌ من أهله، إذا ما أوتينا من العلم إلا قليلاً كما قال ربنا ﷻ.

قال بعضهم لبعض: قد قلنا لكم لا تسألوا، وكأنهم تنادوا فيما بينهم؛ لأنهم يُفسرون الروح بغير ذلك، هذا هو الذي يظهر.

فإن قيل: هل الذي يسأل تعتنا تجب إجابته؟

**الجواب:** لا؛ لأن الله تعالى خير النبي ﷺ في ذلك فقال: ﴿فَإِنْ جَاءُوكَ فَأَحْكَمْ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرَضْ عَنْهُمْ﴾ [النساء: ٥٨]. فإذا علمنا أن الرجل لا يسأل إلا اعتنا -يعني: يُريدُ الاشفاق على المسئول- فإن الإنسان بالخيار، وإلا فالأصل أن من سأل عن علمٍ وجبت عليك إجابته؛ لأن كتاب العلم محرّمٌ، ومن كبائر الذنوب.

\*\*\*

**ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ تَحْلَلَنَ:**

٥٧-٧٤- حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ، حَدَّثَنِي مَالِكٌ، عَنْ أَبِي الزِّنَادِ، عَنِ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «تَكْفَّلَ اللَّهُ لِمَنْ جَاهَدَ فِي سَبِيلِهِ لَا يُخْرِجُهُ إِلَّا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِهِ، وَتَصَدِّقُ كَلِمَاتِهِ، بَأَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، أَوْ يُرْجِعَهُ إِلَى مَسْكِنِهِ الَّذِي خَرَجَ مِنْهُ مَعَ مَا نَالَ مِنْ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ»<sup>(١)</sup>.

❁ وقوله: «تكفل». بمعنى ضمن؛ أي: ضمن الله لمن جاهد في سبيله بهذا الشرط لا يُخرجُه إلا الجهاد في سبيل الله، وتصديق كلماته؛ أي: كلماته الشرعية بأن من قاتل في سبيل الله ثم قُتل فله الجنة.

❁ وقوله: «إلا جهاداً في سبيله». الجهاد في سبيل الله هو القتال لتكون كلمة الله هي العليا، فمن قاتل حية، أو قاتل شجاعة، أو قاتل رياء فليس في سبيل الله، بل من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله، وهذا هو الذي ضمن الله له أن يُدْخِلَهُ الجنة، أو يُرْجِعَهُ إِلَى مَسْكِنِهِ الَّذِي خَرَجَ مِنْهُ إذا لم يُقتل مع ما نال من أجرٍ أو غنيمة.

❁ قوله: «من أجر». إذا كان قصده أن تكون كلمة الله هي العليا.

❁ وقوله: «أو غنيمة». أي: إن ذلك كان في رياء، ولكن هذا التقدير يُشْكِلُ؛ لأنه يُعَارِضُ قَوْلَهُ فِي أَوَّلِ الْحَدِيثِ: «لَا يُخْرِجُهُ إِلَّا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِهِ». فكيف يُقَالُ: «من أجرٍ أو غنيمة»؟

إن «أو» هنا بمعنى الواو؛ أي: من أجرٍ وغنيمة. فمن أجرٍ؛ أي: ثوابٍ في الآخرة، وغنيمةً أي: في الدنيا.

قَالَ الْعَيْنِي فِي «عَمْدَةِ الْقَارِي»:

❦ قَوْلُهُ: «تَكْفُلُ اللَّهُ». مِنْ بَابِ التَّشْيِيهِ كَالْكَفِيلِ؛ أَي: كَأَنَّهُ أَقْرَنَ بِمَلَاسِيَةِ الشَّهَادَةِ إِدْخَالَ الْجَنَّةِ، وَبِمَلَاسِيَةِ السَّلَامَةِ الْمَرْجِعِ بِالْأَجْرِ وَالْغَنِيمَةِ؛ أَي: أَوْجَبَ تَفْضُلًا عَلَى ذَاتِهِ؛ يَعْنِي: لَا يَخْلُو مِنَ الشَّهَادَةِ أَوْ السَّلَامَةِ.

**فَعَلِيَ الْأَوَّلِ:** يَدْخُلُ الْجَنَّةَ بَعْدَ الشَّهَادَةِ فِي الْحَالِ.

**وَعَلَى الثَّانِي:** لَا يَنْفَكُ عَنْ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ مَعَ جَوَازِ الْاجْتِمَاعِ بَيْنَهُمَا، إِذْ هِيَ قَضِيَّةٌ مَانِعَةٌ الْخَلْوُ، لَا مَانِعَةُ الْجَمْعِ. اهـ.

إِيعْنِي: «أَوْ» هُنَا مَانِعَةُ الْخَلْوِ لَا مَانِعَةُ الْجَمْعِ، وَهَذَا الْكَلَامُ يُشَبِّهُ قَوْلَ النَّحْوِيِّينَ: إِنَّ «أَوْ» تَأْتِي لِلتَّخْيِيرِ أَوْ لِلْإِبَاحَةِ، وَالْفَرْقُ بَيْنَهُمَا أَنَّ التَّخْيِيرَ يَمْتَنِعُ فِيهِ الْجَمْعُ بَيْنَ الْأُمُورِ الْمُخَيَّرِ بَيْنَهَا، وَالْإِبَاحَةُ يَجُوزُ فِيهَا الْجَمْعُ، فَإِذَا قُلْتُ: تَزَوَّجْ هَذَا أَوْ أُخْتَهَا. فَهَذَا تَخْيِيرٌ.

وَإِذَا قُلْتُ: كُلْ خَبْزًا أَوْ أَرْزًا مِثْلًا. فَهَذِهِ إِبَاحَةٌ، وَيُمْكِنُ أَنْ يُجْمَعَ بَيْنَهُمَا.

❦ إِذَا قَوْلُهُ: «مَنْ أَجَرَ أَوْ غَنِيمَةً» يَعْنِي: إِمَّا أَجَرَ وَحْدَهُ، أَوْ غَنِيمَةً وَحْدَهَا، أَوْ هُمَا جَمِيعًا.

لَكِنِ الْغَنِيمَةُ وَحْدَهَا يُشْكِلُ عَلَيْهِ مَا ذَكَرْنَا مِنْ أَنَّ أَصْلَ خُرُوجِهِ كَانَ لِلْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ<sup>(١)</sup>.

وَقَالَ الْكِرْمَانِيُّ: الْمُؤْمِنُونَ كُلُّهُمْ يَدْخُلُهُمُ الْجَنَّةُ، ثُمَّ أَجَابَ بِقَوْلِهِ؛ يَعْنِي: يُدْخِلُهُمْ عِنْدَ مَوْتِهِمْ، أَوْ عِنْدَ دُخُولِ السَّابِقِينَ بِلَا حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ.

❦ قَوْلُهُ: «أَوْ يَرْجِعَهُ». بَفَتْحِ الْيَاءِ؛ لِأَنَّهُ مُتَعَدٍّ. انْتَهَى



ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٤٥٨- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ كَثِيرٍ، حَدَّثَنَا سَفِيَانُ، عَنْ الْأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي وَائِلٍ، عَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «الرَّجُلُ يُقَاتِلُ حِمِيَّةً، وَيُقَاتِلُ شَجَاعَةً، وَيُقَاتِلُ رِيَاءً، فَأَيُّ ذَلِكَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟ قَالَ: مَنْ قَاتَلَ لِيَتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»<sup>(١)</sup>.

**الشَّاهِدُ مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ قَوْلُهُ:** «لِيَتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا». فَأَثَبَتْ اللَّهُ تَعَالَى كَلِمَةً.

وَكَلِمَاتُهُ ﷻ كَوْنِيَّةٌ وَشَرْعِيَّةٌ، فَالْكَوْنِيَّةُ هِيَ الْمَتَعَلِّقَةُ بِالْخَلْقِ وَالتَّكْوِينِ، وَالشَّرْعِيَّةُ هِيَ الْمَتَعَلِّقَةُ بِالتَّكْلِيفِ؛ أَي: سِ مَّا جَاءَتْ بِهِ الرِّسْلُ فَهِيَ كَلِمَاتُ شَرْعِيَّةٍ كَالْقُرْآنِ.

وَالْكَلِمَاتُ الْكَوْنِيَّةُ هِيَ مَا يَتَعَلَّقُ بِالْخَلْقِ وَالتَّكْوِينِ، وَهِيَ مِثْلُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَمَّا أَمَرُوهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [٢١: ٨٢]. فَقَوْلُهُ: ﴿سَنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾ [٢١: ٦٩]. فَهَذِهِ كَلِمَاتُ كَوْنِيَّةٌ.

أَمَّا قَوْلُهُ: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا مِنْ دُونِهِ...﴾ [٢: ١٣٦]. فَهَذِهِ شَرْعِيَّةٌ.

(١) ما بين معقوفين من كلام الشيخ العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٢) رواه مسلم (١٩٠٤).



ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٢٩- بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ﴾ [التكوير: ٤٠].

قَوْلُهُ: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ﴾ لَا يَخْفَى مَا فِي هَذَا التَّعْبِيرِ مِنَ التَّعْظِيمِ وَالْعِظَمَةِ وَالسُّلْطَانِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ ﷻ لَا يَرُدُّهُ شَيْءٌ فَإِذَا أَرَادَ شَيْئًا فَلَا مَانِعَ لَهُ، وَلِهَذَا عَظَّمَ نَفْسَهُ سُبْحَانَهُ فَقَالَ: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ﴾ أَنْ نَقُولَ لَهُ: كُنْ فَيَكُونُ ﴿يَعْنِي: كُنْ عَلَى مَرَادِنَا فَيَكُونُ عَلَى مَرَادِ اللَّهِ ﷻ﴾. وَالشَّاهِدُ مِنْ هَذِهِ التَّرْجُمَةِ: إِثْبَاتُ الْقَوْلِ لِلَّهِ ﷻ، وَاللَّهُ ﷻ يَقُولُ وَيَتَكَلَّمُ كَمَا جَاءَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ.

\*\*\*

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٤٥٩- حَدَّثَنَا شَهَابُ بْنُ عِبَادٍ، حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ حَبِيدٍ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ، عَنْ قَيْسٍ، عَنْ الْمَغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «لَا يَزَالُ مِنْ أُمَّتِي قَوْمٌ ظَاهِرِينَ عَلَى النَّاسِ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللَّهِ»<sup>(١)</sup>.  
٧٤٦٠- حَدَّثَنَا الْحَمِيدِيُّ، حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ، حَدَّثَنَا ابْنُ جَابِرٍ، حَدَّثَنِي عَمِيرُ بْنُ هَانِيٍّ أَنَّهُ سَمِعَ مَعَاوِيَةَ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «لَا يَزَالُ مِنْ أُمَّتِي أُمَّةٌ قَائِمَةٌ بِأَمْرِ اللَّهِ، مَا يَضُرُّهُمْ مَنْ كَذَّبَهُمْ، وَلَا مَنْ خَالَفَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ». فَقَالَ مَالِكُ بْنُ يُحَايِرٍ: سَمِعْتُ مَعَاذًا يَقُولُ: وَهُمْ بِالشَّامِ. فَقَالَ مَعَاوِيَةُ: هَذَا مَالِكٌ يَزْعُمُ أَنَّهُ سَمِعَ مَعَاذًا يَقُولُ: وَهُمْ بِالشَّامِ.

هَذَانِ الْحَدِيثَانِ الشَّاهِدَانِ فِيهِمَا لِلْبَابِ: قَوْلُهُ «حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ»، وَالْمَرَادُ بِأَمْرِ اللَّهِ هُنَا الْأَمْرُ الْكَوْنِيُّ؛ يَعْنِي: أَمْرُ اللَّهِ تَعَالَى بِمَوْتِهِمْ وَهَلَاكِهِمْ، وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ: «حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ». وَالْجَمْعُ بَيْنَهُمَا أَنْ يُقَالَ: إِمَّا أَنْ يُرَادَ بِالسَّاعَةِ السَّاعَةُ الْعَامَّةُ الَّتِي تَقُومُ عَلَى جَمِيعِ الْخَلَائِقِ، وَيَكُونُ مَعْنَى قَوْلِهِ: «حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ». أَيْ: حَتَّى يَقْرُبَ قِيَامُهَا؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ قِيَامَ السَّاعَةِ لَا يَكُونُ إِلَّا عَلَى شَرَارِ الْخَلْقِ<sup>(٢)</sup>، فَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ فِي الْأَرْضِ مَنْ يَقُولُ: اللَّهُ ﷻ<sup>(٣)</sup>.

وإِمَّا أَنْ يُرَادَ بِالسَّاعَةِ فِي قَوْلِهِ: «حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ»؛ أَيْ: سَاعَتُهُمْ. وَهُوَ مَوْتُهُمْ؛ لِأَنَّ مَنْ مَاتَ فَقَدْ قَامَتْ قِيَامَتُهُ، وَلِهَذَا يُقَالُ: الْقِيَامَةُ قِيَامَتَانِ: قِيَامَةُ صَغْرَى وَهِيَ قِيَامَةُ كُلِّ إِنْسَانٍ بِحَسَبِهِ، وَقِيَامَةُ كَبْرَى وَهِيَ الْقِيَامَةُ الْعَامَّةُ.

وَفِي قَوْلِهِ ﷺ: «لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ كَذَّبَهُمْ وَلَا مَنْ خَالَفَهُمْ». بُشِّرَى لِهَذِهِ الطَّائِفَةِ أَنَّ اللَّهَ ﷻ سَيَنْصُرُهَا، وَأَنَّهُ سَيَكُونُ لَهَا مِنْ يُقَاوِمُ، يَكُونُ لَهَا مَنْ يُكَذِّبُ وَمَنْ يُخَالَفُ، وَلَكِنَّهُمْ مَعَ ذَلِكَ يَثْبُتُونَ

(١) رواه مسلم (١٩٢١).

(٢) رواه مسلم (٢٩٤٩).

(٣) رواه مسلم (١٤٨).

على ما هم عليه، وَيَقُومُونَ بِأَمْرِ اللَّهِ.

**وقوله في الحديث الأول:** «ظاهرين على الناس». أي: عالين عليهم.

وهل المراد: علو السلطة وأنهم يَكُونُونَ هم الخلفاء عليهم، أو المراد علو القول، بمعنى: أن الناس يُحَاوِلُونَ إضلالهم ولكنهم يَبْقُونَ ظاهرين قائمين؟  
**نقول:** الثاني أولى؛ لأنه قد لا يَكُونُ لهم سلطانٌ يَمْلِكُونَ به الناس، لكنهم ظاهرون بقيامهم بأمر الله ﷻ، لا يَضُرُّهم من خالفهم، ولا من كَذَّبهم.

❖ أما قوله: «وهم بالشام». فهذه تَحْتَاجُ إلى تحرير؛ لأن رواية معاذٍ ليس فيها ذكرُ الشام، ولكن مالكا يَقُولُ: إنه سمع معاذاً رضي الله عنه يَقُولُ: «وهم بالشام». فيجِبُ النظر هل هذه الكلمة موقوفة على معاذٍ رضي الله عنه، أو هي مرفوعة إلى النبي ﷺ، ولكن لم أَتَمَكَّنْ من مراجعتها.



**ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:**

٧٤٦١- حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ، أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي حَسِينٍ، حَدَّثَنَا نَافِعُ بْنُ جَبْرِ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: وَقَفَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى مُسَيْلَمَةَ فِي أَصْحَابِهِ فَقَالَ: «لَوْ سَأَلْتَنِي هَذِهِ الْقِطْعَةَ مَا أُعْطَيْتُكُمَهَا، وَلَنْ تَعُدُّوا أَمْرَ اللَّهِ فِيكَ، وَلَنْ أَدْبِرْتَ لِعِقْرِ نَكَ اللَّهِ»<sup>(١)</sup>.

اللَّهُ أَكْبَرُ هَذَا الْكَلَامُ قَوِيٌّ؛ لأنه كلامٌ حقٌّ أمامَ مبطل، وهذا المبطلُ هو مسيلمةُ الكذاب، ويُقالُ له: كذابُ اليمامة، وكان ذا شرفٍ وسلطانٍ في قومه، حتى إنهم يُطْلِقُونَ عليه رحمانَ اليمامة، ولما أَخَذَ هذا الاسمَ من أساءِ اللَّهِ لنفسه أذاقه اللَّهُ الذَّلَّ وكَذَبَهُ ﷻ، فإنه ادَّعَى الرسالةَ في آخرِ حياةِ النبي ﷺ، وتبعه من قومه فنامَ من الناس، ووقد إلى النبي ﷺ في نحوِ سبعين رجلاً من أصحابه، وأتى إليه النبي ﷺ ووقفَ عليه، فخاطبه مسيلمةُ وقال: أَقْرَأَ لِي بِالرَّسَالَةِ وَلَكَ الْحِجَابُ وما حوله، ولي اليمامةُ وما يَتَّبِعُهَا، وكان مع النبي ﷺ قِطْعَةٌ من جريدٍ فقال: «لو سَأَلْتَنِي هَذِهِ الْقِطْعَةَ مَا أُعْطَيْتُكُمَهَا»؛ يَعْنِي: فكيف أُعْطِيكَ اليمامة.

❖ ثُمَّ قَالَ: «لَنْ تَعُدُّوا أَمْرَ اللَّهِ فِيكَ». وهذا هو الشاهدُ من هذا الحديث: «أَمْرَ اللَّهِ فِيكَ» أي: أمره بهلاكك، وهو الأمرُ الكونيُّ.

❖ ثُمَّ قَالَ ﷺ: «وَلَنْ أَدْبِرْتَ لِعِقْرِ نَكَ اللَّهِ». وبالفعل أدبَرَ الرجلُ فَعَقَرَهُ اللَّهُ وللهُ الحمدُ، وقيل في عهدِ أبي بكرٍ رضي الله عنه في يَمَامَتِهِ وفي حصنه، وقَتَلَهُ الصَّحَابَةُ رضي الله عنهم، وتَبَيَّنَ بِذَلِكَ كَذِبُهُ.

وقد أعطاه اللَّهُ ﷻ آيَاتٍ، لكنها آيَاتٌ تَدُلُّ على كَذِبِهِ لا على صدقه، ومن هذا ما ذَكَرَهُ المؤرخون أنه أُتِيَ إليه بصبيٍّ في شعره تَمَرُّقٌ؛ أي: تالفٌ بعضُهُ، فطَلَبَ منه أن يَمَسِّحَ على رَأْسِهِ لِيُخْرِجَ بَقِيَّةَ

(١) رواه مسلم (٢٢٧٣).

(٢) انظر: القصة بتمامها عند البخاري (٤٠٧٢).



الشعر، فمسح عليه، فأراهم الله آيةً تَدُلُّ على كذبه فتساقط الشعر الباقي.

وموقف آخر قريب من هذا أيضًا فقد جاء أصحاب بئر، وقالوا: إن البئر قد نقصت، وطلبوا منه أن يفعل كما فعل الرسول ﷺ في بئر الحديبية، حيث نزل على بئر غائرة الماء، فأخذ ماء فتَمَضَّمَصَ به ومجَّه فيها فجاشت البئر بالماء ورووا الناس، فجيء لهذا الكذاب وطلب منه أن يفعل كما فعل الرسول ﷺ، فأخذ ماء في فيه فتَمَضَّمَصَ به، ثم مجَّه في البئر فغار الماء الموجود بعدما كانوا يترقبون أن يجيش بالماء<sup>(١)</sup>.

وهذه شهادة من الله فعليه على كذبه؛ لأن فعل الله ﷻ والذي يكون شهادة إما أن يكون تأييدًا، أو تنفيذاً، فإن كان تأييداً فهو شهادة من الله على الصديق، وإن كان تنفيذاً فهو شهادة من الله على كذبه.

**والشاهد من هذا الحديث:** قوله: «ولن تعدوا أمر الله فيك». وهذا هو الذي وقع، فإن هذا الرجل الكذاب لم يعد أمر الله فيه، وأهلكه الله ﷻ على يد أصحاب النبي ﷺ.

**وفي هذا:** دليل على أن أفعال الله ﷻ لا تنحصر بشيء معين، وأن كل ما صح أن يُضاف إلى الله وإن لم يرد به نص فإنه جائز، فإن النبي ﷺ قال هذا: «لَيَعْقِرَنَّكَ اللَّهُ»، فأثبت الله العقر، ولا شك أن المراد بالعقر هنا عقر إهلاك، كما قال تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذُنُوبِهِمْ فَسَوَّاهَا﴾ (١١) وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا (١٢) [البقرة: ١٤-١٥].



ثُمَّ قَالَ الْبُحَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٤٦٢ - حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ، عَنْ عَبْدِ الْوَاحِدِ، عَنْ الْأَعْمَشِ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ عَلْقَمَةَ، عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: بَيْنَا أَنَا وَأَمِيئُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي بَعْضِ حَرْثِ الْمَدِينَةِ، وَهُوَ يَتَوَكَّأُ عَلَى عَصِيْبٍ مَعَهُ، فَمَرَرْنَا عَلَى نَفَرٍ مِنَ الْيَهُودِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: سَلُوهُ عَنِ الرُّوحِ. فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا تَسْأَلُوهُ أَنْ يَجِيءَ فِيهِ شَيْءٌ تَكْرَهُونَهُ. فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَنَسْأَلَنَّهُ. فَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ مِنْهُمْ فَقَالَ: يَا أَبَا الْقَاسِمِ مَا الرُّوحُ؟ فَسَكَتَ عَنْهُ النَّبِيُّ ﷺ. فَعَلِمْتُ أَنَّهُ يُوحَى إِلَيْهِ فَقَالَ ﴿وَسْأَلُونَا عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتُوا مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [البقرة: ٨٥]. قَالَ الْأَعْمَشُ هَكَذَا فِي قِرَاءَتِنَا<sup>(١)</sup>.

**الشاهد من هذا الحديث:** قوله تعالى: ﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾؛ أي: من أمره الكوني، فهو ﷻ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ، كما قال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ [الشورى: ٦٨]. فهو سبحانه يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ، من أي مادة شاء، وعلى أي صفة شاء؛ لأن الأمر كله لله. قال ﷻ: ﴿قُلْ إِنْ أَمَرْتُكُمْ بِاللَّهِ﴾ [التوبة: ١٠٤]. **وفي هذا:** دليل على أن الرسول ﷺ لا يتكلم بما لا يعلم، وأن الأمور الغيبية يسكت عنها حتى ينزل عليه

(١) انظر: «معجم البلدان» (٥/ ٤٠٥)، و«البداية والنهاية» (٦/ ٣٢٧).

(٢) رواه مسلم (٢٧٩٤).

الوحي، أما الأمور الحكمية فإنه يتكلم فيها، ثم إذا لم ينزل وحي ينقضها صار ذلك بمنزلة الموحى، فيكون وحي إقرار من الله ﷻ، وإن نزل ما يخص ما قاله، أو يقيد، أو ما أشبه ذلك، عمل به.

❖ وقول الأعمش رحمه الله: «هكذا في قراءتنا». نقول: ولكن هذه القراءة ليست سبعة - قراءة ابن مسعود رحمه الله وبعد أن وحد عثمان رحمه الله المصحف صارت القراءة: ﴿وَمَا أَوْثَقْتُمُ الْعِلْمَ إِلَّا قَلِيلًا﴾.



ثُمَّ قَالَ الْبَخَارِيُّ رحمه الله:

٣٠- باب قول الله تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ نَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ [الكهف: ١٠٩]، ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمْدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾ [الفاتحة: ٢٧]، ﴿إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُبْشِرُ الْبَلَاءَ يَطْلُبُهُ حَيْنًا وَالشَّيْءَ الْقَمَرُ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ بَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ٥٤]. سخر: ذلل.

هذه الترجمة فيها: عدة مسائل، ولكنها كلها تعود إلى كلمات الله ﷻ.

فإن قيل: هل كلمات الله محصورة؟

فالجواب أن نقول: هل أفعال الله وخلق محصورة؟ نقول: قطعاً لا، فهو كلما خلق شيئاً قال له: كُنْ فيكون، فكل شيء مخلوق فإنه مسبوق بكلمة كن، إذا لا حصر لكلماته ﷻ، ولهذا قال الله تعالى مبيناً ذلك: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ نَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي﴾، فلو كان البحر حبراً والمداد: الحبر الذي يكتب به، ومداداً لكلمات الله لنفد قبل أن تنفذ كلمات الله؛ لأنها لا تحصى، فكما أنه سبحانه لا تحصى أفعاله فكذا لا تحصى أقواله ﷻ.

❖ ثم قال ﷻ: ﴿وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ (١٥)، ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ نَنْفَدَ كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾.

❖ والآية الثانية التي ذكرها مثلها أو أشد، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ﴾ «ما» في قوله: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا﴾ اسم «أن» في محل نصب، وأقلام خبر أن، وتقدير الآية في المعنى: لو كان ما في الأرض من الأشجار أقلاماً؛ يعني: لو جعلت كل الأشجار أقلاماً.

❖ ثم قال: ﴿وَالْبَحْرُ يَمْدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ﴾ «أي: يصبح الجميع ثمانية أبحر على هذا البحر العظيم، وكل ما في الأرض من شجر أقلام، وكتب بها. يقول ﷻ: ﴿مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾. فسبحان الله، إذا تأمل الإنسان مثل هذه الآية عرف عظمة الله ﷻ، وأنه كما وصف نفسه سبحانه في كل صفاته، وفي كل أفعاله، لا يمكن أن تحصى أبداً.

❖ ثم ساق المؤلف آية ثالثة وهي: ﴿إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ «وقد سبق الكلام على هذا كله، وأن الله سبحانه خلقها في ستة أيام، الأربعة الأولى



للأرض، واليومانِ المَتَمَّانِ للستةِ للسَّماءِ. ثم استوى سبحانه على العرشِ؛ أي: بعد أن كُمِّلَ الملكُ استَقَرَّ وعلا وَجَّهًا على عرشه؛ لِكَمَالِ عَظَمَتِهِ وَسُلْطَانِهِ.

❖ ثم قال: ﴿يَغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارُ﴾ يُغْشِي؛ أي: يُعْطِي اللَّيْلَ بِالنَّهَارِ، وَيُعْطِي النَّهَارَ بِاللَّيْلِ.

❖ ثم قال: ﴿يَطْلُبُهُ حَيْثُ شَاءَ﴾؛ يَعْنِي: يَطْلُبُ اللَّيْلُ النَّهَارَ حَيْثُ شَاءَ؛ أي: سَرِيعًا، فَلَا فَاصِلَ بَيْنَهُمَا، وَلِذَلِكَ نَرَى أَنَّ اللَّيْلَ يَبِينُ فِي الْأَفْقِ قَبْلَ أَنْ تَغِيبَ الشَّمْسُ، وَقَبْلَ أَنْ تَغِيبَ الشَّمْسُ، تَجِدُ سَوَادَ اللَّيْلِ فِي الْأَفْقِ الشَّرْقِيِّ، وَأَنْتَ مَا زِلْتَ تَشَاهِدُ الشَّمْسَ لَمْ تَغْرُبْ، وَكَأَنَّهُ يَسَابِقُهُ وَيَلْحَقُهُ لَا يَتَأَخَّرُ.

وَتَعَاقَبُ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ ﷻ الَّتِي لَا يَسْتَطِيعُ الْبَشَرُ أَنْ يَقُومُوا بِهَا، قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ مَنْ إِلَهُ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَمْ لَا تَسْمَعُونَ﴾ (٧١) قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ مَنْ إِلَهُ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَمْ لَا تُبْصِرُونَ﴾ (٧٢). فَاللَّيْلُ وَالنَّهَارُ يَتَعَاقَبَانِ وَيَطْلُبُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا الْآخَرَ طَلَبًا حَثِيثًا.

❖ وَقَوْلُهُ: ﴿وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾. هَذِهِ مَعْطُوفَةٌ عَلَى قَوْلِهِ ﴿السَّمَوَاتُ﴾ يَعْنِي: وَخَلَقَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ، وَذَكَرَ الشَّمْسَ؛ لِأَنَّهَا آيَةُ النَّهَارِ، وَذَكَرَ الْقَمَرَ؛ لِأَنَّهُ آيَةُ اللَّيْلِ قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَجَعَلْنَا أَلِيلًا وَالنَّهَارَ آيَاتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ أَلِيلٍ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ (الْأَنْعَامُ: ١٢).

❖ ثم قال: ﴿وَالنُّجُومُ﴾؛ يَعْنِي: وَخَلَقَ النُّجُومَ ﴿مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِ اللَّهِ﴾ وَقَوْلُهُ: ﴿مُسَخَّرَاتٍ﴾ حَالٌ مِنَ النُّجُومِ، وَلَا يَجُوزُ أَنْ تَكُونَ صِفَةً؛ لِأَنَّ الصِّفَةَ يَجِبُ أَنْ تَتَّبَعَ الْمَوْصُوفَ فِي التَّعْرِيفِ وَالتَّكْيِيرِ، وَهَذَا النُّجُومُ مَعْرُوفَةٌ وَمُسَخَّرَاتٌ مُنْكَرَةٌ، فَإِذَا آتَتْ الْمُنْكَرَةُ بَعْدَ الْمَعْرُوفَةِ مَنْصُوبَةٌ فِيهِ حَالٌ.

❖ وَقَوْلُهُ: ﴿مُسَخَّرَاتٍ﴾؛ أي: مَزَلَّاتٌ. بِأَمْرِ الْكَوْنِيِّ، فَقَدْ أَمَرَهَا ﷻ أَنْ تَكُونَ عَلَى مَا أَرَادَ فَكَانَتْ عَلَى مَا أَرَادَ سُبْحَانَهُ.

❖ ثم قال: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ «أَلَا» أَدَاةُ اسْتِفْتَاحٍ يُؤْتَى بِهَا لِلتَّنْبِيهِ وَالتَّحْقِيقِ.

❖ وَقَوْلُهُ: ﴿لَهُ الْخَلْقُ﴾. جُمْلَةٌ مَكُونَةٌ مِنْ مُبْتَدَأٍ وَخَبَرٍ، قُدِّمَ فِيهَا الْخَبَرُ لِلإِخْتِصَاصِ؛ يَعْنِي: أَلَا لَهُ وَحْدَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ، فَهُوَ الْخَالِقُ وَحْدَهُ، وَهُوَ الْآمِرُ وَحْدَهُ، فَهُوَ ذُو السُّلْطَانِ وَحْدَهُ، قَالَ ابْنُ عَمَرَ: مَنْ كَانَ لَهُ شَيْءٌ فَلْيَدْعُهُ مَا دَامَ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ لِلَّهِ، فَكُلُّ شَيْءٍ لِلَّهِ ﷻ.

❖ ثم قال سبحانه: ﴿بَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾. قَوْلُهُ: ﴿بَارَكَ﴾ قَالَ الْعُلَمَاءُ: أَيُّ: أَنَّ الْبَرَكَةَ تَكُونُ بِاسْمِهِ ﷻ وَذِكْرِهِ. وَلِهَذَا تَجِدُ الْإِنْسَانَ إِذَا سَمِيَ عَلَى الذَّيْحَةِ حَلَّتْ، وَإِذَا لَمْ يُسَمَّ عَلَيْهَا لَمْ تَحُلْ، فَهَذَا مِنَ الْبَرَكَةِ، وَإِذَا سَمَّيْتَ اللَّهَ عَلَى الطَّعَامِ نَزَلَتْ فِيهِ الْبَرَكَةُ، وَعَجَزَ الشَّيْطَانُ أَنْ يَتَنَاوَلَ مِنْهُ، وَإِذَا لَمْ تُسَمَّ نَزَلَ فِيهِ الْفَشَلُ، وَشَارَكَكَ الشَّيْطَانُ فِيهِ، كَذَلِكَ إِذَا سَمَّيْتَ عِنْدَ إِيَّانِ الْأَهْلِ نَزَلَتْ الْبَرَكَةُ، وَلَمْ يُصِبِ الشَّيْطَانُ مَا يُقَدِّرُ بَيْنَكُمَا بَضْرٍ، وَإِذَا لَمْ تَفْعَلْ فَإِنَّهُ عَلَى خَطَرٍ، فَهُوَ ﷻ تَنَالُ الْبَرَكَةَ بِذِكْرِ اسْمِهِ سُبْحَانَهُ.

وَالْبَرَكَةُ هِيَ الْخَيْرُ الثَّابِتُ الْوَاسِعُ، وَأَصْلُهَا مِنَ الْبَرَكَةِ، وَهِيَ حَوْضُ الْمَاءِ الْكَثِيفِ الَّذِي يَجْتَمِعُ فِيهِ الْمَاءُ.

❖ وَقَوْلُهُ: ﴿رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ الْعَالَمُ كُلُّ مَا سِوَى اللَّهِ ﷻ فَهُوَ - أَلَمْ، وَجُمِعَ بِاعْتِبَارِ الْأَجْنَاسِ، وَيُقَرَّدُ

باعتبار الجنس، فيقال: العالم كله. ويقال: العالمون، والعالمين. باعتبار الأجناس.

ومعنى كونه ربهم أنه الخالق لهم، المالك لهم، المدير لأموالهم؛ لأن هذا هو معنى الربوبية.

**والشاهد في هذه الآية:** قوله تعالى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ لأن الأمر لا يكون إلا بالكلمات، ومذهب أهل

السنة والجماعة في كلام الله ﷻ أنه صفة من صفاته، صفة ذاتية باعتبار، وصفة فعلية باعتبار.

أما كونها ذاتية باعتبار، فهو باعتبار أنه لم يزل ولا يزال متكلماً، وتكون الصفة بهذا الاعتبار ذاتية ملازمة للذات، لم يأت عليه ﷻ وقت يكون غير متكلم، بل هو متكلم دائماً، فله دوام الفعل ودوام الخلق، كما سبق.

وتكون صفة فعل باعتبار آحاده التي تكون عند فعل مراده، أو عند نزول شرعه، فتكون عند فعل مراده إذا أراد أن يخلق شيئاً قال: كن. أو عند نزول شرعه، فإذا أراد ﷻ أن ينزل ما شاء من الشرع تكلم به، وإذا تكلم الله سبحانه بالوحي ارتجتفت السماء وصعقت الملائكة، هذا هو مذهب أهل السنة والجماعة.

وهو بحرف وبصوت، ودليل ذلك أن كل الكلمات التي يطلق الله عليها كلمات هو بالحرف كقوله تعالى: ﴿قُلْنَا يَا كُوفِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ [الأنبياء: ٦٩]. فهذه الجمل حروف، وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يٰعِيسَىٰ ابْنُ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ﴾ [المائدة: ١١٦]. فهذه أيضاً حروف.

ويكون كذلك بصوب؛ لأنه يُسمع، فقد سمعه جبريل، وسمعه محمد ﷺ، وسمعه موسى، قال الله تعالى: ﴿وَنَدَبْتَهُ مِن جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَفَرَّقْنَاهُ يَمِينًا﴾ [الأنبياء: ٥٤]. والنداء يكون بصوت عالٍ، والمناجاة تكون بصوت أخف، والمناداة والمناجاة وصف للصوت.

وثبت في «الصحيحين» أن الله تعالى يقول يوم القيامة: «يا آدم. فيقول: لبيك وسعديك. فينادي بصوت: إن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثاً إلى النار. فيقول: يا رب وما بعث النار؟ قال: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون». ألف إلا واحد كلهم في النار من بني آدم<sup>(١)</sup>. نسأل الله أن ينجينا وإياكم منها، فهذا صريح في أنه ﷻ ينادي بصوت، وهو مذهب أهل السنة والجماعة.

وقالت الأشاعرة: إن كلام الله تعالى هو المعنى النفسي، أي: المعنى الذي في نفسه، وهو غير مسموع، وليس بحرف، وليس بصوت، ومن زعم أنه بحرف وصوت فإنه مجسم مشبه ضال.

**نقول:** إذا كيف سمع موسى كلام الله؟ وأنتم تقولون: إنه صفة نفسية أزلية، وكيف سمع محمد ﷺ كلام ربه وهو يقرض عليه الصلوات الخمس فوق السموات السبع؟

**قالوا:** خلق صوتاً سمعه موسى، وهو إما من الشجرة، أو من الوادي، أو من أي شيء آخر، المهم أنه خلق صوتاً سمعه موسى، وخلق صوتاً سمعه محمد ﷺ.



وعلى هذا يَكُونُ الصوتُ المسموعُ الذي يُلْقَى إلى جبريلَ، أو إلى موسى، أو إلى محمدٍ، أو إلى غيرهم، ممن كلمه الله، يَكُونُ مخلوقًا.

**قلنا لهم:** وهل هذا الصوتُ المخلوقُ هو كلامُ الله؟

قالوا: لا، بل هو عبارةٌ عن كلامِ الله، أما كلامُ الله فهو المعنى القائمُ بالنفسِ.

وبهذا التقديرُ يَتَبَيَّنُ تمامًا أن مذهبهم فيما يُسَمَّعُ كمذهبِ الجهميةِ تمامًا؛ لأن الجهميةَ يَقُولُونَ: ما سمعه موسى، أو محمدٌ ﷺ، أو جبريلُ، فإنه مخلوقٌ، وهؤلاء يَقُولُونَ أيضًا: ما سمعه محمدٌ أو موسى أو جبريلُ فإنه مخلوقٌ. فَاتَّفَقَ الجميعُ على أنه مخلوقٌ، لكنَّ المعتزلةَ كانوا أقومَ منهم حيث قالوا: إنه كلامُ الله. وهؤلاء قالوا: إنه عبارةٌ عن كلامِ الله، فالجميعُ على هذا متَّفَقُونَ على أن ما في المصحفِ مخلوقٌ، لكن الجهميةَ قالوا: مخلوقٌ تمامًا وهو نفسُ الكلامِ، وهؤلاء قالوا: هو مخلوقٌ عبارةً عن كلامِ الله، وليس هو كلامُ الله.

فتبيَّن أن قولَ الجهميةِ أسدُّ من قولِ الأشاعرةِ، وأن هذا القولَ لا صحةَ له، لا لغةً ولا عرفًا، ولا شرعًا.

والعجبُ أن الأشاعرةَ تَرَكُوا جميعَ لغاتِ العالمِ، وجميعَ عقولِ العالمِ، وجميعَ المحسوسِ لدى العالمِ، واستدلُّوا بقولِ رجلٍ نصرانيٍّ - هو الأخطلُ - حيث قالَ:

إِنَّ الْكَلَامَ لَفِي الْفَوَادِ وَإِنَّمَا جُعِلَ اللِّسَانُ عَلَى الْفَوَادِ دَلِيلًا

فقالوا: إنه قالَ: الكلامُ في الفؤادِ؛ أي: في القلبِ، وهذا هو معنى قولنا: الكلامُ هو: الكلامُ النفسيُّ، واللسانُ دليلٌ يُعَبِّرُ.

**فيقال:** أولًا: كيف نتركُ العالمَ كلَّه ونأخذُ بقولِ واحدٍ فقط. هذه واحدة.

**ثانيًا:** من القائلُ؟

**الجوابُ:** نصرانيٌّ كذابٌ.

**ثالثًا:** على فرضِ التسليمِ بهذا نقولُ: إن مراده بقوله: إن الكلامَ لفي الفؤادِ؛ أي: إن الكلامَ الرصينَ الذي

يُدرِي الإنسانُ أن نفسه محاسبةٌ عليه هو الكلامُ الذي في الفؤادِ، أما الكلامُ اللَّغَوِيُّ فهذا في اللسانِ، وشهدُ لهذا قوله تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ﴾ [البقرة: ٨٩]. وفي الآية الأخرى: ﴿مَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٥]. فالكلامُ الحقيقيُّ الموزونُ الرصينُ الذي يَسْتَحِقُّ أَنْ يُسَمَّى كلامًا هو الصادرُ من القلبِ، المعبرُ عنه باللسانِ، أما ما كان من اللسانِ فقط، فهو لغوٌ من القولِ، ولهذا لا يُؤَاخِذُ اللَّهُ عليه، هذا إذا سلَّمنا جدًّا أن لهذا الكلامِ وجهًا من الصحةِ.

فَيَحْصُلُ لدينا الآن في مسألةِ كلامِ الله ﷻ ثلاثةُ مذاهبٍ:

مذهبُ السلفِ، ومذهبُ الأشاعرةِ، ومذهبُ الجهميةِ، وهناك مذاهبٌ أخرى تَصِلُ إلى ثمانيةِ مذاهبٍ، بعضها يُمكنُ أن نجعله فرعًا من فروعِ هذه الأصولِ الثلاثةِ، وبعضُها من الفلاسفةِ الذين لا يُؤْمِنُونَ بالرسالاتِ،

ولكننا نقول: إن الذي يشهد له الحس واللغة هو: أن الكلام ما كان بحرف وصوت.

فإن قال قائل: إن الله أطلق على القول ما كان في النفس فقال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ﴾ [الْحَاقَّة: ٨]. فأثبت قولاً في النفس.

**فالجواب أن نقول:** إن هذا حجة عليكم، وليس حجة لكم؛ لأن هذا ليس قولاً مطلقاً، بل هو قول مقيد بقوله تعالى: ﴿فِي أَنْفُسِهِمْ﴾. وهذا كقول الرسول ﷺ: «إن الله تجاوز عن أمتي ما حدثت به أنفسها»<sup>(١)</sup>، والإنسان يحدث نفسه لا شك، ويقول في نفسه، ويقدر في نفسه، لكن لا يقال إنه قول على وجه الإطلاق أبداً، بل لابد أن يكون مقيداً، وأحياناً ترى الرجل شاردًا، مفكرًا، واضحة عليه آثار التفكير وحديث النفس، ولا تسمع له قولاً، فهل يقال: إن هذا الرجل قال؟

**فالجواب:** لا، بل لا تسمع له قولاً، هل يقال: إن هذا الرجل قال؟ لا، إن أردت أن تقول إنه قال فقل: قال في نفسه، فهو قول مقيد وليس قولاً مطلقاً.

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٤٦٣- حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُوسُفَ أَخْبَرَنَا مَالِكٌ، عَنْ أَبِي الزِّنَادِ، عَنِ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «تَكْفَلُ اللَّهُ لِمَنْ جَاهَدَ فِي سَبِيلِهِ لَا يُخْرِجُهُ مِنْ بَيْتِهِ إِلَّا الْجِهَادَ فِي سَبِيلِهِ وَتَصَدِّقُ كَلِمَتِهِ، أَنْ يَدْخُلَهُ الْجَنَّةَ، أَوْ يَرُدَّهُ إِلَى مَسْكَنِهِ بِمَا نَالَ مِنْ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ»<sup>(٢)</sup>.

هذا الحديث تقدم الكلام عليه، وقد بينا فيه إشكالاً في قوله: «من أجر أو غنيمة». وقلنا: إن «أو» هنا بمعنى أنه يمكن أن يجتمع الأجر والغنيمة، أو ينفرد الأجر وحده. وأما انفرد الغنيمة وحدها في رجل جاهد في سبيل الله لتكون كلمة الله هي العليا فهذا لا يمكن.



ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٣١- باب في المشيئة والإرادة.

وقول الله تعالى ﴿تَوَكَّلْ عَلَى الْمَلِكِ﴾ [التكوير: ٢٦]. ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [الأنعام: ٣٠]. ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ إِشَاءُ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا﴾ [٣١] إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [التكوير: ٢٣-٢٤]. ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [التكوير: ٥٦].

قال سعيد بن المسيب عن أبيه نزلت في أبي طالب ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ﴾ [التكوير: ١٨٥].

هذا الباب باب مهم، وهو في المشيئة والإرادة أي: مشيئة الله وإرادة الله، والبحث فيها من وجوه:

(١) رواه البخاري (٥٢٦٩)، ومسلم (١٢٧).

(٢) رواه مسلم (١٨٧٦).



**الأول:** هل هما مترادفتان، أو متباينتان؟ يعني: هل المشيئة هي الإرادة أو غير الإرادة؟  
**نقول:** المشيئة معنى من معاني الإرادة وليست مرادفاً لها. أي: أن الإرادة تأتي بمعنى المشيئة.

وما شاء الله كان ولا بد، وقد أجمع المسلمون على هذه الكلمة: ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن<sup>(١)</sup>.

فما شاء الله وَبَعَثَ كان، سواء كان مما يُحِبُّه الله أو مما لا يُحِبُّه الله، وسواء كان مما يُلائم طبائع البشر كسعة الرزق، أو مما لا يُلائم طبائعهم كضييق الرزق، فالمشيئة عامة في كل شيء قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللهُ مَا أَقْتَلْنَا الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فَعَمِلْتُمْ مَنْ ءَامَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللهُ مَا أَفْتَنَلُوا﴾ [التوبة: ٢٥٣]. ومعلوم أن الاقتتال بالنسبة للبشر لا يلائم طبائعهم.

وقال الله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾ [الأنعام: ١١٢]. ﴿وَلَوْ شَاءَ اللهُ مَا فَعَلُوهُ﴾ [الأنعام: ١٣٧]. أي: منكراتهم وهذا مما يكرهه الله.

**إذا:** المشيئة لا تُرادف الإرادة، بل هي بعض من معانيها كما سيأتي في الإرادة، وهي عامة في كل شيء، وما شاء الله كان، ولا بد من وقوعه، ولا يمكن أن يمنع أحد، سواء كان هذا الذي شاءه مما يُحِبُّه كالإيمان والعمل الصالح، أو مما لا يُحِبُّه كالكفر وعمل السيئات، وسواء كان هذا الذي شاءه مما يُلائم طبيعة البشر كسعة الرزق أو مما لا يُلائم طبيعة البشر كضييق الرزق، وهذا واضح.

**البحث الثاني:** هل مشيئة الله شاملة لفعله وفعل العباد أو هي خاصة بفعله سبحانه؟

**والجواب:** أن أهل السنة والجماعة يقولون: إنها عامة فيما يتعلق بفعله سبحانه وما يتعلق بفعل العباد، عامة فيما يتعلق بفعله سبحانه كإنزال المطر، وإخراج النبات، وإماتة الأحياء، وإحياء الأموات، وما أشبهها، وكذلك فيما يتعلق بفعل العباد، كصلاح العبد وفساد العبد، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿لَمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾ (٢٨) وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٢٩) ﴿[التكوير: ٢٨-٢٩]﴾. ففعل الإنسان بمشيئة الله، كما أن فعل الله سبحانه بمشيئة الله.

فمشيئة الله شاملة لما يقوم به وَبَعَثَ، ولما يقوم به العباد والدليل على هذا: قوله تعالى: ﴿لَمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾ (٢٨) وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٢٩) ﴿[التكوير: ٢٨-٢٩]﴾.

وقوله: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللهُ مَا أَقْتَلْنَا الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فَعَمِلْتُمْ مَنْ ءَامَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللهُ مَا أَفْتَنَلُوا وَلَكِنْ اللهُ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ (٣٠) ﴿[التوبة: ٢٥٣]﴾. والآيات في هذا المعنى كثيرة.

وفائدة الإيمان بذلك - أي إيمان العبد بأن فعله واقع بمشيئة الله - عظيمة وهي: أنه يوجب اللجوء إلى الله في إصلاح العمل، واجتناب الفساد؛ لأنك إذا علمت أن ما شاء الله كان وأنه إذا شاء الله أن تهدي اهتديت، فإنك سوف تضطر إلى طلب الهداية ممن بيده الهداية.

**ومن فوائد ذلك أيضاً:** أنك إذا حصلت لك نعمة، أو فعلت عملاً صالحاً، فإنك لا تنسبها إلى

نَفْسِكَ، وَلَا تُدِلُّ بِهَا عَلَى رَبِّكَ؛ لِأَنَّ الَّذِي جَلَبَ لَكَ النِّعْمَةَ، وَسَرَّ لَكَ الْعَمَلَ الصَّالِحَ هُوَ اللَّهُ ﷻ، فَيُورِثُكَ ذَلِكَ أَنْ تَتَبَرَّأَ مِنْ حَوْلِكَ وَقُوَّتِكَ إِلَى مَشِيئَةِ اللَّهِ ﷻ، وَتَعْلَمَ أَنَّهُ هُوَ الَّذِي قَدَّرَ لَكَ هَذَا، وَهُوَ الَّذِي شَاءَ لَكَ هَذَا. وَهَاتَانِ فَائِدَتَانِ عَظِيمَتَانِ.

أَمَّا الْإِرَادَةُ فَهِيَ تَنْقَسِمُ إِلَى قَسْمَيْنِ:

**إِرَادَةٌ كَوْنِيَّةٌ:** تَتَعَلَّقُ بِالْخَلْقِ وَالتَّكْوِينِ.

**وإِرَادَةٌ شَرْعِيَّةٌ:** تَتَعَلَّقُ بِالْحُكْمِ بَيْنَ النَّاسِ وَالشَّرْعِ.

**أَمَّا الْإِرَادَةُ الْكَوْنِيَّةُ:** فَهِيَ بِمَعْنَى الْمَشِيئَةِ تِمَامًا، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَفْتَنَّاوْا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾. أَي: مَا يُرِيدُ بِالْإِرَادَةِ الْكَوْنِيَّةِ، فَالْإِرَادَةُ الْكَوْنِيَّةُ مُرَادِفَةٌ لِلْمَشِيئَةِ تِمَامًا، فَإِذَا قُلْتَ: أَرَادَ اللَّهُ كَذَا، شَاءَ اللَّهُ كَذَا. فَمَعْنَاهُمَا وَاحِدٌ.

**إِذَا:** الْإِرَادَةُ الْكَوْنِيَّةُ تَتَعَلَّقُ بِمَا أَرَادَهُ اللَّهُ، سَوَاءً كَانَ هَذَا الْمُرَادُ مُحِبُّوًّا إِلَى اللَّهِ، أَوْ مُكَرِّهًا إِلَيْهِ، وَسَوَاءً كَانَ هَذَا الْمُرَادُ مِمَّا يُلَاقِيهِ طَبِيعَةُ الْبَشَرِ، أَوْ مِمَّا لَا يُلَاقِيهِ طَبِيعَةُ الْبَشَرِ.

فَإِذَا قَالَ قَائِلٌ: هَلْ أَرَادَ اللَّهُ الْمَعَاصِيَ بِالْإِرَادَةِ الْكَوْنِيَّةِ؟

**فَالْجَوَابُ:** نَعَمْ، كَمَا أَنَّهُ إِذَا قَالَ: هَلْ شَاءَهَا اللَّهُ؟ لَقُلْنَا: نَعَمْ.

**إِذَا:** الْإِرَادَةُ الْكَوْنِيَّةُ بِمَعْنَى الْمَشِيئَةِ تِمَامًا، أَمَّا الْإِرَادَةُ الشَّرْعِيَّةُ وَالتِّي تَتَعَلَّقُ بِمَا شَرَعَهُ فَإِنَّهَا بِمَعْنَى الْمُحِبَّةِ، فَتَتَعَلَّقُ بِمَا يُحِبُّهُ اللَّهُ ﷻ سَوَاءً وَقَعَ أَمْ لَمْ يَقَعْ، وَعَلَى هَذَا فَالْإِيمَانُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ مِنْ مَرَادِ اللَّهِ شَرْعًا، وَالْكَفَرُ وَعَمَلُ السَّيِّئَاتِ لَيْسَ مَرَادًا لِلَّهِ شَرْعًا؛ لِأَنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّهُ.

فَصَارَ هُنَاكَ فَرْقٌ بَيْنَ الْإِرَادَةِ الْكَوْنِيَّةِ وَالْإِرَادَةِ الشَّرْعِيَّةِ.

فَإِذَا قَالَ قَائِلٌ: هَلِ الْمَعَاصِي مُرَادَةٌ لِلَّهِ؟

**لَقُلْنَا:** أَمَّا قَدَرًا فَنَعَمْ، وَأَمَّا شَرْعًا فَلَا.

فَإِذَا قَالَ قَائِلٌ: إِذَا كَانَتِ الْمَعَاصِي مُرَادَةً غَيْرَ مُرَادَةِ اللَّهِ شَرْعًا فَكَيْفَ يُرِيدُهَا قَدَرًا، وَهَلْ أَحَدٌ أَجْبَرَهُ عَلَى أَنْ يُرِيدَ مَا لَا يُحِبُّ وَمَا لَا يَرْضَى؟

**فَالْجَوَابُ:** أَنْ مَا يَكْرَهُهُ اللَّهُ ﷻ إِذَا أَرَادَهُ فَهُوَ مُرَادٌ لَغَيْرِهِ، وَلَيْسَ مُرَادًا لِدَايَتِهِ، وَمَعْنَى قَوْلِنَا: مُرَادٌ لَغَيْرِهِ. أَي: مُحِبُّوْبٌ إِلَى اللَّهِ لَغَيْرِهِ لَا لِدَايَتِهِ، فَالْأَعْمَالُ السَّيِّئَةُ وَالْكَفَرُ مُرَادَةٌ لِلَّهِ لَغَيْرِهِ، فَهِيَ مُرَادَةُ اللَّهِ شَرْعًا لَغَيْرِهِ، لَا لِدَايَتِهِ، فَهُوَ سَبْحَانَهُ يَكْرَهُ الْكَفَرَ، وَيَكْرَهُ الْمَعَاصِيَ، لَكِنَّهُ يُرِيدُهَا لِمَا يَتَرْتَّبُ عَلَيْهَا مِنَ الْمَصَالِحِ، فَهِيَ مُكَرَّهَةٌ لِلَّهِ مِنْ وَجْهِ، وَمُحِبُّوْبَةٌ لَهُ مِنْ وَجْهِ آخَرَ؛ لِأَنَّهُ لَوْلَا الْكَفَرُ وَلَوْلَا الْمَعَاصِيَ مَا عُرِفَ الْإِيمَانُ وَلَا الْعَمَلُ الصَّالِحُ، فَلَوْ كَانَ النَّاسُ كُلُّهُمْ مُؤْمِنِينَ، وَكُلُّهُمْ يَعْمَلُ الْعَمَلَ الصَّالِحَ، مَا حَصَلَ تَمْيِيزٌ، وَلَا عُرِفَ قَدَرُ الْإِيمَانِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ، وَلِهَذَا يَقُولُونَ: وَيُضِدُّهَا تَتَبَيَّنُ الْأَشْيَاءُ، فَهَلْ بَغَيْرِ الْكَفَرِ يَقُومُ الْجِهَادُ؟

**الْجَوَابُ:** لَا، إِذْ كَيْفَ تُجَاهِدُ مُسْلِمًا مِثْلَكَ.



وهل بدون المعاصي يَكُونُ هناك أمرٌ بالمعروف أو نهي عن منكر؟

**الجواب:** لا، ولولا المعاصي لما كان هناك دعوة إلى الخير؛ لأن الناس إذا كانوا كلهم بلا

معاص فهم على خير.

فالحاصل: أنه تَقَوَّتْ مصالح كثيرة إذا لم تَقَعْ هذه المعاصي التي يَكْرَهُها الله شرعاً، ويُريدها قدراً وكوناً.

ولهذا قَالَ اللهُ تعالى في الحديث القدسي: «ما تَرَدَّدْتُ عن شيء أنا فاعله تَرَدَّدْتُ عن قبضِ نفس عبدي المؤمن، يَكْرَهُ الموتَ وَأَكْرَهُ إِسَاءَتَهُ ولا يَدَّ له منه» <sup>(١)</sup> فهنا الربُّ وَجَّهَ يَتَرَدَّدُ لا لجهله والعياذُ بالله بما يَنْقَعُ أو يَضُرُّ، بل هو يَعْلَمُ ذلك سبحانه، لكن لرحمته بعبده المؤمن، ومحبه له يُحِبُّه عبده المؤمن، فالمؤمنُ يَكْرَهُ الموتَ، والله يَكْرَهُ إِسَاءَتَهُ، لكن لا يَدَّ له منه، إذ الحكمة تَقْتَضِي أن يَمُوتَ؛ حتَّى يَنْتَقِلَ إلى الجزاءِ والثوابِ والنعيمِ الذي هو أضعافُ أضعاف ما في الدنيا، فالمؤمنُ يَكْرَهُ الموتَ، لكن بموته يَنْتَقِلُ إلى خير من حياته، قَالَ تعالى: ﴿يَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ۖ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ <sup>(٢)</sup> <sup>(الأنعام: ١٦-١٧)</sup>. فهي كراهة مؤقتة، يَنْتَقِلُ الإنسان بعدها إلى نعيم أنعم من الدنيا وما فيها.

فالحاصل أن نقول: إن المعاصي مكروهة لله من وجه، لكنها محبوبة إليه من وجه آخر؛ وذلك لِما يَتَرَتَّبُ عليها من المصالح.

فمثلاً: الجذبُ والقحطُ؛ -والجذبُ معناه: أن الأرض لا تُنبِتُ، والقحطُ معناه: أن السَّيِّءَ لا تُمْطِرُ- والخوفُ وما أشبه ذلك، هل الله يُحِبُّ ذلك لعباده؟

**الجواب:** لا، لكنه يُريده وَيُحِبُّ كونا لِما يَتَرَتَّبُ عليه من المصالح، فهو محبوبٌ إليه من وجه، ومكروهٌ إليه من وجه آخر، ولكن المصالح العظيمة تجعله محبوباً إلى الله وَجَّهَ.

وقال تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾

<sup>(٣)</sup> <sup>(الأنعام: ٤١)</sup> وقال وَجَّهَ: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ <sup>(٤)</sup> <sup>(البقرة: ١٥٥)</sup>. فهذا ليس عقوبة ولكن لنَرْجِعَ إلى الله.

أما قوله تعالى: في سورة البقرة: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ...﴾ فهذا ابتلاء، فقد يَنْتَلِي الله المؤمن وهو لم يَعْمَلْ عملاً سيئاً، ولم يَكْسِبْ عملاً سيئاً، يَخْطِئُ وَيَرْجِعُ إلى الله بالتوبة، لكن يَنْتَلِيه من أجل أن يَنَالَ درجة الصابرين، ولهذا قَالَ: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ <sup>(٥)</sup> <sup>(الذين إِذَا أَصَابَهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ <sup>(٦)</sup> <sup>(الأنعام: ١٦)</sup> أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ <sup>(٧)</sup> <sup>(البقرة: ١٥٥-١٥٧)</sup>.</sup>

فالحاصل: أن ما يَنْقَعُ من المعاصي مرادٌ لله كونا، غير مرادٍ له شرعاً، لكن الله قَدَّرَهُ لِما يَتَرَتَّبُ عليه من المصالح.

ونظير ذلك في الشيء المحسوس لو كان لك ولدٌ مريض، وقال الأطباء: إنه لا بدَّ من كيِّه؛

يَعْنِي: بِالنَّارِ، فَإِنَّكَ تُوَافِقُ عَلَى هَذَا، بَلْ وَتُمْسِكُ بِوَلَدِكَ لِيَكُونَهُ الطَّبِيبُ، فَأَنْتَ الْآنَ كَارَةٌ لِهَذَا الْكَيِّْ، لَكِنْ تَحِبُّهُ لِمَا يَتَرْتَبُ عَلَيْهِ مِنَ الْمَصَالِحِ.

وَمِنْ ذَلِكَ: أَنَّهُ قَدْ يُشَقُّ بَطْنُ ابْنِكَ أَمَامَكَ؛ لِاسْتِخْرَاجِ الزَّائِدَةِ مِنْهُ، أَوْ أَيِّ عَضْوٍ آخَرَ مَرِيضٍ، فَلَا شَكَّ أَنَّكَ لَا تُحِبُّ شَقَّ بَطْنِ ابْنِكَ، لَكِنْ نَظَرًا لِمَا يَتَرْتَبُ عَلَيْهِ مِنَ الْمَصَالِحِ تُحِبُّهُ، فَصَارَ هَذَا مَحْبُوبًا مَكْرُوهًا.

كَذَلِكَ السَّيِّئَاتُ وَالْكَفَرُ، فَهِيَ مَحْبُوبَةٌ مَكْرُوهَةٌ، فَمَا يَتَرْتَبُ عَلَيْهِ مِنَ الْمَصَالِحِ الْعَظِيمَةِ يُرِيدُهُ اللَّهُ ﷻ لِهَذَا، لَا لِأَنَّهُ يُحِبُّهُ.

فَإِذَا قَالَ قَائِلٌ: مَا الْفَرْقُ بَيْنَ الْإِرَادَتَيْنِ الْكُونِيَّةِ وَالشَّرْعِيَّةِ؟

**فَالْجَوَابُ:** أَنَّ الْفَرْقَ بَيْنَهُمَا مِنْ وَجْهَيْنِ:

**الْوَجْهُ الْأَوَّلُ:** أَنَّ الْإِرَادَةَ الْكُونِيَّةَ لَا بَدْءَ فِيهَا مِنْ وَقُوعِ الْمَرَادِ، فَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ شَيْئًا كَوْنًا وَقَعَ وَلَا بَدْءَ، وَالْإِرَادَةُ الشَّرْعِيَّةُ لَا يَلْزَمُ مِنْهَا وَقُوعُ الْمَرَادِ، فَقَدْ يَقَعُ وَقَدْ لَا يَقَعُ.

مِثَالُ ذَلِكَ: الْإِيمَانُ مَرَادُ اللَّهِ شَرْعًا، فَهَلْ يَلْزَمُ مِنْ كَوْنِهِ مَرَادًا لِلَّهِ شَرْعًا أَنْ يُؤْمِنَ النَّاسُ؟

**الْجَوَابُ:** لَا، وَلِهَذَا فِي النَّاسِ كَافِرٌ وَمُؤْمِنٌ، أَمَّا الْإِرَادَةُ الْكُونِيَّةُ فَلَا بَدْءَ فِيهَا مِنْ وَقُوعِ الْمَرَادِ؛ لِأَنَّهَُا بِمَنْزِلَةِ الْمَشِئَةِ، وَمَا شَاءَ اللَّهُ كَانَ.

**الْفَرْقُ الثَّانِي:** أَنَّ الْإِرَادَةَ الشَّرْعِيَّةَ لَا تَكُونُ إِلَّا فِيمَا يُحِبُّهُ اللَّهُ، وَالْإِرَادَةُ الْكُونِيَّةُ تَكُونُ فِيمَا يُحِبُّهُ وَفِيمَا يَكْرَهُهُ، فَالْمَعَاصِي الْوَاقِعَةُ مِنَ الْإِنْسَانِ مَرَادٌ لِلَّهِ كَوْنًا، غَيْرُ مَرَادٍ شَرْعًا، مَرَادٌ كَوْنًا؛ لِأَنَّهُا وَقَعَتْ، وَغَيْرُ مَرَادٍ شَرْعًا؛ لِأَنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّهَا.

فَهَذَانِ فَرْقَانِ بَيْنَ الْإِرَادَةِ الْكُونِيَّةِ وَالْإِرَادَةِ الشَّرْعِيَّةِ.

فَقَوْلُ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُسَمِّعَ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [الأنعام: ٦٠]. مِنَ الْإِرَادَةِ الشَّرْعِيَّةِ؛ لِأَنَّ مِنَ النَّاسِ مَنْ لَمْ يَتَطَهَّرْ.

وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]. الْإِرَادَةُ فِيهِ شَرْعِيَّةٌ؛ لِأَنَّ هُنَاكَ أَشْيَاءَ كُونِيَّةً تَعُسِّرُ عَلَيْنَا.

كَذَلِكَ قَوْلُهُ ﷻ: ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الأنعام: ٦٠]. الْإِرَادَةُ فِيهِ شَرْعِيَّةٌ؛ لِأَنَّ الْحَرَجَ كَوْنًا يَقَعُ، فَأَحْيَانًا يَقَعُ الْإِنْسَانُ فِي حَرَجٍ وَضِيقٍ وَشِدَّةٍ. لَكِنْ هَذَا كَوْنًا، أَمَّا شَرْعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُرِيدُ أَنْ يَجْعَلَ عَلَيْنَا حَرَجًا.

أَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ﴾ [الأنعام: ٢٤]. فَالْإِرَادَةُ فِيهِ كُونِيَّةٌ لَا شَكَّ، فَاللَّهُ تَعَالَى لَا يُرِيدُ إِغْوَاءَ الْخَلْقِ، وَلَوْ أَرَادَ أَنْ يُغْوِيَ الْخَلْقَ مَا أَرْسَلَ إِلَيْهِمُ الرِّسَالَ، وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْهِمُ الْكُتُبَ، وَلَجَعَلَهُمْ يَعْصُونَ فِي ضَلَالِهِمْ، لَكِنْ يُحِبُّ مِنَ عِبَادِهِ الْهَدَايَةَ، أَمَّا الْإِغْوَاءُ فَلَا. فَقَوْلُهُ: ﴿إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ﴾ الْإِرَادَةُ فِيهِ كُونِيَّةٌ.

وَنَزِيدُ الْأَمْرَ إِضَاحًا بِالْأَمْثَلِ فَنَقُولُ مِثْلًا:



إيمان أبي بكر الصديق رضي الله عنه، هل هو مراد شرعاً أم كوناً؟

**الجواب:** هو مراد كوناً وشرعاً: كوناً؛ لأنه وقع، وشرعاً؛ لأن الله يُجِبُّه.

مثال آخر: كفر أبي طالب هل هو مراد كوناً أو شرعاً؟

**الجواب:** هو مراد الله كوناً لا شرعاً.

مثال آخر: إيمان أبي لهب هل هو مراد الله كوناً أو شرعاً؟

**الجواب:** هو مراد شرعاً لا كوناً.

مثال آخر: إيمان رجل كافراً؟

**نقول:** هذا مراد الله شرعاً لا كوناً.

**إذا:** يُمكنُ أن يَجْتَمِعَ الإرادتَانِ، وذلك في الإيمان إذا وقع؛ وقد تَنَفَّيَ الإرادتَانِ؛ ككفر المؤمن، فهذا إنسان مؤمن، فلو قَدَرْنَا كفره، -ولكنه الآن مؤمن- نَقُولُ: إن كفره غير مراد شرعاً، ولا كوناً. فهنا انتفت عنه الإرادتَانِ؛ لأنه لم يَقَعْ، فلم تُكُنِ الإرادة الكونية، وليس محبوباً إلى الله فلم تُكُنِ الإرادة الشرعية.

فتحصّل لدينا الآن أربعة أقسام:

○ **قسم:** تَنَفَّيُ فِيهِ الإرادتَانِ.

○ **قسم:** تَنَفَّيَ عَنْهُ الإرادتَانِ.

○ **قسم:** تُكُونُ فِيهِ الإرادة الشرعية دون الكونية.

○ **قسم:** تُكُونُ فِيهِ الإرادة الكونية دون الشرعية.

❖ وقول الله تعالى: ﴿تَوَتَّىٰ الْمَلِكُ مَن تَشَاءُ﴾. الشاهد في هذه الآية قوله: ﴿مَن تَشَاءُ﴾ وبقية الآية: ﴿وَتَنَزَّعَ الْمَلِكُ مِمَّن تَشَاءُ وَتَعَزَّزَ مَن تَشَاءُ وَتُذَلُّ مَن تَشَاءُ﴾ [الأنفال: ٢٦]. فالله تعالى يُؤْتِي الملك من يشاء، ولكن هل إتيانه الملك من يشاء لمجرد المشيئة، بل هل فعله ما يشاء لمجرد المشيئة؟

ذهب بعض العلماء: إلى أن فعل الله عز وجل ما يشاء يكون لمجرد المشيئة؛ أي: أنه يشاء الوجود أو العدم بدون مرجح، ولكن لمجرد المشيئة؛ لأنه سبحانه ﴿لَا يَسْتَلْ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْتَلَوْنَ﴾ [١٢] ❖ [الأنفال: ٢٣]. فله أن يشاء بدون مرجح.

ولكن هذا القول قول ضعيف، بل باطل؛ لأنه يستلزم انتفاء حكمة الله في فعله، هذا من جهة الدليل العقلي.

أما من جهة الدليل السمعي لقوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [٣٠] ❖ [الأنفال: ٣٠]. فختم هذا بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [٣٠] ❖ يدل على أن مشيئته سبحانه تابعة لحكمته، وعلى هذا فقيّد بالحكمة كل آية فيها إطلاق المشيئة.

❖ فقوله: ﴿تَوَتَّىٰ الْمَلِكُ مَن تَشَاءُ﴾ ليس لمجرد مشيئة يُؤْتِي هذا الملك سبحانه، ولكن يُؤْتِيه؛ لأن حكمته اقتضت أن يأخذ هذا الملك.

❦ كذلك قوله: ﴿وَتَنْزِعُ الْمُلُوكَ مِمَّنْ شَاءَ﴾ وَيَكُونُ نَزْعُ الْمَلِكِ مِمَّنْ يَشَاءُ إِمَّا بِمَوْتِهِ، أَوْ بِأَنْ يُغْلَبَ، أَوْ بِأَنْ يَفْسُدَ تَدْبِيرُهُ، أَوْ مَا أَشْبَهَ ذَلِكَ، الْمَهْمُ أَنَّهُ يَنْزِعُ الْمَلِكَ مِمَّنْ يَشَاءُ لِحُكْمَتِهِ سُبْحَانَهُ.

**إِذَا:** الْمَشِيئَةُ لَا بَدَّ أَنْ تَكُونَ مَقْرُونَةً بِالْحِكْمَةِ، وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَيْسَ يَفْعَلُ الشَّيْءَ بِدُونِ مَرْجَحٍ إِطْلَاقًا، وَإِذَا كَانَ تَصَرُّفُ الْوَاحِدِ مِنْ الشَّيْءِ وَتَرْجِيحُهُ لِأَحَدِ الْأَمْرَيْنِ بِدُونِ مَرْجَحٍ يُعَدُّ سَفَهًا، فَمَا بِالْكَ بِفِعْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَالَّذِي فَعَلَهُ فِي غَايَةِ الْحِكْمَةِ.

وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَا يَسْتَلْ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُنْكِرُونَ﴾ فَالْمَعْنَى أَنَّ لَهُ الْمَلِكَ التَّامَّ، وَأَنْ فَعَلَهُ عَلَى أَتَمِّ وَجْهِهِ، فَلَا يَتَوَجَّهُ إِلَيْهِ سَوَالٌ؛ لِأَنَّهُ عَلَى أَتَمِّ وَجْهِهِ، أَمَّا أَفْعَالُنَا فَإِنَّمَا نَاقِصَةٌ فَلِذَلِكَ نُسْأَلُ عَنْهَا، فَاللَّهُ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ لِتَمَامِ سُلْطَانِهِ، وَكِمَالِ فِعْلِهِ، وَأَنَّهُ تَامٌّ لَا يَحْتَاجُ أَنْ يُسْأَلَ عَنْهُ.

ثُمَّ إِنَّهُ يَجُوزُ أَنْ تُسْأَلَ عَنْ فِعْلِ اللَّهِ اسْتِشَادًا وَطَلِبًا لِلْحِكْمَةِ، لَا اعْتِرَاضًا.

❦ ثُمَّ سَاقَ الْبُخَارِيُّ تَحْلِيلَهُ الْآيَةَ الثَّانِيَةَ وَهِيَ: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِيْشَاءَ إِيَّيْ فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا ۚ﴾ (١٣) إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ۚ ﴿الْكَهْفُ: ٢٣-٢٤﴾. الْخُطَابُ هُنَا لِلرَّسُولِ ﷺ؛ لِأَنَّهُ قَرِيبًا سَأَلُوهُ فَقَالَ: «أُخْبِرْكُمْ غَدًا». اعْتِمَادًا عَلَى نَزْوِلِ الْوَحْيِ، وَكَانَ الرَّسُولُ ﷺ يُسْأَلُ فَيَأْتِيهِ الْوَحْيُ فِي الْحَالِ، كَمَا مَرَّ عَلَيْنَا فِي سُؤَالِ الْيَهُودِ لَهُ عَنِ الرُّوحِ، فَاتَّكَأَ عَلَى الْعَسِيبِ وَنَزَلَ عَلَيْهِ الْوَحْيُ.

فَهُنَا قَالَ لَهُمْ: «أُخْبِرْكُمْ غَدًا». وَلَمْ يَقُلْ: إِنْ شَاءَ اللَّهُ فَبَقِيَ الْوَحْيُ خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْمًا لَمْ يَنْزِلْ عَلَيْهِ، فَصَاقَ النَّبِيُّ ﷺ، وَلَكِنْ تَأَخَّرَ الْوَحْيُ فِيهِ مَصَالِحٌ عَظِيمَةٌ مِنْهَا: أَنْ يَعْرِفَ الْإِنْسَانُ قَدْرَ نَفْسِهِ، وَأَنْ الْأَمْرُ بِيَدِ اللَّهِ.

**ومنها:** أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ صَادِقٌ فِيمَا يَنْزِلُ عَلَيْهِ مِنَ الْوَحْيِ؛ لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ كَاذِبًا لَافْتَعَلَ مَا يُفْتَعَلُ وَأَتَى بِهِ فِي الْوَقْتِ الَّذِي حَدَّدَهُ، لَكِنْ لِمَا بَقِيَ حَتَّى نَزَلَ عَلَيْهِ الْوَحْيُ دَلٌّ ذَلِكَ عَلَى صِدْقِهِ.

**ومنها:** أَنْ يَشْتَدَّ اشْتِيَاقُ النَّبِيِّ ﷺ إِلَى الْوَحْيِ وَتَرْقُبُهُ لَهُ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْمَصَالِحِ الَّتِي لَيْسَ هَذَا مَوْضِعُ ذِكْرِهَا.

❦ ثُمَّ نَزَلَ الْوَحْيُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِيْشَاءَ إِيَّيْ فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا ۚ﴾. قَوْلُهُ: ﴿فَاعِلٌ ۚ﴾ أَيُّ: مُوقِعٌ لِلْفِعْلِ، فَلَا تَقُلْ: إِنْ فَاعِلٌ إِلَّا وَذَلِكَ مَقْرُونٌ بِمَشِيئَةِ اللَّهِ؛ لِأَجْلِ أَنْ تَقْوُضَ الْأَمْرُ إِلَيْهِ؛ لِأَنَّكَ لَا تَدْرِي مَا يَعْرِضُ لَكَ، وَكَمْ مِنْ إِنْسَانٍ قَالَ: إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا. وَلَكِنْ وَجَدْتَ مَوَانِعَ تَمْنَعُهُ مِنْ فِعْلِهِ، فَإِذَا قَالَ: إِنْ شَاءَ اللَّهُ. وَفَوَّضَ الْأَمْرَ إِلَى اللَّهِ تَسَرَّ لَهُ الْأَمْرُ، وَمَا قِصَّةُ سُلَيْمَانَ بِخَافِيَةٍ حِينَ قَالَ: وَاللَّهِ لَا طُوفَانَ اللَّيْلَةِ عَلَى تَسْعِينَ امْرَأَةً تَلِدُ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ غُلَامًا يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ. فَقِيلَ لَهُ: قُلْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ. فَلَمْ يَقُلْ؛ اعْتِمَادًا عَلَى مَا فِي نَفْسِهِ مِنَ الْعَزِيمَةِ، فَطَافَ عَلَى تَسْعِينَ امْرَأَةً فَلَمْ تَلِدْ إِلَّا وَاحِدَةً مِنْهُنَّ شَقَّ إِنْسَانٍ وَلَيْسَ إِنْسَانًا كَامِلًا، لِيُرِيَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنَّ الْأَمْرَ أَمْرُهُ، وَأَنَّكَ لَا تَتَأَلَّى عَلَى اللَّهِ، كُلِّ الْأَمْرِ إِلَيْهِ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَوْ قَالَ: إِنْ شَاءَ اللَّهُ. لَكَانَ دَرَكًا لِحَاجَتِهِ، وَلَقَاتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ»<sup>(١)</sup>. أَيُّ: لَوْ قَالَ إِنْ شَاءَ



اللَّهُ لَوْلَدَتْ كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمْ غَلَامًا يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ.

فَهَذَا يَقُولُ اللَّهُ لِلرَّسُولِ ﷺ ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا﴾ وَلَكِنْ هَذَا سَوْأًا: هَلْ يَجُوزُ أَنْ تُخْبِرَ عَمَّا فِي نَفْسِكَ مِنَ الْعَزِيمَةِ غَيْرَ مَقْرُونَةٍ بِالْمَشِيئَةِ، دُونَ أَنْ تُرِيدَ إِيقَاعَ الْفِعْلِ؟

**الجواب:** نعم؛ وذلك لِأَنَّ إِبْخَارَكَ عَمَّا فِي نَفْسِكَ مِنَ الْعَزِيمَةِ إِبْخَارٌ عَنْ شَيْءٍ حَاضِرٍ لَا شَيْءٍ مُسْتَقْبَلٍ.

مِثَالُ ذَلِكَ: أَنْ تَقُولَ لِصَاحِبِكَ: سَاسَافِرُ غَدًا إِلَى الرِّيَاضِ مِثْلًا، فَإِنْ أَرَدْتَ أَنْكَ سَاسَافِرُ بِالْفِعْلِ؛ يَعْنِي: إِنِّي فَاعِلٌ وَلَا بَدَأَ، فَهَذَا لَا بَدَأَ أَنْ تُقَرِّنَهُ بِالْمَشِيئَةِ، وَإِنْ أَرَدْتَ الْإِبْخَارَ عَمَّا فِي قَلْبِكَ مِنَ الْعَزِيمَةِ، فَهَذَا إِبْخَارٌ عَنْ شَيْءٍ حَاضِرٍ، لَا شَيْءٍ مُسْتَقْبَلٍ، فَلَا حَرَجَ عَلَيْكَ إِذَا لَمْ تُقَرِّنْهُ بِالْمَشِيئَةِ، وَهَذَا فَرْقٌ دَقِيقٌ قَدْ يَخْفَى عَلَى كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ.

وَلِلْقُرْنِ بِالْمَشِيئَةِ فَوَائِدُ عَظِيمَةٌ:

**الأولى:** تَقْوِيضُ الْأَمْرِ إِلَى اللَّهِ.

**الثانية:** تَسْهِيلُ الْأَمْرِ.

**الثالثة:** أَنْكَ لَوْ أَفْسَمْتَ لَمْ تَحْنَثْ، فَلَوْ قُلْتَ: وَاللَّهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَأَسَافِرَنَّ غَدًا إِلَى الرِّيَاضِ، ثُمَّ

تَرَكْتَ السَّفَرَ اخْتِيَارًا مِنْكَ فَلَا حِنْثَ وَلَا شَيْءَ عَلَيْكَ.

لَوْ قَالَ قَائِلٌ: إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ اللَّيْلَةَ السَّاعَةَ الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ. فَمَاذَا نَقُولُ؟

**نَقُولُ:** لَا بَدَأَ مِنْ قَرْنِهِ بِالْمَشِيئَةِ أَيْضًا، وَإِنَّمَا قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿غَدًا﴾؛ لِأَنَّ هَذَا هُوَ الَّذِي وَقَعَ مِنَ الرَّسُولِ ﷺ حَيْثُ قَالَ: «أَخْبِرْكُمْ غَدًا». وَالتَّقْيِيدُ فِي الْجَوَابِ تَبَعًا لِلسُّؤَالِ لَا يُعْتَبَرُ قَيْدًا. وَهَذِهِ قَاعِدَةٌ مُفِيدَةٌ فِي أَصُولِ الْفَقْهِ.

قَالَ الْعُلَمَاءُ: وَمِنْ ذَلِكَ اخْتِلَافُ الرِّوَايَاتِ فِي سَفَرِ الْمَرْأَةِ، فِي رِوَايَةٍ: «لَا تُسَافِرُ امْرَأَةٌ يَوْمًا وَلَيْلَةً إِلَّا مَعَ ذِي مَحْرَمٍ»<sup>(١)</sup> فِي أُخْرَى: «مَسِيرَةٌ ثَلَاثَةٌ أَيَّامٍ إِلَّا مَعَ ذِي مَحْرَمٍ»<sup>(٢)</sup>. وَفِي ثَلَاثَةٍ: «لَا تُسَافِرُ امْرَأَةٌ إِلَّا مَعَ ذِي مَحْرَمٍ»<sup>(٣)</sup>. فَالْتَّقْيِيدَاتُ اخْتَلَفَتْ؛ فِي رِوَايَةِ مَسِيرَةِ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، وَفِي أُخْرَى مَسِيرَةِ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ، وَالْمَطْلُوقُ لَمْ يُقَيَّدْ بِشَيْءٍ فَهَلْ نَعْتَبِرُ الْمُقْيِدَاتِ أَوْ نَعْتَبِرُ الْمَطْلُوقَ؟

**وَالصَّحِيحُ:** أَنَّنَا نَعْتَبِرُ الْمَطْلُوقَ؛ لِأَنَّهُ لَمَّا اخْتَلَفَتْ الْمُقْيِدَاتُ فَإِنَّهَا تَكُونُ جَوَابًا لِسُؤَالٍ، فَكَانَ سَائِلًا قَالَ: أَرَأَيْتَ لَوْ سَافَرَتِ الْمَرْأَةُ يَوْمًا وَلَيْلَةً بِغَيْرِ مَحْرَمٍ؟ فَقَالَ: «لَا تُسَافِرُ امْرَأَةٌ يَوْمًا وَلَيْلَةً إِلَّا مَعَ ذِي مَحْرَمٍ». وَلِهَذَا دَائِمًا يَقُولُ الْعُلَمَاءُ فِي النَّصِّ الْمُقْيِدِ: وَقَعَ هَذَا جَوَابًا لِسُؤَالٍ.

فَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا﴾ (٢٣) إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﷻ [الْمُكْتَفَى: ٢٣-٢٤]. تَنْطَبِقُ عَلَيْهِ هَذِهِ الْقَاعِدَةُ.

(١) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (١٣٣٩).

(٢) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (١٣٤٠).

(٣) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (١٣٤١)، وَمُسْلِمٌ (٥٢٣٣).

وكذلك لو قلت: إني فاعلٌ ذلك بعد ساعتين أو ثلاث. فقل: إن شاء الله، فإن تقييدها بالغد في الآية جاء بناءً على جواب الرسول ﷺ لهم حيث قال: «غداً أُخبركم».

**والشاهد من الآية:** قوله تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ فإن فيه إثبات المشيئة لله ﷻ مع أن الفعل هو فعلك، فهو وإن كان فعلك إلا أنه لا بد أن يكون مقروناً بمشيئة الله ﷻ.

❖ وقوله: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [القصص: ٥٦]. الخطابُ في قوله: ﴿إِنَّكَ﴾ للرسول ﷺ.

❖ وقوله: ﴿لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ أي: هداية توفيق، يعني: لا توفقه للهداية حتى يهتدي.

❖ وقوله: ﴿مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ هل المعنى: مَنْ أَحْبَبْتَ هدايته، أو مَنْ أَحْبَبْتَهُ؟ وإيهاماً أشمل؟

**الجواب:** المرادُ إنك لا تهدي مَنْ أَحْبَبْتَ هدايته؛ لأنك قد تحبُّ هداية الإنسان وإن كنت لا تحبُّه هو بنفسه فتكونُ أشمل.

❖ ثم قال: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ ولم يقل: ولكن الله يهديه، بل عمم فقال: ﴿يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ ليشمل مَنْ أَحَبَّ وَمَنْ لَا يُحِبُّ، فالهداية بيد الله ﷻ.

وهذه الآية نزلت تسلياً للرسول ﷺ في عمه أبي طالب<sup>(١)</sup>، فعمه أبو طالب هو الذي اعتنى به، ورياءه، ودافع عنه دفاعاً عظيماً، وقصائده في ذلك مشهورة، ولا سيما اللامية التي تبلغُ خمسين بيتاً أو أكثر، والتي قال عنها ابنُ كثير في «البداية والنهاية»: إنها جديرةٌ بأن تكونَ من المعلقات بل هي أعظمُ منها<sup>(٢)</sup>. والمعلقات هي سبعُ قصائدٍ أعجبت العربَ فعلقوها في وسطِ الكعبةِ تعظيماً لشأنها، فسميت المعلقات السبع. وكان يقولُ فيها:

\*لَقَدْ عَلِمُوا أَن ابْنَنَا لَا مُكَذَّبَ لَدَيْنَا\*

وانظر إلى قوله: «ابننا» الذي يُفيدُ الحنوَّ والعطفَ، والفخرَ بانتسابه إليه، ويقصدُ بذلك محمداً ﷺ، ثم قال:

\*وَلَا يُعْنَى يَقُولُ الْبَاطِلُ\*

قوله: يقولُ الباطلُ؛ أي: السحرة أو غيرهم من الكذبة، فهو ﷺ لا يُعْنَى بذلك، بل هو صدوقٌ ﷺ. ويقولُ فيها:

وَلَقَدْ عَلِمْتُ بِأَنَّ دِينَ مُحَمَّدٍ  
لَوْ لَا الْمَلَامَةُ أَوْ حِذَارُ مَسْبِيَةٍ  
مِنْ خَيْرِ أَدْيَانِ الْبَرِيَّةِ دِينًا  
لَرَأَيْتَنِي سَمَحًا بِذَلِكَ مُبِينًا<sup>(٣)</sup>

(١) رواه البخاري (١٣٦٠)، ومسلم (٢٤).

(٢) انظر: «البداية والنهاية» لابن كثير (٥٧/٣).

(٣) انظر: «سمط العوالي» (٣٩٤/١)، و«خزانة الأدب» (٢٥٦/٣)، و«لسان العرب» (١٤٤/٥)، الزاهر في «غريب ألفاظ الشافعي» (٣٨١/١).



وانظر وتأمل هذا الكلام، فهو بَكاذٌ يُؤْمِنُ، لكن لم يَحْصُلْ منه القبولُ والإذعانُ، فهو وإن كان قد حَصَلَ منه التصديقُ إلا أنه لم يَحْصُلْ القبولُ والإذعانُ فُحِذِلَ -والعياذُ بالله- ومات على الشرك، وكان آخرُ ما قَالَ: إنه على ملةِ عبدِ المطلب. وأبى أن يَقُولَ: لا إله إلا الله. مع أن الرسولَ عِنْدَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ: «يا عَمَّ قُلْ لا إله إلا الله كلمةٌ أُحاجُّ لك بها عند الله». ولكنه أبى أن يَقُولَ ذلك <sup>(١)</sup>، فقد سبقت له من الله السابقة -والعياذُ بالله- قَالَ تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ۚ وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ۝١٧﴾ [التكوير: ١٧-١٩]. ولكن شَكَرَ له جميله، فأذِنَ للرسولِ عَلَيْهِ السَّلَامُ أن يَشْفَعَ فيه، مع أن الكفارَ لا يُشْفَعُ فيهم، فشفَعَ فيه فكان في ضَحْضَاحٍ من نارٍ، وعليه نعلانٍ من نارٍ يغلي منهما دماغه <sup>(٢)</sup> -والعياذُ بالله- أبد الآبدين.

فحزِنَ الرسولُ ﷺ فأنزَلَ اللهُ هذه الآيةَ تسلياً له: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ۚ فَمَاذَا يَكُونُ حَالُ الرَّسُولِ ﷺ حِينَ نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ؟ لَا شَكَّ أَنَّهُ سَيَقُولُ: رَضِيتُ بِاللَّهِ، وَسَلَّمْتُ بِهِ؛ لِأَنَّهُ أَمَرَ بِرَجْعٍ إِلَى اللَّهِ.

فإن قَالَ قائلٌ: كيف تَجْمَعُونَ بين هذه الآية وبين قوله تعالى: ﴿وَأَنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ۝٥٢﴾ [التين: ٥٢]. حيث بيَّنَ اللهُ في هذه الآية الثانية أن الرسولَ يهدي إلى صراطٍ مستقيم، وأكد ذلك بـ«إن» واللام؟

**فالجواب أن يُقَالَ:** إن الهدايةَ نوعان: هدايةٌ دلالةٌ، وهدايةٌ توفيقٌ، فالثابتةُ للرسولِ ﷺ هي هدايةُ الدلالةِ فهو يَدُلُّ الناسَ، والخاصةُ بالله سبْحانَه هي هدايةُ التوفيقِ. فإن قَالَ قائلٌ: أليس اللهُ تعالى قد قَالَ: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى ۝١٣﴾ [التكوير: ١٣]. فأوجبَ على نفسه الهدى وهنا يَقُولُ: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ۚ فَمَا الْجَمْعُ بَيْنَهُمَا؟

**فالجواب:** الجمعُ بينهما أن قوله: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى ۝١٣﴾؛ أي: لَلْبَيَانِ. فهي هدايةُ البيانِ والإرشادِ، فاللهُ عليه البيانُ ﷻ، وقد أوجبه على نفسه، ولهذا قَالَ بعدها مباشرةً: ﴿وَأَنَّ لَنَا لَلْآخِرَةِ وَالْأُولَى ۝١٣﴾ [التكوير: ١٣]. أي: فنحن نبينُ ولكنَّ الحكمَ لنا، فمن شِئنا وفَقَّناه للهداية، ومن شِئنا لم نُوفِّقه -نَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُوفِّقَنِي وَإِيَّاكُمْ لِلْهُدَايَةِ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ.

إذا تبيَّن أنه ليس بين الآياتِ -والحمدُ لله- اختلافٌ ولا تعارضٌ، وهكذا كُلُّ ما جاء في القرآنِ أو السنةِ الصحيحةِ فإنه لا يُمكنُ أن يَقَعَ فيه تعارضٌ، وإن أُوهِمَ التعارضُ فلقصورنا نحن في الفهم، أو لنقصنا في العلم، أو يَكُونُ الإنسانُ سببَ الإرادةِ ولا يُريدُ إلا جمعَ المتعارضاتِ، ولهذا أنا نَصَحُكُمْ ألا يَكُونُ همُّكم جمعَ المتعارضاتِ؛ لأنَّ بعضَ الطلبةِ تُشْعِرُ منه كلما سألك: ما الجمعُ بين كذا وكذا؟ كأنه موَكَّلٌ بأن يَتَّبِعَ الأشياءَ التي ظاهرها التعارضُ، من أجل أن يُوردَها على نفسه، ويَحْصُلُ له بذلك الشكُّ، فإعراضُ الإنسانِ عند ذلك هو الأولى.

لكن إذا وَقَعَ له فَلَيْسَتْ عِنَ اللَّهِ وليتَدَبَّرْ، فإذا مرَّ بآيةٍ مثلاً وأشْكِلَتْ عليه، فَلَيْسَتْ عِنَ اللَّهِ، وليتَدَبَّرْ

(١) تقدم تخرجه.

(٢) رواه البخاري (٦٥٦٤)، ومسلم (٢١٠).

مرة بعد أخرى، حتَّى يَهْدَى إليه، أما أن يَكُونَ ليس له همٌّ إلا أن يَجْمَعَ الآيات التي ظاهرها التعارض، أو الأحاديث التي ظاهرها التعارض، ثم يُورِّدُها على نفسه أولاً فيَقَعُ في شكٍّ وحيرة، ثم يُورِّدُها على من يُورِّدُها من الناس، فهذا ليس من شأن طالب العلم.

لكن إذا قُدِّرَ أن يَكُونَ الأمرُ كذلك وسيَكُونُ؛ لأنه ليس الإنسانُ محيطًا بكلِّ شيءٍ فحينئذٍ استعِزَّ بالله وقرَّرْ في نفسك قبل كلِّ شيءٍ: أنه لا تعارض بين كلام الله تعالى بعضه مع بعض، ولا بين كلام الله وما صحَّ عن رسوله ﷺ، وأنت إذا بنيت على هذا الأساس سهَّلَ عليك الجمع، أما إذا كان شبح التعارض أمامك وهو الذي بنيت عليه فإنك قد تُحَرِّمُ الوصولَ إلى الجمع.

❖ وقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]. هذه الآية فيها ذكرُ الإرادة، وقد ذكرها الله ﷻ في آيات الصيام، فقال: ﴿مَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ النَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]. ومن هنا نَعْرِفُ أن الإرادة هنا شرعية ولا بد، وليست إرادة كونية؛ لأن الإرادة الكونية قد تُكُونُ في أمورٍ تُعَسِّرُ علينا.

وما أجل هذه الآية وأحسنها! وأن يَكُونَ مرادُ الله بنا ﷻ في شرعه هو اليسر، ولهذا قال النبي ﷺ: «يَسِّرُوا وَلَا تَعَسِّرُوا، وبَشِّرُوا وَلَا تُنْفِرُوا»<sup>(١)</sup>، وقال: «إنما بُعِثْتُ ميسرين ولم تُبْعَثوا معسرين»<sup>(٢)</sup>، فهذه القاعدة اجعلها عندك.

وقد بنى عليها بعض العلماء مسألة وهي: إذا اختلف العلماء على قولين، ولم يتبين للإنسان الراجحُ منها، فهل يأخذُ بالأشدُّ أو بالأسير أو يُخَيَّر؟ بعض العلماء قال: يُؤْخَذُ بالأسير، والدليل قوله: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾. وبعض العلماء يقول: خُذْ بالأشد؛ لأنه أحوط وأبرأ للذمة. وبعض العلماء يقول: تُخَيَّر؛ لأنه لم يترجَّح عندك شيءٌ والله تعالى لا يُكَلِّفُ نفسًا إلا وسعها. والراجحُ عندنا: هو الأخذُ بالأسير إذا لم يترجَّح عند الإنسان أحدُ الدليلين، أما إذا ترجَّح فالواجبُ أن تأخذَ بالراجح.

❖ وقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ فردُّ من أفراد لا تُخصَى داخلية تحت كتابته تعالى: «إن رحمتي سبقت غضبي» فمنها أن الله يُريدُ بنا اليسر. ثم قال ﷻ: ﴿وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ سبحان الله هذه الجملة الثانية تُعْتَبَرُ تأكيدًا للأولى؛ لأن قوله: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ﴾ مفهومها: لا يُريدُ العسر، لكن صرَّح بالمفهوم، فكان عدمُ إرادته العسر بنا قد ذُكِرَ في هذه الآية مرتين، مرةً بطريق المفهوم ومرةً بطريق المنطوق، وهذا من نعم الله ﷻ علينا فله الحمد والشكر، نسأل

(١) رواه البخاري (٦٩)، ومسلم (١٧٣٤).

(٢) رواه البخاري (٢٢٠).



اللَّهُ أَنْ يَرُزُّ قَنَا شُكْرَ نِعْمَتِهِ وَحَسَنَ عِبَادَتِهِ.



ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٤٦٤- حَدَّثَنَا مُسْلَدٌ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَارِثِ، عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ، عَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا دَعَوْتُمْ اللَّهَ فَاعْزُمُوا فِي الدُّعَاءِ، وَلَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ إِنْ شِئْتُ فَأَعْطِنِي. فَإِنَّ اللَّهَ لَا مُسْتَكْرِهَ لَهُ»<sup>(١)</sup>.

❖ الشَّاهِدُ مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ: قَوْلُهُ: «إِنْ شِئْتُ». فَأَثْبَتَ اللَّهُ الْمَشِئَةَ.

❖ وَقَوْلُهُ: «إِذَا دَعَوْتُمْ اللَّهَ». أَعْمٌ مِنْ قَوْلِهِ ﷺ فِي الْحَدِيثِ الْآخِرِ: «لَا يَقُولُ أَحَدُكُمْ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتُ». فَإِنْ قَوْلُهُ: «إِذَا دَعَوْتُمْ» يَشْمَلُ أَيَّ دُعَاءٍ.

❖ فِي هَذَا الْحَدِيثِ: أَدَبٌ عَظِيمٌ فِي الدُّعَاءِ، وَهُوَ أَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا دَعَا اللَّهَ سِوَاءَ بِاسْتِغْفَارٍ أَوْ غَيْرِ اسْتِغْفَارٍ، لَا يَقُلْ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتُ، اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي إِنْ شِئْتُ، اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي إِنْ شِئْتُ، اللَّهُمَّ عَلِّمْنِي إِنْ شِئْتُ. فَلَا تَقُلْ فِي دَعَائِكَ: «إِنْ شِئْتُ»، وَاعْزِمْ فِي الدُّعَاءِ وَقُلْ: اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي، اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي، اللَّهُمَّ عَلِّمْنِي. بِدُونِ أَنْ تَقُولَ: «إِنْ شِئْتُ»؛ لِأَنَّ اللَّهَ لَا مُسْتَكْرِهَ لَهُ؛ يَعْنِي: لَا أَحَدٌ يُكْرِهُهُ حَتَّى تَقُولَ: إِنْ شِئْتُ أَعْطِنِي وَإِنْ شِئْتُ لَا.

❖ فِي قَوْلِ الْقَائِلِ فِي الدُّعَاءِ: «إِنْ شِئْتُ» مِنْ سِوَةِ الْأَدَبِ مَا يَلِي:

أَوَّلًا: أَنَّهُ يُشْعِرُ بَأَنَّ الدَّاعِيَ يَرَى أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُكْرِهٌ، فَكَأَنَّهُ يَقُولُ: إِذَا أَكْرِهْتَ فَإِنْ شِئْتُ فَافْعَلْ، وَإِنْ شِئْتُ فَلَا تَفْعَلْ.

ثَانِيًا: أَنَّهُ يُشْعِرُ بِاسْتِغْنَاءِ الدَّاعِيَ عَنِ اللَّهِ، فَإِنَّكَ لَوْ قَالَ لَكَ قَائِلٌ: تُرِيدُ كَذَا وَكَذَا. فَقُلْتَ لَهُ: إِنْ شِئْتُ. فَمَعْنَاهُ أَنْكَ مُسْتَغْنٍ، وَكَأَنَّكَ تَقُولُ: إِنْ شِئْتُ أَعْطِنِي، وَإِنْ شِئْتُ فَلَا يَهْمُنِي أَنْ تَحْرِمَنِي.

ثَالِثًا: أَنَّهُ قَدْ يُشْعِرُ بَأَنَّ هَذَا عَظِيمٌ عَلَى اللَّهِ كَثِيرٌ عَلَيْهِ، لِذَا فَإِنَّهُ يَقُولُ: إِنْ شِئْتُ. وَلِهَذَا جَاءَ فِي اللَّفْظِ الْآخِرِ: «لَوْ يُعْظِمُ الرَّغْبَةَ». يَعْنِي: لَيْسَ أَلَّا اللَّهُ عَظَمَ مَا يَكُونُ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَتَعَاطَمُهُ شَيْءٌ أَعْطَاهُ، لِذَلِكَ نُهَى الْإِنْسَانُ أَنْ يَقُولَ: اللَّهُمَّ أَعْطِنِي إِنْ شِئْتُ. سِوَاءِ كَانِ فِي الْمَغْفِرَةِ أَوْ غَيْرِ الْمَغْفِرَةِ.

فَإِنْ قَالَ: إِنْ شَاءَ اللَّهُ. كَمَا يُوجَدُ عِنْدَ كَبِيرٍ مِنَ الْعَامَةِ تَجِدُهُ يَقُولُ: اللَّهُ يَغْفِرُ لَهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، اللَّهُ عَافِيهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

❖ نَقُولُ: إِنْ قَصَدَ بِهَا التَّبَرُّكَ فَلَا بَأْسَ، وَإِنْ قَصَدَ بِهَا الشَّرْطَ فَإِنَّهُ يُنْهَى عَنْهَا، وَلَكِنَّهَا أَقْلٌ مِنْ قَوْلِهِ: إِنْ شِئْتُ؛ لِأَنَّ «إِنْ شِئْتُ» صَرِيحَةٌ فِي خُطَابِ اللَّهِ ﷻ، أَمَا لَفْظَةُ: إِنْ شَاءَ اللَّهُ فَقَدْ جَاءَتْ بِلَفْظِ الْغَائِبِ، الْمَجَابَهَةُ بِالسُّوءِ أَعْظَمُ مِنَ التَّكْنِيَةِ عَنْهَا بِالْغَائِبِ.

وَلِهَذَا قَالَ الْعُلَمَاءُ: إِنْ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿عَسَى وَتَوَكَّلْ ۖ أَنْ جَاءَهُ الْأَنْعَى ۚ﴾ [يونس: ١-٢]. أَهْوَنُ مِمَّا لَوْ قَالَ:

اللَّهُ أَنْ يَرْزُقَنَا شُكْرَ نِعْمَتِهِ وَحَسَنَ عِبَادَتِهِ.



ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٤٦٤- حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَارِثِ، عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ، عَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا دَعَوْتُمْ اللَّهَ فَاعْزِمُوا فِي الدَّعَاءِ، وَلَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ إِنْ شِئْتَ فَأَعْطِنِي. فَإِنَّ اللَّهَ لَا مُسْتَكْرِهَ لَهُ»<sup>(١)</sup>.

❦ الشاهد من هذا الحديث: قوله: «إِنْ شِئْتَ». فأثبت الله المشيئة.

❦ وقوله: «إِذَا دَعَوْتُمْ اللَّهَ». أعمُّ من قوله ﷺ في الحديث الآخر: «لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ». فَإِنْ قَوْلُهُ: «إِذَا دَعَوْتُمْ» يَشْمَلُ أَيَّ دَعَاءٍ.

وفي هذا الحديث: أدبٌ عظيمٌ في الدعاء، وهو أن الإنسان إذا دعا الله سواء باستغفارٍ أو غير استغفار، لا يَقُلْ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ، اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي إِنْ شِئْتَ، اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي إِنْ شِئْتَ، اللَّهُمَّ عَلِّمْنِي إِنْ شِئْتَ. فلا تَقُلْ في دعائك: «إِنْ شِئْتَ»، واعِزِّمْ في الدعاء وَقُلْ: اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي، اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي، اللَّهُمَّ عَلِّمْنِي. بدون أن تقول: «إِنْ شِئْتَ»؛ لأن الله لَا مُسْتَكْرِهَ لَهُ؛ يَعْنِي: لَا أَحَدٌ يُكْرِهُهُ حَتَّى تَقُولَ: إِنْ شِئْتَ أَعْطِنِي وَإِنْ شِئْتَ لَا.

وفي قول القائل في الدعاء: «إِنْ شِئْتَ» من سوء الأدب ما يلي:

أولاً: أنه يُشْعِرُ بَأْنَ الدَّاعِي يَرَى أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُكْرِهٌ، فَكَأَنَّهُ يَقُولُ: إِذَا أُكْرِهْتَ فَإِنْ شِئْتَ فَافْعَلْ، وَإِنْ شِئْتَ فَلَا تَفْعَلْ.

ثانياً: أنه يُشْعِرُ بِاسْتِغْنَاءِ الدَّاعِي عَنِ اللَّهِ، فَإِنَّكَ لَوْ قَالَ لَكَ قَائِلٌ: تُرِيدُ كَذَا وَكَذَا. فَقُلْتَ لَهُ: إِنْ شِئْتَ. فَمَعْنَاهُ أَنَّكَ مُسْتَغْنٍ، وَكَأَنَّكَ تَقُولُ: إِنْ شِئْتَ أَعْطِنِي، وَإِنْ شِئْتَ فَلَا يَهْمُنِي أَنْ تَحْرِمَنِي.

ثالثاً: أنه قد يُشْعِرُ بَأْنَ هَذَا عَظِيمٍ عَلَى اللَّهِ كَثِيرٌ عَلَيْهِ، لِذَا فَإِنَّهُ يَقُولُ: إِنْ شِئْتَ. وَلِهَذَا جَاءَ فِي اللَّفْظِ الْآخِرِ: «وَلْيُعْظِمِ الرِّغْبَةَ». يَعْنِي: لَيْسَالِ اللَّهِ عَظِيمٌ مَا يَكُونُ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَتَعَاظَمُهُ شَيْءٌ أَعْطَاهُ، لِذَلِكَ نُهَيَّ الْإِنْسَانَ أَنْ يَقُولَ: اللَّهُمَّ أَعْطِنِي إِنْ شِئْتَ. سِوَاءَ كَانَ فِي الْمَغْفِرَةِ أَوْ غَيْرِ الْمَغْفِرَةِ.

فَإِنْ قَالَ: إِنْ شَاءَ اللَّهُ. كَمَا يُوجَدُ عِنْدَ كَبِيرٍ مِنَ الْعَامَةِ تَحِدُّهُ يَقُولُ: اللَّهُ يَغْفِرُ لَهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، اللَّهُ يَغْفِرُهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

نَقُولُ: إِنْ قَصَدَ بِهَا التَّبَرُّكَ فَلَا بَأْسَ، وَإِنْ قَصَدَ بِهَا الشَّرْطَ فَإِنَّهُ يُنْهَى عَنْهَا، وَلَكِنَّهَا أَقْلٌ مِنْ قَوْلِهِ: إِنْ شِئْتَ؛ لِأَنَّ «إِنْ شِئْتَ» صَرِيحَةٌ فِي خُطَابِ اللَّهِ ﷻ، أَمَا لَفْظُهُ: إِنْ شَاءَ اللَّهُ فَقَدْ جَاءَتْ بِلَفْظِ الْغَائِبِ، وَالْمَجَابَهَةُ بِالسَّوْءِ أَعْظَمُ مِنَ التَّكْنِيَةِ عَنْهَا بِالْغَائِبِ.

وَهَذَا قَالَ الْعُلَمَاءُ: إِنْ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿عَسَى وَتَوَكَّلْ﴾ ١ أَنْ جَاءَهُ الْأَمْنَى ٢ ﴿عَسَى﴾ ٣. أَهْوَنُ مِمَّا لَوْ قَالَ:



عبست وتوليت أن جاءك الأعمى؛ لأن الثانية صريحة في مواجهة المخاطب، فإذا كان قول القائل في الدعاء: إن شاء الله، أو: إن شئت قبيحا وسوء أدب مع الله، كان قبحة بصيغة المخاطب أشد؛ لأنها صريحة للمخاطب. بخلاف التكنية عن ذلك بالغائب فإنها أهون، فصار قوله: «إن شاء الله» تَخْتَلِفُ عن قوله: «إن شئت» من وجهين:

**الوجه الأول:** أنه قد يُراد بـ«إن شاء الله» التبركُ.

**والثاني:** أنها أقل بشاعة مما يجيء بلفظ المخاطب؛ لأنها تكون بلفظ الغائب وهو أهون. ومن الأشياء التي سمعناها حديثا قول بعضهم: اللهم إني لا أسألك ردَّ القضاء ولكن أسألك اللطف فيه. فإن هذا لا يجوز؛ لأنه قد جاء في الحديث: «لا يردُّ القدرُ إلا الدعاء، أو لا يردُّ القضاء إلا الدعاء»<sup>(١)</sup>.

ثم إن قولك: لا أسألك ردَّ القضاء، ولكن أسألك اللطف فيه. كأنك ترى أن هذا أمرٌ كبيرٌ على الله، أن يردَّ القضاء بدعاثك.

**ثالثا:** أن قولك: لا أسألك ردَّ القضاء، ولكن أسألك اللطف فيه. كأنك تقول: لا يهمني أن تقضي عليّ بفقر أو مرض، أو غير ذلك لكن اللطف فيه؛ يعني: أجله قليلا، وهذا أيضا خطأ، بل أعظم للرغبة في الله ﷻ وأوسع مما في قلبك.

لكن سبحان الله، يأتي الإنسان ويُطْلَقُ ألفاظا لها رونق مزخرفة، فينتقلها الناس من غير روية وتروج عليهم، وإلا فلو تأمل الإنسان هذا الدعاء لوجده خطأ واضحا.



ثُمَّ قَالَ الْبَخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٤٦٥- حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ، أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ. ح

وَحَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ، حَدَّثَنِي أَخِي عَبْدُ الْحَمِيدِ، عَنْ سُلَيْمَانَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي عَتِيقٍ، عَنْ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ حُسَيْنٍ، أَنَّ حُسَيْنَ بْنَ عَلِيٍّ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ أَخْبَرَهُ أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ أَخْبَرَهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ طَرَقَهُ وَفَاطِمَةُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَيْلَةً فَقَالَ لَهُمْ: أَلَا تَصَلُّونَ؟ قَالَ عَلِيٌّ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أَنْفُسَنَا بِيَدِ اللَّهِ فَإِذَا شَاءَ أَنْ يَبْعَثَنَا بَعَثَنَا، فَانْصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ قُلْتُ ذَلِكَ وَلَمْ يَرْجِعْ إِلَيَّ شَيْئًا، ثُمَّ سَمِعْتُهُ وَهُوَ مُدْبِرٌ يَضْرِبُ فَخِذَهُ وَيَقُولُ: «وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا» (١) ﴿الْكَفَّة: ٥٤﴾<sup>(١)</sup>.

الشاهد من هذا الحديث قوله: إذا شاء أن يبعثنا بعثنا.

وفيه دليل واضح على أن أفعال العباد تقع بمشيئة الله، مع أن فعل النائم وهو استيقاظه ليس

(١) رواه الإمام أحمد (٢٢٧/٥)، والترمذي (٢١٣٩)، وابن ماجه (٩٠)، وابن حبان (٨٧٢). وحسنه الشيخ الألباني كما في «السلسلة الصحيحة» (١٥٤)، عدا قوله: «إن الرجل ليحرم الرزق بخطيئة يعملها».

(٢) رواه البخاري (٧٤٦٥)، ومسلم (٧٧٥).

بأختياره، فقد يُقال: إن الاستدلالَ بذلك لا يَتِمُّ. لكن قد مرَّ علينا في شرح ترجمة هذا البابِ آياتٌ متعددةٌ تدلُّ على أن أفعالَ العبادِ تَقَعُ بمشيئةِ الله قَالَ تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ﴾ [الأنعام: ١٣٧]. وقال: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَفْتَقَلَّ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فَيَنْهَمُ مَنْ عَامَنَ مِنْهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَفْتَقَلَّ وَلَكِنْ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [الأنعام: ٢٥٣].



ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٤٦٦- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سِنَانٍ، حَدَّثَنَا فُلَيْحٌ، حَدَّثَنَا هِلَالُ بْنُ عَلِيٍّ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مِثْلُ الْمُؤْمِنِ كَمِثْلِ خَامَةِ الزَّرْعِ يَفِيءُ وَرَقُهُ مِنْ حَيْثُ أَتَتْهَا الرِّيحُ تُكْمِئُهَا فَإِذَا سَكَتَتْ اعْتَدَلَتْ وَكَذَلِكَ الْمُؤْمِنُ يُكْفَأُ بِالْبَلَاءِ، وَمِثْلُ الْكَافِرِ كَمِثْلِ الْأَرْزَةِ صَمَاءٌ مُعْتَدِلَةٌ حَتَّى يَقْصِمَهَا اللَّهُ إِذَا شَاءَ»<sup>(١)</sup>.

هذا الحديثُ فيه: مثلٌ من أمثالِ الرسولِ ﷺ، والأمثالُ في القرآن والسنة تُقَرَّبُ المعقولُ إلى العقولِ؛ لأنها تُضْرِبُ المحسوسَ مثلاً، وتَصَوِّرُ الإنسانَ للمحسوسِ أقربَ من تصوُّره للمعقولِ، قَالَ اللهُ تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ مِثْلَ نَضْرِبِهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ [الأنعام: ١١٠].

وفي ضربِ الأمثالِ فائدةٌ أصوليةٌ فقهيةٌ وهي أن كلَّ مثلٍ ضربه الله أو رسوله فهو دليلٌ على ثبوتِ القياسِ؛ لأن المقصودَ به تمثيلُ هذا بهذا، فيكونُ مثبتاً للقياسِ.

أما المثلُ الذي ذكره الرسولُ ﷺ هنا فالمرادُ بقوله: «مثلُ المؤمنِ». أي: بالنسبةِ لقضاءِ الله وقدره «كمِثْلِ خَامَةِ الزَّرْعِ». أي: ورقُ الزرعِ، فورقُ الزرعِ تأتيه الرياحُ العاصفةُ وتميله يميناً ويساراً، لكنه باقٍ لا يَنْكَسِرُ، فإذا سَكَتَ الرِّيحُ عادَ إلى وضعه فهو لَيِّنٌ لا يَنْكَسِرُ، فالمؤمنُ كذلك في قضاءِ الله وقدره، إن أصابته الضراءُ صَبَرَ، وإن أصابته السراءُ شَكَرَ، فهو دائماً مع الله ﷻ في قضائه وقدره، فتراه منبسطاً في الضراءِ وفي السراءِ.

أما الكافرُ فهو: «كمِثْلِ الْأَرْزَةِ» أي: شتلةُ الأرزِ، وهي صلبةٌ مستقيمةٌ، صمَاءٌ لا تَلِينُ، فإذا جاءتها الرِّيحُ العاصفُ كَسَرَتْهَا وَيَقْصِمُهَا اللهُ ﷻ. والشاهدُ من هذا الحديثِ قوله: «إذا شاء».

فإذا قيل: كيف المثلُ بالنسبةِ للكافرِ؟

قلنا: الكافرُ إذا جاءه القضاءُ على غيرِ ما يُريدُ ارتدَّ، كما قَالَ اللهُ تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ﴾ [الأنعام: ١١٠]. فَيَسْخَطُ وَيَكْرَهُ



قضاء الله، بل ويكرهه الله - والعياذ بالله -، أما المؤمن فلا، بل هو راضٍ بقضاء الله ﷻ، صابرٌ محتسبٌ، فهو وإن أصابته عواصف القضاء الشديدة لا يتأثر.

\*\*\*

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٤٦٧- حَدَّثَنَا الْحَكَمُ بْنُ نَافِعٍ، أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، عَنْ الزُّهْرِيِّ، أَخْبَرَنِي سَالِمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَدِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ قَائِمٌ عَلَى الْمِنْبَرِ يَقُولُ: «إِنَّمَا بَقَاؤُكُمْ فِيهَا سَلَفَ قَبْلَكُمْ مِنَ الْأُمَمِ كَمَا بَيْنَ صَلَاةِ الْعَصْرِ إِلَى غُرُوبِ الشَّمْسِ، أُعْطِيَ أَهْلُ التَّوْرَةِ التَّوْرَةَ فَعَمِلُوا بِهَا حَتَّى انْتَصَفَ النَّهَارُ ثُمَّ عَجَزُوا فَأَعْطُوا قِيرَاطًا قِيرَاطًا، ثُمَّ أُعْطِيَ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ الْإِنْجِيلَ فَعَمِلُوا بِهِ حَتَّى صَلَاةِ الْعَصْرِ ثُمَّ عَجَزُوا فَأَعْطُوا قِيرَاطًا قِيرَاطًا، ثُمَّ أُعْطِيَ الْقُرْآنَ فَعَمِلْتُمْ بِهِ حَتَّى غُرُوبِ الشَّمْسِ فَأَعْطَيْتُمْ قِيرَاطَيْنِ قِيرَاطَيْنِ، قَالَ أَهْلُ التَّوْرَةِ: رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَقْلُ عَمَلًا وَأَكْثَرُ أَجْرًا. قَالَ: هَلْ ظَلَمْتُمْ مَنْ أَجْرِكُمْ مِنْ شَيْءٍ. قَالُوا: لَا. فَقَالَ: فَذَلِكَ فَضْلِي أَوْتِيهِ مَنْ أُنْشَاءُ».

الشاهد من هذا الحديث قوله: «من أنشاء». فأثبت المشيئة، وهي مشيئة في فعله تعالى لا في فعل العبد، وهذا متفق عليه؛ أي: إثبات المشيئة في فعل الله، حتى عند المعتزلة الذين هم القدريّة يُثْبِتُونَ مشيئة الله في فعله.

وفي هذا الحديث: دليل على فضيلة هذه الأمة.

وفيه: دليل على أن من منع فضله فإنه لا يلام، إذا كان قد أعطى ذا الحقَّ حقَّه، فهؤلاء الأجراء: الأول من أول النهار إلى انتصاف النهار، عاملهم على قيراط، والثاني من انتصاف النهار إلى صلاة العصر، عاملهم أيضًا على قيراط برضاهم، والثالث من صلاة العصر إلى الغروب عاملهم على قيراطين قيراطين، فهل يَنْقَى حجةً للأولين؟

الجواب: لا؛ لأنه لم يَمْنَعْهُمْ حقَّهم، بل أعطاهم حقَّهم، فإذا زاد أحدًا فإنه لا يُقَالُ: إنه ظلم. ما دام الأولون قد أعطوا حقَّهم الذي رَضُوا به.

فإن قال قائل: وهل يجري ذلك فيما لو أعطى أولاده شيئًا على درهمٍ درهمٍ ورضوا به، ثم زاد أحدهم شيئًا؟

الجواب: لا؛ لأن أصل العطية للأولاد يَجِبُ أَنْ تَكُونَ بالسوية بين الذكور، وعلى النصف في الإناث؛ يعني: يَعدَّلُ بينهم ويكون للذكر مثل حظ الأنثيين، هذا في العطية، أما في النفقة فالعدل أن يُعْطِيَ كُلُّ وَاحِدٍ سِوَاكَانٍ مِنَ الْإِنَاثِ أَوِ الذَّكَوَرِ مَا يَخْتَاْجُهُ.

\*\*\*

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٤٦٨- حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ الْمُسْنَدِيُّ، حَدَّثَنَا هِشَامٌ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنْ الزُّهْرِيِّ، عَنْ أَبِي إِدْرِيسَ، عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ قَالَ: بَايَعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي رَهْطٍ فَقَالَ: «أَبَايِعُكُمْ عَلَى أَنْ لَا تُشْرِكُوا بِاللَّهِ

شَيْئًا، وَلَا تَسْرِقُوا، وَلَا تَزْنُوا، وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ، وَلَا تَأْتُوا بِيَهْتَانٍ تَفْتَرُونَهُ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ، وَلَا تَعْصُونِي فِي مَعْرُوفٍ، فَمَنْ وَفَى مِنْكُمْ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَاخِذْ بِهِ فِي الدُّنْيَا فَهُوَ لَهُ كَفَّارَةٌ وَطَهُورٌ، وَمَنْ سَرَّهُ اللَّهُ فَذَلِكَ إِلَى اللَّهِ إِنْ شَاءَ عَذَبَهُ وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُ<sup>(١)</sup>.

هذه البيعة التي في هذا الحديث تُسمى ببيعة النساء، والبيعة هي العهد والميثاق، وسميت ببيعة لأن كل واحدٍ منهما يمتدُّ بآخيه إلى آخر، لإثبات هذا العهد، فيقول مثلاً: مَدُّ يَدِكَ أَبَايُكَ عَلَى كَذَا وَكَذَا. وهيبيعة النساء المذكورة في قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يَبَايَعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا يَشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا﴾ [الْمُحْكَمَاتُ: ١٢] إلى آخره.

**والشاهد من هذا الحديث قوله:** «فذلك إلى الله إِنْ شَاءَ عَذَبَهُ وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُ».

**وفي هذا الحديث من الفوائد:**

أَنْ مَنْ أَصَابَ شَيْئًا مِنْ هَذِهِ الْقَاذوراتِ كَالزَّنا مثلاً، أَوْ قَتَلَ الْوَلَدَ، فَأَخِذَ بِهِ فِي الدُّنْيَا فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ، وَعَلَى هَذَا فَالْحُدُودُ كَفَّارَاتٌ لِأَصْحَابِهَا، فَالزَّانِي إِذَا زَنَى ثُمَّ رُجِمَ أَوْ حُذِيَ، فَإِنْ ذَلِكَ يَكُونُ كَفَّارَةً لَهُ، وَلَا يُعَاقَبُ عَلَيْهِ فِي الْآخِرَةِ.

وَلَا يُشْكِلُ عَلَى هَذَا -أَي: عَلَى أَنَّ الْحُدُودَ كَفَّارَاتٌ- إِلَّا قِصَّةُ الْعُرَيْنَيْنِ الَّذِينَ سَعَوْا فِي الْأَرْضِ فَسَادًا<sup>(٢)</sup>، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ جِزَاءُ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النَّحْلُ: ٣٣]. فَأُثْبِتَ لَهُمْ عَقُوبَتَيْنِ عَقُوبَةً فِي الدُّنْيَا، وَعَقُوبَةً فِي الْآخِرَةِ. فِيمَا أَنْ يُقَالَ: إِنْ هَؤُلَاءِ لِعَظُمِ جَرْمِهِمْ وَفَسَادِهِمْ لَمْ يَكُنِ الْحُدُ مَكْفَرَةً عَنْهُمْ، وَصَارُوا يُحْدِثُونَ فِي الدُّنْيَا فَتَقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ، وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ، فَعَلَى هَذَا يَكُونُ مُسْتَنَى مِنْ بَقِيَةِ الْحُدُودِ.

وإِذَا أَنْ يُقَالَ: إِنْ هَذَا مَنْسُوخٌ، وَأَنَّ الْحُدُودَ بَعْدَ صَارَتْ كَفَّارَةً لِأَصْحَابِهَا، وَلَكِنْ النِّسْخُ يَحْتَاجُ إِلَى تَعْدِيلِ إِمْكَانِ الْجَمْعِ، فَإِذَا امْتَكَنَ الْجَمْعُ فَإِنَّهُ لَا نَسْخَ، وَالْجَمْعُ هُنَا سَهْلٌ وَذَلِكَ بِأَنْ نَقُولَ: هَذَا يُسْتَنَى مِنْ بَقِيَةِ الْحُدُودِ.

\*\*\*

**ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:**

٧٤٦٩- حَدَّثَنَا مُعَلَّى بْنُ أَسَدٍ، حَدَّثَنَا وَهَيْبٌ، عَنْ أَبِي بَرْ، عَنْ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ لَهُ سِتْرُونَ أَمْرًا فَقَالَ: لَأُطَوِّفَنَّ اللَّيْلَةَ عَلَى نِسَائِي، فَلَتَحْمِلَنَّ كُلُّ امْرَأَةٍ وَلَدًا وَلَتَقْدِرَنَّ فَارِسًا يُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَطَافَ عَلَى نِسَائِهِ فَمَا وَلَدَتْ مِنْهُنَّ إِلَّا امْرَأَةً وَلَدَتْ شِقًّا غُلَامًا، قَالَ نَبِيُّ اللَّهِ

(١) رواه مسلم (١٧٠٩).

(٢) تقدم تخريجه.



«لَوْ كَانَ سَلِيمَانُ اسْتَشَنَى لَحَمَلَتْ كُلُّ امْرَأَةٍ مِنْهُنَّ فَوَلَدَتْ فَارِسًا يُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»<sup>(١)</sup>  
 هذا الحديثُ الشاهدُ منه: قوله: «لو كان سليمانُ اسْتَشَنَى». والمرادُ بالاستِئْشاءِ قوله: «إن شاء الله».

وسياقُ الحديثِ باللفظِ الآخرِ أصحُّ، وهو أن النساءَ كن تسعينَ امرأةً<sup>(٢)</sup> لا ستينَ امرأةً، وأنه قيل له: قل إن شاء الله. فلم يَقُلْ إن شاء الله.

والبخاريُّ كما بيَّنَّا يسوقُ أحيانًا الحديثَ بلفظٍ لا يُطابقُ الترجمةَ بناءً على لفظٍ آخرٍ يُطابقُها، أما أنه ذكره في محلٍّ آخر، وإما أنه جاء في روايةٍ ليست على شرطه، وقلنا: إن هذا فيه فائدةٌ وهي: حمل الإنسان على البحث؛ أي: البحث عن الحديث وهل هو على شرطه أو لا، والبحث عن مكانه إن كان على شرطه في الصحيح.



ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٤٧٠- حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَهَّابِ الثَّقَفِيُّ، حَدَّثَنَا خَالِدُ الْحَذَّاءُ، عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ دَخَلَ عَلَى أَعْرَابِيٍّ يَعُوذُهُ فَقَالَ: «لَا بَأْسَ عَلَيْكَ طَهُورٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ». قَالَ: قَالَ الْأَعْرَابِيُّ: طَهُورٌ! بَلْ هِيَ حُمَى تَفُورُ عَلَى شَيْخٍ كَبِيرٍ تُزِيرُهُ الْقُبُورُ. قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «فَنَعَمْ إِذَا».

الأعرابُ أجدرُ ألا يَعْلَمُوا ما أنزل اللهُ على رَسُولِهِ، فهذا رَسُولُ اللهِ ﷺ يَرْجُو لهذا الأعرابيِّ وَيَقُولُ: «لَا بَأْسَ عَلَيْكَ طَهُورٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ». لكن كَانَ الْحُمَى كانت شديدةً فقال الأعرابيُّ: «طَهُورٌ؟!» وهذه الجملةُ استفهاميةٌ؛ يَعْنِي: أَيْكُونُ هَذَا طَهُورًا؟ ثُمَّ قَالَ: بَلْ هِيَ حُمَى تَفُورُ عَلَى شَيْخٍ كَبِيرٍ تُزِيرُهُ الْقُبُورُ. فقال النَّبِيُّ ﷺ: «فَنَعَمْ إِذَا». والظاهرُ أنها أزارته الْقُبُورُ؛ لأنَّ الرَسُولَ قَالَ: «فَنَعَمْ إِذَا». فحَرَّمَ هَذَا الرَّجُلُ بركةَ رجاءِ الرَسُولِ ﷺ بسببِ أن فِي قَلْبِهِ شَيْئًا مِنَ الْغَضَبِ عَلَى مَا حَصَلَ لَهُ.



ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٤٧١- حَدَّثَنَا ابْنُ سَلَامٍ، أَخْبَرَنَا هُشَيْمٌ، عَنْ حُصَيْنٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي قَتَادَةَ، عَنْ أَبِيهِ حِينَ نَامُوا عَنِ الصَّلَاةِ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ قَبَضَ أَرْوَاحَكُمْ حِينَ شَاءَ وَرَدَّهَا حِينَ شَاءَ»، فَقَضَوْا حَوَائِجَهُمْ وَتَوَضَّعُوا إِلَى أَنْ طَلَعَتِ الشَّمْسُ وَابْيَضَّتْ فَقَامَ فَصَلَّى<sup>(١)</sup>.

الشاهدُ من هذا الحديثِ قوله: «قَبَضَ أَرْوَاحَكُمْ حِينَ شَاءَ وَرَدَّهَا حِينَ شَاءَ».



(١) رواه مسلم (١٦٥٤).

(٢) تقدم تخرجه.

(٣) رواه مسلم (٦٨١).

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٤٧٢- حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ قَزَعَةَ، حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ، عَنْ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ وَالْأَعْرَجِ ح وَحَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ، حَدَّثَنِي أَخِي، عَنْ سُلَيْمَانَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي عَتِيقٍ، عَنْ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ وَسَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ قَالَ: اسْتَبَّ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَرَجُلٌ مِنَ الْيَهُودِ، فَقَالَ الْمُسْلِمُ: وَالَّذِي اصْطَفَى مُحَمَّدًا عَلَى الْعَالَمِينَ فِي قِسْمِ يَفِيسَ بِهِ، فَقَالَ الْيَهُودِيُّ: وَالَّذِي اصْطَفَى مُوسَى عَلَى الْعَالَمِينَ، فَرَفَعَ الْمُسْلِمُ يَدَهُ عِنْدَ ذَلِكَ فَلَطَمَ الْيَهُودِيُّ، فَذَهَبَ الْيَهُودِيُّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَخْبَرَهُ بِالَّذِي كَانَ مِنْ أَمْرِهِ وَأَمْرِ الْمُسْلِمِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا تُخَيِّرُونِي عَلَى مُوسَى فَإِنَّ النَّاسَ يَصْعَقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُنْفِقُ فَإِذَا مُوسَى بَاطِشٌ بِجَانِبِ الْعَرْشِ فَلَا أَدْرِي أَكَانَ فَيَمْنُ صَعِقَ فَأَفَاقَ قَبْلِي أَوْ كَانَ يَمْنُ اسْتَنْتَى اللَّهُ»<sup>(١)</sup>.

الشاهد من هذا الحديث قوله: «أو كان ممن استنتى الله»؛ لأن الله ﷻ استنتى هذا بالمشيئة فقال: ﴿فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ [الزمر: ٦٨].

وفي هذا: دليل على تواضع النبي ﷺ حيث قال: «لا تُخَيِّرُونِي عَلَى مُوسَى». كما قال أيضاً: «لا تُخَيِّرُونِي عَلَى يُونُسَ بْنِ مَتَّى». وذلك من تواضعه عليه السلام ﷺ، ومعنى قوله: «لا تُخَيِّرُونِي»؛ أي: لا تقولوا هو خير من كذا، وهذا من التواضع، ولأنه لا شك أن الرسول ﷺ خير الأنبياء، قال تعالى: ﴿تِلْكَ الْأَرْسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ﴾ [البقرة: ١٢٥].



ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٤٧٣- حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ أَبِي عِيسَى، أَخْبَرَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ، أَخْبَرَنَا شُعْبَةُ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْمَدِينَةُ يَأْتِيهَا الدَّجَالُ فَيَجِدُ الْمَلَائِكَةَ يَحْرُسُونَهَا فَلَا يَقْرَبُهَا الدَّجَالُ وَلَا الطَّاغُوتُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ»<sup>(١)</sup>.

الشاهد من هذا الحديث قوله: «إِنْ شَاءَ اللَّهُ».

وفي هذا بُشْرَى لأهل المدينة أن الدجال لا يَدْخُلُ عليهم المدينة، وأن الطاغوت أيضاً لا يَقَعُ فيها. ولكن قول الرسول ﷺ: «إِنْ شَاءَ اللَّهُ». يَحْتَمِلُ أَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَه تَبَرُّكاً وَتَحْقِيقاً، وَيَحْتَمِلُ أَنَّهُ قَالَه تَرَدُّداً وَتَعْلِيقاً وَأَنَّهُ يُكْنَى أَنْ يَأْتِيَهَا الطَّاغُوتُ، أَمَا الدَّجَالُ فَقَدْ جَاءَتْ أَحَادِيثُ كَثِيرَةٌ<sup>(٢)</sup> بِدُونِ اسْتِثْنَاءِ أَنَّهُ لَا يَدْخُلُهَا، وَلَكِنْ لَا يَعْْنِي ذَلِكَ أَنْ كُلَّ مَنْ فِيهَا يَسْلَمُ مِنْ فَتْنَتِهِ؛ لِأَنَّ الْمَدِينَةَ حَيْثُ تَرَجُّفُ ثَلَاثَ رَجَفَاتٍ فَيَخْرُجُ مِنْهَا -أَي: مِنْ

(١) رواه مسلم (٢٣٧٣).

(٢) رواه مسلم (٢٩٤٣).

(٢) انظر من ذلك ما رواه البخاري (٧١٣٣)، ومسلم (١٣٧٩).



المدينة- مَنْ كَانَ مُنَافِقًا، أَوْ كَافِرًا، أَوْ مَا أَشْبَهَ ذَلِكَ.

**قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ فِي «الْفَتْح»:**

قِيلَ: إِنَّهُ يَتَعَلَّقُ بِالطَّاعُونَ فَقَطْ. وَفِيهِ نَظَرٌ وَحَدِيثٌ مُجْحَنٌ بَنِ أَدْرَعَ الْمَذْكُورَ أَتَفَايُودُ أَنَّهُ لِكُلِّ مِنْهَا <sup>(١)</sup> . أَهـ الظَّاهِرُ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - أَنَّهُ لِلتَّبَرُّكِ وَالتَّحْقِيقِ.

\*\*\*

**ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:**

٧٤٧٤- حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ، أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، حَدَّثَنِي أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ فَأَرِيدُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ أَنْ أَخْتَبِيَ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لَأُمْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ» <sup>(٢)</sup>.

**الشَّاهِدُ مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ قَوْلُهُ:** «فَأَرِيدُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ أَنْ أَخْتَبِيَ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لَأُمْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

وَهَذَا مِنْ فَضْلِهِ ﷺ عَلَى أُمَّتِهِ أَنَّهُ اخْتَبَأَ الدَّعْوَةَ الْمُسْتَجَابَةَ لَهُ لِهَذَا الْغَايَةِ.

\*\*\*

**ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:**

٧٤٧٥- حَدَّثَنَا بِسْرَةُ بْنُ صَفْوَانَ بْنِ جَمِيلٍ اللَّخْمِيُّ، حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعْدٍ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُنِي عَلَى قَلِيبٍ فَتَزَعْتُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ أَنْزِعَ، ثُمَّ أَخَذَهَا ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ فَتَزَعَهُ دُنُوبًا أَوْ دُنُوبَيْنِ وَفِي نَزْعِهِ ضَعْفٌ وَاللَّهُ يُغْفِرُ لَهُ، ثُمَّ أَخَذَهَا عُمَرُ فَاسْتَحَالَتْ غَرَبًا فَلَمْ أَرْ عَبْرِيًّا مِنَ النَّاسِ يَفْرِي فَرِيَّهُ حَتَّى ضَرَبَ النَّاسُ حَوْلَهُ بِعَطَنِ» <sup>(٣)</sup>.

هَذِهِ الرَّوْيَةُ أَوَّلَتْ بِالْخِلَافَةِ، وَالضَّعْفُ الَّذِي حَصَلَ لِأَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ زَالِ اللَّوْمِ عَنْهُ فِي قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «وَاللَّهُ يُغْفِرُ لَهُ».

وَهُوَ أَيْضًا ضَعْفٌ نَسْبِيٌّ؛ أَيٌ: بِالنِّسْبَةِ لِمَا حَصَلَ مِنْ عَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ لِأَنَّ الْفَتْوحَاتِ فِي عَهْدِ عَمْرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَكْثَرُ بِكَثِيرٍ مِنَ الْفَتْوحَاتِ فِي عَهْدِ أَبِي بَكْرٍ، فَإِنْ أَبَا بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ اشْتَغَلَ بِحُرُوبِ الرَّدَةِ وَبِأَشْيَاءٍ دَاخِلِيَّةٍ، وَلَمْ تَنْتَشِرِ الْفَتْوحَاتُ فِي عَهْدِهِ كَمَا انْتَشَرَتْ فِي عَهْدِ عَمْرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَمَعَ ذَلِكَ فَإِنَّ الرَّسُولَ ﷺ بَادَرَ فَقَالَ: «وَاللَّهُ يُغْفِرُ لَهُ» وَحِينَئِذٍ يَنْدَفِعُ اللَّوْمُ وَيَتِمُّ النِّقْصُ الَّذِي ذَكَرَهُ النَّبِيُّ ﷺ.

**وَالشَّاهِدُ مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ قَوْلُهُ:** «فَتَزَعْتُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ أَنْزِعَ». فَبِهِ إِثْبَاتُ الْمَشْيِئَةِ.

\*\*\*

(١) انظر: «الفتح» (١٣/ ١٠٥).

(٢) رواه مسلم (١٩٨).

(٣) رواه مسلم (٢٣٩٢).

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٤٧٦- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْعَلَاءِ، حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ، عَنْ بُرَيْدٍ عَنْ أَبِي بُرْدَةَ، عَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا آتَاهُ السَّائِلُ وَرُبَّمَا قَالَ: جَاءَهُ السَّائِلُ أَوْ صَاحِبُ الْحَاجَةِ قَالَ: «اشْفَعُوا فَلْتُنْجَرُوا وَيَقْضِيَ اللَّهُ عَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ مَا شَاءَ»<sup>(١)</sup>.

الشاهد من هذا الحديث قوله: «على لسان رسوله ما شاء».

وفي هذا الحديث: دليل على استحباب الشفاعة لصاحب الحاجة، وهذا مشروط بما إذا لم يكن في ذلك مفسدة، فإن كان في ذلك مفسدة فإن الشفاعة لا تُشْرَعُ؛ لأن الشفاعة مصلحةٌ محدودةٌ ترجع إلى صاحبها الذي شُفِعَ له، فإذا كان ذلك يتضمّن مفسدةً عامّةً أو مفسدةً خاصّةً على نفس المشفوع له فإنها لا تُشْرَعُ.

فلو جاء شخصٌ يسأل نفقةً، وأنا أعلم أنه إذا أُعطي النفقة سوف يُبدّرُها، ويشتري بها ما يحرم من دخانٍ أو غيره، فحينئذٍ لا تُشْرَعُ الشفاعة؛ لأن هذه الشفاعة ستؤدي إلى شيءٍ محرم. وكذلك إذا كان يُخشى مفسدةً عامّةً، بحيث إذا شُفِعَ له صار هذا وسيلةً لأن يستعمل الناس الرشاوي والوثائق المحرمة، فهذا أيضًا لا يُشْفَعُ له.

أما إذا لم يكن في ذلك مفسدة، فلا شك أن الشفاعة للناس وقضاء حوائجهم مأمورٌ بها شرعًا.



ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٤٧٧- حَدَّثَنَا يَحْيَى، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، عَنْ مَعْمَرٍ، عَنْ هَمَامٍ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَا يَقُلْ أَحَدُكُمْ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ، ارْحَمْنِي إِنْ شِئْتَ، ارْزُقْنِي إِنْ شِئْتَ، وَلْيَغْزِمَ مَسْأَلَتُهُ إِنَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ لَا مَكْرَهَ لَهُ»<sup>(١)</sup>.

سبق الكلام على هذا الحديث، والشاهد منه قوله: «إِنْ شِئْتَ». لكنه سبق بلفظٍ أعم، حيث قال: «إِذَا دَعَا أَحَدُكُمْ». فيكون أعم من طلب المغفرة، أو طلب الرحمة.



ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٤٧٨- حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ، حَدَّثَنَا أَبُو حَفْصٍ عَمْرُو، حَدَّثَنَا الْأَوْزَاعِيُّ، حَدَّثَنِي ابْنُ شِهَابٍ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ بْنِ مَسْعُودٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ تَكَارَى هُوَ وَالْحُرُّ بْنُ قَبَسٍ بَنِ حِصْنِ الْفَزَارِيِّ فِي صَاحِبِ مُوسَى أَهْوَ خَضِرٌ؟ فَمَرَّ بِهِمَا أَبِي بَنْ كَعْبٍ الْأَنْصَارِيُّ فَدَعَاهُ ابْنُ عَبَّاسٍ

(١) رواه مسلم (٢٥٨٥).

(٢) رواه مسلم (٢٦٧٩).



فَقَالَ: إِنِّي تَمَارَيْتُ أَنَا وَصَاحِبِي هَذَا فِي صَاحِبِ مُوسَى الَّذِي سَأَلَ السَّبِيلَ إِلَى لُقْيَيْهِ، هَلْ سَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَذْكُرُ شَأْنَهُ؟ قَالَ: نَعَمْ، إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «بَيْنَا مُوسَى فِي مَلَأٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ: هَلْ تَعْلَمُ أَحَدًا أَعْلَمُ مِنْكَ؟ فَقَالَ مُوسَى: لَا. فَأَوْجِي إِلَى مُوسَى: بَلَى عَبْدُنَا خَضِرٌ. فَسَأَلَ مُوسَى السَّبِيلَ إِلَى لُقْيَيْهِ فَجَعَلَ اللَّهُ لَهُ الْحُوتَ آيَةً، وَقِيلَ لَهُ: إِذَا فَقَدْتَ الْحُوتَ فَارْجِعْ فَإِنَّكَ سَتَلْقَاهُ، فَكَانَ مُوسَى يَتَّبِعُ أَثَرَ الْحُوتِ فِي الْبَحْرِ، فَقَالَ فَتَى مُوسَى لِمُوسَى: أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَيْنَاهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ. قَالَ مُوسَى: ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِي فَأَرْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا فَوَجَدَا خَضِرًا وَكَانَ مِنْ شَأْنِهِمَا مَا قَصَّ اللَّهُ»<sup>(١)</sup>.

المؤلف رحمه الله اختصر القصة في هذا المكان والشاهد منها قول موسى للخضر: ﴿سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَاحِبًا﴾ [الكهف: ٦٩].



ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رحمه الله:

٧٤٧٩- حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ، أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ صَالِحٍ: حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ، أَخْبَرَنِي يُونُسُ، عَنْ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «نَزَلَ غَدَاً إِنْ شَاءَ اللَّهُ بِخَيْفِ بَنِي كِنَانَةَ حَيْثُ تَقَاسَمُوا عَلَى الْكُفْرِ. يُرِيدُ الْمُحَصَّبُ»<sup>(١)</sup>.

هذا القول قاله الرسول ﷺ في حجة الوداع. والمُحَصَّبُ سُمِّيَ بذلك؛ لأنه كثيرُ الحصباء، وهو محلٌّ في ظاهر مكة، لما نزل النبي ﷺ حين رمى الجمرات في اليوم الثالث عشر نزل وصلى بها الظهر والعصر، والمغرب والعشاء، ثم رقد، ثم في آخر الليل ارتحل حتى أتى المسجد الحرام، ثم طاف طواف الوداع، ثم صلى صلاة الفجر، ثم انصرف راجعاً إلى المدينة.

والشاهد من هذا الحديث قوله: «نَزَلَ غَدَاً إِنْ شَاءَ اللَّهُ».



ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رحمه الله:

٧٤٨٠- حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ، حَدَّثَنَا ابْنُ عُيَيْنَةَ، عَنْ عَمْرِو، عَنْ أَبِي الْعَاسِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: حَاصَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَهْلَ الطَّائِفِ فَلَمْ يَفْتَحْهَا، فَقَالَ: «إِنَّا قَافِلُونَ غَدَاً إِنْ شَاءَ اللَّهُ». فَقَالَ الْمُسْلِمُونَ: نَقْفُلُ وَلَمْ نَفْتَحْ. قَالَ: «فَاغْدُوا عَلَى الْقِتَالِ»، فَغَدُوا فَاصَابَتْهُمْ جَرَا حَاتٌ. قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّا قَافِلُونَ غَدَاً إِنْ شَاءَ اللَّهُ» فَكَانَ ذَلِكَ أَعْجَبَهُمْ فَبَسَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ<sup>(٢)</sup>.

(١) رواه مسلم (٢٣٨٠).

(٢) رواه مسلم (١٣١٤).

(٢) رواه مسلم (١٧٧٨).

قوله: فتبسم رسول الله ﷺ. ذلك لأن رايه الأول كان خيراً من رأيهم، لكن هذه عادة النبي ﷺ أنه يعطيهم بعض الشيء الذي يريدون حتى يعرفوا أن رايه هو الصواب، ومثل ذلك لما نهاهم عن الوصال فقالوا: إنك تواصل. فواصل بهم يوماً ويوماً حتى دخل شهر شوال، فقال: «لو تأخر الهلال لرذتكم» (١). فمكثهم من الوصال مع نهيه إياهم عنه؛ حتى يتبين لهم بعد ذلك أن الحكمة فيما نهاهم عنه، وهو ترك الوصال.

فهذا الحديث أيضاً مثله، فإنه لما قال: «إنا قافلون». قالوا: نقفل ولم نفتح. فتركهم، فلما أصيبوا بالجراح قال: «إنا قافلون» أعجبهم الأمر، فتبسم النبي ﷺ وقفل.



### ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٣٢- باب قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾ حَتَّى إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿١٢٢﴾ ﴿[البقرة: ٢٣]﴾ وَأَمْ يَقُولُ مَاذَا خَلَقَ رَبُّكُمْ. وَقَالَ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ ﴿[البقرة: ٢٥٥]﴾.

وَقَالَ مَسْرُوقٌ عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ: إِذَا تَكَلَّمَ اللَّهُ بِالْوَحْيِ سَمِعَ أَهْلُ السَّمَوَاتِ شَيْئاً، فَإِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ وَسَكَنَ الصَّوْتُ عَرَفُوا أَنَّهُ الْحَقُّ، وَنَادَوْا: مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ. وَيَذْكُرُ عَنْ جَابِرٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَنَسٍ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «يَحْشُرُ اللَّهُ الْعِبَادَ فَيُنَادِيهِمْ بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ مَنْ بَعْدَ كَمَا يَسْمَعُهُ مَنْ قَرَبَ أَنَا الْمَلِكُ أَنَا الدَّيَّانُ».

هذا الباب عقده المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ أَنَّ قَوْلَ اللَّهِ ﷻ يَكُونُ بِصَوْتٍ، وهذا الذي عليه السلف الصالح أن كلام الله تعالى بحرف وصوت، والأدلة على ذلك سبقت، وقلنا: إن قول الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ لِيَعْقِبِي ابْنَ مَرْيَمَ﴾ ﴿[البقرة: ١١٦]﴾. ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ ﴿[البقرة: ٣٤]﴾. وأمثالها تدلُّ دلالة واضحة على أنه يقول قولاً يُسْمَعُ.

بل إن الله ﷻ فصل الصوت بأنه يكون رفيعاً ويكون دون ذلك، كما قال تعالى: ﴿وَنَدَيْتُهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَفَرَّقْتُهُ بَيْنَ يَمِينِ﴾ ﴿[البقرة: ١٠٢]﴾. فالسلف يقولون: إن الله يتكلم ويقول بكلام مسموع، وبكلام يكون بحروف، وهذه الحروف متعاقبة وليست متقارنة، فالباء في بسم الله الرحمن الرحيم سابقة والسين بعدها، والميم بعدها، وهلم جرا، ولا يضر أن تثبت الحروف حرفاً بعد حرف؛ لأنه كما سبق أن الله لم يزل ولا يزال فعلاً، والذي يحدث هو آحاد الكلام، وهو من الكمال أن يكون متى شاء تكلم بما شاء.

وأما الصوت فظاهر أيضاً، قال تعالى: ﴿وَنَدَيْتُهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ﴾ فهذا بصوت عالٍ، ﴿وَفَرَّقْتُهُ بَيْنَ يَمِينِ﴾ وهذا بصوت منخفض، وفي الحديث يقول الله تعالى: «يا آدم، فيقول: لبيك وسعديك. فينادي



بصوت: إِنْ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تُخْرِجَ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ بَعَثًا مِنَ النَّارِ<sup>(١)</sup>، قَالَ: «فَيُنَادِي بِصَوْتٍ». فَأَكَّدَ النَّدَاءَ بِأَنَّهُ بِصَوْتٍ، مَعَ أَنَّ النَّدَاءَ لَا يَكُونُ إِلَّا بِصَوْتٍ، لَكِنْ هَذَا مِنْ بَابِ التَّوَكِيدِ لِقَوْلِهِ: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النِّسَاءُ: ١٦٤].

قَوْلُهُ: بِأَبْ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ، حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ﴾ إِلَى آخِرِهِ. هَذِهِ الْآيَةُ بَقِيَّةُ آيَةٍ سَبَقَتْ وَهِيَ: ﴿قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍَ وَمَا لَهُمْ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ﴾ [النِّسَاءُ: ٢٢-٢٣]. فَهَذِهِ الْآيَةُ وَالَّتِي بَعْدَهَا قَطَعَتْ جَمِيعَ مَا يَتَعَلَّقُ بِهِ الْمَشْرُكُونَ، وَبَيَّنَّتْ أَنَّ أَوْثَانَهُمْ وَأَصْنَامَهُمْ لَا تَسْتَحِقُّ الْعِبَادَةَ بِأَيِّ وَجْهِ مِنَ الْوُجُوهِ.

أَوَّلًا: يَقُولُ: ﴿لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ يَعْني: لَا يَمْلِكُونَهَا اسْتِقْلَالًا، فَمِثْلًا: لَا يَمْلِكُونَ الْأَرْضَ، وَلَا يَمْلِكُونَ السَّمَاءَ، وَلَا يَمْلِكُونَ نَجْمَةً مِنَ النُّجُومِ، وَلَا يَمْلِكُونَ شَجَرَةً مِنَ الْأَشْجَارِ، وَلَا يَمْلِكُونَ ذَرَّةً مِنَ الذَّرَاتِ مِنَ الْأَرْضِ عَلَى وَجْهِ الْاسْتِقْلَالِ، ﴿وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍَ﴾ يَعْني: وَلَا يَمْلِكُونَهَا عَلَى وَجْهِ الْمَشَارَكَةِ.

وَالْفَرْقُ بَيْنَ مَلِكِ الْاسْتِقْلَالِ، وَالْمَشَارَكَةِ يَظْهَرُ بِهَذَا الْمَثَالِ:

لَوْ قَدَّرْنَا أَنَّ هُنَاكَ عَشْرَةَ مِنَ الْغَنَمِ لِي فِيهَا خَمْسُ مَعِينَاتٍ، وَلِكِ خَمْسُ مَعِينَاتٍ. فَهَذَا مُلْكُ اسْتِقْلَالِي، وَإِذَا كَانَتْ هَذِهِ الْعَشْرُ بَيْنَنَا، وَرِثْنَاهَا عَنْ أَبِينَا مِثْلًا. فَهَذَا مُلْكُ مَشَارَكَةٍ.

فَهَذِهِ الْأَصْنَامُ لَا تَمْلِكُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ عَلَى وَجْهِ الْاسْتِقْلَالِ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَلَا تُشَارِكُ أَيْضًا فِي ذَرَّةٍ وَاحِدَةٍ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، ﴿وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍَ﴾ [النِّسَاءُ: ٢٢].

هَلْ هَذِهِ الْأَصْنَامُ أَعَانَتِ اللَّهَ عَلَى خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ؟

**الْجَوَابُ:** لَا، قَالَ وَحَّدَ: ﴿وَمَا لَهُمْ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ﴾ [النِّسَاءُ: ٢٢]. فَلَوْ كَانَ لَهُ مِنْهُمْ ظَهِيرٌ لَقِيلَ: إِنْ هَذِهِ الْأَصْنَامُ بِهَا شَيْءٌ مِنَ التَّعَلُّقِ بِالسَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ. لَكِنْ حَتَّى الْمُسَاعَدَةِ وَالْإِعَانَةَ مُتَّفِقَةٌ عَنْهَا، فَهِيَ لَمْ تُسَاعِدِ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَلَمْ تُعِنْهُ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَهُوَ سُبْحَانَهُ أَغْنَى الشُّرَكَاءَ عَنِ الشَّرْكِ، إِذَنْ لَيْسَ لَهَا يَدٌ عَلَى شَيْءٍ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَبَقِيَتِ الشَّفَاعَةُ، فَهَلْ تَشْفَعُ هَذِهِ الْأَصْنَامُ عِنْدَ اللَّهِ؟

**الْجَوَابُ:** لَا، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾، وَمَعْلُومٌ أَنَّ اللَّهَ لَا يَأْذُنُ لِهَذِهِ الْأَصْنَامِ؛ لِأَنَّهُ لَا يَرْضَاهَا، وَلَا يَرْضَى مَنْ تَشْفَعُ لَهُ وَهُمْ الْكَفَّارُ. وَبِذَلِكَ انْقَطَعَتْ جَمِيعُ الْعِلَاقِ التي يَتَعَلَّقُ بِهَا الْمَشْرُكُونَ.

ثُمَّ قَالَ مَبْنًى لِعَظَمَتِهِ سُبْحَانَهُ، وَأَنَّ هَذِهِ الْأَصْنَامَ لَيْسَتْ بِشَيْءٍ بِالنِّسْبَةِ لِعَظَمَتِهِ: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ﴾ أَي: إِذَا تَكَلَّمَ صَعِقَتِ الْمَلَائِكَةُ؛ أَي: غَشِيَ عَلَيْهَا مِنْ عَظَمَةِ مَا تَسْمَعُ، فِإِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ؛ أَي:

أُزِيلَ عَنْهَا الْفَرْعُ ﴿قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ﴾ يَعْني: يَتَسَاءَلُونَ فِيمَا بَيْنَهُمْ ﴿مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ﴾ وَفِي بَعْضِ الْأَفَاضِ الْحَدِيثِ أَنَّهُمْ يَسْأَلُونَ جَبْرِيًّا؛ لِأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ يَفِيْقُ فَيَقُولُونَ: ﴿مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ﴾ فَيَقُولُ: ﴿قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ فَمَنْ هَذِهِ عَظَمَتُهُ كَيْفَ يَلِيْقُ عَقْلًا أَنْ يُشْرَكَ بِهِ مَنْ لَا يَمْلِكُ شَيْئًا فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ، وَلَيْسَ لَهُ فِيهَا شَرَكَةٌ، وَمَا بِهِ مِنْ ظَهِيرٍ، وَشَفَاعَتُهُ لَا تَنْفَعُ عِنْدَ اللَّهِ.

❖ وَقَوْلُهُ: ﴿قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ﴾. قَوْلُهُ: «مَاذَا» اسْتِفْهَامِيَّةٌ وَتَكُونُ مَنْصُوبَةً عَلَى أَنَّهَا مَقُولُ الْقَوْلِ، وَلِهَذَا كَانَ الْجَوَابُ: «قَالُوا الْحَقَّ». وَلَمْ يَكُنِ الْجَوَابُ قَالُوا: الْحَقُّ؛ لِأَنَّهُ لَوْ كَانَتْ «ذَا» اسْمًا مَوْصُولًا عَلَى أَنَّهَا خَبَرٌ، لَكَانَ الْجَوَابُ يُطَابِقُ السُّؤَالَ فَيَقُولُ: الَّذِي قَالَ الْحَقَّ.

❖ ثُمَّ قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ الْعَلِيُّ: بِذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ، وَعَلَوُ الصِّفَاتِ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ بَيْنَ أَهْلِ الْقِبْلَةِ، حَتَّى أَهْلُ الْبِدْعِ يُثْبِتُونَ لِلَّهِ عِلْوُ الصِّفَاتِ، عَلَى حَسَبِ مَفْهُومِهِمْ فِي عِلْوِ الصِّفَةِ؛ لِأَنَّهُمْ قَدْ يَقُولُونَ: فِي هَذَا عِلْوُ صِفَةٍ. وَهِيَ نَقْصٌ، كَقَوْلِهِمْ مِثْلًا: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا تَقُومُ بِهِ الْحَوَادِثُ، وَلَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَنْزِلَ، وَلَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَسْتَوِيَ عَلَى الْعَرْشِ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ.

لَكِنْ عَلَى كُلِّ حَالٍ: فَأَهْلُ الْقِبْلَةِ؛ أَي: مَنْ يَنْتَسِبُ لِلْإِسْلَامِ، كُلُّهُمْ مُتَّفَقُونَ عَلَى أَنَّ اللَّهَ عَالٍ عِلْوُ صِفَةٍ حَسَبِ مَفْهُومِهِمْ فِي عِلْوِ الصِّفَةِ.

أَمَّا عِلْوُ الذَّاتِ، فَإِنَّهُ عِنْدَ السَّلَفِ فَقَطْ، أَمَّا أَهْلُ التَّحْرِيفِ وَالتَّعْطِيلِ، أَوْ أَهْلُ الْحُلُولِ، فَلَا؛ لِأَنَّ أَهْلَ الْحُلُولِ مِنَ الْجَهْمِيَّةِ وَغَيْرِهِمْ يَقُولُونَ: إِنَّ اللَّهَ فِي كُلِّ مَكَانٍ. وَأَهْلُ التَّعْطِيلِ يَقُولُونَ: لَا يُوصَفُ بِأَنَّهُ فَوْقَ الْعَالَمِ وَلَا تَحْتَهُ، وَلَا يَمِينٌ وَلَا شِمَالٌ، وَلَا مُتَصِلٌ وَلَا مُنْفَصِلٌ. وَقَدْ سَبَقَ الْكَلَامُ عَلَى هَذَا، وَبَيَّانُ أَنَّ الْعِلْوَ الذَّاتِيَّ قَدْ دَلَّ عَلَيْهِ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ وَالْإِجْمَاعُ وَالْعَقْلُ وَالْفِطْرَةُ.

قَالَ: ﴿الْكَبِيرُ﴾ فَهُوَ ﷻ ذُو الْكِبَرِيَاءِ وَالْعَظَمَةِ.

❖ وَقَوْلُهُ: «وَلَمْ يَقُلْ: مَاذَا خَلَقَ رَبُّكُمْ». هَذَا رَدٌّ عَلَى الْجَهْمِيَّةِ الَّذِينَ يَقُولُونَ: إِنَّ كَلَامَ اللَّهِ مَخْلُوقٌ. وَرَبِّمَا نَقُولُ: وَعَلَى الْأَشَاعِرَةِ الَّذِينَ يَقُولُونَ: إِنَّ مَا يُسْمَعُ مَخْلُوقٌ؛ لِأَنَّ الْأَشَاعِرَةَ يَقُولُونَ: مَا يُسْمَعُ مِنْ كَلَامِ اللَّهِ لَيْسَ هُوَ كَلَامُ اللَّهِ، بَلْ كَلَامُ اللَّهِ هُوَ الْمَعْنَى الْقَائِمُ بِنَفْسِهِ، وَأَمَّا مَا يُسْمَعُ فَهُوَ مَخْلُوقٌ خَلَقَهُ اللَّهُ لِلتَّبَعِيَّةِ عَمَّا فِي نَفْسِهِ.

❖ وَقَوْلُهُ: «وَقَالَ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾»؛ يَعْني: لَا أَحَدٌ يَشْفَعُ إِلَّا بِإِذْنِهِ، وَالْإِذْنُ هُوَ الْأَمْرُ لِمَنْ طَلَبَ الشَّفَاعَةَ أَنْ يَشْفَعَ، وَهَذَا لَا يَكُونُ إِلَّا بِالْكَلَامِ.

❖ وَقَوْلُهُ: «وَقَالَ مَسْرُوقٌ: عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه: إِذَا تَكَلَّمَ اللَّهُ بِالْوَحْيِ سَمِعَ أَهْلُ السَّمَوَاتِ شَيْئًا، فَإِذَا فَرَّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ، وَسَكَنَ الصَّوْتُ، عَرَفُوا أَنَّهُ الْحَقُّ، وَنَادَوْا: مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا: الْحَقُّ». وَهَذَا الْقَوْلُ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ مُعَلَّقٌ فِي الْبَخَارِيِّ، لَكِنَّهُ مُجْزِئٌ بِهِ، وَقَدْ قَالَ أَهْلُ الْإِسْلَامِ: إِنَّ الْبَخَارِيَّ إِذَا رَوَى شَيْئًا مُعَلَّقًا مُجْزِئًا بِهِ فَهُوَ عِنْدَهُ صَحِيحٌ، وَلَكِنْ لَا يَلْزَمُ مِنْ صَحَّتِهِ عِنْدَهُ أَنْ يَكُونَ صَحِيحًا عِنْدَ غَيْرِهِ.



وابن مسعود رضي الله عنه حين يتكلم بهذا الكلام يكون له حكم الرفع؛ لأن هذا الكلام لا يُقال بالرأي والاجتهاد.

ثم قال: «ويذكر عن جابر». قوله: يُذكر. بصيغة التمرّض، فهو عنده ضعيف.

ثم قال: «عن عبد الله بن أنيس قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «يَحْشُرُ الله العبادَ فَيُنَادِيهِمْ بصوتٍ يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب: أنا الملك، أنا الديان». وهذا الحديث هو الحديث المشهور الذي ارتحل له جابر بن عبد الله مسيرة شهر، وذلك أنه حدث بهذا الحديث عن عبد الله بن أنيس، فذهب إلى عبد الله بن أنيس مسيرة شهر. قال أهل الاصطلاح: يطلب علو السند. وقال أصحاب الفقه: للاستبثبات والتثبت. وبين القولين فرق.

فأولون يقولون: المقصود بذلك هو طلب علو السند؛ لأن الحديث إذا روي عن ثلاثة، ثم روي عن أربعة، فعن الثلاثة يكون أعلى، والآن جابر قد حدث بالحديث فصار بينه وبين الرسول ﷺ عبد الله بن أنيس، والواسطة التي بين جابر وعبد الله بن أنيس، لكن إذا رواه عن عبد الله مباشرة صار بينه وبين الرسول واحد فقط، وهذا علو سند.

وقال الفقهاء: بل هذا من أجل التثبت والاستبثبات في الخبر.

ولو قال قائل: بأنه للأمرين جميعاً، لم يكن هذا بعيداً، وإن كانت مسألة علو السند، أو نزول السند، لم تكن معروفة في ذلك العهد تلك المعرفة التي يُشار إليها ويرتحل إليها، من خرج الحديث.

**قال النحافظ ابن حجر رحمه الله في «الفتح» (١٣/٤٥٧):**

قوله: «ويذكر عن جابر بن عبد الله، عن عبد الله بن أنيس». بنون ومهملة مصغرة، هو الجهني كما تقدّم في كتاب العلم، وأن الحديث الموقوف هناك طرف من هذا الحديث المرفوع، وتقدّم بيان الحكمة من إيراد هنا بصيغة الجزم وهنا بصيغة التمرّض، وساقه هنا من الحديث بعضه وأخرجه بتمامه في الأدب المفرد، وكذا أخرجه أحمد وأبو يعلى والطبراني كلهم عن طريق همام بن يحيى، عن القاسم بن عبد الواحد المكي، عن عبد الله بن محمد بن عقيل أنه سمع جابر بن عبد الله يقول: فذكر القصة، وأوّل المتن المرفوع: «يَحْشُرُ الله الناس يوم القيامة - أو قال: العباد - عراً غراً لبها»، قال: قلنا: وما لبها؟ قال: ليس معهم شيء، ثم يُناديهم... فذكره وزاد بعد قوله «الديان»: «لا ينبغي لأحد من أهل النار أن يدخل النار وله عند أحد من أهل الجنة حق حتى يقصّه منه، ولا ينبغي لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة ولأحد من أهل النار عنده حق حتى يقصّه منه حتى اللطمة. قال: قلنا: كيف. وأنا إنما تأتي عراً لبها؟ قال: الحسنات والسيئات». لفظ أحمد عن يزيد بن هارون عن همام، وعبد الله بن محمد بن عقيل مختلف في الاحتجاج به، وقد أشرت إلى ذكر من تابعه في كتاب العلم. اهـ.

**الشاهد من هذا الحديث قوله:** «ينادي بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب». إذا فهو صوت عظيم يبلغ الناس كلهم القريين منهم والبعيد.

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٤٨١- حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ عَمْرِو، عَنْ عِكْرَمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ يُبَلِّغُ بِهِ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ:

«إِذَا قَضَى اللَّهُ الْأَمْرَ فِي السَّمَاءِ صَرَبَتِ الْمَلَائِكَةُ بِأَجْنِحَتِهَا خُضْعَانًا لِقَوْلِهِ كَأَنَّهُ سِلْسَلَةٌ عَلَى صَفْوَانٍ».

قَالَ عَلِيُّ وَقَالَ غَيْرُهُ: صَفْوَانٍ يُنْفِذُهُمْ ذَلِكَ فَإِذَا فُرِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا: مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ.

قَالَ عَلِيُّ: وَحَدَّثَنَا سُفْيَانُ، حَدَّثَنَا عَمْرِو، عَنْ عِكْرَمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ بِهَذَا.

قَالَ سُفْيَانُ: قَالَ عَمْرُو: سَمِعْتُ عِكْرَمَةَ، حَدَّثَنَا أَبُو هُرَيْرَةَ، قَالَ عَلِيُّ: قُلْتُ لِسُفْيَانَ قَالَ: سَمِعْتُ عِكْرَمَةَ قَالَ:

سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ قَالَ: نَعَمْ. قُلْتُ لِسُفْيَانَ: إِنَّ إِنْسَانًا رَوَى عَنْ عَمْرِو عَنْ عِكْرَمَةَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ يَرْفَعُهُ أَنَّهُ قَرَأَ فُرْعَ قَالَ سُفْيَانُ: هَكَذَا قَرَأَ عَمْرُو، فَلَا أَذْرِي سَمِعَهُ هَكَذَا أَمْ لَا. قَالَ سُفْيَانُ: وَهِيَ قِرَاءَتُنَا.

قَالَ الْحَافِظُ أَبُو حَجْرٍ فِي «الْفَتْحِ» (١٣/٤٥٨-٤٥٩):

قَوْلُهُ: «إِذَا قَضَى اللَّهُ الْأَمْرَ فِي السَّمَاءِ». وَقَعَ فِي حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ الْمَذْكُورِ أَوْلاً: «إِذَا تَكَلَّمَ اللَّهُ فِي

الْوَحْيِ». وَكَذَا فِي حَدِيثِ النَّوَاسِ بْنِ سَمْعَانَ عِنْدَ الطَّبْرَانِيِّ.

قَوْلُهُ: «صَرَبَتِ الْمَلَائِكَةُ بِأَجْنِحَتِهَا». فِي حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ: «سَمِعَ أَهْلُ السَّمَاءِ الصَّلْصَلَةَ».

قَوْلُهُ: «خُضْعَانًا». مَصْدَرٌ كَقَوْلِهِ: غُفْرَانًا. قَالَهُ الْخَطَّابِيُّ، وَقَالَ غَيْرُهُ: هُوَ جَمْعٌ خَاضِعٌ.

قَوْلُهُ: (قَالَ عَلِيُّ). هُوَ ابْنُ الْمَدِينِيِّ أَوْ قَالَ غَيْرُهُ: «صَفْوَانٍ يُنْفِذُهُمْ». قَالَ عِيَّاضٌ: ضَبَطُوهُ بِفَتْحِ

الْفَاءِ مِنْ صَفْوَانٍ. وَلَيْسَ لَهُ مَعْنَى وَإِنَّمَا أَرَادَ لَغِيْرَ الْمُثَبِّهِمْ.

قَوْلُهُ: «يُنْفِذُهُمْ». وَهُوَ بَفَتْحِ أَوَّلِهِ وَضَمِّ الْفَاءِ؛ أَيُ: يَعْثُمُهُمْ. قُلْتُ: وَكَذَا أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنْ

مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زَيْدٍ، عَنْ سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ هَذِهِ الزِّيَادَةُ، وَلَكِنْ لَا يُفَسِّرُ بِهِ الْغَيْرُ الْمَذْكُورُ؛ لِأَنَّ

الْمُرَادَ بِهِ غَيْرُ سُفْيَانَ، وَذَكَرَهُ الْكِرْمَانِيُّ بِلَفْظٍ: صَفْوَانٍ يُنْفِذُ فِيهِمْ ذَلِكَ بِزِيَادَةِ لَفْظِ الْإِنْفَادِ؛ أَيُ: يُنْفِذُ اللَّهُ

ذَلِكَ الْقَوْلَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ، أَوْ مِنَ النَّفْوَذِ؛ أَيُ: يُنْفِذُ ذَلِكَ إِلَيْهِمْ أَوْ عَلَيْهِمْ.

ثُمَّ قَالَ: وَيَحْتَمِلُ أَنْ يُرَادَ غَيْرُ سُفْيَانَ، قَالَ: إِنْ صَفْوَانًا بِفَتْحِ الْفَاءِ، فَالِاخْتِلَافُ فِي الْفَتْحِ

وَالسُّكُونِ، وَيُنْفِذُهُمْ غَيْرُ مُخْتَصٍّ بِالْغَيْرِ، بَلْ مُشْتَرِكٌ بَيْنَ سُفْيَانَ وَغَيْرِهِ انْتَهَى

وَسَيَأْتِي عَلِيُّ فِي هَذِهِ الرِّوَايَةِ يُخَالِفُ هَذَا الْإِحْتِمَالَ، لَكِنْ قَدْ وَقَعَتْ زِيَادَةُ: «يُنْفِذُهُمْ» فِي الرِّوَايَةِ

الَّتِي ذَكَرْتُهَا وَهِيَ عَنْ سُفْيَانَ فَيَقْوَى مَا قَالَ.

ثُمَّ قَالَ أَبُو حَجْرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ:

تَبَيَّنَ: وَقَعَ فِي تَفْسِيرِ سُورَةِ الْحَجْرِ بِالسَّنَدِ الْمَذْكُورِ هُنَا بَعْدَ قَوْلِهِ: وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ فَسَمِعَهَا مُسْتَرَفَوْ السَّمْعِ،

هَكَذَا إِلَى آخِرِ مَا ذَكَرَ مِنْ ذَلِكَ، وَهَذَا مِمَّا يَبَيِّنُ أَنَّ التَّفْرِيعَ الْمَذْكُورَ يَقَعُ لِلْمَلَائِكَةِ، وَأَنَّ الضَّمِيرَ فِي قُلُوبِهِمْ لِلْمَلَائِكَةِ لَا

لِلْكَفَّارِ، بِخِلَافِ مَا جَزَمَ بِهِ مَنْ قَدَّمَ ذِكْرَهُ مِنَ الْمَفْسِّرِينَ.

وَقَدْ وَقَعَ فِي حَدِيثِ النَّوَاسِ بْنِ سَمْعَانَ الَّذِي أَشْرْتُ إِلَيْهِ مَا نَصَّهُ: «أَخَذَتْ أَهْلُ السَّمَوَاتِ مِنْهُ



رعدةً خوفاً من الله وَخَرُّوا سُجَّدًا فَيَكُونُ أَوَّلُ مَنْ يَرْفَعُ رَأْسَهُ جَبْرِيلُ، فَيُكَلِّمُهُ اللَّهُ بِمَا أَرَادَ، فَيَمْضِي بِهِ عَلَى الْمَلَائِكَةِ مِنْ سَمَاءٍ إِلَى سَمَاءٍ.

وفي حديث ابن عباسٍ عند ابن خزيمة وابن مردويه: «كَمُرَّ السِّلْسِلَةِ عَلَى الصَّفْوَانِ، فَلَا يَنْزِلُ عَلَى أَهْلِ السَّمَاءِ إِلَّا صُعِقُوا، فَإِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ» إِلَى آخِرِ الْآيَةِ ثُمَّ يَقُولُ: يَكُونُ الْعَامُ كَذَا فَيَسْمَعُهُ الْجَنُّ.

وعند ابن مردويه من طريق بهز بن حكيم، عن أبيه، عن جده: «لَمَّا نَزَلَ جَبْرِيلُ بِالْوَحْيِ فُزِعَ أَهْلُ السَّمَاءِ لَانْحِطَاطِهِ، وَسَمِعُوا صَوْتَ الْوَحْيِ كَأَشَدِّ مَا يَكُونُ مِنْ صَوْتِ الْحَدِيدِ عَلَى الصَّفَا، فَيَقُولُونَ: يَا جَبْرِيلُ بِمَا أَمِرتُ» الْحَدِيثَ.

وعنده وعند ابن أبي حاتم من طريق عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس: «لَمْ تَكُنْ قَبِيلَةٌ مِنَ الْجَنِّ إِلَّا وَلَهُمْ مَقَاعِدُ لِلسَّمْعِ، فَكَانَ إِذَا نَزَلَ الْوَحْيُ سَمِعَ الْمَلَائِكَةُ صَوْتًا كَصَوْتِ الْحَدِيدَةِ أَلْقَيْتُهَا عَلَى الصَّفَا، فَإِذَا سَمِعَتِ الْمَلَائِكَةُ ذَلِكَ خَرُّوا سُجَّدًا، فَلَمْ يَرْفَعُوا حَتَّى يَنْزَلَ، فَإِذَا نَزَلَ قَالُوا: مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ فَإِنْ كَانَ مِمَّا يَكُونُ فِي السَّمَاءِ قَالُوا: الْحَقُّ. وَإِنْ كَانَ مِمَّا يَكُونُ فِي الْأَرْضِ مِنْ غَيْثٍ أَوْ مَوْتٍ تَكَلَّمُوا فِيهِ، فَسَمِعَتِ الشَّيَاطِينُ، فَيَنْزِلُونَ عَلَى أَوْلِيَائِهِمْ مِنَ الْإِنْسِ».

وفي لفظ: فيقولون: «يَكُونُ الْعَامُ كَذَا فَيَسْمَعُهُ الْجَنُّ فَتُحَدِّثُهُ الْكُهَنَةُ».

وفي لفظ: «يَنْزِلُ الْأَمْرُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا لَهُ وَقْعَةٌ كَوَقْعِ السِّلْسِلَةِ عَلَى الضَّمْحَةِ، فَيَفْزَعُ لَهُ جَمِيعُ أَهْلِ السَّمَوَاتِ...» الْحَدِيثَ.

فهذه الأحاديث ظاهرة جداً في أن ذلك وقع في الدنيا، بخلاف قول من ذكرنا من المفسرين الذين أقدموا على الجزم بأن الضمير للكفار، وأن ذلك يقع يوم القيامة مخالفين لما صحَّ من الحديث النبوي من أجل خفاء معنى الغاية في قوله: «حَتَّى إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ» وفي الحديث إثبات الشفاعة. اهـ.



ثُمَّ قَالَ الْبَخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٤٨٢- حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ بُكَيْرٍ، حَدَّثَنَا اللَّيْثُ، عَنْ عُقَيْلٍ، عَنْ ابْنِ شِهَابٍ، أَخْبَرَنِي أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا أَذِنَ اللَّهُ لِشَيْءٍ مَا أَذِنَ لِلنَّبِيِّ ﷺ يَتَغْنَى بِالْقُرْآنِ، وَقَالَ صَاحِبٌ لَهُ يُرِيدُ أَنْ يَجْهَرَ بِهِ».

الشاهد من هذا الحديث قوله: «مَا أَذِنَ اللَّهُ لِشَيْءٍ مَا أَذِنَ لِلنَّبِيِّ». ومعنى هذا الإذن الاستماع للشيء، يعني: ما استمع الله للشئ كاستماعه لنبي حسن الصوت كما في رواية أخرى يَتَغْنَى بِالْقُرْآنِ؛ يعني: يَجْهَرُ بِهِ.

وهذا دليل على: أن الله ﷻ يَسْتَمِعُ إِلَى مَنْ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ، وكلما كان الإنسان أحسن صوتاً وأداءً

كان الله إليه أسمع.

وظاهر سياق البخاري رحمه الله أنه يرى أن المراد بالإذن الإذن الكوني؛ يعني: أنه صلى الله عليه وسلم يأمر هذا النبي فيتغنّى بالقرآن؛ لأنه ساقه في الأحاديث التي يتحدّث فيها عن الكلام.

**قَالَ الْحَافِظُ أَبُو جَبْرِ رحمه الله في «الفتح» (١٣/ ٤٦٠):**

وأشار بإيراده هنا إلى حديث فضالة بن عبيد، الذي أخرجه ابن ماجه من رواية ميسرة مولى فضالة، عن فضالة بن عبيد قال: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لِللَّهِ أَشَدُّ أَذْنَا إِلَى الرَّجُلِ الْحَسَنِ الصَّوْتِ بِالْقُرْآنِ مِنْ صَاحِبِ الْقَيْنَةِ إِلَى قَيْنَتِهِ». وذكره البخاري في «خلق أفعال العباد» عن ميسرة، وقوله: «أذنا» بفتح الهمزة والمعجمة؛ أي: اسمتاعاً. اهـ

وَيَحْتَمِلُ أَنَّ الْبُخَارِيَّ رحمه الله ساقه في هذا الباب؛ لقوله: «يَتَغَنَّى بِالْقُرْآنِ». والقرآن سبق أنه كلام الله صلى الله عليه وسلم، وهذا أقرب؛ لأن المعنى الذي أشرنا إليه أولاً بعيد من أنه من الإذن الذي هو الأمر بعيد.



**ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رحمه الله:**

٧٤٨٣- حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ حَفْصٍ بْنُ غِيَاثٍ، حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ، حَدَّثَنَا أَبُو صَالِحٍ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رحمه الله قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «يَقُولُ اللَّهُ: يَا آدَمُ. فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ. فَيَنَادِي بِصَوْتٍ: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تُخْرِجَ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ بَعْثًا إِلَى النَّارِ»<sup>(١)</sup>.

الشاهد من هذا الحديث قوله: «فَيَنَادِي بِصَوْتٍ: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تُخْرِجَ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ بَعْثًا إِلَى النَّارِ». وقد رُوِيَ: «فَيَنَادِي بِصَوْتٍ: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ». فأبطل من يقول: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يَتَكَلَّمُ بِحَرْفٍ وَصَوْتٍ» الاستدلال بهذا الحديث على أن الله يتكلّم بحرف وصوت، وقال: إن قوله: «فَيَنَادِي». أي: يُنَادِي مُلْكٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، بِدَلِيلِ قَوْلِهِ: «إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ». حيث ساقه مساق الغائب.

ولكن هذا وإن كان له احتمال إلا أنه ضعيف، يُضَعِّفُهُ أَنَّ اللَّهَ يَقُولُ: يَا آدَمُ. فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ. فكان مقتضى ذلك أن الذي يُنَادِيهِ هو الله، فكيف يقول: يَا آدَمُ. فإذا قال: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ. وكَلَّ مُلْكًا يَكَلِّمُهُ، هذا بعيد من السياق، وإنما الذي ناداه هو الله صلى الله عليه وسلم، بِدَلِيلِ الرَّوَايَةِ الْآخَرَى: «فَيَنَادِي بِصَوْتٍ: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ».

وأما إقامة الظاهر مقام المضمّر حيث قالوا: إِنَّ اللَّهَ. بدل: إِنِّي أَمُرُّكَ. فيقال: إن إقامة الظاهر مقام المضمّر هنا إشارة إلى قوة سلطان الله صلى الله عليه وسلم، ودليل ذلك أنه قرّن بالأمر قوله: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ، وهذا كما يقول الملك في الدنيا: إِنَّ الْمَلِكَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَفْعَلَ كَذَا وَكَذَا. أو إن أمير المؤمنين يَأْمُرُكَ أَنْ تَفْعَلَ كَذَا وَكَذَا. وهو يعني نفسه، فهذا من باب التعظيم، والاتفات للتعظيم في اللغة العربية أسلوب متبع ومعروف.



وقوله: «بصوت». تأكيد لقوله: «يُنَادِي»؛ لأن المناداة لا تكون إلا بصوت، وهو كقوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ (١٦٤). فإن تكليماً هذه جاءت للتوكيد، ولهذا تسمى عند النحويين مصدراً مؤكداً.

وفي هذا إثبات أن الله تعالى يتكلم بصوت وهو كذلك، ولهذا يخاطب موسى ويكلمه، ويخاطب النبي ﷺ ويكلمه ليلة المعراج فهم يسمعون صوته ويردّون عليه.

\*\*\*

ثُمَّ قَالَ الْبَحَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٤٨٤- حَدَّثَنَا عَبْدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، حَدَّثَنَا أَبُو أَسَامَةَ، عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: مَا غُرْتُ عَلَى امْرَأَةٍ مَا غُرْتُ عَلَى خَدِيجَةَ وَلَقَدْ أَمَرَهُ رَبُّهُ أَنْ يُبَشِّرَهَا بِبَيْتٍ فِي الْجَنَّةِ (١).

الشاهد من هذا الحديث قولها: «ولقد أمره ربه»؛ لأن الأمر لا يكون إلا بالكلام، ففيه إثبات أن الله ﷻ يتكلم، وقد سبق الكلام على ذكر كلام الله ﷻ، وأن أهل السنة والجماعة يقولون: إن الله يتكلم بحرف وصوت، يتكلم بما شاء، متى شاء، كيف شاء.

\*\*\*

ثُمَّ قَالَ الْبَحَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٣٣- بَابُ كَلَامِ الرَّبِّ مَعَ جِبْرِيلَ وَنِدَاءِ اللَّهِ الْمَلَائِكَةَ. وَقَالَ مَعْمَرٌ: وَإِنَّكَ لَتَلْقَى الْقُرْآنَ. أَيُّ يُلْقَى عَلَيْكَ، وَلَقَدْ أَتَتْ. أَيُّ: تَأْخُذُهُ عَنْهُمْ، وَمِثْلُهُ فَتَلْقَى آدَمَ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ.

قوله: «بَابُ كَلَامِ الرَّبِّ مَعَ جِبْرِيلَ». جبريل عليه السلام هو أشرف الملائكة، وهو موكل بالوحي ينقله إلى من شاء الله ﷻ، وكلام الله معه، هو كما قال الله ﷻ: ﴿وَلَنَزِّلُكَ بِرَبِّكَ الْمَلَكَيْنِ﴾ (١٣) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (١٣) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ (١٣) [البقرة: ١٩٢-١٩٤]. وقال: ﴿وَلَقَدْ لَقِيَ الْفَرَأَنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ (١) [البقرة: ٦٠]. أَيُّ: يُلْقَى عَلَيْكَ الْقُرْآنَ، مِنْ لَدُنْ أَيُّ: من عند. ﴿حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾. وقدم الحكمة هنا لبيان أن ما جاء به هذا القرآن فإنه مبني على الحكمة، وكل ما في القرآن فإنه مطابق للحكمة تماماً، سواء كان من الأخبار العلمية، أم من الأحكام العملية.

\*\*\*

ثُمَّ قَالَ الْبَحَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٤٨٥- حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الصَّمَدِ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ - هُوَ ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دِينَارٍ - عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا نَادَى جِبْرِيلَ: إِنَّ اللَّهَ

قَدْ أَحَبَّ فَلَانًا فَأَحَبَّهُ. فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُنَادِي جِبْرِيلُ فِي السَّمَاءِ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَبَّ فَلَانًا فَأَحِبُّوه. فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، وَيُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي أَهْلِ الْأَرْضِ»<sup>(١)</sup>.

هذا حديث عظيم فيه بيان الغاية العظيمة من محبة الله سبحانه للعبد، فإنه سبحانه إذا أحبَّ عبداً نادى جبريل - والمناداة لا تكون إلا بصوت -: «إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَبَّ فَلَانًا». وهنا أتى بصيغة الغائب من باب التعظيم كما أسلفنا أنفساً.

يَقُولُ: «إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَبَّ فَلَانًا فَأَحَبَّهُ، فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ». امتثالاً لأمر الله ﷻ، ومحبة لأحباب الله.

ثُمَّ قَالَ: «ثُمَّ يُنَادِي جِبْرِيلُ فِي السَّمَاءِ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَبَّ فَلَانًا فَأَحِبُّوه. فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ». ويذكر ذلك باسمه الخاص، ثم يوضع له القبول في أهل الأرض. فيقبله أهل الأرض، ولا قبول إلا بعد محبة؛ لأن من لا يُحِبُّه لا تقبل منه، أما هذا فيوضع له القبول في الأرض فيكون رجلاً مقبولاً، وقوله: مقبولاً أي: عند الناس.

**وفي هذا:** دليل على إثبات محبة الله للعبد، وأهل السنة والجماعة يقولون: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُحِبُّ وَيُحِبُّ؛ لقوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [التَّائِبِينَ: ٥٤].

ولكن أهل التحريف قالوا: لا محبة من الله للعبد ولا من العبد لله.

ومنهم من يقول: العبد يُحِبُّ الله والله لا يُحِبُّ العبد.

وحرّفوا الآيات الكثيرة في المحبة إلى أن المراد بها الثوات، فقالوا: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ؛ أي: يُثِيْبُهُمْ. ففسّروها بشيء بائن منفصل، قالوا: أو يُريد ثوابهم. ففسّروها بالإرادة التي هم يُثْبِتُونَهَا.

ولكننا نقول: إِنَّ حُبَّ الشَّيْءِ فَوْقَ الْإِرَادَةِ وَفَوْقَ الْإِثَابَةِ، والمحبة ثابتة لله حقاً.

فإن قَالَ قائلٌ: وهل هناك طريق يصل بها الإنسان إلى أَنْ يُحِبَّهُ الله؟

**قلنا:** نعم، هناك طريق بينه الله ﷻ في قوله: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [التَّائِبِينَ: ٣١].

فالطريق إلى كون الله يُحِبُّ العبد أَنْ يَتَّبِعَ العبدَ الرسولَ ﷺ، وكلما كان الإنسان أَتْبَعَ لرسولِ الله كان أحبَّ إلى الله؛ وذلك لأن الحكم إذا علّق بعلّة قوي بقوتها وضعف بضعفها، والحكم هنا هو حبُّ الله لعبده، وقد علّق باتباع الرسول ﷺ، فكلما كان الإنسان أَتْبَعَ لرسولِ الله كان أحبَّ إلى الله، فإذا أَرَدْتَ أَنْ يُحِبَّكَ الله فَاتَّبِعِ الرسولَ ﷺ ظاهراً وباطناً.



ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٤٨٦ - حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، عَنْ مَالِكٍ، عَنْ أَبِي الزِّنَادِ، عَنْ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ مَلَائِكَةٌ بِاللَّيْلِ وَمَلَائِكَةٌ بِالنَّهَارِ وَيَجْتَمِعُونَ فِي صَلَاةِ الْعَصْرِ وَصَلَاةِ



الْفَجْرِ، ثُمَّ يَعْرِجُ الَّذِينَ بَاتُوا فِيكُمْ فَيَسْأَلُهُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ: كَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبَادِي؟ فَيَقُولُونَ تَرَكْنَاهُمْ وَهُمْ يَصَلُّونَ وَاتَّبَيْنَاهُمْ وَهُمْ يَصَلُّونَ»<sup>(١)</sup>.

هذا الحديث سبق الكلام عليه في باب قوله تعالى: ﴿تَتَجَرَّعُ الْمَلَأَمَكَةُ وَالرُّوحُ لِإِنِّي﴾ [المائدة: ٤].  
وأتى به المؤلف هنا في باب الكلام إشارة إلى أن الله تعالى يكلّم الملائكة.  
وسبق الكلام على الإشكال النحوي في قوله: «يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ مَلَائِكَةٌ». وبيننا جواب أهل النحو عليه، وأن بعضهم قال: إن هذه لغة معروفة عند العرب ويُسَمُّونها لغة: أَكَلُونِي الْبَرَاغِيثُ. وبعضهم قال: إن الواو فاعل وملائكة بدل من يَتَعَاقَبُونَ، وأن الفائدة من ذلك: التفصيل بعد الإجمال؛ لأن قوله: «يَتَعَاقَبُونَ» الضمير فيه مبهم لا يعلم مرجعه، فإذا جاء قوله: «مَلَائِكَةٌ». صارت الجملة مبينة بعد الإجمال، فصارت أوقع في النفس.



ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٤٨٧- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، حَدَّثَنَا غُنْدَرٌ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ وَاصِلٍ، عَنِ الْمَعْرُورِ، قَالَ سَمِعْتُ أَبَا ذَرٍّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «أَتَانِي جَبْرِيلُ فَبَشَّرَنِي أَنَّهُ مَنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ. قُلْتُ: وَإِنْ سَرَقَ وَإِنْ زَنَى. قَالَ: وَإِنْ سَرَقَ وَإِنْ زَنَى»<sup>(١)</sup>.

الشاهد من هذا الحديث: أن جبريل بشر الرسول ﷺ، والبشارة هذه لا تقع من جبريل من تلقاء نفسه، بل لابد أن الله أخبره بذلك، فبشر به جبريل النبي ﷺ.  
وقوله: «مَنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ». استدلل به من قال: إن تارك الصلاة لا يكفر وقال: إن تارك الصلاة ليس بمشرك فيدخل الجنة.

ولكننا نجيّب عن هذا بأحد جوابين:

**الجواب الأول:** أننا لا نسلّم أن تارك الصلاة ليس بمشرك؛ لأن النبي ﷺ قال: «بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة».

**والثاني:** أننا لو سلّمنا أن ترك الصلاة ليس بشرك كان هذا عامًّا، وأدله كفر تارك الصلاة خاصةً، والقاعدة: أن العامّ يحتمل على الخاصّ. فيكون الخاصّ خارجًا من العموم.



(١) رواه مسلم (٦٣٢).

(٢) رواه مسلم (٩٤).

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٣٤- بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿أَنْزَلَهُ، يَعْلَمُهُ، وَالْمَلَكُ يَشْهَدُونَ﴾ [النِّسَاءُ: ١٦٦].

قَالَ مُجَاهِدٌ: يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ بَيْنَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ وَالْأَرْضِ السَّابِعَةِ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَنْزَلَهُ، يَعْلَمُهُ﴾ الضمير فيه يعودُ على القرآن؛ لأن الله يقول: ﴿لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ، يَعْلَمُهُ﴾.

وقد سبق بيان معنى قوله: ﴿أَنْزَلَهُ، يَعْلَمُهُ﴾ وأن لها معنيين:

**المعنى الأول:** كأنه قال: أنزله عن علم منه.

**والثاني:** أن العلم هنا يرادُ به المعلوم.

أما قوله: ﴿وَالْمَلَكُ يَشْهَدُونَ﴾؛ يعني: يشهدون بأن الله أنزل هذا القرآن بعلمه.

ثم قال: «وقال مجاهد: ﴿يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾ بين السماء السابعة والأرض السابعة». يُشيرُ إلى قوله

تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾، الأمر؛ أي: أمرُ الله. ﴿بَيْنَهُنَّ﴾؛ يعني: بين السماء السابعة والأرض السابعة يَنْزِلُ أمرُ الله.

والسماوات سبع طباق، والأرضون كذلك سبع طباق، هذا هو الصحيح في الأراضين؛ بقوله: ﴿وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ ولقول النبي ﷺ: «مَنْ اقْتَطَعَ مِنَ الْأَرْضِ شِبْرًا طَوَّقَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ سَبْعِ أَرْضِينَ»<sup>(١)</sup>.



ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٤٨٨- حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، حَدَّثَنَا أَبُو الْأَحْوَصِ، حَدَّثَنَا أَبُو إِسْحَاقَ الْهَمْدَانِيُّ، عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ

قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا فُلَانُ إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَقُلْ: اللَّهُمَّ أَسَلَمْتُ نَفْسِي إِلَيْكَ، وَوَجَّهْتُ

وَجْهِي إِلَيْكَ، وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ، وَالنَّجَاتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ، رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيْكَ، لَا مَلْجَأَ وَلَا مَنَاجَا مِنْكَ

إِلَّا إِلَيْكَ، آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ، وَبِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ، فَإِنَّكَ إِنْ مِتَّ فِي لَيْلَتِكَ مِتَّ عَلَى

الْفِطْرَةِ، وَإِنْ أَصْبَحْتَ أَصْبَحْتَ أَجْرًا»<sup>(١)</sup>.

قَوْلُهُ: «أَصْبَحْتَ أَجْرًا». في نسخة: «أَصْبَحْتَ خَيْرًا».

وهذا الحديث قد تقدّم الكلامُ عليه، والشاهدُ منه هنا قوله: «بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ».

وسبقُ لنا أن البراء قال: برَسُولِكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ. فقال: «قُلْ بِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ»<sup>(٢)</sup>.

وسبقُ لنا أن بينا لماذا قال له الرسول ﷺ: «قُلْ بِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ». وبيننا أنه لوجهين:

(١) تقدم تخرجه.

(٢) رواه مسلم (٢٧١٠).

(٣) تقدم تخرجه.



**الوجه الأول:** أنه لو قيل: برسولك الذي أرسلت. فقد يؤهم أنه جبريل، لأنه رسول مرسل، وقد ذكر مقارناً للقرآن الذي أنزل.

**الوجه الثاني:** لو قال برسولك الذي أرسلت. لكانت دلالتها على النبوة بطريق اللزوم، لكن إذا قال: نبيك الذي أرسلت. كانت الدلالة على وجه المطابقة، والدلالة في المطابقة أقوى من الدلالة في اللزوم.



ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٤٨٩- حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَبِي خَالِدٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ أَبِي أَوْفَى قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ الْأَحْزَابِ: «اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الْكِتَابِ، سَرِيعَ الْحِسَابِ، اهْزِمِ الْأَحْزَابَ وَزَلْزِلْ بِهِمْ». زَادَ الْحَمِيدِيُّ: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي خَالِدٍ، سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ (١).

❦ قوله: «زاد الحميدي». زيادة الحميدي هي زيادة السماع، وهذا نعرف أن الزيادة تكون في المتن، وتكون في السند، والزيادة في السند تكون من مزيد متصل الأسانيد، وتكون من زيادة صيغ الأداء، والبخاري هنا قال: إن هذا زيادة. وهي زيادة في صيغة الأداء، وليست زيادة راوٍ محذوف من رواية أخرى، وليست زيادة متن أو شيء في المتن.

فتبين بهذا أن المحدثين رحمهم الله يتوسعون في بعض المصطلحات.



ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٤٩٠- حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، عَنْ هُثَيْمٍ، عَنْ أَبِي يَشْرِ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تَخَافُ بِهَا». قَالَ: أَنْزَلْتُ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُتَوَارِبِينَ، فَكَانَ إِذَا رَفَعَ صَوْتَهُ سَمِعَ الْمُشْرِكُونَ فَسَبُّوا الْقُرْآنَ وَمَنْ أَنْزَلَهُ وَمَنْ جَاءَ بِهِ، فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: «وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تَخَافُ بِهَا». لَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ حَتَّى يَسْمَعَ الْمُشْرِكُونَ، وَلَا تَخَافُ بِهَا عَنْ أَصْحَابِكَ فَلَا تُسْمِعُهُمْ، وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا: أَسْمِعُهُمْ وَلَا تَجْهَرُ حَتَّى يَأْخُذُوا عَنْكَ الْقُرْآنَ (١).

هذا من تفسير ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وابن عباس أعلم الصحابة بالتفسير - ما عدا الخلفاء الراشدين وكبار الصحابة -.

❦ وقوله: «وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تَخَافُ بِهَا». المراد: لا تَجْهَرُ جَهْرًا يَسْمَعُهُ الْمُشْرِكُونَ، فَيَسُبُّونَ الْقُرْآنَ وَمَنْ أَنْزَلَهُ - وهو الله - وَمَنْ جَاءَ بِهِ.

وفي هذا إشارة أو دليل - إذا قلنا بأن قول الصحابي حجة - على أن الإنسان إذا خاف إذا تَكَلَّمَ بموعظة، أو قرأ

(١) رواه مسلم (١٧٤٢).

(٢) رواه مسلم (٤٤٦).

قرآنًا، أَنْ يُسَبَّ القرآنُ، أَوْ تُسَبَّ الموعظةُ، فَإِنَّ الْأَوَّلَى أَلَا يَفْعَلُ، وَأَنْ يَجْعَلَ المسألةَ فِي وَقْتٍ آخَرَ، وَهَذَا مِنْ الْحِكْمَةِ أَلَا تَضَعُ القرآنَ أَوْ الموعظةَ بَيْنَ يَدَيَّ مِنْ يَمِينِهَا.

وَلِهَذَا قَالَ: لَا تَجْهَرُ وَلَا تُخَافُ وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا. فَلَا تُخَافُ بِهَا؛ لِأَنَّكَ لَوْ خَافَتْ لَمْ يَسْمَعْ أَصْحَابُكَ قِرَاءَتَكَ، بَلْ اجْعَلْ قِرَاءَتَكَ وَسَطًا فَتَجْهَرُ بِهَا بِحَيْثُ يَسْمَعُ أَصْحَابُكَ، وَتُخَافُ بِحَيْثُ لَا يَسْمَعُ الْمُشْرِكُونَ.

**وَالشَّاهِدُ مِنْ هَذَا قَوْلُهُ:** أَنْزَلْتُ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَتَوَارٍ بِمَكَّةَ؛ أَيُّ: أَنَّهَا نَزَلَتْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، فَيَكُونُ فِيهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ اللَّهَ تَكَلَّمَ بِالْقُرْآنِ.



**ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:**

٣٥- بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٥٥]. إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَضْلٌ حَقٌّ وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ بِاللَّعِبِ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَائِرٍ لِنَأْخُذُوهَا ذُرُوعًا وَنَنَعِيكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٥٥]. وَالْمَرَادُ بِالتَّبْدِيلِ هُنَا، تَبْدِيلُ مَعْنَاهُ وَحُكْمِهِ، لَا أَنَّهُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا لَفْظَهُ؛ لِأَنَّهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ ذَلِكَ.

**وَفِي هَذَا:** دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الَّذِينَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ مَبْدِلُونَ لِكَلَامِ اللَّهِ، وَكَذَلِكَ الَّذِينَ يَصْرِفُونَ النُّصُوصَ عَنْ ظَاهِرِهَا مَبْدِلُونَ لِكَلَامِ اللَّهِ ﷻ؛ لِأَنَّ الْكَلَامَ فِي الْحَقِيقَةِ يُرَادُّ بِهِ مَعْنَاهُ، فَإِذَا غَيَّرَ الْمَعْنَى فَيَكُونُ تَغْيِيرًا لِلْفَرْقِ؛ لِأَنَّ الْأَلْفَاظَ قَوَالِبَ.

**وَالشَّاهِدُ مِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ:** ﴿كَلِمَ اللَّهِ﴾. فَدَلَّ ذَلِكَ عَلَى إِثْبَاتِ الْكَلَامِ لِلَّهِ ﷻ.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ فَضْلٍ﴾ [الطلاق: ١٣]. وَالْقَوْلُ لَا يَكُونُ إِلَّا كَلَامًا.

وَقَوْلُهُ: ﴿فَضْلٌ﴾ قَالَ: حَقٌّ. وَالصَّحِيحُ أَنَّهُ أَعَمُّ مِنْ كَلِمَةٍ حَقٌّ، فَهُوَ فَضْلٌ يَفْصِلُ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، وَبَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَالْمَجْرِمِينَ، فَهُوَ فَضْلٌ فِي كُلِّ شَيْءٍ يَحْتَاجُ إِلَى فَضْلٍ.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ﴾ [الطلاق: ١٤]. أَيُّ: بِاللَّعِبِ، بَلْ هُوَ جَدُّ وَحَزْمٌ وَقُوَّةٌ وَعِزَّةٌ، وَكُلٌّ مِنْ تَمَسَّكٍ بِالْقُرْآنِ فَإِنَّهُ سَوْفَ يَكُونُ حَالُهُ كَهَذِهِ الْحَالِ.



**ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:**

٧٤٩١- حَدَّثَنَا الْحُمَيْدِيُّ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، حَدَّثَنَا الزُّهْرِيُّ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: يُؤْذِنِي ابْنُ آدَمَ بِسَبِّ الدَّهْرِ، وَأَنَا الدَّهْرُ. بِيَدِي الْأَمْرُ، أَقْلَبُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارَ»<sup>(١)</sup>.

**الشَّاهِدُ مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ قَوْلُهُ:** «بِيَدِي الْأَمْرُ». فَلَا مَرَّ كُلَّهُ لِلَّهِ، وَلَا يُمَكِّنُ أَنْ يُبَدِّلَ كَلَامَ اللَّهِ، كَمَا



قَالَ تَعَالَى: ﴿لَا مَبْدَلَ لِكَلِمَتِهِ﴾ [الأنعام: ١١٠]. فإذا كان بيده الأمر فإنه لا يَجُوزُ لنا أن نُبدِّلَ كَلِمَاتِهِ لا بِالْفِظِ ولا بِالْمَعْنَى.

وقد سبق الكلام على هذا الحديث، وبيننا أن معنى قوله تعالى: «وأنا الدهر»؛ أي: أنا مدبرُ الدهر، وليس المعنى أن الله هو الدهر؛ لأن الذين يَسْبُون الدهر لا يريدون أن يسبوا الله، إنما يريدون أن يسبوا الدهر الذي هو الوقت والزمن، فتجده يَسُبُّ السَّنَةَ، أو يَسُبُّ الشهرَ، أو يَسُبُّ اليومَ، وما أشبه هذا، وقد بين الله ﷻ أن سبَّ هذه المخلوقات هو في الحقيقة سبُّ الله؛ لأن الذي يُدَبِّرُ هذه المخلوقات هو الله؛ أما هذه المخلوقات فلا تُدَبِّرُ نفسها.



ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٤٩٢- حَدَّثَنَا أَبُو نَعِيمٍ، حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «يَقُولُ اللَّهُ ﷻ: الصَّوْمُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، يَدْعُ شَهْوَتَهُ وَأَكَلَهُ وَشَرِبَهُ مِنْ أَجْلِي، وَالصَّوْمُ جَنَّةٌ وَلِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ: فَرَحَةٌ حِينَ يُفْطِرُ، وَفَرَحَةٌ حِينَ يَلْقَى رَبَّهُ، وَلَخُلُوفٌ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ»<sup>(١)</sup>.

❦ قوله: «يَقُولُ اللَّهُ ﷻ: الصَّوْمُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ». قَالَ الْعُلَمَاءُ معنى قوله: «الصَّوْمُ لِي». أنه سرُّ بني وبين العبد؛ لأن الصوم مركب من نية وترك، ولا يعلم بالنية والترك إلا الله ﷻ؛ فلهذا اختص الله به وأضافه لنفسه.

وقيل: بل معناه: أن الإنسان إذا كان عليه مظالم، وأُخذَ من حسناته يوم القيامة، فإنه يُؤخَذُ من جميع الحسنات إلا الصوم، فإنه لا يُؤخَذُ منه شيء؛ لأنه لله.

والمعنى الأول أصح، وهو أن الصوم لله؛ لأنه ليس فيه رياء، بل هو خالص له، بدليل قوله: وأنا أجزي به.

ثم بين حكمة اختصاصه به سبحانه فقال: «يَدْعُ شَهْوَتَهُ، وَأَكَلَهُ، وَشَرِبَهُ، مِنْ أَجْلِي». وقوله: «يَدْعُ شَهْوَتَهُ»؛ يعني: الجوع، ويدْعُ أيضاً أكله وشربه من أجل الله ﷻ، وهذا هو الإخلاص.

وهذه الثلاثة هي التي نصَّ عليها الله في القرآن في قوله تبارك وتعالى: ﴿فَأَلْقِنِ بَشِيرُهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾ [النساء: ١٨٧]. وهي التي أجمع المسلمون على أنها تُفْسِدُ الصوم<sup>(٢)</sup>.

❦ وقوله: «يَدْعُ شَهْوَتَهُ». هل نفَسِّرُ هذا بالجوع فقط؟ ونقول: لا يُفْطِرُ بالمذي والمنى والمباشرة، أو نقول: إنها تشمل الجوع والإنزال؟

(١) رواه مسلم (١١٥١).

(٢) انظر: «المغني» لابن قدامة (٣٤٩/٤)، و«المجموع» للنووي (٣٢١/٦)، و«مجموع فتاوى شيخ الإسلام» (٢١٩/٢٥) وغيرها من كتب الفقه.

**الجواب أن يقال:** أما المباشرة فإنها لا تُفطرُ الصائمَ بلا شك؛ لأن النبي ﷺ كان يُقبلُ وهو صائمٌ، ويُباشِرُ وهو صائمٌ<sup>(١)</sup>.

وكذلك المذي ولو من شهوة لا يُفطرُ الصائمَ؛ لأنه ليس عليه دليلٌ، وليس فيه شهوةٌ، فالشهوةُ بغيره لا به.

وأما المني فإن جمهور العلماء على أنه يُفطرُ الصائمَ؛ لأنه شهوةٌ، ودليل ذلك قوله ﷺ: «وفي بُضعٍ أحَدكم صدقةٌ، قالوا: يا رسول الله أيأتي أحدنا شهوته ويَكُونُ له فيها أجرٌ؟ قال: نعم أرأيتم لو وُضِعَها في الحرام أكان عليه وزرٌ؟ قالوا: نعم، قال: فإذا وُضِعَها في الحلالِ لكان له أجرٌ»<sup>(٢)</sup>. والذي يوضعُ هو النطفةُ، وهذا يدلُّ على أن المني مفطرٌ، وهو الأصحُّ.

وأما الجماعُ فالإجماعُ منعقدٌ على أنه مفطرٌ.

❦ وقوله: «وأنا أُجزِي به». لا شك أن الله ﷻ يَجْزِي على كلِّ شيءٍ، لكن قال العلماء: إضافة الجزاءِ على الصومِ إلى الله ﷻ يُفيدُ أن هذا جزاءٌ أكثر من غيره، وعللوا ذلك بأن الصومَ فيه أنواعُ الصبرِ الثلاثةُ، فهو صبرٌ على طاعةِ الله، وصبرٌ عن معصيةِ الله، وصبرٌ على أقدارِ الله بما يَحْصُلُ للصائمِ من الجوعِ والعطشِ، والهزالِ، وضعفِ النفسِ، والصابرون يُجْزَوْنَ أَجْرَهُمْ بغيرِ حساب.

وقوله تبارك وتعالى: «الصومُ جُنَّةٌ»<sup>(٣)</sup>. الجُنَّةُ هي ما يُتَّقَى به سهامُ الأعداءِ، مأخوذةٌ من الاجتنانِ وهو الخفاءُ؛ لأن الإنسانَ يَخْتَفِي به عن سهامِ الأعداءِ وهو مثلُ الصَّاحِ الكبير الذي يُخْبِرُ عليه يَحْمِلُهُ المقاتِلُ، فإذا رأى أحداً صَوَّبَ إليه سهامًا دَفَعَ السهمَ بهذا الترسِ الذي يَسْمَى جُنَّةً.

والمرادُ بكونه جُنَّةً: أنه يَسْتَتِرُ به الإنسانُ في الدنيا من قولِ الزورِ، والعملِ به، والجهلِ، وفي الآخرةِ يتقي به من النارِ.

❦ وقوله: «وللصائمِ فرحتان: فرحةٌ حين يُفطرُ، وفرحةٌ حين يَلْقَى رَبَّهُ»<sup>(٤)</sup>. وفرحته حين يُفطرُ تكونُ لأمرين:

**الأمر الأول:** تناول ما أحلَّ الله له من طعامٍ، وشرابٍ، ونكاحٍ، فإن النفسَ إذا حُسِستْ عن ذلك ثم أُزِيدَ لها فيه فَرِحَتْ.

**الأمر الثاني:** فرحته بأداء هذه الفريضةِ إن كان صومَ فرضٍ، أو التطوعِ إن كان صومَ نفلٍ.

**والفرح الثاني:** فرحه حين يَلْقَى رَبَّهُ يومَ القيامةِ، ويَجِدُ أَجْرَ الصَّوْمِ مَوْفُراً عندَ الله ﷻ.

❦ وقوله: «ولخلافُ فَمِ الصائمِ أَطيبُ عندَ الله من رِيحِ المسكِ». الخلوْفُ هو الرائحةُ التي

(١) رواه البخاري (١٩٢٧)، ومسلم (١١٠٦).

(٢) رواه مسلم (١٠٠٦).

(٣) رواه البخاري (١٩٠٤)، ومسلم (١١٥١).

(٤) المصدر السابق.



تَنْبَعُثُ مِنَ الْمَعْدَةِ عِنْدَ خُلُوقِهَا، وَهِيَ رَائِحَةٌ مُسْتَكْرَهَةٌ فِي مَشَامِ النَّاسِ، لَكِنَهَا عِنْدَ اللَّهِ إِطِيبُ مِنْ رِيحِ الْمَسْكِ؛ لِأَنَّهَا نَاشِئَةٌ عَنْ طَاعَتِهِ، وَهَذَا يُشَبِّهُ قَوْلَ الرَّسُولِ ﷺ فِي دَمِ الشَّهِيدِ: «أَنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَجَرَحُهُ يَنْعَبُ دَمًا، اللَّوْنُ لَوْنُ الدَّمِ، وَالرَّيْحُ رِيحُ الْمَسْكِ»<sup>(١)</sup>.  
وَكُلُّ هَذِهِ الْجَمَلِ فِي هَذَا الْحَدِيثِ يُفِيدُ التَّرْغِيبَ فِي الصَّوْمِ، وَالْحَثَّ عَلَيْهِ، وَيُبَيِّنُ فَوَائِدَهُ فِي الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ.  
**وَالشَّاهِدُ مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ قَوْلُهُ:** يَقُولُ اللَّهُ ﷻ. ثُمَّ ذَكَرَ الْحَدِيثَ. وَهَذَا كَلَامٌ -مَقُولُ الْقَوْلِ-  
فَدَلَّ ذَلِكَ عَلَى أَنَّ اللَّهَ ﷻ يَتَكَلَّمُ بِكَلَامٍ بِحُرُوفٍ تُتْلَى وَتُقْرَأُ.

\*\*\*

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٤٩٣- حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنْ هَمَامٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «بَيْنَا أَيُّوبُ يَغْتَسِلُ عُرْيَانًا خَرَّ عَلَيْهِ رَجُلٌ جَرَادٌ مِنْ ذَهَبٍ، فَجَعَلَ يَحْنِي فِي نَوْبِهِ فَنَادَى رَبَّهُ: يَا أَيُّوبُ أَلَمْ أَكُنْ أَعْنَيْتَكَ عَمَّا تَرَى؟ قَالَ: بَلَى يَا رَبِّ وَلَكِنْ لَا غِنَى لِي عَنْ بَرَكَاتِكَ».  
سَبَقَ الْكَلَامُ عَلَى هَذَا الْحَدِيثِ، وَالشَّاهِدُ مِنْهُ قَوْلُهُ: «فَنَادَاهُ رَبُّهُ». وَالنَّسْخَةُ الَّتِي عِنْدِي: «فَنَادَى رَبُّهُ» بِدُونِ ضَمِيرٍ. وَالْمَعْنَى وَاحِدٌ.

\*\*\*

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٤٩٤- حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ، حَدَّثَنِي مَالِكٌ، عَنْ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْأَعْرَبِيِّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ، فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ»<sup>(١)</sup>.  
هَذَا هُوَ حَدِيثُ النَّزُولِ، وَهُوَ حَدِيثٌ عَظِيمُ الْفَائِدَةِ، وَفِيهِ قُوَّةُ الرَّجَاءِ، وَقَدْ شَرَحَهُ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي كِتَابِ مُسْتَقَلِّ شَرْحِ وَافِيَا، وَهُوَ كَمَا هُوَ مَعْرُوفٌ طَوِيلُ النَّفْسِ رَحِمَهُ اللَّهُ، وَقَدْ تَكَلَّمَ عَلَيْهِ بِكَلَامٍ طَوِيلٍ جَدًّا.  
قَوْلُهُ: «يَنْزِلُ رَبُّنَا». وَفِي لَفْظِهِ: «يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى». وَسَبَقَ بَيَانُ مَعْنَى قَوْلِهِ: تَبَارَكَ: أَنَّهُ كَثِيرُ الْبَرَكَةِ، وَتَجَلُّ الْبَرَكَةُ بِاسْمِهِ.

وَأَمَّا قَوْلُهُ: «تَعَالَى» فَمَعْنَاهُ: تَعَالَى عَنْ كُلِّ عَيْبٍ وَنَقْصٍ.

وَقَوْلُهُ: «يَنْزِلُ رَبُّنَا» النَّزُولُ هُنَا مُضَافٌ إِلَى الرَّبِّ ﷻ، وَالْفِعْلُ الْمُضَافُ إِلَى اللَّهِ يَكُونُ فِعْلًا وَاقِعًا مِنَ اللَّهِ، وَهَذَا هُوَ الْوَاجِبُ إِثْبَاتُهُ؛ لِأَنَّ هَذَا هُوَ ظَاهِرُ اللَّفْظِ، وَالنَّاسُ فِي كَلَامِهِمْ إِذَا قَالُوا: قَالَ

(١) رواه البخاري (٢٨٠٣)، ومسلم (١٨٧٦).

(٢) رواه مسلم (٧٥٨).

وفعلٌ وذَهَبَ وجاءَ وركبَ ونَزَلَ. فإن هذه الأوصافُ تعودُ إلى الفاعل الذي أُضِيفَتْ له، فإذا كان النبي ﷺ - وهو أَعْلَمُ الخلقِ بالله، وأنصَحُ الخلقِ لعبادِ الله، وأفصحُ الخلقِ فيما يَقُولُ، وأصدقُهم فيما يُخْبِرُ - يَقُولُ: «يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا» فإنه لا يَبْقَى مجالٌ للتحريفِ، ولا أن يُقَالَ: إن المرادُ ينزل أمره أو تنزل رحمته أو ينزل مَلَكٌ من ملائكتِهِ، بل نقول: يَنْزِلُ اللهُ نفسه.

أما كيف يَنْزِلُ؟ فهنا تَقِفُ ونَقُولُ: اللهُ أَعْلَمُ، فالتزَوُّلُ معلومٌ، والكيفُ مجهولٌ، والإيمانُ به واجبٌ، والسؤالُ عنه بدعةٌ.

فإذا قَالَ قائلٌ: وإذا نَزَلَ إلى السماءِ الدنيا فهل يَلْزَمُ أن يَخْلُوَ منه العرشُ؟

**فالجوابُ أن نقولَ لهذا السائلِ:** هذا السؤالُ بدعةٌ، لو كان هذا من الدين؛ أي: لو كان علمُنا بكونه يَخْلُوَ منه العرشُ أو لا يَخْلُوَ من الدينِ لكان ذلك مُبَيَّنًا قَبْلَ وفاةِ الرسولِ ﷺ؛ لأن الله يَقُولُ: ﴿أَيُّومَ أَكَلْتُ لَكُمْ وَبَيْنَكُمْ﴾ [التكوير: ٢٠]. فقد أَكْمَلَ اللهُ الدينَ لنا عقيدةً، وقولاً، وعملاً.

ثم نَقُولُ: هل أنت أحرصُّ على معرفةِ صفاتِ الله من الصحابةِ؟

إن قَالَ: نعم. قُلْنَا: كَذَبْتَ. وإن قَالَ: لا. قلنا: فلماذا لم يَسْأَلُوا الرسولَ ﷺ؟

**نَقُولُ:** هم لم يَسْأَلُوا؛ لأن عندهم من تعظيمِ الله، والأدبِ مع الله، وعدمِ التقديمِ بين يدي الله ورسوله، ما ليس عند هذا السائلِ، هذا هو السببُ أن يَرِدَ مثلُ هذا السؤالِ من الخلفِ من هذه الأمةِ دون أن يَرِدَ من سلفِ هذه الأمةِ؛ لأن في قلوبِ سلفِ الأمةِ من تعظيمِ الله، والتأدبِ بين يدي الله ورسوله، ما ليس عند خلفِ هذه الأمةِ؛ ولذلك لا يَسْأَلُونَ عن هذا الشيءِ.

فلو سأل سائلٌ وقال: هل نزولُ الله إلى السماءِ الدنيا ينافي علوه؟

**فالجوابُ:** لا؛ لأن علوه وصفٌ لازمٌ له، والوصفُ اللازمُ لا يُمكنُ أن يَتَحَوَّلَ أو يَتَغَيَّرَ.

فإذا قَالَ: إذا أثبتَ العلوَّ فكيف يَنْزِلُ؟

**فالجوابُ أن نقولَ:** إن نزوله إلى السماءِ الدنيا أمرٌ لا يُحَاطَ به، فليس مَعْنَى نزوله أن تَكُونَ السماءُ الثانيةُ وما فوقها فوقه، بل هذا شيءٌ مُستحيلٌ، فليس مَعْنَى نزوله أن السماءِ الدنيا تُقْلَهُ وما فوقها يُظْلَهُ، فإن هذا من الظنونِ الكاذبةِ، ولا يَظُنُّ هذا الظنَّ إلا مَنْ لم يَقْدِرِ اللهُ حَقَّ قدره، فاللهُ أَعْظَمُ وأَجَلُّ من أن تُحِيطَ به السمواتُ، أو يُحِيطَ به شيءٌ من مخلوقاتِهِ، ونحن ليس علينا إلا أن نُسَلِّمَ، حتَّى وإن حارت عقولُنا في كيفيةِ هذا الشيءِ، فالعقلُ قد يَحَارُ وَيَقُولُ: كيف يَكُونُ هذا؟ فنَقُولُ: الحيرةُ حدثت لعدمِ قدرتنا على الإحاطةِ بصفاتِ الله ﷻ، ولكن العقلُ لا يحيلُ ذلك بالنسبةِ لله؛ لأن الله تعالى ليس كمثله شيءٌ في جميعِ الصفاتِ.



❦ وقوله: «حِينَ يَبْقَى ثَلَاثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ». الليلُ لَا شَكَّ أَنَّهُ يُحْتَسَبُ مِنْ غُرُوبِ الشَّمْسِ بِالنَّصِّ والإجماع، فإن قوله تعالى: ﴿تَذَكَّرُوا إِلَهَكُمْ إِلَى آتِلٍ﴾ [التكوير: ١٨٧]. يَحْصُلُ بِغُرُوبِ الشَّمْسِ بِالْإِنْفَاقِ<sup>(١)</sup>، بل بالنَّصِّ وهو قولُ النَّبِيِّ ﷺ: «إِذَا أَقْبَلَ اللَّيْلُ مِنْ هَاهُنَا، وَأَدْبَرَ النَّهَارُ مِنْ هَاهُنَا - يَشِيرُ إِلَى الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ - وَغَرِبَتِ الشَّمْسُ فَقَدْ أَفْطَرَ الصَّائِمُ»<sup>(٢)</sup>. وهذا هو معنى قوله تعالى: ﴿إِلَى آتِلٍ﴾. إِذَا: ابْتِدَاءُ اللَّيْلِ يَكُونُ مِنْ غُرُوبِ الشَّمْسِ وَلَا إِشْكَالَ فِيهِ.

لكن انتهاء الليل هل يكون بطلوع الفجر أو بطلوع الشمس؟  
**الجواب:** أما فلكيًا فإن الليل ينتهي بطلوع الشمس؛ لأن الشمس ما دامت مواجهة للأرض فهو نهارٌ، فإذا اختفت فهو دليلٌ.  
وأما شرعًا فالنهار من طلوع الفجر.

فإن قيل: هل نحمل هذا الحديث على المعنى الشرعي أو على المعنى اللغوي؟

**فالجواب:** أن هذا ينبغي على قاعدة معروفة وهي: أن خطاب الشرع ينبغي على المصطلح الشرعي؛ أي: على الحقيقة الشرعية، فإن وافقت الحقيقة اللغوية فهذا واضحٌ، وإن خالفت الحقيقة اللغوية وجب الأخذ بالحقيقة الشرعية، فإذا جاء في لسان الشارع مثلاً: أقم الصلاة. فهل نقول: المعنى أقم الدعاء؟

**الجواب:** لا، مع أن الصلاة في اللغة الدعاء؛ لأن اصطلاح كل متكلم يُحمَلُ عليه كلامه. فعلى هذا نقول: الأقرب في هذا الحديث أن الليل المعتبر هو من رَبِّ الشَّمْسِ إِلَى طُلُوعِ الْفَجْرِ، وبذلك لذلك أنه جاء في بعض الألفاظ: «حَتَّى يَطْلُعَ الْفَجْرُ». وعليه يكون المعنى واضحًا.

ولكن كيف نعرف ثلث الليل؟

**نقول:** قسّم ما بين غروب الشمس إلى طلوع الفجر على ثلاثة، فما حصل فهو ثلث الليل، فإذا بقى هذا المقدار فهذا وقت النزول الإلهي.

وهل يختلف هذا الثلث باختلاف الفصول، وباختلاف الأماكن؟

**الجواب:** نعم، يختلف باختلاف الفصول، وباختلاف الأماكن، فالليل في أيام الصيف يكون قصيرًا، والليل في أيام الشتاء يكون طويلًا، والليل في الجانب الشمالي من الأرض، أو الجنوبي الذي حول القطب يكون طويلًا جدًا في أيام الشتاء، وربما يصل إلى أسبوعٍ أو أسبوعين، وكلما قربنا من خط الاستواء، قرب التساوي بين الليل والنهار.

من فوائد هذا الحديث: إثبات نزول الرب ﷻ في هذا الوقت من الليل، وهو نزول حقٍّ، ولكن

(١) انظر: «التمهيد» لابن عبد البر (١٠/٦٢)، و«الإقناع في مسائل الإجماع» لابن قطان (١/٢٣١).

(٢) رواه البخاري (١٩٥٤)، ومسلم (١١٠٠).

لَا نَعْلَمُ كَيْفِيَّتَهُ، كَسَائِرِ الصِّفَاتِ، وَلَا يَحِلُّ لَنَا أَيْضًا أَنْ نُمَثِّلَهُ بِنَزُولِ الْوَاحِدِ مِنَّا مِنَ السَّطْحِ إِلَى الْأَرْضِ مَثَلًا؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿فَلَا تَضَرُّوْا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (الْحَقْلَةُ: ٧٤). وَيَقُولُ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (الْبَيْتُ: ١١).

❖ وَقَوْلُهُ: «فَأَسْتَجِيبَ لَهُ» نُصِبَ الْفِعْلُ «فَأَسْتَجِيبَ» بِفَاءِ السَّبَبِيَّةِ، فَإِنَّمَا تَنْصِبُ الْفِعْلَ الْمَضَارِعَ إِذَا وَقَعَتْ بَعْدَ سَبْعَةِ أُمُورٍ مَجْمُوعَةٍ فِي بَيْتٍ مَشْهُورٍ وَهُوَ:

مُرَوَّادِعُ وَانَّةٍ وَسَلِّ وَاعْرِضْ لِحَضَّهِمْ تَمَنَّ وَارْجُ كَذَاكَ النَّفْسِي قَدْ كَمَلَا<sup>(١)</sup>

فهذه السبعة متى سبقت فاء السببية نصب الفعل بأن مضمرة بعد فاء السببية.

❖ فَقَوْلُهُ: «فَأَسْتَجِيبَ لَهُ». سَبَقَهَا الْاسْتِفْهَامُ الْمُرَادُ بِقَوْلِهِ: «وَسَلِّ».

❖ وَقَوْلُهُ تَعَالَى: «مَنْ يَدْعُونِي فَاسْتَجِبْ لَهُ، مَنْ يَسْأَلْنِي فَأَعْطِيهِ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرْ لَهُ». هَذِهِ ثَلَاثَةُ أُمُورٍ، فَقَوْلُهُ: «مَنْ يَدْعُونِي»؛ أَيُّ يَقُولُ: يَا رَبِّ. فَأَسْتَجِيبُ لَهُ، وَقَوْلُهُ: «مَنْ يَسْأَلْنِي»؛ أَيُّ يَقُولُ: يَا رَبِّ أَعْطِنِي. فَيُعْطِيهِ، وَقَوْلُهُ: «مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي»؛ أَيُّ يَقُولُ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي. فَيَغْفِرُ لَهُ سَبْحَانَهُ.

وَالشَّاهِدُ مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ قَوْلُهُ: «فَيَقُولُ مَنْ يَدْعُونِي». فَأَثَبْتُ الْقَوْلَ لِلَّهِ ﷻ.

❖ **وَفِي الْحَدِيثِ:** مِنْ صِفَاتِ اللَّهِ ﷻ: النَّزُولُ، وَالكَرْمُ، وَالسَّمْعُ، وَالْعِلْمُ، وَالْقُدْرَةُ، فَكُلُّ هَذِهِ الصِّفَاتِ تُؤْخَذُ مِنَ الْحَدِيثِ، لَكِنْ بَعْضُهَا بِالتَّضَمُّنِ، وَبَعْضُهَا بِالِاتِّزَامِ، وَلَتَنْظُرُ الْأَمْرَ فِي كَيْفِيَّةِ اسْتِخْرَاجِ هَذِهِ الصِّفَاتِ مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ؛ لِيَتِمَّنَ الطَّالِبُ عَلَى اسْتِبَاطِ الْفَوَائِدِ.

فَأَثَبْتُ الْقَوْلَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ: بِالمطابقة، وإثبات النزول؛ بالمطابقة أيضًا، وكذلك إثبات المغفرة؛ بالمطابقة، وإثبات الاستجابة؛ بالمطابقة، وإثبات العطاء؛ بالمطابقة، وإثبات العلم؛ باللزوم، وإثبات السمع؛ باللزوم، وإثبات الكرم؛ باللزوم، وإثبات القدرة؛ باللزوم.

وَرَبِمَا تَجِدُ صِفَاتٍ أَكْثَرَ بِالتَّأَمُّلِ.



ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٤٩٥- حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ، أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، حَدَّثَنَا أَبُو الزِّنَادِ، أَنَّ الْأَعْرَجَ حَدَّثَهُ، أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «نَحْنُ الْآخِرُونَ السَّابِقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»<sup>(١)</sup>.

٧٤٩٦- وَهَذَا الْإِسْنَادُ قَالَ اللَّهُ: أَنْفَقَ أَنْفَقَ عَلَيْكَ<sup>(٢)</sup>.

(١) ذَكَرَ هَذَا الْبَيْتَ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ مَحْبِي الدِّينَ عَبْدِ الْحَمِيدِ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي شَرْحِهِ عَلَى الْأَجْرُومِيَّةِ (ص ٥٥)، وَذَكَرَ أَنَّهُ مِنْ جَمْعِ بَعْضِ الْعُلَمَاءِ، وَكَذَلِكَ ذَكَرَهُ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ بْنُ صَالِحٍ الْعِثِمِيُّ فِي شَرْحِهِ عَلَى الْأَجْرُومِيَّةِ أَيْضًا (ص ٣١٤).

(٢) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٨٥٥).

(٢) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٩٩٣).



**الشاهد من هذا الحديث قوله:** «قَالَ اللَّهُ: أَنْفَقَ أَنْفَقَ عَلَيْكَ». وأصله: «قَالَ اللَّهُ: يَا ابْنَ آدَمَ أَنْفَقْ أَنْفَقَ عَلَيْكَ». قوله: «أَنْفَقَ». هذا الأمر يُرَادُّ به الإنفاقُ الشرعي الذي أمر الله به. وقوله: «أَنْفَقَ عَلَيْكَ». هذا مثل قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ﴾. فإذا أنفق الإنسان ما أمره الله بإنفاقه أخلف الله عليه سواء.



ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٤٩٧- حَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا ابْنُ فَضِيلٍ، عَنْ عُمَارَةَ، عَنْ أَبِي زُرْعَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: «هَذِهِ خَدِيجَةُ أَتَتْكَ بِإِنَاءٍ فِيهِ طَعَامٌ، أَوْ إِنَاءٍ فِيهِ شَرَابٌ، فَأَقْرَئْهَا مِنْ رَبِّهَا السَّلَامَ وَبَشِّرْهَا بِبَيْتٍ مِنْ قَصَبٍ لَا صَحْبَ فِيهِ وَلَا نَصَبٍ»<sup>(١)</sup>.

**الشاهد من هذا الحديث قوله:** «فَأَقْرَئْهَا مِنْ رَبِّهَا السَّلَامَ». فإن الله حمل جبريل عليه السلام أن يُبَلِّغَ النَّبِيَّ ﷺ هذه الأمانة، وهي قوله: «أَقْرَئْهَا مِنْ رَبِّهَا السَّلَامَ». أي: قل لها إن الله يُسَلِّمُ عَلَيْكَ. وهذه منقبة عظيمة لخديجة رضي الله عنها أن الله ﷻ من فوق سبع سموات أقرأها السلام.



ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٤٩٨- حَدَّثَنَا مُعَاذُ بْنُ أَسَدٍ، أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنْ هَبَامِ بْنِ مُنْبِهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «قَالَ اللَّهُ: أَعَدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أَذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبٍ بَشَرٍ»<sup>(٢)</sup>.

هذا الحديث سبق الكلام عليه، والشاهد منه قوله: «قَالَ اللَّهُ: أَعَدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ...» إلى آخره. حيث أثبت فيه القول لله.

فإن قال قائل: لماذا اعتنى البخاري بهذه المسألة، وساق فيها هذه الأحاديث المتنوعة؟

**قلنا:** لأن المحنة في الكلام كانت على أشدها في زمنه رَحِمَهُ اللَّهُ.

فإذا قال قائل: وما مناسبة هذه الأحاديث للترجمة: يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ؟

**قلنا:** إن الذين يَقُولُونَ: إن كلام الله مخلوق، أو إن كلام الله هو المعنى القائم بالنفس. هؤلاء قد بدَّلُوا كلام الله؛ أي: جعلوه غير الواقع، فإن الواقع من كلام الله بحرف وصوت كما في هذه الأحاديث، وهم جعلوه معنى قائماً بالنفس، أو جعلوه شيئاً مخلوقاً، هذا هو وجه إدخال هذه الأحاديث في الترجمة، وإلا فقد يَدَّو لِلْإِنْسَانِ لِأَوَّلٍ وهلة أن المراد بتبديل كلام الله هو: تحريف الكلم، بأن يُؤَوَّلَ مثلاً الاستواء بالاستيلاء، أو اليد بالقدرة وما

(١) رواه مسلم (٢٤٣٢).

(٢) رواه مسلم (٢٨٢٤).

أشبهها، لكن المراد أن هؤلاء الذين أنكروا أن الله يتكلم، وقالوا: إن الكلام مخلوق، أو أنه المعنى القائم بالنفس، وما يُسمع فهو عبارة عنه. هؤلاء نعتبرهم مبدلين لكلام الله؛ حيث حملوه على ما لم يكن صواباً.

وقوله: «أَعَدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أَذُنٌ سَمِعَتْ وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبٍ بَشَرٍ». هذا كقوله: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٧) ﴿[البقرة: ١٧]﴾.

فإن قال قائل: إذا كانت العين لم تره، والأذن لم تسمعه، والقلب لم يخطر عليه هذا، فكيف نعرف النعيم؟

**قلنا:** نعرفه بالقدر المشترك بين ما في الدنيا وما في الآخرة، وإن كان ما في الآخرة يختلف اختلافاً عظيماً كما في الدنيا، ولهذا قال ابن عباس: ليس في الجنة مما في الدنيا إلا الأسماء فقط. أما المسميات فإنها تختلف اختلافاً كبيراً<sup>(١)</sup>.



ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٤٩٩- حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، أَخْبَرَنَا ابْنُ جُرَيْجٍ، أَخْبَرَنِي سُلَيْمَانُ الْأَحْوَلُ، أَنَّ طَاوُسًا أَخْبَرَهُ أَنَّهُ سَمِعَ ابْنَ عَبَّاسٍ يَقُولُ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا تَهَجَّدَ مِنَ اللَّيْلِ قَالَ: «اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ قِيمُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، أَنْتَ الْحَقُّ، وَوَعْدُكَ الْحَقُّ، وَقَوْلُكَ الْحَقُّ، وَلِقَاؤُكَ الْحَقُّ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، وَالنَّبِيُّونَ حَقٌّ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ، اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أُنِيتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ، وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ، فَاغْنِزْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، أَنْتَ إِلَهِي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ»<sup>(١)</sup>.

الشاهد من هذا الحديث قوله: «وقولك الحق». فقول الله هو الحق، فهو الحق فيما يُخبر به، فما حكم به فهو عدل أو فضل، وما أخبر به فهو صدق كما قال تعالى: ﴿وَكُنْتُمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ [الأنعام: ١١٥].

وقوله: «وبك خاسمت». الباء فيه للاستعانة؛ أي: أَسْتَعِينُ بِكَ فِي الْمَخَاصِمِ.



ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٥٠٠- حَدَّثَنَا حَجَّاجُ بْنُ مِهَالٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ النُّمَيْرِيُّ، حَدَّثَنَا يُونُسُ بْنُ يَزِيدَ الْأَيْلِيُّ، قَالَ: سَمِعْتُ الزُّهْرِيَّ قَالَ: سَمِعْتُ عُرْوَةَ بْنَ الزُّبَيْرِ وَسَعِيدَ بْنَ الْمُسَيَّبِ وَعَلْقَمَةَ بْنَ وَقَّاصٍ وَعُبَيْدَ اللَّهِ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ حِينَ قَالَ لَهَا أَهْلُ الْإِفْكِ مَا قَالُوا فَبَرَّاهَا اللَّهُ بِمَا قَالُوا، وَكُلُّ حَدَّثِي طَائِفَةٌ مِنَ الْحَدِيثِ

(١) رواه ابن جرير في «تفسيره» (١/١٧٢)، وابن أبي حاتم (١/٦٦)، (٢٦٠)، وانظر: البيهقي في «البعث» (١/٩٦).

(٢) رواه مسلم (٧٦٩).



الَّذِي حَدَّثَنِي عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: وَلَكِنِّي وَاللَّهِ مَا كُنْتُ أَظُنُّ أَنَّ اللَّهَ يُنْزِلُ فِي بَرَأَتِي وَحَيَاتِي، وَلَشَأْنِي فِي نَفْسِي كَانَ أَحَقَرَّ مِنْ أَنْ يَتَكَلَّمَ اللَّهُ فِيَّ بِأَمْرِ يُنْزِلُ، وَلَكِنِّي كُنْتُ أَرْجُو أَنْ يَرَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي النَّوْمِ رُؤْيَا يُرِيتُنِي اللَّهَ بِهَا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ﴾. الْعَشْرُ الْآيَاتِ (١).

الشاهد من هذا قولها **﴿عَلَيْهَا﴾**: «أَحَقَرَّ مِنْ أَنْ يَتَكَلَّمَ اللَّهُ فِيَّ بِأَمْرِ يُنْزِلُ». فَأَثَبَتْ كَلَامَ اللَّهِ ﷻ.

**وفي هذا:** دليل على تواضع عائشة **﴿عَلَيْهَا﴾**، وهكذا ينبغي للإنسان أن يخقر نفسه، لا أن ينزّلها بمنزلة عالية فيغتر ويعجب ويتعاطم، ولهذا يقال: رَحِمَ اللَّهُ امْرَأَةً عَرَفَ قَدْرَ نَفْسِهِ.

مع أن عائشة **﴿عَلَيْهَا﴾** قدرها عظيم، ولا سيما أنها فراش الرسول ﷺ، والقدر فيها بهذا الأمر قدح في رسول الله ﷺ؛ ولهذا كان إشاعة هذا الإفك من المنافقين ليس من أجل عائشة بنت أبي بكر، فهي امرأة من النساء يجوز عليها ما يجوز على النساء، لكن من أجل أنها زوج النبي ﷺ؛ أي: ليتوصلوا بالقدح فيها إلى القدح في رسول الله ﷺ، ولهذا عظم الله هذا الأمر فقال: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ مَأْثُورًا كَمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾ (٢) وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ فَلَتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَنَكَ هَذَا بَهْتَنٌ عَظِيمٌ (٣) يَعْظُمُ اللَّهُ أَنْ تُعَادُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٤) وَبَيَّنَّ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٥) (النِّسَاءُ: ١٠-١٨).

فالشأن كل الشأن في هذه القصة هو تطهير فراش الرسول ﷺ مما يروم هؤلاء المنافقون، وبراءة هذه المرأة الطيبة الطاهرة **﴿عَلَيْهَا﴾**.

وليُعْلَمَ أن من رمى عائشة **﴿عَلَيْهَا﴾** ببراءة الله منه فهو كافر بالإجماع؛ لأنه مكذب للقرآن، ومن رمى واحدة من زوجات الرسول ﷺ بالفاحشة فهو كافر أيضًا؛ لأن هذا أعظم قدح رسول الله ﷺ.

\*\*\*

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٥٠١- حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا الْمُغِيرَةُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ أَبِي الزِّنَادِ، عَنْ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «يَقُولُ اللَّهُ: إِذَا أَرَادَ عَبْدِي أَنْ يَعْمَلَ سَيِّئَةً فَلَا تَكْتُبُوهَا عَلَيْهِ حَتَّى يَعْمَلَهَا، فَإِنْ عَمِلَهَا فَاتَّكَبُوهَا بِمِثْلِهَا، وَإِنْ تَرَكَهَا مِنْ أَجْلِي فَاتَّكَبُوهَا لَهُ حَسَنَةً، وَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَعْمَلَ حَسَنَةً فَلَمْ يَعْمَلَهَا فَاتَّكَبُوهَا لَهُ حَسَنَةً، فَإِنْ عَمِلَهَا فَاتَّكَبُوهَا لَهُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِينَ ضِعْفًا» (١).

الشاهد من هذا الحديث قوله: «يَقُولُ اللَّهُ: إِذَا أَرَادَ عَبْدِي أَنْ يَعْمَلَ سَيِّئَةً». إِلَى آخِرِهِ.

**وفي هذا الحديث:** بيان فضل الله ﷻ على عباده؛ حيث إن السيئة لا تُكْتَبُ حَتَّى يَعْمَلَهَا، فَإِنْ هَمَّ بِهَا فَتَرَكَهَا اللَّهُ كَتَبَتْ حَسَنَةً؛ لأنه تركها لله، والحسنة إذا همَّ بها ولم يعملها كُتِبَتْ حَسَنَةً؛ لأنه همَّ بها، فَتُكْتَبُ حَسَنَةً عَلَى

(١) رواه مسلم (٢٤٤٥).

(٢) رواه مسلم (١٢٨)، (١٢٩).

هذا الهم، فإن عملها كُتِبَتْ عشر حسناتٍ إلى سبعمائة ضعفٍ إلى أضعافٍ كثيرة.

واعلم أن من هم بالسيئة فلم يعملها فلا يخلو من ثلاث حالات:

**الحالة الأولى:** أن يهيم بها ثم يدعها لله كأن يخوف بالله فيتركها، كما فعل الرجل الذي هم أن يقع بابنة عمه - وهو أحد الثلاثة الذين طبق عليهم الغار - فلما جلس منها ما يجلس الرجل من امرأته قالت: يا هذا اتق الله ولا تقص الخاتم إلا بحقه. فقام عنها وهي أحب الناس إليه<sup>(١)</sup>. فهذا قد ترك هذا الفعل لله، فيكتب له حسنة، وهذه الحسنه تتضاعف بقدر ما يحمله عليه، فإذا كان تركها شديداً عليه؛ كان أجرها أكثر.

**الحال الثانية:** أن يهيم بالسيئة ثم يدعها لا لله ولا للخوف من أحد، ولكنه زالت همته، فهذا ليس عليه ولا له.

**الحال الثالثة:** أن يهيم بالسيئة ولكنه يدعها عجزاً عنها، ويعرف أنه لا يمكنه ذلك، كرجل هم أن يسرق ولكن عرف أن رجال الأمن لن يمكنوه من ذلك، فهذا يكتب عليه سيئة. أما إذا فعل أسباب الوصول إلى السيئة ولكنه عجز، فهذا يكتب له عقوبة السيئة كاملة، ودليل هذا قول النبي ﷺ: «إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار، قالوا: يا رسول الله هذا القاتل فبا بال مقتول؟ قال: لأنه كان حريصاً على قتل صاحبه<sup>(٢)</sup>. فيكتب عليه الوزر كاملاً.

أما الذي نوى ولكن ترك عجزاً ولم يعمل فإن هذا يكتب له وزر، لكن ليس كوزر من فعل، بل دون ذلك.



ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٥٠٢ - حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، حَدَّثَنِي سُلَيْمَانُ بْنُ بِلَالٍ، عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي مُزَرَّرٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «خَلَقَ اللَّهُ الْخَلْقَ فَلَمَّا فَرَّغَ مِنْهُ قَامَتْ الرَّحِمُ فَقَالَ: مَهْ. قَالَتْ: هَذَا مَقَامُ الْعَائِدِ بِكَ مِنَ الْقَطِيعَةِ. فَقَالَ: أَلَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكَ، وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكَ. قَالَتْ: بَلَى يَا رَبِّ. قَالَ: فَذَلِكَ لِكَ. ثُمَّ قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ<sup>(١)</sup>.

**الشاهد من هذا قوله:** «فقال: مه». والقاتل هو الله ﷻ، ثم قال: «ألا ترضين...» إلى آخره. والقاتل أيضاً هو الله، فذل ذلك أن كلام الله مسموع، وأنه بحرف، وهذا هو الذي أراد البخاري رحمه الله توكيده.



(١) رواه البخاري (٣٤٦٥)، ومسلم (٢٧٤٣).

(٢) رواه البخاري (٣١)، ومسلم (٢٨٨٨).

(٢) رواه مسلم (٢٥٥٤).



ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٥٠٣- حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ صَالِحٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ قَالَ: مُطِرَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: «قَالَ اللَّهُ: أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي كَافِرٌ بِي وَمُؤْمِنٌ بِي»<sup>(١)</sup>.

هذا الحديث مختصر من حديث مطول وهو أن الرسول ﷺ أصبح بالحديبية على إثر سماء كانت من الليل، فقال: «هل تدرون ماذا قال ربكم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم». قَالَ: قَالَ اللَّهُ: أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ».

فَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ. فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي كَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِنُوءٍ كَذَا وَكَذَا. فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي مُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ.

وَالشَّاهِدُ مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ قَوْلُهُ: «قَالَ اللَّهُ». فَأَثْبَتَ اللَّهُ تَعَالَى قَوْلًا.

\*\*\*

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٥٠٤- حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ، حَدَّثَنِي مَالِكٌ، عَنْ أَبِي الزِّنَادِ، عَنْ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «قَالَ اللَّهُ: إِذَا أَحَبَّ عَبْدِي لِقَائِي أَحْبَبْتُ لِقَاءَهُ، وَإِذَا كَرِهَ لِقَائِي كَرِهْتُ لِقَاءَهُ»<sup>(٢)</sup>.

اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا لِقَاءَهُ.

الشاهد في هذا الحديث أيضًا هو إضافة القول إلى الله ﷻ.

فَإِذَا قَالَ قَائِلٌ: هَلْ كُلُّ آيَةٍ فِي الْقُرْآنِ يُمَكِّنُ أَنْ نَسْتَدِلَّ بِهَا لِهَذَا؟

فَالْجَوَابُ: نَعَمْ، كُلُّ آيَةٍ فِي الْقُرْآنِ يُمَكِّنُ أَنْ نَسْتَدِلَّ بِهَا لِهَذَا، وَمَنْ قَالَ: إِنَّ كَلَامَ اللَّهِ مَخْلُوقٌ. فَقَدْ بَدَّلَ كَلَامَ اللَّهِ.

\*\*\*

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٥٠٥- حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ، أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، حَدَّثَنَا أَبُو الزِّنَادِ، عَنْ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «قَالَ اللَّهُ: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي»<sup>(٣)</sup>.

٧٥٠٦- حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ، حَدَّثَنِي مَالِكٌ، عَنْ أَبِي الزِّنَادِ، عَنْ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «قَالَ رَجُلٌ -لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قط-: فَإِذَا مَاتَ فَحَرِّقُوهُ وَادْفِنُوا نِصْفَهُ فِي الْبَرِّ وَنِصْفَهُ فِي الْبَحْرِ، فَوَاللَّهِ لَئِنْ قَدَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ كَيْعُنَبْتَهُ عَذَابًا لَا يُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ. فَأَمَرَ اللَّهُ الْبَحْرَ فَجَمَعَ مَا فِيهِ، وَأَمَرَ الْبَرَّ فَجَمَعَ مَا فِيهِ، ثُمَّ قَالَ: لِمَ فَعَلْتَ؟

(١) رواه مسلم (١٧).

(٢) رواه مسلم (٢٦٨٥).

(٣) رواه مسلم (٢٦٧٥).

قَالَ: مِنْ خَشْيَتِكَ وَأَنْتَ أَعْلَمُ فَغَفَرَ لَهُ<sup>(١)</sup>.

**الشاهد من هذا الحديث الأخير قوله:** «ثم قال: لم فعلت».

وهذا الحديث فيه إشكال وهو: أن ظاهره أن هذا القائل ظن أن الله لا يقدر عليه، والشك في قدرة الله كفر، فكيف غفر الله له؟

**نقول:** إن هذا كان جاهلاً، فظن أنه إذا فعل ذلك فإن الله تعالى لا يبعثه، فلم يلحقه معرة من ذلك، لكن ما في قلبه من خشية الله وخوفه منه جعل الله تعالى يغفر له.

فإن قيل: هل يُعذر بالجهل في أمور توحيد العبادة؟

**فالجواب:** نعم وفي كل شيء قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ۝﴾ [الأنعام: ١١٠]. لكن قد يؤاخذ الإنسان بتفريطه إذا لم يبحث ويتعلم.

فإن قيل: هل يُعذر بالجهل في المعلوم بالدين بالضرورة؟

**قلنا:** ما هو المعلوم من الدين بالضرورة؟ المعلوم من الدين بالضرورة لا يحصل إلا إذا كان هذا الرجل باق بين أظهر المسلمين، وحينئذ لا يمكن أن يكون جاهلاً، لكن إذا كان يعيش في مجاهل الأرض، ولا يعرف عن الأديان شيئاً، ولم يتسبب إلى دين معين من أديان الكفر، فهذا يُعذر، ولهذا قال تعالى: ﴿رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ۝﴾ [الأنعام: ١١٠].



**ثم قال البخاري رحمه الله:**

٧٥٠٧- حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ إِسْحَاقَ، حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ عَاصِمٍ، حَدَّثَنَا هَمَامٌ، حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، سَمِعْتُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ أَبِي عَمْرٍة قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنْ عَبْدًا أَصَابَ ذَنْبًا -وَرُبَّمَا قَالَ: أَذْنَبَ ذَنْبًا- فَقَالَ: رَبِّ أَذْنَبْتُ -وَرُبَّمَا قَالَ: أَصَبْتُ- فَاغْفِرْ لِي. فَقَالَ رَبُّهُ: أَعْلِمَ عَبْدِي أَنْ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ، غَفَرْتُ لِعَبْدِي. ثُمَّ مَكَثَ مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ أَصَابَ ذَنْبًا -أَوْ أَذْنَبَ ذَنْبًا- فَقَالَ: رَبِّ أَذْنَبْتُ -أَوْ أَصَبْتُ- آخَرَ فَاغْفِرْهُ. فَقَالَ: أَعْلِمَ عَبْدِي أَنْ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ، غَفَرْتُ لِعَبْدِي. ثُمَّ مَكَثَ مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ أَذْنَبَ ذَنْبًا -وَرُبَّمَا قَالَ: أَصَابَ ذَنْبًا- قَالَ: رَبِّ أَصَبْتُ -أَوْ قَالَ: أَذْنَبْتُ- آخَرَ فَاغْفِرْهُ لِي. فَقَالَ: أَعْلِمَ عَبْدِي أَنْ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ، غَفَرْتُ لِعَبْدِي. ثَلَاثًا فَلْيَعْمَلْ مَا شَاءَ<sup>(٢)</sup>.

**قوله سبحانه:** «فَلْيَعْمَلْ مَا شَاءَ»؛ أي: فليعمل ما شاء من الذنب والتوبة منه، فكلما أذنب الإنسان وتاب فإن الله يتوب عليه، وإذا عاد إلى الذنب فإن التوبة الأولى لا تنحرم ولا تنهدم، لكن

(١) رواه مسلم (٢٧٥٦).

(٢) رواه مسلم (٢٧٥٨).



يَجِبُ أَنْ يُجَدِّدَ لِلذَّنْبِ الثَّانِي تَوْبَةً، فَإِذَا جَدَّدَ التَّوْبَةَ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ.  
فَقُولُ: «فَلْيَعْمَلْ مَا شَاءَ». لَيْسَ مَعْنَاهُ فَلْيَعْمَلْ مَا شَاءَ مِنَ الْمَعَاصِي وَالذُّنُوبِ، بَلْ فَلْيَعْمَلْ مَا شَاءَ  
مِنْ هَذَا الْعَمَلِ الَّذِي كَانَ يُنَاجِي اللَّهَ تَعَالَى بِهِ.  
وَالشَّاهِدُ مِنْ هَذَا قَوْلُهُ: «فَقَالَ رَبُّهُ: أَعَلِمَ عَبْدِي». وَفِي نَسْخَةٍ: «فَقَالَ: عَلِمَ عَبْدِي».



ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٥٠٨- حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي الْأَسْوَدِ، حَدَّثَنَا مُعْتَمِرٌ، سَمِعْتُ أَبِي، حَدَّثَنَا قَتَادَةُ، عَنْ عُقْبَةَ بْنِ  
عَبْدِ الْغَافِرِ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «أَنَّهُ ذَكَرَ رَجُلًا فِيمَنْ سَلَفَ أَوْ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ قَالَ كَلِمَةً  
يَعْنِي: أَعْطَاهُ اللَّهُ مَالًا وَلَوْلَا فَلَمَّا حَضَرَتِ الْوَفَاةُ قَالَ لِنِسِيِّ: أَيُّ أَبِ كُنْتُ لَكُمْ؟ قَالُوا: خَيْرَ أَبٍ. قَالَ:  
فَإِنَّهُ لَمْ يَبْتِئِرْ - أَوْ لَمْ يَبْتِئِرْ - عِنْدَ اللَّهِ خَيْرًا، وَإِنْ يَقْدِرَ اللَّهُ عَلَيْهِ يُعَذِّبُهُ، فَانْظُرُوا إِذَا مِتُّ فَأَخْرِقُونِي حَتَّى  
إِذَا صِرْتُ فَحِمًا فَاسْحَقُونِي - أَوْ قَالَ فَاسْحَكُونِي - فَإِذَا كَانَ يَوْمُ رِيحٍ عَاصِفٍ فَأَذْرُونِي فِيهَا. فَقَالَ نَبِيُّ  
اللَّهِ ﷺ: فَأَخَذَ مَوَائِقَهُمْ عَلَى ذَلِكَ وَرَبِّي فَفَعَلُوا ثُمَّ أَذْرُوهُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ، فَقَالَ اللَّهُ ﷻ: كُنْ. فَإِذَا هُوَ  
رَجُلٌ قَائِمٌ. قَالَ اللَّهُ: أَيُّ عَبْدِي مَا حَمَلَكَ عَلَى أَنْ فَعَلْتَ مَا فَعَلْتَ. قَالَ: خَافْتُكَ أَوْ فَرَقْتُ مِنْكَ. قَالَ: فَمَا  
تَلَاَفَاهُ أَنْ رَجِمَهُ عِنْدَهَا وَقَالَ مَرَّةً أُخْرَى فَمَا تَلَاَفَاهُ غَيْرُهَا». فَحَدَّثْتُ بِهِ أَبَا عَثْمَانَ فَقَالَ: سَمِعْتُ هَذَا مِنْ  
سَلْمَانَ غَيْرَ أَنَّهُ زَادَ فِيهِ أَذْرُونِي فِي الْبَحْرِ أَوْ كَمَا حَدَّثَ<sup>(١)</sup>.

حَدَّثَنَا مُوسَى، حَدَّثَنَا مُعْتَمِرٌ، وَقَالَ: لَمْ يَبْتِئِرْ. وَقَالَ خَلِيفَةُ: حَدَّثَنَا مُعْتَمِرٌ وَقَالَ: لَمْ يَبْتِئِرْ. فَسَرَّهُ  
قَتَادَةُ: لَمْ يَذْخِرْ.

هَذَا الْحَدِيثُ كَالَّذِي سَبَقَ، لَكِنَّهُ يَخْتَلِفُ عَنْهُ بَعْضُ الشَّيْءِ، وَالْمَقْصُودُ وَاحِدٌ وَهُوَ إِثْبَاتُ الْقَوْلِ ﷻ.

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٣٦- بَابُ كَلَامِ الرَّبِّ ﷻ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَ الْأَنْبِيَاءِ وَغَيْرِهِمْ.

٧٥٠٩- حَدَّثَنَا يُونُسُ بْنُ رَاشِدٍ، حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ عِبَّاشٍ، عَنْ حُمَيْدٍ  
قَالَ: سَمِعْتُ أَنَسًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ سُفِّعَتْ فَقُلْتُ: يَا رَبِّ  
أَدْخِلِ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ خَرَدَلَةٌ. فَيَدْخُلُونَ ثُمَّ أَقُولُ: أَدْخِلِ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ أَذْنَى شَيْءٍ.  
فَقَالَ أَنَسٌ: كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى أَصَابِعِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ»<sup>(٢)</sup>.

هَذَا الْحَدِيثُ لَيْسَ فِيهِ ذِكْرُ كَلَامِ اللَّهِ، وَلَكِنْ سَبَقَ لَنَا فِي حَدِيثٍ سَابِقٍ لِلشَّفَاعَةِ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَتَكَلَّمُ  
وَيَقُولُ: «أَخْرِجُوا مَنْ فِي قَلْبِهِ كَذَا وَكَذَا».

(١) رواه مسلم (٢٧٥٧).

(٢) رواه مسلم (١٩٣).



\*\*\*

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ:

٧٥١٠- حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا حَمَادُ بْنُ زَيْدٍ، حَدَّثَنَا مَعْبُدُ بْنُ هِلَالٍ الْعَنَزِيُّ قَالَ: اجْتَمَعْنَا نَاسٌ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ فَذَهَبْنَا إِلَى أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ وَذَهَبْنَا مَعَنَا بَنَاتُ الْبَنَانِيِّ إِلَيْهِ يَسْأَلُهُ لَنَا عَنْ حَدِيثِ الشَّفَاعَةِ فَإِذَا هُوَ فِي قَصْرِهِ فَوَافَقْتَاهُ يُصَلِّي الضُّحَى، فَاسْتَأْذَنَّا فَادْنَا لَنَا وَهُوَ قَاعِدٌ عَلَى فَرَاشِهِ فَقُلْنَا لِبَنَاتٍ: لَا تَسْأَلُهُ عَنْ شَيْءٍ أَوَّلَ مِنْ حَدِيثِ الشَّفَاعَةِ. فَقَالَ: يَا أَبَا حَمْرَةَ هَؤُلَاءِ إِخْوَانُكَ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ جَاءُواكَ يَسْأَلُونَكَ عَنْ حَدِيثِ الشَّفَاعَةِ. فَقَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ مَاجَ النَّاسُ بَعْضُهُمْ فِي بَعْضٍ، فَيَأْتُونَ آدَمَ فَيَقُولُونَ: اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ. فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا، وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِإِبْرَاهِيمَ فَإِنَّهُ خَلِيلُ الرَّحْمَنِ. فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا، وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِمُوسَى فَإِنَّهُ كَلِيمُ اللَّهِ. فَيَأْتُونَ مُوسَى فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا، وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِعِيسَى فَإِنَّهُ رُوحُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ. فَيَأْتُونَ عِيسَى فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا، وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِمُحَمَّدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. فَيَأْتُونِي فَأَقُولُ: أَنَا لَهَا، فَاسْتَأْذِنَ عَلَى رَبِّي فَيُؤْذَنُ لِي، وَيُلْهِمُنِي مَحَامِدُ أَحْمَدُهُ بِهَا لَا تَحْضُرُنِي الْآنَ، فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمَحَامِدِ، وَأُخِرُّ لَهُ سَاجِدًا فَيَقُولُ: يَا مُحَمَّدُ ارْزُقْ رَأْسَكَ وَقُلْ يُسْمِعْ لَكَ وَسَلْ تُعْطَ وَاشْفَعْ تُشْفَعْ. فَأَقُولُ: يَا رَبِّ أُمِّتِي أُمِّتِي. فَيَقُولُ: انْطَلِقْ فَأَخْرِجْ مِنْهَا مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ شَعِيرَةٍ مِنْ إِيْمَانٍ. فَانْطَلِقُ فَأَفْعَلُ، ثُمَّ أَعُودُ، فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمَحَامِدِ، ثُمَّ أُخِرُّ لَهُ سَاجِدًا فَيَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ ارْزُقْ رَأْسَكَ وَقُلْ يُسْمِعْ لَكَ وَسَلْ تُعْطَ وَاشْفَعْ تُشْفَعْ. فَأَقُولُ: يَا رَبِّ أُمِّتِي أُمِّتِي. فَيَقُولُ: انْطَلِقْ فَأَخْرِجْ مِنْهَا مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ أَذْنَى أَذْنَى أَذْنَى مِثْقَالِ حَبَّةٍ خَرْدَلٍ مِنْ إِيْمَانٍ فَأَخْرِجُهُ مِنَ النَّارِ. فَانْطَلِقُ فَأَفْعَلُ. فَلَمَّا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِ أَنَسٍ قُلْتُ لِبَعْضِ أَصْحَابِنَا: لَوْ مَرَرْنَا بِالْحَسَنِ وَهُوَ مُتَوَارٍ فِي مَنْزِلِ أَبِي خَلِيفَةَ فَحَدَّثْنَاهُ بِمَا حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ. فَاتَيْنَاهُ فَسَلَّمْنَا عَلَيْهِ فَادْنَا لَنَا فَقُلْنَا لَهُ: يَا أَبَا سَعِيدٍ جِئْنَاكَ مِنْ عِنْدِ أَخِيكَ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ فَلَمْ نَرِ مِثْلَ مَا حَدَّثَنَا فِي الشَّفَاعَةِ. فَقَالَ: هَيْه. فَحَدَّثَنَا بِالْحَدِيثِ فَانْتَهَى إِلَى هَذَا الْمَوْضِعِ فَقَالَ: هَيْه. فَقُلْنَا: لَمْ يَزِدْ لَنَا عَلَى هَذَا. فَقَالَ: لَقَدْ حَدَّثَنِي وَهُوَ جَمِيعٌ مِنْ عَشْرِينَ سَنَةً فَلَا أَذْرِي أَنَسِي أَمْ كَرِهَ أَنْ تَتَكَلَّمُوا. قُلْنَا: يَا أَبَا سَعِيدٍ فَحَدَّثْنَا. فَضَحِكَ وَقَالَ: خُلِقَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا مَا ذَكَرْتُهُ إِلَّا وَأَنَا أَرِيدُ أَنْ أُحَدِّثَكُمْ، حَدَّثَنِي كَمَا حَدَّثْتُكُمْ بِهِ قَالَ: «ثُمَّ أَعُودُ الرَّابِعَةَ فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمَحَامِدِ، ثُمَّ أُخِرُّ لَهُ سَاجِدًا فَيَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ ارْزُقْ رَأْسَكَ وَقُلْ يُسْمِعْ لَكَ وَسَلْ تُعْطَ وَاشْفَعْ تُشْفَعْ. فَأَقُولُ: يَا رَبِّ ائْذَنْ لِي فَيَمَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. فَيَقُولُ: وَعِزِّي وَجَلَالِي وَكِبَرِيَّائِي وَعَظَمَتِي لَا أُخْرِجَنَّ مِنْهَا مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»<sup>(١)</sup>.



سياق حديث أنسٍ جيد، وفيه أيضًا فائدة وهي أنه لم يذكر أعذار الأنبياء التي اعتذروا بها، فلم يذكر عذر آدم، ولا عذر نوح، ولا عذر إبراهيم، ولا عذر موسى؛ لأن المقام يقتضي ذلك، فإن أهل البصرة في آخر عمره حصل منهم بدع منكرة، منها: بدعة الخوارج، وبدعة المعتزلة، ولهذا طوى ذكر الشفاعة العظمى، مع أن المراجعة للأنبياء إنما هي من أجل الشفاعة العظمى وهي أن يقضي الله بين العباد فيريحهم من الموقف.

ثم أتى إلى ذكر الشفاعة فيمن دخل النار أن يخرج منها؛ لأن المعتزلة ينكرونها، والخوارج ينكرونها كذلك، فأراد رحمته هو وغيره من الذين حدثوا بأحاديث الشفاعة فيمن دخل النار أن يخرج منها أرادوا أن يقرروا أن عصاة المؤمنين وإن دخلوا النار فإنهم يخرجون منها.

\*\*\*

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٥١١- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ خَالِدٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُوسَى، عَنْ إِسْرَائِيلَ، عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ آخِرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولًا وَآخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا مِنَ النَّارِ رَجُلٌ يَخْرُجُ حَبْوًا، فَيَقُولُ لَهُ رَبُّهُ: ادْخُلِ الْجَنَّةَ. فَيَقُولُ: رَبِّ الْجَنَّةِ مَلَأَى. فَيَقُولُ لَهُ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَكُلَّ ذَلِكَ يُعِيدُ عَلَيْهِ: الْجَنَّةُ مَلَأَى. فَيَقُولُ: إِنَّ لَكَ مِثْلَ الدُّنْيَا عَشْرَ مَرَّاتٍ<sup>(١)</sup>. الشاهد من هذا قوله: «فَيَقُولُ». وهذا الكلام يكون يوم القيامة كما قال البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ.

\*\*\*

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٥١٢- حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ حُجْرٍ، أَخْبَرَنَا عِيسَى بْنُ يُونُسَ، عَنْ الْأَعْمَشِ، عَنْ خَيْثَمَةَ، عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تَرْجُحَانِ، فَيَنْظُرُ أَيَمَنَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ مِنْ عَمَلِهِ، وَيَنْظُرُ أَشْأَمَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلَا يَرَى إِلَّا النَّارَ تَلْقَاءَ وَجْهِهِ، فَاتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ».

قَالَ الْأَعْمَشُ: وَحَدَّثَنِي عَمْرُو بْنُ مَرَّةٍ، عَنْ خَيْثَمَةَ مِثْلَهُ وَزَادَ فِيهِ: «وَلَوْ بِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ»<sup>(١)</sup>. الشاهد من هذا قوله: «إِلَّا سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ، لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تَرْجُحَانِ».

\*\*\*

(١) رواه مسلم (١٨٦).

(٢) رواه مسلم (١٠١٦). وقوله: «قال الأعمش...». قال الحافظ في «الفتح» (١٣/٤٧٧): هو موصول بالسند الذي قبله.

ثُمَّ قَالَ الْبَخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٥١٣- حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ عُبَيْدَةَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «جَاءَ حَبْرٌ مِنَ الْيَهُودِ فَقَالَ إِنَّهُ إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ جَعَلَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْأَرْضِينَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْمَاءَ وَالْثَرَى عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْخَلَائِقَ عَلَى إِصْبَعٍ، ثُمَّ يَهْزُهُنَّ ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ أَنَا الْمَلِكُ. فَلَقَدْ رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَضْحَكُ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ تَعَجُّبًا وَتَصْدِيقًا لِقَوْلِهِ، ثُمَّ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ- إِلَى قَوْلِهِ- يَشْرِكُونَ﴾»<sup>(١)</sup>.

٧٥١٤- حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ صَفْوَانَ بْنِ حُزْرٍ أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ ابْنَ عُمَرَ: كَيْفَ سَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ فِي النَّجْوَى؟ قَالَ: «يَدْنُو أَحَدُكُمْ مِنْ رَبِّهِ حَتَّى يَضَعَ كَنَفَهُ عَلَيْهِ فَيَقُولُ: أَعْمِلْتَ كَذَا وَكَذَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ. وَيَقُولُ: عَمِلْتَ كَذَا وَكَذَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ. فَيَقْرُرُهُ ثُمَّ يَقُولُ: إِنِّي سَتَرْتُ عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ»<sup>(٢)</sup>.

وَقَالَ آدَمُ: حَدَّثَنَا شَيْبَانٌ، حَدَّثَنَا قَتَادَةُ، حَدَّثَنَا صَفْوَانٌ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ الشَّاهِدَ مِنْ هَذَا قَوْلُهُ: «يَضَعُ كَنَفَهُ عَلَيْهِ- أَيْ: يَسْتَرُهُ- فَيَقُولُ: أَعْمِلْتَ كَذَا وَكَذَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ».

وَكَمَا رَأَيْتُمْ فَإِنَّ الْبَخَارِيَّ رَحِمَهُ اللَّهُ أَكْثَرَ مِنْ ذِكْرِ الْأَحَادِيثِ الدَّالَّةِ عَلَى كَلَامِ اللَّهِ ﷻ وَقَوْلِهِ: لِأَن فِي زَمَنِهِ قَدْ اشْتَدَّتْ مَحَنَةُ الْقَوْلِ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ، فَكَانَ لَا بُدَّ مِنْ أَنْ يُكَيِّرَ الْأَحَادِيثَ فِي ذَلِكَ؛ لِيَتَقَرَّرَ الْقَوْلُ الْحَقُّ فِي هَذَا.



ثُمَّ قَالَ الْبَخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٣٧- بَابُ مَا جَاءَ فِي قَوْلِهِ: «وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا»<sup>(٣)</sup>.

٧٥١٥- حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ بُكَيْرٍ، حَدَّثَنَا اللَّيْثُ، حَدَّثَنَا عُقَيْلٌ، عَنْ ابْنِ شِهَابٍ، حَدَّثَنَا حُمَيْدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «أَحْتَجُّ آدَمَ وَمُوسَى، فَقَالَ مُوسَى: أَنْتَ آدَمُ الَّذِي أَخْرَجْتَ ذُرِّيَّتَكَ مِنَ الْجَنَّةِ. قَالَ آدَمُ: أَنْتَ مُوسَى الَّذِي اصْطَفَاكَ اللَّهُ بِرِسَالَاتِهِ وَكَلَامِهِ، ثُمَّ تَلَوْنِي عَلَى أَمْرِ قَدْ قَدَّرَ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ أُخْلَقَ. فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى»<sup>(٤)</sup>.

قَوْلُهُ: «بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: «وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا»<sup>(٥)</sup>». هَذِهِ الْآيَةُ صَرِيحَةٌ فِي أَنَّ اللَّهَ ﷻ يَتَكَلَّمُ كَلَامًا حَقِيقَةً، وَوَجْهُ الدَّلَالَةِ أَنَّ الْفِعْلَ أَكَّدَ بِالْمَصْدَرِ، قَالَ الْعُلَمَاءُ: وَمِنْ فَوَائِدِ التَّوَكُّيدِ نَفْيُ احْتِمَالِ الْمَجَازِ. فَإِذَا قُلْتَ مَثَلًا: ضَرَبْتُ الرَّجُلَ ضَرْبًا. فَإِنْ (ضَرْبًا). تَوَكَّدَ أَنَّ الْمَرَادَ بِقَوْلِكَ: ضَرَبْتُ. الضَّرْبُ الْحَقِيقِيُّ.

(١) رواه مسلم (٢٧٨٦).

(٢) رواه مسلم (٢٧٦٨).

(٣) رواه مسلم (٢٦٥٢).



وكذلك: أَكْرَمْتُ الرَّجُلَ إِكْرَامًا. فَإِنْ «إِكْرَامًا» تَدُلُّ كَذَلِكَ عَلَى أَنَّ الْإِكْرَامَ حَقِيقِيٌّ.  
 كذلك قوله: (تَكْلِيمًا) تَدُلُّ عَلَى أَنَّ اللَّهَ ﷻ كَلَّمَ مُوسَى كَلَامًا حَقِيقِيًّا. فَالتَّوَكُّدُ يَنْفِي احْتِمَالَ الْمَجَازِ.  
 وَأَهْلُ السَّنَةِ وَالْجَمَاعَةِ الَّذِينَ بَنَوْا عَقِيدَتَهُمْ عَلَى عَقِيدَةِ السَّلَفِ يَقُولُونَ: نُؤْمِنُ بِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَتَكَلَّمُ  
 كَلَامًا حَقِيقِيًّا يَسْمَعُهُ مِنْ وَجْهِ الْخُطَابِ إِلَيْهِ.  
 لَكِنْ أَهْلُ التَّعْطِيلِ وَالْإِنْكَارِ يَقُولُونَ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يَتَكَلَّمُ كَلَامًا حَقِيقِيًّا، وَيَقُولُونَ: مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾؛ أَيْ: جَرَّحَهُ بِمُخَالَفِ الْحِكْمَةِ. قَالُوا: لِأَنَّ الْكَلِمَ بِمَعْنَى الْجَرَحِ، وَمِنَهُ قَوْلُهُ ﷻ: «مَا مِنْ مَكْلُومٍ يُكَلَّمُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِلَّا إِذَا كَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ جَاءَ وَكَلِمُهُ يَنْفَبُ دَمًا»<sup>(١)</sup>؛ أَيْ: جَرَّحُهُ.  
 فَيَقَالُ: سَبَّحَانَ اللَّهَ هَذَا التَّفْسِيرُ الَّذِي ذَكَرْتُمْ بَعِيدٌ عَنِ الْمَعْنَى، بَلْ مَمْتَنَعٌ؛ لِأَنَّ اللَّهَ يَقُولُ: «كَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى». ثُمَّ قَالَ بَعْضُهُمْ: بَلِ الْقِرَاءَةُ الصَّحِيحَةُ: «وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا» فَحَرَّفَ اللَّفْظَ؛ لِيَكُونَ الْكَلَامُ مِنْ مُوسَى لِلَّهِ.

فَقِيلَ لَهُ: مَاذَا نَقُولُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾ [الْأَنْعَامُ: ١٥٣]. - وَهَذِهِ لَا يُمَكِّنُ فِيهَا التَّحْرِيفُ اللَّفْظِيُّ - فَبُهِتَ.

ثُمَّ سَأَلَ الْمُؤَلَّفَ ﷻ حَدِيثَ احْتِجَاجِ مُوسَى عَلَى آدَمَ، وَفِيهِ: «قَالَ مُوسَى لِآدَمَ: أَخْرَجْتَ ذُرِّيَّتَكَ مِنَ الْجَنَّةِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ نَهَاهُ أَنْ يَأْكُلَ مِنَ الشَّجَرَةِ، فَأَكَلَ مِنْهَا، فَأَخْرَجَهُ اللَّهُ ﷻ مِنَ الْجَنَّةِ، فَلَا مَهَ مُوسَى لَتَسْبِيهِ فِي إِخْرَاجِ الذَّرِيَةِ مِنَ الْجَنَّةِ.

وَلَكِنْ آدَمُ قَالَ لَهُ: «أَنْتَ مُوسَى الَّذِي اصْطَفَاكَ اللَّهُ بِرِسَالَاتِهِ، وَكَلَامِهِ - وَهَذَا هُوَ الشَّاهِدُ - ثُمَّ تَلَوْنِي عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِّرَ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ أُخْلَقَ. فَحُجَّ آدَمُ مُوسَى؛ يَعْني: غَلَبَهُ فِي الْحُجَّةِ. وَهَذَا الْحَدِيثُ اخْتَلَفَ فِيهِ النَّاسُ:

فَالْمُعْتَزِلَةُ قَالُوا: هَذَا حَدِيثٌ لَا يَصِحُّ؛ لِأَنَّهُ خَبَرُ أَحَادٍ، وَخَبَرُ الْأَحَادِ لَا يُقْبَلُ فِي الْعُقَائِدِ، وَأَفْعَالُ الْعِبَادِ لَيْسَتْ مَكْتُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ، بَلِ الْعِبْدُ مُسْتَقِلٌّ بِعَمَلِهِ.

وَأَمَّا الْجَبَرِيَّةُ فَتَلَقَّوْا هَذَا الْحَدِيثَ بِالْقَبُولِ، وَقَالُوا: إِنْ آدَمُ احْتَجَّ بِالْقَدْرِ وَحُكْمِ النَّبِيِّ ﷺ بِصَحَّةِ احْتِجَاجِهِ عَلَى مُوسَى.

فَتَنَازَعَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ طَائِفَتَانِ، فَالْجَبَرِيَّةُ قَبِلَتْهُ، وَالْمُعْتَزِلَةُ - الَّذِينَ هُمُ الْقَدَرِيَّةُ - رَفَضَتْهُ وَقَالُوا: هَذَا لَا يَصِحُّ.

وَأَمَّا أَهْلُ السَّنَةِ وَالْجَمَاعَةِ فَقَبِلُوا الْحَدِيثَ، وَلَكِنَّهُمْ قَالُوا: لَيْسَ فِيهِ دَلِيلٌ لِمَذْهَبِ الْجَبَرِيَّةِ؛ لِأَنَّ آدَمَ لَمْ يَحْتَجَّ بِالْقَدْرِ عَلَى فِعْلِ الْمَعْصِيَةِ، وَمُوسَى أَيْضًا لَمْ يَحْتَجَّ عَلَى آدَمَ بِفِعْلِ الْمَعْصِيَةِ، إِنَّمَا احْتَجَّ عَلَى إِخْرَاجِهِ مِنَ الْجَنَّةِ، فَاحْتَجَّ آدَمُ بِالْقَدْرِ عَلَى الْمَعْصِيَةِ الَّتِي حَدَّثَتْ بِغَيْرِ اخْتِيَارِهِ وَإِرَادَتِهِ وَهِيَ إِخْرَاجُهُ

من الجنة؛ لأن آدم لو عَلِمَ أنه سَيَخْرُجُ من الجنة ما أَكَلَ بالتأكيد، بدليل أن إبليسَ وشوسَ له وقال: ﴿يَتَكَادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى﴾ (١٣) ﴿طه: ١٢٠﴾. فَيَكُونُ احتجاجُ آدمَ بالقدرِ على المصائبِ لا على المآلِ.

ونظيرُ ذلك: أن يَسَافِرَ شخصٌ فَيَصَابَ بحادثة، فيلومُه لائمٌ يَقُولُ: لماذا سافرت؟ فيَقُولُ: أنا ما سافَرْتُ لأجل أن يُصِيبَنِي هذا الحادثُ، لكن هذا قضاءُ الله وقدرُه.

فأدَمُ لم يَأْكُلْ من الشجرة من أجل أن يَخْرُجَ من الجنة، بل صارت النتيجة التي لا يَعْلَمُ بها من قبل أنه خَرَجَ من الجنة.

فصار الاحتجاجُ هنا على المصيبة لا على الفعل؛ ولهذا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَحْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ وَاسْتَعِزْ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجِزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ -عَنِي: بعد الحرص- فَلَا تَقُلْ: لو أَنِي فَعَلْتُ كَذَا. ولكن قُلْ: قَدَّرَ اللَّهُ وَمَا شَاءَ فَعَلَ» (١)؛ أي: حينئذٍ لك أن تَحْتَجَّ بالقدر؛ لأنك فَعَلْتَ ما يَنْبَغِي أن تَفْعَلَ. وهذا الوجهُ كما يَتَضَحُّ ظاهراً في القوة، لاسيَّما وأن موسى ﷺ أَعْلَمَ وَأَبْرُ من أن يَصِمَ أباه آدمَ بعيدَ تاب منه، وهَذَاهُ اللَّهُ واجْتَبَاهُ بعده.

وقد خَرَجَ ابنُ القيمِ رَحِمَهُ اللَّهُ هذا الحديثَ تخريجاً آخرَ فقال: إن آدمَ إنما احْتَجَّ بالقدر على معصيته بعد أن تاب إلى الله ونِدِمَ، وليس كاحتجاجِ المشركين على شركهم الذي أَبْطَلَهُ اللَّهُ؛ لأن احتجاجَ المشركين على شركهم يُريدُونَ منه دَفْعَ اللومِ عنهم واستمرارهم على شركهم، أما إذا احْتَجَّ الإنسانُ بالقدرِ على معصيته بعد أن تاب ورجع إلى الله، فإن هذا لا بَأْسَ به (٢).

مثالُه: رجلٌ فَعَلَ معصيةً ثم تاب وصَلَحَتْ حالُه، فلامَه بعضُ الناسِ وقال له: كيف تَفْعَلُ كذا وكذا؟ فقال: هذا شيءٌ أَفَلَتَ مِنِّي بقضاءِ الله وقدره، وأنا أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ.

فهذا الاحتجاجُ على ما ذَهَبَ إليه ابنُ القيمِ هو احتجاجٌ صحيحٌ، واستَدَلَّ له بحديثِ عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي مرَّ علينا حين جاء النَّبِيُّ ﷺ إلى بيتِ عليٍّ، فوجده نائماً هو وفاطمة، فقال: ألا تصليان؟ فقال: إن أنفُسَنَا بيدَ اللَّهِ ﷻ.

ولكن ما ذَهَبَ إليه شيخُ الإسلامِ رَحِمَهُ اللَّهُ بالنسبةِ لتخريجِ الحديثِ أَوَّلَى.

أما بالنسبةِ لاحتجاجِ الإنسانِ بالقدرِ بعد فعلِ المعصيةِ والتوبةِ منها، فهذا لا بَأْسَ به، فلا بَأْسَ أن تَقُولَ: هذا الشيءُ قَدَّرَهُ اللَّهُ عَلَيَّ، وَعَلَبَنِي نَفْسِي والهوى والشيطانُ، ولكن أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إليه. فهذا لا بَأْسَ به، وكثيراً ما يَقَعُ هذا الشيءُ، والإنسانُ معذورٌ فيه؛ لأنه لم يَحْتَجَّ بالقدرِ لِيَتَقَى على معصيته، أو لِيَدْفَعَ اللومَ عن نفسه.

(١) رواه مسلم (٢٦٦٤).

(٢) انظر: «شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل» لابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ (١/ ١٨).



\*\*\*

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٥١٦- حَدَّثَنَا مُسْلِمُ بْنُ أَبِرَاهِيمَ، حَدَّثَنَا هِشَامٌ، حَدَّثَنَا قَتَادَةُ، عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَجْمَعُ الْمُؤْمِنُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَقُولُونَ: لَوْ اسْتَشْفَعْنَا إِلَى رَبِّنَا فِيرِيحُنَا مِنْ مَكَانِنَا هَذَا. فَيَأْتُونَ آدَمَ يَقُولُونَ لَهُ: أَنْتَ آدَمُ أَبُو الْبَشَرِ خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ، وَأَسَجَدَ لَكَ الْمَلَائِكَةُ، وَعَلَّمَكَ أَسْمَاءَ كُلِّ شَيْءٍ فَاشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّنَا حَتَّى يُرِيحَنَا. فَيَقُولُ لَهُمْ: لَسْتُ هُنَاكُمْ، فَيَذْكُرُ لَهُمْ خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصَابَ»<sup>(١)</sup>.

هذا طرف من الحديث الطويل الذي فيه ذكر مرور المؤمنين على موسى، وذكر أن الله كلمه، وإلا فهذه الطرق التي ذكرها الآن ليس فيها شاهد للباب.

\*\*\*

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٥١٧- حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، حَدَّثَنِي سُلَيْمَانُ، عَنْ شَرِيكَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّهُ قَالَ: سَمِعْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ يَقُولُ لَيْلَةً أُسْرِي بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ مَسْجِدِ الْكُعْبَةِ: أَنَّهُ جَاءَهُ ثَلَاثَةٌ نَفَرٌ قَبْلَ أَنْ يُوْحَى إِلَيْهِ وَهُوَ نَائِمٌ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَقَالَ أَوْلَهُمْ: أَيُّهُمْ هُوَ؟ فَقَالَ أَوْسَطُهُمْ: هُوَ خَيْرُهُمْ. فَقَالَ آخِرُهُمْ: خُذُوا خَيْرَهُمْ. فَكَانَتْ تِلْكَ اللَّيْلَةُ فَلَمْ يَرَهُمْ حَتَّى أَتَوْهُ لَيْلَةً أُخْرَى فَبَايَرَى قَلْبُهُ وَتَنَامَ عَيْنُهُ وَلَا يَنَامُ قَلْبُهُ، وَكَذَلِكَ الْأَنْبِيَاءُ تَنَامُ أَعْيُنُهُمْ وَلَا تَنَامُ قُلُوبُهُمْ. فَلَمْ يَكْلُمُوهُ حَتَّى احْتَمَلُوهُ فَوَضَعُوهُ عِنْدَ بَشَرٍ زَمَزَمَ، فَتَوَلَّاهُ مِنْهُمْ جِبْرِيلُ، فَشَقَّ جَبْرَيْلُ مَا بَيْنَ نَحْرِهِ إِلَى لَبَّتِهِ حَتَّى فَرَّغَ مِنْ صَدْرِهِ وَجَوْفِهِ، فَغَسَلَهُ مِنْ مَاءٍ زَمَزَمَ بِيَدِهِ حَتَّى انْقَى جَوْفَهُ، ثُمَّ أَتَى بِطَلَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ فِيهِ تَوْرٌ مِنْ ذَهَبٍ تَحْشُوا إِيَّانَا وَحِكْمَةً، فَحَشَا بِهِ صَدْرَهُ وَلَعَادِيْدَهُ - يَعْنِي عُرُوقَ حَلْقِهِ - ثُمَّ أَطْبَقَهُ، ثُمَّ عَرَّجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَضَرَبَ بَابًا مِنْ أَبْوَابِهَا، فَنَادَاهُ أَهْلُ السَّمَاءِ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: جِبْرِيلُ. قَالُوا: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مَعِيَ مُحَمَّدٌ. قَالَ: وَقَدْ بُعِثَ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالُوا: فَمَرْحَبًا بِهِ، وَأَهْلًا. فَيَسْتَبْشِرُ بِهِ أَهْلُ السَّمَاءِ لَا يَعْلَمُ أَهْلُ السَّمَاءِ بِمَا يُرِيدُ اللَّهُ بِهِ فِي الْأَرْضِ حَتَّى يُعْلِمَهُمْ، فَوَجَدَ فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا آدَمَ، فَقَالَ لَهُ جِبْرِيلُ: هَذَا أَبُوكَ آدَمُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ. فَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَرَدَّ عَلَيْهِ آدَمُ وَقَالَ: مَرْحَبًا وَأَهْلًا بِابْنِي نَعَمْ الْإِبْنُ أَنْتَ، فَإِذَا هُوَ فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا يَنْهَرِينَ يَطْرُدَانِ، فَقَالَ: مَا هَذَانِ النَّهْرَانِ يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هَذَا النَّيْلُ وَالْفَرَاتُ غَضْرُومًا. ثُمَّ مَضَى بِهِ فِي السَّمَاءِ فَإِذَا هُوَ بِنَهْرٍ آخَرَ عَلَيْهِ قَصْرٌ مِنْ لَوْلُؤٍ وَزَبَرْجَدٍ فَضَرَبَ يَدَهُ فَإِذَا هُوَ مِسْكٌ أَذْفَرُ، قَالَ: مَا هَذَا يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هَذَا الْكَوْثَرُ الَّذِي خَبَأَ لَكَ رَبُّكَ. ثُمَّ عَرَّجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ، فَقَالَتِ الْمَلَائِكَةُ لَهُ مِثْلَ مَا قَالَتْ لَهُ الْأُولَى: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. قَالُوا: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ ﷺ. قَالُوا: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالُوا: مَرْحَبًا بِهِ وَأَهْلًا. ثُمَّ عَرَّجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ، وَقَالُوا لَهُ مِثْلَ مَا قَالَتْ الْأُولَى وَالثَّانِيَةُ، ثُمَّ عَرَّجَ بِهِ إِلَى الرَّابِعَةِ.



فَقَالُوا لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ عَرَّجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الْخَامِسَةِ، فَقَالُوا مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ عَرَّجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ السَّادِسَةِ، فَقَالُوا لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ عَرَّجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، فَقَالُوا لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ كُلِّ سَمَاءٍ قَدْ سَاءَ لَهُمْ فَأَوْعَيْتْ مِنْهُمْ إِدْرِيسَ فِي الثَّانِيَةِ، وَهَارُونَ فِي الرَّابِعَةِ، وَآخَرَ فِي الْخَامِسَةِ لَمْ أَحْفَظْ اسْمَهُ، وَإِسْرَاهِيمَ فِي السَّادِسَةِ، وَمُوسَى فِي السَّابِعَةِ بِتَفْضِيلِ كَلَامِ اللَّهِ، فَقَالَ مُوسَى: رَبِّ لِمَ أَظُنُّ أَنْ يُرْفَعَ عَلَيَّ أَحَدٌ، ثُمَّ عَلَا بِهِ فَوْقَ ذَلِكَ بِنَا لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ حَتَّى جَاءَ سِدْرَةُ الْمُنتَهَى وَدَنَا لِلْجَبَّارِ رَبِّ الْعِزَّةِ فَتَدَلَّى حَتَّى كَانَ مِنْهُ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى، فَأَوْحَى اللَّهُ فِيهَا أَوْحَى إِلَيْهِ: خُمْسِينَ صَلَاةً عَلَى أَمْنِكَ كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ. ثُمَّ هَبَطَ حَتَّى بَلَغَ مُوسَى، فَاحْتَبَسَهُ مُوسَى فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ مَاذَا عَهَدَ إِلَيْكَ رَبُّكَ؟ قَالَ: عَهَدَ إِلَيَّ خُمْسِينَ صَلَاةً كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ. قَالَ: إِنَّ أَمْنَكَ لَا تَسْتَطِيعُ ذَلِكَ فَارْجِعْ فَلْيُخَفِّفْ عَنْكَ رَبُّكَ وَعَنْهُمْ. فَالْتَفَتَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى جِبْرِيلَ كَأَنَّهُ يَسْتَشِيرُهُ فِي ذَلِكَ فَأَشَارَ إِلَيْهِ جِبْرِيلُ أَنْ نَعَمْ إِنْ شِئْتَ. فَعَلَا بِهِ إِلَى الْجَبَّارِ فَقَالَ وَهُوَ مَكَانَهُ: يَا رَبِّ خَفِّفْ عَنَّا فَإِنَّ أَمْنِي لَا تَسْتَطِيعُ هَذَا. فَوَضَعَ عَنْهُ عَشْرَ صَلَوَاتٍ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى مُوسَى فَاحْتَبَسَهُ فَلَمْ يَزَلْ يَرُدُّهُ مُوسَى إِلَى رَبِّهِ حَتَّى صَارَتْ إِلَى خَمْسِ صَلَوَاتٍ، ثُمَّ احْتَبَسَهُ مُوسَى عِنْدَ الْخَمْسِ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ وَاللَّهِ لَقَدْ رَاوَدْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ قَوْمِي عَلَى أَدْنَى مِنْ هَذَا فَضَعُفُوا فَتَرَكُوهُ، فَأَمْنَكَ أَضَعَفَ أَجْسَادًا وَقُلُوبًا وَأَبْدَانًا وَأَبْصَارًا وَأَسْمَاعًا فَارْجِعْ فَلْيُخَفِّفْ عَنْكَ رَبُّكَ. كُلِّ ذَلِكَ يَلْتَفِتُ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى جِبْرِيلَ لِيُشِيرَ عَلَيْهِ، وَلَا يَكْرَهُ ذَلِكَ جِبْرِيلُ فَرَفَعَهُ عِنْدَ الْخَامِسَةِ فَقَالَ: يَا رَبِّ إِنَّ أَمْنِي ضَعُفَاءُ أَجْسَادُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ وَأَسْمَاعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَأَبْدَانُهُمْ فَخَفِّفْ عَنَّا. فَقَالَ الْجَبَّارُ: يَا مُحَمَّدُ. قَالَ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ. قَالَ: إِنَّهُ لَا يُبَدِّلُ الْقَوْلَ لَدَيَّ، كَمَا قَرَضْتُهُ عَلَيْكَ فِي أَمِّ الْكِتَابِ، قَالَ: فَكُلُّ حَسَنَةٍ بَعَشِرٍ أَمْثَالِهَا فَهِيَ خَمْسُونَ فِي أَمِّ الْكِتَابِ وَهِيَ خَمْسٌ عَلَيْكَ. فَارْجِعْ إِلَى مُوسَى فَقَالَ: كَيْفَ فَعَلْتُ؟ فَقَالَ: خَفِّفْ عَنَّا أَعْطَانَا بِكُلِّ حَسَنَةٍ عَشْرَ أَمْثَالِهَا. قَالَ مُوسَى: قَدْ وَاللَّهِ رَاوَدْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ فَتَرَكُوهُ، ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَلْيُخَفِّفْ عَنْكَ أَيْضًا. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: يَا مُوسَى قَدْ وَاللَّهِ اسْتَحْيَيْتُ مِنْ رَبِّي بِمَا اخْتَلَفْتُ إِلَيْهِ. قَالَ: فَاهْبِطْ بِاسْمِ اللَّهِ. قَالَ: وَاسْتَيْقِظْ وَهُوَ فِي مَسْجِدِ الْحَرَامِ<sup>(١)</sup>.

❦ قوله: «أسري برسولِ الله ﷺ من مسجدِ الكعبة» قد اشتهر عند الناس أن الرسول ﷺ أُسْرِيَ به من بيتِ أمِّ هانئ، والصوابُ أنه أُسْرِيَ به من المسجدِ الحرامِ نفسه، فإنه كان نائمًا في الحجرِ، وأُسْرِيَ به من هناك.

وقد جمع بينهما بعضُ العلماءِ فقال: إنه كان نائمًا في بيتِ أمِّ هانئ فأوقظ ثم قام فنام في المسجدِ، فكان ابتداءُ الإسراءِ من بيتِ أمِّ هانئ ولكن حقيقة كانت من المسجدِ الحرامِ.

❦ وفي قوله: «مسجدِ الكعبة»: دليلٌ أن مسجدَ الكعبةِ هو نفسُ المسجدِ الذي هو موضعُ الصلاةِ، وعلى هذا فيكونُ التفضيلُ الواردُ في أن الصلاةَ في مسجدِ النَّبِيِّ ﷺ خيرٌ من ألفِ صلاةٍ فيما



سواه إلا المسجد الحرام كما في الصحيحين<sup>(١)</sup>، وفي لفظ مسلم من حديث ميمونة قال: «إلا مسجد الكعبة»<sup>(٢)</sup>، فدلّ على أن المراد بالمسجد الحرام هو موضع الصلاة في المكان الذي فيه الكعبة، وليس المراد جميع الحرم، حتّى نقول: إن التضعيف يكون في جميع مكة، بل نقول: إن التضعيف يكون في المسجد الذي فيه الكعبة فقط، فلا تُشدُّ الرحال مثلاً إلى مسجد في العزيزية، أو مسجد في الأبطح، أو ما أشبه ذلك.

**والشاهد من هذا الحديث:** هذا الكلام من الله ﷻ في ليلة المعراج.

والمعراج والإسراء ثابتان بالقرآن الكريم.  
قال الله تعالى في الإسراء: ﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا﴾ [الأنعام: ١]. وقال في المعراج: ﴿وَالنَّجْمُ إِذَا هَوَىٰ ۖ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۚ وَمَا يَطُوقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۚ﴾ [٢] إلى أن قال: ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ﴾ [٣]. وهما على القول الراجح كانا في ليلة واحدة.

والعروج كان بجسده وروحه، وليس بروحه فقط، وهو حقيقة، وصاحبه جبريل وكان يصعد به إلى السماء الدنيا، ثم الثانية، ثم الثالثة، ثم الرابعة، حتّى وصل به إلى السماء السابعة.

**وفي هذا الحديث:** أن موسى في السابعة، وإبراهيم في السادسة وهو غلط، فإن إبراهيم في السابعة، وموسى في السادسة، وهارون في الخامسة، وإدريس في الرابعة، وهنا ذكر أن إدريس في الثانية وهو غلط أيضاً.

وهذا السياق الذي ذكره البخاري رحمه الله هنا فيه شيء يحتاج إلى تحليل ونظر.  
والإسراء والمعراج لا يُعلم متى كان، وأما ما اشتهر عند الناس أنه ليلة السابع والعشرين فلا أصل له، وأقرب ما قيل في ذلك: أنه كان في ربيع الأول قبل الهجرة بنحو ثلاث سنوات، وقد صلى النبي ﷺ هذه الثلاث سنوات الرباعية ركعتين، ولما هاجر إلى المدينة زيد في صلاة الحضر، وأقررت صلاة السفر على الفريضة الأولى.

والمعراج من خصائص النبي ﷺ، فلم يُخرج بأحد من الأنبياء قبله.  
وقوله: «ودنا الجبار قتلتي». الصحيح أن قوله تعالى: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى﴾ [٨] أنه جبريل؛ لأن الله قال: ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ۖ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ ۖ وَهُوَ الْأَمْرُ الْأَعْلَىٰ ۖ﴾ [٩] ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى [١٠] فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۖ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ [١١]. أي: أوحى جبريل لعبد الله ما أوحى، إلى أن قال: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۚ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ﴾ [١٢-١٣]. وهذا جبريل وقد رآه الرسول ﷺ مرتين: مرة في الأرض في غار حراء، ومرة في السماء عند سدره المنتهى، وهذا هو الصواب في هذا اللفظ من الحديث.

(١) رواه البخاري (١١٩٠)، ومسلم (١٣٩٤).

(٢) رواه مسلم (١٣٩٦).

قَالَ ابْنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ:

ومجموع ما خالف في رواية شريك غيره من المشهورين عشرة أشياء بل تزيد على ذلك:  
**الأول:** أمكنة الأنبياء عليهم الصلوات والسلام في السموات، وقد أفصح بأنه لم يضبط منازلهم،  
 وقد وافقه الزهري في بعض ما ذكر كما سبق في أول كتاب الصلاة.  
 [الذي أخطأ فيه هو ذكر إبراهيم وموسى، فإنه زعم أن موسى في السابعة، وإبراهيم في السادسة، والأمر  
 بالعكس].

**الثاني:** كون المعراج قبل البعثة. وقد سبق الجواب عن ذلك، وأجاب بعضهم عن قوله: قبل أن  
 يوحى بأن القبيلة هنا في أمر مخصوص وليست مطلقة، واحتمل أن يكون المعنى قبل أن يوحى إليه  
 في شأن الإسراء والمعراج مثلاً؛ أي: أن ذلك قد وقع بغتة قبل أن يُنذَر به، ويُؤَيِّدُه قوله في حديث  
 الزهري: «فَرَجَ سَقْفُ بَيْتِي».

[هذه تسقط ما دام فيه احتمال أن المراد بقوله: قبل أن يوحى إليه بشأن المعراج، وليس المراد  
 قبل أن يوحى إليه بالرسالة، فإذا وجد احتمال بطل الاعتراض].  
**الثالث:** كونه مناماً وقد سبق الجواب عنه أيضاً بما فيه غنية.

**الرابع:** مخالفته في محل سدرۃ المنتهى، وأنها فوق السماء السابعة لما لا يعلمه إلا الله،  
 والمشهور أنها في السابعة أو السادسة كما تقدّم.  
**والصحيح:** أنها في السابعة؛ لأن اسمها يدل على ذلك: سدرۃ المنتهى. ولا انتهاء قبل السماء السادسة<sup>(١)</sup>.

**والخامس:** مخالفته في النهريين وهما النيل والفراث وأن عنصرهما في السماء الدنيا، والمشهور  
 في غير روايته أنها في السماء السابعة، وأنها من تحت سدرۃ المنتهى.

[وهذا يمكن الإجابة عنه بأنها يمران في السماء الدنيا، لكن نظراً لكثرة ما يُعترض على سياق  
 شريك، لا ينبغي أن نؤوّل هذا التأويل البعيد، أو المستكره في نظر المحدثين، بل نقول: هذا من جملة  
 الأوهام التي عُدّت عليه في هذا السياق، وإلا فمن الممكن أن يقال: إن أصلهما في سدرۃ المنتهى،  
 ويمرّان بالسماء الدنيا من أجل نزولهما إلى الأرض، وحيث لا يكون فيهما وهم، لكني أقول: إن هذا  
 يُضعفه كثرة الأوهام في سياقه، ونقول: هذا من جملة الأوهام<sup>(٢)</sup>.

**السادس:** شق الصدر عند الإسراء، وقد وافقته رواية غيره كما بينت ذلك في شرح رواية قتادة  
 عن أنس بن مالك بن صغصعة، وقد أشرت إليه أيضاً هنا.  
**السابع:** ذكر نهر الكوثر في السماء الدنيا، والمشهور في الحديث أنه في الجنة كما تقدّم التنبيه عليه.

(١) ما بين معقوفين من كلام الشيخ العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٢) ما بين معقوفين من كلام الشيخ العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ.



[هذا نقول فيه مثل ما قلنا في النيل والفرات؛ أي: لعل أصله في الجنة وينزل إلى الأرض مارًا بالسوء الدنيا؛ ليصب في الحوض، لكن لا شك أن الصواب أنه في الجنة].  
**الثامن:** نسبة الدنو والتدلي إلى الله ﷻ، والمشهور في الحديث أنه جبريل كما تقدم التنبيه عليه.

[هذا صحيح الذي دنا فتدلى هو جبريل عليه السلام].

**التاسع:** تصريحه بأن امتناعه عليه السلام من الرجوع إلى سؤال ربه التخفيف كان عند الخامسة، ومقتضى رواية ثابت عن أنس أنه كان بعد التاسعة.

**العاشر:** قوله: «فعلا به الجبار فقال وهو مكانه» وقد تقدم ما فيه.  
**وقال في موضع آخر:**

قوله: «ودنا الجبار رب العزة حتى كان قاب قوسين أو أدنى». في رواية ميمونة المذكورة: «فدنا ربك ﷻ فكان قاب قوسين أو أدنى». قال الخطابي ليس في هذا الكتاب - يعني: صحيح البخاري - حديث أشنع ظاهرًا ولا أشنع مذاقًا من هذا الفصل، فإنه يقتضي تحديد المسافة بين أحد المذكورين وبين الآخر، وتمييز مكان كل واحد منهما، هذا إلى ما في التدلي من التشبيه والتمثيل له بالشيء الذي تعلق من فوق إلى أسفل، قال: فمن لم يبلغه من هذا الحديث إلا هذا القدر مقطوعًا أو غيره، ولم يعتبره بأول القصة وآخرها اشتبه عليه وجهه ومعناه، وكان قصاره ما رد الحديث من أجله، وأما الوقوع في التشبيه وهما خطتان مرغوب عنهما.

وأما من اعتبر أول الحديث بآخره فإنه يزول عنه الإشكال، فإنه مصرح فيها بأنه كان رؤيا؛ لقوله في أوله: «وهو نائم» وفي آخره: «استيقظ». وبعض الرؤيا مثل يضرب ليتأول على الوجه الذي يجب أن يُصرف إليه معنى التعبير في مثله، وبعض الرؤيا لا يحتاج إلى ذلك بل تأتي كالمشاهدة.

قلت: وهو كما قال، ولا التفات إلى من تعقب كلامه بقوله في الحديث: أن رؤيا الأنبياء وحي، فلا تحتاج إلى تعبير؛ لأنه كلام من لم يمين النظر في هذا المحل، فقد تقدم في «كتاب التعبير»: أن بعض مرأى الأنبياء يقبل التعبير، وتقدم من أمثلة ذلك: قول الصحابة له عليه السلام في رؤية القميص: فما أولته يا رسول الله؟ قال: الدين، وفي رؤية اللبن. قال: العلم، إلى غير ذلك.

لكن جزم الخطابي بأنه كان في المنام متعقب بما تقدم تقريره قبل.

ثم قال الخطابي مشيرًا إلى رفع الحديث من أصله بأن القصة بطولها إنما هي حكاية يحكيها أنس من تلقاء نفسه لم يعزها إلى النبي ﷺ، ولا نقلها عنه، ولا أضافها إلى قوله، فحاصل الأمر في النقل أنها من جهة الراوي، إما من أنس وإما من شريك، فإنه كثير التفرّد بمناكير الألفاظ التي لا يتابعه عليها سائر الرواة. انتهى

وما نفاه من أن أنسا لم يُسند هذه القصة إلى النبي ﷺ لا تأثير له، فأدنى أمره فيها أن يكون مرسل صحابي، فإما أن يكون تلقاها عن النبي ﷺ، أو من صحابي تلقاها عنه، ومثل ما اشتملت عليه لا يقال بالرأي فيكون له حكم الرفع، ولو كان لما ذكره تأثير لم يحتمل حديث أحد روى مثل ذلك على الرفع أصلاً، وهو خلاف عمل المحدثين

قاطبة، فالتعليل بذلك مردود.

ثم قَالَ الخطابي: إن الذي وقع في هذه الرواية من نسبة التدلي للجبار عليه السلام مخالفٌ لعامة السلف والعلماء وأهل التفسير من تقدّم منهم ومن تأخّر، قَالَ: والذي قيل فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه دنا جبريل من محمد صلى الله عليه وآله فتدلى؛ أي: تقرب منه.

وقيل: هو على التقديم والتأخير؛ أي: تدلى فلاناً لأن التدلي بسبب الدنو. الثاني: تدلى له جبريل بعد الانتصاب والارتفاع حتى رآه متدلياً كما رآه مرتفعاً، وذلك من آيات الله، حيث أقدره على أن يتدلى في الهواء من غير اعتماد على شيء، ولا تمسك بشيء. الثالث: دنا جبريل فتدلى محمد صلى الله عليه وآله ساجداً لربه تعالى شكراً على ما أعطاه.

قَالَ وقد روي هذا الحديث من أنسٍ بغير طريق شريك فلم يُذكر فيه هذه الألفاظ الشنيعة، وذلك مما يقوي الظن أنها صادرة من جهة شريك. انتهى

وقد أخرج الأموي في مغازيه ومن طريقه البيهقي عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة، عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾ (١٣) الجن: ١٣. قَالَ: دنا منه ربه. وهذا سندٌ حسنٌ وهو شاهدٌ قويٌّ لرواية شريك.

ثم قَالَ الخطابي: وفي هذا الحديث لفظة أخرى تفرّد بها شريك أيضاً لم يذكرها غيره وهي قوله: «فَعَلَا بِهِ» يعني: جبريل إلى الجبار تعالى فقال وهو مكانه: يا رب خفف عنا. وقال: والمكان لا يُضاف إلى الله تعالى، وإنما هو مكان النبي صلى الله عليه وآله في مقامه الأول الذي قام فيه قبل هبوطه. انتهى

وهذا الأخير متعينٌ وليس في السياق تصريحٌ بإضافة المكان إلى الله تعالى. وأما ما جزم به من مخالفة السلف والخلف لرواية شريك عن أنس في التدلي فيه نظر، فقد ذكرت من وافقه، وقد نقل القرطبي عن ابن عباس أنه قَالَ: دنا الله صلى الله عليه وآله. قَالَ: والمعنى: دنا أمره وحكمه.

[قوله: دنا أمره وحكمه. غير صحيح؛ لأنه لو صحَّ أن المراد بقوله: ﴿دَنَا فَتَدَلَّى﴾ هو الرب صلى الله عليه وآله لم يصحَّ أن نقول: دنا أمره وحكمه؛ لأن هذا تحريفٌ للكلم عن مواضعه، لكن نقول في الأصل: إن الصواب أن الداني والمتدلي هو جبريل] <sup>(١)</sup>.

وأصل التدلي النزول إلى الشيء حتى يقرب منه. قَالَ: وقيل: تدلى الرفرف لمحمد صلى الله عليه وآله حتى جلس عليه، ثم دنا محمد من ربه. انتهى

وقد تقدم في تفسير سورة النجم ما ورد من الأحاديث في أن المراد بقوله: ﴿رَآهُ﴾ أن النبي صلى الله عليه وآله رأى جبريل، له ستائة جناح ومضى بسط القول في ذلك هناك، ونقل البيهقي نحو ذلك عن أبي هريرة، قَالَ: فاتفقت روايات هؤلاء على ذلك. ويعكر عليه قوله بعد ذلك: ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ﴾

(١) ما بين معقوفين من كلام الشيخ العلامة ابن عثيمين رحمته الله.



① ثم نقل عن الحسن أن الضمير في عبده لجبريل، والتقدير: فأوحى الله إلى جبريل. وعن الفراء: التقدير فأوحى جبريل إلى عبد الله مُحَمَّدٍ ما أوحى.

وقد أزال العلماء إشكاله، فقال القاضي عياض في «الشفاء»: إضافة الدنو والقرب إلى الله تعالى أو من الله، ليس دنو مكان، ولا قرب زمان، وإنما هو بالنسبة إلى النَّبِيِّ ﷺ إبانةً لعظيم منزلته، وشريف رتبته، وبالنسبة إلى الله ﷻ تأنيسٌ لِنَبِيِّهِ وإكرام له. ويتأول فيه ما قالوه في حديث: «ينزل ربنا إلى السماء». وكذا في حديث: «من تقرب مني شبراً تقربت منه ذراعاً».

وقال غيره: الدنو مجاز عن القرب المعنوي.

[هذا أيضاً خطأ، فإن المراد بنزوله ﷻ نزوله حقيقة إلى السماء الدنيا، وكذلك تقربه إلى عبده حقيقة] (١).

لإظهار عظيم منزلته عند ربه تعالى، والتدلي: طلبُ زيادةِ القرب، وقابُ قوسين بالنسبة إلى النَّبِيِّ ﷺ عبارة عن لطفِ المحلِّ، وإيضاحِ المعركة، وبالنسبة إلى الله إجابة سؤاله ورفع درجته.

وقال عبدُ الحقِّ في «الجمع بين الصحيحين»: زاد فيه -يعني- شريكاً -زيادةً مجهولةً وأتى فيه بالفاظٍ غير معروفةٍ وقد روى الإسراء جماعةً من الحفاظ، فلم يأت أحدٌ منهم بما أتى به شريكٌ، وشريكٌ ليس بالحافظ، وسبق إلى ذلك أبو محمد ابنُ حزم فيما حكاه الحافظ أبو الفضل ابنُ طاهرٍ في جزءِ جمعه سناه: «الانتصار لأيام الأمصار» فنقل فيه عن الحُمَيْدِيِّ عن ابنِ حزم قال: لم نجد للبخاري ومسلم في كتابيهما شيئاً لا يحتملُ مخرجاً إلا حديثين، ثم غلبه في تخريجِه الوهم، مع إتقانها وصحة معرفتهما، فذكر هذا الحديث، وقال: فيه ألفاظٌ معجمةٌ، والآفة من شريك، من ذلك قوله: قبل أن يوحى إليه، وأنه حينئذٍ فرض عليه الصلاة، قال: وهذا لا خلاف بين أحد من أهل العلم إنما كان قبل الهجرة بسنة وبعد أن أوحى إليه بنحو اثنتي عشرة سنة.

[قوله: أنه كان قبل الهجرة بسنة. ليس بصحيح، فالمؤرخون بعضهم قال: قبل الهجرة بخمس سنوات، وبعضهم قال: بثلاث وبعضهم قال: بسنة.

ثم قوله: «إن الجبار دنا فتدلى حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى». وعائشة رضي الله عنها تقول: إن الذي دنا فتدلى جبريل.. انتهى. وقد تقدم الجواب عن ذلك.

وقال أبو الفضل ابنُ طاهر: تعليلُ الحديث بتفرد شريك، ودعوى ابنِ حزم أن الآفة منه شيء لم يُسبَق إليه فإن شريكاً قبلة أئمة الجرح والتعديل، ووثقوه، ورووا عنه، وأدخلوا حديثه في تصانيفهم، واحتجوا به، وروى عبدُ الله بنُ أحمد الدورقي، وعثمانُ الدارمي، وعباسُ الدوري، عن يحيى بنِ معين أنه قال: لا بأس به. وقال ابنُ عدي: مشهورٌ من أهل المدينة، حدث عنه مالكٌ وغيره من الثقات، وحديثه إذا روى عنه ثقة لا بأس به، إلا أن يزوي عنه ضعيف، قال ابنُ طاهر: وحديثه هذا

(١) ما بين معقوفين من كلام الشيخ العلامة ابن عثيمين رحمته الله.

رواه عنه ثقة وهو سليمان بن بلال، قَالَ: وعلى تقدير تسليم تفرده: «قَبْلَ أَنْ يُوحَى إِلَيْهِ». لَا يَقْتَضِي طَرَحَ حَدِيثِهِ، فَوَهْمُ الثَّقَةِ فِي مَوْضِعٍ مِنْ حَدِيثٍ لَا يُسْقِطُ جَمِيعَ الْحَدِيثِ، وَلَا سِيَّامًا إِذَا كَانَ الْوَهْمُ لَا يَسْتَلْزِمُ ارْتِكَابَ مُحْظُورٍ، وَلَوْ تَرِكَ حَدِيثٌ مِنْ وَهْمٍ فِي تَارِيخٍ لَتَرِكَ حَدِيثُ جَمَاعَةٍ مِنْ أُمَّةِ الْمُسْلِمِينَ، وَلَعَلَّهُ أَرَادَ أَنْ يَقُولَ: بَعْدَ أَنْ أُوحِيَ إِلَيْهِ. فَقَالَ: قَبْلَ أَنْ يُوحَى إِلَيْهِ. انْتَهَى

وَقَدْ سَبَقَ إِلَى التَّنْبِيهِ عَلَى مَا فِي رِوَايَةِ شَرِيكَ مِنَ الْمَخَالَفَةِ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ فَإِنَّهُ قَالَ بَعْدَ أَنْ سَاقَ سَنَدَهُ وَبَعْضَ الْمُتَنِ: ثُمَّ قَالَ فَقَدَّمُ وَأَخَّرُ، وَزَادَ وَنَقَصَ.

وَسَبَقَ ابْنُ حَزْمٍ أَيْضًا إِلَى الْكَلَامِ فِي شَرِيكَ أَبُو سُلَيْمَانَ الْخَطَائِي كَمَا قَدِمْتُ. وَقَالَ فِيهِ النَّسَائِيُّ، وَأَبُو مُحَمَّدٍ ابْنُ أَجَارُودٍ: لَيْسَ بِالْقَوِي. وَقَالَ يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ الْقَطَّانُ: لَا يُحَدِّثُ عَنْهُ. نَعَمْ قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ سَعِيدٍ وَأَبُو دَاوُدَ: ثَقَّةٌ. فَهُوَ مُخْتَلَفٌ فِيهِ، فَإِذَا تَقَرَّرَ عُدَّ مَا يَنْفَرِدُ بِهِ شَاذًا، وَكَذَا مُنْكَرًا عَلَى رَأْيٍ مَنْ يَقُولُ: الْمُنْكَرُ وَالشَّاذُّ شَيْءٌ وَاحِدٌ، وَالْأَوَّلَى الْإِتْرَامُ وَرُودُ الْمَوَاضِعِ الَّتِي خَالَفَ فِيهَا عَنْدَهُ، وَالْجَوَابُ عَنْهَا إِمَّا بِدَفْعِ تَفَرُّدِهِ، وَإِمَّا بِتَأْوِيلِهِ عَلَى وَفَاقِ الْجَمَاعَةِ.

**ثُمَّ قَالَ ابْنُ حَجَرٍ مُسْتَكْمَلًا بَيَانًا مَا خَالَفَ فِيهِ شَرِيكَ:**

**الحادي عشر:** رَجُوعُهُ بَعْدَ الْخَمْسِ، وَالْمَشْهُورُ فِي الْأَحَادِيثِ أَنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ أَمَرَهُ بِالرَّجُوعِ بَعْدَ أَنْ انْتَهَى التَّخْفِيفُ إِلَى الْخَمْسِ، فَامْتَنَعَ كَمَا سَأَبَيْتُ.

**الثاني عشر:** زِيَادَةُ ذِكْرِ التَّوَرِّ فِي الطُّسْتِ. وَقَدْ تَقَدَّمَ مَا فِيهِ.

فَهَذِهِ أَكْثَرُ مِنْ عَشْرَةِ مَوَاضِعَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ لَمْ أَرَهَا مَجْمُوعَةً فِي كَلَامٍ أَحَدٍ مِمَّنْ تَقَدَّمَ، وَقَدْ بَيَّنْتُ فِي كُلِّ وَاحِدٍ إِشْكَالًا مِنْ اسْتِشْكَالِهِ وَالْجَوَابُ عَنْهُ إِنْ أَمَكُنْ، وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ.

وَقَدْ جَزَمَ ابْنُ الْقَيْمِ فِي الْهَدْيِ بِأَنَّ فِي رِوَايَةِ شَرِيكَ عَشْرَةَ أَوهَامٍ لَكِنْ عَدَّ مَخَالَفَتَهُ لِمَحَالِّ الْأَنْبِيَاءِ أَرْبَعَةً مِنْهَا، وَأَنَا جَعَلْتُهَا وَاحِدَةً فَعَلَى طَرِيقَتِي تَزِيدُ الْعِدَّةُ ثَلَاثَةً، وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ. اهـ

**نقول:** إِنْ مَا خَالَفَ شَرِيكَ غَيْرَهُ فِيهِ يَنْقَسِمُ إِلَى قَسْمَيْنِ:

**القسم الأول:** مَا يُمَكِّنُ تَخْرِيجَهُ عَلَى وَجْهِ يُوَافِقُ الْآخَرِينَ.

**والثاني:** مَا لَا يُمَكِّنُ، فَيَقَالُ: إِنْ شَرِيكَ سَمَّاهُ لَمْ يَحْفَظْ، وَيُؤْخَذُ بِمَا عَلَيْهِ الْأَكْثَرُ. هَذِهِ هِيَ الْقَاعِدَةُ.

وَقَوْلُهُ: «لَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدِي» هَذَا فِي غَيْرِ الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ الَّتِي يُمَكِّنُ أَنْ تُنْسَخَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُزَكِّي قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٠١].

أَمَّا الْأَحْكَامُ الْجَزَائِيَّةُ الَّتِي وَعَدَهَا اللَّهُ ﷻ، فَإِنَّهَا لَا تَبْدَلُ، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي سُورَةِ (ق): ﴿مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلَ لَدِي وَمَا أَنَا بِظَلِيمٍ لَلْبَيِّنِ﴾ [ق: ٢٩].



ثُمَّ قَالَ الْبَحَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

## ٣٨- بَابُ كَلَامِ الرَّبِّ مَعَ أَهْلِ الْجَنَّةِ.

٧٥١٨- حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سُلَيْمَانَ، حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ قَالَ: حَدَّثَنِي مَالِكٌ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، فَيَقُولُونَ: لَيْسَ رَبُّنَا وَسَعْدُنَا، وَالْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ. فَيَقُولُ: هَلْ رَضِيتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: وَمَا لَنَا لَا نَرْضَى يَا رَبُّ وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ نَعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ؟ فَيَقُولُ: أَلَا أُعْطِيَكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُونَ: يَا رَبُّ وَآيَ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُ: أَجَلُ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي فَلَا أُسْخِطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا»<sup>(١)</sup>.

هذا الحديث فيه: إثبات كلام الرب ﷻ مع أهل الجنة، وإثبات الرضا لله، وانتفاء السخط على أهل الجنة.

أما كلام الله فقد سبق الكلام فيه.

وأما الرضا، فهو من الصفات الفعلية؛ لأنه يتعلّق بمشيئته سبحانه، وقد قلنا: إن كلّ صفة ذات سبب، فهي فعلية؛ لأنها مقرونة بسبب، والسبب حادث، فكل صفة من صفات الله مقرونة بفعل له سبب، فهي فعلية.

أما الرضا: فهل هو الإثابة والإعطاء، أو هو شيء آخر؟

**نقول:** هو شيء آخر، ولا يُحرّفه إلى الإثابة أو الإعطاء إلا من لا يُثبتون الصفات الفعلية لله ﷻ، ويحوّلون الصفة الفعلية إلى القدرة، أو الإرادة، أو المفعول.

\*\*\*

ثُمَّ قَالَ الْبَحَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٥١٩- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سِنَانٍ، حَدَّثَنَا فُلَيْحٌ، حَدَّثَنَا هَلَالٌ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَوْمًا يُحَدِّثُ وَعِنْدَهُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ: «أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ اسْتَأْذَنَ رَبَّهُ فِي الزَّرْعِ، فَقَالَ لَهُ: أَوَلَسْتَ فِيمَا شِئْتَ؟ قَالَ: بَلَى، وَلَكِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَزْرَعَ، فَأَسْرَعَ وَبَدَرَ، فَبَادَرَ الطَّرْفَ نَبَاتَهُ، وَاسْتَوَاوَهُ، وَاسْتَحْصَادَهُ، وَتَكْوِيرَهُ أَمْنَالِ الْجِبَالِ، فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: دُونَكَ يَا ابْنَ آدَمَ، فَإِنَّهُ لَا يُشْبِعُكَ شَيْءٌ». فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَا تَجِدُ هَذَا إِلَّا قَرَشِيًّا أَوْ أَنْصَارِيًّا، فَإِنَّهُمْ أَصْحَابُ زَرْعٍ، فَأَمَّا نَحْنُ فَلَسْنَا بِأَصْحَابِ زَرْعٍ، فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ.

قوله: «فبَادَرَ الطَّرْفَ نَبَاتَهُ». يعني: ينبت بسرعة ويستوي بسرعة، ويستحصد بسرعة، ويكور بسرعة، فيحصل ما في نفس هذا الزارع؛ لأن الله قال: ﴿وَفِيهَا مَا كَشَتَاهِ الْآتُفُسُ﴾. وإن كان هذا الزرع ليس كزرع الدنيا يبقى ستة أشهر أو نحوه.

وكنّا أتوقع أنّ هذا الأعرابي يقول للنبي ﷺ: وهل في الجنة من إبل؟ وأظن أنه قد ورد أن فيها

نَوْقًا مِنَ الذَّهَبِ، لَكِنِّي لَا أَذْكُرُهُ جِدًّا.  
ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٣٩- بَابُ ذِكْرِ اللَّهِ بِالْأَمْرِ، وَذِكْرِ الْعِبَادِ بِالْدَّعَاءِ وَالتَّضَرُّعِ وَالرِّسَالَةِ وَالْإِبْلَاحِ.  
لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ [التكوير: ١٠٢]. ﴿وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِم نَارًا تَنُورُ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَنْقُورُ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذِكْرِي بَيَانَتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ﴾ [٧١-٧٢]. غُمَّةٌ: هُمْ وَضِيقٌ. قَالَ مُجَاهِدٌ: اقْضُوا إِلَيَّ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ، يُقَالُ: افْرُقْ اقْضِ. وَقَالَ مُجَاهِدٌ: وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ: إِنْسَانٌ يَأْتِيهِ فَيَسْمَعُ مَا يَقُولُ. وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ فَهُوَ آمِنٌ حَتَّى يَأْتِيَهُ فَيَسْمَعُ كَلَامَ اللَّهِ، وَحَتَّى يَبْلُغَ مَا مَنَّهُ حَيْثُ جَاءَهُ النَّبَأُ الْعَظِيمُ: الْقُرْآنُ: صَوَابًا حَقًّا فِي الدُّنْيَا وَعَمَلٌ بِهِ.

قوله: «بَابُ ذِكْرِ اللَّهِ بِالْأَمْرِ، وَذِكْرِ الْعِبَادِ بِالْدَّعَاءِ وَالتَّضَرُّعِ وَالرِّسَالَةِ وَالْإِبْلَاحِ»؛ يَعْنِي: أَنَّ اللَّهَ ﷻ يَكُونُ كَلَامُهُ الْمُضَافُ إِلَيْهِ كَلَامَهُ بِنَفْسِهِ، وَأَمَّا الْعِبَادُ فَلَهُمُ الدَّعَاءُ، وَالتَّضَرُّعُ، وَالرِّسَالَةُ، وَالْإِبْلَاحُ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾ [التكوير: ١٠٢]؛ أَي: كَلَامَ اللَّهِ الْمُبْلَغُ مِنْ قَبْلِ التَّالِي وَلَيْسَ كَلَامَ اللَّهِ الَّذِي هُوَ فَوْقَ الْعَرْشِ ﷻ.

قوله: لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَأَشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [١٠٣]. وَقَدْ حَذَفَ الْمُؤَلِّفُ آخِرَ الْآيَةِ مَعَ أَنَّهُ كَانَ يَنْبَغِي أَنْ يَذْكُرَهَا؛ لِأَنَّ الشُّكْرَ لِلَّهِ هُوَ الْعِبَادَةُ.

وقوله: «اذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ». هَذَا شَرْطٌ وَجَوَابٌ. «فَاذْكُرُونِي» أَمْرٌ جَوَابُهُ: «أَذْكُرْكُمْ». وَهَذَا التَّرْكِيبُ عِنْدَ عُلَمَاءِ النَحْوِ فِيهِ قَوْلَانِ:

الْأَوَّلُ: أَنْ «أَذْكُرْكُمْ» جَوَابُ الْأَمْرِ.

وَالثَّانِي: أَنْ «أَذْكُرْكُمْ» جَوَابٌ لَشَرْطٍ مُقَدَّرٍ، تَقْدِيرُهُ: فَاذْكُرُونِي إِنْ تَذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ.

وَلَكِنْ الْقَوْلُ الْأَوَّلُ أَصَحُّ؛ لِأَنَّهُ: إِذَا دَارَ الْكَلَامُ بَيْنَ التَّقْدِيرِ وَعَدَمِهِ، فَالْأَوَّلَى عَدَمُ التَّقْدِيرِ، وَالْكَلامُ هُنَا يَسْتَقِيمُ بِلَا تَقْدِيرٍ.

وقوله: «اذْكُرُونِي» أَي: بِأَيِّ شَيْءٍ سِوَاءِ بِنَفْسِكُمْ، أَوْ بِالسَّيِّئِ، أَوْ بِجَوَارِحِكُمْ، قَالَ تَعَالَى فِي الْحَدِيثِ الْقُدْسِيِّ: «مَنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتَهُ فِي نَفْسِي، وَمَنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَأٍ ذَكَرْتَهُ فِي مَلَأٍ خَيْرَ مِنْهُمْ». إِذَا فَكَّرْتَ تَظِلُّ سَاعَةٌ مِنَ اللَّيْلِ أَوْ النَّهَارِ تَتَأَمَّلُ وَتَتَفَكَّرُ فِي الرَّبِّ ﷻ، وَفِي أَسْمَائِهِ، وَصِفَاتِهِ، وَفِي آيَاتِهِ الْكُونِيَّةِ وَالشَّرْعِيَّةِ فَإِنَّ هَذَا يُعْتَبَرُ ذِكْرًا.

وَكُونُكَ تَنْطِقُ بِلِسَانِكَ: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ فَهَذَا ذِكْرٌ.

وَكُونُكَ تُثْنِي عَلَى اللَّهِ ﷻ بِنِعْمَةٍ عِنْدَ جَمَاعَةٍ مِنَ النَّاسِ، فَهَذَا أَيْضًا ذِكْرٌ.

وَكُونُكَ تَقُومُ بِطَاعَتِهِ بِالْجَوَارِحِ بِالرُّكُوعِ، وَالسُّجُودِ، وَالْقِيَامِ، وَالْقُعُودِ رَنِيرَ ذَلِكَ، فَهَذَا أَيْضًا ذِكْرٌ.



فَاللَّهُ يَقُولُ: ﴿فَأَذْكُرُوا فِي آذَانِكُمْ﴾. والجزاء من جنس العمل.

❦ قوله: ﴿وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ﴾. أي: يا محمد: ﴿تَبَا نُوْحٌ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ﴾. النَّبَأُ هُوَ الْخَبَرُ الْهَامُّ، وَنُوْحٌ أَوَّلُ الرُّسُلِ، ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ﴾ «إِذْ» مُتَعَلِّقَةٌ بِنَبَأٍ؛ أَيْ: نَبَأُهُ فِي هَذِهِ الْحَالِ.

❦ قوله: ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَنْقُورُ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذَكَّرِي بِآيَاتِ اللَّهِ﴾. يَعْني: عَظُمَ عَلَيْكُمْ وَشَقَّ عَلَيْكُمْ: ﴿فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمَعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ﴾. وَهَذِهِ قُوَّةٌ عَظِيمَةٌ، وَتَحَدُّ عَظِيمٌ، يَقُولُ: إِنْ كَانَ الْأَمْرُ قَدْ كَبُرَ عَلَيْكُمْ، وَعَظُمَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي بَيْنَكُمْ، وَتَذَكَّرِي إِيَّاكُمْ بِآيَاتِ اللَّهِ، فَأَنَا مُتَوَكِّلٌ عَلَى اللَّهِ، مُعْتَمِدٌ عَلَيْهِ، وَآتِي بِهِ جَمْعًا، وَأَنْتُمْ لَا تَهْمُونِي، ﴿فَأَجْمَعُوا أَمْرَكُمْ﴾ أَيْ: اعْزَمُوهُ وَجَدُّوا فِيهِ، (وَاجْمَعُوا شُرَكَاءَكُمْ) وَلِهَذَا نَقُولُ: الْوَائِ حَرْفُ عَطْفٍ وَشُرَكَاءُ مَفْعُولٌ لِفِعْلِ مَحذُوفٍ تَقْدِيرُهُ: وَاجْمَعُوا شُرَكَاءَكُمْ، وَلَا يَصِحُّ أَنْ يَكُونَ مَعْطُوفًا عَلَى أَمْرٍ؛ لِأَنَّ الْمَعْنَى يَفْسُدُ بِلِ الْمَعْنَى: أَجْمَعُوا أَمْرَكُمْ مَأْخُوذٌ مِنَ الْإِجْمَاعِ وَهُوَ الْعَزْمُ، وَاجْمَعُوا شُرَكَاءَكُمْ؛ يَعْني: اجْعَلُوا الْأَمْرَ جَدًّا لَا هَزْلًا، وَاجْمَعُوا شُرَكَاءَكُمْ؛ أَيْ: كُلٌّ مِنْ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ، وَكُلٌّ مِنْ شَارِكِكُمْ فِي مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْكُفْرِ.

❦ قوله: ﴿ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً﴾ يَعْني: اتَّوَا إِلَى بَيْصِرَةٍ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ قَدْ تَحَدَّاهُمْ ﷺ بَعْدَهُ أُمُورٌ:

**أَوَّلًا:** أَنْ يَعْزَمُوا إِلَى طَلَبِهِ وَيُؤْخَذَ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿فَأَجْمَعُوا أَمْرَكُمْ﴾.

**الثَّانِي:** أَنْ يَجْتَمِعُوا بِلا تَفَرِّقٍ، وَيُؤْخَذَ مِنْ قَوْلِهِ: (وَاجْمَعُوا شُرَكَاءَكُمْ).

**الثَّالِثُ:** أَنْ يَتَّانُوا بِلا عَنَاءٍ؛ لِقَوْلِهِ: ﴿ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً﴾ يَعْني: اتَّوَا بَتَانٌ وَتَبَصَّرَ.

وَسُبْحَانَ اللَّهِ يَقُولُ هَذَا الْكَلَامَ وَهُوَ وَحِيدٌ؛ لِأَنَّهُ أَوَى إِلَى رَكْنٍ شَدِيدٍ فَقَدْ أَوَى إِلَى اللَّهِ فَإِنَّهُ أَوَّلُ مَا قَدَّمَ قَالَ: فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ.

❦ قوله: ﴿ثُمَّ أَقْضُوا إِلَيْكَ وَلَا تُنْظِرُونِ﴾ (٧١)؛ أَيْ: لَيْكُنْ قَضَاؤُكُمْ عَلَيَّ بِسُرْعَةٍ، وَلَا تَهْمَلُونِي. يَقُولُ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ: إِنْ هَذَا يُعْتَبَرُ آيَةً أَوْتِيَهَا نُوْحٌ؛ لِأَنَّ كَوْنَهُ يَتَحَدَّى هَذَا التَّحَدِّيَ لِقَوْمِهِ وَهُوَ وَحِيدٌ، وَمَعَ أَنَّهُمْ عَجَزُوا أَنْ يُدَبِّرُوا مَا تَحَدَّاهُمْ بِهِ، فَإِنَّ ذَلِكَ يُعْتَبَرُ آيَةً؛ لِأَنَّهُ ﷺ لَمْ يُذَكَّرْ لَهُ آيَةٌ مُعِينَةٌ تَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ، فَصَالِحٌ مِثْلًا لَهُ آيَةٌ، وَكَذَلِكَ مُوسَى، وَكَذَلِكَ عِيسَى، أَمَّا نُوْحٌ فَإِنَّهُ لَمْ يُذَكَّرْ لَهُ آيَةٌ مُعِينَةٌ، لِذَلِكَ فَإِنَّ مِثْلَ هَذَا الْكَلَامِ الَّذِي قَالَ، وَصَبْرَهُ عَلَى قَوْمِهِ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا، يُعْتَبَرُ آيَةً مِنْ آيَاتِ اللَّهِ.

❦ قوله: ﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُمْ مِنْ أَجْرٍ﴾. يَعْني: إِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّ ذَلِكَ لَا يَضُرُّنِي؛ لِأَنَّ إِيْمَانَكُمْ بِي لَا يَعْني أَنْتُمْ تَعْطُونَنِي أَجْرًا: ﴿إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ﴾؛ أَيْ: أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَهُوَ ثَوَابُ الْآخِرَةِ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ مِنْ ثَوَابِ الدُّنْيَا.

❦ قوله: ﴿وَأَمَرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (٧٢)؛ أَيْ: أَمِيرٌ - وَهُوَ نَبِيٌّ - أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَالْإِسْلَامُ وَصْفٌ يَشْتَرِكُ فِيهِ الْأَنْبِيَاءُ وَاتَّبَاعُهُمْ بِإِحْسَانٍ، فَكُلُّهُمْ مُسْلِمُونَ، لَكِنْ هُنَاكَ فَرْقٌ بَيْنَ إِسْلَامِ الْأَنْبِيَاءِ وَإِسْلَامِ الْآتِبَاعِ، فَإِسْلَامُ الْأَنْبِيَاءِ أَقْوَى لَا شَكَّ، لَكِنْهُمْ يَشْتَرِكُونَ فِي كَوْنِ كُلِّ مِنْهُمَا مُسْلِمًا.

❦ قوله: «غُمَّةٌ». هُمْ وَضِيقٌ؛ يَعْني بِذَلِكَ قَوْلَهُ: ﴿ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً﴾ وَالْمَعْنَى الَّذِي

ذَكَرَهُ لَهُ وَجْهٌ، لَكِنْ مَا ذَكَرْنَاهُ أَحْسَنُ؛ يَعْنِي: لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ فِيهِ تَعْمِيَةً كَمَا يُقَالُ: غَمَّ الْهَلَالُ. إِذَا اسْتَرَّ فَلَمْ يَر. وَالْمَعْنَى: اتَّوَا عَلَى بَصِيرَةٍ وَتَأَنٍّ، لَكِنْ مَا قَالَهُ الْمُؤَلِّفُ لَا بِأَسْ بِهِ.

«قَالَ مُجَاهِدٌ: اقْضُوا إِلَيَّ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ»، وَالَّذِي فِي أَنْفُسِهِمْ هُوَ الْقَضَاءُ عَلَيْهِ؛ أَيُّ: أَهْلِكُونِي وَاقْتُلُونِي، لَكِنْهُمْ مَا اسْتَطَاعُوا إِلَى هَذَا سَبِيلًا.

ثُمَّ قَالَ: «افْرُقْ: اقْضِ».

**قَالَ الْحَافِظُ فِي «الْفَتْحِ» (١٣/٤٩٠):**

❖ وَأَمَّا قَوْلُهُ: «افْرُقْ: اقْضِ». فَمَعْنَاهُ أَظْهَرَ الْأَمْرَ وَافْصَلَهُ بِحِثِّ لَا تَبْقَى شَبْهَةٌ.

وَفِي بَعْضِ النُّسخِ يُقَالُ: افْرُقْ اقْضِ. فَلَا يَكُونُ مِنْ كَلَامِ مُجَاهِدٍ، وَيُؤَيِّدُهُ إِعَادَةُ قَوْلِهِ بَعْدَهُ: وَقَالَ مُجَاهِدٌ. أَهْ

لَكِنْ لَيْسَ افْرُقْ، فَهُوَ لَوْ قَالَ: اقْضِ افْرُقْ. كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَأَفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾.

❖ يَعْنِي: افْصِلْ بَيْنَنَا لَكَانَ أَوَّلَى.

❖ قَوْلُهُ: وَقَالَ مُجَاهِدٌ: مُجَاهِدٌ هُوَ إِمَامُ التَّابِعِينَ فِي التَّفْسِيرِ، وَقَدْ أَخَذَ تَفْسِيرَهُ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه.

❖ قَوْلُهُ: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ﴾. وَفِي قَوْلِهِ: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ﴾

مَشْكَلَةٌ وَهِيَ: كَيْفَ دَخَلَتْ «إِنْ» الشَّرْطِيَّةُ عَلَى أَحَدٍ وَهُوَ اسْمٌ؟

**نَقُولُ:** قَدْ خَرَّجَهَا عُلَمَاءُ النُّحُوِّ عَلَى الْوَجْهِ التَّالِيَةِ:

**أَوَّلًا:** أَنَّهُ لَا مَانِعَ مِنْ أَنْ يَلِيَ الْأِسْمَ حَرْفُ الشَّرْطِ، وَعَلَى هَذَا الْقَوْلِ يَكُونُ قَوْلُهُ: «أَحَدٌ» مَبْتَدَأً، وَ«اسْتَجَارَكَ» خَبَرُهُ، وَ«فَأَجِرْهُ» جَوَابُ الشَّرْطِ وَهَذَا مَذْهَبُ الْكُوفِيِّينَ.

وَنُظِيرُ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾ (١)، يَقُولُونَ: «السَّمَاءُ» مَبْتَدَأٌ، وَ«انْشَقَّتْ» خَبَرُهُ.

**وَالْقَوْلُ الثَّانِي:** أَنَّ «أَحَدٌ» فَاعِلٌ مُقَدَّمٌ، وَأَنَّهُ لَا بِأَسْ بِتَقْدِيمِ الْفَاعِلِ. وَعَلَى هَذَا تَكُونُ الْجُمْلَةُ فَعْلِيَّةً، وَيَكُونُ التَّقْدِيرُ: وَإِنْ اسْتَجَارَكَ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ. لَكِنْ قَدِمْتُ أَحَدٌ، فَقِيلَ: «وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ». وَهَذَا أَيْضًا مَذْهَبُ الْكُوفِيِّينَ.

وَعَلَى هَذَا فَقَوْلُكَ: زَيْدٌ قَامَ. يَكُونُ زَيْدٌ فَاعِلًا مُقَدَّمًا، وَقَامَ فَعْلٌ مَاضٍ، وَلَيْسَ فِيهِ ضَمِيرٌ.

**وَالْقَوْلُ الثَّالِثُ:** هُوَ قَوْلُ الْبَصْرِيِّينَ - وَهُمْ فِي الْغَالِبِ مُتَشَدِّدُونَ - يَقُولُونَ: «أَحَدٌ» فَاعِلٌ لِفَعْلٍ مَحْذُوفٍ يُقَسَّرُهُ مَا بَعْدَهُ، وَالتَّقْدِيرُ: «وَإِنْ اسْتَجَارَكَ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ».

وَالْمَبْتَدِئُونَ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ يَقُولُونَ: التَّقْدِيرُ: وَإِنْ اسْتَجَارَكَ أَحَدٌ اسْتَجَارَكَ. وَهَذَا غَلَطٌ؛ لِأَنَّهُ لَا يُجْمَعُ الْمُقَسَّرُ وَالْمُقَسَّرُ، فَأَنْتَ إِذَا أَرَدْتَ التَّقْدِيرَ تَقُولُ: التَّقْدِيرُ: وَإِنْ اسْتَجَارَكَ أَحَدٌ، وَلَا تَأْتِي بِاسْتَجَارَكَ؛ لِأَنَّهُ لَا يُجْمَعُ بَيْنَ الْمُقَسَّرِ وَالْمُقَسَّرِ مِنْ وَجْهِ، لِأَنَّكَ إِذَا قُلْتَ: وَإِنْ اسْتَجَارَكَ أَحَدٌ اسْتَجَارَكَ. ظَنَّ السَّمَاعُ أَنَّ الثَّانِيَةَ جَوَابُ الشَّرْطِ وَهَذَا غَلَطٌ.

وَعَلَى كُلِّ حَالٍ: نَحْنُ لَدَيْنَا قَاعِدَةٌ دَلَّ عَلَيْهَا الْقُرْآنُ وَالسُّنَّةُ وَهِيَ أَنَّ تَبَعَ الْأَيْسَرِ مِنْ أَقْوَالِ النُّحَوِيِّينَ؛ لِأَنَّنَا لَا نَأْتُمُّ بِذَلِكَ، الدَّلِيلُ مِنَ الْقُرْآنِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿رَبِّدْ اللَّهُ بِكُمْ الْأَيْسَرَ﴾ (النِّسَاءُ: ١٨٥). وَالدَّلِيلُ مِنَ السُّنَّةِ: «مَا خَيْرُ النَّبِيِّ



بَيْنَ شَيْئَيْنِ إِلَّا اخْتَارَ أَسْرَهُمَا - بشرط - ما لم يكن إثماً ونحن نقول: إن شاء الله ليس علينا إثم، إذا كان الكلام لا يتغير به المعنى، فإننا نتبع الأسهل.

وقوله: «استجارك»؛ أي: طلب الجوار، والجوار؛ يعني: المنع والحماية.

❖ قوله: «فأجره حتى يسمع كلام الله». يعني: لو قال رجل من الكفار الحريين: أجبروني حتى أسمع القرآن لعلني أنتفع به. فالواجب علينا أن نجبره حتى يسمع كلام الله، فإذا سمع وكان له قلب وإن لم يكن مسلماً فستذكر؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ۝﴾ [٢٧: ٢٧].

فإذا سمع كلام الله وقال: أريد أن أزعج فهل نقول: لا ترجع. بل لابد أن تؤمن وإلا قتلناك؛ لأنك تلعب بنا؟

**الجواب:** لا. قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَلْقَاهُ مَأْمُتَهُ﴾ [البقرة: ٦١]. انظر إلى معاملة الإسلام لغير أهله، أي: إلى المكان الذي يأمن فيه وهو أرضه، فنقول: نردك إلى مأمئك، فإن اهتديت فسنجذك، وإن لم تهتد فالحرب بيننا وبينك.

❖ قوله: «قال مجاهد: إنسان يأتيه فيستمع ما يقول، وما أنزل عليه، فهو آمن حتى يأتيه فيسمع كلام الله، وحتى يبلغ مأمنه حيث جاءه». أي: من المكان الذي جاء منه.

❖ قوله: «النبأ العظيم» القرآن. يشير بذلك إلى قوله تعالى: ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ۝ عَنِ النَّبَاِ الْعَظِيمِ ۝ الَّذِي هُوَ فِيهِ يُخْلِفُونَ ۝﴾ [البقرة: ١-٣]. أو إلى قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ ۝ أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ۝﴾ [البقرة: ٦٧-٦٨]. وسواء هذا أو هذا فالمعنى واحد، والظاهر أنه يريد ما في سورة «النبأ»؛ لقوله بعده: صواباً حقاً، إشارة إلى قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا ۝﴾ [البقرة: ٣٨].

❖ قوله: «حقاً في الدنيا وعمل به». يعني: يسمع القرآن في الدنيا ويعمل به، أو قال صواباً. يعني: حقاً في الدنيا وعمل به؛ أي: بالحق في الدنيا؛ لأنه إذا عمل حقاً في الدنيا؛ فإنه يكون من أهل الشفاعة فيؤذن له.

والمؤلف لم يذكر حديثاً في هذا الباب، ولعله لم يجد حديثاً على شرطه يتعلّق بهذا الباب.

والحاصل في هذا الباب أن الأمر من الله، والدعاء والعبارة من المخلوقين، والرسالة والإبلاغ على الرسل، قال تعالى: ﴿فَاتِّمِمْنَا عَلَيْكَ الْبَلْغَ﴾ [البقرة: ٢٠]. ﴿فَاتِّمِمْنَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلْغَ الْمُبِينُ ۝﴾ [البقرة: ١٢]. والعلماء هم ورثة الأنبياء فيجب عليهم أن يبلغوا ما وجب على الرسل أن يبلغوا، وأما الهداية فإلى الله، فعليك أن تبلغ الشرع فإن اهتدى الناس فهذا لك ولهم، وإن لم يهتدوا فلك وعليهم.

ثُمَّ قَالَ الْبَحَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٤٠ - باب قول الله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا﴾ [البقرة: ٢٢]. وقوله جل ذكره: ﴿وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنفال: ١٩]. ﴿وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحِطَنَّ عَنْكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [بل الله فاعبد وكن من الشكرين] [١٦٦-١٦٥]. وقوله: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ [الأنفال: ١٦٨]. وقال عكرمة: وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون. ولئن سألتهم من خلقهم ومن خلق السموات والأرض ليقولن الله فذلك إيمانهم وهم يعبدون غيره.

وما ذكر في خلق أفعال العباد وأكسابهم لقوله تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا﴾ [الأنفال: ١٦٨]. وقال مجاهد: ما تنزل الملائكة إلا بالحق: بالرسالة والعذاب، ليسأل الصادقين عن صدقيهم: المبشرين المؤدبين من الرسل. وإننا له لحافظون عندنا. والذي جاء بالصدق: القرآن، وصدق به المؤمن. يقول يوم القيامة: هذا الذي أعطيتني عملت بما فيه.

قوله: باب قول الله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا﴾. وهذا الباب يتعلّق بتوحيد الأسماء والصفات، ويتعلّق بتوحيد العبادة، وتوحيد الربوبية.

فقوله: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا﴾؛ أي: نظراء ندًا لله، فيكون فيه ردٌّ على أهل التمثيل، وهذا يتعلّق بتوحيد الصفات، وردٌّ على عبّاد الأصنام، وهذا يتعلّق بتوحيد العبادة، وردٌّ على من زعموا أن للعالم خالقين، فيتعلّق بتوحيد الربوبية.

فإن قال قائل: وهل في الآية ردٌّ على أهل التعطيل؟

**فالجواب:** نعم، مع أن أهل التعطيل لا يمثلون، لكن نقول: نعم فيها ردٌّ على أهل التعطيل؛ لأن أهل التعطيل بنوا تعطيلهم على فهم خاطي وهو التمثيل، فمثلوا أولاً وعطلوا ثانياً؛ لأنهم مثلاً فهموا من إثبات اليد أنها يد كأيدي المخلوقين، وهذا تمثيل، ثم قالوا: وبناءً على ذلك يجب أن نفسر اليد بالقدرة، فعطلوا، ولهذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية: كل واحد من فريقَي التعطيل والتمثيل جامع بين التعطيل والتمثيل، فالمعطل ممثّل معطل، والممثل معطل ممثّل.

وتمثيل المعطل حصل بأنه مثل أولاً وعطل ثانياً. ونقول في الممثل: إنك معطل؛ لأنك عطلت النصوص الدالة على أن الله ليس كمثله شيء، فكل نص يدل على نفي التمثيل فالممثل قد عطله.

**الثاني:** أنك قد عطلت الله من كماله الواجب<sup>(١)</sup>؛ لأن تمثيل الخالق بالمخلوق نقص.

**الثالث:** أنه عطّل نفس النص الذي أثبت به الصفة؛ لأن النص الذي أثبت به الصفة لا يدل على صفة المماثلة للمخلوقين، بل يدل على صفة مضافة إلى رب لا يماثل المربوب.

فصار الآن كل ممثل معطل من ثلاثة أوجه؛ لأنه مثل أولاً وعطل ثانياً. فكل منهما قد جعل الله أنداداً.

(١) انظر: «مجموع الفتاوى» (١٣/ ١٦٤-١٦٧).



❖ قوله: وقوله جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿وَيَعْمَلُونَ لَهُمْ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ١﴾. هذا معطوف على قوله تعالى: ﴿قُلْ أَنتُمْ كُفَرَاءُ لِمَن كَفَرُوا بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَيَعْمَلُونَ لَهُمْ أَندَادًا﴾ [الأنعام: ١٠٠] وهو عَجَلٌ لا ندَّ له، ﴿ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ١﴾. وأين الند الذي يكون ربًّا للعالمين؟ لا يوجد. إذا فأنتم كاذبون في جعل الأنداد لله.

❖ قوله: وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾. لا يدعون مع الله إلها آخر دعاء مسألة أو دعاء عبادة.

لكن دعاء المسألة فيما يُمكن أن يجيب الإنسان ويفعل جائز، فلو دعوت إنسانًا وقلت: تعال واحمل معي هذا المتاع. فهذا جائز.

أما دعاء العبادة فلا يجوز بوجه من الوجوه إلا لله.

❖ قوله: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِن أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ٥٦﴾. قوله: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَىٰ﴾. هذه الجملة مؤكدة بثلاث مؤكدات هي: اللام والقسم المضمّر وقد، وهذه تأتي في القرآن كثيرًا.

❖ قَالَ سبحانه: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِن أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾. قوله: ﴿لَئِن أَشْرَكَتَ﴾. هل الموحى لمن قبله أنه قيل له: لئن أشرك محمدٌ ليحبطن عمله؟  
**الجواب:** لا، بل قد أوحى إلى كل واحد قليل له: لئن أشركت ليحبطن عملك، فالجملة موزعة على كل واحد منهم، وليست للرسول فقط.

وهذه الآية فيها إشكال وهو: كيف يقال للرسول ﷺ: ﴿لَئِن أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ٥٦﴾؟  
قَالَ بعض العلماء: المراد: لئن أشركت أمّتك ليحبطن عملك. أما هو فلا يُشرك، ونظيره هذا قول من قَالَ: ﴿وَأَسْتَغْفِرُ لِدُنْيَاكَ﴾ [البقرة: ٥٥] أي: لذنب أمّتك، أما هو فلا يُذنب.

وهذا كما يتضح جواب ليس بصحيح؛ لأن الخطاب قد جاء نصًّا: ﴿لَئِن أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾. والجواب الصحيح أنه لا يلزم من تعليقه بالشرط أن يقع المشروط، ونظيره قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَالَمِينَ ٨١﴾ [الأنعام: ٨١]. ولا يُمكن أن يكون للرحمن ولدٌ، فالتعليق بالشرط لا يلزم منه وقوع المشروط.

فهنا «إن» شرط، والمشروط «أشركت»، وجواب الشرط «ليحبطن عملك». نعم إن أشرك حبط عمله، لكن هل معنى ذلك أنه سيشرك؟

**الجواب:** لا.

ونظيره ذلك: إذا قلت لشخص: إن قتلت زيدًا قتلناك. فهل يلزم أن يقتل زيدًا؟

**الجواب:** لا يلزم، بل قد يكون ممتنعًا، كما كان الشرك في حق الرسول ﷺ ممتنعًا. وهذا الجواب ليس فيه إشكال ولا تعقيد.

❖ قوله ﷺ: ﴿بِإِلَهِ اللَّهِ فَاعْبُدْ﴾. وهذا هو الشاهد حيث خصَّ العبادة بالله، ووجه الاختصاص

هو تقديمُ المفعولِ الذي هو «الله».

ولهذا قَالَ المعربون في الفاءِ في قوله ﴿فَاعْبُدْ﴾: إنها زائدةٌ لتحسينِ اللفظِ، وأن أصلَ التركيبِ: بل الله اعبد. لكن من أجلِ تحسينِ اللفظِ زِيدَتْ الفاءُ، كما زِيدَتْ في قولهم: فقط. بمعنى: قط؛ لتحسينِ اللفظِ، فقولك: أعط فلاناً مئةَ درهمٍ فقط. كقولك: أعط فلاناً مئةَ درهمٍ قط.

وعلى هذا فالآيةُ فيها دليلٌ على أن الله وحده جَعَلَهُ هو المختصُّ بالعبادة، وأنه لا يُعْبَدُ أحدٌ سواه، لا ملكٌ مقربٌ، ولا نبيٌّ مرسلٌ.

❖ قوله: ﴿وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾. أي: الشاكرين الله على نعمه، ومن أكبرِ النعمِ أن يُوفِّقَكَ الله وَجَعَلَ لعبادتهِ وحده.

❖ قوله: «وقال عكرمة: وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون ولئن سألتهم من خلقهم ومن خلق السموات والأرض ليقولن الله فذاك إيمانهم وهم يعبدون غيره». وقد فسّر عكرمة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ هذه الآيةَ تفسيراً واضحاً جداً، فقوله: وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون، الإيَّانُ الذي آمنوا فيه هو الإيَّانُ بالربوبية، والشرك الذي أشركوا به هو الإشراكُ في الألوهية.

واستدلَّ عكرمةُ بكونهم مؤمنين بالربوبية بقوله: ﴿وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [الأنعام: ٨٧]. ﴿وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [الشورى: ٢٥]. والمؤلفُ ما ساق الآيةَ على أنها آيةٌ، بل ساقها على أنها من قولِ عكرمة؛ يَعْنِي: أن هؤلاء يقرّون بالربوبية، وأن خالقَ السموات والأرضِ وخالقهم هو الله لكنهم يعبدون غيره وهذا شركهم.

كذلك أيضاً يوجد من غير هؤلاء من يؤمن بالله وهو مشركٌ، فمن كان همُّه المالُ فهو مؤمنٌ بالله مشركٌ؛ لأن الرسول ﷺ قَالَ: «تَعَسَّ عَبْدُ الدُّنْيَا، تَعَسَّ عَبْدُ الدَّرْهِمِ، تَعَسَّ عَبْدُ الْخَمِيصَةِ، تَعَسَّ عَبْدُ الْخَمِيلَةِ، إِنْ أُعْطِيَ رُضِيَ وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ»<sup>(١)</sup> فسماء الرسول عبداً، فالذي يؤثّر المالُ على الأعمالِ الصالحةِ وإن عملها يعتبر مشركاً، عابداً لها، كما قَالَ النَّبِيُّ ﷺ، فهذا نقولُ في حقّه: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ [البقرة: ١٧٠].

ومن ذلك: من تقلّد وترا، أو علّقَ تيممةً محرمةً، فهذا أيضاً نقولُ له: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾.

❖ ثم قَالَ البخاريُّ: وما ذُكِرَ في خلقِ أفعالِ العبادِ وأكسابهم؛ لقوله تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا﴾. وذكر هنا خلقَ الأفعالِ لأن من أهلِ القبلةِ مَنْ أشركَ في خلقِ الأفعالِ وهم القدرية، فقالوا: إن الإنسانَ خالقٌ لعمله، وخالقٌ لكسبه. فأخرجوا قسماً من الحوادثِ عن خلقِ الله ﷻ، وقالوا: إن كلَّ أفعالِ الناسِ،



والمواشي، وغيرها، خارجة عن خلق الله، ولهذا ساءهم النَّبِيُّ ﷺ: «مجوسُ هذه الأمة»؛ لمشابهمهم بالمجوس المشركين؛ لأن المجوس المشركين يقولون: إن الحوادث لها خالقان هما: الظلمة والنور، فالشرُّ خالقه الظلمة، والخير خالقه النور. وهؤلاء القدرية يقولون: الحوادث التي تكون في الكون منها ما يخلقه الله وهو فعله، ومنها ما يخلقه غير الله وهو فعل العباد.

ولهذا ذكر المؤلف هذه المسألة -خلق أفعال العباد- في باب لا تجعلوا لله أنداداً، ردّاً على المعتزلة الذين قالوا: إن الإنسان خالق عمله وكسبه، فيكونون بذلك مشركين جاعلين لله أنداداً.

فلو قال قائل: ما هو الدليل على أن الله خالق لأفعال العباد؟

قلنا: استدلل البخاري رحمه الله بقوله تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ نَقْدِيرًا﴾ فقال سبحانه: خلق كل شيء وأفعال العباد شيء فقد خلق في العموم.

وقوله: ﴿فَقَدَرَهُ نَقْدِيرًا﴾. هل المراد بالتقدير التقدير الأول وهو القضاء، أو المراد به التسوية؟

إذا قلنا: إنه التقدير الأول الذي قدره الله في الأزل أشكل علينا الترتيب في قوله: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ﴾. أي: أننا إذا قلنا في قوله تعالى: ﴿فَقَدَرَهُ نَقْدِيرًا﴾؛ يعني: قدره في الأزل قبل الخلق، أشكل علينا الترتيب في قوله: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ نَقْدِيرًا﴾.

قال العلماء: إن هذا من باب الترتيب الذكري؛ يعني: أخرنا تقدير ذكرنا وإن كان سابقاً وهذا يُسمى الترتيب الذكري لا الواقعي، والترتيب الذكري موجود في اللغة العربية، وموجود في القرآن، يقول الشاعر:

إِنَّ مَنْ سَادَ ثُمَّ سَادَ أَبُوهُ  
ثُمَّ مَنْ بَعْدَ ذَلِكَ جَدُهُ<sup>(١)</sup>

ومعلوم أن سيادة الجد سابقة على سيادة الأب، وسيادة الأب سابقة على سيادة الابن، لكن هذا من باب الترتيب الذكري.

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا﴾ [الأنعام: ١١]. فهذه الآية أيضاً فيها ترتيب ذكري، ذلك إن لم نقل: إن المراد بقوله خلقناكم؛ أي: خلقنا أباكم، ثم صورنا أباكم، فإن قيل: هذا هو معناها فالترتيب على ما هو.

القول الثاني: إن التقدير في قوله تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ﴾. بمعنى التسوية. فقوله: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ﴾. أي: جعله على قدر معلوم وسواه؛ لقوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى﴾ [الأنعام: ٢]. وعلى هذا الوجه يكون الترتيب واقعياً ولا إشكال فيه.

(١) رواه أبو داود في سننه (٤٦٩١)، وابن ماجه في «سننه» (٩٢). وقال الشيخ الألباني رحمه الله في تعليقه على سنن أبي داود وابن ماجه: حسن.

(٢) البيت لأبي نواس في «ديوانه» (٣٥٥/١)، و«خزانة الأدب» (٣٧/١١)، (٤١/٤٠)، و«الدرر» (٩٣/٦)، وبلا نسبة في «الجنبي الداني» (ص ٤٢٨)، و«جواهر الأدب» (ص ٣٦٤).

والشاهد أن الله خالقُ أفعالِ العباد؛ لأن الله خالقُ كل شيء.

وهنا قد يُشكَّلُ على الإنسان كيف يكونُ الله خلقُ أفعالِ العباد مع أن الفعلَ فعلُ العبد، فالمصلي هو العبد، والصائم هو العبد، والقائم هو العبد، والأكَل هو العبد، والشارب هو العبد، والمتخلي هو العبد، والمتوضئ هو العبد، فكيف يكونُ هذا خلقاً لله ﷻ؟

**فالجوابُ أن يقال:** وجهُ ذلك أن فعلَ العبدِ ناشئ عن أمرين:

إرادةٌ جازمةٌ وقدرةٌ، إذ لولا الإرادة لم يفعلْ لعدم الإرادة، ولولا القدرة لم يفعلْ للعجز، فمن الذي خلقَ إرادته وقدرة؟

**فالجوابُ:** الله، وخالقُ السببِ التامِّ خالقٌ للمسببِ، فهذا وجهُ كونِ أفعالنا مخلوقةً لله وذلك أن أفعالنا ناشئة عن الإرادة والقدرة، والذي خلقَ الإرادة والقدرة هو الله، فما نشأ عنهما فهو خلقُ الله لأن خالقَ السببِ التامِّ خالقٌ للمسببِ.

فإن قيل: إذا كان هذا خلقُ الله فكيف يعذبنا الله على فعله؟

**نقول:** إن هذا خلقُ الله وليس فعله، بل الفعلُ فعلنا، فالأكَل نحن، والشارب نحن، والمصلي نحن، والصائم نحن، وهلمَّ جراً، فهو فعلنا ويضافُ إلينا، وهو خلقُ الله ﷻ، فال مباشرُ هو الإنسان، ولهذا يُجَارَى على عمله؛ لأنه مباشرٌ له، والخالقُ باعتبارِ السببِ التامِّ هو الله ﷻ، وهذا أمرٌ لا إشكالَ فيه.

لكن لما ضاق بطانُ القدرة والجبرية عن الجمعِ بينَ المنقولِ والمعقولِ، ذهبَت الجبريةُ إلى المنقولِ، وذهبتِ القدرةُ إلى المعقولِ.

فالجبرية أخذوا بنصوص العموم في القضاء والقدر، وقالوا: ليس للإنسان أي قدرة، أو أي قوة، أو أي إرادة، والإنسان مسكينٌ مُسَيَّرٌ مُكْرَهٌ مُرْعَمٌ، فالذي ينزلُ من السطحِ في الدرجِ رويداً رويداً، كالذي يُلْقَى من السطحِ بغيرِ اجتهاده.

فهذا عقلاً ليس بصحيحٍ يقولون: هذا هو الشرع؛ لأن الكلَّ بقضاءِ الله وقدره، والإنسانُ مجبورٌ.

قيل لهم: على تقديرِكم هذا يكونُ الله ﷻ ظالماً لعباده؛ حيث أجبرهم على فعلِ المعصية ثم عاقبهم عليها، وهل هذا إلا عينُ الظلمِ.

فلو قلتَ لولدك مثلاً: كُلْ هذا الخبزَ وهذا الإدام - وأنت قد هيأته للضيوف - فقال: يا أباي هذا طعامُ الضيوفِ. فقلتَ له: كُلْ وإلا ضربتُكَ أو قطعتُ رأسكَ، وأجبرته حتى أَكَلَ ثم لَمَّا أَكَلَ ضربته وقلتَ له: لماذا أَكَلْتَ طعامَ الضيوفِ؟

فهذا ظلمٌ واضحٌ.

ف قيل لهم: إذا قلتم: إن الله مُجبر الإنسان على عمله ثم يعمل المعصية قهراً ثم يعاقب عليها هذا ظلم!

فقالوا: إن الله له ملكُ السمواتِ والأرضِ، والبالِكُ المطلقُ يتصرفُ في ملكه كما يشاء، ولا يتصورُ الظلمُ في حقِّه؛ لأنه تصرفُ في ملكه، والمتصرفُ في ملكه ليس بظالمٍ، وقالوا: إن الظلمَ في حقِّ



الله مستحيل لعينه.

وفي ذلك قَالَ ابنُ القيمِ في النونية.

\*والظلمُ عندهمُ المحالُ لذاته<sup>(١)</sup> \*

قالوا: فالظلمُ أن تَصَرَّفَ في حقِّ غيرِكَ، أما التصرفُ في حقِّك فليس بظلم. وهؤلاء نقولُ لهم: بل إن هذا ظلمٌ، والله ﷻ قد نفاه عن نفسه، فقال: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ﴾ (١٥) [المؤمن: ٤٦]. وقال: ﴿مَا يَدُلُّ الْقَوْلَ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ﴾ (١٦) [فتح: ٢٩]. وقال في الحديث القدسي: «حرمتُ الظلمَ على نفسي»<sup>(١٧)</sup>. وهذا يدلُّ على أن الظلمَ ممكنٌ في ذاته، وأنتم تقولون: مستحيلٌ لذاته. لأنه لولا إمكان بذاته، ما صحَّ أن يَتَمَدَّحَ اللهُ بانتفائه عنه، فلو لا أنه قادرٌ على الظلمِ لكن تركه لكمالِ عدله لم يكن في انتفاء الظلمِ عنه مدحٌ، فالظلمُ ممكنٌ في حقِّ الله عقلاً، لكن شرعاً لا يُمكنُ، وبمقتضى عدله لا يمكنُ.

هذا هو الردُّ على الجبرية.

أما القدريَّةُ فقالوا: نحن أصحابُ المعقولِ -والقدريَّةُ هم المعتزلةُ، والمعتزلةُ عند كثير من الناس هم أصحابُ العقولِ وأصحابُ النظر- ونحن أسعدُ بالدليل من الجبرية المساكين، فإن كلَّ إنسانٍ يعرفُ أنه يفعلُ كما شاء. قَالَ تعالى: ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾ [البقرة: ٢٥٩]. فكل إنسانٍ يَعْرِفُ أنه يخرجُ إلى المسجد، ويرجعُ إلى البيت، ويخرجُ إلى الدنانِ ويبيعُ ويشتري، ولا يُحْسِنُ بآنٍ أحداً يُكرِّهُه إطلاقاً، ولو قَالَ: أريدُ أن أذهبَ إلى المكانِ الفلاني. فقليل له: في هذا المكانِ سِعٌّ قد يأكلُك. لقال: عدلتُ عن الذهابِ. فهل أحدٌ أجبره على الإرادةِ الأولى وعلى الإرادةِ الثانيةِ؟

**فالجوابُ:** لا. قالوا: إننا إذا قلنا بذلك تبيَّنَ كمالُ عدلِ الله ﷻ، حيثُ عاقب من عصَى؛ لأن الذي يَعْصِي باختياره وبمشيئته، وبه يتبين كمالُ العدلِ، فنحن أصحابُ العدلِ. وهذا القولُ في المعقولِ أقربُ من مذهبِ الجبريةِ لا شك، فالكل يعرفُ أنه يفصلُ باختياره، ويتركُ باختياره، ولا إشكالَ في ذلك، لكن المشكلُ أنهم قالوا: إن الإنسانَ يفعلُ فعلاً مستقلاً ليس اللهُ فيه دخلٌ، ولم يقدِّره اللهُ؛ يَعْنِي: لم يشأه ولم يخلقه.

فكلُّ منهما؛ أي: من الطائفتين عجزَ بطانه عن الجمعِ بينَ الشرعِ والعقلِ. أما أهلُ السنيةِ فقالوا: كلُّ منكم معه حقٌّ، فالجبريةُ معهم حقٌّ وهو: أن كلَّ شيءٍ بقضاءِ الله وقدره، وأن كلَّ شيءٍ مخلوقٌ لله ونوافقهم على هذا، والمعتزلةُ معهم حقٌّ في أن الإنسانَ يعملُ باختياره فعلاً وتركاً ولا أحدٌ يجبره، في ظاهرِ الحالِ، فهو مريدٌ مختارٌ فاعلٌ، ولهذا إذا جاء الفعلُ بغيرِ إرادته فإنه يعفى عنه، فلو أكره على الفعلِ فلا

(١) «شرح قصيدة ابن القيم» (١/ ٥٨).

(٢) رواه مسلم (٢٥٧٧).

حَكَمَ لهذا الفعل، ولكننا نقول: إن هذا الفعل الاختياري الذي يقع منا نعلم علم اليقين أن الله قدره سابقاً، وأن الله خلقه لاحقاً، ووجه خلق الله له أن فعل العبد ناشئ عن إرادة جازية وقدرية، والإرادة والقدره مخلوقتان لله عز وجل وما نشأ عن السبب فله حكم السبب؛ أي: أن ما نشأ عن القدرة والإرادة التي هي مخلوقة لله فإن خالق السبب التام هو خالق للمسبب.

وبهذا نجتمع بين الشرع والعقل. فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

وأكثر ضلال العالم إذا تأملته وجدت السبب فيه أنهم ينظرون إلى النصوص من زاوية واحدة، ولو نظروا إليها من كل الزوايا هُدوا، نسأل الله أن يهدينا وإياكم لما اختلف فيه من الحق بإذنه إنه يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

يقول المؤلف رحمه الله: «وما ذكر في خلق أفعال العباد وأكسابهم»؛ لقوله تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقْدَرَهُ نَقْدِيرًا﴾. سبق وأن تكلمنا على قوله: (خلق قدر) وقلنا: إن المراد بالتقدير هنا التسوية.

ثم قال: وقال مجاهد: (ما تنزل الملائكة إلا بالحق). ولفظ الآية الكريمة: ﴿مَا نُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ [الحج: ١٨]. وقد يكون فيها قراءة أخرى، والمراد بالحق يقول: بالرسالة والعذاب، الرسالة التي بها التكليف، والعذاب الذي به بيان الجزع، ولهذا كان القرآن مشتملاً على الأحكام الشرعية، وعلى العذاب لمن عصى وخالف. ثم قال مجاهد: ليسأل الصادقين عن صدقهم. قوله: ليسأل: الفاعل فيه هو الله عز وجل. وقوله: الصادقين. الرسل عليهم الصلاة والسلام، كما قال تعالى: ﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الأنعام: ٦٠]. ولهذا قال: المبلغين المؤدين من الرسل. فهو سوف يسأل الرسل، ويسأل المرسل إليهم، فيقول للمرسل إليهم: ﴿مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ﴾ [٥٧]. [المائدة: ٦٥]. وبالله من كلمة عظيمة حري بك أن تفكر في الإجابة عليها، وما الذي ستقوله يوم القيامة، هل ستقول: أجبت بالسمع والطاعة، والتصديق والقبول. أم ماذا ستقول؟

أما الرسل فيسألهم هل بلغوا أم لم يبلغوا؟ فيشهدون بأنهم بلغوا، قال تعالى لعيسى: ﴿أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالِ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَالِمُ الْغُيُوبِ﴾ [٣] مقلت لهم: إلاما أمرتني به؟ [النمل: ١١٦-١١٧].

ثم قال مجاهد: وإننا له حافظون. وفي نسخة: لحافظون. وهذه النسخة هي الموافقة للفظ الآية. والذي تكمل الله بحفظه هنا هو القرآن، قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحج: ١]. أما أعمال بني آدم فقد قال الله تعالى: ﴿وَلَنْ عَلَيْكُمْ لحَافِظِينَ﴾ [١] كراماً كبيرين [١١-١٠]. وقال: ﴿إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا لحَافِظٌ﴾ [الأنعام: ١].

ثم قال: والذي جاء بالصدق: القرآن. وصدق به: المؤمن. يشير بذلك إلى قوله تعالى: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [٣٣]. يقول: الصدق هو القرآن. وعلى هذا التفسير يكون الذي جاء



بالصدق هو الرسول ﷺ؛ لأنه هو الذي جاء بالقرآن.

وقوله: وصدق به: المؤمن؛ أي: المرسل إليه، وعلى هذا فيكون العطف هنا عطف مغاير على مغاير؛ لأن الذي جاء بالصدق هو الرسول ﷺ، والذي صدق به هم المؤمنون.

**والصواب:** أن مرجع الضميرين في الآية واحد، وأن الذي جاء بالصدق وصدق به هو الرسول ﷺ وورثته من العلماء، فهم قد جاءوا بالصدق وصدقوا به، فهم آتون بالصدق من قبل أنفسهم، مصدقون لمن قامت البينة على صدقه.

ثم قال: يقول يوم القيامة: هذا الذي أعطيتني عملتُ له؛ أي: فإنه يأتي بالصدق يوم القيامة مصدقاً به. والشاهد في هذا كله يعود على ما ذكر من الإشارة إلى أن أفعال بني آدم مخلوقة لله. ومنسوبة إليه، ولهذا قال: والذي جاء بالصدق.

\*\*\*

ثُمَّ قَالَ الْبَحَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٥٢- حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ أَبِي وَائِلٍ، عَنْ عَمْرِو بْنِ شُرْحَبِيلٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ: أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ عِنْدَ اللَّهِ؟ قَالَ: «أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدَاءً وَهُوَ خَلَقَكَ»، قُلْتُ: إِنَّ ذَلِكَ لَعَظِيمٌ. قُلْتُ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: ثُمَّ أَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ تَخَافُ أَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ. قُلْتُ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: ثُمَّ أَنْ تَزَانِيَ بِحَلِيلَةِ جَارِكَ<sup>(١)</sup>.

هذه الترتيبات الثلاث موافقة لآية الفرقان: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾ (٢٥) إلى آخره.

فأعظم الذنب عند الله أن تجعل لله نداً وهو خلقك، والشاهد من هذا الحديث قوله: «وهو خلقك». فهذا هو أعظم الذنب عند الله، إذ كيف تعبد من لم يخلقك؟ وكيف تنيب إلى من لم يخلقك؟ وهكذا نقول في كل مشكل.

❀ ثم قال: «ثم أن تقتل ولدك». وقوله: «ولذلك». يشمل الذكر والأنثى؛ لأن ولدًا في اللغة العربية بمعنى مولود، وهو صالح للذكر والأنثى.

❀ ثم قال: «تخاف أن يطعم معك».

فإن قيل: إذا قتلته كراهة له وبغضاً، فهل يدخل في هذا الحديث أو لا؟

**الجواب:** نعم يدخل في هذا، بل قد يكون أولى؛ لأنك إذا كنت تقتله اتقاء الإنفاق عليه فقتله لغير هذا السبب من باب أولى.

❀ ثم قال: «أن تزاني بحليلة جارك». قوله: «تزاني بها». أي: تدعوها إلى الزنا حتى توافق، وإنما كانت المزانة

بحليلة الجارِ أشدُّ؛ لأن الجارَ في الحقيقة قد أمَّنَكَ واطمئنَّ إليك، فإذا ختته في أهله كان هذا أعظمُ مما لو زينت بامرأة أجنبية، ولهذا صار أعظمُ الزنا أن تزاني بحليلة جارك.

\*\*\*

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٤١- بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَيْفَ أَيْمَانًا تَعْمَلُونَ﴾ [التَّحْقِيقُ: ٢٢].

قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ﴾؛ أي: ما كنتم تستخفون بالمعاصي كالشركِ فما دونه خشية أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم، أو لئلا يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم؛ لأنكم لا تؤمنون بهذا، ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيراً مما تعملون وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين. هذا الباب عقده المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ لإثبات أن علمَ اللَّهِ ﷻ بما خفي كعلمه بما ظهر. فهؤلاء يستخفون في بيوتهم، ويُسَيِّتُونَ ما لا يرضى من القول لا ظناً منهم أنهم سيعثون، ويشهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم؛ لأنهم لا يؤمنون بذلك، لكن يظنون أنهم إذا استتروا عن أعين الناس استتروا عن علمِ اللَّهِ ﷻ.

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «الْفَتْحِ» (١٣/٤٩٥-٤٩٦):

قوله: بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ﴾ الآية. ساق -في رواية كريمة- الآية كلها ذكر فيه حديث «عبد الله» وهو ابن مسعود اجتمع عند البيت. وفيه: يسمع إن جهرنا ولا يسمع إن أخفينا فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَرُونَ﴾ وقد تقدّم شرحه في تفسير «فصلت».

قَالَ ابْنُ بَطَالٍ: عَرَضَ الْبُخَارِيُّ فِي هَذَا الْبَابِ إِبْثَاتَ السَّمْعِ لِلَّهِ، وَأَطَالَ فِي تَقْرِيرِ ذَلِكَ، وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي أَوَائِلِ التَّوْحِيدِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [التَّحْقِيقُ: ١٣٤].

وَالَّذِي أَقُولُ: إِنْ غَرَضُهُ فِي هَذَا الْبَابِ إِبْثَاتُ مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ أَنَّ اللَّهَ يَتَكَلَّمُ مَتَى شَاءَ، وَهَذَا الْحَدِيثُ مِنْ أَمْثَلِ إِنْزَالِ الْآيَةِ بَعْدَ الْآيَةِ عَلَى السَّبَبِ الَّذِي يَقَعُ فِي الْأَرْضِ، وَهَذَا يَنْفَصِلُ عَنْهُ مَنْ ذَهَبَ إِلَى أَنَّ الْكَلَامَ صِفَةٌ قَائِمَةٌ بَذَاتِهِ أَنَّ الْإِنْزَالَ بِحَسَبِ الْوَقَائِعِ مِنَ اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ أَوْ مِنَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا، كَمَا وَرَدَ فِي حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَفَعَهُ: نَزَلَ الْقُرْآنُ دَفْعَةً وَاحِدَةً إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَوُضِعَ فِي بَيْتِ الْعِزَّةِ ثُمَّ أُنْزِلَ إِلَى الْأَرْضِ نَجْوَمَا. رَوَاهُ أَحْمَدُ فِي «مُسْنَدِهِ» وَسَيَأْتِي مَزِيدٌ لِهَذَا فِي الْبَابِ الَّذِي يَلِيهِ.

قَالَ ابْنُ بَطَالٍ: وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ إِبْثَاتُ الْقِيَاسِ الصَّحِيحِ وَإِبْطَالُ الْقِيَاسِ الْفَاسِدِ؛ لِأَنَّ الَّذِي قَالَ: يَسْمَعُ إِنْ جَهَرْنَا وَلَا يَسْمَعُ إِنْ أَخْفَيْنَا. قَاسَ قِيَاسًا فَاسِدًا؛ لِأَنَّهُ شَبَّهَ سَمْعَ اللَّهِ تَعَالَى بِأَسْمَاعِ خَلْقِهِ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ الْجَهْرَ. اهـ

الَّذِي يَظْهَرُ لِي خِلَافُ مَا قَالَهُ الْحَافِظُ وَابْنُ بَطَالٍ، فَالَّذِي يَظْهَرُ لِي هُوَ أَنَّ الْمَوْلَفَ رَحِمَهُ اللَّهُ أَرَادَ



بالترجمة إثبات علم الله ﷻ بما خفي وما ظهر، وأما كون الآية تنزل بعد الحادثة ففيها دليل على أن كلام الله تعالى يتجدد، فهذا له هنا مناسبة، لكنها ليست واضحة.

وقد سبق لنا أن كلام الله في أصله من الصفات الذاتية، لكنه في آحاده من الصفات الفعلية؛ يعني: أن الله لم يزل ولا يزال يتكلم، لكن هذا الكلام المعين هو الذي يكون حادثاً؛ أي: يحدثه الله ﷻ متى شاء. وفي الصحيح من حديث ابن مسعود رضي الله عنه أنه لما رجع من الحبشة وجد النبي ﷺ يصلي فسلم عليه، وكانوا يسلمون عليه فيرد عليهم السلام، حتى نزل قول الله تعالى: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ (البقرة: ٢٣٨). فأمروا بالسكوت، ونهوا عن الكلام فسلم على النبي ﷺ فلم يرد عليه. يقول: فصار في نفسي وأخذني ما قرب وما بعد؛ لأنه لم يرد علي السلام وكان من عادته أن يرد. فلما سلم النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ يُحَدِّثُ مِنْ أَمْرِهِ مَا شَاءَ، وَإِنْ مِمَّا أَحَدُهُمْ أَلَّا تَكَلَّمُوا فِي الصَّلَاةِ» <sup>(١)</sup>. ومعلوم أن هذا الحكم ثبت بنزول قوله تعالى: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ (البقرة: ٢٣٨). ويدل لهذا قوله تعالى: ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحَدَّثٍ إِلَّا أَاسْتَمَعُوهُ﴾ (الأنعام: ١٢). وليس المعنى أنه مخلوق، بل المراد: محدث الكلام به، فالله تعالى يتكلم متى شاء بما شاء.



ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٥٢١- حَدَّثَنَا الْحَمِيدِيُّ، حَدَّثَنَا سَفِيَّانٌ، حَدَّثَنَا مَنْصُورٌ، عَنْ مُجَاهِدٍ، عَنْ أَبِي مَعْمَرٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه قَالَ: اجتمع عند البيت ثقفيان وقرشي، أو قرشيان وثقفي؛ كثيرة شحوم بطونهم، قليلة فقه قلوبهم، فقال أحدهم: أترون أن الله يسمع ما نقول؟ قال الآخر: يسمع إن جهرنا ولا يسمع إن أخفينا. وقال الآخر: إن كان يسمع إذا جهرنا فإنه يسمع إذا أخفينا. فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَعْرِفُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ﴾ (الحجرات: ٢٢) الآية <sup>(١)</sup>.

في هذا الحديث قياس في قوله: إن كان يسمع إذا جهرنا فإنه يسمع إذا أخفينا. وجه ذلك أنه إذا كان لا يسمعه بعده من سماع ما نجهر به فلن يسمعه من سماع ما نخفي؛ لأن البعد بين الله ﷻ وبين الخلق ليس بالشيء الذي يمكن قياسه، بل هو بُعد الله لا يعلمه إلا الله ﷻ، ومعروف أن الصوت الخفي لا يسمع، والذي يجهر به يسمع لكن في حدود معينة، فإذا كان سبحانه يسمع لما يجهر به في غير الحدود المعهودة المعروفة فإنه يسمع أيضاً ما يسر ونخفي.

وهل في الحديث إشارة إلى أن كثير شحم البطن يكون قليل الفقه؟

(١) رواه أحمد في «مسنده» (٣٧٧/١) (٣٥٧٥)، وأبو داود في «سننه» (٩٢٤)، والنسائي (١٢٢١). وقال الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في تعليقه على سنن أبو داود، والنسائي: حسن صحيح.  
(٢) رواه مسلم (٢٧٧٥).

الظاهر أنه ليس فيه ما يؤخذ منه هذا؛ لأن هذا وصف فرضي لا يترتب عليه حكم، وإلا فمن الممكن أن يقال: إن كثير البطن يدُلُّ على كثرة الأكل، وكثرة الأكل تميث القلب؛ ذلك لأنه إذا كثر الأكل كثرت الغفلة، ولهذا ذكروا أن من فوائد الصيام: أن الإنسان يتفرَّغ للذكر أكثر مما لو كان شبعاً؛ لأن الشبع يوجب الغفلة، فإن أخذ ذلك المعنى من هذا الوجه فإنه يتبيَّن بذلك حسن قول الرسول ﷺ: «حَسْبُ ابْنِ آدَمَ لَقِيَاتُ يُقَمِّنُ صَلْبَهُ، فَإِنْ كَانَ لَا حَالَةَ فَلَتْ لَطَعَامِهِ وَثَلَتْ لَشْرَابِهِ وَثَلَتْ لِنَفْسِهِ»<sup>(١)</sup>.

ولو أننا أخذنا بهذا الطريق وبهذا التوجيه النبوي الطبي ما انتابتنا هذه التغيرات في المعدة والأمعاء وغيرها؛ لأن هذا هو حقيقة الطب. وقد سمعتُ أنهم في البلاد التي يدَّعون أنها متحضرة يعملون هذا، فيأكلون خمس مرات أو ست مرات في اليوم والليلة، لكن الذي يأكل لا يأكل إلا يسيراً، فإذا جاع أكل شيئاً يسيراً. وهذا في الحقيقة أخذه من هدي النبي ﷺ، أما نحن فإننا مع الأسف اعتمدنا على حديث أبي هريرة رضي الله عنه في قصة اللبن حين قال له النبي ﷺ: «اشرب». فشرب حتى قال: لا أجد له مسلماً<sup>(٢)</sup>. أي: لم يعد له مكان في البطن.

ولكننا نقول: إن هذه الواقعة -أي: امتلاء البطن- لعلها ما وقعت لأبي هريرة إلا مرة واحدة في عمره، أما نحن فنفعل كل يوم قصة أبي هريرة.

والشاهد: أنه لا يؤخذ من هذا الحديث أن كبير البطن يكون قليل الفقه، ولهذا يقال: إن علي بن أبي طالب رضي الله عنه كان يوصف بأنه البطين؛ أي: كبير البطن، مع أنه من أقره الصحابة رضي الله عنه، حتى إنه قد اشتهر في وصفه المثل المعروف: قضية ولا أبا حسن لها.

فإن قيل: هل يفهم من الآية التي بوب بها البخاري أن السمع والبصر والجلود تشهد؟

**الجواب:** نعم هو كذلك، وقد جاء ذلك مصرحاً به في قوله: «يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ»<sup>(٣)</sup> [النحل: ٢٤]. وقوله عليه السلام: «وَقَالُوا لِمُجُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ»<sup>(٤)</sup> [الشورى: ٢١].



**ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:**

٤٢ - باب قول الله تعالى: «كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ»<sup>(٥)</sup> [النحل: ٢٩]. «مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُخَدَّبٍ»<sup>(٦)</sup> [النحل: ٢٩]. وقوله تعالى: «لَعَلَّ اللَّهُ يَتَحَدَّثُ بِذَلِكَ أَمْرًا»<sup>(٧)</sup> [النحل: ١٠]. «وَأَنْ حَدَّثَهُ لَا يُشْبِهُ حَدَّثَ الْمَخْلُوقِينَ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ» وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ»<sup>(٨)</sup> [النحل: ١١].

(١) رواه أحمد في «مسنده» (١٣٢/٤) (١٧١٨٦)، والترمذي (٢٣٨٠)، وابن ماجه (٣٣٤٩)، وقال الشيخ الألباني رحمه الله في تعليقه على سنن ابن ماجه: صحيح.

(٢) تقدم تخريجه في كتاب الرقاق.



وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يُحَدِّثُ مِنْ أَمْرِهِ مَا يَشَاءُ وَإِنْ مَا أَحَدَتْ أَنْ لَا تَكَلَّمُوا فِي الصَّلَاةِ».

البخاري رحمه الله ساق هذا الباب - وهو مهم - بالنسبة لأفعال الله ﷻ؛ لإثبات أن الله تعالى صفات هي أفعال يفعلها متى شاء، ويصح أن يطلق عليها حادثه، لكنها ليست كحدوث المخلوقين التي قد يعتريها العجز، وقد يعتريها الخفاء، وما أشبه ذلك من نواقص حوادث المخلوقين.

يقول ﷻ: ﴿يَتَكَلَّمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [التكوير: ٢٩]؛ أي: يسألوا الله ﷻ، فكل من في السموات والأرض يسألون الله مفتقرون إليه.

وقوله: ﴿كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [١٦]؛ أي: أنه ﷻ كل يوم هو في شأن فيغني فقيراً ويفقر غنياً، ويوجد معدوماً ويعدم موجوداً، ويمرض صحيحاً، ويشفي مريضاً، وهكذا.

وهذا الشأن ليس شأناً واحداً بل شئون عظيمة لا يحصيها إلا الله ﷻ؛ لأن كل شيء لا يقوم إلا بأمره، وهو سبحانه قائم على كل نفس بما كسبت، فلو أردت أن تحصي أجناس المخلوقات ما استطعت، فكيف بأنواعها، فكيف بأفرادها، فحتى النملة في جحرها يدبرها هو ﷻ: ﴿تَمَيمٌ دَابَّةٌ إِلَّا هُوَ أَخِذْ يُصَابِيهَا﴾ [الحج: ٥٦]. فكل يوم هو سبحانه في شأن عظيم من شئونه ﷻ، يفعل ما يشاء.

وكونه سبحانه كل يوم هو في شأن يدل على أن الحوادث تكون بأمره ﷻ، وأنه يحدث من خلقه ما شاء، ويحدث من شرعه ما شاء، وذلك وقت نزول الوحي، أما بعد وفاة الرسول ﷺ فإنه لا يمكن أن يحدث شيء في الشرع ولا أن يتغير.

وقال تعالى: ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحَدَّثٍ إِلَّا أَسَمِعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنبياء: ٢]. فأثبت ﷻ أن الذكر الذي يأتي من الله يكون محدثاً.

وقال تعالى: ﴿لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾ [الطلاق: ١]. هذا في المطلقة إذا طُفِّقَتْ طلاقاً رجعياً، فإنه يجب أن تبقى في بيتها؛ لأنه ربما تصلح الأحوال، وينقلب بغض الزوج لها محبة، وسخطه عليها رضا، فيراجعها وهي في البيت ولا يعلم بما حدث أحد. ولهذا قال: ﴿لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾ [١]؛ يعني: المراجعة. وإذا حدث ذلك لم يطلع على ما حصل أحد، وإن كان يجب أن يكون الطلاق بشهود، وأن تكون الرجعة بشهود، أو يستحب على خلاف في ذلك، لكن هذا لا يمنع أن تبقى الزوجة في البيت.

والشاهد: قوله: ﴿يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾. وهو رجوع الزوج إلى زوجته.

ثم قال البخاري: وأن حدثه لا يشبه حدث المخلوقين؛ لقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾. فهو لا يشبه حدث المخلوقين، لا من جهة العلم، ولا القدرة، ولا الإحداث أيضاً، فإن إحداثه للشيء سبحانه يكون بكلمة كن. فيكون، وأما حدث المخلوقين فيكون بعمل ومعاناة وقد يحصل وقد لا يحصل، أما الرب ﷻ فإن إحداثه لا يشبه إحداث المخلوقين.

وقد استدلل البخاري بأن حدثه سبحانه لا يشبه حدث المخلوقين بقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ



شَىءٌ وَهُوَ السَّيِّعُ الْبَصِيرُ ﴿١٠٠﴾.

ثم قَالَ: وقال ابنُ مسعودٍ، عن النَّبِيِّ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يُحَدِّثُ مِنْ أَمْرِهِ مَا يَشَاءُ وَإِنَّ مَا أَحْدَثَ أَلَا تَكَلَّمُوا فِي الصَّلَاةِ». وهذا إحدَثٌ شرعيٌّ، وأما قوله: ﴿لَمَلَّ اللَّهُ يُحَدِّثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾. فإحدَثٌ قدرِيٌّ؛ لأنَّ مراجعةَ الزوجِ زوجتهَ ليسَ وحياً ينزِّلُ، أو حكماً يتجددُ، ولكنه حكمٌ قدرِيٌّ يلقىهِ الله ﷻ في قلبِ الزوجِ فيراجعُ الزوجةَ.

فالله تعالى يحدثُ من أمرهِ الكونيِّ ومن أمرهِ الشرعيِّ ما شاء، فأما الإحدَثُ بالأمرِ الشرعيِّ فقد انقطعَ بوفاءِ الرسولِ ﷺ، فلا يمكنُ أن يتجددَ، ولا يمكنُ أن يتغيَّرَ.

فإن قيل: وهل خالف أحدٌ في هذا؟

**فالجوابُ:** نعم، خالفَ في هذا عامةُ المتكلمين من معتزلةٍ وأشعريةٍ وغيرهم، وقالوا: لا يمكنُ أن تقومَ الحوادثُ بالله أبداً؛ لأنَّ قيامَ الحوادثِ به يستلزمُ أن يكونَ حادثاً -بناءً على أن الحادثَ لا يقومُ إلا بحادثيةٍ.

فيقالُ لهم: من الذي قَالَ لكم هذا؟ ومن الذي قَالَ: إن الحادثَ لا يقومُ إلا بحادثيةٍ؟ ومن أين أتيتم بهذه القاعدة؟ أمن الكتاب أو من السنة أو من العقل؟

**فالجوابُ:** كلُّ ذلك لم يكنْ، فنحن نشاهدُ الآن بأنفسنا أنه تحصلُ حوادثٌ لنا في هذا اليومِ غيرَ التي حصلتُ في اليومِ الذي قبله، فهل يلزمُ إذا قامت بنا الحوادثُ أن تكونَ موجودةً بوجودنا؟

**الجوابُ:** لا، لا يلزمُ، فالحوادثُ تتجددُ من الحادثِ ومن غيرِ الحادثِ، بل إن قيامَ الحوادثِ به دليلٌ على كماله، وأنه يفعلُ ما يشاء متى شاء، ولو قلنا: إنه لا يستطيعُ أن يفعلَ لكان في هذا وصفٌ لله بالنقصِ، فالله تعالى فعَّالٌ لما يُريدُ، قَالَ تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَفْسَكُوا وَلَكِنْ اللَّهُ يَقَعْلُ مَا يُرِيدُ ۚ﴾ [التكوير: ٢٥٣]. واقتالهم حادثٌ لا شكَّ، وهو من فعلِ الله؛ أي: من تقديرهِ أن يفعلوا هذا، وهذا نصٌّ صريحٌ في قيامِ الأفعالِ الحادثيةِ به، وكذلك استواؤه على العرشِ، ونزوله إلى السماءِ الدنيا، وتكليمه من يكلمه، كلُّ هذا يدلُّ على قيامِ الحوادثِ به، لكن لا يلزمُ من هذا أن يكونَ هو سبحانه حادثاً.

وسبحانَ الله العظيم، لو رجعنا إلى الفطرةِ وسألنا عجباً لم نَعْرِفْ بالكلامِ وأهلهِ وقلنا: هل الله يفعلُ متى شاء؟ لقلتُ: نعم. سبحانه يفعلُ ما يشاء.

وأيتها أحسنُ ربٍّ لا يفعلُ أو ربٌّ يفعلُ؟ تقولُ: ربٌّ يفعلُ، فالذي لا يفعلُ حمادٌ، لا يصحُّ أن يكونَ ربّاً، ولكن -نسألُ الله العافية- لما دخلوا في علمِ الكلامِ وحكّموا العقولَ ضلّوا عن شيءٍ تعرفه العجائزُ.

إذا إحدَثَ الله ﷻ للفعلِ ليسَ كإحدَثنا له؛ لأنه يحدثُ ما شاء بكلمةٍ: كن. فيكونُ، ونحن لا نحدثُ إلا بمعاناةٍ وعملٍ.

ثانياً: يحدثه سبحانه من غيرِ جهلٍ سابقٍ أو عجزٍ مقارِنٍ، وأما نحنُ فإننا نحدثُ من جهلٍ؛ بمعنى أنه يكونُ خافياً علينا ثم يتبيّن لنا وجهه، ثم إننا لا نَسْلَمُ من عجزٍ مقارِنٍ؛ أي: قد نعجزُ عن



إِكْمَالِهِ، أَمَا اللَّهُ وَكَفَى فَلَ.

\*\*\*

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٥٢٢- حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، حَدَّثَنَا حَاتِمُ بْنُ وَرْدَانَ، حَدَّثَنَا أَيُّوبُ، عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: كَيْفَ تَسْأَلُونَ أَهْلَ الْكِتَابِ عَنْ كُتُبِهِمْ وَعِنْدَكُمْ كِتَابُ اللَّهِ أَقْرَبُ الْكُتُبِ عَهْدًا بِاللَّهِ تَقْرَأُونَهُ وَهُوَ مُحَضَّضٌ لَمْ يُثَبِّتْ.

سَبَقَ الْكَلَامُ عَلَى هَذَا الْحَدِيثِ، وَالشَّاهِدُ مِنْهُ قَوْلُهُ: أَقْرَبُ الْكُتُبِ عَهْدًا بِاللَّهِ. وَهَذَا فِي الْوَحْيِ، وَقَدْ ثَبَّتَ أَنَّهُ لَمَّا نَزَلَ الْمَطَرُ حَصَرَ النَّبِيُّ ﷺ عَنْ ثَوْبِهِ لِيَصْبِيهِ وَقَالَ: «إِنَّهُ حَدِيثٌ عَهْدٌ بِرَبِّهِ»؛ أَي: مَنْ جِهَةٌ خَلِقُهُ وَتَكْوِينُهُ؛ لِأَنَّهُ خُلِقَ الْآنَ فَتَزَلْ.

فَعَدْنَا مَا هُوَ قَرِيبُ الْعَهْدِ مِنْ جِهَةِ التَّكْوِينِ وَالْخَلْقِ، وَمَا هُوَ قَرِيبُ الْعَهْدِ مِنْ قِبَلِ الْإِنْزَالِ وَالْوَحْيِ، فَمَا ذَكَرَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ يَعُودُ إِلَى الْإِنْزَالِ وَالْوَحْيِ، وَالْآيَةُ تَشْهَدُ لَهُ: ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحَدَّثٍ﴾. وَأَمَّا الْقَرِيبُ مِنْ جِهَةِ التَّكْوِينِ وَالْخَلْقِ فَحَدِيثُ الْمَطَرِ.

\*\*\*

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٥٢٣- حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ، أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، عَنْ الزُّهْرِيِّ، أَخْبَرَنِي عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ قَالَ: يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ كَيْفَ تَسْأَلُونَ أَهْلَ الْكِتَابِ عَنْ شَيْءٍ وَكِتَابُكُمْ الَّذِي أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى نَبِيِّكُمْ ﷺ أَحَدُتِ الْأَخْبَارُ بِاللَّهِ، مُحَضَّضٌ لَمْ يُثَبِّتْ، وَقَدْ حَدَّثَكُمْ اللَّهُ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ بَدَّلُوا مِنْ كُتُبِ اللَّهِ وَغَيَّرُوا فَكُتِبُوا بِأَيْدِيهِمُ الْكُتُبُ، قَالُوا: هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِذَلِكَ ثَمَنًا قَلِيلًا. أَوْ لَا يَنْتَهَاكُمْ مَا جَاءَكُمْ مِنَ الْعِلْمِ عَنْ مَسْأَلَتِهِمْ؟ فَلَا وَاللَّهِ مَا رَأَيْنَا رَجُلًا مِنْهُمْ يَسْأَلُكُمْ عَنِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ.

قَوْلُهُ: مَا رَأَيْنَا رَجُلًا مِنْهُمْ يَسْأَلُكُمْ عَنِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ. ذَلِكَ مَعَ أَنَّهُ أَحَقُّ أَنْ يَسْأَلُونَا عَمَّا أَنْزَلَ عَلَيْنَا. وَكَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي زَمَنِه رَأَى مِنَ النَّاسِ مَنْ يَذْهَبُ إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ وَيَسْأَلُهُمْ، فَاشْتَدَّ قَوْلُهُ فِي ذَلِكَ.

وَعَلَى هَذَا يَجِبُ عَلَيْنَا نَحْنُ الْمُسْلِمِينَ إِذَا دَعَوْنَا إِلَى أَخْلَاقٍ حَسَنَةٍ مِنْ وَفَاءٍ بِوَعْدٍ، وَصَدَقٍ فِي الْقَوْلِ، وَعَزِيمَةٍ فِي الْقَصْدِ، وَمَا أَشَبَّ ذَلِكَ أَلَا نَقُولَ: هَذَا فِعْلُ الْإِنْجِيلِ، هَذَا فِعْلُ الْأَمْرِيكَانِ، هَذَا فِعْلُ كَذَا، هَذَا فِعْلُ كَذَا. لِأَنَّ هَذِهِ الْأَخْلَاقَ الْفَاضِلَةَ مُصَدِّرُهَا مِنَ الْإِسْلَامِ.

وَعَجَبًا مِنْ بَعْضِ النَّاسِ مِنْ ضَعْفَاءِ الْعُقُولِ وَضَعْفَاءِ الدِّينِ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَوْكَدَ الْوَفَاءَ بِالْوَعْدِ قَالَ: هَذَا وَعْدٌ لِإِنْجِيلِزِي - سَبْحَانَ اللَّهِ - بَلْ قُلْ: إِنَّهُ وَعْدُ مُؤْمِنٍ. هَذَا هُوَ الصَّحِيحُ، أَنْظِنَ أَنَّ الْإِنْجِيلِزِ أَوْفَى بِالْوَعْدِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ؟ أَبَدًا.

فهذا الذي رسمه ابن عباس رضي الله عنه ينبغي أن يكون نبأً تمشي عليه، وألا يُظهر الافتقار لأهل الكتاب، وإن كان الرسول ﷺ رخص لنا في أن نقبل من حديثهم ما شهد له الشرع، وما لم يشهد الشرع له ولا بخلافه فلا نُصدِّقه ولا نكذِّبه <sup>(١)</sup>، وما شهد شرعنا بخلافه فإننا نكذِّبه.

**ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:**

٤٣- باب قول الله تعالى: ﴿لَا تَحْرُكْ يَدَيْكَ لِلسَّانِكِ﴾ <sup>(١)</sup>، وفعل النبي ﷺ حين يُنزل عليه الوحي. وقال أبو هريرة عن النبي ﷺ: قال الله تعالى: «أنا مع عبدي إذا ذكرني وتحركت بي شفتاه».

قوله: باب قول الله تعالى: ﴿لَا تَحْرُكْ يَدَيْكَ لِلسَّانِكِ﴾. ترجم البخاري هذه الترجمة ليُشير إلى أن القراءة بالقرآن من فعل الإنسان؛ لأن قوله: ﴿لَا تَحْرُكْ﴾ دليل على أن الذي يحرك هو القارئ، وعلى هذا فتلفظ الإنسان بالقرآن يُعتبر مخلوقاً؛ لأنه من فعله، وفعل آدمي مخلوق.

وهذه المسألة ثار حولها جدل عظيم في فتنة الجهمية في القول بخلق القرآن، حتى إن الإمام أحمد رحمته الله قال: من قال: لفظي بالقرآن مخلوق. فهو جهمي، ومن قال: غير مخلوق. فهو مبتدع، وفي رواية عنه: من قال لفظي بالقرآن مخلوق. يُريد القرآن -يعني: لا يُريد القراءة- فهو جهمي، ومن قال: غير مخلوق. فهو مبتدع. وقد أطلعت رحمته الله في إحدى الروايتين؛ لأن الجهمية كانوا يُموِّهون على العامة فيقولون: قل: لفظي مخلوق. وهم يريدون بقوله: لفظي. القرآن فيموِّهون على العامة والصحيح في هذه المسألة التفصيل فيقال: قراءة القارئ تُشتمل على أمرين: على مقروء، وعلى قراءة.

فأما المقروء فهو كلام الله ﷻ غير مخلوق.

وأما القراءة فهي فعل الإنسان، فهذا الذي يحرك شفتيه، ويُحرك لسانه، وهو الذي ينطق، وهو الذي يُخرج الصوت من فيه، وكل هذا مخلوق؛ لأنه من صفات الإنسان، وصفات الإنسان كلها مخلوقة.

فمراد البخاري رحمته الله بهذه الترجمة الإشارة إلى أن قراءة قارئ القرآن من فعله، لأنه قال: ﴿لَا تَحْرُكْ يَدَيْكَ لِلسَّانِكِ﴾. وفعله مخلوق.

قوله: وقال أبو هريرة عن النبي ﷺ: قال الله تعالى: «أنا مع عبدي حيث ما ذكرني وتحركت بي شفتاه».

فإن قيل: كيف قال: «تحركت بي شفتاه». مع أن الإنسان إذا ذكر الله يذكُر أسماء الله، وأساء الله غير مخلوقة؟

**نقول:** نفس الحركة مخلوقة، وبهذا التفصيل الذي ذكرنا -وهو الفرق بين الملفوظ به وبين اللفظ- فاللفظ حركة الإنسان وهي مخلوقة، والملفوظ به إذا كان قرآنًا فإنه ليس بمخلوق، بل هو كلام الله.

(١) روى البخاري (٣٤٦١) عن عبد الله بن عمرو أن النبي ﷺ قال: «بلغوا عني ولو آية، وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج...» الحديث.

وروى البخاري أيضاً (٧٥٤٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان أهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: «لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم، قولوا آمنا بالله وما أنزل من الآيات».





ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ تَحَلَّلْنَاهُ:

٧٥٢٤- حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ، عَنْ مُوسَى بْنِ أَبِي عَائِشَةَ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ﴾ [الْبَقَرَةُ: ١٧٦]. قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُعَالِجُ مِنَ التَّنْزِيلِ شِدَّةً، وَكَانَ يُحَرِّكُ شَفَتَيْهِ، فَقَالَ لِي ابْنُ عَبَّاسٍ: فَأَنَا أُحَرِّكُهَا لَكَ كَمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُحَرِّكُهَا. فَقَالَ سَعِيدٌ: أَنَا أُحَرِّكُهَا كَمَا كَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ يُحَرِّكُهَا. فَحَرَّكَ شَفَتَيْهِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ (١) **إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ** [٢] ﴿وَمَا يَتَّبِعُكَ بِهِ﴾ [٣] **إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ** [٤] **فَإِذَا قَرَأْتَ فَانصِتْ لَهُ** [٥] **فَاسْتَمِعْ لَهُ وَأَنْصِتْ لِمَنْ يَنْزِلُ أَنْ تَقْرَأَهُ** [٦] قَالَ: فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَنَا هُجْرِيْلُ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - اسْتَمَعَ، فَإِذَا انْطَلَقَ جَبْرِيلُ قَرَأَهُ النَّبِيُّ ﷺ كَمَا أَقْرَأَهُ (١).

هذه الآيات التي في هذا الحديث آيات عظيمة، تُبَيِّنُ كَيْفَ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُعَالِجُ مِنَ الْوَحْيِ شِدَّةً؛ لِأَنَّ اللَّهَ قَالَ: ﴿إِنَّمَا سُلِّقَ عَلَيْكَ قَوْلًا تَقِيلاً﴾ [٥] **أَحْيَانًا إِذَا نَزَلَ عَلَيْهِ الْوَحْيُ وَهُوَ عَلَى نَاقَتِهِ فَبَرَكْتَ، وَنَزَلَ عَلَيْهِ الْوَحْيُ مَرَّةً وَرَأْسُهُ عَلَى فَخِذٍ حَذِيفَةٍ** [٦] فَكَادَتْ تَرْضُهَا، وَكَانَ يَأْتِيهِ الْوَحْيُ فِي الْيَوْمِ الشَّاتِي الْبَارِدِ فَيَتَصَبَّبُ عَرْقًا مِنْ شِدَّةِ مَا يَجِدُ (١).

وَكَانَ لِحَرِّهِ ﷺ عَلَى الْقُرْآنِ وَضْبُهُ يَتَعَجَّلُ، فَإِذَا قَرَأَهُ جَبْرِيلُ تَلَقَّاهُ فَوْرًا مِنْهُ فَيَتَعَجَّلُ، وَرَبِّمَا يَكُونُ بَتَعْجَلِهِ هَذَا يَقُوْتُهُ بَعْضُ الشَّيْءِ، فَهِيَ اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ وَقَالَ: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ (١). فَالْعَجَلَةُ قَدْ يَكُونُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ فَوَاتِ الْمَقْصُودِ.

ثُمَّ تَكْفُلُ الرَّبُّ ﷻ فَقَالَ: **إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ** [٢]؛ أَي: نَحْنُ الَّذِينَ سَنَجْمَعُهُ فِي صَدْرِكَ وَنَحْفَظُهُ فِيهِ، وَلَا يَفُوتُكَ شَيْءٌ مِنْهُ.

ثُمَّ قَالَ: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ﴾؛ أَي: قَرَأَهُ جَبْرِيلُ، وَأَسْنَدَ اللَّهُ قِرَاءَةَ جَبْرِيلَ إِلَيْهِ؛ لِأَنَّهُ رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَفَعَلَ الرَّسُولُ فَعَلَ لِلْمُرْسَلِ.

ثُمَّ قَالَ: ﴿فَإِنِّي قَرَأْتُ﴾؛ أَي: لَا تُعَجِّلْ فَتَأْخُذْهُ كَلِمَةً كَلِمَةً، بَلْ انْتَظِرْ حَتَّى يَفْرَغَ ثُمَّ اتَّبِعْ قِرَاءَتَهُ.

ثُمَّ تَكْفُلُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ كِفَالَةً ثَانِيَةً بَعْدَ الْجَمْعِ وَالْقُرْآنِ فَقَالَ: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ [٣] **فَتَكْفُلُ اللَّهُ ﷻ بَيَانَهُ لِعِبَادِهِ، وَذَلِكَ بَيَانُهُ لَفْظًا وَبَيَانُهُ مَعْنَى، وَمَا يَقُوْتُ النَّاسُ مِنْ لَفْظِهِ أَوْ مِنْ مَعْنَاهُ فَهَذَا إِمَّا لِقُصُورِ أَوْ تَقْصِيرِ، وَإِلَّا فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ تَكْفُلُ بَيَانِ الْقُرْآنِ لَفْظًا وَمَعْنَى، لَكِنْ لَا يَلْزَمُ مِنْ هَذَا أَنْ يَكُونَ مَبِينًا لِكُلِّ شَخْصٍ.**

وَلِهَذَا نَقُولُ: لَيْسَ فِي الْقُرْآنِ شَيْءٌ يَخْفَى مَعْنَاهُ عَلَى جَمِيعِ النَّاسِ أَبَدًا؛ لِأَنَّ اللَّهَ قَالَ: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾. وَلَوْ

(١) رواه مسلم (٤٤٨).

(٢) تقدم تخريجه في كتاب بدء الوحي.

كان في القرآن حرفٌ واحدٌ يخفى على جميع الناس لم يكن القرآن بياناً، والله تعالى قال فيه: ﴿هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ﴾ [التوبة: ١٢٨]. لكن نقول: إن الخفاء والظهور أمر نسبي، بمعنى أنه قد يخفى على شخص ما، ويظهر لشخص آخر، بل إن الإنسان نفسه أحياناً يكون صافي الذهن فيظهر له من معاني القرآن والسنة ما لا يظهر له إذا كان مُشَوَّشاً، وهذا شيءٌ مجربٌ.

فالخفاء والظهور أمر نسبيٌ باعتبار الأشخاص، واعتبار الأحوال، وإلا فإن الله قد تكفل ببيانه - والحمد لله - فقد حفظ القرآن منذ نزل به جبريل إلى محمد ﷺ، وعُرف معناه، وتبين للناس إلى يومنا هذا والله الحمد.

وقد قال ابن عباس فيما يُروى عنه: القرآن أربعة أقسام:

قسم لا يسع أحدٌ جهالته.

وقسم تعرفه العرب من لغاتهم.

وقسم يعرفه الراسخون في العلم.

وقسم لا يعلمه إلا الله. فمن ادّعى علمه فهو كاذبٌ.

أما الذي تعرفه العرب من كلامها فمثل معرفة السماء، والأرض، والشجر، والنبات، والكهف، والغار، وما أشبه ذلك مما هو معلومٌ بدلالة اللغة.

وأما الذي لا يسع أحدٌ جهالته فهو ما يجب على الإنسان معرفته مما يكمل به دينه، كمعرفة أحكام الصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، والبيع، والشراء، وما أشبه ذلك.

وأما الذي يعرفه الراسخون في العلم؛ فهو الآيات التي تحتاج إلى تعمق في فهمها، أو جمع بينها إذا كان ظاهرها التعارض، وما أشبه ذلك.

وأما الذي لا يعلمه إلا الله؛ فهو الكنه والحقيقة لما أخبر الله به عن نفسه من الأسماء والصفات، فإن هذا لا يعلم حقيقته إلا الله، فمن ادّعى علمه فهو كاذبٌ.

أما المعنى للقرآن فإنه لا يمكن أن يخفى على جميع الناس أبداً.

فإن قيل: إذا كان الأمر كذلك فما هو معنى قوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْلَمْ تَأْوِيلُهُ إِلَّا اللَّهُ﴾ [التوبة: ٧]؟

**فالجواب:** أن قوله: ﴿وَمَا يَسْلَمْ تَأْوِيلُهُ إِلَّا اللَّهُ﴾ فيه قراءتان معروفتان: فأكثر السلف على الوقف في قوله: ﴿إِلَّا اللَّهُ﴾. ثم يتبدى فيقول: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ﴾. وعلى هذا يكون المراد بالتأويل الحقيقة التي عليها الأمور الغيبية؛ لأن حقيقة الأمور الغيبية لا يعلمها إلا الله، فلا يعلمها الراسخون في العلم ولا غيرهم.

وأما القراءة الثانية - وهي ثابتة أيضاً عن السلف - فهي قراءة الوصل: ﴿وَمَا يَسْلَمْ تَأْوِيلُهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾. وعلى هذا يكون المراد بالتأويل تفسير المشتبهات التي تخفى على كثير من الناس، ويعلمها الراسخون في العلم؛ ولهذا قال ابن عباس: أنا من الراسخين الذين يعلمون تأويله.





ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ تَحَلَّلْهُ:

٤٤ - باب قول الله تعالى: ﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمُ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ ١١٠ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١١١﴾ ﴿الْقِسْطُ: ١٢٣-١٢٤﴾. يَتَخَفَتُونَ يَتَسَارُونَ.

قوله تعالى: ﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمُ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ ١١٠؛ ولم يقل: إنه عليم به؛ أي: بالقول الذي أسررتم أو جهرتم به؛ لأن من علم بذات الصدور؛ أي: القلوب، كان علمه بما أظهرته الألسن من باب أولى، وهذا هو قياس الأولى.

وقوله: ﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمُ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ ١١٠؛ أي: أنه سيعلم ما تُسرون وما تَجهرُونَ.

ثم قال: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ ١١١. وهذا الاستفهام للتقرير.

وقوله: ﴿مَنْ﴾: في إعرابها وجهان:

**الوجه الأول:** أن تكون فاعلاً.

**والوجه الثاني:** أن تكون مفعولاً به.

فإن كانت فاعلاً فالمعنى: ألا يعلم الخالق وهو اللطيف الخبير؟ ويكون جوابها: بلى، لا بد أن يعلم الخالق ما خلقه، ولا يمكن أن يكون الخالق جاهلاً بما خلق.

وإذا كانت مفعولاً به صار المعنى: ألا يعلم مخلوقه؟

**والجواب:** بلى. يعلم مخلوقه.

فإذا قال قائل: لماذا عدل عن قوله: ألا يعلم العَلَّامُ، أو ألا يعلم الله؟

قلنا: من أجل إقامة الحجة العقلية الملزمة؛ لأن كونه يخلق يلزم عليه عقلاً أن يكون عالماً، فإذا كان خالقاً لكل شيء كان عالماً لكل شيء، أضف إلى ذلك أنه سبحانه لطيف خبير، فهو اللطيف العالم بسرائر الأمور، الخبير العالم ببواطن الأمور.

واللطف أخص من الخبرة، والخبرة أخص من العلم، ففي الآية علم وخبرة ولطف، فالعلم في قوله: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾، واللطف في قوله: ﴿وَهُوَ اللَّطِيفُ﴾، والخبرة في قوله: ﴿الْخَبِيرُ﴾.

واللطيف أرق وأدق من الخبير؛ حيث أنه يعلم أشياء لطيفة جداً لا تذكر، لكنه يذكرها سبحانه.

وقوله: يَتَخَفَتُونَ يَتَسَارُونَ. هذا مذكور في قوله تعالى: ﴿فَانْطَلَقُوا وَهُمْ يَخْتَفَتُونَ﴾ ١١٢ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١١١﴾. ﴿الْقِسْطُ: ٢٣-٢٤﴾. وهؤلاء هم أصحاب الجنة الذين أقسموا أن يصرمونها صباحاً ولم يقولوا: إن شاء الله. وإنما اختاروا صرمها صباحاً؛ لئلا يأتي المساكين فيأكلوا منها.

قال تعالى: ﴿لَا أَقْسَمُ بِصِرْمَتِهَا مُصِيبٌ﴾ ١١٣ وَلَا يَسْتَنْوُونَ ﴿١١٤﴾ ﴿الْقِسْطُ: ١٧-١٨﴾؛ أي: لم يقولوا: إن شاء الله. فطاف عليها طائف من الله فذمرها فأصبحت كالصريم، فلما أصبحوا تنادوا وذهبوا إليها، فلما رآوها قالوا: هذه ليست جنتنا ﴿وَأَنَا لَصَالُونَ﴾ ١١٥ ﴿الْقِسْطُ: ٢٦﴾؛ أي: تائهون، ولم نهتد إلى طريقها، ثم تأكدوا

فقالوا: ﴿بَلْ نَحْنُ مُخْرَمُونَ﴾ (٧) ﴿الْقُلُوبُ: ٢٧﴾. فَعَرَفُوا أَنَّهُمْ قَدْ حُرِّمُوا، وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَتْلَفَ هَذِهِ الْجَنَّةَ؛ لِأَنَّ نَيْتَهُمْ كَانَتْ سَيِّئَةً، حَيْثُ كَانُوا لَا يُرِيدُونَ أَنْ يُطْعِمُوا مِنْهَا الْمَسَاكِينَ.

وَقَدْ ذَكَرْنَا مِنْ نَيْتِهِ بِه مِنْ كِبَارِنَا فِي السَّنِّ أَنَّ شَخْصَيْنِ تَقَاسَمَا ثَمَرَ بَسْتَانٍ لِهَما، وَأَنَّ أَحَدَهُما خَيْرُ الْآخَرِ وَقَالَ لَهُ: اخْتَر. فَقَالَ الْآخَرُ: اخْتَارَ هَذَا الْجَانِبَ الشَّرْقِيَّ؛ لِأَنَّهُ رَأَى أَنَّهُ أَحْسَنُ وَأَكْثَرُ. فَقَالَ الثَّانِي: وَأَنَا اخْتَارَ الْغَرْبِيَّ. وَالْمُلْكُ بَيْنَهُمَا أَنْصَافًا.

ثُمَّ الَّذِي اخْتَارَ الْأَكْثَرَ قَالَ: سَأَجْزُ الثَّمَرَ فِي نَهَارِ رَمَضَانَ؛ لِثَلَاثِ أَكُلٍ مِنْهُ الْفُقَرَاءُ، ثُمَّ وَاعَدَ الَّذِينَ يَجْزُونَ فِي النَّهَارِ فَجَزَوْا لَهُ وَأَخَذَ الثَّمَرَ.

**أما الثاني:** فقال: لَنْ أَجْزَهُ حَتَّى يُفْطِرَ النَّاسُ. فَلَمَّا أَفْطَرُوا قَالَ لَهُمْ: يَا أَهْلَ الْحَيِّ، وَكَانَ النَّاسُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ فِي فَقْرٍ شَدِيدٍ: إِنِّي سَأَجْزُ النَّخْلَ فِي الْيَوْمِ الْفَلَانيِّ بَعْدَ الْعِيدِ، فَمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَحْضُرَ فَلْيَحْضُرْ. فَحَضَرَ النَّاسُ وَحَضَرَ الْفُقَرَاءُ، وَامْتَلَأَ الْبَسْتَانُ، وَصَارُوا يَأْكُلُونَ حَتَّى إِنْ الزَّنَائِلَ امْتَلَأَتْ بِالنَّوَى، وَلَكِنْ مَعَ ذَلِكَ أَنْزَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ فِي هَذَا الثَّمَرِ الرِّكَةَ.

فَلَمَّا عَلِمَ شَرِيكُهُ بِذَلِكَ جَاءَهُ وَقَالَ لَهُ: إِنَّا قَدْ أَخْطَأْنَا فِي الْقِسْمَةِ، وَأَنَا الْآنَ أَدْعِي أَنَّنِي مَغْبُونٌ، إِذْ كَيْفَ يَأْكُلُ النَّاسُ مِنْكَ هَذَا الْأَكْلَ الْكَثِيرَ، وَتَدَّخِرُ مِنَ الثَّمَرِ أَكْثَرَ مَا ادَّخَرْتُ أَنَا، فَهَذَا مَعْنَاهُ أَنَّكَ غَبِطَنِي. فَقَالَ لَهُ: نَحْنُ قَدْ قَسَمْنَا جَمِيعًا، وَقَدْ خَيْرْتُكَ فَاخْتَرْتَ نَصِييَكَ مَعْتَقِدًا أَنَّهُ أَكْثَرُ، وَلَكِنْ بَرَكَةُ اللَّهِ ﷻ لَا حَدَّ لَهَا. فَقَالَ لَهُ: بَلْ قَدْ غَبِطَنِي. ثُمَّ رَفَعَ الْأَمْرَ إِلَى الْقَاضِي، وَقَالَ: أَيُّهَا الْقَاضِي قَدْ اقْسَمْنَا الثَّمَرَ نِصْفَيْنِ، وَادَّخَرْتُ أَنَا تَمَرِي وَبَلَغَ مِنَ الزَّنَائِلِ كَذَا وَكَذَا، وَهُوَ تَأَخَّرَ حَتَّى أَفْطَرَ النَّاسُ، فَجَاءُوا وَأَكَلُوا حَتَّى مَلَأُوا الزَّنَائِلَ بِالنَّوَى، وَمَعَ ذَلِكَ ادَّخَرَ مِنَ الثَّمَرِ أَكْثَرَ مَا ادَّخَرْتُ، وَهَذَا يَعْنِي أَنَّنِي مَغْبُونٌ.

وَلَكِنْ كَانَ الْقَاضِي ذَكِيًّا فَقَالَ لَهُ: اقْرَأْ: ﴿إِنَّا بَلَوْنَهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ﴾ (الْقُلُوبُ: ١٧). وَكَانَهُ يَقُولُ: أَحَدُ رَبِّكَ أَنَّكَ حَصَلْتَ هَذَا الثَّمَرَ؛ لِأَنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ مَا حَصَلُوا شَيْئًا، وَأَنْتَ قُلْتَ: أَجْزَاهَا فِي نَهَارِ رَمَضَانَ لِثَلَاثِ يَدْخُلُهَا الْيَوْمَ عَلَيْكَ مَسْكِينٌ، فَهَذَا جَزَاؤُكَ، وَأَمَّا صَاحِبُكَ فَقَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ لَهُ الْبَرَكَةَ، وَبَرَكَةُ اللَّهِ لَا نِهَايَةَ لَهَا. ثُمَّ طَرَدَهُ. وَهَذِهِ قِصَّةٌ مَشْهُورَةٌ عِنْدَنَا، وَيُسَمَّى أَصْحَابُهَا فَلَانٌ وَفَلَانٌ، لَكِنْ لَا حَاجَةَ لَذِكْرِهُمَا.

فَالْحَاصِلُ: أَنَّ قَوْلَهُ ﴿فَانْطَلَقُوا وَهُمْ يَخْفَوْنَ﴾؛ يَعْنِي: يَسِيرُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ، حَتَّى لَا يَأْتِيَ إِلَيْهِمُ الْمَسْكِينُ، فَلَمَّا أَصْبَحُوا وَجَدُوهَا كَالصَّرِيمِ -سَبْحَانَ اللَّهِ- وَفِي النِّهَايَةِ أَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ قَالُوا: ﴿قَالُوا يَوَيْلًا إِنَّا كُنَّا مُطْمَئِنِّينَ﴾ (٨) عَنِ رَبِّنَا أَنَّ بَيْدَنَا خَيْرًا مِنِّيَّا إِنَّمَا إِلَى رَبِّنَا رِجَاؤُنَا. ﴿الْقُلُوبُ: ٣١-٣٢﴾. وَهَذَا مِنْ حِكْمَةِ اللَّهِ ﷻ أَنَّ اللَّهَ قَدْ يَنْتَلِي الْإِنْسَانَ فِي فَقْدِهِ مَا يَجِبُ لاسْتِقَامَةِ دِينِهِ قَالَ تَعَالَى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (١١) ﴿الْقُلُوبُ: ٤١﴾.

وَهَذَا الْإِبْتِلَاءُ قَدْ يَكُونُ خَيْرًا لِلْإِنْسَانِ، وَقَدْ يَكُونُ شَرًّا، فَمَنْ النَّاسُ مَنْ إِذَا ابْتُلِيَ فِي دُنْيَاهُ قَوِيَ إِيمَانُهُ وَرَجَعَ إِلَى رَبِّهِ، وَأَنَابَ إِلَى اللَّهِ، ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَلِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ (١١) ﴿الْقُلُوبُ: ١١﴾.



وهذا الباب قد عقده المؤلف في أثناء الكلام على كلام الله؛ لِيُبَيِّنَ أن لفظ الإنسان بكلام الله من فعله، فانت إذا تكلمت بالقرآن إسراراً أو جهراً فهو من فعلك، وفعلك مخلوقٌ. ومعلوم أن البخاري رحمه الله قد امتحن في مسألة اللفظ والمفوض، وهل اللفظ مخلوق أو غير مخلوق، والمفوض به هل هو مخلوق أو غير مخلوق؟ فأكثر في صحيحه من سياق الأدلة الدالة على أن أقوالنا من أفعالنا، وأفعالنا مخلوقة.

❦ فقله: «وَأَيْسَرُوا قَوْلَكُمْ وَأَجْهَرُوا بِهِ» ❦. الإسرار والجهر صفة القول، والذي يُسرُّ أو يَجْهَرُ هو الإنسان المتكلم، إذا فالإسرار والجهر من فعل الإنسان، فيكون مخلوقاً، وما يُسرُّ به أو يَجْهَرُ به فهو إما مخلوق، وإما غير مخلوق، فكلامي معكم الآن مخلوق حتى المفوض به، لكن عندما أقرأ القرآن يكون قولي ولفظي مخلوقاً، لكن القرآن غير مخلوق.

\*\*\*

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٥٢٥- حَدَّثَنِي عَمْرُو بْنُ زُرَّارَةَ، عَنْ هُشَيْمٍ، أَخْبَرَنَا أَبُو بَشِيرٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافُهَا﴾ ❦. قَالَ: نَزَلَتْ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُخْتَفٍ بِمَكَّةَ، فَكَانَ إِذَا صَلَّى بِأَصْحَابِهِ رَفَعَ صَوْتَهُ بِالْقُرْآنِ، فَإِذَا سَمِعَهُ الْمُشْرِكُونَ سَبُّوا الْقُرْآنَ وَمَنْ أَنْزَلَهُ وَمَنْ جَاءَ بِهِ، فَقَالَ اللَّهُ لِنَبِيِّهِ ﷺ: ﴿وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ﴾ ❦. أَي: بِقِرَاءَتِكَ فَيَسْمَعُ الْمُشْرِكُونَ فَيَسُبُّوا الْقُرْآنَ، ﴿وَلَا تُخَافُهَا﴾ ❦. عَنْ أَصْحَابِكَ فَلَا تُسْمِعُهُمْ، ﴿وَأَبْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ ❦. (١)

❦ قوله: ﴿وَأَبْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾؛ يعني: اطلب سبيلاً بين الإخفات والجهر.

والشاهد من هذا الحديث: أن الله قال: ﴿وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ﴾؛ أي: بقراءة القرآن في صلاتك، ولا تخافها، ومعلوم أن الجهر والمخافة من فعل الإنسان، وأن القرآن الذي يُسرُّ به أو يُخَافُ هو كلام الله.

\*\*\*

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٥٢٦- حَدَّثَنَا عَبْدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ، عَنْ هِشَامٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: نَزَلَتْ هَذِهِ آيَةُ ﴿وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافُهَا﴾ ❦. فِي الدُّعَاءِ (١).

على هذا الحديث يكون معنى قوله: ﴿بِصَلَاتِكَ﴾؛ أي: بدعايتك، ولا منافاة بين كلام عائشة وكلام ابن عباس؛ وذلك لأن قول الصحابي: نزلت في كذا. ليس صريحاً في أن هذا هو سبب

(١) رواه مسلم (٤٤٦).

(٢) رواه مسلم (٤٤٧).

النزول، بل قد يَكُونُ مراده: نَزَلْتُ في كذا؛ أي: في هذا المعنى.  
أما لو قَالَ: سببُ نزولِها أن النَّبِيَّ ﷺ فَعَلَ كذا، أو صار كذا فنزلت. فالأوَّلُ صريحٌ في سببِ  
النزولِ، والثاني ظاهرٌ فيه.

وأما الذي في سياق ما ذكره البخاريُّ فلا.  
فالأصوَرُ إذا ثلاثُ:

الأولى: أن يَقُولَ الصحابيُّ: سببُ نزولِها كذا وكذا. فهنا يَكُونُ سببُ النزولِ صريحاً.  
الثانية: أن يَقُولَ: كان كذا فَنَزَلْتُ. وهذا ظاهرٌ، وليس بصريح.  
والثالثة: أن يَقُولَ: نَزَلْتُ في كذا. فهذا مُخْتَمِلٌ أن يَكُونُ المرادُ: أن هذا سببُ النزولِ، أو أن هذا من معناه.  
وهنا نقُولُ: قولُ عائشةَ وقولُ ابنِ عباسٍ، ليس بينهما تنافٍ؛ لأنَّ المعنى: أنها نَزَلْتُ في كذا؛ أي:  
في هذا المعنى، وفي كذا؛ أي: في هذا المعنى.  
يَبْقَى علينا ما لو كان كل من اللفظين صريحاً في سببِ النزولِ، وبينهما اختلافٌ.  
**نَقُولُ:** إن ترجَّحَ أحدهما أَخَذْ به، وإن لم يَتَرَجَّحْ فلا مانعَ من تعددِ سببِ النزولِ، ويَكُونُ ذلك  
من بابِ التوكيدِ والتذكيرِ.



ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٥٢٧- حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ، حَدَّثَنَا أَبُو عَاصِمٍ، أَخْبَرَنَا ابْنُ جُرَيْجٍ، أَخْبَرَنَا ابْنُ شِهَابٍ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي  
هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَتَغَنَّ بِالْقُرْآنِ». وَزَادَ غَيْرُهُ: «يَجْهَرُ بِهِ».

هذا الحديثُ كالأوَّلِ؛ لأنَّ تَغَنَّى الإنسانِ بالقرآنِ؛ أي: جهره بتحسينِ الصوتِ وهو من فعله،  
فَيَكُونُ مخلوقاً، أما القرآنُ نفسه فإنه ليس بمخلوقٍ.

وقد بيَّنا أن البخاريَّ رَحِمَهُ اللَّهُ قد فَصَّلَ تفصيلاً بيِّناً في هذا، وأن الإمامَ أحمدَ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ: مَنْ قَالَ:  
لفظي بالقرآنِ مخلوقٌ. فهو جهميٌّ. وفي روايةٍ عنه: مَنْ قَالَ: لفظي بالقرآنِ مخلوقٌ. يُرِيدُ القرآنَ،  
ومن قَالَ: غيرُ مخلوقٍ فهو مبتدعٌ؛ لأنَّ المحنةَ التي كانت في زمنِ الإمامِ أحمدَ غيرُ المحنةِ التي كانت  
في زمنِ البخاريِّ، فالمحنةُ التي كانت في زمنِ الإمامِ أحمدَ هي: هل القرآنُ مخلوقٌ أو غيرُ مخلوقٍ؟  
والمحنةُ في زمنِ البخاريِّ كانت: هل لفظُ القرآنِ مخلوقٌ أو لا؟ فبينهما فرقٌ.  
فالإمامُ أحمدُ رَحِمَهُ اللَّهُ رأى الكفَّ عن هذا، وألا يقال: لفظي بالقرآنِ مخلوقٌ أو غيرُ مخلوقٍ،  
والبخاريُّ أراد التفصيلَ والبيانَ.

فإن قيل: هناك من أخذ من هذا الحديثِ أن التجويدَ واجبٌ، فما هو الردُّ عليه؟  
**نَقُولُ:** إن من قَالَ بهذا القولِ له شبهةٌ في هذا الحديثِ إذا قَالَ: إن التجويدَ يَفْتَضِي تحسينَ  
الصوتِ في القرآنِ، وقراءةَ المَجْزُودِ الذَّكَرِ على السَّمْعِ من قراءةٍ غيرِ المَجْزُودِ، والرسولُ نفى أن يَكُونُ منا



من لم يتغنَّ بالقرآن، وهذا يقتضي أن ترك التغني يكون من كبائر الذنوب؛ لأنه لا يتبرأ الرسول من شيء إلا وهو من كبائر الذنوب.

ولكن الجواب عن هذا أن يقال: إن التغني أمر نسبي، وقد بينه الرسول ﷺ بقوله فيما رواه أهل السنن: «زَيَّنُوا بِالْقُرْآنِ أَصْوَاتَكُمْ». وأن المراد بذلك تزيين الصوت، وليس صفة الأداء، وفرق بين صفة الأداء، وبين تزيين الصوت.

فالصحيح في مسألة التجويد: أنه سنة ما لم يؤدي إلى التكلف فيكون مذمومًا، وأما كونه واجبًا فليس بواجب.



ثُمَّ قَالَ الْبَحَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٤٥ - باب قول النبي ﷺ: «رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الْقُرْآنَ فَهُوَ يَقُومُ بِهِ آتَاءَ اللَّيْلِ وَآتَاءَ النَّهَارِ، وَرَجُلٌ يَقُولُ: لَوْ أُوتِيتُ مِثْلَ مَا أُوتِيَ هَذَا فَعَلْتُ كَمَا يَفْعَلُ». فَبَيَّنَ اللَّهُ أَنَّ قِيَامَهُ بِالْكِتَابِ هُوَ فِعْلُهُ. وَقَالَ: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَاخْتَلَفَ أَلْسِنَتَكُمْ وَالْوَنُكْرَ﴾ [الزمر: ٢٢]. وَقَالَ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [٧٧].

يريد البخاري رحمه الله من سوجه لهذه الآيات أن يُثبت بأن قراءة القارئ مخلوقة؛ لأنها فعله، فإن النبي ﷺ قَالَ: «رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الْقُرْآنَ فَهُوَ يَقُومُ بِهِ آتَاءَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ». أي: يقرأه فيقوم به، فأضاف القيام إلى القارئ.

وقال أيضًا: «وَرَجُلٌ يَقُولُ: لَوْ أُوتِيتُ مِثْلَ مَا أُوتِيَ هَذَا فَعَلْتُ كَمَا يَفْعَلُ». فجعل قراءة القرآن فعلًا.

ثم قَالَ: فَبَيَّنَ اللَّهُ. وفي نسخة: فَبَيَّنَ النَّبِيُّ ﷺ أن قراءته الكتاب هو فعله.

فإن كانت النسخة الصحيحة هي: -فَبَيَّنَ اللَّهُ- فإن فيها إشكالًا، لأن المبين هنا هو الرسول ﷺ، لكن يُقَالُ: إن بيان الرسول ﷺ إذا قرأه الله فهو كيانه.

وإذا كانت النسخة التي فيها: فَبَيَّنَ النَّبِيُّ ﷺ، هي الصحيحة فلا إشكال.

ثم قَالَ: وَقَالَ: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَاخْتَلَفَ أَلْسِنَتَكُمْ وَالْوَنُكْرَ﴾. فذكر اختلاف اللسان واللون، أما اختلاف اللون فهو من فعل الله ولا طاقة لنا به، وأما اختلاف اللسان فهو من فعله، ولهذا إذا عاش الإنسان في بيئة عربية صار لسانه عربيًا، وإذا عاش في بيئة أعجمية صار لسانه أعجميًا، وإذا شاء رَفَعَ صوته وإذا شاء لم يَرَفَعْ.

وصور اختلاف الألسن كثيرة منها:

اللغة، ومنها الصوت، ومنها البيان والفصاحة، ومنها سهولة النطق، فكل هذا يدخل في قوله: ﴿وَاخْتَلَفَ أَلْسِنَتَكُمْ وَالْوَنُكْرَ﴾.

ثم قَالَ: وَقَالَ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ﴾. وقراءة القرآن من الخير، فتكون مفعولة، أما القرآن المقروء فليس مخلوقًا.



ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٥٢٨- حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنْ الْأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَحَاسَدُوا إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الْقُرْآنَ فَهُوَ يَتْلُوهُ آتَاءَ اللَّيْلِ وَآتَاءَ النَّهَارِ، فَهُوَ يَقُولُ: لَوْ أُوتِيتُ بِمِثْلِ مَا أُوتِيَ هَذَا لَفَعَلْتُ كَمَا يَفْعَلُ. وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَا لَا فَهُوَ يُنْفِقُهُ فِي حَقِّهِ، فَيَقُولُ: لَوْ أُوتِيتُ بِمِثْلِ مَا أُوتِيَ عَمِلْتُ فِيهِ بِمِثْلِ مَا يَعْمَلُ».

٧٥٢٩- حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ قَالَ الزُّهْرِيُّ، عَنْ سَالِمٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الْقُرْآنَ فَهُوَ يَتْلُوهُ آتَاءَ اللَّيْلِ وَآتَاءَ النَّهَارِ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَا لَا فَهُوَ يُنْفِقُهُ آتَاءَ اللَّيْلِ وَآتَاءَ النَّهَارِ»<sup>(١)</sup>.

سَمِعْتُ سُفْيَانَ مَرَارًا لَمْ أَسْمَعْهُ يَذْكُرُ الْخَبَرَ وَهُوَ مِنْ صَحِيحِ حَدِيثِهِ.

الشاهد من هذا قوله: «فَهُوَ يَقُولُ: لَوْ أُوتِيتُ بِمِثْلِ مَا أُوتِيَ هَذَا لَفَعَلْتُ كَمَا يَفْعَلُ». فَعَلُ الْأَوَّلِ هُوَ تِلَاوَةُ الْقُرْآنِ آتَاءَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، فَجَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ تِلَاوَتَهُ لِلْقُرْآنِ فِعْلًا، وَفَعَلَ الْعَبْدُ مَخْلُوقًا.

❖ وقوله: «لَا تَحَاسَدُوا إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ». الحسد نوعان:

حسد غبطة، وحسد عدوان.

أما حسد الغبطة فهو أن يَمْنَى الإنسانُ بِمِثْلِ مَا أُعْطِيَ الْآخَرُ. فهذا محمود إذا كان في الخير، وقد أَرَشَدَ اللَّهُ إِلَى ذَلِكَ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَلَا تَسْتَمْتُوا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِّلرَّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [النِّسَاءُ: ٣٢]؛ يَعْنِي: قُولُوا: اللَّهُمَّ أَعْطِنَا مِثْلَ مَا أُعْطِيتَ فَلَانًا. وَلَا تَحْسَدُوهُ.

أما حسد العدوان فقد فَسَّرَهُ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ بِأَنَّهُ: تَمْنِي زَوَالِ نِعْمَةِ الْغَيْرِ سِوَاءَ تَمَنِّيَتْ أَنْ تَزُولَ مِنْهُ إِلَى غَيْرِهِ، أَوْ أَنْ تَزُولَ مِنْهُ إِلَى غَيْرِ أَحَدٍ، أَوْ أَنْ تَزُولَ مِنْهُ إِلَى نَفْسِكَ.

وقال شيخ الإسلام: الحسد كراهة ما أُعْطِيَ اللَّهُ غَيْرَكَ مِنَ النِّعَمِ<sup>(٢)</sup> سِوَاءَ تَمَنِّيَتْ الزَّوَالُ أَمْ لَمْ تَتَمَنَّ، وَهَذَا أَقْرَبُ، فَإِذَا اغْتَمَمْتَ بِمَا يُعْطِي اللَّهُ غَيْرَكَ مِنَ النِّعَمِ فَهَذَا هُوَ الْحَسَدُ، وَإِذَا فَرِحْتَ بِمَا أُعْطِيَ اللَّهُ غَيْرَكَ مِنَ النِّعَمِ، وَسَأَلْتَ اللَّهَ أَنْ يُعْطِيَكَ مِثْلَهُ، فَهَذَا هُوَ حَسَدُ الْغِبْطَةِ وَهُوَ مَحْمُودٌ إِذَا كَانَ فِي الْخَيْرِ.

إِذَا: الْحَسَدُ نَوْعَانِ: حَسَدُ غِبْطَةٍ وَحَسَدُ عَدْوَانٍ، فَحَسَدُ الْغِبْطَةِ مَحْمُودٌ إِذَا كَانَ فِي الْخَيْرِ، وَهُوَ أَنْ يَتَمَنَّى الْإِنْسَانُ مِنَ اللَّهِ مِثْلَ مَا أُعْطِيَ فَلَانٌ.

وَأَمَّا حَسَدُ الْعَدْوَانِ فَهُوَ عَدْوَانٌ لَا يَجُوزُ، وَهُوَ مِنْ اخْتِلَافِ الْيَهُودِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ

(١) رواه مسلم (٨١٥).

(٢) «مجموع الفتاوى» (١٠/١١١).



أَهْلَ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّوكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كَفَّارًا حَسْبًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ ﴿١٠٩﴾.



ثُمَّ قَالَ الْبَخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٤٦ - باب قول الله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ مَا بَلَّغْتَ

رِسَالَتَهُ﴾ [التوبة: ٦٧].

وَقَالَ الزُّهْرِيُّ: مِنَ اللَّهِ الرَّسَالَةُ، وَعَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْبَلَاغُ، وَعَلَيْنَا التَّسْلِيمُ.  
وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿لِيَعْلَمَ أَنَّ قَدْ أَتْلَفُوا رِسَالَتِي رَبِّهِمْ﴾ [التوبة: ٦٨]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَتِي رَبِّي﴾ [الأنعام: ٦٢].  
وَقَالَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ حِينَ تَخَلَّفَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ.  
وَقَالَتْ عَائِشَةُ: إِذَا أَعْجَبَكَ حُسْنُ عَمَلِ امْرِئٍ فَقُلْ: اْعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ  
وَالْمُؤْمِنُونَ وَلَا يَسْتَخْفَنَّكَ أَحَدٌ.

وَقَالَ مَعْمَرٌ: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ﴾: هَذَا الْقُرْآنُ. ﴿هُدًى وَبَيِّنَاتٍ﴾ [التوبة: ٦٩]: بَيَانٌ وَدَلَالَةٌ. كَقَوْلِهِ  
تَعَالَى: ﴿ذَلِكَ حُكْمُ اللَّهِ﴾ [التوبة: ١٠]. هَذَا حُكْمُ اللَّهِ. ﴿لَا رَيْبَ﴾ [التوبة: ٦٩]: لَا شَكَّ. ﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٢٥٢]: يَعْني هَذِهِ أَعْلَامُ الْقُرْآنِ، وَمِثْلُهُ: ﴿حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِ وَجَعَلْنَاهُمْ فِيهِ سُرًّا﴾ [التوبة: ٢٥٢]. يَعْني: يَكْمُنُ.  
وَقَالَ أَنَسٌ: بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ خَالَه حَرَامًا إِلَى قَوْمِهِ، وَقَالَ: أَتُؤْمِنُونِي أَبْلَغَ رِسَالَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَجَعَلَ يُحَدِّثُهُمْ.  
هَذَا الْبَابُ أَيْضًا يُرِيدُ مِنَ الْبَخَارِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنْ يُقَرَّرَ أَنَّ فِعْلَ الْعَبْدِ مَخْلُوقٌ.

❦ قَوْلُهُ: «يَأَيُّهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ مَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ». الرُّسُولُ هُوَ مُحَمَّدٌ ﷺ، وَلَمْ يَقُلْ: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ؛ لِأَنَّ الْمُنَاسَبَ لِلْبَلَاغِ هُوَ الْوَصْفُ بِالرُّسُولِ ﴿بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾. وَذَلِكَ بِأَن تَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ. ﴿وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ مَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾. فَجَعَلَ إِبْلَاغَهُ لِلنَّاسِ فِعْلًا، وَفِعْلَ الْعَبْدِ مَخْلُوقٌ.

❦ ثُمَّ قَالَ: «وَقَالَ الزُّهْرِيُّ: مِنَ اللَّهِ الرَّسَالَةُ، وَعَلَى رَسُولِ اللَّهِ الْبَلَاغُ، وَعَلَيْنَا التَّسْلِيمُ». هَذِهِ كَلِمَاتٌ جَيِّدَةٌ.  
وَهَذَا مِنْ حَسَنِ الْأَدَبِ مَعَ اللَّهِ حَيْثُ قَالَ: مِنَ اللَّهِ الرَّسَالَةُ. وَلَمْ يَقُلْ: عَلَى اللَّهِ الرَّسَالَةُ. مَعَ أَنَّ اللَّهَ ﷻ قَالَ: ﴿إِنَّا عَلَيْنَا لَلْهُدَى﴾ [التوبة: ١٢]. فَأَوْجَبَ عَلَى نَفْسِهِ الْهُدَايَةَ، وَلَا هُدَايَةَ إِلَّا عَنْ طَرِيقِ الرِّسَالَةِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، لَكِنْ هَذَا مِنَ الزُّهْرِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَى سَبِيلِ الْأَدَبِ.

❦ وَقَوْلُهُ: «وَعَلَى رَسُولِ اللَّهِ الْبَلَاغُ». وَالبَلَاغُ مِنْ فِعْلِهِ فَيَكُونُ مَخْلُوقًا.

❦ وَقَوْلُهُ: «وَعَلَيْنَا التَّسْلِيمُ». أَيِ: التَّسْلِيمِ بِمَا تَقْضِيهِ هَذِهِ الرَّسَالَةُ، فَيَدْخُلُ فِي ذَلِكَ التَّصَدِيقُ؛ لِأَنَّ التَّسْلِيمَ لِلْأَوَامِرِ وَالنَّوَاحِي، وَالتَّصَدِيقُ لِلْأَخْبَارِ، وَكُلُّهَا وَاجِبَةٌ عَلَيْنَا، فَعَلَيْنَا أَنْ نَقْبَلَ وَعَلَيْنَا أَنْ نُسَلِّمَ، وَلَا نَعْتَرِضَ، وَلَا نَقُولَ: لَيْمَ؟ بَلْ نَقُولَ: سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا.

❦ ثُمَّ قَالَ: «وَقَالَ: ﴿لِيَعْلَمَ أَنَّ قَدْ أَتْلَفُوا﴾». قَوْلُهُ: وَقَالَ. لَا يَعُودُ عَلَى الزُّهْرِيِّ، بَلْ يَعُودُ عَلَى اللَّهِ ﷻ. وَفِي هَذَا إِشْكَالٌ مِنْ بَعْضِ الْوُجُوهِ؛ لِأَنَّهُ عَطَفَ فِعْلًا عَلَى اسْمٍ، حَيْثُ قَالَ: «بَابُ قَوْلِ اللَّهِ». ثُمَّ

قَالَ: «وقال تعالى». ثم قَالَ: «وقال». ولم يَقُلْ أَيضًا: «قَالَ اللَّهُ»، لكن يُوجَدُ نسخةٌ فيها: «وقال الله تعالى». وحينئذٍ يَرُودُ الإشكَالُ.

❦ يَقُولُ: «وقال: ﴿لِيَعْلَمَ أَنَّ قَدْ أَتْلَفُوا رِسَالَتِ رَبِّهِمْ﴾». الشاهدُ في هذا قوله: ﴿أَتْلَفُوا رِسَالَتِ رَبِّهِمْ﴾. والبلاغُ فعلُ المُبْلَغِ.

❦ ثم قَالَ: «وقال تعالى: ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَتِ رَبِّي﴾». والتبليغُ فعلُهُ.

❦ ثم قَالَ: «وقال كعبُ بنُ مالكٍ حينَ تَخَلَّفَ عن النَّبِيِّ ﷺ: وسيرى اللهَ عَمَلَكُمْ ورسولَهُ. وقالت عائشةُ: إذا أعجَبَكَ حسنُ عملِ امرئٍ فقلِ اعْمَلُوا فسيرى اللهَ عَمَلَكُمْ ورسولَهُ والمؤمنون، ولا يَسْتَخَفُّنَكَ أَحَدٌ». ومن العملِ قراءةُ القرآن.

فإن قَالَ قائلٌ: هل في أثرِ عائشةَ هذا دليلٌ لمن يَضَعُونَ هذه الآيةَ وهي قوله تعالى: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسِيرَىٰ إِلَهُكُمْ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: ١٨٠]. في المحافلِ والمناسباتِ وذلك في معرضِ الشَّاءِ؟

نَقُولُ: إن صحَّ الأثرُ عنها فإن فيه دليلٌ على أن ما نراه في المحافلِ مبنيٌّ على هذا الأثرِ، لكن سياقَ الآيةِ ليس في معرضِ الشَّاءِ بل هو في معرضِ التهديدِ.

قَالَ الْحَافِظُ أَبُو حَجْرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ:

زعم مغلطاui أن عبد الله بن المبارك أخرج هذا الأثر في كتاب البرِّ والصلَةِ عن سفيان، عن معاوية بن إسحاق، عن عروة، عن عائشة. وقد وَهَمَ في ذلك، وإنما وَقَعَ هذا في قصةٍ ذَكَرَهَا البخاريُّ في كتابِ خَلْقِ أَفْعَالِ الْعِبَادِ من روايةِ عَقِيلٍ، عن ابنِ شهابٍ، عن عروة، عن عائشةَ قَالَتْ: وَذَكَرْتُ الَّذِي كَانَ مِنْ شَأْنِ عَثْمَانَ: وَدِدْتُ أَنِي كُنْتُ نَسِيًا مَنْسِيًا، فوالله ما أَحْبَبْتُ أَنْ يَنْتَهَكَ مِنْ عَثْمَانَ أَمْرٌ قَطُّ إِلَّا أَنْتَهَكَ مِنِّي مِثْلُهُ، حَتَّى وَاللَّهِ لَوْ أَحْبَبْتُ قَتْلَهُ لَقَتَلْتُ، يَا عبيدَ اللَّهِ بنِ عدي لا يَغُرَّنَّكَ أَحَدٌ بَعْدَ الَّذِي تَعْلَمُ، فوالله ما اخْتَقَرْتُ مِنْ أَعْمَالِ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَتَّى نَجَمَ النَّفَرُ الَّذِينَ طَعَنُوا فِي عَثْمَانَ فَقَالُوا قَوْلًا لَا يَخْسُنُ مِثْلُهُ، وَقَرَأُوا قِرَاءَةً لَا يَخْسُنُ مِثْلُهَا، وَصَلَّوْا صَلَاةً لَا يُصَلِّي مِثْلُهَا، فَلَمَّا تَدَبَّرْتُ الصَّنِيعَ إِذَا هُمْ وَاللَّهِ مَا يُقَارِبُونَ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَإِذَا أَعْجَبَكَ حَسَنُ قَوْلِ امْرِئٍ فَقُلْ: ﴿اعْمَلُوا فَسِيرَىٰ إِلَهُكُمْ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ وَلَا يَسْتَخَفُّنَكَ أَحَدٌ.

وأَخْرَجَهُ ابنُ أَبِي حَاتِمٍ من روايةِ يونسَ بنِ يزيد، عن الزهريِّ قَالَ: أَخْبَرَنِي عروةُ أَنَّ عائشةَ كانت تَقُولُ: اخْتَقَرْتُ أَعْمَالَ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حِينَ نَجَمَ الْقَرَاءَةُ الَّذِينَ طَعَنُوا عَلَى عَثْمَانَ فَذَكَرْتُ نَحْوَهُ وَفِيهِ: فوالله ما يُقَارِبُونَ عَمَلَ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَإِذَا أَعْجَبَكَ حَسَنُ عَمَلِ امْرِئٍ مِنْهُمْ فَقُلْ: اعْمَلُوا... إِلَى آخِرِهِ.

والمَرَادُ بِالْقَرَاءَةِ الْمَذْكُورِينَ الَّذِينَ قَامُوا عَلَى عَثْمَانَ، وَأَنْكَرُوا عَلَيْهِ أَشْيَاءَ اعْتَذَرَ مِنْ فَعْلِهَا، ثُمَّ كَانُوا مَعَ عَلِيٍّ ثُمَّ خَرَجُوا بَعْدَ ذَلِكَ عَلَى عَلِيٍّ، وَقَدْ تَقَدَّمَتْ أَخْبَارُهُمْ مَفْصَلَةً فِي كِتَابِ الْفِتَنِ. ودلَّ سِيَاقُ الْقِصَةِ عَلَى أَنَّ الْمَرَادَ بِالْعَمَلِ مَا أَشَارَتْ إِلَيْهِ مِنَ الْقِرَاءَةِ وَالصَّلَاةِ وَغَيْرِهَا، فَسَمَتْ كُلَّ ذَلِكَ عَمَلًا.



❖ وقولها في آخره: «وَلَا يَسْتَحْفَنَنَّ أَحَدٌ». بالخاء المعجمة المكسورة، والفاء المفتوحة، والنون المثقلة للتأكيد، قال ابن التين، عن الداودي: معناه: لا تَعْتَرِ بِمَدْحِ أَحَدٍ وَحَاسِبِ نَفْسِكَ.

والصواب ما قاله غيره أن المعنى: لَا يَغُرُّكَ أَحَدٌ بِعَمَلِهِ فَتَظُنَّ بِهِ الْخَيْرَ، إِلَّا إِنْ رَأَيْتَهُ وَاقِفًا عِنْدَ حُدُودِ الشَّرِيعَةِ اهـ.

فَتَبَيَّنَ مِنْ شَرْحِ الْحَافِظِ رَحِمَهُ اللَّهُ: أَنَّهَا **﴿هِيَ﴾** لَمْ تَكُنْ تُرِيدُ الثَّنَاءَ بَلْ تُرِيدُ التَّهْدِيدَ، وَأَنَّهُ لَيْسَ فِي هَذَا الْأَثَرِ دَلِيلٌ لِمَا يَفْعَلُهُ بَعْضُ النَّاسِ الْيَوْمَ مِنْ وَضْعِ وَتَعْلِيْقِ هَذِهِ الْآيَةِ فِي الْمَحَافِلِ وَالْمُنَاسِبَاتِ بِغَرَضِ الثَّنَاءِ، بَلْ مَرَادُهَا **﴿هِيَ﴾**: أَنَّهُ إِذَا أَعْجَبَكَ حَسَنُ عَمَلِ امْرِئٍ مِنْ هَؤُلَاءِ الْخَوَارِجِ، الَّذِينَ خَرَجُوا عَلَى عِثْمَانَ ثُمَّ عَلَى عَلِيٍّ، فَقُلْ: **﴿اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾**. فَيَكُونُ تَهْدِيدًا وَلَيْسَ ثَنَاءً. وَلِهَذَا قَالَتْ: وَلَا يَسْتَحْفَنَنَّ أَحَدٌ؛ يَعْنِي: لَا يَغُرُّكَ صَلَاتُهُ، وَصِيَامُهُ، وَصَدَقَتُهُ، فَتَظُنَّ بِهِ خَيْرًا.

❖ ثُمَّ قَالَ: «وَقَالَ مَعْمَرٌ: **﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ﴾**: هَذَا الْقُرْآنُ. **﴿هَذِي يَتَشَقِّقُ﴾** **﴿الْفَقْهُ ٢﴾**: بَيَانٌ وَدِلَالَةٌ». قَوْلُهُ: **﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ﴾**: هَذَا الْقُرْآنُ. وَالتفسير هنا فيه شيءٌ مِنَ النَّظَرِ؛ لِأَنَّهُ فَسَّرَ اسْمَ الْإِشَارَةِ لِلْبَعِيدِ بِاسْمِ الْإِشَارَةِ لِلْقَرِيبِ، وَهَذَا يُؤَدِّي إِلَى اخْتِلَافِ الْمَعْنَى؛ لِأَن قَوْلَهُ تَعَالَى: **﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ﴾**. مَعَ أَنَّهُ بَيْنَ أَيْدِينَا وَقَرِيبٌ مِنْهُ فِيهِ بَلَاغَةٌ هِيَ الْإِشَارَةُ إِلَى عُلُوِّ مَكَانِهِ، فَهُوَ لَعَلَّوْ مَكَانَهُ كَأَنَّهُ بَعِيدٌ، ثُمَّ إِنْ مِنْ عَادَةِ الْعَرَبِ أَنَّ الْإِشَارَةَ بِالْبَعِيدِ تُقَيِّدُ تَعْظِيمَ الْمَشَارِ إِلَىهِ، فَتَقُولُ مِثْلًا: فَلَاَنَّ ذَلِكَ الرَّجُلَ الَّذِي فِيهِ كَذَا وَكَذَا.

فَالصَّوَابُ: أَنَّ نَقُولَ: ذَلِكَ الْكِتَابُ. أَي: ذَلِكَ الْقُرْآنُ.

❖ ثُمَّ قَالَ: **﴿هَذِي يَتَشَقِّقُ﴾** **﴿الْفَقْهُ ٢﴾**: بَيَانٌ وَدِلَالَةٌ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: **﴿ذَلِكَ حُكْمُ اللَّهِ﴾** **﴿الْمَجَاشِئُ ١٠﴾**. هَذَا حُكْمُ اللَّهِ. يُشِيرُ إِلَى أَنَّ هَذِهِ الْإِشَارَةَ لَا تَقْتَضِي بَعْدَ الْمَشَارِ إِلَىهِ عَنَا حَسًّا، لَكِنَّا تَقْتَضِي عُلُوَّهُ مَعْنَى. وَقَوْلُهُ: **﴿لَا رَبَّ﴾** **﴿الْفَقْهُ ٢﴾**: لَا شَكَّ. فَسَّرَ فِيهِ الرِّيبَ بِالشَّكِّ وَهَذَا تَفْسِيرٌ مُقَارِبٌ، لَكِن الرِّيبُ أَشَدُّ مِنَ الشَّكِّ، قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «مَقْدِمَةِ التَّفْسِيرِ»: الرِّيبُ أَشَدُّ مِنَ الشَّكِّ؛ لِأَنَّهُ شَكٌّ بِقَلْقٍ، وَالشَّكُّ يَكُونُ بِلا قَلْقٍ.

لَكِنَّ الْعُلَمَاءَ يَفْسِرُونَ الشَّيْءَ بِمَا يَقْرُبُهُ إِلَى الْأَذْهَانِ وَإِنْ كَانَ هُنَاكَ اخْتِلَافٌ يَسِيرٌ.

ثُمَّ قَالَ: **﴿تِلْكَ ءَايَتُ اللَّهِ﴾** **﴿الْفَقْهُ ٢٠٢﴾**: يَعْنِي هَذِهِ أَعْلَامُ الْقُرْآنِ. وَ«تِلْكَ» إِشَارَةٌ لِلْبَعِيدِ، وَ«هَذِهِ» لِلْقَرِيبِ.

ثُمَّ قَالَ: وَمِثْلُهُ: **﴿حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفَلَكَ وَجَرَيْنَ بِهِمْ﴾** **﴿الْفَقْهُ ٢٠٢﴾**. يَعْنِي: بِكُمْ. فَفِيهَا التَّفَاتُ، إِذَا كَانَ ظَاهِرُ السِّيَاقِ أَنْ يَقَالَ: وَجَرَيْنَ بِكُمْ. لَكِنَّ فِيهِ التَّفَاتُ مِنَ الْخَطَابِ إِلَى الْغَيْبِ.

وَالْتَفَاتُ فِي الْقُرْآنِ مَوْجُودٌ مِنْهُ، مِنَ الْخَطَابِ إِلَى الْغَيْبِ، وَمِنَ الضَّمِيرِ إِلَى الظَّاهِرِ، وَمِنَ الْغَيْبِ إِلَى الْمُتَكَلِّمِ، وَفَائِدَةُ الِاتِّفَاتِ الْعَامَّةِ - الَّتِي تَشْمَلُ كُلَّ التَّفَاتِ - هِيَ تَبْيِهُ الْمُخَاطَبِ؛ لِأَنَّ الْكَلَامَ إِذَا كَانَ عَلَى نَسَقٍ فَرُبَّمَا يَنَامُ الْمُخَاطَبُ، وَلَا سَبِيحًا إِنْ طَالَتِ الْمَدَّةُ أَوِ الْجَلْسَةُ، لَكِنَّ إِذَا اخْتَلَفَ النَّسَقُ فَكَأَنَّهُ يَقَرُّعُهُ بِشَيْءٍ لِيَتَبَه.

فهنا لما قَالَ سبحانه: ﴿حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفَلَكَ وَجَرَيْنَ بِهِمْ﴾. فَيَقُولُ السَّامِعُ لِمَاذَا لَمْ يَقُلْ: وَجَرَيْنَ بِكُمْ. فَيَسْتَبْهِهُ الْإِنْسَانُ، وَهَذَا فِيمَا إِذَا كَانَ الْإِنْسَانُ يَفْهَمُ الْمَعْنَى، أَمَا مِنْ لَا يَفْهَمُ الْمَعْنَى فَلَا أَمْرٌ عَلَيْهِ وَاحِدٌ، سِوَاءِ التَّفَتُّ أَمْ لَمْ يَلْتَفَتْ، لَكِنْ إِذَا كَانَ يَفْهَمُ الْمَعْنَى فَسَوْفَ يَقِفُ عِنْدَمَا يَكُونُ هُنَاكَ التَّفَاتُ وَيَسْتَبْهِهُ.

❖ وَقَوْلُهُ: ﴿«الْفَلَكَ»﴾. يَقُولُونَ إِنَّهَا كَلِمَةٌ يَسْتَوِي فِيهَا الْجَمَاعَةُ وَالْوَاحِدُ. قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفَلَكَ وَجَرَيْنَ﴾ وَهَذَا لِلْجَمَاعَةِ. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفَلَكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِي﴾ [التَّيْنِ: ٣٢]. فَهَذِهِ لَوَاحِدٌ، وَلَمْ يَقُلْ (لِجَرَيْنِ).

وَأَعْجَبَنِي مَرَّةً فِي الْفَقْهِ قَوْلُ بَعْضِ الْفُقَهَاءِ: إِذَا كَانَ الرَّجُلُ أَحَدٌ فَلِإِنَّهُ يَتَوَيَّ الرُّكُوعَ بِقَلْبِهِ دُونَ إِحْدَاثِ فِعْلٍ لِأَنَّهُ رَاكِعٌ، وَالْأَحَدُ هُوَ مُحَنِي الظَّهْرِ، وَهَذَا يَكُونُ غَالِبًا فِي الْكِبَارِ.

قَالَ ابْنُ عَقِيلٍ: كَفَّلَكَ فِي الْعَرَبِيَّةِ؛ ذَلِكَ لِأَنَّ «فَلَكَ» تَصْلُحُ لِلْجَمَاعَةِ وَالْوَاحِدِ، وَانْحِنَاءُ هَذَا الرَّجُلِ يَصْلُحُ لِلرُّكُوعِ وَالْقِيَامِ.

فَانْظُرْ كَيْفَ جَمَعَ بَيْنَ النَّحْوِ وَالْفَقْهِ.

وَيُقَالُ: إِنَّ الْكِسَائِيَّ وَأَبَا يَوْسُفَ كَانَا عِنْدَ هَارُونَ الرَّشِيدِ - وَكَانَ الْكِسَائِيُّ يَقُولُ: إِذَا أَتَقَنْتُ فَنَّا مِنَ الْعِلْمِ اسْتَعْنَيْتَ بِهِ عَنْ غَيْرِهِ - فَاخْتَبَرَهُ أَبُو يَوْسُفَ وَقَالَ لَهُ: مَا تَقُولُ فِيمَا إِذَا سَهَا الْإِنْسَانُ فِي سَجُودِ السُّهُوِّ؟ قَالَ: أَقُولُ إِنَّهُ إِذَا سَهَا فِي سَجُودِ السُّهُوِّ فَلَا سَهْوَ عَلَيْهِ. فَقَالَ: وَمِنْ أَيْنَ أَخَذْتَ هَذَا مِنْ عِلْمِكَ - وَالْكِسَائِيُّ إِمَامُ النَّحْوِ - فَقَالَ: أَخَذْتُهُ مِنْ قَاعِدَةٍ أَنَّ الْمَصْغَرَّ لَا يُصْغَرُ، وَسَجُودُ السُّهُوِّ بِالنَّسْبَةِ لِلصَّلَاةِ مُصْغَرٌ.

قَدْ تَكُونُ هَذِهِ الْحِكَايَةُ صَحِيحَةً، وَقَدْ تَكُونُ غَيْرَ صَحِيحَةٍ، فَإِنْ كَانَتْ صَحِيحَةً فَهَذِهِ مِنْ ظَرَافَةِ الْكِسَائِيِّ، وَإِلَّا فَالْوَاقِعُ أَنَّ الْعِلْمَ لَا يُغْنِي بَعْضُهَا عَنْ بَعْضٍ، وَلَكِنْ لَا شَكَّ أَنَّ الَّذِي يَكُونُ عِنْدَهُ قُوَّةٌ فِي عِلْمٍ مِنَ الْعِلْمِ فَإِنَّهُ يَسْهُلُ عَلَيْهِ بَقِيَّةُ الْعِلْمِ الْآخَرِ.

وَمَرَادُ الْبُخَارِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ مِنْ سَوِّقِ كَلَامٍ مَعْمَرٍ هَذَا أَنْ يُضْرِبَ أَمْثَلَةً لِكُونَ الْكَلَامِ يَجْرِي عَلَى خِلَافِ ظَاهِرِهِ، كَتَفْسِيرِ قَوْلِهِ: ﴿ذَلِكَ أَلَكْتُبُ﴾ بـ «هَذَا الْقُرْآنُ».

ثُمَّ قَالَ: وَقَالَ أَنَسٌ: بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ خَالَه حَرَامًا إِلَى قَوْمِهِ وَقَالَ: أَتُؤْمِنُونِي أَبْلُغُ رِسَالَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَجَعَلَ يُحَدِّثُهُمْ.

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «الْفَتْحِ» (٥٠٦/١٣):

❖ قَوْلُهُ: «قَالَ أَنَسٌ: بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ خَالَه حَرَامًا إِلَى قَوْمِهِ وَقَالَ: أَتُؤْمِنُونِي أَبْلُغُ رِسَالَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَجَعَلَ يُحَدِّثُهُمْ». هَذَا طَرَفٌ مِنْ حَدِيثٍ وَصَّلَهُ الْمُؤَلِّفُ فِي الْجِهَادِ مِنْ طَرِيقِ هَمَامٍ، عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ، عَنْ أَنَسٍ قَالَ: بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ أَقْوَامًا مِنْ بَنِي سُلَيْمٍ إِلَى بَنِي عَامِرٍ فِي سَبْعِينَ رَاكِبًا، فَلَمَّا قَدِمُوا قَالَ لَهُمْ خَالِي: أَتَقْدِمُكُمْ فَإِنْ أَمَّنُونِي حَتَّىٰ أَبْلَغَهُمْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَإِلَّا كُتِمَ قَرِيبًا مِنِّي. فَتَقَدَّمَ فَأَمَّنُوهُ، فَبَيْنَمَا هُوَ يُحَدِّثُهُمْ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، فَذَكَرَ الْقِصَّةَ.

وَلَفْظُهُ فِي الْمَغَازِي عَنْ أَنَسٍ: فَانْطَلَقَ حَرَامٌ أَخُو أُمِّ سُلَيْمٍ فَذَكَرَهُ وَفِيهِ: وَإِنْ قَتَلُونِي أَتَيْتُمْ



أصحابكم، فقال: أَتُؤْمِنُونِي أَبْلُغُ رِسَالَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَجَعَلَ يُحَدِّثُهُمْ، وَأَمَاؤَ إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ فَأَتَاهُ فَطَعَنَهُ مِنْ خَلْفِهِ. الْحَدِيثُ. وَسِيَاقُهُ فِي الْمَغَازِي أَقْرَبُ إِلَى اللَّفْظِ الْمَعْلُوقِ هُنَا.

وَفِي السِّيَاقِ حَذْفُ تَقْدِيرِهِ بَعْدَ قَوْلِهِ أَتَيْتُمْ أَصْحَابَكُمْ: فَأَتَى الْمَشْرُوكِينَ فَقَالَ: أَتُؤْمِنُونِي. اهـ

\*\*\*

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٥٣٠- حَدَّثَنَا الْفَضْلُ بْنُ يَعْقُوبَ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرِ الرَّقِّي، حَدَّثَنَا الْمُعْتَمِرُ بْنُ سُلَيْمَانَ، حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ التَّقْفِيُّ، حَدَّثَنَا بَكْرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْمَرْزِيُّ، وَزَيْدُ بْنُ جَبْرِ بْنِ حَبَّ، عَنْ جَبْرِ بْنِ حَبَّ، قَالَ الْمُغِيرَةُ: أَخْبَرَنَا نَيْسَابُ عَنْ رَسُولِ رَبِّنَا أَنَّهُ مَنْ قُتِلَ مِنَّا صَارَ إِلَى الْجَنَّةِ.

الشَّاهِدُ مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ: قَوْلُهُ: «أَخْبَرَنَا عَنْ رَسُولِ رَبِّنَا»، وَإِخْبَارُهُ مِنْ فَعْلِهِ.

\*\*\*

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٥٣١- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ، عَنْ الشَّعْبِيِّ، عَنْ مَسْرُوقٍ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: مَنْ حَدَّثَكَ أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ كَتَمَ شَيْئًا. وَقَالَ مُحَمَّدٌ: حَدَّثَنَا أَبُو عَامِرٍ الْعَقَدِيُّ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَبِي خَالِدٍ، عَنْ الشَّعْبِيِّ، عَنْ مَسْرُوقٍ، عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: مَنْ حَدَّثَكَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَتَمَ شَيْئًا مِنَ الْوَحْيِ فَلَا تُصَدِّقْهُ، إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿يَأْتِيهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ مَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ [التَّوْبَةُ: ٦٧].

الشَّاهِدُ مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ قَوْلُهُ: «وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ». مَعَ أَنَّ الرَّسُولَ كَانَ يَتْلُو الْقُرْآنَ تِلَاوَةً.

\*\*\*

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ:

٧٥٣٢- حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنْ الْأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي وَائِلٍ، عَنْ عَمْرِو بْنِ شُرَحْبِيلَ قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللَّهِ قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ الذَّنْبِ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ؟ قَالَ: «أَنْ تَدْعُو اللَّهَ نِدَاً وَهُوَ خَلْقَكَ». قَالَ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: «ثُمَّ أَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ خَافَةً أَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ». قَالَ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: «أَنْ تَزَانِي حَبْلِيلَةَ جَارِكَ». فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَصْدِيقَهَا: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾ (٢٨) يُضَاعَفُ لَهُ الْكَذَابُ ﴿[التَّوْبَةُ: ٦٨-٦٩] الْآيَةُ (١)﴾.

هَذَا الْحَدِيثُ أَيْضًا تَأْكِيدٌ لِأَنَّ أَفْعَالَ الْإِنْسَانِ مَخْلُوقَةٌ حَتَّى وَلَوْ كَانَ يَنْطَلِقُ بِالْقُرْآنِ.

وَهَذَا الْحَدِيثُ فِيهِ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ: أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ - أَوْ أَكْبَرُ - عِنْدَ

الله؟ وفي حديث آخر سألته: أي العمل أحبُّ إلى الله؟<sup>(١)</sup> مما يدلُّ على حرص الصحابة رضي الله عنهم على معرفة الأحبِّ إلى الله، والأكبر عنده سبحانه من الذنوب؛ حتَّى يفعلوا الأحبَّ، ويتركوا الأعظم، وإن كانوا يتركون يتركون - بقدر استطاعتهم - من الذنوب ما هو أعظم، وما هو دون ذلك، لكنَّ الأعظم يكونون أشدَّ منه هرباً.

وقد أنزل الله تصديق ذلك قوله: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ﴾.



ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٤٧- باب قول الله تعالى: ﴿قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا﴾ [التوبة: ١٣]. وقول النبي ﷺ: «أُعْطِيَ أَهْلُ التَّوْرَةِ التَّوْرَةَ فَعَمِلُوا بِهَا، وَأُعْطِيَ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ الْإِنْجِيلَ فَعَمِلُوا بِهِ، وَأُعْطِيَ الْقُرْآنَ فَعَمِلْتُمْ بِهِ».

الشاهد من هذا الحديث قوله: «فَعَمِلْتُمْ بِهِ». فسَمِيَ التمسك بالتوراة والإنجيل والقرآن عملاً، وسَمِيَ التوراة والإنجيل والقرآن إيتاءً، وهذا كما ذكرنا يدلُّ على أن ذلك من فعل العبد؛ لأنَّ العمل بالتوراة يشمَلُ تلاوة التوراة، وكذلك الإنجيل، وكذلك القرآن.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا﴾. هذه الآية نزلت عند قوله تعالى: ﴿كُلُّ الظَّالِمِ كَانَ جَلًّا لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَءِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنْزَلَ التَّوْرَةُ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا﴾. والمقصود من ذلك تكذيب اليهود في منعهم النسخ، فإن هذا صريح في النسخ، فإن إسرائيل قد حرَّم على نفسه شيئاً، ثم نزلت التوراة بحله، وهذا يدلُّ على أن النسخ جائز عقلاً وواقعاً شرعاً. واليهود إنما منعوا النسخ لِيُسَوِّغُوا تكذيبهم لعيسى، ثم تكذيبهم لمحمد؛ لأنهم قالوا: الشرائع لا تنسخ، فالنسخ طعن في الله ﷻ؛ لأنه يلزَمُ منه البداء؛ أي: أنه بدا له غير ما كان عنده أولاً، كما لو أمرت خادمك أن يفعل شيئاً ثم بدا لك أنه ليس بمناسب فنهيتَه عنه، فهذا منعوا النسخ.

ولكن نقول لهم: إن النسخ ثابت حتَّى في التوراة، وفي جميع الشرائع، ولا يلزَمُ منه البداء على الله، وهو الظهور بعد الخفاء؛ لأنَّ الله عالم بالحكم الناسخ والحكم المنسوخ، لكنَّ حكمة الله ﷻ تقتضي أن يُعَمَلَ بالمنسوخ في وقته، وبالناسخ في وقته، والأمرُ تَخْتَلِفُ حالها، وتَخْتَلِفُ أيضاً فيما بينها، فقد يُحرَّم على أمٍّ ما يُحَلَّل لغيرها، وقد يُوجِبُ عليها ما لا يُوجِبُ على غيرها، ولهذا وصف الله النبي ﷺ بأنه: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ [البقرة: ١٥٧].





ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَقَالَ أَبُو رَزِينٍ: يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ: يَتَّبِعُونَهُ وَيَعْمَلُونَ بِهِ حَقَّ عَمَلِهِ. يُقَالُ: يُتْلَى: يُقْرَأُ، حَسَنُ التَّلَاوَةِ: حَسَنُ الْقِرَاءَةِ لِلْقُرْآنِ. لَا يَمَسُّهُ: لَا يَجِدُ طَعْمَهُ وَنَفْعَهُ إِلَّا مَنْ آمَنَ بِالْقُرْآنِ وَلَا يَحْمِلُهُ بِحَقِّهِ إِلَّا الْمُؤَقِّنُ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَثْقَارًا بَشَرًا مِثْلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [٥٠].

❦ قوله: «وقال أبو رزين: يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ: يَتَّبِعُونَهُ وَيَعْمَلُونَ بِهِ حَقَّ عَمَلِهِ». التلاوة للقرآن. تَقْسِيمُ إِلَى قَسَمَيْنِ:

تلاوة لفظية، وتلاوة اتباع.

أما التلاوة اللفظية فظاهرة وهي أن يَقْرَأَ الإنسان القرآن، فهذا يُقَالُ: تلا القرآن. وتلاوة التبعية: هي أن يَتَّبِعَ القرآنَ تصديقاً بأخباره، وامتنالاً لأحكامه، وهذه هي الثمرة والغاية، وقد استدلل المؤلف لذلك بما ذكره عن أبو رزين.

ثم استدلل للمعنى الثاني للتلاوة وهو القراءة، فقال: يُتْلَى: يُقْرَأُ. حَسَنُ التَّلَاوَةِ: حَسَنُ الْقِرَاءَةِ لِلْقُرْآنِ، لَا يَمَسُّهُ: لَا يَجِدُ طَعْمَهُ وَنَفْعَهُ إِلَّا مَنْ آمَنَ بِالْقُرْآنِ، وَلَا يَحْمِلُهُ بِحَقِّهِ إِلَّا الْمُؤَقِّنُ. ولكنَّ قوله تعالى: ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ [٧٩]. الصَّحِيحُ أن الضمير فيه يعودُ على الكتابِ الممكنون لا على القرآن؛ لأن الضمير يعودُ إلى أقربِ مذكور، ولأن الجملة خبرية وليست طلبية، ومعلوم أن القرآن يَمَسُّهُ الْمُطَهَّرُ وَغَيْرُهُ.

وأما من قال: إن الضمير يعودُ على القرآن، وأن المراد: ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾؛ أي: الذين تطهروا. فهذا ليس بصحيح؛ لأنه لو كان الأمر كذلك لقال: لا يمسُّه إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ. كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ﴾ [٢٢٢]. وقال تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا﴾ [٦٠].

فالصحيح أن الضمير في قوله تعالى: ﴿يَمَسُّهُ﴾ يعودُ إلى الكتابِ الممكنون.

ثم إن المؤلف أشار إلى أن المسَّ قد يَكُونُ حَسِيًّا وذلك باليد، وقد يَكُونُ معنويًّا وذلك بالقلب، فلا يجد طعم الإيمان، ولا يصلُّ إلى عظمته، وَيَتَنَبَّعُ به إِلَّا مَنْ آمَنَ به.

ثُمَّ قَالَ: لقوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَثْقَارًا﴾ [٥٠]. وهؤلاء هم اليهود، فقد حُمِّلُوا التَّوْرَةَ بتعليمهم إياها، وتنزيلها عليهم ولكنهم لم يَحْمِلُوهَا؛ أي: لم يَقُومُوا بِحَقِّهَا، فمثَّلهم كمثل الحمارِ يَحْمِلُ أَثْقَارًا؛ أي: يحمل كتباً، فإنه لا يَتَنَبَّعُ بها، فهؤلاء لَمَّا حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ولكن لم يَعْمَلُوا بها صاروا كمثل الحمار، وشبههم بالحمار؛ لأن الحمار أبلدُ الحيوانات. ثم قَالَ: ﴿بَشَرًا مِثْلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [٥٠]. قوله: ﴿بَشَرًا﴾. هذا فعلٌ جامدٌ لإنشاءِ الذمِّ، وقوله: ﴿مِثْلُ﴾. فاعلٌ، والمخصوصُ محذوفٌ؛ أي: بشَرًا مِثْلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ مِثْلُهُمْ.

ثُمَّ قَالَ: «وَاللَّهِ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَالِاقِينَ». هَذِهِ الْجُمْلَةُ فِيهَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُمْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَحَرِمُوا الْهُدَى، وَفِيهَا أَيْضًا تَحْذِيرُ الْإِنْسَانَ مِنَ الظُّلْمِ، وَأَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا ظَلَمَ حُرِمَ الْهُدَى - وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ - وَإِذَا اهْتَدَى زَادَهُ اللَّهُ هُدًى.

وَالْمَقْصُودُ مِنْ هَذَا الْبَابِ أَنَّ قِرَاءَةَ الْقَارِئِ مِنَ الْأَشْيَاءِ الْمَخْلُوقَةِ؛ لِأَنَّهَا فَعْلُهُ، وَالْإِنْسَانُ وَفَعْلُهُ مَخْلُوقَانِ، وَأَمَّا الْمَقْرُوءُ فَإِنَّهُ كَلَامُ اللَّهِ ﷻ غَيْرُ مَخْلُوقٍ.



ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ:

وَسَمَّى النَّبِيُّ ﷺ الْإِسْلَامَ وَالْإِيمَانَ وَالصَّلَاةَ عَمَلًا <sup>(١)</sup>. قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِبِلَالٍ: «أَخْبِرْنِي بِأَرْجَى عَمَلٍ عَمِلْتَهُ فِي الْإِسْلَامِ». قَالَ: مَا عَمِلْتُ عَمَلًا أَرْجَى عِنْدِي أَنِّي لَمْ أَتَطَهَّرْ إِلَّا صَلَّيْتُ. وَسُئِلَ أَيُّ الْعَمَلِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «إِيمَانٌ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، ثُمَّ الْجِهَادُ، ثُمَّ حَجٌّ مَبْرُورٌ». كُلُّ هَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ عَمَلَ الْعَبْدِ مِنْ فَعْلِهِ وَكُسْبِهِ، وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَهُوَ مَخْلُوقٌ.

❦ وَقَوْلُهُ: «إِنَّ الْإِيمَانَ يُسَمَّى عَمَلًا». ذَلِكَ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: «وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيمَانَكُمْ» [التوبة: ١٨٣]. قَالَ الْعُلَمَاءُ: صَلَاتُكُمْ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ <sup>(٢)</sup>. وَهِيَ عَمَلٌ، وَقَدْ سَمَّى النَّبِيُّ ﷺ الْإِيمَانَ عَمَلًا حِينَ سُئِلَ: أَيُّ الْعَمَلِ أَفْضَلُ؟ فَقَالَ: «إِيمَانٌ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ». وَالْإِيمَانُ لَا شَكَّ أَنَّهُ إِقْرَارُ الْقَلْبِ، وَمَنْ يَتَرَتَّبَ عَلَى الْإِيمَانِ مِنَ الرَّجَاءِ وَالْخَوْفِ، فَهُوَ عَمَلُ الْقَلْبِ.

وَهَلْ نَقُولُ: إِنَّ الْإِيمَانَ مَخْلُوقٌ؟

**نَقُولُ:** الْإِيمَانُ مَخْلُوقٌ لَا شَكَّ؛ لِأَنَّهُ إِقْرَارُ الْقَلْبِ وَاعْتِرَافُهُ، فَهُوَ صِفَةٌ فِي قَلْبِ الْمُؤْمِنِ، وَالْمُؤْمِنُ بِصِفَاتِهِ مَخْلُوقٌ.

لَكِنْ مَا يُؤْمَنُ بِهِ يَنْقَسِمُ إِلَى مَخْلُوقٍ وَغَيْرِ مَخْلُوقٍ، فَالرَّبُّ ﷻ يُؤْمَنُ بِهِ وَهُوَ ﷻ بِصِفَاتِهِ أَزَلِيٌّ أَبَدِيٌّ، فَهُوَ الْخَالِقُ وَمَا سِوَاهُ مَخْلُوقٌ، وَالْمَلَائِكَةُ يُؤْمَنُ بِهِمْ وَهُمْ مَخْلُوقُونَ، وَالرَّسُلُ مَخْلُوقُونَ، وَالْكِتَابُ غَيْرُ مَخْلُوقَةٍ، وَالْقُدْرُ الَّذِي هُوَ تَقْدِيرُ اللَّهِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ؛ لِأَنَّهُ مِمَّنْ صِلَفَاتُهُ فَالْمُهَمُّ أَنَّ الْإِيمَانَ مَا نَفْسُهُ الَّذِي هُوَ إِيمَانُ الْعَبْدِ مَخْلُوقٌ؛ لِأَنَّهُ مِنْ صِفَاتِهِ، وَأَمَّا الْمُؤْمِنُ بِهِ فَإِنَّهُ يَنْقَلِبُ إِلَى مَخْلُوقٍ وَغَيْرِهِ، حَسَبَ مَا تَقْتَضِيهِ الْأَدَلَّةُ الشَّرْعِيَّةُ.

(١) أَمَا تَسْمِيَةُ النَّبِيِّ ﷺ لِلْإِيمَانِ وَالْإِسْلَامِ عَمَلًا فَكَمَا فِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَيُّ الْعَمَلِ أَفْضَلُ؟». وَهُوَ مُسْنَدٌ عِنْدَ الْبُخَارِيِّ فِي «صَحِيحِهِ» بِرَقْمِ (٢٦).

(٢) التَّغْلِيْقُ (٣٧٠ / ٥).

(٢) انْظُرْ «تَفْسِيرَ الطَّبْرِيِّ» (١٨، ١٧ / ٢١) وَ«الدَّرُ الْمُنْتَوَر» (٣٥٣ / ١).

(٣) (٧٦١) (٥٨) هَلَسَةُ ١٤١٠.





ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٥٣٣- حَدَّثَنَا عَبْدَانُ، أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ، أَخْبَرَنَا يُونُسُ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، أَخْبَرَنِي سَالِمٌ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّمَا بَقَاؤُكُمْ فِيمَنْ سَلَفَ مِنَ الْأُمَمِ كَمَا بَيْنَ صَلَاةِ الْعَصْرِ إِلَى غُرُوبِ الشَّمْسِ، أَوْتِيَ أَهْلُ التَّوْرَةِ التَّوْرَةَ فَعَمِلُوا بِهَا حَتَّى اتَّصَفَ النَّهَارُ، ثُمَّ عَجَزُوا فَأَعْطُوا قِرَاطًا قِرَاطًا، ثُمَّ أَوْتِيَ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ الْإِنْجِيلَ فَعَمِلُوا بِهِ حَتَّى صُلِبَتِ الْعَصْرُ، ثُمَّ عَجَزُوا فَأَعْطُوا قِرَاطًا قِرَاطًا، ثُمَّ أَوْتِيَتْ الْقُرْآنَ فَعَمِلْتُمْ بِهِ حَتَّى غَرَبَتِ الشَّمْسُ، فَأَعْطَيْتُمْ قِرَاطَيْنِ قِرَاطَيْنِ، فَقَالَ أَهْلُ الْكِتَابِ: هَؤُلَاءِ أَقَلُّ مِنَّا عَمَلًا وَأَكْثَرُ أَجْرًا. قَالَ اللَّهُ: هَلْ ظَلَمْتُكُمْ مِنْ حَقِّكُمْ شَيْئًا؟ قَالُوا: لَا. قَالَ: فَهُوَ فَضْلِي أَوْتِيَهُ مَنْ أَشَاءَ».

الشاهد من هذا الحديث قوله: «فعملوا بها» أي: بالتوراة، وفي الإنجيل قَالَ: «عملوا به». وفي القرآن قَالَ: «عملتم به». ومن العمل به تلاوته، فتكون التلاوة عملاً، ويكون المتلو هو كلام الله غير مخلوق.



ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٤٨- بَابُ وَاسَمَى النَّبِيُّ ﷺ الصَّلَاةَ عَمَلًا<sup>(١)</sup>. وَقَالَ: «لَا صَلَاةَ لِمَنْ لَمْ يَفْرَأْ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ».

قوله: وقال: «لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب». الفاتحة من الصلاة، بل هي ركن في الصلاة، فتدخل في كون قراءة الفاتحة عملاً، وهذا هو المقصود من أن فعل الإنسان مخلوق، وأما مفعوله فمنه المخلوق، ومنه غير المخلوق.



ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٥٣٤- حَدَّثَنِي سُلَيْمَانُ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ الْوَلِيدِ، حَدَّثَنِي عَبْدُ بْنُ يَعْقُوبَ الْأَسَدِيُّ، أَخْبَرَنَا عَبْدُ بْنُ الْعَوَّامِ، عَنِ الشَّيْبَانِيِّ، عَنِ الْوَلِيدِ بْنِ الْعِزَّارِ، عَنْ أَبِي عَمْرٍو الشَّيْبَانِيِّ، عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ: أَيُّ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «الصَّلَاةُ لَوْ قُتِلَتْ، وَبُرِّ الْوَالِدَيْنِ، ثُمَّ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»<sup>(٢)</sup>.

السائل في هذا الحديث هو ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كما جاء مصرحاً به قَالَ: سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ: أَيُّ الْعَمَلِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ؟ قَالَ: «الصَّلَاةُ لَوْ قُتِلَتْ». قلتُ: ثم أيُّ؟ قَالَ: «بُرِّ الْوَالِدَيْنِ». قلتُ: ثم أيُّ؟ قَالَ: «الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ». وهذا السياق أتم ما ذكره المؤلف.

والشاهد من هذا الحديث: أن الرسول ﷺ سَمَّى الصَّلَاةَ عَمَلًا، والصلاة فيها قراءة قرآن.



(١) وذلك كما في حديث الباب برقم (٧٥٣٤).

(٢) رواه مسلم (٨٥) (١٣٧).

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٤٩ - بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾ (١٨) إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جُرُوعًا (١٩) وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا (٢٠). هَلُوعًا: ضَجُورًا.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾. الْإِنْسَانُ هُنَا اسْمُ جَنْسٍ بِدَلِيلِ قَوْلِهِ: ﴿إِلَّا الْمُصَلِّينَ﴾ (٢١) رَحِمَهُ اللَّهُ (٢٢).

وَقَوْلُهُ: «خُلِقَ»؛ أَي: خَلَقَهُ اللَّهُ، «هَلُوعًا»؛ أَي: غَيْرَ صَبُورٍ، بَلْ هُوَ ضَجُورٌ يَتَضَجَّرُ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ، «وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا».

فَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزِعَ. وَمِنَ الشَّرِّ الْفَقْرُ، وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ وَمِنَ الْغِنَى كَانَ مَنُوعًا، فَيَتَضَجَّرُ مِنْ غَيْرِهِ، وَلَا يَتَضَجَّرُ مِنْ نَفْسِهِ، «إِلَّا الْمُصَلِّينَ» (٢٣) الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ (٢٤) إِلَى آخِرِ أَوْصَافِهِمْ.

وَمُنَاسِبَةُ الْبَابِ لِلتَّرْجُمَةِ قَالَ الْحَافِظُ فِي «الْفَتْحِ» (١٣/٥١١):

قَالَ ابْنُ بَطَالٍ: مَرَادُهُ فِي هَذَا الْبَابِ إِبْطَاءُ خَلْقِ اللَّهِ تَعَالَى لِلْإِنْسَانِ بِأَخْلَاقِهِ مِنَ الْهَلَعِ وَالصَّبْرِ وَالْمَنْعِ وَالْإِعْطَاءِ، وَقَدْ اسْتَشَى اللَّهُ الْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ لَا يَضَجُّونَ بِتَكَرُّرِهَا عَلَيْهِمْ، وَلَا يَمْنَعُونَ حَقَّ اللَّهِ فِي أَمْوَالِهِمْ؛ لِأَنَّهُمْ يَخْتَسِبُونَ بِهَا الثَّوَابَ، وَيَكْسِبُونَ بِهَا التَّجَارَةَ الرَّابِحَةَ فِي الْآخِرَةِ، وَهَذَا يُفْهَمُ مِنْهُ أَنَّ مَنْ ادَّعَى لِنَفْسِهِ قُدْرَةً وَحَوْلًا بِالْمَسَاكِ وَالشُّعِّ وَالضُّجْرِ مِنَ الْفَقْرِ وَقِلَّةِ الصَّبْرِ لِقَدْرِ اللَّهِ تَعَالَى لَيْسَ بِعَالِمٍ وَلَا عَابِدٍ؛ لِأَنَّ مَنْ ادَّعَى أَنَّ لَهُ قُدْرَةً عَلَى نَفْعِ نَفْسِهِ أَوْ دَفْعِ الضَّرِّ عَنْهَا فَقَدْ أَفْتَرَى. انْتَهَى مَلْخَصًا.

وَأَوَّلُهُ كَافٍ فِي الْمَرَادِ، فَإِنْ قَصَدَ الْبُخَارِيُّ أَنَّ الصِّفَاتِ الْمَذْكُورَةَ بِخَلْقِ اللَّهِ تَعَالَى فِي الْإِنْسَانِ، لَا أَنَّ الْإِنْسَانَ يَخْلُقُهَا بِفَعْلِهِ.

وَفِيهِ: أَنَّ الرِّزْقَ فِي الدُّنْيَا لَيْسَ عَلَى قَدَرِ دَرَجَةِ الْمَرْزُوقِ فِي الْآخِرَةِ، وَأَمَّا فِي الدُّنْيَا فَإِنَّمَا تَقَعُ الْعَطِيَّةُ وَالْمَنْعُ بِحَسَبِ السِّيَاسَةِ الدُّنْيَوِيَّةِ، فَكَانَ ﷺ يُعْطِي مَنْ يَخْشَى عَلَيْهِ الْجَزَعَ وَالْهَلَعَ لَوْ مُنِعَ، وَيَمْنَعُ مَنْ يَتَّقُ بَصِيرَهُ وَاحْتِمَالَهُ وَقَنَاعَتَهُ بِثَوَابِ الْآخِرَةِ. اهـ.

أَي: كَانَتِ الصِّفَاتُ الَّتِي فِي الْإِنْسَانِ مِنَ الْمَنْعِ وَالْإِعْطَاءِ وَغَيْرِهَا مِنْ جَمَلَةِ الصِّفَاتِ الَّتِي خُلِقَ عَلَيْهَا، فَهُوَ مَنُوعٌ وَجَزُوعٌ، بِحَسَبِ الْخَلْقَةِ الَّتِي خَلَقَهُ اللَّهُ عَلَيْهَا.

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٥٣٥ - حَدَّثَنَا أَبُو الثَّعْمَانِ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ بْنُ حَازِمٍ، عَنِ الْحَسَنِ، حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ تَغْلِبٍ قَالَ: أَتَى النَّبِيَّ ﷺ مَالٌ فَأَعْطَى قَوْمًا وَمَنْعَ آخَرِينَ، فَبَلَغَهُ أَنَّهُمْ عَتَبُوا، فَقَالَ: «إِنِّي أُعْطِي الرَّجُلَ وَأَدْعُ الرَّجُلَ، وَالَّذِي أَدْعُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الَّذِي أُعْطِي، أُعْطِي أَقْوَامًا لِيَا فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الْجَزَعِ وَالْهَلَعِ، وَأَكِلَ أَقْوَامًا إِلَى مَا جَعَلَ اللَّهُ فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الْغِنَى وَالْخَيْرِ مِنْهُمْ عَمْرُو بْنُ تَغْلِبٍ». فَقَالَ عَمْرُو: مَا أَحَبُّ أَنْ لِي بِكَلِمَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حُمْرَ النَّعَمِ.

قَوْلُهُ: «مَا أَحَبُّ أَنْ لِي بِكَلِمَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حُمْرَ النَّعَمِ». لَا شَكَّ أَنَّ هَذَا أَحْسَنُ مِنْ كُلِّ مَالٍ أَنْ يَشْهَدَ لَهُ



الرسول ﷺ بهذه الصفة الحميدة. وهي ما جعل الله في قلبه من الغنى والخير.

**وفي هذا الحديث:** دليل على كمال حكمة النبي ﷺ في معاملة الخلق، وأنه قد يُعطي أقوامًا ويدعُ أقوامًا آخرين، وهذا موجودٌ حتى في عرف الناس الآن، فتجده يُعطي أقوامًا ولا يُعطي آخرين، ويكلِّهم إلى ما في قلوبهم وما في قلبه أيضًا لهم، ولا يُعُدُّون ذلك نقصًا في حقهم.

وهكذا ينبغي للإنسان في إعطائه ومنعه أن يُراعي المصلحة، حتى إذا رأى أن هذا الشخص إذا لم يُعطه أُصيبَ بدينه فإنه يُعطيه، ويكون هذا من باب التأليف، والتأليف على الإسلام ابتداءً أو تقويةً مما يجوز دفعُ الزكاة فيه، فكيف بالصدقات والتبرع؟!

\*\*\*

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٥٠- باب ذكر النبي ﷺ وَرِوَايَتِهِ عَنْ رَبِّهِ.

٧٥٣٦- حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحِيمِ، حَدَّثَنَا أَبُو زَيْدٍ سَعِيدُ بْنُ الرَّبِيعِ الْهَرَوِيُّ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ يَرْوِيهِ عَنْ رَبِّهِ قَالَ: «إِذَا تَقَرَّبَ الْعَبْدُ إِلَيَّ شَبْرًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِذَا تَقَرَّبَ مِنِّي ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا، وَإِذَا أَتَانِي مَشِيًا أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً»<sup>(١)</sup>.

٧٥٣٧- حَدَّثَنَا مُسْلَدٌ، عَنْ يَحْيَى، عَنِ التَّيْمِيِّ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: رُبَّمَا ذَكَرَ النَّبِيُّ ﷺ قَالَ: «إِذَا تَقَرَّبَ الْعَبْدُ مِنِّي شَبْرًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ ذِرَاعًا، وَإِذَا تَقَرَّبَ مِنِّي ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا أَوْ بُوْعًا». وَقَالَ مُعْتَمِرٌ: سَمِعْتُ أَبِي، سَمِعْتُ أَنَسًا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ يَرْوِيهِ عَنْ رَبِّهِ ﷺ.

قد سبق الكلام على هذا الحديث.

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٥٣٨- حَدَّثَنَا آدَمُ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ زَيْدٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ يَرْوِيهِ عَنْ رَبِّكُمْ قَالَ: «لِكُلِّ عَمَلٍ كَفَّارَةٌ، وَالصَّوْمُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، وَلِخُلُوفِ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمُسْكِ»<sup>(٢)</sup>.

٧٥٣٩- حَدَّثَنَا حَفْصُ بْنُ غُمَرٍ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ قَتَادَةَ ح وَ قَالَ لِي خَلِيفَةُ: حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ، عَنْ سَعِيدٍ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِيمَا يَرْوِيهِ عَنْ رَبِّهِ قَالَ: «لَا يَنْبَغِي لِعَبْدٍ أَنْ يَقُولَ إِنَّهُ خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ يُونُسَ مَتَى وَنَسَبَهُ إِلَى أَبِيهِ»<sup>(٣)</sup>.

(١) رواه مسلم (٢٦٧٥) (٢).

(٢) رواه مسلم (١١٥١).

(٣) رواه مسلم (٢٣٧٧).

٧٥٤٠- حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ أَبِي سَرِيحٍ، أَخْبَرَنَا شَيْبَانَةُ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ قُرَّةَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُغْفَلٍ الْمُزَنِيِّ قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ الْفَتْحِ عَلَى نَاقَةٍ لَهُ يَقْرَأُ سُورَةَ الْفَتْحِ - أَوْ مِنْ سُورَةِ الْفَتْحِ - قَالَ: فَرَجَّعَ فِيهَا، ثُمَّ قَرَأَ مُعَاوِيَةُ يَحْكِي قِرَاءَةَ ابْنِ مُغْفَلٍ، وَقَالَ: لَوْلَا أَنْ يَجْتَمَعَ النَّاسُ عَلَيْكُمْ لَرَجَّعْتُ كَمَا رَجَّعَ ابْنُ مُغْفَلٍ يَحْكِي النَّبِيُّ ﷺ، فَقُلْتُ لِمُعَاوِيَةَ: كَيْفَ كَانَ تَرْجِيعُهُ قَالَ آتَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ <sup>(١)</sup>.

❦ قوله: «آتَا». هذا ترجيعٌ للكلمة الممدودة، فهو يُرْجِعُهَا حَتَّى تَكُونَ كَأَنَّهَا مَكْرُورَةٌ.

**والشاهد من هذه الأحاديث:** أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ يَرْوِي الْحَدِيثَ عَنِ اللَّهِ، وهذه الأحاديث تُسَمَّى الأحاديث القدسية، وهي أرفع من الأحاديث النبوية ودون القرآن، فهي في منزلة وسط، ولهذا تُصَافُ إِلَى اللَّهِ، فيقال: الأحاديث القدسية. ولكن لا يثبت لها أحكام القرآن، فيجوز أن تنقل بالمعنى، كما تنقل الأحاديث النبوية، ويقرأها الجنب، وغير الجنب، ويمسها المتوضئ، وغير المتوضئ، ولا يتعبد بتلاوتها؛ يعني: لا يتقرب الإنسان إلى الله بلفظها، وإن كان الإنسان الذي يحفظها أو يحفظ غيرها من الأحاديث النبوية يثاب على ذلك، ولا تقرأ في الصلاة، ولا يحث بها من حلف ألا يقرأ القرآن، إلى غير ذلك من الأحكام التي تخالف فيها الأحاديث القدسية أحكام القرآن، وهي نحو عشرة أحكام، وهذا يدل على أنها ليست من كلام الله لفظاً، وإنما الرسول ﷺ أضافها إلى الله؛ لأنه أوحى إليه بها على وجه يخالف ما يوحى إليه في الأحاديث النبوية.

ولا يشكّل على هذا أن الرسول ﷺ يقول: قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: كَذَا وَكَذَا؛ لأن إضافة القول إلى القائل قد تكون بالمعنى، ومن ذلك أن كل قول قاله الأنبياء في القرآن فهو منقول عنهم بالمعنى بلا شك؛ لأن لغتهم ليست اللغة العربية، ثم إننا نجد أن الله ﷻ يقول: إِنْهُمْ قَالُوا كَذَا، وفي آية أخرى يقولوا خلاف هذا؛ ولكنه بمعناه، مما يدل على أن الله تعالى نقل عنهم ما نقل بالمعنى، وهذا لا إشكال فيه.

وفي الحديث الأخير أن الرسول ﷺ كان يقرأ سورة الفتح، أو منها حين دخل مكة، إشارة إلى أن هذا الفتح المذكور هو فتح مكة، وقد جاء ذكر الفتح في القرآن في عدة مواضع منها: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾ [البقرة: ١٠١]. والمراد به فتح مكة، ومنها: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ [الفتح: ١]. والمراد به فتح مكة، ومنها قول الله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلًا﴾ [الفتح: ١٠]. والمراد به صلح الحديبية على القول الراجح، والذي يُعَيَّنُ هذا المعنى السياق أو الوقائع.

**وفي هذا الحديث:** دليل على جواز ترجيع القرآن، ولكن هل هو سنة؟  
قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ: إِنَّهُ سَنَةٌ.

وقال بعض العلماء: إنه ليس بسنة، وأن النبي ﷺ كان يُرْجِعُ؛ لأنه كان يهتز والناقة تمشي به، فبسبب الاهتزاز حصل منه هذا الترجيع.



ولكن الظاهر هو الأول، وأنه كان يُرجّعه قصدًا لا من أجل أن الناقّة كانت تهتز به فيرجع قوله، وإذا كان كذلك فهو دليل على جواز ترجيع القرآن. وهل من ذلك ما يُفعل الآن في بعض المساجد، وهو ما يُسمّى بالصّدَى - وأنا لم أسمع القراءة بالصّدَى - لكن قيل لي: إن بعض الناس يَجْعَلُونَ صَدَى في مكبر الصوت، كأنه طبل يقرع عليك؟ **نقول:** هذا الظاهر منه أنه يُغيّر تركيب القرآن، ويحوّله إلى أن يجعل القرآن كأنه أغاني. **وقوله:** «قَالَ: آآ. ثلاث مرات».

**قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «الْفَتْحِ» (١٣/٥١٥):**

**قوله:** «كيف كان ترجيعه؟ قَالَ: آآ ثلاث مرات». قَالَ ابْنُ بَطَالٍ: في هذا الحديث إجازة القراءة بالترجيع والألحان الملوذّة للقلوب بحسن الصوت، وقول معاوية: لولا أن يجتمع الناس يُشير إلى أن القراءة بالترجيع تجمع نفوس الناس إلى الإصغاء، وتُستميلها بذلك حتى لا تكاد تُصير على استماع الترجيع المشوب بلذّة الحكمة المهيّمة. وفي قوله: آآ أبدأ الهمزة والسكون دلالة على أنه ﷺ كان يُرَاعِي في قراءته المدّ والوقف. انتهى. وقد تقدم شرح هذا كلّ في أواخر فضائل القرآن في باب الترجيع. وقال القرطبي: يُحْتَمَلُ أن يكون حكاية صوته عند هزّ الراحلة، كما يَغرّي رافع صوته إذا كان راكبًا من انضغاط صوته، وتقطيعه؛ لأجل هزّ المركوب وبالله الرفع. قَالَ ابْنُ بَطَالٍ: وجه دخول حديث عبد الله بن مغفل في هذا الباب أنه ﷺ كان يزوي القرآن عن ربه. كذا قَالَ.

وقال الكرماني: الرواية عن الربّ أعمّ من أن تكون قرآنًا أو غيره بدون الواسطة وبالواسطة، وإن كان المتبادر هو ما كان بغير واسطة والله أعلم. اهـ.

**ثم قَالَ الْحَافِظُ رَحِمَهُ اللَّهُ:**

**قوله:** «فرّج فيها». بتشديد الجيم؛ أي: ردّد الصوت في الحلق، والجهر بالقول مكرّرًا بعد خفائه، ووقع في رواية آدم عن شعبة: وهو يقرأ سورة الفتح أو من سورة الفتح قراءة لينّة يُرجّع فيها، وأخرجه في «فضائل القرآن» أيضًا. اهـ.

**وقال القسطلاني رَحِمَهُ اللَّهُ:**

**قوله:** «آآ ثلاث مرات». بهمزة مفتوحة بعدها ألف، وهو محمول على الإشباع في محله. اهـ.

**قوله:** «محله». أي: ما يُمكن فيه الإشباع مثل الألف، والياء، والواو، والهاء المضمومة، وما أشبه ذلك.

\*\*\*

**ثم قَالَ الْبُحَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:**

٥١ - باب مَا يَجُوزُ مِنْ تَفْسِيرِ التَّوْرَةِ وَغَيْرِهَا ٥ كُتِبَ اللَّهُ بِالْعَرَبِيَّةِ وَغَيْرِهَا؛ لِقَوْلِ اللَّهِ

تَعَالَى: ﴿قَاتِلُوا بِالْتَّوْرَةِ فَآتَلُّوْهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٣١) [التفصیل: ١٩٣].

قوله: «بَابُ مَا يَجُوزُ مِنْ تَفْسِيرِ التَّوْرَةِ وَغَيْرِهَا». التَّوْرَةُ كَانَتْ بِاللُّغَةِ الْعِبْرِيَّةِ، وَالْإِنْجِيلُ كَانَ بِاللُّغَةِ السُّرْيَانِيَّةِ، وَاللُّغَةُ الْعِبْرِيَّةُ قَرِيبَةٌ مِنَ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ كَمَا قَالَ ذَلِكَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ (١)، وَلِهَذَا تَعَلَّمَهَا زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ -أَي: الْعَرَبِيَّةُ- فِي سِتَّةِ عَشَرَ يَوْمًا (٢)، وَذَلِكَ حِينَ أَمَرَهُ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يَتَعَلَّمَ لُغَةَ الْيَهُودِ؛ لِيَقْرَأَ كِتَابَهُمْ إِذَا وَرَدَتْ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَلِيَكْتُبَ لَهُمْ مَا يَرُدُّهُ عَلَيْهِمُ النَّبِيُّ ﷺ. وَظَاهِرُ كَلَامِ الْبُخَارِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ حَيْثُ قَالَ: وَغَيْرِهَا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ بِالْعَرَبِيَّةِ وَغَيْرِهَا. أَنَّهُ يَجُوزُ أَنْ تُفَسَّرَ الْقُرْآنُ بِغَيْرِ الْعَرَبِيَّةِ، وَهَذِهِ هِيَ التَّرْجُمَةُ الْمَعْنَوِيَّةُ، فَتَرْجُمَةُ الْقُرْآنِ تَرْجُمَةُ مَعْنَوِيَّةٌ جَائِزَةٌ بَلْ وَاجِبَةٌ لِمَنْ لَا يَفْهَمُهُ إِلَّا بِذَلِكَ، وَأَمَّا تَرْجُمَةُ الْقُرْآنِ تَرْجُمَةً لَفْظِيَّةً فَإِنَّ هَذَا لَا يُمَكِّنُ فَضْلًا عَنْ كَوْنِهِ جَائِزًا أَوْ غَيْرَ جَائِزٍ، فَهُوَ غَيْرُ جَائِزٍ؛ لِأَنَّهُ يُخْرِجُ الْقُرْآنَ عَنْ كَوْنِهِ كَلَامَ اللَّهِ، لَكِنْ مَعَ ذَلِكَ قَالُوا: إِنَّهُ لَا يُمَكِّنُ؛ لِأَنَّ اللُّغَةَ الْعَرَبِيَّةَ تُخَالِفُ غَيْرَهَا مِنَ اللُّغَاتِ فِي التَّرْتِيبِ، وَالْبَلَاغَةِ، وَغَيْرِهَا، فَلَا يُمَكِّنُ أَنْ يُتَرْجَمَ الْقُرْآنُ تَرْجُمَةً لَفْظِيَّةً.

وَنَضْرِبُ لِهَذَا مَثَلًا: فِي اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْمُضَافُ سَابِقٌ عَلَى الْمُضَافِ إِلَيْهِ، وَفِي غَيْرِهَا الْعَكْسُ، وَفِي اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ الصِّفَةُ مُتَأَخِّرَةٌ عَنِ الْمَوْصُوفِ وَفِي غَيْرِهَا بِالْعَكْسِ، فَيَقَالُ عِنْدَنَا الْآنَ فِي اللُّغَةِ الْعَامِيَّةِ: مُسْتَوْدَعُ الْجَارِ. وَيُسَمُّونَهُ عِنْدَنَا فِي اللُّغَةِ الْعَرَفِيَّةِ: «جَارُ خَانَةٍ». وَأَصْلُهُ: خَانَةُ الْجَارِ؛ لِأَنَّ الْخَانَةَ بِمَعْنَى الْمُسْتَوْدَعِ، وَفِي اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ يُوجَدُ حُرُوفٌ زَائِدَةٌ لِلتَّوَكِيدِ، وَتَقْدِيمٌ وَتَأْخِيرٌ لَا يُوْجَدُ فِي اللُّغَاتِ الْأُخْرَى، فَالتَّرْجُمَةُ اللَّفْظِيَّةُ مَمْتَنَعَةٌ حَسًّا، مَمْنُوعَةٌ شَرْعًا.

أَمَّا التَّرْجُمَةُ الْمَعْنَوِيَّةُ فَهِيَ جَائِزَةٌ، بَلْ وَاجِبَةٌ لِمَنْ يَحْتَاجُ إِلَى تَفْهِيمِ الْقُرْآنِ بِالْمَعْنَى؛ لِأَنَّهُ يَجِبُ عَلَيْنَا أَنْ نُبَلِّغَ الْقُرْآنَ، فَإِذَا وَجَبَ عَلَيْنَا أَنْ نُبَلِّغَ الْقُرْآنَ وَهَنَّا قَوْمٌ لَا يَعْرِفُونَ اللُّغَةَ الْعَرَبِيَّةَ، فَإِنَّا نَتَرْجِمُهُ مَعْنًى إِلَى لُغَتِهِمْ حَتَّى يَفْهَمُوهُ.

ثُمَّ قَالَ: لِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿قَاتِلُوا بِالْتَّوْرَةِ فَآتَلُّوْهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾. وَجَهُ الدَّلَالَةِ مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ. قَوْلُهُ: ﴿قَاتِلُوا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾. وَهُمْ سَوْفَ يَتْلُونَهَا بِاللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ حَتَّى يَفْهَمَ.

\*\*\*

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ:

٧٥٤١- وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: أَخْبَرَنِي أَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ أَنَّ هِرْقَلَ دَعَا تَرْجُمَانَهُ ثُمَّ دَعَا بِكِتَابِ النَّبِيِّ ﷺ فَقَرَأَ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مِنْ مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى هِرْقَلَ وَ«يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَمَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٌ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ» [التفصیل: ١٩٤]. الْآيَةُ.

(١) انظر «مجموعة الفتاوى» (٤/ ١١٠).

(٢) رواه أحمد في «مسنده» (٥/ ١٨٦) (٢١٦٨١)، وأبو داود (٣٦٤٥)، والترمذي (٢٧١٥). وقال الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ فِي تَغْلِيْقِهِ عَلَى سَنَنِ أَبِي دَاوُدَ: حَسَنٌ صَحِيحٌ.





٧٥٤٢- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ عُثْمَرَ، أَخْبَرَنَا عَلِيُّ بْنُ الْمُبَارَكِ، عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي  
كَثِيرٍ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: كَانَ أَهْلُ الْكِتَابِ يَقْرَءُونَ التَّوْرَةَ بِالْعِبْرَانِيَّةِ وَيُفَسِّرُونَهَا  
بِالْعَرَبِيَّةِ لِأَهْلِ الْإِسْلَامِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تُصَدِّقُوا أَهْلَ الْكِتَابِ وَلَا تَكْذِبُوهُمْ، وَقُولُوا:  
﴿أَمَّا بِنَا وَأَمَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ﴾ [البقرة: ١٣٦]». الآية.

٧٥٤٣- حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ، عَنْ أَيُّوبَ، عَنْ نَافِعٍ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: أُنْتَبِىَ النَّبِيُّ ﷺ بِرَجُلٍ  
وَأَمْرَأَةٍ مِنَ الْيَهُودِ قَدْ زَنِيَا، فَقَالَ لِلْيَهُودِ: «مَا تَصْنَعُونَ بِهِمَا؟» قَالُوا: نَسْخُمُ وَجُوهَهُمَا وَنُحْزِبُهُمَا. قَالَ: «فَأَتُوا بِالتَّوْرَةِ  
فَاتْلَوْهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ». فَجَاءُوا، فَقَالُوا الرَّجُلُ يَمْنُ بِزُصُونٍ: يَا أَغُورُ اقْرَأْ. فَقَرَأَ حَتَّى انْتَهَى إِلَى مَوْضِعٍ مِنْهَا فَوَضَعَ  
يَدَهُ عَلَيْهِ. قَالَ: «ارْفَعْ يَدَكَ». فَرَفَعَ يَدَهُ فَإِذَا فِيهِ آيَةُ الرَّجْمِ تَلَوُّحٌ. فَقَالَ: يَا عُثْمُ إِنَّ عَلَيْهِمَا الرَّجْمَ، وَلَكِنَّا نَكَاتِمُهُ بَيْنَنَا،  
فَأَمْرُ بِهِمَا فَرَجْمًا، فَرَأَيْتُهُ يُجَانِي عَلَىهَا الْحَجَارَةَ<sup>(١)</sup>.

وكان رجم الزاني حكماً شرعياً في التوراة، لكن لما كثر الزنا في أشرافهم -والعباد بالله- فشقَّ عليهم أن يَرْجُمُوا كُلَّ يَوْمٍ شَرِيفاً منهم، فقال لهم علماء الضلال: لا حاجة للرجم، سنضع لكم قانوناً جديداً وهو تسخيرُ الوجه والخزي، وتسخيرُ الوجه؛ أي: تسويده، والخزي قالوا: إنهم يَرْجُمُونَ الزاني والزانية على حمار ويَجْعَلُونَ وجهه

أحدهما إلى دُبْرِ الحمار، ووجه الثاني إلى وجه الحمار، وَيَطُوفُونَ بهما في الأسواق.

ومعلوم أن هذا أهون من الرجم، واستمروا على ذلك وهم في قلق وخوف؛ لأنهم يَعْلَمُونَ أنهم محرّفون، فلما بُعِثَ النَّبِيُّ ﷺ وقدم المدينة جاءوا إليه وقالوا: لعلكم تَجِدُونَ عندَ هذا الرجلَ فرجًا - وهم متلاعبون يُريدون أن يأخذوا من الرسول ﷺ ما يروق لهم والباقي يدعونه - وكان ممن أسلم من أبحار اليهود عبدُ الله بن سلام رضي الله عنه، ولذلك فهو يَعْلَمُ أن الرجم واجبٌ عليهم فأمر النَّبِيُّ ﷺ أن يُؤْتَى بالتوراة - والظاهر أن هذا بمشورة من عبد الله بن سلام؛ لأنه يَعْلَمُ - فلما أتوا بها قالوا للرجل عندهم أعور: اقرأ يا أعور. وهو عبدُ الله بن سوريّة - وسبّحان الله - جاء القدرُ مناسبًا للشرع، فالأعور ليس فيه خيرٌ، ولهذا فالدجالُ أعور<sup>(١)</sup>، وأكثر من يتبعه اليهود<sup>(٢)</sup>، فاليهود كلهم عورٌ، وكلهم عيبٌ، وكلهم خبيثٌ.

فلما قرأ هذا الأعور التوراة وضع يده على آية الرجم من أجل ألا يطالع عليها المسلمون، ف قيل له: ارفع يدك. فلما رفع يده إذ آية الرجم تلوح واضحة بينة، فأمر النَّبِيُّ ﷺ برجمها، فُرِجَها، فكان الرجلُ من شدة عشيقة الزانية وحنانه عليها يَحْنِي عليها من أجل ألا تُصَيِّها الحجارة.

**وفي هذا:** دليل على وجوب إقامة الحد على اليهود والنصارى، لكن إن كان ذلك واجبًا في شريعتهم وكان حرامًا، فإنه يجب علينا إقامة الحدود عليهم فيما يَعْتَقِدُونَ تحريمه دون ما يَعْتَقِدُونَ حله، فلو شربوا الخمر فإننا لا نَحُدُّهم، لكننا نَمْنَعُهُم من إظهار شرب الخمر في بلاد المسلمين، أما إذا كانوا في بيوتهم يَشْرَبُونَ الخمر، فلا نَعْرِضُ لهم؛ لأنهم يَعْتَقِدُونَ أنه حلالٌ.

كذلك أيضًا إقامة الحدود عليهم فإنها واجبة علينا فيما يَعْتَقِدُونَ تحريمه، لكن إذا تَرَأَفُوا إلينا، فإذا تَرَأَفُوا إلينا في معصية وهم يَعْتَقِدُونَ أنها معصية فإننا نَحْكُمُ عليهم بحكمنا لا بحكمهم، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَأَن أَحْكُمَ بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتَنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [التوبة: ٤٩].



**ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:**

٥٢ - باب قول النَّبِيِّ ﷺ: «الْمَاهِرُ بِالْقُرْآنِ مَعَ الْكَرَامِ الْبَرَّةَ». «وَرِئْنَا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ».

قوله: «باب قول النَّبِيِّ ﷺ: «الْمَاهِرُ بِالْقُرْآنِ مَعَ الْكَرَامِ الْبَرَّةَ»». جزم المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ بأن هذا قول النَّبِيِّ وللحديث بقیة وهو: «والذي يقرأ القرآن ويتنعم فيه وهو عليه شاق له أجران». أي: أجر المعاناة من التلاوة وأجر التلاوة، أما الماهر الذي يسهل عليه القراءة، ويؤدّيها بأداء جيد فإنه مع السفرة الكرام البررة الذين ذكرهم الله في قوله: ﴿لَا إِنِّهَا لَذِكْرٌ﴾ (١١) فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ (١٢) في صُفْهِ مُكْرَمَةٍ (١٣) تَرْفَعُوهُ

(١) رواه البخاري (٣٠٥٦)، ومسلم (١٦٩) (٢٧٣).

(٢) رواه مسلم (٢٩٤٤).



مُطَهَّرَةً ⑪ يَأْتِي سَفَرَهُ ⑫ كَرَامَ بَرَرَةٍ ⑬ ﴿بَحْرُهَا: ١١-١٦﴾.

❦ وقوله: «وَزَيَّنُوا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ». قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ: إِنَّ هَذَا الْحَدِيثَ عَلَى الْقَلْبِ، وَالْمَعْنَى: زَيَّنُوا أَصْوَاتَكُمْ بِالْقُرْآنِ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ الْقُرْآنَ زَيْنٌ سَوَاءٌ بِأَصْوَاتٍ جَمِيلَةٍ أَوْ بغيرِ جَمِيلَةٍ، وَيَكُونُ الْمَعْنَى: زَيَّنُوا أَصْوَاتَكُمْ بِالْقُرْآنِ؛ يَعْنِي: اجْعَلُوا أَصْوَاتَكُمْ بِالْقُرْآنِ حَسَنَةً جَمِيلَةً فِي الْأَدَاءِ وَالنَّطْقِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ. وَيَحْتَمِلُ أَنْ مَعْنَى قَوْلِهِ: «وَزَيَّنُوا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ». أَي: زَيَّنُوا الْقِرَاءَةَ بِأَصْوَاتِكُمْ، بِمَعْنَى أَنْ تَقْرَأُوا بِأَصْوَاتٍ جَمِيلَةٍ؛ لِأَنَّ الْقُرْآنَ إِذَا كَانَ بِأَصْوَاتٍ جَمِيلَةٍ يَتَلَذَّذُ الْإِنْسَانُ لَهُ أَكْثَرَ مِمَّا إِذَا كَانَ بِالْعَكْسِ.

\*\*\*

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٥٤٤- حَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ حَمَزَةَ، حَدَّثَنِي ابْنُ أَبِي حَازِمٍ، عَنْ يَزِيدَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «مَا أَذِنَ اللَّهُ لَشَيْءٍ مَّا أَذِنَ لِنَبِيِّ حَسَنِ الصَّوْتِ بِالْقُرْآنِ يَجْهَرُ بِهِ»<sup>(١)</sup>.

❦ قَوْلُهُ: «أَذِنَ». بِمَعْنَى: اسْتَمَعَ، وَهُوَ مِنَ الْأَذْنِ وَهُوَ الْاسْتِمَاعُ؛ يَعْنِي: أَنَّ اللَّهَ ﷻ لَا يَسْتَمِعُ إِلَى شَيْءٍ مِثْلًا يَسْتَمِعُ إِلَى نَبِيِّ حَسَنِ الصَّوْتِ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ يَجْهَرُ بِهِ. مِنْ هُوَ هَذَا النَّبِيُّ هَلْ هُوَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَوْ نَبِيٌّ آخَرُ؟  
نَقُولُ: إِنَّ كَلِمَةَ «نَبِيٍّ» قَدْ جَاءَتْ نَكْرَةً، فَيَحْتَمِلُ أَنَّهُ الرَّسُولُ ﷺ، وَيَحْتَمِلُ أَنَّهُ دَاوُدُ، أَوْ غَيْرُهُ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ الَّذِينَ أَعْطَاهُمُ اللَّهُ صَوْتًا حَسَنًا.

وَعَلَى كُلِّ حَالٍ فَالْحَدِيثُ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ يَنْبَغِي لِلإِنْسَانِ أَنْ يُحَسِّنَ صَوْتَهُ بِالْقُرْآنِ؛ لِأَنَّهُ كَلِمًا حَسَنًا صَوْتُهُ كَانَ اللَّهُ ﷻ إِلَيْهِ أَسْمَعَ.

\*\*\*

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٥٤٥- حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ بُكَيْرٍ، حَدَّثَنَا اللَّيْثُ، عَنْ يُونُسَ، عَنْ ابْنِ شِهَابٍ، أَخْبَرَنِي عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ، وَسَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ، وَعَلْقَمَةُ بْنُ وَقَّاصٍ، وَعَبِيدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ حِينَ قَالَ لَهَا أَهْلُ الْإِفْكِ مَا قَالُوا وَكُلُّ حَدِيثِي طَائِفَةٌ مِنَ الْحَدِيثِ قَالَتْ: فَاضْطَجَعْتُ عَلَى فِرَاشِي وَأَنَا حِينِيذٌ أَعْلَمُ أَنِّي بَرِيئَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ يُبْرِئُنِي وَلَكِنِّي وَاللَّهِ مَا كُنْتُ أَظُنُّ أَنَّ اللَّهَ يُنْزِلُ فِي شَأْنِي وَحْيًا يُتْلَى، وَلَشَأْنِي فِي نَفْسِي كَانَ أَحَقَرُ مِنْ أَنْ يَتَكَلَّمَ اللَّهُ فِيَّ بِأَمْرِ يُتْلَى، وَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ﴾. الْعَشْرَ الْآيَاتِ كُلُّهَا<sup>(١)</sup>.

هَذَا الْحَدِيثُ فِيهِ: مِنْ فَضَائِلِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: تَقْتُلُهَا بِاللَّهِ ﷻ، وَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى سَيِّئُهَا، أَوَّلًا: لِأَنَّهُا بَرِيئَةٌ، وَثَانِيًا: مَنْ

(١) رواه مسلم (٧٩٢) (٢٣٢).

(٢) رواه مسلم (٢٧٧٠) (٥٦).

أجل الدفاع عن فراش الرسول ﷺ، وهذا هو الذي وقع، لكنها ظننت ﷺ أن الله تعالى يُخبر نبيه ببراءتها دون أن ينزل فيها قرآن ينلّي، ولكن الله تعالى أنزل فيها القرآن الذي ينلّي؛ لأن الأمر عظيم.  
والشاهد في هذا الحديث: قولها: «وحيا ينلّي». أي: يُقرأ، والقراءة فعل القارئ.

\*\*\*

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: ٧٥٤٦- حَدَّثَنَا أَبُو نَعِيمٍ، حَدَّثَنَا مُسْعَرٌ، عَنْ عَدِيِّ بْنِ ثَابِتٍ -أَرَاهُ عَنِ الْبَرَاءِ- قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقْرَأُ فِي الْعِشَاءِ: ﴿وَالَّذِينَ وَالَّذِينَ﴾ [التين: ١]. فَمَا سَمِعْتُ أَحَدًا أَحْسَنَ صَوْتًا أَوْ قِرَاءَةً مِنْهُ <sup>(١)</sup>.  
الشاهد من هذا الحديث: قوله: «أحسن صوتًا أو قراءة». «أو» هنا للتنويع وليست للشك؛ يعني: أن صوته أحسن الأصوات، وأن قراءته أحسن القراءات.

وهنا ذكر صوتًا وقراءة، فالقراءة هي حسن الأداء، والصوت هو تحسين النطق بالقرآن، وكما هو مشاهد فمّن الناس من يكون حسن الصوت والإداء، ومن الناس من يكون حسن الأداء وليس حسن الصوت، ومن الناس من يكون بالعكس حسن الصوت، ضعيفًا في الأداء، وخير الناس من كان حسن الصوت وحسن الأداء، وهذا هو الذي حصل للرسول ﷺ.

وهل نقول: إنه يؤخذ من هذا الحديث استحباب قراءة ﴿وَالَّذِينَ وَالَّذِينَ﴾ في العشاء؟  
نقول: لو واطب عليها الرسول ﷺ لكانت سنة، أما وإنه لم يواظب عليها فإنها تكون قد جاءت اتفاقًا، وما جاء اتفاقًا فإنه لا يعتبر مشروعًا بعينه، ولكن مع هذا لو قرأها الإنسان وهو يشعر أنه بذلك متبع لرسول الله ﷺ لحصل على خير.

\*\*\*

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: ٧٥٤٧- حَدَّثَنَا حَجَّاجُ بْنُ مِنْهَالٍ، حَدَّثَنَا هُشَيْمٌ، عَنْ أَبِي بَشِيرٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ مُتَوَارِبًا بِمَكَّةَ وَكَانَ يَرْفَعُ صَوْتَهُ، فَإِذَا سَمِعَ الْمُشْرِكُونَ سَبُّوا الْقُرْآنَ وَمَنْ جَاءَ بِهِ، فَقَالَ اللهُ ﷻ لِنَبِيِّهِ ﷺ: ﴿وَلَا تَهْتَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتُ بِهَا﴾ [الاحقاف: ١١] <sup>(١)</sup>.  
قد سبق الكلام على هذا الحديث.

\*\*\*

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: ٧٥٤٨- حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ، حَدَّثَنِي مَالِكٌ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي

(١) رواه مسلم (٤٦٤) (١٧٧).

(٢) رواه مسلم (٤٤٦) (١٤٥).



صَعَصَعَةً، عَنْ أَبِيهِ أَنَّهُ أَخْبَرَهُ أَنَّ أَبَا سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ لَهُ: «إِنِّي أَرَاكَ تُحِبُّ الْغَنَمَ وَالْبَادِيَةَ، فَإِذَا كُنْتُ فِي غَمَمِكَ أَوْ بَادِيَتِكَ فَأَذْنَتُ لِلصَّلَاةِ فَارْفَعْ صَوْتَكَ بِالنِّدَاءِ؛ فَإِنَّهُ لَا يَسْمَعُ مَدَى صَوْتِ الْمُؤَذِّنِ حِينَ وَلَا إِنْسٍ وَلَا شَيْءٍ إِلَّا شَهِدَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ». قَالَ أَبُو سَعِيدٍ سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

في هذا الحديث: دليل على أن قراءة الإنسان مخلوقة؛ لأنها فعله؛ لقوله: ارفع صوتك بالنداء.

وفيه: دليل على استحباب النداء للواحد، فإذا كان في البادية فإنه يؤذن استحباباً لا وجوباً.

وفيه أيضاً: أن ما يسمعه من الإنس والجن وأي شيء يكون من شجر، أو حجر، أو مدر، أو جبال، أو رمال، فإنه يشهد له يوم القيامة؛ لقول الله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۚ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ۚ﴾ [الأنعام: ٥٠-٥١]. والبخاري رحمه الله ساق هذه الأدلة الكثيرة؛ لإثبات أن صوت القارئ من فعله فيكون مخلوقاً، أي: أنه لم يقصد قصداً أولياً تحسين الصوت بالقراءة.

\*\*\*

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

٧٥٤٩ - حَدَّثَنَا قَبِيصَةُ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ أُمِّهِ، عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَرَأْسُهُ فِي حَجْرِي وَأَنَا حَائِضٌ <sup>(١)</sup>.

الشاهد من هذا الحديث: قولها: «يَقْرَأُ الْقُرْآنَ». فأضافت الفعل إليه.

وفي هذا الحديث من الفقه: دليل على جواز قراءة القرآن والإنسان متكى، أو مضطجع؛ لأنه قد جاء في بعض ألفاظ هذا الحديث: كان يتكى في حجره ويقرأ القرآن.

وفيه: دليل على أن الحائض ليست بنجسة.

وفيه أيضاً: دليل على جواز استماع الحائض لقراءة القرآن.

ولكن هل لها أن تقرأ القرآن هي بنفسها؟

في هذا خلاف بين العلماء، وليس فيه عن النبي ﷺ سنة صحيحة صريحة تدل على تحريم قراءة القرآن على الحائض، وعلى هذا فنقول: الأفضل ألا تقرأ القرآن طلباً للثواب، ولها أن تقرأه لدفع السوء، أو لحفظ ما حفظت، وما أشبه ذلك؛ أي: تقرأ عند الحاجة فقط.

وهذا قول وسط بين من يقول: إنه يجوز لها أن تقرأ من القرآن ما شاءت؛ لعدم وجود دليل يدل على المنع، وبين من يقول: إنها لا تقرأ شيئاً من القرآن.

فالصواب أن هذا ينبغي أن يحتاط الإنسان فيه فيقول: ما احتاجت إلى قراءته لحفظ أو أوراد تقرأها في الليل أو في النهار، أو لتعليم أبنائها، أو لتعليمها، فهذا لا بأس به، أما لمجرد الأجر والثواب

فالأولى ألا تقرأ؛ لأن هناك أحاديث تمنع ذلك ولكنها ضعيفة<sup>(١)</sup>.

\*\*\*

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٥٣- بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿فَأَقْرَأُوا مَا يَنْشُرُ مِنَ الْقُرْآنِ﴾ [البقرة: ٢٠].

٧٥٥٠- حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ بُكَيْرٍ، حَدَّثَنَا اللَّيْثُ، عَنْ عُقَيْلٍ، عَنْ ابْنِ شِهَابٍ، حَدَّثَنِي عُرْوَةُ أَنَّ الْمُسَوَّرَ بْنَ عُرْمَةَ، وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَبْدِ الْقَارِيِّ، حَدَّثَاهُ أَنَّهُمَا سَمِعَا عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ يَقُولُ: سَمِعْتُ هِشَامَ بْنَ حَكِيمٍ يَقْرَأُ سُورَةَ الْفُرْقَانِ فِي حَيَاةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَاسْتَمَعْتُ لِقِرَاءَتِهِ فَإِذَا هُوَ يَقْرَأُ عَلَى حُرُوفٍ كَثِيرَةٍ لَمْ يَقْرَأْنِيهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَكِدْتُ أَسَاوِرُهُ فِي الصَّلَاةِ، فَتَصَبَّرْتُ حَتَّى سَلَّمَ فَلَبِثْتُ بِرِدَائِهِ فَقُلْتُ: مَنْ أَقْرَأَكَ هَذِهِ السُّورَةَ الَّتِي سَمِعْتُكَ تَقْرَأُ؟ قَالَ: أَقْرَأْنِيهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ. فَقُلْتُ: كَذَبْتَ، أَقْرَأْنِيهَا عَلَى غَيْرِ مَا قَرَأْتَ. فَاذْهَبْتُ بِهِ أَقُوْدُهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقُلْتُ: إِنِّي سَمِعْتُ هَذَا يَقْرَأُ سُورَةَ الْفُرْقَانِ عَلَى حُرُوفٍ لَمْ تَقْرَأْنِيهَا، فَقَالَ: «أَرْسَلَهُ، أَقْرَأْ يَا هِشَامُ». فَقَرَأَ الْقِرَاءَةَ الَّتِي سَمِعْتُهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كَذَلِكَ أُنْزِلَتْ». ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اقْرَأْ يَا عُمَرُ». فَقَرَأْتُ الَّتِي أَقْرَأَنِي. فَقَالَ: «كَذَلِكَ أُنْزِلَتْ، إِنَّ هَذَا الْقُرْآنُ أُنْزِلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ، فَأَقْرَأُوا مَا تيسَّرُ مِنْهُ»<sup>(١)</sup>.

هذه القصة فيها فوائد عظيمة، منها:

أولاً: قوة عمر رضي الله عنه.

ثانياً: أن انفعال الإنسان في صلاته بشيء سَمِعَهُ لا يُؤَثِّرُ في الصلاة، فإذا سَمِعَ شيئاً يُفْرِحُ مثلاً ففرح وهو في الصلاة، أو سَمِعَ شيئاً يُحْزِنُ فحزن وهو في الصلاة أو سَمِعَ شيئاً يُغْضِبُ فغضب وهو في الصلاة، فإن كل هذا جائز. والدليل على ذلك قوله: «فكِدْتُ أَسَاوِرُهُ فِي الصَّلَاةِ فَتَصَبَّرْتُ». وقوله: «أَسَاوِرُهُ؟ أَي: أُمْسِكُ بِهِ فِي الصَّلَاةِ، لَكِنَّهُ تَصَبَّرَ حَتَّى انْتَهَى».

وفيه: أنه لا ينبغي للإنسان أن يتسرع في ما دون الأهم؛ لأن بقاءه في صلاته أهم من مساوَرَتِهِ إياه.

وفيه: دليل على جواز تلييب الإنسان بردائه؛ أي: أن يأخذ بلبائه - وهو رداء معروف على الكتفين - ويصرف به.

وفيه: دليل على جواز الإنكار بالقول وبالفعل؛ لقوله: «لبئته فقلْتُ: من أقرأك؟»

وفيه: دليل على مسألة مهمة وهي: أن إنكار شيء من القرآن جاهلاً لا يكفر به الإنسان؛ لأن

(١) ومن ذلك ما رواه الترمذي (١٣١)، وابن ماجه (٥٩٦)، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يَقْرَأُ الْجَنْبُ وَالْحَائِضُ شَيْئاً مِنَ الْقُرْآنِ».

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» (٤٦٠/٢١): وهو حديث ضعيف باتفاق أهل المعرفة بالحديث. اهـ.

(٢) رواه مسلم (٨١٨) (٢٧٠).



عمر أنكر القراءة التي قرأها هشام، بل قال له: كذبت. وهذه فرع من فروع مسألة العذر بالجهل، فإنه لو أنكر أحد شيئاً من القرآن وهو عالم فإنه يكفر، قال العلماء: من أنكر حرفاً واحداً من القرآن وهو يعلم فإنه كافر. وعمر قد أنكر هنا عدة حروف، لكنه كان جاهلاً لم يعلم أن النبي ﷺ أجازها. وفيه: دليل على حسن معاملة النبي ﷺ؛ حيث لم يؤاخذ هشاماً بمجرد قول عمر، حتى استمع إلى ما عنده، واستمع أيضاً إلى ما عند عمر.

وفيه أيضاً: دليل على إيقان الصحابة وإيمانهم، فإن عمر رضي الله عنه لم يلحقه الشك حين قال الرسول ﷺ لهشام: «كذلك أنزلت». وكذلك قال لعمر مع أنه قرأ خلاف ما قرأ هشام، ومع ذلك لم يحصل عنده ريب أو شك.

وفيه: أن القرآن أول ما نزل كان على سبعة أحرف؛ أي: كان موسعاً فيه، حتى إنه كان يوسع لبعض الناس في لغتهم؛ أي: كان لهم أن يقرأوه بلغتهم، لكن بعد ذلك حصره الصحابة رضي الله عنهم على حرف واحد وهو لغة قريش، خوفاً من الفتنة التي وقعت في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه، وكاد الناس يقتيلون، حيث كان يقرأه بعضهم على حرف، والبعض الآخر على حرف آخر، فجيء إلى عثمان وشيخيه إليه الأمر، فأقام اللجنة المعروفة لجمع القرآن على حرف واحد<sup>(١)</sup>.

وفي الحديث: فوائد أخرى لكن بعضها قد مرّت.

فإن قيل: هل يؤخذ من هذا الحديث أن الإمام إذا أخطأ في الصلاة خطأ لا يسمع به أنه ينحى عن الإمامة ويتقدم أحد سواه؟

فالجواب: إذا كان خطؤه يحيل المعنى ورددنا عليه، ولكن أبى وأصر، فحينئذ نأخذ به ونرده، ويصلي مكانه من يقيم القراءة، أما إذا كان خطؤه لا يحيل المعنى فإن أخذه وردّه يكون به فتنة.

\*\*\*

ثُمَّ قَالَ الْبَخَارِيُّ رحمته الله:

٥٤ - بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ (النجم: ١٧). وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «كُلُّ مُيسِّرٍ لِمَا خُلِقَ لَهُ». يُقَالُ: مُيسِّرٌ: مُهيِّئٌ.

وَقَالَ مُجَاهِدٌ: يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ بِلِسَانِكَ: هَوَّنَا قِرَاءَتَهُ عَلَيْكَ.

وَقَالَ مَطَرُ الْوَرَّاقِ: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ (٥٧). قَالَ: هَلْ مِنْ طَالِبٍ عِلْمٍ فَيَعَانِ عَلَيْهِ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ﴾. هذه الجملة مؤكدة بثلاث مؤكّدات كما هو معروف

وهي: القسم، واللام، وقد.

والتيسير: هو التسهيل والتهيئة، فقوله: ﴿يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ﴾. أي: هيأناه وسهّلناه للذكر.

**والذكر:** بمعنى التذكير بدليل قوله: ﴿فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾. أي: هل من متذكر، فالإنسان إذا رجع للقرآن ليتذكر به فإن الله تعالى يُسِّرُ له التذكر به، وإذا أعرض عنه فإنه يُحَالُ بينه وبين الانتفاع به.

وقوله: ﴿فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾. قَالَ فِيهِ مَطَرُ الْوَرَأَقِ: هل من طالبٍ علمٍ فيُعَانِ عليه. لأن طالب العلم إذا طلبه بصدق فلا بد أن يَتَذَكَّرَ.

وهنا قَالَ: فيُعَانِ عليه. بالفتح؛ لأنه جوابُ الاستفهام.

ومناسبة هذا الباب للترجمة، قَالَ الحافظُ ابنُ حجرٍ رَحِمَهُ اللهُ فِي «الفتح» (١٣/ ٥٢١):

قوله: «بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ يَسْرَنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ﴾». قيل: المراد بالذكر: الأذكار والاعتاظ. وقيل: الحفظ. وهو مقتضى قول مجاهد.

قوله: وقال النبي ﷺ: «كُلُّ مِيسَرٍ لَهَا خُلِقَ لَهُ». فذكره موصولاً في الباب من حديث عليٍّ.

قوله: وقال مجاهد: يَسْرَنَا الْقُرْآنَ بِلِسَانِكَ هَوْنًا عَلَيْكَ. في رواية غير أبي ذرٍّ: هَوْنًا قَرَأْتَهُ عَلَيْكَ. وهو بفتح الهاء والواو وتشديد النون من التهوين، وقد وصله الفريابي، عن ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسْرَنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ﴾. قَالَ: هَوْنًا.

قَالَ ابْنُ بَطَّالٍ: تيسيرُ القرآن: تسهيلُهُ على لسانِ القارئ، حتَّى يُسَارِعَ إلى قراءتِهِ، وربما سبقَ لسانُهُ في القراءة فيُجاوِزُ الحرفَ إلى ما بعده، ويحذفُ الكلمةَ حرصًا على ما بعدها. انتهى. وفي دخولِ هذا في المرادِ نظرٌ كبيرٌ.

قوله: «وقال مطرُ الوراق: ﴿وَلَقَدْ يَسْرَنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾. قَالَ: هل من طالبٍ علمٍ فيُعَانِ عليه». وقع هذا التعليقُ عند أبي ذرٍّ عن الكُشْمِينِيِّ وحده، وثبت أيضًا للجرجاني عن الفريابي، ووصله الفريابي عن صُمْرَةَ بْنِ زُعْمَةَ، عن عبد الله بن شُوذَبٍ، عن مطرٍ.

وأخرجه أبو بكر بن أبي عاصمٍ في كتابِ العلمِ من طريقِ صُمْرَةَ.

ثم ذكر حديثَ عمران بنِ حُصَيْنٍ: قلتُ: يا رسولَ الله. وهو مختصرٌ من حديثٍ سبقَ في كتابِ القدرِ فيه: عن عمران قَالَ: قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيْعَرَفُ أَهْلَ الْجَنَّةِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ؟ قَالَ: «نَعَمْ». قَالَ: فَلِمَ يَعْمَلُ الْعَامِلُونَ؟

وقد تقدَّم شرحُه هناك. اهـ.

ثم قَالَ ابنُ حجرٍ رَحِمَهُ اللهُ فِي آخرِ شرحِ هذا الباب:

قلت: وكان مناسبة هذا الباب لما قبله من جهة الاشتراك في لفظِ «التيسير». والله أعلم. اهـ.



ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللهُ:

٧٥٥١- حَدَّثَنَا أَبُو مَعْمَرٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَارِثِ قَالَ يَزِيدُ: حَدَّثَنِي مُطَرِّفُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ عِمْرَانَ



قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ فِيمَا يَعْمَلُ الْعَامِلُونَ؟ قَالَ: «كُلُّ مُيسِّرٍ لِمَا خُلِقَ لَهُ»<sup>(١)</sup>.

٧٥٥٢- حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، حَدَّثَنَا عُثْمَرُ بْنُ حُدَّادٍ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ مَنْصُورٍ، وَالْأَعْمَشِ، سَمِعَا سَعْدَ

بْنَ عُبَيْدَةَ، عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ كَانَ فِي جَنَازَةٍ فَأَخَذَ عَوْدًا فَجَعَلَ يَنْكُتُ فِي الْأَرْضِ، فَقَالَ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا كُتِبَ مَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ أَوْ مِنَ الْجَنَّةِ». قَالُوا: أَلَا تَنْكِلُ؟ قَالَ: «اعْمَلُوا فَكُلُّ مُيسِّرٍ» ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى﴾ ﴿اللَّهُ هُوَ﴾ ﴿الْآيَةُ﴾<sup>(١)</sup>.

هذان الحديثان سبقا والشاهد منهما قوله: «فكل ميسر». وفي اللفظ الأول: «ميسر لما خُلِقَ له».

فأهل الجنة يُيسِّرون لعمل أهل الجنة، وأهل النار يُيسِّرون لعمل أهل النار، فإذا رأيت أن الله قد يسر لك العبادات وسهلها على نفسك، فأعلم أن هذه بشرى خير، وإذا رأيت شخصاً قد عسر الله عليه العبادات فاعلم أن هذه بشرى سوء؛ لأن أهل الشقاوة يُيسِّرون لعمل أهل الشقاوة.

\*\*\*

ثُمَّ قَالَ الْبَحَّارِيُّ تَحْلِيلُهُ:

٥٥- بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ﴾<sup>(١)</sup> فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ ﴿الطُّورُ﴾ ﴿وَالطُّورُ﴾<sup>(٢)</sup>.

وَكُتِبَ مَسْطُورٌ ﴿الطُّورُ﴾ ﴿الطُّورُ﴾<sup>(٣)</sup>.

قَالَ قَتَادَةُ: مَكْتُوبٌ. يَسْطُرُونَ: يَخْطُونَ. فِي أَمِّ الْكِتَابِ: جُمْلَةُ الْكِتَابِ وَأَصْلِهِ. مَا يَلْفِظُ: مَا يَنْكَلِمُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا كُتِبَ عَلَيْهِ.

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: يُكْتَبُ الْخَيْرُ وَالشَّرُّ. يُحَرِّفُونَ: يُزِيلُونَ، وَلَيْسَ أَحَدٌ يُزِيلُ لَفْظَ كِتَابٍ مِنْ كُتِبَ اللَّهُ ﴿وَالطُّورُ﴾ وَلَكِنَّهُمْ يُحَرِّفُونَهُ: يَتَأَوَّلُونَهُ عَلَى غَيْرِ تَأْوِيلِهِ، دِرَاسَتُهُمْ: تِلَاوَتُهُمْ. وَاعِيَةٌ: حَافِظَةٌ. وَتَعَبِيهَا: تَحْفَظُهَا. ﴿وَأَوْحَى إِلَيْنَا هَذَا الْقُرْآنَ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ﴾ ﴿الطُّورُ﴾<sup>(٤)</sup>. بَعْضِي: أَهْلُ مَكَّةَ، وَمَنْ بَلَغَ هَذَا الْقُرْآنَ فَهُوَ لَهُ نَذِيرٌ.

هذا الباب مُشْتَبِلٌ عَلَى أُمُورٍ مُتَعَدِّدَةٍ:

**أولاً:** قوله: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ﴾<sup>(١)</sup> فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ ﴿الطُّورُ﴾ ﴿وَالطُّورُ﴾<sup>(٢)</sup>. هذا آخرُ سورة البروج. وقوله: ﴿هُوَ﴾. الضميرُ فيه يعودُ على القرآن. و«مَجِيدٌ»: ذو العظمة، وإذا كان القرآنُ مجيداً فَإِنَّ مَنْ تَمَسَّكَ بِهِ نَالَ الْمَجْدَ.

**ثانياً:** وقوله: «﴿فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ﴾». أي: فِي اللُّوحِ الْمَحْفُوظِ عِنْدَ اللَّهِ ﴿وَالطُّورُ﴾.

**ثالثاً:** وقوله: «﴿وَالطُّورُ﴾ ﴿١﴾ وَكُتِبَ مَسْطُورٌ ﴿٢﴾». الطُّورُ هُوَ الْجَبَلُ الْمَعْرُوفُ، ﴿وَكُتِبَ مَسْطُورٌ﴾.

أي: مَكْتُوبٌ، وَهُوَ مَا خُوذَ مِنَ السُّطْرِ؛ لِأَنَّ الْكِتَابَ يُكْتَبُ عَلَى وَجْهِ الْأُسْطُرِ.

وَالْمَرَادُ بِهَذَا الْكِتَابِ الْمَسْطُورِ، إِمَّا أَنَّهُ اللَّوْحُ الْمَحْفُوظُ، وَإِمَّا أَنَّهُ الْقُرْآنُ، وَيُؤَيِّدُهُ قَوْلُهُ: ﴿وَكُتِبَ مَسْطُورٌ﴾ ﴿٢﴾ فِي رَقْعٍ مَسْطُورٍ ﴿الطُّورُ﴾ ﴿٣﴾.

وَكُنَّا فِيهَا سَبَقَ يَكْتُبُونَ الْقُرْآنَ فِي الْجُلُودِ، وَفِي

(١) رواه مسلم (٥٦٤٩) (٩).

(٢) رواه مسلم (٢٦٤٧) (٧).

عَسِيبِ النخل، وفي اللِّخَاف - وهي حجارة رقيقة ملساء - وغير ذلك.

❖ وقوله: ﴿وَالْقَلِيرَ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ [النمل: ١٠]. قَالَ: يَسْطُرُونَ: يَخْطُونَ؛ لأن الخطاط يُسْطِرُّ المكتوب.

❖ ثم قَالَ: «في أم الكتاب»: جملة الكتاب وأصله. يُشِيرُ إلى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَذِينَ عَلَى حَكِيمٍ﴾ [النمل: ٤].

❖ وقوله: «ما يلفظ من قول»: ما يتكلم من شيء إلا كُتِبَ عليه. يُشِيرُ إلى قوله تعالى: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [النمل: ١٨]. وقوله: «إلا كُتِبَ عليه». فيه شيء من القصور، ولهذا أردفها بقوله: وقال ابن عباس: يُكْتَبُ الخير والشر، وعلى هذا فيكون قوله: ﴿مِنْ قَوْلٍ﴾. عامًّا لأقوال الخير وأقوال الشر. ثم قَالَ تعالى: ﴿لَا لَدَيْهِ رَقِيبٌ يُرَاقِبُهُ﴾ [النمل: ١٩]. حاضر لا يغيب.

❖ ثم قَالَ: «يُحَرِّفُونَ»: يُزِيلُونَ، وليس أحدٌ يُزِيلُ لفظ كتاب من كتب الله ﷻ، ولكنهم يُحَرِّفُونَهُ: يَتَأَوَّلُونَهُ على غير تأويله. قوله: يُحَرِّفُونَ. مأخوذ من التحريف وهو صرف الشيء، يُقَالُ: انحرَفَتِ الدابة. أي: انصرفت. ويُقَالُ: حَرَفْتُ كذا. أي: صرفته، وهو بمعنى التغيير والإزالة عن موضعه، فقوله: ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ [النمل: ٤٦]. أي: يُزِيلُونَهُ عن مواضعه.

ولكن هل التحريف يُكُونُ لفظيًّا أو معنويًّا أو يكون هذا وهذا؟

**نقول:** يُكُونُ هذا وهذا، فقد يكون لفظيًّا، وقد يكون معنويًّا، وقد يكون لفظيًّا معنويًّا. فإذا قَالَ القارئ: «قل أعوذُ ربِّ النَّاسِ». فهذا تحريف لفظي لكن لا يتغير به المعنى. وإذا قَالَ: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ أي: ملكه وقهره. فهذا تحريف معنوي. وإذا قرأ القارئ: (وكلم الله موسى تكليمًا) فهذا تحريف لفظي معنوي. وكله مذموم، لكن أشدُّه التحريف اللفظي المعنوي.

❖ وقوله: «وليس أحدٌ يُزِيلُ لفظ كتاب من كتب الله». يَغْنِي: في الغالب، وإلا فإنهم - أي: الذين حرّفوا - ربما يُغَيِّرُونَ، فيزيدون أو ينقصون.

❖ وقوله: «دراسْتهم»: تلاوتهم. يُشِيرُ بذلك إلى قوله تعالى: ﴿وَلِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَنَنْفِلَيْتَ﴾ [النمل: ١٥٦]. أي: تلاوتهم.

❖ قوله: «واعية»: حافظة. يُشِيرُ بذلك إلى قوله تعالى: ﴿وَنَعْبَأُ أذنَّ وَعِيَةً﴾ [النمل: ١٢]. تعيها؛ أي: تحفظها.

❖ ثم قَالَ: ﴿وَأَوْحَى إِلَى هَذَا الْقُرْآنِ لِأَنْذِرْكُمْ بِهِ﴾. يَغْنِي: أهل مكة. يُريدُ بذلك أن الخطاب في قوله: ﴿لَأَنْذِرْكُمْ﴾. يعودُ إلى أهل مكة، ﴿وَمَنْ بَلَغَ﴾. أي: من بلغه هذا القرآن من غير أهل مكة.

❖ ثم قَالَ: «ومن بلغ هذا القرآن فهو له نذير».

ثُمَّ قَالَ الْبَحَّارِيُّ رَحِمَهُ اللهُ:

٧٥٥٣ - وَقَالَ لِي خَلِيفَةُ بْنُ خَبَّاطٍ، حَدَّثَنَا مُعْتَمِرٌ، سَمِعْتُ أَبِي، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَبِي رَافِعٍ، عَنْ



أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَمَّا قَضَى اللَّهُ الْخَلْقَ كَتَبَ كِتَابًا عِنْدَهُ: غَلَبَتْ - أَوْ قَالَ: سَبَقَتْ - رَحْمَتِي غَضَبِي فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ»<sup>(١)</sup>.

٧٥٥٤- حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي غَالِبٍ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، حَدَّثَنَا مُعْتَمِرٌ، سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ: حَدَّثَنَا قَتَادَةُ أَنَّ أَبَا رَافِعٍ حَدَّثَهُ أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ كِتَابًا قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ الْخَلْقَ: إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي. فَهُوَ مَكْتُوبٌ عِنْدَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ»<sup>(٢)</sup>.

الشاهد من هذا الحديث: قوله: «كَتَبَ كِتَابًا عِنْدَهُ». وكان المؤلف رحمه الله يُشير بهذا إلى قوله تعالى: ﴿وَكُنْتُ مَسْطُورًا﴾<sup>(٣)</sup> [الأنعام: ١٢].

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ تَحْلِيلُهُ فِي «الْفَتْحِ» (١٣/ ٥٢٢-٥٢٦):

❖ قوله: «بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ﴾<sup>(٤)</sup> فِي لَوْجٍ مَحْفُوظٍ»<sup>(٥)</sup>. قَالَ الْبَخَارِيُّ فِي «خَلْقِ أَعْمَالِ الْعِبَادِ» بَعْدَ أَنْ ذَكَرَ هَذِهِ الْآيَةَ وَالَّذِي بَعْدَهَا: قَدْ ذَكَرَ اللَّهُ أَنَّ الْقُرْآنَ يُحْفَظُ وَيُسْطَرُّ، وَالْقُرْآنُ الْمَوْعِيُّ فِي الْقُلُوبِ الْمَسْطُورُ فِي الْمَصَاحِفِ الْمَتْلُوءِ بِالْأَلْسِنَةِ كَلَامُ اللَّهِ لَيْسَ بِمَخْلُوقٍ، وَأَمَّا الْمَدَادُ وَالْوَرَقُ وَالْجِلْدُ فَإِنَّهُ مَخْلُوقٌ.

❖ قوله: «﴿وَالطُّورِ﴾<sup>(٦)</sup> وَكُنْتُ مَسْطُورًا»<sup>(٧)</sup> قَالَ قَتَادَةُ: مَكْتُوبٌ. وَصَلَهُ الْبَخَارِيُّ فِي «خَلْقِ أَعْمَالِ الْعِبَادِ» مِنْ طَرِيقِ يَزِيدَ بْنِ زُرَيْعٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي عَرُوبَةَ، عَنْ قَتَادَةَ فِي قَوْلِهِ: «﴿وَالطُّورِ﴾<sup>(٨)</sup> وَكُنْتُ مَسْطُورًا»<sup>(٩)</sup>. قَالَ: الْمَسْطُورُ: الْمَكْتُوبُ. ﴿فِي رَفَقٍ مَشْهُورٍ﴾<sup>(١٠)</sup>. هُوَ الْكِتَابُ، وَصَلَهُ عَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ مِنْ رِوَايَةِ شَيْبَانَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، وَعَبْدُ الرَّزَاقِ، عَنْ مَعْمَرٍ كِلَاهُمَا عَنْ قَتَادَةَ نَحْوَهُ.

وَأَخْرَجَ عَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ عَنْ مُجَاهِدٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَكُنْتُ مَسْطُورًا﴾<sup>(١١)</sup> قَالَ: صَحْفٌ مَكْتُوبَةٌ. ﴿فِي رَفَقٍ مَشْهُورٍ﴾<sup>(١٢)</sup> قَالَ: فِي صَحْفٍ. قَوْلُهُ: (يَسْطُرُونَ: يَخْطُونَ) أَي: يَكْتُبُونَ، أَوْرَدَهُ عَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ مِنْ طَرِيقِ شَيْبَانَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ قَتَادَةَ فِي قَوْلِهِ: «﴿وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾<sup>(١٣)</sup>» قَالَ: وَمَا يَكْتُبُونَ.

❖ قوله: «فِي أَمِ الْكِتَابِ: جَمَلَةُ الْكِتَابِ وَأَصْلُهُ» وَصَلَهُ أَبُو دَاوُدَ فِي كِتَابِ «النَّاسِخِ وَالْمَنْسُوخِ» مِنْ طَرِيقِ مَعْمَرٍ عَنْ قَتَادَةَ فِي قَوْلِهِ: «﴿يَتَمَحَرُّوا لِلَّهِ مَا يَشَاءُ وَيُتَّبِعُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾<sup>(١٤)</sup>» [البقرة: ٣٩]. قَالَ: جَمَلَةُ الْكِتَابِ وَأَصْلُهُ. وَكَذَا أَخْرَجَهُ عَبْدُ الرَّزَاقِ فِي تَفْسِيرِهِ، عَنْ مَعْمَرٍ، عَنْ قَتَادَةَ.

وَعِنْدَ ابْنِ أَبِي حَاتِمٍ مِنْ طَرِيقِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: «﴿وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾» يَقُولُ: جَمَلَةُ ذَلِكَ عِنْدَهُ فِي أَمِّ الْكِتَابِ النَّاسِخِ وَالْمَنْسُوخِ، وَمَا يُكْتَبُ وَمَا يُدَلُّ.

❖ قوله: «مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ» مَا يَتَكَلَّمُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا كُتِبَ عَلَيْهِ، وَصَلَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ مِنْ طَرِيقِ شُعَيْبِ بْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي عَرُوبَةَ، عَنْ قَتَادَةَ، وَالْحَسَنِ فِي قَوْلِهِ: «مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ». قَالَ:

(١) رواه مسلم (٢٧٥١).

(٢) رواه مسلم (٢٧٥١).



مَا يَتَكَلَّمُ بِهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا كَتَبَ عَلَيْهِ. وَمِنْ طَرِيقِ زَائِدَةَ بْنِ قَدَامَةَ، عَنْ الْأَعْمَشِ عَنْ مَجْمَعٍ قَالَ: الْمَلِكُ مَدَادُهُ: رَيْقُهُ، وَقَلَمُهُ: لِسَانُهُ.

❦ قَوْلُهُ: «وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: يُكْتَبُ الْخَيْرُ وَالشَّرُّ». وَصَلَهُ الطَّبْرِيُّ وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ مِنْ طَرِيقِ هِشَامِ بْنِ حَسَّانٍ، عَنْ عِكْرَمَةَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ﴾ قَالَ: إِنَّمَا يَكْتَبُ الْخَيْرُ وَالشَّرُّ.

وَأَخْرَجَ أَيْضًا مِنْ طَرِيقِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَيْنٌ﴾ قَالَ: يُكْتَبُ كُلُّ مَا تَكَلَّمَ بِهِ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ حَتَّىٰ إِنَّهُ لَيَكْتَبُ قَوْلُهُ: أَكَلْتُ، شَرِبْتُ، ذَهَبْتُ، جَنْتُ، رَأَيْتُ. حَتَّىٰ إِذَا كَانَ يَوْمَ الْخَمِيسِ عُرِضَ قَوْلُهُ وَعَمَلُهُ، فَأَقْرَبُ مَا كَانَ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ، وَأَلْقَى سَائِرَهُ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُنْثِتْ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ (٢١)﴾.

وَأَخْرَجَ الطَّبْرِيُّ هَذَا مِنْ طَرِيقِ الْكَلْبِيِّ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَبِثٍ -بَكْسِرِ الرَّاءِ، ثُمَّ يَاءٌ مَهْمُوزَةٌ، وَآخِرُهُ مُوحَّدَةٌ- وَالْكَلْبِيُّ مَتْرُوكٌ، وَأَبُو صَالِحٍ لَمْ يُدْرِكْ جَابِرًا هَذَا.

وَأَخْرَجَ الطَّبْرِيُّ مِنْ طَرِيقِ سَعِيدِ بْنِ أَبِي عَرُوبَةَ، عَنْ قَتَادَةَ عَنْ أَنَسٍ: «مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ». مَا يَتَكَلَّمُ بِهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا كَتَبَ عَلَيْهِ. وَكَانَ عِكْرَمَةُ يَقُولُ: إِنَّمَا ذَلِكَ فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ.

❦ قُلْتُ: وَيُجْمَعُ بَيْنَهُمَا بِرَوَايَةِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ الْمَذْكُورَةِ.

❦ قَوْلُهُ: «يُحَرِّفُونَ: يُزِيلُونَ». لَمْ أَرْ هَذَا مُوصُولًا مِنْ كَلَامِ ابْنِ عَبَّاسٍ مِنْ وَجْهِ ثَابِتٍ، مَعَ أَنَّ الَّذِي قَبْلَهُ مِنْ كَلَامِهِ، وَكَذَا الَّذِي بَعْدَهُ وَهُوَ قَوْلُهُ: «دَرَسْتُهُمْ: تَلَاوْتُهُمْ» وَمَا بَعْدَهُ.

وَأَخْرَجَ جَمِيعَ ذَلِكَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ مِنْ طَرِيقِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي بَابِ قَوْلِهِ: ﴿كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ (٢٢)﴾ [التكوير: ٢٩] عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ مَا يُخَالِفُ مَا ذُكِرَ هُنَا، وَهُوَ تَفْسِيرُ يُحَرِّفُونَ بِقَوْلِهِ: يُزِيلُونَ، نَعَمْ أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ مِنْ طَرِيقِ وَهْبِ بْنِ مُنْبِهِ، وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ فِي كِتَابِ الْمَجَازِ فِي قَوْلِهِ: (يَحْرِفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ) قَالَ: يَقْلِبُونَ وَيُغَيِّرُونَ، وَقَالَ الرَّاعِبِيُّ: التَّحْرِيفُ: الْإِمَالَةُ، وَتَحْرِيفُ الْكَلَامِ أَنْ يَجْعَلَهُ عَلَى حَرْفٍ مِنَ الْإِحْتِمَالِ؛ بِحَيْثُ يُمَكِّنُ حَمْلَهُ عَلَى وَجْهَيْنِ فَأَكْثَرُ.

❦ قَوْلُهُ: «وَلَيْسَ أَحَدٌ يُزِيلُ لَفْظَ كِتَابٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ ﷻ وَلَكِنَّهُمْ يُحَرِّفُونَهُ: يَتَأَوَّلُونَهُ عَنْ غَيْرِ تَأْوِيلِهِ» فِي رَوَايَةِ الْكُشْمِينِيِّ: «يَتَأَوَّلُونَهُ عَلَى غَيْرِ تَأْوِيلِهِ» قَالَ شَيْخُنَا ابْنُ الْمُثَنَّى فِي شَرْحِهِ: هَذَا الَّذِي قَالَهُ أَحَدُ الْقَوْلَيْنِ فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ وَهُوَ مُخْتَارُهُ -أَيُّ الْبَخَارِيِّ- وَقَدْ صَرَّحَ كَثِيرٌ مِنْ أَصْحَابِنَا بِأَنَّ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى بَدَّلُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ، وَفَرَعُوا عَلَى ذَلِكَ جَوَازَ امْتِهَانٍ أَوْ رَاقِعَهَا، وَهُوَ يُخَالِفُ مَا قَالَهُ الْبَخَارِيُّ هُنَا. انْتَهَى، وَهُوَ كَالصَّرِيحِ فِي أَنَّ قَوْلَهُ: «وَلَيْسَ أَحَدٌ» إِلَى آخِرِهِ مِنْ كَلَامِ الْبَخَارِيِّ ذَبَلُ بِهِ تَفْسِيرَ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَهُوَ يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ بَقِيَّةَ كَلَامِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي تَفْسِيرِ الْآيَةِ.

وَقَدْ صَرَّحَ بَعْضُ الشَّرَاحِ الْمَتَأَخِّرِينَ: اخْتَلَفَ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ عَلَى أَقْوَالٍ، أَحَدُهَا: أَنَّهَا بُدِّلَتْ كُلُّهَا وَهُوَ مُقْتَضَى الْقَوْلِ الْمُحْكَمِيِّ بِجَوَازِ الْإِمْتِهَانِ، وَهُوَ إِفْرَاطٌ، وَتَبْغِيغِي حَمْلُ إِطْلَاقٍ مِنْ أَطْلَقَهُ عَلَى الْأَكْثَرِ وَلَا فِيهِ مَكَابِرَةٌ، وَالْآيَاتُ وَالْأَخْبَارُ كَثِيرَةٌ فِي أَنَّهُ بَقِيَ مِنْهَا أَشْيَاءُ كَثِيرَةٌ لَمْ تُبَدَّلْ، مِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ



تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ﴾ [الأنعام: ١٠٧]. الآية، ومن ذلك قصة رجم اليهوديين، وفيه وجود آية الرجم، ويُؤيده قوله تعالى: ﴿قُلْ قَاتِلُوا بِالْتَّوْرَةِ قَاتِلُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: ١٧٠].

**ثانيها:** أن التبديل وقع ولكن في معظمها، وأدلتها كثيرة، وَنَبَغِي حَمْلُ الْأَوَّلِ عَلَيْهِ.

**ثالثها:** وقع في اليسير منها ومعظمها باقٍ على حاله، ونصره الشيخ تقي الدين ابن تيمية في كتابه: «الردُّ الصحيح على من بدل دين المسيح».

**رابعها:** إنما وقع التبديل والتغيير في المعاني، لا في الألفاظ، وهو المذكور هنا.

وقد سئل ابن تيمية عن هذا المسألة مجرداً، فأجاب في فتاويه أن للعلماء في ذلك قولين، واحتجَّ للثاني من أوجه كثيرة، منها: قوله تعالى: ﴿لَا مَبْدَلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾ [الأنعام: ١١٥]. وهو معارض بقوله تعالى: ﴿فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ﴾ [البقرة: ١٨١]. ولا يتعين الجمع بما ذكر من الحمل على اللفظ في النفي، وعلى المعنى في الإثبات؛ لجواز الحمل في النفي على الحكم، وفي الإثبات على ما هو أعم من اللفظ والمعنى، ومنها أن نسخ التوراة في الشرق والغرب والجنوب والشمال لا يختلف، ومن المحال أن يقع التبديل فيتوارد النسخ بذلك على منهاج واحد، وهذا استدلال عجيب؛ لأنه إذا جاز وقوع التبديل جاز إعدام المبدل، والنسخ الموجودة الآن هي التي استقر عليها الأمر عندهم عند التبديل، والأخبار بذلك طافحة.

أما فيما يتعلق بالتوراة فلأن يختصّر لما غزا بيت المقدس، وأهلك بني إسرائيل، ومزقهم بين قتيل وأسير، وأعدم كتبهم، حتّى جاء عزيراً فأملاها عليهم. وأما فيما يتعلق بالإنجيل فإن الروم لما دخلوا في النصرانية جمع ملكهم أكابرهم على ما في الإنجيل الذي بأيديهم، وتحريفهم للمعاني لا يُنكر، بل هو موجود عندهم بكثرة، وإنما النزاع: هل حرفت الألفاظ أو لا؟ وقد وُجد في الكتابين ما لا يجوز أن يكون بهذه الألفاظ من عند الله ﷻ أصلاً.

وقد سرد أبو محمد بن حزم في كتابه: «الفصل في الملل والنحل» أشياء كثيرة من هذا الجنس، من ذلك أنه ذكر أن في أول فصل في أول ورقة من توراة اليهود التي عند رهبانهم وقرائهم، وعاناتهم وعيسويهم، حيث كانوا في المشارق والمغرب لا يختلفون فيها على صفة واحدة لورام أحد أن يزيد فيها لفظة أو ينقص منها لفظة لا تضيح عندهم متفقاً عليها عندهم إلى أخبار الهارونية الذين كانوا قبل الخراب الثاني يذكرون أنها مبلغ من أولئك إلى عزرا الهاروني، وأن الله تعالى قال لما أكل آدم من الشجرة: هذا آدم قد صار كواحد منا في معرفة الخير والشر، وأن السحرة عملوا لفرعون نظير ما أرسل عليهم من الدّم والضفادع، وأنهم عجزوا عن البعوض، وأن ابتي لوط بعد هلاك قوميه ضاجعت كل منها أباه بعد أن سقته الخمر، فوطئ كلا منها فحملتا منه، إلى غير ذلك من الأمور المنكرة المستبشرة.

وذكر في مواضع أخرى أن التبديل وقع فيها إلى أن أعيدت فأملاها عزرا المذكور على ما هي عليه الآن، ثم ساق أشياء من نص التوراة التي بأيديهم الآن الكذب فيها ظاهر جداً، ثم قال: وبلغنا



عن قوم من المسلمين يُنكرون أن التوراة والإنجيل اللتين بأيدي اليهود والنصارى محرّقان، والحاملُ لهنّ على ذلك قلّةٌ مبالايتهم بنصوص القرآن والسنة وقد اشمّتلا على أنهم: ﴿يُحَرِّقُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ [النِّسَاءُ: ٤٦]. و﴿وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [النِّسَاءُ: ٧٥]. ﴿وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ [النِّسَاءُ: ٧٨]. ويلبسون الحق بالباطل ويكتمون الحق وهم يعلمون. ويُقال لهؤلاء المنكرين: قد قال الله تعالى في صفة الصحابة ﴿ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَرَجٍّ أَخْرَجَ سَطَفَهُ﴾ [النِّسَاءُ: ٦٩]. إلى آخر السورة، وليس بأيدي اليهود والنصارى شيءٌ من هذا.

ويُقال لمن ادعى أن نقلهم نقلٌ متواترٌ: قد اتفقوا على أن لا ذكرٌ لمحمد ﷺ في الكتابين، فإن صدقتموهم فيما بأيديهم لكونه نقلٌ المتواتر فصدقوهم فيما زعموه أن لا ذكرٌ لمحمد ﷺ ولا لأصحابه، وإلا فلا يجوزُ تصديقُ بعضٍ وتكذيبُ بعضٍ مع مجيئهما مجيئًا واحدًا. انتهى كلامه، وفيه فوائد.

وقال الشيخ بدر الدين الزركشي: اغترَّ بعض المتأخرين بهذا -يعني: بما قال البخاري- فقال: إن في تحريف التوراة خلافًا هل هو في اللفظ والمعنى، أو في المعنى فقط؟ ومال إلى الثاني ورأى جوازَ مطالعتها، وهو قولٌ باطلٌ، ولا خلاف أنهم حرّفوا وبدّلوا، والاشتغالُ بنظرها وكتابتها لا يجوزُ بالإجماع، وقد غضب ﷺ حين رأى مع عمرَ صحيفةٍ فيها شيءٌ من التوراة، وقال: «لو كان موسى حيًّا ما وسعته إلا اتباعي»، ولولا أنه معصيةٌ ما غضب فيه.

**قلت:** إن ثبت الإجماع فلا كلام فيه، وقد قيده بالاشتغال بكتابتها ونظرها، فإن أراد من يتشاغل بذلك دون غيره فلا يحصل المطلوب؛ لأنه يفهم أنه لو تشاغل بذلك مع تشاغله بغيره جاز، وإن أراد مطلق التشاغل فهو محلُّ النظر، وفي وصفه المذكور بالبطلان مع ما تقدّم نظرٌ أيضًا، فقد تُسبب لوهب بن مُنبّه وهو من أعلم الناس بالتوراة، وتُسبب أيضًا لابن عباسٍ تَرْجُمان القرآن وكان ينبغي له تركُ الدفع بالصدر والتشاغل بردِّ أدلة المخالف التي حكيثها، وفي استدلاله على عدم الجواز الذي ادعى الإجماع فيه بقصة عمرَ نظرٌ أيضًا، سأذكره بعد تخريج الحديث المذكور، وقد أخرجه أحمدُ والبخاري واللفظ له من حديث جابرٍ قال: نسخَ عمرُ كتابًا من التوراة بالعربية فجاء به إلى النبي ﷺ فجعل يقرأ ووجه رسول الله ﷺ يتغيّر، فقال له رجلٌ من الأنصار: ويحك يا ابن الخطاب، ألا ترى وجه رسول الله ﷺ؟ فقال رسول الله ﷺ: «لا تسألوا أهل الكتاب عن شيءٍ فإنهم لن يهدؤكم وقد ضلّوا، وإنكم إما أن تُكذبوا بحق، أو تصدّقوا بباطل، والله لو كان موسى بين أظهركم ما حلّ له إلا أن يتبعني». وفي سننه جابرُ الجعفي وهو ضعيفٌ.

ولأحمد أيضًا وأبي يعلى من وجه آخر، عن جابرٍ أن عمرَ أتى بكتابٍ أصابه من بعض كتب أهل الكتاب فقرأه على النبي ﷺ فغضب، فذكر نحوه دون قول الأنصاري، وفيه: «والذي نفسي بيده لو أن موسى حيًّا ما وسعته إلا أن يتبعني». وفي سننه مجالد بن سعيد وهو كليلٌ. وأخرجه الطبراني بسننٍ فيه مجهولٌ ومختلفٌ فيه، عن أبي الدرداء: جاء عمرُ بجوامعٍ من



التوراة فذكر بنحوه. وسمى الأنصاري الذي خاطب عمرَ عبد الله بن زيد الذي رأى الأذان، وفيه «لو كان موسى بين أظهركم ثم اتبعتموه وتركتوني لضللتكم ضلالاً بعيداً». وأخرجه أحمد والطبراني من حديث عبد الله بن ثابت قال: جاء عمرُ فقال: يا رسول الله إني مررت بأخ لي من بني فريظة فكتب لي جوامع من التوراة ألا أعرضها عليك؟ قال: فتغير وجه رسول الله ﷺ... الحديث، وفيه: «والذي نفس محمد بيده لو أصبح موسى فيكم ثم اتبعتموه وتركتوني لضللتكم».

وأخرج أبو يعلى من طريق خالد بن عرفة قال: كنت عند عمر فجاء رجل من عبد القيس فضربه بعضاً معه فقال: ما لي يا أمير المؤمنين؟ قال: أنت الذي نسخت كتاب دانيال؟ قال: مُرِنِي بِأَمْرِكَ. قال: انطلق فامحه، فلتن بلغني أنك قرأته أو أقرأته لأتهكتك عقوبة، ثم قال: انطلقت، فانتسخت كتاباً من أهل الكتاب، ثم جئت، فقال لي رسول الله ﷺ: «ما هذا؟». قلت: كتاب انتسخته ليزداد به علماً إلى علمنا. فغضب حتى احمرت وجنتاه فذكر قصة فيها: «يا أيها الناس، إني قد أوتيت جوامع الكلم وخواتمه، واختصر لي الكلام اختصاراً، ولقد أتيتكم بها بيضاء نقية فلا تهوؤكوا». وفي سننه عبد الرحمن بن إسحاق الواسطي، وهو ضعيف.

وهذه جميع طرق هذا الحديث، وهي وإن لم يكن فيها ما يُحتج به لكن مجموعها يقتضي أن لها أصلاً، والذي يظهر أن كراهية ذلك للتنزيه، لا للتحريم. والأولى في هذه المسألة التفرقة بين من لم يتمكّن وبصر من الراسخين في الإيمان فلا يجوز له النظر في شيء من ذلك، بخلاف الراسخ فيجوز له، ولا سيما عند الاحتياج إلى الرد على المخالف، ويدل على ذلك نقل الأئمة قديماً وحديثاً من التوراة، وإلزامهم اليهود بالتصديق بمحمد ﷺ بما يستخرجونه من كتابهم، ولو لا اعتقادهم جواز النظر فيه لما فعلوه وتواردوا عليه.

وأما استدلاله للتحريم لما ورد من الغضب ودعواه أنه لو لم يكن معصية ما غضب منه، فهو معترض بأنه قد يغضب من فعل المكروه، ومن فعل ما هو خلاف الأولى إذا صدر ممن لا يليق منه ذلك، كغضبه من تطويل معاذ صلاة الصبح بالقراءة، وقد يغضب ممن يقع منه تقصير في فهم الأمر الواضح، مثل الذي سأل عن لفظة الإبل. وقد تقدّم في كتاب «العلم» الغضب في الموعظة، ومضى في كتاب «الأدب» ما يجوز من الغضب. اهـ.

**الراجح:** أن التحريف حصل في المعنى كثيراً، وفي اللفظ قليلاً، وكذلك في الإنجيل، والتحريف في الإنجيل أكثر من التوراة.

أما قوله -أي: البخاري-: ليس أحدٌ يُزيل لفظ كتاب من كتب الله ﷻ. فهذا فيه نظر، أما القرآن فنعم، فإنه لا يُمكن لأحد أن يُزيل لفظاً من كتاب الله، وذلك لأنه محفوظ، قال تعالى: ﴿لِنَاخُنُ زَيْلَ الذِّكْرِ وَلَا نَأْتَا لَهُ حِفْظُونَ﴾ ﴿١٠﴾ [الحق: ١٠]. وما من أحدٍ حاول إلا فضّحه الله وهتك ستره.



ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ تَحَلَّتْهُ:

٥٦- باب قول الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الشورى: ١٦٦]. ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْتَهُ بِقَدَرٍ﴾ [الأنعام: ٤٦]. وَيُقَالُ لِلْمُصَوِّرِينَ: «أَحْيَا مَا خَلَقْتُمْ». ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَىٰ أَلْيَدُ النَّهَارِ يَطْلُبُهُ حَيْثُهَا وَالسَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِ اللَّهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ بَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ١٠٤].

قَالَ ابْنُ عُيَيْنَةَ: بَيَّنَّ اللَّهُ الْخَلْقَ مِنَ الْأَمْرِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾. وَسَمَّى النَّبِيُّ ﷺ الْإِيمَانَ عَمَلًا. قَالَ أَبُو ذَرٍّ وَأَبُو هُرَيْرَةَ: سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ: أَيُّ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «إِيمَانٌ بِاللَّهِ وَجَهَادٌ فِي سَبِيلِهِ». وَقَالَ: ﴿جَزَاءُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٦]. وَقَالَ: وَفَدَّ عَبْدُ الْقَيْسِ لِلنَّبِيِّ ﷺ: مُرْنَا بِحِمْلِ مِنَ الْأَمْرِ إِنْ عَمِلْنَا بِهَا دَخَلْنَا الْجَنَّةَ. فَأَمَرَهُمُ بِالْإِيمَانِ وَالشَّهَادَةِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ. فَجَعَلَ ذَلِكَ كُلَّهُ عَمَلًا.

هذا الباب أراد المؤلف أن يُبَيِّنَ به هل أفعال العباد مخلوقة، أو غير مخلوقة؟ فصدره بقول الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾. قوله: ﴿خَلَقَكُمْ﴾. أمره واضح، وقوله: ﴿وَمَا تَعْمَلُونَ﴾. قيل في إعرابها وجهان:

**الوجه الأول:** أن «ما» مصدرية؛ أي: خَلَقَكُمْ وعملكم.

وقيل: بل «ما» موصولة. وهو الصحيح؛ لأنه قال: ﴿أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ﴾ [الشورى: ١٩٥-١٩٦]. أي: ما تَنْحِتُونَ، فأصنامكم مخلوقة فكيف تَعْبُدُونَهَا ولا تَعْبُدُونَ الذي خَلَقَكُمْ وخلقها.

فالصحيح: الرجح أن «ما» موصولة وليست مصدرية؛ لأن السياق يُعَيِّنُ ذلك، وهي من حيث العموم يَجُوزُ أن تُكُونُ مصدرية، والتقدير: خَلَقَكُمْ وخلق عملكم، وتكون دلالتها على خلق الأصنام من باب دلالة اللزوم؛ لأنه إذا كان العمل مخلوقاً كان المعمول مخلوقاً كذلك.

أما على الوجه الأول فإنها تدل على أن هذه الأصنام مخلوقة بدلالة التضمن والمطابقة، ومع ذلك تدل على أن عمل الإنسان مخلوق بطريق الالتزام.

ولكن أيهما نأخذ؟ هل نأخذ بأنها تدل على أن العمل مخلوق وأن هذه الأصنام مخلوقة بطريق اللزوم، أو بالعكس؟

**نقول:** نأخذ بالعكس؛ لأن سياق الآية يُرَادُ به بيان بطلان عبادة هذه الأصنام التي نَحْتُمُوهَا أنتم فهي مخلوقة، وإذا كان الأمر كذلك فلماذا تَعْبُدُونَهَا ولا تَعْبُدُونَ الذي خَلَقَكُمْ وخلقها، فتقدير الآية: واللَّهُ خَلَقَكُمْ والذي تعملونه، والعائد على الموصول محذوف.

والقائل: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾. هو إبراهيم حين أنكر على قومه أن يَعْبُدُوا هذه الأصنام التي هم بأنفسهم يَنْحِتُونَهَا، وهي مخلوقة لله.

ثم رُجِعَ فنقول: هل أعمال العباد أفعال لهم أو أفعال لله؟ وهل هم مستقلون بها أو غير مستقلين بها؟

**نقول:** قد سبق الكلام على هذا، وبيننا أن في هذه المسألة ثلاثة أقوال، طرفان ووسط:



**طَرَفٌ يَقُولُ:** أفعالُ العبادِ مخلوقةٌ لله، وليست فعلًا لهم؛ لأنهم مجبورون عليها، وَيَفْعَلُونَهَا بِغَيْرِ إِرَادَةٍ، وَيَقُولُونَ: إِنْ الْإِنْسَانُ الَّذِي يَأْتِي وَيَرْكَبُ سيارَتَهُ وَيُسْغَلُّهَا وَيَمْشِي، كَالْإِنْسَانِ الَّذِي حُمِلَ وَهُوَ مَغْمُومٌ عَلَيْهِ وَوُضِعَ فِي السَّيَّارَةِ، وَيَقُولُونَ: إِنْ الَّذِي يَنْزِلُ مِنَ السَّطْحِ بِالدرَجِ رُوَيْدًا رُوَيْدًا، كَالَّذِي يُلْقَى مِنَ السَّطْحِ؛ أَي: أَنَّ الْجَمِيعَ يَفْعَلُ بِغَيْرِ إِرَادَةٍ وَلَا اخْتِيَارٍ. وَلَا شَكَّ أَنَّ هَذَا قَوْلٌ بَاطِلٌ؛ لِأَنَّ كُلَّ إِنْسَانٍ يَعْرِفُ الْفَرْقَ بَيْنَ مَا يَفْعَلُهُ بِاخْتِيَارِهِ وَمَا يَفْعَلُهُ بِاضْطِرَّارِهِ.

**وَالطَّرَفُ الثَّانِي، بِالْعَكْسِ يَقُولُ:** إِنْ الْإِنْسَانُ مُسْتَقِلٌّ بِعَمَلِهِ، وَلَا عِلَاقَةَ لِلَّهِ فِيهِ، وَأَنَّهُ يَفْعَلُ بِاخْتِيَارِهِ، وَيَتْرُكُ بِاخْتِيَارِهِ، وَبِمَشِئَتِهِ وَبِإِرَادَتِهِ، وَأَنَّ اللَّهَ لَا عِلَاقَةَ لَهُ بِفِعْلِهِ لَا مَشِئَةً وَلَا خَلْقًا. وَهَؤُلَاءِ هُمُ الْقَدْرِيُّونَ الَّذِينَ هُمْ مَجْبُوسٌ هَذِهِ الْأُمَّةُ، وَسَبَقَ لَنَا بَيَانٌ وَجْهِ كَوْنِهِمْ مَجْبُوسًا، ذَلِكَ أَنَّهُمْ قَدْ جَعَلُوا لِلْحَوَادِثِ خَالِقِينَ كَمَا جَعَلَتِ الْمَجْبُوسُ لِلْحَوَادِثِ خَالِقِينَ.

**الْقَوْلُ الثَّلَاثُ، وَهُوَ الْوَسْطُ:** أَنَّ أَفْعَالَ الْعِبَادِ أَفْعَالُهُمْ هُمْ. بِاخْتِيَارِهِمْ وَإِرَادَتِهِمْ، لَكِنَّهَا مَخْلُوقَةٌ لِلَّهِ مِنْ حَيْثُ أَنَّ فِعْلَ الْعَبْدِ صَادِرٌ عَنْ إِرَادَةٍ جَازِمَةٍ، وَقَدْرَةٍ تَامَةٍ، وَالَّذِي خَلَقَ هَذِهِ الْإِرَادَةَ وَهَذِهِ الْقَدْرَةَ هُوَ اللَّهُ، وَخَالَقَ السَّبَبَ النَّامَ خَالِقَ الْمُسَبَّبِ؛ لِأَنَّ الْمُسَبَّبَ نَاشِئٌ عَنِ السَّبَبِ، فَباعتبارِ الْأَصْلِ يَكُونُ الْمُسَبَّبُ مَخْلُوقًا لِلْمُسَبَّبِ الَّذِي خَلَقَ السَّبَبَ.

وَهَذَا الْقَوْلُ هُوَ الصَّحِيحُ، وَالِدَّلِيلُ عَلَى هَذَا أَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا أُجْبِرَ عَلَى الْفِعْلِ لَمْ يَتَرْتَّبْ عَلَيْهِ أَثَرُهُ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ بِاخْتِيَارِهِ، وَأَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا فَعَلَ الشَّيْءَ وَهُوَ نَائِمٌ لَمْ يَتَرْتَّبْ عَلَيْهِ أَثَرُهُ، إِلَّا مَا كَانَ مِنَ الْإِتِلَافَاتِ الَّتِي لِلخَلْقِ، وَأَنَّ الْإِنْسَانَ لَوْ نَسِيَ فَعَمِلَ عَمَلًا لَمْ يَتَرْتَّبْ عَلَيْهِ أَثَرُهُ؛ لِأَنَّهُ بِغَيْرِ قَصْدِهِ.

وَهَذَا الْقَوْلُ تَذَلُّ عَلَيْهِ الْقَوَاعِدُ الشَّرْعِيَّةُ وَالْوَاقِعُ أَيْضًا؛ لِأَنَّا لَوْ قُلْنَا: إِنْ الْإِنْسَانُ يَسْتَقِلُّ بِعَمَلِهِ، وَيَفْعَلُ مَا يَشَاءُ، وَلَا عِلَاقَةَ لِلَّهِ بِفِعْلِهِ، صَارَ فِي مُلْكِ اللَّهِ مَا لَا يَشَاءُ وَهَذَا مُمْتَنِعٌ. إِذَا فَعَلْنَا تَنْسَبُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى خَلْقًا وَمَشِئَةً، وَتَنْسَبُ إِلَيْنَا فَعْلًا وَكَسْبًا، فَنَحْنُ السَّاجِدُونَ الرَّكَعُونَ الصَّائِمُونَ الْمُتَصَدِّقُونَ الْحَاجُّونَ الْمُعْتَمِرُونَ، وَلَا يُنْسَبُ هَذَا لِلَّهِ ﷻ، لَكِنْ خَالَقُ هَذِهِ الْأَفْعَالِ هُوَ اللَّهُ ﷻ، ضَرُورَةٌ أَنَّهُا صَادِرَةٌ مِنَّا وَهِيَ مِنْ صِفَاتِنَا، وَنَحْنُ وَصِفَاتُنَا مَخْلُوقُونَ لِلَّهِ ﷻ.

ثُمَّ قَالَ الْبَخَارِيُّ: ﴿إِنَّا كُلُّ شَيْءٍ خَلَقْتَهُ بِقَدْرٍ﴾. قَوْلُهُ: ﴿كُلُّ شَيْءٍ﴾. هَذِهِ مَفْعُولٌ لِفِعْلِ مَحذُوفٍ، وَيُسَمِّيهِ النَحْوِيُّونَ: الْاِسْتِغَالَ؛ لِأَنَّ الْعَامِلَ اشْتَغَلَ بِضَمِيرِهِ - بِضَمِيرِ الْمُتَقَدِّمِ - فَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّا كُلُّ شَيْءٍ خَلَقْتَهُ﴾ تَقْدِيرُهُ: إِنَّا خَلَقْنَا كُلَّ شَيْءٍ.

وَهَلْ هَذَا الْخَلْقُ يَشْمَلُ فِعْلَ الْعَبْدِ؟

**الْجَوَابُ:** نَعَمْ، وَهَذَا كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ بِقَدْرٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا﴾ ﷻ [الْإِسْرَافُ: ١٧]. وَهَذَا يَقُولُ: ﴿إِنَّا كُلُّ شَيْءٍ خَلَقْتَهُ بِقَدْرٍ﴾. فَلَا إِيْتَانٍ مُتَسَاوِيَتَيْنِ دَلَالَةً، وَإِنْ اخْتَلَفْنَا تَعْبِيرًا.

❖ وَقَوْلُهُ: «وَيُقَالُ لِلْمَصُورِينَ: أَحْيَا مَا خَلَقْتُمْ». أَي: يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُقَالُ لَهُمْ: أَحْيَا مَا خَلَقْتُمْ. فَأُضَافُ الْخَلْقُ إِلَيْهِمْ، فَصَارُوا هُمُ الْفَاعِلُونَ.

وهنا يُشْكِلُ على بعض الناس كيف سَمَّى فعلهم خلقاً؟  
**والجواب:** لأنهم يُصَاهِتُونَ بخلقِ الله، ويُريدُونَ أن يَكُونُوا كَالْخَالِقِ عَزَّ وَجَلَّ في الإبداع والتصوير.

فإذا قَالَ قائلٌ: أَلَسْتُمْ تَقُولُونَ: إن الله منفردٌ بالخلقِ. فكيف قيل لهؤلاء: أحيوا ما خَلَقْتُمْ؟

**فالجواب:** أن الخلقَ الذي انفرد الله به غيرُ الخلقِ الذي خَلَقَهُ هؤلاء، فخلقَ الله الذي انفرد به إيجادُ من عدم، أما هؤلاء فإنهم لم يُوجدوا من عدم، بل غايةً ما صنعوا هو التغيُّرُ والتحويلُ.

فمثلاً: البابُ يُقالُ: خَلَقَهُ النجارُ، فهل هو الذي أوجد مادته، الخشبَ والمساميرَ وغيرَها؟

**الجواب:** لا. لكنه حوَّلَ هذه الأخشابَ والمساميرَ إلى باب، فكذلك المصورُ كان عنده مادةٌ فهل خَلَقَ هو هذه الهادة؟ الجواب: لا. بل الذي خَلَقَ ذلك هو الله، والمصورُ شكَّلَ هذه الصورةَ فقط.

ثم قَالَ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَى اللَّيْلَ أَنْهَارٌ يُطَلَبُ، حِينًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ بَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾. هذه الآيةُ سبقَ الكلامُ عليها، وبينَّا أن الأيامَ الستةَ أولُها الأحدُ وآخرُها الجمعةُ.

ونوردُ الآن إشكالاً وهو: أنه كيف قدر خلقَ السمواتِ والأرضِ في ستة أيامٍ أولُها الأحدُ وآخرُها الجمعةُ، مع أنه لم يَكُنْ هناك شمسٌ يُقَدَّرُ بها اليومُ؟

**والجواب:** أنها تُقَدَّرُ بحركةِ الشمسِ على مدى ستةِ أيامٍ، وإن لم تُوجدِ الشمسُ.

ثم قَالَ: قَالَ ابنُ عِينَةَ -يعني: سفيان- بينَ الله الخلقَ من الأمرِ. بيَّنه؛ أي: ميَّزه، فقال: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾؛ ذلك لأنه عطفَ الأمرَ على الخلقِ، والأصلُ في العطفِ المغايرةُ، إذا فالأمرُ شيءٌ والخلقُ شيءٌ آخرُ، فالأمرُ أن يَقُولَ: كُنْ. والخلقُ هو التكوينُ والإيجادُ.

ثم قَالَ: وَسَمَّى النَّبِيُّ ﷺ الإِيَّانَ عملاً. وسبقَ أن قلنا: إن الإِيَّانَ عملُ الإنسانِ وأن «آمن»؛ أي: كَوَّنَ الإِيَّانَ في قلبه، و«كفر»؛ أي: كَوَّنَ الكفرَ في قلبه، فهو عملٌ.

ثم قَالَ: وقال أبو ذرُّ وأبو هريرة: سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ: أي الأعمالِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «إِيَّانٌ بِاللَّهِ، وَجِهَادٌ فِي سَبِيلِهِ». فجعلَ الإِيَّانَ عملاً.

ثم قَالَ: وقال تعالى: ﴿جَزَاءُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾. أي: جزاءُ بالذي كانوا يَعْمَلُونَهُ، سواءَ الخيرِ أو الشرِّ.

ثم قَالَ: وقال وفدُ عبدِ القيسِ للنبيِّ ﷺ: مُرْنَا بِجُمْلٍ مِنَ الْأَمْرِ، إن عملنا بها دخلنا الجنةَ. فأمرهم بالإِيَّانَ والشهادةَ، وإقامَ الصلاةَ، وإيتاءَ الزكاةَ. فجعلَ ذلك كله عملاً. أي: عملاً للإنسانِ، فيُضافُ إليه على أنه هو العاملُ المباشرُ، أما الخالقُ فهو الله عَزَّ وَجَلَّ.



ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٥٥٥- حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَهَّابِ، حَدَّثَنَا أَيُّوبُ، عَنْ أَبِي قِلَابَةَ، وَالْقَاسِمِ التَّمِيمِيِّ، عَنْ زُهَيْمٍ قَالَ: كَانَ بَيْنَ هَذَا الْحَيِّ مِنْ جُزْمٍ وَبَيْنَ الْأَشْعَرِيِّينَ وَدَّ إِخَاءَ، فَكُنَّا عِنْدَ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ فَقَرَّبَ إِلَيْنَا



الطَّعَامُ فِيهِ لَحْمٌ دَجَاجٌ وَعِنْدَهُ رَجُلٌ مِنْ بَنِي تَيْمٍ اللَّهِ كَانَهُ مِنَ الْمَوَالِي، فَدَعَاهُ إِلَيْهِ فَقَالَ: إِنِّي رَأَيْتُهُ يَأْكُلُ شَيْئًا فَقَذَرْتُهُ، فَحَلَفْتُ لَا أَكُلُهُ. فَقَالَ: هَلُمَّ فَلَا حَدَّثَكَ عَنْ ذَلِكَ، إِنِّي أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فِيهِ نَفَرٌ مِنَ الْأَشْعَرِيِّينَ نَسَخِمِلَهُ، قَالَ: «وَاللَّهِ لَا أَحْمِلُكُمْ، وَمَا عِنْدِي مَا أَحْمِلُكُمْ». فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ بَنُهَبُ إِبِلٍ فَسَأَلَ عَنْهُ فَقَالَ: «أَيْنَ النَّفَرُ الْأَشْعَرِيُّونَ؟». فَأَمَرَنَا بِخَمْسِ ذَوْدٍ غَرَّ الذَّرَى، ثُمَّ انْطَلَقْنَا قُلْنَا: مَا صَنَعْنَا؟ حَلَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَا يَحْمِلُنَا، وَمَا عِنْدَهُ مَا يَحْمِلُنَا، ثُمَّ حَمَلْنَا، تَغَفَّلْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَمِينَهُ؟ وَاللَّهِ لَا نُفْلِحُ أَبَدًا، فَرَجَعْنَا إِلَيْهِ، فَقُلْنَا لَهُ، فَقَالَ: «لَسْتُ أَنَا أَحْمِلُكُمْ، وَلَكِنَّ اللَّهَ حَمَلَكُمْ، وَإِنِّي وَاللَّهِ لَا أَحْلِبُ عَلَى يَمِينٍ فَأَرَى غَيْرَهَا خَيْرًا مِنْهَا إِلَّا أَتَيْتُ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ مِنْهُ وَتَحَلَّلْتَهَا»<sup>(١)</sup>.

❦ قوله: «كان بين هذا الحي من جُزْمٍ وبين الأشعرين وُدٌّ وإخاء، فكُنَّا عند أبي موسى الأشعري فقرَّبَ إليه الطعام فيه لحمٌ دجاج، وعنده رجلٌ من بني تيمٍ الله كأنه رجلٌ من الموالِي؛ يَعْنِي: بهيئته وشكله، فدعاه إليه؛ أي: ليأكل. فقال: إني رأيته يأكل شيئًا فَقَذَرْتُهُ؛ يَعْنِي: الدجاج، والدجاج كما هو معروف يأكل ما هبَّ ودبَّ، فكلُّ ما على الأرض تأكله من طيبٍ كان أو خبيث، وكأنه رآها تأكل شيئًا خبيثًا فَقَذَرَهَا وكَرِهَهَا.

وهنا نَسَأَلُ: لو أكلتِ الدجاجة شيئًا خبيثًا نجسًا، فهل تكون حرامًا؟  
**نقول:** في هذا تفصيل، فإن كان أكثر علفها ولم تطهر منه فإنها تكون حرامًا، وإن كان نصف علفها، أو أقل فهي حلال.

فمثلاً: إذا كنا نعطيهها جرامًا من الدم النجس، وجرامين من الخبز ونحوه، فإنها تكون حلالاً؛ لأن أكثر علفها من الطاهر، والعكس بالعكس فتكون حرامًا، إلى أن تطهر، ويَكُونُ تطهيرها بأن تحبسها عن هذا الخبيث وتطعم الطاهر ثلاثة أيام، وبهذا تعود طيبة.  
وقال بعض العلماء: إن الجلالة وهي التي أكثر علفها النجاسة حلال، بناءً على أن استحالة النجاسة تطهرها. وعلى هذا فتكون حلالاً.

لكن الرواية الأولى أصح. وهاتان روايتان عن الإمام أحمد:

**الأولى:** أن الجلالة حلال مطلقاً.

**والثانية:** أنها حرام إذا كان أكثر علفها النجاسة<sup>(٢)</sup>.

ثم ذكر الراوي قصة حمل النبي ﷺ الأشعرين بعد أن أتوه وقالوا: احملنا يا رسول الله. فقال: «ما عندي ما أحملكم»، وقد قال الله فيهم: ﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِمْ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَحْمِلُوا مَا تُبْفِقُونَ﴾<sup>(٣)</sup> [البقرة: ١٧٠]. ولكن الله تعالى يسر لهم ما يحملهم عليه، فقد أتى النبي ﷺ بَنُهَبُ إِبِلٍ -أي: بغنمة إبل- فقال: «أين نفر الأشعريون». فأمر لهم بخمسة ذَوْدٍ غَرَّ الذَّرَى،

(١) رواه مسلم (١٦٤٩) (٩).

(٢) انظر: «المغني» لابن قدامة (١٣/٣٢٨-٣٢٩).

وَالَّذِي: الْأَسِنَّةُ، وَالْغَر: الْبَيْضُ؛ أَي: أَنْ أُسِنَّمَهَا بَيْضَاءُ.

ثُمَّ تَسَاءَلُوا فِيهَا بَيْنَهُمْ وَخَافُوا أَنْ يَكُونُوا أَكْرَهُوا النَّبِيَّ ﷺ عَلَى ذَلِكَ.  
وَقَالُوا: «تَغْفُلُنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمِينَةٍ»؛ لِأَنَّهُ كَانَ قَدْ حَلَفَ وَقَالَ: «وَاللَّهِ لَا أَهْلِكُكُمْ». فَنَدِمُوا عَلَى ذَلِكَ، ثُمَّ رَجَعُوا إِلَيْهِ فَقَالُوا لَهُ هَذَا فَقَالَ: «لَسْتُ أَنَا أَهْلِكُكُمْ، وَلَكِنَّ اللَّهَ هَلَكُكُمْ». فَأُضِيفَ حَمْلُهُمْ إِلَى اللَّهِ.  
وَهَذَا الْحَدِيثُ اسْتَدَلَّ بِهِ الْجَبَرِيَّةُ عَلَى مَذْهَبِهِمْ، وَقَالُوا: إِنْ فَعَلَ الْعَبْدُ فَعَلَ اللَّهُ.  
كَمَا اسْتَدَلُّوا لِذَلِكَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّكَ اللَّهُ رَمَى﴾ [الأنعام: ١٧]. قَالُوا: فَهَذَا صَرِيحٌ فِي أَنَّ اللَّهَ أَضَافَ فَعَلَ الْإِنْسَانَ إِلَيْهِ وَحْدًا، وَهَذَا قَالَ: «وَلَكِنَّ اللَّهَ هَلَكُكُمْ».

**وَالْجَوَابُ عَلَى هَذَا أَنْ نَقُولَ:** إِنْ مَعْنَى قَوْلِهِ: «وَلَكِنَّ اللَّهَ هَلَكُكُمْ». أَي: وَلَكِنَّ اللَّهَ يَسِّرُ لَكُمْ مَا لَا أَقْدِرُ عَلَيْهِ حَتَّى حَمَلَكُمْ، فَإِنْ هَذِهِ الْإِبْلَ مَا كَانَ الرَّسُولُ ﷺ يَخْطُرُ بِبَالِهِ أَنَّهَا سَتَأْتِي، وَلَكِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَسِّرُهَا، فَكَانَتْ إِضَافَةُ الْحَمْلِ إِلَى اللَّهِ مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ هُوَ الَّذِي يَسِّرُ لَهُمْ ذَلِكَ فَحَمَلَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ عَلَيْهِ.  
ثُمَّ أَقْسَمَ ﷺ فَقَالَ: «وَاللَّهِ لَا أَحْلِفُ عَلَى يَمِينٍ فَأَرَى غَيْرَهَا خَيْرًا مِنْهَا إِلَّا أَتَيْتُ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ مِنْهُ وَتَحَلَّلْتُهَا». وَهَكَذَا يَنْبَغِي لِلْإِنْسَانِ إِذَا حَلَفَ عَلَى شَيْءٍ وَرَأَى غَيْرَهُ خَيْرًا مِنْهُ أَنْ يَأْتِيَ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ وَأَنْ يَتَحَلَّلَ بِمِينَةٍ؛ أَي: يُكْفِرَ عَنْهُ.

**مِثَالُ ذَلِكَ:**

قَالَ رَجُلٌ: وَاللَّهِ لَا أَسْلَمُ عَلَى فُلَانٍ - وَتَرَكْتُ السَّلَامَ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ وَالسَّلَامُ عَلَيْهِ خَيْرٌ وَوَاجِبٌ لِأَنَّهُ سَنَةٌ - فَهَذَا نَقُولُ: كَفَرْنَا عَنْ يَمِينِكَ وَسَلَّمْنَا.

كَذَلِكَ: حَلَفَ شَخْصٌ أَلَّا يُجِيبَ دَعْوَةَ فُلَانٍ. نَقُولُ: كَفَرْنَا عَنْ يَمِينِكَ وَأَجِبْ دَعْوَتَهُ؛ لِأَنَّ هَذَا أَفْضَلُ.  
وَمَنْ ثَمَّ قَالَ الْعُلَمَاءُ: إِنْ الْحِنْثُ فِي الْيَمِينِ تَجَرِي فِيهِ الْأَحْكَامُ الْخَمْسَةُ - وَهِيَ: الْوَاجِبُ، وَالْحَرَامُ، وَالْمَنْدُوبُ، وَالْمَكْرُوهُ، وَالْمُبَاحُ - فَيَكُونُ الْحِنْثُ وَاجِبًا، إِذَا حَلَفَ عَلَى تَرْكِ وَاجِبٍ، أَوْ عَلَى فِعْلِ مُحَرَّمٍ، - وَالْحِنْثُ هُوَ مُخَالَفَةُ مَا حَلَفَ عَلَيْهِ - فَإِذَا قَالَ: وَاللَّهِ لَا أَصَلِّيَ مَعَ الْجَمَاعَةِ. قُلْنَا: يَجِبُ عَلَيْكَ أَنْ تَصَلِّيَ، وَأَنْ تُكْفِرَ، وَإِذَا قَالَ: وَاللَّهِ لَا أَتْرُكُ شَرْبَ الدِّخَانِ. قُلْنَا: يَجِبُ أَنْ تَتْرِكَ هَذَا الدِّخَانَ، وَتُكْفِرَ.

وَيَكُونُ الْحِنْثُ حَرَامًا إِذَا كَانَ عَلَى فِعْلِ وَاجِبٍ، أَوْ عَلَى تَرْكِ مُحَرَّمٍ.  
**مِثَالُهُ:**

قَالَ: وَاللَّهِ لَا أَصَلِّيَنَّ الْيَوْمَ مَعَ الْجَمَاعَةِ. نَقُولُ: الْحِنْثُ هُنَا حَرَامٌ؛ لِأَنَّهُ لَا يَجُوزُ أَنْ تَدَعَ صَلَاةَ الْجَمَاعَةِ، حَتَّى وَإِنْ قَالَ: أَدْعُهَا وَأَكْفُرْ.

وَكَذَلِكَ: لَوْ قَالَ: وَاللَّهِ لَا أَشْرَبُ الدِّخَانَ. نَقُولُ: الْحِنْثُ هُنَا حَرَامٌ.  
وَيَكُونُ الْحِنْثُ مُسْتَحَبًّا إِذَا قَالَ: وَاللَّهِ لَا أَصَلِّيَ رَاتِبَةَ الْعِشَاءِ. نَقُولُ: الْأَفْضَلُ أَنْ يَخْنَثَ، فَيُصَلِّيَ وَيُكْفِرَ.  
وَإِذَا قَالَ: وَاللَّهِ لَا أَصَلِّيَنَّ رَاتِبَةَ الْعِشَاءِ. فَالْحِنْثُ خِلَافُ الْأَوَّلَى.



وإذا قَالَ: وَاللَّهِ لَا أَكُلَنَّ الْبَصَلَ. نَقُولُ: أَكُلَ الْبَصَلَ إِذَا كَانَ يَسْتَلْزِمُ تَرْكَ الْجَمَاعَةِ فَقَدْ قَالَ الْعُلَمَاءُ: إِنَّهُ مَكْرُوهٌ.  
**فَالْقَاعِدَةُ عِنْدَنَا:** أَنَّ الْحِنْثَ يَكُونُ وَاجِبًا إِذَا كَانَ الْحَلْفُ عَلَى تَرْكِ وَاجِبٍ أَوْ فَعَلٍ مُحَرَّمٍ.  
 وَيَكُونُ حَرَامًا إِذَا كَانَ الْحَلْفُ عَلَى فَعَلٍ وَاجِبٍ أَوْ تَرْكِ مُحَرَّمٍ.  
 وَإِذَا كَانَ عَلَى فَعَلٍ مُسْتَحَبٍّ، وَكَانَ تَرْكُهُ مِمَّا يَكْرَهُ كَانِ الْحِنْثُ فِيهِ مَكْرُوهًا؛ لِأَنَّهُ لَا يَلْزِمُ مِنْ تَرْكِ الْمُسْتَحَبِّ الْوُقُوعُ فِي الْكَرَاهَةِ، وَإِلَّا قُلْنَا: إِنَّ كُلَّ إِنْسَانٍ لَا يَأْتِي بِمَسْنُونَاتِ الصَّلَاةِ، تَكُونُ صَلَاتُهُ مَكْرُوهَةً.  
 وَأَمَّا الْمُبَاحُ فَقَدْ يُقَالُ: لِأَنَّهُ لَا يَتَصَوَّرُ أَنْ يَكُونَ الْحِنْثُ مَبَاحًا وَلَوْ كَانَ الْحَلْفُ عَلَى مَبَاحٍ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ حِفْظَ الْيَمِينِ أَوْلَى مِنَ الْحِنْثِ.



ثُمَّ قَالَ الْبَخَّارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٥٥٦- حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ عَلِيٍّ، حَدَّثَنَا أَبُو عَاصِمٍ، حَدَّثَنَا قُرَّةُ بْنُ خَالِدٍ، حَدَّثَنَا أَبُو جَمْرَةَ الضُّبَيْعِيُّ قُلْتُ لِأَبْنِ عَبَّاسٍ: فَقَالَ: قَدِمَ وَفَدَ عَبْدُ الْقَيْسِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالُوا: إِنْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ الْمُشْرِكِينَ مِنْ مُضَرَ، وَإِنَّا لَا نَصِلُ إِلَيْكَ إِلَّا فِي أَشْهُرٍ حُرْمٍ، فَمَرْنَا بِجُمُلٍ مِنَ الْأَمْرِ إِنْ عَمِلْنَا بِهِ دَخَلْنَا الْجَنَّةَ، وَنَدْعُو إِلَيْهَا مَنْ وَرَاءَنَا. قَالَ: «أَمْرُكُمْ بِأَرْبَعٍ وَأَنْهَاكُمْ عَنْ أَرْبَعٍ: أَمْرُكُمْ بِالْإِيمَانِ بِاللَّهِ، وَهَلْ تَدْرُونَ مَا الْإِيمَانُ بِاللَّهِ؟ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَتُعْطُوا مِنَ الْمَغْنَمِ الْخُمْسَ. وَأَنْهَاكُمْ عَنْ أَرْبَعٍ: لَا تَشْرَبُوا فِي الدُّبَاءِ، وَالتَّقِيرِ، وَالظُّرُوفِ الْمُزَفَّةِ، وَالْحَتَمَةِ»<sup>(١)</sup>.

**فِي هَذَا الْحَدِيثِ:** فَسَّرَ النَّبِيُّ ﷺ الْإِيمَانَ بِاللَّهِ بِالْإِيمَانِ بِالْإِسْلَامِ، فَدَلَّ ذَلِكَ عَلَى أَنَّ الْعَمَلَ يُسَمَّى إِيْمَانًا؛ لِأَنَّ شَهَادَةَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَإِعْطَاءُ الْخُمْسِ مِنَ الْمَغْنَمِ. كُلُّ هَذِهِ أَعْمَالٌ. وَلَمْ يَذْكُرْ ﷺ هُنَا شَهَادَةَ أَنْ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ. وَذَلِكَ لِأَنَّهُمْ جَاءُوا مُقَرَّرِينَ بِذَلِكَ.  
 ثُمَّ قَالَ: «وَأَنْهَاكُمْ عَنْ أَرْبَعٍ». وَفَسَّرَ هَذَا النَّهْيَ بِقَوْلِهِ: «لَا تَشْرَبُوا فِي الدُّبَاءِ، وَالتَّقِيرِ، وَالظُّرُوفِ الْمُزَفَّةِ، وَالْحَتَمَةِ». وَهَذِهِ أَوَانِي يُجْعَلُ فِيهَا النَّيْدُ، وَهِيَ لِحَارِثَتَا تَطْبُخُ النَّيْدَ، وَرَبِهَا يَصِلُ إِلَى حَدِّ مَسْكِرٍ وَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ، فَنَهَاكُمْ عَنْ ذَلِكَ، ثُمَّ بَعْدَ هَذَا نُسِخَ هَذَا النَّهْيُ وَقَالَ: «كَنتُ نَهَيْتُكُمْ عَنِ الْإِتْبَازِ فِي كَذَا وَكَذَا وَكَذَا. فَاتَّبِعُوا بِمَا شِئْتُمْ غَيْرَ لَا تَشْرَبُوا مَسْكِرًا»<sup>(٢)</sup>.

وَالدُّبَاءُ هِيَ: الْقِرْعُ، وَلَا سِيَّامَا قِرْعُ النَّجْدِ، فَإِنَّهُ مِثْلُ الْأَوْعِيَةِ تَمَامًا، حَيْثُ يُقُونَهُ حَتَّى يَنْبَسَ فِي غُصْنِهِ، فَإِذَا يَبَسَ فَإِنَّ الْمَخَّ الَّذِي فِي دَاخِلِهِ يَبَسُ وَيَكُونُ مِثْلَ الْوَرَقِ، ثُمَّ يَقْصُونَ أَعْلَاهُ وَيَجْعَلُونَهُ وَعَاءً، وَهُوَ فِي الشَّكْلِ لَهُ حُلُقُومٌ، يَعْنِي: أَعْلَاهُ ضَيْقٌ وَأَسْفَلُهُ مَتَسَعٌ.  
 وَأَمَّا التَّقِيرُ: فَهُوَ حَجَرٌ أَوْ خَشَبٌ، أَوْ مَا أَشْبَهَ ذَلِكَ، يُنْقَرُ ثُمَّ يُوَضَّعُ فِيهِ النَّيْدُ، وَهُوَ حَارٌّ.

(١) رواه مسلم (١٧، ١٨).

(٢) رواه مسلم (٩٧٧) (١٠٦).

وأما الظروفُ المزمَنةُ: فهي المطليةُ بالزَّفتِ، والزَّفتُ أيضًا حارٌّ.  
والحتممة: هي الجرة الخضراء.

وعلى هذا فنقول: أن هذا النهي قد نُسِخَ وأذن النبي بالابتداء بكل شيء إلا أن نشرب مسكرًا.

\*\*\*

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٥٥٧- حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا اللَّيْثُ، عَنْ نَافِعٍ، عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ

ﷺ قَالَ: «إِنَّ أَصْحَابَ هَذِهِ الصُّورِ يُعَذَّبُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَيُقَالُ لَهُمْ: أَحْيُوا مَا خَلَقْتُمْ!»<sup>(١)</sup>.

٧٥٥٨- حَدَّثَنَا أَبُو النُّعْمَانِ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ، عَنْ أَيُّوبَ، عَنْ نَافِعٍ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ:

«إِنَّ أَصْحَابَ هَذِهِ الصُّورِ يُعَذَّبُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَيُقَالُ لَهُمْ: أَحْيُوا مَا خَلَقْتُمْ!»<sup>(١)</sup>.

٧٥٥٩- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْعَلَاءِ، حَدَّثَنَا ابْنُ فَضِيلٍ، عَنْ عُمَارَةَ، عَنْ أَبِي زُرْعَةَ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «قَالَ اللَّهُ ﷻ: وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ كَخَلْقِي فَلْيَخْلُقُوا ذَرَّةً

أَوْ لِيَخْلُقُوا حَبَّةً أَوْ شَعِيرَةً»<sup>(٢)</sup>.

كل هذه الأحاديث قد سبق الكلام عليها، والشاهد فيها إضافة الخلق إلى هؤلاء المصورين.

فإن قيل: هل التصويرُ بالفيديو يدخلُ في هذا الوعيد؟

**الجواب:** لا، لا يدخلُ في هذا؛ لأن المصورَ في الفيديو ما ذهبَ يَخْلُقُ كَخَلْقِ اللَّهِ، وإنما نقلَ

هذه الصورة، أو أثبتَ هذه الصورةَ في نفسِ الشريطِ.

فإن قالَ قائلٌ: هذه الصورة المصورة بالفيديو تكون أعظم وأدق.

**نقول:** نعم، هي أعظم وأدق لا شك، لكنها ليست مثلها.

**ثم إننا نقول:** هذا الذي يصور بالفيديو أو نحوه هل الناس يقولون: ما أحسن تصويره وما أبدعه؟

**الجواب:** لا، لكن لو صور بيده لقالوا: هذا الرجلُ جيدٌ إنه يخلق كخلقِ اللَّهِ. فالفرق ظاهر.

فالذي يَصْنَعُهُ الإنسانُ بيده من صور هو المحرَّم، سواء كان ذلك بالكمبيوتر، أو على ورقة، أو

بأي شيء؛ لأنه ذَهَبَ يَخْلُقُ كَخَلْقِ اللَّهِ ﷻ.

\*\*\*

(١) رواه مسلم (٢١٠٧) (٩٦).

(٢) رواه مسلم (٢١٠٨) (٩٧).

(٢) رواه مسلم (٢١١١) (١٠١).



ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٥٧- باب قِرَاءَةِ الْفَاجِرِ، وَالْمَنَافِقِ، وَأَصْوَاتُهُمْ وَتِلَاوَتُهُمْ لَا تَجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ.  
٧٥٦٠- حَدَّثَنَا هُدْبَةُ بْنُ خَالِدٍ، حَدَّثَنَا هَمَّامٌ، حَدَّثَنَا قَتَادَةُ، حَدَّثَنَا أَنَسٌ، عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَالْأُتْرُجَةِ طَعْمُهَا طَيِّبٌ وَرِيحُهَا طَيِّبٌ، وَمَثَلُ الَّذِي لَا يَقْرَأُ كَالْتَمْرَةِ طَعْمُهَا طَيِّبٌ وَلَا رِيحَ لَهَا، وَمَثَلُ الْفَاجِرِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الرِّيحَانَةِ رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ، وَمَثَلُ الْفَاجِرِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الْحَنْظَلَةِ طَعْمُهَا مُرٌّ وَلَا رِيحَ لَهَا»<sup>(١)</sup>.

في هذا الحديث تشبيه عجيب:

فالنَّاسُ أقسامٌ: مؤمنٌ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَيَعْمَلُ بِهِ، فهذا كالأُتْرُجَةِ طَعْمُهَا طَيِّبٌ وَرِيحُهَا طَيِّبٌ، والأُتْرُجَةُ مثلُ البرتقالِ لكنها أكبرُ، وَتَخْتَلِفُ نَوْعًا مَا عَنِ الْبَرْتَقَالَةِ.

ومَثَلُ الْمَنَافِقِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الرِّيحَانَةِ لَهَا رِيحٌ طَيِّبَةٌ لَكِنَّ طَعْمُهَا مُرٌّ.

ومَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَالْتَمْرَةِ طَعْمُهَا حَلْوٌ وَلَكِنْ لَيْسَ لَهَا رَائِحَةٌ، وَالْمَرَادُ: لَيْسَ لَهَا رَائِحَةٌ زَكِيَّةٌ، وَإِلَّا فَإِنَّ لَهَا رَائِحَةً وَلَكِنَّهَا لَيْسَتْ زَكِيَّةً كَرَائِحَةِ الطَّيِّبِ.

ومَثَلُ الْفَاجِرِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الْحَنْظَلَةِ -وهي تُسَمَّى عِنْدَنَا الشَّرِي- وهي مَثَلُ التَّفَاحَةِ الصَّغِيرَةِ، لَكِنَّ طَعْمَهَا مُرٌّ جَدًّا جَدًّا، وَلَيْسَ لَهَا رِيحٌ، يَغْنِي: لَيْسَ لَهَا رِيحٌ زَكِيَّةٌ يَجْذِبُ النَّفْسَ.

وهذه الْحَنْظَلَةُ يُقَالُ: إِنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا وَطِئَ عَلَيْهَا وَهِيَ مُسْتَوِيَةٌ فَإِنَّهَا تُسَهِّلُ مَا فِي بَطْنِهِ، يَغْنِي: أَنَّهُ بَدَلٌ مِنْ أَنْ يَشْرَبَ الْمُسَهِّلَ فَمَا عَلَيْهِ إِلَّا أَنْ يَطَّأَ عَلَيْهَا وَهِيَ مُسْتَوِيَةٌ، فَإِذَا بِهِ يُخْرِجُ كُلَّ مَا فِي بَطْنِهِ. وَهَذَا الْأَمْرُ كَانَ يَفْعَلُهُ بَعْضُ النَّاسِ فِيمَا سَبَقَ، لَكِنْ مَعَ ذَلِكَ تَأْكُلُهَا الْمَوَاشِي وَلَا تَتَأَثَّرُ بِهَا، وَهَذَا مِنْ عَجَائِبِ مَخْلُوقَاتِ اللَّهِ ﷻ.

وَالشَّاهِدُ مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ: أَنَّ الرَّسُولَ ﷺ أَضَافَ الْقِرَاءَةَ إِلَى الْقَارِئِ فَجَعَلَهَا مِنْ فِعْلِهِ، وَبَيَّنَّ أَنَّ الْقُرْآنَ يَقْرَأُهُ الْمُؤْمِنُ وَغَيْرُ الْمُؤْمِنِ؛ لِقَوْلِهِ ﷺ: «وَمَثَلُ الْفَاجِرِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ». وَهَذَا يُوجَدُ فَهَنَّاكَ مُنَافِقُونَ يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ، وَلَكِنْ لَا يَعْمَلُونَ بِهِ.

\*\*\*

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٥٦١- حَدَّثَنَا عَلِيُّ، حَدَّثَنَا هِشَامٌ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنْ الزُّهْرِيِّ ح. وَحَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ صَالِحٍ، حَدَّثَنَا عَنَسَةُ، حَدَّثَنَا يُونُسُ، عَنْ ابْنِ شِهَابٍ، أَخْبَرَنِي يَحْيَى بْنُ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ، أَنَّهُ سَمِعَ عُرْوَةَ بْنَ الزُّبَيْرِ: قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: سَأَلَ أَنَسُ النَّبِيِّ ﷺ عَنِ الْكُهَّانِ، فَقَالَ: «إِنَّهُمْ لَيْسُوا بِشَيْءٍ». فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ فَإِنَّهُمْ يُحَدِّثُونَ بِالشَّيْءِ يَكُونُ حَقًّا. قَالَ: فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «تِلْكَ الْكَلِمَةُ مِنَ الْحَقِّ يَخْطِفُهَا

الْجَنِّي فَيَقْرَأُهَا فِي أُذُنِ وَلِيِّهِ كَقَرْقَرَةِ الدَّجَاجَةِ، فَيَخْلُطُونَ فِيهِ أَكْثَرَ مِنْ مِائَةِ كَذِبَةٍ»<sup>(١)</sup>

قوله: «سأل أناس النبي ﷺ عن الكهَّان». الكهَّان هم الذين يُخبرون عن المغيبات في المستقبل، فيقولون: سيَكُونُ كذا في يوم كذا، أو في شهر كذا، أو في سنة كذا. وهذا من علم الغيب الذي لا يَطْلُعُ عليه إلا الله، ولهذا جاء في الحديث: «من أتى كاهنًا فصدَّقه بما يَقُولُ فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ»<sup>(٢)</sup>. ووجه الكفر أنه صدَّق بأن أحدًا يَعْلَمُ الغيب سوى الله، فيكون في هذا تكذيب لقوله تعالى: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وهؤلاء الكهَّان كانوا حكامًا في الجاهلية؛ لأن لهم شياطين تتصل بهم وتُخبرهم بخبر السماء، ثم إن هذا الكاهن يزيد على هذه الأخبار أشياء من عنده يُروِّج بها على الناس، فإذا وقعت الكلمة الصديق التي سمعت من السماء ظنَّ الناس أن كل كلامه صدق، فصدَّقوه بما يَقُولُ، ولكن الرسول ﷺ قال: «إنهم ليسوا بشيء»؛ يعني: ليس عندهم علم، ولما أورد على الرسول ﷺ أنهم يُحدِّثون بالشيء ويَكُونُ حقًا، قال النبي ﷺ: «تلك الكلمة من الحقَّ يحفظها الجنِّي فيُقرِّرها في أُذُنِ وَلِيِّهِ كَقَرْقَرَةِ الدَّجَاجَةِ». يعني: أنه يُلْقِي إليه كلامًا ليس بمفهوم جيدًا، فيأخذ الكاهن منه هذه القَرْقَرَةَ ويضيف إليها ما يضيف، ثم يُحدِّث الناس، فإذا وقعت كلمة الحق قالوا: هذا هو العالم.

وكما أن هذا كان موجودًا في الجاهلية فما زال الناس أيضًا يأخذون به الآن ويصدَّقونه، حتَّى إنِّي رأيتُ بعضَ الصحف في أول هذه السَّنة الميلادية - كما هي عادتهم في التاريخ - يكتُبون في الصحف، قالت الكاهنة فلانة - ثم يَصوِّرونها -: سيَكُونُ كذا، وسيَكُونُ كذا. والجهال من الناس يصدَّقون، وضعفاء الدِّين يصدَّقون، والواجبُ تكذيبُ هذا، والواجبُ أيضًا منع الصحف من نشر مثل هذه الأشياء، ولكن مع الأسف تدخل بلادنا من غيرنا وتروِّجُ فيها.

حتَّى لو فرض أن القضاء والقدر صدق ما يَقُولُهُ هذا الكاهن، فإننا نَعْلَمُ علمَ اليقين أن هذا الكاهن لا يَعْلَمُ الغيب، ولا يجوز لنا أن نُصدِّقه، ولا أن نركنَ إلى ما قال قبل أن يَقَعَ؛ لأن الرسول ﷺ قال: «ليسوا بشيء».

فإن سأل شخصُ الكاهن ليختبره ويكذِّبه. فهذا لا بأس، بل قد يَكُونُ واجبًا، فقد اختبر النبي ﷺ ابنَ صيَّاد، فقال: «ما خبأت لك؟». فقال: الدُّخ. وكان الرسول ﷺ قد أضمر في نفسه الدُّخان، لكن قصد وعجز أن يُكْمِلَهَا، فقال: الدُّخ. فقال النبي ﷺ: «أخسأ فلن تَعُدُّو قدرَكَ»<sup>(٣)</sup>.

فسؤال الكهَّان ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

(١) رواه مسلم (٢٢٢٨) (١٢٣).

(٢) رواه أحمد في «مسنده» (٤٢٨/٢) (٩٥٠٢)، وأبو داود (٣٩٠٤)، والترمذي (١٣٥)، وابن ماجه

(٦٣٩). وقال الشيخ الألباني رحمه الله في تعليقه على السنن: صحيح.

(٣) تقدم تخريجه.



**القسم الأول:** أن يُرَادَ به بيانُ عَوَارِئِهِ وكُذْبِهِ، فهذا جائزٌ، بل واجبٌ، بشرطٍ ألا يَكُونُ في ذلك تغريزٌ لأحدٍ، بحيثُ يغترون إذا جاء هذا الرجلُ لِيَسْأَلَ الكاهنَ، أو يُمَوِّهَ هذا الكاهنُ وَيَقُولُ: فلانٌ جاء إلىَّ وسألني، وما أشبه ذلك.

**الثاني:** أن يَسْأَلَهم لِيَنْظُرَ ما عندهم لا لتصديقهم. فهذا عليه الوعيدُ: «لا تُقْبَلُ له صلاةٌ أربعينَ ليلةً؛ لأن في سؤالهم إغراءً لهم لما هم عليه من الكذبِ والدَّجَلِ، وفي سؤالهم أيضًا تغريزٌ للغيرِ، حيثُ يَظُنُّونَ أنهم على حقٍّ.

**والثالثُ:** أن يَسْأَلَهم وَيُصَدِّقَهُم فهذا هو الكفرُ؛ لأن النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «من أتى كاهنًا فصَدَّقَهُ بما يَقُولُ فقد كفر بما أنزلَ على محمدٍ ﷺ».

**وفي هذا الحديث:** إشارةٌ إلى أن الإنسانَ قد يَسْتَخْدِمُ الجنَّ، لكن إذا استخذه لأمرٍ باطلٍ فإنه حرامٌ، أو استخدمه بطريقٍ باطلٍ كالذبحِ له، أو الركوعِ له، أو السجودِ له، أو تمكينه من نفسه مثلاً، فإن ذلك لا يَجُوزُ؛ لأن الجنَّ فيهم سفهاءٌ، فمنهم من يَخْتَارُ هذه المرأةَ لجمالِها فيَخْتَارُ أن تَكُونَ زوجةً له، وفيهم من يَخْتَارُ هذا الصبيَّ لجمالِهِ وَيَقَعِّلُ به الفاحشةَ، أو هي امرأةٌ من الجنِّ تَغشَى إنسيًا وتريدُ أن تَصِلَ به، وما أشبه ذلك، فإذا كان على هذا الوجه كان حرامًا.

فإذا كان تَوَلَّيَهُ بطريقٍ محرَّمٍ، أو لِيَسْتَعِينَ بهم على محرَّمٍ كان ذلك حرامًا بلا شكٍّ. أما إذا كان بطريقٍ مباحٍ، لِيَسْتَعِينَ بهم على شيءٍ مباحٍ، فقد ذَكَرَ شيخُ الإسلامِ ابنُ تيميةَ رَحِمَهُ اللهُ أَنْ ذلك جائزٌ، ولكن إذا خِيفَ أن يَكُونَ هذا ذريعةً إلى أمرٍ لا يَجُوزُ فلدينا القاعدةُ الشرعيةُ، وهي: سدُّ الذرائعِ.

فإن قَالَ قائلٌ: ما حكم الذهابِ إلى السَّاحِرِ لِفَكِّ السَّحْرِ؟

**فالجوابُ:** هذا ليس محل اتفاق بين العلماء، فإنَّ من الأمانة العلمية أن نقول: لا يجوز الذهاب إلى السحرة لفكِّ السحر حتَّى لو أَدَّى ذلك إلى موتِ الإنسانِ.

ومن العلماء من يجيزه للضرورة، كالمشهور من مذهب الإمام أحمد عند أصحابه المتأخرين، فإنهم يقولون: يجوز حلُّ السحرِ بمثله للضرورة، وكذلك أيضًا ما ذَكَرَ عن ابنِ المسيَّبِ أَنه سُئِلَ عن الرجل يُمنع من امرأته بالسحر فهل يجوزُ النُّشْرَةُ قَالَ: لا بأس، إنما يريدون به الإصلاحَ، فأما ما ينفع فلم يَنْهَى عنه.

لكن كثيرًا من أهل العلم قالوا: إن النُّشْرَةَ بالسحرِ حرامٌ ولا تجوزُ؛ لأنَّ الرسولَ ﷺ سُئِلَ عن النشرة فقال: «هي مِن عَمَلِ الشَّيْطَانِ». وهكذا قَالَ العلماء.

\*\*\*

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللهُ:

٧٥٦٢- حَدَّثَنَا أَبُو الثَّعْمَانِ، حَدَّثَنَا مَهْلَدِيُّ بْنُ مَيْمُونٍ، سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ سِيرِينَ يُحَدِّثُ عَنْ مَعْبُدِ بْنِ مِسْرِينَ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَحِمَهُ اللهُ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «يُخْرِجُ نَاسٌ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ وَيَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ،

يَمُرُّونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمُرُّونَ مِنَ السَّهْمِ مِنَ الرَّمِيَّةِ، ثُمَّ لَا يَعُودُونَ فِيهِ حَتَّى يَعُودَ السَّهْمُ إِلَى فَوْقِهِ. قِيلَ: مَا سَيَأْتِيهِمْ؟ قَالَ: «سَيَأْتِيهِمُ التَّحْلِيْقُ - أَوْ قَالَ - التَّسْيِدُ».

قوله: «سَيَأْتِيهِمُ». يعني: علاماتهم، وهؤلاء هم الخوارج الذين خَرَجُوا مِنَ الْمَشْرِقِ فَكَانُوا كَمَا وَصَفَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ، لَكِنْ لَا يُجَاوِزُ تَرَاثِيمَهُمْ - وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ -، وَعَلَيْكَ يَا أَخِي أَنْ تَنْفَسَ فِي نَفْسِكَ: هَلْ إِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ يَصِلُ الْقُرْآنُ إِلَى قَلْبِكَ، أَوْ يَكُونُ فِي الْحَنْجَرَةِ فَقَطْ.

إِنْ كَانَ الثَّانِي فَعَلَيْكَ بِالْمُبَادَرَةِ بِالْعِلَاجِ قَبْلَ أَنْ يَنْشَرِيَ الْمَرَضُ، فَلَا تَسْتَطِيعُ الْفِكَاكُ مِنْهُ.

وَإِنْ كَانَ الْأَوَّلُ، وَأَنْتَ تَجِدُ لَذَّةً فِي قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ، وَحَلَاوَةً، وَطَعْمًا، وَانْشِرَاحَ صَدْرٍ، فَاعْلَمْ أَنَّ هَذِهِ مَنَّةٌ مِنَ اللَّهِ عَلَيْكَ فَاشْكُرْهُ عَلَيْهَا؛ لِيَزِيدَكَ عَلَيْهَا.

وَالْتَحْلِيْقُ: إِزَالَةُ الشَّعْرِ، وَالتَّسْيِدُ: اسْتِئْصَالُهُ.

قَالَ الْحَافِظُ فِي «الْفَتْحِ» (١٣/٥٣٧):

قوله: «التَّحْلِيْقُ» أَوْ قَالَ: التَّسْيِدُ» شَكٌّ مِنَ الرَّاوي، وَهُوَ بِالْمَهْمَلَةِ وَالْمَوْحِدَةِ؛ بِمَعْنَى: التَّحْلِيْقِ، وَقِيلَ: أُبْلَغَ مِنْهُ؛ وَهُوَ بِمَعْنَى: الْاسْتِئْصَالِ. وَقِيلَ: إِنْ نَبَتْ بَعْدَ أَيَّامٍ. وَقِيلَ: هُوَ تَرَكُّ دَهْنِ الشَّعْرِ وَغَسْلِهِ.

قَالَ الْكِرْمَانِيُّ: فِيهِ إِشْكَالٌ، وَهُوَ أَنَّهُ يَلْزَمُ مِنْ وَجُودِ الْعِلَامَةِ وَجُودِ ذِي الْعِلَامَةِ فَيَسْتَلْزِمُ أَنَّ كُلَّ مَنْ كَانَ مَحْلُوقَ الرَّأْسِ فَهُوَ مِنَ الْخَوَارِجِ، وَالْأَمْرُ بِخِلَافِ ذَلِكَ اتِّفَاقًا، ثُمَّ أَجَابَ بِأَنَّ السَّلَفَ كَانُوا لَا يَخْلُقُونَ رُءُوسَهُمْ إِلَّا لِلنَّسكِ أَوْ فِي الْحَاجَةِ، وَالْخَوَارِجُ اتَّخَذُوهُ دَيْدَنًا، فَصَارَ شَعَارًا لَهُمْ، وَغَرَفُوا بِهِ. قَالَ: وَيَحْتَمِلُ أَنْ يُرَادَ بِهِ حُلُّ الرَّأْسِ وَاللَّحْيَةِ وَجَمِيعِ شَعُورِهِمْ، وَأَنْ يُرَادَ بِهِ الْإِفْرَاطُ فِي الْقَتْلِ، وَالمُبَالِغَةُ فِي الْمَخَالَفَةِ فِي أَمْرِ الدِّيَانَةِ.

قُلْتُ: الْأَوَّلُ بَاطِلٌ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَقَعْ مِنَ الْخَوَارِجِ، وَالثَّانِي مُحْتَمِلٌ، لَكِنَّ طَرِيقَ الْحَدِيثِ الْمُتَكَاثِرَةِ كَالصَّرِيحَةِ فِي إِرَادَةِ حُلِّ الرَّأْسِ، وَالثَّلَاثُ كَالثَّانِي. وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

تنبيه: وَقَعَ لَابِنِ بَطَّالٍ فِي وَصْفِ الْخَوَارِجِ خَبْطٌ أَرَدْتُ التَّنْبِيَةَ عَلَيْهِ لثَلَاثِ عُمُومَاتٍ، وَذَلِكَ أَنَّهُ قَالَ: يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ هَذَا الْحَدِيثُ فِي قَوْمٍ عَرَفَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ بِالْوَحْيِ أَنَّهُمْ خَرَجُوا بِبِدْعَتِهِمْ عَنِ الْإِسْلَامِ إِلَى الْكُفْرِ، وَهُمْ الَّذِينَ قَتَلَهُمْ عَلِيٌّ بِالنَّهْرَوَانِ حِينَ قَالُوا: إِنَّكَ رُبَّنَا. فَاعْتَاطَ عَلَيْهِمْ، وَأَمَرَ بِهِمْ، فَحَرَّقُوا بِالنَّارِ، فَزَادَهُمْ ذَلِكَ فِتْنَةً، وَقَالُوا: الْآنَ تَبَيَّنَّا أَنَّكَ رُبَّنَا؛ إِذْ لَا يُعَذَّبُ بِالنَّارِ إِلَّا اللَّهُ. انْتَهَى. وَقَدْ تَقَدَّمَ هَذِهِ الْقِصَّةُ لَعَلِّي فِي الْفَتَنِ، وَلَيْسَتْ لِلْخَوَارِجِ، وَإِنَّمَا هِيَ لِلزَّنَادِقَةِ، كَمَا وَقَعَ مَصْرَحًا بِهِ فِي بَعْضِ طَرَفِهِ.

وَوَقَعَ فِي شَرْحِ الْوَجِيزِ لِلرَّافِعِيِّ عِنْدَ ذِكْرِ الْخَوَارِجِ قَالَ: هُمْ فِرْقَةٌ مِنَ الْمُبْتَدِعَةِ خَرَجُوا عَلَى عَلِيٍّ حَيْثُ اعْتَقَدُوا أَنَّهُ يَعْرِفُ قَتْلَ عُثْمَانَ، وَيَقْدِرُ عَلَيْهِمْ، وَلَا يَقْتَصُّ مِنْهُمْ؛ لِرِضَاهُ بِقَتْلِهِ وَمَوَاطَأَتِهِ إِيَّاهُمْ، وَيَعْتَقِدُونَ أَنَّ مَنْ أَتَى كَبِيرَةً فَقَدْ كَفَرَ، وَاسْتَحَقَّ الْخُلُودَ فِي النَّارِ، وَيَطْعَنُونَ لَذَلِكَ فِي الْأُئِمَّةِ أَهْلِ الظَّاهِرِ مِنْهُ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - أَنَّ قَوْلَهُ: «سَيَأْتِيهِمُ التَّحْلِيْقُ». لَيْسَ حُلُّ الرَّأْسِ كُلِّهِ وَلَكِنْهُمْ يَخْلُقُونَ حُلُقًا يَكُونُ كَالْحَلْقَةِ عَلَى الرَّأْسِ، فَمَا أَنْ يَكُونَ حَلْقَةً دَائِرَةً فِي وَسْطِ الرَّأْسِ؛ أَيْ: يَكُونُ مَا فَوْقَ الرَّأْسِ بَاقِيًا وَمَا أَسْفَلَهُ بَاقِيًا عَلَى



شكل حلقية كالطوق، وإما أن تكون حلقة من أسفل، ويكون أعلى الرأس باقياً.

وهناك احتمال ثالث: أن تكون حلقة في أعلى الرأس.

أما مجرد حلق الرأس فهذه ليست علامة على الخوارج؛ لأن الناس يفعلونها وهم ليسوا من الخوارج.

**والشاهد من هذا الحديث قوله:** «يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ». فدل هذا على أن القرآن يقرأه البر والفاجر.



**ثُمَّ قَالَ الْبَحَارِيُّ تَحْلِلْنَهُ:**

**٥٨ - باب قول الله تعالى:** ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾ [الأنبياء: ٤٧]. **وَأَنَّ أَعْمَالَ بَنِي آدَمَ وَقَوْلُهُمْ يُوزَنُ.**

**وَقَالَ مُجَاهِدٌ:** الْقِسْطُ أَسْوَءُ الْعَدْلِ بِالرُّومِيَّةِ.

**وَيُقَالُ:** الْقِسْطُ مَصْدَرُ الْمُقْسِطِ، وَهُوَ الْعَادِلُ. وَأَمَّا الْقَاسِطُ فَهُوَ الْجَائِرُ.

**قول الله تعالى:** ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾. قوله: ﴿لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾. اللام فيه للتوقيت؛ أي: في يوم القيامة تُوضَعُ الموازين، وهي موازين قسط؛ أي: عدل، كما قال تعالى: ﴿وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ﴾ [النجم: ١٨٢]. يعني: بالعدل.

**وقول المؤلف تَحْلِلْنَهُ:** «وَأَنَّ أَعْمَالَ بَنِي آدَمَ وَقَوْلُهُمْ يُوزَنُ». هذا هو القول الراجح؛ أن الذي يُوزَنُ هو العمل، سواء كان فعلاً أم قولاً.

وذهب بعض العلماء إلى أن الذي يُوزَنُ هو صحيفة العمل.

وذهب آخرون إلى أن الذي يُوزَنُ هو العامل.

فأما الذين قالوا بأن الذي يُوزَنُ هو العمل فادلتهم من القرآن ظاهرة، وكذلك من السنة، ومن ذلك قول الله تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا﴾ [الأنبياء: ٤٧]. وقوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ [٧] **وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ** [٨]. [الأنبياء: ٧-٨].

وقال تعالى: ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [٨] **وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ** [٩]. [الأنبياء: ٨]. إلى غير ذلك من الآيات التي تدل على أن الذي يُوزَنُ هو العمل.

وقيل: بل إن الذي يُوزَنُ هو صحائف العمل، واستدل أصحاب هذا القول بحديث صاحب

البطاقة الذي يؤتى له بسجلات كثيرة، ويقال: هذه سيئاتك. فإذا رأى أنه قد هلك قيل له: إن عندنا لك حسنة. فيؤتى ببطاقة فيها: لا إله إلا الله. فيقول: يا رب، وما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟! فيقال: إنك لا تظلم. ثم توضع البطاقة في كفة، والسجلات في كفة، فترجح البطاقة، وتطيش

السَّجَلَاتُ<sup>(١)</sup>. فهذا يَدُلُّ على أن الذي يُوزَنُ هو صحائف الأعمال.

والقول الثالث: أن الذي يُوزَنُ هو العامل. واستدلوا على ذلك بقول النبي ﷺ: «إن ساقبه - يعني: عبد الله بن مسعود - في الميزان أثقل من أحد»<sup>(٢)</sup>. وبقوله تعالى: «فَلَا تُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَزَنًا»<sup>(٣)</sup> [الكهف: ١٠٥].

وأجيب عن هذه الأدلة بأن الآية لا دليل فيها أصلاً؛ لأن المعنى: لا تُقِيمُ لهم قيمة، وإلا فسَيَقَامُ الوزن لكل أحد.

وأما حديث عبد الله بن مسعود فظاهره أن الذي يُوزَنُ هو العامل. ولكن قد نقول: إن هذا خاصٌّ بابن مسعود رضي الله عنه، أو إنه قد يُوزَنُ غيره، ولكنه نادرٌ.

والقول الرابع من هذه الأقوال: أن الذي يُوزَنُ هو العمل، كما قال البخاري رحمه الله.

وقوله: «المُقَسِّط» وهو العادل، وأما القاسط فهو الجائر. هذا صحيح فقد قال الله تعالى: «وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ»<sup>(٤)</sup> [المائدة: ٨٤]. وقال: «وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا»<sup>(٥)</sup> [النساء: ١٥]. فالقاسط هو الجائر، والمُقَسِّط هو العادل، وسُمِّيَ بذلك؛ لأنه مُزِيلٌ للقسط، وهو الجور.



ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رحمه الله:

٧٥٦٣- حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ إِشْكَابَ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ فُضَيْلٍ، عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الْقَعْقَاعِ، عَنْ أَبِي زُرْعَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «كَلِمَتَانِ حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ، خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ»<sup>(٦)</sup>.

هذا الحديث أيضًا مما يَدُلُّ على أن الذي يُوزَنُ هو العمل، قال النبي ﷺ: «كَلِمَتَانِ حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ». أي: أنه يُحِبُّهُمَا رضي الله عنهما، «خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ». أي: لا تَثْقُلُ عَلَى اللِّسَانِ. «سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ». فقوله: «ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ». وهذا واضح بأن الذي يُوزَنُ هو العمل؛ يعني: يوم القيامة تَوْضَعُ هَاتَانِ الْكَلِمَتَانِ فِي الْمِيزَانِ فتكونان ثَقِيلَتَانِ.

فإن قال قائل: كيف تَوْضَعُ وهي عمل؟

**الجواب:** أن الله تعالى قادرٌ على أن يجعلَ العملَ أجسامًا، ونظيرُ ذلك أن الموت - وهو معنى وصفة - يُؤْتَى

(١) رواه أحمد في «مسنده» (٢/ ٢١٣) (٦٩٩٤)، والترمذي (٢٦٣٩)، وابن ماجه (٤٣٠٠). وقال الشيخ أحمد شاكر رحمه الله في «شرح المسند»: إسناده صحيح. وقال الشيخ الألباني رحمه الله في «صحيح الجامع» (١٧٧٦): صحيح.

(٢) رواه أحمد في «مسنده» (١/ ٤٢٠، ٤٢١) (٣٩٩١)، من طريق عاصم بن أبي النجود. وقال الهيثمي في «المجمع» (٩/ ٢٨٩): رواه أحمد وأبو يعلى والبخاري والطبراني من طرق... وأمثلة طرقها فيه عاصم بن أبي النجود، وهو حسن الحديث على ضعفه، وبقيه رجال أحمد وأبي يعلى رجال الصحيح. اهـ.

(٣) رواه البخاري (٧٥٦٣)، ومسلم (٢٦٩٤) (٣١).



به يوم القيامة، وَيُطْلَعُ عَلَيْهِ أَهْلُ النَّارِ وَأَهْلُ الْجَنَّةِ، وَيُذَبِّحُ أَمَامَ الْجَمِيعِ، فَيُقَالُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ خَلُودٌ وَلَا مَوْتُ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ خَلُودٌ وَلَا مَوْتُ<sup>(١)</sup>، وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

❦ وقوله: «سبحان الله وبحمده». أي: أَسْبَحُ الله تَسْبِيحًا مَقْرُونًا بِحَمْدِهِ، فَيَكُونُ جَمْعًا بَيْنَ التَّخْلِيَةِ وَالتَّحْلِيَةِ؛ أي: التَّخْلِيَةُ عَنْ صِفَاتِ الْعَيْبِ، وَالتَّحْلِيَةُ بِإِثْبَاتِ صِفَاتِ الْكَمَالِ، وَبِذَلِكَ يَتِمُّ الْكَمَالُ، إِذْ إِنْ الْكَمَالُ الَّذِي يُمَكِّنُ أَنْ يَقْتَرَنَ بِهِ عَيْبٌ لَيْسَ كَامِلًا، وَالْعَيْبُ الْخَالِي مِنَ الْكَمَالِ لَيْسَ كَامِلًا، وَيَتِمُّ الْكَمَالُ إِذَا انْتَفَى النَقْصُ وَثَبَّتِ الْكَمَالُ، وَلِهَذَا جَمَعَ بَيْنَهُمَا فَقَالَ: «سبحان الله وبحمده». و«الباء» هنا للمصاحبة.

❦ وقوله: «سبحان الله العظيم». تأكيد لما سبق، والعظيم: ذو العظمة والجلال.

وبهذا الحديث انتهى طليح الباري رحمه الله وغفر له

وقد أتم كتابه بهاتين الكلمتين فنسأل الله أن يثقل ميزانه ويغفر لنا وله

# شَيْخ صَاحِبُ الْبَحَارِ

## فهرس الأَطْرَاف

أُتْرَجْنَا فِي ثَنَاءِ هَذَا الْفَهْرِسِ الْأَثَارِ الْمَوْقُوفَةِ، وَلَمْ نَقْتَصِرْ عَلَى فَهْرِسَةِ الْأَحَادِيثِ الْمَرْفُوعَةِ فَحَسَبَ، وَذَلِكَ حَتَّى يَتَسَنَّى لِلْقَارِئِ الْكَرِيمِ الرَّجُوعُ إِلَى بَغِيَّتِهِ بِطَرِيقَةٍ سَهْلَةٍ مُيسَّرَةٍ. وَقَدْ مَيَّزْنَا ذَلِكَ بِنِسْبَةِ كُلِّ قَوْلٍ إِلَى قَائِلِهِ خِلَا الْأَحَادِيثِ الْمَرْفُوعَةِ، وَوَضَعْنَا اسْمَ الْقَائِلِ بَيْنَ قَوْسَيْنِ هَكَذَا ( ) وَمِثَالُ ذَلِكَ:

- ١- أَبِي أَرَوْنَا (من قول عمر).
  - ٢- أَرَأَيْتَ إِنْ عَجَزَ وَاسْتَحَمَّقَ (من قول ابن عمر).
  - ٣- تَبَارَكَ الَّذِي وَسَّعَ سَمْعُهُ الْأَصْوَاتَ (من قول عائشة).
- وَقَمْنَا - كَذَلِكَ - بِوَضْعِ عِبَارَةٍ (قَدْسِي) إِلَى جَوَارِ الْحَدِيثِ الْقَدْسِيِّ لِمُتَمَيِّزِهِ، وَذَلِكَ إِنْ لَمْ نَصْدِرْهُ بِقَوْلٍ: قَالَ اللَّهُ، أَوْ نَحْوِهِ. وَكَذَا، قَمْنَا بِفَهْرِسَةِ أَشْهُرِ الْعِبَارَاتِ الَّتِي تَمَيَّزَتْ بِهَا بَعْضُ الْأَحَادِيثِ كَحَدِيثِ: (الشفاعة)، و(جبريل)، و(الجساسة)... وَهَكَذَا. وَضَمَّنَاهُ - أَيْضًا - بِالْإِضَافَةِ إِلَى طَرَفِ الْحَدِيثِ أَشْهُرَ الْعِبَارَاتِ الْوَارِدَةِ فِي ثَنَاءِ الْحَدِيثِ النَّبَوِيِّ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ فِي صَدْرِ الْحَدِيثِ. وَذَلِكَ مِنْ أَجْلِ خِدْمَةِ تَرَاثِ الْإِمَامِ الْعَلَّامَةِ ابْنِ عَثِيمِينَ تَحْلُلُهُ عَلَى الْوَجْهِ الْأَمْثَلِ، وَاللَّهُ نَسَالُ أَنْ يُوَفِّقَنَا وَسَائِرَ الْمُسْلِمِينَ إِلَى مَا يَحِبُّ وَيَرْضَى.





# فهرس الأطارف

١٨١..... ٣	اتصوا بي، وليأتكم بكم من بعدكم	١٨١..... ٣	أبك جنون؟
٤١٦..... ١	اتني بغيرها	١٨١..... ٣	أبك جنون؟
٢٠..... ١	اتنوا نوحًا	١٨١..... ٣	أبك جنون؟
	اتنوني بكتاب أكتب لكم كتابًا لا تضلوا	١٨١..... ٣	أبك جنون؟
٣٠٢..... ١	بعده	١٨١..... ٣	أبك جنون؟
٤٢..... ١٠	الذن له ويشره بالجنة	١٨١..... ٣	أبك جنون؟
٥٢٠..... ٩	الذن له ويشره بالجنة	١٨١..... ٣	أبك جنون؟
٤٨٨..... ٣	انذونا للنساء بالليل إلى المساجد	١٨١..... ٣	أبك جنون؟
١٧١..... ٣	انذونا له بس أخ العشرة	١٨١..... ٣	أبك جنون؟
٣٨٤..... ٧	أبا بكر ض قبل النبي ﷺ وهو ميت	١٨١..... ٣	أبك جنون؟
٦٧٩..... ٧	أبا هر الحق أهل الصفة	١٨١..... ٣	أبك جنون؟
٤٥٧..... ١٠	أبايعكم على أن لا تشركوا بالله شيئًا	١٨١..... ٣	أبك جنون؟
١٢٠..... ٩	أبايعكم على أن لا تشركوا بالله شيئًا	١٨١..... ٣	أبك جنون؟
٣٤٨..... ٢	ابتاعها فأعتقها	١٨١..... ٣	أبك جنون؟
٤١٧..... ٤	ابدعوا بيمانها ومواضع الوضوء منها	١٨١..... ٣	أبك جنون؟
٤١٧..... ٤	ابدعوا بيمانها، ومواضع الوضوء	١٨١..... ٣	أبك جنون؟
٦١٤..... ٧	ابدأ بمن تعول	١٨١..... ٣	أبك جنون؟
٦١..... ١	ابدأ بنفسك	١٨١..... ٣	أبك جنون؟
٣١٤..... ٧	ابدأ بنفسك ثم بمن تعول	١٨١..... ٣	أبك جنون؟
٤٤١..... ١	ابدأن بيمانها ومواضع الوضوء منها	١٨١..... ٣	أبك جنون؟
٤١٧..... ٤	ابدأن بيمانها ومواضع الوضوء منها	١٨١..... ٣	أبك جنون؟
١٤٠..... ٢	ابدأن بيمانها ومواضع	١٨١..... ٣	أبك جنون؟
٤٧٠..... ٢	أبرد أبرد	١٨١..... ٣	أبك جنون؟
٥٨٣٠٤٧٥..... ٢	أبرد	١٨١..... ٣	أبك جنون؟
٣٠..... ٣	أبرد	١٨١..... ٣	أبك جنون؟
٣٥٩..... ٣	أبرد	١٨١..... ٣	أبك جنون؟
٣٢٤..... ١	أبسط رداءك	١٨١..... ٣	أبك جنون؟
٤٣٢..... ٥	أبعثها قيامًا مقيدة سنة محمد ﷺ	١٨١..... ٣	أبك جنون؟
٦٢٩..... ٩	أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم	١٨١..... ٣	أبك جنون؟
٢٤٢..... ٩	أبغض الناس إلى الله ثلاثة ملحد في الحرم	١٨١..... ٣	أبك جنون؟
١٥٤٠١٥٠٠١٤٤..... ٩	أبكر أم ثيبًا؟	١٨١..... ٣	أبك جنون؟
٦٠٨..... ٩	أبكر أم ثيبًا؟	١٨١..... ٣	أبك جنون؟
٦٤٢..... ٩	أبكر أم ثيبًا؟	١٨١..... ٣	أبك جنون؟
١٥٥..... ٦	أبكر أم ثيبًا؟	١٨١..... ٣	أبك جنون؟
٥١٦٠٤٨٩..... ٧	أبلي وأخلفي	١٨١..... ٣	أبك جنون؟
٧٨..... ٩	أبن أخت القوم منهم	١٨١..... ٣	أبك جنون؟
١٤٤..... ٨	أبوء بذنبي، فاغفر لي	١٨١..... ٣	أبك جنون؟
٤٧٦..... ٢	أبوك حذافة	١٨١..... ٣	أبك جنون؟
٧٦٠٦٩..... ١٠	أبوك حذافة	١٨١..... ٣	أبك جنون؟
٨٠..... ١٠	أبوك فلان	١٨١..... ٣	أبك جنون؟
٤٤..... ٦	أبي أفرؤنا... (من قول عمر)	١٨١..... ٣	أبك جنون؟
١٤٢..... ١٠	أتاني الليلة أت من ربي	١٨١..... ٣	أبك جنون؟
١٩٢..... ٥	أتاني الليلة أت من ربي	١٨١..... ٣	أبك جنون؟
٤٧٢..... ١٠	أتاني جبريل بشري	١٨١..... ٣	أبك جنون؟
	أت النبي ﷺ فرد نكاحها... (عن خنساء)	١٨١..... ٣	أبك جنون؟
٣٦٠..... ٩	أنت خزام	١٨١..... ٣	أبك جنون؟
٢٢٩..... ٦	أنتجين؟	١٨١..... ٣	أبك جنون؟
٢٠٩..... ٢	أنتخافن أن يحيف الله عليك ورسوله؟	١٨١..... ٣	أبك جنون؟
١٩٣..... ١	أخذ النبي ﷺ خاتما من فضة	١٨١..... ٣	أبك جنون؟
٥٤٤..... ٧	أخذ النبي ﷺ خاتما من فضة	١٨١..... ٣	أبك جنون؟
٥٩٧..... ٩	أخذ النبي ﷺ خاتما من فضة	١٨١..... ٣	أبك جنون؟
٥٤٦..... ٧	أخذ خاتما من فضة	١٨١..... ٣	أبك جنون؟
٥٤٤..... ٧	أخذ رسول الله ﷺ خاتما من ورق	١٨١..... ٣	أبك جنون؟
٤٦٤٠٤٦٣..... ٥	أندرون أي يوم هذا؟	١٨١..... ٣	أبك جنون؟
٢١٧..... ٩	أندرون أي يوم هنا؟	١٨١..... ٣	أبك جنون؟
٤٠١..... ٧	أندرون ماذا قال ربيكم	١٨١..... ٣	أبك جنون؟
٣٩١..... ٧	أندري أين تذهب	١٨١..... ٣	أبك جنون؟
٣٣٣..... ٢	أتراني ما كنت لك لأخذ جلك	١٨١..... ٣	أبك جنون؟



طرف الحديث	الجزء	الصفحة	طرف الحديث	الجزء	الصفحة
أتردين عليه حديثه؟	٦٠	٥٣٠	أتى النبي ﷺ سباطة قوم	١	٥٦٦
أترضون أن تكونوا ربيع أهل الجنة	٧٠	٤٤٠	أتى النبي ﷺ عبد الله بن أبي بعد ما دفن	٤	٤٣٢
أترضون أن تكونوا ربيع أهل الجنة	٧٠	٥٥٢	أتى النبي ﷺ عبد الله بن أبي	٧	٤٥٦
أترك النبي ﷺ من شيء؟ قال: ما ترك			أتى النبي ﷺ على قبر منبوذ، فصفهم		
إلا ما بين الدفتين	٦٠	٦٢	وكبر أربعاً	٤	٥٠٧
أترون أن هذه المرأة تقذف ولدها في النار	٧٠	٣٤٥	أتى النساء فوعظهن وذكرهن	٣	٤٣٣
أزوجت؟	٦٠	٤٦٨	أتى النساء فوعظهن وذكرهن	٣	٦٤٢
أشفع في حد من حدود الله	٧٠	٦٩٧	أتى النساء فوعظهن وذكرهن	٤	١٠
أشفع في حد من حدود الله	٩٠	١١٢	أتى النساء ومعه بلال فوعظهن وذكرهن	٤	١١
أشفع في حد من حدود الله	٩٠	١١٤	أتى رجل النبي ﷺ فقال له: إن أختي	٧	٦٣٤
أصلي للناس فأقيم... (من قول بلال			أتى رسول الله ﷺ بصبي، فبال على ثوبه	١	٥٦٤
لأبي بكر)	٣٠	١٢٦	أتى رسول الله ﷺ سباطة قوم، فبال		
أتعجبون من غيرة سعد	٧٠	٦٧٢	قائماً	١	٥٦٦
أتعجبون من هذا؟	٧٠	٥٠٢	أتى رسول الله ﷺ عبد الله بن أبي بعد ما		
أتعجبون منها؟	٧٠	٥٤٩	أدخل	٤	٥٦٤
أتق الله واردها إلى بيتها... (من قول			أتى رسول الله ﷺ قبراً	٤	٥١٨
عائشة)	٦٠	٦٠٤	أتى رسول الله ﷺ وقد حمل	٧	٦٣٢
أتق الله، ولا تقض الخاتم إلا بيقه	٩٠	١٣١	أتيت الذي هو خير	٧	٦٦٥
أتق الله، وأمسك عليك زوجك	١٠	٣٨٦	أتيت النبي ﷺ وفي قبة حمراء	٧	٥٢٨
أتق دعوة المظلوم	٧٠	١٤١	أتيت أنا وأبيوك	٤	٥٣٩
أتقوا الشح فإنه أهلك	١٠	٧٥	أتيت عثمان بن عفان فعرضت عليه		
أتقوا الله في النساء فإنهن عوان عندكم	٦٠	١٥٨	حفصة... (من قول عمر)	٦	٢٤٩
أتقوا الله وأعدوا بين أولادكم	٥٠	١٠٠	اثنان في الناس هما بهم كفر	٩	٨٥
أتقوا الله، علام تدغرون أولادكن	٧٠	٣٩٣	اثنان في الناس هما بهم كفر: الطعن في		
أتقوا النار ولو بشق تمرة	٤٠	٦٣٣	النسب	١	٩٤
أتقوا النار ولو بشق تمرة	٧٠	٤٨٦٠ ٤٦٣	اجتنبوا السبع الموبقات	٩	٢٠٤
أتقي الله وأصبري	٤٠	٤٥١٠ ٤١٠	اجتنبوا الموبقات	٧	٤٣٨
أتقي الله وأصبري	٩٠	٥٨٠	أجرك على قدر نصيبك	١	٣٢٤
أنهم وأكملها	٦٠	٩١	أجرك على قدر نصيبك	٥	١٥٩
أنموا الركوع والسجود	٧٠	٥٥٣	أجعلني الله ندا	١	١٦٥
أنموا صلاتكم، وأرخي الستر	٣٠	١١٩	أجعلني الله ندا	٧	٤٠٢
أنهم أرايكم على دينكم... (من قول سهل			أجعلني الله ندا؟	٧	٥٦٣
بن حنيف)	١٠	٩٩	اجعله مكانه، ولن توفي أو تجزي	٣	٦٢٧
أتى النبي ﷺ برجل قد شرب	٩٠	١٠٢	اجعلوا آخر صلاتكم بالليل وتراً	١	٣٨٣
أتى النبي ﷺ يسكران فأمر بضربه	٩٠	١٠٦	اجعلوا آخر صلاتكم بالليل وتراً	٤	٥٧٠
أتى النبي ﷺ بصبي فبال على ثوبه	٧٠	٢١٧	اجعلوا إملالكم بالحج عمرة	٥	٢٥٦

الصفحة	الجزء	طرف الحديث	الصفحة	الجزء	طرف الحديث
٢١١	١٠	أحد جبل يحبنا ونحبه	٣١٨	٢	اجعلوا في بيوتكم من صلاتكم
٩٤	٥	أحد جبل يحبنا ونحبه	٢٨٥	٤	اجعلوا في بيوتكم من صلاتكم
٤٩٣	١٠	احرص على ما ينفعك واستعن بالله	٥٤٦	٣	أجل إني أوعك كما يوعك رجلان منكم
٤٠٢	٧	احرص على ما ينفعك واستعن بالله	٣٣٦	٧	أجل كما يوعك رجلان منكم
٤٠٣	٧	احرص على ما ينفعك واستعن بالله			أجل والله يا رسول الله ما أهرج إلا
١٢	١٠	احرص على ما ينفعك	٤٤٩	٦	اسمك
٢٥٢	٧	احرص على ما ينفعك، واستعد بالله	٢٠٤	٤	أجل، ولكني لست كأحد منكم
٩٧	١٠	أحرم رسول الله ﷺ المدينة	٤٨٠	٦	اجلسوا ها هنا
٢٢٩	٢	أحرورية أنت؟... (من قول عائشة)	٣٥٦	٦	أجيبوا هذه الدعوة إذا دعيتم لها
٤٠	٦	أحسن	٣٧٠	١	أحاسنتنا هي؟
		أحسن، طف بالبيت وبالصفاء والمروة	٤٨٤	٥	أحاسنتنا هي؟
٥٢٥	٥	ثم أحل	٢١٢	١٠	أحب الأعمال إلى الله الصلاة على قتها
٣١٤	٦	أحق الشروط أن توفوا به ما استحللتم	٥٢٩	٧	أحب الأعمال إلى الله ما دام وإن قل
		أحق ما أوفيتم من الشروط أن توفوا به	٢١٢	١٠	أحب البقاع إلى الله مساجدها، وأبغض البقاع
٣١١	٦	ما استحللتم	٢٢٦	٤	أحب الصلاة إلى الله صلاة داود
٣٥٥	٤	أحق ما يقول؟			أحب أموالي إلى يبرحاء... (من قول أبي
٣٨٧	٤	أحل الذهب والحرير لإناث أمي	٦٣٩	٧	طلحة)
١٢٧	١٠	أحل الذهب والحرير لإناث	٧٣	١	أحبوا الله؛ لما يغذوكم به من النعم
٢٨١	١	أحلت لي ساعة من نهار	٤٩١	١٠	احتج آدم وموسى
٥٤٨	٥	احلق رأسك، وصم ثلاثة أيام	١٤٧	٩	احتجبي منه يا سودة
٤٥٥	١	احلق	٨٤	٩	احتجبي منه يا سودة
٢٥٢	٥	أحلوا من إحرآمكم بطواف	٥٧	٩	احتجبي منه
٢٢	١	أحياناً يأثني مثل صلصلة	٦٢٤	٩	احتجبي منه
٦٢٧، ٦١٨	٧	أحيوا ما خلقتم	٣٧٤	٧	احتجم النبي ﷺ في رأسه
٥٣٤	١٠	أخبرنا نبينا ﷺ عن رسالة ربنا	٣٧٢	٧	احتجم النبي ﷺ وهو صائم
٢٠٨	١٠	أخبروه أن الله يحب	٥٩٦	٥	احتجم النبي ﷺ وهو محرم
٥٢	١٠	اختار الله لرسوله ﷺ... (من قول عمر)	٣٧٢	٧	احتجم النبي ﷺ وهو محرم
٧٨١	٧	اختنن إبراهيم	٣٧٤	٧	احتجم بلحي جبل من طريق مكة
١٩٠	٦	اختر منهن أربعاً، وفارق البواقي	٥٩٥	٥	احتجم رسول الله ﷺ وهو محرم
٣٣٨	٤	الاختصار في الصلاة	٣٧٤	٧	احتجم في رأسه
٢٣٨	١٠	اختصام المملأ الأعلى	٣٦٩	٧	احتجم وأعطى الحجام أجره واستعط
٣٦٠	١٠	اختصام المملأ الأعلى	٣٧٤	٧	احتجم وهو محرم في رأسه
٤٢١	١٠	اختصمت الجنة والنار إلى ربها فقالت	٤٩١	٤	احت في أفواههن التراب
١٠٦	١٠	اختلاف أمي رحمة	٤٩٢	٤	احت في أفواههن التراب
		اختلف علي وعثمان وهما يعسفان في	١٦٨	٥	أحججت عن نفسك؟
٢٥٣	٥	المتعة	٥٢٥، ٤٤٩	٥	أحججت؟



طرف الحديث	الجزء	الصفحة	طرف الحديث	الجزء	الصفحة
أخذ الجزية من معجوس هجر	١	٨٣	ادع حالقك	٥	٥٤٤
أخذ الراية زيد فأصيب	٤	٤٠٢	ادع لي أبا بكر	١	٣٠٤
أخذ الرسول ﷺ بذؤابتي فجعلني عن يمينه	٧	٥٨١	ادع لي رجالاً - سباهم - وادع لي من لقيت	٦	٣٢٩
أخذ علينا النبي ﷺ عند البيعة أن لا نتوح	٤	٤٩٥	ادع لي زيداً وليجى باللوح والدواة	٦	١٩٠
أخذت أهل السموات منه	١٠	٤٦٧	ادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله	٤	٦٠٣
أخذها خالد بن الوليد من غير إمرة، ففتح له	٤	٤٠٥	ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة	٦	٥٣
أخذها زيد فقتل، وأخذها جعفر فقتل	٤	٤٩٢	ادعوا الله وأنتم	٧	١٣٩
آخر آية نزلت خاتمة سورة النساء... (من قول البراء)	٩	٤٨	ادعوا لي المقداد	٩	٢١٤
أخر عني يا عمر	٤	٥٩٢	ادعوه بها	٢	٢٢٨
أخرج بأختك من الحرم فلتهل	٥	٢٤٣	ادفنوهم في دمانهم	٤	٥٥٣
أخرج بعث النار	٧	٤٤٢	أدق من الشعر وأحد من السيف	١٠	٤٠٧
أخرج عدو الله، إني رسول الله	٧	٣١٧	أدومها وإن قل	٧	٣٤١
أخرج معها	٥	٦٢٩	إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه	٦	٢٦٠
أخرجت إلينا شعراً من شعر النبي ﷺ	٧	٥٦٥	إذا أتاكم من ترضون دينه	٦	١٧٣
أخرجوا المشركين من جزيرة العرب	٢	٥٩٩	إذا أتى أحدكم الصلاة و الإمام على حال	٣	٤٤
أخرجوا المشركين من جزيرة العرب	٩	٥٥٨	إذا أتى أحدكم الصلاة، والإمام على حال	٤	٥١٣
أخرجوا اليهود والنصارى من جزيرة العرب	٢	٥٩٩	إذا أتى أحدكم الغائط فلا يستقبل القبلة	١٠	٣٩٤
أخرجوا اليهود والنصارى من جزيرة العرب	٩	٥٥٨	إذا أتى أحدكم الغائط فلا	١٠	٣٩٣
أخرجوا بعث النار	٧	٤٤٧	إذا أتى الخلاء قال: أعوذ بالله	١٠	٣٩٠
أخرجوهم من بيوتكم	٧	٥٥٤	إذا أتيت مضجعك فتوضأ	١٠	٦١٣
أخرجوهم من بيوتكم	٩	١٧٨	إذا أتيت مضجعك فتوضأ	٧	١٥٣
أخسأ فلن تعدو قدرك	١٠	٥٦٧	إذا أتيتم الغائط فلا تستقبلوا القبلة	٢	٢٦٧
أخضب النبي ﷺ	٧	٥٦٥	إذا أتيتم الغائط فلا تستقبلوا القبلة	٢	٢٦٧
أخطأ من شدة الفرح	٦	٥١٦	إذا اجتنب الكبائر	٢	٤٦٣
أخوف ما أخاف عليكم	٧	٧٤٤	إذا أحب عبيدي لقائي	١٠	٤٨٦
أدرك هذه الأمة... (من قول حذيفة)	٦	١٣	إذا احتضر الإنسان	١	٣٤٣
أدركت العلم بلسان سؤول... (من قول ابن عباس)	٦	٣٩٠	إذا أحدث أحدكم في صلاته، فليأخذ بأنفه	٣	٥٠
ادع الله أن يجعلني منهم... (من قول عكاشة)	٤	٧٣	إذا أحسن أحدكم إسلامه، فكل حسنة إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت... (من قول عثمان)	٦	١٠
			إذا أخذت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة	٢	٣٨٣

طرف الحديث	الجزء	الصفحة	طرف الحديث	الجزء	الصفحة
إذا أدرك أحدكم سجدة من صلاة العصر .....	٢	٥١١	المكتوبة .....	٣	٨٨
إذا أذن بالصلاة أدير .....	٤	٣٤٢	إذا أقيمت صلاة الصبح فطوفي على بعيرك .....	٥	٣٤١
إذا أذنت أذان الصبح الأول .....	١٠	٣٣	إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل .....	١	٩٩
إذا أذنت الأول لصلاة الصبح .....	٣	١٤	إذا التقى المسلمان بسيفيهما .....	١٠	٤٨٥
إذا أراد عبيدي أن يعمل سيئة .....	١٠	٤٨٤	إذا التقى المسلمان بسيفيهما .....	٩	٢٢٢
إذا أردت مضجعك فقل .....	٧	١٥٣	إذا أم أحدكم الناس فليخفف .....	١	٢١١
إذا أرسلت كلابك المعلمة وذكرت اسم الله .....	١٠	٣٠٤	إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم .....	١٠	٦٥
إذا أرسلت كلبك المعلم .....	١	٤٥٨	إذا أمسيتم قبل أن تطوفوا هذا البيت صرتم حراماً .....	٤	٥٤
إذا استأذن أحدكم ثلاثاً فلم يؤذن له .....	١	٢٦٣	إذا أمن الإمام .....	٣	٢٨٩
إذا استأذن أحدكم ثلاثاً .....	٧	٦٧٧	إذا أمن القارئ فأمنوا .....	٧	٢٦٨
إذا استأذنت المرأة أحدكم إلى المسجد .....	٦	٤٦٢	إذا انتعل أحدكم فليبدأ باليمين .....	٧	٥٢٧
إذا استأذنت امرأة أحدكم فلا يمنعها .....	٣	٤٤٨	إذا أنشأ خرجتها فأذنا .....	٣	٣١
إذا استأذنتكم نساؤكم بالليل .....	٣	٤٣٤	إذا أنزل الله بقرم عذاباً أصاب .....	٩	٥٢٨
إذا استطاع أحدكم أن ينفع أخاه فليفعله .....	٧	٣٥٦	إذا أنفق الرجل على أهله .....	١	١٦٦
إذا استغسل أحدكم فليغتسل .....	٧	٦٠٧	إذا أنفق المسلم نفقة على أهله .....	٦	٦٣٩
إذا اشتد الحر فأبردوا بالصلاة .....	٤	٣٢١	إذا أنفقت المرأة من طعام بيتها غير مفسدة .....	٥	٢٢
إذا اشتد الحر فأبردوا .....	٢	٤٦٩	إذا أنفقت المرأة من طعام بيتها .....	٥	٣٨
إذا اشتد الحر فأبردوا .....	٢	٤٧٠	إذا أوى أحدكم إلى فراشه فلينفذ فراشه .....	٧	١٧١
إذا أصاب ثوب إحدكن الدم .....	٢	١٩٤	إذا أوتيت إلى فراشك .....	٧	١٦٨
إذا أطال أحدكم الغيبة فلا يطرق أهله ليلاً .....	٦	٤٦٦	إذا باتت المرأة مهاجرة فراش .....	٦	٤٠٩
إذا أطعمت المرأة من بيت زوجها .....	٥	٣٨	إذا بايعت قتل: لا خلافة .....	٩	٣٨٩
إذا أعجلت أو حطقت فعليك الوضوء .....	١	٤٧٩	إذا تابيعتم بالعينة .....	٧	٣١٦
إذا أعطي خيراً فهو أهله .....	٧	٣٢٦	إذا تابيعتم بالعينة، وأخذتم بأذناب .....	١٠	١٥٩
إذا أفعل كما فعل رسول الله ﷺ .....	٥	٤١٨	إذا تشهد أحدكم الشهد الأخير فليقل .....	٣	٣٨٢
إذا أقبل الليل من هاهنا .....	١٠	٤٨٠	إذا تصدقت المرأة من طعام زوجها .....	٥	٣٧
إذا أقبلت الحيضة فدعي الصلاة .....	٢	٢٤٢	إذا تقرب العبد إلى شرباً .....	١٠	٥٤٠
إذا أقرب الزمان لم تكدروا المؤمن تكذب .....	٩	٤٥٥	إذا تقرب العبد مني شرباً .....	١٠	٥٤٠
إذا أعدد المؤمن في قبره آتي .....	٤	٥٩٦	إذا تقرب إلي عبيدي شرباً .....	٧	٣٤٤
إذا أقيمت الصلاة فلا تأتوها تسعون .....	٣	٥١١	إذا تنخم أحدكم فلا يتنخم قبل وجهه .....	٢	٢٨٨
إذا أقيمت الصلاة فلا تقوموا حتى تروني .....	٣	٤٧، ٤٦	إذا تراجع المسلمان بسيفيهما فكلاهما من أهل النار .....	٩	٥٠٤
إذا أقيمت الصلاة فلا صلاة إلا المكتوبة .....	٣	٤٥	إذا ترويضاً أحدكم فليجعل في أنفه ثم		
إذا أقيمت الصلاة فلا صلاة إلا					



الصفحة	الجزء	طرف الحديث	الصفحة	الجزء	طرف الحديث
٥٥٦	٢	يصل ركعتين	٤٢٢	١	ليشر
٢٤٣	٣	إذا دخل أحدكم المسجد فلا يجلس			إذا توضأ أحدكم في بيته، ثم أتى المسجد
٦٢٥	٣	إذا دخل أحدكم المسجد فلا يجلس	٣٨٩	٢	إذا توضأ أحدكم واستثثر فليغسل
٣١	٥	إذا دخل أحدكم المسجد فلا يجلس	٤٢١	١	إذا توضأ أحدكم، ثم خرج عامداً على المسجد
٣٣٣	٢	إذا دخل أحدكم المسجد فليركع	٣٩٠	٢	إذا توضأ العبد المسلم فغسل وجهه
٢٥٧	٤	إذا دخل أحدكم المسجد			خرجت
		إذا دخل الرجل بيته، فذكر الله عند دخوله	٣٦٢	١	إذا جاء أحدكم الجمعة فليغتسل
٦١٤	٢	إذا دخل أهل الجنة الجنة	٤٥٦	٣	إذا جاء أحدكم فراشه فليغضه
٤٨٥، ٤٧٤	٧	إذا دخلت ليلاً فلا تدخل	٣٠٠	١٠	إذا جاء أحدكم والإمام يخطب
٤٦٧	٦	إذا دعا أحدكم فليعزم المسألة	٢٦١	٤	إذا جد به السير
١٩٥	٧	إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه	٥٣٩	٥	إذا جلس بين شعبها الأربع
٤٠٩	٦	إذا دعوت الله فأعزموا في الدعاء	٤٨٠	١	إذا جلس بين شعبها الأربع
٤٥٣	١١	إذا دعي أحدكم إلى الوليمة فليأتها	٦١٨	١	إذا جلس بين شعبها الأربع، ثم جهدها
٣٤٨	٦	إذا دعي أحدكم إلى وليمة فليجب	٣٨	٢	إذا حانت الصلاة فأمر أبا بكر أن يصلي
٣٤٨	٦	إذا دعي أحدكم فجاء	١٢٨	٣	إذا حدث الرجل بالحديث
٦٧٩	٧	إذا رأيتم أمر فليسلح الرجال وليصنع النساء	٧٦٦	٧	إذا حرم امرأته ليس بشيء... (من قول ابن عباس)
٦٣٢	٩	إذا رأيت الماء	٤٩٦	٦	إذا حضرت الصلاة فأذنوا وأقبلوا
٣٥١	١	إذا راح أحدكم إلى الجمعة فليغتسل	٧٧	٣	إذا حضرت الصلاة فليؤذن لكم أحدكم
٤٦٧	٣	إذا رأى أحدكم الرؤيا يجهها	٥٨٠	٢	إذا حضرت الصلاة فليؤذن لكم أحدكم
٤٧٣	٩	إذا رأى أحدكم جنازةً فإن لم يكن ماشياً معها فليقيم	٥٨٤	٢	إذا حضرت الصلاة فليؤذن لكم أحدكم
٤٩٧	٤	إذا رأى أحدكم رؤيا يجهها	٦٣٤، ٦٣١	٢	إذا حضرت الصلاة فليؤذن لكم أحدكم
٤١٧	٩	إذا رأيت شحاً مطاعاً	٥٣	٤	إذا حضرت الصلاة فليؤذن لكم أحدكم
٣٩١	٧	إذا رأيتم الجنازة فقوموا حتى تخلفكم	٢١، ١٧، ١٤	٣	إذا حضرت الصلاة فليؤذن
٤٩٥	٤	إذا رأيتم الجنازة فقوموا	٣٢	٣	إذا حضرت الصلاة فليؤذن
٥٠١	٤	إذا رأيتم الجنازة فقوموا	٣٠	١٠	إذا حضرت الصلاة
٥٠١	٤	إذا رأيتم الذين يتبعون المتشابه			إذا حكم الحاكم فاجتهد فأخطأ فله أجر واحد
٢٨٢	٤	إذا رأيتم الليل قد أقبل	٢٨١	٢	إذا حكم الحاكم فاجتهد فأصاب فله
٥٧٣	٦	إذا رأيتم آية فاسجدوا	٥٩٦	٣	إذا حكم الحاكم فاجتهد
١٠٧	٤	إذا رأيتم آية فاسجدوا	١٦٠	١٠	إذا حلفت على يمين
١٠٩	٤	إذا رأيتم ذلك فافزعوا إلى ذكر الله	٥٨٩	٧	إذا حلفت على يمين، فرأيت غيرها خيراً منها
١٢٠	٤	إذا رأيتم من يبيع أو يبتاع في المسجد	٥٣٤	٧	إذا دبغ الإهاب فقد طهر
٣٤٩	٢	إذا رفع رأسه من الركوع قام حتى نقول: قد نسي	١١٠	٥	إذا دخل أحدكم المسجد فلا يجلس حتى
٣١٥	٣				

طرف الحديث	الجزء	الصفحة	طرف الحديث	الجزء	الصفحة
إذا ركع فاركعوا، وإذا سجد فاسجدوا	٤	١٦٥	أربعًا	٤	٢٦٠
إذا رميت وحلقمت	٧	٥٨٢	إذا صلى أحدكم إلى شيء	٢	٤٢٢
إذا زنت الأمة قسین زناها فليجلدها ولا يثرب	٩	١٨٤	إذا صلى أحدكم ركعتي	٧	١٥١
إذا زنت فاجلدوها، ثم إن زنت فاجلدوها	٩	١٨٤	إذا صلى أحدكم فأحدث فليمسك على أنفه	١	٣٧٥
إذا سجد أحدكم فلا يرك	٣	٣١٩	إذا صلى أحدكم فإنه يصلي بين عيني الرحمن	٩	٥٤٧
إذا سجد أصابني بعض ثوبه... (من قول ميمونة)	٢	٢٤٧	إذا صلى أحدكم للناس فليخفف	٣	١٧٦
إذا سجد غمزي فرفعها	٤	٣٢٣	إذا صلى فأراد أحد أن يمر بين يديه فليدفعه	٩	١٨٨
إذا سلم عليكم اليهود	٧	٧٠٢	إذا صلى قائمًا فصلوا قيامًا	٤	٣٦٨
إذا سلم عليكم أهل الكتاب فقولوا: وعليكم	٩	٣٢٥	إذا صلى قاعدًا فصلوا قعودًا	٤	١٩٩
إذا سلم عليكم أهل الكتاب	٧	٧٠٢	إذا صلى كبر ورفع يديه	٣	٢١٦
إذا سمعتم الإقامة فامشوا إلى الصلاة	٢	٦٠٦	إذا صليت فقد قضيت... (من قول زيد بن ثابت)	٤	٥١٦
إذا سمعتم الإقامة فامشوا إلى الصلاة	٣	٢٠٣	إذا صليتي في رحالكما	٢	٣٥٤
إذا سمعتم الإقامة فامشوا إلى الصلاة	٣	٤٣	إذا صليتي في رحالكما	٤	٥٣١
إذا سمعتم الإقامة فامشوا إلى الصلاة	٣	٤٩٣	إذا صليتي في رحالكما، ثم أثبتا مسجد الجماعة	٢	٥٥٣
إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول	٢	٦٣٤	إذا ضرب أحدكم فليجنب الوجه	٧	٦٤٥
ثم صلوا علي	١٠	٣١	إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة	٧	٣٩٢
إذا سمعتم المؤذن	٢	٦٢٧	إذا طلع حاجب الشمس فأخروا الصلاة	٢	٥٥٣
إذا سمعتم النداء فقولوا مثل ما يقول	٧	٣٩٨	إذا ظننت فلا تحقق	٦	٢٩٤
إذا سمعتم بالطاعون بأرض فلا تدخلوها	٧	٣٩٨	إذا علا ماء الرجل	١	٣٥٤
إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه	٧	٤٠٦ ٣٩٩	إذا غاب القمر فادفعوا	٥	٦١٩
إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه	٩	٣٩٨	إذا فرغت فأذنا	٧	٤٥٧
إذا شرب أحدكم فلا يتنفس في الإناء	١	٤١١	إذا قاتل أحدكم أخاه	٧	٦٤٥
إذا شرب الكلب في إناء أحدكم فليغسله سبعًا	١	٤٥٦	إذا قال أحدكم آمين، وقالت الملائكة	٣	٢٩٠
إذا شرب فاجلدوه	٩	٩٩	إذا قال الإمام: سمع الله لمن حمده	٣	٣١٢
إذا شك أحدكم في صلاته فليتحر	٢	٦١٨	إذا قال الإمام: ولا الضالين	٧	٢٦٨
الصواب	٢	٦١٨	إذا قال المؤذن: الله أكبر الله أكبر	٢	٦٢٨
إذا شك أحدكم في صلاته، فلم يدركم	٢	٦١٧	إذا قال: الحمد لله رب العالمين	٢	٦٢٨
صلى	٧	٤٧٦	(حديث قدسي)	٢	٤٦٦
إذا صار أهل الجنة إلى الجنة	٧	٥٦٣	إذا قتلتم فأحسنوا القتلة	٩	١٣٩
إذا صلى أحدكم الجمعة فليصل بعدها أربعًا	٣	٥٦٣	إذا قدم العشاء فابدءوا به	٣	١٠٨
إذا صلى أحدكم الجمعة فليصل بعدها	٣	٥٦٣	إذا قضى الله الأمر في السماء	١٠	٤٦٧
			إذا قلت لصاحبك يوم الجمعة أنصت	٢	٣٦٧
			إذا قلت لصاحبك يوم الجمعة	٣	٥٥٥



الجزء	الصفحة	طرف الحديث	الجزء	الصفحة	طرف الحديث
٥٤٩	١	إذا نعت أحدكم وهو يصلي	٥٨١	٧	إذا قمت إلى الصلاة، فأسبغ الوضوء
٣٤٦	٧	إذا نعت أحدكم وهو يصلي	٦٨٩	٧	إذا قمت إلى الصلاة فأسبغ الوضوء
٣٦٢	٤	إذا نودي بالصلاة أدبر الشيطان	٢٤٢	٣	إذا قمت إلى الصلاة فكبر
٦١٢	٢	إذا نودي للصلاة أدبر الشيطان	٢١١	٣	إذا قمت إلى صلاتك فأسبغ الوضوء
٥٣٩	٧	إذا هلك قيصر فلا قيصر بعده	١٠٩	٣	إذا كان أحدكم على الطعام فلا يعجل
٥٣٩	٧	إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده	٢٨٦	٢	إذا كان أحدكم يصلي
٢٥٣	٤	إذا هم أحدكم بالأمر فليركع ركعتين	٤٢٣	٢	إذا كان أحدكم يصلي
٢٤٢	٧	إذا هم بالأمر فليركع ركعتين، ثم يقول	٢١٤	٩	إذا كان رجل مؤمن يخي إليه مع قوم كفار
٤٩١	٤	إذا وجب فلا تبيكن باكية	٣٣٣	٤	إذا كان في الصلاة
٥٤	١٠	إذا وجد أحدكم ذلك	٤٨٨	١٠	إذا كان يوم القيامة شفعت
١٠٨	٣	إذا وضع العشاء، وأقيمت الصلاة	٤٨٩	١٠	إذا كان يوم القيامة ماج الناس
١٠٨	٣	إذا وضع عشاء أحدكم وأقيمت الصلاة			إذا كان يوم عرفة فإن الله ينزل إلى السماء،
		إذا وضعت الجنازة فاحتملها الرجال	١٣٢	١	فيباهي
٥٠٥	٤	على أعناقهم	٤٨٩	٩	إذا كانوا ثلاثاً فليأمروا أحدهم
٥٠٢	٤	إذا وضعت الجنازة واحتملها الرجال	٧٧٠	٧	إذا كانوا ثلاثة فلا يتناجى
٤٠٥	٧	إذا وقع بأرض فلا تخرجوا فراژاً منه	٧٧٥	٧	إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى
٤٥٠	١	إذا ولغ الكلب في الإناء فأغسلوه سبعاً	٢٤٣	٢	إذا لم يستطع أحدنا أن يمكن جبهته
٣٤٧	١	إذا يتكلموا	٣٧٨	٩	إذا مارب التعم لم يعط حقها تسلط عليه
٢٣٨	١	اذبح ولا حرج	٤١٩	٧	إذا مات أحدكم عرض عليه مقعده
٤٦١ ٤٦٠	٥	اذبح ولا حرج	٦٣١	٧	إذا مات الإنسان انقطع عمله
٦٤٣	٣	اذبحها ولا تنفي عن أحد بعدك			إذا مات الرجل كان أولياؤه أحق... (من قول
١١	٤	اذبحها ولا تنفي عن أحد بعدك	٣٦٢	٩	ابن عباس)
٣٢٩	٦	اذكروا اسم الله	٣١٥	٧	إذا مات قال: لا إله إلا الله
٣٠٦	١٠	اذكروا أتم اسم الله وكلوا	٥٠٢	٩	إذا مر أحدكم في مسجدنا
		أذن الرسول ص لعائشة أن تلعب	١١٤	٦	إذا مر بآيات رحمة سأل
٧٨٩	٧	بالبناات	٢٠٣	٤	إذا مرض العبد
		أذن رسول الله ﷺ بتوبة الله علينا... (من قول			إذا مضت أربعة أشهر يوقف... (من قول
٦٦٧	٩	كعب)	٥٥٦	٦	ابن عمر)
		أذن رسول الله ﷺ لأهل بيت من			إذا نابكم شيء فليسيح الرجال ولتصفق
٣٩٣	٧	الأنصار	١٣٩	٤	النساء
		أذن عمر لأزواج النبي ﷺ في آخر حجة	٣٠٧	٤	إذا نابكم شيء فليسيح الرجال
٦٢٢	٥	حجها			إذا نابكم شيء في الصلاة فليسيح
٤٤	١٠	أذن في قومك	٦٣٨	٣	الرجال
٣٤٩	٧	أذهب الباس رب الناس			إذا نابكم شيء في الصلاة فليسيح
١٦٦	٦	أذهب إلى أهلك فانظر هل تجد شيئاً؟	٦	٤	الرجال
		أذهب فأخبرني عن القوم، ولا تحدث	٣٨٥	٧	إذا نظر أحدكم إلى من فضل

أرأيتم ليبتكم هذه، فإن رأس مائة.....	٢	٥٩٣	شيئاً.....	٥	٥٣٣
أرأيتم إن كان أسلم.....	٧	٥٤٥	أذهب فادع لي معاوية.....	٢	٥٦٣
أرأيتم لو أن نهرًا يباب أحدكم.....	٢	٤٦١	أذهب فادع لي معاوية.....	٣	٥٢٧
أرأيتم لو وضعها في الحرام.....	٢	٥٣٩	أذهب فاطعمه أهلك.....	٧	٦٥٠
أرأيتم ليبتكم هذه فإن رأس مائة سنة منها.....	٢	٥٢٥	أذهب فاطلب ولو خاتماً من حديد.....	٦	٣١٠
أرأيتم ما أنفق منذ خلق السموات والأرض.....	١٠	٣٤٩	أذهب فأفرغه عليك.....	٢	١٨٠
أرب ماله تبعه الله ولا تشرك به شيئاً.....	٤	٦٠٧	أذهب فالتمس ولو خاتماً من حديد.....	٦	٢٤٨
اربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصم.....	١٠	٢٨٢	أذهب فالتمس ولو خاتماً من حديد.....	٧	٥٤١
اربعوا على أنفسكم.....	٢	٦٢٠	أذهب فخذ جارية.....	٢	٢٢٨
ارتحلت الدنيا مدبرة... (من قول علي بن طالب).....	٧	٢٨٩	أذهب فقد أنكحتكها بيا معك من القرآن.....	٦	٣١٠
ارجع إليه، وقل له: إنك تعيش حيداً.....	٦	٥٣١	أذهب فقد زوجتكها بيا معك من القرآن.....	٦	٢٧٠
ارجع إليها فأخبرها أن الله ما أخذ وله ما أعطى.....	١٠	٢٢٥	أذهب فقد ملكتكها بيا معك من القرآن.....	٦	٢٥٤
ارجع فأعد وضوءك.....	١	٦٤٣	أذهب فقد ملكتكها بيا معك من القرآن.....	٦	٨٣٠
ارجع فحج مع امرأتك.....	٦	٤٥٦	أذهب فابتغيا الماء.....	٢	١٨٠
ارجع فصل فإنك لم تصل.....	٢	٤٦٤	أذهبوا بخميصتي هذه إلى أبي جهم.....	٢	٢٣١
ارجع فصل فإنك لم تصل.....	٣	٢٤٣	أذهبوا بخميصتي هذه إلى أبي جهم.....	٦	٤٩٠
ارجع فصل فإنك لم تصل.....	٣	٣٠٦	أذهبوا بخميصتي هذه إلى أبي جهم.....	٧	٤٨٥
ارجع فصل فإنك لم تصل.....	٧	٦٨٤	أذهبوا به فارجموه.....	٦	٥٢٦
ارجع فصل فإنك لم تصل.....	٩	٤١٣	أذهبوا به فارجموه.....	٩	١٥٤ ١٤٤
ارجع فصل، فإنك لم تصل.....	٧	٥٨٢	أذهبوا به فارجموه.....	٩	٦٠٨
ارجعوا إلى أهليكم.....	١	٢٩٠	أراد ألا يخرج أمته... (من قول ابن عباس).....	١	٥٧٨
ارجعوا إلى أهليكم.....	٣	٣٢	أراد ألا يخرج أمته... (من قول ابن عباس).....	٢	٤٨٤
ارجعوا إلى أهليكم، وعلموهم، وأدبوهم.....	١	٢٥٠	أراد أن لا يخرج أمته... (من قول ابن عباس).....	٣	١٠٢٠
ارجعوا فكفروا فيهم، وعلموهم.....	٣	٢٤	أراد أن لا يخرج أمته... (من قول ابن عباس).....	٢	٥١٩
ارجعوا من في الأرض يرحمكم.....	١٢	٢٢٤	أراكم يا بني حارثة قد خرجتم.....	٥	٦٤٩
أرخص في أولئك رسول الله ﷺ.....	٥	٣٩٦	أراني الليلة عند الكعبة.....	٧	٥٦٩
أرخص لها النبي ﷺ.....	٦	٦٠٦	أراني الليلة عند الكعبة، فرأيت رجلاً آدم.....	٩	٤٤٤
أرخوا اللحى.....	١	٢٠٢	أراه فلاناً.....	٦	١٩٣
أردف الفضل من المزدلفة إلى منى.....	٥	٢٢٣	أرأيت إن عجز واستحقق... (من قول ابن عمر).....	٦	٦١٤ ٤٨٠
أردف رسول الله ﷺ الفضل.....	٧	٦٥٦	أرأيتم ليبتكم هذه، فإن رأس مائة سنة منها لا يبقى.....	١٠	٣١٤
أرسل النبي ﷺ إلى الأنصار.....	٧	٥٢٩			
أرسل ملك الموت إلى موسى عليها					



الجزء	الصفحة	طرف الحديث	الجزء	الصفحة	طرف الحديث
١٠	١٦٣	استأذن أبو موسى على عمر	٤	٥٣٧	السلام
		استأذن العباس بن عبد المطلب ض	٢	٢٩٨	أرسلك أبو طلحة؟
٥	٣٤٧	رسول الله ﷺ	٩	٣٤١	أرسله يا عمر، اقرأ يا هشام
		استأذنت النبي ﷺ سودة أن تدفع قبل	١٠	٥٤٩	أرسله، اقرأ يا هشام
٥	٤٠٣	حطمة الناس	٦	٢١	أرسله، اقرأ يا هشام
٥	٤٠٣	استأذنت سودة النبي ﷺ ليلة جمع	٢	١٦٢	الأرض كلها مسجد إلا المقبرة والحمام
٧	٦٠٧	استرقوا لها فإن بها النظرة	٣	٦٢٨	أرضه تحرمي عليه
٧	٤١٣	استرقوا لها، فإن بها النظرة	٦	١٩٨	أرضه تحرمي عليه
٥	١٣٢	استعمل رسول الله ﷺ رجلاً من الأسد	٥	٥٠٩	ارفضي عمرتك، وانقضي رأسك
٤	٥١٨	استغفروا لأخيك	٧	٤٨٧	ارفع رأسك وسل تعطه
٧	٦٣٣	استغنى النبي ﷺ في نذر كان على	١٠	٤٨٩	ارفع رأسك وقل يسمع لك
٧	٢٠٤	استقبل القبلة وقل رب ادع	٥	٤١٣	اركبها وملك
٢	٢٧٢	استقبل القبلة وكبر	٥	٤٢٣ ٤١٣	اركبها
١	٤٢١	استثروا مرتين بالغنن أو ثلاثاً	١	٢٣٨	ارم ولا حرج
١	٣٢٦	استنصت الناس	٥	٩٦	ارموا بني إسرائيل؛ فإن أباكم كان رامياً
٣	٥٤٧	استنصت الناس	٥	٩٦	ارموا وأنا معكم كلكم
٩	٢١٧	استنصت الناس	٥	٢٧٤	أرني إزاري
٩	٥٠٤	استنصت الناس			أرى أن رؤياكم قد تواطأت في السبع
٤	٥٠٤	أسرعوا بالجنائز؛ فإن تك سالحة	١	٢٩٠	الأواخر
١٠	٤٩٤	أسري برسول الله ﷺ من مسجد الكعبة	١	١٠٤	أرى رؤياكم قد تواطأت في السبع
٧	٧٧٦	اسق يا زبير حتى يصل الجدر			أرى رؤياكم قد تواطأت في العشر
٦	٢٧٣	أسقط الحد عن السارق في عام المجاعة	٤	٢٤٦	الأواخر
٥	٣٤٨	اسقني	١	٩٥	أريت النار فإذا أكثر أهلها النساء
٧	٣٦٠	اسقه عسلاً	٢	٣١٧	أريت النار، فلم أر منظرًا
٧	٣٨٨	اسقه عسلاً			أريتك في المنام مرتين إذا رجل يحملك
١	١٤٢	الإسلام أن تشهد	٦	١٥٤	في سرقة
١٠	١٥١	أسلم تسلم	٩	٤٥٢	أريتك في المنام مرتين
٥	٣٥	أسلمت على ما سلف من خير			أريتك في المنام يجي بك الملك في
٣	١٥٥	اسمع، وأطع ولو لجبشي	٦	٢٥٣	سرقة
٣	١٥١	اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل	٩	٤٥٢	أريتك قبل أن أتزوج مرتين
٩	٥٧١	اسمعوا وأطيعوا، وإن استعمل عليكم	١	٤٢٨	إزرة المؤمن إلى نصف ساقه
١	٣٤٨	أشار النبي ﷺ إلى عينه	١	٦١٩	أسألك اللهم بكل اسم سميت به نفسك
		أشبهتمونا بالحمير والكلاب... (من قول عائشة)	١٠	٢١٩	أسألك بكل اسم هو لك سميت به
٩	٥٦٦		٥	١٤٣	أسألك بكل اسم هو لك
٦	١٨٥	اشترى رسول الله ﷺ من اليهود طعاماً	٧	٣٤٦	إسباغ الوضوء على المكاره
٥	١١١	اشترىها فأبنا الولاء لمن أعنت	٧	٣٨٢	إسباغ الوضوء على المكاره

طرف الحديث	الجزء	الصفحة	طرف الحديث	الجزء	الصفحة
اشترىها فأبنا الولاء لمن أعتق.....	٩	٧٧	أصدق ذو اليمين؟.....	٣	١٨٢
اشترىها وأعتقها.....	٦	٥٤٣	أصدق ذو اليمين؟.....	٤	٣٥٦
اشترىها، فإن الولاء لمن أعتق.....	٩	٦٤	أصدق كلمة قالها الشاعر كلمة لبيد.....	٤	٣٨٠
اشتكت النار إلى ربها.....	٢	٤٧٠	أصدق كلمة قالها الشاعر.....	٧	٣٧١
اشتكى النبي ﷺ فلم يقم ليلةً أو ليلتين.....	٦	٩	أصلاة الصبح مرتين؟!.....	٢	٥٥٤
اشتكى النبي ﷺ، فلم يقم ليلةً أو ليلتين.....	٤	٢١٨	أصل الناس؟.....	٣	١٣٩
أشد الناس عذاباً يوم القيامة.....	٧	٦٢٥	أصل النبي ﷺ في الكعبة... (من قول		
أشد الناس عذاباً.....	٧	٦٢٢	ابن عمر).....	٢	٢٦٨
أشد أمتي على الدجال بنو تميم.....	١٠	٣٨٢	أصليت بأصحابك وأنت جنب؟.....	٢	١٥٣
الإشراك بالله.....	٩	٣١١	أصليت يا فلان؟.....	٣	٥٥١
اشربوا البانها.....	٧	٣٦٣	اصنع في عمرتك ما أنت.....	٥	٤٨٣
اشربوا في الأسقية كلها ولا تشربوا.....	٢	٤٤٩	اصنع في عمرتك ما تصنع في حجك.....	٥	٦١٢
أشركنا فإن النبي ﷺ قد دعا لك بالبركة.....	٧	٢١٤	اصنعوا كل شيء إلا النكاح.....	٢	١٥٣
أشعرنا إياه.....	٤	٤١٣، ٤١٨، ٤١٩، ٤٢١	اضربوه.....	٩	١٠٢
اشفعوا تزجروا ويقضي الله على لسان			أطعموا الجائع، وعودوا المريض.....	٧	٣١٢
نبيه ﷺ.....	٥	٣٢	اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء.....	٧	٤٧٥
اشفعوا فلتزجروا.....	١٠	٤٦١	اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها.....	٧	٣٢٨
أشق الولد نصفين نصف لهذه... (من قول			اطلعت في الجنة فرأيت أكثر.....	٦	٤١٥
سليمان).....	١٠	٣٦٦	أطلقوا ثامة.....	٢	٣٥٧
أشهدكم أني قد أوجبت مع عمري حجا.....	٥	٣٥٦	أطولكن يدًا.....	٤	٦٣٧
أصاب أرضاً بخير... (أي عمر).....	٩	٦٣٧	اعتدلوا في السجود، ولا يسط أحدكم.....	٣	٣٦٣
أصبت السنة.....	١	٢٦٥	اعتدلوا في السجود، ولا يسط ذراعيه.....	٢	٤٦٨
أصبت السنة.....	١	٤٢٠	اعتدي في بيت ابن أم مكتوم.....	٣	٦١٠
أصبت السنة.....	١	٥٩٧	اعتدي في بيت ابن أم مكتوم.....	٧	٦٥٣
أصبت السنة.....	٣	٥٩٦	أعتقها فأبنا مؤمنة.....	١٠	٣٨٨
أصبت بعضاً وأخطأت بعضاً.....	٧	٥٦٧	أعتقها فأبنا مؤمنة.....	٧	٥٣٢
أصبت بعضاً وأخطأت بعضاً.....	٩	٤٧٥	أعتقها، فأبنا مؤمنة.....	٧	٦٤٧
أصبت بعضاً، وأخطأت بعضاً.....	٩	٤٤٧	أعتقها فإن الولاء لمن أعطى الورق.....	٩	٧٢
أصبح من عبادي كافر بي ومؤمن بي.....	١٠	٤٨٦	أعتقها فأبنا الولاء لمن أعتق.....	٩	٦٦
أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر.....	٤	١١٢	اعتكف رسول الله ﷺ عشر الأول من		
أصبحنا يوماً ونساء النبي ﷺ يكيين.....	٦	٤٢٢	رمضان.....	٣	٣٥٠
أصبروا حتى تلقوا الله ورسوله.....	١٠	٤١١	أعتم رسول الله ﷺ ليلةً بالعيشاء.....	٢	٥٣٥
أصبروا حتى تلقوني على الحوض.....	٩	٤٨٧	اعتمر أربع عمر: في ذي القعدة.....	٥	٥٠٧
أصبروا فإنه لا يأتي عليكم زمان.....	٩	٤٩٩	اعتمر النبي ﷺ حيث رده.....	٥	٥٠٦
أصدق بيت قاله الشاعر.....	٧	٣٨٣	اعتمر النبي ﷺ في ذي القعدة.....	٥	٦٠٧
أصدق ذو اليمين.....	١٠	٣٦	اعتمر النبي ﷺ قبل أن يحج.....	٥	٥٠٠



الصفحة	الجزء	طرف الحديث	الصفحة	الجزء	طرف الحديث
٣٤٩	٥	اعملوا فإنكم على عمل صالح	٥٠١	٥	اعتمر رسول الله ﷺ أربعاً
٥٨٩	٤	اعملوا فكل ميسر لما خلق له	٣١٣	٥	اعتمر رسول الله ﷺ فطاف بالبيت
٣٣٣	٦	اعملوا فكل ميسر لما خلق له	٥٠٧	٥	اعتمر رسول الله ﷺ في ذي القعدة
٣٠٢	٢	اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم	٥٢٤	٥	اعتمر رسول الله ﷺ واعتمرنا معه
٧٠٧	٧	اعملوا ما شئتم	٤٨٢	١٠	أعددت لعبادي الصالحين
٢٧٠	٦	أعندك من شيء؟			أعدتُمونا بالكلب والحمار... (من قول عائشة)
٢٥١	٣	أعني على نفسك بكثرة السجود	٤١٩	٢	أعذر الله إلى امرئ آخر أجله
٣٤١	٢	أعوذ بالله من الفتن... (من قول عمار)	٢٩٢	٧	أعرستم الليلة؟
٥٩٦	٤	أعوذ بالله من عذاب جهنم	١٣٨	٥	أعرضوا على رقاكم
٢٦٥	١٠	أعوذ بربضك من سخطك	٤٦٩	٧	أعرف وكاءها وعفاصها وعرفها سنة
١٠٦	١٠	أعوذ بعزة الله وقدرته	٥٥٩	٦	أعرف وكاءها
٥٧٤	٧	أعوذ بعزة الله	٢٥٧	١	أعطها ثوباً
		أعوذ بعتك الذي لا إله إلا أنت، الذي لا يموت	٨٠	٦	أعطها ولو خاتماً من حديد
٢٦٤	١٠	أعوذ بك من عين	٨٠	٦	أعطوهم الحق الذي لهم وأسألوا الله الحق
١٩٤	٧	أعوذ بوجهك	٥٦١	٩	أعطى الابنة النصف والأخت النصف... (أي معاذ)
١٠٦	١٠	أعوذ بوجهك	٣٣	٩	أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي
٣٢٧	١٠	أعوذ بوجهك	١٦٠	٢	أعطيت خمسا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي
٥٤٦	٩	أعور العين اليمنى كأنها عينة طافية	٦٢٣	١	أعطيت خمسا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي
٥٩٤	٩	أعذ يا أنيس إلى امرأة هذا	٣٢٤	٢	أعطيت خمسا لم يعطهن أحد من الأنبياء
١٩٣	٥	اغسل الطيب الذي بك ثلاث مرات	١٥٤	٢	أعطيت مفاتيح الكلم، ونصرت بالرعب
٤٢٣	٤	اغسلنها بالسدر وتراً، ثلاثاً، أو خمسا	٤٤٤	٩	أعطيت مفاتيح خزائن الأرض
٥٥٧	٤	اغسلنها ثلاثاً أو خمسا	٥٥٣	٤	أعظم الناس أجراً في الصلاة
٤٢١، ٤١٩، ٤١٨، ٤١٧، ٤١٣، ٤١٢		اغسلنها ثلاثاً، أو خمسا	٦٨	٣	اعلم أن النصر مع الصبر
٥٥٧	٤	اغسلوه بياء وسدر	٤٠٢	١	أعلم عبدي أن له ربا يغفر الذنب
٦١٣	٥	اغسلوه بياء وسدر	٤٨٧	١٠	أعلمهم بأن الله افترض عليهم صدقة
٦١٣	٥	اغسلوه بياء وسدر	٤٢	٥	اعلموا أن الأرض لله ورسوله
٦١٤	٥	اغسلوه بياء وسدر	٣٥٨	٩	أعلى أم سلمة؟ لو لم أنكح أم سلمة ما حلت لي
٤٣١	٤	اغسلوه بياء وسدر، وكفوه في ثوبين، اغسلوه بياء وسدر، وكفوه في ثوبين، ولا تحنطوه	٢٥٠	٦	أعمار هذه الأمة ما بين الستين والسبعين
٤٢٨، ٤٢٥	٤	اغسلوه بياء وسدر، ولا تغطوا رأسه	٨٧	٦	الأعمال بالنية
٦٠١	٥	اغسلوه وكفوه	١٦٦	١	الأعمال بالنية
٦٠١	٥	اغسلوه وكفوه	٣٤٧	٩	أعمل لديك كأنك تعيش أبداً
٤٧٣	١	اغسل عني الدم	٢٨٨	٧	
٢٧٨	١٠	اغفر لي ذنبي كله دقة وجله			
٢٣	٤	أغنوهم عن الطواف في هذا اليوم			
		أفاني إذا وضعت أن أنكح... (من قول			

الجزء	الصفحة	طرف الحديث	الجزء	الصفحة	طرف الحديث
١	٣١٠	أفلق وأبيه، إن صدق أفي هذا أستمأر أبوي، إني أختار الله	٦	٥٩٦	سبعة الأسلمية
٦	٤٩٢	ورسوله	٩	٢٩	أفرضكم زيد
٧	٦٠	أقام الرسول في مشربة تسعاً وعشرين ليلة	٢	٢٨	أفرغه عليك
٦	١٦٤	أقام النبي ﷺ بين خيبر والمدينة ثلاثاً	١	٢٨٨	أفضل الدعاء دعاء يوم عرفة، وأفضل قولي
٦	٣٢٥	أقام النبي ﷺ بين خيبر والمدينة ثلاثاً	٦	٦٤٥	أفضل الصدقة ما ترك غنى
٤	١٧٣	أقام النبي ﷺ تسعة عشر يقصر	٦	١١٥	أفضل الصوم صوم داود
١	٥١٨	أقام النبي ﷺ في مكة تسعة عشر	١٢	١٥	أفضل الصيام صيام داود
٢	٦٢٧	أقامها الله وأدامها	٧	٥٩٧	أفضل الكلام أربع
٦	٥٣٠	أقبل الحديقة وطلقها تطليقة	١	٥٩٩	أفضل صلاة المرأة في بيته إلا المكتوبة
١	٢٢٤	أقبلت راكباً على حمار أتان	٤	٢٧١	أفضل صلاة المرأة في بيته إلا المكتوبة
٢	٤٠	أقبلت راكباً على حمار أتان... (من قول ابن عباس)	٤	٢٨٥	أفضل صلاة المرأة في بيته إلا المكتوبة
٣	٤٣٢	أقبلت راكباً على حمار أتان... (من قول ابن عباس)	٦	٩٩٠	أفضل صلاة المرأة في بيته إلا المكتوبة
٥	٦٢٢	أقبلت راكباً على حمار أتان... (من قول ابن عباس)	٧	٤٧١	أفضل ما أكل الرجل
١	٣٨١	أقبلوا البشري يا بني تميم	٣	٣٩٦	أفعل إن شاء الله
٤	٣٠٦	أقتلوا بالذين من بعدي	٥٠	٣٧٢	أفعل كما يفعل أمراؤك... (من قول أنس)
٤	٥٨١	أقتله بعد أن قال لا إله إلا الله؟	٧	٥٨٠	أفعل ولا حرج
٧	٣٦٠	أقتله بعد أن قال: لا إله إلا الله	٥	٤٦١	أفعل ولا حرج لهن كلهن
٩	٥٢٨	أقتله بعد أن قال: لا إله إلا الله؟	١	٢٣٨	أفعل ولا حرج
٩	٢١٩	أقتله بعد ما قال: لا إله إلا الله؟	٥	٢٥٢	أفعلوا ما أمرتكم
٩	٢٣٨	أقتلك فلان؟	١		أفعل كما يفعل الحاج، غير أن لا تطوف
٥	٦٠٩	أقتلوه... (أي ابن خطل)	٥	٣٦٦	باليست
٥	٥٧٧	أقتلوا	٣	٦١٠	أفعميا وان أنتم
٥	٦٦٥	أقدروا له قدره	١	٧٢	أفلا أخبرك بملاك ذلك كله
١	٦١١	أقدمهم سلماً	١		أفلا أخبركم بأمر تدركون من كان قبلكم
٦	١٢٩	أقرءوا القرآن ما اتلفت عليه قلوبكم	٧	١٨٧	أفلا أذنتموني به، دلوني على قبره
١	١٨٠	أقرءوا القرآن ما اتلفت عليه	٢	٣١٨	أفلا أذنتموني؟
٦	١٢٩	أقرءوا القرآن ما اتلفت قلوبكم	٤	٥٣٥ ٥٠٨	أفلا أكون عبداً شكوراً
١	١٨٠	أقرءوا القرآن	٤	٢٢٦	أفلا أكون عبداً شكوراً
٦	١١٦	أقرءوا القرآن في شهر	٧	٣٥٤	أفلا تخرجون مع راعيتي في إله
١	٥٠	أقرأ أيام الكتاب... (من قول عائشة)	٩	٢٧٤	أفلا تعدت في بيت أبيك وأمك
٦	١١٢	أقرأ علي القرآن	٧	٥٤٥	أفلا كنتم أذنتموني به
٦	١٢٣ ١٢٤	أقرأ علي	٢	٣٥٣	أفلق إن صدق
			١٠	١٣٣	أفلق إن صدق
			٩	٣٧٨	أفلق وأبيه إن صدق
			١	٣١٠	أفلق وأبيه إن صدق
			٧	١٦٧	أفلق وأبيه إن صدق



الجزء	الصفحة	طرف الحديث	الجزء	الصفحة	طرف الحديث
١	٥٤٨	أكل عندها كفاف ثم صلى... (ميمونة)	٦	١١٢	أقرأ عليك وعليك أنزل؟!... (من قول ابن مسعود)
٦	٣٣٠	أكلت مع النبي فجعل ﷺ يتبع الدباء	٦	٦١	أقرأ يا ابن حضير
٦	٤٩٨	أكلت مغافير... (من قول عائشة)	٦	٢١	أقرأني جبريل على حرف فراجعت
٩	٣٩٥	أكلت مغافير؟	١٠	٢٨٤	أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد
٧	٣٤١	أكلوا من الأعمال ما تطيقون	١٠	٣٢٥	أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد
٢	٣٩٢	أكلما يقول ذو اليمين	٢	٢٠٤	أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد
٢	٣٨٩	أكلما يقول ذو اليمين؟	٧	٢٧٦	أقرب ما يكون العبد من ربه
٦	١٧٣	أكمل المؤمنين إيمانًا	١	٤٥٥	أقسمه بين الناس
		أكنتم تكرهون السعي بين الصفا	٧	٤٢٠	أقسموا واضربوا لي معكم بسهم
٥	٣٦٤	والمرءة	٩	٣٨٠	أقصه عنها
٧	٥٦٩	ألا أدلكم على أهل الجنة	٥	٦١٤	أقصوا الله، فالله أحق بالوفاء
٧	٥٥٥	ألا إن الله ينهاكم			أقم عندنا حتى تأتينا الصدقة فنأمر لك بها
		ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ	٥	١١٦	أقم عندنا حتى تأتينا الصدقة
١٠	٣٣٧	ألا تدع صورة	١	١٩٠	أقول: اللهم باعد بيني وبين خطاياي
		ألا أحدثكم بأمر إن أخذتم به أدركتم	٣	٢٢٥	أقيمت الصلاة، فعرض للنبي ﷺ رجل
٣	٤٠٧	من سبقكم	٣	٥٦	أقيمت الصلاة، والنبي ﷺ يناجي رجلًا
٧	٧٣٩	ألا أخبركم بأكبر الكبائر	٧	٧٧٨	أقيمت الصلاة، ورجل يناجي رسول الله ﷺ
٧	٦٢٥	ألا أخبركم بخير الشهداء	٣	٢٢١	أقيموا الركوع والسجود فوالله
٦	٥٧٨	ألا أخبركم بخير دور الأنصار	٣	١٨٨	أقيموا الصفوف فإني أراكم
٧	٢٧٧	ألا أخبركم بشيء تدركون به من سبقكم	٣	١٩٣	أقيموا صفوفكم، فإني أراكم
٢	٣٨١	ألا أخبركم عن الثلاثة	٣	١٨٩	أقيموا صفوفكم، وتراصوا
		ألا أخبركم عن النفر الثلاثة؟ أما أحدهم	٢	٢٦٠	أكان النبي ﷺ يصلي في نعليه؟ قال: نعم
١	١٩٥	فأوى			أكان رسول الله ﷺ يقرأ في الظهر
٧	٢٧٤	ألا أدلك على كلمة من كثر الجنة	٣	٢٢٨	والعصر
		ألا أدلك على كلمة هي كثر من كنوز الجنة	٩	٣١٠	أكبر الكبائر الإشراف بالله، وعقوق الوالدين
٧	٢٤٦	ألا أدلكم على خير من خادم	٩	٢١٨	أكبر الكبائر: الإشراف بالله، وقتل النفس
١	٦١٥	ألا أعلمكم أعظم سورة في القرآن	٧	٥٢٢	أكتب ما هو كائن
٦	٤٥	إلا الإذخر	١	٢٩٤	اكتبوا عني فإني لا أقول إلا حقًا
١	٢٩٦	إلا الإذخر	٩	٢٣٨	اكتبوا أبي شاه
٥	٥٩٤، ٥٨٨	إلا الإذخر	٤	١٣٦	أكثر أهلها النساء
٧	٥٥٠	إلا الإذخر	١٠	٥٤٥	أكثر من يتبعه اليهود
٧	٦٦٤	إلا الإذخر	٣	٤٧٤	أكثرت عليكم في السواك
٢	٦١٢	إلا الإقامة	٧	٥٤٧	الأكثرون أموالاً
٩	٤٢٤	إلا الدين أخبرني بذلك جبريل أمّا	٥	٤٤٦	أكل النبي ﷺ من هدي القرآن
٤	١١١	ألا إن الفتنة ها هنا، ألا إن الفتنة ها هنا			
		ألا إن الفتنة هاهنا من حيث يطلع قرن			

طرف الحديث	الجزء	الصفحة	طرف الحديث	الجزء	الصفحة
الشیطان.....	٩	٥١٤	ألم أخبر أنك تقوم الليل.....	٤	٢٤٤
ألا إن القوة الرمي.....	٧	٧٩٣	ألم أر البرمة على النار؟.....	٩	٦٧
إلا أن تروا كثراً يواحاً.....	٩	١٧٥	ألم أر البرمة فيها لحم؟.....	٦	٥٣٩
ألا أي شهر تعلمونه أعظم حرمة؟.....	٩	١١١	ألم أر البرمة.....	٦	١٨١
ألا بعثتم معها من يغني.....	٦	٣٢٩	ألم أنبهكم أن تلدوني.....	٧	٣٨٤
ألا تلدون أي يوم هذا؟.....	٩	٥٠٣	ألم أنبهكم أن تلدوني.....	٩	٢٦٢
ألا تراه قال: لا إله إلا الله.....	٤	٢٧٧	ألم تروا أنها تبت صفراء ملتوية.....	٧	٤٨٥
ألا تركبن الليلة بعيري... (من قول حفصة).....	٦	٤٣١	ألم تري أن قومك لما بنوا الكعبة اقتصروا.....	٥	٢٧٥
ألا ترى إلى بيتي؟ ما أقربه من المسجد.....	٢	٣١٩	ألم تري أن معجزاً انظر آتفاً إلى زيد.....	٩	٨٨
ألا تريحن من ذي الخلصة.....	٧	١٩٠	ألم تعلم أن القلم رفع عن ثلاثة... (من قول علي).....	٦	٥٢٢
ألا تصلون.....	١٠	١٤٧	إلى أن يصير ظل كل شيء مثليه.....	٢	٥٤٤
ألا تصليان.....	٤	٢٢١	آلى رسول الله ﷺ من نسائه.....	٦	٥٥٥
ألا تعجبون من غيرة سعد؟.....	٤	١٢٦	آلى رسول الله ﷺ من نسائه.....	٧	٦٠٠
ألا تقولونه يقول: لا إله إلا الله.....	٩	٣٤٢	إلى نصف الليل... (عن وقت صلاة العشاء).....	٢	٤٤٢
ألا رجل يتصدق عليه فيصلي معه.....	٤	٥٦	أليس إذا حاضت لم تصل ولم تصم.....	٢	١٧٠
إلا رقماً في ثوب.....	١٠	٣٣٦	أليس الذي أمشاه على الرجلين في الدنيا.....	٧	٤٣٦
إلا رقماً في ثوب.....	٩	٤٧٢	أليس حبسكم سنة رسول الله ﷺ.....	٥	٥٤٥
ألا صلوا في الرحال.....	٣	١٠٠	أليس شهادة المرأة مثل نصف شهادة الرجل.....	٢	١٧٠
ألا صلوا في الرحال.....	٣	٣٣	أليس قد صليت معنا؟.....	٩	١٥٣
ألا أقمنا... (علي و فاطمة).....	٣	٦١	أليسوا يحلون ما حرم الله.....	٧	٦١٥
ألا كتتم أذنتموني.....	٤	٤٠٦	أما إبراهيم فانظروا إلى صاحبكم.....	٧	٥٧٢
ألا لا يحج بعد العام مشرك.....	٥	٣٣٣	أما الذي يبلغ رأسه بالحجر.....	٤	٢٣٠
ألا هل بلغت.....	١٠	٣٨٨	أما الركوع فعظموا فيه الرب.....	١	٢٥٩
ألا وإن في الجسد مضغة.....	١	٣٤٩	أما الركوع فعظموا فيه الرب.....	١٠	٢٢٠
ألا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان.....	٥	١٥٧	أما الركوع فعظموا فيه الرب.....	٣	٣١٠
ألحقوا الفرائض بأهلها.....	٩	١٠	أما السجود فأكثرُوا فيه من الدعاء.....	٤	٢٣٤
ألحقوا الفرائض بأهلها.....	٩	٥٢، ٤٢، ٣٥، ٣٠	أما الطيب الذي بك فاغسله ثلاث.....	٦	١٠
ألحقوا الفرائض بأهلها.....	٩	٣٤	أما أنا فأفيض على رأسي ثلاثاً.....	١	٦٣٤
ألحقوا الفرائض بأهلها.....	٩	٤٧	أما أنا فلا أزال أخرجه كما كنت أخرجه... (من قول أبي سعيد).....	٥	١٤٤
ألحقوا الفرائض بأهلها، فما بقي.....	٥	٤٨٦	أما أنا والله فإني كنت أصلي... (من قول سعد).....	٣	٢٣٨
ألصيح أربعاً، ألصيح أربعاً؟.....	٣	٨٧	أما إنكم سترون ربكم كما ترون هذا، لا		
ألن عنك شعر الكفر واختن.....	٢	٣٥٩			
ألنقه على بلال؛ فإنه أئدى صوتاً منك.....	٢	٦٠٩			
ألك بينة؟.....	٩	٦٢٥			



طرف الحديث	الجزء	الصفحة	طرف الحديث	الجزء	الصفحة
تضامون.....	٢٠	٥٤٦	الطواف.....	٢٠	٣٦٧
أما أول أشرط الساعة: فنار تحشر الناس.....	٣	٤٣٣	أمر الناس أن يكون آخر عهدهم بالبيت.....	٥٠	٤٨٢
أما بعد فإنه لم يخف علي مكانكم لكنني خشيت.....	٣٠	٥٤٢	أمر النبي ﷺ أن يحرق نخل بني النضير.....	٥٠	١٣٩
أما بعد.....	٣٠	٥٤٤	أمر النبي ﷺ ألا يطوف بالبيت عريان.....	٢٠	٢٠٤
أما بعد.....	٤	١٤٨	أمر النبي ﷺ الرهط من جهينة وعكل.....	١٠	١٨٨
أما بعد: فإني أستعمل رجالا منكم على أمور.....	٩	٦٤٥	أمر النبي ﷺ العرنين.....	١٠	٥٥٩
أما ترضون أن يذهب الناس بالشاة.....	٣٠	٥٥٤	أمر النبي ﷺ أن يرض رأسه.....	٩	١٢٥
أما ترضين أن تكوني سيدة نساء أهل الجنة.....	٩	١١٢	أمر النبي ﷺ أن يسجد على سبعة أعضاء.....	٣٠	٣٤٤
أما تستحي المرأة أن تهب نفسها للرجل؟... (من قول عائشة).....	٦٠	٢٣٦	أمر النبي ﷺ أن يسجد على سبعة أعظم.....	٣٠	٣٥٤
أما شعرت أنا لا نأكل الصدقة.....	٥	١٠٨	أمر النبي ﷺ بالاضطجاع بعد ستة الفجر.....	٤	٤٩
أما علمت أن آل محمد لا يأكلون الصدقة.....	٥	١٠١٠	أمر النبي ﷺ بالعاتقة في كسوف الشمس.....	٤	١٤
أما غنمك وجارياتك فرد عليك.....	٣	٥٤٣	أمر النبي ﷺ بدفن الشهداء في ثيابهم التي قتلوا فيها.....	٤	٤٢٦
أما قطع السيل؛ فإنه لا يأتي عليك إلا قليل.....	٤	٦٣٠	أمر النبي ﷺ بركاة الفطر.....	٥٠	١٤٣
أما كان فيكم رجل رحيم.....	٣٠	٢٠٣	أمر النبي ﷺ عليا ض أن يقيم على إحرامه.....	٥٠	٢٣٨
أما لو أن أحدهم يقول حين يأتي أهله: بسم الله.....	٦٠	٣٣٩	أمر النبي ﷺ معاذ بن جبل وأبا موسى الأشعري.....	١٠	١٤٢
أما موسى كآني أنظر إليه إذا انحدر في أما والذي نفسي بيده لأقضي بينكما بكتاب الله.....	٥	٢٣٦	أمر النبي ﷺ من كان بالبيت أن يضربوه.....	٩	١٠
أما والذي نفسي بيده لأقضي بينكما بكتاب الله.....	٣	٥٤٣	أمر النبي ﷺ من لم يسق الهدى أن يجعلها عمرة.....	٥٠	٥٠
أما والله إني لأعلم أنك حجر... (من قول عمر).....	٥	٣١٧	أمر أن تقبر له قبة بنمرة.....	٥٠	٤٩١
أما والله لأستغفرن لك ما لم أنه عنك.....	٢٠	٦٣٨	أمر بركاة الفطر قبل خروج الناس إلى الصلاة.....	٥٠	١٤٥
أما والله لأستغفرن لك ما لم أنه عنك.....	٤٠	٥٧٨	أمر بلال أن يشفع الأذان، وأن يوتر الإقامة.....	٢٠	٦١٤ ٦٠٨
أما يخشى أحدكم، أو لا يخشى.....	٣٠	١٤٩	أمر بهم قطع أيديهم وأرجلهم، وسمر أعينهم.....	٩٠	١٢٥
إمام عادل، وشاب نشأ.....	٣٠	٣٧٤	أمر رسول الله ﷺ من لم يكن معه هدي.....	٥٠	٤٤٧
أمامكم حوض كياين جرياه وأذرح.....	٣٠	٥١٠	أمر رسول الله ﷺ أن يسرق من العين.....	٧٠	٤١٢
أمر الحيض أن يعتزل المصلى.....	٣٠	٦٢٥	أمر عائشة أن تخرج إلى التنعيم.....	٥٠	١٨٧
أمر الله بوفاء النذر... (من قول ابن عمر).....	٥٠	٦٣٧	أمر من صلى منفردا أن يعيد.....	١٠	٣٢١
أمر الله بوفاء النذر... (من قول ابن عمر).....	٧٠	٦٣٩	أمر من ضحك أن يعيد الوضوء والصلاة.....	١٠	٤٦٩
أمر الناس أن يكون آخر عهدهم بالبيت.....			أمرت أن أسجد على سبعة أعظم.....	٢٠	٢٣٨

طرف الحديث	الجزء	الصفحة	طرف الحديث	الجزء	الصفحة
أمرت أن أسجد على سبعة أعظم.....	٧.....	٤٤٩	أمرني أن آذن له.....	٦.....	٢٠٦
أمرت أن أسجد على سبعة.....	٣.....	٣٤٩	أمرني رسول الله ﷺ أن أتصدق بجلال		
أمرت أن أسجد على سبعة.....	٣.....	٣٥٤	البدن.....	٥.....	٤٢٤
أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا.....	١.....	٨٢	أمره النبي ﷺ أن يقتل بياء وسدر.....	٢.....	٣٥٩
أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله			أمره أن يعيد الذبح.....	٧.....	٥٨٤
إلا الله.....	٤.....	٦١٠	أمره رسول الله ﷺ أن يراجعها ثم		
أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا			يمسكها.....	٦.....	٦١٠
إله إلا الله.....	٤.....	٥٧٩	أمرهم أن يتعوذوا من عذاب القبر.....	٤.....	١٤١ ٥٣٣
أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا			أمرهم أن يجعلوها عمرة.....	٤.....	١٨٠
الله.....	٩.....	٣٢٤	أمرهم أن يخرجوا فيشربوا من أبوالها وألبانها.....	٩.....	١٢٥
أمرت أن أقاتل الناس.....	١٠.....	١٨٩	أمرهم أن يشربوا من أبوالها وألبانها.....	٤.....	٥٨٦
أمرت أن أقاتل الناس.....	١٠.....	٦١	أمرهن أن يعتزلن المصلى.....	٤.....	٣٧
أمرت بقرية تأكل القرى.....	٥.....	٦٥٤	أمرهن أن يعتزلن المصلى.....	٥.....	٣١
أمركم بأربع وأنهاكم عن أربع.....	١٠.....	٥٦٤	أمروا الحلق في غزوة الحديبية.....	١٠.....	٨٩
أمركم بأربع، وأنهاكم عن أربع.....	٤.....	٦٠٩	أمزامير الشيطان... (من قول أبي بكر)	٣.....	٦١١
أمركم بأربع، وأنهاكم عن أربع... (وفد عبد			امسح بالأس رب الناس.....	٧.....	٤١٧
القيس).....	٢.....	٤٤٩	أمسك بنصالها.....	٢.....	٣٤٤
أمرنا النبي ﷺ أن نغطي رأسه.....	٤.....	٤٤٠	أمسك بنصالها.....	٩.....	٥٠٢
أمرنا النبي ﷺ بإبرار المقسم.....	٧.....	٥٦٨	أمسك عليك بعض مالك.....	٧.....	٦١١
أمرنا النبي ﷺ بسبع ونهانا عن سبع.....	٤.....	٣٨١	أمسك عليك بعض مالك، فهو خير لك.....	٥.....	٢٣
أمرنا النبي ﷺ بسبع، ونهانا عن سبع.....	٦.....	٣٤٨	أمسك عليك بعض.....	٧.....	٦١٣
أمرنا النبي ﷺ بسبع.....	٧.....	٥٢٠	أمعك من القرآن شيء.....	١٠.....	٣٧١
أمرنا أن نخرج الحيض يوم العيدين.....	٢.....	٢٠٧	أمك.....	٣.....	٥٨
أمرنا أن نخرج العواتق... (من قول أم			أملكناكها بما أمعك من القرآن.....	٦.....	٢٤٨
عطية).....	٢.....	١٧٨	أمنت بالقدر خير وشره وحلوه وممره.....	٩.....	٤٨١
أمرنا أن نسجد على سبعة أعضاء؛			أمهلوا حتى تدخلوا ليلاً.....	٦.....	١٥٥
الجهة.....	٣.....	٢٥١	أميركم زيد، فإن قتل فجعفر.....	٤.....	٤٠٢
أمرنا أن نسجد على سبعة أعظم.....	٣.....	٣٤٥	أميطي عني.....	٧.....	٦٢٦
أمرنا رسول الله ﷺ بسبع ونهانا عن			أمين ولك بمنله.....	٦.....	٥٠
سبع.....	٧.....	٣١٤	إن الله يعطي بالرفق ما لا يعطي على		
أمرنا رسول الله ﷺ بسبع.....	٧.....	٦٦٦	العنف.....	١.....	٥٦١
أمرنا نبينا بأن نخرج العواتق وذوات			أن أبا أسيد الساعدي دعا النبي ﷺ		
الخدور.....	٣.....	٦٤٢	لعرسه.....	٦.....	٣٦٥
أمرنا نبينا بأن نخرج العواتق... (من قول			إن أبا بكر رجل أسيء... (من قول		
أم عطية).....	٤.....	١٠	عائشة).....	٣.....	١٨١
أمرني النبي ﷺ أن أقوم على البدن.....	٥.....	٤٣٥	أن أبا بكر ﷺ لم يكن يحنث... (من قول		



طرف الحديث	الجزء	الصفحة	طرف الحديث	الجزء	الصفحة
عائشة.....	٧	٥٣٣	مفتون.....	٧	٣٤٢
أن أبا بكر كتب له فريضة الصدقة.....	٥	٥٧	إن أردت بعبادك فتنة فاقبضني إليك غير مفتون.....	٧	٣٤٣
أن أبا حذيفة بن عتبة تبنى سالما.....	٦	١٦٨	إن أردت بعبادك فتنة فاقبضني إليك غير مفتون.....	٩	٤٢٣
إن أبا سفيان رجل شحيح... (من قول هند).....	٩	٦٢٣	إن أردت بعبادك فتنة فاقبضني إليك غير مفتون.....	٩	٥٣٧
إن أباها أخي من الرضاة.....	٦	٢٥٠	إن أردت بعبادك فتنة فاقبضني إليك غير مفتون.....	١٠	٦
أن أباها زوجها وهي ثيب فكرهت ذلك.....	٦	٢٨٢	إن أردت بعبادك فتنة.....	٧	٣٠٧
إن إبراهيم ابني، وإنه مات في الثدي.....	٤	٤٨٦	أن أسامة بن زيد ه كان ردف النبي ﷺ من عرفة.....	٥	٤٠٣
إن إبراهيم حرم مكة، وإني حرمت المدينة.....	٥	٥٨٠	أن أسامة ض كان ردف النبي ﷺ من عرفة.....	٥	٢٢٣
إن إبراهيم <small>عليه السلام</small> قال للنبي ﷺ: اقربني أمتك مني السلام.....	٧	٥١٦	إن أسدخلف فقد استخلف... (من قول عمر).....	٩	٦٦١
أن ابن عمر ه كان يبيت بذئ طوى.....	٥	٤٩٢	أن أشد الناس عذابا يوم القيامة.....	٧	٦٢٠
إن ابني هذا سيد.....	٧	٥٥٢	إن أشد الناس عذابا.....	٧	٦١٨
إن ابني هذا السيد.....	٩	٥٢٩	إن أصحاب هذه الصور يعذبون يقال لهم: أحياوا.....	١٠	٣٣٧
إن أتيا أتاني من ربي فبشرني أن الله يدخل الجنة.....	٧	٤٧٣	إن أصحاب هذه الصور يعذبون يوم القيامة.....	٧	٦٢٧
إن أحب أموالي إلي يبرحاء... (من قول أبي طلحة).....	٥	٦٦	إن أصحاب هذه الصور يعذبون.....	١٠	٥٦٥
إن أحذكم إذا صلي يتناجي ربه.....	٢	٤٦٥	إن أصحاب هذه الصور يعذبون.....	٦	٣٦١
إن أحذكم إذا قام في صلاته فإنما يتناجي ربه.....	٢	٢٩٣	إن أصحاب هذه الصور يعذبون.....	٧	٦٢٢
إن أحذكم إذا قام يصلي.....	٤	٣٦٤	إن أصحاب هذه الصور يعذبون.....	٧	٦٢٦
إن أحذكم إذا كان في الصلاة فإن الله قبل وجهه.....	٣	٢٣٣	إن أصدقها الإزار بقيت بلا إزار.....	٧	٢٢٥
إن أحذكم يجمع في بطن أمه.....	٧	٥٢١	إن أطيب ما أكلتم من كسبكم.....	٥	١٦٨
إن أحسن الحديث كتاب الله... (من قول ابن مسعود).....	١٠	٥٧	إن أعظم المسلمين جرما من سأل عن شيء.....	١	١١٢
أن أحق ما أخذتم عليه أجرًا كتاب الله.....	٦	٤٨	إن أعظم المسلمين جرما.....	١٠	٦٥
إن أحق ما أخذتم عليه أجرًا كتاب الله.....	٧	٤١١	إن أفضل صلاة المرأة في بيته.....	١٠	٦٨
إن أخاك رجل صالح.....	٩	٤٥٥	إن أفضل صلاة المرأة في بيته.....	١٠	٦٨
إن آخر أهل الجنة دخولا الجنة.....	١٠	٤٩٠	إن أفضلكم من تعلم القرآن وعلمه.....	٦	٨٠
إن أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر.....	٢	٤٩٩	أن أفلح أخا أبي القعيس جاء يستأذن عليها.....	٦	٢٠٦
إن أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر في ملك النبي سنة.....	١٠	٢٧٠	إن أكثر ما أخاف عليكم.....	٧	٣٠١
إن أذنت لي أعطيت هؤلاء.....	١	٦١٠			
إن أردت بعبادك فتنة فاقبضني إليك غير					

طرف الحديث	الجزء	الصفحة	طرف الحديث	الجزء	الصفحة
أن الإبل خلقت من الشياطين	١	٥٨٥	إن الروح إذا قبض اتبعه البصر	١٠	٨٢
أن الإبل خلقت من الشياطين	٢	٣٦٦	إن الروح إذا قبض تبعه البصر	١	٣٤١
إن الإسلام ليأرز إلى المدينة	٢	٥٩٩	إن الروح إذا قبض تبعه البصر	١٠	٤٣٢
إن الأكثرين هم المقولون يوم القيامة	٧	٣١٩	أن الساعة لن تقوم حتى تروا قبلها	٧	٤٣٣
أن الأمانة نزلت في جنر قلوب الرجال	٩	٥١٠	إن السبعين ألفاً يشفعهم الله في آباءهم	٧	٤٧٢
أن الأمانة نزلت من السماء	١٠	٥٧	أن الشمس خسفت على عهد رسول الله ﷺ	٤	١٤٨
إن الإيمان ليأرز إلى المدينة	٥	٦٦٤	إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله	١٢٤٤، ١٣٦٠، ١٤٦٠، ١٤٧٠	
إن البلاء موكل بالمنطق	٩	٢٠٢	إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله	٦	٤١٤
إن البيت الذي فيه الصور لا تدخله			إن الشمس والقمر آيتان	٧	٤٤٧
الملائكة	٧	٦٢٧	إن الشمس والقمر لا يخسفان لموت		
إن البيت الذي فيه الصور لا تدخله	٦	٣٦١	أحد	٤	١٤٣، ١٢٣
إن التليبية تجرم فؤاد المريض	٧	٣٦٨	إن الشمس والقمر لا ينكسفان لموت		
أن الحيض يخرجن إلى المصلى	٣	٦٣٢	أحد	٤	١٢٢، ١٢١
إن الخلاف شر... (من قول ابن مسعود)	٤	٤٥	إن الشملة التي أخذها يوم خير من المغنم	٧	٦٤٠
إن الخمر قد حرمت... (من قول أنس)	١٠	٣٨	إن الشهر تسع وعشرون	٢	٢٥٠
إن الدجال أعور، وإن ريكم ليس بأعور	١٠	٢٦٠	إن الشهر تسع وعشرون	٦	٤١٨
أن الذهب حرم على ذكور هذه الأمة	١٠	٨٧	إن الشهر يكون تسعاً وعشرين	٧	٦٠٠
إن الذي تدعونه أقرب إلى أحدكم من عنت			إن الشهر يكون تسعاً وعشرين يوماً	٦	٤٢٢
راحلته	١٠	٢٨٣	إن الشيطان عرض لي	٤	٣٢٥
إن الذي تدعونه أقرب إلى أحدكم	٧	٢٧٥، ٢٤٧	إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى		
إن الذي تدعونه المفصل هو			الدم	٢	٤٢٩
المحكم... (من قول ابن عباس)	٦	٩٥	إن الشيطان يجري من ابن آدم	٩	٦١٣
إن الذين جاءوا بالإفك... (من قول عائشة)	١٠	٥٤٦	إن الصبر عند أول صدمة	٩	٥٨١
إن الذين يصنعون هذه الصور	٧	٦١٨	إن الصلاة جامعة	٤	١٣٤، ١٢٧
إن الذين يصنعون هذه الصور	٧	٦٢٢	أن العباس ض استأذن النبي ﷺ لبييت	٥	٤٦٥
إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة	١٠	٤٣٠	إن العباس قد أسلفنا زكاة	٥	٨١
إن الرجل لينصرف، وما كتب له إلا			إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان	٧	٣٧٢
عشر صلواته	٢	٦١٦	إن العبد ليتكلم بالكلمة	٧	٣٧٠
إن الرسول ﷺ أخذ المدرأ وجعل يخشع	١٠	٣٦٥	إن العيش عيش الآخرة	٥	٥٣٢
أن الرسول ﷺ أقام بمكة عام الفتح			إن العين تدمع، والقلب يحزن	٤	٤٨٥
تسعة عشر يوماً	٢	٢٤٠	إن العين لتدخل الرجل القبر	٧	٦٠٧
أن الرسول ﷺ خطب الرجال، ثم نزل			إن العين نائمة، والقلب يقظان	١٠	٥٨
إلى النساء	٢	٢٠٩	إن العينين وكاء السه	١	٣٢٢
أن الرسول ﷺ كان يتخولهم	٦	٣٠٣	إن القبلة قد حولت	١	١١٥
أن الرهط الذين ولاهم عمر... (من قول			إن القتل قد استحر يوم اليمامة بقراء		
المسور بن مخرمة)	٩	٦٥٢			



الجزء	الصفحة	طرف الحديث	الجزء	الصفحة	طرف الحديث
١	٣٥٣	إن الله حي ستر يحب الحياة	٦	١٢	القرآن... (من قول عمر) ... إن القتل قد استحر يوم القيامة... (من قول عمر)
٢	٢٤	إن الله حي كريم يستحي	٩	٦٣٤	إن القرآن أنزل على سبعة أحرف إن الله أبدلكم بخير منها: عيد الأضحى
١	٣٥٢	إن الله حي كريم	٦	١٠١	إن الله اتخذني خليلًا إن الله أثنى عليكم
٢	٣٨١	إن الله حي كريم	٦	١٠١	إن الله أعطى كل ذي حق حقه، فلا وصية إن الله أنكحني في السماء... (من قول زينب)
٦	٣٣٢	إن الله حي كريم	٣	٦٠٥	إن الله بعث محمدًا ﷺ بالحق... (من قول ابن عباس)
٧	١٩٧	إن الله حي كريم	٧	٤٩١	إن الله تبارك وتعالى إذا أحب... إن الله تجاوز عن أمي ما حدثت به نفسها
٧	٥٠٣	إن الله خلق آدم على صورته	١	٤٠٩	إن الله تجاوز عن أمي ما حدثت... إن الله تصلى عليكم
٧	٣٤٥	إن الله خلق الرحمة يوم خلقها مائة رحمة	٩	١٧	أن الله تعالى أشد فرحًا بتوبة... أن الله تعالى تابع على رسوله ﷺ الوحي
٧	٣٤٦	إن الله خلق الرحمة يوم	١٠	٣٨٧	إن الله تعالى جميل يحب الجمال إن الله تعالى عرض بالخمر
٧	٣٤٦	إن الله خلق مائة رحمة	١٠	٤٤٢	أن الله تعالى محسن... إن الله تعالى يخوف بها عباده
٢	٣٧٠	إن الله خير عبدًا بين الدنيا	٦	٥٢٣	أن الله تعالى أشد فرحًا بتوبة... أن الله تعالى تابع على رسوله ﷺ الوحي
٩	٣٢٦	إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله	٧	٥٧٩	إن الله تعالى جميل يحب الجمال إن الله تعالى عرض بالخمر
٦	٦٣٠	إن الله طيب لا يقبل إلا طيبًا	١٠	٩٦	أن الله تعالى محسن... إن الله تعالى يخوف بها عباده
٤	١١٥	إن الله ع وكل بالرحم ملكًا	٦	٥١٥	أن الله تعالى أشد فرحًا بتوبة... أن الله تعالى تابع على رسوله ﷺ الوحي
٤	٢١٥	إن الله ع وكل بالرحم ملكًا	٦	٨	أن الله تعالى أشد فرحًا بتوبة... أن الله تعالى تابع على رسوله ﷺ الوحي
٧	١٤٧	إن الله ع يقبل توبة	٣	٤٧١	إن الله تعالى جميل يحب الجمال إن الله تعالى عرض بالخمر
١٠	٣٢٤	إن الله عن تعذيب هذا لنفسه لغني	٧	٧٩٣	أن الله تعالى محسن... إن الله تعالى يخوف بها عباده
٥	٦٣٩	إن الله عن تعذيب هذا لنفسه لغني	١٠	٢٢٣	أن الله تعالى أشد فرحًا بتوبة... أن الله تعالى تابع على رسوله ﷺ الوحي
١٠	٣٢٤	أن الله غني عن تعذيب هذا لنفسه	٤	١٣٢	أن الله تعالى محسن... إن الله تعالى يخوف بها عباده
١	٥٠٧	إن الله قال: قسمت الصلاة بيني	١	٥٦٨	أن الله تعالى أشد فرحًا بتوبة... أن الله تعالى تابع على رسوله ﷺ الوحي
٧	٦٥٨	إن الله قال: من عادى لي وليا	٧	٣٠٧	إن الله تعالى جميل يحب الجمال إن الله تعالى عرض بالخمر
٢	٥٨٢	إن الله قبض أرواحكم حين شاء	٣	٨٥	أن الله تعالى محسن... إن الله تعالى يخوف بها عباده
١٠	٤٥٨	إن الله قبض أرواحكم	٧	٤٤٦	أن الله تعالى أشد فرحًا بتوبة... أن الله تعالى تابع على رسوله ﷺ الوحي
٤	٣٣١	إن الله قبل أحدكم	٩	٢٣٨	إن الله تعالى جميل يحب الجمال إن الله تعالى عرض بالخمر
٩	١٣	إن الله قد أعطى كل ذي حق حقه فلا وصية	١	٢٩٦	أن الله تعالى محسن... إن الله تعالى يخوف بها عباده
٤	٢٧٧	إن الله قد حرم على النار	٦	٥٤٣	أن الله تعالى أشد فرحًا بتوبة... أن الله تعالى تابع على رسوله ﷺ الوحي
٤	٢٨٢	إن الله قد حرم على النار	٤	٢٨٢	أن الله تعالى محسن... إن الله تعالى يخوف بها عباده
٧	٣٨٥	إن الله كتب الحسنات والسيئات	٤	٢٨٣	أن الله تعالى أشد فرحًا بتوبة... أن الله تعالى تابع على رسوله ﷺ الوحي
٧	٦٧٣	إن الله كتب على ابن آدم حظه من الزنا	٥	٥٨٨	أن الله تعالى محسن... إن الله تعالى يخوف بها عباده
١٠	٦٧	إن الله كتب عليكم الحج فحجوا			
١٠	٥٥٤	إن الله كتب كتابًا قبل أن يخلق الخلق			
		إن الله كره لكم ثلاثًا: قيل وقال، وإضاعة المال			
٥	٩٠	إن الله كره لكم ثلاثًا: قيل وقال، وإضاعة المال			
٩	٣٨٧	إن الله كره لكم قيل وقال، وكثرة السؤال			

الجزء	الصفحة	طرف الحديث	الجزء	الصفحة	طرف الحديث
٤	٤٣١	إن الله يبعثه يوم القيامة ملياً أن الله يجعل السموات على إصبع والأرضين على إصبع	١٠	٣٢٩	إن الله لا يخفى عليكم إن الله لا يعذب بدمع العين، ولا يحزن القلب
١٠	٢٥٦	إن الله يحب الرفق في الأمر كله	٤	٤٨٩	إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً من صدور الرجال
٧	٢٦٣	إن الله يحب أن تؤتى رخصه	٦	٤٥٣	إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً من صدور الرجال
٣	١٠٤	إن الله يحدث من أمره ما شاء	٩	١٣٤	إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً
١٠	٥١٦	إن الله يحدث من أمره ما يشاء	١٠	٢٣٢	إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً
٤	١٠٦	إن الله يستعقبكم فاعتبوه	٧	٢٦٩	إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً
٧	٤٠٣	أن الله يعطي بالرفق ما لا	٧	٥٢٩	إن الله لا يمل حتى تملوا إن الله لا يتزعجه انتزاعاً من صدور الرجال
١٠	٢٩	أن الله يعطي بالرفق	٤	١٠٢	إن الله لا يتزعجه العلم انتزاعاً من صدور الرجال
٧	٢٦٣	إن الله يعطي بالرفق	٩	٤٩٨	إن الله لا يتزعجه العلم إن الله لا يغني عن تعذيب هذا نفسه
٧	٧٠٣	إن الله يعلم أن أحدكم كاذب، فهل منكم	١٠	٩٨	إن الله لا يغني عن تعذيب إن الله لا يغني عن تعذيب
٦	٥٨٣	تائب	٧	٦٣٧	إن الله لم يفرض السجود... (من قول ابن عمر)
٦	٤٤٣	إن الله يغار، وغيره الله	٧	٦٣٦	إن الله لم يفرض علينا السجود... (من قول عمر)
١٠	٥٢	إن الله يغنيكم أو نعشكم بالإسلام... (من قول أبي هريرة)	٤	١٦٨	إن الله لما قضى الخلق كتب عنده فوق عرشه إن الله لما قضى الخلق كتب
١٠	٣٥٩	إن الله يقبض يوم القيامة الأرض وتكون السموات	١٠	٣٨٩	إن الله لما قضى الخلق كتب عنده فوق عرشه إن الله لما قضى الخلق كتب
١٠	٥٠٢	إن الله يقول لأهل الجنة	٥	٣٠	إن الله لما قضى الخلق كتب إن الله لما قضى الخلق كتب
٧	٤٧٦	إن الله يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة	٩	٤٣١	إن الله لما قضى الخلق كتب إن الله لما قضى الخلق كتب
٧	٥٥٦	إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم	٤	٤٥٨	إن الله لما قضى الخلق كتب إن الله لما قضى الخلق كتب
٢	٢٩١	إن المؤمن لا ينجس	٤	٤٥٨	إن الله لما قضى الخلق كتب إن الله لما قضى الخلق كتب
٧	٥٥٤	إن المؤمن لا ينجس	٧	٣١٠	إن الله لما قضى الخلق كتب إن الله لما قضى الخلق كتب
٢	٣٨٨	إن المؤمن للمؤمن كالبنيان	١٠	٢٤٦	إن الله لما قضى الخلق كتب إن الله لما قضى الخلق كتب
٧	١٤٦	إن المؤمن يرى ذنوبه	٣٠	٣٧٥	إن الله لما قضى الخلق كتب إن الله لما قضى الخلق كتب
٧	٢٩٧	إن المؤمن لا يجنب	٣٠	٣٨٠	إن الله لما قضى الخلق كتب إن الله لما قضى الخلق كتب
١	٥٧٥	إن المرأة ناقصة في دينها وعقلها	٧	١٨٤	إن الله لما قضى الخلق كتب إن الله لما قضى الخلق كتب
٧	٣١٥	إن المكثرين هم المقولون يوم القيامة	٧	١٨٦	إن الله لما قضى الخلق كتب إن الله لما قضى الخلق كتب
٧	٦٢٦	إن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه الصورة	٧	٦٦٣	إن الله لما قضى الخلق كتب إن الله لما قضى الخلق كتب
١	١١٣	إن الميت لا أرضاً قطع	١٠	٢٢١	إن الله لما قضى الخلق كتب إن الله لما قضى الخلق كتب
٤	٤٥٩	إن الميت يعذب ببكاء أهله عليه	١٠	٢٢١	إن الله لما قضى الخلق كتب إن الله لما قضى الخلق كتب
٤	٤٥٨	إن الميت يعذب ببكاء أهله عليه	١٠	٢٢١	إن الله لما قضى الخلق كتب إن الله لما قضى الخلق كتب
٤	٤٥٨	إن الميت يعذب ببكاء أهله عليه	١٠	٢٢١	إن الله لما قضى الخلق كتب إن الله لما قضى الخلق كتب
٢	٤٣٠	إن الميت يعذب ببكاء أهله	١٠	٢٢١	إن الله لما قضى الخلق كتب إن الله لما قضى الخلق كتب



طرف الحديث	الجزء	الصفحة	طرف الحديث	الجزء	الصفحة
إن النار اشتكت إلى ربها.....	٧	٥٠٥	وجلسنا حوله.....	٣	٥٣٧
إن الناس قد صلوا ورددوا.....	٣	٤١٤	أن النبي ﷺ حج مرة واحدة.....	٥	٥٠٦
إن الناس قد صلوا وناموا.....	٧	٥٤٠	أن النبي ﷺ خرج إلى المصل		
أن الناس يحشرون يوم القيامة على ثلاثة أفواج.....	٧	٤٣٥	فاستسقى، فاستقبل.....	٤	٧٤
إن الناس يقولون: أكثر أبو هريرة.....	١	٣٢٣	أن النبي ﷺ خرج يوم الفطر، فصلى ركعتين.....	٤	٣٦
أن النبي ﷺ أتى نعيمان أو بابن نعيمان، وهو سكران.....	٩	١٠١	إن النبي ﷺ دخل بيتها يوم فتح مكة فاعتسل.....	٤	٢٦٨
أن النبي ﷺ أُرِدِف الفضل.....	٥	٤٠٣	أن النبي ﷺ دخل عام الفتح من كداء.....	٥	٢٦٧
أن النبي ﷺ استسقى فرغ يديه.....	٧	٢٠٠	أن النبي ﷺ دخل عام الفتح من كداء.....	٥	٢٦٧
أن النبي ﷺ استسقى فصل ركعتين، وقلب رداءه.....	٤	٩١	أن النبي ﷺ دخل مكة عام الفتح وعلى رأسه المغفر.....	٧	٤٧٩
أن النبي ﷺ استسقى فقلب رداءه.....	٤	٧٤	أن النبي ﷺ دعا بإناء من ماء، فأتي بقدرح.....	١	٥٣٣
أن النبي ﷺ أعطى لبيتي سعد بن الربيع الثلاثين.....	٩	٨	أن النبي ﷺ رأى رجلاً يطوف بالكعبة.....	٧	٦٣٦
أن النبي ﷺ اغتسل من الجنابة.....	١	٦٣٧	أن النبي ﷺ رأى رجلاً يطوف.....	٥	٣٣٢
أن النبي ﷺ أقبل من خير.....	٧	٢٤٩	إن النبي ﷺ رخص لهن.....	٥	٤٨٥
أن النبي ﷺ أمر بالوضوء من لحم الإبل.....	١	٥٤٣	أن النبي ﷺ ركب حماراً عليه إكاف.....	٧	٦٩٣
أن النبي ﷺ أمره أن يتعلم كتاب اليهود.....	٩	٦٤٣	أن النبي ﷺ سجد بالنجم.....	٤	١٦٠
أن النبي ﷺ أمره أن يردف عائشة.....	٥	٥١٥	إن النبي ﷺ ساء الزور.....	٧	٥٩٧
أن النبي ﷺ أمره أن يقوم على يده.....	٥	٤٣٥	إن النبي ﷺ صف بهم بالمصل.....	٤	٥١٨
أن النبي ﷺ أمرهم ألا يزعوا خفافهم إلا من جنابة.....	١	٥٤٠	أن النبي ﷺ صلي السبحة بالليل في السفر.....	٤	١٩٣
أن النبي ﷺ أهل وأصحابه بالحج.....	٥	٥١٥	أن النبي ﷺ صلى الظهر بالمدينة أربعاً.....	٥	٢٢٨
أن النبي ﷺ بعث معاذاً إلى اليمن.....	١٠	٢٠٣	أن النبي ﷺ صلى الظهر والعصر.....	٥	٤٨٢
أن النبي ﷺ بعثه وأتبعه بمعاذ... (عن أبي موسى).....	٩	٥٨٢	أن النبي ﷺ صلى بالمدينة سبعاً وثلاثين.....	٢	٤٨٤
أن النبي ﷺ تزوج ميمونة وهو محرم.....	٥	٥٩٧	أن النبي ﷺ صلى بهم الظهر.....	٣	٣٧٦
إن النبي ﷺ تزوجها وهو حلال.....	٥	٥٩٧	أن النبي ﷺ صلى بهم بالطحاء.....	٢	٤٠٢
أن النبي ﷺ تزوجها وهي بنت ست سنين.....	٦	٢٧٣	أن النبي ﷺ صلى في ثوب واحد.....	٢	٢١٢
أن النبي ﷺ تزوجها وهي بنت ست سنين.....	٦	٢٧٥	أن النبي ﷺ صلى يوم العيد ركعتين.....	٧	٥٥١
إن النبي ﷺ تنام عينه ولا ينام قلبه.....	٣	٤٣٠	أن النبي ﷺ صلى يوم الفطر ركعتين لم يصل قبلها.....	٣	٦٢٤
أن النبي ﷺ توضأ مرتين مرتين.....	١	٤١٨	أن النبي ﷺ ضرب في الخمر بالجريد.....	٩	٩٧
إن النبي ﷺ جلس ذات يوم على المنبر.....			إن النبي ﷺ قام فبدأ بالصلاة ثم خطب الناس.....	٣	٦٢١
			أن النبي ﷺ قتل يهودياً بجارية قتلها علي أوصاح لها.....	٩	٢٤٦

طرف الحديث	الجزء	الصفحة	طرف الحديث	الجزء	الصفحة
أن النبي ﷺ قرأ سورة النجم، فسجد بها	٤	١٦٠	أن النبي ﷺ كان يعجبه التيمن ما استطاع	٧	٥٨٨
إن النبي ﷺ قضى بالدين قبل الوصية	٩	١٣	أن النبي ﷺ كان يقبلها وهو صائم	٢	٢٢٩
أن النبي ﷺ قطع العرنين	٩	١٢٤	أن النبي ﷺ كان يقرأ بأم الكتاب	٣	٢٨٧
أن النبي ﷺ قطع يد امرأة	٩	١٢٠	وسورة معها	٣	٢٨٧
أن النبي ﷺ قيل له في الذبح	٥	٤٥٩	أن النبي ﷺ كان يقرأ في الظهر في الأولين	٣	٢٨٥
أن النبي ﷺ كان إذا أراد سفرًا أقرع بين نسائه	٦	٤٣١	أن النبي ﷺ كان ينفث على نفسه	٧	٤٠٨
أن النبي ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه	٦	٦٠	أن النبي ﷺ كان ينفث على نفسه	٧	٤٢٣
أن النبي ﷺ كان إذا صلى فإن كنت مستيقظة حدثني	٤	٢٤٩	أن النبي ﷺ كان يومًا يحدث	١٠	٥٠٢
أن النبي ﷺ كان إذا صلى فرج بين يديه	٢	٢٦٣	أن النبي ﷺ كانت تركز الحربة قدماه يوم الفطر	٤	٨
أن النبي ﷺ كان إذا طاف بالبيت الطواف الأول	٥	٣٢٦	أن النبي ﷺ لآعن بين رجل وامرأته	٦	٥٩٢
أن النبي ﷺ كان إذا قام للهجد من الليل يشوص فاه	٤	٢٢٧	أن النبي ﷺ لم يدخل بيتها إلا صلاهما	٥	٣٤٥
أن النبي ﷺ كان أهل بعمره عام الحديبية	٥	٥٤٧	أن النبي ﷺ لم يكن يترك في بيته	٧	٦٢٣
أن النبي ﷺ كان خاتمه من فضة	٧	٥٤٠	أن النبي ﷺ لما جاء إلى مكة	٥	٢٦٦
أن النبي ﷺ كان في سفر فقرأ في العشاء	٣	٢٦١	أن النبي ﷺ مر وهو يطوف بالكعبة	٥	٣٣٢
أن النبي ﷺ كان لا يدع أربعًا قبل الظهر	٤	٢٧١	أن النبي ﷺ مر وهو يطوف بالكعبة	٧	٦٣٦
أن النبي ﷺ كان لا يرد الطيب	٧	٥٩١	أن النبي ﷺ مسح على خفيه	١	٥٣٧
إن النبي ﷺ كان لا يصلي هذه الساعة	٥	٣٩٥	أن النبي ﷺ نهي أن يلبس السلاح في بلاد الإسلام	٣	٦٢٩
أن النبي ﷺ كان له حصير يسطه بالنهار	٣	٢٠٤	أن النبي ﷺ نهي عن اشتغال الصماء	٧	٤٨٩
أن النبي ﷺ كان يأتي فباء ماشيًا وراكبًا	١٠	١٣١	أن النبي ﷺ نهي عن الصلاة في أعطان الإبل	٢	٣٦٥
أن النبي ﷺ كان يبيع نخل بني النضير	٦	٦٤٦	إن النبي ﷺ نهي عن المتعة	٦	٢٤٣
أن النبي ﷺ كان يتكئ في حجري	٢	١٦١	إن النبي ﷺ نهي عن المتعة وعن لحوم الحمر	٩	٣٨٢
أن النبي ﷺ كان يرى ويص المسك في مفارقه	٥	٦٠٣	إن النبي ﷺ نهي عن ثمن الدم	٧	٦٢٧، ٦١١
أن النبي ﷺ كان يصلي ركعتين	٤	٢٦٣	أن النبي ﷺ نهي عن لبس الحرير	٧	٤٩٦
أن النبي ﷺ كان يصلي علي راحلته	٤	١٩١	أن النبي ﷺ وأبا بكر، وعمر كانوا يفتحون الصلاة	٣	٢٢٥
أن النبي ﷺ كان يصوم تسع ذي الحجة	٣	٦٣٤	إن النبي ﷺ وقت لأهل المدينة ذا الحليفة	٥	١٨٠
أن النبي ﷺ كان يضرب شعره منكبيه	٧	٥٦٩	أن النبي ﷺ وقت لأهل المدينة ذا الحليفة	٥	١٨٩
أن النبي ﷺ كان يطوف على نسائه	٦	١٤٢	أن النبي ﷺ كان يطول في الركعة الأولى	٣	٢٨٨
أن النبي ﷺ كان يطول في الركعة الأولى	٣	٢٨٨	أن النبي ﷺ كان يعم، ويلبس برده الأحمر	٢	٢٠٤



الجزء	الصفحة	طرف الحديث	الجزء	الصفحة	طرف الحديث
٣	١٣	إن بلالاً يؤذن بليل فكلوا	٥	٦٠٩	الحليفة
٣	١٠	إن بلالاً يؤذن بليل، فكلوا	١٠	٦٣٣	أن النبي ﷺ وميمونة كانا يغتسلان من إبناء واحد
٣	١٨	إن بلالاً يؤذن بليل، فكلوا	٤	١٩٣	أن النبي ﷺ يوم فتح مكة اغتسل
١٠	٣٤	إن بلالاً ينادي بليل	٩	٦٣٩	أن النبي ﷺ قضى بالشاهد واليمين
٣	١٣	إن بلالاً ينادي بليل، فكلوا واشربوا	٧	٦٢٠	إن النذر لا يقدم شيئاً
٦	٥٣٥	إن بني المغيرة استأذنوا في أن ينكح علي ابنتهم	٧	٦٢٣	إن النذر لا يقدم شيئاً
٦	٤٥٠	إن بني هشام بن المغيرة استأذنوا في أن ينكحوا	٩	٣٢٦	إن اليهود إذا سلموا على أحدكم إنهم يقولون
٩	٤٩٧	إن بين يدي الساعة أياماً يرفع فيها العلم	٧	٥٦٦	إن اليهود والنصارى لا يصعبون
٩	٤٩٧	إن بين يدي الساعة أياماً ينزل فيها الجهل	٧	٥٦٥	أن أم سلمة أرتة شعر النبي ﷺ أحمر
٩	٤٩٧	إن بينك وبينها باباً مغلقاً... (من قول حذيفة لعمر)	١	٣٦٧	إن أمي يدعون يوم القيامة غرا
٢	٤٥١	أن تؤمن بالقدر	٧	٣٧٢	إن أمثل ما تداوتم به الحجامه والقسط البحري
٧	٥٢١	أن تجعل الله نداً وهو خلقك	٦	٢٨٢	أن امرأة بكرأ جاءت إلى النبي ﷺ
١	١٠١	أن تجعل الله نداً وهو خلقك	٦	٢٨٢	فقلت: يا رسول الله إن أبي زوجني
١٠	٥١٤	أن تجعل الله نداً وهو خلقك	٦	٢٨٢	أن امرأة ماتت في بطن، فصلى عليها النبي ﷺ
٩	١٣٣	أن تجعل الله نداً وهو خلقك	٢	٢٤٥	أن امرأة يهودية أتت الرسول ﷺ بشاة مسمومة
٩	٢٠٥	أن تجعل الله نداً وهو خلقك	٦	١٨٥	إن امرأتى ولدت غلاماً أسود
١٠	٥٣٤	أن تدعو الله نداً وهو خلقك	١	١٠٧	إن أمن الناس على في صحبته وماله
٩	٢١١	أن تدعو الله نداً وهو خلقك	٢	٣٧١	إن أنفسنا بيد الله... (من قول علي)
١	٥١٤	أن تزاني حليلة جارك	٣	٦١	إن أهل الإسلام لا يسيئون... (من قول ابن مسعود)
١	٥٣٤	أن تزاني حليلة جارك	٩	٦٦	إن أهل الجنة ليرامون الغرف
٦	٢٧٨	أن تسكت	٧	٤٧٩	إن أهل الجنة ليرامون أهل الغرف
٤	٦٣٥	أن تصدق وأنت صحيح صحيح تخشى الفقر	٧	٢٠٩	إن أهل هذه الصور يعذبون
٩	٦٢٨	إن تطعنوا في إمارته فقد كنتم تطعون	١	١٢٨	إن أهون أهل النار عذاباً
٧	٤٧٣	أن تعبد الله كأنك تراه	٢	٤٨٥ ٤٨٦	إن أول ما نبدأ به في يومنا
٩	٤٢٦	أن تعبد الله كأنك تراه	٣	٦٣١	إن أول ما نبدأ في يومنا هذا أن نصلي
١٠	٥١٤	أن تقتل ولداً مخافاً أن يطعم معك	٣	٦٢٦	إن أول ما نبدأ من يومنا هذا أن نبدأ
١	٥٣٤	أن تقتل ولداً مخافاً أن يطعم معك	٣	٦١	بالصلاة
٩	١٣٦	أن تقتل ولداً من أجل أن يطعم معك	٣	٦٤٣	إن أول نسكنا في يومنا هذا أن نبدأ
٥	٢٢٩	أن تلبية رسول الله ﷺ: ليك اللهم ليك	٤	١١٠	بالصلاة
٩	٤٣٤	أن تلد الأمة رها	٢	٣٠٨	إن أولئك إذا كان فيهم الرجل
٧	٥٦٣	إن ثلاثة في بني إسرائيل			
٦	٥٨٦	إن جاء به أحمر قصيراً كأنه وحره فلا أراها إلا قد صدقت			

طرف الحديث	الجزء	الصفحة	طرف الحديث	الجزء	الصفحة
إن جبريل أتاني، فأخبرني أن فيها قدرًا	١	٥٧٤	إن رسول الله ﷺ أذن للظعن	٥	٤٠١
أن جبريل بشرني أن من مات لا يشرك	٧	٣١٨	أن رسول الله ﷺ أعتق صفية وتزوجها	٦	٣٤٥
إن جبريل ش ناداني قال: إن الله قد سمع			أن رسول الله ﷺ أعتق صفية	٦	١٦٤
قول قومك	١٠	٢٨٩	إن رسول الله ﷺ اعتمر أربع عمرات	٥	٥٠١
أن جبريل كان يعارض الرسول ﷺ			أن رسول الله ﷺ أناخ بالبطحاء	٥	١٩٠
بالقرآن	٧	٧٦٤	إن رسول الله ﷺ برئ من الصالقة،		
إن جبريل يقرأ عليك السلام	٧	٦٩٣	والخالقة	٤	٤٧٣
إن حبسني حابس	٥	٦٠٢	أن رسول الله ﷺ جمع في حجة الوداع	٥	٣٩٤
إن حقا على الله أن لا يرفع شيئًا	٧	٤٠٢	إن رسول الله ﷺ حد لأهل نجد قرنًا	٥	١٩٠
إن خالدًا احتبس أدراعه في سبيل الله	٥	٧٨	أن رسول الله ﷺ حين توفي سجي يرد		
إن خلق أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين			حبرة	٧	٤٨٤
يومًا	١٠	٤٢٨	أن رسول الله ﷺ دخل عام الفتح وعلي		
إن خلوفا فم الصائم عند الله	٤	٢٤٣	رأسه المغفر	٥	٦٠٩
إن خنساء بنت خدام أنكحها أبوها وهي			أن رسول الله ﷺ دخل مكة	٥	٢٦٦
كارهة	٩	٣٩٤	أن رسول الله ﷺ رآه وقملة يسقط على		
إن خير التابعين رجل يقال له أويس	٤	٧٣	وجهه	٥	٥٥٢
إن دم الحيض أسود يعرف	٢	١٩١	أن رسول الله ﷺ رأى رجلاً قد شبك	٢	٣٩٠
إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام			أن رسول الله ﷺ رأى في جدار القبلة		
عليكم	٩	٣٦٩	مخاطبًا	٢	٢٨٦
إن دماءكم، وأموالكم	٧	٤٥٤	أن رسول الله ﷺ ركب على حمار	٧	٦٣١
إن ذلك شيطان يسمى: «خنزب»	٣	٢٢٢	أن رسول الله ﷺ سابق بين الخيل التي		
إن ذلك لا يحل لي	٦	٢٣٠ ٥٩٣	أضمرت	٢	٢٩٤
إن رؤيا الأنبياء وحي	٣	٤٣٠	أن رسول الله ﷺ سقط عن فرسه	٢	٢٤٩
إن ربك يسارع في هواك	٤	٩٧	أن رسول الله ﷺ صلى الصبح بغلس	٣	٥٩٧
إن رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ كانوا			أن رسول الله ﷺ صلى الظهر خمسا	٤	٣٥٢
يرون الرؤيا	٩	٤٦٤	أن رسول الله ﷺ صلى العصر والشمس	٢	٤٨٩
أن رجلاً رأى كلبًا يأكل الثرى	١	٤٥٦	أن رسول الله ﷺ صلى فيه	٥	٣١٣
أن رجلاً من أسلم أتى رسول الله ﷺ فحدثه	٩	١٤٢	أن رسول الله ﷺ طاف بالبيت وهو على		
أن رجلاً من الأنصار قذف امرأته،			يعبر	٥	٣٤٦
فأحلفها	٦	٥٨١	أن رسول الله ﷺ فرض زكاة الفطر	٥	١٤١
أن رجلاً من بني إسرائيل سأل بعض			أن رسول الله ﷺ فرق بين رجل	٦	٥٩٢
بني إسرائيل	٥	١٢٢	أن رسول الله ﷺ قام في صلاة الظهر	٤	٣٦٢
إن رحمتي تغلب غضبي	١٠	٣١٨	إن رسول الله ﷺ قام من اثنتين من		
إن رحمتي سبقت غضبي	١٠	٤٥٢	الظهر	٤	٣٤٧
أن رسول الله ﷺ اتخذ خاتماً من ذهب	٧	٥٣٥	إن رسول الله ﷺ قد أنزل عليه الليلة		
أن رسول الله ﷺ اتخذ خاتماً من ذهب	٧	٥٣٥	قرآن	٢	٢٨٤



طُرف الحديث	الجزء	الصفحة	طُرف الحديث	الجزء	الصفحة
إن رسول الله ﷺ قضى في بروع بنت واشق.....	٦	٦٣٢	العشاء.....	٢٢	٥٣٢
أن رسول الله ﷺ قضى في جنين امرأة.....	٩	٢٨٧	أن رسول الله ﷺ كان ينقل معهم الحجارة.....	٢	٢٢١
أن رسول الله ﷺ قضى فيمن زني.....	٩	١٧٨	أن رسول الله ﷺ كفن في ثلاثة أبواب بيانية.....	٤	٤٢٣
أن رسول الله ﷺ قطع في مجن ثمنه.....	٩	١١٧	أن رسول الله ﷺ لبس خاتم فضة في يمينه.....	١	٤٤٥
أن رسول الله ﷺ كان إذا اعتكف المؤذن.....	٣	١٣	أن رسول الله ﷺ نحر قبل أن يحلق.....	٥	٥٤٦
أن رسول الله ﷺ كان إذا خرج إلى مكة.....	٥	٥٣٥	أن رسول الله ﷺ نهي عن الحرير.....	٧	٤٩٥
أن رسول الله ﷺ كان إذا خرج يوم العيد.....	٢	٤٠١	أن رسول الله ﷺ نهي عن الشغار.....	٦	٢٣٢
أن رسول الله ﷺ كان إذا طاف في الحج.....	٥	٣٢٦	أن رسول الله ﷺ نهي عن القزع.....	٧	٥٨٠
أن رسول الله ﷺ كان يؤتى بالصبيان فيبرك.....	٥	١٣٧	أن رسول الله ﷺ نهي عن النجش.....	٩	٣٨٨
أن رسول الله ﷺ كان يتخولنا بالموعظة.....	٧	٢٨٠	إن ساقيه في الميزان أثقل من أحد.....	١٠	٥٧١
أن رسول الله ﷺ كان يجمع بين هاتين الصلاتين.....	٤	١٩٧	إن شئت أنكحتك حفصة... (من قول عمر).....	٦	٢٦٦
أن رسول الله ﷺ كان يخرج من طريق الشجرة.....	٥	١٩١	إن شئت أنكحتك حفصة... (من قول عمر).....	٦	٢٩٨
أن رسول الله ﷺ كان يرفع يديه حذو منكبيه.....	٣	٢١٣	إن شئت بقيت معه، وإن شئت.....	٦	١٨٢
أن رسول الله ﷺ كان يسبح علي ظهر راحلته.....	٤	١٩٤	إن شئت حبست أصلها.....	٧	٦٣٩
أن رسول الله ﷺ كان يصلي إحدى عشرة ركعة.....	٤	٢١٦	إن شئت حبست أصلها.....	٧	٦٤٠
أن رسول الله ﷺ كان يصلي الصبح.....	٣	٤٤٧	إن شئت صبرت ولك الجنة.....	٧	٣١٦
أن رسول الله ﷺ كان يصلي العصر فيأتي العولي.....	١٠	١٣٢	إن شئت أعطيتكما، ولا حظ فيها لغني.....	٥	٨٥
أن رسول الله ﷺ كان يصلي جالسًا.....	٤	٢٠٧	إن شئت أعطيتكما، ولا حظ فيها لغني.....	٥	١٠
أن رسول الله ﷺ كان يصلي قبل الظهر ركعتين.....	٣	٥٦٢	إن شئت شاة لحم.....	١٠	٣٠٩
أن رسول الله ﷺ كان يصلي قبل الظهر ركعتين.....	٥	٣٢	إن شدة الحر من فيح جهنم.....	٢	٤٧٥
أن رسول الله ﷺ كان يصلي وهو حامل أمامة.....	٢	٤٣٦	إن شدة الحر من فيح جهنم.....	٣	٣٠
أن رسول الله ﷺ كان يقول في دبر كل صلاة إذا سلم.....	٧	١٨٧	إن شر الناس فؤال وجهين.....	٩	٦٢١
أن رسول الله ﷺ كان يكره النوم قبل			إن شهادة المرأة مثل نصف شهادة الرجل.....	٢	١٧٣
			إن صلي قائمًا فهو أفضل.....	٤	٢٠٠
			أن عائشة أنكرت ذلك على فاطمة.....	٦	٦٠٧
			أن عائشة زوج النبي ﷺ أخبرته أن النكاح في الجاهلية.....	٦	٢٦٢
			إن عادوا فعد.....	١٠	٣٦٥
			أن عبد الرحمن بن عوف تزوج امرأة على وزن نواة.....	٦	٣٠٩

طرف الحديث	الجزء	الصفحة	طرف الحديث	الجزء	الصفحة
أن عبد الله بن عمر كتب إلى عبد الملك بن مروان.....	١٠	٥٣	إن كان في شيء من أدويتكم.....	٧	٣٥٩
إن عبد الله رجل صالح.....	٩	٤٦٤، ٤٦٦	إن كان ليسمع بكاء الصبي فيخفف.....	٣	١٧٤
إن عبدًا خيره الله تعالى بين أن يعيش في الدنيا.....	١	٢٣٤	إن كان ما تقول فكانا تسفههم.....	١	٣١
إن عصية عصوا الله ورسوله.....	٧	٢٦٣	إن كان ولا بد فأعطوا الطريق حقه.....	٥	٤٧١
إن عفريتًا من الجن تغلت على البارحة.....	٢	٣٥٦	إن كانت هذه لصلاته حتى فارق الدنيا.....	٣	٣١٨
إن عليه كلاليب مثل شوك السعدان.....	٧	٥٠٥	أن كلنا يدي الله يمين.....	٤	٦٢٦
إن عمرة في رمضان حجة.....	٥	٥٠٨	إن كنا لتتكلم في الصلاة... (من قول زيد بن أرقم).....	٤	٣٠٤
أن عمرو بن العاص أجنب في ليلة باردة فتيمة.....	٢	١٨٧	إن كنت تريد السنة فهجر... (من قول سالم).....	٥	٣٨٢
إن عند كل أذانين ركعتين.....	٤	٢٧٤	إن كنت فاعلاً فواحدة.....	٤	٣٢٠
إن غم عليكم فأكملوا.....	٧	٦٠٠	إن كنتم تطعنون في إمرته.....	٧	٥٣٧
إن فاطمة بضعة مني يريني ما رابها.....	٦	٣١٣	إن لربك عليك حقًا ولنفسك.....	٦	٩٧
إن فاطمة بضعة مني.....	٦	٢٦٣	إن لكل نبي حوضًا.....	٧	٥٠٩
إن في الجنة لشجرة يسير.....	٧	٤٧٨	إن الله تسعة وتسعين اسمًا.....	١	٥٦
إن في الجنة لشجرة.....	٧	٤٧٨	إن الله تسعة وتسعين اسمًا مائة إلا واحدًا.....	١٠	٢٩٩
إن في الجنة مائة درجة أعدها الله.....	١٠	٣٩١	إن الله تسعة وتسعين اسمًا من أحصى.....	١٠	٢١٩
إن في الصلاة شغلًا.....	٢	٦٣٢	إن الله عبادًا لا يكلمهم الله تعالى.....	٩	٧٠
إن في الصلاة شغلًا.....	٤	٣٠٣	إن الله ما أخذ وله ما أعطى، وكل عنده بأجل مسمى.....	٤	٤٥٥
إن في الصلاة شغلًا.....	٤	٣٣٤	إن الله ما أخذ وما أعطى.....	٧	٥٦٨
إن في الصلاة لشغلًا.....	٤	٣٠٦	إن الله ما أخذ، وله ما أعطى، وكل إلى أجل مسمى، فلتصبر ولتحتسب.....	١٠	٤٢١
إن في نواصيها الخير.....	١٠	١٧١	إن الله ملائكة يطوفون في الطرق، يلتمسون أهل الذكر.....	٧	٢٧٢
إن فيمن كان قبلكم محدثون.....	١	٢٣٧	إن لم تبكوا فتباكوا.....	٦	١٢٣
إن فيه شفاء.....	٧	٣٧٤	إن لم تجديني فأتني أبا بكر.....	١	٣٠٤
إن قدر حوضي كما بين أيلة وصنعاء.....	٧	٥١١	إن لم تجديني فأتني أبا بكر.....	٧	٧٢٤
إن قريشًا أبطنوا عن الإسلام، فدعا عليهم النبي ﷺ.....	٤	٨٢	إن لم تجديني فأتني أبا بكر.....	٩	٦٦٢
إن قومك قصرتم بهم النفقة.....	١٠	١١	إن لم تجديني فأتني.....	١٠	١٧٦
إن قومك قصرتم بهم النفقة.....	٥	٢٧٧	إن لم تزد على أم القرآن أجزأت... (من قول أبي هريرة).....	٣	٢٦٣
إن كان الشؤم في شيء ففي الدار.....	٦	١٧٧	إن لنفسك عليك حقًا.....	٩	١٨٢
إن كان رسول الله ﷺ ليدع العمل.....	٤	٢٢٣	إن له دسمًا.....	١	٥٤٩
إن كان رسول الله ﷺ ليصلي الصبح.....	٣	٤٤٠	إن له دسمًا.....	١	٥٥٤
إن كان في شيء ففي الفرس، والمرأة.....	٦	١٧٨	إن له مرضعًا في الجنة.....	٤	٤٨٦
إن كان في شيء من أدويتكم خير.....	٧	٣٧٥			
إن كان في شيء من أدويتكم شفاء.....	٧	٣٧٦			



طرف الحديث	الجزء	الصفحة	طرف الحديث	الجزء	الصفحة
إن لو تفتح عمل الشيطان.....	٧	٣٦٦	أن ناسًا من عربة اجتروا المدينة.....	٥	١٣٤
أن مري غلامك التجار يعمل لي أعوادًا.....	٢	٣٤٢	أن نبي الله ﷺ كان يطوف على نسائه في		
أن معاذ بن جبل كان يصلي مع النبي ﷺ.....	٣٠	١٦٦	الليلة الواحدة.....	٦	٤٣٧
إن معه ماءً ونارًا، فإياه ماء بارد.....	٩	٥٥٤	أن نبي الله ﷺ كان يطوف على نسائه في		
إن مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله.....	١	٢٣٣	الليلة.....	٢	٣٠
إن مكة حرمة الله ولم يحرمها الناس.....	١	٢٧٥	أن نبي الله ﷺ وزيد بن ثابت ض تحسرا.....	٤	٢٢٧
إن مكة حرمة الله ولم يحرمها الناس.....	٥	٥٧٩	أن نرى كثرًا بواحا عندنا فيه من الله برهان.....	٩	٥٣٢
إن مما أخاف عليكم من بعدي.....	٥	٧١	أن نعل النبي ﷺ كان لها قبالة.....	٧	٥٢٨
أن من أتى كاهنًا فنصده.....	٧	٤٣٠	إن هاتين الصلاتين حولنا عن وقتها.....	٥	٤٠٥
إن من أشراط الساعة: أن يرفع العلم.....	١	٢٣١	إن هدايا المال غلول.....	٥	١٣٣
إن من أشراط الساعة: أن يرفع العلم.....	٦	٤٥٢	إن هذا الأمر في قريش لا يعاديهم أحد إلا		
إن من أفرى القرى أن يري عينه ما لم تر.....	٩	٤٧٢	كبه الله.....	٩	٥٦٥
إن من البيان لسحرا.....	٦	٣٠٠	إن هذا البلد حرمة الله، لا يعضد شوكة.....	٥	٢٨٦
إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها.....	١٠	١٨٣	إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف.....	١٠	٥٤٩
إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها.....	١٠	٣٥٥	إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف.....	٩	٣٤١
إن من الشجر شجرة مثلها كمثل			إن هذا الال خضرة حلوة.....	٧	٣١٣
المسلم.....	١٠	٢١٨	إن هذا أمر كتبه الله على بنات آدم.....	٢	١٥٦
إن من الشجر شجرة مثلها.....	٧	٤٠٤	إن هذا حد الله، وإنك لم تحمد الله.....	٤	٣٨٥
أن من جاء منهم مسلما.....	١٠	٨٣	إن هذا قيام داود.....	٧	٧٤٤
أن من خرج على الإمام.....	١٢	١١٧	إن هذه الحجة السوداء شفاء من كل داء.....	٧	٣٦٦
أن من خرج عن الجاعة، فإنه شاذ.....	١٠	١١٧	إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من		
إن من ضئضئ هذا قومًا يقرعون.....	١٠	٤٠٤	كلام الناس.....	٤	٥١٠
إن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره.....	٩	٢٤٨	إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء.....	١٠	٢٤٣
إن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره.....	٩	٢٥٧	إن هذه الصلاة لا يصلح.....	٤	٣١٤
أن من قرأ آية الكرسي في ليلة لم يزل			إن هذه القبور مملوءة ظلمة على أهلها.....	٤	٥١٥
عليه.....	٦	١١٥	إن هذه النار إنما هي عدو لكم.....	٧	٧٧٩
إن من كان قبلكم اختلفوا فأهلكهم.....	٦	١٣٠	إن هذه من ثياب الكفار.....	٢	٢٣٨
إن من ورطات الأمور... (من قول ابن عمر).....	٩	٢١٢	إن وجدتم فلا تأمروا فاحرقوها بالنار.....	٩	٣١٩
إن منكم منفرين.....	٣	١٦٨	إن وجدتموه فاجعلوه بين حزمتي حطب.....	٩	٣٢٠
إن تأخذ بسنة النبي ﷺ فإنه لم يحل.....	٥٠	٢٤١	الآن يا عمر.....	١	٦٣
إن تأخذ بكتاب الله فإنه يأمرنا			الآن يا عمر.....	٧	٥٤٤
بالتهام... (من قول عمر).....	٥٠	٢٤١	إن يخرج وأنا فيكم فانا حجيجه دونكم.....	٣	٣٨٣
أن ناسًا اختلفوا عندها يوم عرفة.....	٥٠	٣٨٢	أن يد السارق لم تقطع علي عهد النبي ﷺ إلا		
أن ناسًا طافوا بالبيت بعد صلاة الصبح.....	٥٠	٣٤٤	في ثمن.....	٩	١١٦
إن ناسًا من الأنصار سألوا رسول الله			إن يطعموا أبا بكر وعمر يرشدوا.....	٤	٣٠٦
ﷺ، فأعطاهم.....	٥٠	٨٢	إن يعيش هذا لا يدركه الهرم.....	٧	٤١٦

الصفحة	الجزء	طرف الحديث	الصفحة	الجزء	طرف الحديث
٢٢٦	٧	إننا لا ندخل بيتاً فيه صورة ولا كلب	٤١٦	٧	إن يعيش هذا لا يدركه الهرم
٢٦٨	٧	إننا لا نولي هذا الأمر أحداً سألناه	٢٥٣	٦	إن يك هذا من عند الله يمضه
٥٧٧	٩	إننا لا نولي هذا من سألناه	٢٨٢	٢	إن يكن فيكم محدثون فعمرو
٣٦٢	٦	إننا لم نؤمر أن نكسو الحجارة والطين	٤٣٠	٤	إن يكن فيكم محدثون فعمرو
٥٦٤	٥	إننا لم نرده عليك إلا أنا حرم	٤٠٠	٧	إن يكن فيكم محدثون فعمرو
٥٦٨	٥	إننا لم نرده عليك إلا أنا حرم	١٥٤	٦	إن يكن هذا من عند الله يمضه
٥٢١	١٠	أنا مع عبدي	٥٧١	٤	إن يكن فلان تسلط عليه
١٧٢	٩	إننا معاشر الأنبياء لا نورث	٣٨٥	١٠	إن يمين الله ملائ لا يغيضها
٢١	٩	إننا معاشر الأنبياء لا نورث	٣٦٠	١٠	أن يهودياً جاء إلى النبي ﷺ فقال: يا محمد
		إننا معاشر الأنبياء لا نورث، ما تركنا	٥٣٨	٧	إننا اتخذنا خاتماً ونقشنا فيه
٢٠٤	١	صدقة	٥٤٥	٧	إننا اتخذنا خاتماً ونقشنا فيه
٤٠٠	٥	أنا ممن قدم النبي ﷺ ليلة المزدلفة	٢٢٨	٢	إننا إذا نزلنا بساحة قوم فساء
٣١	١	أنا نازل ثم قام ويطنه معصوب	٣٦٠	١٠	أنا الملك... (قدسي)
٦٩	١٠	إننا نتوب إلى الله ع... (من قول عمر)	٦٦٦	٢	أنا النبي لا كذب
٥٧٩	٦	أنا وكافل اليتيم في الجنة	١١٤	٩	أنا أول الناس يشفع في الجنة
		انبعث الدم من جرحه (أي سعد بن	٦٣٩	٢	أنا أول شفيع في الجنة
٣٦٢	٢	معاذ)	٥١٨٧	٩	أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم
٦٩	٦	الأنبياء لم يورثوا مالاً وإنما ورثوا العلم	٣٤٩	٤	أنا بشر مثلكم أنسى كما تنسون
		أنت أخي في دين الله وكتابه وهي لي	١٧٠	٦	أنا بن عبد المطلب
١٥٧	٦	حلال	٤٣٢	٤	أنا بين خيرتين
٣٨٤	١٠	أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر	١١٤	٩	أنا سيد الناس يوم القيامة (حديث الشفاعة)
٢٧٤	١٠	أنت الحق وقولك الحق	١٦٧	٢	أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر
٦٦٨	٧	أنت إمامهم	٥٤٧	٤	أنا شهيد على هؤلاء يوم القيامة
٢٠	١	أنت أول رسول أرسله			أنا طيب رسول الله ﷺ... (من قول عائشة)
٤٩٠	٧	أنت أول رسول بعثه الله	٧	٢	
٣٩٠	١٠	أنت رحمتي أرحم بك من أشياء	٤٨٦	٩	أنا على حوضي أنتظر من يرد علي
٥٨٠	٩	أنت مع من أحببت	٣٧٧	٧	أنا عند حسن ظن
٤٣٨	٧	أنت مني بميزة هارون من موسى	٤٨٦	١٠	أنا عند ظن عبدي بي
		أنت مني بميزة هارون من موسى، إلا أنه لا	٣٤٤	٧	أنا عند ظن عبدي بي
٣٢١	١٠	نبي بعدي	١٢٩	٩	أنا عند ظن عبدي بي
٢٨٣	٦	أنت ومالك لأبيك			أنا فلت قلائد هدي رسول الله ﷺ
١٦٥	١	انتبهوا بما شتمت غير الانشربوا مسكراً	٤٢١	٥	بيدي
		انتبهوا فيما شتمت غير أن لا تشربوا	٥٠٩	٧	أنا فرطكم على الحوض
٦٠٩	٤	مسكراً	٤٨٦	٩	أنا فرطكم على الحوض
		انتبه الله لمن خرج في سبيله لا يخرجه	٤٦٢	١٠	إننا قافلون غداً إن شاء الله
١٠٦	١	إلا إيمان بي	٨١	٥	إننا كنا احتجنا، فتعجلنا من العباس



الصفحة	الجزء	طرف الحديث	الصفحة	الجزء	طرف الحديث
٢١٣	٢	انقضي رأسك وامتشطي وأمسكي	٣٧٢	٢	انتظر على رسلك
٢٣٧	٥	انقضي رأسك وامتشطي			انتظري، فإذا طهرت فاخرجي إلى
٦٠٠	٧	أنقعت العروس - له تمرًا في تور من الليل	٥١٧	٥	التنعيم
٣٢٠	٧	إنك أحب البلاد إلى الله	٢٣٦	٩	أنتم أعلم بأمور دينكم
		إنك امرؤ تانه... (من قول علي لابن عباس)	١٣٧	٦	أنتم الذين قلتهم كذا وكذا
٢٩٦	٦	إنك امرؤ فيك جاهلية	٣٦٧	١	أنتم الغر المحجلون
٩٦	١	إنك أن تدع ورثتك أغنياء خير	٣٩٥	١٠	أنزل القرآن على سبعة أحرف
٣٣٦	٧	إنك إن تركت ولدك أغنياء خير			أنزل الله على رسوله ﷺ وفخذه على
٣٣	٩	إنك تقدم على قوم أهل كتاب فليكن	٢٢٨	٢	فخذي
		أول ما تدعوهم		١٠	أنزل الله
٦٢	٥	إنك تقدم على قوم من أهل الكتاب	٥٧٣	٦	أنزل فاجدح لي
٢٠٣	١٠	إنك ستأتي قومًا أهل كتاب، فإذا جثهم فادعهم	٥٧٨	٧	أنزلت في قوله: لا والله... (من قول عائشة)
١١٥	٥	إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك	٤٧٤	١٠	أنزلت ورسول الله ﷺ متوار بمكة
٤٣٨	٧	إنك لأحب البقاع إلى الله	١٣٨	١	أنشدك الله، هل ساني لك رسول الله
٢١٢	١٠	إنك لم تخلف فتعمل	٣٨٣	٤	انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا
٢٩٣	٧	إنك لن تخلف فتعمل عملاً يتبغي به وجهه	٥٣٤	٧	انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا
		الله	٣٧٠	٩	انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا
٢٩٣	٧	إنك لن تخلف فتعمل عملاً يتبغي			انطلق النبي ﷺ في طائفة من أصحابه
٢٣٥	٧	إنك لن تنفق نفقةً يتبغي بها وجهه الله إلا	٢٦٥	٣	عامدين
١٦٧	١	أجرت بها	٤٦٦	٧	انطلق النبي ﷺ لحاجته
٤٧٠	٤	إنك لن تنفق نفقةً يتبغي بها وجهه الله	٢٢٥	٥	انطلق النبي ﷺ من المدينة
٦٤٤	٦	أنكحني أبي امرأة ذات... (من قول عبد الله بن عمرو)	٥٥٤	٦	انطلقن فقد بايعكن
		أنكحني أسامة	٣٥٨	٩	انطلقوا إلى يهود
١١٥	٦	أنكحني (في حديث سبيعة الأسلمية)	٦٦٦	٧	انطلقوا فإنما حكمهم الله
٥٩٦	٦	انكسفت الشمس على عهد رسول الله ﷺ			انظر حيث يصلي أمراؤك فصل... (من قول أنس)
١٤٧	٤	فصل ركعتين	٣٧٤	٥	انظر ولو خاتماً من حديد
٣١٣	٤	إنكم إذا فعلتم ذلك فقد سلمتم	١٦٦	٦	انظر ولو خاتماً من حديد
١٧٠	١٠	إنكم إذا قتلتم ذلك فقد سلمتم	٨٣	٦	انظر ولو كان خاتماً من حديد
١٨٦	٧	إنكم إذا قتلتم عبد الله الصالحين	٢٥٤	٦	انظرون من إخوانكن فإنها الرضاة من المجاعة
		إنكم إذا قتلتم: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين	١٩٦	٦	انظروها، فإن جاءت به
٤١٦	١٠	إنكم تزعمون أن أبا هريرة يكثر الحديث	٩٣	١٠	انظروها، فإن جاءت به
١٦٣	١٠		٩٤	١٠	أنفق أنفق عليك
			٤٨٢	١٠	أنفق يا ابن آدم أنفق عليك... (قدسي)
			٦٤٠	٦	أنفقي عليهم، فلك أجر ما أنفقت عليهم
			٧٥	٥	

الصفحة	الجزء	طرف الحديث	الصفحة	الجزء	طرف الحديث
٤١٤، ٣٥٢	٩	إنما الأعمال بالنيات	٥٧٦	٩	إنكم ستحرقون على الإمارة
٦٤٦	٩	إنما الأعمال بالنيات	٤٨٧	٩	إنكم سترون بعدي أثره وأمورا تنكرونها
٦٠٦	٧	إنما الأعمال بالنية	٤١٥	١٠	إنكم سترون ربيكم عيانا
٣٥١	٩	إنما الأعمال بالنية	٥٠٥	٢	إنكم سترون ربيكم عيانا
٣٧١	٩	إنما الأعمال بالنية	٤٧٩	٢	إنكم سترون ربيكم كما ترون القمر
٢٠٥	٦	إنما الرضاعة من المجاعة	٤٠٤	١٠	إنكم سترون ربيكم كما ترون هذا القمر
٤٥١	٤	إنما الصبر عند الصدمة الأولى	٤٩٧	٢	إنكم سترون ربيكم كما ترون هذا
٤٣	٢	إنما الماء من الماء	٤٥٣	٧	إنكم سترون ربيكم كما ترون
٦٥٥	٩	إنما المدينة كالكير تنفي خبثها	٤١٥	١٠	إنكم سترون ربيكم يوم القيامة
١١٩	١٠	إنما المدينة كالكير	١٩	١٠	إنكم ستلقون بعدي أثره
٣٩٧	٧	إنما الناس كالإبل البائدة	٤٩٩	٩	إنكم ستلقون بعدي أثره
١٨٢	٦	إنما الولاء لمن أعتق			إنكم لتعملون أعمالا هي أدق... (من قول
٥٣٨	٦	إنما أنا أشفع	٣٨٧	٧	أسر ض)
٥٤٢	٦	إنما أنا أشفع	٥٤٠	٧	إنكم لم تزلوا في صلاة ما انتظرتموها
٢٢٩	١	إنما أنا بشر مثلكم أنسى كما تنسون	٤٣٨	٧	إنكم محشورون حفاة عراة
٣٩٥	٧	إنما أنا بشر مثلكم أنسى كما تنسون	٤٣٦	٧	إنكم محشورون، ونحيي بيله
١٣	٢	إنما أنا بشر مثلكم	٤٣٧	٧	إنكم ملاقو الله
٣٧٧	٣	إنما أنا بشر مثلكم، أنسى كم تنسون	٤٧	٦	إنكم ملاقوا العدو غذا
٦٠٩	٩	إنما أنا بشر وإنكم تخصصمون إلي	١٢٤	٣	إنكن صواحب يوسف
٦٢٤	٩	إنما أنا بشر وإنه يأتيني الخصم	٣١٦	٤	إنكن صواحب يوسف
٦٢٧	٩	إنما أنا بشر وإنه يأتيني الخصم	٩٣	١٠	إنكن لأنن صواحب يوسف
٣٩٣	٩	إنما أنا بشر، وإنكم تخصصمون إلي	٤٠٠	١٠	إنما أتألفهم
١٨٢	٦	إنما أنا شافع	٦٦	٦	إنما أجلكم في أجل من خلا من الأمم
٢٢٩	١	إنما أنسى لأمن	٣٥٢	٩	إنما أقضي بنحو ما أسمع
٤٨٦	٤	إنما أنهى الناس عن النياحة	٥٨٨	٩	إنما أقضي بنحو ما أسمع
١١٢	٩	إنما أهلك من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم	٥٩٠	٩	إنما أقضي بنحو ما أسمع
		إنما أهلك من كان قبلكم أنهم إذا سرق			إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما
٤٨	٥	فيهم الضعيف	٤٨٧	٦	نوى
٣٦١	٧	إنما أهلك من كان قبلكم كثرة مسائلهم	١٩	١	إنما الأعمال بالنيات
٤٩٧	٧	إنما أهلك من كان قبلكم	١٥٦ ٥٤	١٠	إنما الأعمال بالنيات
٣٥٣	٧	إنما أوعك كما يوعك الرجلان	١١٥	٣	إنما الأعمال بالنيات
٥٠٧	٧	إنما بعثت إليك لتبعتها أو تكسوها	٤١١	٤	إنما الأعمال بالنيات
٦٦٠	٧	إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق	٢٤٢	٦	إنما الأعمال بالنيات
١٦٦	٧	إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق	٥٠٨	٦	إنما الأعمال بالنيات
٦٦٠	٧	إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق	٦٠٩ ٦٠٨	٧	إنما الأعمال بالنيات
٤٥٢	١٠	إنما بعثم ميسرين	٢٨٨	٩	إنما الأعمال بالنيات



الجزء	الصفحة	طرف الحديث	الجزء	الصفحة	طرف الحديث
.....	٤٥٦	.....	١٠	.....	إنما بقاؤكم فيما سلف قبلكم من الأمم
.....	٥٣٨	.....	١٠	.....	إنما بقاؤكم فيمن سلف من الأمم
.....	٢٧٩	.....	٩	.....	إنما جعل الإذن من قبل البصر
.....	٢٨٠	.....	٩	.....	إنما جعل الإذن من قبل البصر
.....	٢٤٩	.....	٢	.....	إنما جعل الإمام ليؤتم به
.....	٢٤٩	.....	٢	.....	إنما جعل الإمام ليؤتم به
.....	١٤٠	.....	٣	.....	إنما جعل الإمام ليؤتم به
.....	٢١٠ ٥٩٠	.....	٣	.....	إنما جعل الإمام ليؤتم به
.....	٣٢١	.....	٣	.....	إنما جعل الإمام ليؤتم به
.....	٣٦٨ ٥٩٨	.....	٤	.....	إنما جعل الإمام ليؤتم به
.....	.....	.....	.....	.....	إنما جعل الطواف بالبيت وبالصفا
.....	١٥٩	.....	٥	.....	والعمرة
.....	٤٦٩	.....	٥	.....	إنما جعل الطواف بالبيت وبالصفا
.....	٤٠١	.....	٩	.....	إنما جعل النبي ﷺ الشفعة في كل مالم يقسم
.....	٣٠٧	.....	٧	.....	إنما خيرني الله
.....	٤٦٠	.....	٧	.....	إنما ذلك العرض
.....	.....	.....	.....	.....	إنما ذلك العرض، ولكن من نوقش
.....	٢٧١	.....	١	.....	الحساب يهلك
.....	١٩٠	.....	٢	.....	إنما ذلك عرق وليس بالحیضة
.....	.....	.....	.....	.....	إنما سعى رسول الله ﷺ بالبيت وبين
.....	٣٦٤	.....	٥	.....	الصفا
.....	١٢٥	.....	٩	.....	إنما سئل النبي ﷺ أعين أولئك
.....	٢٤٦	.....	٢	.....	إنما فعلت هذا لتأتموا بي
.....	١١٥	.....	٣	.....	إنما فعلت هذا لتأتموا بي
.....	.....	.....	.....	.....	إنما كان منزل ينزله النبي ﷺ ليكون
.....	٤٩٠	.....	٥	.....	أسمع لخروجه
.....	١٩٢	.....	٢	.....	إنما كان يكفيك أن تصنع هكذا
.....	٥٧٨	.....	٦	.....	إنما كان يكفيك أن تقول بيدك هكذا
.....	١٩٢	.....	٢	.....	إنما كان يكفيك هكذا
.....	١٧٦	.....	٢٢	.....	إنما كان يكفيك هكذا
.....	٥٩٩	.....	٧	.....	إنما كانت فتنة بني إسرائيل في النساء
.....	٩٢	.....	٦	.....	إنما مثل صاحب القرآن
.....	٣٧٩	.....	٧	.....	إنما مثل ومثل الناس كمثل رجل
.....	.....	.....	.....	.....	إنما مثل ومثل ما يعني الله به كمثل رجل أتى
.....	٦٠	.....	١٠	.....	قومًا
.....	٣٣٤	.....	٤	.....	إنما منعني أن أرد عليك
.....	.....	.....	.....	.....	إنما نزل أول ما نزل منه سورة... (من
.....	.....	.....	.....	.....	قول عائشة)
.....	.....	.....	.....	.....	إنما نهي عن صوتين أحقن فاجرين
.....	.....	.....	.....	.....	إنما هذا من إخوان الكهان
.....	.....	.....	.....	.....	إنما هذه صفة
.....	.....	.....	.....	.....	إنما هذه لباس من لا خلاق له
.....	.....	.....	.....	.....	إنما هلك من كان قبلكم
.....	.....	.....	.....	.....	إنما هلك من كان قبلكم
.....	.....	.....	.....	.....	إنما هلك بنو إسرائيل
.....	.....	.....	.....	.....	إنما هو من إخوان الكهان
.....	.....	.....	.....	.....	إنما هي أربعة أشهر وعشر وقد كانت
.....	.....	.....	.....	.....	إحدان
.....	.....	.....	.....	.....	إنما هي صفة
.....	.....	.....	.....	.....	إنما يرحم الله من عباده الرحماء
.....	.....	.....	.....	.....	إنما يرحم الله من عباده
.....	.....	.....	.....	.....	إنما يلبس الحرير في الدنيا من لا خلاق
.....	.....	.....	.....	.....	له
.....	.....	.....	.....	.....	إنما يلبس هذه من لا خلاق له في الآخرة
.....	.....	.....	.....	.....	إنما يلبس هذه من لا خلاق له
.....	.....	.....	.....	.....	أنه ﷺ خطب
.....	.....	.....	.....	.....	أنه أبصر النبي ﷺ يضطجع في المسجد
.....	.....	.....	.....	.....	إنه أتاني الليلة آتيا، وإنها ابتعثاني
.....	.....	.....	.....	.....	أنه أدق من الشعر وأحد من السيف
.....	.....	.....	.....	.....	إنه أعطي شطر الحسن
.....	.....	.....	.....	.....	إنه أعور وإن ربكم ليس بأعور
.....	.....	.....	.....	.....	إنه أمين هذه الأمة (أبو عبيدة بن الجراح)
.....	.....	.....	.....	.....	إنه حديث عهد بربه
.....	.....	.....	.....	.....	أنه حديث عهد بربه
.....	.....	.....	.....	.....	إنه حديث عهد بربه
.....	.....	.....	.....	.....	إنه حلية أهل النار
.....	.....	.....	.....	.....	إنه دم عرق
.....	.....	.....	.....	.....	أنه ذكر رجلا فيمن سلف
.....	.....	.....	.....	.....	أنه صلى الظهر والعصر والمغرب
.....	.....	.....	.....	.....	والعشاء
.....	.....	.....	.....	.....	أنه طاف طوافًا واحدًا
.....	.....	.....	.....	.....	أنه عقل رسول الله ﷺ

طرف الحديث	الجزء	الصفحة	طرف الحديث	الجزء	الصفحة
إنه على رأس مائة سنة .....	١٠	١٧٠	أنها استعارت من أسماء قلادة .....	٦	٣٣٣
إنه عمك فأذني له .....	٦	٤٦٣	أنها استعارت من أسماء قلادة (أي) .....	٦	.....
أنه قال للنبي ﷺ: هل نفعت أبا طالب بشيء .....	٧	٤٩٨	أنها بعد العصر... (ساعة الإجابة يوم الجمعة) .....	٣	٥٥٨
إنه قد أذن لكم أن تستمعوا فاستمعوا .....	٦	٢٤٥	إنها تنفي الرجال كما تنفي النار .....	٥	٦٦٩
إنه قد أذن لكم أن تستمعوا فاستمعوا .....	٩	٣٨٢	إنها حرام إلى يوم القيامة .....	٦	٢٤٦
إنه قد أذن للظعن .....	٥	٦٢٠	إنها خمس بالفعل، وخمسون في الميزان .....	٢	١٩٧
أنه قرأ على الرسول ﷺ سورة النجم .....	٦	١٢٢	إنها ستكون .....	٦	٣٢٧
أنه كان بين جدار المسجد مما يلي القبلة... (من قول سهل) .....	١	١٣٥	إنها قد بلغت محلها .....	٥	١١٤
أنه كان عذاباً يعينه الله على من يشاء .....	٧	٤٠٧	إنها لا تحل لي .....	٦	٢٢٩
أنه كان يصب الماء على النبي ﷺ .....	٦	٣٩١	إنها لرؤيا حق .....	٢	٦٠٨
إنه لا يرد شيئاً ولكنه يستخرج .....	٧	٦٢٠	إنها لو لم تكن ربيتي في حجري .....	٦	١٥٦
إنه لا عتق فيها لا يملك .....	٦	٥٠٢	إنها من فيح جهنم فأبردوها .....	١	٥٢٨
إنه لا يأتي الخير بالشر .....	٥	٧٢٠	إنها كوا الشوارب وأعفوا اللحى .....	٧	٥٥٨
إنه لا يأتي بخير .....	٥	٦٤١	أنهلك وفينا الصالحون .....	٩	٤٩٦
إنه لا يأتي بخير .....	٥	٦٤١	إنهم ليكون عليها، وإنها لتعذب في قبرها .....	٤	٤٥٩
إنه لا يبقى على ظهر الأرض .....	٧	٤٥٢	إنهم ليسوا بشيء .....	١٠	٥٦٦
أنه لا يقفن في قبره .....	٧	٥١٧	إنهم ليعلمون الآن أن ما كنت أقول حق .....	٤	٥٩٨
إنه لا ينبغي لشيء أن تكون له خاتمة الأعين .....	١٠	٢٧٩	إنهم يعذبون عذاباً تسمعه بهائم .....	٧	٢٢٧
إنه لم يقن في دنياكم إلا كما بقي في هذا اليوم .....	٧	٤١٩	إنها آيات من آيات الله لا يخسفان لموت .....	٤	١٣١
إنه لم يقبض نبي قط .....	٧	٤١٣	إنها آيات من آيات الله .....	١	٥٠٨
إنه لمن أهل الجنة .....	٧	٣٤٨	إنها آيات من آيات الله .....	٤	٣٣
إنه لو حدث في الصلاة شيء .....	٢	٢٧٦	إنها آيات من آيات الله، لا ينخسفان لموت أحد .....	٤	١٠١
إنه لو قتها لولا أن أشق على أمتي .....	١	١٠٨	إنها ليعذبان وما يعذبان في كبير .....	٤	١٣٤
إنه ليس بذلك، ألا تسمعون إلى قول لقمان .....	٩	٣٠٨	إنها ليعذبان وما يعذبان في كبير .....	٤	٥٨٥
إنه مكان حضرنا فيه الشيطان .....	٢	٥٨٣	إنها ليعذبان وما يعذبان في كبير .....	٧	٢٢٨
أنه من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة .....	٦	١١٤	إنها ليعذبان وما يعذبان .....	٧	٢٢٨
أنه يأمر السماء فتمطر والأرض فتنبث (يعني) .....	٤	.....	إنها ليعذبان، وما يعذبان في كبير .....	١	٥٥٩
إنه يبقى في الأرض أربعين يوماً .....	٧	٤٢٢	إنها يلتسمسان البصر ويسقطان الجبل .....	٧	٦٠٩
أنه يسير في الأرض كالغيث استقبلته الريح .....	٩	٤٤٥	إنهم من العتاق الأول... (من قول ابن مسعود) .....	٦	٣٤
أنه يقف على أبوابها وأن على أبواب المدينة ملائكة .....	٧	٤٠٧	أنهم ناقصات عقل .....	٧	٣٢٩
إنه يمكث أربعين، يوم كسنة .....	٧	٤٦١	إنى آيت يطعني ربي ويسقني .....	١٠	٨٨
أنه يملك الناس في آخر الزمان .....	٩	٥٦٦			
إنها ابنة أخي من الرضاعة .....	٦	١٩٢			



طرف الحديث	الجزء	الصفحة	طرف الحديث	الجزء	الصفحة
إني اتخذت خاتماً من ذهب	١٠	٨٣	أني كنت علمت أن رسول الله ﷺ قد		
إني اتخذت خاتماً من ورق	٧	٥٤٧	ذكرها... (من قول أبي بكر)	٦	٢٤٩
إني أحب ألا أذكر الله إلا على طهارة	١	٣٧٠	إني لا أدري من أذن فيكم ممن لم يأذن	٩	٦٢١
إني أحب أن أسمع من غيري	٦	١٢٢٠ ١١٢	إني لا أشهد على جور	٩	٦٣٠
إني أحبك فلا تدعن أن تقول دبر كل صلاة	٩	٤٨١	إني لا أكر أن أصلي بكم كما رأيت النبي		
إني أحبك، فقل في	٧	١٨٤	ﷺ	٣	٣٦٢
إني أراك تحب الغنم والبادية... (من قول			إني لأدخل في الصلاة، وأنا أريد إطالتها	٣	١٧٥
أبي سعيد)	١٠	٥٤٧	إني لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة	٧	٥٥٢
إني أريد أن أجليكم من هذه الأرض	١٠	١٥٢	إني لأرى الفتن خلال بيوتكم	٩	٥١٦
إني أصوم وأفطر	١٠	٩٢	إني لأستحي من الله	٩	٣٢٠
إني أعطي الرجل وأدع الرجل	١٠	٥٣٩	إني لأشبهكم صلاة برسول الله ﷺ	٣	٢٩٧
إني أعلم أنك حجر لا تضر... (من قول			إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلم علي	٣	٥٣٢
عمر)	٥	٣٠٨	إني لأعطي الرجل، وغيره أحب إلي منه	٥	٩٠
إني أمرتكم أن تحرقوا فلاناً وفلاناً	٩	٣١٩	إني لأعلم آخر أهل النار خروجاً منها	٧	٤٩٧
إني أنا النذير العريان	١٠	٦٠	إني لأعلم إذا كنت عني راضية	٦	٤٤٨
إني أنكرت بصري، وإن السيول (من			إني لأعلم أي يوم نزلت هذه الآية... (من		
قول عتب بن مالك)	٣	٣٩٦	قول عمر)	١٠	٥٢
إني أوعك كما يوعك رجالان منكم	٧	٣١٢	إني لأؤرم إلى الصلاة أريد أن أطول فيها	٣	١٧٤
إني تزوجت امرأة على وزن نواة	٦	٣٠٩	إني لأنذركموه ماء، نبي إلا وقد أنذره		
إني خشيت أن تكذب عليكم صلاة الليل	٣	٢٠٢	قومه	٩	٥٤٦
إني خيرت فاخترت، لو أعلم أبي إن			إني لأول العرب رمى بسهم... (من قول		
زدت	٤	٥٩٢	سعد)	٧	٣٣٥
إني رأيت الجنة فتناولت عقوقاً	٤	١٣٦	إني لبدت رأسي وقلدت هديي	٥	٤٥١
إني رأيت الجنة، أو أريت الجنة	٦	٤١٤	إني لبدت رأسي وقلدت هديي	٧	٥٧٣
إني على الحوض حتى أنظر	٧	٥١٩	إني لبدت رأسي، وقلدت هديي	٥	٢٥١
إني على ما أشاء قادر	٦	١٦٨	إني لبدت رأسي، وقلدت هديي	٥	٤٢٠
إني على ما أشاء قادر... (قدسي)	١٠	٢٩٠	إني لست أنا حلتكم	٧	٥٥٧
إني فرط لكم وأنا شهيد عليكم	٧	٥١٧	إني لست كهيتكم؛ إني أبيت	٢	٦١٤
إني فرط لكم، وأنا شهيد عليكم	٤	٥٥١	إني لست مثلكم	١٠	٨٨
إني فرطكم على الحوض	٧	٥١٣	إني لم أكسكها لتلبسها	٣	٤٧١
إني فرطكم وأنا شهيد عليكم	٧	٣٠١	إني لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما		
إني قد سترتها عليك في الدنيا	٧	٤٦١	أهديت	٩	٦٧٤
إني كرهت أن أذكر الله على غير طهارة	٣	٣٧	إني متعجل إلى المدينة	٥	٩٣
إني كنت اصطنعته وإني لا ألبسه	٧	٥٤٦	إني نذرت في الجاهلية أن أعتكف		
إني كنت ألبس هذا الخاتم	٧	٥٦٠	ليلة... (من قول عمر)	٧	٦٢٩
إني كنت أمر بالمعروف ولا أفعله	٩	٥٢٢	إني نيت عن كذا وكذا، وإن		

طرف الحديث	الجزء	الصفحة	طرف الحديث	الجزء	الصفحة
الناس... (من قول عمر).....	٥	٤٨	أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر	٧	٤٧٢
إني والله إن شاء الله لا أحلف على يمين فأرى	٧	٦٦٢	أول شيء بدأ به حين قدم النبي ﷺ أنه		
إني والله لا أحلف على يمين فأرى غيرها	١٠	٥٦٢	توضأ ثم طاف	٥	٣٢٥
امتز لموت سعد بن معاذ	٢	٣٦٢	أول شيء بدأ به حين قدم أنه توضأ، ثم		
أهدت أم حفيد بنت الحارث إلى النبي ﷺ			طاف	٥	٣٥٨
سمناً	١٠	١٧٤	أول ما بدئ به الرؤيا	١	٢٠
أهدي النبي ﷺ مائة بدنة	٥	٤٣٥	أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي		
أهدي النبي ﷺ مرة غنماً	٥	٤٢٢	الرؤيا	٩	٤١١
أهدي إلى النبي ﷺ فروج حرير	٢	٢٣٦	أول ما بدئ به	١	٢٣
أهدي إلى النبي ﷺ فروج حرير	٢	٢٣٦	أول ما فرضت الصلاة	٢	١٧١
أهريقوا ما فيها وكسروها	٧	١٩٠	أول ما يحاسب عليه العبد الصلاة	٩	٢١٣
أهل النبي ﷺ حين استوت به راحلته			أول ما يحاسب عليه العبد	٩	٢١٣
قائمة	٥	٢٣٢	أول ما يقضى بين الناس في الدماء	٧	٤٥٦
أهل بعمرة عام الحديبية	٥	٥٤٣	أول ما يقضى بين الناس في الدماء	٩	٢١٣
أهللت مع رسول الله ﷺ في حجة			أول من يدعى يوم القيامة آدم	٧	٤٤٠
الوداع	٢	٢١٣	أولئك إذا مات منهم الرجل الصالح بنوا		
أو استأثرت به في علم الغيب عندك	١٠	٢٩٨	على قبره	٤	٥٤٣
أو تحيين ذلك	٦	١٩٣	أولئك العصاة أولئك العصاة	١	١٠٧
أو جوزي بصعقة الطور	٧	٤٢٨	أولئك العصاة، أولئك العصاة	٢	١٧٦
أو ليخالفن الله بين قلوبكم	٣	١٨٨	أولئك شرار الخلق عند الله	٢	٣٢١
أو مسلماً	٥	٩٠	أولئك قوم إذا مات فيهم	٢	٣٢١
أو مسلماً؟	١	٨٩	أولم النبي ﷺ بزنب فأوسع المسلمين		
أو يفعل هكذا	٢	٢٩٣	خيراً	٦	٣١٩
أو إنكم لتفعلون؟	٦	٤٢٩	أولم النبي ﷺ على بعض نسائه	٦	٣٤٦
أوساخ الناس (أي الزكاة)	٥	٤٤	أولم تسمعي أني أرد ذلك	٧	٢٦٣
أوصاني النبي ﷺ بالوتر قبل النوم	٤	٥٢	أولم ولو بشاة	٦	٣١٨، ١٤٨
أوصاني النبي ﷺ بركعتي الضحى	٤	٢٦١	أولم ولو بشاة	٦	٣٤٥
أوصى بكتاب الله	٦	٦٧	أومخرجي هم؟	٩	٤١٢
أوف بنترك	٧	٦٢٩	أي الأجلين قضى موسى	٦	٩١
أوفوا للحي	١	٢٠١	أي حفصة أتغاضب إحداكن... (أي)		
أوفي هذا أنت يا بن الخطاب؟!	٦	٣٩٠	عمر	٦	٣٨٨
أوكلكم يجد نوبين؟	٢	٢٢٣	أي داء أدواء من البخل	٩	٥٩٠
أول أشراف الساعة نار تحشر الناس	٩	٥٣٩	أي سعد ألم تسمع ما قال أبو حباب؟	٧	٣٣٢
أول جيش يغزو القسطنطينية	٤	٢٨٣	أي سعد ألم تسمع ما قال أبو حباب؟	٧	٦٩٤
أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة			أي عبيد ما حملك على أن فعلت	١٠	٤٨٨
البدر	١٠	٣٤٥	أي هؤلاء أكثر أخذاً للقرآن؟	٤	٥٥٩



الجزء	الصفحة	طرف الحديث	الجزء	الصفحة	طرف الحديث
١	١٩٨	أي يوم هذا؟	١	١٩٨	أي يوم هذا؟
٧	٣٣٣	أيؤذك هوام رأسك؟	٧	٣٣٣	أيؤذك هوام رأسك؟
٧	٦٤٥	أيؤذك هوامك	٧	٦٤٥	أيؤذك هوامك
٥	٥٥٢	أيؤذك هوامك؟	٥	٥٥٢	أيؤذك هوامك؟
٧	٣٧٥	أيؤذك هوامك؟	٧	٣٧٥	أيؤذك هوامك؟
٣	١٢٩	إياك والالتفات في الصلاة، فإنه هلكت	٣	١٢٩	إياك والالتفات في الصلاة، فإنه هلكت
١٠	٣٩٦	إياك وكرائم أموالهم	١٠	٣٩٦	إياك وكرائم أموالهم
٥	١١٥	إياك وكرائم أموالهم	٥	١١٥	إياك وكرائم أموالهم
٧	٢٠٦	إياك وكرائم أموالهم	٧	٢٠٦	إياك وكرائم أموالهم
١	٤٠٣	إياكم والدخول على النساء	١	٤٠٣	إياكم والدخول على النساء
٣	٦٢٨	إياكم والدخول على النساء	٣	٦٢٨	إياكم والدخول على النساء
٦	١٧٠	إياكم والدخول على النساء	٦	١٧٠	إياكم والدخول على النساء
٦	١٩٧	إياكم والدخول على النساء	٦	١٩٧	إياكم والدخول على النساء
٦	٤٥٤	إياكم والدخول على النساء	٦	٤٥٤	إياكم والدخول على النساء
٦	٢٩٢	إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث	٦	٢٩٢	إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث
٩	١٨	إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث	٩	١٨	إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث
٧	٦٣٦	آبيون تائبون عابدون لربنا حامدون	٧	٦٣٦	آبيون تائبون عابدون لربنا حامدون
٥	٥٢٨	آبيون، تائبون، عابدون، ساجدون	٥	٥٢٨	آبيون، تائبون، عابدون، ساجدون
١	٦٧	آية الإيمان: حب الأنصار	١	٦٧	آية الإيمان: حب الأنصار
٦	٣٣٣	آية التيمم	٦	٣٣٣	آية التيمم
١	١٠١	آية المنافق ثلاث	١	١٠١	آية المنافق ثلاث
٦	٣١٣	آية المنافق ثلاث	٦	٣١٣	آية المنافق ثلاث
٣	٤٥٧	آية ساعة هذه؟... (من قول عمر لعثمان)	٣	٤٥٧	آية ساعة هذه؟... (من قول عمر لعثمان)
٦	١٠٠	الآيتان من آخر سورة البقرة	٦	١٠٠	الآيتان من آخر سورة البقرة
١٠	٢٦٦	أيسرك أن يجعل الله في يدك خواتيم من نار	١٠	٢٦٦	أيسرك أن يجعل الله في يدك خواتيم من نار
٥	٧	أيسرك أن يسورك الله بهما سوارين من نار؟	٥	٧	أيسرك أن يسورك الله بهما سوارين من نار؟
٦	٥٩	أيعجز أحدكم أن يقرأ ثلث القرآن في ليلة	٦	٥٩	أيعجز أحدكم أن يقرأ ثلث القرآن في ليلة
٢	٤٥١	أيكسر أم يفتح؟... (من قول عمر لحذيفة)	٢	٤٥١	أيكسر أم يفتح؟... (من قول عمر لحذيفة)
٥	٦٣١	أيكم لم يقار الليلة؟	٥	٦٣١	أيكم لم يقار الليلة؟
٧	٣١٤	أيكم مال وارثه أحب	٧	٣١٤	أيكم مال وارثه أحب
١	١١	أيكم مثلي إني آيت يطعمني ربي ويسقين	١	١١	أيكم مثلي إني آيت يطعمني ربي ويسقين
٩	١٩٦	أيكم مثلي؟ إني آيت يطعمني ربي ويسقين	٩	١٩٦	أيكم مثلي؟ إني آيت يطعمني ربي ويسقين
٥	٣٤	أيكم يحفظ حديث رسول الله عن الفتنة؟... (من قول عمر)	٥	٣٤	أيكم يحفظ حديث رسول الله عن الفتنة؟... (من قول عمر)
٢	٤٥١	أيكم يحفظ قول رسول الله ﷺ في الفتنة؟... (من قول عمر)	٢	٤٥١	أيكم يحفظ قول رسول الله ﷺ في الفتنة؟... (من قول عمر)
٧	٦٢١	أيكم ينطلق إلى المدينة	٧	٦٢١	أيكم ينطلق إلى المدينة
٦	٤٨٤	أيلعب بكتاب الله وأنا بين أظهركم	٦	٤٨٤	أيلعب بكتاب الله وأنا بين أظهركم
٦	٥٨٥	أيلعب بكتاب الله وأنا بين أظهركم	٦	٥٨٥	أيلعب بكتاب الله وأنا بين أظهركم
٣	٤٤٣	أيا امرأة أصابت بخوراً، فلا تشهد معنا	٣	٤٤٣	أيا امرأة أصابت بخوراً، فلا تشهد معنا
٦	٥٣	أيا امرأة سألت زوجها الطلاق	٦	٥٣	أيا امرأة سألت زوجها الطلاق
٤	٤٠٨	أيا امرأة مات لها ثلاثة من الولد	٤	٤٠٨	أيا امرأة مات لها ثلاثة من الولد
٥	١١٠	أيا إهاب دبع فقد طهر	٥	١١٠	أيا إهاب دبع فقد طهر
١	٤٤٨	أيا رجل أدر كنه الصلاة فليصل	١	٤٤٨	أيا رجل أدر كنه الصلاة فليصل
٩	٣١٥	أيا رجل ارتد عن الإسلام فادعه، فإن عاد	٩	٣١٥	أيا رجل ارتد عن الإسلام فادعه، فإن عاد
٦	١٦١	أيا رجل كانت عنده وليدة	٦	١٦١	أيا رجل كانت عنده وليدة
٦	٢٨٣	أيا رجل وامرأة توافقا فعشرة ما بينهما ثلاث ليال	٦	٢٨٣	أيا رجل وامرأة توافقا فعشرة ما بينهما ثلاث ليال
٦	٢٤٥	أيا مسلم شهد له أربعة بخير أدخله الله الجنة	٦	٢٤٥	أيا مسلم شهد له أربعة بخير أدخله الله الجنة
٤	٥٩٤	إيمان بالله ورسوله	٤	٥٩٤	إيمان بالله ورسوله
١	٨٤	إيمان بالله ورسوله	١	٨٤	إيمان بالله ورسوله
٥	١٧٥	الإيمان بضع وسبعون شعبة	٥	١٧٥	الإيمان بضع وسبعون شعبة
١	٤٧	الإيمان هاهنا - مرتين - ألا وإن القسوة وغلظ القلوب	١	٤٧	الإيمان هاهنا - مرتين - ألا وإن القسوة وغلظ القلوب
٦	٥٧٩	الإيمان: أن تؤمن بالله وملائكته	٦	٥٧٩	الإيمان: أن تؤمن بالله وملائكته
١	١٤٤	أيمس طيباً أو دهنًا إن كان عند أهله	١	١٤٤	أيمس طيباً أو دهنًا إن كان عند أهله
٣	٤٧	أين ابن عمك؟... (لفاطمة)	٣	٤٧	أين ابن عمك؟... (لفاطمة)
٢	٣٢٩	أين الذي سأل عن العمرة؟	٢	٣٢٩	أين الذي سأل عن العمرة؟
٥	١٩٣	أين السائل عن العمرة؟	٥	١٩٣	أين السائل عن العمرة؟
٦	٤٣٩	أين أنا غداً، أين أنا غداً؟	٦	٤٣٩	أين أنا غداً، أين أنا غداً؟
٢	٣٠	أين تحب أن أصلي لك من بيتك؟	٢	٣٠	أين تحب أن أصلي لك من بيتك؟
٣	١٣٥	أين تحب أن أصلي من بيتك؟	٣	١٣٥	أين تحب أن أصلي من بيتك؟
٢	٣٠٢	أين تحب أن أصلي من بيتك؟	٢	٣٠٢	أين تحب أن أصلي من بيتك؟
٣	٣٩٦	أين تحب أن أصلي من بيتك؟	٣	٣٩٦	أين تحب أن أصلي من بيتك؟
٤	٢٧٧	أين تحب أن أصلي من بيتك؟	٤	٢٧٧	أين تحب أن أصلي من بيتك؟
٣	١٠٢	أين تحب أن أصلي؟	٣	١٠٢	أين تحب أن أصلي؟

الصفحة	الجزء	طرف الحديث	الصفحة	الجزء	طرف الحديث
٣٠٢.....	١٦.....	باسمك نموت ونحيا.....	٤٩٣.....	٥.....	أين تريد أن أصلي؟
٢٨٧.....	٣.....	باضطراب لحيته... (من قول خباب)			أين صلى الظهر يوم التروية؟... (من قول
٢٢٨.....	٣.....	باضطراب لحيته... (من قول خباب)	٤٨٩.....	٥.....	ابن ربيع)
٢٥٧.....	٣.....	باضطراب لحيته... (من قول خباب)	٣٣٠.....	١.....	أين علي بن أبي طالب؟
٢٣١.....	٤.....	بال الشيطان في أذنه.....	٣٠.....	٢.....	أين كنت يا أبا هر؟
٤٨٩.....	٥.....	بالأبطح... (من قول أنس)	٥٩.....	٤.....	أين كنت يا أبا هر؟
٤٧٢.....	٥.....	بأمثال هؤلاء فارموا	١٩٤.....	٣.....	أين كنت يا أبا هريرة
		بأي شيء دووي جرح النبي	٢٦.....	٢.....	أين كنت يا أبا هريرة؟
٦٠٧.....	١.....	ﷺ...؟ (من قول سعد)	٥٥١.....	٧.....	أين لكع؟
		باع النبي ﷺ أصحابه على ألا يسألوا	٢٣٠.....	٩.....	أين ماله؟
٤١٤.....	١.....	الناس شيئا	١٠٠.....	١.....	أينما لم يظلم
		بايعت النبي ﷺ على إقام الصلاة، وإيتاء	٢٤٦.....	٧.....	أيها الناس اربعوا على أنفسكم
٦١١.....	٤.....	الزكاة.....	٢٧٦.....	٧.....	أيها الناس اربعوا على أنفسكم
٦٥١.....	٩.....	بايعت النبي ﷺ على السمع والطاعة	٢٥٦.....	١.....	أيها الناس إنكم منفرون
١٦٨.....	١.....	بايعت رسول الله ﷺ على إقام الصلاة	٦٨.....	١.....	أيها الناس صلوا في بيوتكم
٤٥١.....	٢.....	بايعت رسول الله ﷺ على إقام الصلاة			أيها الناس، ضحوا، تقبل الله
٦٤٩.....	٩.....	بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة			ضحايكم... (من قول خالد بن عبد الله
٢٢١.....	٩.....	بايعناه علي أن لا نشرك بالله شيئا	٢٠١.....	١.....	القسري)
٦٧.....	١.....	بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئا			أيها الناس، عليكم بالسكينة، فإن البر
١٠٨.....	٩.....	بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئا	٣٩٢.....	٥.....	ليس بالإيضاع
		بت عند النبي ﷺ فاستن... (من قول	٥٦٧ ٥٥٩.....	٤.....	أيهم أكثر أخذًا للقرآن؟
٦٠٩.....	١.....	ابن عباس)	٤٠١.....	٧.....	بش خطيب القوم أنت...
٤٣١.....	٣.....	بت عند خالتي ميمونة ليلة	٩٢.....	٦.....	بش ما لأحدهم أن يقول نسيت آية
١٦٩.....	٣.....	بت في بيت خالتي ميمونة	٩٨.....	٦.....	بش ما لأحدهم يقول نسيت آية
		بت في بيت خالتي ميمونة... (من قول			بشما عدلتمونا بالكلب والحمار... (من
٣١٦.....	١.....	ابن عباس)	٤٣٧.....	٢.....	قول عائشة)
		بت في بيت ميمونة ليلة والنبي ﷺ عندها	٢٦٥.....	٥.....	بات النبي ﷺ بذي طوى حتى أصبح
٤٢٥.....	١١.....	لأنظر كيف صلاة رسول الله	٢٥١.....	٧.....	بارك الله لك أولم ولو بشاة
٦٤١.....	٧.....	بخ بخ ذلك مال رابع	٣٤٥.....	٦.....	بارك الله لك في أهلك ومالك
١٢٤.....	١١.....	بخ بخ... (من قول أبي هريرة)	٣٢٠.....	٦.....	بارك الله لك، أولم ولو بشاة
٦٦.....	٥.....	بخ، ذلك مال رابع، ذلك مال رابع	١٣٨.....	٥.....	بارك الله لك في ليلتك
٤١٥.....	٥.....	بدأ رسول الله ﷺ فأهل			بارك الله لكما وعليكما وجمع بينكما في
١٠٧.....	١١.....	برحمتك أمتغيت	٣٢٠.....	٦.....	خير
٢٦٥.....	١١.....	برحمتك أمتغيت	١٨٣.....	٧.....	باسمك اللهم أموت وأحيا
٢٩١.....	٢.....	الزقاق في المسجد خطيئة	١٥٢.....	٧.....	باسمك أموت وأحيا
		الزقاق في المسجد خطيئة، وكفارتها	١٧١.....	٧.....	باسمك رب وضعت جنبي بك



طرف الحديث	الجزء	الصفحة	طرف الحديث	الجزء	الصفحة
دفنها.....	٢	٤٦٧	قول أبي سعيد.....	٣	٣٣٣
بسم الله الرحمن الرحيم. هذه فريضة			بلى ، ولكنك كنت إمامنا فيها، ولو		
الصدقة.....	٥	٥٧	سجدت لسجدنا.....	٤	١٦٦
بسم الله، تربة أرضنا.....	٧	٤١٧	بلى قد نسيت.....	٢	٣٩٢
البسوا البياض وكفنوا.....	٦	٣٤	بما أهملت؟.....	٥	٢٤١
البسوا ثياب البياض؛ فإنها أطهر وأطيب.....	٤	٤٢٤	بما أهملت؟.....	٥	٥٢٥، ٤٤٩
بشروا خديجة بيت من الجنة.....	٥	٥٢٤	بنو النجار، ثم الذين يلونهم بنو عبد		
بصدقاتهم علانية.....	٥	٦	الأشهل.....	٦	٥٧٨
بيع الجمع بالدرهم ثم اشتر بالدرهم جنيًا.....	٩٠	٤٠٦	بني الإسلام على خمس.....	١	١٣٣
بيع الردى بالدرهم، واشتري بالدرهم جنيًا.....	٩٠	٤٩٣	بني الإسلام على خمس.....	١	٥٢
بعث النبي ﷺ معها أخاها عبد الرحمن			بني الإسلام على خمس.....	٥	١٥١
فأعمرها.....	٥	١٧٥	بني الإسلام على خمس.....	٧	٣٣٧
بعث رسول الله ﷺ خيلاً قبل نجد.....	٢	٣٧٤	بنى النبي ﷺ بامرة فأرسلني فدعوت	٦	٣٤٦
بعث رسول الله ﷺ عشرة، منهم خبيب			بها يطلع قرن الشيطان.....	٤	١١٠
الأصاري.....	١٠	٣١٢	بهذا أمرت... (صلاة جبريل بالنبي ﷺ)	٢	٤٤٣
بعثت أنا والساعة كهاتين.....	٧	٤٠٩	يبرحاه... (حديث أبي طلحة).....	٥	٦٦
بعثت أنا والساعة كهاتين.....	٧	٤١٠	بيع المسلم لاداء ولا خيئة ولا غائلة.....	٩	٤٠٩
بعثت أنا والساعة كهذه من هذه.....	٦	٥٧٨	بين أصعبين من أصابع الرحمن.....	٧	٥٣٩
بعثت أنا والساعة.....	٧	٤٠٩	بين الرجل و بين الشرك والكفر ترك		
بعث بجوامع الكلم.....	١٠	٥٤	الصلاة.....	٩	٨٥
بعث بجوامع الكلم، ونصرت بالرعب.....	٩٠	٤٥٣	بين الرجل وبين الشرك.....	١٠	٤٧٢
بعثني النبي ﷺ فقممت على البدن.....	٥	٤٣٤	بين الرجل وبين الكفر ترك الصلاة.....	٩	٨٥
بعثني رسول الله ﷺ من جمع بليل.....	٥	٤١٠	بين كل أذنين صلاة -ثلاثاً- لمن شاء.....	٣	١٨
بعثني.....	٣	٥٥٢	بين كل أذنين صلاة.....	١٠	٣٣
البكر بالبكر جلد مائة، وتغريب عام.....	٩	١٤٠	بين كل أذنين صلاة.....	٣	٢٠
البكر تستأذن.....	٩	٣٩٥	بين كل أذنين صلاة.....	٣	٢٣
البكر يستأذنها أبوها.....	٦	١٥٨	بين كل أذنين صلاة.....	٤	٣٦
بل أحسن صحبتته.....	٧	٤٥٩	بين كل أذنين.....	٣	٢٣
بل أشير عليك.....	٦	٥٣٢	بين يدي الساعة أيام الهرج.....	٩	٤٩٧
بل أنا وأرأسه.....	٧	٣٥٣	بيننا الناس بقاء في صلاة الصبح.....	٢	٢٨٤
بل أنتم فيه.....	٥	٦٤٩	بيننا النبي ﷺ يخطب في يوم الجمعة قام		
بل شربت عسلاً عند زنب بنت جحش.....	٧٠	٦١٤	أعرابي.....	٣	٥٥٤
بل يعيش حيداً، ويقتل شهيداً.....	١	١٣٧	بيننا أنا على بئر أنزع منها إزاء أبو بكر وعمر.....	٩	٤٦١
بلغ النبي ﷺ أن رجلاً من أصحابه أعتق			بيننا أنا مع النبي ﷺ مضطجعة في خيصة.....	٢	١٦٢
غلاماً.....	٩٠	٦٢٧	بيننا أنا مع النبي ﷺ مضطجعة في خيلة		
بلغني أن الجسر أدق من الشعرة... (من)			حضت.....	٢	٢٣١

الصفحة	الجزء	طوف الحديث	الصفحة	الجزء	طوف الحديث
٥٦٣	٦	الأصوات... (من قول عائشة).....	٤٦٦	٩	يينا أنا نائم أتيت بقدر لبن فشربت منه
٦٥٦	٩	تبايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئاً.....	٢٣٣	١	يينا أنا نائم أتيت بقدر لبن.....
٤٦٣	٤	تبكي أو لا تبكي، فما زالت الملائكة تظله.....	٤٦٨	٩	يينا أنا نائم إذ أتيت خزائن الأرض.....
٣٩٧	٤	تبكين أو لا تبكين، ما زالت الملائكة تظله بأجنحتها.....	٥٤٩	٩	يينا أنا نائم أطوف بالكعبة فإذا رجل آدم.....
٦٠٦	٣	تبيعهما أو تصيب بها حاجتك.....	٤٥١	٩	يينا أنا نائم رأيت الناس عرضوا علي.....
٦٦٢	٩	تبعون أذناب الإبل... (من قول أبي بكر).....	٤٦٧	٩	يينا أنا نائم رأيت أنه وضع في يدي سواران.....
٢١١	٢	تبعي بها أثر الدم... (من قول عائشة).....	٤٦٢	٩	يينا أنا نائم رأيت أني على حوض أسقي.....
٦٥٨	٥	تكون المدينة علي خير ما كانت.....	٤٦٣	٩	يينا أنا نائم رأيتني أطوف بالكعبة.....
٥٨٥	٧	تجزي عنك.....	٤٦١	٩	يينا أنا نائم رأيتني على قلب وعليها دلو.....
٥٥٢	١	تحت كل شجرة جنازة.....	٤٦٠	١٠	يينا أنا نائم رأيتني على قلب.....
٥١٠	٤	تحريمها التكبير، وتحليلها التسليم.....	٤٦٣، ٤٦٢	٩	يينا أنا نائم رأيتني في الجنة.....
٤٤٠	٧	تحشرون حفاة عراة غرلاً.....	٥١٤	٧	يينا أنا نائم فإذا مرة حتى إذا عرفتهم.....
٢٧٠	٩	تحلفون خمسين مرة على قاتل صاحبكم؟.....	٨٠	١	يينا أنا نائم، رأيت الناس يعرضون.....
١٠٥	٥	تحرار.....	٤٥١	٧	يينا رجل يجز إزاره.....
٥٦	٩	تحوز المرأة ثلاثة موارث.....	٤٦٢	١٠	يينا موسى في ملا من بني إسرائيل.....
٢٤٤	١٠	التحيات لله والصلوات والطيبات.....	٥٨٣	٦	البينة على المدعي.....
٣٩٢	٣	التحيات لله والصلوات.....	٥٥١	٧	البينة على المدعي.....
٧١٨	٧	تختلف أيدينا فيه... (من قول عائشة).....	٦٢٣	٩	البينة على المدعي.....
٥٢٦	١	تخرج نارقيل يوم القيامة.....	٥٩١، ٥٨٨	٧	بيتك أو يمينه.....
٤٣٣	٧	تخيروا لنطفكم فإن العرق دساس.....			يينا المسلمون في صلاة الفجر لم يفجأهم.....
١٦٠	٦	تدنو الشمس من رءوس الخلائق قدر ميل.....	٢٣٦	٣	يينا أنا أسير في الجنة إذا أنا بنهر.....
٤٩٩	٢	تدنو الشمس من رءوس الخلائق.....	٥١٢	٧	يينا أنا نائم رأيت الناس يعرضون علي.....
٨٢	٣	تدني الشمس يوم القيامة من الخلق.....	٤٥١	٩	وعليهم قمص.....
١٢٧	٩	تربة أرضنا، وريقه بعضنا.....			يينا أنا نائم رأيتني في الجنة فإذا امرأة تتوضأ.....
٤١٧	٧	ترجف المدينة بأهلها.....	٤٤٨	٦	يينا أيوب يغتسل عرياناً.....
٦٥٥	٥	ترجع البطاقة، وتطيش السجلات.....	٤٧٨	١٠	يينا رجل يمشي في حلة.....
٥٧٠	١٠	ترجف المدينة بأهلها ثلاث رجفات.....	٤٥٠	٧	يينا موسى في ملا من بني إسرائيل.....
٦٦٧	٥	تردين حديثه؟.....	٢٢١	١	يينا موسى في ملا من بني إسرائيل.....
٥٣٤	٦	تزوج النبي ﷺ أميمة بنت شراحيل.....	٢٢٨	١	يوتهن خير لهن.....
٤٨١	٦	تزوج النبي ﷺ عائشة وهي بنت ست سنين.....	١٧٧	٢	يوتهن خير لهن.....
٣٢٥	٦	تزوج النبي ﷺ وهو محرم.....	٥٥٠	٢	نأتي الإبل على صاحبها على خير ما كانت.....
٢٣٨	٦		٦١٣	٤	تأخذلن فرصة ممسكة.....
			١٧٣	١٠	تبارك الذي وسع سمعه



الجزء	الصفحة	طرف الحديث	الجزء	الصفحة	طرف الحديث
١٠	٥٠٩	تعس عبد الدنيا	٦	٣١٠	تزوج ولو يخاتم من حديد
٧	٣١٠	تعس عبد الدينار	٦	٤٤٤	تزوجني الزبير وما له في الأرض... (من قول أساء)
٧	٤٩١	تغذوه به إلى النبي ﷺ يحنكه	٦	٣٢٦	تزوجني النبي ﷺ فأنتني أُمي فأدخلتني الدار
٥	٦٦٠	تفتح اليمن فيأتي قوم ييسون	٦	٣٢١	تزوجني النبي ﷺ فأنتني أُمي فأدخلتني تزوجني النبي وأنا بنت... (من قول عائشة)
٢	١٦٧	تقرصه، ثم تحته، ثم تغسله، وتصلي فيه	١	٢٤	تزوجوا الودود الولود فإني مكثر بكم يوم القيامة
٩	١٠٨	تقطع اليد في ريع دينار فصاعداً	١٠	٣٤٣	تزوجوا الودود الولود
٩	١١٥	تقطع اليد في ريع دينار فصاعداً	٦	١٤٣، ١٣٧	تسبحون في دبر كل صلاة عشراً
٩	١١٦	تقطع اليد في ريع دينار	٧	١٨٧	تسبحون وتحمدون وتكبرون
٩	١١٦	تقطع يد السارق في ريع دينار	٣	٤٠٧	تسبق شهادة أحدهم يمينه
١٠	٢٦٢	تقول جهنم قط قط وعزتك	٧	٥٧١	التسبيح للرجال، والتصفيح للنساء
١٠	٢٥٧	تقول جهنم: قط قط	٤	٣١٥	التسبيح للرجال، والتصفيح للنساء
٢	١٧٠	تكثرون اللعن، وتكفرون العشير	٧	٦٤٨	تستطيع أن تعتق رقبة
٩	٤٢٤	تكفر كل شيء	٣	١٢	تسحرنا مع رسول الله ﷺ، ثم قمنا إلى الصلاة
١٠	٤٣٣	تكفل الله لمن جاهد في سبيله	٩	٣٤٣	تسير على بعير لها
١٠	٤٤٢	تكفل الله لمن جاهد في سبيله	٣	٦٠٨	تشتبهن نظيرين
١	٣٠٩	تلاحي رجالان	٣	٦٠٧	تشتبهن نظيرين؟
٧	٣٦٨	التلينة	٥	٦	تصدق رجل من ديناره من ثوبه
٩	٤٥٣	تلك الروضة روضة الإسلام	٥	٧٤٠	تصدقن ولو من حليكن
٦	٥٥٠	تلك السكينة تنزلت بالقرآن	٥	٢٠	تصدقوا فسيأتي عليكم زمان يمشي
١٠	٥٦٦	تلك الكلمة من الحق يخطئها	٤	٦٢٩	تصدقوا، فإنه يأتي عليكم زمان يمشي الرجل بصدقه
		تلك الكلمة من الحق، يخطئها من الجني	٩	٥٤٤	تصدقوا، فسيأتي على الناس زمان
٧	٤٣٠	تلك الملائكة دنت لصوتك ولو قرأت	١	٩٢٤، ٥٥٩	تطعم الطعام، وتقرأ السلام
٦	٦١	لأصبحت	٢	٢١٢	تطهري
		تلك امرأة كانت تظهر السوء... (من قول ابن عباس)	٦	٩٢	تعاهدوا القرآن فالذي نفسي بيده
٧	٦٥٣	تلك امرأة ينشأها	٤	٦٠٨	تعبد الله لا تشرك به شيئاً
٣	٥٥٠	تبارى الناس في صوم النبي ﷺ يوم عرفة	١٠	٣٦٤	تعجبون من غيرة سعد
		تمتعنا على عهد رسول الله ﷺ، فنزل القرآن	٦	٢٤٧	تعرض عليه نفسها
٥	٢٥٥	القرآن	١٠	٢٢٤	تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة
٦	٢٧٧، ٢٤٨	التمس ولو خاتماً من حديد	٢	١٦٧	تعس عبد الخميصة
٩	٤٢٧	التمسوها في السبع الأواخر			
٧	١٥٧	تنام عيناه ولا ينام قلبه			
		تنحى بعد أن فرغ من غسله... (من قول ميمونة)			
١	٦٣٠	تنكح المرأة لأربع: لِمَالِهَا			
٦	١٧٢	تنكح المرأة لأربع: لِمَالِهَا			

طرف الحديث	الجزء	الصفحة	طرف الحديث	الجزء	الصفحة
تهادوا تحابوا.....	٧	٥٤٦	الثلث كثير، إنك أن تذر.....	٧	٢٣٨
تهادوا تحابوا.....	٩	٣٥٥	الثلث والثلث كثير إنك أن تذر.....	٧	٢٩٣
تهادوا فإن الهدية تذهب وحر الصدر.....	٩	٣٥٥	الثلث والثلث كثير.....	٧	٣٣١
توضئوا مما مست النار.....	١	٥٤٤	الثلث، والثلث كثير.....	٤	٤٦٧
توضئوا من لحوم الإبل.....	٧	٦٣٠	الثلث، والثلث كثير.....	٦	٦٤٢
توضئوا لكل صلاة.....	١	٥٧٧	ثم أتى النساء معه بلال فأمرهن		
توضأ رسول الله ﷺ ثم صب وضوءه على.....	١٠	١٠١	بالصدقة.....	٣	٦٢٤
توضأ رسول الله ﷺ وضوءه للصلاة			ثم أتى بمنديل، فلم ينفذ بها... (من)		
غير رجليه.....	١	٦٣٠	قول ميمونة).....	١	٦٣٦
توضأ، واغسل ذكرك، ثم نم.....	٢	٣٨	ثم أدخلت الجنة فإذا فيها جبال اللؤلؤ.....	٢	١٩٩
توفي النبي ﷺ وليس في رأسه ولحيته.....	٧	٥٦٧	ثم أدخلت الجنة.....	٤	١٤٩
توفي رسول الله ﷺ وأنا ابن عشر			ثم إذا شرب فاقلوه.....	٩	١٠٥
سنتين... (من قول ابن عباس).....	٦	٩٥	ثم صلوا علي.....	٧	٢٢١
التيس المستعار.....	٦	٥٩٤	ثم صلى ركعتين كما يصلي في العيد.....	٤	٧٥
تكلتك أمك يا معاذ.....	١٠	٣١٠	ثم صلى لنا ركعتين جهر فيها بالقراءة		
تكلتك أمك يا معاذ.....	١٠	٧٢	(الاستسقاء).....	٤	٩٠
تكلتك أمك يا معاذ.....	٤	٤٧٧	ثم ليتخير بعد من المسألة ما شاء.....	٣	٣٥٧
تكلتك أمك يا معاذ.....	٧	٣٦٥	ثم ليتخير من الدعاء ما شاء.....	١	٦٠٢
تكلتك أمك.....	٣	٣٠١	ثم ليتخير من الدعاء ما شاء.....	٣	٣٨٩
تكلتك أمك.....	٧	١٦٧	ثم ليتخير من الدعاء ما شاء.....	٧	٢٦٢
تكلتك أمك، سنة أبي القاسم ﷺ.....	٣	٣٠١	ثم ليتخير من الدعاء.....	١٠	٢٨٦
ثلاث ساعات كان رسول الله ﷺ ينهانا أن	٣	٤٦٨	ثم يضطجع على شقه الأيمن.....	٤	٥١
ثلاث ساعات نهانا الرسول ﷺ أن			ثوبي حجر، ثوبي حجر... (من قول		
نصلي فيهن.....	٢	٥٦٥	موسى ﷺ).....	٣	٥٣٣
ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان.....	١	٧٨٦٤	ثورون، يأكل من زائدة كبدها.....	٧	٤٣٤
ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان.....	٩	٣٥٤	الطيب بالثيب جلد مائة والرجم.....	٩	١٤١
ثلاثة لا تقر بهم الملائكة: جيفة الكافر.....	٢	٣٣	جنت أنا وأبو بكر وعمر، ذهبت.....	٢	٣٧٢
ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة.....	١٠	٤١٦	جاء اليهود إلى النبي ﷺ برجل منهم		
ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة.....	٥	١٥	وامرأة زنيا.....	٤	٥١٨
ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة.....	٧	٣٧٣	جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي		
ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة.....	٧	٥٨٩	ﷺ.....	٦	١٣٧
ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة.....	٩	٦٥٥	جاء رجل إلى النبي ﷺ من أهل الكتاب،		
ثلاثة لم يبلغوا الحنث.....	١	٢٧١	فقال: يا أبا القاسم إن الله يمسك السموات	١٠	٣٦٠
ثلاثة لهم أجران.....	١	٢٦٤	جاء رجل فأعطاه غنما بين جبلين.....	١٠	٣٢
الثلث كثير.....	٩	٣٣	جاء رسول الله ﷺ يعودني، وأنا مريض		
الثلث كثير.....	٧	٣٣٦	لا أعقل.....	١	٥٢٧



الصفحة	الجزء	طرف الحديث	الصفحة	الجزء	طرف الحديث
١٣٨.....	١.....	حالف النبي ﷺ بين الأنصار.....	٥٩٦.....	٦.....	جاءت النبي ﷺ فاستأذنته أن تتكح فأذن لها فنكحت.....
٣٩١.....	٢.....	حب إلى من الدنيا: النساء.....	٢٤٧.....	٦.....	جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ.....
٣٠٤.....	٤.....	حبس النبي ﷺ.....	٣٣٢.....	٧.....	جاءني النبي ﷺ يعودني.....
١٨٨.....	٩.....	حبست الناس... (من قول أبي بكر).....	٢٥٣.....	٧.....	جاءني رجلان فجلس أحدهما عند رأسي.....
١٨٨.....	٩.....	حبست رسول الله ﷺ والناس وليسوا علي ماء... (من قول أبي بكر).....	١٦٨.....	١٠.....	جابر بن عبد الله يحلف بالله أن ابن الصائد الدجال.....
٣٣٣.....	٦.....	حبستي الناس على غير ماء... (من قول أبي بكر).....	٤٠٦.....	٤.....	الجار أحق بصقبه لما أعطيتك.....
٢٧٠.....	٣.....	حبك إياها أدخلك الجنة.....	٤٠٩٤ ٤٠٨٤ ٤٠٥.....	٤.....	الجار أحق بصقبه.....
٦٤٢.....	٦.....	حتى اللقمة ترفعها في امرأتك.....	٣٣٣.....	٦.....	جزاك الله خيراً فوالله ما نزل بك أمر قط إلا جعل... (من قول أسيد).....
٢٠٩.....	٧.....	حتى تورم قدماء.....	٣١٥.....	١.....	الجساسة.....
١٠٥.....	٥.....	حتى تحمار.....	٥٩٣.....	٢.....	الجساسة.....
١٥٩.....	١.....	حتى تخرج الطعينة من كذا إلى كذا لا تخشى إلا الله.....	٩٢.....	٤.....	جعل اليمين على الشمال (الاستسقاء).....
١٠٥.....	٥.....	حتى تذهب عاهته.....	٣٨٢.....	٧.....	جعلت قرة عيني في الصلاة.....
٥٣٦.....	٥.....	حتى تستحد المغيبة، وتمشط الشعثة.....	١٧٨٠ ١٥٣.....	٢.....	جعلت في الأرض مسجداً وطهوراً.....
٤٣٥.....	١٠.....	حتى تقوم الساعة.....	٢٦٢.....	٤.....	جعلت في الأرض مسجداً وطهوراً.....
٤٦٦.....	٦.....	حتى تمشط الشعثة، وتستحد المغيبة.....	٦٢٦.....	٤.....	جعلت في الأرض مسجداً.....
٢٨٥.....	٣.....	حتى هممت بأمر سوء... (من قول ابن مسعود).....	٣٠٩.....	٧.....	جعلت في الأرض.....
٢٨٩.....	٦.....	حتى يأذن أو يترك.....	٥٥٨.....	٧.....	الجلالة.....
٤٧٩.....	٧.....	حتى يضع رب العزة عليها قدمه.....	١٠٢.....	٤.....	جلد النبي ﷺ في الخمر بالجريد والنعال.....
٥٧٤.....	٧.....	حتى يضع رب العزة فيها.....	٣٧٠.....	٦.....	جلست إحدى عشرة امرأة.....
٢٣٩.....	١.....	حج النبي ﷺ مرتين.....	٥١٧.....	١.....	جمع ﷺ بنبوك.....
١٦٨.....	٥.....	حج عن نفسك، ثم حج عن شربة.....	٥٧٨.....	١.....	جمع النبي ﷺ بين الظهر والعصر.....
١٧٥.....	٥.....	حج مبرور.....	٥١٩.....	٢.....	جمع النبي ﷺ بين الظهر والعصر.....
١٨٥.....	٥.....	الحج مرة فما زاد فهو تطوع.....	٣٩٤.....	٥.....	جمع النبي ﷺ بين المغرب والعشاء.....
٦٠٩.....	٥.....	الحج مرة فما زاد فهو تطوع.....	٣٨٣.....	٧.....	بجمع.....
١٨١.....	٥.....	الحج مرة، فما زاد فهو تطوع.....	٤١٣.....	١.....	الجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله.....
٤٩٩.....	٢.....	حجابه النور لو كشفه لأحرقت.....	١٧٥.....	٥.....	جنتان من فضة أتيتهما وما فيها، وجنتان من ذهب.....
٣٨٢.....	٧.....	حجبت النار بالشهوات.....	٩٣.....	١.....	جهد العقل.....
١٠٨.....	١.....	حجي عنها، أرايت لو كان.....	٢٧.....	٥.....	جهد العقل.....
١٧١.....	٦.....	حجي واشترطي.....	١٤٨٠.....	٤.....	جهر النبي ﷺ في صلاة الخوف.....
١٩٢.....	٧.....	حدث الناس كل جمعة مرة... (من قول ابن عباس).....	٤٥٨.....	٥.....	بقراءته.....
٥٦١.....	٤.....	حرم الله مكة، فلم نحل لأحد قبلي.....			حابتنا هي؟.....

طرف الحديث	الجزء	الصفحة	طرف الحديث	الجزء	الصفحة
حرم على ذكورها.....	٧	٤٧٤	حملني عبدي، فإذا قال: الرحمن الرحيم.....	١٠	٢٧٤
حرم ما بين لابتي المدينة علي لساني.....	٥	٦٤٩	الحمو الموت.....	١	٤٠٣
حرم من النسب سبع، ومن الصهر سبع.....	٦	٢٢٠	الحمو الموت.....	٣	٦٢٨
حرم الظلم على نفسي.....	١٠	٥١٢	الحمو الموت.....	٦	٤٥٤، ١٧٠
حرموا من الرضاة ما يحرم من النسب.....	٦	٢٣٢	الحمو الموت.....	٦	١٩٧
حسابكيا على الله ، أحذركا كاذب لا سبيل لك عليها.....	٦	٦٣٥	الحمي من فوح جهنم.....	٧	٣٩٧
حب ابن آدم لقيات يقمن صلبه.....	١٠	٥١٧	الحمي من فيح جهنم.....	٧	٣٩٧، ٣٩٦
حب ابن آدم لقيات يقمن صلبه.....	٧	٣٣٤	حوزه ما بين صنعاء والمدينة... (من قول حارة).....	٧	٥١٨
حب علي بتطبيقه... (من قول ابن عمر).....	٦	٤٨٠	حوضي مسيرة شهر.....	٧	٥١١
حبك الآن.....	٦	١١٣	الحياة شعبة من الإيمان.....	٢	٢٥
حسر النبي ﷺ عن فخذة.....	٢	٢٢٧	الحياة من الإيمان.....	١	٤٧
حفاة عراة غرلاً.....	١	٣١٤	الحياة من الإيمان.....	٢	٢٥
حفظت من النبي ﷺ عشر ركعات.....	٤	٢٧١	حيث تقاسموا على الكفر.....	٥	٢٩٠
حق العباد على الله.....	٧	٧٢٨	حيل بيتا وبين خير الساء... (من قول الجن).....	٣	٢٦٥
حق الله على العباد أن يعبدوه.....	٤	٤٢٩	الخازن المسلم الأمين الذي خالفوا المجوس.....	٥	٣٨
حق الله على العباد، أن يعبدوه.....	٧	٧٢٥	خالفوا المشركين.....	٧	٥٦٦
حق المسلم على المسلم خمس.....	٤	٣٨٨	خالفوا اليهود، فإنهم لا يصلون في نعالهم.....	٢	٢٦١
حق المسلم على المسلم ست.....	٧	٦٦٨	خبأت هذا لك.....	٧	٤٧٠
حق المسلم على المسلم.....	٦	٣٥١	خذ جارية من السبي غيرها.....	٢	٢٢٩
حق المسلم على المسلم.....	٧	٣٢٨	خذ من صحتك لمرضك.....	٧	٢٨٤
الحق إلى أهل الصفة فادعهم لي.....	٧	٣٣٠	خذ هذا أفرغه على نفسك.....	١	٦١٩
حق على كل مسلم أن يتصل.....	٣	٤٨٧	خذ هذا فتصدق به.....	٧	٦٥٢
حل كله.....	٥	٢٥٠	خذ فضلك به.....	٧	٦٤٩
الحلال بين والحرام بين.....	١	١٥٧	خذ فضوله وتصدق به.....	٩	٦٠٦
خلق النبي ﷺ وطائفة من أصحابه.....	٥	٤٥٤	خذ فضوله وتصدق به.....	٩	٦٠٧
خلق رسول الله ﷺ في حجه.....	٥	٤٥٢	خذ، إذا جاءك من هذا الهال شيء وأنت غير مشرف.....	٥	٨٦
خلق عقرى، ما أراها إلا حابستكم الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه الشر.....	٥	٤٩٥	خذها فإنها هي لك أو لأخيك أو للذئب.....	٦	٥٥٩
الحمد لله الذي أحيانا.....	٧	١٥٣	خذوا القرآن من أربعة.....	٦	٣٨
الحمد لله الذي أحيانا.....	٧	١٨٣	خذوا ساحل البحر حتى نلتقي.....	٥	٥٦٨
الحمد لله الذي أنقذه من النار.....	٤	٥٧٤	خذوا عني، خذوا عني، فقد جعل الله.....	٩	١٦٨
الحمد لله على كل حال.....	٧	٣٦٧	خذوا من الأعمال ما تطيقون.....	٧	٥٢٩
الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره.....	١	٢٧٧			



الجزء	الصفحة	طرف الحديث	الجزء	الصفحة	طرف الحديث
١٠	٤٨٥	خلق الله الخلق فلما فرغ منه	٧	٤١٠	خذوها واضربوا لي بسهم
٦	٣٦٧	خلقن من ضلع	٢	٢١٢	خذني فرصة ممسكة
٧	٧٧٩	خروا الآية،	٢	٢١١	خذني فرصة من مسك فتطهري بها
١	١٣٣	خمس صلوات في اليوم والليلة	٩	٥٨٧	خذني ما يكفيك ووليك بالمعروف
٤	١١٤	خمس لا يعلمهن إلا الله	٩	٦٢٣	خذني ما يكفيك ووليك بالمعروف
٥	٥٧٧	خمس من الدواب كلهن فاسق	٦	٥٣٩	خذنيها واشترطي لهم الولاء
٥	٥٧٣	خمس من الدواب لا حرج	٧	٦٩١	خذنيها واشترطي لهم الولاء
٥	٥٧٣	خمس من الدواب ليس على المحرم	٤	٨٩	خرج النبي ﷺ بالناس يستسقي لهم
١	٢٨٩	خير الأسماء ما حمد وعبد	٤		خرج النبي ﷺ يستسقي فتوجه إلى القبلة
١٠	٢٨٨	خير الدعاء دعاء يوم عرفة	٤	٩٠	يدعو
٥	٢٧	خير الصدقة جهد المقل	٤	٦٧	خرج النبي ﷺ يستسقي، وحول رداءه
٥	٢٦	خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى	٧	٥٥٠	خرج النبي ﷺ يوم عيد فصل ركعتين
٥	٢٧	خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى			خرج النبي ﷺ يوم عيد، فصل ركعتين
٦	٦٤٦	خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى	٥	٣١	لم يصل
٧	٣٠٥	خير الناس قرني	١	٢٦٥	خرج رسول الله ﷺ إلى النساء فوعظهن
٧	٣٥١	خير الناس قرني	٦	٤٧٤	خرج رسول الله ﷺ فصل ثم خطب
٤	٩٩	خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم	١	٥١٦	خرج علينا رسول الله ﷺ بالهاجرة
٧	٢١١	خير الناس من طال عمره وحسن عمله	٢	٤٠٦	خرج علينا رسول الله ﷺ بالهاجرة
٤	٢٨٠	خير دور الأنصار			خرجت مع النبي ﷺ في جنازة،
٣	١٩٩	خير صفوف الرجال أولها	١	٢٥٠	وجلس خلفه أنتظر
٥	٣٢	خير صفوف النساء آخرها وشرها أولها			خرجت مع النبي ﷺ يوم فطر أو
٦	١٥٩	خير نساء ركن الإبل صالح نساء قريش	٣	٦٤٢	أضحى
		خير هذه الأمة أكثرها نساء... (من قول	٥	٥٤٦	خرجنا مع النبي ﷺ معتمرين
٦	١٤٤	ابن عباس)			خرجنا مع رسول الله ﷺ عام حجة
٦	٣٨٥	خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي	٥	٢٤٧	الوداع
٦	٤٤٩	خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي	٥	٤٢٧	خرجنا مع رسول الله ﷺ لخمس بقين
١٠	٤٦٦	خيركم خيركم لأهله	٥	٤٤٧	خرجنا مع رسول الله ﷺ لخمس بقين
٢	١٦٢	خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي			خرجنا مع رسول الله ﷺ، فحال كفار
٢	٢٥١	خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي	٥	٥٤٤	قريش دون البيت
٧	٣٠٢	خيركم قرني			خسفت الشمس في عهد رسول الله ﷺ
٧	٦٢٤	خيركم قرني	٤	١٢٤	فصلى
٦	٣٩	خيركم من تعلم القرآن وعلمه	٧	٢٩٠	خط النبي ﷺ خطاً مريباً
٦	٧٨	خيركم من تعلم القرآن وعلمه	٣	٥٤٨	خطب خطبتين
٦	٤٨٦	خيرنا النبي ﷺ، أفكان طلاقاً	٥	٤٦٣	خطبنا النبي ﷺ يوم النحر
٦	٤٨٦	خيرنا رسول الله ﷺ فاخترنا الله ورسوله	٧	٦٤٤	خلق الله آدم على صورته
١٠	١٧٣	الخيول لثلاثة: لرجل أجر	٧	٦٤٤	خلق الله آدم على صورته

الجزء	الصفحة	طرف الحديث	الجزء	الصفحة	طرف الحديث
٦٥٩	٩	ذلك لو كان وأنا حي فأستغفر لك وأدعو لك	٦٠١	٧	دباغ جلود الميتة
٣٣٤	٧	ذلك لو كان وأنا حي	١١١	٥	دباغها ذكاتها
٣٩١	٧	ذرة سنامه	٥٤٥	١٠	الدجال أعور
٣٧٦	٧	ذكر رجل فيمن كان سلف	٧٧	٤	الدجال
٣٤١	٤	ذكرت وأنا في الصلاة تقرأ	٥٠٥	٧	دحض مزلة
		ذكرنا هذا الرجل صلاة كنا نصليها مع	٢٦٧	٥	دخل النبي ﷺ عام الفتح من كداء
٢٩٦	٣	رسول الله ﷺ			دخل على النبي ﷺ وأنا مريض فتروضاً
٢٩	٦	ذكره أبي بن كعب بأية كان نسيها	٣٥٠	٧	فصب على
١٤٣	٦	ذلك الواد الخفي	٤٨	٩	دخل علي النبي ﷺ وأنا مريض فدعا بوضوء
٥٢٤	٦	ذلك صريح الإيمان			دخلت الجنة - أو أتيت الجنة -
٢٢٨	٢	ذلك عرق، وليس بالحیضة	٤٤٧	٦	فأبصرت قصراً
٤٥٦	١٠	ذلك فضلي أوتيته من أشاء	٤٦٢	٩	دخلت الجنة فإذا أنا بقصر من ذهب
٤٠٦	١٠	ذلك لك وعشرة أمثاله.. (قدسي)	٣٤٩	٦	دعا أبو أسيد الساعدي رسول الله
٤٠٦	١٠	ذلك لك ومثله معه	٣٧٠	٧	دعا بهاء فرش عليه
٦٥١	٥	ذمة المسلمين واحدة يسعى بها أدناهم	٥٠٧	٧	الدعاء هو العبادة
٦٨	٩	ذمة المسلمين واحدة يسعى بها أدناهم	٤٨٩	٩	دعانا النبي ﷺ فبايعناه
٨٩	١٠	ذمة مسلمين واحدة	٨٢	١	دعه؛ فإن الحياة من الإيمان
١٧	٣	ذنب السرحان	١٥٠	١	دعها، فإنها معها سقاؤها وحذاؤها
٤٠٧	٣	ذهب أهل الدور	٣٥	٤	دعهم أمناً بني أرفدة
٦٢٦	٦	الذهب بالذهب	٤٦٨	٧	دعهم فإني أدخلتهم طاهرتين
٦١٢	٧	الذهب بالذهب	٣٥	٤	دعهم يا أبا بكر، فإنها أيام عيد
		الذهب بالذهب، والفضة بالفضة، والبر	٥٣٨	١	دعهم؛ فإني أدخلتهم طاهرتين
١٤٣	٥	بالبر	٦٥	١٠	دعوني ما ترككم
٤٩٧	٧	الذهب، والفضة، والحريز	٥٦٠	١	دعوه
٤٩٢	٢	الذي تفوته صلاة العصر كأنها وتر أهله	٢١٤	٢	دعي عمرتك وانقضي رأسك
٣٦٤	٣	الذي يتكلم يوم الجمعة	٥١٧	٥	دعي عمرتك وانقضي رأسك
٥٩٠	٤	الذي يخفق نفسه يخفقها في النار	٣٠٤	٦	دعي هذه وقولي بالذي كنت تقولين
١٩١	٧	رلقد أذكرني	٣٨١	١	دفع رسول الله ﷺ من عرفة
		الرؤيا الحسنة من الرجل الصالح جزء من	٥٦٥	٤	دفن مع أبي رجل... (من قول جابر)
٤١٦	٩	سنة وأربعين	٥٣٠	٤	دلوني على قبره
٤٧٣	٩	الرؤيا الحسنة من الله	١٧٠	١	الدين النصيحة
٤١٧	٩	الرؤيا الصادقة من الله، والحلم من الشيطان	٤٥٠	٢	الدين النصيحة لله ولكتابه
٤١٨	٩	الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين	٥٧٧	٩	الدين النصيحة
٤١٨	٩	الرؤيا الصالحة من الله، والحلم من الشيطان	٤٩٧	٧	ذلك أدنى أهل الجنة منزلة
٤٤١	٩	الرؤيا الصالحة من الله، والحلم من الشيطان	٦٣٢	٢	ذلك شيطان يقال له خنزب
		رؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءاً من	٤٦٠	٩	ذلك عمله يجري له



طُرف الحديث	الجزء	الصفحة	طُرف الحديث	الجزء	الصفحة
النُوبة.....	٩.....	٤١٨	رفع يديه.....	٣.....	٢١٦
الرؤيا جزء من ستة وأربعين.....	١.....	٢٦	رأيت رسول الله ﷺ بالأبطح.....	٣.....	٣٥
الرؤيا من الله.....	٧.....	٤١٩	رأيت رسول الله ﷺ حين يقدم مكة.....	٥.....	٣١٦
الرؤيا من الله والحلم من الشيطان.....	٩.....	٤٥٠	رأيت رسول الله ﷺ في المسجد مستلقياً.....	٧.....	٧٦٨
الراحمون يرهمهم الرحمن.....	١٠.....	٣٩٠	رأيت رسول الله ﷺ قاعداً على لبنتين،		
رأى رجلاً يصلي معقوص الشعر... (أي			مستقبل بيت المقدس.....	١.....	٤٠٤
ابن عباس).....	٣.....	٣٤٥	رأيت رسول الله ﷺ وهو علي الراحلة		
رأى في يد رسول الله ﷺ خاتماً من ورق.....	٧.....	٥٣٦	يسبح.....	٤.....	١٩٠
رأيت بلالاً يؤذن، فجعلت أتبع... (من			رأيت رسول الله ﷺ يأكل ذراعاً يحتر		
قول أبي جحيفة).....	٣.....	٤٠	منها.....	٣.....	١١٢
رأيت الباء ينبع.....	١.....	٤٤٦	رأيت رسول الله ﷺ يركب راحلته.....	٥.....	١٧٠
رأيت المطر يتحادر على لحيته ﷺ.....	٤.....	٩٦	رأيت رسول الله ﷺ يستلمه ويقبله.....	٥.....	٣٢٣
رأيت الملائكة تغسلها.....	٤.....	٥٥٨	رأيت رسول الله ﷺ يسجد في الماء		
رأيت الناس اجتماعوا، فقام أبو بكر فزع			والطين.....	٣.....	١٠٤
ذنوباً.....	٩.....	٤٦١	رأيت رسول الله ﷺ يسجد في الماء		
رأيت النبي ﷺ إذا أعجله السير.....	٤.....	١٨٧	والطين.....	٣.....	٣٩٣
رأيت النبي ﷺ إذا جد به السير.....	٥.....	٥٣٩	رأيت رسول الله ﷺ يصبغ بالصفرة.....	٧.....	٥٢٥
رأيت النبي ﷺ صنع مثل هذا... (في			رأيت رسول الله ﷺ يلبس النعال التي		
المسح على الخفين).....	٢.....	٢٦٢	ليس فيها شعر.....	٧.....	٥٢٥
رأيت النبي ﷺ يتحرى الصلاة عندها.....	٢.....	٤٠٩	رأيت رسول الله ﷺ يوم الفتح.....	١٠.....	٥٤٠
رأيت النبي ﷺ يحتر من كف شاة.....	١.....	٥٤٦	رأيت رسول الله ﷺ يوم فتح مكة وهو		
رأيت النبي ﷺ يستري بردائه وأنا أنظر			يقرأ.....	٦.....	٩٤
إلى الحبشة.....	٦.....	٤٦٠	رأيت عبد الله بن الزبير، يطوف بعد		
رأيت النبي ﷺ يصلي علي راحلته.....	٤.....	١٨٨	الفجر.....	٥.....	٣٤٥
رأيت النبي ﷺ يصلي في ثوب.....	٢.....	٢١١	رأيت في المنام أني أهاجر من مكة إلى أرض		
رأيت النبي ﷺ يفعل.. (الصلاة إلى			بها نخل.....	٩.....	٤٦٧
البعير).....	٢.....	٣١٤	رأيت في المنام كأن في يدي سرقه من		
رأيت النبي ﷺ يقرأ وهو على ناقته.....	٦.....	١٠٩	حرير... (من قول ابن عمر).....	٩.....	٤٥٥
رأيت امرأة سوداء ثائرة الرأس خرجت من			رأيت في رؤيائي أني مززت سيفاً فالتقط		
المدينة.....	٩.....	٤٦٩	صدره.....	٩.....	٤٧٠
رأيت بشمال النبي ﷺ ويمينه رجلين.....	٧.....	٤٩٤	رأيت كأن امرأة سوداء ثائرة الرأس.....	٩.....	٤٦٨
رأيت بضعة وثلاثين ملكاً يندرونها.....	٣.....	٣١٣	رأيت نوراً.....	١٠.....	٢٣٨
رأيت رسول الله ﷺ إذا أعجله السير في			رأيتني مع النبي ﷺ بنيت بيدي بيتاً.....	٧.....	٧٩٤
السفر.....	٤.....	١٩٦	رأته عبداً؛ يعني... (من قول ابن		
رأيت رسول الله ﷺ إذا أعجله السير.....	٤.....	١٨٦	عباس) زوج بريرة.....	٦.....	٥٤١
رأيت رسول الله ﷺ إذا قام في الصلاة			رب أشعث أغبر مدفوع بالأبواب.....	٧.....	٥٧٠

طرف الحديث	الجزء	الصفحة	طرف الحديث	الجزء	الصفحة
رب أشعث مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبره.....	٦	١٧٤	رضينا بالله ربا، وبالإسلام ديناً... (من قول عمر).....	١٠	٧٦
رب اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون.....	٩	٣٢٧	رفع الصوت بالذكر حين ينصرف الناس.....	٣	٤٠٤
رب اغفر لي وارحمني.....	٧	٢٦٦	رفع القلم عن ثلاث.....	٩	١٤٢
رب مبلغ أوعى.....	١٠	١٠٥	رفع القلم عن ثلاثة.....	٥	١٥٣
ربنا آتانا في الدنيا حسنةً.....	٧	٢٥٢	رفع النبي ﷺ رأسه إلى السماء.....	١	٤٩٧
ربنا لك الحمد.....	٣	٣١٢	رفع النبي ﷺ واستوى حتى يعود كل فقار.....	٣	٣١٥
رجل آتاه الله القرآن.....	١٠	٥٢٨	رفع النبي ﷺ يديه حتى رأيت يياض إبطيه.....	٤	٩٣
رجل آتاه الله تعالى مالا.....	٧	٤٠١	الرفق ما كان في شيء إلا زانه.....	١	٥٦٢
رجل جاهد نفسه وماله.....	٧	٣٩٠	رقيت يوما على بيت حفصة فرأيت النبي ﷺ.....	١	٣٩٦
رجل في شعب من الشعاب.....	٧	٣٩١	ركع النبي ﷺ ركعتين في سجدة (صلاة الكسوف).....	٤	١٣٤
الرجل مزكوم.....	٤	٣٨٥	ركعتا الفجر.....	٧	٤٩٥
الرجل يقاتل حمية، ويقاتل شجاعةً.....	١٠	٤٣٤	ركعتان لم يكن رسول الله ﷺ يدعها سرا.....	٢	٥٦٩
رجم النبي ﷺ ورجنا بعلمه.....	٩	١٥٧	ولا علانيةً.....	٢	٥٦٩
رجم النبي ﷺ.....	٩	١٨٥	ركعتين خفيفتين... (من قول عائشة).....	٣	٢١
رجم رسول الله ﷺ ورجنا بعلمه.....	٩	١٦٠	الروح إن كنت تريد السنة... (من قول ابن عمر).....	٥	٣٨١
رحم الله امرأة صلى قبل العصر أربعاً.....	٤	٢٧٢	الروح... (من قول ابن عمر).....	٥	٣٨٤
رحمة الله على موسى.....	٧	٧٧٦	رويدا أيها الناس، عليكم السكينة.....	٢	٤٧٤
رحمته سبقت غضبه.....	١٠	٢٧٠	زادك الله حرصاً ولا تعد.....	١	٢٣٩
رحمتي سبقت غضبي... (قدسي).....	٥	٣٦	زادك الله حرصاً ولا تعد.....	٣	٢٩٤
رخص النبي ﷺ الرقية من كل ذي حمة.....	٧	٤١٦	الزمان قد استأثر كهيته يوم خلق الله السموات والأرض.....	١٠	٤١٧
رخص النبي ﷺ للزبير وعبد الرحمن في لبس الحرير.....	٧	٥٠٦	زملوهم بجراحهم فإني أنا الشهيد عليهم.....	٤	٥٦٠
رخص النبي ﷺ.....	٥	٤٦٥	زوجت أختاً لي من رجل فطلقتها... (من قول معقل).....	٦	٢٦٦
رخص للحائض أن تنفر إذا أفاضت.....	٥	٤٨٥	زوجتك يا معك من القرآن.....	٧	٢٢٥
رخص للحائض أن تنفر إذا.....	٢	٢٣٨	زوجتك يا معك من القرآن.....	٦	٨٠
رخص للحائض أن تنفر... (من قول ابن عباس).....	٢	٢٣٨	زوجناك يا معك من القرآن.....	٦	٢٧٧
رخص للرعاة في ترك الميت بمنى.....	٥	٥٩٠			
رد رسول الله ﷺ ابنته على أبي العاص بالنكاح الأول.....	٦	٥٥١			
رد رسول الله ﷺ على عثمان بن مظعون التبتل.....	٦	١٥٠			
رسول الله ﷺ خرج في حلة مشعراً.....	٧	٤٤٨			
رضاه صمتها.....	٦	٢٧٨			



طُرف الحديث	الجزء	الصفحة	طُرف الحديث	الجزء	الصفحة
سئل عن بيع التمر بالرطب.....	٣	٣٢٧	سبعة يظلمهم الله في ظله.....	٧	٣٧٣
سائر أيامه كأيامكم.....	٤	١٠٥	سبعة يظلمهم الله يوم القيامة في ظله.....	٩	١٢٦
سابق النبي ﷺ بين الخيل... (من قول ابن عمر).....	١٠	١٣٧	سبعة يظلمهم الله.....	٧	٤٨٨
الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد.....	٣	٥٦٥	سبعون ألفاً يدخلون الجنة بلا.....	٧	٤٣١
الساعي على الأرملة والمسكين.....	٦	٦٤١	سبقك بها عكاشة.....	٢	٤٦٠
سأفعل إن شاء الله... (لعناب بن مالك).....	٢	٣٠١	سبقك بها عكاشة.....	٧	٤٢٤
سألت ربي فوعدني أن يدخل الجنة.....	٧	٤٧٢	سبقك بها عكاشة.....	٧	٤٦٥
سألوا النبي ﷺ عن امرأة توفي زوجها.....	٤	٤٤٩	سبقك عكاشة.....	٧	٣٧٧
سب رسول الله ﷺ الواصلة والمستوصلة.....	٧	٥٩٧	سبقك عكاشة.....	٧	٤٨٤
سباب المؤمن فسوق، وقتاله كفر.....	٩	٢١٥	ستر ما بين الجن وعورات بني آدم إذا دخل.....	١	٣٩٢
سباب المسلم فسوق وقتاله كفر.....	١	٩٨	سترت النبي ﷺ، وهو يغتسل.....	٢	٢١
سباب المسلم فسوق.....	١	١٤٠	ستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة.....	٤	٤٦٩
سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر.....	٩	٨٥	ستكون فنن القاعد فيها خير من القائم.....	٩	٥٠٤
سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر.....	٤	٣٧٦	ستكون هجرة بعد هجرة، وتنازع الناس.....	٧	٤٣٦
سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر.....	٩	٥٠٣	سجد النبي ﷺ ووضع يديه غير مفترش.....	٣	٣١٣
سبحان الله عشراً، والحمد لله عشراً، والله أكبر عشراً.....	٣	٤٠٨	سجدت بها خلف أبي القاسم ﷺ.....	٣	٢٦١
سبحان الله يا أبا هر، إن المؤمن لا ينجس.....	٢	٣٠	سجدت خلف أبي القاسم ﷺ.....	٣	٢٦٠
سبحان الله.....	٢	٢١٢	سجدها داود توبة، ونحن نسجدها شكراً.....	٤	١٥٩
سبحان الله! ماذا أنزل الله من الخزائن؟.....	٩	٥٠٠	سحاء الليل والنهار.....	١٠	٣٥٨
سبحان الله! ماذا أنزل الليلة من الفتنة.....	٤	٢٢٠	سحقاً سحقاً لمن بدل بعدي.....	٩	٤٨٦
سبحان الله، إن المسلم لا ينجس.....	٢	٢٦	سحقاً سحقاً لمن غير بعدي.....	٧	٥١٣
سبحان الله، والحمد لله، والله أكبر، ولا إله إلا الله.....	٣	٤٠٨	سدوا وقاربوا، وأبشروا.....	٧	٣٤٢
سبحان ربي الأعلى.....	١٠	٣٨٧	سدوا وقاربوا.....	٧	٣٤٠
سبحانك اللهم ربنا وبحمدك.....	٣	٣١٠	سعى النبي ﷺ ثلاثة أشواط، ومشى أربعة.....	٥	٣١٧
سبحانك اللهم ربنا وبحمدك.....	٣	٣٥٤	السفر قطعة من العذاب.....	٤	٤٥٤
سبحانك اللهم وبحمدك.....	٣	٥٦٣	السفر قطعة من العذاب.....	٤	٤٩٠
سبحانك اللهم.....	١	٣٧٤	السفر قطعة من العذاب.....	٥	٥٣٨
سبعة يظلمهم الله تعالى في ظله.....	٥	١٥٠	سقتني حفصة شربة عسل.....	٦	٤٩٨
سبعة يظلمهم الله في ظله يوم لا ظل.....	٣	٧٨	سقتني حفصة شربة عسل.....	٩	٣٩٥
سبعة يظلمهم الله في ظله.....	٥	٧	سقت رسول الله ﷺ من زمزم، فشرب.....	٥	٣٥١
			سكاتها إذنها.....	٩	٣٦٠
			السلام على النبي... (من قول ابن مسعود).....	١٠	٢٤٣

الجزء	الصفحة	طرف الحديث	الجزء	الصفحة	طرف الحديث
٣٧٣	١٠	للكريسي	٣٨٠	٣	السلام على النبي... (من قول ابن مسعود)
٤٣٦	٦	السنة إذا تزوج البكر أقام عندها سعيًا	١٨٧	١٠	السلام على أهل الديار
٢٥١	٥	سنة النبي ﷺ... (من قول ابن عباس في حج التمتع)	٣٨١	٣	السلام عليك أيها النبي... (من قول عمر)
٣٥٤	٩	سنتين كسني يوسف	٤١٥	٩	السلام عليكم دار قوم مؤمنين
٦٠٩، ٢٥٩، ١٥٠	١	السواك مطهرة للفم مرضاة للرب	٢٦٠	١	سلوني عما شئتم
٤٧٨	٣	السواك مطهرة للفم مرضاة للرب	٧٦	١٠	سلوني
٢٢٠	١٠	السواك مطهرة للفم، مرضاة للرب	٤٧٦	٢	سلوني
٤١٥	٧	سودوا نوتته	٣٧٩	١	سلوه لأي شيء يصنع ذلك
١٩١	٣	سواوا صفوفكم فإن تسوية	٢٠٨	١٠	سلوه لأي شيء يصنع ذلك؟
٣٣٦	٩	سيخرج قوم في آخر الزمان أحداث الأسنان	٢١٦	٣	سمع الله لمن حمده
١٨٣	٧	سيد الاستغفار اللهم أنت ربي	٢١٦	٣	سمع الله لمن حمده
١٤١	٧	سبيا الاستغفار أن يقول	٣٠١	٣	سمع الله لمن حمده
٢٢٤	١٠	السيد الله تبارك وتعالى	٣١١	٣	سمع الله لمن حمده
٣٦٨	١	سبيا ليست لغيركم	٣١٣	٣	سمع الله لمن حمده
١٧٧	٦	الشؤم في المرأة، والدار، والفرس	٣٤٥	٣	سمع الله لمن حمده
٤٢٦	٧	الشؤم في ثلاث	٥٧٢	٩	السمع والطاعة على المرء المسلم
٦١٤	٣	شاة لحم	١٧٧	٩	سمعت النبي ﷺ يأمر فيمن زني ولم يحصن
٢٦٦	٩	شاهدك أوعينه	٢٢٧	٧	سمعت النبي ﷺ يتعوذ من عذاب القبر
		شبهتمونا بالحمز والكلاب... (من قول عائشة)	٤٦٣	٥	سمعت النبي ﷺ يخاطب بعرفات
٤٣٠	٢	شر الطعام طعام الوليمة	٢٥٩	٣	سمعت النبي ﷺ يقرأ بطول الطولين
٦٤٠	٧	شراك من نار	٥٤٧	١٠	سمعت النبي ﷺ يقرأ في العشاء
٢٣٢	٣	شغلتي أعلام هذه، اذهبوا			سمعت النبي ﷺ يقرأ: ﴿والتين والزيتون﴾ في العشاء
		شغلونا عن الصلاة الوسطى... (من قول عمر)	٢٦١	٣	سمعت النبي ﷺ ينهى عن الصلاة عند طلوع الشمس
٥٩٢	٣	الشفاء في ثلاثة: في شرطة محجم	٣٤٥	٥	سمعت رسول الله ﷺ قرأ في المغرب بالطور
٣٥٩	٧	الشفاء في ثلاثة: شربة عسل	٢٦٠	٣	سمعت رسول الله ﷺ يستعيز في صلاته
٣٥٩	٧	شفاعتي لأهل الكبائر من أمي	٣٨١	٣	سمعت رسول الله ﷺ يستعيز في صلاته
٣٥٧	١٠	شك الناس يوم عرفة في صوم النبي ﷺ			سمعت رسول الله ﷺ يستعيز في صلاته
٣٧٩	٥	شكوت إلى رسول الله ﷺ أنني أشتكى... (أم سلمة)	٥٥٤	٩	فتنة الدجال
٣٦٤	٢	الشمس والقمر لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته	٥٨٠	٧	سمعت رسول الله ﷺ ينهى عن الفرع
١٤٢	٤	شهد عندي رجال مرضيون (من قول ابن	٢٠٤	٥	سمعت رسول الله ﷺ يهل مليدا
			٩٢	١٠	سموا أنتم وكلوا
			٣٣٤	٧	سموا أنتم وكلوا



طرف الحديث	الجزء	الصفحة	طرف الحديث	الجزء	الصفحة
عباس).....	٢	٥٥٢	لسعد).....	٣	٢٦٢
الشهداء: الغرق، والمطعون.....	٣	١٩٠	صدقك وهو كذوب.....	٧	٢٣١
شهدت العيد مع النبي ﷺ فصل قبل الخطبة.....	٧	٥٤٨	صدقك وهو كذوب، ذاك شيطان.....	٦	٥٤
شهدت المتلاعنين... (من قول سهل بن سعد).....	٩	٦٠٧	صرخ إيليس يوم أحد في الناس... (من قول عائشة).....	٩	٢٤٣
شهدت عثمان وعليه، وعثمان ينهى عن المتعة.....	٥	٢٤٩	صل ركعتين.....	٢	٣٣٢
شهدت مع رسول الله ﷺ العيد أضحى أو فطرًا؟.....	٦	٤٧٤	صل ركعتين، وتجوز فيهما.....	٣	٥٥٧
الشهر تسع وعشرون.....	٦	٥٥٥	صل قائمًا فإن لم تستطع فقاعدًا.....	١	١١١
الشهر مكنا ومكنا وهكذا.....	٦	٥٧٩	صل قائمًا فإن لم تستطع فقاعدًا.....	٤	٢٠٦
الشهر مكنا وهكذا.....	٩	٢٣٠	صل هاهنا.....	٧	٦٣٤
الشهر مكنا، وهكذا.....	٧	٦٠٠	صلاة الآيات ست ركعات وأربع سجعات.....	٤	١٠٤
الشهر مكنا، وهكذا، وهكذا.....	٢	٢٥١	صلاة التساييح.....	٣	٦٣١
شيخ زان، وملك كذاب، وعائل مستكبر.....	٥	١٦	صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفذ.....	٢	٤٨٧
الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموا البتة نكالا.....	٩	١٦٧	صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ.....	٣	٦٣
الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم.....	٥	٦٣٠	صلاة الجميع تزيد على صلاته في بيته.....	٢	٣٨٦
﴿ص﴾ ليس من عزائم السجود.....	٤	١٥٧	صلاة الرجل قاعدًا على نصف الصلاة.....	٤	٢٠٤
صبيت للنبي ﷺ غسلًا.....	١	٦٣٦	صلاة الرجل مع الرجل أزكى من صلاته وحده.....	٣	٦٤
الصبر عند الصدمة الأولى.....	٤	٤٨٤	صلاة الرجل مع الرجل أزكى من صلاته وحده.....	٤	٥٥
صحبت النبي ﷺ فلم أره يسبح في السفر.....	٤	١٩٢	صلاة الرسول سبع وتسع وإحدى عشرة.....	٤	٢٢٨
صحبت رسول الله ﷺ فكان لا يزيد في السفر.....	٤	١٩٢	الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم.....	٧	٤١٤
صدق الله: ﴿كَذَّبُوا﴾.....	٦	٣٣٣	الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم.....	٧	٤١٥
صدق الله، وكذب بطن أخيك.....	٧	٣٦٠	صلاة العشاء إلى نصف الليل.....	٢	٥٣٥
صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده.....	٦	١٢١	صلاة القاعد على النصف من أجر صلاة القائم.....	٣	٢٥٣
الصدقة تدفع ميتة السوء.....	٢	١٧١	صلاة القاعد نصف صلاة القائم.....	٤	٢٠٣
صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوها صدقته.....	٥	٣٧٨	صلاة الليل مثنى مثنى.....	٤	٥٠٤
الصدقة تطفى الخطيئة.....	٢	١٧١	صلاة الليل مثنى مثنى.....	٤	٤٨
الصدقة تطفى الخطيئة.....	٦	١٨٤	الصلاة أمامك.....	١	٣٨١
صدقك ذاك الظن بك... (من قول عمر			الصلاة أمامك.....	٥	٣٩٣، ٣٩٠، ٣٨٨
			الصلاة أول ما فرضت ركعتين... (من قول عائشة).....	٤	١٨٥
			الصلاة جامعة.....	١	٥٠٥

طُرف الحديث	الجزء	الصفحة	طُرف الحديث	الجزء	الصفحة
الصلاة خير من النوم.....	٣	١٤	الجمعة.....	١	٤٢٩ ٩٠٥
الصلاة خير من النوم.....	٣	٢٠	صلّى الظهر ركعتين، والعصر ركعتين.....	٢	٢٣٩
الصلاة خير من النوم.....	٣	٣٦٠	صلّى الناس ورددوا، ولم تزلوا.....	٣	٨٥
الصلاة على وقتها.....	١	٨٦	صلّى النبي ﷺ الظهر بالمدينة أربعاً.....	٥	٤٣٤
الصلاة على وقتها.....	٢	٤٥٧	صلّى النبي ﷺ الظهر ركعتين.....	٣	١٨٢
الصلاة في الرحال.....	٣	٦	صلّى النبي ﷺ العشاء، ثم صلّى ثمان ركعات.....	٤	٢٤٦
صلاة في مسجدني هذا خير.....	٤	٢٩٠	صلّى النبي ﷺ بالمدينة أربعاً، وبذي الحليفة ركعتين.....	٥	٢٢٧
صلاة في مسجدني هذا.....	١٠	٦٨	صلّى النبي ﷺ بالمدينة الظهر أربعاً.....	٥	٢٢٨
صلاة في مسجدني هذا.....	٤	٢٩١	صلّى النبي ﷺ خُصاً.....	٧	٥٦٢
الصلاة لوقتها.....	١٠	٥٣٨	صلّى النبي ﷺ على أصحمة النجاشي، فكبر أربعاً.....	٤	٥٢٧
صلوا ركعتي الفجر، ولو طردنكم الخيل.....	١	٣٨٣	صلّى النبي ﷺ على رجل بعد ما دفن بليلة.....	٤	٥٤٣
صلوا على صاحبكم.....	٤	٥٠٨	صلّى النبي ﷺ في كسوف الشمس أربع ركعات في سجدين.....	٤	١٤٨
صلوا في بيوتكم.....	٣	٤٩٠	صلّى النبي ﷺ إلى بيت المقدس ستة عشر شهراً.....	١	١١٤
صلوا في رحالكم.....	١٠	١٢٦	صلّى بنا النبي ﷺ آمن ما كان بمنّي ركعتين.....	٤	١٧٧
صلوا في رحالكم.....	٢	٦٣١	صلّى بنا النبي ﷺ بمنّي.....	٥	٣٧٧
صلوا في مراض الغنم، ولا تصلوا في أعطان الإبل.....	٢	٣١٦	صلّى بنا النبي ﷺ فقام في الركعتين.....	٧	٥٨٢
صلوا في نعالكم.....	٧	٥٦٢	صلّى بنا رسول الله ﷺ الظهر.....	٣	٣٧٩
صلوا قبل المغرب.....	١	٥٠١	صلّى بنا عثمان بمنّي أربع (من قول عبد الرحمن بن يزيد).....	٢	٦٠٤
صلوا قبل المغرب.....	٣	١٩	صلّى رسول الله ﷺ بمنّي ركعتين.....	٥	٣٧٧
صلوا قبل المغرب.....	٤	٣٦	صلّى رسول الله ﷺ على النجاشي.....	٤	٥٠٥
صلوا قبل صلاة المغرب.....	١٠	١٨٥	صلّى رسول الله ﷺ ونحن معه بالمدينة الظهر أربعاً.....	٥	٢٣١
صلوا قبل صلاة المغرب.....	٤	٢٧٢	صلّى لنا رسول الله ﷺ ركعتين.....	٤	٢٦٠
صلوا كما رأيتموني أصلي.....	٣	٢٩٦	صلّى لنا رسول الله ﷺ ركعتين.....	٤	٣٤٧
صلوا كما رأيتموني أصلي.....	٣	٣١٢	صلّى الظهر مع النبي ﷺ.....	٤	١٨٥
صلوا كما رأيتموني أصلي.....	٣	٥٤	صلّى مع النبي ﷺ بمنّي ركعتين.....	٤	١٧٦
صلوا كما رأيتموني أصلي.....	٤	٣٤٩	صلّى مع النبي ﷺ ذات ليلة فقرأ النبي ﷺ «البقرة» ثم «النساء» ثم «آل عمران».....	٣	٢٧٤
صلوا كما رأيتموني أصلي.....	٤	٣٦٠			
صلوا كما رأيتموني أصلي.....	٧	٢٦٢			
الصلوات الخمس إلا أن تطرّع شيئاً.....	٩	٣٧٨			
الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة.....	٣	٢٩٠			
الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة.....	٣	٤٦٩			
الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة.....					



طرف الحديث	الجزء	الصفحة	طرف الحديث	الجزء	الصفحة
صليت مع النبي ﷺ ذات ليلة فقامت	٣	١٩٥	طاف بالبيت سبعاً	٥	٣٦٤
عن يساره	٥	٣٧٨	طاف رسول الله ﷺ على بعيره، وكان	٦	٥٧١
صليت مع النبي ﷺ ركعتين	٤	٢٦٥	كلما أتى على الركن	٩	٢٢٤
صليت مع النبي ﷺ سجدة قبل	٤	١٧٩	طعام بطعام وإناء بإناء	٧	٣٠٩
الظهر	٤	٢٦٦	الطهور شرط الإريان	١	٣٦٩
صليت مع رسول الله ﷺ بمنى ركعتين	٤	٢٦٠	الطواف بالبيت صلاة إلا أن الله أباح فيه	٦	٣٣٦
صليت مع رسول الله ﷺ ثانياً جميعاً	٤	٥٢٥	الكلام	٢	١٨٢
صليت مع رسول الله ﷺ ركعتين قبل	٤	٥٢٥	طوافك بالبيت والصفاء والمروة يسعك	٩	٦٧٧
الظهر	٤	٥٢٥	لحجك	٥	٣٤٦ ٣٣١
صليت وراء النبي ﷺ على امرأة ماتت	٤	٥٢٥	طوافك بالبيت وبالصفاء والمروة يسعك	٧	٥٨٢
في نفاسها	٤	٣٠٥	طوافك بالبيت وبالصفاء والمروة يسعك	٥	٤٨٠
صليت وراء النبي ﷺ على امرأة ماتت	٤	٥٥٠	طوف في من وراء الناس وأنت راكبة	٧	٥٩١
في نفاسها	٤	١١٥	طيب النبي ﷺ بيدي لحرمة	٩	٤٠١
صليت: ولو مت على غير الفطرة	٣	٣٣٧	طيب رسول الله ﷺ بيدي هاتين	٣	٣٦٤
صم ثلاثة أيام، أو تصدق بفرق بين ستة	٥	٢٢٣	طيب رسول الله ﷺ بيدي	٩	٥١٣
صم في كل شهر ثلاثة	٦	٢٦٩	العائد في هبته كالكلب يعود في قننه	٦	٣٣٣
الصورة الرأس، فإذا قطع الرأس فلا صورة	١٠	٤٧٦	العائد في هبته كالكلب يقيء	٦	٤٧٥
صوت لي الجنة والنار	٧	٦٣٥	عائداً بالله من شر الفتن	٤	٥٣٢
صوم ثلاثة أيام من كل شهر	٤	٥٦٤	عائشة	٧	٦٥٧
الصوم لي وأنا أجزي به	١٠	٣٠٨	عائني أبو بكر وجعل يطعنني بيده في	٦	١٠٣
الصوم لي وأنا أجزي به... (قدسي)	٣	٤٣٤، ٤٣٢	خاصرتي	٧	٣١٠
صيد البر لكم حلال ما لم تصيدوه، أو	٥	٤٢٢	العبد إذا وضع في قبره وتولي	٥	٤٤١
يصد لكم	١٠	٣٦٩	العبد المؤمن يستريح من نصب الدنيا	٧	١٢٦
ضحى النبي ﷺ بكبشين، يسمى ويكبر	١٠	٢٠٥	عبدًا قبطياً مات عام أول... (من جابر بن	٥	١٣١
ضحى بالمدينة كبشين أملحين	٥	٤٠٧	عبد الله)	٥	٤٤٠
ضحى بكبشين موجهين	٦	٣٦٥	عجائب	٩	٢٩١
ضرب النبي ﷺ خيمة في المسجد	٢	٣٢٤، ٣٢٣	العجاء جرحها جبار	٩	٣١٩
ضع من دينك هذا	٢	٣١٩	العجاء عقلت جبار، والبشر جبار	٩	٣١٩
ضفرنا شعر بنت النبي ﷺ ثلاثة قرون	٤	٣١٩	عذاب عذب به بعض الأمم ثم بقي منه	٩	٤٠٠
الضيافة ثلاثة أيام جائزته	٧	٣١٩			
الطاعون شهادة لكل مسلم	٧	٣١٩			
الطاعون شهادة لكل مسلم	٧	٣١٩			
طاف النبي ﷺ بالبيت على بعير	٢	٣١٩			
طاف النبي ﷺ بالبيت على بعير	٥	٣١٩			
طاف النبي ﷺ في حجة الوداع على بعير	٥	٣١٩			

طرف الحديث	الجزء	الصفحة	طرف الحديث	الجزء	الصفحة
عرش الله على سواته مثل القبة	١٠	٣٩٢	على مكانكم	٣	٥٢٤٨
عرضت على الأمم	٧	٣٧٦	عليك السلام	٣	٢٤٤
عرضت على الأمم	٧	٤٢٣	عليك بالشرط	٣	٢٤٠
عرضت على الأمم	٧	٤٦٤	عليك بالصعيد فإنه يكفيك	١	٦١٩
عرضت على الجنة والنار أنفاً في عرض	٢	٤٧٦	عليك بالصعيد فإنه يكفيك	٢	١٩٣ ٤١٨٠
عرضت على النار وأنا أصلي	٢	٣١٦	عليك بالصعيد، فإنه يكفيك	١٠	٨٥
عرفتك يا سودة.. (من قول عمر)	٧	٦٧١	عليكم يستي وسنة الخلفاء الراشدين	٤	٤٣٠
عرفناك يا سودة (من قول عمر)	١	٤٠١	عليكم يستي وسنة الخلفاء الراشدين	٢	٦٠٤
عرفها سنة	٦	٥٥٩	عليكم يستي وسنة الخلفاء الراشدين	٣	٥٢٢
العشاء أحياناً يؤخرها، وأحياناً يعجل	٢	٤٨٢	عليكم بهذا العود الهندي	٧	٣٦٩
عفره الثامنة بالتراب	١	٤٥٠	عليها صدقة ولنا هدية	٦	٥٣٧
عفي لأمتي عن الخطأ والنسيان	٩	٣٤٨	عليهن جهاد لا قتال فيه؛ الحج والعمرة	٤	٤٢٨
عقرى - أو حلقى - إنك لحابستا	٦	٦٠٨	العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما	٥	٤٩٩
عقرى حلقى أطافت يوم النحر؟	٥	٤٩٤	عمرة في رمضان	٥	٥٠٨
عقرى حلقى أو ما طفت يوم النحر؟	٥	٢٤٧	العمل بالنية، وإنها لا مرى ما نوى	٦	١٤٥
عقرى حلقى، إنك لحابستا	٥	٤٨٧	عندك شيء تصدقها	٧	٥٤١
عقل مجة	٣	٣٩٦	عندكم شيء؟	٥	٤٣
العقل وفكاك الأسير	٦	٦٣	العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة	٩	٨٥
علام تدغرن أولادكن هذا العلق	٧	٣٨٤	العوراء البين عورها	٥	٤٤١
علام تدغرن أولادكن هذا العلق؟	٧	٣٨٨	العين تدمع والقلب يحزن	٧	٧٧١
علام يضحك أحدكم مما يفعل	٣	٥١	العين تدمع، والقلب يحزن	١	٥٠٤
علام يقتل أحدكم أخاه	٧	٦٠٦	العين حق	٧	٤١٥
العلم	١	٢٣٤	العين حق	٧	٦٠٤
على إبراهيم وعلى آل إبراهيم	٧	٢١٩	العين وكاء السه	١	٥٠٣ ٣٢٢
على الموت.. (من قول سلمة)	٩	٦٥٢	العين وكاء السه	٢	٥٨٢
على أنقاب المدينة ملائكة لا يدخلها			العين وكاء السه	٧	٧٧٨
الطاعون	٩	٥٥٥	غارث أمكم	٦	٤٤٦
على أنقاب المدينة ملائكة	٥	٦٦٧	غذاً أخبركم	١٠	٤٥٠
على رسلك فاني أرجو أن يؤذن لي	٧	٤٧٧	غدوت إلى رسول الله ﷺ بعد الله بن		
على رسلكم أبشروا، إن من نعمة الله			أبي طلحة	٥	١٣٧
عليكم أنه	٢	٥٣١	غداة في سبيل الله أو روحه	٧	٤٩٥
على رسلكم إنها صافية بنت حيي	٧	٤٩٧	غرامع النبي ﷺ نسي عشرة غزوة	٥	٦٣٦
على رسلكم إنها صافية بنت حيي	٩	٦١٣	غزا ني من الأنبياء فقال لقومه: لا		
على رسلكم، إنها صافية	٢	٤٢٩	يتبعني	٦	٣٢٤
على كل ذروة يعير شيطاناً	٢	٣٦٦	غزوت مع رسول الله ﷺ قبل نجد	٣	٥٧٦
على كل مسلم صدقة	٥	٤٣	غسل الجمعة واجب على كل محتلم	٣	٤٦٩



طرف الحديث	الجزء	الصفحة	طرف الحديث	الجزء	الصفحة
الغسل يوم الجمعة واجب على كل محتلم	٣	٤٢٩	فإذا كبر فكبروا، وإذا ركع فاركعوا	٢	٢٤٤
غسل يوم الجمعة واجب على كل محتلم	٣	٤٥٨	فإذا لم يستطع أحدنا أن يمكن جبهته من الأرض	٣	٣٤٧
غسل يوم الجمعة واجب على كل محتلم	٣	٤٨٧	فإذا لم يستطع أحدنا أن يمكن جبهته (من قول أنس)	٢	٤٨٢
الغسل يوم الجمعة واجب	٣	٤٥٨	فإذا نسيت فذكروني	٢	٢٧٧
الغسل يوم الجمعة واجب	٣	٤٦٢	فإذا نسيت فذكروني	٣	٥٢
الغسل يوم الجمعة واجب	٣	٤٦٣	فاستن به	٣	٤٧٧
غفار غفر الله لها، وأسلم سالمها الله	٤	٦٨	فاطمة بضعة مني	٩	١٧٢
غير ألا تطوفي بالبيت	٢	١٥٨	فاطمة بضعة مني	٩	٩
غير ألا تطوفي بالبيت، ولا بالصفاء والمروة	٢	١٨٢	فاعمل من وراء البحار فإن الله لن يترك فأعني على نفسك بكثرة السجود	٩	٤٦٥
فأبصرني النبي ﷺ، فأنزل الرداء	٣	٤٢٢	فاغسل عك الدم ثم صلي	٧	٣٩٥
فابنك هذا لعله نزع عرق	١٠	٩٨	فأفضل ماذا؟	٦	٢٢٩
فابنك هذا لعله نزع عرق	٩	٥٧	فاقدروا قدر الجارية الحديثة	٦	٣٨٦
فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه	٦	٣٤٠	فاقرأه في سبع ولا تزد على ذلك	٦	١١٦
فأبواه يهودانه، أو ينصرانه	٧	٤٧٥	فانقض الله، فهو أحق	٧	٦٣٤
فأت أبا بكر	٣	٩٧	فأقضوا الذي له، فإن الله	١٠	١٠٨
فأت الذي هو خير وكفر عن يمينك	٧	٦٦٧	فأكون أول من بعث فإذا موسى	١٠	٣٩٦
فأتوا بالثورة فأتوها إن كنتم صادقين	١٠	٥٤٤	فالتسناها فوجدناها مع خزيمة... (من قول زيد بن ثابت)	٦	١٧
فأجب	٣	٩٥	فأمر الرسول بهما فرجا	١٠	١٣٣
فاجعل لنا يوما تأتي إلينا... (من قول النساء للنبي ﷺ)	٥	٥١	فأمر بقتل الأسرى	١٠	٣٤٢
فأجلسه رسول الله ﷺ في حجره، فبال على ثوبه	١	٥٦٤	فأمر بلال أن يشفع الأذان، وأن يوتر	٢	٦١٢
فاحت في أفواههن التراب	٤	٤٧٥	فأمر لهم رسول الله ﷺ بذود وبراع	٧	٣٩٨
فاحلق رأسك	٥	٥٥٠	فأمرنا النبي ﷺ أن نغشى رأسه	٧	٣٢٧
فأخذني فجعلني عن يمينه... (من قول ابن عباس)	٣	١٦٢	فأمرنا رسول الله ﷺ فجعلناها عمرة	٥	٢٥٤
فاخرجني مع أخيك إلى التعميم	٥	٤٨٧	فأمرنا عند منامنا بثلاث	٧	١٧٠
فإذا اختلفتم فقوموا عنه	٦	١٢٩	فأمره النبي ﷺ أن يتخذ أنفا من ذهب	٦	٤٢٥
فإذا جلس أحدكم في الصلاة فليقل: التحيات لله	٧	٦٦٣	فأمرهم النبي ﷺ أن يرملوا الأشواط الثلاثة	٥	٣١٥
فإذا رأيتموها فافزعوا إلى الصلاة	٤	١٣١، ١٢٨	فإن استطعتم ألا تغلبوا على صلاة	١٠	٣٩٩
فإذا قالوها عصموا مني دماءهم	١	٢٣٧	فإن اشتجروا فالسلطان ولي من لا ولي له	٦	٢٧٦
			فإن أطاعوك لذلك، فإياك وكرائم أموالهم	١٠	٣٧٩
			فإن الله أحق بالوفاء	١٠	٩٧
			فإن الله تبارك وتعالى قد حرم عليكم دماءكم	٩	١١١

طرف الحديث	الجزء	الصفحة	طرف الحديث	الجزء	الصفحة
فإن الله قد حرم على النار	٢	٣٠١	فتلت لهدي النبي ﷺ - تعني القلائد -	٥	٤٢٣
فإن الله لا يعاظمه شيء أعطاه	٧	١٩٥	فتلك مائة بالسنان	٧	١٧٠
فإن الله يحب الرفق في الأمر	٧	٧٠٢	فتنة الرجل في أهله وماله وولده	٩	٥١٩
فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم	٣	٦٢	الفتنة من ها هنا	٦	٥٧٢
فإن دماءكم وأموالكم عليكم حرام	٥	٤٦٣	الفتنة هاهنا، الفتنة هاهنا	٩	٥١٤
فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم	٩	٥٠٣	فتروا لهم وضوء النبي ﷺ	١	٥١٤
فإن عمرة في رمضان تقضي حجة معي	٥	٦٣٢	فجاءهما الشيطان فقال: سمياه عبد الحارث	١٠	٣٥١
فإن عن يمينه ملكا	٢	٤٦٧	فجعل النبي ﷺ يصرف وجه الفضل	٥	٦١٧
فإن كان واسعا فالتحف به	٢	٢١٦	فجعل خير من ملء الأرض	٧	٣٢٦
فأنزل آية الحجاب	٧	٦٦٩	فحمي الوحي، وتتابع	١	٣٤
فإنك لا تدري الماء قتله أم سهمك	١	٤٦٠	فحيثذ يسجد لها الكفار	٤	١١١
فإنكم إذا قتلتم ذلك سلمتم على كل عبد صالح	١٠	٢٤٥	الفخذ عورة	٢	٢٢٧
فإنكم لا تدعون أصم ولا غابا	٧	٢٧٤	فخيرها النبي ﷺ	٦	٢٨٢
فإنما بعثتم مبشرين	٣	١٠١	فدخلت فإذا النبي ﷺ على حصير قد أثر		
فإنما تلعب تسأذن في السجود فيؤذن لها	١٠	٣٩٣	في جنبه	٧	٥١٠
فإني رأيتكم أكثر أهل النار	٥	٤٩	فدعا عليهم رسول الله ﷺ	١٠	٤٣
فإني لأرى الفتن تقع خلال بيوتكم كوقع القطر			فدعاه رسول الله ﷺ فقرأ عليه	٦	٦٠٩
فأني يستجاب لذلك	٩	٤٩٥	فدية من صيام أو صدقة	٧	٦٤٥
فأني يستجاب له	٧	١٤٠	فذلك من نقصان دينها	٢	١٧٠
فأني يستجاب	٦	٤٩	فذلك من نقصان عقلها	٢	١٧٠
فأني يستجاب	٧	١٤٠	فر من المجذوم فرارك من الأسد	٧	٤٠٥
فبكرًا تزوجت أم ثيبا؟	٦	٤٦٧	فرأه قد فك أزراره	٢	٢٠٥
فتوفوا الأحياء	٧	٤٢٠	فرايت النبي ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه	١٠	٣٦٠
فتان، فتان، فتان	٣	١٦٦	فرايت جهنم يحطم بعضها بعضا حين	٣	٢٢٧
فتبعت القرآن حتى وجدت آخر سورة التوبة.. (من قول زيد)	١٠	٣٩٤	فرايت عينيه تذرفان... (من قول ابن مسعود)	٦	١٢٠
فتح من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه	٦	٥٧١	فرج سقفي وأنا بمكة، فنزل جبريل ش	٥	٣٥٠
فتريدين عليه حقيقته؟	٦	٥٣٤	فرج عن سقف بيتي، وأنا بمكة	٢	١٩٨
فتصدقن	٤	١٣	الفرج يصدق ذلك أو يكذبه	٤	١٨٠
فتلعتا في المسجد وأنا شاهد... (من قول سهل)	٩	٦٠٧	فرد نكاحها	٦	٢٨٢
فتلت قلائد بدن النبي ﷺ بيدي	٥	٤١٩	فرض الله الصلاة حين فرضها، ركعتين	٢	٢٠٠
فتلت قلائد هدي النبي ﷺ ثم أشعرها	٥	٤٢١	فرض النبي ﷺ صدقة الفطر	٥	١٤٨٠
فتلت قلائدها من عنهن... (من قول عائشة)	٥	٤٢٣	فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر	٥	١٤٠
			فرض رسول الله ﷺ صدقة الفطر	٥	١٤٨٠
			فرض زكاة الفطر	٥	١٤١
			فرضها رسول الله ﷺ لأهل نجد قرنا	٥	١٧٩



الجزء	الصفحة	الجزء	الصفحة	الجزء	الصفحة
١٦٩..... ٤	فلا أزال أسجد فيها.....	٩..... ٥٤	فرق النبي ﷺ بينهما، والحق الولد بالمرأة.....	١..... ٣٣٩	فسكت... لما سئل عن الروح.....
٤٨٧..... ٥	فلا بأس انفري.....	٦..... ٢٥٣	فصعد النظر إليها وصوب.....	٤..... ٤٨٦	فصل رضاعه في الجنة.....
٤١٦..... ٦	فلا تفعل، صم وأفطر.....	٢..... ٣١٨	فصلوا أيها الناس في بيوتكم.....	٥..... ٥٥١	فصم ثلاثة أيام، أو أطعم ستة.....
٤١..... ٣	فلا تفعلوا، إذا أتيتم الصلاة فعليكم بالسكينة.....	١٠..... ٣٦٠	فضحك رسول الله ﷺ تعجباً وتصديقاً له.....	٢..... ١٩٢	فضرب بكفه ضربة على الأرض.....
٨٨..... ٣	فلا صلاة إلا التي أقيمت.....	٦..... ٥٤٠	فضل عائشة على النساء، كفضل الثريد.....	٦..... ٤٧	الفطر أقوى لكم فأفطروا.....
٧٧٥..... ٧	فلا يتناجى اثنان.....	٧..... ٥٥٨، ٥٥٧	الفطرة خمس.....	٧..... ٧٨١	الفطرة خمس.....
٣١٩..... ٢	فلان أصلي في بيتي أحب إلي من أن أصلي.....	٦..... ٥١٨	فطفق النبي ﷺ يلمح حمزة.....	٢..... ١٦٥	فعنده مسجده وطهوره.....
٢٢٩..... ٩	فلان فلك؟.....	٢..... ١٩٩	ففرض الله على أمي خمسين صلاة.....	٩..... ١٩٠	فقال أتعجبون من غيرة سعد.....
١٩٢..... ٩	فلعل ابنك هذا نزع عرق.....	١..... ٧٤	فقال الله: قد فعلت.....	٣..... ٣٥٠	فقال النبي ﷺ خطيباً صبيحة عشرين من رمضان.....
٥٨٠..... ٦	فلعل ابنك هذا نزع.....	٧..... ٦٧٢	فقام إليه النبي ﷺ بمشقص.....	٧..... ٦٦٩	فقد ملكتها بما معك من القرآن.....
٣٦٥..... ٦	فلما فرغ النبي ﷺ من الطعام.....	٢..... ٥٨٤	فقام رسول الله ﷺ فخرج، وخرجت معه.....	٢..... ٥٢٧	فقمنا إلى بطحان... (من قول جابر).....
١٧٠..... ٣	فلولا صليت بسبح اسم ربك.....	٣..... ١٢٥	فكان أبو بكر يصلي بصلاة رسول الله ﷺ.....	٦..... ١٤٢	فقولوا مثل ما يقول المؤذن.....
١١٥..... ٦	فليتني قبلت رخصة رسول الله ﷺ... (من قول ابن عمرو).....	٣..... ١٢٥	فكان النبي ﷺ يقسم لعائشة يومها ويوم سودة.....	٦..... ٥٨٣	فكبر ثنتين وعشرين تكبيرة.....
٤٢٢..... ١	فليجعل في أنفه، ثم ليثر.....	٧..... ١٢٥	فكان النبي ﷺ يقسم لعائشة يومها ويوم سودة.....	٣..... ٣٠٠	فكبرا ثلاثاً وثلاثين، وسبحا.....
٦١٩..... ٧	فليخلقوا حبة أو ذرة أو شعيرة.....	٦..... ١٦٨	فكان النبي ﷺ يقسم لعائشة يومها ويوم سودة.....	٥..... ٣٣	فكلته ففني... (من قول عائشة).....
٦٢٨..... ٦	فليخلقوا ذرة أو ليخلقوا حبة.....	٥..... ٥٦٨	فكان النبي ﷺ يقسم لعائشة يومها ويوم سودة.....	٩..... ٦١٦	فكلوا ما بقي من لحمها.....
٤٣٩..... ٢	فليصل ركعتين، ثم ليقل.....	٦..... ٣٤٨	فكان النبي ﷺ يقسم لعائشة يومها ويوم سودة.....	٦..... ٣٤٨	فكروا العاني وأجيبوا الداعي.....
١٧٥..... ١٠	فليعتزلنا، أو ليعتزل مسجدنا.....				
٢٢١..... ٢	فما رثي بعد ذلك عرباناً.....				
١٤٨..... ٦	فما سقت.....				
١٣٢..... ١	فما من يوم أكثر عتيقاً من النار.....				
١٧٥..... ٢	فمسح بوجهه ويديه، ثم رد عليه السلام.....				
٣٣٩..... ٧	فمسح رأسي ودعالي بالبركة.....				
٢١١..... ٧	فمسح رأسي، ودعالي بالبركة.....				
٥٨..... ١٠	فمن أطع محمداً.....				
٤٩٥..... ٢	فمن تركها - يعني: الصلاة - فقد كفر.....				
١٣٥..... ٦	فمن رغب عن مستي فليس مني.....				
١٣٧..... ٦	فمن رغب عن مستي فليس مني.....				
٤١٠..... ١٠	فمن يطع الله إذا عصيته.....				
٥٤..... ٣	فنزّل النبي ﷺ إلى بطحان.....				
٥٢٢..... ١	فنزّل رداءه ﷺ حتى يشاهد سلمان خاتم النبوة.....				
٢١٣..... ٧	فنزّل رداءه ﷺ من أجل أن يراه.....				

الصفحة	الجزء	طرف الحديث	الصفحة	الجزء	طرف الحديث
		فيكسر الباب أو يفتح...؟ (من قول عمر).....	١٤٦	٦	فنهانا عن ذلك... (أي الاختصاص)
٣٤	٥	.....	١٥٠	٦	فنهانا عن ذلك... (أي الاختصاص)
١٨١	٢	فيم يختصم الملا الأعلى؟.....	٦٥٢	٧	فهل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين
٦٥١	٩	فما استطعتم.....	١٥٥	٦	فهلأ جارية تلاعبها وتلاعبك
١٠٠	٥	فما سقت الساء العشر.....	٤٦٧	٦	فهلأ جارية تلاعبها وتلاعبك
		فما سقت الساء والعيون أو كان عشرين	٦١٧	٩	فهلأ جلس في بيت أبيه وأمه
٩٧	٥	العشر.....			فهلأ جلست في بيت أبيك وأملك حتى تأتيك
٤٧٧ ٥٧	١	فيه الوضوء.....	٤١٧	٩	هديتك.....
٥٥٧	٣	فيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم.....	٦٤٥	٩	فهلأ جلست في بيت أبيك.....
١١٢	١٠	فيه غرة عيد أو أمة.....	٦٧٣	٩	فهو بنى فيها في الأجر سواء
٣٢٤	٢	قاتل الله اليهود اتخذوا قبور.....	٤٠٢	٧	فهو بنى فيها في الوزر سواء
		قاتل الله اليهود لما حرمت عليهم الشحوم	٥٣٨	١٠	فهو فضلي أوتيته من أشياء.....
٣٨٧	٩	أذابوها.....	٥١	٥	فواعدهن، وأتى إليهن.....
٣١٤	٥	قاتلهم الله، أما والله لقد علموا.....	٥٤٧	٧	فوالذي نفس محمد بيده لا يغفل
٣٦٤	٩	قال إبراهيم لأمرته: هذه أختي.....	٤١١	٩	فوالله لا يخزيك الله أبدا، إنك لتصل الرحم
١٦٧	١	قال الله تعالى ما تقرب إلي عبدي.....	٥١	٥	فوعظهن وأمرهن أن يتصدقن
٦١٠	٥	قال الله تعالى: قد فعلت.....	٣١	٥	فوعظهن، وأمرهن أن يتصدقن
		قال الله: أعلدت لعبادي الصالحين ما لا	٥٧٨	٥	فويسق... (أي الوزغ).....
٢٩٨	٩	عين رأيت.....	١٥٣	٦	في التي لم يرتع منها.....
٥٧٣	٧	قال الله: لك ذلك وعشرة أمثاله.....	٥٧١	٦	في الجمعة ساعة لا يوافقها.....
		قال النبي ﷺ للمتلاعنين: «حسابكما	٣٦٦	٧	في الحبة السوداء.....
٥٩١	٦	على الله».....	٤٥١	١٠	في ضحضاح من نار.....
٨	٥	قال رجل: لأتصدقن بصدقة.....			في كل إبل سائمة من كل أربعين: ابنة
		قال سليمان بن داود عليها السلام:	٥٨	٥	لبون.....
٤٦٤	٦	«لا طوفن الليلة.....	٢٦٣	٣	في كل صلاة يقرأ، فما أسمعتا.....
٥٤٨	٧	قال سليمان: لا طوفن الليلة على تسعين امرأة.....	١١٦	٦	في كم تقرأ القرآن؟.....
		قال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدي	١٣٢	١	في يوم الجمعة ساعة لا يوافقها.....
٥١٥	٦	وأنا ربك.....	٢٦٧	٧	في يوم الجمعة ساعة.....
		قام النبي ﷺ يوم الفطر فصل فبدأ			فيا ليت حظي من أربع ركعتان... (من
١٢	٤	بالصلاة.....	٣٧٨	٥	قول ابن مسعود).....
٢٧٩	٩	قام إليه بمشقص أو بمشاقص.....			فيحى الله تعالى ملك الموت وجبريل
٧٨٢	٧	قبض النبي ﷺ وأنا ختين.....	٤٧٦	٧	وميكايل.....
٤٨٥	٧	قبض روح النبي ﷺ في هذين.....	٤٧٤	٧	فيشربون يطلعون فيؤتى بالموت.....
٢١٣	٢	قد أجرنا من أجرت يا أم هانئ.....	١٨	٤	فيشهدن جماعة المسلمين ودعوتهم.....
٥٤٥	٥	قد أحضر رسول الله ﷺ فحلل رأسه.....	٢٣٤	١٠	فيقتضي الله ما شاء.....
٤٦٠	٦	قد أذن الله لكن أن تخرجن لحوائجكن.....	٤٨٤	٧	فيقوم على جنازته أربعون رجلاً.....



طرف الحديث	الجزء	الصفحة	طرف الحديث	الجزء	الصفحة
قد أذن أن تخرجن في حاجتكن.....	١	٤٠١	قدم رسول الله ﷺ فطاف بالبيت سبعا.....	٥	٣٣٦
قد أريت الآن الجنة والنار.....	٧	٣٤٢	قدم علي النبي ﷺ فمر من عكل فأسلموا.....	٩	١٢٤
قد أنزل الله فيك وفي صاحبك.....	٦	٤٨٢	قدمت علي النبي ﷺ فأمره بالحل.....	٥	٢٥١
قد أنزل الله فيكم قرآنا.....	١٠	٩٣	قدمني - النبي ﷺ في الثقل من جمع بليل.....	٥	٦١٩
قد بايعتكن.....	٦	٥٥٤	قرأ البقرة ثم النساء ثم آل عمران.....	٦	٣٣
قد توفي اليوم رجل صالح من الحبش.....	٤	٥٠٧	قرأ البقرة وآل عمران والنساء.....	٤	٥١
قد خيرني ربي.....	٧	٤٦٢	قرأ النبي ﷺ النجم بمكة فسجد.....	٤	١٥٥
قد دنت مني الجنة حتى لو اجترأت.....	٣	٢٢٧	قرأ النبي ﷺ في صلاة الليل.....	٣	٢٧٠
قد ذكرني هذا صلاة محمد ﷺ.....	٣	٢٩٨	قرأ بسم الله الرحمن الرحيم، يمد بيسم الله.....	٦	١٠٧
قد رأيت الذي صنعت.....	٤	٢٢٥	قرأت علي النبي ﷺ والنجم فلم يسجد فيها.....	٤	١٦٢
قد رجعتها برسول الله ﷺ.....	٩	١٣٨	القرآن حجة لك أو عليك.....	٩	٤٢٦
قد صلي الناس وناموا.....	٢	٥٤١	قرني، ثم الذين يلونهم.....	٧	٥٧٠
قد عجب الله من صنعكما الليلة.....	٦	٦٤٧	قسم النبي ﷺ يوما قسمة.....	٧	٧٧٥
قد عذت بمعاذ.....	٦	٤٨٠	قسمت الصلاة بيني... (قدسي).....	١	٥٠٧، ٢٩
قد عرفت الذي رأيت من صنعكم.....	٣	٢٠٥	القصاص.....	٩	٢٤٧
قد علمتم أني أتاكم الله.....	١٠	١٨٥	القصد القصد تبلغوا.....	٧	٣٤١
قد فعلت... (قدسي).....	٥	٦١٠	قصرت عن رسول الله ﷺ بمشقص.....	٥	٤٥٤
قد قضى الله فيك وفي امرأتك.....	٦	٥٨٥	قضاء الله أحق.....	٩	٦٥٠
قد كان من قيلم يؤخذ الرجل فيحفر له.....	٩	٣٥٨	قضاء الله أحق، وشرط الله أوثق.....	٤	٨٧
قد كنت تكذب الوحي لرسول الله ﷺ.....	٩	٦٣٤	قضى النبي ﷺ أن دية جنبها غرة عبد أو ولية.....	٩	٢٨٧
قد ملكتها يا معك من القرآن.....	٧	٥٤٢	قضى النبي ﷺ بالغرة عبد أو أمة.....	٩	٢٨٦
قدر حسين أو ستين... (من قول زيد بن ثابت).....	٢	٥٤٨	قضى رسول الله ﷺ في جين امرأة من بني لحيان.....	٩	٤٤
قدر خمسين آية... (من قول زيد بن ثابت).....	٢	٤٨٨	قضى رسول الله ﷺ فيها بغرة عبد أو أمة.....	٩	٢٨٦
قدم النبي المدينة فأضاء منها... (من قول أنس).....	٤	٣٩٠	قضى فينا معاذ بن جبل علي عهد رسول الله ﷺ.....	٩	٤٥
قدم النبي ﷺ فطاف بالبيت سبعا.....	٢	٢٦٧	قضى فيه النبي ﷺ بغرة عبد.....	٧	٤٢٩
قدم النبي ﷺ فطاف بالبيت سبعا.....	٥	٣٦٤، ٣٤٤	قطع النبي ﷺ في مجن ثمة ثلاثة دراهم.....	٩	١١٧
قدم النبي ﷺ فطاف بالبيت سبعا.....	٥	٥٢٤	قطع النبي ﷺ يد سارق في مجن ثمة ثلاثة دراهم.....	٩	١١٧
قدم النبي ﷺ مكة، فطاف بالبيت، ثم صلي ركعتين.....	٥	٣٦٤	قل اللهم إني ظلمت نفسي ظلما كثيرا.....	١٠	٢٨٦
قدم النبي ﷺ مكة، فطاف وسعى بين الصفا والمروة.....	٥	٣٤٠	قل اللهم إني ظلمت نفسي ظلما كثيرا.....	٣	٣٨٦
قدم النبي ﷺ من سفر.....	٧	٦٢٥	قل اللهم إني ظلمت نفسي.....	٧	١٨٤
قدم رسول الله ﷺ المدينة صلى.....	١٠	٣٧			

طرف الحديث	الجزء	الصفحة	طرف الحديث	الجزء	الصفحة
قل لا إله إلا الله كلمة أحاج	٧	٥٩٧	كان ابن عمر سنين مقدم رسول الله ﷺ	٦	٣٤٣
قل: الصلاة في الرحال	٣	١٠٣	المدينة.. (أي أنس)	٦	٣٤٣
قلادة لأساء فيبعث النبي ﷺ في طلبها	٧	٥٥٠	كان ابن عمر إذا أراد الخروج	٥	٢٣٦
قلت: قل هذا عمر بن الخطاب	١٠	٤٣	كان ابن عمر إذا دخل أدنى الحرم	٥	٢٣٦
قم أبا تراب	٧	٧٤٧	أمسك عن التلبية	٥	٢٦٤
قم أبا تراب، قم أبا تراب	٢	٣٢٩	كان ابن عمر إذا صلى بالغداة بذى	٥	٢٣٣
قم فاركم ركعتين خفيفتين	٣	٥٥٢	كان ابن عمر يوضع له الطعام وتقام	٣	١٠٨
قم فاركم ركعتين	٣	٥٥١	الصلاة	٦	٣٧
قم فاقضه	٢	٣٧٥ ٣٥٢	كان أجود بالخير من الريح المرسلة	٧	٤٨٤
قم يا حذيفة	٥	٥٣٣	كان أحب الثياب إلى النبي ﷺ أن يلبسها	٧	٤٨٤
قم يا عباس فادع الله... (من قول عمر)	٤	٧٢	الحبرة	٧	٤٨٤
قمت على باب الجنة فكان عامة من دخلها	٧	٤٧٥	كان أحب العمل إلى رسول الله ﷺ الذي	٧	٣٣٩
المساكين	٦	٤١٣	يلوم	٧	٣٣٩
قمت على باب الجنة فكان عامة	٦	٤١٣	كان أحب العمل إلى رسول الله ﷺ	٧	٣٣٩
قنت النبي ﷺ شهراً؛ يدعو على رعل	٤	٦٣	كان إذا أخذ مضجعه نث	٧	١٧١
وذكوان	٤	٦٣	كان إذا اشتكى رسول الله ﷺ لقاه	٣	٩٤
قنت النبي ﷺ في الصباح	٤	٦٢	جيريل	٣	٩٤
قنت رسول الله ﷺ بعد الركوع شهراً	٤	٦٣	كان إذا اشتكى يقرأ على نفسه	٦	٦٠
قنت رسول الله ﷺ شهراً حين قتل	٤	٤٧٩	بالمعوذات	٥	٤٩٣
القراء	٤	٤٧٩	كان إذا قبل بات بذى طوى	٤	١٨٣
قولوا التحيات لله والصلوات والطيبات	٢٠	٥٣٩	كان إذا خرج مسيرة ثلاثة أميال	٢	٥٣٦
قولوا كذا وكذا	٢٠	٥٣٩	كان أصحاب رسول الله ﷺ ينامون ثم	٦	٣٨٦
قولوا: اللهم صل على محمد	٢٠	٥٣٩	يصلون	٦	٣٨٦
قولي: السلام عليكم دار قوم مؤمنين	٢٠	٥٠٦	كان الحبش يلعبون بحراهم فسترني	٥	١٣٨
قوم يهدون بغير هدي تعرف منهم وتنكر	٢٠	٥٠٦	كان الرجل إذا قرأ البقرة وآل عمران جد	٣	٢٢٦
قوموا فلاصل لكم	٢٠	٤٣١	فيثا... (من قول أنس)	٣	٢٢٦
قوموا فلاصلي بكم	٢٠	٤٣١	كان الرجل يؤتى به يهادى... (من قول	٣	١٤٣
قوموا	٢٠	٢٩٨	ابن مسعود)	٣	١٤٣
قيام الساعة لا يكون إلا على شرار الخلق	١٠	٤٣٥	كان الرسول ﷺ يقوم إذا سمع الصارخ	٣	٢٢٦
قيد رمح	٥	٦٣٨	كان الصاع على عهد النبي ﷺ مدا	٣	٢٢٦
كاد الخيران أن يهلكا... (من قول أبي	١٠	٩٢	وثلاثا... (من قول السائب بن يزيد)	٣	١٣٢
ملكة)	١٠	٩٢	كان الصاع على عهد النبي ﷺ... (من قول	٣	١٣٢
كاد ير ضها	١٠	٩٢	السائب بن يزيد)	٣	١٣٢
كان ﷺ ينام أوله، ويقوم آخره	١٠	٩٢	كان الصحابة م إذا حال بينهم شجرة	٣	٣٠٧
كان النبي ﷺ يغتسل بالصاع	١٠	٩٢	كان الطلاق على عهد الرسول ﷺ وأبي	٣	٣٠٧
كان ﷺ يوعك كما يوعك الرجلان	١٠	٩٢	بكر	٣	٢٧٢



الجزء	الصفحة	طرف الحديث	الجزء	الصفحة	طرف الحديث
٤.....	١٩٧.....	الشمس.....	٦.....	٥١٣.....	كان الطلاق في عهد النبي ﷺ
١.....	٦٣٥.....	كان النبي ﷺ إذا اغتسل من الجنابة دعا	٣.....	٣١٣.....	كان القنوت في المغرب والفجر
١.....	٤٠٦.....	كان النبي ﷺ إذا خرج لحاجته أجىء أنا			كان القنوت في المغرب والفجر... (من)
٢.....	٤٠٦.....	و غلام معنا.....	٤.....	٦٣.....	قول أنس)
٤.....	٦١.....	كان النبي ﷺ إذا خرج لحاجته	١٠.....	٣٨١.....	كان الله ولم يكن شيء قبله
٤.....	٢٤٨.....	كان النبي ﷺ إذا صلي ركعتي الفجر	٣.....	١٩.....	كان المؤذن إذا أذن قام ناس
٤.....	٢٤٨.....	كان النبي ﷺ إذا صلي صلاة أقبل علينا	٩.....	٤٤.....	كان المال للولد... (من قول ابن عباس)
٣.....	٤١٠.....	بوجهه.....			كان المسلمون حين قدموا
٢.....	٥٥٤.....	كان النبي ﷺ إذا فاتته ركعتا الفجر	٢.....	٦١٠.....	المدينة... (من قول ابن عمر)
٧.....	١٦٠.....	كان النبي ﷺ إذا قام من الليل يتهجد			كان المشركون على منزلتين من النبي
١٠.....	٤٢٧.....	كان النبي ﷺ إذا قام من الليل يشوص فاه	٦.....	٥٤٦.....	ﷺ
١.....	٦٠٨.....	كان النبي ﷺ إذا قام من الليل يشوص	٩.....	٥٣.....	كان المهاجرون حين قدموا المدينة... (من)
٣.....	٤٧٥.....	كان النبي ﷺ إذا قام من الليل			قول ابن عباس)
٤.....	٢٢.....	كان النبي ﷺ إذا كان يوم عيد خالف	٣.....	٣٧٢.....	كان الناس يؤمرون أن يضع الرجل يده
٢.....	٢١١.....	الطريق.....			اليمنى.....
٧.....	٥٧٠.....	كان النبي ﷺ أشد حياءً من العذراء			كان الناس يطوفون في الجاهلية
٧.....	٥٦٩.....	كان النبي ﷺ شتم القدمين	٥.....	٣٨٦.....	عراق... (من قول عروة)
٧.....	٥٦٩.....	كان النبي ﷺ ضخم القدمين	١.....	٦٣٠.....	كان النبي ﷺ إذا اغتسل من الجنابة
٧.....	٥٧٠.....	كان النبي ﷺ ضخم الكفين			كان النبي ﷺ إذا سكت المؤذن من
٧.....	٥٦٩.....	كان النبي ﷺ ضخم اليدين والقدمين	٣.....	٥٥٢.....	الأذان لصلاة الصبح
٧.....	٥٦٩.....	كان النبي ﷺ ضخم اليدين	١.....	٥٨٢.....	كان النبي ﷺ في مهنة أهله
١.....	٥٤.....	كان النبي ﷺ لا يرد سائلاً	٢.....	٣٠.....	كان النبي ﷺ يتكى في حجر عائشة
٤.....	٩٤.....	كان النبي ﷺ لا يرفع يديه في شيء من	٢.....	٥٢٩.....	كان النبي ﷺ يصلي الظهر بالهجرة
٣.....	٥٥٤.....	دعائه إلا.....			كان النبي ﷺ يصلي العصر والشمس في
٥.....	٥٣٥.....	كان النبي ﷺ لا يرفع يديه في شيء من	٢.....	٤٤٣.....	حجرتها.....
١٠.....	٥٤٧.....	دعائه إلا.....	٢.....	٥٩١.....	كان النبي ﷺ يصلي الهجير
٧.....	٥١٨.....	كان النبي ﷺ لا يرد سائلاً	٣.....	٥٠٣.....	كان النبي ﷺ يقرأ بالجمعة والمنافقين
٤.....	٢٩٤.....	كان النبي ﷺ متوارياً بمكة			كان النبي ﷺ يقرأ في الجمعة بسبح
٤.....	٢٩٣.....	كان النبي ﷺ متوارياً بمكة	٣.....	٥٠٣.....	والغاشية.....
١.....	٦٣٤.....	كان النبي ﷺ متوارياً بمكة	٢.....	١٥٧.....	كان النبي ﷺ يقرع بين نسائه
		كان النبي ﷺ متوارياً بمكة			كان النبي ﷺ ينهن عن قيل وقال، وكثرة
		كان النبي ﷺ متوارياً بمكة	٧.....	٣٥٩.....	السؤال.....
		كان النبي ﷺ متوارياً بمكة	٦.....	٣٧.....	كان النبي ﷺ أجود الناس
		كان النبي ﷺ متوارياً بمكة	٧.....	١٩٠.....	كان النبي ﷺ إذا أتاه رجل بصدقه
		كان النبي ﷺ متوارياً بمكة	٢.....	٣٧.....	كان النبي ﷺ إذا أراد أن ينام وهو جنب
		كان النبي ﷺ متوارياً بمكة			كان النبي ﷺ إذا ارتحل قبل أن تزيع

طرف الحديث	الجزء	الصفحة	طرف الحديث	الجزء	الصفحة
فيأشرون.....	٢	١٥٣	كان النبي ﷺ يصلي في السفر على راحلته	٤	٦٠
كان النبي ﷺ يبايع النساء بالكلام	٩	٦٥٦	كان النبي ﷺ يصلي في مراتب الغنم	٢	٣١٣
كان النبي ﷺ يتخولنا.....	١	٢٠٩	كان النبي ﷺ يصلي في نعليه	٧	٥٢٤
كان النبي ﷺ يجمع بين الرجلين من			كان النبي ﷺ يصلي قبل أن يبنى		
قتل أحد في ثوب واحد.....	٤	٥٤٧	المسجد في مراتب الغنم	١	٥٨٤
كان النبي ﷺ يجمع بين الرجلين من			كان النبي ﷺ يصلي من الليل إحدى عشرة		
قتل أحد.....	٤	٥٥٩ ٥٥٥	ركعة	٧	١٥٠
كان النبي ﷺ يجمع بين المغرب			كان النبي ﷺ يصلي من الليل ثلاث		
والعشاء.....	٤	١٩٤	عشرة ركعة	٤	٢٢٨
كان النبي ﷺ يجمع بين رجلين من قتل			كان النبي ﷺ يصلي وأنا إلى جنبه نائمة	٢	٤٣٧
أحد.....	٤	٥٦٧	كان النبي ﷺ يصلي وأنا راقدة معترضة		
كان النبي ﷺ يجمع بين صلاة المغرب			على فراشه	٤	٥٧
والعشاء.....	٤	١٩٤	كان النبي ﷺ يصلي وأنا راقدة معترضة	٢	٤٢٨
كان النبي ﷺ يجنب، ثم ينام ولا يمس			كان النبي ﷺ يطيل الصلاة في الكسوف	٤	١٣٩
ماء.....	٢	٣٥	كان النبي ﷺ يعجبه التيمم	١	٤٤٢
كان النبي ﷺ يحب التيمم	٣	٣٠٨	كان النبي ﷺ يعجبه التيمم	٢	١٤
كان النبي ﷺ يحب التيمم	٧	٥٢٦	كان النبي ﷺ يعجبه الحلواء والعسل	٧	٣٥٩
كان النبي ﷺ يحب الطيب	٣	٤٢٧	كان النبي ﷺ يعلمنا الاستخارة في الأمور	٧	٢٤٢
كان النبي ﷺ يحب موافقة أهل الكتاب	٧	٥٧٤	كان النبي ﷺ يعودني وأنا مريض بمكة	٦	٦٤٢
كان النبي ﷺ يخطب خطبتين يتعد			كان النبي ﷺ يعود بعضهم	٧	٤٢٣
بينهما.....	٣	٥٤٨	كان النبي ﷺ يغتسل	١	٥٢٢
كان النبي ﷺ يخطب قائماً ثم يتعد ثم			كان النبي ﷺ يغدو إلى المصل والمصلى والعزرة	٤	٩
يقوم.....	٣	٥٣٤	كان النبي ﷺ يفرغ على رأسه ثلاثاً	١	٦٣٤
كان النبي ﷺ يخفف الركعتين	٤	٢٦٤	كان النبي ﷺ يقرئ القرآن ما لم تكن		
كان النبي ﷺ يذكر الله على كل أحيانه	٣	٣٦	جنباً	١	٤٨٨
كان النبي ﷺ يذكر الله على كل أحيانه	٣	٣٧	كان النبي ﷺ يقرأ السجدة ونحن عنده		
كان النبي ﷺ يسرع في ركعتي الفجر	٤	٥٣	فيسجد	٤	١٦٤
كان النبي ﷺ يصبح جنباً من جماع	٣	٤٣٠	كان النبي ﷺ يقرأ القرآن	١٠	٥٤٨
كان النبي ﷺ يصلي الصبح وأحدنا			كان النبي ﷺ يقرأ علينا السورة فيها		
يعرف جلسه	٢	٤٨١	السجدة، فيسجد	٤	١٦٤
كان النبي ﷺ يصلي الظهر بالهاجرة	٣	٥١٨	كان النبي ﷺ يقرأ في الجمعة بسبح	٧	٦٧٦
كان النبي ﷺ يصلي الظهر حين تزول			كان النبي ﷺ يقرأ في الجمعة في صلاة		
الشمس.....	٣	٢٦٣	الفجر	٣	٤٧٩
كان النبي ﷺ يصلي ركعتين خفيفتين	٣	١٣	كان النبي ﷺ يقرأ في الجمعة في صلاة		
كان النبي ﷺ يصلي على راحلته حيث			الفجر	٤	١٥٦
توجهت به.....	٤	٦١	كان النبي ﷺ يقرأ في الركعتين الأوليين	٣	٢٥١



الصفحة	الجزء	طرف الحديث	الصفحة	الجزء	طرف الحديث
٥٢٢.....	١٠.....	كان رسول الله ﷺ إذا أتاه جبريل	٢٥٨.....	٣.....	كان النبي ﷺ يقرأ في الركعتين من
١٦٩.....	٢.....	كان رسول الله ﷺ إذا أراد أن يباشر	٣٣٨.....	٧.....	كان النبي ﷺ يقوم إذا سمع الصارخ
١٩٨.....	٤.....	كان رسول الله ﷺ إذا ارتحل قبل أن			كان النبي ﷺ يكره أن يأتي الرجل أهله
		تزيغ الشمس	٤٦٦.....	٦.....	طروقاً
		كان رسول الله ﷺ إذا اغتسل من	١٨.....	٤.....	كان النبي ﷺ ينحر أو يذبح بالمصلى
٨.....	٢.....	الجنابة غسل يديه	٤٩٢.....	٥.....	كان النبي ﷺ ينيخ بها
		كان رسول الله ﷺ إذا اغتسل من	١٢٤.....	١.....	كان النبي ﷺ إذا عمل عملاً
٦٤٠.....	١.....	الجنابة			كان النبي لا يقرأ بسم الله الرحمن
٦٣٣.....	٤.....	كان رسول الله ﷺ إذا أمرنا بالصدقة	١٠٨.....	٦.....	الرحيم
٤٢٠.....	٧.....	كان رسول الله ﷺ إذا أوى إلى فراشه			كان النبي يقسم لعائشة بيومها ويوم
		كان رسول الله ﷺ إذا سكت المؤذن	٤٣٤.....	٦.....	سودة
٢٠.....	٣.....	بالأولى	٨٤.....	١.....	كان النبي ﷺ إذا أمر أميراً
		كان رسول الله ﷺ إذا طاف الطواف	١١٦.....	١.....	كان النبي ﷺ يحب موافقة أهل الكتاب
٣٦٣.....	٥.....	الأول			كان النبي ﷺ يستقبل الكعبة وبيت
٣٨٦.....	٤.....	كان رسول الله ﷺ إذا عطس وضع يده	١١٨.....	١.....	المقدس
		كان رسول الله ﷺ إذا قام من الليل	١٨١.....	٥.....	كان أهل اليمن يحجون ولا يتزودون
٥٥٣.....	٣.....	ليصلي	٥٩٠.....	٤.....	كان يرجل جراح فقتل نفسه
٥٣٧.....	٥.....	كان رسول الله ﷺ إذا قدم من سفر			كان بين مصلى رسول الله ﷺ وبين
		كان رسول الله ﷺ إذا قعد في الصلاة	٤٠٢.....	٢.....	الجدار
٣٧٥.....	٣.....	جعل قدمه			كان جبريل يدارسه القرآن كل سنة في
		كان رسول الله ﷺ إذا نزل جبريل	١٣.....	٦.....	رمضان
١٠٤.....	٦.....	بالوحي	٣٨٥.....	٤.....	كان حقا على كل من سمعه
٦٠٩.....	٣.....	كان رسول الله ﷺ أشد حياءً من العذراء	٥٢١.....	٧.....	كان حقا على كل من سمعه
		كان رسول الله ﷺ صلى نحو بيت	٤٤٥.....	١.....	كان خاتم النبي ﷺ في هذه
٢٧٢.....	٢.....	المقدس ستة عشر	٥٤٧.....	٧.....	كان خاتم النبي ﷺ في يده
٢١٧.....	٧.....	كان رسول الله ﷺ قد مسح عينه	٥٥٣.....	٧.....	كان ذلك كمن اعتق أربع أنفس
		كان رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر			كان ذو المجاز وعكاظ متجر الناس في
٦٢٤.....	٣.....	يصلون العيدين	٤٩٤.....	٥.....	الجاهلية
٢٠٧.....	٧.....	كان رسول الله ﷺ يتعوذ من جهد البلاء			كان رجال يصلون مع النبي ﷺ عاقدي
		كان رسول الله ﷺ يجمع بين صلاة	٢١٧.....	٢.....	أزهرهم
١٩٤.....	٤.....	الظهر والعصر	١١٨.....	٥.....	كان رجل في بني إسرائيل يقال له جريج
٣٩٥.....	٩.....	كان رسول الله ﷺ يحب الحلواء	٣٧٦.....	٧.....	كان رجل ممن كان قبلكم
		كان رسول الله ﷺ يحب العسل	٤٨٧.....	١٠.....	كان رجل يسرف على نفسه
٤٩٨.....	٦.....	والحلواء			كان رجلاً مؤمناً يخفي إيمانه مع قوم كفار
		كان رسول الله ﷺ يخرج يوم الفطر	٢١٤.....	٩.....	فقتله
٦١٦.....	٣.....	والأضحى	٣٧.....	١.....	كان رسول الله ﷺ أجرد الناس

طرف الحديث	الجزء	الصفحة	طرف الحديث	الجزء	الصفحة
كان رسول الله ﷺ يدخل الخلاء، فأحل أنا و غلام.....	١	٤٠٨	عائشة.....	٧	٣٤١
كان رسول الله ﷺ يدخل من الثنية العليا.....	٥	٢٦٥	كان عند أم سلمة ث جلجل من فضة.....	١	٤٥٤
كان رسول الله ﷺ يسبح علي الراحلة.....	٤	١٩٠	كان فراش رسول الله ﷺ من آدم.....	٧	٣٣٧
كان رسول الله ﷺ يصلي العصر والشمس مرتفعة.....	٢	٤٩٢	كان فراشي حيال مصلى النبي ﷺ.....	٢	٤٣٦
كان رسول الله ﷺ يصلي العصر والشمس.....	٢	٤٨٨	كان فعل رسول الله ﷺ إذا قال سمع الله لمن حمده.....	٣	١٤٨
كان رسول الله ﷺ يصلي بالليل ثلاث عشرة ركعة.....	٤	٢٦٤	كان فينا أنزل من القرآن عشر رضعات.....	١	٢٥٢
كان رسول الله ﷺ يصلي ركعتي الفجر.....	١	٤٢٠	كان فينا أنزل من القرآن عشر رضعات.....	٦	٢٠٠
كان رسول الله ﷺ يصلي وأنا حذاءه وأنا حائض.....	٢	٢٥٢	كان فينا أنزل من القرآن: عشر رضعات معلومات.....	٩	١٥٧
كان رسول الله ﷺ يعالج من التنزيل شدة.....	١	٣٦	كان كمن أعتق أربع أنفس من بني إسماعيل.....	٦	٥٩
كان رسول الله ﷺ يفطر من الشهر.....	٤	٢٢٩	كان كمن أعتق أربعة أنفس من ولد إسماعيل.....	٥	٦٣٦
كان رسول الله ﷺ يقرأ في ركعتي الفجر.....	١	٤٢٠	كان كمن أعتق رقبة.....	٧	٢٧٠
كان رسول الله ﷺ يهدي من المدينة.....	٥	٤٢٠	كان لا يزيد في رمضان ولا غيره على.....	٤	٤٤
كان رسول الله ﷺ يوتر على البعير.....	٤	٥٩	كان له ستانة جناح.....	٦	١٨٧
كان رسول الله ﷺ إذا انصرف من العصر.....	٦	٤٣٩	كان معاذ يصلي مع النبي ﷺ، ثم يأتي قومه.....	٣	١٧٨
كان ركوع النبي ﷺ، وسجوده.....	٣	٣٠٥	كان وقافاً عند كتاب الله... (من قول ابن عباس).....	١	٦٣
كان ركوع النبي ﷺ، وسجوده.....	٣	٣١٦	كان يأتي علينا الشهر ما نوقد فيه نارا.....	٧	٣٣٧
كان زوج برة عبداً أسود... (من قول ابن عباس).....	٦	٥٤١	كان يأمرني فأترز، فيباشرني.....	٢	١٦٨
كان سالم مولى أبي حذيفة يوم المهاجرين.....	٩	٦١٩	كان يبعث يهديه من جمع من آخر... (أي ابن عمر).....	٥	٤٣١
كان سجود النبي ﷺ وركوعه وقعوده.....	٣	٣٦٢	كان يختم القرآن في ليلة... (أي).....	٦	.....
كان شعر رسول الله ﷺ رجلاً.....	٧	٥٦٩	كان يخرج رأسه إلي، وهو معتكف.....	٢	١٦٨
كان عبد الله بن عمر يجمع بين المغرب والعشاء بجمع.....	٥	٣٨٩	كان يرمي الجمرة الدنيا بسبع حصيات.....	٥	٤٧٩، ٤٧٨
كان عبد الله بن عمر، يقدم ضعفة أهله.....	٥	٣٩٦	كان يستغفر الله مائة مرة.....	٧	١٤٥٠
كان عمر ض يكبر في قبة بمنى.....	٤	٥	كان يسير العتق، فإذا وجد... (من قول أسامة).....	٥	٣٨٧
كان عمر يقول للنبي ﷺ: احجب نساءك.....	١	٤٠١	كان يصلي إحدى عشرة ركعة يصلي أربعاً.....	٤	٤٨
كان عمله ديمة، وأيكم يستطيع... (من قول)			كان يصلي الهجير... (من قول أبي برة).....	٢	٤٩
			كان يصلي سجدتين خفيفتين بعدما يطلع الفجر.....	٤	٢٦٥



الجزء	الصفحة	طرف الحديث	الجزء	الصفحة	طرف الحديث
٧	٥٦٩	كان يضرب شعر النبي ﷺ منكميه	٧	٤٦٤	كانوا لا يكتون، ولا يسترقون
٢	٣٠٧	كان يعجبه التيامن في تنعله	٥	١٤٥	كانوا يخرجونها قبل العيد يوم أو يومين
٤	٤١٦	كان يعجبه التيامن في كل شيء	٥	٢٥١	كانوا يرون أن العمرة في أشهر الحج
٦	٣٧	كان يعرض على النبي ﷺ القرآن كل عام مرة	٥	١٤٨	كانوا يعطون قبل الفطر يوم أو يومين
١	٥٣٤	كان يغتسل بالصاع إلى خمسة أمداد	٧	٥٧٥	كأنني أنظر إلى وبيص الطيب في مفارق النبي ﷺ
١	٤٩٩	كان يفتح صلاة بركعتين خفيفتين	٥	٢٠١	كأنني أنظر إلى وبيص الطيب في مفارق كأنني أنظر إلى وبيص الطيب... قول عائشة)
٣	٣١٨	كان يكبر في كل صلاة من المكتوبة	٢	٧	كأنني أنظر إلى وبيص المسك في مفارق رسول الله ﷺ، وهو محرم
٩	٥٨٢	كان يكون بين يدي النبي ﷺ بمزلة صاحب الشرطة	٥	١٩٧	كأنني أنظر إلى وبيص المسك في مفارق كأنني أنظر إلى وبيص المسك... (من قول عائشة)
٣	١١٤	كان يكون في مهنة أهله	٢	٥	كأنني أنظر إليه بتبعها في سكك المدينة
٣	٦٣٨	كان يلبي الملبى لا ينكر عليه	٩	٢١٨	الكبار الإشراف بالله وعقود الوالدين
٤	٦	كان يلبي الملبى لا ينكر عليه... (من قول أنس)	٧	٥٨٦	الكبار الإشراف بالله
٦	١٠٧	كان يمد مدا	٩	٢٧١	الكبر الكبر
٥	٤٣٠	كان ينحر في المنحر	٣	٥١	كبر ثم أوما بيده إن النوم أن اجلسوا
١٠	٦٩	كان ينهى عن قيل وقال، وكثرة السؤال	١	٦١١	كبر كبر
٧	٥٨٤	كان يهل منا المهل فلا ينكر عليه... (من قول أنس)	٩	٦٣٧	كبر كبر
٤	٩٩	كان يوضع لي ولرسول الله ﷺ هذا المكن	٩	٢٤٨	كتاب الله القصاص
٦	٦١٧	كانت الأولى من موسى نسياناً	٤	٢١٨	كتب له ما كان يعمل صحيحاً مقيماً
٩	٨٦	كانت الريح الشديدة إذا هبت عرف ذلك في وجه النبي ﷺ	٥	١٠٨	كخ، كخ
٢	١٥	كانت المرأة إذا توفي عنها زوجها دخلت حفشاً... (من قول زينب)	١	١٧٨	كذب أبو السنايل
٤	٢٢٨	كانت امرأتان معهما ابناهما، جاء الذئب	٢	٢٠٦	كذب أبو السنايل
١	٥٧٣	كانت بنو إسرائيل يغتسلون عراً	٧	١٧٩	كذب أبو السنايل
٤	٢٢٨	كانت تغسل الدم عن وجهه ﷺ	٧	٢٣١	كذب أبو السنايل
٢	٣٦٣	كانت فاطمة... (يعني: فاطمة)	١	٣١٣	كذب ثلاث كذبات في ذات الله... (أي إبراهيم)
١	٢٤١	كانت صلاة النبي ﷺ ثلاث عشرة ركعة	٥	٥٨٧	كذب سعد، اليوم تعظم الكعبة
٢	٣٦٣	كانت فاطمة تغسل الدم عن وجهه	١	٢٨١	كذب سعد، بل اليوم يوم تعظم فيه الكعبة
٩	٢٤١	كانت فاطمة تغسل الدم عن وجهه	٩	٢٥٤	كذب من قالها إن له لأجرين
٦	١٠٧	كانت في بني إسرائيل قصاص... (من قول ابن عباس)	٥	٥٨٢	كذب اليوم تعظم الكعبة
٧	٤٠٢	كانت ناقة لرسول الله ﷺ تسمى العضباء	٧	٢٣١	كذبوا ما باطل، عامر

طرق الحديث	الجزء	الصفحة	طرق الحديث	الجزء	الصفحة
كذلك أنزلت إن هذا القرآن أنزل على	٦	٢١٠	كل مسكر حرام	٩	٦١٤
سبعة.....	٦	٢١٠	كل مسكر خمر وكل مسكر حرام.....	١٠	٦٠٥
كذلك أنزلت.....	١٠	٥٤٩	كل مسكر خمر.....	٦	٣٦٥
كذلك صنع النبي ﷺ.....	٥	٤٢٦	كل مولود يولد على الفطرة.....	١٠	٣٨٩
الكرسي موضع القدمين.....	١	٢٨٥	كل مولود يولد على الفطرة.....	١٠	٢٤٧
كرهت أن أذكر الله على غير طهر.....	٣	٢٤٦	كل مولود يولد على الفطرة.....	١٠	٣٠٣
كساني النبي ﷺ حلة سراء.....	٧٠	٥٠٧	كل مولود يولد على الفطرة.....	٧٠	٥٥٩
كسب الحجام خيث.....	١٠	١٧١	كل ميسر لها خلق له.....	١٠	٥٥١
كسر عظم الميت ككسره حيا.....	٩	٢٥٨	كل واشرب وتصدق.....	٧٠	٤٥٨
كسرت على رأس رسول الله ﷺ البيضة.....	٧٠	٣٩٤	كلا، لو كانت كما تقول كانت فلا		
كسفت الشمس على عهد رسول الله ﷺ			جناح... (من قول عائشة).....	٥٠	٥٢٤
يوم مات إبراهيم.....	٤	١٢٣	كلا كما محسن، فاقراً.....	٦٠	١٣٠
كف - أو أمسك -.....	٦٠	١٢٠	كلانا جنب... (من قول عائشة).....	٢٠	١٦٨
كف عليك هذا.....	١٠	٧٢	كلنا يديه يمين.....	١٠	٣٤٨
كفارة التمر إذا لم.....	٣	٦٢٢	كلف أن ينفخ فيها الروح وليس بنافخ.....	١٠	٣٣٧
كفر عن يمينك، وأنت.....	٣	٥٣٤	كلف أن ينفخ فيها الروح وليس بنافخ.....	٦٠	٣٦٣
كفن النبي ﷺ في ثلاثة أثواب.....	٤٠	٤٣٥	كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته.....	٩٠	٥٦٤
كفن رسول الله ﷺ في ثلاثة أثواب.....	٤٠	٤٣٥	كلكم راع وكلكم مسئول.....	٦٠	٣٦٩
كفن رسول الله ﷺ في ثلاثة أثواب.....	٤٠	٤٣٦	كلكم راع وكلكم مسئول.....	٦٠	٤١٦
كفنه في ثوبه.....	٥٠	٦٠١	كلكم راع ومسئول عن رعيته.....	٤٠	٤٥٣
كفى بيارقة السيوف.....	٣	٥١٧	الكلمة الصالحة يسمعها أحدكم.....	٧٠	٤٢٨
كل الليل أوتر رسول الله ﷺ.....	٤٠	٥٦٠	كلمتان حبيبتان إلى الرحمن.....	١٠	٥٧١
كل أمتي يدخلون الجنة.....	١٠	٥٨	كلمتان خفيفتان على اللسان.....	٧٠	٢٧١
كل امرئ في ظل صدقته يوم القيامة.....	٢٠	١٧٢	كلمتان خفيفتان على اللسان.....	٧٠	٥٩٧
كل امرئ في ظل صدقته يوم القيامة.....	٣٠	٨١٠	كلهم من قرش.....	٩٠	٦٦٥
كل امرئ في ظل.....	٣	٣٧٥	كلوا أو اطعموا فإنه حلال.....	١٠	٤٦
كل امرئ في ظل صدقته يوم القيامة.....	٥٠	١٦٠	كلوا واشربوا حتى تسمعوا.....	١٠	٢٤
كل بدعة ضلالة.....	٩	٣٦	كلوا وتزودوا.....	٥٠	٤٤٦
كل بني آدم خطاء.....	٧٠	٦١٧	كلوا.....	٥٠	٥٦٤ ٥٦٥
كل ذلك لم يكن ولكن ابني ارتحلني.....	٦٠	٣٠٧	كلوا، غارت أمكم.....	٧٠	٦٩٦
كل شراب أسكر فهو حرام.....	١٠	٦٠٤	كلوه حلال.....	٥٠	٥٦٧
كل شيء عنده بأجل مسمى.....	٣	٥٢٢	كم أصدقها؟.....	٦٠	٣٤٥
كل ضلالة في النار.....	١٠	٩٩	كم اعتمر النبي ﷺ؟.....	٥٠	٥٠٥
كل عمل ابن آدم له.....	٧٠	٥٨٩	كم سقت إليها؟.....	٦٠	٣١٨
كل فاني أناجي من لا تناجي.....	٣٠	٤٢٥	كم من كاسية في الدنيا عارية يوم القيامة.....	٧٠	٥١٣
كل كلم يكلمه المسلم في سبيل الله.....	١٠	٥٩٢	كما أنتم.....	٢٠	١٢



الصفحة	الجزء	طرف الحديث	الصفحة	الجزء	طرف الحديث
		كما بين المدينة وصنعاء.....	٥١٨.....	٧	كما بين المدينة وصنعاء.....
		كما تراهون الكوكب الغارب.....	٤٨٠.....	٧	كما تراهون الكوكب الغارب.....
		كما رأيتوني أصلي.....	٢٦.....	٣	كما رأيتوني أصلي.....
		الكمة من المن.....	٣٨٢.....	٧	الكمة من المن.....
		كمر السلسلة على الصفوان.....	٤٦٨.....	١٠	كمر السلسلة على الصفوان.....
		كن في الدنيا كأنك غريب.....	٢٨٨.....	٧	كن في الدنيا كأنك غريب.....
		كن نساء المؤمنات يشهدن مع رسول الله ﷺ.....	٥٤٩.....	٢	كن نساء المؤمنات يشهدن مع رسول الله ﷺ.....
		كنا إذا سعدنا كبرنا، وإذا نزلنا سبحنا.....	٥٩٨.....	٣	كنا إذا سعدنا كبرنا، وإذا نزلنا سبحنا.....
		كنا إذا صلينا خلف رسول الله ﷺ.....	٤٨٢.....	٢	كنا إذا صلينا خلف رسول الله ﷺ.....
		بالظواهر.....	٤٩٧.....	٦	بالظواهر.....
		كنا لا نعد الصفرة والكدره بعد الطهر شيئاً.....	٢٢٣.....	٢	كنا لا نعد الصفرة والكدره شيئاً.....
		كنا مع النبي ﷺ بالقاحه.....	٥٦٦.....	٥	كنا مع النبي ﷺ بالقاحه.....
		كنا مع النبي ﷺ بالقاحه، ومنا المحرم.....	٥٦٦.....	٥	كنا مع النبي ﷺ بالقاحه، ومنا المحرم.....
		كنا نؤتى بالشارب على عهد رسول الله ﷺ.....	٦٢٧.....	١	كنا نؤتى بالشارب على عهد رسول الله ﷺ.....
		كنا نؤمر أن نخرج يوم العيد حتى نخرج البكر.....	٦٣٩.....	٣	كنا نؤمر أن نخرج يوم العيد حتى نخرج البكر.....
		كنا نؤمر أن نخرج يوم العيد... (من قول أم عطية).....	٧.....	٤	كنا نؤمر أن نخرج يوم العيد... (من قول أم عطية).....
		كنا نتحين، فإذا زالت الشمس رمينا.....	٤٦٨.....	٥	كنا نتحين، فإذا زالت الشمس رمينا.....
		كنا نتقي الكلام والإنسباط إلى نساءنا.....	٣٦٨.....	٦	كنا نتقي الكلام والإنسباط إلى نساءنا.....
		كنا نحض مع النبي ﷺ فلا يأمرنا.....	٢٢٩.....		كنا نحض مع النبي ﷺ فلا يأمرنا.....
		كنا نخرج زكاة الفطر... (من قول أبي سعيد).....	١٤٢.....	٥	كنا نخرج زكاة الفطر... (من قول أبي سعيد).....
		كنا نخرج في عهد رسول الله ﷺ يوم الفطر.....	١٤٦.....	٥	كنا نخرج في عهد رسول الله ﷺ يوم الفطر.....
		كنا ندأوي الكلمى... (من قول حفصة).....	٣٦٧.....	٥	كنا ندأوي الكلمى... (من قول حفصة).....
		كنا نصلي العصر ثم يخرج الإنسان (من قول أنس).....	٤٩١.....	٢	كنا نصلي العصر ثم يخرج الإنسان (من قول أنس).....
		كنا نصلي العصر، ثم يذهب الذاهب منا إلى قباء.....	٤٩٢.....	٢	كنا نصلي العصر، ثم يذهب الذاهب منا إلى قباء.....
		كنا نصلي المغرب مع النبي ﷺ فينصرف أحدنا.....	٥١٨.....	٢	كنا نصلي المغرب مع النبي ﷺ فينصرف أحدنا.....
		كنا نصلي مع النبي ﷺ المغرب، ثم نرجع إلى منازلنا.....	٥٠٠.....	١	كنا نصلي مع النبي ﷺ المغرب، ثم نرجع إلى منازلنا.....
		كنا نصلي مع النبي ﷺ في شدة الحر.....	٣٢١.....	٤	كنا نصلي مع النبي ﷺ في شدة الحر.....
		كنا نصلي مع النبي ﷺ فيضع أحدنا طرف الثوب.....	٢٦٠.....	٢	كنا نصلي مع النبي ﷺ فيضع أحدنا طرف الثوب.....
		كنا نعلها نفاقاً... (من قول ابن عمر).....	٦٢١.....	٩	كنا نعلها نفاقاً... (من قول ابن عمر).....
		كنا نعل على عهد رسول الله ﷺ.....	٤٢٩.....	٦	كنا نعل على عهد رسول الله ﷺ.....
		كنا نعل على عهد رسول الله ﷺ والقرآن ينزل.....	٤٢٩.....	٦	كنا نعل على عهد رسول الله ﷺ والقرآن ينزل.....
		كنا نعل على عهد رسول الله ﷺ والقرآن ينزل.....	٤٢٩.....	٦	كنا نعل على عهد رسول الله ﷺ والقرآن ينزل.....
		كنا نعطيه في زمان النبي ﷺ صاعاً... (من قول أبي سعيد).....	١٤٤.....	٥	كنا نعطيه في زمان النبي ﷺ صاعاً... (من قول أبي سعيد).....
		كنا نغزو مع رسول الله ﷺ نسقي القوم.....	٣٥٧.....	٧	كنا نغزو مع رسول الله ﷺ نسقي القوم.....
		كنا نغزو مع رسول الله ﷺ، فنصيب من آية.....	٢٨.....	٢	كنا نغزو مع رسول الله ﷺ، فنصيب من آية.....
		كنا نفعله فهنيئا عنه، وأمرنا أن نضع أيدينا على الركب.....	٣٠٤.....	٣	كنا نفعله فهنيئا عنه، وأمرنا أن نضع أيدينا على الركب.....
		كنا نمنع عواتقنا أن يخرجن... (من قول حفصة).....	٣٦٧.....	٥	كنا نمنع عواتقنا أن يخرجن... (من قول حفصة).....
		كنا ننهي أن نحد على ميت فوق ثلاث.....	٢٠٠.....	٢	كنا ننهي أن نحد على ميت فوق ثلاث.....
		كنا ننهي أن نحد على ميت فوق ثلاث.....	٦٢١.....	٦	كنا ننهي أن نحد على ميت فوق ثلاث.....
		كنا ننهي عن اتباع الجنائز.....	٦٢١.....	٦	كنا ننهي عن اتباع الجنائز.....
		كنت أرجل رأس رسول الله ﷺ.....	٥٨٧.....	٧	كنت أرجل رأس رسول الله ﷺ.....
		كنت أرجل رأس رسول الله ﷺ، وأنا حائض.....	١٥٩.....	٢	كنت أرجل رأس رسول الله ﷺ، وأنا حائض.....
		كنت أرجو أن يرى رسول الله ﷺ.....	٤٨٤.....	١٠	كنت أرجو أن يرى رسول الله ﷺ.....
		كنت أطيب النبي ﷺ بأطيب ما يجد.....	٥٨٤.....	٧	كنت أطيب النبي ﷺ بأطيب ما يجد.....
		كنت أطيب النبي ﷺ.....	٥٩٠.....	٧	كنت أطيب النبي ﷺ.....
		كنت أطيب رسول الله ﷺ لإحرامه.....	٣٦٤.....	١	كنت أطيب رسول الله ﷺ لإحرامه.....
		كنت أطيب رسول الله ﷺ لإحرامه.....	٢٠٢.....	٥	كنت أطيب رسول الله ﷺ لإحرامه.....
		كنت أعرف انقضاء صلاة النبي ﷺ بالتكبير.....	٤٠٤.....	٣	كنت أعرف انقضاء صلاة النبي ﷺ بالتكبير.....
		كنت أغسل أنا والنبي ﷺ من إناء واحد.....	٦٤٠ ٦٣١.....	١	كنت أغسل أنا والنبي ﷺ من إناء واحد.....
		كنت أغسل أنا ورسول الله ﷺ من إناء واحد.....	٨.....	٢	كنت أغسل أنا ورسول الله ﷺ من إناء واحد.....
		كنت أغسل أنا ورسول الله ﷺ... (من)			كنت أغسل أنا ورسول الله ﷺ... (من)

طرف الحديث	الجزء	الصفحة	طرف الحديث	الجزء	الصفحة
حديث عائشة.....	١٠.....	١٣٨.....	كيف تسألون أهل الكتاب... (من قول ابن عباس).....	١٠.....	١٧٩.....
كنت أغسل الجنابة من ثوب النبي ﷺ.....	١.....	٥٨١.....	كيف كان رسول الله ﷺ يغسل رأسه وهو محرم؟.....	٥.....	٦٠٤.....
كنت أغسله من ثوب رسول الله ﷺ.....	١.....	٥٨٣.....	كيف يمنعون وقد طاف نساء النبي ﷺ.....	٥.....	٣٢٨.....
كنت أفل القلائد للنبي ﷺ فيقلد.....	٥.....	٤٢٢.....	لا تزال جهنم قول.....	٧.....	٥٧٤.....
كنت أفل قلائد الغنم للنبي ﷺ فيبعث.....	٥.....	٤٢٢.....	لا تسأل الإمارة فإنك.....	٧.....	٦٦٧.....
كنت أمشي مع رسول الله ﷺ وعليه برد نجراني.....	٧.....	٤٨٠.....	لا حرج.....	٧.....	٥٨١.....
كنت أنا وأمي من المستضعفين... (من قول ابن عباس).....	٤.....	٥٧٥.....	لا ومقلب القلوب.....	٧.....	٥٣٨.....
كنت أنام بين يدي رسول الله ﷺ.....	٢.....	٢٥٨.....	لا يأتي ابن آدم النريشي.....	٧.....	٦٢٠.....
ورجلاني في قبلته.....	٢.....	٢٥٨.....	لا يغل أحدكم منها شيئاً.....	٧.....	٥٤٦.....
كنت أنام بين يدي رسول الله ﷺ.....	٢.....	٢٥٨.....	لا يموت لأحد من المسلمين.....	٧.....	٥٦٩.....
ورجلاني في قبلته.....	٢.....	٤٢٨.....	لا أتحمّلها حياً وميتاً... (من قول عمر).....	٩.....	٦٦١.....
كنت أنظر إلى علمها وأنا في الصلاة.....	٢.....	٢٣١.....	لا أجلس حتى أقتله قضاء الله ورسوله ﷺ.....	٩.....	٥٨٢.....
كنت خلفت في البيت تبرأ.....	٥.....	٣٠.....	لا أحلف على يمين... (من قول أبي بكر).....	٧.....	٥٣٣.....
كنت رجلاً مذاء... (من قول علي).....	١.....	٤٧٧.....	لا أزال أحبه سمعت النبي ﷺ.....	٦.....	٣٨.....
كنت فيمن رجه فرجمناه بالمصل... (من قول جابر).....	٦.....	٥٢٦.....	لا أشهد على جور.....	٩.....	٥٩٢.....
كنت لك كأبي زرع لأم زرع.....	٦.....	٣٧١.....	لا أكله ولا أحرمه.....	١٠.....	١٧١.....
كنت نهيتم عن الانتباز.....	١٠.....	٤٥.....	لا إلا أن تطوع.....	٤.....	٤٢.....
كنت نهيتم عن الانتباز.....	١٠.....	٥٦٤.....	لا ألبسه أبداً.....	٧.....	٥٣٦.....
كنت نهيتم عن زيارة القبور فزورها.....	٣.....	٤٥٩.....	لا ألقين أحدكم متكئاً على أريكته.....	١٠.....	٥٩.....
كنت نهيتم عن زيارة القبور، فزورها.....	٤.....	٤٥٢.....	لا إله إلا الله العظيم الحليم.....	٧.....	٢٠٦.....
الكوثر الخير الكثير الذي أعطاه الله إياه... (من قول ابن عباس).....	٧.....	٥١١.....	لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله.....	١٠.....	٤٠٠.....
كونوا عباد الله إخواناً.....	٦.....	٢٩٧.....	لا إله إلا الله العظيم الحليم.....	٧.....	٢٠٦.....
كونوا عباد الله إخواناً.....	٩.....	١٩.....	لا إله إلا الله العليم الحليم.....	١٠.....	٣٩٥.....
كويت من ذات الجنب ورسول الله ﷺ حي.....	٧.....	٣٩٣.....	لا إله إلا الله إن للموت سكرات.....	٧.....	٤١٤.....
الكيس الكيس يا جابر.....	٦.....	٤٦٧.....	لا إله إلا الله ماذا أنزل الليلة من الفتنة.....	٧.....	٥١٠.....
الكيس من دان نفسه.....	١٠.....	٣١٩.....	لا إله إلا الله وحده لا شريك له.....	٥.....	٥٢٨.....
كيف أفته الحروب، البال كثير.....	٩.....	٢٣٠.....	لا إله إلا الله وحده لا شريك له.....	٧.....	٣٥٩.....
كيف بها وقد زعمت أنها قد أرضعتكما دعها عنك.....	٦.....	٢٠٧.....	لا إله إلا الله وحده لا شريك له... (في الذكر عقب الصلاة).....	٣.....	٤٠٩.....
كيف تسألون أهل الكتاب عن كتبهم... (من قول ابن عباس).....	١٠.....	٥٢١.....	لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك.....	٧.....	٢٤٨.....
			لا إله إلا الله وحده، أنجز وعده.....	٧.....	٢٥٠.....
			لا إله إلا الله، وحده لا شريك له.....	١٠.....	٦٩.....
			لا إله إلا الله، ويل للعرب من شر قد اقترب.....	٩.....	٤٩٥.....
			لا إله إلا الله، ويل للعرب من شر قد اقترب.....	٩.....	٥٥٨.....



الجزء	الصفحة	طرف الحديث	الجزء	الصفحة	طرف الحديث
٢٩٣	٦	لا تحقق	٤٢٤	٦	لا إنه قد لمن الموصلات
١٧	١٠	لا تحل لأحد بعدي	١٩٦	٧	لا بأس طهور إن شاء الله
		لا تحل لآل محمد إنما هي أوساخ	٣٣١	٧	لا بأس طهور إن شاء الله
١٠٢	٥	الناس	٤٥٨	١٠	لا بأس عليك طهور إن شاء
٥٥٧	٧	لا تحلفوا بأبائكم	٤٦٣	٦	لا تبأشر المرأة المرأة فتعتتها
٣٠٩	١٠	لا تحلفوا بأبائكم، ومن كان حالفًا	٤٦٤	٦	لا تبأشر المرأة المرأة فتعتتها
		لا تحلين لزورك الأول حتى يذوق	٦٩٨	٧	لا تبدؤوا اليهود والنصارى بالسلام
٤٩٦	٦	الآخر عسيلتك	٧٠٠	٧	لا تبدؤوا اليهود والنصارى بالسلام
٦٢٠	٢	لا تخاف أحدًا إلا الله	٤٢٩	٤	لا تبشروهم فيتكلموا
٤٥٨	٩	لا تخبر بتلاعب الشيطان بك في المنام	٦٣٤	٧	لا تبشروهم فيتكلموا
٤٩	٣	لا تختلفوا فتختلف قلوبكم	١٠٣	٥	لا تبيعوا الثمرة حتى يبدو صلاحها
٤٢٧	٤	لا تخمروا رأسه	٢٩٣	٤	لا تتحروا طلوع الشمس ولا غروبها
٢٩٩	٩	لا تخيروا بين الأنبياء	٧٧٩	٧	لا تتركوا النار في بيوتكم
٤٥٩	١٠	لا تخيروني على موسى	٣١١	٧	لا تمنوا لقاء العدو
٤٢٣	٧	لا تخيروني على موسى	٣١٠	١	لا تجتمع أمتي على الضلالة
٣٠١	٩	لا تخيروني من بين الأنبياء	٢٩٣	٦	لا تجسروا ولا تحسبوا
٣٣	٢	لا تدخل الملائكة بيتًا فيه جنب	٢٠	٩	لا تجسروا
٦١٥	٧	لا تدخل الملائكة بيتًا فيه كلب	٣٩٨	٦	لا تجعل مصيبتنا في ديننا
٣١٩	٢	لا تدخلوا على هؤلاء المعذنين	٣٠٩	٢	لا تجعلوا بيوتكم قبورًا
٧٠	١٠	لا تدعن أن تقول في دير كل صلاة	١٩٥	٩	لا تجلدوا فوق عشرة أسواط إلا في حد
		لا تدفني مع النبي ﷺ في البيت... (من قول	٥٢٤	٤	لا تجلسوا على القبور ولا تصلوا إليها
١٣١	١٠	عائشة)	٤٧٤	١٠	لا تجهز بصلاتك
٢٨١	٦	لا تذبحوا إلا مسنةً إلا أن يعسر عليكم	٥٢٩	١٠	لا تحاسد إلا في التئين
٣٧٦	٧	لا تذبحوا إلا مسنةً	٦٧٩	٩	لا تحاسد إلا في التئين
٥٨٦	٧	لا تذبحوا إلا مسنةً			لا تحدث الناس بتلاعب الشيطان بك
٦٢٧	٣	لا تذبحوا إلا مسنةً، إلا أن تعسر	٤٢٠	٧	في منامك
		لا تردوا بعدي كفارًا يضرب بعضكم رقاب			لا تحدث الناس بتلاعب الشيطان بك في
٥٠٤	٩	بعض	٤٤٣	٩	منامك
		لا ترتكبوا ما ارتكبت اليهود فتستحلوا	٥٣٣	٥	لا تحدث شيئًا
٣٧٢	٩	محارم الله	٢٠٠	٦	لا تحرم الإملاجة ولا الإملاجاتان
		لا ترجعوا بعدي كفارًا يضرب بعضكم	٢٥٢	١	لا تحرم المصة ولا المصتان
٢١٦	٩	رقاب بعض	٢٠٣	٦	لا تحرم المصة ولا المصتان
٢١٧	٩	لا ترجعوا بعدي كفارًا يضرب بعضكم			لا تحروا بصلاتكم طلوع الشمس ولا
٥٠٤، ٥٠٣	٩	لا ترجعوا بعدي كفارًا يضرب بعضكم	٥٥٢	٢	غروبها
٣٢٦	١	لا ترجعوا بعدي كفارًا يضرب	٢٠	٩	لا تحسبوا
٤٦٢	٥	لا ترجعوا بعدي كفارًا يضرب	٣٣	٥	لا تحصي فيحصى الله عليكم

الجزء	الصفحة	طرف الحديث	الجزء	الصفحة	طرف الحديث
٢	١٦٣	لا تصلوا إلى القبور	٩	٨٤	لا ترغبوا عن آبائكم
٤	٢٨٥	لا تصلوا إلى القبور	٢	٢١٧	لا ترفعن رءوسكن حتى يستوي الرجال
٤	٥٢١	لا تصلوا إلى القبور	٩	٤٩٨	لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين
٤	٥٤٤	لا تصلوا إلى القبور، ولا تقعدوا عليها	١	٣١١	لا تزال طائفة من أمتي على الحق
٢	٥٥٦	لا تصلوا بعد الفجر حتى تطلع الشمس	٥	٦٢٩	لا تسافر المرأة إلا مع ذي محرم
٦	٤٠٨	لا تصوم المرأة ويعلمها شاهد إلا بإذنه	٩	١٣٥	لا تسافر المرأة ثلاثاً إلا ومعها ذو محرم
٩	٢٣	لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم	٤	١٨٢	لا تسافر المرأة ثلاثاً
٩	١٦١	لا تطروني كما أطري عيسى ابن مريم	٤	١٨١	لا تسافر المرأة ثلاثة أيام
٥	١٠٥	لا تعد في صدقتك	٤	٢٩٤	لا تسافر المرأة يومين
٩	٣١٩	لا تعذبوا بعذاب الله	١٠	٤٤٩	لا تسافر امرأة إلا مع ذي محرم
٦	١٩٣	لا تعرضن علي بناتكن ولا أخواتكن	٥	٤٩٠	لا تسافر امرأة إلا مع ذي محرم
٦	٢٣١	لا تعرضن علي بناتكن ولا أخواتكن	١٠	٤٤٩	لا تسافر امرأة مسيرة ثلاثة أيام
٤	٥٥٨	لا تغسلوهم فإن كل جرح	٥	٦٣٦	لا تسافر امرأة مسيرة يومين
١	٧٦	لا تغضب	١٠	٤٤٩	لا تسافر امرأة يوماً وليلة
٥	٦٠١	لا تغطوا رأسه	٧	٥٣٤	لا تسأل الإمارة
٣	٧٤	لا تغلبنكم الأعراب على صلاتكم	١٠	٥٥٧	لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء
١٠	١٥٥	لا تغفلوا، ولكن مثلاً بمثل	٧	٢٢٢	لا تسألوني اليوم عن شيء إلا بيته لكم
١	٣٦٥	لا تقبل صلاة من أحدث حتى يتوضأ	٩	٥١٢	لا تسألوني عن شيء إلا بينت لكم
١٠	٥٦٨	لا تقبل له صلاة أربعين ليلة	٧	٤٢٠	لا تسبوا الأموات
		لا تقتل نفس إلا كان على ابن آدم الأول كفل	٩	١٠٧	لا تسبوا الأموات
٩	٢١٥	منها	٣	٢٥٣	لا تستقبلوا القبلة بغائط ولا بول
٩	٢١٤	لا تقتله فإن قتلته فإنه بمنزلة قبل أن تقتله	٢	٢٦٦	لا تستقبلوا القبلة بغائط
		لا تقرأ الحائض ولا الجنب شيئاً من	٣	٩٦	لا تسلموا تسليم اليهود
١	٤٩٢	القرآن	٧	٦٩٨	لا تسلموا على شراب
٧	٥٦٧	لا تقسم	٦	٣٠٥	لا تشتري الصاع بالصاعين
٢	٣٠١	لا تقل ذلك، ألا تراه قد قال: لا إله إلا الله	٥	١٠٦	لا تشتري، ولا تعد في صدقتك
٩	١٠٢	لا تقولوا هكذا، لا تعينوا عليه الشيطان	٤	٢٨٩	لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد
٣	٣٩٢	لا تقولوا: السلام على الله	٥	٦٣٦	لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد
٤	١٠١	لا تقوم الساعة حتى يقبض العلم	٧	٦٣٤	لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة
١	٢١٥	لا تقوم الساعة إلا على شرار الخلق	١٠	١٥	لا تشددوا فيشد الله عليكم
١٠	١١٣	لا تقوم الساعة حتى تأخذ أمتي	٤	٣٨٦	لا تشربوا في آنية الذهب والفضة
		لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض	٧	٦١٥	لا تشمن ولا تستوشمن
٩	٥٣٩	الحجاز	١٠	١٧٨	لا تصدقوا أهل الكتاب
٩	٥٣٧	لا تقوم الساعة حتى تضطرب آليات نساء	١٠	٥٢١	لا تصدقوا أهل الكتاب
		لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من	١١	٥٤٤	لا تصدقوا أهل الكتاب
			٩	٣٩٠	لا تصروا الإبل



طرف الحديث	الجزء	الصفحة	طرف الحديث	الجزء	الصفحة
مغربها.....	٧	٤١٠	لا تمهل حتى إذا بلغت الحلقوم.....	٧	٢٣٧
لا تقوم الساعة حتى تعود جزيرة العرب			لا تنتقب المحرمة، ولا تلبس القفازين.....	٥	٥٩٩
مروجًا.....	١	٦٦٠	لا تنتقب المرأة.....	٧	٤٥٨
لا تقوم الساعة حتى تقتل فئتان دعواهما			لا تسنأ يا أخي من دعائك.....	٤	٧٣٠
واحدة.....	٩	٣٣٩	لا تسنأ يا أخي من دعائك.....	٩	٤٤٨
لا تقوم الساعة حتى تقتل فئتان عظيمتان.....	٩	٥٤٤	لا تنظر المرأة إلى عورة المرأة.....	٧	٥١٥
لا تقوم الساعة حتى تنفي المدينة شرارها.....	١٠	١٢٠	لا تنظروا إلى من هو فوقكم.....	٧	٣٥١
لا تقوم الساعة حتى لا يحج البيت.....	٥	٢٩٨	لا تنقطع التوبة حتى تخرج الشمس.....	٥	٥٩٥
لا تقوم الساعة حتى يخرج رجل من فحطان.....	٩	٥٣٧	لا تنقطع التوبة حتى تطلع.....	٧	١٤٧
لا تقوم الساعة حتى يقبض العلم.....	٤	١٠٢	لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة.....	١٠	٣٩١
لا تقوم الساعة حتى يكفر فيكم المال.....	٤	٦٣٠	لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة.....	٧	٤١١
لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر.....	٩	٥٣٧	لا تنكح الأيم حتى تستأمر.....	٦	٢٧٨
لا تقوم الساعة وفي الأرض.....	١٠	٤٣٩	لا تنكح الأيم حتى تستأمر.....	٩	٣٩٤
لا تقوم الساعة.....	٩	١٣٣	لا تنكح البكر حتى تستأذن.....	٦	١٥٨
لا تقوموا حتى تروني وعليكم السكينة.....	٣	٥١١	لا تنكح البكر حتى تستأذن.....	٩	٣٩٤
لا تقوموا حتى تروني.....	١٠	٤٢٧	لا تواصلوا.....	١٠	٨٨
لا تقوموا كما تقوم الأعاجم.....	٧	٧١٣	لا نوعي فيوعي فبوعي الله عليك.....	٥	٣٤٠
لا تكبوا عني ومن كتب.....	١٠	٧٠	لا نوعي فيوعي فبوعي الله عليك.....	٦	٦٤١
لا تكحل، قد كانت إحدانك.....	٦	٦١٩	لا توكي فيوكي عليك.....	٥	٣٣
لا تكذبوا علي فإنه من كذب علي فليجلج			لا حرج... لمن سعى قبل الطواف.....	١	٢٤٠
النار.....	١	٢٨٤	لا حرج عليك أن تطعمهم من معروف.....	٩	٥٨٩
لا تكن مثل فلان كان يقوم الليل.....	١	١٢٤	لا حسد إلا على اثنتين.....	٦	٧٦
لا تكونوا عون الشيطان علي أخيكم.....	٩	١٠٦	لا حسد إلا في اثنتين رجل.....	٦	٧٦
لا تلبس ثوبًا مسه الزعفران.....	٥	٥٢٣	لا حسد إلا في اثنتين.....	١	٢١٩
لا تلبسوا القمص، ولا العمامة.....	٧	٤٧٥	لا حسد إلا في اثنتين.....	١٠	١١١
لا تلبسوا القميص ولا السراويلات.....	٥	٥٩٨	لا حسد إلا في اثنتين.....	١٠	١١١
لا تلبسوا القميص، والسراويل.....	٧	٤٧٦	لا حسد إلا في اثنتين.....	١٠	٥٢٩
لا تلبسوا ثوبًا مسه زعفران، ولا ورس.....	٥	١٩٤	لا حسد إلا في اثنتين.....	٩	٥٦٩
لا تلدون.....	٩	٢٤٨	لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله مالًا		
لا تلعنوه.....	٩	١٠٤	فسلطه.....	٤	٦٢٠
لا تلعنوه، فوالله ما علمت إنه يحب الله			لا رضاع إلا ما أنشز العظم.....	٦	١٩٧
ورسوله.....	٩	١٠٤	لا رضاع إلا ما فلق الأمعاء.....	٣	٦٢٨
لا تمنعوا إماء الله مساجد الله.....	٢	٤٦٠	لا رقية إلا في نفس.....	٧	٦١٠
لا تمنعوا إماء الله مساجد الله.....	٣	٤٤٨	لا شيء أغير من الله.....	٦	٤٤٢
لا تمنعوا إماء الله مساجد الله.....	٣	٤٨٨	لا صلاة بحضرة الطعام.....	١	٥٤٦
لا تمنوا الموت.....	١٠	٥	لا صلاة بحضرة طعام.....	٢	٦١٥

الصفحة	الجزء	طرف الحديث	الصفحة	الجزء	طرف الحديث
٩٤	١٠	لا نورث ما تركنا صدقة	١٩٩	٣	لا صلاة بحضرة طعام
٢٧ ٥٤ ٥٣ ٥١	٩	لا نورث ما تركنا صدقة	٢٢٢	٣	لا صلاة بحضرة طعام
٣٩٢	١٠	لا هجرة بعد الفتح	٤٠٥ ٥٢٤	٦	لا صلاة بحضرة طعام
٤٠٥	٧	لا هجرة بعد الفتح			لا صلاة بعد صلاتين: بعد العصر حتى
٤٠٦	٧	لا هجرة بعد الفتح	٦٣٦	٥	تغرب
٥٩٤	٥	لا هجرة ولكن جهاد ونية	٣٢٩	٤	لا صلاة في حضرة طعام
٥٤٢	٧	لا والذي نفسي بيده حتى أكون	٥٣٨	١٠	لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب
٤٥٥	٧	لا والذي نفسي بيده رجال	٣٠٩ ٥٤١	٣	لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب
		لا والله لا أوترهم بأحد أبدًا... (من قول	٢٩٥	٣	لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب
١٣١	١٠	عائشة)	١٥٤	٤	لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب
٧٠	٦	لا وصية لوارث	٦٨٩	٧	لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب
٤٦٤	١	لا وضوء إلا من حدث أو ربح	٥٢٩	٤	لا صلاة لمن يقرأ بفاتحة الكتاب
٣٨٧	١	لا وضوء لمن لم يذكر اسم الله عليه	٣٢١	١	لا صلاة لمنفرد خلف الصف
٢٩٧	١٠	لا ومقلب القلوب	١٩٩	٣	لا صلاة لمنفرد خلف الصف
٥٣٩	٧	لا ومقلب القلوب	٧٤٢	٧	لا صوم فوق صوم داود
٦٣٣	٣	لا يؤذين بعضكم بعضًا في القراءة	٦٣٦	٥	لا صوم يومين: الفطر والأضحى
٦٢	١	لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه	٦٨٠	٧	لا ضرر ولا ضرار
		لا يؤمن أحدكم حتى يجب لأخيه ما يجب	١٨٠	٢	لا ضير - أو لا يضير - ارتحلوا
٤٢٦	٩	لنفسه			لا طاعة في معصية الله، وإنما الطاعة في
٦٠	١	لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه	٤٠٨	٦	المعروف
٣٠٨	٣	لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه	٤١	١٠	لا طاعة في معصية
٢٤٢	٦	لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه	٥٩٤	٧	لا طلاق في إغلاق
١٤٢ ١٣٥	٣	لا يؤمن الرجل الرجل في سلطانه	٤٢٨ ٤٢٦	٧	لا طيرة، وخيرها الفأل
١٩٨	٩	لا يبيع بعضكم على بيع بعض	٣٩٢	٧	لا عدوى ولا صفر ولا هامة
٢٤٨	٩	لا يبقى أحد منكم إلا لدغير العباس	٩٤	١٠	لا عدوى ولا طيرة
٢٤٩	٩	لا يبقى أحد منكم إلا لد...	٤٢٨ ٤٢٦ ٥٨١	٧	لا عدوى ولا طيرة
٥٩٢	٢	لا يبقى ممن هو اليوم على ظهر الأرض	٤٢٨	٧	لا عدوى، ولا طيرة
٢٦٢	٩	لا يبقى منكم أحد إلا لدو وأنا أنظر	١٩٥	٩	لا عقوبة فوق عشر ضربات إلا في حد
٣٧٠	٢	لا يبين في المسجد باب إلا سد إلا	٢٧٤	٦	لا عليك أن تستأمر أي أوبك
		لا يبولن أحدكم في الماء الدائم الذي لا	٤٩٢	٦	لا عليك أن تستأمر أي أوبك
٥٩٥	١	يجري	٢٣١	٩	لا قود إلا بالسيف
٧٣٠	٧	لا يبولن أحدكم في الماء	٥٩٠	٦	لا مال لك إن كنت صادقًا
		لا يتحدث الناس أن محمدًا يقتل	٦٣٥	٦	لا مال لك، إن كنت صدقت عليها
٤٦٠	٢	أصحابه	٦٢٩	٧	لا نذر في معصية
		لا يتحدث الناس أن محمدًا يقتل	٣٢٣	٩	لا تستعمل على عملنا من أراده
٤٦٣	٧	أصحابه	٢٥٧	٦	لا نكاح إلا بولي



الصفحة	الجزء	طرف الحديث	الصفحة	الجزء	طرف الحديث
٥٧٨.....	٥	أن يسفك.....	٥٦٢.....	٢	لا يتحري أحدكم فيصلي.....
		لا يحل للمؤمن أن يهجر أخاه فوق	٢١٠.....	٧	لا يتمنين أحد منكم الموت.....
٣٥٢.....	٦	ثلاث.....	٥٣٧.....	٩	لا يتمنين أحدكم الموت لضر نزل به.....
٤١٠.....	٦	لا يحل للمرأة أن تصوم وزوجها.....	٣٣٩.....	٧	لا يتمنين أحدكم الموت من ضر أصابه.....
٦٦٧.....	٧	لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه.....	٣٤٠.....	٧	لا يتمنين أحدكم الموت.....
٦٦٥.....	٧	لا يحل لمسلم أن يهجر.....	٢٩٧.....	٧	لا يتوضأ الرجل بفضل.....
٦٢٥.....	٩	لا يحلف على يمين صبر.....	٤١٨.....	١	لا يتوضأ رجل يحسن وضوءه.....
١٠٥.....	١	لا يخرجها إلا الصلاة.....	٤٢٣.....	٦	لا يجلد أحدكم امرأته جلد العبد.....
٤٠٣.....	١	لا يخلون رجل بامرأة إلا مع ذي محرم.....	١٩٣.....	٩	لا يجلد فوق عشر جلدات إلا في حد.....
٤٥٦.....	٦	لا يخلون رجل بامرأة إلا مع ذي محرم.....	١٩٤.....	٩	لا يجلد فوق عشر جلدات إلا في حد.....
٤٩٦.....	٧	لا يدخل أحد الجنة إلا أري مقعده من النار.....			لا يجمع الله عليك موتتين... (من قول
١٩٨.....	٩	لا يدخل الجنة قتات.....	٣٨٩.....	٤	أبي بكر).....
٢١٣.....	٩	لا يدخل الجنة قتات.....	٢٣١، ٢١٧.....	٦	لا يجمع بين المرأة وعمتها.....
٥٤٦.....	٤	لا يدخل القبر أحد قارف أهله البارحة.....	٢٧٧.....	٧	لا يجهر بعضكم على بعض في القراءة.....
٤٠٧.....	٧	لا يدخل المدينة المسيح.....	٣١٤.....	٣	لا يجهر بعضكم على بعض.....
٦٦٥.....	٥	لا يدخل المدينة رعب المسيح الدجال.....	٢٢٦.....	٢	لا يحج بعد العام مشرك.....
٥٤٦.....	٩	لا يدخل المدينة رعب المسيح الدجال.....	٢٩٣.....	٦	لا يحدثني أحد منكم عن أحد شيئاً.....
٥٤٦.....	٩	لا يدخل المدينة رعب المسيح.....	٣٤٤.....	٩	لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث.....
٥٥٥.....	٧	لا يدخلن هؤلاء عليكن.....	٢٣١.....	٩	لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله.....
٤٥٩.....	٦	لا يدخلن هذا عليكم.....	٢٣٧.....	٩	لا يحل دم امرئ مسلم.....
٨٠.....	٩	لا يرث المسلم الكافر.....			لا يحل لأحد بعد الأجل إلا أن
٨٣.....	٩	لا يرث المسلم الكافر.....	٥٥٦.....	٦	يمسك... (من قول ابن عمر).....
٣٢١.....	٧	لا يرحم الله من عباده إلا الرءاء.....			لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر
٢١٣.....	١٠	لا يرحم الله من لا يرحم الناس.....	٤٤٨.....	٤	أن تحدد.....
٤٥٤.....	١٠	لا يرد القدر إلا الدعاء.....			لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر
٧٥.....	١٠	لا يرد القضاء إلا الدعاء.....	٤٤٨.....	٤	تحد على ميت.....
٤٦٦، ٣٥٦.....	٧	لا يرقون.....	٦١٦.....	٦	لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر.....
٥٥٨.....	٣	لا يزال أحدكم في صلاة ما انتظر الصلاة.....	٦١٦.....	٦	لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر.....
		لا يزال العبد في صلاة ما كان في	٦٢١.....	٦	لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر.....
٤٧٥.....	١	المسجد يستظر.....	٦٢٤.....	٦	لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر.....
٤٨.....	٩	لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر.....	٣٨٠.....	٧	لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر.....
١٠٤.....	١٠	لا يزال طائفة من أمتي.....	١٨٢.....	٤	لا يحل لامرأة تؤمن بالله.....
٢٩٢.....	٧	لا يزال قلب الكبير شاباً.....	٣١٥.....	٦	لا يحل لامرأة تسأل طلاق أختها.....
٤٣٥.....	١٠	لا يزال من أمتي أمة قائمة.....			لا يحل لامرأة مسلمة تؤمن بالله واليوم
٤٣٥.....	١٠	لا يزال من أمتي قوم.....	٦٢٠.....	٦	الآخر.....
٥٦٥.....	٩	لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي منهم اثنان.....			لا يحل لرجل يؤمن بالله واليوم الآخر

الجزء	الصفحة	طرف الحديث	الجزء	الصفحة	طرف الحديث
١٠	٢٦٦	لا يزال يلقي فيها، وتقول: هل من مزيد؟	١٠	٢٦٦	لا يقضي القاضي وهو غضبان..
٩	١٣٦، ١٠٦، ٩٥	لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن	٩	٥٨٤	لا يقضين حكم بين اثنين وهو غضبان
٤	٣٧٨	لا يزني الزاني حين يزني، وهو مؤمن	١٠	٤٦١	لا يقل أحدكم: اللهم اغفر لي إن شئت
٢	٤٩٦	لا يزني الزاني، وهو مؤمن	١٠	٤٥٣	لا يقول أحدكم: اللهم اغفر لي إن شئت
٩	١٣٥	لا يزني العبد حين يزني وهو مؤمن	١	١٤٩	لا يقولن أحدكم: اللهم اغفر لي إن شئت
١٠	٧٧	لا يسألني أحد عن شيء	٧	١٩٥	لا يقولن أحدكم: اللهم اغفر لي
٧	٦٣٨	لا يستلقين أحدكم	٧	٧٣٠	لا يقيم الرجل الرجل
٧	٧٦٩	لا يستلقين أحدكم	٥	٦٦٤	لا يكيد أهل المدينة أحد
٩	٥٠٢	لا يشير أحدكم على أخيه بالسلاح	٧	٤٩٦	لا يلبس الحرير في الدنيا
٢	٢١٥	لا يصلي أحدكم في الثوب	٥	٢٠٦	لا يلبس القمص ولا العمام
٣	٥٩٤	لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة	٢	٢٢٤	لا يلبس القميص ولا السراويل
٣	٥٩٤	لا يصلين أحد العصر	٧	٤٥٧	لا يلبس القميص ولا السراويل
		لا يصلين أحد منكم العصر إلا في بني قريظة	١	٣٦٠	لا يلبس القميص ولا العمامة
١	٢٥٣	قريظة	٥	٦٠٥	لا يلبس القميص، ولا العمام
٧	٣٤٧	لا يصيب الإنسان من أذى ولا هم	٧	٤٥٦	لا يلبس المحرم القميص
٩	٢٤٠	لا يعضد شجرها، ولا يقطع شوكها	٧	٤٧٦	لا يلبس المحرم القميص
١٠	٢٣٧	لا يعلم الغيب إلا الله	٦	٦٨	لا يمس القرآن إلا طاهر
٦	٢٩٥	لا يفرك مؤمن مؤمنة	١	٤١٣	لا يمسن أحدكم ذكره بيمينه، وهو يبول
٧	٣٨٥	لا يفرك مؤمن مؤمنة	١	١٢٤	لا يعمل الله حتى تملوا
		لا يقبل الله صلاة أحدكم إذا أحدث حتى يتوضأ	٤	٦٢٨	لا يعمل الله حتى تملوا
٩	٣٧٤	يتوضأ	٩	٣٨٧	لا يمنع فضل الماء ليمنع به فضل الكلال
١	٥٠٣	لا يقبل الله صلاة أحدكم إذا أحدث	٦	٥٧٣	لا يمنع أحدكم نداء بلال
١	٥٥٠	لا يقبل الله صلاة أحدكم إذا أحدث	١٠	٣٢	لا يمنع أحدكم أذان بلال
١	٤٩٠ ٣٦٥	لا يقبل الله صلاة بغير طهور	٣	١٦	لا يمنع أحدكم أو أحدًا منكم
		لا يقبل الله صلاة من شرب الخمر	٩	٧٢	لا يمنعك ذلك، فإنها الولاء لمن أعتق
١	٣٦٦	أربعين ليلة	٣	١٢	لا يمنعكم من سحوركم أذان بلال
١٠	٩٠	لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً			لا يموت لمسلم ثلاثة من الولد، فيلج النار
٩	٢٦	لا يقسم ورثتي ديناراً	٤	٤٠٩	لا يموتن أحدكم إلا وهو
٩	٢٣٢	لا يقتل الوالد بالولد	٧	٣٤٤	لا ينبغي لأحد من أهل النار
٩	٢٢٧	لا يقتل مسلم بكافر	١٠	٤٦٦	لا ينبغي لعبد أن يقول إنه خير من يونس
٩	٢٣٢	لا يقتل مسلم بكافر	١٠	٥٤٠	لا ينبغي للإسان أن يقرأ... (من قول ابن عباس)
٩	٢٨٣	لا يقتل مسلم بكافر	١٠	١٨١	لا ينبغي لني يلبس
٩	٢٢٧	لا يقتل والد بولده	١	١٨٨	لا ينبغي هذا للمتقين
١٠	٥٤٨	لا يقرأ الجنب	٣	٢٤٧	
١	٤٧٥	لا يقربن مساجدنا			
٣	٢٤٧	لا يقض القاضي وهو غضبان			



الجزء	الصفحة	طرف الحديث	الجزء	الصفحة	طرف الحديث
١٠	٣٩	لأبش إليكم رجلاً أميناً حق أمين	٧	٤٧١	لا ينبغي هذا للمؤمنين
٢	٦٤٠	لأنهم ولو حبوا	١	٤٦٧	لا ينصرف حتى يسمع صوتاً أو يجد ريحاً
٥	٥٣٦	لأجل أن تستحد المغيبة، وتمشط الشعنة	٢	٢٣	لا ينصرف حتى يسمع صوتاً
٩	٥٥٩ ٥٩٦	لأخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب	١	٤٧٢	لا ينصرف حتى يسمع صوتاً، أو يجد ريحاً
٢	٥٩٩	لأخرجن اليهود والنصارى	٧	٤٤٦	لا ينظر الله إلى من جر ثوبه خيلاء
٣	٣٦٠	لإرجاع القائم، وإيقاظ النائم	٧	٤٤٦	لا ينظر الله يوم القيامة إلى من جر إزاره بطراً
٤	٥٦٣	لأطوفن الليلة على تسعين امرأة	٧	٤٥٠	لا يفتل أو لا ينصرف حتى يسمع
١٠	٤٥٧	لأطوفن الليلة على نسائي	١	٣٧٢	لا يفتح ذا الجذ منك الجذ
١	٣٣٠	لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله	١٠	٦٩	لا ينكح المحرم ولا ينكح ولا يخطب
١	٨١	لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله	٦	٢٣٨	لا، الثلث والثلث كثير
١	٨١	لأعن النبي ﷺ بين رجل وامرأة من الأنصار	٩	١٣	لا، اعملوا فكل ميسر لما خلق له
٦	٥٩٢	لأقرن صلاة النبي ﷺ	٧	٤٠٢	لا... (في الكحل للمعدة)
٣	٣١٣	لأقرن صلاة النبي... (من قول أبي هريرة)	٦	٦٢٠	لا... (لما سئل عن الكحل للمرأة وقت الإحدا)
٣	٣١٣	لأقضي بينكما بكتاب الله	٢	٢٠٢	لا... لما سأله عمر عن تطليق نسائه
١٠	٥٨	لأقضي بينكما بكتاب الله	١	٢٥٥	لا، إلا بالمعروف
٩	٦٤١	لأن يأخذ أحدكم حبله ثم يغدو	٧	٥٥١	لا، إلا أن تطوع
٥	٩٢	لأن يأخذ أحدكم حبله فيأتي بحزمة	١	١٣٣	لا، إلا أن تطوع
٥	٨٤	لأن يهدي بك الله رجلاً واحداً	٤	١٢٢	لا، إن ذلك عرق
٧	٥٩٨	لأنكن تكثرن اللعن، وتكفرن العشير	١	٣٧٤	لا، إن ذلك عرق، ولكن دعي الصلاة
٦	٤١٣	لأنه إنما تركها من جرائي	٢	٢٣٤	لا، إنما ذلك عرق، وليس بحيض
٧	٣٨٧	لبث النبي ﷺ بمكة عشر سنين ينزل عليه القرآن	١	٥٧١	لا، إنما هو بضعة منك
٦	٥	لبسها النبي ﷺ محتاجاً إليها	٢	١١	لا، إنه قد لعن الموصلات
٧	٥٧٣	ليك اللهم ليك	٦	٤٢٤	لا، بل شربت عسلاً عند زينب
٥	٢٣٠	ليك اللهم ليك، ليك لا شريك	٦	٤٩٧	لا، بل يكسر... (من قول حذيفة)
٥	٥٣٢	ليك إن العيش عيش الآخرة	٥	٣٤	لا، حتى تذوق عسيلته ويذوق عسيلتك
٧	٢٨٥	ليك إن العيش عيش الآخرة	٦	٥٩٤	لا، حتى يذوق عسيلتها كما ذاق الأول
٥	٥٠٢	ليك عمرة وحنة	٤	٢٤١	لا، حلوه، ليصل أحدكم نشاطه
١	٣٣٨	لتأخذوا عني مناسككم	٥	١١٠	لا، هو حرام
١٠	١١٣	لتبعن سنن من كان قبلكم	٧	٢٠٩	لا، والذي نفسي بيده رجال
			٦	٤٢٢	لا، ولكن آليت منهن شهراً
			١	١٠٩	لا... فهازلت أعرفها في لهوات الرسول

طُرف الحديث	الجزء	الصفحة	طُرف الحديث	الجزء	الصفحة
لتبعن سنن من كان قبلكم	٣	٣٨٥	لعن الله الواشيات والمستوشيات...		
لتبعن سنن من كان قبلكم	٥	٦٢٧	(من قول ابن مسعود).....	٧	٦٠٤
لتبعن سنن من كان قبلكم	٩	١٣٤	لعن الله الواشيات والمستوشيات... من		
لتبعن سنن من كان قبلكم؛ اليهود			قول (عبد الله).....	٧	٦١٥
والنصارى.....	٤	٤٧٠	لعن الله الواشيات، والمستوشيات..		
لتخرج العواتق ذوات الخدور.....	٥	٣٦٧	(من قول عبد الله).....	٧	٥٩٢
لتركن سنن من كان قبلكم	١	١٥٩	لعن الله الواصلة والمستوصلة.....	٧	٥٩٧ ٥٩٦
لتركن سنن من كان قبلنا	٢	٦٢٠	لعن الله الواصلة والموصلة.....	٧	٦٠٣
لتسون صفوكم، أو ليخالفن.....	٣	١٨٧	لعن الله اليهود والنصارى.....	٤	٥٢٤
لتقوم الساعة وقد انصرف.....	٧	٤١٣	لعن الله من آوى محدثاً.....	١	٣٦٦
لتلبسها صاحبها من جلبابها	٢	٢٠٧	لعن الله من جلس وسط الحلقة.....	٩	١٩
لتلبسها صاحبها من جلبابها	٢	٢٣٠	لعن النبي ﷺ زائرات القبور.....	٢	٢٠٩
لتلبسها صاحبها من جلبابها	٤	١٦	لعن النبي ﷺ المتشبهات من النساء		
لتلبسها صاحبها من جلبابها، ولتشهد			بالرجال.....	١	٥٥١
الخير.....	٥	٣٦٧	لعن النبي ﷺ المحلل والمحلل له.....	٩	٣٧٣
لتمش ولتركب.....	٥	٦٤٣	لعن النبي ﷺ المخشئين من الرجال.....	٩	١٧٨
لجميع أمي كلهم.....	٢	٤٥٢	لعن النبي ﷺ المخشئين.....	٧	٥٥٤
للحد لنا والشق لغيرنا.....	٤	٥٦٨	لعن النبي ﷺ الواصلة والمستوصلة.....	٧	٥٩٧
لخلف فم الصائم أطيب.....	١٠	٤٧٦	لعن النبي ﷺ الواصلة.....	٧	٦٠٣
لست أنا أحلكم.....	١٠	٥٦٢	لعن النبي ﷺ زائرات القبور.....	٤	٤١١
لست لك بمخلية... (من قول أم حبيبة)	٦	٢٢٩	لعن النبي ﷺ: الواشمة، والمستوشمة.....	٦	٦٢٦
لست ممن يصنعه خيلاء.....	٧	٤٤٧	لعن النبي ﷺ: الواصلة والمستوصلة.....	٧	٦١٥
لعل الله أن يبارك لك فيا ليتكما	٤	٤٨٠	لعن رسول الله ﷺ المتشبهين.....	٧	٥٥٣
لعلك أذاك هوامك؟.....	٥	٥٤٨	لعن زائرات القبور.....	٣	٤٥٩
لعلك أردت الحج.....	٦	١٧١	لعن زائرات القبور.....	٥	٤٤٣
لعلك بلغت معهم الكدى.....	٤	٤٤٦	لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا		
لعلك تريدن أن ترجعي إلى رفاعه.....	٦	٤٨٤	قبور.....	٤	٥٤٣
لعلك تريدن أن ترجعي إلى رفاعه.....	٧	٤٥٤	لعنة الله على اليهود والنصارى.....	٢	٣٢٣
لعلك قبلت أو غمرت أو نظرت.....	٩	١٥٤	لعنة الله على اليهود والنصارى.....	٢	٥٨٥
لعلك نفست.....	٢	١٦٤	لعنة الله على اليهود والنصارى.....	٧	٤٨٥
لعلنا أعجلناك.....	١	٤٧٩	لعنة الله على اليهود والنصارى.....	٧	٧٠٤ ٧٠٣
لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة.....	٧	٤٨٦	لعنة الله على اليهود والنصارى، اتخذوا		
لعله يخفف عنها ما لم ييسا.....	١	٥٥٩	قبور.....	٤	٥٢٠
لعلها تحبنا، ألم تكن طافت معكن؟.....	٢	٢٣٨	لغدوة في سبيل الله وروحه.....	٧	٢٨٧
لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا.....	١	٢٣٨	لقد أمر أمر ابن أبي كيشة.....	١	٣٣٢
لعن السارق يسرق البيضة فتقطع يده.....	٩	١١٨، ١٠٦	لقد أمره به أن يشربها.....	١٠	٤٧٠



الصفحة	الجزء	طرف الحديث	الصفحة	الجزء	طرف الحديث
٣٠٠	٥	لقد همت أن لا أدع فيها صفراء	٥٥	٦	لقد أنزلت علي الليلة سورة لهي أحب
٢٦٥	١	لك الأجر مرتين	١١٠	٦	لقد أوتيت مزارًا من مزامير داود
٢٥٧	١٠	لك ذلك وعشرة أمثاله... (قدسي)	١٣٨	٤	لقد أوحى إلي أنكم تكفنون في القبور
١٠	٥	لك ما نويت يا يزيد	٣٥	٦	لقد تعلمت النظائر
٣٩	١٠	لكل أمة أمين			لقد توفي النبي ﷺ وما في ربي... (من قول عائشة)
٤٠١	٧	لكل أمة أمين	٣٢٩	٧	
٥٤٠	١٠	لكل عمل كفارة	٤٢٦	٢	لقد جعلتمونا كلابًا... (من قول عائشة)
٣٩٢	٩	لكل غادر لواء يوم القيامة يعرف به	٧١٢	٧	لقد حكمت بما حكم به الملك
٣٧٦	٧	لكل مسكين نصف صاع			لقد خشيت أن يطول بالناس زمان... (من قول عمر)
٤٢	١٠	لكل نبي حواري وحواري الزبير	١٥٦	٩	
١٧٤	٩	لكل نبي حواري، وإن حواري الزبير			لقد خشيت أن يكون قد عجلت... (من قول ابن عوف)
٤٦٠	١٠	لكل نبي دعوة	٤٣٨	٤	
١٣٧	٧	لكل نبي دعوة	٣٧٣	٧	لقد خشيت على نفسي
١٣٧	٧	لكل نبي سأل	٣٦٩	٣	لقد ذكرني هذا صلاة محمد ﷺ
٦٢٣	٥	لكن أحسن الجهاد وأجله	٢٢٨	٣	لقد رأيت الآن الجنة والنار
٢٤٧	٦	لكن الله لا يستحي من الحق			لقد رأيت الذين عد رسول ﷺ صرعى في القليب
٥١١	٩	لكن رسول الله ﷺ أذن لي في البلو	٥٩٨	١	
١٣٧	٦	لكني أصلي وأنام، وأصوم، وأفطر			لقد رأيت النبي ﷺ كثيرًا ينصرف عن يساره
٤٦٨، ١٥٥	٦	لكي تمتشط الشعنة، وتستحد المغيبة	٤١٠	٣	
٤٧	٩	للأبنة النصف ولأبنة الابن السدس			لقد رأيت النبي ﷺ كثيرًا ينصرف عن يساره
٤٧٦	١٠	للصائم فرحتان	٤٢٤	٣	
١٤٦	٧	لله أفرح بتوبة عبده من رجل			لقد رأيتني مضطجعة على السرير فيجيء النبي ﷺ
٢٧٩	٧	لله تسعة وتسعون اسمًا	٤١٩	٢	
٤٨٨	٣	لله تعالى على كل مسلم حق أن يغتسل			لقد رأيتني وإن عمر موثق... (من قول سعيد بن زيد)
٤٦٩	١٠	لله أشد أذنًا إلى الرجل	٣٥٧	٩	
١٣٧	١	لم أتخلف عن رسول الله ﷺ في غزوة	٤٩٦	٧	لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألني
٣٢٢	٥	لم أر النبي ﷺ يستلم من البيت إلا الركنين	٤٨٠	٦	لقد عذت بعظيم، الحقي بأهلك
٤٣٥	١	لم أر رسول الله ﷺ يمس إلا البيانيين			لقد عرفت النظائر التي كان النبي ﷺ يقرن بينهما
٥٢٥	٧	لم أر رسول الله ﷺ يمس إلا البيانيين	٢٨٥	٣	
		لم أر رسول الله ﷺ يهل حتى تبعث به راحلته			لقد فرطنا في قراريط كثيرة... (من قول ابن عمر)
٥٢٥	٧		٥١٦	٤	
٥٠٨	١	لم أر منظرًا أظع منه	٢٣٠	٢	لقد كان رسول الله ﷺ يصلي الفجر
		لم أزل حريصًا على أن أسأل عمر بن الخطاب... (من قول ابن عباس)	٣٨٠	٧	لقد كانت إحدانكم تمكث في بيتها
٣٨٧	٦				لقد كنت أنشد فيه... (قول حسان لعمر)
٢٤	١٠	لم أنس ولم تقصر	٣٤٦	٢	
			٥٢٥	٥	لقد نزلنا معه هاهنا، ونحن يومئذ خفاف





الصفحة	الجزء	طرف الحديث	الصفحة	الجزء	طرف الحديث
٢٤٥ ١٨٩	٧	اللهم اغفر لعبد أبي عامر	٥٩٨	٣	الله أكبر
٤٥٣	٥	اللهم اغفر للمحلقين	٢٥٦	١	الله أكبر، إنها السنن
٨٧	٤	اللهم اغفر لنا ذنوبنا، وظلمنا وهزلنا وجدنا	٢٢٨	٢	الله أكبر، خربت خير
٥٥٢	٤	اللهم اغفر له وارحمه وعافه واعف عنه	٥٩	٦	الله الواحد الصمد ثلث القرآن
٣٣٥	٢	اللهم اغفر له، اللهم ارحمه	٦٣١	٦	الله يعلم أن أحدكم كاذب فهل منكم تائب؟
٢٦٦	٧	اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي	٥٩٠	٦	الله يعلم أن أحدكم كاذب
٦١٨	٧	اللهم اغفر لي ذنبي كله	٥٩٠	٦	الله يعلم أن أحدكم كاذب، فهل منكم تائب؟
٣٤١	٧	اللهم اغفر لي وارحمني	٦٣٠	٩	اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد
١٦٤	٧	اللهم اغفر لي	٦٦٩	٥	اللهم اجعل بالمدينة ضعفي
١٩٤	٧	اللهم اغفر لي ذنبي كله	١٥٩	٧	اللهم اجعل في عظامي نوراً
٢٤٢ ٩٩١	٧	اللهم أكثر ماله وولده	١٥٥	٧	اللهم اجعل في قلبي نوراً
٢٤٢	٧	اللهم أكثر ماله وولده	٩٩	٤	اللهم اجعلها رياضاً ولا تجعلها رياضاً
٢٩٠	٩	اللهم أكثر ماله وولده، وأطل عمره	٦٨	٤	اللهم اجعلها سنين كسني يوسف
٢٠٤	٧	اللهم أكثر ماله	٨٤	٤	اللهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف
٢٠٨	٧	اللهم الرفيق الأعلى	٢١٠	٧	اللهم أحيني ما كانت الحياة خيراً لي
٤١٣	٧	اللهم الرفيق الأعلى	٣٤١	٧	اللهم أحيني ما كانت الحياة خيراً لي
٦٧٠	٥	اللهم العن شبيهة بن ربيعة	٤٥٢	٥	اللهم ارحم المحلقين
١٠٧	٩	اللهم العن فلاناً وفلاناً وفلاناً			اللهم ارحمني ومحمداً، ولا ترحم معنا
٢٥٩	٧	اللهم العن فلاناً وفلاناً	٥٦٣	١	(الأعرابي)
٤٧١	٤	اللهم امض لأصحابي هجرتهم	٣٣٧	٧	اللهم ارزق آل محمد قوتاً
٢٣٩	٧	اللهم امض لأصحابي هجرتهم	٦٧٠	٥	اللهم ارزقني شهادة في سبيلك
٦٥٠	٩	اللهم إن الخير خير الآخره	٨٨	٤	اللهم اسقنا
		اللهم إن كان لي عندك خير... (من قول ابن عمر)	٧٦	٤	اللهم اسقنا، اللهم اسقنا
٤٦٦	٩	اللهم إنا كنا نتوسل إليك ببنينا فتسقنا... (من قول عمر)	١٥٤	٧	اللهم أسلمت نفسي إليك
٧٢	٤	اللهم إنا نتوسل إليك ببنينا... (من قول عمر)	٣١٨	٣	اللهم أشدد وطأتك على مضر
١٨٥	٧	اللهم أنت الأول فليس قبلك	٦٨	٤	اللهم أشدد وطأتك على مضر
٨١	١٠	اللهم أنت السلام، ومنك السلام	٣٤٩	٧	اللهم أشف سعداً
٤١٠	٣	اللهم أنت عبيد وأنا ربك	١٢٠	٦	اللهم أشهد
١٤٩	٧	اللهم أنت عبيد	٣٣٢	٦	اللهم أطل عمره، وأكثر ماله
٣٧٦	٧	اللهم أنت عبيد	٢٥٩	٧	اللهم أعني عليهم سبع كسب يوسف
٣٥٨	٦	اللهم أنتم من أحب الناس إلي	٧٨	٤	اللهم أغثنا اللهم أغثنا
٣١٨	٣	اللهم أنج الوليد بن الوليد	١٩٨	٧	اللهم أغثنا
٦٨	٤	اللهم أنج عياش ابن أبي ربيعة	٦٣٨	٢	اللهم اغفر لأبي سلمة، وارفع درجته في المهديين

الصفحة	الجزء	طرف الحديث	الصفحة	الجزء	طرف الحديث
١٨٥.....	٧	اللهم بعلمك الغيب	٣٥٣.....	٩	اللهم أنج عياش بن أبي ربيعة
٥٩٣ ٥٨١.....	٦	اللهم بين	٢٦١.....	٦	اللهم أنج عياش
٢٠.....	٩	اللهم بين	١٩٧.....	٦	اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد
٢٧.....	٩	لهم تأتون بالينة علي من قتله	٢٠١.....	٦	اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد
١٩٦ ١٩٠.....	٧	اللهم ثبته واجعله هادياً مهدياً	٥٥١.....	٧	اللهم إني أحبه فأحبه
		اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو	٢٢٤.....	٦	اللهم إني أحرم ما بين جليلها
٦٧.....	٥	أشد	٩٩.....	٤	اللهم إني أسألك خيرها، وخير ما فيها
٣٥٦ ٣١٩.....	٧	اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة	٢٥٣.....	٤	اللهم إني أستخيرك بعلمك
٢٣٥.....	٧	اللهم حبب إلينا المدينة	٢٥٣ ٢٣٤ ٢٢٧.....	٧	اللهم إني أعوذ بك من البخل
		اللهم حبب إلينا المدينة..وانقل حماها	٢٤٠.....	٦	اللهم إني أعوذ بك من الحجن،
٣٥٩.....	١	إلى الجحفة	٣٩٠.....	١٠	اللهم إني أعوذ بك من الخيث
٥٥٤.....	٣	اللهم حوالينا ولا علينا	١٨٢.....	٦	اللهم إني أعوذ بك من الخث
٩٦ ٨٨ ٨٧ ٧٩.....	٤	اللهم حوالينا ولا علينا	٢٣٢.....	٦	اللهم إني أعوذ بك من العجز
٢٠٤.....	٧	اللهم حوالينا ولا علينا	٢٤٤ ٢٣٢.....	٦	اللهم إني أعوذ بك من الكسل
		اللهم حوالينا ولا علينا، اللهم على	٢٣٤.....	٦	اللهم إني أعوذ بك من الكسل
٧٦.....	٤	الأكام والجبال	٢٢٤.....	٦	اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن
		اللهم حوالينا ولا علينا، اللهم على	٢٣٤.....	٧	اللهم إني أعوذ بك من الهم
٧٨.....	٤	الأكام	٣٨١.....	٣	اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر
١٩٨.....	٧	اللهم حوالينا	٢٤١.....	٧	اللهم إني أعوذ بك من فتنة النار
٤١٧.....	٧	اللهم رب الناس مذهب الباس	٢٢٢.....	٧	اللهم إني أعوذ من عذاب جهنم
٢٥٢.....	٧	اللهم ربنا آتانا في الدنيا حسنة	١٨١.....	٧	اللهم إني ظلمت نفسي
		اللهم ربنا لك الحمد، أنت قيم السموات	٢٦٥.....	٧	اللهم اهددوساً وأت بهم
٤١١.....	١٠	والأرض			اللهم أيده يروح القدس... (لحسان بن
١٤٤.....	١٠	اللهم ربنا ولك الحمد في	٣٤٥.....	٢٠	ثابت)
٧٠.....	٤	اللهم سبع كسيع يوسف	٣٠٤.....	٢٠	اللهم بارك لأمتي في بكورها
٢٤٣.....	١٠	اللهم سلم اللهم سلم	٥١٥.....	٩	اللهم بارك لنا في شامتنا
١٢٠.....	٥	اللهم صل على آل أبي أوفى	١١٠.....	٤	اللهم بارك لنا في شامتنا، وفي يمينا
٢١٩.....	٧	اللهم صل على آل أبي أوفى	١٣٢.....	١٠	اللهم بارك لهم في مكياهم
١٢٠.....	٥	اللهم صل على آل فلان	٦٥٣.....	٧	اللهم بارك لهم في مكياهم
١٩٠.....	٧	اللهم صل على آل فلان	٣٠٢.....	١٠	اللهم باسمك أحيا وأموت
٢٢٠.....	٧	اللهم صل على محمد وأزواجه	١٨٣.....	٧	اللهم باسمك أموت وأحيا
١٨٥.....	٧	اللهم صل على محمد	١٥٣.....	٧	اللهم باسمك أموت
٢١٨.....	٧	اللهم صل على محمد	٢٢٥.....	٣	اللهم باعد بيني وبين خطاياي
٩٥.....	٤	اللهم صيياً نافعاً	٢٦٩.....	٣	اللهم باعد بيني وبين خطاياي
٢٢٣.....	١	اللهم علمه الكتاب	٥٦٣.....	٣	اللهم باعد بيني وبين خطاياي
٥٢.....	١٠	اللهم علمه الكتاب	١٩٩.....	٧	اللهم باعد بيني وبين خطاياي



الجزء	الصفحة	الجزء	الصفحة	الجزء	الصفحة
الهمم على الآكام والظراب والأودية	٨٠	الهمم على الآكام والظراب والأودية	٨٠	الهمم على الآكام والظراب والأودية	٨٠
ومنايت الشجر	٨٠	ومنايت الشجر	٨٠	ومنايت الشجر	٨٠
الهمم على رؤوس الجبال والآكام	٨٠	الهمم على رؤوس الجبال والآكام	٨٠	الهمم على رؤوس الجبال والآكام	٨٠
ويطون الأودية	٨٠	ويطون الأودية	٨٠	ويطون الأودية	٨٠
الهمم على ظهور الجبال والآكام ويطون الأودية	٨٢	الهمم على ظهور الجبال والآكام ويطون الأودية	٨٢	الهمم على ظهور الجبال والآكام ويطون الأودية	٨٢
الهمم عليك بأبي جهل	٥٩٨	الهمم عليك بأبي جهل	٥٩٨	الهمم عليك بأبي جهل	٥٩٨
الهمم عليك بأبي جهل	٢٥٩	الهمم عليك بأبي جهل	٢٥٩	الهمم عليك بأبي جهل	٢٥٩
الهمم عليك بعمر بن هشام	٤٣٨	الهمم عليك بعمر بن هشام	٤٣٨	الهمم عليك بعمر بن هشام	٤٣٨
الهمم عليك بقرش	٤٣٨	الهمم عليك بقرش	٤٣٨	الهمم عليك بقرش	٤٣٨
الهمم عمي عنهم الأخبار	٢٩٩	الهمم عمي عنهم الأخبار	٢٩٩	الهمم عمي عنهم الأخبار	٢٩٩
الهمم فأيا مؤمن سبته	٢٢١	الهمم فأيا مؤمن سبته	٢٢١	الهمم فأيا مؤمن سبته	٢٢١
الهمم فقهه في الدين وعلمه التأويل	٢٢٤	الهمم فقهه في الدين وعلمه التأويل	٢٢٤	الهمم فقهه في الدين وعلمه التأويل	٢٢٤
الهمم فقهه في الدين وعلمه التأويل	١٦٢	الهمم فقهه في الدين وعلمه التأويل	١٦٢	الهمم فقهه في الدين وعلمه التأويل	١٦٢
الهمم فقهه في الدين	٣٩٣	الهمم فقهه في الدين	٣٩٣	الهمم فقهه في الدين	٣٩٣
الهمم فقهه في الدين، وعلمه التأويل	٦٢٠	الهمم فقهه في الدين، وعلمه التأويل	٦٢٠	الهمم فقهه في الدين، وعلمه التأويل	٦٢٠
الهمم فقهه في الدين، وعلمه التأويل	٣٥٦	الهمم فقهه في الدين، وعلمه التأويل	٣٥٦	الهمم فقهه في الدين، وعلمه التأويل	٣٥٦
الهمم لا خير إلا خير الآخرة	٣١١	الهمم لا خير إلا خير الآخرة	٣١١	الهمم لا خير إلا خير الآخرة	٣١١
الهمم لا عيش إلا عيش الآخرة	٢٨٤	الهمم لا عيش إلا عيش الآخرة	٢٨٤	الهمم لا عيش إلا عيش الآخرة	٢٨٤
الهمم لا عيش إلا عيش الآخرة	٢٨٤	الهمم لا عيش إلا عيش الآخرة	٢٨٤	الهمم لا عيش إلا عيش الآخرة	٢٨٤
الهمم لا مانع لما أعطيت	٧٢	الهمم لا مانع لما أعطيت	٧٢	الهمم لا مانع لما أعطيت	٧٢
الهمم لك الحمد أنت رب السموات والأرض	٢٧٣	الهمم لك الحمد أنت رب السموات والأرض	٢٧٣	الهمم لك الحمد أنت رب السموات والأرض	٢٧٣
الهمم لك الحمد أنت قيم السموات	٢١٤	الهمم لك الحمد أنت قيم السموات	٢١٤	الهمم لك الحمد أنت قيم السموات	٢١٤
الهمم لك الحمد أنت نور السموات والأرض	٤٨٣	الهمم لك الحمد أنت نور السموات والأرض	٤٨٣	الهمم لك الحمد أنت نور السموات والأرض	٤٨٣
الهمم لك الحمد أنت نور السموات	١٦٠	الهمم لك الحمد أنت نور السموات	١٦٠	الهمم لك الحمد أنت نور السموات	١٦٠
الهمم مصرف القلوب صرف قلوبنا إلى طاعتك	٣٠٧	الهمم مصرف القلوب صرف قلوبنا إلى طاعتك	٣٠٧	الهمم مصرف القلوب صرف قلوبنا إلى طاعتك	٣٠٧
الهمم منزل الكتاب	٤٧٤	الهمم منزل الكتاب	٤٧٤	الهمم منزل الكتاب	٤٧٤
الهمم منزل الكتاب	١٩٤	الهمم منزل الكتاب	١٩٤	الهمم منزل الكتاب	١٩٤
الهمم منزل الكتاب	٢٦٠	الهمم منزل الكتاب	٢٦٠	الهمم منزل الكتاب	٢٦٠
الهمم هالة بنت خويلد	٦٩٦	الهمم هالة بنت خويلد	٦٩٦	الهمم هالة بنت خويلد	٦٩٦
الهمم هذا قسمي فيما أملك	٣٥٥	الهمم هذا قسمي فيما أملك	٣٥٥	الهمم هذا قسمي فيما أملك	٣٥٥
الهمم هون علينا سفرنا	٢٤٩	الهمم هون علينا سفرنا	٢٤٩	الهمم هون علينا سفرنا	٢٤٩
الهمم وليديه فاغفر	٢١٣	الهمم وليديه فاغفر	٢١٣	الهمم وليديه فاغفر	٢١٣
الهمم يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك	٩	الهمم يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك	٩	الهمم يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك	٩
لو اتخذت من أمي خليلاً	٧	لو اتخذت من أمي خليلاً	٧	لو اتخذت من أمي خليلاً	٧
لو أحسنت إلى إحداهن الدهر	٢	لو أحسنت إلى إحداهن الدهر	٢	لو أحسنت إلى إحداهن الدهر	٢
لو أخذت منه	٤	لو أخذت منه	٤	لو أخذت منه	٤
لو أدرك رسول الله ﷺ ما أحدث النساء لمنعهن	٣	لو أدرك رسول الله ﷺ ما أحدث النساء لمنعهن	٣	لو أدرك رسول الله ﷺ ما أحدث النساء لمنعهن	٣
لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما أهديت	٥	لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما أهديت	٥	لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما أهديت	٥
لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما سقت الهدي	٩	لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما سقت الهدي	٩	لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما سقت الهدي	٩
لو استقبلت من أمري ما استدبرت	٥	لو استقبلت من أمري ما استدبرت	٥	لو استقبلت من أمري ما استدبرت	٥
لو استقبلت من أمري ما استدبرت	٩	لو استقبلت من أمري ما استدبرت	٩	لو استقبلت من أمري ما استدبرت	٩
لو أصبح موسى فيكم	١٠	لو أصبح موسى فيكم	١٠	لو أصبح موسى فيكم	١٠
لو اطلع في بيتك أحد، ولم تأذن له	٩	لو اطلع في بيتك أحد، ولم تأذن له	٩	لو اطلع في بيتك أحد، ولم تأذن له	٩
لو أعلم أحدا أعلم مني بكتاب الله... (من قول ابن مسعود)	٦	لو أعلم أحدا أعلم مني بكتاب الله... (من قول ابن مسعود)	٦	لو أعلم أحدا أعلم مني بكتاب الله... (من قول ابن مسعود)	٦
لو أعلم أن أحدا أعلم مني بكتاب الله	٣	لو أعلم أن أحدا أعلم مني بكتاب الله	٣	لو أعلم أن أحدا أعلم مني بكتاب الله	٣
لو أعلم أن أحدا أعلم مني بكتاب الله... (من قول ابن مسعود)	٣	لو أعلم أن أحدا أعلم مني بكتاب الله... (من قول ابن مسعود)	٣	لو أعلم أن أحدا أعلم مني بكتاب الله... (من قول ابن مسعود)	٣
لو أعلم أنك تنظرني لطعت به في عينك	٩	لو أعلم أنك تنظرني لطعت به في عينك	٩	لو أعلم أنك تنظرني لطعت به في عينك	٩
لو أعلم أنك تنظر لطعت به	٧	لو أعلم أنك تنظر لطعت به	٧	لو أعلم أنك تنظر لطعت به	٧
لو أعلم أني إن زدت عن السبعين	٧	لو أعلم أني إن زدت عن السبعين	٧	لو أعلم أني إن زدت عن السبعين	٧
لو أقسم على الله لأبره	٧	لو أقسم على الله لأبره	٧	لو أقسم على الله لأبره	٧
لو أن ابن آدم أعطي وادياً	٧	لو أن ابن آدم أعطي وادياً	٧	لو أن ابن آدم أعطي وادياً	٧
لو أن أحدكم إذا أتى أهله قال: بسم الله	١	لو أن أحدكم إذا أتى أهله قال: بسم الله	١	لو أن أحدكم إذا أتى أهله قال: بسم الله	١
لو أن أحدكم إذا أراد أن يأتي أهله	١٠	لو أن أحدكم إذا أراد أن يأتي أهله	١٠	لو أن أحدكم إذا أراد أن يأتي أهله	١٠
لو أن أحدهم إذا أراد أن يأتي أهله	٧	لو أن أحدهم إذا أراد أن يأتي أهله	٧	لو أن أحدهم إذا أراد أن يأتي أهله	٧
لو أن امرأ أطلع عليك بغير إذن	٩	لو أن امرأ أطلع عليك بغير إذن	٩	لو أن امرأ أطلع عليك بغير إذن	٩
لو أن فاطمة فعلت ذلك لقطعت يدها	٩	لو أن فاطمة فعلت ذلك لقطعت يدها	٩	لو أن فاطمة فعلت ذلك لقطعت يدها	٩
لو أن لابن آدم ملء واد	٧	لو أن لابن آدم ملء واد	٧	لو أن لابن آدم ملء واد	٧
لو أن لابن آدم وادياً من ذهب	٧	لو أن لابن آدم وادياً من ذهب	٧	لو أن لابن آدم وادياً من ذهب	٧
لو أنكم تطهرتم ليومكم هذا	٣	لو أنكم تطهرتم ليومكم هذا	٣	لو أنكم تطهرتم ليومكم هذا	٣
لو أنها لم تكن ربيتي في حجري ما حلت لي	٦	لو أنها لم تكن ربيتي في حجري ما حلت لي	٦	لو أنها لم تكن ربيتي في حجري ما حلت لي	٦
لو أني أخذته لأكلمته منه ما بقيت الدنيا	١	لو أني أخذته لأكلمته منه ما بقيت الدنيا	١	لو أني أخذته لأكلمته منه ما بقيت الدنيا	١
لو تأخر الهلال لزدتكم	١	لو تأخر الهلال لزدتكم	١	لو تأخر الهلال لزدتكم	١

طرف الحديث	الجزء	الصفحة	طرف الحديث	الجزء	الصفحة
لو تأخر الهلال لزدنكم	١٠	٤٦٣	لو قال: إن شاء الله لم يحنث	٧	٦٦٥
لو تأخر الهلال لزدنكم	١٠	٨٨	لو قال: إن شاء الله	١٠	٤٤٨
لو تركته بين	٤	٥٧٣	لو قال: إن شاء الله. لم يحنث	٦	٤٦٥
لو تعلمون ما أعلم لضحككم قليلاً			لو قال: إن شاء الله. لم يحنث	٧	٦٦٢
ولبيكنم كثيراً	٤	١٢٤	لو قال: إن شاء الله. لم يحنث، وكان		
لو تعلمون ما أعلم لضحككم	٧	٣٨١، ٣٨٠	دركا لحاجته	٢	٥٨١
لو تعلمون ما أعلم	٧	٤٠١	لو قلت: نعم. لوجبت	١٠	٦٧
لو تعلمون ما أعلم	٧	٥٤٢	لو كان سليمان استشى لحملت	١٠	٤٥٨
لو تفتح عمل الشيطان	١٠	١٢	لو كان شيء سابق القدر	٧	٦٠٦
لو تناولته لأكلتم منه ما بقيت الدنيا	١٠	٥٠٧	لو كان علي أمك دين أكنث قاضيته	٥	٦١٤
لو توكلتم على الله حق توكله	١٠	٣٤٣	لو كان عليها دين أكنث قاضيه	٧	٦٣٤
لو دخلوها لم يزالوا فيها إلى يوم القيامة	١٠	٤٠	لو كان عندي أحد ذهباً	٩	٦٧٣
لو دخلوها ما خرجوا منها أبداً	٩	٥٧٣	لو كان لابن آدم واديان من مال	٧	٣١١
لو دعيت إلى كراع لأجبت	٦	٣٥٦	لو كان لي مثل أحد ذهباً ما يسرني	٧	٣٢٠
لو راجعته	٦	١٨٢	لو كان موسى بين أظهركم	١٠	٥٥٨
لو راجعته	٦	٥٤٢	لو كان موسى حياً	١٠	٥٥٧
لو رأى الرسول ما رأينا من النساء (من قول عائشة)			لو كنت أعلم لحبرته لك تحبيراً... (من قول أبي موسى)	٦	٢١
لو رأيتموني وإبليس	٤	٣٢٧	لو كنت راجعاً امرأة عن غيريئة	٩	٢٠
لو رجعت إلي أهليكم صلوا	٣	٣٥٧	لو كنت راجعاً امرأة	١٠	١٠
لو رجعت أحداً بغير بيئة رجعت هذه	٦	٥٨٨	لو كنت متخذاً خليلاً من أمتي	٢	٣٧
لو رجعت أحداً بغير بيئة رجعت هذه	٩	٢٠٠	لو كنت متخذاً من أمتي خليلاً لاتخذت		
لو رجعت أحداً بغير بيئة لرجعت هذه	٦	٥٩٣	أبا بكر	٤	٢٧٠
لو سألتني هذه القطعة ما أعطيتها	١٠	٤٣٦	لو كنت متخذاً من أمتي خليلاً	١٠	٢٨٦
لو سلك الناس وادياً أو شعباً	١٠	١١	لو كنت متخذاً من أمتي خليلاً	٩	٤٣
لو سلك الناس وادياً	٧	٥٥٤	لو كنت متخذاً من هذه الأمة خليلاً	٩	٤٢
لو طلقت مرة أو مرتين... (من قول ابن عمر)	٦	٤٩٢	لو لبثت في السجن ما لبث يوسف	٩	٤٤٠
لو علم النبي ﷺ من النساء ما حصل... (من قول عائشة)	٢	٤٦١	لو لم أحك شعر رأسي إلا برجلي		
لو علمت أنك تسمعن لي لحبرته لك تحبيراً	٦	١١٠	لحككت	٥	٦٠٣
لو علمت أنك تنظر لطلعت بها في عينك	٧	٥٨٦	لو لم أر النبي ﷺ يسجد... (مسجدة الانشقاق)	٤	١٦٣
لو قال إن شاء الله، لم يحنث	١٠	٣٠١	لو لم تكن ريبيته ما حلت لي	٦	٢٢٩
لو قال: إن شاء الله لجاهدوا في سبيل الله	٧	٥٤٨	لو مدي الشهر لوصلت	١٠	١٠
لو قال: إن شاء الله لكان دركا لحاجته	٧	٦٦٣	لو يعطى الناس بدعواهم	٩	٦٢٣
			لو يعلم الهار بين يدي المصل ما ذا عليه	٢	٤٠٠
			لو يعلم الهار بين يدي المصل	٢	٤٢٤



الصفحة	الجزء	طرف الحديث	الصفحة	الجزء	طرف الحديث
٦٣١	٤	ليأتين على الناس زمان يطوف الرجل فيه بالصدقة	٦٤٠	٢	لو يعلم الناس ما في النداء والصف الأول
٢٧	١٠	ليبلغ الشاهد الغائب	٤٣٢	٦	لو يعلم الناس ما في النداء والصف الأول
٦٧٨	٩	ليت رجلاً صالحاً من أصحابي يحرمني الليلة	٥٥٤	٧	لولا الهجرة لكنت امرأاً من الأنصار
٢٩٨	٥	ليحجن البيت وليعتمرن	١١	١١	لولا الهجرة لكنت امرأاً من الأنصار
٤٦٥	٧	ليدخلن الجنة من أمي سبعون ألفاً	٥٣٥	٢	لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك
٤٧٩	٧	ليدخلن الجنة من أمي سبعون	١٠٨	١	لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك
٥٨٧	٩	ليراجعها ثم لمسكها حتى تظهر	١٤	١	لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك
٤٨٠	٦	ليراجعها	٤٧٤	٣	لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك
١٠	٣	ليرجع قائمكم ويوقف قائمكم	١٠	١٠	لولا أن أشق على أمتي
٥١٢	٧	ليردن علي ناس من أصحابي الحوض	١٣	١٠	لولا أن أشق على أمتي
٤٦٠	٧	ليس أحد يحاسب يوم القيامة إلا هلك	٢١٠	٧	لولا أن النبي ﷺ نهانا أن ندعو بالموت
٤٩١	٥	ليس التحصيب شيء... (من قول ابن عباس)	٥	١٠	لولا أن رسول الله ﷺ نهانا أن ندعو بالموت
١٥١	١	ليس السنة بأن لا تطروا	٢١٠	٧	لولا أن رسول الله ﷺ نهانا أن ندعو بالموت
٣٢٤	٧	ليس الغنى عن كثرة العرض	٣٠٦	٧	لولا أن قومك حديث عهد بالجاهلية
٨٩	٥	ليس المسكين الذي تردده الأكلة والأكلتان	١١	١٠	لولا أن قومك حديث عهد بكفر لبنى الكعبة
٩٢	٥	ليس المسكين الذي يطوف على الناس	٦٥٩	٧	لولا أن قومك حديث عهد بكفر لبنى الكعبة
٤٨٣	٤	ليس المسكين بالطواف الذي ترد اللقمة واللقمتان	٣٤٤	١	لولا أن معي الهدي لأحللت
٥٧	١	ليس الواصل بالمكافئ	٢٤١	٥	لولا أنت ما اعتدنا
٣٠	١	ليس ذلك ولكن المؤمن إذا حضره الموت	٧	١٠	لولا أنه أمر حق، ووعد صدق، وسبيل نأتيه
٤١٢	٧	ليس صلاة أقل على المنافقين	٤٨٦	٤	لولا أني رأيت النبي ﷺ يقبلك... (من قول عمر)
٧٧	٣	ليس على الأرض من أنجاس القوم شيء	٤٦٩	٥	لولا أني رأيت رسول الله ﷺ فعله
٢٨	٢	ليس على المسلم صدقة في عبده	١٩١	٤	لولا أني رأيت رسول الله ﷺ قبلك ما قبلتك
٦٩	٥	ليس على المسلم في عبده ولا فرسه	٣٢٣	٥	لولا حدثا قومك بالكفر
٤٢	٥	ليس على المسلم في فرسه وغلामه صدقة	٢٨٣	٥	لولا حدثنا قومك بالكفر لفعلت
٦٩	٥	ليس في النوم تفريط	٢٧٥	٥	لولا ما كان من كتاب الله لكان لي ولها شأن
٤٤٢	٢	ليس في النوم تفريط	٥٨٧	٦	لولا ما مضى من كتاب الله
٥٤٣	٢	ليس فيما أقل من خمسة أوسق صدقة	٢٠٢	٩	
١١٠	٥	ليس فيما دون خمس أواق صدقة			
٦١٧	٤				

طرف الحديث	الجزء	الصفحة	طرف الحديث	الجزء	الصفحة
ليس فيما دون خمس أوسق صدقة	٤	٦٠٦	أدناهم	٩	٢٢٥
ليس فيما دون خمس ذود صدقة من الإبل	٥	٤٥	ما أبقيت لأهلك	٥	٦
ليس فيما دون خمسة أوسق صدقة	٥	٩٤	ما أجنتب الكباثر	٢	٤٥٣
ليس فيما دون خمسة أوسق من التمر	٥	٦٤	ما أجدلكم إلا أن تلحقوا بإبل رسول الله	٩	١٢٤
ليس فيهم حلة العرش	٧	٤٢٧	ما أحب أن لي مثل أحد ذهباً أفقه كله	٤	٦٢٠
ليس كما تظنون، إنما هو كما قال لقمان لابنه	٩	٣٤٢	ما أحد أصبر على أذى سمعه من الله	١٠	٢٢٧
ليس لنا مثل السوء	٣	٣٦٥	ما أدركتم فصلوا وما فاتكم فأتموا	١	٢٢٥
ليس من البر الصيام في السفر	٢	١٧٧	ما أدركتم فصلوا وما فاتكم فأتموا	٣	٤٣
ليس من البر الصيام في السفر	٢	٤٥٥	ما أدركتم فصلوا وما فاتكم فأتموا	٤	٥١٢
ليس من البر الصيام في السفر	٦	٣٣٧	ما أدركتم فصلوا وما فاتكم فأقصوا	٢	١٥٧
ليس من بلد إلا سيطوه الدجال	٥	٦٦٧	ما أدري ما يفعل به؟	٩	٤٤٩
ليس من نفس تقتل ظمأً	١٠	١١٤	ما أذن الله لشيء ما أذن للنبي ﷺ	١٠	٤٦٨
ليس منا من تطير	٧	٣٥٨	ما أذن الله لشيء ما أذن للنبي	٦	٧٣
ليس منا من ضرب الخدود وشق			ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي	١٠	٥٤٦
الجيوب	٤	٤٧٤	ما أرى شيطانك إلا قد ترك فأنزله الله	٦	٩
ليس منا من ضرب الخدود	٤	٤٧٥	ما أسفل من الكعيبين ففي النار	١	٤٢٧
ليس منا من لطم الخدود	٤	٤٦٤	ما أسفل من الكعيبين ففي النار	٧	٤٤٧
ليس منا من لم يتغن بالقرآن	١٠	٥٢٧	ما أسفل من الكعيبين ففي النار	٧	٤٥٢
ليست السنة ألا تمطروا	٤	١١٤	ما أسفل من الكعيبين من الإزار ففي		
ليست السنة ألا تمطروا	٤	٩٥	النار	٧	٤٥٠
ليست نفس مخلوقة إلا الله خلقها	١٠	٣٣٤	ما اعتمر رسول الله ﷺ في رجب	٥	٥٠٤
ليصين أقواماً سفع من النار	١٠	٤٢٢	ما أعددت لها؟	٩	٥٨٠
ليكونن أقوام من أمتي يستحلون	٦	٧٤	ما أعلم النبي ﷺ رأى رغيماً مرققاً، حتى		
ليلني منكم أولوا الأحلام والنهي	٣	٥١٤	لحق	٧	٣٣٧
ليلني منكم أولوا الأحلام والنهي	٣	٥٤٦	ما أعلم والله خير مما لا أعلم... (من)		
ليتهن عن ذلكم أو لتخطفن أبصارهم	٣	٢٣٠	قول أبي سعيد لمروان	٣	٦١٧
ليوقظ النائم ويرجع القائم	٣	٥٢٣	ما أكل آل محمد ﷺ أكلتين... (من قول		
المؤمن إذا حضره الموت بشره برضوان الله	٧	٤١٢	عائشة)	٧	٣٣٦
المؤمن الذي يخالط الناس	٧	٣٩٠	ما السرى يا جابر؟	٢	٢١٦
المؤمن الذي يقرأ القرآن ويعمل به			ما ألغاه السحر عندي إلا نائماً... (قول		
كالأترجة	٦	١٢٨	عائشة)	٤	٢٢٧
المؤمن القوي خير	١٠	١٢	ما الفقر أخشى عليكم، ولكن أخشى عليكم	٧	٢٩٨
المؤمن لا ينجس حياً، ولا ميتاً	١	٤٨٩	ما ألفيته سحرراً إلا نائماً	٣	١٩٧
المؤمن لا ينجس	١	٤٧٢	ما المسئول عنها بأعلم من السائل	١٠	٢٣٣
المؤمن لا ينجس	٤	٤١٣	ما أمرت بتشديد المساجد	٢	٣٣٩
المؤمنون تكافأ دماؤهم، ويسعى بذمتهم			ما أنا إلا رجل من المسلمين... (من)		



طرف الحديث	الجزء	الصفحة	طرف الحديث	الجزء	الصفحة
قول علي).....	١	٤٧٧	ما بين المشرق والمغرب قبله.....	١	٣٩٥
ما أنا إلا رجل من المسلمين... (من)			ما بين المشرق والمغرب قبله.....	٣	٢٥٣
قول علي).....	١	٦٣٥	ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض		
ما أنا حلتكم بل الله حلتكم.....	٧	٦٦١	الجنة.....	٢	٣٤٣
ما أنا حلتكم.....	٧	٥٣٥	ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض		
ما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه في شيء.....	٩	١٩٩	الجنة.....	٥	٦٦٩
ما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه قط.....	٩	٢٦٥	ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض	٧	٥١٥
ما أنزل الله داءً إلا أنزل له شفاءً.....	٧	٣٥٥	ما بين بيتي ومنبري روضة.....	٤	٥٥٣
ما أنهر الدم وذكر اسم الله عليه فكلوا.....	١٠	٣٠٥	ما بين بيتي ومنبري.....	١٠	١٣٦
ما أنهر الدم.....	١٠	٥٤	ما بين بيتي ومنبري.....	٤	٢٩٤
ما أنهر الدم، وذكر اسم الله عليه.....	١	٤٦١	ما بين خلق آدم إلى قيام الساعة.....	١	٥٠٨
ما أهل رسول الله ﷺ إلا من عند			ما بين قري ومنبري.....	٧	٥١٥
المسجد.....	٥	٢٠٤	ما بين لابتيها حرام.....	٥	٦٥٦
ما أولم النبي ﷺ على شيء من نسائه ما			ما بين مجيء الإمام إلى انقضاء.....	٣	٥٥٧
أولم على زينب.....	٦	٣٤٥	ما بين منكي الكافر.....	٧	٤٧٨
ما بال أحدكم يقوم مستقبل ربه فيتنخع.....	٢	٤٦٧	ما تجلدون في التوراة في شأن الرجم؟.....	٩	١٨٦
ما بال أقوام يتزهدون.....	١٠	٩١	ما تجلدون في كتابكم؟.....	٩	١٤٨
ما بال أقوام يرفعون أبصارهم إلى السماء.....	٣	٢٣٠	ما ترددت عن شيء أنا فاعله.....	١٠	٤٤٥
ما بال أقوام يشترطون شروطاً ليست في			ما ترك النبي ﷺ السجدين بعد العصر		
كتاب الله.....	٢	٣٤٨	عندي قط.....	٢	٥٦٩
ما بال أقوام يشترطون شروطاً.....	٦	١٨٢	ما تركت استلام هذين الركنين في		
ما بال أقوام يقولون كذا وكذا، إني أصلي.....	١	١١٣	شدة... (من قول ابن عمر).....	٥	٣١٨
ما بال الرجل نستعمله على عمل فيرجع.....	٥	١٣٢	ما تركت بعدي فتنة أضرم على الرجال.....	٧	٤٧٥
ما بال العامل نبعثه.....	٩	٦١٧	ما تركت بعدي فتنة أضرم على.....	٦	١٧٨
ما بال العامل نستعمله.....	٧	٥٤٥	ما تزوجت؟.....	٦	١٥٥
ما بال هذا؟.....	٥	٦٣٩	ما تشيرون على في قوم يسبون أهلي.....	١٠	١٩٢
ما بال هذه النمرة.....	٢	٣٢٢	ما تصنع بإزارك إن ليست له لم يكن عليها.....	٦	١٦٦
ما بال هذه النمرة؟.....	٦	٣٦١	ما تصنع بإزارك، إن ليست.....	٦	٨٣
ما بال هذه النمرة؟.....	٧	٦٢٧	ما تصنع بإزارك؟.....	٦	٢٥٤
ما بالكُم؟... (لما خلعوا نعالهم).....	١	٥٧٤	ما تصنعون بها؟.....	١٠	٥٤٤
ما بعث الله من نبي إلا أنذر.....	١٠	٣٢٩	ما تقتل نفس ظلماً إلا كان على ابن آدم		
ما بعث الله من نبي ولا استخلف من خليفة.....	٩	٦٤٦	الأول.....	٤	٤٥٣
ما بعث نبي إلا أنذر أمته الأعور الكذاب.....	٩	٥٥٤	ما تقرب أحد إلى الله بشيء أحب إليه.....	٧	٦٥٨
ما بعد فإن خير الحديث كتاب الله.....	٣	٥٤١	ما تقرب إلي عبدي بشيء.....	٣	٦٢
ما بقي من الناس أحد أعلم به			أحب... (قدسي).....	٣	٦٢
مني... (من قول سهل).....	٦	٤٦٩	ما تقرب إلي عبدي.....	٧	٣٣٩

الجزء	الصفحة	طرف الحديث	الجزء	الصفحة	طرف الحديث
٦٠	١٧٣	ما تقولون في هذا؟	٣	١٠٥	الضحى
١	٦٠١	ما تنخم النبي ﷺ نخامة إلا وقعت	٤	٢٧٠	ما رأيته صلى الضحى غير ذلك اليوم
٧	٣١٣	ما جاءك من هذا الهال وأنت غير مشرف	١٠	٦٧	ما زال بكم الذي رأيتم من صنعكم
٧	٤٨٢	ما جاءك من هذا الهال	١	١٠٩	ما زالت أكلة خبير تعادوني
		ما جاءك من هذا الهال، وأنت غير	٧	٢٥٤	ما زالت أكلة خبير تعادوني
٥	٨٣	مشرف	١	٥٥	ما سئل شيئاً على الإسلام إلا أعطاه
٦	١٨١	ما حصلت فتنة منذ خلق آدم	١٠	٤٤٣	ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن
٦	٧١	ما حق امرئ مسلم له شيء يوصى فيه	٣	٤١	ما شأنكم؟
٧	٥٦٢	ما هلككم على خلع نعالكم			ما شيع آل محمد ﷺ من خبز بر... (من)
١٠	٥٦٧	ما غيبت لك؟	٧	٦٠٤	قول عائشة
١٠	٢١٧	ما خرجت لأبارز رجلين... (من قول علي)	٧	٣٣٦	ما شيع آل محمد ﷺ... (من قول عائشة)
٣	٣٦٢	ما خلا القيام والقعود			ما صليت وراء أحد قط أخف صلاة ولا
١٠	٣٦٧	ما خلق الله أعظم من آية الكرسي	٣	١٧٤	أتم
٩	١١١	ما خير النبي ﷺ بين أمرين إلا اختار أيسرهما	٦	٧٤	ما صليت وراء إمام قط أتم قراءة
١٠	٥٠٦	ما خير النبي ﷺ بين شيئين	١	٢٥٧	ما صليت وراء إمام قط أخف صلاة
٦	١٤١	ما خير بين أمرين إلا اختار أيسرهما	٣	١٦٧	ما صليت وراء إمام قط أخف صلاة
		ما رأيته أحداً أحسن في حلة حمراء من	٣	١٧٤	ما صليت وراء إمام قط أخف صلاة
٧	٥٦٨	النبي ﷺ			ما صليت وراء إمام قط أخف صلاة... (من)
		ما رأيته أحداً أشد عليه الوجع من	٩	٥٨٦	قول أنس
٧	٣١١	رسول الله			ما صنع النبي ﷺ... (أي في داخل)
		ما رأيته النبي ﷺ أولم على أحد من	٢	٤١٢	الكعبة
٦	٣٤٦	نسائه	١٠	٣٢١	ما ظنك يا ابن الله ﷺ
٣	٦٣٤	ما رأيته النبي ﷺ صائماً العشر قط	١٠	٣٣٤	ما عليكم أن لا تفعلوا
		ما رأيته النبي ﷺ صلى صلاة بغير	٦	٢٤٨	ما عندك؟
٥	٤٠٤	ميقاتها			ما عندنا شيء إلا كتاب الله (من قول
٤	٢٣٨	ما رأيته النبي ﷺ يقرأ في شيء	٥	٦٤٩	علي) وهذه الصحيفة عن النبي ﷺ
		ما رأيته رسول الله ﷺ سبح سبحة			ما عندنا كتاب نقرؤه إلا كتاب الله... (من
٤	٢٦٩	الضحى	٩	٦٨	قول علي)
١	٥٢٠	ما رأيته رسول الله ﷺ صلى إلى عمود			ما غرت على امرأة لرسول الله ﷺ كما
٣	٦٤١	ما رأيته رسول الله ﷺ يصلي إلى عمود	٦	٤٤٩	غرت
		ما رأيته رسول الله ﷺ يصلي إلى عمود،	١٠	٤٧٠	ما غرت على امرأة... (من قول عائشة)
٤	٩	ولا عمود			ما فرحت بعد الإسلام فرحي... (من)
٧	٢٢٢	ما رأيته في الخير والشر كالיום قط	٣	١٥٢	قول ابن أبي سلمة
١	١٣٠	ما رأيته من ناقصات عقل ودين	٩	٢٨٩	ما قال لي شيء صنعت لم صنعت هذا
٥	١٦٤	ما رأيته من ناقصات عقل ودين	١	٥٧٣	ما قطع من البهيمة وهي حية فهو ميتة
		ما رأيته صلاحاً إلا يومئذ... (أي: صلاة	٧	٦١٧	ما كان لني أن تكون



طرف الحديث	الجزء	الصفحة	طرف الحديث	الجزء	الصفحة
ما كان لي أن .....	٧	١٦٦	ما من الأنبياء نبي إلا أعطي من الآيات	٦	٦
ما كانت في شيء إلا كثرته	٧	٤٤٤	ما من الأنبياء نبي	١٠	٥٤
ما كنت أصلي العصر... (من قول عمر)	٢	٥٨٤	ما من الناس من مسلم يتوفى له ثلاث لم يبلغوا الحنث	٤	٤٠٨
ما كنا نقبل ولا نتغدي... (من قول سهل)	٣	٥٦٧	ما من أيام العمل الصالح فيهن أحب إلى الله	١٠	٢١٢
ما كنت أرى الوجع بلغ بك ما أرى	٥	٥٤٨	ما من رجل تكون له إبل أو بقرة أو غنم لا يؤدي	٥	٦٤
ما كنت أرى الوجع بلغ بك ما أرى	٥	٥٥١	ما من رجل مسلم يموت فيقوم على جنازته أربعون	١	٣٦١
ما كنت أظن أن الله ينزل في براءتي	١٠	٤٨٤	ما من رجل مسلم يموت فيقوم على جنازته	٧	٤٨٤
ما كنت تطوفين بالبيت	٥	٤٨٧	ما من رجل مسلم يموت، فيقوم على جنازته أربعون	٢	٦٣٩
ما كنت لأصيب منك خيرًا... (من قول حفصة)	٣	١١٨	ما من شيء كنت لم أره إلا قد رأيته في مقامي هذا	٤	١٣٨
ما كنت لأصيب منك خيرًا... (من قول عائشة)	٣	١٨٤	ما من شيء كنت لم أره إلا قد رأيته في مقامي	١	٥١١
ما كنت لأقيم حدا علي أحد... (من قول علي)	٩	١٠٣	ما من شيء لم أره	١٣	٦٤
ما لفاطمة ألا تتقي الله... (من قول عائشة)	٦	٦٠٥	ما من شيء لم أكن أريته إلا قد رأيته	٣	٥٣٩
ما لك أنفستي؟	٢	١٥٦	ما من شيء لم أكن أريته	١	٢٤٤
ما لك تأخرت؟	٤	٣١٧	ما من صاحب ذهب، ولا فضة لا يؤدي منها حقها	٤	٦٠٢
ما لك وللعداري ولعابها	٦	١٥٥	ما من عبد استرعه الله رعية فلم يحطها	٩	٥٧٧
ما لك ولها، معها الحذاء	٦	٥٥٩	ما من عبد قال لا إله إلا الله	٧	٤٩٤
ما لم يأمروا بمعصية	٣	٥٩٠	ما من عبد قال لا إله إلا الله، ثم مات على ذلك	٤	٣٧٧
ما لم يكن جنبًا	١	٤٨٨	ما من قلب من قلوب بني آدم إلا وهو بين أصبعين	١٠	٣٦٠
ما لم يكن جنبًا	٣	٣٨٠	ما من قلب من قلوب بني آدم إلا وهو بين أصبعين	٩	٥١٠
ما لي أجد منك ريح الأصنام؟	٧	٥٤٢	ما من قلب من قلوب	٧	٥٣٩
ما لي أرى عليك حلية أهل النار؟	٧	٥٤٢	ما من مسلم يدعو لأخيه	٧	٤١٤
ما لي اليوم في النساء من حاجة	٦	٢٨٧	ما من مسلم يصلي عليه ما يبلغ	٤	٥٠٦
ما لي في النساء من حاجة	٦	٨٠	ما من مسلم يصيبه أدنى إلا حانت عنه خطاياه	٧	٣٣١
ما مست يدر رسول الله ﷺ يدا امرأة	٩	٦٥٦	ما من مسلم يصيبه أدنى شوكة فما فوقها	٧	٣١٢
ما مست حريرا البن من كفه ﷺ	٧	٥٧١	ما من مسلم يصيبه أدنى: مرض فما سواه	٧	٣٣١
ما معك من القرآن	٦	٨٠			
ما من أحد أغير من الله أن يزني عبده أو تزني أمته	١٠	٣١٧			
ما من أحد أغير من الله من أجل ذلك	٦	٤٤١			
ما من أحد أغير من الله	١٠	٣١٧			
ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله	١٠	٣٤٧			

طرف الحديث	الجزء	الصفحة	طرف الحديث	الجزء	الصفحة
ما من مسلم يصيبه أذى، إلا حات الله	٧	٣١١	ما من امرأة تقدم بين يديها	١٠	١٠٢
عنه خطايا	٧	٣١١	ما هذا الاشمال الذي رأيت؟	٢	٢١٦
ما من مسلم يصيبه هم أو غم	٧	٣٠٨	ما هذا؟	٦	٣٢٠
ما من مسلم يموت فيقوم على جنازته	٧	٥١٧	ما هذه بأول بركتكم يا آل أبي		
ما من مصيبة تصيب المسلم إلا كفر الله			بكر... (من قول أسيد)	٦	٣٣٤
بها	٧	٣٠٨	ما هي بأول بركتكم... (أسيد بن		
ما من مكلوم في سبيل الله	٧	٥٠٣	حضير)	٢	١٥٦
ما من مكلوم يكلم في سبيل الله إلا جاء يوم			ما ييكلك يا هتاه؟	٥	٢٤٣
القيامة	١٠	٢٠١	ما ييكلك؟... (لعائشة حينما حاضت في		
ما من مكلوم يكلم	١٠	٤٩٢	الحج)	٢	١٨١
ما من مولود إلا يولد على الفطرة	٤	٥٧٧	ما يدرك لعل الله اطلع عليهم فقال: اعملوا		
ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه			ما شتم	٩	٣٤٣
يهودانه	٤	٥٧٥	ما يزال الرجل يسأل الناس حتى يأتي		
ما من مولود ولد إلا نخسه الشيطان	٦	٣٤٠	يوم القيامة	٥	٨٧
ما من مولود يولد إلا نخسه الشيطان	١	٣٨٨	ما يسرني أن عندي مثل أحد هذا هباً	٧	٣١٩
ما من نسمة كائنة إلى يوم القيامة إلا هي			ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب	٧	٣٠٩
كائنة	٦	٤٢٩	ما يضرك منه؟ (المسيح الدجال)	٩	٥٤٥
ما من وال يلي رعيةً من المسلمين فيموت			ما يعجلك	٦	١٥٥
وهو غاش	٩	٥٧٨	ما يعجلك؟	٦	٤٦٧
ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان	٥	٣٩	ما يكون عندي من خير لا أدخره	٧	٣٥٢
ما منا صائم إلا رسول الله ﷺ وعبد الله			ما يكون عندي من خير	٥	٨٢
بن رواحة	٢	٤٥٦	ما يتظرها أحد من أهل الأرض غيركم	٢	٥٣٠
ما منعك أن تحجي معنا؟	٥	٥٠٨	ما ينقم ابن جبل إلا أنه كان فقيراً	٥	٨٠
ما منعك أن تصلي معنا؟	١٠	٨٥	الهاء لا يجنب	١	٥٢٧
ما منعك من الحج؟	٥	٦٣١	مات ﷺ ودرعه مرهونة عند يهودي	١	٣٢
ما منعك يا فلان أن تصلي مع القوم؟	٢	١٨٠	مات النبي ﷺ ولم يجمع القرآن غير		
ما منعك؟... (للذي جلس ولم يصلي)	١	٦١٩	أربعة	٦	٤٣
ما منعكم أن تعلموني؟	٤	٤٠٦	مات عن تسع من النساء	٦	١٨٩
ما منعكم؟... (ي: الصلاة)	٢	٥٥٣	مات وآخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة	١	١٩٧
ما منكم أحد إلا سيكلمه ربه	١٠	٤٩٠	مات لنا شاة فلبغنا مسكها	٧	٦٠١
ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه	١٠	٤١٢	ما حق امرئ مسلم له شيء يوصي	٦	٧١
ما منكم من أحد إلا سيكلمه	٧	١٦٢	ماذا معك من القرآن	٦	٨٣
ما منكم من أحد إلا كتب مقعده	١٠	٥٥٢	ماذا معك من القرآن؟	٦	٢٤٨
ما منكم من أحد إلا وسيكلمه الله يوم القيامة	٧	٤٦٣	الهاء كثير العهد قريب	٧	٥٥٦
ما منكم من أحد إلا وقد كتب مقعده	٧	٤٠٢	الباهر بالقرآن مع الكرام البررة	١٠	٥٤٤
ما منكم من أحد، ما من نفس منقوسة	٤	٥٨٨	المبطون شهيد، والمطعون شهيد	٧	٤٠٧



الصفحة	الجزء	طرق الحديث	الصفحة	الجزء	طرق الحديث
٦٦٨	٥	المدينة كالكبر تنفي خبيثها، وينصح طيبها	٤٤١	٦	المتشعب بما لم يعط كلابس ثوبي زور
٥٥٥	٩	المدينة يأتيها الدجال فيجد الملائكة يحرسونها	٢٣٠	٢	متلفعات في مروطن... (من قول عائشة)
٤٥٩	١٠	المدينة يأتيها الدجال	٤١	٥	مثل البخيل والمتصدق كمثل رجلين
٤٢٩	٣	مر النبي ﷺ على قبر منبوذ فأمرهم وصفوا	٤٦٤	٧	مثل البخيل والمتصدق
٣٢٠	٢	مر النبي ﷺ بديار ثمود	٤١	٥	مثل البخيل والمنفق كمثل رجلين
٥١٣	٤	مر النبي ﷺ بقبر منبوذ فأمناء، فصففنا	٥٧٣	٦	مثل البخيل والمنفق كمثل رجلين
٥٣٠	٤	مر النبي ﷺ على قبر منبوذ فأمرهم وصلوا خلفه	٢٧٢	٧	مثل البيت الذي يذكر الله
٤٧٢	٩	مر برأس التمثال فليقطع حتى يكون كهية الشجرة	٥٧٨	٤	مثل المجلس الصالح كحامل المسك
٣٣٨	١٠	مر برأس التمثال فليقطع حتى يكون	٢٧٢	٧	مثل الذي يذكر ربه
٣٣٧	١٠	مر برأس التمثال فليقطع	٦٤	٦	مثل الذي يقرأ القرآن كالآترجة طعمها
٣٥٤	١٠	المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل	٥٦٥	١٠	مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن
٣٦٦	٦	المرأة كالضلع إن أقمتها	٣٠٩	٧	مثل المؤمن كالخامة من الزرع تفيثها
٥٧٩	٦	مره ثلاثين ومرة تسعاً وعشرين	٣٠٩	٧	مثل المؤمن كمثل الخامة من الزرع
٣١٤	٧	مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح	٤٥٥	١٠	مثل المؤمن كمثل خامه
١٦٢	١	مرحباً بالقوم أو الوفد غير خزايا ولا ندامى	١٢٩	٦	مثل المنافق الذي يقرأ القرآن كالريحانة
٤٤	١٠	مرحباً بالوفد والقوم	٢٣٠	١	مثل ما بعثني الله به من الهدى
٢١٣	٢	مرحباً بأم هانئ	٣٧٨	٧	مثلي ومثل ما بعثني الله
١٨	٩	مرضت فعادني رسول الله ﷺ وأبو بكر	٣٧٨	٢	مثنى مثنى، فإذا خشى الصباح صلي واحدة
٦٣٦	٧	مره فليتكلم وليستظل	٣٧٩	٢	مثنى مثنى، فإذا خشيت الصباح فأوتر بواحدة
١٦٦	٢	مره فليراجعها، ثم ليطلقها طاهراً أو حاملاً	٢٢٧	٤	مثنى مثنى، فإذا خفت الصباح فأوتر بواحدة
٤٧٩	٦	مره فليراجعها، ثم ليمسكها	٥١٦	١	مع رسول الله ﷺ في وجهه
٩٣	١٠	مروا أبابكر فليصل بالناس	٢١٦	٧	مع رسول الله ﷺ في وجهه
١١٧	٣	مروا أبابكر فليصل بالناس	٣٧٩	١٠	مجلدي عبدي... (قلسي)
٣١٦	٤	مروا أبابكر فليصل بالناس	٢٣٦	١٠	مجوس هذه الأمة
٩٠	٣	مروا أبابكر فليصل للناس	٥٠٩	١٠	مجوس هذه الأمة
٩٣	١٠	مروا أبابكر يصلي بالناس	٣٨	١	المدة التي كان رسول الله ﷺ ماد
١٧٩	٣	مروا أبابكر	٦٨	٩	المدينة حرم ما بين غيري إلى ثور
٦١٠	٧	مروا أبابكر ثابت يتعوذ	٨٩	١٠	المدينة حرم من غيري إلى كذا
			٦٤٥	٥	المدينة حرم من كذا إلى كذا
			٦٥٤	٩	المدينة كالكبر تنفي خبيثها وتنصح طيبها
			٦٥٨	٩	المدينة كالكبر تنفي خبيثها

طرف الحديث	الجزء	الصفحة	طرف الحديث	الجزء	الصفحة
مروا البناءكم بالصلاة لسبع	٧	٢١٦	ما يضحك أحدكم؟ أو لم يضحك		
مروا البناءكم بالصلاة لسبع	٩	١٨٩	أحدكم مما يفعل	٢	٢٢٠
مري غلامك التجار أن يعمل لي أعوادًا	٣	٥٢٩	من ابتلي من هذه البنات بشيء، كن له		
المسيل والمنان والمنفق سلعته	٥	١٥	سترًا من النار	٤	٦٣٣
المسيل والمنان	٧	٣٧٣	من أبو زيد؟ قال: أحد عمومي... (من)		
مستريح ومسترأح منه	٧	٤١٧	قول أنس)	٦	٤٢
مستقرها تحت العرش	١٠	٤٠٢	من أناكم وأمركم جميع	١٠	١٥٣
مسح على الخفين	١	٤٨٢	من آتاه الله ما لا فلم يؤدركاته	٤	٦١٣
المسلم آخر المسلم	٩	٣٦٤	من اتبع جنازة مسلم إيمانًا واحتسابًا	١	١٣٥
المسلم آخر المسلم	٩	٣٦٥	من اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه		
المسلم آخر المسلم، لا يظلمه ولا يسلمه	٩	٣٦٩	وعرضه	٦	٤٩
المسلم لا ينجس حيا... (من قول ابن عباس)	٤	٤١٢	من أتى عرافًا فسأله عن شيء لم تقبل	١	٣٦٧
المسلم من سلم المسلمون	١	٥٧	من أتى كاهنًا أو عرافًا	١٠	٢٤٠
المسلم من سلم المسلمون	٧	٣٨٠	من أتى كاهنًا أو عرافًا	٧	٤٣٢
المصلى أمامك	١	٤٨٢	من أتى كاهنًا فصدقه	١٠	٥٦٨ ٥٦٧
مطعمه حرام وملبسه حرام	٧	١٤٠	من أتى كاهنًا فصدقه	٧	٤٣٢
مع كل واحد سبعين ألفًا	٧	٣٥٦	من أحب أن يتمثل له الناس	٧	٧١٤
مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله لا يعلم	١٠	٢٣٧	من أحب أن يحلق حبيبه حلقة من نار	١	٢٦٦
مفتاح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله	٤	١١٤	من أحب أن يزحزح عن النار ويدخل		
المقسطون على منابر من نور على يمين	٣	٨١	الجنة	٤	٦١١
مكانكم... (لما خرج إليهم في الصلاة)	٢	١٢	من أحب أن يزحزح عن النار	٧	٢٨٩
مكتوب بين عينيه كافر	٥	٢٣٦	من أحب أن يزحزح عن النار	٩	٤٢٦
مكت النبي في مكة	١	٢٥	من أحب أن يزحزح عن النار، ويدخل		
ملأ الله قبورهم وأجوافهم نازًا	٣	٥٩٣	الجنة	١	٦١
ملأ الله قبورهم ويوتهم نازًا	٧	٢٦٤	من أحب أن يسأل عن شيء فليسأل	٢	٤٧٦
الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم	٣	٤٨٩	من أحب أن يسأل عن شيء	١٠	٧٦
الملائكة تصلي على أحدكم ما دام في			من أحب أن يقرأ القرآن غضا طريا	٧	٦٤٧
مصالاة	٢	٣٣٥	من أحب أن ينظر إلى رجل من أهل	٧	٣٨٩
الملائكة تصلي على أحدكم	٣	٧٨	من أحب أن ينظر إلى رجل	٧	٣٨٨
الملائكة تصلي عليه مادام في مصلاة	٣	٤١٥	من أحب أن يهل بعمرة فليهل	٥	٥١٧
الملائكة لا تدخل بيتًا فيه حائض، ولا			من أحب أن يهل بعمرة فليهل	٢	٢١٤
جنب	٢	١٦٢	من أحب أن يوتر بثلاث فليقبل	٤	٤٤
ملكتهها بما معك من القرآن	٣	٥٩٩	من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه	٧	٤١٢
مما ذلك	٩	١٥٢	من أحب لقاء الله أحب	٧	٤١٢
مما يتأذى منه بنو آدم	٦	٣٦٤	من أحب منكم أن يهل بالحج	٥	٥٠٩
			من أحدث في أمرنا هذا ما ليس	١٠	١٥٦



الصفحة	الجزء	طرق الحديث	الجزء	الصفحة	طرق الحديث
٢٧٤	١٠	القيامة	٧	٥٧٦	من أحدث في أمرنا هذا
٢١	٦	من أقرأ هذه السورة... (من قول عمر)	٢٠	٢٢٠	من أحرم بعمره ولم يهد فليحلل
٤٧٥	١	من أكل بصلًا أو ثومًا			من أحسن في الإسلام لم يؤاخذ بما عمل في الجاهلية
٤٢٥	٣	من أكل ثومًا أو بصلًا فليعتزلنا	٩	٣١١	من أحصاها دخل الجنة
١٧٤	١٠	من أكل ثومًا أو بصلًا	٧	٢٧٩	من أخذ أموال الناس يريد إتلافها أتلفه الله
٤٤	١	من أكل فليتم بقية يومه	٥	٢٣	من أداها قبل الصلاة فهي صدقة مقبولة
٤٢٥	٣	من أكل من هذه الشجرة	٥	١٤٥	من أدرك ركعة من الصلاة فقد أدرك الصلاة
٤٢٥	٣	من أكل من هذه الشجرة	٢	٥١١	من أدرك ركعة من الصلاة فقد أدرك الصلاة
٤٢٦	٣	من أكل من هذه الشجرة	٢	٥٥٢	من أدرك ركعة من الصلاة
٥٨٢	٧	من أكل ناسيًا وهو صائم	٣	٨٩	من أدرك سجدة من العصر
٥٥٦	١	من البول	٢	٥٤٤	من أدرك سجدة من العصر
٩٦	١٠	من التمس رضا الناس	٢	٥٤٥	من أدرك من الصبح ركعة
٢٥٤	٩	من السائق؟	٢	٥٥١	من ادعى إلي غير أبيه وهو يعلم
		من السنة إذا تزوج الرجل البكر على الثيب	٩	٨٤	من أراد أن يقرأ القرآن
٤٣٧	٦	من الفطرة حلق العانة	٧	٥٣٣	من أراد أن يقرأ القرآن
٥٥٧	٧	من الفطرة قص الشارب	١	٦٠٢	من استجمر فليوتر
٥٥٧	٧	من القوم أو من الوفد؟	٧	٤١٥	من استلج في أهله يمين
١٦٢	١	من المتكلم؟... (لمن قال ربنا و لك الحمد حمدًا)	٦	٥٣٦	من أسلف في شيء فليسلف
٣١٣	٣	من آمن بالله ورسوله، وأقام الصلاة	٩	٢٦٥	من أسلم على شيء فهو له
٣٩١	١٠	من أنظر معسرًا، أو وضع له أظله الله	٩	٨١	من أشرط الساعة أن يرفع العلم
١٢٧	٩	من أنظر معسرًا، أو وضع له	٧	١٣٣	من أشرط الساعة
٨٢	٣	من بدل دينه فاقلّوه	١٠	٣٩٤	من أشرط الساعة: أن يقل العلم
١٨٩	١٠	من بدل دينه فاقلّوه	١٠	٢٣٢	من أطاعني دخل الجنة
٣١٥	٩	من بدل دينه فاقلّوه	١٠	٥٨	من أطاعني دخل الجنة
٣١٩	٩	من بلغ عتده من الإبل صدقة الجذعة	١	٥٩	من أطاعني فقد أطاع الله
٥٧	٥	من بنى مسجدًا يتغني به وجه الله	٩	٥٦١	من أظلم رأس غاز أظله الله يوم القيامة
٣٤٢	٢	من تاب قبل أن تطلع الشمس	٥	١٥٠	من أعتق رقبة مسلمة أعتق الله
١٤٧	٧	من تبع جنازة فله قيراط... (من قول أبي هريرة)	٧	٦٥٥	من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة
٥١٦	٤	من تحلم بحلم لم يره كلف أن يعقد بين شعيرتين	٣	٤٦٦	من اغتسل يوم الجمعة غسل
٤٧٠	٩	من ترك مالًا فلأهله	٢	٦٠٧	من اقتطع مال امرئ مسلم يمين كاذبة
٢٧	٩	من ترك مالًا فلورثته	١	٤١٥	من اقتطع من الأرض شبرًا
٨	٩	من ترون أن نكسو هذه	١	٤٧٣	من اقتطع من الأرض شبرًا، طوقه الله يوم
٤٨٩	٧				

طرف الحديث	الجزء	الصفحة	طرف الحديث	الجزء	الصفحة
من ترون تكسوها هذه الخميصة؟	٧	٥١٥	من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك	١٠	٣٠٩
من تشبه بقوم فهو منهم	٢	١٦٠	من حلف بغير ملة الإسلام فهو كما قال	٧	٥٦٢
من تشبه بقوم فهو منهم	٧	٤٧٣	من حلف بملة غير الإسلام كاذباً		
من تشبه بقوم فهو منهم	٧	٥٦٣	متعمداً	٤	٥٨٩
من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب	١٠	٣٩٩	من حلف على يمين صبر	٧	٥٩١، ٥٨٨
من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب	٤	٦٢٤	من حلف على يمين كاذبة	١	١٠٣
من تعار من الليل فقال: لا إله إلا الله	٤	٢٤٥	من حلف على يمين كاذبة	٧	٥٧١
من تقرب إلي ذراعاً تقربت إليه باعاً	١٠	٣٢٥	من حلف على يمين هو فيها فاجر	١	٢٨٥
من تقرب مني شبراً	١٠	٥٠٠	من حلف على يمين هو فيها فاجر	٧	٥٨٦
من تمنى الشهادة بصدق	٩	٦٧١	من حلف على يمين	٧	٦٦٢
من توضع فليستشرو ومن استجمر فليوتر	١	٤٢١	من حلف على يمين	٧	٦٦٣
من توضع في بيته	١	١٠٥	من حلف فقال في حلفه واللات والعزى	٧	٥٥٩
من توضع مثل هذا الرضوء	٧	٣٠٩	من حلف منكم فقال في حلفه: باللات	٧	٧٨٦
من توضع نحو وضوئي هذا	١	٤١٨	من حل علينا السلاح فليس منا	٩	٢٢١
من توضع نحو وضوئي هذا	١	٤٢٩	من حل علينا السلاح فليس منا	٩	٥٠١
من توكل لي ما بين رجله وما بين لحيه	٩	١٣٢	من حوسب عذب	١	٢٧١
من جاء إلى الجمعة فليغتسل	٣	٥٣٤	من خاف ألا يقوم من آخر الليل فليوتر		
من جاء منكم الجمعة فليغتسل	٣	٤٨٧	في أوله	٤	٥٢
من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه	١	٤٢٨	من دخل المسجد فهو آمن	١	٢٨١
من جر ثوبه خيلاء	٧	٤٤٧	من دخل المسجد فهو آمن	٥	٦١٠
من جر ثوبه مخيلة	٧	٤٥١	من دخل دار أبي سفيان فهو آمن	٥	٦١٠
من جمع القرآن على عهد النبي ﷺ؟	٦	٤٢	من دخل دار أبي سفيان	١	٢٨١
من جهز غازياً فقد غزا	٦	٧٩	من دعا لي هدى كان له من الأجر مثل أجور	١٠	١١٥
من جهز غازياً فقد غزى	٥	٦١٧	من ذبح فليدل مكانها	٧	٥٨٤
من حالت شفاعته	٧	٦٩٧	من ذبح قبل الصلاة فليعد	٣	٦١٢
من حج فلم يرفث، ولم يفسق	٣	٢٩١	من ذبح قبل أن يصلي فليذبح أخرى		
من حج فلم يرفث، ولم يفسق رجوع كيوم	٢	٤٦٢	مكانها	٤	٢١
من حج لله فلم يرفث ولم يفسق رجوع			من ذبح قبل أن يصلي فليذبح مكانها أخرى	١٠	٣٠٨
كيوم	٥	١٧٨	من ذكرني في نفسه	١٠	٥٠٣
من حج هذا البيت فلم يرفث	٥	٥٥٤، ٥٥٣	من رأيي فقد رأي الحق	٩	٤٤١
من حدثك أن النبي ﷺ كلم شيئاً (من)			من رأيي فقد رأي الحق، فإن الشيطان لا		
قول عائشة)	١٠	٥٣٤	يتكوني	٩	٤٤٢
من حدثك أن محمداً ﷺ رأى ربه فقد			من رأيي في المنام فسيراني في اليقظة	٩	٤٤١
كذب	١٠	٢٣٧	من رأيي في المنام فقد رأيي	١	٢٨٨
من حسن إسلام المرأة تركه ما لا يعنيه	٤	٣٨٤	من رأيي في المنام فقد رأيي	٩	٤٤١
من حسن إسلام المرأة	٧	٥٣٤	من رأي من أميره شيئاً يكرهه فليصبر	٩	٥٠٠



الصفحة	الجزء	طرف الحديث	الصفحة	الجزء	طرف الحديث
٢١٦.....	٩.....	من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها	٥٧١.....	٩.....	من رأى من أميره شيئاً يكرهه فليصبر
٦.....	٥.....	من سن في الإسلام سنة حسنة فله	٤٨٨.....	٩.....	من رأى من أميره شيئاً يكرهه
٧.....	٥.....	من سن في الإسلام سنة حسنة	٢٣٦.....	٣.....	من رأى منكم منكراً فليغيره بيده
٢٩٧.....	٥.....	من شاء أن يصومه فليصمه	٦٣٨.....	٧.....	من رأى منكم منكراً فليغيره
١٦٨.....	٥.....	من شربة؟	١١٣.....	١.....	من رغب عن سنتي فليس مني
٤٩٧.....	٩.....	من شرار الناس من تتركهم	١٧٩.....	١.....	من رغب عن سنتي فليس مني
		من شرب الخمر في الدنيا، لم يشربها في	١٦٢.....	٥.....	من رغب عن سنتي فليس مني
٩٩.....	٩.....	الآخرة	١٣٠.....	٦.....	من رغب عن سنتي فليس مني
١٦٥.....	٧.....	من شغله ذكرى عن مسألتي	١٥١.....	٦.....	من رغب عن سنتي فليس مني
٣٨٢.....	٤.....	من شهد الجنائزة حتى يصلي عليها	٣٢٤.....	٩.....	من رغب عن سنتي فليس مني
٥١٧.....	٤.....	من شهد الجنائزة حتى يصلي فله قيراط	٩٢.....	١٠.....	من رغب عن سنتي
		من شهد أن لا إله إلا الله واستقبل	٥٦٢.....	٧.....	من رمى مؤمناً بكفر
٢٦٦.....	٢.....	قبلتنا. (من قول أنس)	٣٠١.....	٤.....	من زاد على ذلك
		من شيء كنت لم أره إلا رأيته في مقامي			من زاد على هذا، أو نقص فقد أساء
١٤٠.....	٤.....	هذا	٣٦١.....	١.....	وظلم
١١٠.....	١.....	من صام رمضان إيماناً واحتساباً			من زعم أن رسول الله ﷺ كتم شيئاً من
١٩.....	٥.....	من صام رمضان إيماناً واحتساباً	٦٠٥.....	٢.....	كتاب الله
٢٩٧.....	٧.....	من صام رمضان			من زعم أن محمداً قد مات... (من قول
٣٩٩.....	١٠.....	من صلى البردين دخل الجنة	١٥.....	٦.....	عمر)
٥٤٧.....	٢.....	من صلى البردين دخل الجنة	٦٧٢.....	٩.....	من سأل الله الشهادة بصدق
		من صلى ثنتي عشرة ركعة من غير	٨٣.....	٥.....	من سأل الناس أموالهم تكثرأ
٢٦٥.....	٤.....	الفريضة	٣٦١.....	٧.....	من سأل الناس أموالهم تكثرأ
		من صلى صلاتنا ونسك نسكنا فقد	٤٣٠.....	٧.....	من سأل كاهناً ولم يصدقه
١٩.....	٤.....	أصاب النسك			من سألت زوجها الطلاق من غير ما بأس
٦١٣.....	٣.....	من صلى صلاتنا ونسك	٣٧٤.....	٩.....	فحرام
٥٠٨.....	٤.....	من صلى على الجنائزة	٧٤٥.....	٧.....	من سره أن يقرأ القرآن
٥٠٠.....	٤.....	من صلى على جنازة، ولم يمش معها	٤٦.....	٣.....	من سره أن يمثل للرجال قياماً
٢٠٥.....	٤.....	من صلى قائماً فهو أفضل	٦٠٨.....	٤.....	من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة
٥٩١.....	٧.....	من صنع إليكم معروفاً فكافئوه	١٦٢.....	٦.....	من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً
٦٢٩.....	٧.....	من صور صورة في الدنيا	٤٢.....	٦.....	من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً
٤٧١.....	٩.....	من صور صورة ومن تحلم ومن استمع	٣٨٧.....	٢.....	من سمع النداء فلم يأتيه؛ فلا صلاة له
٥٧٣.....	٧.....	من ضفر فليحلق... (من قول عمر)	٤٨٧.....	٢.....	من سمع النداء فلم يجب فلا
٦٦٩.....	٧.....	من طلب القضاء واستعان عليه	١٣٩.....	٦.....	من سمع بالدجال فليأمن عنه
٦٦٩.....	٧.....	من طلب قضاء المسلمين حتى يناله	٢٨٧.....	٦.....	من سمع بالدجال فليأمن عنه
٤٦٨.....	٣.....	من طيب أهله	٥٧٨.....	٩.....	من سمع سمع الله به يوم القيامة
٤٠٥.....	٧.....	من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب	٣٩٨.....	٧.....	من سمع سمع الله به

طُرف الحديث	الجزء	الصفحة	طُرف الحديث	الجزء	الصفحة
من عصاني فقد أبى .....	١٠	٥٨	من قام رمضان .....	٧	١٤٤٠
من عمل عملاً ليس عليه أمرنا .....	٥	٦٥٧	من قام مع الإمام حتى ينصرف كتب له .....		
من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد .....	٥	١٤٥٠	قيام ليلة .....	٤	٤٦
من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد .....	٦	٢٨٢	من قتل دون نفسه فهو شهيد .....	٤	٥٤٧
من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد .....	٩	٥٨٥	من قتل قتيلاً فله سلبه .....	٦	١١٠
من عمل عملاً ليس عليه أمرنا .....	١	١٤٣	من قتل له قتيلاً فهو خير النظرين .....	٩	٢٢٨
من عمل عملاً ليس عليه أمرنا .....	١	١٧٨	من قتل نفساً معاهداً لم يرح رائحة الجنة .....	٩	٢٩٧
من عمل عملاً ليس عليه أمرنا .....	٢	٤٦٤	من قتل نفسه بحديدة عذب به في نار .....		
من عمل عملاً ليس عليه أمرنا .....	٢	٥٤٤	جهنم .....	٤	٥٨٩
من عمل عملاً ليس عليه أمرنا .....	٣	٣٣٨	من قتل نفسه بحديدة فحليلته في يده يتوجأ .....		
من عمل عملاً ليس عليه أمرنا .....	٥	٤٤٤	بها .....	٩	٢١٢
من عمل عملاً ليس عليه أمرنا .....	٦	٦١٢، ٦١١	من قتل وزعاً في أول ضربة .....	٥	٥٧٨
من عمل عملاً ليس عليه .....	١٠	١٥٦	من قتل؟ فلان؟ .....	٦	٥٧٢
من عمل عملاً ليس عليه .....	١٠	٥٤	من قذف مملوكه كان لله في ظهره حد .....	٩	٢٠٦
من عمل عملاً ليس عيه أمرنا فهو رد .....	٦	٢٣٨	من قذف مملوكه وهو بريء .....	٩	٢٠٥
من عمل عملاً ليس عيه أمرنا فهو رد .....	٩	٥٨٧	من قرأ آية الكرسي في ليلة لم يزل عليه .....	١	٣٨٩
من عمل عملاً ليس .....	٣	٣٢٣	من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في .....		
من عمل عملاً ليس .....	٧	٦٢١	ليلة كفتاه .....	٦	٥٢
من غدا إلى المسجد وراح .....	٣	٨٦	من قرأ بهما في ليلة كفتاه .....	٦	١٠٠
من غسل واغتسل .....	٣	٤٦٦	من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة .....	٦	٥٥
من غش فليس منا .....	٦	٢٤٣	من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل .....		
من غشنا فليس منا .....	٢	٤٥١	الجنة .....	٤	٣٧٣
من غشنا فليس منا .....	٩	٥٠١	من كان حالفاً فليحلف بالله .....	٧	٥٥٥
من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا .....	١	١٠٦	من كان عنده شيء فليجي به .....	٢	٢٢٩
من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا .....	١	٣٣٥	من كان عنده طعام اثنین فليذهب بثالث .....	٢	٥٩٣
من قاتل ؛ لتكون كلمة الله هي العليا .....	٣	٧١	من كان له أرض فليزرعها أو يمنحها .....	٩	٢٣٦
من قال سبحان الله وبحمده مائة مرة .....	٢	٤٦٢	من كان معه هدي فليهل بالحج والعمره .....	٥	٣٥٥
من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له .....	٧	٢٦٩	من كان معه هدي فليهل بالحج .....	٥	٢٣٧
من قال لأخيه يا كافر .....	٦	١٢٨	من كان منكم أهدى فإنه .....	٥	٤١٥
من قال لصاحبه تعال أقامرك فليتصدق .....	٧	٥٥٩	من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل .....	٧	٣٥٩
من قال: سبحان الله وبحمده .....	٧	٢٧١	من كان يؤمن بالله واليوم الآخر .....	١	٤٠٢
من قال: لا إله إلا الله وحده .....	٧	٥٥٣	من كان يؤمن بالله واليوم الآخر .....	١٠	٧٢
من قالها من النهار موثقاً بها فأت .....	٧	١٤١	من كان يؤمن بالله واليوم الآخر .....	٦	٣٦٧
من قالهن ثم مات تحت .....	٧	١٥٤	من كان يؤمن بالله واليوم الآخر .....	٧	٣٦٥
من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له .....	٥	١٩	من كان يؤمن بالله واليوم الآخر .....	٧	٣٦٦
من قام رمضان إيماناً واحتساباً .....	١	١١٠	من كان يؤمن بالله واليوم الآخر .....	٧	٣٦٨



الصفحة	الجزء	طرق الحديث	الصفحة	الجزء	طرق الحديث
٥٤٣	١٠	من محمد عبد الله ورسوله	٣٠٣	١٠	من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فلا يسق
١١	٢	من مس فرجه فليتوضأ	٣٦٩	٧٠	من كان يؤمن بالله واليوم
٤٥٧	٣	من نام عن صلاة الجمعة أو نسيها	٧٧٧	٧	من كان يؤمن بالله
		من نام عن صلاة أو نسيها فليصلها إذا	٤٥٦	٧٠	من كانت عنده مظلمة لأخيه
٥٤	٣	ذكرها			من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من
٥٤٥	٢	من نام عن صلاة أو نسيها فليصلها	٤٦٢	٤	النار
٥٥٥	٢	من نام عن صلاة أو نسيها فليصلها	٤٧٠	٩٠	من كذب في رؤياه
٥٧١	٢	من نام عن صلاة أو نسيها فليصلها	٤٨٨	٩٠	من كره من أميره شيئاً فليصبر
٢٨٤	٤	من نذر أن يطيع الله فليطعه	٤٤١	١٠	من كل ألف تسعة وتسعون
٦٤١	٥	من نذر أن يطيع الله فليطعه	٤٩٩، ٤٩٨	٧	من لبس الحرير في الدنيا
٦٢٧	٧	من نذر أن يطيع الله فليطعه	٢٣٧	٢	من لبسه في الدنيا لم يلبسه في الآخرة
٦٣٦	٧	من نذر أن يطيع الله فليطعه	٥٥٦	٣	من لغا فلا جمعة له
٦٣٧	٧	من نذر أن يطيع الله فليطعه	٣٦٤	١	من لم يجد إزاراً فليلبس السراويل
٦٢١	٧	من نذر أن يطيع الله	٤٧٥	٧	من لم يجد إزاراً فليلبس سراويل
٦٣٨، ٦٢١	٧	من نذر أن يطيع	٦٠٦	٥	من لم يجد الإزار فليلبس السراويل
٦٣٨	٥	من نذر أن يعصي الله فلا يعصيه	٦٠٤	٥	من لم يجد النعلين فليلبس الخفين
٤٥٩	٢	من نسي صلاة أو نام عنها	٥٩٩	٥	من لم يجد نعلين فليلبس الخفين
		من نسي صلاة أو نام عنها، فكفارتها أن	٥٢٦	٧	من لم يجد نعلين فليلبس خفين
٥٩١	٣	يصلها إذا ذكرها			من لم يصل ركعتي الفجر فليصلها
٥٩٠	٢	من نسي صلاة فليصل	٥٥٤	٢	بعدما
٥٢٣	٦	من نسي وهو صائم، فأكل وشرب	٥٢٦	٧	من لم يكن له إزار فليلبس السراويل
٤٦٠	٧	من نوقش الحجاب عذب	٥١٩	٥	من لم يكن معه هدي فأحب
٤٦٢	٤	من نبح عليه يعذب بما نبح عليه	٢٤٢	٥	من لم يكن منكم معه هدي فأحب
		من ها هنا قام الذي أنزلت عليه سورة	٦١١	٩٠	من له بنية على قتل
٤٧٨	٥	البقرة	٥٠٣	٧	من مات في سبيل الله
٦	٦	من هذا؟... (عن جبريل)	٥٩٧	٧٠	من مات لا يجعل الله ندا
١٢٤	١	من هذه؟	٣٨١	٤	من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة
٢١٣	٢	من هذه؟	٣٢٠	٧	من مات من أمك لا يشرك بالله
٢١	٢	من هذه؟... (لأم هانئ)			من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئاً
٢٩٠	٣	من وافق تأمينه تأمين الملائكة عفر	٣٧٤	٤	دخل الجنة
٦٨	٩	من والى قومًا بغير إذن مواليه فعليه لعنة الله	٧١٦	٧	من مات وعليه صيام
٥٦٤	٧	من وجد معاذاً فليعذبه	٥٩٧	٧	من مات يجعل الله ندا
٥٤٢	٧	من ورق، ولا تمه مقالاً	٥٩٩	٧	من مات يجعل الله ندا
٣٩٣	١	من وضع هذا؟	٣٧٥	٤	من مات يشرك بالله شيئاً دخل النار
١٦٣	١٠	من يسطر رداءه حتى أنقض مقاتلي	٣٧٩	٤	من مات، وهو يدعو من دون الله ندا
٦٤	٣	من يتصدق على هذا؟	٧٠٩	٧	من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل

طرف الحديث	الجزء	الصفحة	طرف الحديث	الجزء	الصفحة
من يرد الله به خيراً يصيب منه	١	٢١٨	ناس من أمتي عرضوا علي غزاة	٧	٧٤٩
من يرد الله به خيراً يصيب منه	٧	٣٠٩	الناس يؤمرون أن يضع الرجل	٣	٢١٩
من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين	١	٢١٢	نام الغليم	١	٣١٦
من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين	١	٣٩٣	نام رسول الله ﷺ حتى انتصف الليل	٤	٢٩٨
من يرد الله به خيراً	١٠	١٠٤	التي ﷺ كان يصلي التطوع وهو راكب	٤	١٨٩
من يرد الله به خيراً	١٠	٢٦	نبي مكلم	١	٢٠
من يشتره مني	٧	٦٥٧	نبي مكلم	١٠	٣٥٣
من يشتره مني؟	٩	٣٦١	نجر خشية فجعل	٧	٧١١
من يضمن لي ما بين لحيه	٧٠	٣٦٧	نحر النبي ﷺ بيده سبع بدن قياماً	٥	٤٣٢
من يضيف هذا	٦	٦٤٧	نحن الآخرون الأولون يوم القيامة	١٠	٤٠٨
من يقل علي ما لم أقل فليتبوأ	١	٢٨٥	نحن الآخرون السابقون يوم القيامة	١٠	٤٨١
من يقيم ليلة القدر	١	١٠٤	نحن الآخرون السابقون يوم القيامة	٣	٤٥٥
مناديل سعد بن معاذ في الجنة	٧	٥٠٢	نحن الآخرون السابقون يوم القيامة	٣	٤٨٧
منزلنا غداً - إن شاء الله - بخيف بني			نحن الآخرون السابقون يوم القيامة	٧	٥٣٦
كنانة	٥	٢٩٠	نحن الآخرون السابقون يوم القيامة	٩	٢٥٠
منكم أحد أمره أن يحمل عليها أو أشار			نحن الآخرون السابقون	١	٥٩٥
إليها؟	٥	٥٦٨	نحن الآخرون السابقون	٩	٤٦٨
منهومان لا يشيعان؛ منهوم في علم لا يشيع	٩	٤٥١	نحن نازلون غداً بخيف بني كنانة حيث		
مه عليكم بما تطيقون	١	١٢٤	تقاسموا	٥	٢٩٢
مه، عليكم ما تطيقون من الأعمال	٤	٢٤٢	نخرج الحيف، فيكن خلف الناس		
المهاجر من هجر	٧	٦٠٩	فيكن	٣	٦٣٩
مهل أهل المدينة ذو الحليفة	٥	١٨٨	نزل بها رسول الله ﷺ وعمر وابن عمر	٥	٤٩٢
مهلاً يا عائشة، عليك بالرفق	٧٠	٢٦٨	نزلت آية ولا تجهر بصلاتك... (من قول		
مهميم يا عبد الرحمن	٦	١٤٨	عائشة)	١٠	٥٢٦
موضع سوط في الجنة	٧	٢٨٧	نزلت علي النبي ﷺ وهو قائم	١	١٣٢
مولي القوم من أنفسهم	٩	٧٨	نزلت هذه الآية فينا... (من قول البراء)	٥	٥٣٧
الميت يعذب بكاء الحي عليه	٤	٤٦٢	نساء كاسيات عاريات	٧	٥٧٩
الميت يعذب في قبره بما نبح عليه	٤	٤٦٢	نصرت بالرعب	١٠	٥٤
ن عبداً أصاب ذنباً	١٠	٤٨٧	نصرت بالصبا وأهلك عا د بالدبور	٣	٥٩٥
نؤتي بالشارب علي عهد رسول الله ﷺ	٩	١٠٣	نصرت بالصبا وأهلك عا د بالدبور	٤	١٠٠
نافر طكم علي الحوض	٧	٥١٧	نضر الله امرأ سمع مني حديثاً	١٠	٢٧
الناتحة إذا لم تب	٩	٦٥٧	النظر إلى وجه الله	١٠	٤٠٢
نادت امرأة ابنها وهو في صومعة	٤	٣١٨	النظرة الأولى لك	٧	٦٧٥
الناس دناء، والأنصار شعار	٧	٥٥٤	نظرت إلى خاتم النبوة بين كتفيه	١	٥٢١
الناس شركاء في ثلاث: الماء والكلال والنار	٩	٢٣٦	نعم... لمن سأل عن الصدقة عن الميت	١	٣٧٩
ناس من أمتي عرضوا علي غزاة في سيل الله	٩	٤٤٧	نعم إذا رأيت الماء	٢	٢٣



الجزء	الصفحة	طرف الحديث	الجزء	الصفحة	طرف الحديث
٩	٦٥٧	نهانا عن النباحة	٤	٢١٥	نعم الرجل عبد الله لو كان يصلي من الليل
٧	٥٢٠	نهانا عن سبع	٤	٢٤٦	نعم الرجل عبد الله
٣	٥١٣	نهى النبي ﷺ عن الصلاة عند قيام الشمس	٦	١٩٢	نعم الرضاة تحرم ما تحرم الولادة
٧	٧٨٧	نهى ﷺ عن إضاعة المال	٢	٢٦	نعم النساء نساء الأنصار... (من قول عائشة)
٢	٥٥٢	نهى النبي ﷺ عن الصلاة بعد الصبح حتى تشرق	٥	٣١٠	نعم بين العمودين البياتين... (من قول بلال)
٣	٥٥٠	نهى النبي ﷺ عن صوم يوم عرفة بعرفة	٥	٦١٤	نعم حجي عنها
٤	٤٤	نهى النبي ﷺ أن تشبه الوتر بصلاة المغرب	٧	٣٣٦	نعم ما من مسلم يصيبه أذى
٩	١٥٠	نهى النبي ﷺ أن تقام الحدود في المساجد	٣	٦١٤	نعم ولن تجزي عن أحد بعدك
٦	٢٣٢	نهى النبي ﷺ أن تتكح المرأة على عمتها	٥	١٦٣	نعم... (في الحج عن الكبير)
٦	٢٩٠	نهى النبي ﷺ أن يبيع بعضهم على بيع بعض	٥	٦١٨، ٦١٦	نعم... (في الحج عن الكبير)
٧	٥١٦	نهى النبي ﷺ أن يتزعر الرجل	٢	٣٦	نعم، إذا توضع أحدكم فليرقد وهو جنب
٤	٥٨٤	نهى النبي ﷺ أن يجلس على القبر	١	٦١٣	نعم، إذا توضعاً
٥	٥٣٦	نهى النبي ﷺ أن يترك أهله ليلاً	٢	٣٨	نعم، إذا توضعاً
٣	٥١٣	نهى النبي ﷺ أن يقيم الرجل أخاه من مقعده ويجلس	٩	٥٥٨	نعم، إذا ذكر الخبث
٧	٥١٧	نهى النبي ﷺ أن يلبس المحرم ثوباً مصبوغاً بورد	٧	٦٤٧	نعم، فإني أحب أن أسمع من غيري
١	٣٦٥	نهى النبي ﷺ عن إضاعة المال	٥	١٥٣	نعم، ولك أجر
٤	٥٢٤	نهى النبي ﷺ عن البناء على القبور	٢	٣٥	نعم، ويتوضأ... (من قول عائشة)
٤	٤٠٦	نهى النبي ﷺ عن الدفن ليلاً	٣	٥٤٣	نعمت البدعة هذه... (من قول عمر)
٦	٢٣٢	نهى النبي ﷺ عن الشغار	٥	٦	نعمت البدعة هذه... (من قول عمر)
١	١٨٨	نهى النبي ﷺ عن الصلاة في أعطان الإبل	٧	٢٨٣	نعمتان مغبون فيهما
٧	٤٨٦	نهى النبي ﷺ عن الملامسة والمناذبة	٤	٥٢٦	نعم النبي ﷺ النجاشي في اليوم الذي مات فيه
٧	٦٢٠	نهى النبي ﷺ عن الثمر	٤	٥٠٦	نعم النبي ﷺ إلى أصحابه النجاشي
٤	٥١٦	نهى النبي ﷺ عن الوطء على القبر	٤	٣٩٨	نعم رسول الله ﷺ النجاشي في اليوم الذي مات فيه
٥	١٠٥	نهى النبي ﷺ عن بيع الثمار حتى يبدو صلاحها	٩	٣٩٩	نعم من قدر الله إلى قدر الله
٥	١٠٥	نهى النبي ﷺ عن بيع الثمرة حتى يبدو صلاحها	٦	١٨٢	نعم أنا شافع
٢	٥٥٩	نهى النبي ﷺ عن بيع الغرر	١٠	٤٦٢	نزل غداً إن شاء الله
٩	٧١	نهى النبي ﷺ عن بيع الولاء	٧	٥٠٤	نهانا النبي ﷺ أن تشرب في آية الذهب
			٧	٥٠٥	نهانا النبي ﷺ عن المياثر الحمر
			٧	٥٣٣	نهانا النبي ﷺ عن سبع
					نهانا رسول الله ﷺ أن نستنجي بأقل من ثلاثة
			١	٤٢٢	

طرف الحديث	الجزء	الصفحة	طرف الحديث	الجزء	الصفحة
نهى النبي ﷺ عن ثمن الكلب وحلوان	٦	٦٢٥	نهينا عن اتباع الجنائز، ولم يعزم علينا	٢	٢٠٨
نهى النبي ﷺ عن ثمن الكلب	٧	٤٢٩	نهينا عن اتباع الجنائز، ولم يعزم علينا	٤	٤٤٤
نهى النبي ﷺ عن خاتم الذهب	٧	٥٣٥	نهينا عن التكلف... (من قول عمر)	١٠	٧٥
نهى النبي ﷺ عن كسب الإمام	٦	٦٣٠	نورأى أراه	١٠	٢٣٨
نهى النبي ﷺ عن كل ذي مخلب	٧	٧٨٤	ها... للحلاق	١	٤٥٥
نهى النبي ﷺ عن لبستين، وعن بيعتين	٧	٧٦٢	هات، فقد بلغت محلها	٥	٤٣
نهى النبي ﷺ ولا تمس طيباً إلا أدنى	٦	٦٢١	هاتان السجدتان لمن لا يدري	٧	٥٨٣
نهى النبي ﷺ عن الاستنجاء باليمين	٢	٤٦٦	هاجر إبراهيم بسارة، دخل بها قرية	٩	٣٦٤
نهى أن ييزق الرجل بين يديه أو عن يمينه	٢	٢٩١	هبلت أجنة واحدة هي	٧	٤٩٥
نهى أن يبيع الرجل على بيع أخيه	٦	٢٩١	هبي نفسك لي	٦	٤٨١
نهى أن يتوضأ الرجل بفضل وضوء المرأة	١	٥٢٦	هجر النبي ﷺ كعب بن مالك	٧	٦٦٩
نهى أن يصلي الرجل مختصراً.. (من قول أبي هريرة)	٤	٣٣٧	هذا العمال غلول	٧	٥٤٧
نهى أن يصلى إلى القبور	٢	٣٠٩	هذا أثبتتم عليه خيراً فوجبت له الجنة	٤	٥٩٣
نهى رسول الله ﷺ أن تنكح المرأة على عمتها	٦	٢٣١	هذا الأمل وهذا أجله	٧	٢٩٠
نهى رسول الله ﷺ عن الشغار	٩	٣٨٠	هذا الإنسان، وهذا أجله محيط به	٧	٢٩٠
نهى رسول الله ﷺ عن الوشم	٧	٤١٥	هذا أمر كتبه الله على بنات آدم	٢	١٥٥
نهى رسول الله ﷺ عن الوصال	٩	١٩٦	هذا اليسر	١٠	٣٢٧
نهى رسول الله ﷺ عن لبستين وعن بيعتين	٧	٤٨٨	هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم	٢	٢٧
نهى رسول الله ﷺ عن لبستين	٧	٤٨٩	هذا جبريل أتاكم يعلمكم	١	١٤٢
نهى رسول الله ﷺ عن متعة النساء يوم خير	٩	٣٨١	هذا جبريل جاء يعلم الناس دينهم	١	١٤٤
نهى عن الترجل إلا غبا	١	٤٤٣	هذا جبريل جاء يعلم الناس دينهم	٤	٥٣٩
نهى عن التعذيب بالنار	٥	١٣٨	هذا جبل يحبنا ونحبه	١٠	١٣٤
نهى عن الخصر في الصلاة.. (من قول أبي هريرة)	٤	٣٣٧	هذا جبل يحبنا ونحبه	٧	٢٢٤
نهى عن المتعة	٦	٢٤٣	هذا جبل يحبنا ونحبه	٧	٢٢٦
نهى عن الملازمة والمنازمة	٧	٤٨٨	هذا خالي فليرني امرؤ خاله	٣	٢٣٩
نهى عن بيع أمهات الأولاد	٦	٢٧٢	هذا خير من ملء الأرض مثل هذا	٦	١٧٣
نهى عن قتل الكلاب	١	٤٥٨	هذا خير من ملء الأرض	٧	٣٢٤
نهى نبي الله ﷺ عن لبس الحرير	٣	٤٧٢	هذا شيء كتبه الله على بنات آدم	٩	٦٧٧
نهينا أن نحد أكثر من ثلاث إلا بزوج	٤	٤٤٧	هذا عرق	٢	٢٣٨
نهينا أن نحد أكثر من ثلاث إلا بزوج	٦	٦٢٠	هذا عيدنا أهل الإسلام	٤	٢٨

هذا في البيعة التي تكون... (من قول عائشة)

هذا كهذا الشعر... (من قول ابن مسعود)

هذا لك وعشرة أمثاله

هذا مقام الذي أنزلت عليه سورة البقرة



الجزء	الصفحة	طرف الحديث	الجزء	الصفحة	طرف الحديث
٥١٨	٦	هل أنتم إلا عبيد لأبي... (من قول حمزة).....	٤٧٤	٥	.....
٥٢٥	٦	هل بك جنون؟ هل أحصنت؟.....	٤٧٧	٥	هذا مقام الذي أنزلت عليه سورة البقرة..
٥٢٦	٦	هل بك جنون؟.....			هذا من كيس أبي هريرة... (من قول أبي
١٢٠	٦	هل بلغت؟.....	٦٤٥	٦	هريرة).....
١٥٢	٩	هل تجد رقبة؟.....	٣٨٥	٥	هذا والله من الحمس... (من قول جبير)
٤٤	١٠	هل تدرون ما الإيمان بالله؟.....	٤٦٤	٥	هذا يوم الحج الأكبر.....
٤٨٦	١٠	هل تدرون ماذا قال ربكم.....	٤٩٢	٧	هذه أختي.....
٣٩٩	٧	هل تدري ما حق الله على عباده.....	٣٦٧	٩	هذه أختي.....
٦٣٣	٧	هل تدري ما حق الله على عباده.....	٢٦٤	٦	هذه الأقدام بعضها من بعض.....
٢٢١	٣	هل ترون قبلي ما هنا.....			هذه الآيات التي يرسل الله لا تكون
٢٩٤	٢	هل ترون قبلي ما هنا؟.....	١٤٣	٤	لموت أحد.....
		هل ترون ما أرى؟ إني لأرى مواقع	٢٦٩	٢	هذه القبلة.....
٦٦٥	٥	الفتن.....	٦٣٧	٥	هذه ثم ظهور الحصر.....
٤٩٥	٩	هل ترون ما أرى؟.....	٦٢٣	٥	هذه ثم لزوم الحصر.....
٣٨٧	٢	هل تسمع النداء بالصلاة؟.....	٤٨٢	١٠	هذه خديجة أتت بإناء فيه طعام.....
٥٨	٣	هل تسمع النداء بالصلاة؟.....	٤٥٥	٤	هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده.....
٩٥	٣	هل تسمع النداء؟.....	٥٦٨	٧	هذه رحمة يضعها الله.....
٤٩٨	٧	هل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب.....	١٤٢	٦	هذه زوجة النبي ﷺ فإذا رفعتكم نعتها.....
٤٠٥	١٠	هل تضارون في القمر ليلة البدر.....			هذه صلاة رسول الله ﷺ التي كنا نصلي
٤٠٨	١٠	هل تضارون في رؤية الشمس والقمر.....	٤٩٢	٢	معه.....
٣٢٩	٣	هل تهاون.....	٦٥٦	٥	هذه طابة.....
٤٧٩	٩	هل رأى أحد منكم من رؤيا؟.....	٣٥٥	٥	هذه مكان عمرتك.....
٤٠٦	١٠	هل رأيتم السعدان؟.....	٢٥٩	٩	هذه وهذه سواء يعني الخنصر والإبهام.....
١٤١	٩	هل رجم رسول الله ﷺ؟.....			هريقوا علي من سبع قرب لم تحلل
٦٦	٦	هل ظلمتكم شيئا؟.....	٥٣١	١	أوكيتهن.....
٢٧٧	٦	هل عندك من شيء تصدقها.....			هريقوا علي من سبع قرب لم تحلل
٨٣	٦	هل عندك من شيء.....	٣٨٦	٧	أوكيتهن.....
٣١٠	٦	هل عندك من شيء؟.....			هزم المشركون يوم أحد هزيمة... (من قول
١١٤	٥	هل عندكم شيء؟.....	٥٨١	٧	عائشة).....
٥٤٤	٤	هل فيكم من أحد لم يقارف الليلة؟.....	٤٧٩	٥	هكذا رأيت النبي ﷺ يفعل.....
١٠٧	١٠	هل لك من ليل.....	٤٧٩	٥	هكذا رأيت رسول الله ﷺ يفعل.....
٥٨٠	٦	هل لك من ليل؟.....			هكذا رمى الذي أنزلت عليه سورة
١٩٢	٩	هل لك من ليل؟.....	٤٧٦	٥	البقرة.....
٢٤١	٥	هل معك من هدي؟.....	٥٢٣	١	هكذا وضوء رسول الله ﷺ.....
٤٥٧	٤	هل منكم رجل لم يقارف الليلة؟.....	٣٢٧	٦	هل اتخذتم أناطاً؟.....
٧٢	١٠	هل يكب الناس في النار على وجوههم.....	٦٢٧	١	هل أنتم إلا عبيد لأبي... (من قول حمزة).....

الصفحة	الجزء	طرف الحديث	الصفحة	الجزء	طرف الحديث
٥٦٣	٥	هو الطهور ماؤه، الحل ميتته	١٠٩	٥	هلا انتفعتم بجلدها؟
٥٤٥	٩	هو أهون على الله من ذلك	٣٠٣	٦	هلا بعثتم معها من يغني فإن الأنصار
٧٢	٩	هو أولى الناس بمحياه ومماته	١٤٤	٩	هلا تركموه يتوب فيتوب الله عليه
٧٣	٩	هو أولى الناس بمحياه ومماته	٦٣	٩	هلا تركموه يتوب، فيتوب الله عليه
٦٥٤	٩	هو صغير	٥٦٧	٤	هلا تزوجت بكراً
١٠٩	٥	هو عليها صدقة ولنا هدية	١٥٥	٦	هلا جارية تلاعبها وتلاعبك
١٨١	٦	هو عليها صدقة ولنا هدية	٢٥٠	٧	هلا جارية تلاعبها وتلاعبك
١١٤	٥	هو عليها صدقة، وهو لنا هدية	١٥	١٠	هلك المتطعون
٣٦١	١٠	هو في ضحاح	٢٦٧	١٠	هلك المتطعون
١٤٧	٩	هو لك يا عبد بن زمعة، الولد للفراش	٣٨١	١٠	هلك المتطعون
٥٧	٩	هو لك يا عبد بن زمعة، الولد للفراش	٧٦	١٠	هلك المتطعون
٨٤	٩	هو لك يا عبد بن زمعة، الولد للفراش	٥٤٠	٧	هلك كسرى، ثم لا يكون كسرى بعده
٥٤٣	٦	هو لها صدقة ولنا هدية	٤٩٣	٩	هلكة أمتي على يدي غلمة من قريش
٦٧	٩	هو لها صدقة ولنا هدية	٦٥٠، ٦٤٨	٧	هلكت يا رسول الله
٤٩	٦	هو لها صدقة، ولنا منها هدية	١٠٠	٩	هلكت يا رسول الله
١١١	٥	هو لها صدقة، ولنا هدية	٣٣٦	٧	هلم أكتب لكم كتاباً لا تفصلوا بعده
٦٤	٩	هو لها صدقة، ولنا هدية	١٨٢	١٠	هلم أكتب لكم كتاباً لن تفصلوا
٢٧٣	٣	هي السبع الثماني	٦٠٥	٧	هلمي يا أم سليم ما عندك
		هي المرأة تكون عند الرجل... (من قول عائشة)	٥٤٧	٧	هم الأخسرون ورب الكعبة
٤٢٧	٦	هي النخلة	٢٧٣	٧	هم الجلساء لا يشقى بهم جليسهم
١٨٤	١	هي النخلة	٤٢٣	٧	هم الذين لا يتطيرون، ولا يسترقون
٢١٨	١	هي النخلة	٤١٤	٧	هم الذين لا يسترقون
٣٥٥	١	هي النخلة	٣٧٧	٧	هم الذين لا يسترقون، ولا يتطيرون
٤٩٩	٢	هي النظر إلى وجه الله			هم شر الخلق والخلق، يقتلهم خير الخلق والخلق
		هي اليتيمة تكون عند الرجل... (من قول عائشة)	٣٣٥	٩	هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا
١٩١	٦	هي اليتيمة تكون في حجر الرجل... (من قول عائشة)	٥٠٦	٩	ممت أن لا أدع فيها صفراء ولا يضاء إلا قسمتها... (من قول عمر)
٢٧٠	٦	هي اليتيمة في حجر... (من قول عائشة)	٥٧	١٠	من لهن ولمن أتى عليهن
٣٩٢	٩	هي بضة مني يريها ما راني	٤٨٠	٧	هنا أبو طلحة؟
١١٣	٩	هي حرام إلى يوم القيامة	٤٥٥	١	هو أحد المتصدقين
٢٤٦	٦	هي علي ومثلها	٢٢	٥	هو اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد
٨٢، ٧٩	٥	هي لهم في الدنيا، ولكم في الآخرة	٢٣٢، ٢٢٢	٣	هو إذنه
٤٩٧	٧	هي من فيح جهنم	٦٧٩	٧	هو الطهور ماؤه الحل ميتته
٥٠٥	٧	ويوتهن خير لهن	٣٦١	١	هو الطهور ماؤه الحل ميتته
٤٦٠	٢	ولكن من غائط، وونوم، وبول... (من	٣٩٣	٦	هو الطهور ماؤه الحل ميتته



طرف الحديث	الجزء	الصفحة	طرف الحديث	الجزء	الصفحة
قول صفوان بن العسال).....	١	٥٤٠	والذي نفسي بيده إنها لتعدل ثلث		
وأبيض يستسقى الغمام بوجهه... (من)			القرآن.....	٦	٥٨٠
قول ابن عمر).....	٤	٧١	والذي نفسي بيده إنها لتعدل ثلث القرآن.....	٧	٥٥٣
وأتبع أصحاب القليب لعنة.....	٢٠	٤٣٨	والذي نفسي بيده إنهم خير منهم.....	٧	٥٤٥
واتق دعوة المظلوم.....	٥	١١٥	والذي نفسي بيده إني لأطعم أن.....	٧	٤٤٣
واختصر لي الكلام اختصارًا.....	٩	٤٤٤	والذي نفسي بيده لأقضي بينكما بكتاب الله.....	١٠	٤١
وأخر ذلك نار تخرج من قعر عدن.....	٧	٤٣٤	والذي نفسي بيده لأقضي بينكما بكتاب الله.....	٩	٢٠٧ ١٧٩ ١٥٥
وإذا شك أحدكم في صلاته فليتحجر			والذي نفسي بيده لأن يأخذ أحدكم		
الصواب.....	٢٠	٢٧٧	حبله.....	٥	٨٤
وإذا صلى قاعدًا فصلوا قعودًا.....	٣	٩٦	والذي نفسي بيده لتفقد كنوزهما.....	٧	٥٣٩
وإذا ظننت فلا تحقق.....	٦	٢٩٢	والذي نفسي بيده لقد عرضت.....	١٠	٧٦
وإذا قال: سمع الله لمن حمده.....	٣	٣٢٣	والذي نفسي بيده لقد هممت أن آمر بحطب.....	٩	٦٦٥
وإذا وقع بأرض وأنتم بها.....	٧	٤٠٤	والذي نفسي بيده لقد هممت.....	٣	٦٠
وأرجو أن أكون أنا هو.....	٢	٦٣٥	والذي نفسي بيده لمناديل سعد.....	٧	٥٤٩
وأشد الناس عذابًا يوم القيامة.....	٧	٦٢٠	والذي نفسي بيده لو أن موسى.....	١٠	٥٥٧
واشف أنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك.....	١٠	٢٣١	والذي نفسي بيده لو أن رجالًا لكرهون.....	٩	٦٧١
واشف أنت الشافي.....	١٠	٢٢٠	والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن		
واصنع في عمرتك كما تصنع في حجك.....	٥	٥٢٢	مريم.....	٩	٦٧٢
واعجبًا لك يا ابن عباس هما عائشة،			والذي نفسي بيده.....	١٠	٢٩٧
وحفصة... (من قول عمر).....	٦	٣٨٨	والذي نفسي بيده.....	٧	٥٣٨
واعلم أن الأمة لو اجتمعوا.....	٣	٤٠٩	والذي نفسي بيده، إنكم لأحب.....	٧	٥٥٤
واعلم أن النصر مع الصبر.....	٦	١٥٢	والذي نفسي بيده، وددت أني أقاتل في سبيل		
واعلموا أنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا.....	١٠	٢٣٨	الله.....	٩	٦٧١
وافعل ذلك في صلاتك كلها.....	٣	٢٥١	والذي يقرأ القرآن ويتبع فيه.....	١٠	٥٤٥
وافقت ربي في ثلاث... (قول عمر).....	٧	٣٠٦	والله إنكم لأحب الناس إلي.....	٦	٤٥٨
وافقت ربي في ثلاث... (من قول عمر).....	٢	٢٨٠	والله إنني لأعرف مما هو... (من قول		
والتنازع الأمر أهله.....	٩	٦٤٩	سهل في منبر رسول الله ﷺ).....	٣	٥٢٩
والبيوت يومئذ ليس فيها مصابيح.....	٢	٢٥٨	والله إني لأستغفر الله.....	٧	١٤٥٠
والخيل في نواصيها الخير.....	٧	٧٩٣	والله لا أحلف على يمين.....	٧	٥٥٧
والذي بعثك بالحق لا أعلم أهل بيت			والله لا أحلحكم على شيء.....	٧	٥٩٥
أفقر مني.....	٣	٣٣٩	والله لا أحلحكم وما عندي ما أحلحكم عليه.....	٧	٦٦٦
والذي فلق الحبة وبرأ النسمة... (من قول			والله لا أحلحكم.....	٧	٥٥٧
علي).....	٩	٢٨٣	والله لا ألبسه أبدًا.....	٧	٥٦٠
والذي نفس محمد بيده لتفقد كنوزهما.....	٧	٥٣٩	والله لا أنفق على مسطح شيئًا... (من قول		
والذي نفس محمد بيده لو تعلمون.....	٧	٥٤٧	أبي بكر).....	٧	٥٩٥
والذي نفس محمد بيده.....	٧	٥٣٨	والله لا أحلحكم.....	١٠	٥٦٢

والله ما مست يد رسول الله ﷺ يد امرأة	٧	٥٣٥	والله لا أحلكم	٧	٥٣٥
قط	٦	٥٥٤	والله لا أفصح قومي سائر اليوم	٩	٥٥
والله، إن شاء الله لا أحلف على يمين	٧	٥٩٦	والله لا تجتمع بنت عدو الله	٦	٣١٣
والله، إني لأعلم أنك حجر لا	٥	١٥٨	والله لا يجمع الله عليك موتتين... (من)	٤	٣٩٢
تضر... (من قول عمر)	٢	٤١١	والله لأطوفن الليلة على تسعين امرأة	٧	٦٦٣
والمنعرب إذا وجبت	٥	٤٥٢	والله لأطوفن الليلة على تسعين... (من)	٥	٥٩٤
والمقصرين	١	١٦٩	قول سليمان	٩	٦١
والنصح لكل مسلم	٩	٦٥١	والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة...	١٠	٦١
والنصح لكل مسلم	٣	٤٥٧	(من قول أبي بكر)	٤	٦١٠
والوضوء أيضًا، وقد علمت أن رسول	٥	٧٨	والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة	٩	٣٢٤
الله ﷺ	٥	٤٧	والزكاة... (من قول أبي بكر)	٧	٥٣٦
وأما خالد فإنكم تظلمون خالدًا	٧	٢١١	والله لأقاتلن من فرق بين...	٦	٣٩
وأما خالد فقد احتسب أذراعه	٣	٥٤٧	والله لو تعلمون ما أعلم	٧	٤٩٢
وإن أردت بعبادك فتنة	٧	٧٩٥	والله لو لم تكن في حجري ما حلت لي	٥	٦١
وأن ترى الحفاة العراة	٣	٥٤٧	والله لو منعوني عناقًا كانوا يؤدونها	٣	٥٤
وأن تمنعوني مما تمنعون	٤	٣٧٤	والله ليضمن الله هذا الأمر حتى تسير	٤	٤٦٩
وإن زني وإن سرق	٧	٤٩٤	والله ليضمن الله هذا الأمر حتى تسير الطعنة	٩	١٣٥
وإن زني وإن سرق	٦	٥٤٥	والله ما أخاف عليكم أن تشركوا بعدي؟	٤	٥٥٤
وأن عيسى عبد الله ورسوله	٣	٥٨٥	والله ما أدري وأنا رسول الله ما يفعل بي ولا	٩	٤٦٠
وإن كانوا أكثر من ذلك فليصلوا قيامًا	١	٤٨٠	بكم	٤	٣٩٥
وركيانًا	٤	٢٤٤	والله ما أدري وأنا رسول الله ماذا يفعل بي؟	٩	٤٤٩
وإن لم ينزل	٦	١٨٦	والله ما الفقر أخشى عليكم	٧	٢٣٣
وإن لنفسك حقًا ولأهلك حقًا	١٠	١٥٣	والله ما الفقر أخشى عليكم	٧	٥١٤
وأنا أكل اللحم	٣	٤٢	والله ما تعطينا الجزل... (من قول عينة بن	١٠	٦٣
وأنا أرمكم بخمس أمرني الله بهن	٦	٩٦	حصن لعمر)	٢	٥٨٤
وإنما إن شاء الله بكم لاحقون	٣	٥٩٢	والله ما صليتها	٣	٥٤
وأنا على حمار أتان وقد ناهزت الاحتلام	١٠	٢٣٦	والله ما صليتها		
وأنا والله ما صليتها بعد	٢	٤٣			
وأنت الباطن فليس دونك شيء	٧	٤٤٨			
وإنما الهاء من الباء	٧	٥١٦			
وإنما أمي جزء من ألف جزء	٧	٥٣٥			
وإني لأرى حوضي الآن	٧	٥٦٩			
وإني والله - إن شاء الله - لا أحلف	٧	٥٥١			
وأهل النار كل جوارح عتل مستكبر	٧	١٦٨			
وأيضًا والذي نفس محمد بيده	٧				
وأيكم يملك إربه	٢				



الصفحة	الجزء	طرف الحديث	الصفحة	الجزء	طرف الحديث
٣٦٠	١	وقت النبي ﷺ لأهل العراق	٥٣٧	٧	وايم الله، إن كان لخليفًا للإمارة...
١٨٤	٥	وقت رسول الله ﷺ لأهل المدينة ذا الحليفة	٢٤٤	١٠	وبنيك الذي أرسلت
١٨٩	٥	وقت لأهل المدينة ذا الحليفة	١٧٧	٢	وبوتن خير لهن...
٥٦٦	٧	وقت لنا ألا نترك فوق أربعين	٢٣٠	٦	وتحسين؟
١٨٢	١٠	وقد تركت فيكم ما إن تمسكتم به	٥٧٨	١	وتر النهار
٦٥٢	٨	وقعت على امرأتي في رمضان يا رسول الله	٤٥٢	٦	وترى الرجل الواحد يتبعه أربعون امرأة
٤٦١	٥	وقف رسول الله ﷺ على ناقته	٤٥٠	٧	وتضع الحوامل ما في بطونها...
٥٧٧	٥	وقيت شركم، كما وقيت شركها	٥٩٣	٤	وجبت...
٤٥٤	١٠	وكان الإنسان أكثر شيء جدلاً	١٢	٦	وجدت آخر سورة التوبة... (من قول زيد بن ثابت)
٤٠	١٠	وكان رجل من الأنصار إذا غاب عن رسول الله	٥٩٧	٤	وجدتم ما وعد ربكم حقاً
٣٩٧	٧	وكان رسول الله ﷺ يأمرنا أن نردها	٤٧٤	١	وجرحه شعب دمًا... (يعني عمر)
٣٣٧	٧	وكانوا يمنحون رسول الله ﷺ من أيامهم	١٦٤	٢	وجعلت تربتها لنا طهوراً
٢٥٤	١٠	وكلنا يديه يمين	٤٨٧	٧	وحين تضيف الشمس للغروب
٤٤٤	٦	وكنتم أنقل النوى من الأرض... (من قول أسياء)	٥٢٨	١٠	ورجل يقول: لو أوتيت
٦٦٠	٧	الولاء لمن أعتق	٣٤٦	٢	ورسول الله ﷺ يسترنى بردائه
٤٣٥	٥	ولا أعطي عليها شيئاً في جزائها	٥٤٥	١٠	وزينوا القرآن بأصواتكم
٣٦٤	١	ولا الخفاف	٢٠١	٣	وسطوا الإمام وسدوا الخلل
٥٢٦	١٠	ولا تجهر بصلاتك	٣٢	٣	وصلوا كما رأيتموني أصلي
٣٦٢	١	ولا تخمروا رأسه فإنه يبعث يوم القيامة ملبياً	١	٢	وضعت لرسول الله ﷺ غسلاً
٢٤٢	١	ولا حرج	١٤	٢	وضعت للنبي ﷺ غسلاً
٣٤٧	٧	ولا يتمنين أحدكم الموت	٦٣٥	١	وضعت للنبي ﷺ ماء للغسل
٥٢	٥	ولا يجمع بين مفرق ولا يفرق	٢٢٦	٧	وضلع الدين، وغلبة الرجال
٣٧٧	٩	ولا يجمع بين مفرق، ولا يفرق بين مجتمع	٤٧٢	٧	وعندي ربي أن يدخل الجنة من أمي سبعين ألفاً
٦٠	٥	ولا يخرج في الصدقة حرمة	٤٧٠	٧	وعندي ربي أن يدخل الجنة من أمي سبعين
٤٠٣	١	ولا يخلون رجل بامرأة؛ فإن ثالثهما الشيطان	٢٥٧	١٠	وعزتك لا غنى لي عن ربك ش...
٣٩٩	١٠	ولا يصعد إلى الله إلا الطيب	٢٤	٣	وعلموهم وأدبوهم وصلوا كما رأيتموني أصلي
٢٧٩	١	ولا يعصّد شوكتها	٢٠١	١	وفروا للحى
٦٥٢	٥	الولاء لحمة كل لحمه النسب	٤٧٧	١٠	وفي بضع أحدكم صدقة
٣٤٨	٢	الولاء لمن أعتق	٥٣٩	٢	وفي بضع أحدكم صدقة
١٨١	٦	الولاء لمن أعتق	٥٧٨	٦	وفي كل دور الأنصار خير
٥٣٧	٦	الولاء لمن أعتق	٥٤٤	٢	وقت العصر ما لم تصفر الشمس
			١٤٣	١٠	وقت النبي ﷺ قرناً لأهل نجد... (من قول ابن عمر)

الجزء	الصفحة	طرف الحديث	الجزء	الصفحة	طرف الحديث
٦	٢٤٨	منه.....	٦	٥٣٨	الولاء لمن أعتق.....
١٠	٣٥	وما ذاك.....	٩	٦٤	الولاء لمن أعتق.....
٢	٢٧٦	وما ذاك؟.....	٩	٧٧، ٧٢، ٦٦، ٦٥	الولاء لمن أعتق.....
٢	٢٨٤	وما ذاك؟... (لما قيل أزيد في الصلاة).....	٩	٧٣	الولاء لمن أعتق.....
٥	٢٤٧	وما طفت ليالي قدمنا مكة؟.....	٩	٧٢	الولاء لمن أعطى الورق.....
٣	٤٥	وما فاتكم فاقضوا.....	٩	٧٧	الولاء لمن أعطى الورق.....
		وما فينا صائم إلا رسول الله ﷺ وعبد	٧	٤١٤	ولا يكتون.....
٢	١٧٥	الله بن راحة.....	٧	٤١١	ولتقوم الساعة وقد نشر الرجлан.....
١٠	٤٩١	وما قدروا الله حق قدره.....	٩	٦٠	الولد لصاحب الفراش.....
٥	٥٤	وما كان من خليطين فإنها.....	٦	٢٠٢	الولد للفراش وللعاهر الحجر.....
٦	٤٦	وما كان يدريه أنها رقية.....	٦	٥٨١	الولد للفراش وللعاهر الحجر.....
١٠	٥١٦	وما كنتم تستترون.....	٩	٦٢٤	الولد للفراش وللعاهر الحجر.....
		وما لي لا ألعن من لعن رسول الله...	٩	١٤٧	الولد للفراش، وللعاهر الحجر.....
٧	٦٠١	(من قول عبد الله).....	٦	٤٢٣	ولكنم عليهن أن لا يوطئن فرشكم.....
٤	٩٩	وما يؤمنني أن يكون فيه عذاب.....	١	٥٤٠	ولكن من غائط، ونوم، ويول.....
٩	٤٤٨	وما يدريك أن الله أكرم؟.....	٦	٦١٢	ولم يرها شيئاً.....
٤	٣٩٥	وما يدريك أن الله قد أكرم؟.....			ولما تلذذتم بالنساء على الفراش،
٧	٤٢٠	وما يدريك أنها رقية؟.....	٤	١٢٦	ولخر جثم إلى الصدعات.....
٩	٤٦٠	وما يدريك؟.....	٣	٦٣١	ولن تجزي جذعة عن أحد بعدك.....
		وما يسرنى تلك الصلاة... (من قول			ولو استزده لزادني... (من قول ابن
٣	٥٨٦	أنس).....	٢	٤٥٧	مسعود).....
٧	٤٦٣	وما يغني عنه قميصي من الله.....	٦	٥٨٤	ولو بأن تختله.....
١٠	٣٣٦	ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي.....	٣	٧٠	ولو يعلمون ما في التهجير لاستبقوا إليه.....
١٠	٣٣٦	ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي.....	٣	١٩٠	ولو يعلمون ما في التهجير لاستبقوا.....
١٠	٥٦٥	ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي.....			ولولا أن النبي ﷺ غانا أن ندعو
٦	٦٢٨	ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي.....	٧	٣٤٠	بالموت لدعوت به.....
		ومن أظلم ممن ذهب يخلق			ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من
١٠	٣٤٠	كخلقي... (قديمي).....	٢	٦٣٨	النار.....
٧	٦٢٥	ومن أظلم ممن ذهب يخلق.....	٧	٤٨٦	ولولا أنا لكان في الدرك.....
		ومن بلغت صدقته بنت مخاض وليست	١	٦١١	وليؤمكم أكبركم.....
٥	٥١	عنده.....	٣	٢٨	وليؤمكم أكبركم.....
١٠	٦	ومن توفيته منا قوفه.....	١٠	٣١	وليتابعه من سمعه.....
٧	٥٦٢	ومن قتل نفسه بشيء.....	٥	٦٠٥	وليقطعها حتى يكون أسفل من الكعيين.....
		ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم	٧	٤١٠	وما أدراك أنها رقية.....
٧	٣٧٠	ضيفه.....	١٠	٤٣٧	وما أوتوا من العلم إلا قليلاً.....
٧	٦٢١	ومن نذر أن يعصي الله.....			وما تصنع بإزارك، إن لبست لم يكن عليها



الجزء	الصفحة	طرف الحديث	الجزء	الصفحة	طرف الحديث
٢٨	٣	يؤمكم أقرأكم	٢٩٠	٥	وهل ترك عقيل من رباغ أو دور؟
٤٨٠	٦	يا أبا أسيد اكسها رازقيتين	١٦٦	٦	وهل عندك من شيء؟
٦١١	٣	يا أبا بكر، إن لكل قوم عيداً وهذا عيدنا	٢٥٣	٦	وهل عندك من شيء؟
٣٧٠	٢	يا أبا بكر، لا تبك، إن أمن الناس على	٣٤١	٢	ويح عمار تقتله الفئة الباغية
٣٩٣	١٠	يا أبا ذر هل تدري أين تذهب هذه؟			ويحك - أو هبلت - أوجنة واحدة هي جنان
٩٦	١	يا أبا ذر، أعبرت به أمه؟	٤٧٧	٧	كثيرة
٦٥٦	٥	يا أبا عمير ما فعل النغير؟	٤٠١	١٠	ويحك من يعدل إذا لم أعدل
٨	٢	يا أبا عمير، ما فعل النغير	٣١٣	٢	ويحك يا أنجشة
١١٠	٦	يا أبا موسى، لقد أوتيت مزماراً			ويحك، إن شأنها شديد، فهل لك من
١٥١	٦	يا أبا هريرة جف القلم بما أنت لاق	٥٦	٥	إبل
١٥٢	٦	يا أبا هريرة جف القلم	١١٧	١٠	ويد الله مع الجماعة
		يا ابن أخي هذه اليتيمة... (من قول	٤٣٧	١٠	ويسألونك عن الروح
		عائشة)	٨١	١٠	ويسألونك عن الروح
٢٨٦	٦	يا ابن أخي، إن هذه لو كانت كما أولتها	٣٦٨	٥	ويعتزل الحيض المصلى
		عليه كانت			ويكبر حين يقوم من الثنتين بعد
٣٦١	٥	يا آدم أخرج بعث النار	٣٠١	٣	الجلوس
٦٤٥	٩	يا آدم، فيقول: ليك وسعديك	١٧٨	١	ويل للأعقاب من النار
٤٤٠	١٠	يا آدم، فيقول: ليك وسعديك	٢٦٣	١	ويل للأعقاب من النار
٤٦٣	١٠	يا أم خالد هذا سنا	٣٦٥	١	ويل للأعقاب من النار
٥١٦	٧	يا أمة محمد ما أحد أغير من الله	٤٢٥	١	ويل للأعقاب من النار
٤٤٢	٦	يا أمة محمد، والله لو تعلمون ما أعلم	٤٥٢	٧	ويل للأعقاب من النار
٥٤٢	٧	يا أمة محمد، والله ما من أحد أغير من	٤٥٢	٧	ويل للأعقاب، ويطون الأقدام من النار
		الله	٣٣٨	٩	ويلك، من يعدل إذا لم أعدل؟
١٢٤	٤	يا أنيس اغد على امرأة هذا فارجمها	٣٣٧	٩	ويلك، ومن يعدل إذا لم أعدل؟
٦٤١	٩	يا أيها الناس إن منكم منفرين	٤٨٩	١٠	ويلهمني محامداً أحدهم بها
٥٨٥	٩	يا أيها الناس إنما ضل من قبلكم أنهم كانوا	٥٥٠	٥	يؤذيك هوامك؟
١١٤	٩	يا أيها الناس توبوا إلى الله	٢٢٩	١٠	يؤذني ابن آدم يسب الدهر
٦١٨	٧	يا أيها الناس ما لكم حين نابكم شيء	٤٧٥	١٠	يؤذني ابن آدم يسب الدهر
		في الصلاة	٢١٨	١٠	يؤذني ابن آدم، يسب الدهر... (قدسي)
٣٦٧	٤	يا أيها الناس ما لكم حين نابكم شيء	٣٢	١٠	يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله
٣٣٦	٤	يا أيها الناس، إن منكم منفرين	١٧٩	٢	يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله
١٧٠	٣	يا أيها الناس، إنما الأعمال بالنية	١٣١	٣	يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله
٣٧١	٩	يا أيها الناس، إنني قد أوتيت جوامع الكلم	٣٢	٣	يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله
٥٥٨	١٠	يا أيها الناس، أي يوم هذا؟	٣٦٢	٣	يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله
٤٢٢	٥	يا بلال حدثني بأرجى عمل	٢٨	٣	يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله
٢٤٠	٤	يا بلال، قم فناد بالصلاة	٣٧٠	٤	يؤم الناس أقرؤهم لكتاب الله
٦١٠	٢				

يا بن أخي، اليتيمة تكون... (من قول عائشة)..... ٦ ..... ١٣٨  
يا بن أخي، هذه اليتيمة... (من قول عائشة)..... ٦ ..... ١٧٥  
يا بنت أبي أمية، سألت عن الركعتين بعد العصر..... ٢ ..... ٥٣٧  
يا بنت أبي أمية سألت عن الركعتين بعد العصر..... ٤ ..... ٣٦٦  
يا بني النجار، ثامنوني..... ٥ ..... ٦٤٧  
يا بني سلمة ألا تحسبون آثاركم؟..... ٥ ..... ٦٦٩  
يا بني سلمة دياركم..... ٤ ..... ٢٨٠  
يا بني عبد مناف، لا تمنعوا أحداً طاف..... ٢ ..... ٥٥٤  
يا بنية لا يغرنك هذه... (من قول عمر)..... ٦ ..... ٤٤٠  
يا جبريل ما يمنعك أن تزورنا..... ١٠ ..... ٤٣١  
يا حاطب ما حملك على ما صنعت؟..... ٩ ..... ٣٤٣  
يا حسان، أجب عن رسول الله ﷺ..... ٢ ..... ٣٤٥  
يا حكيم، إن هذا المال خضرة حلوة..... ٥ ..... ٨٥  
يا رب أمي أمي..... ١٠ ..... ٤٨٩  
يا رب إن أمي ضعفاء..... ١٠ ..... ٤٩٥  
يا رسول الله ﷺ أيعذب الناس في قبورهم؟..... ٤ ..... ١٤١  
يا رسول الله ﷺ هلك الكراع..... ٣ ..... ٥٥٣  
يا رسول الله ﷺ، أنسيت أم قصرت الصلاة..... ٦ ..... ٨٥  
يا رسول الله ﷺ أليس أبي قميصك الذي يلي جلدك..... ٤ ..... ٥٦٤  
يا رسول الله ما أنتم على ثابت في دين ولا خلق..... ٦ ..... ٥٣٤  
يا رسول الله هلك المال، وجاع العيال..... ٤ ..... ٩٦  
يا رسول الله هلكت الأموال..... ٣ ..... ٥٥٢  
يا رسول الله، تهدم البناء، وغرق المال..... ٤ ..... ٩٦  
يا رسول الله، هلكت الهاشية، هلك العيال..... ٤ ..... ٩٣  
يا رسول الله، يصدر الناس ينسكين وأصدر ينسك؟..... ٥ ..... ٥١٧  
يا سلمة ألا تبايع؟..... ٩ ..... ٦٥٣  
يا عائشة أعلمت أن الله قد أفتاني..... ٧ ..... ٤٤١  
يا عائشة ألم تري أن مجزراً المدلجي..... ٩ ..... ٨٨  
يا عائشة إن عيني تمانان ولا ينام قلبي..... ٤ ..... ٢٣٧  
يا عائشة كأن ماءها نقاعة الحناء..... ٧ ..... ٤٣٧  
يا عائشة ما كان معكم لهو..... ٦ ..... ٣٢٨  
يا عائشة هذا جبريل يقرأ عليك السلام..... ٧ ..... ٦٨٢  
يا عائشة هذا جبريل..... ٧ ..... ٦٨٢  
يا عائشة، لولا أن قومك حديث عهد بجاهلية..... ٥ ..... ٢٨٣  
يا عائشة، أشعرت أن الله أفتاني..... ٧ ..... ٤٣٧  
يا عائشة، لولا قومك حديث عهدهم..... ١ ..... ٣٤٤  
يا عائشة، ما كان معكم لهو؟..... ٢ ..... ٣١٢  
يا عبادي لو أن أولكم..... ٧ ..... ١٥٠  
يا عبادي، إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني... (قدسي)..... ١٠ ..... ٢٢٩  
يا عبادي، لو أن أولكم وآخركم... (قدسي)..... ١٠ ..... ٣٥٨  
يا عباس ألا تعجب من حب مغيث بريرة..... ٦ ..... ٥٤٢  
يا عبد الرحمن بن سمرة لا تسأل الإمارة..... ٩ ..... ٥٧٤  
يا عبد الرحمن بن سمرة لا تسأل الإمارة..... ٧ ..... ٥٣٤  
يا عبد الرحمن لا تسأل الإمارة..... ٩ ..... ٥٧٤  
يا عبد الرحمن، اذهب بأختك فأعمرها..... ٥ ..... ١٧٥  
يا عبد الله ألم أخبر أنك تصوم..... ٦ ..... ٤١٦  
يا عبد الله بن قيس قل: لا حول ولا..... ٧ ..... ٢٤٧  
يا عبد الله لا تكن مثل فلان..... ٤ ..... ٢٤٤  
يا عم قل لا إله إلا الله..... ١٠ ..... ٤٥١  
يا عم قل: لا إله إلا الله..... ٤ ..... ٥٧٨  
يا عم، قل: لا إله إلا الله، كلمة أشهد لك..... ٢ ..... ٦٣٨  
يا غلام سم الله..... ٧ ..... ٣٣٤  
يا غلام سم الله..... ٧ ..... ٦٦٢  
يا فاطمة ألا ترضين..... ٧ ..... ٧٦٤  
يا فاطمة، أيسرك أن يقول الناس..... ١ ..... ٢٦٦  
يا فلان إذا أويت إلى فراشك..... ١٠ ..... ٤٧٣  
يا فلان، ما يمنعك أن تفعل ما يأمرك به..... ٣ ..... ٢٧٠  
يا كعب... (في أمره بالوضع من الدين)..... ٢ ..... ٣٥٢



الجزء	الصفحة	طرف الحديث	الجزء	الصفحة	طرف الحديث
١٠	٤٧٨	يأتي يوم القيامة وجرحه يشعب دماً	٢	٣٧٥	يا كعب بن مالك، يا كعب
٤	٦٠١	يا أمرنا بالصلاة، والزكاة، والصلة، والعفاف	١٠	٤٢٢	يا محمد إن الله يضع الساء على أصبع
٢	١٩٨	يا أمرنا -يعني: النبي ﷺ- بالصلاة والصدق	٩	٤١٣	يا محمد إنك رسول الله حقاً
٧	٥٧٣	يبقى رجل بين الجنة والنار فيقول	٧	٥٣٢	يا مخزومة هذا خبأناه لك
١٠	٢٦٣	يبقى رجل بين الجنة والنار	١	٣٤٧	يا معاذ بن جبل
٧	٤١٨	يتبع الميت ثلاثة	١٠	٢٠٦	يا معاذ أتدري ما حق الله على العباد
٣	٧٢	يتراصون ويكسلون الأول فالأول	٣	١٧٠	يا معاذ، أفتأن أنت
١٠	٣٩٨	يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل	٧	٧٣٨	يا معشر الأنصار
١٠	٤٧١	يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل			يا معشر الشباب من استطاع الباءة
٢	٥٠٨	يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل	٦	١٤١	فليتزوج
٩	٤٩٦	يتقارب الزمان ويتقص العمل			يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة
٧	١٧٣	يتزل ربنا تبارك وتعالى	٦	١٣٩	فليتزوج
٧	٤٦٢	يجاء بالكافر يوم القيامة	٦	١٣٦	يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة
٩	٥٢٢	يجاء برجل يطرح في النار فيطحن فيها	١٠	٦٠	يا معشر القراء استقيموا... (من قول حذيفة)
١٠	١٥٤	يجاء بنوح يوم القيامة			يا معشر المسلمين كيف تسألون... (من قول ابن عباس)
		يجعل الساء على أصبع والأرضين على أصبع	١٠	٥٢٠	يا معشر المسلمين من يعذرنى
١	٣٤٨	يجمع الله المؤمنين يوم القيامة	١٠	١٩٢	يا معشر النساء تصدقن فإني رأيتكن
١٠	٣٤٩	يجمع الله الناس يوم القيامة	٢	١٧٠	يا معشر النساء تصدقن
٧	٤٨٧	يجمع المؤمنون يوم القيامة	١٠	١٥١	يا معشر يهود أسلموا تسلموا
١٠	٤٩٤	يجيء الدجال حتى يترل في ناحية المدينة	٩	٣٥٨	يا معشر يهود أسلموا تسلموا
٩	٥٤٦	يجس المؤمنون يوم القيامة حتى يهوما	٢	٢١٩	يا مغيرة، خذ الإداوة
١٠	٤١٠	يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب	٩	٢١٤	يا مقداد قتل رجلًا قال: لا إله إلا الله؟
٦	١٦٧	يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب	١٠	٤٩٥	يا موسى قد والله استحييت
٦	٢١٦، ١٩٢	يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب			يا نبي الله أو عليك أغار؟... (من قول عمر)
٦	٢١٣	يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب	٦	٤٤٧	يأبى الله والمؤمنون إلا
٩	٥٩	يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب	١٠	١٧٦	يأبى الله ورسوله والمؤمنون إلا أبا بكر
٦	٤٦٣	يحصر الفرات عن جبل من ذهب	١	٣٠٤	يأبى الله ورسوله والمؤمنون إلا أبا بكر
٩	٥٤٣	يحصر عن جبل من ذهب	٧	٧٢٤	يأبى الله ورسوله، والمؤمنون إلا أبا بكر
٩	٥٣٩	يحشر الله العباد	٣	٩٧	يأتي الدجال -وهو محرم عليه أن يدخل
١٠	٤٦٦	يحشر الله الناس يوم القيامة	٥	٦٦٧	يأتي الدجال وهو محرم عليه أن يدخل نقاب المدينة
١٠	٤٦٦	يحشر الناس على ثلاث طرائق	٩	٥٥٤	يأتي على الناس زمان خير مال
٧	٤٣٣	يحشر الناس يوم القيامة	٧	٣٩٢	يأتي في آخر الزمان قوم حدثاء الأسنان
٧	٤٣٢	يحشرون حقاً عراً	٦	١٢٤	

الجزء	الصفحة	طرف الحديث	الجزء	الصفحة	طرف الحديث
٥١٤.....	٧	يرد على الحوض رجال من أصحابي فيحثلون.....	٢٩٦.....	٥	يخرّب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة
٥١٤.....	٧	يرد علي يوم القيامة رهط من أصحابي	٣٠٨.....	٥	يخرّب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة
٤٥٠.....	٦	يريدني ما أراها.....	٣٣٦.....	٩	يخرج في هذه الأمة قوم تحقرون صلاتكم
٧١.....	٦	يريد أن يوصي فيه.....	١٢٦.....	٦	يخرج فيكم قوم تحقرون صلاتكم
٢٠٣.....	٢	يزره ولو بشوكة.....	١١٤.....	٩	يخرج قوم من النار بشفاعته محمد ﷺ
١٩٦.....	٧	يستجاب لأحدكم ما لم يعجل.....	٤٩٤.....	٧	يخرج قوم من النار بشفاعته محمد.....
١٣٩.....	٧	يستجاب لنا فيهم.....	٤٨٥.....	٧	يخرج قوم من النار بعد ما مسهم منها سفع
٦١٤.....	٩	يسرا ولا تعسرا.....	٥٢٧.....	٩	يخرج قوم هلكي لا يفلحون.....
٢١٠.....	١	يسروا ولا تعسروا.....	٤٨٢.....	٧	يخرج من النار بالشفاعة.....
٤٥٢.....	١٠	يسروا ولا تعسروا.....	١٣٠.....	١	يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله
٣٣٠.....	٤	يسروا ولا تعسروا.....	٣٣٧.....	٩	يخرج منه قوم يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم.....
١٠١.....	٣	يسروا ولا تعسروا، وبشروا.....	٥٦٨.....	١٠	يخرج ناس من قبل المشرق.....
٦٦٥.....	٧	يسلم الراكب على الماشي.....	٤٥٧.....	٧	يخلص المؤمنون من النار.....
٦٦٦.....	٧	يسلم الراكب على الماشي.....	١٣١.....	٤	يخوف الله بها عباده.....
٦٦٦.....	٧	يسلم الصغير على الكبير.....	١٣١.....	٤	يخوف الله عباده بالكسوف.....
١٣٧.....	٥	يسم إبل الصدقة.....			اليد العليا خير من اليد السفلى وأبدأ بمن تعول.....
١٩٨.....	٧	يشير بأصبعه هكذا.....	٢٦.....	٥	اليد العليا خير من اليد السفلى.....
		يصعق الناس حين يصعقون فأكون أول من قام.....	٢٧.....	٥	يد الله ملائ لا يغضها نفقة، سحاء الليل والنهار.....
٤٢٤.....	٧	يصعقون يوم القيامة فإذا أنا بموسى.....	٣٥٧.....	١٠	يدخل الجنة من أمتي زمرة.....
٣٩٦.....	١٠	يصلون لكم فإن أصابوا فلكم.....	٤٨٤.....	٧	يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفاً.....
١٥٣.....	٣	يصلون لكم، فإن أصابوا فلكم.....	٣٥٥.....	٧	يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار.....
١٥٣.....	٣	يصلّي الركعتين قبل صلاة الغداة، وكان الأذان بأذنيه.....	٢١٣.....	٩	يدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار.....
٥٢.....	٤	يضع رب العزة فيها رجله.....	٧٩.....	١	يدخل من أمتي زمرة هم سبعون ألفاً.....
٢٦٩.....	١٠	يطهرها الماء والقرظ.....	٤٦٥.....	٧	يدخل من أمتي زمرة هم سبعون ألفاً.....
١١٠.....	٥	يطيل السفر أشعث أغبر.....	٤٦٧.....	٧	يدرس الإسلام كما يدرس وشي الثوب.....
١٩٧.....	٧	يعتزل الحيض المصلى.....	٣٧٤.....	٤	يدع شهوته، وأكله، وشربه.....
٦٣٩.....	٣	يعتزل الحيض المصلى.....	٤٧٦.....	١٠	يدنو أحدكم من ربه.....
٥١٩.....	٤	يعذب الميت ببعض بكاء أهله عليه.....	٤٩١.....	١٠	يذهب الصالحون الأول.....
٤٥٣.....	٤	يعذبان وما يعذبان في كبير.....	٣٠٩.....	٧	يربها لصاحبه كما يربي أحدكم فلوه.....
٥٥٤.....	١	يعرق الناس يوم القيامة.....	٣٩٩.....	١٠	يرحم الله فلائاً لقد أذكرني آية كنت.....
٤٥٣.....	٧	يعرض أحدكم أخاه كما يعرض الفحل لادية لك.....	٢٩.....	٦	يرحم الله موسى لقد أودني.....
٢٥٥.....	٩	يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم.....	١٩٢.....	٧	يرحمه الله لقد أذكرني كذا وكذا.....
٢٢٩.....	٤	يعقد الشيطان.....	١٠١، ٩٨.....	٦	يرحمه الله لقد أذكرني.....
٤٩٩.....	١	يعقد الشيطان.....	٩٨.....	٦	يرحمه الله لقد أذكرني.....



الصفحة	الجزء	طرف الحديث	الصفحة	الجزء	طرف الحديث
٦٦٥	٩	يكون اثنا عشر أميراً.....	٤٨	٤	يعقد الشيطان.....
٦٣١	٤	يكون الرجل قيم خمسين امرأة.....	٤٣	٥	يعين ذا الحاجة الملهوف.....
٤٦٨	١٠	يكون العام كذا.....	٤٣	٢	يغسل ما مس المرأة منه، ثم يتوضأ.....
٣٧٨	٩	يكون كثر أحدكم يوم القيامة شجاعاً أقرع.....	٥٥٩	٩	يفتح الردم ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه.....
٤٢٨	٧	يلبثون ما لبثتم، ثم تبعث الصائحة.....	٤٧٤	٧	يقال لأهل الجنة: خلود لا موت.....
٢٦٥	١٠	يلقى في النار.....	١٩٨	١٠	يقال لهم: أحيوا ما خلقتم.....
٣٣٦	٩	يمرقون من الإسلام مروق السهم من الرمية.....	٢٤٣	١	يقبض العلم ويظهر الجهل.....
١٢٤	٦	يمرقون من الإسلام.....	٢٤٨	١٠	يقبض الله الأرض يوم القيامة ويطوي السماء يمينه.....
٤٦٨	٣	يمس من طيب بيته.....	٣٥٩	١٠	يقبض الله الأرض.....
٤٥٢	٩	يموت عبد الله وهو أخذ بالعروة الوثقى.....	٤٢٩	٧	يقبض الله الأرض.....
٥١٠	٩	ينام الرجل النومة فتقبض الأمانة من قلبه.....	٥٧٣	٥	يقتل المحرم.....
٣٩٤	٧	ينام الرجل النومة فتقبض.....	٥٤٣	٩	يقتل عند كثركم ثلاثة كلهم ابن خليفة.....
٩٣	٩	يتبع منه نور الإيمان في الزنا... (من قول ابن عباس).....	١٧٠	٤	يقرأ السورة التي فيها السجدة، فيسجد.....
٤٦٨	١٠	يتزل الأمر إلى السماء.....	٤٠١٢ ٥٥٩	٢	يقطع الصلاة المرأة والحيار والكلب.....
٣٦٢	٧	يتزل ربنا إلى السماء الدنيا.....	٤١٩	٢	يقطع الصلاة المرأة.....
٣٦٣	٧	يتزل ربنا إلى السماء الدنيا.....	٤٨١	٧	يقول الله تعالى لأهل النار عذاباً.....
٥٠٠	١٠	يتزل ربنا إلى السماء.....	٢٩٧	٧	يقول الله تعالى ما لعبدى المؤمن.....
٢٣٣	٤	يتزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء.....	٣٠	١	يقول الله تعالى من وصلك وصلته.....
٤٧٨	١٠	يتزل ربنا تبارك وتعالى.....	٣١٩	١٠	يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي.....
٥٣١	٨	يتصب لكل غادر لواء يوم القيامة.....	٤٦٩	١٠	يقول الله: يا آدم.....
١٨٢	٥	يهل أهل المدينة من ذي الحليفة.....	٦٥٤	٥	يقولون يشرب وهي طيبة.....
٥٣٩	٨	يوشك الفرات أن يحسر عن كثر من ذهب.....	٤٥٢	٧	يقوم أحدهم في رشحه.....
		يوشك أن تنزل عليكم حجارة... (من قول ابن عباس).....	٢٩٢	٧	يكبر ابن آدم ويكبر.....
٢٤٤	٦	يوشك أن يكون خير مال المسلم غنم.....	٤٧٩	٥	يكبر عند كل حصاة.....
٥١٢	٨	يوشك أن يكون خير مال المسلم غنم.....	٣٠٠	٣	يكبر في كل خفض ورفع.....
٥١٢	٨	يوشك أن يكون خير مال المسلم غنم.....	٣٢٩	٧	يكثرون اللعن.....
٢٧	٣	يوقظ النائم ويرجع القائم.....	٥٥٠	٣	يكفر السنة التي قبله والتي بعده.....
٦٦	١٠	اليوم الأول كسنة.....	٤١٥	٦	يكفرون العشير، ويكفرون الإحسان.....
٥٨٢	٥	اليوم تستحل الكعبة... (من قول سعد).....	١٣٦	٤	يكفرون العشير، ويكفرون الإحسان.....
			١٧٦	٢	يكفيك الوجه والكفان.....

شَيْخ  
صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ

الْفَهْرَسْتَانُ



Ms. A. 9. 2. 11

## الفهرس

الموضوع	رقم الصفحة
• كتاب التمني	٣
○ باب ما يكره من التمني	٥
○ قول الرجل لولا الله ما اهتدينا	٧
○ كراهية التمني لقاء العدو	٩
○ ما يجوز من اللو	٩
• كتاب أخبار الأحاد	٢١
○ ما جاء في إجازة خبر الواحد الصدوق في الأذان والصلاة والصوم والفرائض والأحكام	٢٣
○ بعث النبي ﷺ الزبير طلعة وحده	٤٢
○ باب قول الله تعالى: ﴿لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾	٤٢
○ ما كان يبعث النبي ﷺ من الأمراء والرسل واحد بعد واحد	٤٣
○ وصاة النبي ﷺ وفود العرب يبلغوا من وراءهم	٤٤
○ خبر المرأة الواحدة	٤٦
• كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة	٤٩
○ قول النبي ﷺ: بعثت بجوامع الكلم	٥٤
○ الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ وقول الله تعالى: ﴿وَأَجْعَلْنَا لِمَنْ يَشَاءُ إِمَامًا﴾	٥٥
○ ما يكره من كثرة السؤال وتكلف ما لا يعنيه	٦٥
○ الاقتداء بأفعال النبي ﷺ	٨٣
○ ما يكره من التعمق والتنازع والغلو في الدين والبدع	٨٧
○ إثم من آوى محدثاً	٩٧



- ٩٧..... ما يذكر من ذم الرأي وتكلف القياس
- ١٠٠..... ما كان النبي ﷺ يسأل مما لم ينزل عليه الوحي
- ١٠٢..... تعليم النبي ﷺ أمته من الرجال والنساء
- ١٠٤..... قول النبي ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي...»
- ١٠٥..... قول الله تعالى: ﴿أَوَلَيْسَ كُمُ شَيْعًا﴾
- ١٠٧..... من شبه أصلاً معلوماً بأصل مبين
- ١٠٩..... ما جاء في اجتهاد القضاء بما أنزل الله تعالى
- ١٠٣..... قول النبي ﷺ لتبعن سنن ما كان قبلكم
- ١١٤..... إثم من دعا إلى ضلالة أو سن سنة سيئة
- ١١٦..... ما ذكر النبي ﷺ وحض على اتفاق أهل العلم
- ١٤٤..... قول الله تعالى: ﴿لَيْسَ لَكُم مِّنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾
- ١٤٦..... قوله تعالى: ﴿وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرُ شَيْءٍ جَدَلًا﴾
- ١٥٢..... قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾
- ١٥٥..... إذا اجتهد العامل أو الحاكم فأخطأ خلاف الرسول
- ١٥٩..... أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ
- ١٦٣..... الحجة على من قال إن أحكام النبي ﷺ كانت ظاهراً
- ١٦٨..... من رأى ترك النكير من النبي ﷺ حجة لا من غير الرسول
- ١٧٠..... الأحكام التي تعرف بالدلائل وكيف معنى الدلالة وتفسيرها
- ١٧٧..... قول النبي ﷺ لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء
- ١٨٠..... كراهية الخلاف
- ١٨٤..... نهي النبي ﷺ عن التحريم إلا ما تعرف بإباحته
- ١٨٨..... قول الله تعالى: ﴿وَأْمُرْهُمْ شُرُوعِي﴾ و ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾
- ١٩٥..... **• كتاب التوحيد**
- ٢٠٢..... ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى
- ٢١٣..... قول الله تبارك وتعالى: ﴿قُلْ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾
- ٢٢٧..... قول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾
- ٢٣١..... قول الله تعالى: ﴿عَلِيمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهَرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا﴾
- ٢٤٠..... قول الله تعالى: ﴿السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ﴾
- ٢٤٧..... قول الله تعالى: ﴿مَلِكِ النَّاسِ﴾

- قول الله تعالى: ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾، ﴿سُبْحَنَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾، ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ﴾ ..... ٢٥٧
- قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ ..... ٢٧١
- قول الله تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ ..... ٢٨٠
- قول الله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ﴾ ..... ٢٨٩
- مقلب القلوب وقول الله تعالى ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْعَدَّتْهُمْ وَأَبْصَرَهُمْ﴾ ..... ٢٩٦
- إن لله مائة اسم إلا واحدًا ..... ٢٩٨
- السؤال بأسماء الله تعالى والاستعاذة بها ..... ٢٩٩
- ما يذكر في الذات والنعوت وأسماء الله ..... ٣١١
- قول الله تعالى: ﴿وَيَحْذَرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ ..... ٣١٦
- قول الله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ ..... ٣٢٧
- قول الله تعالى: ﴿وَلَنُصْنَعُ عَلَى عَيْنِي﴾ ..... ٣٢٩
- قول الله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ﴾ ..... ٣٣٤
- قول الله تعالى: ﴿لَمَّا خَلَقْتُ يَدَيَّ﴾ ..... ٣٤٤
- قول النبي ﷺ: لا شخص أغير من الله ..... ٣٦٢
- ﴿قُلْ أَيْ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَدَةً﴾ ..... ٣٧٠
- ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ ..... ٣٧٤
- قول الله تعالى: ﴿تَرْجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ ..... ٣٩٦
- قول الله تعالى: ﴿وَجِئُوا بِمِيزَانٍ﴾ (٢٢) ﴿إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾ ..... ٤٠٢
- ما جاء في قول الله تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ ..... ٤٢١
- قول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا﴾ ..... ٤٢٢
- ما جاء في تخليق السموات والأرض وغيرها من الخلاق ..... ٤٢٣
- باب قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ﴾ ..... ٤٢٧
- قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ ..... ٤٣٥
- قول الله تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدادًا لَكَلِمَتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِائِيلَةٍ مِّدَادًا﴾ ..... ٤٣٨
- في المشيئة والإرادة ..... ٤٤٢
- قول الله تعالى: ﴿وَلَا نَنْفَعُ الشَّفِيعَةَ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾ ..... ٤٦٣
- كلام الرب مع جبريل ونداء الله للملائكة ..... ٤٧٠



- ٤٧٣..... قول الله تعالى: ﴿أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ مِائَةً أَلْفَ نَسْخَةٍ وَكُنِيَ بِاللهِ شَهِيدًا﴾
- ٤٧٥..... قول الله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللهِ﴾
- ٤٨٨..... كلام الرب ﷻ يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم
- ٤٩١..... ما جاء في قوله: ﴿وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾
- ٥٠٢..... كلام الرب مع أهل الجنة
- ٥٠٣..... ذكر الله بالأمر وذكر العباد بالدعاء والتضرع والرسالة والبلاغ
- ٥٠٧..... قول الله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلّهِ أَنْدَادًا﴾
- قول الله تعالى: ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَوُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَرُكُمْ وَلَا
- جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾
- ٥١٥.....
- ٥١٧..... قول الله تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾
- ٥٢١..... قول الله تعالى: ﴿لَا تَحْزَنْ بِهِ لِسَانُكَ﴾
- ٥٢٤..... قوله الله تعالى: ﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾
- ٥٢٨..... قول النبي ﷺ: رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به
- ٥٣٠..... قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَنْ نَقْعَلَ مَا بَلَّغْتَ وَرَأَيْنَاكَ
- ٥٣٥..... قول الله تعالى: ﴿قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا﴾
- ٥٣٨..... وسمى النبي ﷺ الصلاة عملاً وقال لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب
- ٥٣٩..... قول الله تعالى: ﴿إِنَّا الْإِنْسَانَ خَلَقْنا هَلُوعًا ۝ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا﴾
- ٥٤٠..... ذكر النبي ﷺ وروايته عن ربه
- ٥٤٢..... ما يجوز من تفسير التوراة وغيرها من كتب الله بالعربية وغيرها
- ٥٤٥..... قول النبي ﷺ الماهر بالقرآن مع الكرام البررة
- ٥٤٩..... قول الله تعالى: ﴿فَأَقْرءُوا مَا يَنْسَرَمْنَهُ﴾
- ٥٥٠..... قول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ﴾
- ٥٥٢..... قول الله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ ۝ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ﴾ ﴿وَالطُّورِ ۝﴾ ﴿وَكُنْشِ مَسْطُورٍ﴾
- ٥٥٩..... قول الله تعالى: ﴿وَاللهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾
- ٥٦٦..... قراءة الفاجر والمنافق وأصواتهم وتلاوتهم لا تجاوز حناجرهم
- ٥٧٠..... قول الله تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَزِينَ الْقِسْطَ﴾
- ٥٧٣.....

• فهرس الأظراف

٦٨٥..... • الفهرس

